صحيح التفسير

عن الإمام البغوي

المسمى بـ «معالم التنزيل»

ومعه

«الصحيح المسند من أسباب النزول»

للعلامة المحدث

مقبل بن هادي الوادعي رحمه الله

للفقير إلى عفو ربه

أبي سعيد مختار بن سعيد الحضرمي

دار الحديث السلفية بالحامي

المجلد الأول

الفاتحة - الأنعام

المكتبة السلفية بالحامي

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى

١٤٤٦هـ - ٢٠٢٤م

المَكْتَبَةُ السَّلَفِيَّةُ بِالحَامِي

+967-771429808 ☎ +967-5340739

https://t.me/+Z29S6k5URAszMWE0

صحيح التفسير

عن الإمام البغوي

المُسمَّى بـ «معالم التنزيل»

بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المُقَدِّمَةُ

الحَمْدُ لله الْعَلِيِّ الْقَدِيرِ الْأَجْلَلِ، الحَلِيمِ المَنَّانِ، الْقَائِلِ فِي مُحْكَمِ تَنْزِيلِهِ: ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾[إبْرَاهِيم:٣٤]، وَالْقَائِلِ: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾[النَّحْل:٥٣]، وَالْقَائِلِ: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾[إبْرَاهِيم:٧]، وَالْقَائِلِ: ﴿وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ﴾[الزمر:٧]، وَالْقَائِلِ: ﴿وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ﴾[لُقْمَان:١٢]، وَالْقَائِلِ: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾[لُقْمَان:١٤].

أَمَّا بَعْدُ: فَلَا يَخْفَى عَلَى المُسْلِمِ الْفَطِنِ شَرَفَ كِتَابِ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وَمَا يَجِبُ عَلَيْهِ تِجَاهَهُ مِنْ تَعَلُّمٍ وَتَعْلِيمٍ، وَالتَّفَقُّهِ بِهِ وَفَهْمِ مَعَانِيهِ، وَالْعَمَلِ بِهِ، وِفْقَ مَا أَرَادَهُ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وَأَرَادَهُ رَسُولُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، عَلَى فَهْمِ سَلَفِ الْأُمَّةِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ، لَا خَلَفِهِمْ.

وَبِنَاءً عَلَى هَذَا: فَقَدْ قَامَ جَمْعٌ مِنْ أَئِمَّةِ السَّلَفِ بِتَفْسِيرِهِ، كَابْنِ عَبَّاسٍ، وَمُجَاهِدٍ، وَقَتَادَةَ، وَمُقَاتِلَ، وَالْقُرْطُبِيِّ، وَالطَّبَرِيِّ، وَابْنِ كَثِيرٍ، وَآخَرِينَ رِضْوَانُ الله عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ، إِلَّا أَنَّهُ دَخَلَ فِي غَالِبِهَا مَا دَخَلَ مِنَ الْإِسْرَائِيلِيَّاتِ، وَشَيْءٌ مِنْ أَقْوَالِ أَهْلِ الْبِدَعِ وَالضَّلَالَاتِ، وَالْأَحَادِيثِ وَالآثَارِ الضَّعِيفَةِ وَالمَوْضُوعَةِ، فَلَا أَدْرِي! أَكَانَ هَذَا مِنْهُمْ؟ أَمْ وَضَعَهُ الْأَعْدَاءُ بَعْدَهُمْ؟ وَقَدْ فَعَلُوْا! وَلَقَدْ رَأَيْتُ نُسْخَةً لِلْأَرْبَعِينَ النَّوَوِيَّةِ بِخَطِّ الْإِمَامِ النَّوَوِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ قَدْ وَقَعَتْ فِي أَيْدِي الرَّافِضَةِ الْأَنْجَاسِ الْأَرْجَاسِ، فَطَمَسُوا أَسْمَاءَ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، إِلَّا ابْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وَوَضَعُوْا أَشْيَاءَ لَمْ يَضَعْهَا الْإِمَامُ رَحِمَهُ اللَّهُ.

وَلَمَّا كَانَ هَذَا الْكِتَابُ -تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ لِلْإِمَامِ الْبَغَوِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ- مِنْ أَجَلِّ الْكُتُبِ المَذْكُورَةِ وَأَكْثَرِهَا نَفْعًا، وَلِأَنَّهُ مُخْتَصَرٌ مُفِيدٌ جِدًّا، قُمْتُ بِمَا يَلِي:

١- حَذَفْتُ جُلَّ مَا جَاءَ فِيهِ مِنَ الْإِسْرَائِيلِيَّاتِ، لَا سِيَّمَا مَا كَانَ غَرِيبًا جِدًّا، بَعِيدًا عَنِ الدَّلِيلِ وَالْعَقْلِ، كَقِصَّةِ (عُوجِ بْنِ عُنُقٍ)، وَفِيهَا: أَنَّ طُولَهُ كَانَ ثَلَاثَةَ آلَافٍ وَثَلَاثِمِائَةٍ وَثَلَاث وَثَلَاثِينَ ذِرَاعًا وَثُلُث ذِرَاعٍ، وَكَانَ يَحْتَجِرُ بِالسَّحَابِ وَيَشْرَبُ مِنْهُ، وَيَتَنَاوَلُ الْحُوتَ مِنْ قَرَارِ الْبَحْرِ فَيَشْوِيهِ بِعَيْنِ الشَّمْسِ، يَرْفَعُهُ إِلَيْهَا ثُمَّ يَأْكُلُهُ، وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنَ الْقَصَصِ وَالْأَكَاذِيبِ، وَمَا لَا يَلِيقُ بِمِثْلِ هَذَا الْمُخْتَصَرِ.

٢- خَرَّجْتُ الْأَحَادِيثَ وِفْقَ تَخْرِيجَاتِ الْإِمَامَيْنِ الْأَلْبَانِيِّ وَالْوَادِعِيِّ رَحِمَهُمَا اللهُ تَعَالَى، وَهَكَذَا ط: (الرِّسَالَة)، مَا لَمْ تَكُنْ فِي الصَّحِيحَيْنِ أَوْ أَحَدِهِمَا، وَرُبَّمَا كَتَبَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ الحَدِيثَ أَحْيَانًا مِنْ حِفْظِهِ، فَكَانَ تَقْدِيمٌ وَتَأْخِيرٌ، أَوْ خَلْطٌ فِي المَتْنِ، فَأَرْجِعُ إِلَى الأَصْلِ، وَأَكْتُبُهُ كَمَا وَرَدَ.

٣- حَذَفْتُ غَالِبَ مَا كَانَ مُكَرَّرًا مِنَ الْأَحَادِيثِ وَالآثَارِ وَالْأَقْوَالِ، لَا سِيَّمَا مَا كَانَ بَعِيدًا أَوْ مُخَالِفًا لِقَوْلِ الجُمْهُورِ، أَوِ الصَّوَابَ فِي الْمَسْأَلَةِ.

٤- أَضَفْتُ زِيَادَاتٍ تَوْضِيحِيَّةٍ تُنَاسِبُ المَقَامَ وَالمَقَالَ، وَجَعَلْتُهَا بَيْنَ مَعْقُوفَيْنِ «[]».

٥- خَرَّجْتُ الْأَحَادِيثَ الْوَارِدَةَ فِي أَسْبَابِ النُّزُولِ لِلْقُرْآنِ وِفْقَ مَا جَاءَ فِي "الصَّحِيحِ الْمُسْنَدِ مِنْ أَسْبَابِ النُّزُولِ" لِلْعَلَّامَةِ الْمُحَدِّثِ الْإِمَامِ **أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ مُقْبِلِ بْنِ هَادِي الْوَادِعِيِّ** رَحِمَهُ اللهُ ط: (دَارِ الآثَارِ).

٦- حَذَفْتُ الْأَسَانِيدَ إِرَادَةَ الاِخْتِصَارِ؛ وَتَقْرِيبِ المَادَّةِ لِلْقَارِئِ وَالسَّامِعِ.

٧- أَضَفْتُ فَوَائِدَ وَتَعْلِيقَاتٍ اسْتَفَدْتُهَا مِنْ دُرُوسِ شَيْخِي وَمُعَلِّمِي وَمُرَبِّيِي الْعَالِمِ النَّحْوِيِّ أَسَدِ السُّنَّةِ صَاحِبِ الْكَرَمِ الْجَمِّ: **أَبِي بِلَالٍ خَالِدِ بْنِ عُبُودٍ بَاعَامِرٍ الحَضْرَمِيِّ** حفظه الله.

٨- أَعْرَبْتُ بَعْضَ الْكَلِمَاتِ وَذَكَرْتُ مَا يَتَعَلَّقُ فِيهَا مِنَ البَلَاغَةِ، وَذَلِكَ بِحَسَبِهِ، مِنْ غَيْرِ إِفْرَاطٍ وَلَا تَفْرِيطٍ.

٩- صَحَّحتُ مَا حَصَلَ مِنَ الْمُؤَلِّفِ مِنَ الخَطَأِ وَالزَّلَلِ، لَا سِيَّمَا فِي بَابِ الصِّفَاتِ، كَتَفسِيرِهِ غَضَبَ الله بِإِرَادَةِ الِانتِقَامِ.

وَفِي الخِتَامِ: لَاأَنْسَى شُكْرِي لِمَشَايِخِي وَإِخْوَانِي طَلَبَةِ العِلْمِ، كَالْعَلَّامَةِ الْإِمَامِ الفَقِيهِ النَّاصِحِ الْأَمِينِ يَحْيَى بْنِ عَلِيٍّ الحَجُورِيِّ حفظه الله، وَالشَّيْخِ الفَاضِلِ الفَقِيهِ أَبِي عَمَّار يَاسِر العَدَنِيِّ حفظه الله، وَالشَّيْخِ الْفَاضِلِ النَّحْوِيِّ أَبِي بِلَالٍ خَالِدِ بْنِ عُبُودٍ بَاعَامِر الحَضْرَمِيِّ حفظه الله، وَالشَّيْخِ الفَاضِلِ الوَقُورِ أَبِي مُصْعَب سَامِي حَقَص الحَضْرَمِيِّ رحمه الله، وَالشَّيْخ الفَاضِلِ أَبِي عَبْدِ الله وَهْف الذَّيْفَانِيِّ رحمه الله، وَالشَّيْخ الفَاضِلِ أَبِي حَمْزَةَ حَسَن بَاشُعِيب الحَضْرَمِيِّ حفظه الله، وَالشَّيْخِ الفَاضِلِ أَبِي عَبْدِ الله مَنْصُور بْنِ عَلِيٍّ الأَدِيبِيِّ حفظه الله، وَآخَرِينَ، نَسْأَلُ اللهَ لَنَا وَلَهُمْ وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ التَّوْفِيقَ وَالسَّدَادَ، وَالحَمْدُ لله رَبِّ العَالَمِينَ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

وَكَتَبَهُ

الفَقِيرُ إِلَى عَفْوِ رَبِّهِ

أَبُو سَعِيدٍ مُخْتَارُ بنُ سَعِيدٍ الحَضْرَمِيُّ

دَارُ الحَدِيثِ السَّلَفِيَّةِ بِالحَامِي

لِـ(٢٩) خَلَتْ مِنْ شَهْرِ شَوَّال/ لِعَامِ (١٤٤٤هـ)

❁ ❁ ❁

نُبْذَةٌ مُخْتَصَرَةٌ عَنِ الإِمَامِ البَغَوِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ

○ **التَّعْرِيفُ بِهِ:**

هُوَ الإِمَامُ الجَلِيلُ العَلَّامَةُ الحَافِظُ المُسْنَدُ الفَقِيهُ المُفَسِّرُ المُقْرِئُ، صَاحِبُ المُصَنَّفَاتِ الَّتِي اشْتَهَرَتْ فِي الآفَاقِ، أَحَدُ مَنْ قَامَ فِي عَصْرِهِ بِنَشْرِ عُلُومِ الإِسْلَامِ، أَبُو مُحَمَّدٍ الحُسَيْنُ بْنُ مَسْعُودٍ الفَرَّاءُ البَغَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ.

○ **نِسْبَتُهُ:**

اشْتَهَرَتْ نِسْبَتُهُ بِالْبَغَوِيِّ، وَيُنْسَبُ أَحْيَانًا بِالفَرَّاءِ -أَو ابْنِ الفَرَّاءِ- نِسْبَةً لِعَمَلٍ أَوْ بَيْعِ الفَرَّاءِ.

○ **وِلادَتُهُ وَنَشْأَتُهُ وَحَيَاتُهُ العِلْمِيَّة:**

وُلِدَ رَحِمَهُ اللَّهُ سَنَةَ (٤٣٣) بِذَلِكَ جَزَمَ يَاقُوتُ فِي «مُعْجَمِ البِلْدَانِ» (١/ ٤٦٧) وَقِيلَ: (٤٣٦).

نَشَأَ فِي بَلْدَتِهِ (بَغْشُورَ)، وَبِهَا طَلَبَ العِلْمَ أَوَّلًا، فَمَا زَالَ يَجِدُّ وَيَجْتَهِدُ فِي تَحْصِيلِ عُلُومِ الشَّرِيعَةِ، وَبِخَاصَّةٍ تَفَقُّهُهُ بِمَذْهَبِ الإِمَامِ الشَّافِعِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ، حَتَّى كَانَ يَمِيلُ فِيهِ إِلَى التَّرْجِيحِ وَالتَّحْقِيقِ مِنْ غَيْرِ تَعَصُّبٍ لِمَذْهَبِهِ، بَلْ كَانَ يَطَّلِعُ عَلَى أَقْوَالِ الأَئِمَّةِ، وَيَتَعَرَّفُ عَلَى أَدِلَّتِهِمْ. وَكَانَ يَدْعُو إِلَى التَّمَسُّكِ بِالكِتَابِ وَالسُّنَّةِ. وَلَمْ يَكْتَفِ بِمَا حَصَّلَهُ مِنْ عُلُومٍ فِي بَلْدَتِهِ، بَلْ رَحَلَ فِي طَلَبِ المَزِيدِ، فَرَحَلَ إِلَى (مَرْوِ الرَّوذِ)، فَالْتَقَى هُنَاكَ بِالإِمَامِ الفَقِيهِ القَاضِي الحُسَيْنِ بْنِ مُحَمَّدٍ المَرْوَرُّوذِيِّ الشَّافِعِيِّ فَأَخَذَ عَنْهُ، وَتَفَقَّهَ عَلَيهِ، وَلَازَمَهُ زَمَنًا، وَرَوَى عَنْهُ، ثُمَّ رَحَلَ وَطَافَ بِلَادَ خُرَاسَانَ، كـ(طوس)، و(سرخس) وَغَيرِ ذَلِكَ، وَسَمِعَ خَلْقًا كَثِيرًا مِنَ الحُفَّاظِ الأَثْبَاتِ، وَرَوَى عَنْهُمْ كُتُبَ الصِّحَاحِ وَالسُّنَنِ وَالمَسَانِيدِ وَالأَجْزَاءِ، وَجَالَسَ عُلَمَاءَ اللُّغَةِ وَحَمَلَ عَنْهُمُ الكَثِيرَ.

وَكَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ يُلَقَّبُ بِمُحْيِي السُّنَّةِ، وَرُكْنِ الدِّينِ، وَشَيخِ الإِسْلَامِ، وَقَدْرُهُ عَالٍ فِي الحَدِيثِ وَالفِقْهِ وَالتَّفْسِيرِ، وَسَائِرِ عُلُومِ الإِسْلَامِ.

○ **وَفَاتُهُ:**

تُوُفِّيَ رَحِمَهُ اللَّهُ بِـ(مَرْوِ الرَّوْذِ) فِي شَوَّال سَنَةَ (٥١٦)، وَهُوَ الَّذِي اخْتَارَهُ الإِمَامُ الذَّهَبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «التَّذْكِرَةِ» (٤/ ١٢٥٨)، وَيَاقُوتُ فِي «مُعْجَمِ البُلْدَانِ» (١/ ٤٦٨) وَغَيْرُهُمَا، وَهُوَ الرَّاجِحُ. **وَقَالَ ابْنُ خَلِّكَانَ** فِي «الوَفِيَّاتِ» (٢/ ١٣٧): تُوُفِّيَ سَنَةَ: (٥١٠).

○ **شُيُوخُهُ:**

مِنْهُمْ: ١- أَبُو عُمَرَ عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ أَحْمَدَ المَلِيحِيُّ الهَرَوِيُّ، المُتَوَفَّى سَنَةَ: (٤٦٣). ٢- أَبُو بَكْرٍ يَعْقُوبُ بْنُ أَحْمَدَ الصَّيْرَفِيُّ النَّيْسَابُورِيُّ، المُتَوَفَّى سَنَةَ: (٤٦٦). ٣- أَبُو عَلِيٍّ حَسَّانُ بْنُ سَعِيدٍ المَنِيعِيُّ، المُتَوَفَّى سَنَةَ: (٤٦٣). ٤- أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ يُوسُفَ الجُوَيْنِيُّ، المُتَوَفَّى سَنَةَ: (٤٦٣). ٥- أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الصَّمَدِ التُّرَابِيُّ، المُتَوَفَّى سَنَةَ: (٤٦٣). ٦- أَبُو الْقَاسِمِ عَبْدُ الْكَرِيمِ بْنُ عَبْدِ المَلِكِ النَّيْسَابُورِيُّ، المُتَوَفَّى سَنَةَ: (٤٦٥). ٧- أَبُو صَالِحٍ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ المَلِكِ النَّيْسَابُورِيُّ، المُتَوَفَّى سَنَةَ: (٤٧٠). وَغَيْرُهُمْ.

○ **تَلَامِذَتُهُ:**

مِنْهُمْ: ١- مُحَمَّدُ بْنُ أَسْعَد الطُّوسِيُّ. ٢- مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الطَّائِيُّ، وَهُمَا مِنْ أَشْهَرِ تَلَامِذَتِهِ، وَرُوَّاةِ كُتُبِهِ. ٣- فَضْلُ الله بْنُ مُحَمَّد النُّوقَانِيُّ. ٤- الحَسَنُ بْنُ مَسْعُودٍ البَغَوِيُّ، وَهُوَ أَخُوهُ. ٥- أَبُو مُقَاتِلٍ الدَّيْلَمِيُّ مِنَاوِرُ بْنُ فَرْكُوه. وَغَيْرُهُمْ.

○ **أَقْوَالُ العُلَمَاءِ فِيهِ:**

قَالَ عَنْهُ الإِمَامُ الذَّهَبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «تَذْكِرَةِ الحُفَّاظِ» (٤/ ١٢٥٧): الإِمَامُ الحَافِظُ

الفَقِيهُ المُجْتَهِدُ مُحْيِي السُّنَّةِ أَبُو مُحَمَّدٍ الْحُسَيْنُ بْنُ مَسْعُودٍ الشَّافِعِيُّ.اهـ **وَقَالَ عَنْهُ** رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «العِبَرِ» (١/٤٠٦) فِي وَفَيَّاتِ (٥١٦ هـ): البَغَوِيُّ مُحْيِي السُّنَّةِ الحُسَينُ بْنُ مَسْعُودٍ المُحَدِّثُ المُفَسِّرُ، صَاحِبُ التَّصَانِيفِ وَعَالِمُ (خُرَاسَانَ) ... كَانَ سَيِّدًا زَاهِدًا قَانِعًا. اهـ

وَسُئِلَ شَيْخُ الإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ عَنْ أَيِّ التَّفَاسِيرِ أَقْرَبُ إِلَى الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، الزَّمَخْشَرِيُّ أَمِ القُرْطُبِيُّ أَمِ البَغَوِيُّ؟ أَمْ غَيْرُ هَؤُلَاءِ؟ فَأَجَابَ: وَأَمَّا التَّفَاسِيرُ الثَّلَاثَةُ المَسْؤُولُ عَنْهَا فَأَسْلَمُهَا مِنَ البِدْعَةِ وَالأَحَادِيثِ الضَّعِيفَةِ البَغَوِيُّ.

وَقَالَ عَنْهُ السُّيُوطِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «طَبَقَاتِ الحُفَّاظِ»: بُورِكَ لَهُ فِي تَصَانِيفِهِ؛ لِقَصْدِهِ الصَّالِحِ؛ فَإِنَّهُ كَانَ مِنَ العُلَمَاءِ الرَّبَّانِيِّينَ، كَانَ ذَا تَعَبُّدٍ وَنُسُكٍ وَقَنَاعَةٍ بِاليَسِيرِ. اهـ

وَقَالَ عَنْهُ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «طَبَقَاتِ المُفَسِّرِينَ» صـ(١٢-١٣): يُلَقَّبُ بِمُحْيِي السُّنَّةِ وَرُكْنِ الدِّينِ أَيْضًا، كَانَ إِمَامًا فِي التَّفْسِيرِ، إِمَامًا فِي الحَدِيثِ، إِمَامًا فِي الفِقْهِ ... وَكَانَ لَا يُلْقِي الدَّرْسَ إِلَّا عَلَى طَهَارَةٍ. اهـ

وَقَالَ عَنْهُ السُّبْكِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «طَبَقَاتِ الشَّافِعِيَّةِ» (٧/ ٧٥-٧٧): كَانَ إِمَامًا جَلِيلًا وَرِعًا زَاهِدًا فَقِيهًا مُحَدِّثًا مُفَسِّرًا جَامِعًا بَيْنَ الْعِلْمِ وَالعَمَلِ، سَالِكًا سَبِيلَ السَّلَفِ ... لَهُ فِي الفِقْهِ اليَدُ البَاسِطَةُ.اهـ

○ مُؤَلَّفَاتُهُ:

لَهُ مُؤَلَّفَاتٌ، مِنْهَا: **١-** مَا نَحْنُ بِصَدَدِهِ (مَعَالِمُ التَّنْزِيلِ). **٢-** شَرْحُ السُّنَّةِ. **٣-** تَرْجَمَةُ الأَحْكَامِ فِي الفُرُوعِ عَلَى مَذْهَبِ الإِمَامِ الشَّافِعِيِّ. **٤-** التَّهْذِيبُ فِي الفِقْهِ، وَهُوَ عَلَى مَذْهَبِ الإِمَامِ الشَّافِعِيِّ أَيْضًا. **٥-** فَتَاوَى البَغَوِيِّ. **٦-** الكِفَايَةُ فِي فُرُوعِ الشَّافِعِيَّةِ. **٧-** الكِفَايَةُ فِي القِرَاءَةِ. **٨-** مُشْكِلُ القُرْآنِ.

❁ ❁ ❁

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فَصْلٌ فِي: (فَضَائِلِ القُرْآنِ وَتَعْلِيمِهِ)

[جَاءَ فِي "صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ" عَنْ] عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ»(١).

[وَجَاءَ فِي "صَحِيحِ مُسْلِمٍ"] أَنَّ نَافِعَ بْنَ عَبْدِ الْحَارِثِ لَقِيَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رضي الله عنه بِـ(عُسْفَانَ)، -وَكَانَ عُمَرُ اسْتَعْمَلَهُ عَلَى مَكَّةَ- فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: مَنِ اسْتَخْلَفْتَ عَلَى أَهْلِ الْوَادِي؟ قَالَ: اسْتَخْلَفْتُ عَلَيْهِمُ ابْنَ أَبْزَى، قَالَ: وَمَنِ ابْنُ أَبْزَى؟ قَالَ: مَوْلًى مِنْ مَوَالِينَا، فَقَالَ عُمَرُ: اسْتَخْلَفْتَ عَلَيْهِمْ مَوْلًى؟ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّهُ رَجُلٌ قَارِئٌ لِلْقُرْآنِ، عَالِمٌ بِالْفَرَائِضِ، قَاضٍ بِالْكِتَابِ، فَقَالَ عُمَرُ: أَمَا إِنَّ نَبِيَّكُمْ ﷺ قَدْ قَالَ: «إِنَّ اللهَ يَرْفَعُ بِالْقُرْآنِ أَقْوَامًا وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ»(٢).

❊ ❊ ❊

فَصْلٌ فِي: (فَضَائِلِ تِلَاوَةِ القُرْآنِ)

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَثَلُ الْمَاهِرِ بِالْقُرْآنِ مَثَلُ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ، وَمَثَلُ الَّذِي يَقْرَؤُهُ وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ لَهُ أَجْرَانِ»(٣).

وَ[عَنْهَا أَيْضًا أَنَّهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ]: «الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَهُوَ مَاهِرٌ بِهِ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ»(٤).

---

(١) **صحيح:** البخاري: (٥٠٢٧).

(٢) **صحيح:** مسلم: (٨١٧).

(٣) **صحيح:** البخاري: (٤٩٣٧).

(٤) **صحيح:** صحَّحه العلَّامة الألباني رحمه الله في "صحيح وضعيف سنن الترمذي" (٢٩٠٤).

[وَ]عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الْأُتْرُجَّةِ طَعْمُهَا طَيِّبٌ وَرِيحُهَا طَيِّبٌ، وَمَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ التَّمْرَةِ طَعْمُهَا طَيِّبٌ وَلَا رِيحَ لَهَا، وَمَثَلُ الْفَاجِرِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الرَّيْحَانَةِ رِيحُهَا طَيِّبٌ وَلَا طَعْمَ لَهَا، وَمَثَلُ الْفَاجِرِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الْحَنْظَلَةِ طَعْمُهَا مُرٌّ وَلَا رِيحَ لَهَا»(١).

[وَ]عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ: اقْرَأْ وَارْتَقِ وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا، فَإِنَّ مَنْزِلَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَؤُهَا»(٢).

[وَ]عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «اقْرَءُوا الْقُرْآنَ؛ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقَامَةِ شَافِعًا لِأَصْحَابِهِ، اقْرَءُوا الزَّهْرَاوَيْنِ: (الْبَقَرَةَ)، وَ(آلَ عِمْرَانَ)؛ فَإِنَّهُمَا يَأْتِيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ أَوْ غَيَايَتَانِ أَوْ فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ، تُحَاجَّانِ عَنْ صَاحِبِهِمَا، اقْرَءُوا (الْبَقَرَةَ)؛ فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ وَتَرْكَهَا حَسْرَةٌ وَلَا يَسْتَطِيعُهَا الْبَطَلَةُ»(٣).

[وَعَنْ] عَبْدِ اللهِ بْنِ بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: «اقْرَءُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ؛ فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ، وَتَرْكَهَا حَسْرَةٌ، وَلَا يَسْتَطِيعُهَا الْبَطَلَةُ». ثُمَّ سَكَتَ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ: «تَعَلَّمُوا سُورَةَ (الْبَقَرَةِ)، وَ(آلَ عِمْرَانَ)؛ فَإِنَّهُمَا الزَّهْرَاوَانِ، وَإِنَّهُمَا تُظِلَّانِ صَاحِبَهُمَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ أَوْ غَيَايَتَانِ أَوْ فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ، وَإِنَّ الْقُرْآنَ يَأْتِي صَاحِبَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِينَ يَنْشَقُّ عَنْهُ قَبْرُهُ كَالرَّجُلِ الشَّاحِبِ، فَيَقُولُ لَهُ: هَلْ تَعْرِفُنِي؟ فَيَقُولُ: مَا أَعْرِفُكَ، فَيَقُولُ لَهُ: أَنَا صَاحِبُكَ الْقُرْآنُ، أَظْمَأْتُكَ بِالْهَوَاجِرِ وَأَسْهَرْتُ لَيْلَتَكَ، وَإِنَّ كُلَّ تَاجِرٍ مِنْ وَرَاءِ كُلِّ تِجَارَةٍ، فَيُعْطَى الْمُلْكَ

---

(١) **صحيح:** البخاري: (٥٤٢٧)، ومسلم: (٧٩٧).

(٢) **حسن:** حسَّنه العلَّامة الألباني رحمه الله في «صحيح وضعيف سنن الترمذي» (٢٩١٤) والعلَّامة الوادعي رحمه الله في كتابه «الصَّحيح المُسنَد ممَّا ليس في الصحيحين» (٧٩٢).

(٣) **صحيح:** مسلم: (٨٠٤).

بِيَمِينِهِ وَالْخُلْدَ بِشِمَالِهِ، وَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الْوَقَارِ، وَيُكْسَى وَالِدَاهُ حُلَّتَيْنِ لَا يَقُوْمُ لَهُمَا أَهْلُ الدُّنْيَا، فَيَقُولَانِ: بِمَ كُسِينَا هَذَا؟ فَيُقَالُ لَهُمَا: بِأَخْذِ وَلَدِكُمَا الْقُرْآنَ، ثُمَّ يُقَالُ: اقْرَأْ وَاصْعَدْ فِي دَرَجِ الْجَنَّةِ وَغُرَفِهَا، فَهُوَ فِي صُعُوْدِهَا مَا دَامَ يَقْرَأُ، هَذًّا كَانَ أَوْ تَرْتِيلًا»(١).

[وَ]عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ إِذَا رَجَعَ إِلَى أَهْلِهِ أَنْ يَجِدَ فِيهِ ثَلَاثَ خَلِفَاتٍ عِظَامٍ سِمَانٍ؟» قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: «فَثَلَاثُ آيَاتٍ يَقْرَؤُهُنَّ أَحَدُكُمْ فِي صَلَاتِهِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ ثَلَاثِ خَلِفَاتٍ عِظَامٍ سِمَانٍ»(٢).

[وَ]عَنْ خَيْثَمَةَ، عَنْ رَجُلٍ: أَنَّ عِمْرَانَ بْنَ حُصَيْنٍ مَرَّ عَلَى رَجُلٍ يَقْرَأُ عَلَى قَوْمٍ، فَلَمَّا قَرَأَ: سَأَلَ، فَقَالَ عِمْرَانُ: إِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فَلْيَسْأَلِ اللهَ بِهِ؛ فَإِنَّهُ سَيَجِيءُ أَقْوَامٌ يَقْرَؤُونَ الْقُرْآنَ يَسْأَلُونَ النَّاسَ بِهِ»(٣).

❁ ❁ ❁

---

(١) **حسن:** أحمد: (٢٢٩٥٠)، وحسَّنه طبعة الرِّسالة.

(٢) **صحيح:** مسلم: (٨٠٢). وَقَوْلُهُ: «خَلِفَات»: بفتح الخاء المعجمة وكسر اللام، جمع (خَلِفَةٍ)، وهي الحامل من النوق، وهي من أعزِّ أموال العرب.اهـ "البحر المحيط الثجاج" (١٦/ ٣٣٢).

(٣) **حسن:** حسَّنه العلَّامة الألباني رحمه الله في "صحيح وضعيف سنن الترمذي" (٢٩١٧).

سُورَةُ فَاتِحَةِ الكِتَابِ

وَلَهَا ثَلَاثَةُ أَسْمَاءٍ مَعْرُوفَةٌ: (فَاتِحَةُ الْكِتَابِ)، وَ(أُمُّ الْقُرْآنِ)، وَ(السَّبْعُ الْمَثَانِي).

سُمِّيَتْ فَاتِحَةَ الْكِتَابِ: لِأَنَّ اللهَ بِهَا افْتَتَحَ الْقُرْآنَ. **وَسُمِّيَتْ أُمَّ الْقُرْآنِ:** لِأَنَّهَا أَصْلُ الْقُرْآنِ، مِنْهَا بُدِئَ الْقُرْآنُ، وَأُمُّ الشَّيْءِ أَصْلُهُ، وَيُقَالُ لِـ(مَكَّةَ): أُمُّ الْقُرَى، لِأَنَّهَا أَصْلُ الْبِلَادِ، دُحِيَتِ الْأَرْضُ مِنْ تَحْتِهَا. **وَقِيلَ:** لِأَنَّهَا مُقَدِّمَةٌ وَإِمَامٌ لِمَا يَتْلُوهَا مِنَ السُّوَرِ؛ يُبْدَأُ بِكِتَابَتِهَا فِي الْمُصْحَفِ، وَبِقِرَاءَتِهَا فِي الصَّلَاةِ. **وَالسَّبْعَ الْمَثَانِي:** لِأَنَّهَا سَبْعُ آيَاتٍ بِاتِّفَاقِ الْعُلَمَاءِ. **وَسُمِّيَتْ مَثَانِيَ:** لِأَنَّهَا تُثَنَّى [-أَيْ: تُكَرَّرُ-] فِي الصَّلَاةِ، فَتُقْرَأُ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ. **وَقَالَ مُجَاهِدٌ:** سُمِّيَتْ مَثَانِيَ لِأَنَّ اللهَ تَعَالَى اسْتَثْنَاهَا لِهَذِهِ الْأُمَّةِ، فَذَخَرَهَا لَهُمْ. وَهِيَ (مَكِّيَّةٌ) عَلَى قَوْلِ الْأَكْثَرِينَ. **وَقَالَ مُجَاهِدٌ:** مَدَنِيَّةٌ. **وَقِيلَ:** نَزَلَتْ مَرَّتَيْنِ، مَرَّةً بِمَكَّةَ، وَمَرَّةً بِالْمَدِينَةِ، وَلِذَلِكَ سُمِّيَتْ مَثَانِيَ. وَالْأَوَّلُ أَصَحُّ، أَنَّهَا مَكِّيَّةٌ؛ لِأَنَّ اللهَ تَعَالَى مَنَّ عَلَى الرَّسُولِ ﷺ بِقَوْلِهِ: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾[الحِجر:٨٧]، وَالْمُرَادُ مِنْهَا: فَاتِحَةُ الْكِتَابِ، وَسُورَةُ الْحِجْرِ مَكِّيَّةٌ، فَلَمْ يَكُنْ يَمُنُّ عَلَيْهِ بِهَا قَبْلَ نُزُولِهَا.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ١ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٢ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ٣ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ٤ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ٥ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ٧﴾.

قَوْلُهُ: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾: **(الْبَاءُ):** أَدَاةٌ تَخْفِضُ مَا بَعْدَهَا، مِثْل: (مِنْ)، وَ(عَنْ)، وَالْمُتَعَلِّقُ بِهِ الْبَاءُ مَحْذُوفٌ لِدَلَالَةِ الْكَلَامِ عَلَيْهِ، تَقْدِيرُهُ: (أَبْدَأُ بِسْمِ اللهِ)، أَوْ (قُلْ بِسْمِ اللهِ)، وَأُسْقِطَتِ الْأَلِفُ مِنَ الِاسْمِ؛ طَلَبًا لِلْخِفَّةِ وَكَثْرَةِ اسْتِعْمَالِهَا، وَطُوِّلَتِ الْبَاءُ. **قَالَ الْقُتَيْبِيُّ:** لِيَكُونَ افْتِتَاحُ كِتَابِ اللهِ بِحَرْفٍ مُعَظَّمٍ.

وَالِاسْمُ هُوَ الْمُسَمَّى وَعَيْنُهُ وَذَاتُهُ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ﴾[مَرْيَم:٧]، أَخْبَرَ أَنَّ اسْمَهُ (يَحْيَى)، ثُمَّ نَادَى الِاسْمَ فَقَالَ: ﴿يَٰيَحْيَىٰ﴾[مَرْيَم:

١٢]. وَقَالَ: ﴿مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ﴾[يُوسُف:٤٠]، وَأَرَادَ الْأَشْخَاصَ الْمَعْبُودَةَ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْمُسَمَّيَاتِ. وقَالَ: ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى﴾[الأَعْلَى:١]، ﴿تَبَٰرَكَ ٱسۡمُ رَبِّكَ﴾[الرَّحْمَن:٧٨].

ثُمَّ يُقَالُ لِلتَّسْمِيَةِ أَيْضًا اسْمٌ، فَاسْتِعْمَالُهُ فِي التَّسْمِيَةِ أَكْثَرُ مِنَ الْمُسَمَّى، **فَإِنْ قِيلَ**: مَا مَعْنَى التَّسْمِيَةِ مِنَ اللهِ لِنَفْسِهِ؟ **قِيلَ**: هُوَ تَعْلِيمٌ لِلْعِبَادِ كَيْفَ يَسْتَفْتِحُونَ الْقِرَاءَةَ.

وَاخْتَلَفُوا فِي اشْتِقَاقِهِ، قَالَ الْمُبَرِّدُ مِنَ الْبَصْرِيِّينَ: هُوَ مُشْتَقٌّ مِنَ (السُّمُوِّ) وَهُوَ الْعُلُوُّ، فَكَأَنَّهُ عَلَا عَلَى مَعْنَاهُ وَظَهَرَ عَلَيْهِ، وَصَارَ مَعْنَاهُ تَحْتَهُ. **وَقَالَ ثَعْلَبٌ مِنَ الْكُوفِيِّينَ**: هُوَ مِنَ (الْوَسْمِ) وَ(السِّمَةِ)، وَهِيَ الْعَلَامَةُ، وَكَأَنَّهُ عَلَامَةٌ لِمَعْنَاهُ. وَالْأَوَّلُ أَصَحُّ؛ لِأَنَّهُ يُصَغَّرُ عَلَى (السُّمَيِّ)، وَلَوْ كَانَ مِنَ (السِّمَةِ) لَكَانَ يُصَغَّرُ عَلَى (الْوُسَيْمِ)، كَمَا يُقَالُ فِي (الْوَعْدِ): (وُعَيْدٌ). **وَيُقَالُ فِي تَصْرِيفِهِ**: (سَمَّيْتُ)، وَلَوْ كَانَ مِنَ (الْوَسْمِ) لَقِيلَ: (وَسَمْتُ).

قَوْلُهُ تعالَى: ﴿ٱللَّهِ﴾: **قَالَ الْخَلِيلُ وَجَمَاعَةٌ**: هُوَ اسْمُ عَلَمٍ خَاصٌّ للهِ ﷻ، لَا اشْتِقَاقَ لَهُ كَأَسْمَاءِ الْأَعْلَامِ لِلْعِبَادِ، مِثْلَ: (زَيْدٍ، وَعَمْرٍو). **وَقَالَ جَمَاعَةٌ**: هُوَ مُشْتَقٌّ.

ثُمَّ اخْتَلَفُوا فِي اشْتِقَاقِهِ، فَقِيلَ: مِنْ (أَلَهَ إِلَـهَةً) أَيْ: عَبَدَ عِبَادَةً، وَقَرَأَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: ﴿وَيَذَرَكَ وَإِلَٰهَتَكَ﴾[الأَعْرَاف:١٢٧]، أَيْ: عِبَادَتَكَ -مَعْنَاهُ أَنَّهُ الْمُسْتَحِقُّ لِلْعِبَادَةِ دُونَ غَيْرِهِ. **وَقِيلَ**: أَصْلُهُ (إِلَه)، قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنۡ إِلَٰهٍۚ إِذٗا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ﴾[الْمُؤْمِنُون:٩١]. **قَالَ الْمُبَرِّدُ**: هُوَ مِنْ قَوْلِ الْعَرَبِ: (أَلَهْتُ إِلَى فُلَانٍ)، أَيْ: سَكَنْتُ إِلَيْه. **قَالَ الشَّاعِرُ**:

أَلَهْــتُ إِلَيْـهَــا وَالْحَـوَادِثُ جَمَّــةٌ

فَكَأَنَّ الْخَلْقَ يَسْكُنُونَ إِلَيْهِ وَيَطْمَئِنُّونَ بِذِكْرِهِ، وَيُقَالُ: (أَلَهْتُ إِلَيْهِ)، أَيْ: فَزِعْتُ إِلَيْهِ. **قَالَ الشَّاعِرُ**:

أَلَهْـتُ إِلَيْـهَـا وَالـرَّكَائِبُ وُقَّـفُ

وَقِيلَ: أَصْلُ الْإِلَهِ (وِلَاهٌ)، فَأُبْدِلَتِ الْوَاوُ بِالْهَمْزَةِ، مِثْلَ: (وِشَاحٍ، وَإِشَاحٍ)، اشْتِقَاقُهُ مِنَ (الْوَلْهِ)؛ لِأَنَّ الْعِبَادَ يَوْلَهُونَ إِلَيْهِ، أَيْ: يَفْزَعُونَ إِلَيْهِ فِي الشَّدَائِدِ، وَيَلْجَؤُونَ إِلَيْهِ فِي الْحَوَائِجِ، كَمَا يَوْلَهُ كُلُّ طِفْلٍ إِلَى أُمِّهِ.

قَوْلُهُ: ﴿الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾: **قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ** رضي الله عنهما: هُمَا اسْمَانِ رَقِيقَانِ أَحَدُهُمَا أَرَقُّ مِنَ الْآخَرِ. **وَاخْتَلَفُوا فِيهِمَا، مِنْهُمْ مَنْ قَالَ:** هُمَا بِمَعْنًى وَاحِدٍ، مِثْلَ: (نَدْمَانٍ، وَنَدِيمٍ)، وَمَعْنَاهُمَا ذُو الرَّحْمَةِ، وَذِكْرُ أَحَدِهِمَا بَعْدَ الْآخَرِ تَطْمِيعًا لِقُلُوبِ الرَّاغِبِينَ. **وَقَالَ الْمُبَرِّدُ:** هُوَ إِنْعَامٌ بَعْدَ إِنْعَامٍ وَتَفَضُّلٌ بَعْدَ تَفَضُّلٍ. **وَمِنْهُمْ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَهُمَا فَقَالَ:** (**الرَّحْمَنُ**): بِمَعْنَى الْعُمُومِ، وَ(**الرَّحِيمُ**): بِمَعْنَى الْخُصُوصِ. فَـ(الرَّحْمَنُ) بِمَعْنَى الرَّزَّاقِ فِي الدُّنْيَا، وَهُوَ عَلَى الْعُمُومِ لِكَافَّةِ الخَلْقِ، وَ(الرَّحِيمُ) بِمَعْنَى الْمُعَافِي فِي الْآخِرَةِ، وَالْعَفْوُ فِي الْآخِرَةِ لِلْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْخُصُوصِ؛ وَلِذَلِكَ قِيلَ فِي الدُّعَاءِ: (يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ)، (يَا رَحْمَنَ الدُّنْيَا وَرَحِيمَ الْآخِرَةِ)، فَـ(الرَّحْمَنُ) مَنْ تَصِلُ رَحْمَتُهُ إِلَى الخَلْقِ عَلَى الْعُمُومِ، وَ(الرَّحِيمُ) مَنْ تَصِلُ رَحْمَتُهُ إِلَيْهِمْ عَلَى الْخُصُوصِ؛ وَلِذَلِكَ يُدْعَى غَيْرُ اللهِ (رَحِيمًا)، وَلَا يُدْعَى غَيْرُ اللهِ (رَحْمَانًا)، فَـ(الرَّحْمَنُ) عَامُّ الْمَعْنَى خَاصُّ اللَّفْظِ، وَ(الرَّحِيمُ) عَامُّ اللَّفْظِ خَاصُّ الْمَعْنَى، [وَالرَّحْمَةُ الَّتِي أَثْبَتَهَا اللهُ لِنَفْسِهِ، رَحْمَةٌ حَقِيقِيَّةٌ دَلَّ عَلَيْهَا السَّمْعُ وَالعَقْلُ. أَمَّا السَّمْعُ: فَهُوَ مَا جَاءَ فِي الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مِنْ إِثْبَاتِ الرَّحْمَةِ للهِ، وَهُوَ كَثِيرٌ جِدًّا. وَأَمَّا العَقْلُ: فَكُلُّ مَا حَصَلَ مِنْ نِعْمَةٍ، أَوِ انْدَفَعَ مِنْ نِقْمَةٍ، فَهُوَ مِنْ آثَارِ رَحْمَةِ اللهِ](١).

وَاخْتَلَفُوا فِي آيَةِ التَّسْمِيَةِ: فَذَهَبَ قُرَّاءُ الْمَدِينَةِ وَالْبَصْرَةِ وَفُقَهَاءُ الْكُوفَةِ إِلَى أَنَّهَا لَيْسَتْ مِنْ فَاتِحَةِ الْكِتَابِ، وَلَا مِنْ غَيْرِهَا مِنَ السُّوَرِ، وَالِافْتِتَاحُ بِهَا لِلتَّيَمُّنِ وَالتَّبَرُّكِ. وَذَهَبَ قُرَّاءُ مَكَّةَ وَالْكُوفَةِ وَأَكْثَرُ فُقَهَاءِ الْحِجَازِ إِلَى أَنَّهَا مِنَ الْفَاتِحَةِ، وَلَيْسَتْ مِنْ سَائِرِ السُّوَرِ، وَأَنَّهَا كُتِبَتْ لِلْفَصْلِ. وَذَهَبَ جَمَاعَةٌ إِلَى أَنَّهَا مِنَ الْفَاتِحَةِ وَمِنْ كُلِّ سُورَةٍ إِلَّا

(١) ينظر "تفسير (جزء عمَّ)" للإمام العثيمين رحمه الله صـ(١١).

سُورَةَ التَّوْبَةِ، وَهُوَ قَوْلُ الثَّوْرِيِّ وَابْنِ الْمُبَارَكِ وَالشَّافِعِيِّ؛ لِأَنَّهَا كُتِبَتْ فِي الْمُصْحَفِ بِخَطِّ سَائِرِ الْقُرْآنِ.

وَاتَّفَقُوا عَلَى أَنَّ الْفَاتِحَةَ سَبْعُ آيَاتٍ: فَالْآيَةُ الْأُولَى عِنْدَ مَنْ يَعُدُّهَا مِنَ الْفَاتِحَةِ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾، وَابْتِدَاءُ الْآيَةِ الْأَخِيرَةِ: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ﴾. وَمَنْ لَمْ يَعُدَّهَا مِنَ الْفَاتِحَةِ قَالَ ابْتِدَاؤُهَا: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، وَابْتِدَاءُ الْآيَةِ الْأَخِيرَةِ: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾[1].

وَاحْتَجَّ مَنْ جَعَلَهَا مِنَ الْفَاتِحَةِ وَمِنَ السُّوَرِ بِأَنَّهَا كُتِبَتْ فِي الْمُصْحَفِ بِخَطِّ الْقُرْآنِ وَبِمَا جَاءَ عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ أَنَّهُ قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبِي، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾[الحِجْر:٨٧] هِيَ أُمُّ الْقُرْآنِ. قَالَ أَبِي: وَقَرَأَهَا عَلَيَّ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ حَتَّى خَتَمَهَا، ثُمَّ قَالَ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ الْآيَةُ السَّابِعَةُ. قَالَ سَعِيدٌ: قَرَأَهَا عَلَيَّ ابْنُ عَبَّاسٍ كَمَا قَرَأْتُهَا عَلَيْكَ، ثُمَّ قَالَ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ الْآيَةُ السَّابِعَةُ.

وَمَنْ لَمْ يَجْعَلْهَا مِنَ الْفَاتِحَةِ، احْتَجَّ بِمَا جَاءَ **عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ** رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ: قُمْتُ وَرَاءَ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، وَعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، وَعُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ، فَكُلُّهُمْ كَانَ لَا يَقْرَأُ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ إِذَا افْتَتَحَ الصَّلَاةَ[2].

---

(١) قال العَلَّامةُ الْعُثَيمِينَ رحمه الله: فالفاتحة سبعُ آياتٍ بالاتفاق؛ وإذا أردتَ أن توزِّع سبع الآيات على موضوع السورة وجدت أن نصفها هو قولُهُ تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ وهِي الآيةُ الَّتِي قال الله فيها: «**قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ**»؛ لأنَّ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾: واحدَة؛ ﴿الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾: الثَّانية؛ ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾: الثَّالِثَة؛ وكلُّها حقٌّ لله ﷻ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾: الرَّابِعَة -يعني الوسَط- وهِي قِسمَان: قِسمٌ منهَا حقٌّ لله، وقِسمٌ حقٌّ لِلعَبدِ؛ ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ للعبدِ؛ ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ للعبدِ؛ ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ للعبد، فتكون: **ثَلَاثُ آياتٍ للهِ** ﷻ: وهي الثَّلاث الأولى. **وَثَلَاثُ آياتٍ للعَبدِ**: وهي الثَّلاث الأخِيرة. **وَوَاحِدَةٌ بينَ العَبدِ ورَبِّه**: وهي الرَّابِعَة الوُسطَى. **ثُمَّ من جِهَة السِّياق من حيث اللَّفظ**: فإذا قُلنَا: إنَّ البسملة آية من الفاتحة لزم أن تكون الآية السابعة طويلة على قدر آيتين؛ ومن المعلوم أن تقارب الآية في الطول والقصر هو الأصل.اهـ"تفسير القرآن الكريم (الفاتحة-البقرة)" (١/ ٨).

(٢) **صحيح**: صححه الألباني رحمه الله في "صحيح وضعيف سنن النسائي" (٩٠٧)، بلفظ: صليت خلف رسول الله ﷺ، وأبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم، فلم أسمع أحدًا منهم يجهر بـ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾.

قَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ لَا يَعْرِفُ خَتْمَ سُورَةٍ حَتَّى يَنْزِلَ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾. وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: كُنَّا لَا نَعْلَمُ فَصْلَ مَا بَيْنَ السُّورَتَيْنِ حَتَّى يَنْزِلَ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾.

قَوْلُهُ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾: لَفْظُهُ خَبَرٌ كَأَنَّهُ يُخْبِرُ أَنَّ الْمُسْتَحِقَّ لِلْحَمْدِ هُوَ اللهُ ﷻ وَفِيهِ تَعْلِيمُ الْخَلْقِ، تَقْدِيرُهُ: (قُولُوا الْحَمْدُ لله)، وَالْحَمْدُ يَكُونُ بِمَعْنَى الشُّكْرِ عَلَى النِّعْمَةِ، وَيَكُونُ بِمَعْنَى الثَّنَاءِ عَلَيْهِ بِمَا فِيهِ مِنَ الْخِصَالِ الْحَمِيدَةِ، يُقَالُ: (حَمِدْتُ فُلَانًا عَلَى مَا أَسْدَى إِلَيَّ مِنْ النِّعْمَةِ)، وَ(حَمِدْتُهُ عَلَى عِلْمِهِ وَشَجَاعَتِهِ)، وَالشُّكْرُ لَا يَكُونُ إِلَّا عَلَى النِّعْمَةِ، فَالْحَمْدُ أَعَمُّ مِنَ الشُّكْرِ؛ إِذْ لَا يُقَالُ: (شَكَرْتُ فُلَانًا عَلَى عِلْمِهِ)، فَكُلُّ حَامِدٍ شَاكِرٌ، وَلَيْسَ كُلُّ شَاكِرٍ حَامِدًا، وَقِيلَ: الْحَمْدُ بِاللِّسَانِ قَوْلًا، وَالشُّكْرُ بِالْأَرْكَانِ فِعْلًا، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾[الإِسْرَاء:١١١]، وَقَالَ: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا﴾[سَبَأ:١٣].

قَوْلُهُ: ﴿لِلَّهِ﴾: **اللَّامُ** فِيهِ لِلِاسْتِحْقَاقِ، كَمَا يُقَالُ: (الدَّارُ لِزَيْدٍ).

قَوْلُهُ: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝١ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾: فَالرَّبُّ: يَكُونُ بِمَعْنَى الْمَالِكِ، كَمَا يُقَالُ لِمَالِكِ الدَّارِ: (رَبُّ الدَّارِ)، وَيُقَالُ: (رَبُّ الشَّيْءِ) إِذَا مَلَكَهُ، وَيَكُونُ بِمَعْنَى التَّرْبِيَةِ وَالْإِصْلَاحِ، يُقَالُ: (رَبَّ فُلَانٌ الضَّيْعَةَ)، يَرُبُّهَا إِذَا أَتَمَّهَا وَأَصْلَحَهَا، فَهُوَ رَبٌّ، مِثْلَ: (طَبَّ)، وَ(بَرَّ)، فَاللهُ تَعَالَى مَالِكُ الْعَالَمِينَ وَمُرَبِّيهِمْ، وَلَا يُقَالُ لِلْمَخْلُوقِ: هُوَ (الرَّبُّ) مُعَرَّفًا، إِنَّمَا يُقَالُ: (رَبُّ كَذَا) مُضَافًا؛ لِأَنَّ الْأَلِفَ وَاللَّامَ لِلتَّعْمِيمِ، وَهُوَ لَا يَمْلِكُ الْكُلَّ. وَ﴿الْعَالَمِينَ﴾: جَمْعُ (عَالَمٍ)، لَا وَاحِدَ لَهُ مِنْ لَفْظِهِ.

وَاخْتَلَفُوا فِي ﴿الْعَالَمِينَ﴾: **قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ:** هُمُ (الْجِنُّ، وَالْإِنْسُ)؛ لِأَنَّهُمْ الْمُكَلَّفُونَ بِالْخِطَابِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾[الفُرْقَان:١]. **وَقَالَ قَتَادَةُ وَمُجَاهِدٌ وَالْحَسَنُ:** هُمْ جَمِيعُ الْمَخْلُوقَاتِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ۝٢٣ قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾[الشُّعَرَاء:٢٣-٢٤]، وَاشْتِقَاقُهُ مِنَ: (الْعِلْمِ)

وَ(الْعَلَامَةِ)، سُمُّوا بِهِ لِظُهُورِ أَثَرِ الصَّنْعَةِ فِيهِمْ. **قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: هُمْ أَرْبَعُ أُمَمٍ**: (الْمَلَائِكَةُ، وَالْإِنْسُ، وَالْجِنُّ، وَالشَّيَاطِينُ)، مُشْتَقٌّ مِنَ (الْعِلْمِ)، وَلَا يُقَالُ لِلْبَهَائِمِ: (عَالِمٌ)؛ لِأَنَّهَا لَا تَعْقِلُ.

قَوْلُهُ: ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾: قَرَأَ عَاصِمٌ وَالْكِسَائِيُّ وَيَعْقُوبُ: ﴿ مَٰلِكِ ﴾، وَقَرَأَ الْآخَرُونَ: ﴿مَلِكِ﴾. **قَالَ قَوْمٌ**: مَعْنَاهُمَا وَاحِدٌ، مِثْلَ: (فَرِهِينَ، وَفَارِهِينَ، وَحَذِرِينَ، وَحَاذِرِينَ)، وَمَعْنَاهُمَا (الرَّبُّ)، يُقَالُ: (رَبُّ الدَّارِ وَمَالِكُهَا). **وَقِيلَ**: (الْمَالِكُ): هُوَ الْقَادِرُ عَلَى اخْتِرَاعِ الْأَعْيَانِ مِنَ الْعَدَمِ إِلَى الْوُجُودِ، وَلَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ أَحَدٌ غَيْرُ اللهِ.

قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: ﴿ مَٰلِكِ ﴾ أَجْمَعُ وَأَوْسَعُ؛ لِأَنَّهُ يُقَالُ: (مَالِكُ الْعَبِيدِ، وَالطَّيْرِ وَالدَّوَابِّ)، وَلَا يُقَالُ مَلِكُ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ؛ وَلِأَنَّهُ لَا يَكُونُ مَالِكًا لِشَيْءٍ إِلَّا وَهُوَ يَمْلِكُهُ، وَقَدْ يَكُونُ مَلِكَ الشَّيْءَ وَلَا يَمْلِكُهُ. **وَقَالَ قَوْمٌ**: (مَلِكُ) أَوْلَى؛ لِأَنَّ كُلَّ مَلِكٍ مَالِكٌ، وَلَيْسَ كُلُّ مَالِكٍ مَلِكًا؛ وَلِأَنَّهُ أَوْفَقُ لِسَائِرِ الْقُرْآنِ، مِثْلَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّ ﴾[الْمُؤْمِنُون:١١٦]، ﴿ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ﴾[الحَشْر:٢٣].

قَالَ مُجَاهِدٌ: ﴿ٱلدِّينِ ﴾: الْحِسَابُ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُۚ ﴾[التَّوبَة: ٣٦]، أَيْ: الْحِسَابُ الْمُسْتَقِيمُ، وَ﴿ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴾[النَّاس:٢].

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمُقَاتِلٌ وَالسُّدِّيُّ: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾: قَاضِي يَومِ الْحِسَابِ. **وَقَالَ قَتَادَةُ**: ﴿ٱلدِّينِ ﴾: الْجَزَاءُ. **وَيَقَعُ** عَلَى الْجَزَاءِ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ جَمِيعًا، يُقَالُ: (كَمَا تَدِينُ تُدَانُ). **قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ الْقُرَظِيُّ**: مَلِكِ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ فِيهِ إِلَّا الدِّينُ. **وَقَالَ يَمَانُ بْنُ رِئَابٍ**: ﴿ٱلدِّينِ ﴾: الْقَهْرُ. يُقَالُ: (دِنْتُهُ فَدَانَ)، أَيْ: قَهَرْتُهُ فَذَلَّ. **وَقِيلَ**: ﴿ٱلدِّينِ ﴾: الطَّاعَةُ، أَيْ: يَوْمَ الطَّاعَةِ. وَإِنَّمَا خَصَّ يَوْمَ الدِّينِ بِالذِّكْرِ مَعَ كَوْنِهِ مَالِكًا لِلْأَيَّامِ كُلِّهَا؛ لِأَنَّ الْأَمْلَاكَ يَوْمَئِذٍ زَائِلَةٌ، فَلَا مُلْكَ وَلَا أَمْرَ إِلَّا لَهُ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡحَقُّ لِلرَّحۡمَٰنِۚ ﴾[الْفُرْقَان:٢٦]، وَقَالَ: ﴿ لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ﴾[غَافِر:١٦]،

وَقَالَ: ﴿وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ﴾[الانْفِطَار: ١٩]. وَقَرَأَ أَبُو عَمْرٍو: ﴿الرَّحِيم ملِكِ﴾ بِإِدْغَامِ الْمِيمِ فِي الْمِيم.

قَوْلُهُ: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾: (**إِيَّا**): كَلِمَةُ ضَمِيرٍ خُصَّتْ بِالْإِضَافَةِ إِلَى الْمُضْمَرِ، وَيُسْتَعْمَلُ مُقَدَّمًا عَلَى الْفِعْلِ، فَيُقَالُ: (إِيَّاكَ أَعْنِي)، وَ(إِيَّاكَ أَسْأَلُ)، وَلَا يُسْتَعْمَلُ مُؤَخَّرًا إِلَّا مُنْفَصِلًا، فَيُقَالُ: (مَا عَنَيْتُ إِلَّا إِيَّاكَ).

قَوْلُهُ: ﴿نَعۡبُدُ﴾: أَيْ: نُوَحِّدُكَ وَنُطِيعُكَ خَاضِعِينَ، وَالْعِبَادَةُ الطَّاعَةُ مَعَ التَّذَلُّلِ وَالْخُضُوعِ، **وَسُمِّيَ الْعَبْدُ عَبْدًا:** لِذِلَّتِهِ وَانْقِيَادِهِ، يُقَالُ: (طَرِيقٌ مُعَبَّدٌ)، أَيْ: مُذَلَّلٌ.

قَوْلُهُ: ﴿وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾: نَطْلُبُ مِنْكَ الْمَعُونَةَ عَلَى عِبَادَتِكَ وَعَلَى جَمِيعِ أُمُورِنَا.

فَإِنْ قِيلَ: لِمَ قَدَّمَ ذِكْرَ الْعِبَادَةِ عَلَى الِاسْتِعَانَةِ، وَالِاسْتِعَانَةُ تَكُونُ قَبْلَ الْعِبَادَةِ؟ **قِيلَ:** هَذَا يَلْزَمُ مَنْ يَجْعَلُ الِاسْتِطَاعَةَ قَبْلَ الْفِعْلِ، وَنَحْنُ نَحْمَدُ اللهَ وَنَجْعَلُ التَّوْفِيقَ وَالِاسْتِطَاعَةَ مَعَ الْفِعْلِ، فَلَا فَرْقَ بَيْنَ التَّقْدِيمِ وَالتَّأْخِيرِ. **وَيُقَالُ:** الِاسْتِعَانَةُ نَوْعُ تَعَبُّدٍ، فَكَأَنَّهُ ذَكَرَ جُمْلَةَ الْعِبَادَةِ أَوَّلًا، ثُمَّ ذَكَرَ مَا هُوَ مِنْ تَفَاصِيلِهَا.

قَوْلُهُ: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾: ﴿ٱهۡدِنَا﴾: أَرْشِدْنَا. **وَقَالَ أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ:** ثَبِّتْنَا، كَمَا يُقَالُ لِلْقَائِمِ: (قُمْ حَتَّى أَعُودَ إِلَيْكَ)، أَيْ: دُمْ عَلَى مَا أَنْتَ عَلَيْهِ. وَهَذَا الدُّعَاءُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ -مَعَ كَوْنِهِمْ عَلَى الْهِدَايَةِ- بِمَعْنَى التَّثْبِيتِ وَبِمَعْنَى طَلَبِ مَزِيدِ الْهِدَايَةِ؛ لِأَنَّ الْأَلْطَافَ وَالْهِدَايَاتِ مِنَ اللهِ تَعَالَى، لَا تَتَنَاهَى عَلَى مَذْهَبِ أَهْلِ السُّنَّةِ.

﴿ٱلصِّرَٰطَ﴾: وَ﴿سِرَاط﴾ بِالسِّينِ، رَوَاهُ رُوَيْسٌ عَنْ يَعْقُوبَ، وَهُوَ الْأَصْلُ، **سُمِّيَ سِرَاطًا:** لِأَنَّهُ يَسْرُطُ السَّابِلَةَ، وَيُقْرَأُ بِالزَّايِ، وَقَرَأَ حَمْزَةُ بِإِشْمَامِ الزَّايِ، وَكُلُّهَا لُغَاتٌ صَحِيحَةٌ، وَالِاخْتِيَارُ: (الصَّادُ) عِنْدَ أَكْثَرِ الْقُرَّاءِ؛ لِمُوَافَقَةِ الْمُصْحَفِ.

وَ﴿ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾: **قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَجَابِرٌ** رضي الله عنهما: هُوَ الْإِسْلَامُ، وَهُوَ قَوْلُ مُقَاتِلٍ. **وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ** رضي الله عنه: هُوَ الْقُرْآنُ. **وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ:** طَرِيقُ الْجَنَّةِ. **وَقَالَ**

سَهْلُ بْنُ عَبْدِ الله: طَرِيقُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ. **وَقَالَ بَكْرُ بْنُ عَبْدِالله الْمُزَنِيُّ**: طَرِيقُ رَسُولِ الله ﷺ. **وَأَصْلُهُ فِي اللُّغَةِ**: الطَّرِيقُ الْوَاضِحُ.

قَوْلُهُ: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾: أَيْ: مَنَنْتَ عَلَيْهِمْ بِالْهِدَايَةِ وَالتَّوْفِيقِ. **قَالَ عِكْرِمَةُ**: مَنَنْتَ عَلَيْهِمْ بِالثَّبَاتِ عَلَى الْإِيمَانِ وَالِاسْتِقَامَةِ، وَهُمُ الْأَنْبِيَاءُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ. **وَقِيلَ**: هُمْ كُلُّ مَنْ ثَبَّتَهُ اللهُ عَلَى الْإِيمَانِ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ ذَكَرَهُمُ اللهُ تَعَالَى فِي قَوْلِهِ: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾[النِّسَاء:٦٩] الْآيَةَ.

قَرَأَ حَمْزَةُ ﴿عَلَيْهُمْ﴾، وَ﴿لَدَيْهُمْ﴾، وَ﴿إِلَيْهُمْ﴾، بِضَمِّ الهَاءِ، وَيَضُمُّ يَعْقُوبُ كُلَّ هَاءٍ قَبْلَهَا يَاءٌ سَاكِنَةٌ تَثْنِيَةً وَجَمْعًا، إِلَّا قَوْلَهُ: ﴿بَيۡنَ أَيۡدِيهِنَّ وَأَرۡجُلِهِنَّ﴾[الْمُمْتَحِنَة:١٢]. وَقَرَأَ الآخَرُونَ بِكَسْرِهَا. فَمَنْ ضَمَّ الْهَاءَ رَدَّهَا إِلَى الْأَصْلِ؛ لِأَنَّهَا مَضْمُومَةٌ عِنْدَ الِانْفِرَادِ، وَمَنْ كَسَرَهَا؛ فَلِأَجْلِ الْيَاءِ السَّاكِنَةِ، وَالْكَسْرَةُ أُخْتُ الْيَاءِ.

وَضَمَّ ابْنُ كَثِيرٍ وَأَبُو جَعْفَرٍ كُلَّ مِيمِ جَمْعٍ ضَمًّا مُشْبِعًا فِي الْوَصْلِ إِذَا لَمْ يَلْقَهَا سَاكِنٌ، فَإِنْ لَقِيَهَا سَاكِنٌ فَلَا يُشْبِع، وَنَافِعٌ يُخَيِّرُ، وَيَضُمُّ وَرْشٌ عِنْدَ أَلِفِ الْقَطْعِ، فَإِذَا تَلَقَّتْهُ أَلِفُ وَصْلٍ -وَقَبْلَ الهَاءِ كَسْرَةٌ، أَوْ يَاءٌ سَاكِنَةٌ- ضَمَّ الْهَاءَ وَالْمِيمَ حَمْزَةُ وَالْكِسَائِيُّ، وَكَسَرَهُمَا أَبُو عَمْرٍو، وَكَذَلِكَ يَعْقُوبُ إِذَا انْكَسَرَ مَا قَبْلَهُ، وَالآخَرُونَ يَقْرَؤُونَ بِضَمِّ الْمِيمِ وَكَسْرِ الْهَاءِ فِي الكُلِّ؛ لِأَجْلِ الْيَاءِ، أَوْ لِكَسْرِ مَا قَبْلَهَا، وَضَمُّ الْمِيمِ عَلَى الْأَصْلِ.

قَوْلُهُ: ﴿غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ﴾: يَعْنِي: غير صِرَاط الَّذِينَ غَضِبْتَ عَلَيْهِمْ، وَالْغَضَبُ فِي الْمَخْلُوقِ: هُوَ إِرَادَةُ الِانْتِقَامِ، وَأَمَّا غَضَبُ الله تَعَالَى: فَهُوَ صِفَةٌ ثَابِتَةٌ لَهُ حَقِيقَةً عَلَى مَا يَلِيقُ بِجَلَالِهِ، ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾[الشُّورَى:١١].

﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾: أَيْ: وَغَيْرِ الضَّالِّينَ عَنِ الْهُدَى، [وَ(لَا): صِلَةٌ]، **وَأَصْلُ الضَّلَالِ**: الْهَلَاكُ وَالْغَيْبُوبَةُ، يُقَالُ: (ضَلَّ الْمَاءُ فِي اللَّبَنِ)، إِذَا هَلَكَ وَغَابَ. وَ﴿غَيۡرِ﴾ هَاهُنَا بِمَعْنَى: (لَا)، وَ(لَا) بِمَعْنَى (غَيْرِ)، وَلِذَلِكَ جَازَ الْعَطْفُ عَلَيْهَا، كَمَا يُقَالُ:

(فُلَانٌ غَيْرُ مُحْسِنٍ وَلَا مُجْمِلٍ). فَإِذَا كَانَ (غَيْر) بِمَعْنَى (سِوَى)، فَلَا يَجُوزُ الْعَطْفُ عَلَيْهَا بِـ(لَا)، وَلَا يَجُوزُ فِي الْكَلَامِ: (عِنْدِي سِوَى عَبْدِ اللهِ وَلَا زَيْدٍ).

وَقِيلَ: (الْمَغْضُوبُ عَلَيْهِمْ): هُمُ الْيَهُودُ، وَ(الضَّالُّونَ): هُمُ النَّصَارَى؛ لِأَنَّ اللهَ تَعَالَى حَكَمَ عَلَى الْيَهُودِ بِالْغَضَبِ، فَقَالَ: ﴿مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ﴾[المَائِدَة:٦٠]، وَحَكَمَ عَلَى النَّصَارَى بِالضَّلَالِ، فَقَالَ: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ﴾[المَائِدَة:٧٧]. وَقَالَ سَهْلُ بْنُ عَبْدِ اللهِ: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ بِالْبِدْعَةِ، ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ عَنِ السُّنَّةِ.

وَالسُّنَّةُ لِلْقَارِئِ أَنْ يَقُولَ بَعْدَ فَرَاغِهِ مِنَ قِرَاءَةِ الْفَاتِحَةِ: (آمِينَ)، مَفْصُولًا عَنِ الْفَاتِحَةِ بِسَكْتَةٍ، وَهُوَ مُخَفَّفٌ، وَيَجُوزُ مَمْدُودًا وَمَقْصُورًا، وَمَعْنَاهُ: (اللَّهُمَّ اسْمَعْ وَاسْتَجِبْ).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِذَا قَالَ الْإِمَامُ: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾: فَقُولُوا: (آمِينَ)، فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَقُولُ: (آمِينَ)، وَإِنَّ الْإِمَامَ يَقُولُ: (آمِينَ)، فَمَنْ وَافَقَ تَأْمِينُهُ تَأْمِينَ الْمَلَائِكَةِ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»(١).

❋ ❋ ❋

فَصْلٌ فِي: (فَضْلِ الْفَاتِحَةِ)

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: مَرَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي، فَصَاحَ بِهِ، فَقَالَ: «تَعَالَ يَا أُبَيُّ» فَعَجِلَ أُبَيٌّ فِي صَلَاتِهِ، ثُمَّ جَاءَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «مَا مَنَعَكَ يَا أُبَيُّ أَنْ تُجِيبَنِي إِذْ دَعَوْتُكَ؟ أَلَيْسَ اللهُ يَقُولُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾؟» قَالَ أُبَيٌّ: لَا جَرَمَ يَا رَسُولَ

(١) **صحيح:** البخاري: (٧٨٠)، ومسلم: (٤١٠).

اللهِ، لَا تَدْعُونِي إِلَّا أَجَبْتُكَ وَإِنْ كُنْتُ مُصَلِّيًا، قَالَ: «أَتُحِبُّ أَنْ أُعَلِّمَكَ سُورَةً لَمْ يَنْزِلْ فِي التَّوْرَاةِ وَلَا فِي الْإِنْجِيلِ وَلَا فِي الزَّبُورِ وَلَا فِي الْفُرْقَانِ مِثْلُهَا؟» فَقَالَ أُبَيٌّ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللهِ! فَقَالَ: «لَا تَخْرُجْ مِنْ بَابِ الْمَسْجِدِ حَتَّى تَعْلَمَهَا»، وَالنَّبِيُّ ﷺ يَمْشِي يُرِيدُ أَنْ يَخْرُجَ مِنَ الْمَسْجِدِ، فَلَمَّا بَلَغَ الْبَابَ لِيَخْرُجَ قَالَ لَهُ أُبَيٌّ: السُّورَةَ يَا رَسُولَ اللهِ، فَوَقَفَ فَقَالَ: «نَعَمْ، كَيْفَ تَقْرَأُ فِي صَلَاتِكَ؟» فَقَرَأَ أُبَيٌّ أُمَّ الْقُرْآنِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا أُنْزِلَ فِي التَّوْرَاةِ وَلَا فِي الْإِنْجِيلِ وَلَا فِي الزَّبُورِ وَلَا فِي الْفُرْقَانِ مِثْلُهَا، وَإِنَّهَا لَـهِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي الَّتِي آتَانِي اللهُ ﷻ»(١).

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: بَيْنَمَا رَسُولُ اللهِ ﷺ عِنْدَهُ جِبْرِيلُ إِذْ سَمِعَ نَقِيضًا مِنْ فَوْقِهِ، فَرَفَعَ جِبْرِيلُ عليه السلام بَصَرَهُ إِلَى السَّمَاءِ، فَقَالَ: هَذَا بَابٌ فُتِحَ مِنَ السَّمَاءِ مَا فُتِحَ قَطُّ، قَالَ: فَنَزَلَ مِنْهُ مَلَكٌ فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: «أَبْشِرْ بِنُورَيْنِ أُوتِيتَهُمَا لَمْ يُؤْتَهُمَا نَبِيٌّ قَبْلَكَ: فَاتِحَةِ الْكِتَابِ وَخَوَاتِيمِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، لَنْ تَقْرَأَ حَرْفًا مِنْهُمَا إِلَّا أُعْطِيتَهُ»(٢).

وَعَنِ الْعَلَاءِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا السَّائِبِ مَوْلَى هِشَامِ بْنِ زُهْرَةَ يَقُولُ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ رضي الله عنه يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ صَلَّى صَلَاةً لَمْ يَقْرَأْ فِيهَا بِأُمِّ الْقُرْآنِ فَهِيَ خِدَاجٌ غَيْرُ تَمَامٍ»، قَالَ: قُلْتُ: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ إِنِّي أَحْيَانًا أَكُونُ وَرَاءَ الْإِمَامِ؟ فَغَمَزَ ذِرَاعِي وَقَالَ: اقْرَأْ بِهَا يَا فَارِسِيُّ فِي نَفْسِكَ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «قَالَ اللهُ ﷻ: قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، نِصْفُهَا لِي وَنِصْفُهَا لِعَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ». قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اقْرَؤُوا، يَقُولُ الْعَبْدُ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، يَقُولُ اللهُ: حَمِدَنِي عَبْدِي، يَقُولُ الْعَبْدُ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، يَقُولُ اللهُ: أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي، يَقُولُ الْعَبْدُ: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾، يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: مَجَّدَنِي عَبْدِي، يَقُولُ الْعَبْدُ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: هَذِهِ الْآيَةُ بَيْنِي وَبَيْنَ

---

(١) **صحيح:** صحَّحه العلَّامة الألباني رحمه الله في "صحيح وضعيف سنن الترمذي" (٢٨٧٥).

(٢) **صحيح:** مسلم: (٨٠٦).

عَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، يَقُولُ الْعَبْدُ: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٥ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٦ ﴾ يَقُولُ اللهُ: فَهَؤُلَاءِ لِعَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ»[1].

❋ ❋ ❋

(١) **صحيح:** مسلم: (٣٩٥).

سُورَةُ البَقَرَةِ

مَدَنِيَّةٌ(١)، وَهِيَ مِائَتَانِ وَثَمَانُونَ وَسَبْعُ آيَاتٍ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾

﴿الٓمٓ﴾: **قَالَ الشَّعْبِيُّ وَجَمَاعَةٌ**: ﴿الٓمٓ﴾ وَسَائِرُ حُرُوفِ الْهِجَاءِ فِي أَوَائِلِ السُّوَرِ مِنَ الْمُتَشَابِهِ الَّذِي اسْتَأْثَرَ اللهُ تَعَالَى بِعِلْمِهِ، وَهِيَ سِرُّ الْقُرْآنِ. فَنَحْنُ نُؤْمِنُ بِظَاهِرِهَا وَنَكِلُ الْعِلْمَ فِيهَا إِلَى اللهِ تَعَالَى. وَفَائِدَةُ ذِكْرِهَا طَلَبُ الْإِيمَانِ بِهَا.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾: أَيْ: هَذَا الْكِتَابُ، وَهُوَ الْقُرْآنُ. **وَقِيلَ**: هَذَا فِيهِ مُضْمَرٌ، أَيْ: هَذَا ذَلِكَ الْكِتَابُ. وَ﴿ٱلْكِتَٰبُ﴾: مَصْدَرٌ وَهُوَ بِمَعْنَى الْمَكْتُوبِ كَمَا يُقَالُ لِلْمَخْلُوقِ: (خَلْقٌ)، وَ(هَذَا الدِّرْهَمُ ضَرْبُ فُلَانٍ)، أَيْ: مَضْرُوبُهُ. **وَأَصْلُ الْكِتَابِ**: الضَّمُّ وَالْجَمْعُ، وَيُقَالُ لِلْجُنْدِ: كَتِيبَةٌ؛ لِاجْتِمَاعِهَا، **وَسُمِّيَ الْكِتَابُ كِتَابًا**: لِأَنَّهُ جَمَعَ حَرْفًا إِلَى حَرْفٍ. [وَالأَلِفُ وَاللَّامُ لِلتَّفْخِيمِ].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ﴾: أَيْ: لَا شَكَّ فِيهِ أَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللهِ، وَأَنَّهُ الْحَقُّ وَالصِّدْقُ. **وَقِيلَ**: هُوَ خَبَرٌ بِمَعْنَى النَّهْيِ، أَيْ: لَا تَرْتَابُوا فِيهِ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ﴾[الْبَقَرَة:١٩٧]، أَيْ: لَا تَرْفُثُوا وَلَا تَفْسُقُوا. قَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ فِيهِ بِالْإِشْبَاعِ فِي

(١) **فائدة: الفرقُ بين المكِّي والمَدني**: قَال العَلَّامةُ العُثَيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: نزل القرآن على النبي ﷺ مفرَّقًا في خلال ثلاث وعشرين سنة، قضى رسول الله أكثرها بمكة، قال الله تعالى: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا﴾[الإسراء:١٠٦]، ولذلك قسَّم العلماء رحمهم الله تعالى القرآن إلى قسمين: مكِّي ومدني: **فالمَكِّي**: ما نَزَلَ على النبي ﷺ قبل هجرته إلى المدينة. **والمَدَني**: ما نزل على النبي ﷺ بعد هجرته إلى المدينة.اهـ"تفسير القرآن الكريم (الفاتحة-البقرة)" ص(١٨).

الْوَصْلِ، وَكَذَلِكَ كَلُّ هَاء كِنَايَةٍ قَبْلَهَا سَاكِنٌ يُشْبِعُهَا وَصْلًا مَا لَمْ يَلْقَهَا سَاكِنٌ، ثُمَّ إِنْ كَانَ السَّاكِنُ قَبْلَ الْهَاءِ يَاءً يُشْبِعُهَا بِالْكَسْرَةِ يَاءً، وَإِنْ كَانَ غَيْرَهَا يُشْبِعُهَا بِالضَّمِّ وَاوًا، وَوَافَقَهُ حَفْصٌ فِي قَوْلِهِ: ﴿فِيهِۦ مُهَانًا﴾[الفُرْقَان:٦٩] فَأَشْبَعَهُ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾: يُدْغِمُ الْغُنَّةَ عِنْدَ اللَّامِ وَالرَّاءِ أَبُو جَعْفَرٍ وَابْنُ كَثِيرٍ وَحَمْزَةُ وَالْكِسَائِيُّ، زَادَ حَمْزَةُ وَالْكِسَائِيُّ عِنْدَ الْيَاءِ، وَزَادَ حَمْزَةُ عِنْدَ الْوَاوِ، وَالْآخَرُونَ لَا يُدْغِمُونَهَا، وَيُخْفِي أَبُو جَعْفَرٍ النُّونَ وَالتَّنْوِينَ عِنْدَ الْخَاءِ وَالْغَيْنِ.

﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾: أَيْ: هُوَ هُدًى، أَيْ: رُشْدٌ وَبَيَانٌ لِأَهْلِ التَّقْوَى. **وَقِيلَ**: هُوَ نَصْبٌ عَلَى الْحَالِ، أَيْ: هَادِيًا، تَقْدِيرُهُ: لَا رَيْبَ فِي هِدَايَتِهِ لِلْمُتَّقِينَ. **وَالْهُدَى**: مَا يَهْتَدِي بِهِ الْإِنْسَانُ. ﴿لِّلْمُتَّقِينَ﴾: أَيْ: لِلْمُؤْمِنِينَ. **قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: **الْمُتَّقِي**: مَنْ يَتَّقِي الشِّرْكَ وَالْكَبَائِرَ وَالْفَوَاحِشَ. وَهُوَ مَأْخُوذٌ مِنَ: (الِاتِّقَاءِ)، وَأَصْلُهُ: الْحَجْزُ بَيْنَ الشَّيْئَيْنِ، وَمِنْهُ يُقَالُ: اتَّقَى بِتُرْسِهِ، أَيْ: جَعَلَهُ حَاجِزًا بَيْنَ نَفْسِهِ وَبَيْنَ مَا يَقْصِدُهُ، وَفِي الْحَدِيثِ: «**كُنَّا إِذَا احْمَرَّ الْبَأْسُ اتَّقَيْنَا بِرَسُولِ اللهِ** ﷺ»(١)، أَيْ: إِذَا اشْتَدَّ الْحَرْبُ جَعَلْنَاهُ حَاجِزًا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْعَدُوِّ، فَكَأَنَّ الْمُتَّقِي يَجْعَلُ امْتِثَالَ أَمْرِ اللهِ وَالِاجْتِنَابَ عَمَّا نَهَاهُ حَاجِزًا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْعَذَابِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ﴾: مَوْضِعُ (الَّذِينَ) خَفْضٌ نَعْتًا لِلْمُتَّقِينَ. ﴿يُؤْمِنُونَ﴾: يُصَدِّقُونَ، وَيَتْرُكُ هَمْزَهُ أَبُو عَمْرٍو وَوَرْشٌ، وَالْآخَرُونَ يَهْمِزُونَهُ، وَكَذَلِكَ يَتْرُكَانِ كُلَّ هَمْزَةٍ سَاكِنَةٍ هِيَ فَاءُ الْفِعْلِ، نَحْوَ: (يُؤْمِنُ)، وَ(مُؤْمِنٌ)، إِلَّا أَحْرُفًا مَعْدُودَةً. **وَحَقِيقَةُ الْإِيمَانِ**: التَّصْدِيقُ بِالْقَلْبِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا﴾[يُوسُفَ:١٧]، أَيْ: بِمُصَدِّقٍ لَنَا. **وَهُوَ فِي الشَّرِيعَةِ**: الِاعْتِقَادُ بِالْقَلْبِ، وَالْإِقْرَارُ بِاللِّسَانِ، وَالْعَمَلُ بِالْأَرْكَانِ، فَسُمِّيَ الْإِقْرَارُ وَالْعَمَلُ إِيمَانًا لِوَجْهٍ مِنَ الْمُنَاسَبَةِ؛ لِأَنَّهُ مِنْ شَرَائِعِهِ.

(١) **صحيح**: أحمد (١٣٤٧) وصحَّحه ط: (الرِّسالة)، وأصله في "صحيح مسلم" (١٧٧٦)، عن البراء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَالْإِسْلَامُ: هُوَ الْخُضُوعُ وَالِانْقِيَادُ، فَكُلُّ إِيمَانٍ إِسْلَامٌ وَلَيْسَ كُلُّ إِسْلَامٍ إِيمَانًا إِذَا لَمْ يَكُنْ مَعَهُ تَصْدِيقٌ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا﴾[الحُجُرَاتِ:١٤]، وَذَلِكَ لِأَنَّ الرَّجُلَ قَدْ يَكُونُ مُسْتَسْلِمًا فِي الظَّاهِرِ غَيْرَ مُصَدِّقٍ فِي الْبَاطِنِ، وَقَدْ يَكُونُ مُصَدِّقًا فِي الْبَاطِنِ غَيْرَ مُنْقَادٍ فِي الظَّاهِرِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿بِٱلۡغَيۡبِ﴾: **وَالْغَيْبُ**: مَصْدَرٌ وُضِعَ مَوْضِعَ الِاسْمِ، فَقِيلَ لِلْغَائِبِ: (غَيْبٌ)، كَمَا قِيلَ لِلْعَادِلِ: (عَدْلٌ)، وَلِلزَّائِرِ: (زَوْرٌ). وَالْغَيْبُ مَا كَانَ مَغِيبًا عَنِ الْعُيُونِ. **قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ**: الْغَيْبُ هَاهُنَا: كُلُّ مَا أُمِرْتَ بِالْإِيمَانِ بِهِ فِيمَا غَابَ عَنْ بَصَرِكَ، مِثْلَ: الْمَلَائِكَةِ، وَالْبَعْثِ، وَالْجَنَّةِ، وَالنَّارِ، وَالصِّرَاطِ، وَالْمِيزَانِ.

قَرَأَ أَبُو جَعْفَرٍ وَأَبُو عَمْرٍو وَوَرْشٌ: ﴿يُومِنُونَ﴾ بِتَرْكِ الْهَمْزَةِ، وَكَذَلِكَ أَبُو جَعْفَرٍ بِتَرْكِ كُلِّ هَمْزَةٍ سَاكِنَةٍ، إِلَّا فِي: ﴿أَنۢبِئۡهُم﴾[البَقَرَة:٣٣] و: ﴿وَنَبِّئۡهُمۡ﴾[الْقَمَر:٢٨]، وَ: ﴿نَبِّئۡنَا﴾[يُوسُف:٣٦]، وَيَتْرُكُ أَبُو عَمْرٍو كُلَّهَا، إِلَّا أَنْ تَكُونَ عَلَامَةً لِلْجَزْمِ، نَحْو: ﴿وَنَبِّئۡهُمۡ﴾[الْقَمَر:٢٨]، وَ: ﴿أَنۢبِئۡهُم﴾[البَقَرَة:٣٣]، وَ: ﴿تَسُؤۡهُمۡ﴾[آل عِمْرَان:١٢٠]، وَ: ﴿إِن نَّشَأۡ﴾[الشُّعَرَاء:٤] وَنَحْوِهَا، أَوْ يَكُونَ خُرُوجَهَا مِنْ لُغَةٍ إِلَى أُخْرَى، نَحْو: ﴿مُّؤۡصَدَةُۢ﴾[البَلَد:٢٠]، وَ: ﴿وَرِءۡيٗا﴾[مَرْيَم:٧٤]، وَيَتْرُكُ وَرْشٌ كُلَّ هَمْزَةٍ سَاكِنَةٍ كَانَتْ قَبْلَ فَاءِ الفِعْلِ، إِلَّا: ﴿وَتُـٔۡوِيٓ﴾[الأَحْزَاب:٥١] وَ: ﴿تُـٔۡوِيهِ﴾[المَعَارِج:١٣]، وَلَا يَتْرُكُ مِنْ عَيْنِ الْفِعْلِ إِلَّا: ﴿ٱلرُّءۡيَا﴾[الإِسْرَاء:٦٠] وَبَابَهُ، إِلَّا مَا كَانَ عَلَى وَزْنِ (فِعْلٌ)، كـ(ذِئْبٌ).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾: أَيْ: يُدِيمُونَهَا وَيُحَافِظُونَ عَلَيْهَا فِي مَوَاقِيتِهَا، بِحُدُودِهَا وَأَرْكَانِهَا وَهَيْئَاتِهَا، يُقَالُ: (قَامَ بِالْأَمْرِ، وَأَقَامَ الأمر) إِذَا أَتَى بِهِ مُعْطًى حُقُوقَهُ، **وَالْمُرَادُ بِهَا**: الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، ذُكِرَ بِلَفْظِ الْوَاحِدِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ﴾[الْبَقَرَة:٢١٣]، يَعْنِي: الْكُتُبَ.

وَالصَّلَاةُ فِي اللُّغَةِ: الدُّعَاءُ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ﴾[التَّوْبَة:١٠٣]، أَيِ: ادْعُ لَهُمْ. **وَفِي الشَّرِيعَةِ**: اسْمٌ لِأَفْعَالٍ مَخْصُوصَةٍ، مِنْ: قِيَامٍ، وَرُكُوعٍ، وَسُجُودٍ، وَقُعُودٍ، وَدُعَاءٍ،

وَثَنَاءٍ. **وَقِيلَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى:** ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ﴾[الأَحْزَاب:٥٦] الْآيَةَ، إِنَّ الصَّلَاةَ مِنَ اللهِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: الرَّحْمَةُ، وَمِنَ المَلَائِكَةِ: الِاسْتِغْفَارُ، وَمِنَ المُؤْمِنِينَ: الدُّعَاءُ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ﴾: أَيْ: أَعْطَيْنَاهُمْ، **وَالرِّزْقُ**: اسْمٌ لِكُلِّ مَا يُنْتَفَعُ بِهِ حَتَّى الْوَلَد وَالْعَبْد، **وَأَصْلُهُ فِي اللُّغَةِ**: الْحَظُّ وَالنَّصِيبُ. ﴿يُنفِقُونَ﴾: يَتَصَدَّقُونَ. **قَالَ قَتَادَةُ**: يُنْفِقُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَطَاعَتِهِ. **وَأَصْلُ الْإِنْفَاقِ**: الْإِخْرَاجُ عَنِ الْيَدِ وَالْمُلْكِ، **وَمِنْهُ**: نِفَاقُ السُّوقِ؛ لِأَنَّهُ تَخْرُجُ فِيهِ السِّلْعَةُ عَنِ الْيَدِ، **وَمِنْهُ**: (نَفَقَتِ الدَّابَّةُ)، إِذَا خَرَجَتْ رُوحُهَا.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾: يَعْنِي: الْقُرْآنَ، ﴿وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾: مِنَ التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَسَائِرِ الْكُتُبِ الْمُنَزَّلَةِ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

وَيَتْرُكُ أَبُو جَعْفَرٍ وَابْنُ كَثِيرٍ وَقَالُونُ وَأَبُو عَمْرٍو وَأَهْلُ الْبَصْرَةِ وَيَعْقُوبُ كُلَّ مَدَّةٍ تَقَعُ بَيْنَ كَلِمَتَيْنِ، وَالْآخَرُونَ يَمُدُّونَهَا. وَهَذِهِ الْآيَةُ فِي الْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ. [وَفِي تَكْرَارِ ﴿يُؤْمِنُونَ﴾: تَرْسِيخٌ فِي الذِّهنِ وتَأْثِيرٌ فِي العَاطِفَةِ].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَبِٱلْأٓخِرَةِ﴾: أَيْ: بِالدَّارِ الآخِرَةِ. **سُمِّيَتِ الدُّنْيَا دُنْيا**: لِدُنُوِّهَا مِنَ الآخِرَةِ. **وَسُمِّيَتِ الآخِرَةُ آخِرَةً**: لِتَأَخُّرِهَا وَكَوْنِهَا بَعْدَ فَنَاءِ الدُّنْيَا. ﴿هُمْ يُوقِنُونَ﴾: أَيْ: يَسْتَيْقِنُونَ أَنَّهَا كَائِنَةٌ، مِنَ: (الْإِيقَانِ)، وَهُوَ: الْعِلْمُ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: أَيْ: أَهْلُ هَذِهِ الصِّفَةِ، **وَأُولَاءِ**: كَلِمَةٌ مَعْنَاهَا الْكِنَايَةُ عَنْ جَمَاعَةٍ، نَحْوُ: (هُمْ). **وَالْكَافُ**: لِلْخِطَابِ، كَمَا فِي حَرْفِ (ذَلِكَ). ﴿عَلَىٰ هُدًى﴾: أَيْ: عَلَى رُشْدٍ وَبَيَانٍ وَبَصِيرَةٍ، ﴿مِّن رَّبِّهِمْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾: أَيْ: النَّاجُونَ وَالْفَائِزُونَ، فَازُوا بِالْجَنَّةِ وَنَجَوْا مِنَ النَّارِ. **وَيَكُونُ الْفَلَاحُ بِمَعْنَى**: الْبَقَاءِ، أَيْ: الْبَاقُونَ فِي النَّعِيمِ الْمُقِيمِ. **وَأَصْلُ الْفَلَاحِ**: الْقَطْعُ وَالشَّقُّ، **وَمِنْهُ سُمِّي الزَّرَّاعُ**: فَلَّاحًا؛ لِأَنَّهُ يَشُقُّ الْأَرْضَ، **وَفِي الْمَثَلِ**: (الْحَدِيدُ بِالْحَدِيدِ يُفْلَحُ)، أَيْ: يَشُقُّ، فَهُمْ الْمَقْطُوعُ لَهُمْ بِالْخَيْرِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ٦ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ٧ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَمَا هُم بِمُؤۡمِنِينَ ٨ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ٩ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضٗاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ﴾

قَوْلُهُ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾: يَعْنِي مُشْرِكِي الْعَرَبِ، **قَالَ الْكَلْبِيُّ**: يَعْنِي الْيَهُودَ. **وَالْكُفْرُ**: هُوَ الْجُحُودُ، **وَأَصْلُهُ مِنَ**: السَّتْرُ، وَمِنْهُ سُمِّيَ اللَّيْلُ كَافِرًا؛ لِأَنَّهُ يَسْتُرُ الْأَشْيَاءَ بِظُلْمَتِهِ. وَسُمِّي الزَّرَّاعُ كَافِرًا؛ لِأَنَّهُ يَسْتُرُ الْحَبَّ بِالتُّرَابِ، وَالْكَافِرُ يَسْتُرُ الْحَقَّ بِجُحُودِهِ. **وَالْكُفْرُ عَلَى أَرْبَعَةِ أَنْحَاءٍ**: كُفْرُ إِنْكَارٍ، وَكُفْرُ جحُودٍ، وَكُفْرُ عِنَادٍ، وَكُفْرُ نِفَاقٍ. **فَكُفْرُ الإِنْكَارِ**: هُوَ أَلَّا يَعْرِفَ اللهَ أَصْلًا وَلَا يَعْتَرِف بِهِ. **وَكُفْرُ الجحُودِ**: هُوَ أَنْ يَعْرِفَ اللهَ تَعَالَى بِقَلْبِهِ وَلَا يُقِرُّ بِلِسَانِهِ، كَكُفْرِ إِبْلِيسَ لَعَنَهُ اللهُ وَكُفْرِ الْيَهُودِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ﴾[البَقَرَة:٨٩]. **وَكُفْرُ الْعِنَادِ**: هُوَ أَنْ يَعْرِفَ اللهَ بِقَلْبِهِ وَيَعْتَرِفَ بِلِسَانِهِ وَلَا يَدِينُ بِهِ، كَكُفْرِ أَبِي طَالِبٍ حَيْثُ يَقُولُ:

وَلَقَدْ عَلِمْتُ بِأَنَّ دِينَ مُحَمَّدٍ مِنْ خَيْرِ أَدْيَانِ الْبَرِيَّةِ دِينًا
لَوْلَا الْمَلَامَةُ أَوْ حَذَارِ مَسَبَّةٍ لَوَجَدْتَنِي سَمْحًا بِذَاكَ مُبِينًا

وَأَمَّا كُفْرُ النِّفَاقِ: فَهُوَ أَنْ يُقِرَّ بِاللِّسَانِ وَلَا يَعْتَقِد بِالْقَلْبِ، وَجَمِيعُ هَذِهِ الْأَنْوَاعِ سَوَاءٌ فِي أَنَّ مَنْ لَقِيَ اللهَ تَعَالَى بِوَاحِدٍ مِنْهَا لَا يُغْفَرُ لَهُ.

قَوْلُهُ: ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ﴾: أَيْ: مُتَسَاوٍ لَدَيْهِمْ، ﴿ءَأَنذَرۡتَهُمۡ﴾: خَوَّفْتَهُمْ وَحَذَّرْتَهُمْ، **وَالْإِنْذَارُ**: إِعْلَامٌ مَعَ تَخْوِيفٍ وَتَحْذِيرٍ، فَكُلُّ مُنْذِرٍ مُعَلِّمٌ وَلَيْسَ كُلُّ مُعَلِّمٍ مُنْذِرًا، وَحَقَّقَ ابْنُ عَامِرٍ وَعَاصِمٌ وَحَمْزَةُ وَالْكِسَائِيُّ الْهَمْزَتَيْنِ فِي ﴿ءَأَنذَرۡتَهُمۡ﴾، وَكَذَلِكَ كُلَّ هَمْزَتَيْنِ تَقَعَانِ فِي أَوَّلِ الْكَلِمَةِ، وَالْآخَرُونَ يُلَيِّنُونَ الثَّانِيَةَ، ﴿أَمۡ﴾: حَرْفُ عَطْفٍ عَلَى الِاسْتِفْهَامِ، ﴿لَمۡ﴾: حَرْفُ جَزْمٍ لَا يَلِي إِلَّا الْفِعْلَ، لِأَنَّ الْجَزْمَ يَخْتَصُّ بِالْأَفْعَالِ. ﴿تُنذِرۡهُمۡ

﴿لَا يُؤۡمِنُونَ﴾: وَهَذِهِ الآيَةُ فِي أَقْوَامٍ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ الشَّقَاوَةِ فِي سَابِقِ عِلْمِ اللهِ. ثُمَّ ذَكَرَ سَبَبَ تَرْكِهِمُ الْإِيمَانَ فَقَالَ:

﴿خَتَمَ ٱللَّهُ﴾: أي: طَبَعَ اللهُ، ﴿عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ﴾: فَلَا تَعِي خَيْرًا وَلَا تَفْهَمُهُ، **وَحَقِيقَةُ الخَتْمِ**: الاِسْتِيثَاقُ مِنَ الشَّيْءِ كَيْلَا يَدْخُلَهُ مَا خَرَجَ مِنْهُ وَلَا يَخْرُجَ عَنْهُ مَا فِيهِ، **وَمِنْهُ**: الْخَتْمُ عَلَى الْبَابِ. **قَالَ أَهْلُ السُّنَّةِ**: أَيْ: حَكَمَ عَلَى قُلُوبِهِمْ بِالْكُفْرِ؛ لِمَا سَبَقَ مِنْ عِلْمِهِ الأَزَلِيِّ فِيهِمْ. ﴿وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ﴾: أَيْ: عَلَى مَوْضِعِ سَمْعِهِمْ فَلَا يَسْمَعُونَ الْحَقَّ وَلَا يَنْتَفِعُونَ بِهِ، وَأَرَادَ عَلَى أَسْمَاعِهِمْ، كَمَا قَالَ: ﴿عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ﴾، وَإِنَّمَا وَحَّدَهُ لِأَنَّهُ مَصْدَرٌ، وَالْمَصْدَرُ لَا يُثَنَّى وَلَا يُجْمَعُ. ﴿وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ﴾: هَذَا ابْتِدَاءُ كَلَامٍ، ﴿غِشَٰوَةٞۖ﴾: أَيْ: غِطَاءٌ، فَلَا يَرَوْنَ الْحَقَّ، ﴿وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾: أَيْ: فِي الْآخِرَةِ، **وَقِيلَ**: الْقَتْلُ وَالْأَسْرُ فِي الدُّنْيَا، وَالْعَذَابُ الدَّائِمُ فِي الْعُقْبَى. **وَالْعَذَابُ**: كُلُّ مَا يَعْنِي الْإِنْسَانَ وَيَشُقُّ عَلَيْهِ. **قَالَ الخَلِيلُ**: الْعَذَابُ مَا يَمْنَعُ الْإِنْسَانَ عَنْ مُرَادِهِ، **وَمِنْهُ**: المَاءُ الْعَذْبُ؛ لِأَنَّهُ يَمْنَعُ الْعَطَشَ.

قَوْلُهُ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾: نَزَلَتْ فِي الْمُنَافِقِينَ. **وَالنَّاسُ**: جَمْعُ إِنْسَانٍ، سُمِّيَ بِهِ لِأَنَّهُ عُهِدَ إِلَيْهِ فَنَسِيَ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدۡ عَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبۡلُ فَنَسِيَ﴾[طه:١١٥]، **وَقِيلَ**: لِأَنَّهُ يُسْتَأْنَسُ بِهِ. ﴿وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾: أَيْ: بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ، ﴿وَمَا هُم بِمُؤۡمِنِينَ ۝٨ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ﴾: أَيْ: يُخَالِفُونَ اللهَ، **وَأَصْلُ الخِدَاعِ فِي اللُّغَةِ**: الْإِخْفَاءُ، **وَمِنْهُ**: الْمَخْدَعُ لِلْبَيْتِ الَّذِي يُخْفَى فِيهِ الْمَتَاعُ، وَالْمُخَادِعُ يُظْهِرُ خِلَافَ مَا يُضْمِرُ، وَالخِدَاعُ مِنَ اللهِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ﴾[النِّسَاء:١٤٢]، أَيْ: يُظْهِرُ لَهُمْ وَيُعَجِّلُ لَهُمْ مِنَ النَّعِيمِ فِي الدُّنْيَا خِلَافَ مَا يَغِيبُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِ الْآخِرَةِ. **فَإِنْ قِيلَ**: مَا مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ﴾ وَالْمُفَاعَلَةُ لِلْمُشَارَكَةِ، وَقَدْ جَلَّ اللهُ تَعَالَى عَنِ الْمُشَارَكَةِ فِي الْمُخَادَعَةِ؟ **قِيلَ**: قَدْ تَرِدُ الْمُفَاعَلَةُ لَا عَلَى مَعْنَى الْمُشَارِكَةِ، كَقَوْلِكَ: (عَافَاكَ اللهُ)، وَ(عَاقَبْتُ فُلَانًا)، وَ(طَارَقْتُ النَّعْلَ).

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾: أَيْ: وَيُخَادِعُونَ الْمُؤْمِنِينَ بِقَوْلِهِمْ إِذَا رَأَوْهُمْ: (آمَنَّا)، وَهُمْ غَيْرُ مُؤْمِنِينَ. ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ﴾: قَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ وَنَافِعٌ وَأَبُو عَمْرٍو: ﴿وَمَا يُخَادِعُونَ﴾ كَالْحَرْفِ الْأَوَّلِ وَجَعَلُوهُ مِنَ الْمُفَاعَلَةِ الَّتِي تَخْتَصُّ بِالْوَاحِدِ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ: ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ﴾ عَلَى الْأَصْلِ. ﴿إِلَّآ أَنفُسَهُمْ﴾: لِأَنَّ وَبَالَ خِدَاعِهِمْ رَاجِعٌ إِلَيْهِمْ؛ لِأَنَّ اللهَ تَعَالَى يُطْلِعُ نَبِيَّهُ ﷺ عَلَى نِفَاقِهِمْ، فَيُفْتَضَحُونَ فِي الدُّنْيَا وَيُسْتَوْجَبُونَ الْعِقَابَ فِي الْعُقْبَى. ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾: أَيْ: لَا يَعْلَمُونَ أَنَّهُمْ يَخْدَعُونَ أَنْفُسَهُمْ، وَأَنَّ وَبَالَ خِدَاعِهِمْ يَعُودُ عَلَيْهِمْ.

﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾: شَكٌّ وَنِفَاقٌ، وَأَصْلُ الْمَرَضِ: الضَّعْفُ، وَسُمِّيَ الشَّكُّ فِي الدِّينِ مَرَضًا: لِأَنَّهُ يُضْعِفُ الدِّينَ كَالْمَرَضِ يُضْعِفُ الْبَدَنَ. ﴿فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا﴾؛ لِأَنَّ الْآيَاتِ كَانَتْ تَنْزِلُ تَتْرَى، آيَةً بَعْدَ آيَةٍ، كُلَّمَا كَفَرُوا بِآيَةٍ ازْدَادُوا كُفْرًا وَنِفَاقًا، وَذَلِكَ مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ﴾[التَّوْبَة:١٢٥]. ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: مُؤْلِمٌ يَخْلُصُ وَجَعُهُ إِلَى قُلُوبِهِمْ ﴿بِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ﴾: مَا: لِلْمَصْدَرِ، أَيْ: بِتَكْذِيبِهِمُ اللهَ وَرَسُولَهُ فِي السِّرِّ، وَقَرَأَ الْكُوفِيُّونَ: ﴿يَكْذِبُونَ﴾: بِالتَّخْفِيفِ، أَيْ: بِكَذِبِهِمْ إِذْ قَالُوا: (آمَنَّا) وَهُمْ غَيْرُ مُؤْمِنِينَ.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ﴾

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾: يَعْنِي لِلْمُنَافِقِينَ، وَقِيلَ: لِلْيَهُودِ، أَيْ: قَالَ لَهُمُ الْمُؤْمِنُونَ، ﴿لَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ بِالْكُفْرِ وَتَعْوِيقِ النَّاسِ عَنِ الْإِيمَانِ بِمُحَمَّدٍ ﷺ وَالْقُرْآنِ، ﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾: يَقُولُونَ هَذَا الْقَوْلَ كَذِبًا، كَقَوْلِهِمْ: (آمَنَّا) وَهُمْ كَاذِبُونَ. ﴿أَلَآ﴾: كَلِمَةُ تَنْبِيهٍ يُنَبَّهُ بِهَا الْمُخَاطَبُ، ﴿إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ﴾: أَنْفُسَهُمْ بِالْكُفْرِ وَالنَّاسَ بِالتَّعْوِيقِ عَنِ الْإِيمَانِ ﴿وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾: أَيْ: لَا يَعْلَمُونَ أَنَّهُمْ مُفْسِدُونَ؛

لِأَنَّهُمْ يَظُنُّونَ أَنَّ الَّذِي هُمْ عَلَيْهِ مِنْ إِبْطَانِ الْكُفْرِ صَلَاحٌ. وَقِيلَ: لَا يَعْلَمُونَ مَا أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ مِنَ الْعَذَابِ.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ﴾: أَيِ: الْجُهَّالُ، فَإِنْ قِيلَ: كَيْفَ يَصِحُّ النِّفَاقُ مَعَ الْمُجَاهَرَةِ بِقَوْلِهِمْ: ﴿أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ﴾؟ قِيلَ: إِنَّهُمْ كَانُوا يُظْهِرُونَ هَذَا الْقَوْلَ فِيمَا بَيْنَهُمْ لَا عِنْدَ الْمُؤْمِنِينَ، فَأَخْبَرَ اللهُ نَبِيَّهُ ﷺ وَالْمُؤْمِنِينَ بِذَلِكَ، فَرَدَّ اللهُ عَلَيْهِمْ فَقَالَ: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ﴾ أَنَّهُم كَذَلِك، فَالسَّفِيهُ: خَفِيفُ الْعَقْلِ رَقِيقُ الْحِلْمِ، مِنْ قَوْلِهِمْ: (ثَوْبٌ سَفِيهٌ)، أَيْ: رَقِيقٌ. وَقِيلَ: السَّفِيهُ: الكَذَّابُ الَّذِي يَعمَلُ بِخِلَافِ مَا يَعْلَمُ.

قَرَأَ أَهْلُ الْكُوفَةِ وَالشَّامِ: ﴿ٱلسُّفَهَآءُ أَلَآ﴾ بِتَحْقِيقِ الْهَمْزَتَيْنِ، وَكَذَلِكَ كُلُّ هَمْزَتَيْنِ وَقَعَتَا فِي كَلِمَتَيْنِ اتَّفَقَتَا أَوِ اخْتَلَفَتَا، وَالْآخَرُونَ يُحَقِّقُونَ الْأُولَى وَيُلِينُونَ الثَّانِيَةَ فِي الْمُختَلِفَتَينِ؛ طَلَبًا لِلْخِفَّةِ.

﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾

﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾: يَعْنِي: هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ ﴿قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا﴾ كَإِيمَانِكُمْ، ﴿وَإِذَا خَلَوْا۟﴾ رَجعُوا، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الخَلْوَة ﴿إِلَىٰ﴾: بِمَعْنَى (الْبَاءِ) أَيْ: بِشَيَاطِينِهِمْ وَقِيلَ: ﴿إِلَىٰ﴾: بِمعْنَى (مَعَ)، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ﴾[النِّسَاءِ: ٢] أَيْ: مَعَ أَمْوَالِكُمْ. ﴿شَيَٰطِينِهِمْ﴾: أَيْ: رُؤَسَائِهِمْ وَكَهَنَتِهِمْ، وَالشَّيْطَانُ: الْمُتَمَرِّدُ الْعَاتِي مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ، وَأَصْلُهُ: الْبُعْدُ، يُقَالُ: (بِئْرٌ شُطُونٌ)، أَيْ: بَعِيدَةُ الْعُمْقِ. سُمِّيَ الشَّيْطَانُ شَيْطَانًا: لِامْتِدَادِهِ فِي الشَّرِّ وَبُعْدِهِ مِنَ الْخَيْرِ. ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ﴾، أَيْ: عَلَى دِينِكُم ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾ بِمُحَمَّدٍ ﷺ وَأَصْحَابِهِ بِمَا نُظْهِرُ مِنَ الْإِسْلَامِ.

قَرَأَ أَبُو جَعْفَرٍ: (مُسْتَهْزُونَ، وَيسْتَهْزُونَ، وقُلِ استَهْزُوا، وَلِيُطْفُوا، وَلِيُوَاطُوا، وَيَسْتَنْبُونَكَ، وَخَاطِينَ، وَخَاطُونَ، وَمُتَّكِينَ، وَمُتَّكُونَ، فَمَالُونَ، وَالْمُنْشُونَ) بِتَرْكِ الهَمزَةِ فِيهِنَّ.

﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾: أَيْ: يُجَازِيهِمْ جَزَاءَ اسْتِهْزَائِهِمْ، **سُمِّيَ الجَزَاءُ بِاسْمِهِ**: لِأَنَّهُ فِي مُقَابَلَتِهِ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَا﴾[الشُّورَى:٤٠]. ﴿وَيَمُدُّهُمۡ﴾: يَترُكُهُم ويُمهِلُهُم، **وَالْمَدُّ وَالْإِمْدَادُ**: وَاحِدٌ، **وَأَصْلُهُ**: الزِّيَادَةُ، إِلَّا أَنَّ المَدَّ أَكْثَرُ مَا يَأْتِي فِي الشَّرِّ، وَالْإِمْدَادُ فِي الْخَيْرِ. ﴿فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ﴾: أَيْ: فِي ضَلالَتِهِم، **وأَصلُهُ**: مُجَاوَزَةُ الْحَدِّ، **وَمِنْهُ**: (طَغَى المَاءُ). ﴿يَعۡمَهُونَ﴾: أَيْ: يَتَرَدَّدُونَ فِي الضَّلَالَةِ مُتَحَيِّرِينَ.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ﴾: أَي: استَبدَلُوا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ، ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ﴾: أَيْ: مَا رَبِحُوا فِي تِجَارَتِهِمْ، أَضَافَ الرِّبْحَ إِلَى التِّجَارَةِ؛ لِأَنَّ الرِّبحَ يَكُونُ فِيهَا، كَمَا تَقُولُ الْعَرَبُ: (رَبِحَ بَيْعُكَ وَخَسِرَتْ صَفْقَتُكَ)، ﴿وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ﴾: مِنَ الضَّلَالَةِ. **وَقِيلَ**: مُصِيبِينَ فِي تِجَارَتِهِمْ. ﴿مَثَلُهُمۡ﴾: شَبَهُهُمْ، **وَقِيلَ**: صِفَتُهُمْ، **وَالْمَثَلُ**: قَوْلٌ سَائِرٌ فِي عُرْفِ النَّاسِ يُعْرَفُ بِهِ مَعْنَى الشَّيْءِ، وَهُوَ أَحَدُ أَقْسَامِ الْقُرْآنِ السَّبْعَةِ. ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِي﴾: يَعْنِي: الَّذِينَ؛ بِدَلِيلِ سِيَاقِ الْآيَةِ، وَنَظِيرُهُ: ﴿وَٱلَّذِي جَآءَ بِٱلصِّدۡقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ﴾[الزُّمَر:٣٣]. ﴿ٱسۡتَوۡقَدَ نَارٗا﴾: أَوْقَدَ نَارًا، ﴿فَلَمَّآ أَضَآءَتۡ مَا حَوۡلَهُۥ﴾: أَيْ: حَوْلَ الْمُسْتَوْقِدِ، **وَأَضَاءَ**: لَازِمٌ وَمُتَعَدٍّ، يُقَالُ: (أَضَاءَ الشَّيءُ نَفْسَهُ)، و(أَضَاءَ غَيرَهُ)، وَهُوَ هُنَا مُتَعَدٍّ. ﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمۡ وَتَرَكَهُمۡ فِي ظُلُمَٰتٖ لَّا يُبۡصِرُونَ﴾: **قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَقَتَادَةُ وَمُقَاتِلٌ وَالضَّحَّاكُ وَالسُّدِّيُّ**: نَزَلَتْ فِي الْمُنَافِقِينَ. يَقُولُ: مَثَلُهُمْ فِي نِفَاقِهِمْ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَوْقَدَ نَارًا فِي لَيْلَةٍ مُظْلِمَةٍ فِي مَفَازَةٍ، فَاسْتَدْفَأَ وَرَأَى مَا حَوْلَهُ، فَاتَّقَى مِمَّا يَخَافُ، فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ طَفِيَتْ نَارُهُ فَبَقِيَ فِي ظُلْمَةٍ خَائِفًا مُتَحَيِّرًا، فَكَذَلِكَ الْمُنَافِقُونَ بِإِظْهَارِ كَلِمَةِ الْإِيمَانِ، أَمِنُوا عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَأَوْلَادِهِمْ، وَنَاكَحُوا الْمُؤْمِنِينَ، وَوَارَثُوهُمْ، وَقَاسَمُوهُمُ الْغَنَائِمَ، فَذَلِكَ نُورُهُمْ، فَإِذَا

مَاتُوا عَادُوا إِلَى الظُّلْمَةِ وَالْخَوْفِ. [وَتَوْحِيدُ الضَّمِيرِ فِي: ﴿ٱسۡتَوۡقَدَ﴾: هذَا نَظَرًا إِلَى جَانِبِ اللَّفظِ؛ لِأَنَّ الْمُنافِقِينَ كُلُّهُم علَى قَول واحِدٍ وفِعلٍ وَاحِدٍ. وَأمَّا رِعَايةُ جَانِبِ المَعنَى فِي: ﴿بِنُورِهِمۡ وَتَرَكَهُمۡ﴾: فَلِكَونِ المَقَامِ تَقبِيحُ أَحْوَال وبَيانِ ذَاتِهِم وضَلَالِهِم، فَإِثبَاتُ الحُكمِ لِكُلِّ فَردٍ مِنهُم وَاقِعٌ].

ثُمَّ وَصَفهُم اللهُ فَقَالَ: ﴿صُمُّۢ﴾: أَيْ: هُمْ صُمٌّ عَنِ الْحَقِّ لَا يَقْبَلُونَهُ، وَإِذَا لَمْ يَقْبَلُوا فَكَأَنَّهُمْ لَمْ يَسْمَعُوا، ﴿بُكۡمٌ﴾: خُرْسٌ عَنِ الْحَقِّ لَا يَقُولُونَهُ، أَوْ أَنَّهُمْ لَمَّا أَبْطَنُوا خِلَافَ مَا أَظْهَرُوا فَكَأَنَّهُمْ لَمْ يَنْطِقُوا بِالْحَقِّ، ﴿عُمۡيٌ﴾: أَيْ: لَا بَصَائِرَ لَهُمْ، وَمَنْ لَا بَصِيرَةَ لَهُ كَمَنْ لَا بَصَرَ لَهُ، ﴿فَهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ﴾: عَنِ الضَّلَالَةِ إِلَى الْحَقِّ.

﴿أَوۡ كَصَيِّبٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٞ وَرَعۡدٞ وَبَرۡقٞ يَجۡعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلۡمَوۡتِۚ وَٱللَّهُ مُحِيطُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ ١٩ يَكَادُ ٱلۡبَرۡقُ يَخۡطَفُ أَبۡصَٰرَهُمۡۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوۡاْ فِيهِ وَإِذَآ أَظۡلَمَ عَلَيۡهِمۡ قَامُواْۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمۡعِهِمۡ وَأَبۡصَٰرِهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾

﴿أَوۡ كَصَيِّبٖ﴾: أَيْ: كَأَصْحَابِ صَيِّبٍ، وَهَذَا مَثَلٌ آخَرُ ضَرَبَهُ اللهُ تَعَالَى لِلْمُنَافِقِينَ، مَعْنَاهُ: إِنْ شِئْتَ مَثِّلْهُمْ بِالْمُسْتَوْقِدِ، وَإِنْ شِئْتَ بِأَهْلِ الصَّيِّبِ، **وَقِيلَ**: ﴿أَوۡ﴾ بِمَعْنَى (الْوَاوِ)، يُرِيدُ: (وَكَصَيِّبٍ)، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَوۡ يَزِيدُونَ﴾[الصَّافَّات: ١٤٧] بِمَعْنَى: (وَيَزِيدُونَ). **وَالصَّيِّبُ**: الْمَطَرُ، وَكُلُّ مَا نَزَل مِنَ الْأَعْلَى إِلَى الأَسْفَلِ فَهُوَ صَيِّبٌ، مِنْ: (صَابَ، يَصُوبُ)، أَيْ: نَزَلَ ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ أَيْ: مِنَ السَّحَابِ، **وَالسَّمَاءُ**: كُلُّ مَا عَلَاكَ فَأَظَلَّكَ، وَهِيَ مِنْ أَسْمَاءِ الْأَجْنَاسِ يَكُونُ وَاحِدًا وَجَمْعًا. ﴿فِيهِ﴾: أَيْ: فِي الصَّيِّبِ ﴿ظُلُمَٰتٞ﴾: جَمْعُ (ظُلْمَةٍ)، ﴿وَرَعۡدٞ﴾: وَهُو الصَّوْتُ الَّذِي يُسْمَعُ مِنَ السَّحَابِ، ﴿وَبَرۡقٞ﴾: وَهُوَ النَّارُ الَّتِي تَخْرُجُ مِنْهُ، ﴿يَجۡعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ﴾: جَمْعُ (صَاعِقَةٍ)، وَهِيَ الصَّيْحَةُ الَّتِي يَمُوتُ مَنْ يَسْمَعُهَا، أَوْ يُغْشَى عَلَيْهِ. **وَيُقَالُ لِكُلِّ عَذَابٍ مُهلِكٍ**: صَاعِقَةٌ.

قَوْلُهُ: ﴿حَذَرَ ٱلۡمَوۡتِۚ﴾: أَيْ: مَخَافَةَ الـهَلَاكِ، ﴿وَٱللَّهُ مُحِيطُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ﴾: أَيْ: عَالِمٌ

بِهِمْ. وَقِيلَ: جَامِعُهُمْ. ﴿ يَكَادُ ٱلۡبَرۡقُ ﴾: أَيْ: يَقْرُبُ، يُقَالُ: (كَادَ يَفْعَلُ) إِذَا قَرُبَ وَلَمْ يَفْعَلْ، ﴿يَخۡطَفُ أَبۡصَٰرَهُمۡۖ ﴾: يَخْتَلِسُهَا، وَالخَطْفُ: اسْتِلَابٌ بِسُرعَةٍ. ﴿كُلَّمَآ ﴾: كُلَّ: حَرْفٌ جُمْلَةً، ضُمَّ إِلَى (مَا) الْجَزَاءِ فَصَارَ أَدَاةً لِلتَّكْرَارِ، وَمَعْنَاهُمَا: (مَتَى مَا)، ﴿أَضَآءَ لَهُم مَّشَوۡاْ فِيهِ وَإِذَآ أَظۡلَمَ عَلَيۡهِمۡ قَامُواْۚ ﴾: أَيْ: وَقَفُوا مُتَحَيِّرِينَ، فَاللهُ تَعَالَى شَبَّهَهُمْ فِي كُفْرِهِمْ وَنِفَاقِهِمْ بِقَوْمٍ كَانُوا فِي مَفَازَةٍ فِي لَيْلَةٍ مُظْلِمَةٍ أَصَابَهُمْ مَطَرٌ فِيهِ ظُلُمَاتٌ، مِنْ صِفَتِهَا أَنَّ السَّارِيَ لَا يُمْكِنُهُ الْمَشْيُ فِيهَا، وَرَعْدٌ مِنْ صِفَتِهِ أَنْ يَضُمَّ السَّامِعُونَ أَصَابِعَهُمْ إِلَى آذَانِهِمْ مِنْ هَوْلِهِ، وَبَرْقٌ مِنْ صِفَتِهِ أَنْ يَقْرُبَ مِنْ أَن يَخْطِفَ أَبْصَارَهُمْ وَيُعْمِيَهَا مِنْ شِدَّةِ تَوَقُّدِهِ.

﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمۡعِهِمۡ ﴾: أَيْ: بِأَسْمَاعِهِمْ، ﴿وَأَبۡصَٰرِهِمۡۚ ﴾: الظَّاهِرَةِ، كَمَا ذَهَبَ بِأَسْمَاعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمُ الْبَاطِنَةِ، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾: قَادِرٌ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٢ وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٢٣ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ وَلَن تَفۡعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُۖ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ﴾: خِطَابٌ عَامٌّ إِلَّا مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ لَا يَدْخُلُهُ الصِّغَارُ وَالمَجَانِينُ. ﴿ٱعۡبُدُواْ ﴾: وَحِّدُوا. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: كُلُّ مَا وَرَدَ فِي الْقُرْآنِ مِنَ العِبَادَةِ فَمَعْنَاهُ التَّوْحِيدُ. ﴿رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ ﴾: الخَلْقُ: اخْتِرَاعُ الشَّيْءِ عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ سَبَقَ. ﴿وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ ﴾: أَيْ: وَخَلَقَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ، ﴿لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾: لِكَيْ تَنْجُوا مِنَ الْعَذَابِ.

﴿ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا ﴾: أَيْ: بِسَاطًا. وَقِيلَ: مَنَامًا. وَقِيلَ: وِطَاءً. أَيْ: ذَلَّلَهَا وَلَمْ يَجْعَلْهَا حَزْنَةً لَا يُمْكِنُ القَرَارُ عَلَيهَا. وَالْجَعْلُ هَاهُنَا بِمَعْنَى: الخَلْقِ. ﴿وَٱلسَّمَآءَ

بِنَآءً﴾: أَيْ: سَقْفًا مَرْفُوعًا، ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾: أَيْ: مِنَ السَّحَابِ ﴿مَآءً﴾: وَهُوَ المَطَرُ ﴿فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾: مِن أَلْوَانِ الثَّمَرَاتِ وَأَنْوَاعِ النَّبَاتِ، ﴿رِزْقًا لَّكُمْ﴾: طَعَامًا لَكُمْ، وَعَلَفًا لِدَوَابِّكُمْ، ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا﴾: أَيْ: أَمثَالًا تَعبُدُونَهُم كَعِبَادَةِ الله. **قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ:** النِّدُّ الضِّدُّ، وَهُوَ مِنَ الأَضْدَادِ، وَاللهُ تَعَالَى بَرِيءٌ مِنَ المِثْلِ وَالضِّدِّ، ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: أَنَّهُ وَاحِدٌ خَالِقُ هَذِهِ الأَشْيَاء. ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ﴾: أَيْ: وَإِنْ كُنتُمْ فِي شَكٍّ؛ لِأَنَّ اللهَ تَعَالَى عَلِمَ أَنَّهُمْ شَاكُّونَ ﴿مِّمَّا نَزَّلْنَا﴾: يَعْنِي: الْقُرْآنَ ﴿عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾: مُحَمَّدٍ، ﴿فَأْتُوا۟﴾: أَمْرُ تَعْجِيزٍ، ﴿بِسُورَةٍ﴾: **وَالسُّورَةُ:** قِطْعَةٌ مِنَ الْقُرْآنِ مَعْلُومَةُ الأَوَّلِ وَالآخِرِ، مِنْ: (أَسْأَرْتُ)، أَيْ: أَفْضَلْتُ. **سُمِّيَتْ سُورَةً:** لِأَنَّ الْقَارِئَ يَنَالُ بِقِرَاءَتِهَا مَنْزِلَةً رَفِيعَةً حَتَّى يَسْتَكْمِلَ الْمَنَازِلَ بِاسْتِكْمَالِهِ سُوَرَ الْقُرْآنِ، ﴿مِّن مِّثْلِهِۦ﴾: أَيْ: مِثْلِ الْقُرْآنِ، وَ(مِنْ): صِلَةٌ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ﴾[النُّور:٣٠]. ﴿وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم﴾: أَيْ: وَاسْتَعِينُوا بِآلِهَتِكُمُ الَّتِي تَعْبُدُونَهَا ﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾: أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ تَقَوَّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهِ، فَلَمَّا تَحَدَّاهُمْ عَجَزُوا، فَقَالَ:

﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟﴾: فِيمَا مَضَى ﴿وَلَن تَفْعَلُوا۟﴾: أَبَدًا فِيمَا بَقِيَ، وَإِنَّمَا قَالَ ذَلِكَ لِبَيَانِ الإِعْجَازِ، وَأَنَّ الْقُرْآنَ كَانَ مُعْجِزَةَ النَّبِيِّ ﷺ حَيْثُ عَجَزُوا عَنِ الإِتْيَانِ بِمِثْلِهِ، ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ﴾: أَيْ: فَآمِنُوا وَاتَّقُوا بِالإِيمَانِ النَّارَ ﴿ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾: **قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَأَكْثَرُ الْمُفَسِّرِينَ:** يَعْنِي: حِجَارَةَ الْكِبْرِيتِ؛ لِأَنَّهَا أَكْثَرُ الْتِهَابًا. **وَقِيلَ:** جَمِيعُ الْحِجَارَةِ، وَهُوَ دَلِيلٌ عَلَى عِظَمِ تِلْكَ النَّارِ. ﴿أُعِدَّتْ﴾: هُيِّئَتْ ﴿لِلْكَٰفِرِينَ﴾.

> ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾: أَيْ: أَخْبِرْ، **وَالْبِشَارَةُ:** كُلُّ خَبَرِ صِدْقٍ يَتَغَيَّرُ بِهِ بَشَرَةُ الْوَجْهِ، وَيُسْتَعْمَلُ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، وَفِي الْخَيْرِ أَغْلَبُ. ﴿وَعَمِلُوا۟

﴿ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ﴾: أَي: الْفِعْلَاتِ الصَّالِحَاتِ، يَعْنِي: الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ هُمْ مِنْ أَهْلِ الطَّاعَاتِ. **قَالَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ** رضي الله عنه: ﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ﴾: أَيْ: أَخْلَصُوا الْأَعْمَالَ، كَمَا قَالَ: ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَـٰلِحًا﴾[الكَهْف:١١٠]، أَيْ: خَالِيًا مِنَ الرِّيَاءِ. **قَالَ مُعَاذٌ: الْعَمَلُ الصَّالِحُ الَّذِي فِيهِ أَرْبَعَةُ أَشْيَاءَ**: الْعِلْمُ، وَالنِّيَّةُ، وَالصَّبْرُ، وَالْإِخْلَاصُ. ﴿أَنَّ لَهُمْ جَنَّـٰتٍ﴾: جَمْعُ الْجَنَّةِ، **وَالْجَنَّةُ**: الْبُسْتَانُ الَّذِي فِيهِ أَشْجَارٌ مُثْمِرَةٌ، **سُمِّيَتْ بِهَا**: لِاجْتِنَانِهَا وَتَسَتُّرِهَا بِالْأَشْجَارِ. ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا﴾: أَيْ: مِنْ تَحْتِ أَشْجَارِهَا وَمَسَاكِنِهَا ﴿ٱلْأَنْهَـٰرُ﴾: أَي: الْمِيَاهُ فِي الْأَنْهَارِ؛ لِأَنَّ النَّهْرَ لَا يَجْرِي. **وَالْأَنْهَارُ**: جَمْعُ (نَهْرٍ)، **سُمِّيَ بِهِ**: لِسِعَتِهِ وَضِيَائِهِ، **وَمِنْهُ**: (النَّهَارُ). ﴿كُلَّمَا﴾: مَتَى مَا ﴿رُزِقُوا۟﴾: أُطْعِمُوا ﴿مِنْهَا﴾: أَيْ: مِنَ الْجَنَّةِ ﴿مِن ثَمَرَةٍ﴾: أَيْ: ثَمَرَةٍ، وَ(مِنْ): صِلَةٌ. ﴿رِّزْقًا﴾: طَعَامًا، ﴿قَالُوا۟ هَـٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ﴾: وَ(قَبْلُ) رَفْعٌ عَلَى الْغَايَةِ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ﴾[الرُّوم:٤]. **قِيلَ**: الثِّمَارُ فِي الْجَنَّةِ مُتَشَابِهَةٌ فِي اللَّوْنِ مُخْتَلِفَةٌ فِي الطَّعْمِ، فَإِذَا رُزِقُوا ثَمَرَةً بَعْدَ أُخْرَى ظَنُّوا أَنَّهَا الْأُولَى، ﴿وَأُتُوا۟ بِهِۦ﴾: بِالرِّزْقِ ﴿مُتَشَـٰبِهًا﴾: **قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٌ وَالرَّبِيعُ**: مُتَشَابِهًا فِي الْأَلْوَانِ مُخْتَلِفًا فِي الطُّعُومِ. **وَقَالَ الْحَسَنُ وَقَتَادَةُ**: ﴿مُتَشَـٰبِهًا﴾: أَيْ يُشْبِهُ بَعْضُهَا بَعْضًا فِي الْجَوْدَةِ، أَيْ: كُلُّهَا خِيَارٌ لَا رَذَالَةَ فِيهَا. **قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ** رضي الله عنه: لَيْسَ فِي الدُّنْيَا مِمَّا فِي الْجَنَّةِ إِلَّا الْأَسَامِي.

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَأْكُلُونَ فِيهَا وَيَشْرَبُونَ، وَلَا يَتْفِلُونَ، وَلَا يَبُولُونَ، وَلَا يَتَغَوَّطُونَ، وَلَا يَمْتَخِطُونَ**». قَالُوا فَمَا بَالُ الطَّعَامِ؟ قَالَ: «**جُشَاءٌ وَرَشْحٌ كَرَشْحِ الْمِسْكِ، يُلْهَمُونَ التَّسْبِيحَ وَالتَّحْمِيدَ كَمَا تُلْهَمُونَ النَّفَسَ**»[(١)].

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَهُمْ فِيهَآ﴾: فِي الْجِنَانِ ﴿أَزْوَٰجٌ﴾: نِسَاءٌ وَجَوَارِي، يَعْنِي: مِنَ الْحُورِ الْعِينِ، ﴿مُّطَهَّرَةٌ﴾: مِنَ الْغَائِطِ، وَالْبَوْلِ، وَالْحَيْضِ، وَالنِّفَاسِ، وَالْبُصَاقِ،

(١) **صحيح**: مسلم: (٢٨٣٥).

والمُخَاطِ، وَالمَنِيِّ، وَالوَلَدِ، وَكُلِّ قَذرٍ. **قَالَ إِبْرَاهِيمُ النَّخَعِيُّ**: فِي الْجَنَّةِ جِمَاعٌ مَا شِئْتَ وَلَا وَلَدَ. **وَقَالَ الحَسَنُ**: هُنَّ عَجَائِزُكُم الغُمْصُ الْعُمْشُ، طُهِّرْنَ مِنْ قَذرَاتِ الدُّنْيَا. **وَقِيلَ**: مُطَهَّرَةٌ مِنْ مَسَاوِئِ الْأَخْلَاقِ، ﴿وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾: دَائِمُونَ، لَا يَمُوتُونَ فِيهَا وَلَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**إِنَّ أَوَّلَ زُمْرَةٍ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ عَلَى أَشَدِّ كَوْكَبٍ دُرِّيٍّ فِي السَّمَاءِ إِضَاءَةً، لَا يَبُولُونَ، وَلَا يَتَغَوَّطُونَ، وَلَا يَتْفُلُونَ، وَلَا يَمْتَخِطُونَ، أَمْشَاطُهُمُ الذَّهَبُ، وَرَشْحُهُمُ الْمِسْكُ، وَمَجَامِرُهُمُ الْأَلُوَّةُ، وَأَزْوَاجُهُمُ الحُورُ الْعِينُ، عَلَى خَلْقِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، عَلَى صُورَةِ أَبِيهِمْ آدَمَ سِتُّونَ ذِرَاعًا فِي السَّمَاءِ**»(١).

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**إِنَّ فِي الجَنَّةِ لَسُوقًا يَأْتُونَهَا كُلَّ جُمُعَةٍ، فَتَهُبُّ رِيحُ الشَّمَالِ فَتَحْثُو فِي وُجُوهِهِمْ وَثِيَابِهِمْ، فَيَزْدَادُونَ حُسْنًا وَجَمَالًا، فَيَرْجِعُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ وَقَدِ ازْدَادُوا حُسْنًا وَجَمَالًا، فَيَقُولُ لَهُمْ أَهْلُوهُمْ: وَالله لَقَدِ ازْدَدْتُم بَعْدَنَا حُسْنًا وَجَمَالًا، فَيَقُولُونَ: وَأَنْتُمْ، وَالله لَقَدِ ازْدَدْتُم بَعْدَنَا حُسْنًا وجَمَالًا**»(٢).

﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ﴾: أَيْ: لَا يَتْرُكُ وَلَا يَمْنَعُهُ الْحَيَاءُ ﴿أَن يَضْرِبَ مَثَلًا﴾: يَذْكُرَ شَبَهًا، ﴿مَّا بَعُوضَةً﴾: **مَا**: صِلَةٌ، أَيْ: مَثَلًا بِالبَعُوضَةِ، **وبَعُوضَةً**: نَصْبُ بَدَلٍ عَنِ المَثَلِ. **وَالْبَعُوضُ**: صِغَارُ البَقِّ، **سُمِّيَتْ بَعُوضَةً**: كَأَنَّهَا بَعْضُ الْبَقِّ. ﴿فَمَا فَوْقَهَا﴾: يَعنِي: الذُّبَابُ وَالعَنْكَبُوتُ. **وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَة**: أَيْ: فَمَا دُونَهَا، كَمَا يُقَالُ: (فُلَانٌ

(١) **صحيح**: البخاري: (٣٣٢٧)، ومسلم: (٢٨٣٤).
(٢) **صحيح**: مسلم: (٢٨٣٣).

جَاهِلٌ)، فَيُقَالُ: وَفَوْقَ ذَلِكَ، أَيْ: وَأَجْهَلُ. ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾: بِمُحَمَّدٍ وَالْقُرْآنِ، ﴿فَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ﴾: يَعْنِي: المَثَلُ هُوَ ﴿ٱلۡحَقُّ﴾: الصِّدْقُ ﴿مِن رَّبِّهِمۡۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلٗاۘ﴾: أَيْ: بِهَذَا المَثَلِ، فَلَمَّا حَذَفَ (الأَلِفَ، وَاللَّامَ) نَصَبَهُ عَلَى الحَالِ وَالْقَطْعِ. ثُمَّ أَجَابَهُمْ فَقَالَ: ﴿يُضِلُّ بِهِۦ﴾: أَيْ: بِهَذَا المَثَلِ ﴿كَثِيرٗا﴾: الكُفَّارَ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ يُكَذِّبُونَ فَيَزْدَادُونَ ضَلَالًا، ﴿وَيَهۡدِي بِهِۦ﴾: أَيْ: بِهَذَا المَثَلِ ﴿كَثِيرٗاۚ﴾: المُؤْمِنِينَ فَيُصَدِّقُونَهُ. **وَالْإِضْلَالُ**: هُوَ الصَّرْفُ عَنِ الحَقِّ إِلَى الْبَاطِلِ. **وَقِيلَ**: هُوَ الْهَلَاكُ، يُقَالُ: (ضَلَّ المَاءُ فِي اللَّبَنِ)، إِذَا هَلَكَ. ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾: الْكَافِرِينَ **وَأَصْلُ الْفِسْقِ**: الْخُرُوجُ يُقَالُ: فَسَقَتِ الرُّطَبَةُ، إِذَا خَرَجَتْ عَنْ قِشْرِهَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَفَسَقَ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِۦٓۗ﴾[الْكَهْف:٥٠]، أَيْ: خَرَجَ. ثُمَّ وَصَفَهُمْ فَقَالَ:

﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٢٧ كَيۡفَ تَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمۡ أَمۡوَٰتٗا فَأَحۡيَٰكُمۡۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٢٨ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾

﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ﴾: يُخَالِفُونَ وَيَتْرُكُونَ، **وَأَصْلُ النَّقْضِ**: الْكَسْرُ ﴿عَهۡدَ ٱللَّهِ﴾: أَمْرُ اللهِ الَّذِي عَهِدَ إِلَيْهِمْ يَوْمَ المِيثَاقِ بِقَوْلِهِ: ﴿أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ﴾[الْأَعْرَاف:١٧٢]. **وَقِيلَ**: أَرَادَ بِهِ الْعَهْدَ الَّذِي أَخَذَهُ عَلَى النَّبِيِّينَ وَسَائِرِ الْأُمَمِ أَنْ يُؤْمِنُوا بِمُحَمَّدٍ ﷺ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾[آلِ عِمْرَان:٨١] الْآيَةَ.

﴿مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ﴾: تَوْكِيدِهِ، **وَالْمِيثَاقُ**: الْعَهْدُ المُؤَكَّدُ. ﴿وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾: يَعْنِي: الْإِيمَانَ بِمُحَمَّدٍ ﷺ وَبِجَمِيعِ الرُّسُلِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ؛ لِأَنَّهُمْ قَالُوا: ﴿نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ﴾[النِّسَاء:١٥٠]، وَقَالَ الْمُؤْمِنُونَ: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ﴾[البَقَرَة:٢٨٥]. **وَقِيلَ**: أَرَادَ بِهِ الْأَرْحَامَ. ﴿وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾: بِالمَعَاصِي

وَتَعْوِيقِ النَّاسِ عَنِ الْإِيمَانِ بِمُحَمَّدٍ ﷺ وَبِالْقُرْآنِ، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾: الْمَغْبُونُونَ، ثُمَّ قَالَ لِلْمُشْرِكِينَ عَلَى وَجْهِ التَّعَجُّبِ:

﴿كَيۡفَ تَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ﴾: بَعْدَ نَصْبِ الدَّلَائِلِ وَوُضُوحِ الْبَرَاهِينِ، ثُمَّ ذَكَرَ الدَّلَائِلَ فَقَالَ: ﴿وَكُنتُمۡ أَمۡوَٰتٗا﴾: نُطَفًا فِي أَصْلَابِ آبَائِكُمْ، ﴿فَأَحۡيَٰكُمۡۖ﴾: فِي الْأَرْحَامِ وَالدُّنْيَا، ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ﴾: عِنْدَ انْقِضَاءِ آجَالِكُمْ، ﴿ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡ﴾: لِلْبَعْثِ، ﴿ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾: أَيْ: تُرَدُّونَ فِي الآخِرَةِ فَيَجْزِيكُمْ بِأَعْمَالِكُمْ. قَرَأَ يَعْقُوبُ: ﴿تَرْجِعُونَ﴾ فِي كُلِّ الْقُرْآنِ بِفَتْحِ الْيَاءِ وَالتَّاءِ عَلَى تَسْمِيَةِ الْفَاعِلِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا﴾: لِكَيْ تَعْتَبِرُوا وَتَسْتَدِلُّوا، **وَقِيلَ:** لِكَيْ تَنْتَفِعُوا، ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾: **قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَأَكْثَرُ مُفَسِّرِي السَّلَفِ:** أَيِ ارْتَفَعَ إِلَى السَّمَاءِ، ﴿فَسَوَّىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖۚ﴾: خَلَقَهُنَّ مُسْتَوِيَاتٍ، لَا فُطُورَ فِيهَا وَلَا صَدْعَ، ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾: قَرَأَ أَبُو جَعْفَرٍ وَأَبُو عَمْرٍو وَالْكِسَائِيُّ وَقَالُونُ ﴿وَهْوَ﴾، ﴿وَهْيَ﴾ بِسُكُونِ الْهَاءِ إِذَا كَانَ قَبْلَ الْهَاءِ (وَاوٌ)، أَوْ (فَاءٌ)، أَوْ (لَامٌ).

﴿وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ﴾: أَيْ: وَقَالَ رَبُّكَ، وَ(إِذْ) زَائِدَةٌ. **وَقِيلَ:** مَعْنَاهُ: (وَاذْكُرْ إِذْ قَالَ رَبُّكَ)، وَكَذَلِكَ كُلُّ مَا وَرَدَ فِي الْقُرْآنِ مِنْ هَذَا النَّحْوِ فَهَذَا سَبِيلُهُ. وَ(إِذْ)، وَ(إِذَا): حَرْفَا تَوْقِيتٍ، إِلَّا أَنَّ (إِذْ) لِلْمَاضِي، وَ(إِذَا) لِلْمُسْتَقْبَلِ، وَقَدْ يُوضَعُ أَحَدُهُمَا مَوْضِعَ الْآخَرِ، **قَالَ الْمُبَرِّدُ:** إِذَا جَاءَ (إِذْ) مَعَ الْمُسْتَقْبَلِ كَانَ مَعْنَاهُ مَاضِيًا، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِذۡ يَمۡكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ﴾[الأنفال:٣٠]، يُرِيدُ: (وَإِذْ مَكَرُوا)، وَإِذَا جَاءَ (إِذَا) مَعَ الْمَاضِي كَانَ مَعْنَاهُ مُسْتَقْبَلًا، كَقَوْلِهِ: ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ﴾[النَّازِعَات:٣٤]، ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ﴾[النَّصْر:١]، أَيْ: يَجِيءُ.

﴿لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ﴾: جَمْعُ (مَلَكٍ)، وَأَصْلُهُ: (مَأْلَكٌ)، مِنَ: (المَأْلَكَةِ)، وَ(الْأَلُوكَةِ) وَ(الْأُلُوكِ)، وَهِيَ الرِّسَالَةُ، فَقُلِبَتْ فَقِيلَ: (مَلْأَكٌ)، ثُمَّ حُذِفَتِ الْهَمْزَةُ طَلَبًا لِلْخِفَّةِ لِكَثْرَةِ اسْتِعْمَالِهِ، وَنُقِلَتْ حَرَكَتُهَا إِلَى اللَّامِ: فَقِيلَ: (مَلَكٌ).

﴿إِنِّي جَاعِلٌ﴾: خَالِقٌ ﴿فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾: **وَالْمُرَادُ بِـ(الخَلِيفَةِ) هَاهُنَا**: آدَمُ، سَمَّاهُ خَلِيفَةً لِأَنَّهُ خَلِيفَةُ اللهِ فِي أَرْضِهِ لِإِقَامَةِ أَحْكَامِهِ وَتَنْفِيذِ وَصَايَاه. ﴿قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾: بِالمَعَاصِي، ﴿وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾: بِغَيْرِ حَقٍّ، ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ﴾: **قَالَ الحَسَنُ**: نَقُولُ (سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ).

عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ سُئِلَ: أَيُّ الْكَلَامِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «**مَا اصْطَفَى اللهُ لِمَلَائِكَتِهِ أَوْ لِعِبَادِهِ سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ**»[(١)].

وَقِيلَ: وَنَحْنُ نُصَلِّي بِأَمْرِكَ، **قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ**: كُلُّ مَا فِي الْقُرْآنِ مِنَ التَّسْبِيحِ فَالمُرَادُ مِنْهُ الصَّلَاةُ. ﴿وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾: أَيْ: نُثْنِي عَلَيْكَ بِالْقُدْسِ وَالطَّهَارَةِ عَمَّا لَا يَلِيقُ بِعَظَمَتِكَ وَجَلَالِكَ. **وَقِيلَ**: وَنُطَهِّرُ أَنْفُسَنَا لِطَاعَتِكَ. **وَقِيلَ**: وَنُنَزِّهُكَ. **وَاللَّامُ**: صِلَةٌ. **وَقِيلَ**: لَمْ يَكُنْ هَذَا مِنَ المَلَائِكَةِ عَلَى طَرِيقِ الِاعْتِرَاضِ وَالْعُجْبِ بِالْعَمَلِ، بَلْ عَلَى سَبِيلِ التَّعَجُّبِ وَطَلَبِ وَجْهِ الحِكْمَةِ فِيهِ، ﴿قَالَ﴾: اللهُ ﴿إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾: مِنَ المَصْلَحَةِ فِيهِ. **وَقِيلَ**: إِنِّي أَعْلَمُ أَنَّ فِي ذُرِّيَّتِهِ مَنْ يُطِيعُنِي وَيَعْبُدُنِي مِنَ الأَنْبِيَاءِ وَالأَوْلِيَاءِ وَالصُّلَحَاءِ. قَرَأَ أَهْلُ الحِجَازِ وَالْبَصْرَةِ: ﴿إِنِّيَ أَعْلَمُ﴾ بِفَتْحِ الْيَاءِ، وَكَذَلِكَ كُلَّ يَاءِ إِضَافَةٍ اسْتَقْبَلَهَا أَلِفٌ مَفْتُوحَةٌ، إِلَّا فِي مَوَاضِعَ مَعْدُودَةٍ.

﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَـٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُواْ سُبْحَـٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَـٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾

---

(١) **صحيح**: مسلم: (٢٧٣١).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾: **سُمِّيَ آدَمُ**: لِأَنَّهُ خُلِقَ مِنْ أَدِيمِ الْأَرْضِ. **وَقِيلَ**: لِأَنَّهُ كَانَ آدَمَ اللَّوْنِ، وَكُنْيَتُهُ أَبُو الْبَشَرِ. وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ أَفْضَلُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَإِنْ كَانُوا رُسُلًا، كَمَا ذَهَبَ إِلَيْهِ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ. **قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٌ وَقَتَادَةُ**: عَلَّمَهُ اسْمَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى الْقَصْعَة وَالْقُصَيْعَة. ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾: إِنَّمَا قَالَ: (عَرَضَهُمْ)، وَلَمْ يَقُلْ: (عَرَضَهَا)؛ لِأَنَّ الْمُسَمَّيَاتِ إِذَا جَمَعَتْ مَنْ يَعْقِلُ وَمَنْ لَا يَعْقِلُ يُكَنَّى عَنْهَا بِلَفْظِ مَنْ يَعْقِلُ، كَمَا يُكَنَّى عَنِ الذُّكُورِ وَالْإِنَاثِ بِلَفْظِ الذُّكُورِ. ﴿فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى﴾: أَخْبِرُونِي ﴿بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾، فَقَالَتِ الْمَلَائِكَةُ إِقْرَارًا بِالْعَجْزِ: ﴿سُبْحَٰنَكَ﴾: تَنْزِيهًا لَكَ، ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ﴾: مَعْنَاهُ: فَإِنَّكَ أَجَلُّ مِنْ أَنْ نُحِيطَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِكَ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا، ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ﴾: بِخَلْقِكَ ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾: فِي أَمْرِكَ، **وَالْحَكِيمُ لَهُ مَعْنَيَانِ: أَحَدُهُمَا**: الْحَاكِمُ، وَهُوَ الْقَاضِي الْعَدْلُ. **وَالثَّانِي**: الْمُحْكِمُ لِلْأَمْرِ كَيْ لَا يَتَطَرَّقَ إِلَيْهِ الْفَسَادُ. **وَأَصْلُ الْحِكْمَةِ فِي اللُّغَةِ**: الْمَنْعُ، فَهِيَ تَمْنَعُ صَاحِبَهَا مِنَ الْبَاطِلِ، **وَمِنْهُ**: حِكْمَةُ الدَّابَّةِ؛ لِأَنَّهَا تَمْنَعُهَا مِنَ الِاعْوِجَاجِ. فَلَمَّا ظَهَرَ عَجْزُهُمْ: ﴿قَالَ﴾: اللهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ﴾: أَخْبِرْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ، فَسَمَّى آدَمُ كُلَّ شَيْءٍ بِاسْمِهِ، ﴿فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ﴾: اللهُ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ﴾: يَا مَلَائِكَتِي ﴿إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: مَا كَانَ مِنْهُمَا وَمَا يَكُونُ؛ لِأَنَّهُ قَدْ قَالَ لَهُمْ: ﴿إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[البَقَرَة:٣٠]، ﴿وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ﴾: يَعْنِي: مَا تُبْدِيهِ الْمَلَائِكَةُ مِنَ الطَّاعَةِ، ﴿وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾: يَعْنِي: إِبْلِيس مِنَ الْمَعْصِيَةِ.

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ ﴾: اخْتَلَفُوا فِي أَنَّ هَذَا الْخِطَابَ مَعَ

أَيٍّ من المَلَائِكَةِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: مَعَ الَّذِينَ كَانُوا سُكَّانَ الْأَرْضِ، وَالْأَصَحُّ أَنَّهُ مَعَ جَمِيعِ المَلَائِكَةِ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾[الْحِجْر:٣٠].

وَقَوْلُهُ: ﴿ٱسْجُدُوا۟﴾: فِيهِ قَوْلَانِ: الْأَصَحُّ أَنَّ السُّجُودَ كَانَ لِآدَمَ عَلَى الْحَقِيقَةِ وَتَضَمَّنَ مَعْنَى الطَّاعَةِ لله ﷻ بِامْتِثَالِ أَمْرِهِ، وَكَانَ ذَلِكَ سُجُودَ تَعْظِيمٍ وَتَحِيَّةٍ لَا سُجُودَ عِبَادَةٍ، كَسُجُودِ إِخْوَةِ يُوسُفَ لَهُ فِي قَوْلِهِ ﷻ: ﴿وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا﴾[يُوسُف:١٠٠]، وَلَمْ يَكُنْ فِيهِ وَضْعُ الْوَجْهِ عَلَى الأَرْضِ، إِنَّمَا كَانَ الِانْحِنَاءُ، فَلَمَّا جَاءَ الْإِسْلَامُ أَبْطَلَ ذَلِكَ بِالسَّلَامِ. وَقِيلَ مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ﴾: أَيْ: إِلَى آدَمَ فَكَانَ آدَمُ قِبْلَةً وَالسُّجُودُ لله تَعَالَى كَمَا جُعِلَتِ الْكَعْبَةُ قِبْلَةً لِلصَّلَاةِ وَالصَّلَاةُ لله ﷻ، ﴿فَسَجَدُوٓا۟﴾: يَعْنِي: المَلَائِكَةَ، ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾: وَاخْتَلَفُوا فِيهِ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما وَأَكْثَرُ الْمُفَسِّرِينَ: كَانَ إِبْلِيسُ مِنَ المَلَائِكَةِ. وَقَالَ الحَسَنُ: كَانَ مِنَ الْجِنِّ وَلَمْ يَكُنْ مِنَ المَلَائِكَةِ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾[الْكَهْف:٥٠]، فَهُوَ أَصْلُ الْجِنِّ كَمَا أَنَّ آدَمَ أَصْلُ الْإِنْسِ، وَلِأَنَّهُ خُلِقَ مِنَ النَّارِ وَالمَلَائِكَةُ خُلِقُوا مِنَ النُّورِ، وَلِأَنَّ لَهُ ذُرِّيَّةً وَلَا ذُرِّيَّةَ لِلْمَلَائِكَةِ.

قَوْلُهُ: ﴿أَبَىٰ﴾: أَيِ: امْتَنَعَ فَلَمْ يَسْجُدْ ﴿وَٱسْتَكْبَرَ﴾: أَيْ: تَكَبَّرَ عَنِ السُّجُودِ لِآدَمَ، ﴿وَكَانَ﴾: أَيْ: صَارَ ﴿مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾. وَقَالَ أَكْثَرُ الْمُفَسِّرِينَ: وَكَانَ فِي سَابِقِ عِلْمِ الله مِنَ الْكَافِرِينَ الَّذِينَ وَجَبَتْ لَهُمُ الشَّقَاوَةُ.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِذَا قَرَأَ ابْنُ آدَمَ السَّجْدَةَ فَسَجَدَ اعْتَزَلَ الشَّيْطَانُ يَبْكِي، وَيَقُولُ: يَا وَيْلَهْ، أُمِرَ ابْنُ آدَمَ بِالسُّجُودِ فَسَجَدَ فَلَهُ الجَنَّةُ، وَأُمِرْتُ بِالسُّجُودِ فَأَبَيْتُ فَلِيَ النَّارُ**»(١).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا﴾: وَاسِعًا كَثِيرًا ﴿حَيْثُ شِئْتُمَا﴾: كَيْفَ شِئْتُمَا، وَمَتَى شِئْتُمَا، وَأَيْنَ شِئْتُمَا، ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾:

(١) **صحيح:** مسلم: (٨١).

يَعْنِي: لِلْأَكْلِ. **قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ**: وَقَعَ النَّهْيُ عَلَى جِنْسٍ مِنَ الشَّجَرِ. **وَقَالَ آخَرُونَ**: عَلَى شَجَرَةٍ مَخْصُوصَةٍ. ﴿فَتَكُونَا﴾: فَتَصِيرَا ﴿مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: أَيْ: الضَّارِّينَ بِأَنْفُسِكُمَا بِالْمَعْصِيَةِ، **وَأَصْلُ الظُّلْمِ**: وَضْعُ الشَّيْءِ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ. ﴿فَأَزَلَّهُمَا﴾: اسْتَزَلَّ الشَّيْطَانُ آدَمَ وَحَوَّاءَ، أَيْ: دَعَاهُمَا إِلَى الزَّلَّةِ، وَقَرَأَ حَمْزَةُ: ﴿فَأَزَالَهُمَا﴾، أَيْ: نَحَّاهُمَا ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ﴾: (فَيْعَالُ) مِنْ: (شَطَنَ)، أَيْ: بَعُدَ، **سُمِّيَ بِهِ**: لِبُعْدِهِ عَنِ الْخَيْرِ وَعَنِ الرَّحْمَةِ. ﴿عَنْهَا﴾: عَنِ الْجَنَّةِ ﴿فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾: مِنَ النَّعِيمِ، ﴿وَقُلْنَا ٱهْبِطُواْ﴾: انْزِلُوا إِلَى الْأَرْضِ، يَعْنِي: آدَمَ وَحَوَّاءَ وَإِبْلِيسَ، ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾: أَرَادَ الْعَدَاوَةَ الَّتِي بَيْنَ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَبَيْنَ إِبْلِيسَ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾[الْأَعْرَاف:٢٢]. **رُوِيَ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ** رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «**إِنَّ بِالْمَدِينَةِ جِنًّا قَدْ أَسْلَمُوا، فَإِنْ رَأَيْتُمْ مِنْهُمْ شَيْئًا فَآذِنُوهُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، فَإِنْ بَدَا لَكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فَاقْتُلُوهُ، فَإِنَّمَا هُوَ شَيْطَانٌ**»[(١)].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ﴾: مَوْضِعُ قَرَارٍ ﴿وَمَتَٰعٌ﴾: بُلْغَةٌ وَمُسْتَمْتَعٌ ﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾: إِلَى انْقِضَاءِ آجَالِكُم، ﴿فَتَلَقَّىٰٓ﴾: تَلَقَّنَ، **وَالتَّلَقِّي**: هُوَ قَبُولٌ عَنْ فِطْنَةٍ وَفَهْمٍ. **وَقِيلَ**: هُوَ التَّعَلُّمُ. ﴿ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾: قِرَاءَةُ الْعَامَّةِ: (آدَمُ) بِرَفْعِ الْمِيمِ، وَ(كَلِمَاتٍ) بِخَفْضِ التَّاءِ. وَقَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ: (آدَمَ) بِالنَّصْبِ، (كَلِمَاتٌ) بِرَفْعِ التَّاءِ، يَعْنِي: جَاءَتِ الْكَلِمَاتُ آدَمَ مِنْ رَبِّهِ وَكَانَتْ سَبَبَ تَوْبَتِهِ، ﴿فَتَابَ عَلَيْهِ﴾: فَتَجَاوَزَ عَنْهُ؛ ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ﴾: يَقْبَلُ تَوْبَةَ عِبَادِهِ، ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾: بِخَلْقِهِ.

﴿قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِيٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّٰيَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٤٠﴾ وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ ﴿٤١﴾ وَلَا تَلْبِسُواْ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُواْ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًا﴾: **قِيلَ**: الْهُبُوطُ الْأَوَّلُ مِنَ الْجَنَّةِ إِلَى السَّمَاءِ

(١) **صحيح**: مسلم: (٢٢٣٦).

الدُّنْيَا، والهُبُوطُ الثَّانِي مِنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا إِلَى الْأَرْضِ، ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم﴾: أَيْ: فَإِنْ يَأْتِكُمْ يَا ذُرِّيَّةَ آدَمَ ﴿مِّنِّي هُدًى﴾: أَيْ: رُشْدٌ وَبَيَانُ شَرِيعَةٍ. **وَقِيلَ**: كِتَابٌ وَرَسُولٌ، ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾، قَرَأَ يَعْقُوبُ: ﴿فَلا خَوْفَ﴾ بِالنَّصْبِ فِي كُلِّ الْقُرْآنِ، وَالآخَرُونَ بِالرَّفْعِ وَالتَّنْوِينِ.

﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾: فِيمَا يَسْتَقْبِلُهُمْ، ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾: عَلَى مَا خَلَّفُوا. **وَقِيلَ**: لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ فِي الدُّنْيَا، وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ فِي الآخِرَةِ، ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾: يَعنِي: جَحَدُوا ﴿وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾: لَا يَخْرُجُونَ مِنْهَا وَلَا يَمُوتُونَ فِيهَا.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾: يَا أَوْلَادَ يَعْقُوبَ، قَرَأَ أَبُو جَعْفَرٍ: ﴿إِسْرَايِيلَ﴾ بِغَيْرِ هَمْزٍ، ﴿اذْكُرُوا﴾: احْفَظُوا، وَالذِّكْرُ يَكُونُ بِالْقَلْبِ وَيَكُونُ بِاللِّسَانِ. **وَقِيلَ**: أَرَادَ بِهِ الشُّكْرَ، وَذُكِرَ بِلَفْظِ الذِّكْرِ؛ لِأَنَّ فِي الشُّكْرِ ذِكْرًا، وَفِي الكُفْرِ نِسْيَانًا. **قَالَ الحَسَنُ**: ذِكْرُ النِّعْمَةِ شُكْرُهَا. ﴿نِعْمَتِيَ﴾: أَيْ: نِعَمِي، لَفْظُهَا وَاحِدٌ وَمَعْنَاهَا جَمْعٌ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ۗ﴾[إِبْرَاهِيمَ:٣٤].

﴿الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾: أَيْ: عَلَى أَجْدَادِكُمْ وَأَسْلَافِكُمْ، ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي﴾: أَيْ: بِامْتِثَالِ أَمْرِي ﴿أُوفِ[1] بِعَهْدِكُمْ﴾: بِالْقَبُولِ وَالثَّوَابِ. **قَالَ قَتَادَةُ وَمُجَاهِدٌ**: أَرَادَ بِهَذَا الْعَهْدِ مَا ذَكَرَ فِي سُورَةِ المَائِدَةِ فِي قَوْلِهِ: ﴿ ۞ وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا ۖ﴾ إِلَى أَنْ قَالَ: ﴿لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾[المَائِدَة:١٢]. ﴿وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾: فَخَافُونِي فِي نَقْضِ الْعَهْدِ، وَأَثْبَتَ يَعْقُوبُ الْيَاءَاتِ المَحْذُوفَةِ فِي الخَطِّ، مِثْلِ: (فَارْهَبُونِ، فَاتَّقُونِ، وَاخْشَونِ)، وَالآخَرُونَ يَحْذِفُونَهَا فِي الْخَطِّ.

﴿وَآمِنُوا بِمَا أَنزَلْتُ﴾: يَعْنِي: الْقُرْآنَ، ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ﴾: أَيْ: مُوَافِقًا لِمَا مَعَكُمْ، يَعْنِي: التَّوْرَاةَ، فِي التَّوْحِيدِ وَالنُّبُوَّةِ وَالْأَخْبَارِ وَنَعْتِ النَّبِيِّ ﷺ، ﴿وَلَا تَكُونُوا

(١) وَهَذَا مِنْ بَابِ التَّعَطُّفِ، وَيُسَمِّيهِ بَعْضُهُمْ: (فَنَّ الْمُشَارَكَةِ)، وَفَحْوَاهُ إِعَادَةُ اللَّفْظَةِ بِعَينِهَا فِي الجُمْلَةِ مِنَ الكَلَامِ.

أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦ﴾: أَيْ: بِالْقُرْآنِ، يُرِيدُ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، ﴿وَلَا تَشْتَرُواْ﴾: أَيْ: وَلَا تَسْتَبْدِلُوا ﴿بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗا﴾: أَيْ: عَرَضًا يَسِيرًا مِنَ الدُّنْيَا، ﴿وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ﴾: فَاخْشَونِي، ﴿وَلَا تَلْبِسُواْ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ﴾: أَيْ: لَا تَخْلِطُوا، يُقَالُ: (لَبِسَ الثَّوْبَ يَلْبَسُ لُبْسًا)، وَ(لَبِسَ عَلَيْهِ الْأَمْرُ يَلْبَسُ لَبْسًا)، أَيْ: خَلَطَ. ﴿وَتَكْتُمُواْ ٱلْحَقَّ﴾: أَيْ: لَا تَكْتُمُوهُ، ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: أَنَّ مُحَمَّدًا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ، ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾: يَعْنِي: الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ بِمَوَاقِيتِهَا وَحُدُودِهَا، ﴿وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾: أَدُّوا زَكَاةَ أَمْوَالِكُمُ الْمَفْرُوضَةَ. **وَالزَّكَاةُ:** مَأْخُوذَةٌ مِنْ: (زَكَا الزَّرْعُ)، إِذَا نَمَا وَكَثُرَ. **وَقِيلَ:** مِنْ تَزَكَّى، أَيْ: تَطَهَّرَ، وَكِلَا الْمَعْنَيَيْنِ مَوْجُودٌ فِي الزَّكَاةِ؛ لِأَنَّ فِيهَا تَطْهِيرًا وَتَنْمِيَةً لِلْمَالِ. ﴿وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾: أَيْ: صَلُّوا مَعَ الْمُصَلِّينَ، وَذُكِرَ بِلَفْظِ الرُّكُوعِ؛ لِأَنَّه رُكْنٌ مِنْ أَرْكَانِ الصَّلَاةِ، وَهَذَا فِيهِ حَثٌّ عَلَى إِقَامَةِ الصَّلَاةِ جَمَاعَةً.

﴿ ۞ أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٤٤﴾ وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَأَنَّهُمۡ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴾

﴿أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ﴾: أَيْ: بِالطَّاعَةِ، ﴿وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ﴾: أَيْ: تَتْرُكُونَ أَنْفُسَكُمْ فَلَا تَتَّبِعُونَهُ، ﴿وَأَنتُمۡ [1] تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَ﴾: تَقْرَؤُونَ التَّوْرَاةَ فِيهَا نَعْتُهُ وَصِفَتُهُ، ﴿أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾: أَنَّهُ حَقٌّ فَتَتَّبِعُونَهُ. **وَالْعَقْلُ:** مَأْخُوذٌ مِنْ عِقَالِ الدَّابَّةِ، وَهُوَ مَا يُشَدُّ بِهِ رُكْبَةُ الْبَعِيرِ فَيَمْنَعُهُ مِنَ الشُّرُودِ، فَكَذَلِكَ الْعَقْلُ يَمْنَعُ صَاحِبَهُ مِنَ الكُفْرِ وَالجُحُودِ وَالْمُخَالَفَةِ لِمَا عَلِمَهُ مِن الحَقِّ.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: **«رَأَيْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي رِجَالًا تُقْرَضُ شِفَاهُهُمْ بِمَقَارِيضَ مِنْ نَارٍ، قُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَؤُلَاءِ خُطَبَاءُ**

(١) فَقَدْ صَدَرَ الكَلَامُ هُنَا بِالضَّمِيرِ؛ زِيَادَةً فِي المُبَالَغَةِ؛ وَتَسْجِيلًا لِلتَّبْكِيتِ وَالتَّوبِيخِ عَلَيهِمْ.

مِنْ أُمَّتِكَ يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَيَنْسَوْنَ أَنْفُسَهُمْ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا يَعقِلُونَ؟»[(١)].

قَالَ أُسَامَةُ رضي الله عنه، سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «يُجَاءُ بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُهُ -أَيْ: تَنقطِعُ أَمْعَاؤُهُ- فِي النَّارِ، فَيَدُورُ كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ بِرَحَاهُ، فَيَجْتَمِعُ أَهْلُ النَّارِ عَلَيْهِ فَيَقُولُونَ: أَيْ فُلَانُ مَا شَأْنُكَ؟ أَلَيْسَ كُنْتَ تَأْمُرُنَا بِالمَعْرُوفِ وَتَنْهَانَا عَنِ الْمُنْكَرِ؟ قَالَ: كُنْتُ آمُرُكُمْ بِالمَعْرُوفِ وَلَا آتِيهِ، وَأَنْهَاكُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتِيهِ». وَقَالَ شُعْبَةُ: عَنِ الأَعْمَشِ: «فَيُطْحَنُ فِيهَا كَطَحْنِ الْحِمَارِ بِرَحَاهُ»[(٢)].

﴿وَٱسْتَعِينُواْ﴾: عَلَى مَا يَسْتَقْبِلُكُم مِنْ أَنْوَاعِ الْبَلَاءِ. وَقِيلَ: عَلَى طَلَبِ الآخِرَةِ. ﴿بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ﴾: أَرَادَ حَبْسَ النَّفْسِ عَنِ المَعَاصِي. وَقِيلَ: أَرَادَ بِالصَّبْرِ: الصَّبْرَ عَلَى أَدَاءِ الْفَرَائِضِ. وَقَالَ مُجَاهِدٌ: الصَّبْرُ: الصَّوْمُ، وَمِنْهُ سُمِّيَ شَهْرُ رَمَضَانَ شَهْرَ الصَّبْرِ، وَذَلِكَ لِأَنَّ الصَّوْمَ يُزَهِّدُهُ فِي الدُّنْيَا، وَالصَّلَاةَ تُرَغِّبُهُ فِي الْآخِرَةِ. وَقِيلَ: الْوَاوُ بِمَعْنَى: (عَلَى)، أَيْ: وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ عَلَى الصَّلَاةِ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَاۖ﴾[التَّوبَة:١٣٢]. ﴿وَإِنَّهَا﴾: لَمْ يَقُلْ: وَإِنَّهُمَا؛ رَدًّا لِلكِنَايَةِ إِلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا، أَيْ: وَإِنَّ كُلَّ خَصْلَةٍ مِنْهُمَا، كَمَا قَالَ: ﴿كِلۡتَا ٱلۡجَنَّتَيۡنِ ءَاتَتۡ أُكُلَهَا﴾[الكَهْف:٣٣]، أَيْ: كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا. وَقِيلَ: مَعْنَاهُ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَإِنَّهُ لِكَبِيرٌ، وَبِالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لِكَبِيرَةٌ، فَحَذَفَ أَحَدَهُمَا اخْتِصَارًا. وَقَالَ الْمُؤَرِّجُ: رَدَّ الْكِنَايَةَ إِلَى الصَّلَاةِ؛ لِأَنَّهَا أَعَمُّ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا﴾[التَّوبَة:٣٤] رَدَّ الْكِنَايَةَ إِلَى الْفِضَّةِ لِأَنَّهَا أَعَمُّ. وَقِيلَ: رَدَّ الْكِنَايَةَ إِلَى الصَّلَاةِ؛ لِأَنَّ الصَّبْرَ دَاخِلٌ فِيهَا، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرۡضُوهُ﴾[التَّوبَة:٦٢]، وَلَمْ يَقُلْ يُرْضُوهُمَا؛ لِأَنَّ رِضَى الرَّسُولِ دَاخِلٌ فِي رِضَى الله تَعَالَى. وَقَالَ الْحُسَيْنُ بْنُ الْفَضْلِ: رَدَّ الْكِنَايَةَ إِلَى الِاسْتِعَانَةِ. ﴿لَكَبِيرَةٌ﴾: أَيْ: لَثَقِيلَةٌ ﴿إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ﴾: يَعْنِي: الْمُؤْمِنِينَ. وَقَالَ الْحَسَنُ: الْخَائِفِينَ.

---

(١) **صحيح:** صحَّحه العلَّامة الألبانيُّ رحمه الله في "الصَّحيحة" (٢٩١)، والعلَّامة الوادعيُّ رحمه الله في "الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين" (٣٠)، و(٤١٦١).

(٢) **صحيح:** البخاري: (٧٠٩٨)، ومسلم: (٢٩٨٩).

وَقِيلَ: المُطِيعِينَ. وَأَصْلُ الخُشُوعِ: السُّكُونُ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ﴾[طه:١٠٨]، فَالخَاشِعُ سَاكِنٌ إِلَى طَاعَةِ اللهِ تَعَالَى.

﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ﴾: يَسْتَيْقِنُونَ، وَالظَّنُّ: مِنَ الْأَضْدَادِ يَكُونُ شَكًّا وَيَقِينًا وَأَمَلًا، كَالرَّجَاءِ يَكُونُ خوفًا وَأَمَلًا وَأَمْنًا، ﴿أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ﴾: مُعَايِنُوا ﴿رَبِّهِمْ﴾: فِي الْآخِرَةِ، وَهُوَ رُؤْيَةُ الله تَعَالَى. وَقِيلَ: المُرَادُ مِنَ اللِّقَاءِ الصَّيْرُورَةُ إِلَيْهِ. ﴿وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾: فَيَجْزِيهِمْ بِأَعْمَالِهِمْ، ﴿يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: أَيْ: عَالَمِي زَمَانِكم، لَا مُطْلَق العَالَمِين، وَذَلِكَ التَّفْضِيلُ وَإِنْ كَانَ فِي حَقِّ الآبَاءِ وَلَكِن يَحصُل بِه الشَّرَفُ لِلأَبنَاءِ، ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا﴾: وَاخْشَوْا عِقَابَ يَوْمٍ، ﴿لَّا تَجْزِى نَفْسٌ﴾: لَا تَقْضِي نَفْسٌ ﴿عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا﴾: أَيْ: حَقًّا لَزِمَهَا. وَقِيلَ: لَا تُغْنِي. وَقِيلَ: لَا تكْفِي شَيْئًا مِنَ الشَّدَائِدِ. ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ﴾: قَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ وَأَبُو عَمْرٍو وَيَعْقُوبُ بِالتَّاءِ؛ لِتَأْنِيثِ الشَّفَاعَةِ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بِالْيَاءِ؛ لِأَنَّ الشَّفْعَ وَالشَّفَاعَةَ بِمَعنًى وَاحِدٍ، كَالْوَعْظِ وَالمَوْعِظَةِ، فَالتَّذْكِيرُ عَلَى المَعْنَى، وَالتَّأْنِيثُ عَلَى اللَّفْظِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾[يُونُس:٥٧]، وَقَالَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ: ﴿فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾[البَقَرَة:٢٧٥]. أَيْ: لَا تُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ إِذَا كَانَتْ كَافِرَةً، ﴿وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾: أَيْ: فِدَاءٌ، وَسُمِّيَ بِهِ: لِأَنَّهُ مِثل المفدِيِّ. وَالعَدْلُ: المِثْلُ. ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾: يُمْنَعُونَ مِنْ عَذَابِ الله.

﴿وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾

﴿وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم﴾: يَعْنِي: أَسْلَافَكُمْ وَأَجْدَادَكُمْ، فَاعْتَدَّهَا مِنَّةً عَلَيْهِمْ؛ لِأَنَّهُمْ نَجَوْا بِنَجَاتِهِمْ، ﴿مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾: أَتْبَاعِهِ وَأَهْلِ دِينِهِ، ﴿يَسُومُونَكُمْ﴾: يُكَلِّفُونَكُمْ وَيُذِيقُونَكُمْ ﴿سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾: أَشَدَّ الْعَذَابِ وَأَسْوَأَهُ. وَقِيلَ: تَفسِيرُهُ مَا بَعْدَهُ، وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ﴾، فَهُوَ مَذْكُورٌ عَلَى وَجْهِ الْبَدَلِ، ﴿وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ﴾:

يَتْرُكُونَهُنَّ أَحْيَاءً، ﴿وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾: **قِيلَ: الْبَلَاءُ:** الْمِحْنَةُ، أَيْ: فِي سَوْمِهِمْ إِيَّاكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ مِحْنَةٌ عَظِيمَةٌ. **وَقِيلَ: الْبَلَاءُ:** النِّعْمَةُ، أَيْ: فِي إِنْجَائِي إِيَّاكُمْ مِنْهُمْ نِعْمَةٌ عَظِيمَةٌ، فَالْبَلَاءُ يَكُونُ بِمَعْنَى النِّعْمَةِ وَبِمَعْنَى الشِّدَّةِ، فَاللهُ تَعَالَى قَدْ يَخْتَبِرُ عَلَى النِّعْمَةِ بِالشُّكْرِ، وَعَلَى الشِّدَّةِ بِالصَّبْرِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾[الأنبياء:٣٥].

﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ﴾: **قِيلَ:** مَعناهُ فَرَقْنَا لَكُمْ. **وَقِيلَ:** فَرَقْنَا الْبَحْرَ بِدُخُولِكُمْ إِيَّاهُ، **وَسُمِّيَ الْبَحْرُ بَحْرًا:** لِاتِّسَاعِهِ، وَمِنْهُ قِيلَ لِلْفَرَسِ بَحْرٌ إِذَا اتَّسَعَ فِي جَرْيِهِ. ﴿فَأَنجَيْنَاكُمْ﴾: مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ وَالْغَرَقِ، ﴿وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾: إِلَى مَصَارِعِهِمْ. **وَقِيلَ:** إِلَى إِهْلَاكِهِمْ.

﴿وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾

﴿وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَىٰ﴾: هَذَا مِنَ الْمُفَاعَلَةِ الَّتِي تَكُونُ مِنَ الْوَاحِدِ، كَقَوْلِهِمْ: (عَافَاكَ اللهُ)، وَ(عَاقَبْتُ اللِّصَّ)، وَ(طَارَقْتُ النَّعْلَ). **وَقَالَ الزَّجَّاجُ:** كَانَ مِنَ اللهِ الْأَمْرُ وَمِنْ مُوسَى الْقَبُولُ، فَلِذَلِكَ ذُكِرَ بِلَفْظِ الْمُوَاعَدَةِ. وَقَرَأَ أَبُو عَمْرٍو وَأَهلُ الْبَصْرَةِ ﴿وَإِذْ وَعَدْنَا﴾ مِنَ الْوَعْدِ، ﴿أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ﴾: أَيْ: إِلَهًا ﴿مِن بَعْدِهِ﴾: أَظْهَرَ ابْنُ كَثِيرٍ وَحفْصٌ الذَّالَ مِنْ: (أَخَذْتُ، وَاتَّخَذْتُ)، وَالْآخَرُونَ يُدْغِمُونَهَا، ﴿وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ﴾: ضَارُّونَ لِأَنْفُسِكُمْ بِالْمَعْصِيَةِ وَاضِعُونَ الْعِبَادَةَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهَا، ﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم﴾: مَحَوْنَا ذُنُوبَكُمْ، ﴿مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾: مِنْ بَعدِ عِبَادَتِكُمُ الْعِجْلَ؛ ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾: لِكَيْ تَشْكُرُوا عَفْوِي عَنْكُمْ وَصَنِيعِي إِلَيْكُمْ. **قِيلَ:** الشُّكْرُ هُوَ الطَّاعَةُ بِجَمِيعِ الْجَوَارِحِ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ. **قَالَ الْحَسَنُ:** شُكْرُ النِّعْمَةِ ذِكْرُهَا، قَالَ اللهُ تَعَالَى:

﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾[الضُّحَى:١١]. **قَالَ الْفُضَيْلُ**: شُكْرُ كُلِّ نِعْمَةٍ أَنْ لَا يُعْصَى اللهُ بَعْدَ تِلْكَ النِّعْمَةِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾: يَعْنِي: التَّوْرَاةَ، ﴿وَٱلْفُرْقَانَ﴾: **قَالَ مُجَاهِدٌ**: هُوَ التَّوْرَاةُ أَيْضًا. ذَكَرَهَا بِاسْمَيْنِ. **وَقَالَ الْكِسَائِيُّ**: **الْفُرْقَانُ**: نَعْتُ الْكِتَابِ، **وَالْوَاوُ**: زَائِدَةٌ، يَعْنِي: الكِتَابَ الْمُفَرِّقَ بَيْنَ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ، ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝٥٣ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ﴾: الَّذِينَ عَبَدُوا الْعِجْلَ: ﴿يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم﴾: ضَرَرْتُمْ بِأَنْفُسِكُمْ؛ ﴿بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ﴾: إِلَهًا، ﴿فَتُوبُوٓاْ﴾: فَارْجِعُوا، ﴿إِلَىٰ بَارِئِكُمْ﴾: خَالِقِكُمْ، ﴿فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ﴾: أَيِ: الْقَتْلُ، ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾: فَتَجَاوَزَ عَنكُمْ؛ ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ﴾: القَابِلُ التَّوبَةَ، ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾: بِخَلْقِهِ.

> ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ۝٥٥ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝٥٦ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾: مُعَايَنَةً، ﴿فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ﴾: أَيِ: الْمَوْتُ. **وَقِيلَ**: نَارٌ جَاءَتْ مِنَ السَّمَاءِ فَأَحْرَقَتْهُمْ ﴿وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾: أَيْ: يَنْظُرُ بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ حِينَ أَخَذَكُمُ الْمَوْتُ. **وَقِيلَ**: تَعْلَمُونَ. ﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم﴾: أَحْيَيْنَاكُمْ، **وَالْبَعْثُ**: إِثَارَةُ الشَّيْءِ عَنْ مَحَلِّهِ، يُقَالُ: بَعَثْتُ الْبَعِيرَ وَبَعَثْتُ النَّائِمَ فَانْبَعَثَ، ﴿مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ﴾: **قَالَ قَتَادَةُ**: أَحْيَاهُمُ اللهُ لِيَسْتَوْفُوا بَقِيَّةَ آجَالِهِمْ وَأَرْزَاقِهِمْ، وَلَوْ مَاتُوا بِآجَالِهِمْ لَمْ يُبْعَثُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ؛ ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝٥٦ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ﴾: فِي التِّيهِ يَقِيكُمْ حَرَّ الشَّمْسِ، **وَالْغَمَامُ**: مِنَ الْغَمِّ، **وَأَصْلُهُ**: التَّغْطِيَةُ وَالسَّتْرُ. **سُمِّيَ السَّحَابُ غَمَامًا**: لِأَنَّهُ يُغَطِّي وَجْهَ الشَّمْسِ، ﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ﴾: أَيْ: فِي التِّيهِ، الأَكْثَرُونَ عَلَى أَنَّ الْمَنَّ هُوَ التَّرَنْجَبِينُ، **قَالَ مُجَاهِدٌ**: هُوَ شَيْءٌ

كَالصَّمْغِ كَانَ يَقَعُ عَلَى الأَشْجَارِ طَعْمُهُ كَالشَّهْدِ، **وَقَالَ الزَّجَّاجُ**: المَنُّ مَا يَمُنُّ اللهُ بِهِ مِنْ غَيْرِ تَعَبٍ، **وَالسَّلْوَى**: هُوَ طَائِرٌ يُشْبِهُ السُّمَانَى، **وَقِيلَ**: هُوَ السُّمَانَى بِعَيْنِهِ.

عَنْ سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**الْكَمْأَةُ مِنَ المَنِّ وَمَاؤُهَا شِفَاءٌ لِلْعَيْنِ**»[1].

﴿كُلُوا﴾: أَيْ: وَقُلْنَا لَهُمْ كُلُوا ﴿مِن طَيِّبَٰتِ﴾: حَلَالَاتِ ﴿مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا﴾: أَيْ: وَمَا بَخَسُوا بِحَقِّنَا، ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾: بِاسْتِيجَابِهِمْ عَذَابِي.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَوْلَا بَنُو إِسْرَائِيلَ لَمْ يَخْبُثِ الطَّعَامُ وَلَمْ يَخْنَزِ اللَّحْمُ، وَلَوْلَا حَوَّاءُ لَمْ تَخُنْ أُنْثَى زَوْجَهَا الدَّهْرَ**»[2].

﴿وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ﴾: سُمِّيَتِ الْقَرْيَةُ قَرْيَةً: لِأَنَّهَا تَجْمَعُ أَهْلَهَا، وَمِنْهُ الْمِقْرَاةُ لِلْحَوْضِ؛ لِأَنَّهَا تَجْمَعُ المَاءَ، ﴿فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا﴾: مُوَسَّعًا عَلَيْكُمْ، ﴿وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ﴾: يَعْنِي: بَابًا مِنْ أَبْوَابِ الْقَرْيَةِ، ﴿سُجَّدًا﴾: أَيْ: رُكَّعًا خُضَّعًا مُنْحَنِينَ، ﴿وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ﴾: **قَالَ قَتَادَةُ**: حُطَّ عَنَّا خَطَايَانَا، أُمِرُوا بِالِاسْتِغْفَارِ. وَرَفَعَهَا عَلَى تَقْدِيرِ: قُولُوا مَسْأَلَتُنَا حِطَّةٌ ﴿نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ﴾: مِنَ الْغَفْرِ وَهُوَ السَّتْرُ، فَالَمغْفِرَةُ تَسْتُرُ الذُّنُوبَ. وَقَرَأَ نَافِعٌ بِالْيَاءِ وَضَمِّهَا وَفَتْحِ الْفَاءِ، وَقَرَأَهَا ابْنُ عَامِرٍ بِالتَّاءِ وَضَمِّهَا وَفَتْحِ الفَاءِ، ﴿وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾: ثَوَابًا مِنْ فَضْلِنَا، ﴿فَبَدَّلَ﴾: فَغَيَّرَ ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾: أَنْفُسَهُمْ، وَقَالُوا: ﴿قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ

(١) **صحيح**: البخاري: (٤٤٧٨)، ومسلم: (٢٠٤٩).

(٢) **صحيح**: البخاري: (٣٣٣٠)، ومسلم: (١٤٧٠)، واللفظُ لَهُ.

لَهُمْ ﴾: وَذَلِكَ أَنَّهُمْ بَدَّلُوا قَوْلَ الْحِطَّةِ بِالْحِنطَةِ؛ اسْتِخْفَافًا بِأَمْرِ اللهِ تَعَالَى. **وَقَالَ مُجَاهِدٌ**: طُؤْطِئَ لَهُمُ البَابُ لِيَخْفِضُوا رُؤُوسَهُمْ، فَأَبَوْا أَنْ يَدْخلوهَا سُجَّدًا، فَدَخَلُوا يَزْحُفُونَ عَلَى أَسْتَاهِهِمْ؛ مُخَالَفَةً فِي الْفِعْلِ.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**قِيلَ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ، فَبَدَّلُوا فَدَخَلُوا يَزْحُفُونَ عَلَى أَسْتَاهِهِمْ وَقَالُوا: حَبَّةٌ فِي شَعْرَةٍ**»[(١)].

﴿فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا﴾: عَذَابًا ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾: يَعْصُونَ وَيَخْرُجُونَ مِنْ أَمْرِ اللهِ تَعَالَى.

﴿۞ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾

﴿۞ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ﴾: أَيْ: اذْكُرْ حِينَ طَلَبَ مُوسَى لِقَوْمِهِ السُّقْيَا. **وَاخْتَلَفُوا فِي الحَجَرِ، قَالَ وَهْبٌ**: لَمْ يَكُنْ حَجَرًا مُعَيَّنًا، بَلْ كَانَ مُوسَى يَضْرِبُ أَيَّ حَجَرٍ كَانَ مِنْ عرضِ الْحِجَارَةِ فَيَنْفَجِرُ عُيُونًا، لِكُلِّ سِبْطٍ عَيْنٌ. **وَقَالَ الْآخَرُونَ**: كَانَ حَجَرًا مُعَيَّنًا بِدَلِيلِ أَنَّهُ عَرَّفَهُ بِالْأَلِفِ وَاللَّامِ ﴿فَٱنفَجَرَتْ﴾ أَيْ: فَضَرَبَ ﴿فَٱنفَجَرَتْ﴾: أَيْ: سَالَتْ، ﴿مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾: عَلَى عَدَدِ الْأَسْبَاطِ، ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ﴾: مَوْضِعَ شُرْبِهِمْ، لَا يُدْخِلُ سِبْطٌ عَلَى غَيْرِهِ فِي شُرْبِهِ، ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ﴾: أَيْ: وَقُلْنَا لَهُمْ: كُلُوا مِنَ الْمَنِّ وَالسَّلْوَى وَاشْرَبُوا مِنَ الْمَاءِ فَهَذَا كُلُّهُ مِنْ رِزْقِ اللهِ الَّذِي يَأْتِيكُمْ بِلَا مَشَقَّةٍ، ﴿وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾: **وَالعَثَى**: أَشَدُّ الْفَسَادِ، يُقَالُ: (عَثَى يَعْثِي عَثِيًّا)، وَ(عَثَا يَعْثُو عُثُوًّا)، وَ(عَاثَ يَعِيثُ عَيْثًا).

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟

(١) **صحيح**: البخاري: (٣٤٠٣)، ومسلم: (٣٠١٥).

مِصۡرٗا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلۡتُمۡۗ وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلۡمَسۡكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذۡ قُلۡتُمۡ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصۡبِرَ عَلَىٰ طَعَامٖ وَٰحِدٖ﴾: وَذَلِكَ أَنَّهُمْ أَجْمَعُوا وَسَئِمُوا مِنْ أَكْلِ المَنِّ وَالسَّلْوَى، وَإِنَّمَا قَالَ: عَلَى طَعَام واحِدٍ وَهُمَا اثْنَانِ؛ لِأَنَّ الْعَرَبَ تُعَبِّرُ عَنِ الِاثْنَيْنِ بِلَفْظِ الْوَاحِدِ كَمَا تُعَبِّرُ عَنِ الْوَاحِدِ بِلَفْظِ الِاثْنَيْنِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَخۡرُجُ مِنۡهُمَا ٱللُّؤۡلُؤُ وَٱلۡمَرۡجَانُ﴾[الرَّحمَن:٢٢]، وَإِنَّمَا يَخْرُجُ مِنْ المَالِحِ دُونَ الْعَذْبِ [فِي قَولٍ]، وَقِيلَ: كَانُوا يَأْكُلُونَ أَحَدَهُمَا بِالْآخَرِ فَكَانَا كَطَعَامٍ وَاحِدٍ، ﴿فَٱدۡعُ لَنَا﴾: فَاسْأَلْ لِأَجْلِنَا ﴿رَبَّكَ يُخۡرِجۡ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلۡأَرۡضُ مِنۢ بَقۡلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا﴾: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: الفُومُ: الْخُبْزُ، وَقَالَ عَطَاءٌ: الْحِنْطَةُ، وَقَالَ الْقُتَيْبِيُّ ﷺ: الْحُبُوبُ الَّتِي تُؤْكَلُ كُلُّهَا، وَقَالَ الْكَلْبِيُّ: الثُّومُ، ﴿وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَاۖ قَالَ﴾: لَهُمْ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿أَتَسۡتَبۡدِلُونَ ٱلَّذِي هُوَ أَدۡنَىٰ بِٱلَّذِي هُوَ خَيۡرٌۚ﴾: أَشْرَفُ وَأَفْضَلُ، ﴿ٱهۡبِطُواْ مِصۡرٗا﴾: يَعْنِي: فَإِنْ أَبَيْتُمْ إِلَّا ذَلِكَ فَانْزِلُوا مِصْرًا مِنَ الْأَمْصَارِ. وَقَالَ الضَّحَّاكُ: هُوَ مِصْرُ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ، وَالْأَوَّلُ أَصَحُّ، لِأَنَّهُ لَوْ أَرَادَهُ لَمْ يَصْرِفْهُ، ﴿فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلۡتُمۡۗ﴾: من نَبَاتِ الْأَرْضِ، ﴿وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ﴾: جُعِلَتْ عَلَيْهِمْ وَأُلْزِمُوا، ﴿ٱلذِّلَّةُ﴾: الذُّلُّ وَالْهَوَانُ، وَقِيلَ: الذِّلَّةُ: فَقْرُ الْقَلْبِ، فَلَا تَرَى فِي أَهْلِ الْمِلَلِ أَذَلَّ وَأَحْرَصَ عَلَى المَالِ مِنَ اليَهُودِ، ﴿وَٱلۡمَسۡكَنَةُ﴾: الْفَقْرُ، سُمِّيَ الْفَقِيرُ مِسْكِينًا: لِأَنَّ الْفَقْرَ أَسْكَنَهُ وَأَقْعَدَهُ عَنِ الْحَرَكَةِ، فَتَرَى الْيَهُودَ وَإِنْ كَانُوا مَيَاسِيرَ كَأَنَّهُمْ فُقَرَاءُ، ﴿وَبَآءُو بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِۗ﴾: رَجَعُوا، وَلَا يُقَالُ: بَاءُوا إِلَّا بِشَرٍّ، وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: احْتَمَلُوا وَأَقَرُّوا بِهِ، وَمِنْهُ الدُّعَاءُ: «أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ وَأَبُوءُ بِذَنْبِي»[(١)]، أَيْ: أُقِرُّ، ﴿ذَٰلِكَ﴾: أَيِ: الْغَضَبُ، ﴿بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۗ﴾: أَيْ: بِلَا جُرْمٍ، فَإِنْ قِيلَ: فَلِمَ قَالَ: ﴿بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۗ﴾، وَقَتْلُ النَّبِيِّينَ لَا يَكُونُ إِلَّا بِغَيْرِ الْحَقِّ؟ قِيلَ: ذَكَرَهُ وَصْفًا لِلْقَتْلِ، وَالْقَتْلُ تَارَةً يُوصَفُ بِالْحَقِّ، وَتَارَةً يُوصَفُ بِغَيْرِ

(١) **صحيح:** البخاري: (٦٣٠٦)، عن شدَّاد بن أَوْسٍ رضي الله عنه.

الْحَقِّ، وَهُوَ مِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ﴾[الأنبياء:١١٢]، ذِكْرُ الحَقِّ وَصْفٌ لِلْحُكْمِ، لَا أَنَّ حُكْمَهُ تَعَالَى يَنْقَسِمُ إِلَى: الْجَوْرِ وَالْحَقِّ، ﴿ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ﴾: يَتَجَاوَزُونَ أَمْرِي وَيَرْتَكِبُونَ مَحَارِمِي.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟﴾: يَعْنِي: الْيَهُودَ، **سُمُّوا بِهِ**؛ لِقَوْلِهِمْ: ﴿إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾[الأَعْرَاف:١٥٦]، أَيْ: مِلْنَا إِلَيْكَ، **وَقِيلَ**: لِأَنَّهُمْ هَادُوا، أَيْ: تَابُوا عَنْ عِبَادَةِ الْعِجْلِ، **وَقِيلَ**: لِأَنَّهُمْ مَالُوا عَنْ دِينِ الْإِسْلَامِ وَعَنْ دِينِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، **وَقَالَ أَبُو عَمْرِو بْنُ الْعَلَاءِ**: لِأَنَّهُمْ يَتَهَوَّدُونَ، أَيْ: يَتَحَرَّكُونَ عِنْدَ قِرَاءَةِ التَّوْرَاةِ، وَيَقُولُونَ: إِنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ تَحَرَّكَتْ حِينَ آتَى اللهُ مُوسَى التَّوْرَاةَ، ﴿وَٱلنَّصَٰرَىٰ﴾: **سُمُّوا بِذَلِكَ لِقَوْلِ الحَوَارِيِّينَ**: ﴿نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ﴾[آل عِمْرَان:٥٢]، ﴿وَٱلصَّٰبِـِٔينَ﴾: قَرَأَ أَهْلُ المَدِينَةِ: ﴿وَالصَّابِينَ﴾، ﴿وَالصَّابُونَ﴾، بِتَرْكِ الْهَمْزَةِ، وَالْبَاقُونَ بِالْهَمْزَةِ، **وَأَصْلُهُ**: الْخُرُوجُ، يُقَالُ: (صَبَأَ فُلَانٌ)، أَيْ: خَرَجَ مِنْ دِينٍ إِلَى دِينٍ آخَرَ، وَ(صَبَأَتِ النُّجُومُ)، إِذَا خَرَجَتْ مِنْ مَطَالِعِهَا، وَ(صَبَأَ نَابُ الْبَعِيرِ) إِذَا خَرَجَ، فَهَؤُلَاءِ سُمُّوا بِهِ لِخُرُوجِهِمْ مِنْ دِينٍ إِلَى دِينٍ، **قَالَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ وَابْنُ عَبَّاسٍ**: هُمْ قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ، ﴿مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾، **فَإِنْ قِيلَ**: كَيْفَ يَسْتَقِيمُ قَوْلُهُ: ﴿مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾ وَقَدْ ذَكَرَ فِي ابْتِدَاءِ الْآيَةِ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾؟ **قِيلَ**: اخْتَلَفُوا فِي حُكْمِ الْآيَةِ: **فَقَالَ بَعْضُهُمْ**: أَرَادَ بِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ عَلَى التَّحْقِيقِ، **ثُمَّ اخْتَلَفُوا فِي هَؤُلَاءِ الْمُؤْمِنِينَ، فَقَالَ قَوْمٌ**: هُمُ الَّذِينَ آمَنُوا قَبْلَ المَبْعَثِ، وَهُمْ طُلَّابُ الدِّينِ، مِثْلَ: حَبِيبِ النَّجَّارِ، وَقُسِّ بْنِ سَاعِدَةَ، وَزَيْدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ، وَوَرَقَةَ بْنِ نَوْفَلٍ، وَالْبَرَاءِ السِّنِّيِّ، وَأَبِي ذَرٍّ الْغِفَارِيِّ، وَسَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ، وَبَحِيرَا الرَّاهِبِ، وَوَفْدِ النَّجَاشِيِّ، فَمِنْهُمْ مَنْ أَدْرَكَ النَّبِيَّ ﷺ وَتَابَعَهُ،

وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ يُدْرِكْهُ، **وَقِيلَ**: هُمُ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ الْأُمَمِ المَاضِيَةِ، **وَقِيلَ**: هُمُ الْمُؤْمِنُونَ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ، ﴿وَٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾: الَّذِينَ كَانُوا عَلَى دِينِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَلَمْ يُبَدِّلُوا، ﴿وَٱلنَّصَـٰرَىٰ﴾: الَّذِينَ كَانُوا عَلَى دِينِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَلَمْ يُغَيِّرُوا وَمَاتُوا عَلَى ذَلِكَ، قَالُوا: وَهَذَانِ الِاسْمَانِ لَزِمَاهُمْ زَمَنَ مُوسَى وَعِيسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ حَيْثُ كَانُوا عَلَى الْحَقِّ كَالْإِسْلَامِ لِأُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، ﴿وَٱلصَّـٰبِـِٔينَ﴾: زَمَنَ اسْتِقَامَةِ أَمْرِهِمْ، ﴿مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ﴾، أي: مَاتَ مِنْهُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ؛ لِأَنَّ حَقِيقَةَ الإِيْمَانِ المُوَافَاةُ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْوَاوُ مُضْمَرًا، أَيْ: وَمَنْ آمَنَ بَعْدَكَ يَا مُحَمَّدُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ من هَذِهِ الْأَصْنَافِ بِالْقَلْبِ وَاللِّسَانِ، ﴿وَعَمِلَ صَـٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾: إنما ذُكِرَ بِلَفْظِ الْجَمْعِ؛ لِأَنَّ (مَنْ) يَصْلُحُ لِلْوَاحِدِ وَالِاثْنَيْنِ وَالْجَمْعِ وَالْمُذَكَّرِ وَالْمُؤَنَّثِ، ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾: فِي الدُّنْيَا، ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾: فِي الآخِرَةِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَـٰقَكُمْ﴾: عَهْدَكُمْ يَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ، ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ﴾: وَهُوَ الْجَبَلُ بِالسّرْيَانِيَّةِ فِي قَولِ بَعْضِهِمْ، **وَهُوَ قَوْلُ مُجَاهِدٍ**، [**وَقِيلَ**: هُوَ الجَبَلُ المَعرُوفُ]، ﴿خُذُواْ﴾: أَيْ: قُلْنَا لَهُمْ خُذُوا ﴿مَآ ءَاتَيْنَـٰكُم﴾: أَعْطَيْنَاكُمْ مِنَ التَّورَاةِ ﴿بِقُوَّةٍ﴾: بِجِدٍّ وَاجْتِهَادٍ وَمُوَاظَبَةٍ، ﴿وَٱذْكُرُواْ﴾: وَادْرُسُوا ﴿مَا فِيهِ﴾، **وَقِيلَ**: احْفَظُوا وَاعْمَلُوا بِهِ ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾: لِكَيْ تَنْجَوْا مِنَ الْهَلَاكِ فِي الدُّنْيَا وَالْعَذَابِ فِي الْعُقْبَى، ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُم﴾: أَعْرَضْتُمْ ﴿مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾: مِنْ بَعْدِ مَا قَبِلْتُمُ التَّوْرَاةَ، ﴿فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ﴾: يَعْنِي: بِالْإِمْهَالِ وَالْإِدْرَاجِ وَتَأْخِيرِ الْعَذَابِ عَنْكُمْ، ﴿لَكُنتُم﴾: لَصِرْتُمْ ﴿مِّنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾: مِنَ المَغْبُونِينَ بِالْعُقُوبَةِ وَذَهَابِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، **وَقِيلَ**: مِنَ الْمُعَذَّبِينَ فِي الْحَالِ؛ لِأَنَّهُ رَحِمَهُمْ بِالْإِمْهَالِ.

﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْاْ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَـٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾ فَجَعَلْنَـٰهَا نَكَـٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُواْ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَـٰهِلِينَ﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْاْ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ﴾: أَيْ: جَاوَزُوا الْحَدَّ،

وَأَصْلُ السَّبْتِ: الْقَطْعُ، **قِيلَ**: سُمِّيَ بِذَلِكَ؛ لِأَنَّ اللهَ تَعَالَى قَطَعَ فِيهِ الْخَلْقَ، **وَقِيلَ**: لِأَنَّ الْيَهُودَ أُمِرُوا فِيهِ بِقَطْعِ الأَعْمَالِ، ﴿فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً﴾: أَمْرُ تَحْوِيلٍ وَتَكْوِينٍ، ﴿خَاسِئِينَ﴾: مُبْعَدِينَ مَطْرُودِينَ، **قِيلَ**: فِيهِ تَقْدِيمٌ وَتَأْخِيرٌ، أَيْ: كُونُوا خَاسِئِينَ قِرَدَةً، وَلِذَلِكَ لَمْ يَقُلْ: (خَاسِئَاتٍ)، **وَالْخَسْأُ**: الطَّرْدُ وَالْإِبْعَادُ، وَهُوَ لَازِمٌ وَمُتَعَدٍّ، يُقَالُ: (خَسَأْتُهُ خَسْأً فَخَسَأَ خُسُوءًا)، مِثْل: (رَجَعْتُهُ رَجْعًا فَرَجَعَ رُجُوعًا)، ﴿فَجَعَلْنَاهَا﴾: أَيْ: جَعَلْنَا عُقُوبَتَهُمْ بِالْمَسْخِ ﴿نَكَالًا﴾: أَيْ: عُقُوبَةً وَعِبْرَةً، **وَالنَّكَالُ**: اسْمٌ لِكُلِّ عُقُوبَةٍ يُنَكَّلُ النَّاظِرُ مِنْ فِعْلِ مَا جُعِلَتِ الْعُقُوبَةُ جَزَاءً عَلَيْهِ، **وَمِنْهُ**: النُّكُولُ عَنِ الْيَمِينِ، وَهُوَ الِامْتِنَاعُ، **وَأَصْلُهُ**: مِنَ (النِّكْلِ) بِكَسْرِ النُّونِ وَهُوَ الْقَيْدُ، وَجَمْعُهُ يَكُونُ (أَنْكَالًا)، ﴿لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا﴾: **قَالَ قَتَادَةُ**: أَرَادَ بِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا، يَعْنِي: مَا سَبَقَتْ مِنَ الذُّنُوبِ، أَيْ: جَعَلْنَا تِلْكَ الْعُقُوبَةَ جَزَاءً لِمَا تَقَدَّمَ مِنْ ذُنُوبِهِمْ قَبْلَ نَهْيِهِمْ عَنْ أَخْذِ الصَّيْدِ، ﴿وَمَا خَلْفَهَا﴾: مَا حَضَرَ مِنَ الذُّنُوبِ الَّتِي أُخِذُوا بِهَا، وَهِيَ الْعِصْيَانُ بِأَخْذِ الْحِيتَانِ، **وَقَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ وَالرَّبِيعُ**: عُقُوبَةً لِمَا مَضَى مِنْ ذُنُوبِهِمْ وَعِبْرَةً لِمَنْ بَعْدَهُمْ أَنْ يَسْتَنُّوا بِسُنَّتِهِمْ، وَ(مَا) الثَّانِيَةُ بِمَعْنَى: (مَنْ)، **وَقِيلَ**: جَعَلْنَاهَا: أَيْ: جَعَلْنَا قَرْيَةَ أَصْحَابِ السَّبْتِ عِبْرَةً ﴿لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا﴾: أَيِ: الْقُرَى الَّتِي كَانَتْ مَبْنِيَّةً فِي الْحَالِ، ﴿وَمَا خَلْفَهَا﴾: وَمَا يَحْدُثُ مِنَ الْقُرَى مِنْ بَعْدُ لِيَتَّعِظُوا، **وَقِيلَ**: فِيهِ تَقْدِيمٌ وَتَأْخِيرٌ تَقْدِيرُهُ: فَجَعَلْنَاهَا وَمَا خَلْفَهَا، أَيْ: مَا أُعِدَّ لَهُمْ مِنَ الْعَذَابِ فِي الْآخِرَةِ، وَجَزَاءً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا، أَيْ: لِمَا تَقَدَّمَ مِنْ ذُنُوبِهِمْ بِاعْتِدَائِهِمْ فِي السَّبْتِ، ﴿وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ﴾: لِلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ فَلَا يَفْعَلُونَ مِثْلَ فِعْلِهِمْ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾: الْبَقَرَةُ هِيَ الْأُنْثَى مِنَ الْبَقَرِ، يُقَالُ: هِيَ مَأْخُوذَةٌ مِنَ الْبَقْرِ وَهِيَ الشَّقُّ، **سُمِّيَتْ بِهِ**: لِأَنَّهَا تَبْقُرُ الأَرْضَ، أَيْ: تَشُقُّهَا لِلْحِرَاثَةِ، ﴿قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا﴾: أَيْ: تَسْتَهْزِئُ بِنَا، نَحْنُ نَسْأَلُكَ عَنْ أَمْرِ الْقَتِيلِ وَتَأْمُرُنَا بِذَبْحِ الْبَقَرَةِ!! وَإِنَّمَا قَالُوا ذَلِكَ لِبُعْدِ مَا بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ فِي الظَّاهِرِ

وَلَمْ يَدْرُوا مَا الْحِكْمَةُ فِيهِ، قَرَأَ حَمْزَةُ: ﴿هُزُؤًا﴾، وَ﴿كُفُؤًا﴾ بِالتَّخْفِيفِ، وَقَرَأَ الآخَرُونَ بِالتَّثْقِيلِ، وَبِتَرْكِ الْهَمْزَةِ حَفْصٌ، ﴿قَالَ﴾: مُوسَى ﴿أَعُوذُ بِاللَّهِ﴾: أَمْتَنِعُ بِاللهِ ﴿أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾: أَيْ: مِنَ الْمُسْتَهْزِئِينَ بِالْمُؤْمِنِينَ، وَقِيلَ: مِنَ الْجَاهِلِينَ بِالْجَوَابِ لَا عَلَى وِفْقِ السُّؤَالِ؛ لِأَنَّ الْجَوَابَ لَا عَلَى وِفْقِ السُّؤَالِ جَهْلٌ، فَلَمَّا عَلِمَ الْقَوْمُ أَنَّ ذَبْحَ الْبَقَرَةِ عَزْمٌ مِنَ اللهِ ﷻ اسْتَوْصَفُوهَا، وَلَوْ أَنَّهُمْ عَمَدُوا إِلَى أَدْنَى بَقَرَةٍ فَذَبَحُوهَا لَأَجْزَأَتْ عَنْهُمْ، وَلَكِنَّهُمْ شَدَّدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ فَشَدَّدَ اللهُ عَلَيْهِمْ، وَكَانَتْ تَحْتَهُ حِكْمَةٌ.

﴿ قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانُۢ بَيْنَ ذَٰلِكَۖ فَٱفْعَلُواْ مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَاۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَۚ ﴾: أَيْ: مَا صِفَتُهَا، ﴿قَالَ﴾: مُوسَى ﴿إِنَّهُۥ يَقُولُ﴾: يَعْنِي: فَسَأَلَ اللهَ تَعَالَى، فَقَالَ: ﴿إِنَّهُۥ﴾: يَعْنِي: أَنَّ اللهَ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ﴾: أَيْ: لَا كَبِيرَةٌ وَلَا صَغِيرَةٌ، وَالْفَارِضُ: الْمُسِنَّةُ الَّتِي لَا تَلِدُ، يُقَالُ مِنْهُ: (فَرَضَتْ تَفْرِضُ فُرُوضًا)، وَالبِكْرُ: الفَتَاةُ الصَّغِيرَةُ الَّتِي لَمْ تَلِدْ قَطُّ، وَحُذِفَتِ الْهَاءُ مِنْهُمَا لِلاخْتِصَاصِ بِالْإِنَاثِ كَالْحَائِضِ، ﴿عَوَانُۢ﴾: وَسَطٌ نِصْفٌ ﴿بَيْنَ ذَٰلِكَۖ﴾: أَيْ: بَيْنَ السِّنِينَ، يُقَالُ: (عَوَّنَتِ الْمَرْأَةُ تَعْوِينًا) إِذَا زَادَتْ عَلَى الثَّلَاثِينَ، قَالَ الْأَخْفَشُ: الْعَوَانُ: الَّتِي لَمْ تَلِدْ قَطُّ، وَقِيلَ: الْعَوَانُ الَّتِي نَتَجَتْ مِرَارًا، وَجَمْعُهَا: (عُونٌ)، ﴿فَٱفْعَلُواْ مَا تُؤْمَرُونَ﴾: مِنْ ذَبْحِ الْبَقَرَةِ وَلَا تُكْثِرُوا السُّؤَالَ، ﴿قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَاۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا﴾: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: شَدِيدَةُ الصُّفْرَةِ، ﴿تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ﴾: إِلَيْهَا، يُعْجِبُهُمْ حُسْنُهَا وَصَفَاءُ لَوْنِهَا.

﴿قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَاۚ قَالُواْ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّۚ

فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَءْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِ اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾

﴿قَالُواْ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ﴾: أَسَائِمَةٌ أَمْ عَامِلَةٌ؟ ﴿إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا﴾: وَلَمْ يَقُلْ تَشَابَهَتْ لِتَذْكِيرِ لَفْظِ الْبَقَرِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ﴾[الْقَمَر:٢٠]، ﴿وَإِنَّآ إِن شَآءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾: إِلَى وَصْفِهَا، ﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ﴾: مُذَلَّلَةٌ بِالْعَمَلِ، يُقَالُ: (رَجُلٌ ذَلُولٌ بَيِّنُ الذُّلِّ)، وَ(دَابَّةٌ ذَلُولَةٌ بَيِّنَةُ الذُّلِّ)، ﴿تُثِيرُ الْأَرْضَ﴾: تُقَلِّبُهَا لِلزِّرَاعَةِ، ﴿وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ﴾: أَيْ: لَيْسَتْ بِسَاقِيَةٍ، ﴿مُسَلَّمَةٌ﴾: بَرِيئَةٌ مِنَ الْعُيُوبِ، ﴿لَّا شِيَةَ فِيهَا﴾: لَا لَوْنَ لَهَا سِوَى لَوْنِ جَمِيعِ جِلْدِهَا. **قَالَ عَطَاءُ**: لَا عَيْبَ فِيهَا. **قال مُجَاهِدٌ**: لَا بَيَاضَ فِيهَا وَلَا سَوَادَ. ﴿قَالُواْ الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ﴾: أَيْ: بِالْبَيَانِ التَّامِّ الشَّافِي الَّذِي لَا إِشْكَالَ فِيهِ، ﴿فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ﴾: مِنْ غَلَاءِ ثَمَنِهَا، **وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ**: وَمَا كَادُوا يَجِدُونَهَا بِاجْتِمَاعِ أَوْصَافِهَا. **وَقِيلَ**: وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ مِنْ شِدَّةِ اضْطِرَابِهِمْ وَاخْتِلَافِهِمْ فِيهَا.

قَوْلُهُ ﷻ: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا﴾: هَذَا أَوَّلُ الْقِصَّةِ، وَإِنْ كَانَ مُؤَخَّرًا فِي التِّلَاوَةِ، ﴿فَادَّارَءْتُمْ فِيهَا﴾: أَصْلُهُ: (تَدَارَأْتُمْ)، فَأُدْغِمَتِ التَّاءُ فِي الدَّالِ وَأُدْخِلَتِ الْأَلْفُ، مِثْلَ قَوْلِهِ: ﴿اثَّاقَلْتُمْ﴾[التَّوبَة:٣٨]. **قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٌ**: مَعْنَاهُ: فَاخْتَلَفْتُمْ، ﴿وَاللَّهُ مُخْرِجٌ﴾: أَيْ: مُظْهِرٌ ﴿مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾: فَإِنَّ الْقَاتِلَ كَانَ يَكْتُمُ القَتْلَ، ﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ﴾: يَعْنِي: الْقَتِيلَ، ﴿بِبَعْضِهَا﴾: أَيْ: بِبَعْضِ الْبَقَرَةِ، وَفِيْهِ إِضْمَارٌ تَقْدِيرُهُ: فَضُرِبَ فَحُيِيَ، ﴿كَذَلِكَ يُحْيِ اللَّهُ الْمَوْتَى﴾: كَمَا أَحْيَا المَقْتُولَ، ﴿وَيُرِيكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾: **قِيلَ**: تَمْنَعُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنَ المَعَاصِي.

أَمَّا حُكْمُ هَذِهِ المَسْأَلَةِ فِي الإِسْلَامِ: إِذَا وُجِدَ فِي الإِسْلَامِ قَتِيلٌ فِي مَوْضِعٍ وَلَا يُعْرَفُ قَاتِلُهُ، فَإِنْ كَانَ ثَمَّ لَوْثٌ عَلَى إِنْسَانٍ، -**وَاللَّوْثُ**: أَنْ يَغْلِبَ عَلَى الْقَلْبِ صِدْقُ

الْمُدَّعِي بِأَنِ اجْتَمَعَ جَمَاعَةٌ فِي بَيْتٍ أَوْ صَحْرَاءَ فَتَفَرَّقُوا عَنْ قَتِيلٍ يَغْلِبُ عَلَى الْقَلْبِ أَنَّ الْقَاتِلَ فِيهِمْ، أَوْ وُجِدَ قَتِيلٌ فِي مَحَلَّةٍ أَوْ قَرْيَةٍ كُلُّهُمْ أَعْدَاءٌ لِلْقَتِيلِ لَا يُخَالِطُهُمْ غَيْرُهُمْ فَيَغْلِبُ عَلَى الْقَلْبِ أَنَّهُمْ قَتَلُوهُ- فَادَّعَى الْوَلِيُّ عَلَى بَعْضِهِمْ، يَحْلِفُ الْمُدَّعِي خَمْسِينَ يَمِينًا عَلَى مَنْ يَدَّعِي عَلَيْهِ، وَإِنْ كَانَ الْأَوْلِيَاءُ جَمَاعَةً تُوَزَّعُ الأَيْمَانُ عَلَيْهِمْ، ثُمَّ بَعْدَ مَا حَلَفُوا أَخَذُوا الدِّيَةَ مِنْ عَاقِلَةِ الْمُدَّعَى عَلَيْهِ إِنِ ادَّعَوْا قَتْلَ خَطَأٍ أَوْ شِبْهَ عَمْدٍ، وَإِنِ ادَّعَوْا قَتْلَ عَمْدٍ فَمِنْ مَالِهِ، وَلَا قَوَدَ عَلَى قَوْلِ الْأَكْثَرِينَ، وَذَهَبَ بَعْضُهُمْ إِلَى وُجُوبِ الْقَوَدِ وَهُوَ قَوْلُ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ، وَبِهِ قَالَ مَالِكٌ وَأَحْمَدُ. وَإِنْ لَمْ يَكُنْ عَلَى الْمُدَّعَى عَلَيْهِ لَوْثٌ، فَالْقَوْلُ قَوْلُ الْمُدَّعَى عَلَيْهِ مَعَ يَمِينِهِ، ثُمَّ هَلْ يَحْلِفُ يَمِينًا وَاحِدَةً أَمْ خَمْسِينَ يَمِينًا؟ فِيهِ قَوْلَانِ: أَحَدُهُمَا: يَمِينًا وَاحِدَةً كَمَا فِي سَائِرِ الدَّعَاوَى، وَالثَّانِي: يَحْلِفُ خَمْسِينَ يَمِينًا تَغْلِيظًا لِأَمْرِ الدَّمِ، وَعِنْدَ أَبِي حَنِيفَةَ رضي الله عنه لَا حُكْمَ لِلَّوْثِ، وَلَا يُبْدَأُ بِيَمِينِ الْمُدَّعِي، وَقَالَ: إِذَا وُجِدَ قَتِيلٌ فِي مَحَلَّةٍ يَخْتَارُ الْإِمَامُ خَمْسِينَ رَجُلًا مِنْ صُلَحَاءِ أَهْلِهَا فَيُحَلِّفُهُمْ أَنَّهُمْ مَا قَتَلُوهُ وَلَا عَرَفُوا لَهُ قَاتِلًا، ثُمَّ يَأْخُذُ الدِّيَةَ مِنْ سُكَّانِهَا، وَالدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ الْبِدَايَةَ بِيَمِينِ الْمُدَّعِي عِنْدَ وُجُودِ اللَّوْثِ: أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ سَهْلٍ وَمُحَيِّصَةَ بْنَ مَسْعُودٍ خَرَجَا إِلَى خَيْبَرَ فَتَفَرَّقَا لِحَاجَتِهِمَا، فَقُتِلَ عَبْدُ اللهِ بْنُ سَهْلٍ، فَانْطَلَقَ هُوَ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ أَخُو الْمَقْتُولِ وَحُوَيِّصَةُ بْنُ مَسْعُودٍ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَذَكَرُوا لَهُ قَتْلَ عَبْدِ اللهِ بْنِ سَهْلٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**تَحْلِفُونَ خَمْسِينَ يَمِينًا وَتَسْتَحِقُّونَ دَمَ صَاحِبِكُمْ أَوْ قَاتِلِكُمْ**»، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ لَمْ نَشْهَدْ وَلَمْ نَحْضُرْ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**فَتُبَرِّئُكُمْ يَهُودُ بِخَمْسِينَ يَمِينًا**»، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ فَكَيْفَ نَقْبَلُ أَيْمَانَ قَوْمٍ كُفَّارٍ؟ فَعَزَمَ النَّبِيُّ ﷺ عَقْلَهُ مِنْ عِنْدِهِ، وَفِي لَفْظٍ آخَرَ: فَزَعَمَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ عَقَلَهُ مِنْ عِنْدِهِ، قَالَ بَشِيرُ بْنُ يَسَارٍ: قَالَ سَهْلٌ: لَقَدْ رَكَضَتْنِي فَرِيضَةٌ مِنْ تِلْكَ الْفَرَائِضِ فِي مِرْبَدٍ لَنَا، وَفِي رِوَايَةٍ: لَقَدْ رَكَضَتْنِي نَاقَةٌ حَمْرَاءُ مِنْ تِلْكَ الْفَرَائِضِ فِي مِرْبَدٍ لَنَا. أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُثَنَّى عَنْ عَبْدِ الْوَهَّابِ[1].

---

(١) **صحيح:** البخاري: (٧١٩٢)، ومسلم: (١٦٦٩)، عن سهل بن أبي حتمة رضي الله عنه.

وَجْهُ الدَّلِيلِ مِنَ الْخَبَرِ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَدَأَ بِأَيْمَانِ الْمُدَّعِينَ لِيَقْوَى جَانِبُهُمْ بِاللَّوْثِ، وَهُوَ أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ سَهْلٍ وُجِدَ قَتِيلًا فِي خَيْبَرَ، وَكَانَتِ الْعَدَاوَةُ ظَاهِرَةً بَيْنَ الأَنْصَارِ وَأَهْلِ خَيْبَرَ، فَكَانَ يَغْلِبُ عَلَى الظَّنِّ أَنَّهُمْ قَتَلُوهُ، وَالْيَمِينُ أَبَدًا تَكُونُ حُجَّةً لِمَنْ يَقْوَى جَانِبُهُ، وَعِنْدَ عَدَمِ اللَّوْثِ يَقْوَى جَانِبُ الْمُدَّعَى عَلَيْهِ مِنْ حَيْثُ أَنَّ الأَصْلَ بَرَاءَةُ ذِمَّتِهِ، فَكَانَ القَوْلُ قَوْلَهُ مَعَ يَمِينِهِ.

﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم﴾: يَبِسَتْ وَجَفَّتْ، **وَجَفَافُ الْقَلْبِ**: خُرُوجُ الرَّحْمَةِ وَاللِّينِ عَنْهُ. **وَقِيلَ**: غَلُظَتْ. **وَقِيلَ**: اسْوَدَّتْ. ﴿مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾: مِنْ بَعْدِ ظُهُورِ الدَّلَالَاتِ، ﴿فَهِيَ﴾: فِي الْغِلْظَةِ وَالشِّدَّةِ ﴿كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾: **قِيلَ**: (أَوْ) بِمَعْنَى: (الوَاوِ) كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾[الصَّافَّات:١٤٧]، أَيْ: (بَلْ يَزِيدُونَ)، أَوْ (وَيَزِيدُونَ)، وَإِنَّمَا لَمْ يُشَبِّهْهَا بِالْحَدِيدِ مَعَ أَنَّهُ أَصْلَبُ مِنَ الْحِجَارَةِ؛ لِأَنَّ الْحَدِيدَ قَابِلٌ لِلِّينِ، فَإِنَّهُ يَلِينُ بِالنَّارِ، وَقَدْ لَانَ لِدَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَالْحِجَارَةُ لَا تَلِينُ قَطُّ. ثُمَّ فَضَّلَ الْحِجَارَةَ عَلَى الْقَلْبِ الْقَاسِي فَقَالَ: ﴿وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ﴾: يَعْنِي: بَعْضَ الحِجَارَةِ. **وَقِيلَ**: أَرَادَ بِهِ جَمِيعَ الْحِجَارَةِ، ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ﴾: أَرَادَ بِهِ عُيُونًا دُونَ الأَنْهَارِ، ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ﴾: يَنْزِلُ مِنْ أَعْلَى الْجَبَلِ إِلَى أَسْفَلِهِ؛ ﴿مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾: وَقُلُوبُكُمْ لَا تَلِينُ وَلَا تَخْشَعُ يَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ، **فَإِنْ قِيلَ**: الْحَجَرُ جَمَادٌ لَا يَفْهَمُ فَكَيْفَ يَخْشَى؟ **قِيلَ**: اللهُ يُفْهِمُهُ وَيُلْهِمُهُ فَيَخْشَى بِإِلْهَامِهِ، وَمَذْهَبُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ أَنَّ للهِ تَعَالَى عِلْمًا فِي الْجَمَادَاتِ وَسَائِرِ الْحَيَوَانَاتِ -سِوَى العُقَلَاءِ- لَا يَقِفُ عَلَيْهِ غَيْرُهُ، فَلَهَا صَلَاةٌ وَتَسْبِيحٌ وَخَشْيَةٌ، كَمَا قَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾[الإِسْرَاء:٤٤]، وَقَالَ: ﴿وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ﴾[النُّور: ٤١]،

وَقَالَ: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسۡجُدُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ﴾[الحج:١٨] الْآيَةَ، فَيَجِبُ عَلَى الْمَرْءِ الْإِيمَانُ بِهِ، وَيَكِلُ عِلْمَهُ إِلَى اللهِ ﷻ.

عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنِّي لَأَعْرِفُ حَجَرًا بِمَكَّةَ كَانَ يُسَلِّمُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُبْعَثَ، وَإِنِّي لَأَعْرِفُهُ الْآنَ»(١).

وَعَنْ أَنَسٍ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ طَلَعَ عَلَى أُحُدٍ، فَقَالَ: «هَذَا جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ»(٢).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ يَقُولُ: صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ الصُّبْحَ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ بِوَجْهِهِ وَقَالَ: «بَيْنَمَا رَجُلٌ يَسُوقُ بَقَرَةً إِذْ عَيِيَ فَرَكِبَهَا فَضَرَبَهَا، فَقَالَتْ: إِنَّا لَمْ نُخْلَقْ لِهَذَا، إِنَّمَا خُلِقْنَا لِحِرَاثَةِ الْأَرْضِ»، فَقَالَ النَّاسُ: سُبْحَانَ اللهِ! بَقَرَةٌ تَتَكَلَّمُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «فَإِنِّي أُومِنُ بِهِ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ» وَمَا هُمَا ثَمَّ(٣)، وَقَالَ: «بَيْنَمَا رَجُلٌ فِي غَنَمٍ لَهُ إِذْ عَدَا الذِّئْبُ عَلَى شَاةٍ مِنْهَا، فَأَدْرَكَهَا صَاحِبُهَا فَاسْتَنْقَذَهَا، فَقَالَ الذِّئْبُ: فَمَنْ لَهَا يَوْمَ السَّبُعِ، -أَيْ: يَوْمَ الْقِيَامَةِ(٤)- يَوْمَ لَا رَاعِيَ لَهَا غَيْرِي؟» فَقَالَ النَّاسُ: سُبْحَانَ اللهِ! ذِئْبٌ يَتَكَلَّمُ؟ فَقَالَ: «أُومِنُ بِهِ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ» وَمَا هُمَا ثَمَّ(٥).

وَعَنْهُ ﷺ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى حِرَاءَ هُوَ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ وَعَلِيٌّ وَطَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ، فَتَحَرَّكَتِ الصَّخْرَةُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «اهْدَأْ -أَيِ: اسْكُنْ- فَمَا عَلَيْكَ إِلَّا نَبِيٌّ أَوْ صِدِّيقٌ أَوْ شَهِيدٌ»(٦).

---

(١) **صحيح:** مسلم: (٢٢٧٧).

(٢) **صحيح:** البخاري: (٢٨٨٩)، ومسلم: (١٣٦٥).

(٣) قال الحافظ رَحِمَهُ اللهُ في «الفتح» (٦/ ٥١٨): **قَوْلُهُ: «وَمَا هُمَا ثَمَّ»**: بفتح المثلَّثة، أي: لَيسَا حَاضِرَينِ، وهو من كلامِ الرَّاوِي.اهـ

(٤) وقيل: وقت الفتن، وهو الصواب.

(٥) **صحيح:** البخاري: (٣٤٧١)، ومسلم: (٢٣٨٨).

(٦) **صحيح:** مسلم: (٢٤١٧).

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنهما قَالَ: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا خَطَبَ اسْتَنَدَ إِلَى جِذْعِ نَخْلَةٍ مِنْ سَوَارِي المَسْجِدِ، فَلَمَّا صُنِعَ لَهُ المِنْبَرُ فَاسْتَوَى عَلَيْهِ اضْطَرَبَتْ تِلْكَ السَّارِيَةُ، وَحَنَّتْ كَحَنِينِ النَّاقَةِ حَتَّى سَمِعَهَا أَهْلُ المَسْجِدِ حَتَّى نَزَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَاعْتَنَقَهَا فَسَكَنَتْ»(١).

قَوْلُهُ ﷻ: ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ﴾: بِسَاهٍ ﴿عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾: وَعِيدٌ وَتَهْدِيدٌ. وَقِيلَ: بِتَارِكِ عُقُوبَةِ مَا تَعْمَلُونَ، بَلْ يُجَازِيكُمْ بِهِ. قَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ: ﴿يَعۡمَلُونَ﴾ بِاليَاءِ، وَالآخَرُونَ بِالتَّاءِ.

﴿ ۞ أَفَتَطۡمَعُونَ أَن يُؤۡمِنُواْ لَكُمۡ وَقَدۡ كَانَ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ يَسۡمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعۡدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ٧٥ وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ قَالُوٓاْ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمۡۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٧٦ أَوَلَا يَعۡلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَ ٧٧ وَمِنۡهُمۡ أُمِّيُّونَ لَا يَعۡلَمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَظُنُّونَ ٧٨ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ يَكۡتُبُونَ ٱلۡكِتَٰبَ بِأَيۡدِيهِمۡ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشۡتَرُواْ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلٗاۖ فَوَيۡلٞ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَوَيۡلٞ لَّهُم مِّمَّا يَكۡسِبُونَ ﴾

قَوْلُهُ ﷻ: ﴿أَفَتَطۡمَعُونَ﴾: أَفَتَرْجُونَ؟ ﴿أَن يُؤۡمِنُواْ لَكُمۡ﴾: تُصَدِّقُكُم اليَهُودُ بِمَا تُخْبِرُونَهُمْ بِهِ؟ ﴿وَقَدۡ كَانَ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ يَسۡمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾: يَعْنِي: التَّوْرَاةَ ﴿ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ﴾: يُغَيِّرُونَ مَا فِيهَا مِنَ الأَحْكَامِ ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا عَقَلُوهُ﴾: عَلِمُوهُ، كَمَا غَيَّرُوا صِفَةَ مُحَمَّدٍ ﷺ وَآيَةَ الرَّجْمِ، ﴿وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾: أَنَّهُمْ كَاذِبُونَ.

قَوْلُهُ ﷻ: ﴿وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَالحَسَنُ وَقَتَادَةُ: يَعْنِي: مُنَافِقِي اليَهُودِ الَّذِينَ آمَنُوا بِأَلْسِنَتِهِمْ إِذَا لَقُوا المُؤْمِنِينَ المُخْلِصِينَ، ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا﴾: كَإِيمَانِكُمْ ﴿وَإِذَا خَلَا﴾: أَيْ: رَجَعَ ﴿بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ﴾: كَعْبُ بْنُ الأَشْرَفِ وَكَعْبُ بْنُ أَسَدٍ وَوَهْبُ بْنُ يَهُودَا، أَوْ غَيْرُهُمْ مِنْ رُؤَسَاءِ اليَهُودِ، لِأَمْرِهِمْ عَلَى ذَلِكَ، ﴿قَالُوٓاْ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ﴾: بِمَا قَصَّ اللهُ عَلَيْكُمْ فِي كِتَابِكُمْ أَنَّ مُحَمَّدًا حَقٌّ وَقَوْلَهُ

(١) **صحيح:** البخاري: (٣٥٨٥).

صِدْقٌ، وَالْفَتَّاحُ: الْقَاضِي. وَقَالَ الكِسَائِيُّ: بِمَا بَيَّنَهُ لَكُمْ مِنَ العِلْمِ بِصِفَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَنَعْتِهِ، وَقَالَ الْوَاقِدِيُّ: بِمَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَيْكُمْ وَأَعْطَاكُمْ، وَنَظِيرُهُ: ﴿لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾[الأعراف:٩٦]، أَيْ: أَنْزَلْنَا، وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: بِمَا مَنَّ اللهُ عَلَيْكُمْ وَأَعْطَاكُمْ؛ ﴿لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ﴾: لِيُخَاصِمُوكُمْ بِهِ، يَعْنِي: أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ ﷺ وَيَحْتَجُّوا بِقَوْلِكُمْ عَلَيْكُمْ، فَيَقُولُوا: قَدْ أَقْرَرْتُمْ أَنَّهُ نَبِيٌّ حَقٌّ فِي كِتَابِكُمْ، ثُمَّ لَا تَتَّبِعُونَهُ؟! ﴿عِندَ رَبِّكُمْۚ﴾: فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ﴾: يُخْفُونَ ﴿وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ يُبْدُونَ؛ يَعْنِي: اليَهُود، ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ﴾: أَيْ: مِنَ الْيَهُودِ أُمِّيُّونَ لَا يُحْسِنُونَ الْقِرَاءَةَ وَالْكِتَابَةَ جَمْعُ (أُمِّيٍّ)، مَنْسُوبٌ إِلَى الْأُمِّ، كَأَنَّهُ بَاقٍ عَلَى مَا انْفَصَلَ مِنَ الْأُمِّ لَمْ يَتَعَلَّمْ كِتَابَةً وَلَا قِرَاءَةً. وَرُوِيَ عَنِ الرَّسُولِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّا أُمَّةٌ أُمِّيَّةٌ لَا نَكْتُبُ وَلَا نَحْسِبُ»[1].

﴿لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ﴾: قَرَأَ أَبُو جَعْفَرٍ: ﴿أَمَانِي﴾ بِتَخْفِيفِ الْيَاءِ كُلَّ الْقُرْآنِ، حَذَفَ إِحْدَى الْيَاءَيْنِ تَخْفِيفًا، وَقِرَاءَةُ العَامَّةِ بِالتَّشْدِيدِ، وَهُوَ جَمْعُ (أُمْنِيَّةٍ)، وَهِيَ: التِّلَاوَةُ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ﴾[الحج:٥٢]، أَيْ: فِي قِرَاءَتِهِ، قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: إِلَّا تِلَاوَةً وَقِرَاءَةً عَنْ ظَهْرِ القَلْبِ، لَا يَقْرَؤُونَهُ مِنْ كِتَابٍ، وَقِيلَ: يَعْلَمُونَهُ حِفْظًا وَقِرَاءَةً لَا يَعْرِفُونَ مَعْنَاهُ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: يَعْنِي غَيْرَ عَارِفِينَ بِمَعَانِي الْكِتَابِ، وَقَالَ مُجَاهِدٌ وَقَتَادَةُ: إِلَّا كَذِبًا وَبَاطِلًا، قَالَ الْفَرَّاءُ: الْأَمَانِيُّ: الْأَحَادِيثُ الْمُفْتَعَلَةُ، قَالَ عُثْمَانُ رضي الله عنه: مَا تَمَنَّيْتُ مُنْذُ أَسْلَمْتُ، أَيْ: مَا كَذَبْتُ، وَأَرَادَ بِهَا الْأَشْيَاءَ الَّتِي كَتَبَهَا عُلَمَاؤُهُمْ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ، ثُمَّ أَضَافُوهَا إِلَى اللهِ مِنْ تَغْيِيرِ نَعْتِ النَّبِيِّ ﷺ وَغَيْرِهِ، وَقَالَ الحَسَنُ وَأَبُو الْعَالِيَةِ: هِيَ مِنَ التَّمَنِّي، وَهِيَ أَمَانِيُّهُم البَاطِلَةُ الَّتِي يَتَمَنَّوْنَهَا عَلَى اللهِ ﷻ، مِثْلَ قَوْلِهِمْ: ﴿لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰۗ﴾[الْبَقَرَة:١١١]، وَقَوْلِهِمْ: ﴿لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةًۚ﴾[الْبَقَرَة:٨٠]، وَقَوْلِهِم: ﴿نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟

---

(١) **صحيح:** البخاري: (١٩١٣)، ومسلم: (١٠٨٠)، عن عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما.

ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥۚ ﴾[المَائِدَة:١٨]، فَعَلَى هَذَا (إِلَّا) بِمَعْنَى (لَكِنْ)، أَيْ: لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ لَكِنْ يَتَمَنَّوْنَ أَشْيَاءَ لَا تَحْصُلُ لَهُمْ، ﴿وَإِنْ هُمْ﴾: وَمَا هم ﴿إِلَّا يَظُنُّونَ﴾: يعني: وَمَا هُمْ إِلَّا يَظُنُّون ظَنًّا وَتوَهُّمًا لَا يَقِينًا، **قَالَهُ قَتَادَةُ وَالرَّبِيعُ، وَقَالَ مُجَاهِدٌ**: يَكْذِبُونَ.

قَوْلُهُ ﷻ: ﴿فَوَيْلٌ﴾: **قَالَ الزَّجَّاجُ**: (وَيْلٌ) كَلِمَةٌ تَقُولُهَا العَرَبُ لِكُلِّ وَاقِعٍ فِي هَلَكَةٍ، **وَقِيلَ**: هُوَ دُعَاءُ الْكُفَّارِ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْوَيْلِ وَالثُّبُور، **وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ**: شِدَّةُ الْعَذَابِ ﴿لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًاۖ﴾: وَذَلِكَ أَنَّ أَحْبَارَ اليَهُودِ خَافُوا ذَهَابَ مَأْكَلِهِمْ وَزَوَالَ رِيَاسَتِهِمْ حِينَ قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ المَدِينَةَ، فَاحْتَالُوا فِي تَعْوِيقِ الْيَهُودِ عَنِ الْإِيمَانِ بِهِ، فَعَمَدُوا إِلَى صِفَتِهِ فِي التَّوْرَاةِ فَغَيَّرُوهَا، فَإِذَا سَأَلَهُمْ سَفِلَتُهُمْ عَنْ صِفَتِهِ قَرَؤُوا مَا كَتَبُوا فَيَجِدُونَهُ مُخَالِفًا لِصِفَتِهِ فَيُكَذِّبُونَهُ وَيُنْكِرُونَهُ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ﴾: يَعْنِي: مَا كَتَبُوا بِأَنْفُسِهِمُ اخْتِرَاعًا مِنْ تَغْيِيرِ نَعْتِهِ ﷺ، ﴿وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾: مِنَ المَآكِلِ، **وَيُقَالُ**: مِنَ المَعَاصِي(١).

﴿وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةًۚ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ﴾

﴿وَقَالُوا۟﴾: يَعْنِي: الْيَهُود ﴿لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ﴾: لَنْ تُصِيبَنَا النَّارُ ﴿إِلَّآ أَيَّامًا

---

(١) قال العلَّامة مُقبلُ بنُ هَادِي الوادِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه «الصَّحيحُ المسندُ مِن أسبابِ النُّزولِ» صـ(١٩) ط: (دار الآثار): **قال الإمامُ البُخَاريُّ** رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابِهِ «خَلقُ أفعالِ العِبادِ» صـ(٥٤): حدَّثنا يحيى، ثنا وكيعٌ عن سفيانَ عن عبدِ الرحمنِ بنِ علقمةَ **عن ابنِ عبَّاسٍ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ﴾: قال نزلت في أهلِ الكِتاب.اهـ

﴿مَّعۡدُودَةٗۚ﴾: قَدْرًا مُقَدَّرًا ثُمَّ يَزُولُ عَنَّا الْعَذَابُ وَيَعْقُبُهُ النَّعِيمُ، ﴿قُلۡ﴾: يَا مُحَمَّدُ ﴿أَتَّخَذۡتُمۡ﴾: أَلِفُ اسْتِفْهَامٍ دَخَلَتْ عَلَى أَلِفِ الوَصْلِ، ﴿عِندَ ٱللَّهِ عَهۡدٗا﴾: مُوَثَّقًا أَنْ لَا يُعَذِّبَكُمْ إِلَّا هَذِهِ المُدَّةَ، ﴿فَلَن يُخۡلِفَ ٱللَّهُ عَهۡدَهُۥٓۖ﴾: وَوَعْدَهُ، وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: عَهْدًا بِالتَّوْحِيدِ، يَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحۡمَٰنِ عَهۡدٗا﴾[مَرْيَم:٨٧]، يَعْنِي: قَوْلُ: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ)، ﴿أَمۡ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٨٠ بَلَىٰ﴾: وَ(بَلْ)، وَ(بَلَى): حَرْفَا اسْتِدْرَاكٍ، وَمَعْنَاهُمَا نَفْيُ الْخَبَرِ المَاضِي وَإِثْبَاتُ الْخَبَرِ المُسْتَقْبَلِ، ﴿مَن كَسَبَ سَيِّئَةٗ﴾: يَعْنِي: الشِّرْك، ﴿وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾: قَرَأَ أَهْلُ المَدِينَةِ: ﴿خَطِيئَاتُهُ﴾ بِالْجَمْعِ، **وَالْإِحَاطَةُ**: الْإِحْدَاقُ بِالشَّيْءِ مِنْ جَمِيعِ نَوَاحِيهِ، **قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَعَطَاءٌ وَالضَّحَّاكُ وَأَبُو الْعَالِيَةِ وَالرَّبِيعُ وَجَمَاعَةٌ**: هِيَ الشِّرْكُ يَمُوتُ عَلَيْهِ، ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٨١ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾: فِي التَّوْرَاةِ، **وَالْمِيثَاقُ**: الْعَهْدُ الشَّدِيدُ، ﴿لَا تَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾: قَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ وَحَمْزَةُ وَالكِسَائِيُّ: ﴿لَا يَعْبُدُونَ﴾ بِاليَاءِ، وَقَرَأَ الآخَرُونَ بِالتَّاءِ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا﴾[البقرة:٨٣]، مَعْنَاهُ: أَلَّا تَعْبُدُوا، فَلَمَّا حُذِفَ (أَنْ) صَارَ الْفِعْلُ مَرْفُوعًا، وَقَرَأَ أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ: ﴿لَا تَعْبُدُوا﴾ عَلَى النَّهْيِ، ﴿وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَانٗا﴾: أَيْ: وَوَصَّيْنَاهُمْ بِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا، بِرًّا بِهِمَا وَعَطْفًا عَلَيْهِمَا وَنُزُولًا عِنْدَ أَمْرِهِمَا فِيمَا لَا يُخَالِفُ أَمْرَ اللهِ تَعَالَى، ﴿وَذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾: أَيْ: وَبِذِي الْقَرَابَةِ، **وَالْقُرْبَى**: مَصْدَرٌ كَ(الْحُسْنَى)، ﴿وَٱلۡيَتَٰمَىٰ﴾: جَمْعُ (يَتِيمٍ)، وَهُوَ الطِّفْلُ الَّذِي لَا أَبَ لَهُ، ﴿وَٱلۡمَسَٰكِينِ﴾: يَعْنِي: الْفُقَرَاءَ، ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا﴾: صِدْقًا وَحَقًّا فِي شَأْنِ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَمَنْ سَأَلَكُمْ عَنْهُ فَاصْدُقُوهُ وَبَيِّنُوا صِفَتَهُ وَلَا تَكْتُمُوا أَمْرَهُ. **هَذَا قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ وَسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ وَابْنِ جُرَيْجٍ وَمُقَاتِلٍ. وَقَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ**: مُرُوهُمْ بِالمَعْرُوفِ وَانْهَوْهُمْ عَنِ المُنْكَرِ. **وَقِيلَ**: هُوَ اللِّينُ فِي الْقَوْلِ وَالمُعَاشَرَةُ بِحُسْنِ الْخُلُقِ. وَقَرَأَ حَمْزَةُ

وَالْكِسَائِيُّ وَيَعْقُوبُ: ﴿حَسَنًا﴾ بِفَتْحِ الْحَاءِ وَالسِّينِ، أَيْ: قَوْلًا حَسَنًا، ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا الزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ﴾: أَعْرَضْتُمْ عَنِ الْعَهْدِ وَالْمِيثَاقِ، [وَالتَّوَلِّي: تَرْكُ الشَّيْءِ وَرَاءَ الظَّهْرِ]، ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ﴾: وَذَلِكَ أَنَّ قَوْمًا مِنْهُمْ آمَنُوا، ﴿وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ﴾: كَإِعْرَاضِ آبَائِكُمْ.

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾ ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ ۖ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾

قَوْلُهُ ﷻ: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ﴾: أَيْ: لَا تُرِيقُونَ، ﴿دِمَآءَكُمْ﴾: أَيْ: لَا يَسْفِكُ بَعْضُكُمْ دَمَ بَعْضٍ. **وَقِيلَ**: لَا تَسْفِكُوا دِمَاءَ غَيْرِكُمْ فَتُسْفَكَ دِمَاؤُكُمْ، فَكَأَنَّكُمْ سَفَكْتُمْ دِمَاءَ أَنْفُسِكُمْ، ﴿وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ﴾: أَيْ: لَا يُخْرِجُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا مِنْ دَارِهِ. **وَقِيلَ**: لَا تُسِيئُوا جِوَارَ مَنْ جَاوَرَكُمْ فَتُلْجِئُوهُمْ إِلَى الْخُرُوجِ بِسُوءِ جِوَارِكُمْ، ﴿ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ﴾: بِهَذَا الْعَهْدِ أَنَّهُ حَقٌّ وَقَبِلْتُمْ، ﴿وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾: الْيَوْمَ عَلَى ذَلِكَ يَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ وَتُقِرُّونَ بِالْقَبُولِ.

﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ﴾: يَعْنِي: يَا هَؤُلَاءِ، وَ(هَؤُلَاءِ): لِلتَّنْبِيهِ، ﴿تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ﴾: أَيْ: يَقْتُلُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا، ﴿وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم﴾: بِتَشْدِيدِ الظَّاءِ أَيْ: تَتَظَاهَرُونَ، أُدْغِمَتِ التَّاءُ فِي الظَّاءِ، وَقَرَأَ عَاصِمٌ وَحَمْزَةُ وَالْكِسَائِيُّ بِتَخْفِيفِ الظَّاءِ، فَحَذَفُوا تَاءَ التَّفَاعُلِ وَأَبْقَوْا تَاءَ الْخِطَابِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا﴾[المَائِدَة:٢]، **مَعْنَاهُمَا جَمِيعًا**: تَتَعَاوَنُونَ، وَ**الظَّهِيرُ**: الْعَوْنُ، ﴿بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾: بِالْمَعْصِيَةِ وَالظُّلْمِ، ﴿وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ﴾: وَقَرَأَ حَمْزَةُ: ﴿أَسْرَى﴾، وَهُمَا جَمْعُ (أَسِيرٍ)، وَمَعْنَاهُمَا وَاحِدٌ.

﴿تُفْدُوهُمْ﴾: بِالمَالِ وَتُنْقِذُوهُمْ، وَقَرَأَ أَهْلُ المَدِينَةِ وَعَاصِمٌ وَالْكِسَائِيُّ وَيَعْقُوبُ ﴿تُفَـٰدُوهُمۡ﴾: أَيْ: تُبَادِلُوهُمْ، أَرَادَ مُفَادَاةَ الْأَسِيرِ بِالْأَسِيرِ، وَقِيلَ: مَعْنَى الْقِرَاءَتَيْنِ وَاحِدٌ، ﴿وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيۡكُمۡ إِخۡرَاجُهُمۡۚ﴾: وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ، فَكَأَنَّ اللهَ تَعَالَى أَخَذَ عَلَيْهِمْ أَرْبَعَةَ عُهُودٍ: تَرْكَ الْقِتَالِ، وَتَرْكَ الْإِخْرَاجِ، وَتَرْكَ الْمُظَاهَرَةِ عَلَيْهِمْ مَعَ أَعْدَائِهِمْ، وَفِدَاءَ أَسْرَاهُمْ، فَأَعْرَضُوا عَنِ الْكُلِّ إِلَّا الْفِدَاءَ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿أَفَتُؤۡمِنُونَ بِبَعۡضِ ٱلۡكِتَٰبِ وَتَكۡفُرُونَ بِبَعۡضٖۚ﴾: قَالَ مُجَاهِدٌ: يَقُولُ: إِنْ وَجَدْتَهُ فِي يَدِ غَيْرِكَ فَدَيْتَهُ وَأَنْتَ تَقْتُلُهُ بِيَدِكَ، ﴿فَمَا جَزَآءُ مَن يَفۡعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمۡ﴾: يَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ ﴿إِلَّا خِزۡيٞ﴾: عَذَابٌ وَهَوَانٌ ﴿فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾: فَكَانَ خِزْيُ قُرَيْظَةَ الْقَتْلَ وَالسَّبْيَ، وَخِزْيُ النَّضِيرِ الْجَلَاءَ وَالنَّفْيَ مِنْ مَنَازِلِهِمْ إِلَى أَذْرِعَاتٍ وَأَرِيحَاءَ مِنَ الشَّامِ ﴿وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلۡعَذَابِۗ﴾: عَذَابِ النَّارِ، ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾: قَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ وَنَافِعٌ وَأَبُو بَكْرٍ بِالْيَاءِ، وَالْبَاقُونَ بِالتَّاءِ.

قَوْلُهُ ﷻ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ﴾: اسْتَبْدَلُوا ﴿ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا بِٱلۡأٓخِرَةِۖ فَلَا يُخَفَّفُ﴾: يُهَوَّنُ ﴿عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ﴾: لَا يُمْنَعُونَ مِنْ عَذَابِ اللهِ ﷻ.

﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَقَفَّيۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِۦ بِٱلرُّسُلِۖ وَءَاتَيۡنَا عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدۡنَٰهُ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمۡ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهۡوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ فَفَرِيقٗا كَذَّبۡتُمۡ وَفَرِيقٗا تَقۡتُلُونَ ﴿٨٧﴾ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلۡفُۢۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفۡرِهِمۡ فَقَلِيلٗا مَّا يُؤۡمِنُونَ ﴿٨٨﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمۡ كِتَٰبٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٞ لِّمَا مَعَهُمۡ وَكَانُواْ مِن قَبۡلُ يَسۡتَفۡتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ فَلَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ بِئۡسَمَا ٱشۡتَرَوۡاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمۡ أَن يَكۡفُرُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغۡيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٖۚ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٞ مُّهِينٞ﴾

﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا﴾: أَعْطَيْنَا ﴿مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ﴾: التَّوْرَاةَ جُمْلَةً وَاحِدَةً، ﴿وَقَفَّيۡنَا﴾: وَأَتْبَعْنَا ﴿مِنۢ بَعۡدِهِۦ بِٱلرُّسُلِۖ﴾: رَسُولًا بَعْدَ رَسُولٍ، ﴿وَءَاتَيۡنَا عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾:

الدَّلَالَاتِ الْوَاضِحَاتِ، وَهِيَ مَا ذَكَرَ اللهُ فِي سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ وَالمَائِدَةِ. **وَقِيلَ**: أَرَادَ الْإِنْجِيلَ، ﴿وَأَيَّدْنَٰهُ﴾: قَوَّيْنَاهُ ﴿بِرُوحِ ٱلْقُدُسِۗ﴾: قَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ: ﴿الْقُدْسِ﴾ بِسُكُونِ الدَّالِ، وَالْآخَرُونَ بِضَمِّهَا، وَهُمَا لُغَتَانِ مِثْل: (الرُّعُب)، وَ(الرُّعْب). **وَاخْتَلَفُوا فِي رُوحِ الْقُدُسِ**: **قَالَ الرَّبِيعُ وَغَيْرُهُ**: أَرَادَ بِالرُّوحِ الَّذِي نَفَخَ فِيهِ، وَالقُدْسُ هُوَ اللهُ، أَضَافَهُ إِلَى نَفْسِهِ تَكْرِيمًا وَتَخْصِيصًا، نَحْو: (بَيْتُ الله)، وَ(نَاقَةُ الله)، كَمَا قَالَ: ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾[التَّحْرِيم:١٢]، ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾[النِّسَاء:١٧١]، **وَقَالَ قَتَادَةُ وَالسُّدِّيُّ وَالضَّحَّاكُ**: رُوحُ الْقُدُسِ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ﴾: يَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ ﴿رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ﴾: تَكَبَّرْتُمْ وَتَعَظَّمْتُمْ عَنِ الْإِيمَانِ، ﴿فَفَرِيقًا﴾: طَائِفَةً ﴿كَذَّبْتُمْ﴾: مِثْل عِيسَى وَمُحَمَّد ﷺ ﴿وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾: أَيْ: قَتَلْتُمْ، ﴿وَقَالُوا۟﴾: يَعْنِي: الْيَهُودَ، ﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ﴾: جَمْعُ (أَغْلُفْ)، وَهُوَ الَّذِي عَلَيْهِ غِشَاوَةٌ، مَعْنَاهُ: عَلَيهَا غِشَاوَةٌ فَلَا تَسْمَعُ وَلَا تَفْقَهُ مَا تَقُولُ، **قَالَهُ مُجَاهِدٌ وَقَتَادَةُ**، وَنَظِيرُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ﴾[فُصِّلَتْ:٥]، وَقَرَأَ ابْنُ عَبَّاسٍ: ﴿غُلُفٌ﴾ بِضَمِّ اللَّامِ، وَهِيَ قِرَاءَةُ الْأَعْرَجِ، وهي جَمْعُ (غِلَافٍ)، أَيْ: قُلُوبُنَا أَوْعِيَةٌ لِكُلِّ عِلْمٍ فَلَا تَحْتَاجُ إِلَى عِلْمِكَ، **قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ وَعَطَاءٌ**، قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ﴾: طَرَدَهُمُ اللهُ وَأَبْعَدَهُمْ عَنْ كُلِّ خَيْرٍ؛ ﴿بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾: **قَالَ قَتَادَةُ**: مَعْنَاهُ: لا يُؤْمِن مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ؛ لِأَنَّ مَنْ آمَنَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ أَكْثَرُ مِمَّنْ آمَنَ مِنَ الْيَهُودِ، أَيْ: فَقَلِيلًا يُؤْمِنُونَ، وَنُصِبَ (قَلِيلًا) عَلَى الْحَالِ. **وَقَالَ مَعْمَرٌ**: لَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا بِقَلِيلٍ مِمَّا فِي أَيْدِيهِمْ وَيَكْفُرُونَ بِأَكْثَرِهِ، أَيْ: فَقَلِيلٌ يُؤْمِنُونَ، وَنُصِبَ (قَلِيلًا) بِنَزْعِ الْخَافِضِ، وَ(مَا) صِلَةٌ عَلَى قَوْلِهِمَا، **وَقَالَ الوَاقِدِيُّ**: مَعْنَاهُ: لَا يُؤْمِنُونَ لَا قَلِيلًا وَلَا كَثِيرًا كَقَوْلِ الرَّجُلِ لِلْآخَرِ: (مَا أَقَلَّ مَا تَفْعَلُ كَذَا)، أَيْ: لَا تَفْعَلُهُ أَصْلًا.

﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾: يَعْنِي: الْقُرْآنَ ﴿مُصَدِّقٌ﴾: مُوَافِقٌ ﴿لِّمَا مَعَهُمْ﴾: يَعْنِي: التَّوْرَاةَ، ﴿وَكَانُوا۟﴾: يَعْنِي: اليَهُود ﴿مِن قَبْلُ﴾: أَيْ: مِنْ قَبْلِ مَبْعَثِ مُحَمَّدٍ

ﷺ، ﴿يَسۡتَفۡتِحُونَ﴾: يَسْتَنْصِرُونَ، ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾: عَلَى مُشْرِكِي الْعَرَبِ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا يَقُولُونَ إِذَا أَحْزَنَهُمْ أَمْرٌ أَوْ دَهَمَهُمْ عَدُوٌّ: اللَّهُمَّ انْصُرْنَا عَلَيْهِمْ بِالنَّبِيِّ الْمَبْعُوثِ فِي آخِرِ الزَّمَانِ الَّذِي نَجِدُ صِفَتَهُ فِي التَّوْرَاةِ، فَكَانُوا يُنْصَرُونَ، وَكَانُوا يَقُولُونَ لِأَعْدَائِهِمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ: قَدْ أَظَلَّ زَمَانُ نَبِيٍّ يَخْرُجُ بِتَصْدِيقِ مَا قُلْنَا فَنَقْتُلُكُمْ مَعَهُ قَتْلَ عَادٍ وَثَمُودَ وَإِرَمَ[(١)]، ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ﴾: يَعْنِي: مُحَمَّدًا ﷺ مِنْ غَيْرِ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَعَرَفُوا نَعْتَهُ وَصِفَتَهُ، ﴿كَفَرُواْ بِهِۦ﴾: بَغْيًا وَحَسَدًا، ﴿فَلَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٨٩ بِئۡسَمَا ٱشۡتَرَوۡاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمۡ﴾: (بِئْسَ)، وَ(نِعْمَ): فِعْلَانِ مَاضِيَانِ وُضِعَا لِلْمَدْحِ وَالذَّمِّ، لَا يَتَصَرَّفَانِ تَصَرُّفَ الْأَفْعَالِ، مَعْنَاهُ: بِئْسَ الَّذِي اخْتَارُوا لِأَنْفُسِهِمْ حِينَ اسْتَبْدَلُوا الْبَاطِلَ بِالْحَقِّ. **وَقِيلَ**: الِاشْتِرَاءُ هَاهُنَا بِمَعْنَى الْبَيْعِ، وَالْمَعْنَى: بِئْسَ مَا بَاعُوا بِهِ حَظَّ أَنْفُسِهِمْ، أَيْ: حِينَ اخْتَارُوا الْكُفْرَ وَبَذَلُوا أَنْفُسَهُمْ لِلنَّارِ، ﴿أَن يَكۡفُرُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾: يَعْنِي: الْقُرْآنَ؛ ﴿بَغۡيًا﴾: أَيْ: حَسَدًا، **وَأَصْلُ الْبَغْيِ**: الفَسَادُ، يُقَالُ: (بَغَى الْجُرْحُ) إِذَا فَسَدَ، **وَالْبَغْيُ**: الظُّلْمُ، وَأَصْلُهُ الطَّلَبُ، وَالْبَاغِي طَالِبُ الظُّلْمِ، وَالْحَاسِدُ يَظْلِمُ الْمَحْسُودَ جَهْدَهُ؛ طَلَبًا لِإِزَالَةِ نِعْمَةِ الله تَعَالَى عَنْهُ.

﴿أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ﴾: أَيِ: النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ ﴿عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ﴾: مُحَمَّدٌ ﷺ. قَرَأَ أَهْلُ مَكَّةَ وَالبَصْرَةِ: ﴿يُنَزِّلَ﴾ وَبَابَهُ بِالتَّخْفِيفِ، إِلَّا فِي (سُبْحَانَ) فِي مَوْضِعَيْنِ: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ﴾[الإسراء:٨٢]، وَ﴿حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيۡنَا كِتَٰبٗا نَّقۡرَؤُهُۥۗ﴾[الْإِسْرَاء:٩٣]؛ فَإِنَّ ابْنَ كَثِيرٍ يُشَدِّدُهُمَا، وَشَدَّدَ الْبَصْرِيُّونَ فِي الْأَنْعَامِ: ﴿عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةٗ﴾[الْأَنْعَام:٣٧]، زَادَ يَعْقُوبُ تَشْدِيدَ ﴿بِمَا يُنَزِّلُ﴾ فِي (النَّحل)، وَوَافَقَ حَمْزَةَ وَالْكِسَائِيَّ فِي تَخْفِيفِ: ﴿وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ﴾[لقمان:٣٤]، في سورة (لقمان، وحمعسق)، وَالْآخَرُونَ يُشَدِّدُونَ الْكُلَّ، وَلَمْ يَخْتَلِفُوا فِي تَشْدِيدِ: ﴿وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٖ﴾[الحِجْر:٢١] فِي الحِجْر.

---

(١) **حسن:** أوردَهُ العلَّامة مُقبِلُ بنُ هَادِي الوادِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابِهِ: "الصَّحِيحُ المُسنَدُ مِن أسبابِ النُّزولِ" ص(١٩-٢٠)، وقال: حديث حسن.

﴿فَبَآءُو﴾: رَجَعُوا ﴿بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍۚ﴾: أَيْ: مَعَ غَضَبٍ. **قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٌ: الْغَضَبُ الْأَوَّلُ**: بِتَضْيِيعِهِمُ التَّوْرَاةَ وَتَبْدِيلِهِمْ لَهَا. **وَالثَّانِي**: بِكُفْرِهِمْ بِمُحَمَّدٍ ﷺ وَالْقُرْآنِ. **وَقَالَ قَتَادَةُ: الأَوَّلُ**: بِكُفْرِهِمْ بِعِيسَى وَالإِنْجِيلِ. **وَالثَّانِي**: بِكُفْرِهِمْ بِمُحَمَّدٍ ﷺ وَالْقُرْآنِ. **وَقَالَ السُّدِّيُّ: الْأَوَّلُ**: بِعِبَادَةِ الْعِجْلِ، **وَالثَّانِي**: بِالْكُفْرِ بِمُحَمَّدٍ ﷺ، ﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ﴾: الْجَاحِدِينَ بِنُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنَ النَّاسِ كُلِّهِمْ، ﴿عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾: مُخْزٍ يُهَانُونَ فِيهِ.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾ ۞ وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٩٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُوا۟ۖ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْۚ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾

قَوْلُهُ ﷻ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾: يَعْنِي: الْقُرْآنَ، ﴿قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾: يَعْنِي: التَّوْرَاةَ، يَكْفِينَا ذَلِكَ، ﴿وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ﴾: أَيْ: بِمَا سِوَاهُ مِنَ الْكُتُبِ، كَقَوْلِهِ ﷻ: ﴿فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ﴾[الْمُؤْمِنُون:٧]، أَيْ: سِوَاهُ، ﴿وَهُوَ ٱلْحَقُّ﴾: يَعْنِي: الْقُرْآنَ، ﴿مُصَدِّقًا﴾: نَصْبٌ عَلَى الْحَالِ، ﴿لِّمَا مَعَهُمْۗ﴾: مِنَ التَّوْرَاةِ، ﴿قُلْ﴾: لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ ﴿فَلِمَ تَقْتُلُونَ﴾: أَيْ: قَتَلْتُمْ ﴿أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ﴾: وَ(لِمَ) أَصْلُهُ: (لِمَا)، فَحُذِفَتِ الْأَلِفُ فَرْقًا بَيْنَ الْخَبَرِ وَالِاسْتِفْهَامِ، كَقَوْلِهِمْ: (فِيمَ؟)، وَ(بِمَ؟)، ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾: بِالتَّوْرَاةِ، وَقَدْ نُهِيتُمْ فِيهَا عَنْ قَتْلِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

قَوْلُهُ ﷻ: ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾: بِالدَّلَالَاتِ الْوَاضِحَةِ وَالْمُعْجِزَاتِ الْبَاهِرَةِ، ﴿ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٩٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُوا۟ۖ﴾: أَيِ: اسْتَجِيبُوا وَأَطِيعُوا،

سُمِّيَتِ الطَّاعَةُ وَالْإِجَابَةُ سَمْعًا: عَلَى المَجَازِ؛ لِأَنَّهَا سَبَبٌ لِلطَّاعَةِ وَالْإِجَابَةِ، ﴿قَالُواْ سَمِعْنَا﴾: قَوْلَكَ، ﴿وَعَصَيْنَا﴾: أَمْرَكَ. وَقِيلَ: سَمِعْنَا بِالآذَانِ، وَعَصَيْنَا بِالْقُلُوبِ، قَالَ أَهْلُ المَعَانِي: إِنَّهُمْ لَمْ يَقُولُوا هَذَا بِأَلْسِنَتِهِمْ، وَلَكِنْ لَمَّا سَمِعُوهُ وَتَلَقَّوْهُ بِالعِصْيَانِ نُسِبَ ذَلِكَ إِلَى الْقَوْلِ اتِّسَاعًا، ﴿وَأُشْرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْۚ﴾: أَيْ: حُبَّ العِجْلِ، مَعْنَاهُ: أُدْخِلَ فِي قُلُوبِهِمْ حُبُّ العَجَلِ وَخَالَطَهَا كَإِشْرَابِ اللَّوْنِ؛ لِشِدَّةِ المُلَازَمَةِ، يُقَالُ: (فُلَانٌ مُشْرَبُ اللَّوْنِ) إِذَا اخْتَلَطَ بَيَاضُهُ بِالْحُمْرَةِ، ﴿قُلۡ بِئۡسَمَا يَأۡمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمۡ﴾: أَنْ تَعْبُدُوا الْعِجْلَ مِنْ دُونِ الله، أَيْ: بِئْسَ إِيمَانٌ يَأْمُرُ بِعِبَادَةِ الْعِجْلِ ﴿إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾: بِزَعْمِكُمْ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ قَالُوا: ﴿نُؤۡمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا﴾، فَكَذَّبَهُمُ اللهُ ﷻ.

﴿قُلۡ إِن كَانَتۡ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةٗ مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَن يَتَمَنَّوۡهُ أَبَدَۢا بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٥﴾ وَلَتَجِدَنَّهُمۡ أَحۡرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٖ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمۡ لَوۡ يُعَمَّرُ أَلۡفَ سَنَةٖ وَمَا هُوَ بِمُزَحۡزِحِهِۦ مِنَ ٱلۡعَذَابِ أَن يُعَمَّرَۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلۡ إِن كَانَتۡ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ﴾: وَذَلِكَ أَنَّ الْيَهُودَ ادَّعَوْا دَعَاوَى بَاطِلَةً مِثْلَ قَوْلِهِمْ: ﴿لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَةٗۚ﴾[البَقَرَة:٨٠]، ﴿وَقَالُواْ لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ﴾[البَقَرَة:١١١]، وَقَوْلِهِمْ: ﴿نَحۡنُ أَبۡنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥۚ﴾[المَائِدَة:١٨]، فَكَذَّبَهُمُ اللهُ ﷻ وَأَلْزَمَهُمُ الْحُجَّةَ فَقَالَ: قُلْ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ ﴿إِن كَانَتۡ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ﴾: يَعْنِي: الْجَنَّةَ، ﴿خَالِصَةٗ﴾: أَيْ: خَاصَّةً ﴿مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلۡمَوۡتَ﴾: أَيْ: فَأَرِيدُوهُ، أَوِ اسْأَلُوهُ؛ لِأَنَّ مَنْ عَلِمَ أَنَّ الْجَنَّةَ مَأْوَاهُ حَنَّ إِلَيْهَا، وَلَا سَبِيلَ إِلَى دُخُولِهَا إِلَّا بَعْدَ المَوْتِ، فَاسْتَعْجَلُوهُ بِالتَّمَنِّي ﴿إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾: فِي قَوْلِكُمْ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوۡهُ أَبَدَۢا بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡۗ﴾: لِعِلْمِهِمْ أَنَّهُمْ فِي دَعْوَاهُمْ كَاذِبُونَ، وَأَرَادَ ﴿بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡۗ﴾: بِمَا قَدَّمُوهُ مِنَ الأَعْمَالِ، وَأَضَافَ

العَمَلَ إِلَى الْيَدِ دُونَ سَائِرِ الْأَعْضَاءِ؛ لِأَنَّ أَكْثَرَ جِنَايَاتِ الْإِنْسَانِ تَكُونُ بِالْيَدِ، فَأُضِيفَ إِلَى الْيَدِ أَعْمَالُهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لِلْيَدِ فِيهَا عَمَلٌ، ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ۝٩٥ وَلَتَجِدَنَّهُمۡ﴾: **(اللَّامُ)**: لَامُ الْقَسَمِ، وَ**(النُّونُ)**: تَأْكِيدٌ لِلْقَسَمِ، تَقْدِيرُهُ: (وَاللهِ لَتَجِدَنَّهُمْ يَا مُحَمَّدُ)، يَعْنِي: الْيَهُودَ ﴿أَحۡرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٖ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۚ﴾: **قِيلَ**: هُوَ مُتَّصِلٌ بِالأَوَّلِ، أَيْ: وَأَحْرَصَ مِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا. **وَقِيلَ**: تَمَّ الْكَلَامُ بِقَوْلِهِ: ﴿عَلَىٰ حَيَوٰةٖ﴾، ثُمَّ ابْتَدَأَ ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۚ﴾: وَأَرَادَ بِالَّذِينِ أَشْرَكُوا المَجُوسَ. **قَالَهُ أَبُو الْعَالِيَةِ وَالرَّبِيعُ**. سُمُّوا مُشْرِكِينَ؛ لِأَنَّهُمْ يَقُولُونَ بِالنُّورِ وَالظُّلْمَةِ، ﴿يَوَدُّ﴾: يُرِيدُ وَيَتَمَنَّى ﴿أَحَدُهُمۡ لَوۡ يُعَمَّرُ أَلۡفَ سَنَةٖ﴾: يَعْنِي: تَعْمِيرَ أَلْفِ سَنَةٍ، ﴿وَمَا هُوَ بِمُزَحۡزِحِهِۦ﴾: بِمُبَاعِدِهِ ﴿مِنَ ٱلۡعَذَابِ﴾: أَيْ: مِنَ النَّارِ ﴿أَن يُعَمَّرَۗ﴾: أَيْ: طُولُ عُمُرِهِ لَا يُنْقِذُهُ مِنَ العَذَابِ، و(زَحْزَحَ) لَازِمٌ وَمُتَعَدٍّ، يُقَالُ: (زَحْزَحْتُهُ فَتَزَحْزَحَ)، وَ(زَحْزَحْتُهُ فَزَحْزَحَ)، ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ﴾: قَرَأَ يَعْقُوبُ بِالتَّاءِ، وَالبَاقُونَ بِاليَاءِ.

﴿قُلۡ مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّجِبۡرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلۡبِكَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَهُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٩٧ مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبۡرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوّٞ لِّلۡكَٰفِرِينَ ۝٩٨ وَلَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖۖ وَمَا يَكۡفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقُونَ ۝٩٩ أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُواْ عَهۡدٗا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾

قَوْلُهُ ﷻ: ﴿قُلۡ مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّجِبۡرِيلَ﴾: **قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ** رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: إِنَّ حَبْرًا مِنْ أَحْبَارِ الْيَهُودِ يُقَالُ لَهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ صُورِيَا، قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: أَيُّ مَلَكٍ يَأْتِيكَ مِنَ السَّمَاءِ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قَالَ: ذَلِكَ عَدُوُّنَا مِنَ المَلَائِكَةِ، وَلَوْ كَانَ مِيكَائِيلَ لَآمَنَّا بِكَ[1]، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قُلۡ مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّجِبۡرِيلَ فَإِنَّهُۥ﴾: يَعْنِي: جِبْرِيلَ ﴿نَزَّلَهُۥ﴾: يَعْنِي: الْقُرْآنَ، كِنَايَةٌ عَنْ غَيْرِ مَذْكُورٍ، ﴿عَلَىٰ قَلۡبِكَ﴾: يَا مُحَمَّدُ ﴿بِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾: بِأَمْرِ اللهِ ﴿مُصَدِّقٗا﴾: مُوَافِقًا

(١) الحديث بتمامِهِ أوردَهُ العلَّامة مُقبِلُ بنُ هَادِي الوادِعِيُّ رَحِمَهُ اللهُ في كتابِهِ: "الصَّحيح المُسنَد من أسبابِ النُّزولِ" ص(٢٠-٢١)، بألفاظٍ متقاربةٍ.

﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾: لِمَا قَبْلَهُ مِنَ الْكُتُبِ، ﴿وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾.

قَوْلُهُ ﷻ: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾: خَصَّهُمَا بِالذِّكْرِ مِنْ جُمْلَةِ المَلَائِكَةِ مَعَ دُخُولِهِمَا فِي قَوْلِهِ: ﴿وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ﴾؛ تَفْضِيلًا وَتَخْصِيصًا، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾[الرَّحْمَن:٦٨]، خَصَّ النَّخْلَ وَالرُّمَّانَ بِالذِّكْرِ مَعَ دُخُولِهِمَا فِي ذِكْرِ الفَاكِهَةِ، وَ(**الْوَاوُ**) فِيهِمَا بِمَعْنَى: (أَوْ)، يَعْنِي: مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِأَحَدِ هَؤُلَاءِ فَإِنَّهُ عَدُوٌّ لِلْكُلِّ؛ لِأَنَّ الْكَافِرَ بِالْوَاحِدِ كَافِرٌ بِالْكُلِّ، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ﴾: وَقَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ: ﴿جَبْرِيلَ﴾ بِفَتْحِ الْجِيمِ غَيْرَ مَهْمُوزٍ، بِوَزْنِ: (فَعْلِيلَ)، قَالَ حَسَّانٌ:

وَجَبْرِيلٌ رَسُولُ اللهِ فِينَا ... وَرُوحُ الْقُدْسِ لَيْسَ لَهُ كِفَاءُ

وَقَرَأَ حَمْزَةُ وَالكِسَائِيُّ بِالهَمْزَةِ وَالإِشْبَاعِ، بِوَزْنِ: (سَلْسَبِيلَ)، وَقَرَأَ أَبُو بَكْرٍ بِالِاخْتِلَاسِ[1]، وَقَرَأَ الْآخَرُونَ بِكَسْرِ الْجِيمِ غَيْرَ مَهْمُوزٍ. وَمِيكَائِيلَ: قَرَأَ أَبُو عَمْرٍو وَيَعْقُوبُ وَحَفْصٌ: ﴿مِيكَالَ﴾ بِغَيْرِ هَمْزٍ، قَالَ جَرِيرٌ:

عَبَدُوا الصَّلِيبَ وَكَذَّبُوا بِمُحَمَّدٍ ... وَبِجَبْرَئِيلَ وَكَذَّبُوا مِيكَالَا

وَقَالَ آخَرُ:

وَيَوْمَ بَدْرٍ لَقِينَاكُمْ لَنَا مَدَدٌ ... فِيهِ مَعَ النَّصْرِ جِبْرِيلُ وَمِيكَالُ

وَقَرَأَ نَافِع وَأَهْلُ المَدِينَةِ بِالهَمْزِ وَالِاخْتِلَاسِ، بِوَزْنِ: (مِيفَاعِل)، وَقَرَأَ الْآخَرُونَ: بِالْهَمْزِ وَالْإِشْبَاعِ بِوَزْنِ: (مِيفَاعِيل).

﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾: وَاضِحَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ بِالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ وَالْحُدُودِ وَالْأَحْكَامِ، ﴿وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ﴾: الْخَارِجُونَ عَنْ أَمْرِ اللهِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَوَكُلَّمَا﴾: وَاوُ الْعَطْفِ دَخَلَتْ عَلَيْهَا أَلِفُ الِاسْتِفْهَامِ، ﴿عَٰهَدُوا۟ عَهْدًا﴾: يَعْنِي: الْيَهُودَ عَاهَدُوا: لَئِنْ خَرَجَ مُحَمَّدٌ ﷺ لَيُؤْمِنُنَّ بِهِ، فَلَمَّا خَرَجَ

(١) **الِاخْتِلَاسُ**: هو إضعافُ قليل في الصَّوت عند النُّطق بالحركة، بحيث يكون الباقي منها أكثر من الذاهب، ويُعبَّر عنه بـ(الإخفاء) أيضًا. "الوافي في كيفيَّة ترتيل القرآن الكريم" ص(٢٣٣).

كَفَرُوا بِهِ، **وَقَالَ عَطَاءٌ**: هِيَ الْعُهُودُ الَّتِي كَانَتْ بَيْنَ رَسُولِ الله ﷺ وَبَيْنَ الْيَهُودِ: أَنْ لَا يُعَاوِنُوا الْمُشْرِكِينَ عَلَى قِتَالِهِ، فَنَقَضُوهَا كَفِعْلِ بَنِي قُرَيْظَةَ وَالنَّضِيرِ، دَلِيلُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ﴾[الأَنْفَال:٥٦]. ﴿نَّبَذَهُۥ﴾: طَرَحَهُ وَنَقَضَهُ ﴿فَرِيقٌ﴾: طَوَائِف ﴿مِّنْهُم﴾: من الْيَهُودِ، ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ ۖ لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾

﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾: يَعْنِي: مُحَمَّدًا ﷺ، ﴿مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ﴾: يَعْنِي: التَّوْرَاة، **وَقِيلَ**: الْقُرْآنَ، ﴿كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿وَٱتَّبَعُوا۟﴾: يَعْنِي: اليَهُود ﴿مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾: أَيْ: مَا تَلَتْ، وَالْعَرَبُ تَضَعُ الْمُسْتَقْبَلَ مَوْضِعَ المَاضِي، وَالمَاضِي مَوْضِعَ الْمُسْتَقْبَلِ. **قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ** رضي الله عنهما: تَتَّبِعُ وَتَعْمَلُ بِهِ، **وَقَالَ عَطَاءٌ**: تَحَدَّثْ وَتَكَلَّمْ بِه، [**وَقِيلَ**: تَتَقَوَّلُ] ﴿عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ﴾: أَيْ: فِي مُلْكِهِ وَعَهْدِهِ، ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ﴾: بِالسِّحْرِ. **وَقِيلَ**: لَمْ يَكُنْ سُلَيْمَانُ كَافِرًا يَسْحَرُ وَيَعْمَلُ بِهِ، ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟﴾: قَرَأَ ابْنُ عَامِرٍ وَالكِسَائِيُّ وَحَمْزَةُ ﴿وَلَكِن﴾ خَفِيفَةَ النُّونِ، وَ﴿الشَّيَاطِينُ﴾ رَفْعٌ [عَلَى أَنَّهُ مُبْتَدَأٌ، وَ(لَكِنْ): حَرفُ استِدرَاكٍ مَبنِي

عَلَى السُّكُونِ؛ حُرِّك بِالكسرِ لِالتِقَاءِ السَّاكِنَينِ]. وَقَرَأَ الْآخَرُونَ ﴿وَلَٰكِنَّ﴾ مُشَدَّدَةَ النُّونِ وَ﴿الشَّيَٰطِينَ﴾ نَصْبٌ [عَلَى أَنَّهُ اسْمُ (لَكِنَّ)]، وَكَذَلِكَ: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْۚ﴾، ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰۚ﴾[الأَنْفَال:١٧]، وَمَعْنَى: (لكِنَّ): نَفْيُ الْخَبَرِ المَاضِي وَإِثْبَاتُ الْمُسْتَقْبَلِ.

﴿يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾: قِيلَ: مَعْنَى السِّحْر: الْعِلْمُ وَالحَذْقُ بِالشَّيْءِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ﴾[الزُّخْرُف:٤٩]، أَيِ: الْعَالِمُ، وَالصَّحِيحُ أَنَّ السِّحْرَ عِبَارَةٌ عَنِ التَّمْوِيهِ وَالتَّخْيِيلِ، وَالسِّحْرُ وُجُودُهُ حَقِيقَةٌ عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَعَلَيْهِ أَكْثَرُ الْأُمَمِ، وَلَكِنَّ الْعَمَلَ بِهِ كُفْرٌ.

حُكِيَ عَنِ الشَّافِعِيِّ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ: السِّحْرُ يُخَيِّلُ وَيُمْرِضُ وَقَدْ يَقْتُلُ، حَتَّى أَوْجَبَ الْقِصَاصَ عَلَى مَنْ قَتَلَ بِهِ، فَهُوَ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ يَتَلَقَّاهُ السَّاحِرُ مِنْهُ بِتَعْلِيمِهِ إِيَّاهُ، فَإِذَا تَلَقَّاهُ مِنْهُ اسْتَعْمَلَهُ فِي غَيْرِهِ. وَقِيلَ: إِنَّهُ يُؤَثِّرُ فِي قَلْبِ الْأَعْيَانِ، فَيَجْعَلُ الْآدَمِيَّ عَلَى صُورَةِ الْحِمَارِ، وَيَجْعَلُ الْحِمَارَ عَلَى صُورَةِ الْكَلْبِ، وَالْأَصَحُّ أَنَّ ذَلِكَ تَخْيِيلٌ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يُخَيَّلُ إِلَيۡهِ مِن سِحۡرِهِمۡ أَنَّهَا تَسۡعَىٰ﴾[طه:٦٦]، وَلَكِنَّهُ يُؤَثِّرُ فِي الْأَبْدَانِ بِالْأَمْرَاضِ وَالْمَوْتِ وَالْجُنُونِ. وَلِلْكَلَامِ تَأْثِيرٌ فِي الطِّبَاعِ وَالنُّفُوسِ، وَقَدْ يَسْمَعُ الْإِنْسَانُ مَا يَكْرَهُ فَيَحْمَى وَيَغْضَبُ، وَرُبَّمَا يُحَمُّ مِنْهُ، وَقَدْ مَاتَ قَوْمٌ بِكَلَامٍ سَمِعُوهُ، فَهُوَ بِمَنْزِلَةِ الْعَوَارِضِ وَالْعِلَلِ الَّتِي تُؤَثِّرُ فِي الْأَبْدَانِ.

قَوْلُهُ جل جلاله: ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلۡمَلَكَيۡنِ بِبَابِلَ﴾: أَيْ: وَيُعَلِّمُونَ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ، أَيْ: إِلْهَامًا وَعِلْمًا، فَالإِنْزَالُ: بِمَعْنَى الْإِلْهَامِ وَالتَّعْلِيمِ، وَقِيلَ: وَاتَّبَعُوا مَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ، وَقَرَأَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَالحَسَنُ: ﴿الْمَلِكَيْنِ﴾، وَ(بَابِلُ): هِيَ بَابِلُ الْعِرَاقِ، سُمِّيَتْ (بَابِلَ): لِتَبَلْبُلِ الْأَلْسنَةِ بِهَا عِنْدَ سُقُوطِ صَرْحِ نُمْرُودَ، أَيْ: تَفَرُّقِهَا، وَالقِرَاءَةُ المَعْرُوفَةُ: ﴿عَلَى ٱلۡمَلَكَيۡنِ﴾ بِالفَتْحِ. فَإِنْ قِيلَ: كَيْفَ يَجُوزُ تَعْلِيمُ السِّحْرِ مِنَ الْمَلَكَيْنِ؟ قِيلَ: لَهُ تَأْوِيلَانِ: أَحَدُهُمَا: أَنَّهُمَا لَا يَتَعَمَّدَانِ التَّعْلِيمَ لَكِنْ يَصِفَانِ السِّحْرَ، وَيَذْكُرَانِ

بُطْلَانَهُ، وَيَأْمُرَانِ بِاجْتِنَابِهِ، وَالتَّعْلِيمُ: بِمَعْنَى الْإِعْلَامِ، فَالشَّقِيُّ يَتْرُكُ نَصِيحَتَهُمَا وَيَتَعَلَّمُ السِّحْرَ مِنْ صَنْعَتِهِمَا. **وَالتَّأْوِيلُ الثَّانِي** -وَهُوَ الْأَصَحُّ-: أَنَّ اللهَ تَعَالَى امْتَحَنَ النَّاسَ بِالْمَلَكَيْنِ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ، فَمَنْ شَقِيَ يَتَعَلَّمُ السِّحْرَ مِنْهُمَا وَيَأْخُذُهُ عَنْهُمَا وَيَعْمَلُ بِهِ فَيَكْفُرُ بِهِ، وَمَنْ سَعِدَ يَتْرُكُهُ، فَيَبْقَى عَلَى الْإِيمَانِ، وَيَزْدَادُ الْمُعَلِّمَانِ بِالتَّعْلِيمِ عَذَابًا، فَفِيهِ ابْتِلَاءٌ لِلْمُعَلِّمِ وَالْمُتَعَلِّمِ، وَللهِ أَنْ يَمْتَحِنَ عِبَادَهُ بِمَا شَاءَ؛ فَلَهُ الْأَمْرُ وَالْحُكْمُ.

قَوْلُهُ ﷻ: ﴿هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ﴾: هما اسْمَانِ سِرْيَانِيَّانِ، وَهُمَا فِي مَحَلِّ الْخَفْضِ عَلَى تَفْسِيرِ الْمَلَكَيْنِ إِلَّا أَنَّهُمَا نُصِبَا لِعُجْمَتِهِمَا وَمَعْرِفَتِهِمَا، ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ﴾: أَيْ: أَحَدًا، و(مِنْ): صِلَةٌ، ﴿حَتَّىٰ﴾: يَنْصَحَاهُ أَوَّلًا، ﴿يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ﴾: ابْتِلَاءٌ وَمِحْنَةٌ، ﴿فَلَا تَكْفُرْۖ﴾: أَيْ: فَلَا تَتَعَلَّمِ السِّحْرَ فَتَعْمَلَ بِهِ فتَكْفُرَ، **وَأَصْلُ الْفِتْنَةِ**: الِاخْتِبَارُ وَالِامْتِحَانُ، مِنْ قَوْلِهِمْ: (فَتَنْتُ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ) إِذَا أَذَبْتَهُمَا بِالنَّارِ لِيَتَمَيَّزَ الْجَيِّدُ مِنَ الرَّدِيءِ، وَإِنَّمَا وَحَّدَ الْفِتْنَةَ وَهُمَا اثْنَانِ؛ لِأَنَّ الْفِتْنَةَ مَصْدَرٌ، وَالْمَصَادِرُ لَا تُثَنَّى وَلَا تُجْمَعُ، ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦۚ﴾: وَهُوَ أَنْ يُؤْخَذَ كُلُّ وَاحِدٍ عَنْ صَاحِبِهِ وَيُبْغِضَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا صَاحِبَه، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا هُم﴾: أَيِ: السَّحَرَةُ، **وَقِيلَ**: الشَّيَاطِينُ، ﴿بِضَآرِّينَ بِهِۦ﴾: أَيْ: بِالسِّحْرِ ﴿مِنْ أَحَدٍ﴾: أَيْ: أَحَدًا ﴿إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ﴾: أَيْ: بِعِلْمِهِ وَتَكْوِينِهِ، فَالسَّاحِرُ يَسْحَرُ وَاللهُ يُكَوِّنُ. **قَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ**: مَعْنَاهُ: إِلَّا بِقَضَائِهِ وَقَدَرِهِ وَمَشِيئَتِهِ، ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ﴾: يَعْنِي: أَنَّ السِّحْرَ يَضُرُّهُمْ، ﴿وَلَا يَنفَعُهُمْۚ وَلَقَدْ عَلِمُواْ﴾: يَعْنِي: الْيَهُودَ ﴿لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ﴾: أَيِ: اخْتَارَ السِّحْرَ ﴿مَا لَهُۥ فِي ٱلْأَخِرَةِ﴾: أَيْ: فِي الْجَنَّةِ ﴿مِنْ خَلَٰقٍۚ﴾: مِنْ نَصِيبٍ، ﴿وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ﴾: بَاعُوا بِهِ ﴿أَنفُسَهُمْۚ﴾: حَظَّ أَنْفُسِهِمْ حَيْثُ اخْتَارُوا السِّحْرَ وَالْكُفْرَ عَلَى الدِّينِ وَالْحَقِّ، ﴿لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾.

فَإِنْ قِيلَ: أَلَيْسَ اللهُ قَدْ قَالَ: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ﴾، فَمَا مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾ بَعْدَ مَا أَخْبَرَ أَنَّهُمْ عَلِمُوا؟ **قِيلَ**: أَرَادَ بِقَوْلِهِ: ﴿وَلَقَدْ

عَلِمُواْ ﴾: يَعْنِي: الشَّيَاطِينَ، وَقَوْلِهِ: ﴿لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴾: يَعْنِي: الْيَهُودَ. وَقِيلَ: كِلَاهُمَا فِي الْيَهُودِ، لَكِنَّهُمْ لَمَّا لَمْ يَعْمَلُوا بِمَا عَلِمُوا، فَكَأَنَّهُمْ لَمْ يَعْلَمُوا.

﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ ﴾: بِمُحَمَّدٍ ﷺ وَالْقُرْآنِ، ﴿وَاتَّقَوْاْ ﴾: بِجَوَارِحِهِمْ ﴿لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ ﴾: لَكَانَ ثَوَابُ اللهِ إِيَّاهُمْ خَيْرًا لَهُمْ، ﴿لَّوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴾.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُواْۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْۗ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا ﴾: وَذَلِكَ أَنَّ الْمُسْلِمِينَ كَانُوا يَقُولُونَ: رَاعِنَا يَا رَسُولَ اللهِ، مِنَ: الْمُرَاعَاةِ، أَيْ: أَرْعِنَا سَمْعَكَ، أَيْ: فَرِّغْ سَمْعَكَ لِكُلٍّ مِنَّا، يُقَالُ: (أَرْعَى إِلَى الشَّيْءِ، وَرَعَاهُ، وَرَاعَاهُ)، أَيْ: أَصْغَى إِلَيْهِ وَاسْتَمَعَهُ، وَكَانَتْ هَذِهِ اللَّفْظَةُ شَيْئًا قَبِيحًا بِلُغَةِ الْيَهُودِ، ﴿وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا ﴾: أَيِ: انْظُرْ إِلَيْنَا. وَقِيلَ: انْتَظِرْنَا وَتَأَنَّ بِنَا، يُقَالُ: (نَظَرْتُ فُلَانًا، وَانْتَظَرْتُهُ)، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾[الحديد:١٣]، قَالَ مُجَاهِدٌ: مَعْنَاهَا: فَهِّمْنَاهُ، ﴿وَٱسْمَعُواْۗ ﴾: مَا تُؤْمَرُونَ بِهِ وَأَطِيعُوا، ﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ ﴾: يَعْنِي: الْيَهُودَ، ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَّا يَوَدُّ﴾: أَيْ: مَا يُحِبُّ وَيَتَمَنَّى ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾: يَعْنِي الْيَهُودَ، ﴿وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ﴾: جَرَّهُ بِالنَّسَقِ عَلَى (مِنْ)، ﴿أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْۗ ﴾: أَيْ: خَيْرٌ وَنُبُوَّةٌ، و(مِنْ): صِلَةٌ، ﴿وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ ﴾: بِنُبُوَّتِهِ، ﴿مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾. وَالْفَضْلُ: ابْتِدَاءُ إِحْسَانٍ بِلَا عِلَّةٍ. وَقِيلَ: الْمُرَادُ بِالرَّحْمَةِ الْإِسْلَامُ وَالْهِدَايَةُ.

﴿ ۞ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۗ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا

نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾ أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۗ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾

قَوْلُهُ ﷻ: ﴿ ۞ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا ﴾: **النَّسْخُ فِي اللُّغَةِ شَيْئَانِ: أَحَدُهُمَا:** بِمَعْنَى التَّحْوِيلِ وَالنَّقْلِ، وَمِنْهُ نَسْخُ الْكِتَابِ، وَهُوَ أَنْ يُحَوَّلَ مِنْ كِتَابٍ إِلَى كِتَابٍ، فَعَلَى هَذَا الْوَجْهِ كُلُّ الْقُرْآنِ مَنْسُوخٌ؛ لِأَنَّهُ نُسِخَ مِنَ اللَّوْحِ المَحْفُوظِ. **وَالثَّانِي**: يَكُونُ بِمَعْنَى الرَّفْعِ، يُقَالُ: (نَسَخَتِ الشَّمْسُ الظِّلَّ)، أَيْ: ذَهَبَتْ بِهِ وَأَبْطَلَتْهُ، فَعَلَى هَذَا يَكُونُ بَعْضُ الْقُرْآنِ نَاسِخًا وَبَعْضُهُ مَنْسُوخًا، وَهُوَ المُرَادُ مِنَ الْآيَةِ، وَهَذَا عَلَى وُجُوهٍ: **أَحَدُهَا**: أَنْ يَثْبُتَ الخَطُّ وَيُنْسَخَ الحُكْمُ، مِثْلَ آيَةِ الْوَصِيَّةِ لِلْأَقَارِبِ، وَآيَةِ عِدَّةِ الْوَفَاةِ بِالحَوْلِ، وَآيَةِ التَّخْفِيفِ فِي الْقِتَالِ، وَآيَةِ المُمْتَحِنَةِ، وَنَحْوِهَا. **وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ** رضي الله عنهما فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ﴾: مَا نُثْبِتُ خَطَّهَا وَنُبَدِّلُ حُكْمَهَا. **وَمِنْهَا**: أَنْ يُرْفَعَ تِلَاوَتُهَا وَيَبْقَى حُكْمُهَا، مِثْلَ آيَةِ الرَّجْمِ، **وَمِنْ نَسْخِ الحُكْمِ**: مَا يُرْفَعُ وَيُقَامُ غَيْرُهُ مَقَامَهُ، كَمَا أَنَّ الْقِبْلَةَ نُسِخَتْ مِنْ بَيْتِ المَقْدِسِ إِلَى الْكَعْبَةِ، وَالْوَصِيَّةُ لِلْأَقَارِبِ نُسِخَتْ بِالمِيرَاثِ، وَعِدَّةُ الوَفَاةِ نُسِخَتْ مِنَ الحَوْلِ إِلَى أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ وَعَشْرٍ، وَمُصَابَرَةُ الوَاحِدِ العَشَرَةَ فِي الْقِتَالِ نُسِخَتْ بِمُصَابَرَةِ الاِثْنَيْنِ، **وَمِنْهَا**: مَا يُرْفَعُ وَلَا يُقَامُ غَيْرُهُ مَقَامَهُ، كَامْتِحَانِ النِّسَاءِ، وَالنَّسْخُ إِنَّمَا يَعْتَرِضُ عَلَى الْأَوَامِرِ وَالنَّوَاهِي دُونَ الْأَخْبَارِ.

وَقِرَاءَةُ الْعَامَّةِ بِفَتْحِ النُّونِ وَالسِّينِ، مِنَ: النَّسْخِ، أَيْ: نَرْفَعُهَا، وَقَرَأَ ابْنُ عَامِرٍ بِضَمِّ النُّونِ وَكَسْرِ السِّينِ، مِنَ: الْإِنْسَاخِ، **وَلَهُ وَجْهَانِ: أَحَدُهُمَا**: نَجْعَلَهُ كَالمَنْسُوخِ. **وَالثَّانِي**: أَنْ نَجْعَلَهُ نُسْخَةً لَهُ، يُقَالُ: (نَسَخْتُ الْكِتَابَ)، أَيْ: كَتَبْتُهُ، وَ(أَنْسَخْتُهُ غَيْرِي)، إِذَا جَعَلْتَهُ نُسْخَةً لَهُ.

﴿أَوْ نُنسِهَا﴾: أَيْ: نُنْسِهَا عَنْ قَلْبِكَ. **وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ** رضي الله عنهما: نَتْرُكُهَا لَا نَنْسَخُهَا، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾[التَّوبَة:٦٧]، أَيْ: تَرَكُوهُ فَتَرَكَهُمْ. **وَقِيلَ**: ﴿نُنسِهَا﴾: أَيْ: نَأْمُرُ بِتَرْكِهَا، يُقَالُ: (أَنْسَيْتُ الشَّيْءَ) إِذَا أَمَرْت بِتَرْكِهِ، فَيَكُونُ النَّسْخُ

الْأَوَّلُ مِنْ رَفْعِ الْحُكْمِ وَإِقَامَةِ غَيْرِهِ مَقَامَهُ، وَالإِنْسَاءُ: يَكُونُ نَسْخًا مِنْ غَيْرِ إِقَامَةِ غَيْرِهِ مَقَامَهُ. وَقَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ وَأَبُو عَمْرٍو: ﴿أَوْ نَنْسَأْهَا﴾، بِفَتْحِ النُّونِ الأُولَى وَالسِّينِ مَهْمُوزًا، أَيْ: نُؤَخِّرُهَا فَلَا نُبَدِّلُهَا، يُقَالُ: (نَسَأَ اللهُ فِي أَجَلِهِ)، وَ(أَنْسَأَ اللهُ أَجَلَهُ). **وَفِي مَعْنَاهُ قَوْلَانِ: أَحَدُهُمَا**: نَرْفَعُ تِلَاوَتَهَا وَنُؤَخِّرُ حُكْمَهَا، كَمَا فَعَلَ فِي آيَةِ الرَّجْمِ، فَعَلَى هَذَا يَكُونُ النَّسْخُ الْأَوَّلُ بِمَعْنَى رَفْعِ التِّلَاوَةِ وَالْحُكْمِ. **وَالْقَوْلُ الثَّانِي: قَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ وَعَطَاءٌ**: أَمَّا مَا نُسِخَ مِنْ آيَةٍ فَهُوَ مَا قَدْ نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ، جَعَلَاهُ مِنَ النَّسْخَةِ، ﴿أَوْ نَنْسَأْهَا﴾: أَيْ: نُؤَخِّرُهَا وَنَتْرُكُهَا فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ فلا تَنْزِلُ.

﴿نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ﴾: أَيْ: بِمَا هُوَ أَنْفَعُ لَكُمْ وَأَسْهَلُ عَلَيْكُمْ وَأَكْثَرُ لِأَجْرِكُمْ، لَا أَنَّ آيَةً خَيْرٌ مِنْ آيَةٍ؛ لِأَنَّ كَلَامَ اللهِ وَاحِدٌ وَكُلُّهُ خَيْرٌ، ﴿أَوْ مِثْلِهَآ﴾: فِي الْمَنْفَعَةِ وَالثَّوَابِ، فَكُلُّ مَا نُسِخَ إِلَى الْأَيْسَرِ فَهُوَ أَسْهَلُ فِي الْعَمَلِ، وَمَا نُسِخَ إِلَى الْأَشَقِّ فَهُوَ فِي الثَّوَابِ أَكْثَرُ، ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرٌ﴾: مِنَ النَّسْخِ وَالتَّبْدِيلِ، لَفْظُهُ اسْتِفْهَامٌ وَمَعْنَاهُ تَقْرِيرٌ، أَيْ: إِنَّكَ تَعْلَمُ، ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۗ وَمَا لَكُم﴾: يَا مَعْشَرَ الْكُفَّارِ عِنْدَ نُزُولِ الْعَذَابِ، ﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾: مِمَّا سِوَى الله ﴿مِن وَلِيٍّ﴾: قَرِيبٍ وَصَدِيقٍ. **وَقِيلَ**: مِنْ وَالٍ، وَهُوَ الْقَيِّمُ بِالْأُمُورِ ﴿وَلَا نَصِيرٍ﴾ نَاصِرٍ يَمْنَعُكُمْ مِنَ الْعَذَابِ.

قَوْلُهُ: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ﴾: يَعْنِي: أَتُرِيدُونَ، فَالْمِيمُ صِلَةٌ. **وَقِيلَ**: بَلْ تُرِيدُونَ ﴿أَن تَسْـَٔلُواْ رَسُولَكُمْ﴾: مُحَمَّدًا ﷺ ﴿كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُۗ﴾: سَأَلَهُ قَوْمُهُ فَقَالُوا: ﴿أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾[النِّسَاء:١٥٣]، فَفِيهِ مَنْعُهُمْ عَنِ السُّؤَالَاتِ الْمَقْبُوحَةِ بَعْدَ ظُهُورِ الدَّلَائِلِ وَالْبَرَاهِينِ، ﴿وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾: يَسْتَبْدِلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ، ﴿فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾: أَخْطَأَ وَسَطَ الطَّرِيقِ، **وَقِيلَ**: قَصْدَ السَّبِيلِ.

﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّۖ فَٱعْفُواْ وَٱصْفَحُواْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرٌ (١٠٩) وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٖ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِۗ

﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ﴾: أَيْ: تَمَنَّى وَأَرَادَ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، ﴿لَوۡ يَرُدُّونَكُم﴾: يَا مَعْشَرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿مِّنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِكُمۡ كُفَّارًا حَسَدًا﴾: نَصْبٌ عَلَى المَصْدَرِ، أَيْ: يَحْسُدُونَكُمْ حَسَدًا، ﴿مِّنۡ عِندِ أَنفُسِهِم﴾: أَيْ: مِنْ تِلْقَاءِ أَنْفُسِهِمْ وَلَمْ يَأْمُرْهُمُ اللهُ بِذَلِكَ، ﴿مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡحَقُّ﴾: أَنَّ قَوْلَ مُحَمَّدٍ ﷺ صِدْقٌ وَدِينُهُ حَقٌّ، ﴿فَٱعۡفُواْ﴾: فَاتْرُكُوا، ﴿وَٱصۡفَحُواْ﴾: وَتَجَاوَزُوا، **فَالْعَفْوُ**: المَحْوُ، **وَالصَّفْحُ**: الْإِعْرَاضُ، وَكَانَ هَذَا قَبْلَ آيَةِ الْقِتَالِ، ﴿حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦٓ﴾: بِعَذَابِهِ، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ (1).

﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ﴾: تُسْلِفُوا ﴿لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ﴾: طَاعَةٍ وَعَمَلٍ صَالِحٍ ﴿تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِۗ﴾: تَجِدُوا ثَوَابَهُ عِنْدَ اللهِ. **وَقِيلَ**: أَرَادَ بِالْخَيْرِ المَالَ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِن تَرَكَ خَيۡرًا﴾[الْبَقَرَة:١٨٠]، وَأَرَادَ: مِنْ زَكَاةٍ أَوْ صَدَقَةٍ، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾.

﴿وَقَالُواْ لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ تِلۡكَ أَمَانِيُّهُمۡۗ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَىٰۚ مَنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ فَلَهُۥٓ أَجۡرُهُۥ

(١) قَالَ العلَّامة الإمام مُقبِلُ بنُ هَادِي الوادِعِيُّ رَحِمَهُ اللهُ في كتابِهِ: "الصَّحِيحُ المُسنَدُ مِن أسبابِ النُّزولِ" ص(٢٣): **قال أبو الشَّيخ** في كتاب "الأَخلاق": أخبرنا ابن أبي عاصم، ثنا عمرو بن عثمان بن بشر بن شعيب، عن أبيه، عن الزهري، عن عُروة، **عن أسامة بن زيد**: أنَّه أخبرَه أنَّ رسول الله ﷺ ركِب على حمار، فقال لسَعد: «**أَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالَ أَبُو الْحُبَابُ** -يُرِيدُ عَبْدَ الله بنَ أُبَيٍّ- **قَالَ كَذَا وَكَذَا**»، فقال سعدُ بنُ عُبادَةَ: اعفُ عَنهُ واصْفَحْ، فعَفَا عنهُ رسولُ الله ﷺ، وكان رسولُ الله ﷺ وأصحابُه يعفُون عن أهل الكِتابِ والمشرِكِينَ، فأنزلَ اللهُ ﷻ: ﴿فَٱعۡفُواْ وَٱصۡفَحُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾.
الحديث رجالُهُ ثقاتٌ: فابنُ أبي عاصِم حافظٌ كبيرٌ ترجمتُهُ في: "تذكرةِ الحُفَّاظ" (ج٢/ ص٦٤٠)، والباقون في "تهذيب التهذيب"، والحديث في "الصحيح" من طريق شعيب بن أبي حمزة بهذا السند، لكن ليس في "الصحيح" سبب النزول. هكذا في "تفسير ابن أبي حاتم" كما في "تفسير ابن كثير"، (ج١/ ص١٣٥).اهـ

عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿١١٢﴾ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ لَيۡسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيۡسَتِ ٱلۡيَهُودُ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَهُمۡ يَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ مِثۡلَ قَوۡلِهِمۡۚ فَٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ﴿

قَوْلُهُ: ﴿وَقَالُواْ لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا﴾: أَيْ: يَهُودِيًّا، **قَالَ الْفَرَّاءُ:** حَذَفَ الْيَاءَ الزَّائِدَةَ وَرَجَعَ إِلَى الفِعْلِ، مِنَ الْيَهُودِيَّةِ، **وَقَالَ الْأَخْفَشُ:** **الْهُودُ:** جَمْعُ: (هَائِدٍ)، مِثْلَ: (عَائِدٍ)، وَ(عُودٍ)، وَ(حَائِلٍ)، وَ(حُولٍ)، ﴿أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ﴾: وَذَلِكَ أَنَّ الْيَهُودَ قَالُوا: لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ يَهُودِيًّا وَلَا دِينَ إِلَّا دِينُ الْيَهُودِيَّةِ، وَقَالَتِ النَّصَارَى: لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ نَصْرَانِيًّا وَلَا دِينَ إِلَّا دِينُ النَّصْرَانِيَّةِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿تِلۡكَ أَمَانِيُّهُمۡۗ﴾: أَيْ: شَهَوَاتُهُمُ الْبَاطِلَةُ الَّتِي تَمَنَّوْهَا عَلَى اللهِ بِغَيْرِ الْحَقِّ، ﴿قُلۡ﴾: يَا مُحَمَّدُ ﴿هَاتُواْ﴾: أَصْلُهُ: آتُوا ﴿بُرۡهَٰنَكُمۡ﴾: حُجَّتَكُمْ عَلَى مَا زَعَمْتُمْ، ﴿إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾، ثُمَّ قَالَ رَدًّا عَلَيْهِمْ: ﴿بَلَىٰۚ مَنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ﴾: أَيْ: لَيْسَ كَمَا قَالُوا بَلِ الْحُكْمُ لِلْإِسْلَامِ، وَإِنَّمَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ ﴿لِلَّهِ﴾: أَيْ: أَخْلَصَ دِينَهُ لله. **وَقِيلَ:** أَخْلَصَ عِبَادَتَهُ لله. **وَقِيلَ:** خَضَعَ وَتَوَاضَعَ لله. **وَأَصْلُ الْإِسْلَامِ:** الِاسْتِسْلَامُ وَالْخُضُوعُ، وَخَصَّ الْوَجْهَ؛ لِأَنَّهُ إِذَا جَادَ بِوَجْهِهِ فِي السُّجُودِ لَمْ يَبْخَلْ بِسَائِرِ جَوَارِحِهِ. ﴿وَهُوَ مُحۡسِنٞ﴾: فِي عَمَلِهِ، **وَقِيلَ:** مُؤْمِنٌ، **وَقِيلَ:** مُخْلِصٌ، ﴿فَلَهُۥٓ أَجۡرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾.

قَوْلُهُ: ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ لَيۡسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيۡسَتِ ٱلۡيَهُودُ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَهُمۡ يَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۗ﴾: وَكِلَا الفَرِيقَيْنِ يَقْرَؤُونَ الكِتَابَ. **وَقِيلَ:** مَعْنَاهُ: لَيْسَ فِي كُتُبِهِمْ هَذَا الِاخْتِلَافُ، فَدَلَّتْ تِلَاوَتُهُمُ الْكِتَابَ وَمُخَالَفَتُهُمْ مَا فِيهِ عَلَى كَوْنِهِمْ عَلَى الْبَاطِلِ، ﴿كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾: يَعْنِي: آبَاءَهُمُ الَّذِينَ مَضَوْا ﴿مِثۡلَ قَوۡلِهِمۡۚ﴾: **قَالَ مُجَاهِدٌ:** يَعْنِي عَوَامَّ النَّصَارَى. **وَقَالَ مُقَاتِلٌ:** يَعْنِي مُشْرِكِي الْعَرَبِ، كَذَلِكَ قَالُوا فِي نَبِيِّهِمْ مُحَمَّدٍ

ﷺ وَأَصْحَابِهِ: إِنَّهُمْ لَيْسُوا عَلَى شَيْءٍ مِنَ الدِّينِ. **وَقَالَ عَطَاءٌ:** أُمَمٌ كَانَتْ قَبْلَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، مِثْلَ قَوْمِ نُوحٍ وَهُودٍ وَصَالِحٍ وَلُوطٍ وَشُعَيْبٍ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، قَالُوا لِنَبِيِّهِمْ: إِنَّهُ لَيْسَ عَلَى شَيْءٍ، ﴿فَٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾: يَقْضِي بَيْنَ الْمُحِقِّ وَالْمُبْطِلِ ﴿فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ﴾: مِنَ الدِّينِ.

﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمۡ أَن يَدۡخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَۚ لَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿١١٤﴾ وَلِلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ﴾

قَوْلُهُ: ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ﴾: أَيْ: أَكْفَرُ وَأَعْتَى ﴿مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَآۚ﴾: عَمِلَ [فِي خَرَابِهَا الحِسِّيِّ وَالمَعْنَوِيِّ، فَالخَرَابُ الحِسِّيُّ: هَدْمُهَا وَتَخْرِيبُهَا وَتَقْذِيرُهَا. وَالخَرَابُ المَعْنَوِيُّ: مَنْعُ الذَّاكِرِينَ لِاسْمِ اللهِ فِيهَا، وَهَذَا عَامٌّ لِكُلِّ مَنِ اتَّصَفَ بِهَذِهِ الصِّفَةِ]، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمۡ أَن يَدۡخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَۚ﴾: ذَلِيلِينَ، ﴿لَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞ﴾: عَذَابٌ وَهَوَانٌ، ﴿وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾: وَهُوَ النَّارُ.

قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِۚ﴾: **عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ** رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُصَلِّي وَهُوَ مُقْبِلٌ مِنْ مَكَّةَ إِلَى المَدِينَةِ عَلَى رَاحِلَتِهِ حَيْثُ كَانَ وَجْهُهُ، قَالَ: وَفِيهِ نَزَلَتْ: ﴿فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِۚ﴾[(١)]: يَعْنِي: أَيْنَمَا تُحَوِّلُوا وُجُوهَكُمْ ﴿فَثَمَّ﴾: أَيْ: هُنَاكَ ﴿وَجۡهُ ٱللَّهِۚ﴾، **قَالَ الحَسَنُ وَمُجَاهِدٌ وَقَتَادَةُ وَمُقَاتِلُ بْنُ حَيَّانَ:** فَثَمَّ قِبْلَةُ اللهِ. وَ(**الْوَجْهُ**)، وَ(**الْوُجْهَةُ**)، وَ(**الْجِهَةُ**): الْقِبْلَةُ، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ﴾: أَيْ: غَنِيٌّ يُعْطِي مِنَ السَّعَةِ. **قَالَ الْفَرَّاءُ: الْوَاسِعُ:** الْجَوَادُ الَّذِي يَسَعُ عَطَاؤُهُ كُلَّ شَيْءٍ. ﴿عَلِيمٞ﴾: بِنِيَّاتِهِمْ حَيْثُ مَا صَلَّوْا وَدَعَوْا.

---

(١) **صحيح:** مسلم: (٧٠٠)، وأورده العَلَّامة مُقبِلُ بنُ هَادي الوادعيُّ رَحِمَهُ اللهُ في كتابه: "الصَّحيحُ المُسنَدُ من أسبابِ النُّزولِ" صـ(٢٣).

﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًاۗ سُبْحَٰنَهُۥۖ بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًاۗ﴾: قَرَأَ ابْنُ عَامِرٍ: ﴿قَالُوا﴾ بِلَا وَاوٍ، وَقَرَأَ البَاقُونَ بِالوَاوِ. نَزَلَتْ فِي اليَهُودِ حَيْثُ قَالُوا: ﴿عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾[التوبة:٣٠]، وَفِي النَصَارَى حَيْثُ قَالُوا: ﴿ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِۖ﴾[التوبة:٣٠]، وَفِي مُشْرِكِي الْعَرَبِ حَيْثُ قَالُوا: المَلَائِكَةُ بَنَاتُ اللهِ، ﴿سُبْحَٰنَهُۥۖ﴾: نَزَّهَ وَعَظَّمَ نَفْسَهُ.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «قَالَ اللهُ تَعَالَى: كَذَّبَنِي ابْنُ آدَمَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، وَشَتَمَنِي وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ. فَأَمَّا تَكْذِيبُهُ إِيَّايَ: فَزَعَمَ أَنِّي لَا أَقْدِرُ أَنْ أُعِيدَهُ كَمَا كَانَ. وَأَمَّا شَتْمُهُ إِيَّايَ: فَقَوْلُهُ لِي وَلَدٌ، فَسُبْحَانِي أَنْ أَتَّخِذَ صَاحِبَةً أَوْ وَلَدًا»[(١)].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ﴾: عَبِيدًا وَمُلْكًا، ﴿كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ﴾: قَالَ مُجَاهِدٌ وَعَطَاءٌ وَالسُّدِّيُّ: مُطِيعُونَ. وَقَالَ عِكْرِمَةُ وَمُقَاتِلٌ: مُقِرُّونَ لَهُ بِالْعُبُودِيَّةِ. وَقَالَ ابْنُ كَيْسَانَ: قَائِمُونَ بِالشَّهَادَةِ. وَأَصْلُ القُنُوتِ: القِيَامُ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَفْضَلُ الصَّلَاةِ طُولُ الْقُنُوتِ»[(٢)].

وَاخْتَلَفُوا فِي حُكْمِ الْآيَةِ: فَذَهَبَ جَمَاعَةٌ: إِلَى أَنَّ حُكْمَ الْآيَةِ خَاصٌّ، وَقَالَ مُقَاتِلٌ: هُوَ رَاجِعٌ إِلَى عُزَيْرٍ وَالمَسِيحِ وَالمَلَائِكَةِ، وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أَنَّهُ قَالَ: هُوَ رَاجِعٌ إِلَى أَهْلِ طَاعَتِهِ دُونَ سَائِرِ النَّاسِ، وَذَهَبَ جَمَاعَةٌ: إِلَى أَنَّ حُكْمَ الْآيَةِ عَامٌّ فِي جَمِيعِ الْخَلْقِ؛ لِأَنَّ لَفْظَ: (كُل) يَقْتَضِي الْإِحَاطَةَ بِالشَّيْءِ بِحَيْثُ لَا يَشِذُّ مِنْهُ شَيْءٌ، ثُمَّ سَلَكُوا فِي الْكُفَّارِ طَرِيقَيْنِ، فَقَالَ مُجَاهِدٌ: يَسْجُدُ ظِلَالُهُمْ للهِ عَلَى كُرْهٍ مِنْهُمْ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ﴾[الرَّعْد:١٥]، وَقَالَ السُّدِّيُّ: هَذَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، دَلِيلُهُ: ﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِۖ﴾[طه:١١١]، وَقِيلَ: ﴿قَٰنِتُونَ﴾: مُذَلَّلُونَ مُسَخَّرُونَ لِمَا خُلِقُوا لَهُ.

---

(١) **صحيح:** البخاري: (٤٤٨٢).

(٢) **صحيح:** مسلم: (٧٥٦)، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ لَوۡلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوۡ تَأۡتِينَآ ءَايَةٞۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّثۡلَ قَوۡلِهِمۡۘ تَشَٰبَهَتۡ قُلُوبُهُمۡۗ قَدۡ بَيَّنَّا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۖ وَلَا تُسۡـَٔلُ عَنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَحِيمِ﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾: أَيْ: مُبْدِعُهَا وَمُنْشِئُهَا مِنْ غَيْرِ مِثَالٍ سَبَقَ، ﴿وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا﴾: أَيْ: قَدَّرَهُ. **وَقِيلَ:** أَحْكَمَهُ وَقَدَّرَهُ وَأَتْقَنَهُ، **وَأَصْلُ الْقَضَاءِ:** الْفَرَاغُ، **وَمِنْهُ قِيلَ لِمَنْ مَاتَ:** قُضِيَ عَلَيْهِ؛ لِفَرَاغِهِ مِنَ الدُّنْيَا. **وَمِنْهُ:** قَضَاءُ اللهِ وَقَدَرُهُ؛ لِأَنَّهُ فَرَغَ مِنْهُ تَقْدِيرًا وَتَدْبِيرًا، ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾: قَرَأَ ابْنُ عَامِرٍ: ﴿كُنْ فَيَكُونَ﴾ بِنَصْبِ النُّونِ فِي جَمِيعِ المَوَاضِعِ إِلَّا فِي (آلِ عِمْرَانَ): ﴿كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾[آل عِمْرَان:٥٩-٦٠] وَفِي (سُورَةِ الْأَنْعَامِ): ﴿كُن فَيَكُونُۚ قَوۡلُهُ ٱلۡحَقُّۚ﴾[الأَنْعَام: ٧٣]، وَإِنَّمَا نَصَبَهَا؛ لِأَنَّ جَوَابَ الْأَمْرِ بِالْفَاءِ يَكُونُ مَنْصُوبًا، وَافَقَهُ الكِسَائِيُّ فِي (النَّحْلِ) وَ(يس)، وَقَرَأَ الْآخَرُونَ بِالرَّفْعِ عَلَى مَعْنَى: فَهُوَ يَكُونُ، **فَإِنْ قِيلَ: كَيْفَ قَالَ:** ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن﴾ وَالمَعْدُومُ لَا يُخَاطَبُ؟ **قِيلَ: قَالَ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ:** مَعْنَاهُ: فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ، أَيْ: لِأَجْلِ تَكْوِينِهِ، فَعَلَى هَذَا ذَهَبَ مَعْنَى الْخِطَابِ. **وَقِيلَ:** هُوَ وَإِنْ كَانَ مَعْدُومًا وَلَكِنَّهُ قُدِّرَ وُجُودُهُ وَهُوَ كَائِنٌ لَا مَحَالَةَ كَانَ كَالمَوْجُودِ، فَصَحَّ الْخِطَابُ.

قَوْلُهُ ﷻ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾: **قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ** رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: الْيَهُودُ. **وَقَالَ مُجَاهِدٌ:** النَّصَارَى. **وَقَالَ قَتَادَةُ:** مُشْرِكُو العَرَبِ. ﴿لَوۡلَا﴾: هَلَّا ﴿يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ﴾: عِيَانًا بِأَنَّكَ رَسُولُهُ، وَكُلُّ مَا فِي الْقُرْآنِ (لَوْلَا) فَهُوَ بِمَعْنَى: (هَلَّا)، إِلَّا وَاحِدًا وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿فَلَوۡلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُسَبِّحِينَ﴾[الصَّافَّات:١٤٣]، مَعْنَاهُ: فَلَوْ لَمْ يَكُنْ. ﴿أَوۡ تَأۡتِينَآ ءَايَةٞۗ﴾: دَلَالَةٌ وَعَلَامَةٌ عَلَى صِدْقِكَ فِي ادِّعَائِكَ النُّبُوَّةَ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم﴾: أَيْ: كُفَّارُ الْأُمَمِ الخَالِيَةِ، ﴿مِّثۡلَ قَوۡلِهِمۡۘ تَشَٰبَهَتۡ قُلُوبُهُمۡۗ﴾: أَيْ: أَشْبَهَ بَعْضُهَا بَعْضًا فِي الكُفْرِ وَالقَسْوَةِ وَطَلَبِ المُحَالِ، ﴿قَدۡ بَيَّنَّا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾ إِنَّآ

﴿أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ﴾: أَيْ: بِالصِّدْقِ، كَقَوْلِهِ: ﴿وَيَسۡتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَۖ قُلۡ إِي وَرَبِّيٓ إِنَّهُۥ لَحَقّٞۖ﴾[يُونُس:٥٣]، أَيْ: صِدْقٌ. **قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ** رضي الله عنهما: بِالْقُرْآنِ، دَلِيلُهُ: ﴿بَلۡ كَذَّبُواْ بِٱلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمۡ﴾[ق:٥]. **وَقَالَ ابْنُ كَيْسَانَ**: بِالْإِسْلَامِ وَشَرَائِعِهِ، دَلِيلُهُ قَوْلُهُ ﷻ: ﴿وَقُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ﴾[الْإِسْرَاء:٨١]، **وَقَالَ مُقَاتِلٌ**: مَعْنَاهُ: لَمْ نُرْسِلْكَ عَبَثًا إِنَّمَا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ، كَمَا قَالَ: ﴿وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۗ﴾[الْحِجْر:٨٥].

قَوْلُهُ ﷻ: ﴿بَشِيرٗا﴾: أَيْ: مُبَشِّرًا لِأَوْلِيَائِي وَأَهْلِ طَاعَتِي بِالثَّوَابِ الْكَرِيمِ، ﴿وَنَذِيرٗاۖ﴾: أَيْ: مُنْذِرًا مُخَوِّفًا لِأَعْدَائِي وَأَهْلِ مَعْصِيَتِي بِالْعَذَابِ الْأَلِيمِ. قَرَأَ نَافِعٌ وَيَعْقُوبُ: ﴿وَلَا تَسۡأَلۡ﴾ عَلَى النَّهْيِ، وَقَرَأَ الآخَرُونَ: ﴿وَلَا تُسۡـَٔلُ﴾ بِالرَّفْعِ عَلَى النَّفْيِ، بِمَعْنَى: وَلَسْتَ بِمَسْؤُولٍ عَنْهُمْ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُ وَعَلَيۡنَا ٱلۡحِسَابُ﴾ [الرَّعْد:٤٠]، ﴿عَنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَحِيمِ﴾: وَالْجَحِيمُ: مُعْظَمُ النَّارِ.

﴿وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمۡۗ قُلۡ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلۡهُدَىٰۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم بَعۡدَ ٱلَّذِي جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٍ ١٢٠ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾

قَوْلُهُ ﷻ: ﴿وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ﴾: إِلَّا بِالْيَهُودِيَّةِ، ﴿وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ﴾: إِلَّا بِالنَّصْرَانِيَّةِ، ﴿حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمۡۗ﴾: **وَالْمِلَّةُ**: الطَّرِيقَةُ، ﴿قُلۡ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلۡهُدَىٰۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم﴾: **قِيلَ**: الْخِطَابُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَالْمُرَادُ بِهِ الْأُمَّةُ، كَقَوْلِهِ: ﴿لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾[الزُّمَر: ٦٥]، ﴿بَعۡدَ ٱلَّذِي جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ﴾: الْبَيَانِ بِأَنَّ دِينَ اللهِ هُوَ الْإِسْلَامُ، وَالقِبْلَةَ قِبْلَة إِبْرَاهِيمَ عليه السلام وَهِيَ الكَعْبَةُ، ﴿مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٍ﴾.

﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ﴾: **قَالَ الضَّحَّاكُ**: هُمْ مِمَّنْ آمَنَ مِنَ الْيَهُودِ، عَبْدُ اللهِ بن سلام، وَشُعْبَةُ بْنُ عَمْرٍو، وَتَمَّامُ بْنُ يَهُودَا، وَأَسَدٌ وَأُسَيْدٌ ابْنَا كَعْبٍ، وَابْنُ يَامِينَ، وَعَبْدُاللهِ بْنُ صُورِيَا، **وَقَالَ قَتَادَةُ وَعِكْرِمَةُ**: هُمْ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ، **وَقِيلَ**: هُمُ الْمُؤْمِنُونَ عَامَّةً، ﴿يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾: **قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ** رضي الله عنه: يَقْرَؤُونَهُ كَمَا أُنْزِلَ وَلَا

يُحَرِّفُونَهُ، وَيُحِلُّونَ حَلَالَهُ وَيُحَرِّمُونَ حَرَامَهُ. **وَقَالَ الحَسَنُ**: يَعْمَلُونَ بِمُحْكَمِهِ، وَيُؤْمِنُونَ بِمُتَشَابِهِهِ، وَيَكِلُونَ عِلْمَ مَا أَشْكَلَ عَلَيْهِمْ إِلَى عَالِمِهِ. **وَقَالَ مُجَاهِدٌ**: يَتَّبِعُونَهُ حَقَّ اتِّبَاعِهِ، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾.

﴿يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢٢﴾ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٢٣﴾ ۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًاۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِيۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ﴾: قَرَأَ ابْنُ عَامِرٍ: ﴿إِبْرَاهَامَ﴾ بِالأَلِفِ فِي بَعْضِ المَوَاضِعِ، وَهُوَ اسْمٌ أَعْجَمِيٌّ، وَلِذَلِكَ لَا يَجْرِي عَلَيْهِ الصَّرْفُ، **وَمَعْنَى الِابْتِلَاءِ**: الِاخْتِبَارُ وَالِامْتِحَانُ وَالْأَمْرُ، وَابْتِلَاءُ اللهِ الْعِبَادَ لَيْسَ لِيَعْلَمَ أَحْوَالَهُمْ بِالِابْتِلَاءِ؛ لِأَنَّهُ عَالِمٌ بِهِمْ، وَلَكِنْ لِيَعْلَمَ الْعِبَادُ أَحْوَالَهُمْ حَتَّى يَعْرِفَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا.

وَاخْتَلَفُوا فِي الكَلِمَاتِ الَّتِي ابْتَلَى اللهُ بِهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: قَالَ الرَّبِيعُ وَقَتَادَةُ: مَنَاسِكُ الْحَجِّ. **وَقَالَ الحَسَنُ**: ابْتَلَاهُ اللهُ بِسَبْعَةِ أَشْيَاءَ: بِالْكَوَاكِبِ وَالْقَمَرِ وَالشَّمْسِ فَأَحْسَنَ فِيهَا النَّظَرَ، وَعَلِمَ أَنَّ رَبَّهُ دَائِمٌ لَا يَزُولُ، وَبِالنَّارِ فَصَبَرَ عَلَيْهَا، وَبِالْهِجْرَةِ وَبِذَبْحِ ابْنِهِ وَبِالْخِتَانِ فَصَبَرَ عَلَيْهَا. **قَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ**: هُوَ قَوْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ إِذْ يَرْفَعَانِ الْبَيْتَ: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ﴾[البَقَرَة:١٢٧] الآيَة، فَرَفَعَاهُ بِـ(سُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ للهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ). **وقال يَمَانُ بْنُ رِبَابٍ**: هُنَّ مُحَاجَّةُ قَوْمِهِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ﴾[الأَنْعَام:٨٣]. **وَقِيلَ**: هِيَ قَوْلُهُ: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ﴾[الشُّعَرَاء:٧٨]... إِلَى آخِرِ الْآيَاتِ.

﴿فَأَتَمَّهُنَّۖ﴾: **قَالَ قَتَادَةُ**: أَدَّاهُنَّ. **وَقَالَ الضَّحَّاكُ**: قَامَ بِهِنَّ. **وَقَالَ يَمَانُ**: عَمِلَ بِهِنَّ. ﴿قَالَ﴾: اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًاۖ﴾: يُقْتَدَى بِكَ فِي الْخَيْرِ، ﴿قَالَ﴾: إِبْرَاهِيمُ: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِيۖ﴾: أَيْ: وَمِنْ أَوْلَادِي أَيْضًا فَاجْعَلْ أَئِمَّةً يُقْتَدَى بِهِمْ فِي الْخَيْرِ، ﴿قَالَ﴾: اللهُ تَعَالَى: ﴿لَا يَنَالُ﴾: لَا يُصِيبُ ﴿عَهْدِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾. قَرَأَ حَمْزَةُ وَحَفْصٌ بِإِسْكَانِ الْيَاءِ

وَالْبَاقُونَ بِفَتْحِهَا، أَيْ: مَنْ كَانَ مِنْهُمْ ظَالِمًا لَا يُصِيبُهُ. **قَالَ عَطَاءُ بْنُ أَبِي رَبَاحٍ**: ﴿عَهۡدِي﴾: رَحْمَتِي. **وَقَالَ السُّدِّيُّ**: نُبُوَّتِي. **وَقِيلَ**: الْإِمَامَةُ. **قَالَ مُجَاهِدٌ**: لَيْسَ لِظَالِمٍ أَنْ يُطَاعَ فِي ظُلْمِهِ. **وَمَعْنَى الْآيَةِ**: لَا يَنَالُ مَا عَهِدْتُ إِلَيْكَ مِنَ النُّبُوَّةِ وَالْإِمَامَةِ مَنْ كَانَ ظَالِمًا مِنْ وَلَدِكَ. **وَقِيلَ**: أَرَادَ بِالْعَهْدِ الْأَمَانَ مِنَ النَّارِ، وَبِالظَّالِمِ الْمُشْرِكَ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾[الأنعام:٨٢].

﴿وَإِذۡ جَعَلۡنَا ٱلۡبَيۡتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمۡنًا وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلًّىۖ وَعَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيۡتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلۡعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذۡ جَعَلۡنَا ٱلۡبَيۡتَ﴾: يَعْنِي: الْكَعْبَةَ، ﴿مَثَابَةً لِّلنَّاسِ﴾: مَرْجِعًا لَهُمْ، **قَالَ مُجَاهِدٌ وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ**: يَثُوبُونَ إِلَيْهِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ وَيَحُجُّونَ، **قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ** رضي الله عنهما: مَعَاذًا وَمَلْجَأً، **وَقَالَ قَتَادَةُ وَعِكْرِمَةُ**: مَجْمَعًا، ﴿وَأَمۡنًا﴾: أَيْ: مَأْمَنًا يَأْمَنُونَ فِيهِ مِنْ إِيذَاءِ الْمُشْرِكِينَ؛ فَإِنَّهُمْ كَانُوا لا يَتَعَرَّضُونَ لِأَهْلِ مَكَّةَ، وَيَقُولُونَ هُمْ أَهْلُ اللهِ، وَيَتَعَرَّضُونَ لِمَنْ حَوْلَهُ كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا جَعَلۡنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنۡ حَوۡلِهِمۡۚ﴾[العَنْكَبُوت:٦٧].

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ: «**إِنَّ هَذَا الْبَلَدَ حَرَّمَهُ اللهُ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، فَهُوَ حَرَامٌ بِحُرْمَةِ اللهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، لَا يُعْضَدُ شَوْكُهُ، وَلَا يُنَفَّرُ صَيْدُهُ، وَلَا يَلْتَقِطُ لُقَطَتَهُ إِلَّا مَنْ عَرَّفَهَا، وَلَا يُخْتَلَى خَلَاهُ**»، **فَقَالَ الْعَبَّاسُ**: يَا رَسُولَ اللهِ إِلَّا الْإِذْخِرَ؛ فَإِنَّهُ لِقَيْنِهِمْ وَلِبُيُوتِهِمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِلَّا الإِذْخَرَ**»[(١)].

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱتَّخِذُواْ﴾: قَرَأَ نَافِعٌ وَابْنُ عَامِرٍ بِفَتْحِ الْخَاءِ عَلَى الْخَبَرِ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ

---

(١) **صحيح**: البخاري: (١٨٣٤)، ومسلم: (١٣٥٣). **وقَولُهُ**: «**إِلَّا الإِذْخَرَ**»: الإِذْخَرُ: نبتٌ طيِّبُ الرَّائِحَةِ معروفٌ في أرضِ الحِجَازِ. **وقَولُهُ**: «**لِقَيْنِهِمْ**»: بفتح القاف وسكون التحتية وبالنون حدَّادهم، أو القين كل صاحب صناعة يعالجها بنفسه، ومعناه: يُحتاج إليه في وقود النار، «**وَلِبُيُوتِهِمْ**»: في سقوفها؛ يُجعل فوق الخشب.اهـ "إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري" (٣/ ٣٠٩).

بِكَسْرِ الْخَاءِ عَلَى الْأَمْرِ، ﴿مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾: قَالَ يَمَان: الْمَسْجِدُ كُلُّهُ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ، وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ النَّخَعِيُّ: الْحَرَمُ كُلُّهُ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ، وَقِيلَ: أَرَادَ بِمَقَامِ إِبْرَاهِيمَ جَمِيعَ مُشَاهِدِ الْحَجِّ، مِثْلَ: (عَرَفَة، وَالْمُزْدَلِفَة، وَسَائِرِ الْمَشَاهِدِ)، وَالصَّحِيحُ: أَنَّ مَقَامَ إِبْرَاهِيمَ هُوَ الْحَجَرُ الَّذِي فِي الْمَسْجِدِ يُصَلِّي إِلَيْهِ الْأَئِمَّةُ، وَذَلِكَ الْحَجَرُ الَّذِي قَامَ عَلَيْهِ إِبْرَاهِيمُ عليه السلام عِنْدَ بِنَاءِ الْبَيْتِ. قَالَ قَتَادَةُ وَمُقَاتِلٌ وَالسُّدِّيُّ: أُمِرُوا بِالصَّلَاةِ عِنْدَ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ، وَلَمْ يُؤْمَرُوا بِمَسْحِهِ وَتَقْبِيلِهِ.

عَنْ أَنَسِ بنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه: وَافَقْتُ اللهَ فِي ثَلَاثٍ -أَوْ وَافَقَنِي رَبِّي فِي ثَلَاثٍ- قُلْتُ يا رَسُولَ الله لَوِ اتَّخَذْتَ مَقَامَ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى؟ فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾. وَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله يَدْخُلُ عَلَيْكَ الْبَرُّ وَالْفَاجِرُ، فَلَوْ أَمَرْتَ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ بِالْحِجَابِ؟ فَأَنْزَلَ اللهُ عز وجل آيَةَ الْحِجَابِ. وَبَلَغَنِي مُعَاتَبَةُ النَّبِيِّ ﷺ بَعْضَ نِسَائِهِ، فَدَخَلْتُ عَلَيْهِنَّ فَقُلْتُ لَهُنَّ: إِنِ انْتَهَيْتُنَّ أَوْ لَيُبْدِلَنَّهُ اللهُ خَيْرًا مِنْكُنَّ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ﴾[التَّحْرِيم:٥]، الآيَة(١).

قَوْلُهُ عز وجل: ﴿وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ﴾: أَيْ: أَمَرْنَاهُمَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمَا، ﴿أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ﴾: يَعْنِي: الْكَعْبَةَ، أَضَافَهُ إِلَيْهِ تَخْصِيصًا وَتَفْضِيلًا، أَيِ: ابْنِيَاهُ عَلَى الطَّهَارَةِ وَالتَّوْحِيدِ. وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ وَعَطَاءٌ: طَهِّرَاهُ مِنَ الْأَوْثَانِ وَالرِّيَبِ وَقَوْلِ الزُّورِ،

---

(١) **صحيح:** البخاري: (٤٠٢)، واللفظ له، ومسلم: (٢٣٩٩) عن ابن عمر رضي الله عنهما، بلفظ: «**وَفِي أُسَارَى بَدْرٍ**» بدلًا عن: «**وَبَلَغَنِي مُعَاتَبَةُ النَّبِيِّ ﷺ**..». وأوردهُما العَلَّامةُ مُقبلُ بنُ هادِي الوادِعيُّ رحمه الله في كِتابِهِ "الصَّحيحُ المسندُ من أسبابِ النُّزولِ" ص(٢٤).

وجَاءَتْ مَوافقتُه أيضًا: في منع الصلاة على المنافقين ونزول الآية بذلك، كما أورده مسلم رحمه الله في "صحيحه" برقم: (٢٤٠٠)، عن ابن عمر رضي الله عنهما أيضًا. وهكذا في تحريم الخمر، كما في "الصَّحيح المسنَد من أسبابِ النُّزولِ" للعلَّامة الإمام المجدد مقبل بن هادي الوادعي رحمه الله ص(٣٩)، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وفيه أنَّه قال لَّما نزل تحريمُ الخمرِ قال: «**اللَّهُمَّ بَيِّنْ لَنَا فِي الخَمْرِ بَيَانًا شَافِيًا، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ الَّتِي فِي سُورَةِ البَقَرَةِ:** ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾، **قَالَ: فَدُعِيَ عُمَرُ** رضي الله عنه **فَقُرِئَتْ عَلَيْهِ**..» الحديث.

وَقِيلَ: بَخْرَاهُ وَخَلْقَاهُ. قَرَأَ أَهْلُ المَدِينَةِ وَحفصٌ: ﴿بَيْتِيَ﴾ بِفَتْحِ الْيَاءِ هَاهُنَا وَفِي (سُورَةِ الحَجِّ)، وَزَادَ حَفْصٌ فِي (سُورَةِ نُوحٍ)، ﴿لِلطَّآئِفِينَ﴾: الدَّائِرِينَ حَوْلَهُ، ﴿وَٱلْعَٰكِفِينَ﴾: الْمُقِيمِينَ الْمُجَاوِرِينَ ﴿وَٱلرُّكَّعِ﴾: جَمْعُ (رَاكِعٍ)، ﴿ٱلسُّجُودِ﴾: جَمْعُ (سَاجِدٍ) وَهُمُ الْمُصَلُّونَ.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا﴾: يَعْنِي: مَكَّةَ، وَقِيلَ: الْحَرَمَ، ﴿بَلَدًا ءَامِنًا﴾: أَيْ: ذَا أَمْنٍ يَأْمَنُ فِيهِ أَهْلُهُ، ﴿وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾: إِنَّمَا دَعَا بِذَلِكَ لِأَنَّهُ كَانَ بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ، ﴿مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾: دَعَا لِلْمُؤْمِنِينَ خَاصَّةً، ﴿قَالَ﴾: اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ﴾: قَرَأَ ابْنُ عَامِرٍ: ﴿فَأُمْتِعُهُ﴾ خَفِيفًا بِضَمِّ الْهَمْزَةِ، وَالْبَاقُونَ مُشَدَّدًا، وَمَعْنَاهُمَا وَاحِدٌ، ﴿قَلِيلًا﴾: أَيْ: سَأَرْزُقُ الْكَافِرَ أَيْضًا قَلِيلًا إِلَى مُنْتَهَى أَجَلِهِ، وَذَلِكَ أَنَّ اللهَ تَعَالَى وَعَدَ الرِّزْقَ لِلْخَلْقِ كَافَّةً مُؤْمِنِهِمْ وَكَافِرِهِمْ، وَإِنَّمَا قَيَّدَ بِالْقِلَّةِ؛ لِأَنَّ مَتَاعَ الدُّنْيَا قَلِيلٌ، ﴿ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ﴾: أَيْ: أُلْجِئُهُ فِي الْآخِرَةِ ﴿إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾: أَيِ: الْمَرْجِعُ يَصِيرُ إِلَيْهِ.

قَوْلُهُ ﷻ: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ﴾: يَعْنِي أُسُسَهُ، وَاحِدَتُهَا: (قَاعِدَةٌ)، قِيلَ: أَرْسَلَ اللهُ جِبْرِيلَ لِيَدُلَّهُ عَلَى مَوْضِعِ البَيْتِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ﴾[الحج:٢٦]، فَبَنَى إِبْرَاهِيمُ وَإِسْمَاعِيلُ الْبَيْتَ، فَكَانَ إِبْرَاهِيمُ يَبْنِيهِ وَإِسْمَاعِيلُ يُنَاوِلُهُ الْحَجَرَ، وَقِيلَ: أَوَّلُ مَنْ بَنَى الْكَعْبَةَ آدَمُ، وَانْدَرَسَ زَمَنَ الطُّوفَانِ، ثُمَّ أَظْهَرَهُ اللهُ لِإِبْرَاهِيمَ حَتَّى بناه ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ﴾: فِيهِ إِضْمَارٌ، أَيْ: وَيَقُولَانِ: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ﴾: بِنَاءَنَا؛ ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ﴾: لِدُعَائِنَا ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾: بِنِيَّاتِنَا.

﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ

﴿وَيُزَكِّيهِمْۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾

﴿رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ﴾ مُوَحِّدَيْنِ مُطِيعَيْنِ مُخْلِصَيْنِ خَاضِعَيْنِ لَكَ ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ﴾ أَيْ: أَوْلَادِنَا ﴿أُمَّةً﴾: جَمَاعَةً، **وَالْأُمَّةُ**: أَتْبَاعُ الْأَنْبِيَاءِ، ﴿مُّسۡلِمَةً لَّكَ﴾: خَاضِعَةً لَكَ، ﴿وَأَرِنَا﴾: عَلِّمْنَا وَعَرِّفْنَا، قَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ سَاكِنَةَ الرَّاءِ، وَأَبُو عَمْرٍو بِالِاخْتِلَاسِ، وَالْبَاقُونَ بِكَسْرِهَا، وَأَصْلُهُ: (أَرْئِنَا)، فَحُذِفَتِ الْهَمْزَةُ؛ طَلَبًا لِلْخِفَّةِ، وَنُقِلَتْ حَرَكَتُهَا إِلَى الرَّاءِ، وَمَنْ سَكَّنَهَا قَالَ: ذَهَبَتِ الْهَمْزَةُ فَذَهَبَتْ حَرَكَتُهَا. ﴿مَنَاسِكَنَا﴾: شَرَائِعَ دِينِنَا وَأَعْلَامَ حَجِّنَا. **وَقِيلَ**: مَوَاضِعَ حَجِّنَا. **وَقَالَ مُجَاهِدٌ**: مَذَابِحَنَا. **وَالنُّسُكُ**: الذَّبِيحَةُ. **وَقِيلَ**: مُتَعَبَّدَاتِنَا. **وَأَصْلُ النُّسُكِ**: الْعِبَادَةُ، وَالنَّاسِكُ: الْعَابِدُ. ﴿وَتُبۡ عَلَيۡنَآۖ﴾: تَجَاوَزْ عَنَّا؛ ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١٢٨ رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ﴾: أَيْ: فِي الْأُمَّةِ الْمُسْلِمَةِ مِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ. **وَقِيلَ**: فِي أَهْلِ مَكَّةَ ﴿رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ﴾: أَيْ: مُرْسَلًا مِنْهُمْ، أَرَادَ بِهِ مُحَمَّدًا ﷺ، ﴿يَتۡلُواْ﴾: يَقْرَأُ ﴿عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ﴾: كِتَابَكَ، يَعْنِي: الْقُرْآنَ، **وَالْآيَةُ مِنَ الْقُرْآنِ**: كَلَامٌ مُتَّصِلٌ إِلَى انْقِطَاعِهِ. **وَقِيلَ**: هِيَ جَمَاعَةُ حُرُوفٍ، يُقَالُ: (خَرَجَ الْقَوْمُ بِآيَتِهِمْ)، أَيْ: بِجَمَاعَتِهِمْ، ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ﴾: يَعْنِي: الْقُرْآنَ، ﴿وَٱلۡحِكۡمَةَ﴾: **قَالَ مُجَاهِدٌ**: فَهْمَ الْقُرْآنِ. **وَقَالَ مُقَاتِلٌ**: مَوَاعِظَ الْقُرْآنِ وَمَا فِيهِ مِنَ الْأَحْكَامِ. **وَقَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ**: هِيَ الْعِلْمُ وَالْعَمَلُ بِهِ، وَلَا يَكُونُ الرَّجُلُ حَكِيمًا حَتَّى يَجْمَعَهُمَا. **وَقِيلَ**: هِيَ السُّنَّةُ، ﴿وَيُزَكِّيهِمۡۚ﴾: أَيْ: يُطَهِّرُهُمْ مِنَ الشِّرْكِ وَالذُّنُوبِ. **وَقِيلَ**: يَأْخُذُ الزَّكَاةَ مِنْ أَمْوَالِهِمْ، **وَقَالَ ابْنُ كَيْسَانَ**: يَشْهَدُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِالْعَدَالَةِ إِذَا شَهِدُوا لِلْأَنْبِيَاءِ بِالْبَلَاغِ، مِنَ التَّزْكِيَةِ، وَهِيَ: التَّعْدِيلُ؛ ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾: **قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ**: **الْعَزِيزُ**: الَّذِي لَا يُوجَدُ مِثْلُهُ. **وَقِيلَ**: الْمَنِيعُ الَّذِي لَا تَنَالُهُ الْأَيْدِي وَلَا يَصِلُ إِلَيْهِ شَيْءٌ. **وَقِيلَ**: الْقَوِيُّ، وَالْعِزَّةُ: الْقُوَّةُ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَعَزَّزۡنَا بِثَالِثٖ﴾[يس:١٤]، أَيْ: قَوَّيْنَا. **وَقِيلَ**: الْغَالِبُ، قَالَ اللهُ تَعَالَى إِخْبَارًا: ﴿وَعَزَّنِي فِي ٱلۡخِطَابِ﴾[ص:٢٣] أَيْ: غَلَبَنِي، وَيُقَالُ فِي الْمَثَلِ: (مَنْ عَزَّ بَزَّ)، أَيْ: مَنْ غَلَبَ سَلَبَ.

﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَـٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾

﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ ﴾: أَيْ: يَتْرُكُ دِينَهُ وَشَرِيعَتَهُ، يُقَالُ: (رَغِبَ فِي الشَّيْءِ) إِذَا أَرَادَهُ، وَ(رَغِبَ عَنْهُ) إِذَا تَرَكَهُ. **وَقَوْلُهُ:** ﴿ وَمَن ﴾: لَفْظُهُ اسْتِفْهَامٌ وَمَعْنَاهُ: التَّقْرِيعُ وَالتَّوْبِيخُ، يَعْنِي: مَا يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ ﴿إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾: **قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ:** خَسِرَ نَفْسَهُ. **وَقَالَ الْكَلْبِيُّ:** ضَلَّ مِنْ قِبَلِ نَفْسِهِ. **وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ:** أَهْلَكَ نَفْسَهُ. **وَقَالَ ابْنُ كَيْسَانَ وَالزَّجَّاجُ:** مَعْنَاهُ: جَهَّلَ نَفْسَهُ. **وَالسَّفَاهَةُ:** الْجَهْلُ وَضَعْفُ الرَّأْيِ، وَكُلُّ سَفِيهٍ جَاهِلٌ؛ وَذَلِكَ أَنَّ مَنْ عَبَدَ غَيْرَ اللهِ فَقَدْ جَهَّلَ نَفْسَهُ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَعْرِفْ أَنَّ اللهَ خَلَقَهَا. **وَقَالَ الْأَخْفَشُ:** مَعْنَاهُ: سَفِهَ فِي نَفْسِهِ، وَ﴿نَفْسَهُۥ﴾ عَلَى هَذَا الْقَوْلِ: نَصْبٌ بِنَزْعِ حَرْفِ الصِّفَةِ. **وَقَالَ الْفَرَّاءُ:** نَصْبٌ عَلَى التَّفْسِيرِ، وَكَانَ الْأَصْلُ: سَفِهَتْ نَفْسُهُ، فَلَمَّا أَضَافَ الْفِعْلَ إِلَى صَاحِبِهَا خَرَجَتِ النَّفْسُ مُفَسَّرَةً؛ لِيَعْلَمَ مَوْضِعَ السَّفَهِ، كَمَا يُقَالُ: (ضِقْتُ بِهِ ذَرْعًا)، أَيْ: ضَاقَ ذَرْعِي بِهِ. ﴿وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَـٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ﴾: اخْتَرْنَاهُ فِي الدُّنْيَا، ﴿وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴾: يَعْنِي: مَعَ الْأَنْبِيَاءِ فِي الْجَنَّةِ. **وَقَالَ الْحُسَيْنُ بْنُ الْفَضْلِ:** فِيهِ تَقْدِيمٌ وَتَأْخِيرٌ، تَقْدِيرُهُ: وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّالِحِينَ، ﴿ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ﴾: أَيِ: اسْتَقِمْ عَلَى الْإِسْلَامِ وَاثْبُتْ عَلَيْهِ؛ لِأَنَّهُ كَانَ مُسْلِمًا، ﴿قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾: أَيْ: فَوَّضْتُ، **قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ:** وَقَدْ حَقَّقَ ذَلِكَ حَيْثُ لَمْ يَسْتَعِنْ بِأَحَدٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ.

﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَـٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾

﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ ﴾: قَرَأَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ وَالشَّامِ: ﴿وَأَوْصَى﴾ بِالْأَلِفِ، وَكَذَلِكَ هُوَ فِي مَصَاحِفِهِمْ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ: ﴿ وَوَصَّىٰ ﴾ مُشَدَّدًا وَهُمَا لُغَتَانِ مِثْلُ: (أَنْزَلَ، وَنَزَّلَ)، مَعْنَاهُ: وَوَصَّى إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ، وَوَصَّى يَعْقُوبُ بَنِيهِ. **قَالَ الْكَلْبِيُّ وَمُقَاتِلٌ:** يَعْنِي: كَلِمَةَ الْإِخْلَاصِ: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ). **قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ:** إِنْ شِئْتَ رَدَدْتَ الْكِنَايَةَ إِلَى الْمِلَّةِ؛

لِأَنَّهُ ذَكَرَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ، وَإِنْ شِئْتَ رَدَدْتَهَا إِلَى الْوَصِيَّةِ، ﴿يَـٰبَنِيَّ﴾: مَعْنَاهُ: أَنْ يَا بَنِيَّ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ﴾: اخْتَارَ ﴿لَكُمُ ٱلدِّينَ﴾: أَيْ: دِينَ الْإِسْلَامِ، ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾: مُؤْمِنُونَ. وَقِيلَ: مُخْلِصُونَ. وَقِيلَ: مُفَوِّضُونَ. وَالنَّهْيُ فِي ظَاهِرِ الْكَلَامِ وَقَعَ عَلَى الْمَوْتِ وَإِنَّمَا نُهُوا فِي الْحَقِيقَةِ عَنْ تَرْكِ الْإِسْلَامِ، مَعْنَاهُ: دَاوِمُوا عَلَى الْإِسْلَامِ حَتَّى لَا يُصَادِفَكُمُ الْمَوْتُ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ. وَعَنِ **الْفُضَيْلِ بْنِ عِيَاضٍ** رَحِمَهُ اللَّهُ **أَنَّهُ قَالَ**: ﴿إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾: أَيْ: مُحْسِنُونَ بِرَبِّكُمُ الظَّنَّ.

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَبْلَ مَوْتِهِ بِثَلَاثَةِ أَيَّامٍ يَقُولُ: «**لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللهِ** عَزَّ وَجَلَّ»[(١)].

﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَـٰهَكَ وَإِلَـٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ﴾: يَعْنِي: أَكُنْتُمْ شُهَدَاءَ؟! يُرِيدُ مَا كُنْتُمْ شُهَدَاءَ حُضُورًا ﴿إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ﴾: أَيْ: حِينَ قَرُبَ يَعْقُوبُ مِنَ الْمَوتِ ﴿إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَـٰهَكَ وَإِلَـٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ﴾: وَكَانَ إِسْمَاعِيلُ عَمًّا لَهُمْ، وَالْعَرَبُ تُسَمِّي الْعَمَّ أَبًا كَمَا تُسَمِّي الخَالَةَ أُمًّا، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**عَمُّ الرَّجُلِ صِنْوُ أَبِيهِ**»[(٢)].

﴿إِلَـٰهًا وَٰحِدًا﴾: نَصْبٌ عَلَى الْبَدَلِ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿إِلَـٰهَكَ﴾. وَقِيلَ: نَعْبُدُ إِلَهًا وَاحِدًا، ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ﴾: جَمَاعَةٌ ﴿قَدْ خَلَتْ﴾: مَضَتْ، ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾: مِنَ العَمَلِ، ﴿وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾: يَعْنِي: يُسْأَلُ كُلٌّ عَنْ عَمَلِهِ لَا عَنْ عَمَلِ غَيْرِهِ.

﴿وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ قُولُوٓا۟

(١) **صحيح**: مسلم: (٢٨٧٧).

(٢) **صحيح**: مسلم: (٩٨٣)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴾

﴿وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰ تَهۡتَدُواْۗ قُلۡ﴾: يَا مُحَمَّدُ ﴿بَلۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِـۧمَ﴾: بَلْ نَتَّبِعُ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ. وَقَالَ الْكِسَائِيُّ: هُوَ نَصْبٌ عَلَى الْإِغْرَاءِ، كَأَنَّهُ يَقُولُ: اتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ. وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: بَلْ نَكُونُ عَلَى مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ، فَحُذِفَ (عَلَى) فَصَارَ مَنْصُوبًا، ﴿حَنِيفٗاۖ﴾: نَصْبٌ عَلَى الْحَالِ عِنْدَ نُحَاةِ الْبَصْرَةِ، وَعِنْدَ نُحَاةِ الْكُوفَةِ نَصْبٌ عَلَى الْقَطْعِ، أَرَادَ بِهِ: مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ الْحَنِيفِ، فَلَمَّا أُسْقِطَتِ الْأَلِفُ وَاللَّامُ لَمْ تَتْبَعِ النَّكِرَةُ الْمَعْرِفَةَ فَانْقَطَعَ مِنْهُ، فَنُصِبَ. قَالَ مُجَاهِدٌ: الْحَنِيفِيَّةُ: اتِّبَاعُ إِبْرَاهِيمَ فِيمَا أَتَى بِهِ مِنَ الشَّرِيعَةِ الَّتِي صَارَ بِهَا إِمَامًا لِلنَّاسِ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: الْحَنِيفُ: الْمَائِلُ عَنِ الْأَدْيَانِ كُلِّهَا، إِلَّا دِينَ الْإِسْلَامِ. وَأَصْلُهُ: مِنَ (الْحَنَفِ)، وَهُوَ مَيْلٌ وَعِوَجٌ يَكُونُ فِي الْقَدَمِ، ﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾. ثُمَّ عَلَّمَ الْمُؤْمِنِينَ طَرِيقَ الْإِيمَانِ، فَقَالَ -جَلَّ ذِكْرُهُ-: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا﴾: يَعْنِي الْقُرْآنَ، ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ﴾: يَعْنِي: أَوْلَادَ يَعْقُوبَ، وَهُمُ اثْنَا عَشَرَ سِبْطًا: وَاحِدُهُمْ: سِبْطٌ، سُمُّوا بِذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ وُلِدَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ جَمَاعَةٌ، وَسِبْطُ الرَّجُلِ: حَافِدُهُ، وَمِنْهُ قِيلَ لِلْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ رضي الله عنهما: سِبْطَا رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَالْأَسْبَاطُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَالْقَبَائِلِ مِنَ الْعَرَبِ وَالشُّعُوبِ مِنَ العَجَمِ. وَقِيلَ: هُمْ بَنُو يَعْقُوبَ مِنْ صُلْبِهِ صَارُوا كُلُّهُمْ أَنْبِيَاءَ. ﴿وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ﴾: يَعْنِي: التَّوْرَاةَ، ﴿وَعِيسَىٰ﴾: يَعْنِي: الْإِنْجِيلَ، ﴿وَمَآ أُوتِيَ﴾: أُعْطِيَ ﴿ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ﴾: أَيْ: نُؤْمِنُ بِالْكُلِّ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ فَنُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ كَمَا فَعَلَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى، ﴿وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ أَهْلُ الكِتَابِ يَقْرَؤُونَ التَّوْرَاةَ بِالْعِبْرَانِيَّةِ وَيُفَسِّرُونَهَا بِالْعَرَبِيَّةِ لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا تُصَدِّقُوا أَهْلَ الْكِتَابِ

وَلَا تُكَذِّبُوهُمْ، وَقُولُوا: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾» الْآيَةَ[1].

﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾ قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِى ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾

﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ﴾: أَيْ: بِمَا آمَنْتُمْ بِهِ، وَكَذَلِكَ كَانَ يَقْرَؤُهَا ابْنُ عَبَّاسٍ، وَ(الْمِثْلِ) صِلَةٌ. **وَقِيلَ**: مَعْنَاهُ: فَإِنْ آمَنُوا بِجَمِيعِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ، أَيْ: أَتَوْا بِإِيمَانٍ كَإِيمَانِكُمْ وَتَوْحِيدٍ كَتَوْحِيدِكُمْ. **وَقِيلَ**: مَعْنَاهُ: فَإِنْ آمَنُوا مِثْلَ مَا أَمِنْتُمْ بِهِ، وَ(الْبَاءُ) زَائِدَةٌ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ﴾[مَرْيَم:٢٥]، ﴿فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ﴾: أَيْ: فِي خِلَافٍ وَمُنَازَعَةٍ، **قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ وَعَطَاءٌ**، يُقَالُ: (شَاقَّ مُشَاقَّةً) إِذَا خَالَفَ، كَأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ آخِذٌ فِي شِقٍّ غَيْرِ شِقِّ صَاحِبِهِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِىٓ﴾[هُود:٨٩]، أَيْ: خِلَافِي. **وَقِيلَ**: فِي عَدَاوَةٍ، دَلِيلُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ﴾[الْأَنْفَال:١٣]، أَيْ عَادُوا اللهَ، ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ﴾: يَا مُحَمَّدُ، أَيْ: يَكْفِيكَ شَرَّ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، وَقَدْ كُفِيَ بِإِجْلَاءِ بَنِي النَّضِيرِ، وَقَتْلِ بَنِي قُرَيْظَةَ، وَضَرْبِ الْجِزْيَةِ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾: لِأَقْوَالِهِمْ ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾: بِأَحْوَالِهِمْ.

﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ﴾: **قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِي رِوَايَةِ الْكَلْبِيِّ وَقَتَادَةَ وَالْحَسَنِ**: دِينَ اللهِ، وَإِنَّمَا سَمَّاهُ صِبْغَةً؛ لِأَنَّهُ يَظْهَرُ أَثَرُ الدِّينِ عَلَى الْمُتَدَيِّنِ كَمَا يَظْهَرُ أَثَرُ الصَّبْغِ عَلَى الثَّوْبِ. **وَقِيلَ**: لِأَنَّ الْمُتَدَيِّنَ يَلْزَمُهُ وَلَا يُفَارِقُهُ كَالصَّبْغِ يَلْزَمُ الثَّوْبَ، **وَقِيلَ**: سُنَّةَ اللهِ، **وَقَالَ مُجَاهِدٌ**: فِطْرَةَ اللهِ، وَهُوَ قَرِيبٌ مِنَ الْأَوَّلِ وَهُوَ نَصْبٌ عَلَى الْإِغْرَاءِ، يَعْنِي: الْزَمُوا دِينَ اللهِ، **قَالَ الْأَخْفَشُ**: هِيَ بَدَلٌ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿مِلَّةَ إِبْرَٰهِۦمَ﴾، ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ﴾: دِينًا،

---

(١) **صحيح**: البخاري: (٤٤٨٥).

وَقِيلَ: تَطْهِيرًا، ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ﴾: مُطِيعُونَ، ﴿قُلْ﴾: يَا مُحَمَّدُ لِلْيَهُودِ وَالنَّصَارَى ﴿أَتُحَآجُّونَنَا فِي ٱللَّهِ﴾: أَيْ: فِي دِينِ الله، وَالمُحَاجَّةُ: المُجَادَلَةُ لِإِظْهَارِ الْحُجَّةِ، ﴿وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ﴾: أَيْ: نَحْنُ وَأَنْتُمْ سَوَاءٌ فِي الله؛ فَإِنَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ، ﴿وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ﴾: أَيْ: لِكُلٍّ وَاحِدٍ جَزَاءُ عَمَلِهِ، فَكَيْفَ تَدَّعُونَ أَنَّكُمْ أَوْلَى بِالله، ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ﴾: وَأَنْتُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ. قَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: الْإِخْلَاصُ: أَنْ يُخْلِصَ الْعَبْدُ دِينَهُ وَعَمَلَهُ، فَلَا يُشْرِكَ بِهِ فِي دِينِهِ وَلَا يُرَائِيَ بِعَمَلِهِ. قَالَ الفُضَيْلُ: تَرْكُ العَمَلِ مِنْ أَجْلِ النَّاسِ رِيَاءٌ، وَالْعَمَلُ مِنْ أَجْلِ النَّاسِ شِرْكٌ، وَالْإِخْلَاصُ أَنْ يُعَافِيَكَ اللهُ مِنْهُمَا.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَمْ تَقُولُونَ﴾: يَعْنِي: أَتَقُولُونَ، صِيغَتُهُ صِيغَةُ اسْتِفْهَامٍ، وَمَعْنَاهُ التَّوْبِيخُ، وَقَرَأَ ابْنُ عَامِرٍ وَحَمْزَةُ وَالْكِسَائِيُّ وَحَفْصٌ بِالتَّاءِ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِي ٱللَّهِ﴾، وَقَالَ بَعْدَهُ: ﴿قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ﴾، وَقَرَأَ الْآخَرُونَ بِالْيَاءِ، يَعْنِي: بَلْ يَقُولُونَ، أَيِ: الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُواْ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ﴾: يَعْنِي: وَنَصَارَى ﴿قُلْ﴾: يَا مُحَمَّدُ ﴿ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ﴾: بِدِينِهِمْ ﴿أَمِ ٱللَّهُ﴾؟ وَقَدْ أَخْبَرَ اللهُ تَعَالَى أَنَّ إِبْرَاهِيمَ لَمْ يَكُنْ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا، وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا، ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ﴾: أَخْفَى ﴿شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ﴾: وَهِيَ عِلْمُهُمْ بِأَنَّ إِبْرَاهِيمَ وَبَنِيهِ كَانُوا مُسْلِمِينَ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ حَقٌّ وَرَسُولٌ، أَشْهَدَهُمُ اللهُ عَلَيْهِ فِي كُتُبِهِمْ ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾. ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾: كَرَّرَهُ تَأْكِيدًا.

﴿۞ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيْهَا قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ﴾: الْجُهَّالُ ﴿مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ﴾: أَيُّ شَيْءٍ صَرَفَهُمْ

وَحَوَّلَهُمْ ﴿عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيْهَاۚ﴾: يَعْنِي: بَيْتَ الْمَقْدِسِ، وَالْقِبْلَةُ (فِعْلَةٌ) مِنَ الْمُقَابَلَةِ، ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُۚ﴾: مُلْكًا وَالْخَلْقُ عَبِيدُهُ، ﴿يَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[(١)].

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً﴾: أَيْ: وَهَكَذَا. **وَقِيلَ**: الْكَافُ لِلتَّشْبِيهِ، وَهِيَ مَرْدُودَةٌ عَلَى قَوْلِهِ: ﴿وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِي ٱلدُّنْيَاۖ﴾[البَقَرَة:١٣٠]، أَيْ: كَمَا اخْتَرْنَا إِبْرَاهِيمَ وَذُرِّيَّتَهُ وَاصْطَفَيْنَاهُمْ، كَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً ﴿وَسَطًا﴾: أَيْ: عَدْلًا خِيَارًا، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾[الْقَلَم:٢٨]، أَيْ: خَيْرُهُمْ وَأَعْدَلُهُمْ، وَخَيْرُ الْأَشْيَاءِ أَوْسَطُهَا. **وَقَالَ الْكَلْبِيُّ**: يَعْنِي أَهْلَ دِينٍ وَسَطٍ بَيْنَ الْغُلُوِّ وَالتَّقْصِيرِ؛ لِأَنَّهُمَا مَذْمُومَانِ فِي الدِّينِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾: يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنَّ الرُّسُلَ قَدْ بَلَّغَتْهُمْ. **قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ**: قُلْتُ لِعَطَاءٍ: مَا مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾؟ قَالَ: أُمَّةُ مُحَمَّدٍ ﷺ شُهَدَاءُ عَلَى مَنْ يَتْرُكُ الْحَقَّ مِنَ النَّاسِ أَجْمَعِينَ، ﴿وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ﴾: مُحَمَّدٌ ﷺ ﴿عَلَيْكُمْ شَهِيدًاۗ﴾: مُعَدِّلًا مُزَكِّيًا لَكُمْ، وَذَلِكَ أَنَّ اللهَ تَعَالَى يَجْمَعُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ.

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«يُجَاءُ بِنُوحٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُقَالُ لَهُ: هَلْ بَلَّغْتَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ يَا رَبِّ، فَيَسْأَلُ أُمَّتَهُ هَلْ بَلَّغَكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: مَا جَاءَنَا مِنْ نَذِيرٍ، فَيُقَالُ: مَنْ شُهُودُكَ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ، فَيُجَاءُ بِكُمْ فَتَشْهَدُونَ»** ثُمَّ قَرَأَ

---

(١) قَالَ العَلَّامةُ الإِمَامُ مُقبلُ بنُ هادِي الوادِعيُّ رَحِمَهُ اللهُ في كِتابِهِ «الصَّحِيحُ المسندُ من أسبابِ النُّزولِ» صـ(٢٥): **قال ابنُ إسحاق**: حدَّثني إسماعيلُ بنُ أبي خالد، عن أبي إسحاقَ، **عن البَراءِ** قال: كان رسولُ الله ﷺ يُصلِّي نحوَ بيتِ المقدس ويُكثِرُ النَّظرَ إلى السماء ينتظر أمرَ الله، فأنزلَ اللهُ: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَاۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِۚ﴾، فقالَ رِجالٌ من المسلِمين وَدِدْنَا لو عَلِمْنَا عِلم مَن مات قَبل أن نُصرَفَ إلى القبلةِ، فأنزلَ اللهُ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْۚ﴾، وقال السُّفهاءُ من النَّاس ما ولَّاهُم عن قبلتهم التي كانوا عليها، فأنزلَ اللهُ: ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ إلى آخر الآية.اهـ منقولًا مِن: «لباب النُّقول في أسباب النُّزول» للحافظ السُّيوطي، ومِن: «تفسير الحافظ ابن كثير».اهـ

رَسُولُ الله ﷺ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ﴾[1].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا جَعَلۡنَا ٱلۡقِبۡلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيۡهَآ﴾: أَيْ: تَحْوِيلها، يَعْنِي: بَيْتَ الْمَقْدِسِ فَيَكُونُ مِنْ بَابِ حَذْفِ الْمُضَافِ، وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْمَفْعُولُ الثَّانِي لِلْجَعْلِ مَحْذُوفًا عَلَى تَقْدِيرِ: وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا مَنْسُوخَةً. **وَقِيلَ**: مَعْنَاهُ: الَّتِي أَنْتَ عَلَيْهَا، وَهِيَ الْكَعْبَةُ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ﴾[آل عمران:١١٠]، أَيْ: أَنْتُمْ، ﴿إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ﴾ **فَإِنْ قِيلَ**: مَا مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿إِلَّا لِنَعۡلَمَ﴾ وَهُوَ عَالِمٌ بِالْأَشْيَاءِ كُلِّهَا قَبْلَ كَوْنِهَا؟ **قِيلَ**: أَرَادَ بِهِ الْعِلْمَ الَّذِي يَتَعَلَّقُ بِهِ الثَّوَابُ وَالْعِقَابُ؛ فَإِنَّهُ لَا يَتَعَلَّقُ بِمَا هُوَ عَالِمٌ بِهِ فِي الْغَيْبِ، إِنَّمَا يَتَعَلَّقُ بِمَا يُوجَدُ مَعْنَاهُ؛ لِنَعْلَمَ الْعِلْمَ الَّذِي يَسْتَحِقُّ الْعَامِلُ عَلَيْهِ الثَّوَابَ وَالْعِقَابَ. **وَقِيلَ**: ﴿إِلَّا لِنَعۡلَمَ﴾: أَيْ: لِنَرَى وَنُمَيِّزَ ﴿مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ﴾: فِي الْقِبْلَةِ الَّتِي أَرَدْنَاهَا فِي أَزَلِنَا ﴿مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِۚ﴾: فَيَرْتَدُّ، ﴿وَإِن كَانَتۡ﴾: أَيْ: وَقَدْ كَانَتْ، أَيْ: تَوْلِيَةُ الْقِبْلَةِ. **وَقِيلَ**: الْكِنَايَةُ رَاجِعَةٌ إِلَى الْقِبْلَةِ. **وَقِيلَ**: إِلَى الْكَعْبَةِ. **قَالَ الزَّجَّاجُ**: وَإِنْ كَانَتِ التَّحْوِيلَةُ، ﴿لَكَبِيرَةً﴾: ثَقِيلَةً شَدِيدَةً ﴿إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۗ﴾: أَيْ: هَدَاهُمُ اللهُ، **قَالَ سِيبَوَيْه**: ﴿وَإِن﴾: تَأْكِيدٌ شَبِيهٌ بِالْيَمِينِ، وَلِذَلِكَ دَخَلَتِ اللَّامُ فِي جَوَابِهَا، ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ﴾: أَيْ: مُمْتَنِعٌ غَايَةَ الامتِنَاعِ ﴿لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡۚ﴾: يَعْنِي: صَلَاتَكُمْ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ[2]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾: قَرَأَ أَهْلُ الْحِجَازِ وَابْنُ عَامِرٍ وَحَفْصٌ:

---

(١) **صحيح**: البخاري: (٧٣٤٩).

(٢) قَالَ العَلَّامَةُ الإِمَامُ مُقبلُ بنُ هادِي الوادِعيُّ رَحِمَهُ اللهُ في كِتابِهِ "الصَّحيحُ المسندُ من أسبابِ النُّزولِ" ص(٢٥): **قال الإمام البُخَاريُّ** رَحِمَهُ اللهُ في "التفسير" (ج٩/ ص٢٣٧): حدَّثَنا أبونُعَيم، سَمِع زُهَيرًا، عن أبي إِسحاقَ، **عن البراءِ** رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أنَّ النَّبيَّ ﷺ صَلَّى إلَى بيتِ المَقدِسِ ستةَ عَشَرَ شهرًا -أو سَبعَةَ عشَرَ شهرًا- وكان يُعجِبُه أنْ تكون قِبْلتُهُ قِبَلَ البيتِ، وأنَّهُ صلَّى -أو صلَّاها- صَلاةَ العَصْرِ، وصلَّى معه قوم، فخَرج رجُلٌ مِمَّن كان صَلَّى معه، فمَرَّ على أَهْلِ المسجِدِ وهُم راكِعُون، قال: أَشهَدُ باللهِ! لقد صلَّيتُ مع النبيِّ ﷺ قِبَلَ مكَّةَ، فدارُوا كما هُم قِبَلَ البيتِ، وكان الَّذي مَاتَ على القِبْلةِ قَبْلَ أَنْ تُحوَّلَ قِبَلَ البيتِ رجالٌ قُتِلوا، فلَمْ نَدرِ ما نقولُ فِيهِم، فأنزلَ اللهُ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ =

﴿لَرَءُوفٌ﴾ مُشْبَعًا عَلَى وَزْنِ: (فَعُولٍ)؛ لِأَنَّ أَكْثَرَ أَسْمَاءِ الله تَعَالَى عَلَى (فَعُولٍ)، وَ(فَعِيلٍ)، كَ(الْغَفُورِ)، وَ(الشَّكُورِ)، وَ(الرَّحِيمِ)، وَ(الْكَرِيمِ)، وَغَيْرِهَا، وَأَبُو جَعْفَرٍ يُلِينُ الْهَمْزَةَ، وَقَرَأَ الْآخَرُونَ بِالِاخْتِلَاسِ عَلَى وَزْنِ (فَعُلٍ)، **قَالَ جَرِيرٌ**:

تَرَى لِلْمُسْلِمِينَ عَلَيْكَ حَقًّا ... كَفِعْلِ الوَالِدِ الرَّؤُفِ الرَّحِيمِ

وَالرَّأْفَةُ: أَشَدُّ الرَّحْمَةِ.

﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَاۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِۖ﴾: هَذِهِ الْآيَةُ وَإِنْ كَانَتْ مُتَأَخِّرَةً فِي التِّلَاوَةِ فَهِيَ مُتَقَدِّمَةٌ فِي المَعْنَى؛ فَإِنَّهَا رَأْسُ الْقِصَّةِ، وَأَمْرُ الْقِبْلَةِ أَوَّلُ مَا نُسِخَ مِنْ أُمُورِ الشَّرْعِ[1]، ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً﴾: فَلَنُحَوِّلَنَّكَ إِلَى قِبْلَةٍ ﴿تَرْضَىٰهَاۚ﴾: أَيْ: تُحِبُّهَا وَتَهْوَاهَا، ﴿فَوَلِّ﴾: أَيْ: حَوِّلْ ﴿وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِۚ﴾: أَيْ: نَحْوَهُ، وَأَرَادَ بِهِ

= ﴿بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾. الحديث أخرجه البُخَارِي أيضًا في: «كتاب الإيمان» (ج١/ ص١٠٣)، **وقال الحافظ** في «الفتح» (ج١/ ص١٠٤): وللمصنِّف في «التفسير» من طريق الثوريِّ، عن أبي إسحاق، سمعت البَراء. فأُمِنَ ما يُخشَى من تدليسِ أبي إسحاق.اهـ

(١) قَالَ العَلَّامةُ الإمامُ مُقبلُ بنُ هادِي الوادِعيُّ رَحِمَهُ اللهُ في كِتابِهِ «الصَّحِيحُ المسندُ من أسبابِ النُّزولِ» ص(٢٦): **قال الإمام البُخَاريُّ** رَحِمَهُ اللهُ في «صحيحه» (ج٢/ ص٤٨): حدَّثنا عبدُ الله بنُ رجاءٍ، قال: حدَّثنا إسرائيلُ، عن أبي إسحاقَ، **عن البَراءِ بنِ عَازِبٍ**، قال: كانَ رسولُ الله ﷺ صلَّى نَحوَ بيتِ المقدِس ستَّةَ عشر شهرًا -أو سبعةَ عشر شهرًا- وكان رسولُ الله ﷺ يُحِبُّ أن يُوجَّهَ إلى الكعبةِ، فأنزل الله ﷻ: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِۖ﴾، فتوجَّهَ نحوَ الكعبةِ، وقال السُّفهاء من النَّاس -وهم اليهودُ-: ﴿مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيْهَاۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُۚ يَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾، فصلَّى مَعَ النَّبيِّ ﷺ رجلٌ، ثُمَّ خرج بعدما صلَّى، فمرَّ على قوم من الأنصار في صلاة العصر نحوَ بيتِ المقدسِ، فقال: هُوَ يَشهَدُ أنَّه صلَّى معَ رسولِ الله ﷺ وأنَّه توجَّهَ نحوَ الكعبةِ، فتحرَّفَ القَومُ حتَّى توجَّهُوا نحوَ الكعبةِ. **وأخرجه مسلم** (ج٥/ ص٩)، والآية التي نزلت عند مسلم: ﴿وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥۗ﴾.اهـ

الْكَعْبَةَ، وَالْحَرَامُ: الْمُحَرَّمُ، ﴿وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ﴾: مِنْ بَرٍّ أَوْ بَحْرٍ، شَرْقٍ أَوْ غَرْبٍ: ﴿فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾: عِنْدَ الصَّلَاةِ.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: لَمَّا دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ الْبَيْتَ دَعَا فِي نَوَاحِيهِ كُلِّهَا وَلَمْ يُصَلِّ حَتَّى خَرَجَ مِنْهُ، فَلَمَّا خَرَجَ رَكَعَ رَكْعَتَيْنِ فِي قِبَلِ الْكَعْبَةِ وَقَالَ: «هَذِهِ الْقِبْلَةُ»(١).

وَعَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ أَوَّلَ مَا قَدِمَ الْمَدِينَةَ نَزَلَ عَلَى أَجْدَادِهِ -أَوْ قَالَ أَخْوَالِهِ- مِنَ الْأَنْصَارِ وَأَنَّهُ صَلَّى قِبَلَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ سِتَّةَ عَشَرَ -أَوْ سَبْعَةَ عَشَرَ- شَهْرًا، وَكَانَ يُعْجِبُهُ أَنْ تَكُونَ قِبْلَتَهُ قِبَلَ الْبَيْتِ، وَأَنَّهُ صَلَّى أَوَّلَ صَلَاةٍ صَلَّاهَا صَلَاةَ الْعَصْرِ، وَصَلَّى مَعَهُ قَوْمٌ فَخَرَجَ رَجُلٌ مِمَّنْ صَلَّى مَعَهُ، فَمَرَّ عَلَى أَهْلِ مَسْجِدٍ وَهُمْ رَاكِعُونَ، فَقَالَ: أَشْهَدُ بِاللهِ لَقَدْ صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ قبلَ مَكَّةَ، فَدَارُوا كَمَا هُمْ قِبَلَ الْبَيْتِ، وَكَانَتِ الْيَهُودُ قَدْ أَعْجَبَهُمْ إِذْ كَانَ يُصَلِّي قِبَلَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ؛ لِأَنَّهُ قِبْلَةُ أَهْلِ الْكِتَابِ، فِلَمَّا وَلَّى وَجْهَهُ قِبَلَ الْبَيْتِ أَنْكَرُوا ذَلِكَ، وَقَالَ الْبَرَاءُ فِي حَدِيثِهِ هَذَا: أَنَّهُ مَاتَ عَلَى الْقِبْلَةِ قَبْلَ أَنْ تُحَوَّلَ رِجَالٌ وَقُتِلُوا فَلَمْ نَدْرِ مَا نَقُولُ فِيهِمْ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: وما ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ﴾[البقرة:١٤٣](٢).

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: بَيْنَا النَّاسُ بِقُبَاءٍ فِي صَلَاةِ الصُّبْحِ إِذْ جَاءَهُمْ آتٍ وَقَالَ لَهُمْ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَدْ أُنْزِلَ عَلَيْهِ اللَّيْلَةَ قُرْآنٌ وَقَدْ أُمِرَ أَنْ يَسْتَقْبِلَ الْكَعْبَةَ فَاسْتَقْبِلُوهَا، وَكَانَتْ وُجُوهُهُمْ إِلَى الشَّامِ فَاسْتَدَارُوا إِلَى الْكَعْبَةِ(٣).

---

(١) **صحيح:** البخاري: (٣٩٨)، ومسلم: (١٣٣٠).

(٢) **صحيح:** البخاري: (٤٠).

(٣) **صحيح:** البخاري: (٤٠٣)، ومسلم: (٥٢٦)، وأورده العلَّامة مقبل بن هادي الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ في «الصحيح المسند من أسباب النزول» ص(٢٧).

قال الحافظ رَحِمَهُ اللَّهُ في «الفتح» (١/ ٥٠٦): وهذا فيه مغايرة لحديث البراء المتقدِّم؛ فإنَّ فيه أنهم كانوا في صلاة العصر، والجوابُ: أن لا منافاة بين الخبرين؛ لأن الخبر وصل وقت العصر إلى من هو داخل المدينة وهم بنو حارثة، وذلك في حديث البراء، والآتي إليهم بذلك عباد بن بشر أو بن نَهِيكٍ كما =

﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ﴾: يَعْنِي: أَمْرَ الْكَعْبَةِ ﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ﴾، ثُمَّ هَدَّدَهُمْ فَقَالَ: ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾: قَرَأَ أَبُو جَعْفَرٍ وَابْنُ عَامِرٍ وَحَمْزَةُ وَالْكِسَائِيُّ بِالتَّاءِ، **قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ**: يُرِيدُ أَنَّكُمْ يَا مَعْشَرَ الْمُؤْمِنِينَ تَطْلُبُونَ مَرْضَاتِي وَمَا أَنَا بِغَافِلٍ عَنْ ثَوَابِكُمْ وَجَزَائِكُمْ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بِالْيَاءِ، يَعْنِي: مَا أَنَا بِغَافِلٍ عَمَّا يَفْعَلُ الْيَهُودُ فَأُجَازِيهِمْ فِي الدُّنْيَا الآخِرَةِ.

﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُواْ قِبْلَتَكَ ۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ﴾: يَعْنِي: الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى، ﴿بِكُلِّ ءَايَةٍ﴾: مُعْجِزَةٍ ﴿مَّا تَبِعُواْ قِبْلَتَكَ﴾: يَعْنِي: الْكَعْبَةَ، ﴿وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ﴾: لِأَنَّ الْيَهُودَ تَسْتَقْبِلُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ وَهُوَ الْمَغْرِبُ، وَالنَّصَارَى تَسْتَقْبِلُ الْمَشْرِقَ، وَقِبْلَةُ الْمُسْلِمِينَ الْكَعْبَةُ.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ قِبْلَةٌ**»(١).

وَأَرَادَ بِهِ فِي حَقِّ أَهْلِ الْمَشْرِقِ، وَأَرَادَ بِالْمَشْرِقِ: مَشْرِقَ الشِّتَاءِ فِي أَقْصَرِ يَوْمٍ مِنَ السَّنَةِ، وَبِالْمَغْرِبِ: مَغْرِبَ الصَّيْفِ فِي أَطْوَلِ يَوْمٍ مِنَ السَّنَةِ، فَمَنْ جَعَلَ مَغْرِبَ الصَّيْفِ فِي هَذَا الْوَقْتِ عَنْ يَمِينِهِ وَمَشْرِقَ الشِّتَاءِ عَنْ يَسَارِهِ كَانَ وَجْهُهُ إِلَى الْقِبْلَةِ، ﴿وَلَئِنِ

= تقدَّم، ووصل الخبر وقت الصبح إلى من هو خارج المدينة، وهم بنو عمرو بن عوف أهلُ قُباء، وذلك في حديث ابن عمر ولم يُسمَّ الآتي بذلك إليهم وإن كان بن طاهر وغيره نقلوا أنه عباد بن بشر ففيه نظر؛ لأن ذلك إنما ورد في حق بني حارثة في صلاة العصر، فإن كان ما نقلوا محفوظًا فيحتمل أن يكون عباد أتى بني حارثة أوَّلًا في وقت العصر ثم توجه إلى أهل قباء فأعلمهم بذلك في وقت الصبح، ومما يدل على تعددهما أن مُسلمًا روى من حديث أنس: أنَّ رجلًا من بني سلمة مَرَّ وهم ركوع في صلاة الفجر، فهذا موافق لرواية ابن عمر في تعيين الصلاة، وبنو سلمة غير بني حارثة.اهـ

(١) **صحيح**: صحَّحه العلَّامةُ الألبانِيُّ رحمه الله في «صحيح وضعيف سنن الترمذي» (٣٤٢).

﴿ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم﴾: مُرَادَهُمْ، الخِطَابُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَالمُرَادُ بِهِ الْأُمَّةُ، ﴿مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ﴾: مِنَ الحَقِّ فِي القِبْلَةِ، ﴿إِنَّكَ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنۡهُمۡ لَيَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ ﴿١٤٧﴾ وَلِكُلّٖ وِجۡهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَاۖ فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ أَيۡنَ مَا تَكُونُواْ يَأۡتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ﴾: يَعْنِي: مُؤْمِنِي أَهْلِ الْكِتَابِ عَبْدَ اللهِ ابْنِ سَلَامٍ وَأَصْحَابَهُ، ﴿يَعۡرِفُونَهُۥ﴾: يَعْنِي: يَعْرِفُونَ مُحَمَّدًا ﷺ ﴿كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ﴾: مِنْ بَيْنِ الصِّبْيَانِ، ﴿وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنۡهُمۡ لَيَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ﴾: يَعْنِي: صِفَةَ مُحَمَّدٍ ﷺ وَأَمْرَ الْكَعْبَةِ، ﴿وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾، ثُمَّ قَالَ: ﴿ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَۖ﴾: أَيْ: هَذَا الْحَقُّ، خَبَرُ مُبْتَدَأٍ مُضْمَرٍ، **وَقِيلَ:** رَفْعٌ بِإِضْمَارِ فِعْلٍ، أَيْ: جَاءَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ﴾ الشَّاكِّينَ، ﴿وَلِكُلّٖ وِجۡهَةٌ﴾: أَيْ: لِأَهْلِ كُلِّ مِلَّةٍ قِبْلَةٌ، **وَالْوِجْهَةُ:** اسْمٌ لِلْمُتَوَجَّهِ إِلَيْهِ. ﴿هُوَ مُوَلِّيهَاۖ﴾: أَيْ: مُسْتَقْبِلُهَا وَمُقْبِلٌ عَلَيْهَا، يُقَالُ: (وَلَّيْتُهُ)، وَ(وَلَّيْتُ إِلَيْهِ) إِذَا أَقْبَلْت عَلَيْهِ، وَ(وَلَّيْتُ عَنْهُ) إِذَا أَدْبَرْت عَنْهُ، **قَالَ مُجَاهِدٌ:** هُوَ مُوَلِّيهَا وَجْهَهُ، **وَقَالَ الْأَخْفَشُ:** هُوَ كِنَايَةٌ عَنِ اللهِ ﷻ، يَعْنِي: اللهُ تَعَالَى مُوَلِّي الْأُمَمِ إِلَى قِبْلَتِهِمْ، وَقَرَأَ ابْنُ عَامِرٍ: ﴿مُوَلَّاهَا﴾، أَيِ: الْمُسْتَقْبَلُ مَصْرُوفٌ إِلَيْهَا، ﴿فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ﴾: أَيْ: إِلَى الْخَيْرَاتِ، يُرِيدُ: بَادِرُوا بِالطَّاعَاتِ، وَالْمُرَادُ: الْمُبَادَرَةُ إِلَى القَبُولِ، ﴿أَيۡنَ مَا تَكُونُواْ﴾: أَنْتُمْ وَأَهْلُ الكِتَابِ ﴿يَأۡتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًاۚ﴾: يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَجْزِيكُمْ بِأَعْمَالِكُمْ، إِنْ خَيْرًا فَخَيْرٌ وَإِنْ شَرًّا فَشَرٌّ، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾.

﴿وَمِنۡ حَيۡثُ خَرَجۡتَ فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۖ وَإِنَّهُۥ لَلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿١٤٩﴾ وَمِنۡ حَيۡثُ خَرَجۡتَ فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ وَحَيۡثُ مَا كُنتُمۡ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ شَطۡرَهُۥ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيۡكُمۡ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِي وَلِأُتِمَّ نِعۡمَتِي عَلَيۡكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمِنۡ حَيۡثُ خَرَجۡتَ فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۖ وَإِنَّهُۥ لَلۡحَقُّ مِن

رَّبِّكَۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾: قَرَأَ أَبُو عَمْرٍو بِالْيَاءِ وَالْبَاقُونَ بِالتَّاءِ، ﴿وَمِنۡ حَيۡثُ خَرَجۡتَ فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ وَحَيۡثُ مَا كُنتُمۡ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ شَطۡرَهُۥ﴾: وَإِنَّمَا كَرَّرَ لِتَأْكِيدِ النَّسْخِ.

﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيۡكُمۡ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾: **اخْتَلَفُوا فِي تَأْوِيلِ هَذِهِ الْآيَةِ وَوَجْهِ قَوْلِهِ:** ﴿إِلَّا﴾، **فَقَالَ بَعْضُهُمْ:** مَعْنَاهُ حُوِّلَتِ الْقِبْلَةُ إِلَى الْكَعْبَةِ ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيۡكُمۡ حُجَّةٌ﴾ إِذَا تَوَجَّهْتُمْ إِلَى غَيْرِهَا، فَيَقُولُونَ: لَيْسَتْ لَكُمْ قِبْلَةٌ، ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾: وهم قُرَيْشٌ وَالْيَهُودُ، فَأَمَّا قُرَيْشٌ فَتَقُولُ: رَجَعَ مُحَمَّدٌ إِلَى الْكَعْبَةِ لِأَنَّهُ عَلِمَ أَنَّهَا الْحَقُّ وَأَنَّهَا قِبْلَةُ آبَائِهِ، فَكَذَلِكَ يَرْجِعُ إِلَى دِينِنَا وَمَا نَحْنُ عَلَيْهِ، وَأَمَّا الْيَهُودُ، فَتَقُولُ: لَمْ يَنْصَرِفْ عَنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ مَعَ عِلْمِهِ أَنَّهُ حَقٌّ إِلَّا أَنَّهُ يَعْمَلُ بِرَأْيِهِ. **وَقَالَ قَوْمٌ:** ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيۡكُمۡ حُجَّةٌ﴾: يَعْنِي: الْيَهُودَ، وَكَانَتْ حُجَّتُهُمْ عَلَى طَرِيقِ الْمُخَاصَمَةِ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ فِي صَلَاتِهِمْ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ أَنَّهُمْ كَانُوا يَقُولُونَ: مَا دَرَى مُحَمَّدٌ ﷺ وَأَصْحَابُهُ أَيْنَ قِبلَتهُمْ حَتَّى هَدَيْنَاهُمْ نَحْنُ، ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾: وَهُمْ مُشْرِكُو مَكَّةَ، وَحُجَّتُهُمْ أَنَّهُمْ قَالُوا لَمَّا صُرِفَتِ الْقِبْلَةُ إِلَى الْكَعْبَةِ: إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ تَحَيَّرَ فِي دِينِهِ وَسَيَعُودُ إِلَى مِلَّتِنَا كَمَا عَادَ إِلَى قِبْلَتِنَا. **وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِ مُجَاهِدٍ وَعَطَاءٍ وَقَتَادَةَ.** وَعَلَى هَذَيْنَ التَّأْوِيلَيْنِ يَكُونُ الِاسْتِثْنَاءُ صَحِيحًا.

وَقَوْلُهُ: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾: يَعْنِي: لَا حُجَّةَ لِأَحَدٍ عَلَيْكُمْ إِلَّا مُشْرِكُو قُرَيْشٍ؛ فَإِنَّهُمْ يُحَاجُّونَكُمْ فَيُجَادِلُونَكُمْ وَيُخَاصِمُونَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَالظُّلْمِ، وَالِاحْتِجَاجُ بِالْبَاطِلِ يُسَمَّى حُجَّةً، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿حُجَّتُهُمۡ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمۡ﴾[الشُّورَى:١٦]، وَمَوْضِعُ ﴿ٱلَّذِينَ﴾: خَفْضٌ، كَأَنَّهُ قَالَ: سِوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا، **قَالَهُ الْكِسَائِيُّ، وَقَالَ الْفَرَّاءُ:** نُصِبَ بِالِاسْتِثْنَاءِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مِنۡهُمۡ﴾: يَعْنِي: مِنَ النَّاسِ. **وَقِيلَ:** هَذَا اسْتِثْنَاءٌ مُنْقَطِعٌ عَنِ الْكَلَامِ الْأَوَّلِ، مَعْنَاهُ: وَلَكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا يُجَادِلُونَكُمْ بِالْبَاطِلِ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿مَا لَهُم بِهِۦ

﴿مِنۡ عِلۡمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ﴾[النِّساء:١٥٧]، يَعْنِي: لَكِنْ يَتَّبِعُونَ الظَّنَّ، فَهُوَ كَقَوْلِ الرَّجُلِ: (مَا لَكَ عِنْدِي حَقٌّ إِلَّا أَنْ تَظْلِمَنِي). **قَالَ أَبُو رَوْقٍ:** ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ﴾: يَعْنِي: الْيَهُودَ ﴿عَلَيۡكُمۡ حُجَّةٌ﴾: وَذَلِكَ أَنَّهُمْ عَرَفُوا أَنَّ الْكَعْبَةَ قِبْلَةٌ لِإِبرَاهِيمَ، وَوَجَدُوا فِي التَّوْرَاةِ أَنَّ مُحَمَّدًا سَيُحَوَّلُ إِلَيْهَا، فَحَوَّلَهُ اللهُ تَعَالَى إِلَيْهَا؛ لِئَلَّا يَكُونَ لَهُمْ حُجَّةٌ فَيَقُولُوا: إِنَّ النَّبِيَّ الَّذِي نَجِدُهُ فِي كِتَابِنَا سَيُحَوَّلُ إِلَيْهَا وَلَمْ تُحَوَّلْ أَنْتَ، فَلَمَّا حُوِّلَ إِلَيْهَا ذَهَبَتْ حُجَّتُهُمْ، ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾: يَعْنِي: إِلَّا أَنْ يَظْلِمُوا فَيَكْتُمُوا مَا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ. **وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: قَوْلُهُ:** ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾: لَيْسَ بِاسْتِثْنَاءٍ، وَلَكِنْ (إِلَّا) فِي مَوْضِعِ (وَاوِ الْعَطْفِ)، يَعْنِي: وَالَّذِينَ ظَلَمُوا أَيْضًا لَا يَكُونُ لَهُمْ حُجَّةٌ، كَمَا **قَالَ الشَّاعِرُ:**

وَكُلُّ أَخٍ مُفَارِقُهُ أَخُوهُ لَعَمْرِ أَبِيكَ إِلَّا الْفَرْقَدَانِ

مَعْنَاهُ: وَالْفَرْقَدَانِ أَيْضًا يَتَفَرَّقَانِ، فَمَعْنَى الْآيَةِ: فَتَوَجَّهُوا إِلَى الْكَعْبَةِ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ -يَعْنِي: لِلْيَهُودِ- عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ، فَيَقُولُونَ: لِمَ تَرَكْتُمُ الْكَعْبَةَ وَهِيَ قِبْلَةُ إِبْرَاهِيمَ وَأَنْتُمْ عَلَى دِينِهِ؟ وَلَا الَّذِينَ ظَلَمُوا -وَهُمْ مُشْرِكُو مَكَّةَ- فَيَقُولُونَ لِمَ تَرَكَ مُحَمَّدٌ قِبْلَةَ جَدِّهِ وَتَحَوَّلَ عَنْهَا إِلَى قِبْلَةِ الْيَهُودِ؟

﴿فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ﴾: فِي انْصِرَافِكُمْ إِلَى الْكَعْبَةِ، وَفِي تَظَاهُرِهِمْ عَلَيْكُمْ بِالْمُجَادَلَةِ؛ فَإِنِّي وَلِيُّكُمْ أُظْهِرُكُمْ عَلَيْهِمْ بِالْحُجَّةِ وَالنُّصْرَةِ، ﴿وَٱخۡشَوۡنِي وَلِأُتِمَّ نِعۡمَتِي عَلَيۡكُمۡ﴾: عَطْفٌ عَلَى قَوْلِهِ: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيۡكُمۡ حُجَّةٌ﴾، وَلِكَيْ أُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ بِهِدَايَتِي إِيَّاكُمْ إِلَى قِبْلَةِ إِبْرَاهِيمَ، فَتَتِم لَكُم المِلَّةُ الحَنِيفِيَّةُ، **قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ** رضي الله عنه: تَمَامُ النِّعْمَةِ المَوْتُ عَلَى الْإِسْلَامِ، **قَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ:** لَا تَتِمُّ نِعْمَةٌ عَلَى مُسْلِمٍ إِلَّا أَنْ يُدْخِلَهُ اللهُ الْجَنَّةَ، ﴿وَلَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ﴾: لِكَيْ تَهْتَدُوا مِنَ الضَّلَالَةِ، وَ(لَعَلَّ) وَ(عَسَى) مِنَ اللهِ وَاجِبٌ.

﴿كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ ١٥١ فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ﴾: هَذِهِ الكَافُ لِلتَّشْبِيهِ، وَتَحْتَاجُ إِلَى شَيْءٍ تَرْجِعُ

إِلَيْهِ، **فَقَالَ بَعْضُهُمْ**: تَرْجِعُ إِلَى مَا قَبْلَهَا، مَعْنَاهُ: وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِيَ عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ. **قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ جَرِيرٍ**: دَعَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِدَعْوَتَيْنِ، **إِحْدَاهُمَا قَالَ**: ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾[البَقَرَة:١٢٨]، **وَالثَّانِيَةُ قَوْلُهُ**: ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾[البَقَرَة:١٢٩]، فَبَعَثَ اللهُ الرَّسُولَ -وَهُوَ مُحَمَّدٌ ﷺ- وَوَعَدَ إِجَابَةَ الدَّعْوَةِ الثَّانِيَةِ بِأَنْ يَجْعَلَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ أُمَّةً مُسْلِمَةً، يَعْنِي: كَمَا أَجَبْتُ دَعْوَتَهُ بِبَعْثِ الرَّسُولِ، كَذَلِكَ أَجَبْتُ دَعْوَتَهُ بِأَنْ أَهْدِيَكُمْ لِدِينِهِ وَأَجْعَلَكُمْ مُسْلِمِينَ، وَأُتِمَّ نِعْمَتِيَ عَلَيْكُمْ بِبَيَانِ شَرَائِعِ الْمِلَّةِ الْحَنِيفِيَّةِ. **وَقَالَ مُجَاهِدٌ وَعَطَاءٌ وَالْكَلْبِيُّ**: هِيَ مُتَعَلِّقَةٌ بِمَا بَعْدَهَا وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ﴾، مَعْنَاهُ: كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ فَاذْكُرُونِي، وَهَذِهِ الْآيَةُ خِطَابٌ لِأَهْلِ مَكَّةَ وَالْعَرَبِ، يَعْنِي: ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ﴾: يَا مَعْشَرَ الْعَرَبِ ﴿رَسُولًا مِّنكُمْ﴾: يَعْنِي مُحَمَّدًا ﷺ ﴿يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا﴾: يَعْنِي: الْقُرْآنَ ﴿وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾: **قِيلَ**: **الْحِكْمَةُ**: السُّنَّةُ، **وَقِيلَ**: مَوَاعِظُ الْقُرْآنِ، ﴿وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ﴾: مِنَ الْأَحْكَامِ وَشَرَائِعِ الْإِسْلَامِ، ﴿فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ﴾: **قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ**: اذْكُرُونِي بِطَاعَتِي أَذْكُرْكُمْ بِمَعُونَتِي، **وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ**: اذْكُرُونِي بِطَاعَتِي أَذْكُرْكُمْ بِمَغْفِرَتِي، **وَقِيلَ**: اذْكُرُونِي فِي النِّعْمَةِ وَالرَّخَاءِ أَذْكُرْكُمْ فِي الشِّدَّةِ وَالْبَلَاءِ، بَيَانُهُ: ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ۝١٤٣ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[الصَّافَّات: ١٤٤].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي؛ فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ خَيْرٍ مِنْهُم، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ شِبْرًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً**»(١).

وَعَنْهُ أَيْضًا أَنَّه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**يَقُولُ اللهُ** ﷻ: **أَنَا مَعَ عَبْدِي مَا ذَكَرَنِي**

(١) **صحيح:** البخاري: (٧٤٠٥)، ومسلم: (٢٦٧٥).

وَتَحَرَّكَتْ بِي شَفَتَاهُ»(١).

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ بُسْرٍ المَازِنِيِّ رضي الله عنه قَالَ: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «أَنْ تُفَارِقَ الدُّنْيَا وَلِسَانُكَ رَطْبٌ مِنْ ذِكْرِ اللهِ تَعَالَى»(٢).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ﴾: يَعْنِي: وَاشْكُرُوا لِي بِالطَّاعَةِ وَلَا تَكْفُرُونِي بِالمَعْصِيَةِ؛ فَإِنَّ مَنْ أَطَاعَ اللهَ فَقَدْ شَكَرَهُ، وَمَنْ عَصَاهُ فَقَدْ كَفَرَهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾: بِالْعَوْنِ وَالنُّصْرَةِ، ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾: قَالَ الحَسَنُ: إِنَّ الشُّهَدَاءَ أَحْيَاءٌ عِنْدَ اللهِ تَعَالَى، تُعْرَضُ أَرْزَاقُهُمْ عَلَى أَرْوَاحِهِمْ فَيَصِلُ إِلَيْهِمُ الرَّوْحُ وَالْفَرَحُ، كَمَا تُعْرَضُ النَّارُ عَلَى أَرْوَاحِ آلِ فِرْعَوْنَ غُدْوَةً وَعَشِيَّةً، فَيَصِلُ إِلَيْهِمُ الوَجَعُ.

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم﴾: أَيْ: وَلَنَخْتَبِرَنَّكُمْ يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ، وَاللَّامُ: لِجَوَابِ القَسَمِ المَحْذُوفِ تَقْدِيرُهُ: وَاللهِ لَنَبْلُوَنَّكُمْ، وَالِابْتِلَاءُ مِنَ اللهِ لِإِظْهَارِ المُطِيعِ مِنَ الْعَاصِي

---

(١) **صحيح:** صحَّحه العلَّامةُ الألبَانِيُّ رحمه الله في "صحيح وضعيف سنن ابن ماجه" (٣٧٩٢)، وأورده الإمام البخاري رحمه الله في "صحيحه" معلَّقًا: بَابُ قَولِ الله تَعَالَى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾.

(٢) **صحيح:** صحَّحه العلَّامةُ الألباني رحمه الله في "المشكاة" برقم: (٢٢٧٠).

لَا لِيَعْلَمَ شَيْئًا لَمْ يَكُنْ عَالِمًا بِهِ، ﴿بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ﴾: **قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ**: يَعْنِي خَوْفَ الْعَدُوِّ، ﴿وَٱلْجُوعِ﴾: يَعْنِي: الْقَحْطَ، ﴿وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ﴾: بِالْخُسْرَانِ وَالْهَلَاكِ، ﴿وَٱلْأَنفُسِ﴾: يَعْنِي: بِالْقَتْلِ وَالْمَوْتِ، **وَقِيلَ**: بِالمَرَضِ وَالشَّيْبِ، ﴿وَٱلثَّمَرَٰتِ﴾: يَعْنِي: الجَوَائِحَ فِي الثِّمَارِ.

عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: **«إِذَا مَاتَ وَلَدُ العَبْدِ قَالَ اللهُ لِمَلَائِكَتِهِ: أَقَبَضْتُمْ وَلَدَ عَبْدِي؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: أَقَبَضْتُمْ ثَمَرَةَ فُؤَادِهِ؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: فَمَاذَا قَالَ عَبْدِي؟ قَالُوا: اسْتَرْجَعَ وَحَمِدَكَ، قَالَ: ابْنُوا لَهُ بَيْتًا فِي الجَنَّةِ وَسَمُّوهُ بَيْتَ الحَمْدِ»**[(١)].

﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾: عَلَى الْبَلَايَا وَالرَّزَايَا، ثُمَّ وَصَفَهُمْ فَقَالَ: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ﴾: عَبِيدًا وَمِلْكًا، ﴿وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾: فِي الْآخِرَةِ.

عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهَا قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: **«مَا مِنْ مُصِيبَةٍ تُصِيبُ عَبْدًا فَيَقُولُ: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾، اللَّهُمَّ أَجِرْنِي فِي مُصِيبَتِي وَاخْلُفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا، إِلَّا آجَرَهُ اللهُ فِي مُصِيبَتِهِ وَأَخْلَفَ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا»**، قَالَتْ: فَلَمَّا تُوُفِّيَ أَبُو سَلَمَةَ عَزَمَ اللهُ لِي فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ أَجِرْنِي فِي مُصِيبَتِي وَاخْلُفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا، فَأَخْلَفَ اللهُ لِي رَسُولَ الله ﷺ[(٢)].

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: أَهْلُ هَذِهِ الصِّفَةِ، ﴿عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾: **صَلَوَاتٌ**: أَيْ: رَحْمَةٌ؛ فَإِنَّ الصَّلَاةَ مِنَ الله الرَّحْمَةُ، ﴿وَرَحْمَةٌ﴾: ذَكَرَهَا اللهُ تَأْكِيدًا، وَجَمَعَ الصَّلَوَاتِ، أَيْ: رَحْمَةٌ بَعْدَ رَحْمَةٍ، ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾: **قِيلَ**: إِلَى الْحَقِّ وَالصَّوَابِ. **وَقِيلَ**: إِلَى الْجَنَّةِ وَالثَّوَابِ. وَقَدْ وَرَدَتْ أَخْبَارٌ فِي ثَوَابِ أَهْلِ الْبَلَاءِ وَأَجْرِ الصَّابِرِينَ، مِنْهَا مَا جَاءَ:

(١) **حسن:** حسَّنَهُ العلَّامة الألباني رحمه الله في «صحيح وضعيف سنن الترمذي» (١٠٢١).

(٢) **صحيح:** مسلم: (٩١٨).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُصِبْ مِنْهُ**»[(١)].

وَعَنْهُ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمِ مِنْ نَصَبٍ وَلَا وَصَبٍ وَلَا هَمٍّ وَلَا حَزَنٍ وَلَا أَذًى وَلَا غَمٍّ، حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا، إِلَّا كَفَّرَ اللهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ**»[(٢)].

وَعَنْهُ أَيْضًا أَنَّهُ قَالَ: جَاءَتِ امْرَأَةٌ بِهَا لَمَمٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ ادْعُ اللهَ لِي أَنْ يَشْفِيَنِي، قَالَ: «**إِنْ شِئْتِ دَعَوْتُ اللهَ أَنْ يَشْفِيَكِ، وَإِنْ شِئْتِ فَاصْبِرِي وَلَا حِسَابَ عَلَيْكِ**»، قَالَتْ: بَلْ أَصْبِرُ وَلَا حِسَابَ عَلَيَّ[(٣)].

وَعَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رضي الله عنه قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ أَشَدِّ النَّاسِ بَلَاءً، قَالَ: «**الْأَنْبِيَاءُ وَالْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ، يَبْتَلِي اللهُ الرَّجُلَ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ صُلْبًا ابْتُلِيَ عَلَى قَدْرِ ذَلِكَ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ هُوِّنَ عَلَيْهِ، فَمَا يَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يَمْشِيَ عَلَى الْأَرْضِ وَمَا لَهُ ذَنْبٌ**»[(٤)].

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّهُ قَالَ: «**إِنَّ عِظَمَ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلَاءِ، وَإِنَّ اللهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السَّخَطُ**»[(٥)].

---

(١) **صحيح:** البخاري: (٥٦٤٥). **وقولُهُ:** «يُصِبْ مِنْهُ»: قال الحافظ رحمه الله في «الفتح» (١٠/ ١٠٨): قال أبو عُبيد الهَرَويُّ رحمه الله: معناهُ: يبتليه بالمصائبِ ليُثيبه عليها.اهـ

(٢) **صحيح:** البخاري: (٥٦٤١)، واللَّفظ له، ومسلم: (٢٥٧٢)، عن عائشة رضي الله عنها.

(٣) **حسن:** حسّنه العلَّامة الألباني رحمه الله في «صحيح الترغيب» (٣٤١٩). وأصلُهُ في الصحيحين: البخاري (٥٦٥٢)، ومسلم (٢٥٧٦)، عن ابن عباس رضي الله عنهما. **وقولُهُ:** «بِهَا لَمَمٌ»: اللَّمم: هو طرف من الجنون يَلُمُّ بالإنسان، وهو ما يُسمَّى بـ(الصرع).

(٤) **حسن:** حسَّنهُ العلَّامة الألباني رحمه الله في «صحيح وضعيف سنن الترمذي» (٢٣٩٨)، والعلَّامة الوادعي رحمه الله في «الجامع الصَّحيح ممَّا ليس في الصَّحيحَين» (١١٥٣).

(٥) **حسن:** حسَّنهُ العلَّامة الألباني رحمه الله في «صحيح وضعيف سنن الترمذي» (٢٣٩٦).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «لَا يَزَالُ الْبَلَاءُ بِالْمُؤْمِنِ وَالْمُؤْمِنَةِ فِي نَفْسِهِ وَمَالِهِ وَوَلَدِهِ، حَتَّى يَلْقَى اللهَ وَمَا عَلَيْهِ مِنْ خَطِيئَةٍ»(١).

وَعَنْهُ أَيْضًا أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِ كَمَثَلِ الزَّرْعِ لَا تَزَالُ الرِّيحُ تُمِيلُهُ، وَلَا يَزَالُ الْمُؤْمِنُ يُصِيبُهُ الْبَلَاءُ، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ كَمَثَلِ شَجَرَةِ الأَرْزِ لَا تَهْتَزُّ حَتَّى تُسْتَحْصَدَ»(٢).

﴿ ۞ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلۡمَرۡوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ فَمَنۡ حَجَّ ٱلۡبَيۡتَ أَوِ ٱعۡتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلۡمَرۡوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ﴾: **الصَّفَا**: جَمْعُ (صَفَاةٍ)، وَهِيَ الصَّخْرَةُ الصُّلْبَةُ الْمَلْسَاءُ، يُقَالُ: (صَفَاةٌ وَصَفًا)، مِثْل: (حَصَاةٌ، وَحَصًى)، وَ(نَوَاةٌ، وَنَوًى). **وَالْمَرْوَةُ**: الْحَجَرُ الرَّخْوُ، وَجَمْعُهَا: (مَرَوَاتٌ)، وَجَمْعُ الْكَثِيرِ: (مَرْوٌ)، مِثْل: (تَمْرَةٍ، وَتَمَرَاتٍ، وَتَمْرٌ)، وَإِنَّمَا عَنَى بِهِمَا الْجَبَلَيْنِ الْمَعْرُوفَيْنِ بِمَكَّةَ فِي طَرَفَي الْمَسْعَى، وَلِذَلِكَ أَدْخَلَ فِيهِمَا الْأَلِفَ وَاللَّامَ، وَشَعَائِرُ الله أَعْلَامُ دِينِهِ، أَصْلُهَا: مِنَ الْإِشْعَارِ، وَهُوَ الْإِعْلَامُ، وَاحِدَتُهَا (شَعِيرَةٌ)، وَكُلُّ مَا كَانَ مَعْلَمًا لِقُرْبَانٍ يُتَقَرَّبُ بِهِ إِلَى الله تَعَالَى مِنْ: صَلَاةٍ وَدُعَاءٍ وَذَبِيحَةٍ، فَهُوَ شَعِيرَةٌ، فَالْمَطَافُ وَالْمَوْقِفُ وَالْمَنْحَرُ كُلُّهَا شَعَائِرُ لله، وَمِثْلُهَا الْمَشَاعِرُ، **وَالْمُرَادُ بِالشَّعَائِرِ هَاهُنَا**: الْمَنَاسِكُ الَّتِي جَعَلَهَا اللهُ أَعْلَامًا لِطَاعَتِهِ، فَالصَّفَا وَالْمَرْوَةُ مِنْهَا حَتَّى يُطَافَ بِهِمَا جَمِيعًا، ﴿فَمَنۡ حَجَّ ٱلۡبَيۡتَ أَوِ ٱعۡتَمَرَ﴾: **فَالْحَجُّ فِي اللُّغَةِ**: الْقَصْدُ، **وَالْعُمْرَةُ**: الزِّيَارَةُ، وَفِي الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ الْمَشْرُوعَيْنِ: قَصْدٌ وَزِيَارَةٌ، ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِ﴾: أَيْ: لَا إِثْمَ عَلَيْهِ، وَأَصْلُهُ مِنْ: (جَنَحَ)، أَيْ: مَالَ عَنِ الْقَصْدِ، ﴿أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ﴾: أَيْ: يَدُورَ بِهِمَا، وَأَصْلُهُ: (يَتَطَوَّفُ) أُدْغِمَتِ التَّاءُ فِي الطَّاءِ.

(١) **صحيح:** صحَّحه الألباني ﵀ في «الصحيحة» برقم (٢٢٨٠)، والوادعي ﵀ في «الجامع الصَّحيح مِمَّا ليس في الصَّحيحَين» (١١٥٨).

(٢) **صحيح:** البخاري: (٥٦٤٤)، ومسلم: (٢٨٠٩)، واللَّفظُ لَهُ.

وَسَبَبُ نُزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ: أَنَّهُ كَانَ عَلَى الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ صَنَمَانِ، (أَسَافُ، وَنَائِلَةُ)، وَكَانَ (أَسَافُ) عَلَى الصَّفَا، وَ(نَائِلَةُ) عَلَى الْمَرْوَةِ، وَكَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ يَطُوفُونَ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ؛ تَعْظِيمًا لِلصَّنَمَيْنِ وَيَتَمَسَّحُونَ بِهِمَا، فَلَمَّا جَاءَ الْإِسْلَامُ وَكُسِرَتِ الْأَصْنَامُ كَانَ الْمُسْلِمُونَ يَتَحَرَّجُونَ عَنِ السَّعْيِ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ؛ لِأَجْلِ الصَّنَمَيْنِ، فَأَذِنَ اللهُ فِيهِ وَأَخْبَرَ أَنَّهُ مِنْ شَعَائِرِ اللهِ.

وَاخْتَلَفَ أَهْلُ الْعِلْمِ فِي حُكْمِ هَذِهِ الْآيَةِ وَوُجُوبِ السَّعْيِ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ فِي الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ: فَذَهَبَ جَمَاعَةٌ إِلَى وُجُوبِهِ، وَهُوَ قَوْلُ ابْنِ عُمَرَ وَجَابِرٍ وَعَائِشَةَ، وَبِهِ قَالَ الْحَسَنُ، وَإِلَيْهِ ذَهَبَ مَالِكٌ وَالشَّافِعِيُّ. وَذَهَبَ قَوْمٌ إِلَى أَنَّهُ تَطَوُّعٌ، وَهُوَ قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَبِهِ قَالَ ابْنُ سِيرِيْنِ وَمُجَاهِدٌ، وَإِلَيْهِ ذَهَبَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ وَأَصْحَابُ الرَّأْيِ، وَقَالَ الثَّوْرِيُّ وَأَصْحَابُ الرَّأْيِ: عَلَى مَنْ تَرَكَهُ دَمٌ.

وَاحْتَجَّ مَنْ أَوْجَبَهُ بِمَا جَاءَ **عَنْ صَفِيَّةَ بِنْتِ شَيْبَةَ** قَالَتْ: أَخْبَرَتْنِي بِنْتُ أَبِي تِجْرَاةَ -اسْمُهَا حَبِيبَةُ- إِحْدَى نِسَاءِ بَنِي عَبْدِ الدَّارِ، قَالَتْ: دَخَلْتُ مَعَ نِسْوَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ دَارَ آلِ أَبِي حُسَيْنٍ نَنْظُرُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ يَسْعَى بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ، فَرَأَيْتُهُ يَسْعَى وَإِنَّ مِئْزَرَهُ لَيَدُورُ مِنْ شِدَّةِ السَّعْيِ، حَتَّى لَأَقُولُ: إِنِّي لَأَرَى رُكْبَتَيْهِ، وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: «**اسْعَوْا فَإِنَّ اللهَ كَتَبَ عَلَيْكُمُ السَّعْيَ**»[1].

وَعَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ: قُلْتُ لِعَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ: أَرَأَيْتِ قَوْلَ اللهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ﴾، فَمَا أَرَى عَلَى أَحَدٍ شَيْئًا أَلَّا يَطَّوَّفَ بِهِمَا، قَالَتْ عَائِشَةُ: كَلَّا، لَوْ كَانَتْ كَمَا تَقُولُ كَانَتْ: فَلَا جَنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ لَا يَطَّوَّفَ بِهِمَا، إِنَّمَا أُنْزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي الْأَنْصَارِ كَانُوا يُهِلُّونَ لِمَنَاةَ، وَكَانَتْ مَنَاةُ حَذْوَ قُدَيْدٍ، وَكَانُوا يَتَحَرَّجُونَ أَنْ يَطَّوَّفُوا بَيْنَ الصَّفَا

(١) **صحيح:** صحَّحه العلَّامة الألباني رحمه الله في "الإرواء" (١٠٧٢).

وَالْمَرْوَةِ، فَلَمَّا جَاءَ الْإِسْلَامُ سَأَلُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنْ ذَلِكَ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾ الْآيَةَ[(١)].

وَقَالَ عَاصِمُ [بْنُ سُلَيْمَانَ]: قُلْتُ لِأَنَسِ بْنِ مَالِكٍ: أَكُنْتُمْ تَكْرَهُونَ السَّعْيَ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ؟ قَالَ: نَعَمْ، لِأَنَّهَا كَانَتْ مِنْ شَعَائِرِ الْجَاهِلِيَّةِ حَتَّى أَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾[(٢)].

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنهما أَنَّهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ حِينَ خَرَجَ مِنَ الْمَسْجِدِ وَهُوَ يُرِيدُ الصَّفَا يَقُولُ: «**نَبْدَأُ بِمَا بَدَأَ اللهُ تَعَالَى بِهِ**»، فَبَدَأَ بِالصَّفَا. وَقَالَ: كَانَ إِذَا وَقَفَ عَلَى الصَّفَا يُكَبِّرُ ثَلَاثًا وَيَقُولُ: «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**»، يَصْنَعُ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، وَيَدْعُو وَيَصْنَعُ عَلَى الْمَرْوَةِ مِثْلَ ذَلِكَ. وَقَالَ: كَانَ إِذَا نَزَلَ مِنَ الصَّفَا مَشَى حَتَّى إِذَا نَصَبَتْ قَدَمَاهُ فِي بَطْنِ الْوَادِي سَعَى حَتَّى يَخْرُجَ مِنْهُ[(٣)].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾: قَرَأَ حَمْزَةُ وَالْكِسَائِيُّ بِالْيَاءِ وَتَشْدِيدِ الطَّاءِ وَجَزْمِ الْعَيْنِ، وَكَذَلِكَ الثَّانِيَةُ: ﴿فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ وَأَن تَصُومُوا۟﴾[الْبَقَرَة:١٨٤]، بِمَعْنَى: يَتَطَوَّع، وَوَافَقَ يَعْقُوب فِي الْأَوَّلِ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بِالتَّاءِ وَفَتْحِ الْعَيْنِ فِي الْمَاضِي. **وَقَالَ**

---

(١) **صحيح:** البخاري: (١٧٩٠)، ومسلم: (١٢٧٧)، وزاد مسلم: قَالَ الزُّهْرِيُّ: فذكرتُ ذلك لأبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، فأعجبه ذلك، وقال: إن هذا العلم، ولقد سمعتُ رجالًا من أهل العلم يقولون: إنما كان من لا يطوف بين الصفا والمروة من العرب يقولون: إن طوافنا بين هذين الحجرين من أمر الجاهلية، وقال آخرون من الأنصار: إنَّما أُمرنا بالطَّواف بالبيت ولم نؤمر به بين الصَّفا والمروة، فأنزل اللهُ ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾، قال أبو بكر بن عبد الرحمن: فأراها قد نزلت في هؤلاء وهؤلاء.اهـ وهو في «الصَّحيح المسند من أسباب النُّزول» للإمام الوادعي رحمه الله صـ(٢٧-٢٨).

(٢) **صحيح:** البخاري: (٤٤٩٦)، وأورده الإمام الوادعيُّ رحمه الله في كتابه «الصحيح المسند من أسباب النزول» صـ(٢٩).

(٣) **صحيح:** مسلم: (١٢١٨) مطوَّلًا.

مُجَاهِدٌ: مَعْنَاهُ: فَمَنْ تَطَوَّعَ بِالطَّوْفِ بِالصَّفَا وَالمَرْوَةِ. **وَقَالَ مُقَاتِلٌ وَالْكَلْبِيُّ**: ﴿وَمَن تَطَوَّعَ﴾: أَيْ: زَادَ فِي الطَّوَافِ بَعْدَ الْوَاجِبِ. **وَقِيلَ**: مَنْ تَطَوَّعَ بِالْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ بَعْدَ أَدَاءِ الْحَجَّةِ الْوَاجِبَةِ عَلَيْهِ. **وَقَالَ الحَسَنُ وَغَيْرُهُ**: أَرَادَ سَائِرَ الْأَعْمَالِ، يَعْنِي: فِعْلَ غَيْرِ الْمُفْتَرَضِ عَلَيْهِ، مِنْ: زَكَاةٍ، وَصَلَاةٍ، وَطَوَافٍ، وَغَيْرِهَا مِنْ أَنْوَاعِ الطَّاعَاتِ ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ﴾: مُجَازٍ لِعَبْدِهِ بِعَمَلِهِ، ﴿عَلِيمٌ﴾: بِنِيَّتِهِ، وَالشُّكْرُ مِنَ اللهِ تَعَالَى أَنْ يُعْطِيَ لِعَبْدِهِ فَوْقَ مَا يَسْتَحِقُّ، يَشْكُرُ اليَسِيرَ وَيَعْطِي الكَثِيرَ.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ﴾: [وَهَذَا الحُكْمُ عَامٌّ لِكُلِّ مَنِ اتَّصَفَ بِهَذِهِ الصِّفَةِ مِنَ اليَهُودِ وَغَيْرِهِمْ]، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ﴾: **وَأَصْلُ اللَّعْنِ**: الطَّرْدُ وَالْبُعْدُ، ﴿وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾: أَيْ: يَسْأَلُونَ اللهَ أَنْ يَلْعَنَهُمْ، وَيَقُولُونَ: (اللَّهُمَّ الْعَنْهُمْ). **وَاخْتَلَفُوا فِي هَؤُلَاءِ اللَّاعِنِينَ**: **قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ**: جَمِيعُ الْخَلَائِقِ إِلَّا الجِنَّ وَالإِنْسَ. **وَقَالَ قَتَادَةُ**: هُمُ المَلَائِكَةُ. **وَقَالَ عَطَاءٌ**: الجِنُّ وَالْإِنْسُ. **وَقَالَ الحَسَنُ**: جَمِيعُ عِبَادِ اللهِ. **وَقَالَ مُجَاهِدٌ**: **اللَّاعِنُونَ**: الْبَهَائِمُ تَلْعَنُ عُصَاةَ بَنِي آدَمَ إِذَا اشْتَدَّتِ السَّنَةُ وَأَمْسَكَ المَطَرُ، وَقَالَتْ: هَذَا مِنْ شُؤْمِ ذُنُوبِ بَنِي آدَمَ. ثُمَّ اسْتَثْنَى فَقَالَ: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ﴾: مِنَ الكُفْرِ، ﴿وَأَصۡلَحُواْ﴾: أَسْلَمُوا وَأَصْلَحُوا الْأَعْمَالَ فِيمَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ رَبِّهِمْ، ﴿وَبَيَّنُواْ﴾: مَا كَتَمُوا، ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡ﴾: أَتَجَاوَزُ عَنْهُمْ، وَأَقْبَلُ تَوْبَتَهُمْ، ﴿وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ﴾: الرَّجَّاعُ بِقُلُوبِ عِبَادِي الْمُنْصَرِفَةِ عَنِّي إِلَيَّ، ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾: بِهِمْ بَعْدَ إِقْبَالِهِمْ عَلَيَّ.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةُ ٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ﴿١٦١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ ﴿١٦٢﴾ وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةُ ٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ﴾: أَيْ: لَعْنَةُ المَلَائِكَةِ،

﴿وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ﴾: فَإِنْ قِيلَ: فَقَدْ قَالَ: ﴿وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ﴾، وَالْمَلْعُونُ هُوَ مِنْ جُمْلَةِ النَّاسِ، فَكَيْفَ يَلْعَنُ نَفْسَهُ؟ قِيلَ: يَلْعَنُ نَفْسَهُ فِي الْقِيَامَةِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَيَلۡعَنُ بَعۡضُكُم بَعۡضٗا﴾[العَنكَبُوت:٢٥]، وَقِيلَ: إِنَّهُمْ يَلْعَنُونَ الظَّالِمِينَ وَالْكَافِرِينَ، وَمَنْ يَلْعَنُ الظَّالِمِينَ وَالْكَافِرِينَ وَهُوَ مِنْهُمْ فَقَدْ لَعَنَ نَفْسَهُ.

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ﴾: مُقِيمِينَ فِي اللَّعْنَةِ، وَقِيلَ: فِي النَّارِ، ﴿لَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ﴾: لَا يُمْهَلُونَ وَلَا يُؤَجَّلُونَ. وَقَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ: لَا يُنْظَرُونَ فَيَعْتَذِرُوا، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا يُؤۡذَنُ لَهُمۡ فَيَعۡتَذِرُونَ﴾[المُرْسَلَات:٣٦].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾: الْوَاحِدُ: الَّذِي لَا نَظِيرَ لَهُ وَلَا شَرِيكَ لَهُ.

عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيدَ رضي الله عنها أَنَّهَا قَالَتْ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «اسْمُ اللهِ الأَعْظَمِ فِي هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ: ﴿وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾، وَفَاتِحَةِ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ: ﴿الٓمٓ ١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾»(١).

﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلۡفُلۡكِ ٱلَّتِي تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٖ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖ وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلۡمُسَخَّرِ بَيۡنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾

قَوْلُهُ: ﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾: ذَكَرَ السَّمَوَاتِ بِلَفْظِ الْجَمْعِ، وَالْأَرْضَ بِلَفْظِ الْوَاحِدِ؛ لِأَنَّ كُلَّ سَمَاءٍ مِنْ جِنْسٍ آخَرَ، وَالْأَرْضُونَ كُلُّهَا مِنْ جِنْسٍ وَاحِدٍ وَهُوَ التُّرَابُ، فَالْآيَةُ فِي السَّمَوَاتِ: سُمْكُهَا وَارْتِفَاعُهَا مِنْ غَيْرِ عَمَدٍ وَلَا عِلَاقَةٍ، وَمَا يُرَى فِيهَا مِنَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالنُّجُومِ، وَالْآيَةُ فِي الْأَرْضِ: مَدُّهَا وَبَسْطُهَا وَسِعَتُهَا وَمَا يُرَى فِيهَا مِنَ الْأَشْجَارِ، وَالْأَنْهَارِ، وَالْجِبَالِ، وَالْبِحَارِ، وَالْجَوَاهِرِ، وَالنَّبَاتِ.

---

(١) **حسن**: حسَّنه الإمام الألباني رحمه الله في "صحيح وضعيف سنن أبي داوود" (١٤٩٦).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ﴾: أَيْ: تَعَاقُبُهُمَا فِي الذَّهَابِ وَالمَجِيءِ يَخْلُفُ أَحَدُهُمَا صَاحِبَهُ، إِذَا ذَهَبَ أَحَدُهُمَا جَاءَ الْآخَرُ خَلْفَهُ، أَيْ: بَعْدَهُ، نَظِيرُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ خِلۡفَةً﴾[الفُرْقَان:٦٢]، **قَالَ عَطَاءٌ**: أَرَادَ اخْتِلَافَهُمَا فِي النُّورِ وَالظُّلْمَةِ وَالزِّيَادَةِ وَالنُّقْصَانِ، **وَاللَّيْلُ**: جَمْعُ لَيْلَةٍ، **وَاللَّيَالِي**: جَمْعُ الجَمْعِ، **وَالنَّهَارُ**: جَمْعُ نُهُرٌ، وَقَدَّمَ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ فِي الذِّكْرِ؛ لِأَنَّهُ أَقْدَمُ مِنْهُ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَءَايَةٞ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ﴾[يس:٣٧]. ﴿وَٱلۡفُلۡكِ ٱلَّتِي تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ﴾: يَعْنِي: السُّفُنَ وَاحِدُهُ وَجَمْعُهُ سَوَاءٌ، فَإِذَا أُرِيدَ بِهِ الجَمْعُ يُؤَنَّثُ، وَفِي الْوَاحِدِ يُذَكَّرُ، قَالَ اللهُ تَعَالَى فِي الْوَاحِدِ وَالتَّذْكِيرِ: ﴿إِذۡ أَبَقَ إِلَى ٱلۡفُلۡكِ ٱلۡمَشۡحُونِ﴾[الصَّافَّات:١٤٠]، وَقَالَ فِي الجَمْعِ وَالتَّأْنِيثِ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ﴾[يُونُس:٢٢]، ﴿وَٱلۡفُلۡكِ ٱلَّتِي تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ﴾: الْآيَةُ فِي الفُلْكِ: تَسْخِيرُهَا وَجَرْيُهَا عَلَى وَجْهِ المَاءِ، وَهِيَ مُوقَرَةٌ لَا تَرْسُبُ تَحْتَ المَاءِ، ﴿بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ﴾: يَعْنِي: رُكُوبَهَا وَالحَمْلَ عَلَيْهَا فِي التِّجَارَاتِ وَالمَكَاسِبِ وَأَنْوَاعِ المَطَالِبِ، ﴿وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٖ﴾: يَعْنِي: المَطَرَ، أَرَادَ بِالسَّمَاءِ السَّحَابَ، يَخْلُقُ اللهُ المَاءَ فِي السَّحَابِ ثُمَّ مِنَ السَّحَابِ يَنزِلُ، ﴿فَأَحۡيَا بِهِ﴾: أَيْ: بِالمَاءِ ﴿ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا﴾: أَيْ: بَعْدَ يُبْسِهَا وَجُدُوبَتِهَا، ﴿وَبَثَّ فِيهَا﴾: أَيْ: فَرَّقَ فِيهَا ﴿مِن كُلِّ دَآبَّةٖ وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ﴾: قَرَأَ حَمْزَةُ وَالْكِسَائِيُّ: ﴿الرِّيحِ﴾ بِغَيْرِ أَلِفٍ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بِالْأَلِفِ، وَكُلُّ رِيحٍ فِي الْقُرْآنِ لَيْسَ فِيهَا أَلِفٌ وَلَا لَامٌ اخْتَلَفُوا فِي جَمْعِهَا وَتَوْحِيدِهَا إِلَّا فِي الذَّارِيَاتِ: ﴿ٱلرِّيحَ ٱلۡعَقِيمَ﴾[الذَّارِيَات:٤١]؛ اتَّفَقُوا عَلَى تَوْحِيدِهَا، وَفِي الحَرْفِ الْأَوَّلِ مِنْ سُورَةِ الرُّومِ: ﴿ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٖ﴾[الرُّوم:٤٦]، اتَّفَقُوا عَلَى جَمْعِهَا، وَقَرَأَ أَبُو جَعْفَرٍ سَائِرَهَا عَلَى الجَمْعِ، وَالقُرَّاءُ مُخْتَلِفُونَ فِيهَا، **وَالرِّيحُ**: يُذَكَّرُ وَيُؤَنَّثُ، **وَتَصْرِيفُهَا**: أَنَّهَا تَتَصَرَّفُ إِلَى الجَنُوبِ وَالشَّمَالِ وَالْقَبُولِ وَالدَّبُورِ وَالنَّكْبَاءِ. **وَقِيلَ**: تَصْرِيفُهَا أَنَّهَا تَارَةً تَكُونُ لَيِّنًا، وَتَارَةً تَكُونُ عَاصِفًا، وَتَارَةً تَكُونُ حَارَّةً، وَتَارَةً بَارِدَةً[1]. **قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ**: أَعْظَمُ جُنُودِ

---

(١) قَالَ العَلَّامَةُ العُثَيمِين رَحِمَهُ اللهُ: وفي تَصريفِ هذِهِ الرِّياحِ آياتٌ: لو بَقِيَت الرِّيحُ في اتِّجاه واحد لأضرت =

اللهُ الرِّيحُ وَالمَاءُ، **وَسُمِّيَتِ الرِّيحُ رِيحًا:** لِأَنَّهَا تُرِيحُ النُّفُوسَ، **قَالَ شُرَيْحٌ الْقَاضِي:** مَا هَبَّتْ رِيحٌ إِلَّا لِشِفَاءِ سَقِيمٍ أَوْ لِسَقَمِ صَحِيحٍ، وَالْبِشَارَةُ فِي ثَلَاثٍ مِنَ الرِّيَاحِ: فِي الصَّبَا وَالشَّمَالِ وَالْجَنُوبِ، أَمَّا الدَّبُّورُ فَهِيَ الرِّيحُ الْعَقِيمُ، لَا بِشَارَةَ فِيهَا، **وَقِيلَ:** الرِّيَاحُ ثَمَانِيَةٌ، أَرْبَعَةٌ لِلرَّحْمَةِ، وَأَرْبَعَةٌ لِلْعَذَابِ، فَأَمَّا الَّتِي لِلرَّحْمَةِ: الْمُبَشِّرَاتُ، وَالنَّاشِرَاتُ، وَالذَّارِيَاتُ، وَالْمُرْسَلَاتُ، وَأَمَّا الَّتِي لِلْعَذَابِ: الْعَقِيمُ، وَالصَّرْصَرُ فِي الْبَرِّ، وَالْعَاصِفُ، وَالْقَاصِفُ فِي الْبَحْرِ.

﴿وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ﴾: أَيِ: الْغَيْمِ الْمُذَلَّلِ، **سُمِّيَ سَحَابًا:** لِأَنَّهُ يَنْسَحِبُ، أَيْ: يَسِيرُ فِي سُرْعَةٍ كَأَنَّهُ يَسْحَبُ، أَيْ: يَجُرُّ، ﴿بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾: فَيَعْلَمُونَ أَنَّ لِهَذِهِ الْأَشْيَاءِ خَالِقًا وَصَانِعًا، **قَالَ وَهْبُ بْنُ مُنَبِّهٍ:** ثَلَاثَةٌ لَا يُدْرَى مِنْ أَيْنَ تَجِيءُ: الرَّعْدُ، وَالْبَرْقُ، وَالسَّحَابُ.

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا ﴾: أَيْ: أَصْنَامًا يَعْبُدُونَهَا، ﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾: أَيْ يُحِبُّونَ آلِهَتَهُمْ كَحُبِّ الْمُؤْمِنِينَ اللهَ، **وَقَالَ الزَّجَّاجُ:** يُحِبُّونَ الْأَصْنَامَ كَمَا يُحِبُّونَ اللهَ؛ لِأَنَّهُمْ أَشْرَكُوهَا مَعَ اللهِ، فَسَوَّوْا بَيْنَ اللهِ وَبَيْنَ أَوْثَانِهِمْ فِي الْمَحَبَّةِ، ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾: أَيْ: أَثْبَتُ وَأَدْوَمُ عَلَى حُبِّهِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ؛ لِأَنَّهُمْ لَا يَخْتَارُونَ عَلَى اللهِ مَا سِوَاهُ، وَالْمُشْرِكُونَ إِذَا اتَّخَذُوا صَنَمًا ثُمَّ رَأَوْا أَحْسَنَ مِنْهُ، طَرَحُوا الْأَوَّلَ وَاخْتَارُوا الثَّانِيَ. **قَالَ قَتَادَةُ:** إِنَّ الْكَافِرَ يُعْرِضُ عَنْ مَعْبُودِهِ فِي وَقْتِ الْبَلَاءِ وَيُقْبِلُ عَلَى اللهِ تَعَالَى، كَمَا أَخْبَرَ اللهُ ﷻ عَنْهُمْ فَقَالَ: ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾[الْعَنْكَبُوت:٦٥] وَالْمُؤْمِنُ لَا يُعْرِضُ عَنِ اللهِ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالشِّدَّةِ

= بالعالم؛ لكنَّها تتقابل، فيَكسِر بعضها حِدةَ بعض، ويذهب بعضها بما جاء به البعض الآخر من الأذى، والجراثيم، وغيرها.اهـ"تفسير القرآن الكريم (الفاتحة-البقرة)" (٢/ ٢١٦).

وَالرَّخَاءِ. وَقِيلَ: إِنَّمَا قَالَ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِۗ﴾: لِأَنَّ اللهَ تَعَالَى أَحَبَّهُمْ أَوَّلًا ثُمَّ أَحَبُّوهُ، وَمَنْ شَهِدَ لَهُ المَعْبُودُ بِالمَحَبَّةِ كَانَتْ مَحَبَّتُهُ أَتَمَّ، قَالَ اللهُ تعالى: ﴿يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾[المَائِدَة:٥٤].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَوۡ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ﴾: قَرَأَ نَافِعٌ وَابْنُ عَامِرٍ وَيَعْقُوبُ: ﴿وَلَوْ تَرَى﴾ بِالتَّاءِ، وَقَرَأَ الْآخَرُونَ بِالْيَاءِ، وَجَوَابُ ﴿وَلَوۡ﴾ هَاهُنَا مَحْذُوفٌ، وَمِثْلُهُ كَثِيرٌ فِي الْقُرْآنِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَوۡ أَنَّ قُرۡءَانٗا سُيِّرَتۡ بِهِ ٱلۡجِبَالُ أَوۡ قُطِّعَتۡ بِهِ ٱلۡأَرۡضُ﴾[الرَّعد:٣١] الآيَة، يَعْنِي: لَكَانَ هَذَا الْقُرْآنُ، فَمَنْ قَرَأَ بِالتَّاءِ مَعْنَاهُ: وَلَوْ تَرَى يَا مُحَمَّدُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فِي شِدَّةِ الْعَذَابِ لَرَأَيْتَ أَمْرًا عَظِيمًا، قِيلَ: مَعْنَاهُ: قُلْ يَا مُحَمَّدُ: أَيُّهَا الظَّالِمُ لَوْ تَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا -أَيْ: أَشْرَكُوا- فِي شِدَّةِ الْعَذَابِ لَرَأَيْتَ أَمْرًا عَظِيمًا. وَمَنْ قَرَأَ بِالْيَاءِ مَعْنَاهُ: وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ عِنْدَ رُؤْيَةِ العَذَابِ، أَيْ: وَلَوْ رَأَوْا شِدَّةَ عَذَابِ اللهِ وَعُقُوبَتِهِ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ لَعَرَفُوا مَضَرَّةَ الْكُفْرِ، وَأَنَّ مَا اتَّخَذُوا مِنَ الْأَصْنَامِ لَا يَنْفَعُهُمْ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِذۡ يَرَوۡنَ﴾: قَرَأَ ابْنُ عَامِرٍ بِضَمِّ الْيَاءِ وَالْبَاقُونَ بِفَتْحِهَا، ﴿ٱلۡعَذَابَ أَنَّ ٱلۡقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعٗا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعَذَابِ﴾: أَيْ: بِأَنَّ الْقُوَّةَ للهِ جَمِيعًا، مَعْنَاهُ: لَرَأَوْا وَأَيْقَنُوا أَنَّ الْقُوَّةَ للهِ جَمِيعًا، وَقَرَأَ أَبُو جَعْفَرٍ وَيَعْقُوبُ ﴿إِنَّ الْقُوَّةَ﴾ وَ﴿إِنَّ اللهَ﴾ بِكَسْرِ الْأَلِفِ عَلَى الِاسْتِئْنَافِ، وَالْكَلَامُ تَامٌّ عِنْدَ قَوْلِهِ: إِذْ يَرَوْنَ الْعَذابَ مَعَ إِضْمَارِ الجَوَابِ.

﴿إِذۡ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ وَتَقَطَّعَتۡ بِهِمُ ٱلۡأَسۡبَابُ ١٦٦ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوۡ أَنَّ لَنَا كَرَّةٗ فَنَتَبَرَّأَ مِنۡهُمۡ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّاۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعۡمَٰلَهُمۡ حَسَرَٰتٍ عَلَيۡهِمۡۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾

﴿إِذۡ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ﴾: هَذَا فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ حِينَ يَجْمَعُ اللهُ الْقَادَةَ وَالْأَتْبَاعَ، فَيَتَبَرَّأُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ، **هَذَا قَوْلُ أَكْثَرِ الْمُفَسِّرِينَ، وَقَالَ السُّدِّيُّ**: هُمُ الشَّيَاطِينُ يَتَبَرَّؤُونَ مِنَ الْإِنْسِ ﴿وَتَقَطَّعَتۡ بِهِمُ﴾: أَيْ: عَنْهُمُ ﴿ٱلۡأَسۡبَابُ﴾:

أَيِ: الصِّلَاتُ الَّتِي كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا مِنَ القَرَابَاتِ وَالصَّدَاقَاتِ، وَصَارَتْ مُخَالَّتُهُمْ عَدَاوَة، **وَقَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ**: الْأَرْحَامُ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ﴾[المُؤْمِنُون:١٠١]، **وَقَالَ السُّدِّيُّ**: يَعْنِي الْأَعْمَالَ الَّتِي كَانُوا يَعْمَلُونَهَا فِي الدُّنْيَا، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾[الْفُرْقَان:٢٣]، **وَأَصْلُ السَّبَبِ**: مَا يُوصَلُ بِهِ إِلَى الشَّيْءِ مِنْ ذَرِيعَةٍ أَوْ قَرَابَةٍ أَوْ مَوَدَّةٍ، وَمِنْهُ يُقَالُ لِلْحَبْلِ: سَبَبٌ، وَلِلطَّرِيقِ: سَبَبٌ. ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟﴾: يَعْنِي: الْأَتْبَاعَ ﴿لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً﴾: أَيْ: رَجْعَةً إِلَى الدُّنْيَا، ﴿فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ﴾: أَيْ: مِنَ المَتْبُوعِينَ ﴿كَمَا تَبَرَّءُوا۟ مِنَّا﴾: الْيَوْمَ، ﴿كَذَٰلِكَ﴾: أَيْ: كَمَا أَرَاهُمُ الْعَذَابَ ﴿كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ﴾، **وَقِيلَ**: كَتَبَرُّؤِ بَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ يُرِيهِمُ اللهُ: ﴿أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ﴾: نَدَامَاتٍ ﴿عَلَيْهِمْ﴾: جَمْعُ حَسْرَةٍ، **قِيلَ**: يُرِيهِمُ اللهُ مَا ارْتَكَبُوا مِنَ السَّيِّئَاتِ فَيَتَحَسَّرُونَ لِمَ تَحَمَّلُوهَا. **وَقِيلَ**: يُرِيهِمْ مَا تَرَكُوا مِنَ الْحَسَنَاتِ، فَيَنْدَمُونَ عَلَى تَضْيِيعِهَا. **وَقَالَ ابْنُ كَيْسَانَ**: إِنَّهُمْ أَشْرَكُوا بِاللهِ الْأَوْثَانَ؛ رَجَاءَ أَنْ تُقَرِّبَهُمْ إِلَى اللهِ ﷻ، فَلَمَّا عُذِّبُوا عَلَى مَا كَانُوا يَرْجُونَ ثَوَابَهُ تَحَسَّرُوا وَنَدِمُوا، ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾: **الحَلَالُ**: مَا أَحَلَّهُ الشَّرْعُ طَيِّبًا، **قِيلَ**: مَا يُسْتَطَابُ وَيُسْتَلَذُّ، وَالْمُسْلِمُ يَسْتَطِيبُ الْحَلَالَ وَيَعَافُ الْحَرَامَ، **وَقِيلَ**: الطَّيِّبُ الطَّاهِرُ، ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾: قَرَأَ أَبُو جَعْفَرٍ وَابْنُ عَامِرٍ وَالْكِسَائِيُّ وَحَفْصٌ وَيَعْقُوبُ بِضَمِّ الطَّاءِ وَالبَاقُونَ بِسُكُونِهَا، **وَخُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ**: آثَارُهُ وَزَلَّاتُهُ، **وَقِيلَ**: هِيَ النُّذُورُ فِي المَعَاصِي، **وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ**: هِيَ الْمُحَقَّرَاتُ مِنَ الذُّنُوبِ، **وَقَالَ الزَّجَّاجُ**: طُرُقُهُ؛ ﴿إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾: بَيِّنُ الْعَدَاوَةِ. **وَقِيلَ**: مُظْهِرُ العَدَاوَةِ. وَقَدْ أَظْهَرَ

عَدَاوَتَهُ بِإِبَائِهِ السُّجُودَ لِآدَمَ وَغُرُورِهِ إِيَّاهُ حِينَ أَخْرَجَهُ مِنَ الجَنَّةِ. **وَأَبَانَ**: يَكُونُ لَازِمًا وَمُتَعَدِّيًا. ثُمَّ ذَكَرَ عَدَاوَتَهُ فَقَالَ: ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ﴾: أَيْ: بِالْإِثْمِ، وَأَصْلُ السُّوءِ مَا يَسُوءُ صَاحِبَهُ، وَهُوَ مَصْدَرُ (سَاءَ يَسُوءُ سَوْءًا، وَمَسَاءَةً)، أَيْ: أَحْزَنَهُ، وَ(سَوَّأْتُهُ فَسَاءَ)، أَيْ: حَزَّنْتُهُ فَحَزِنَ، ﴿وَٱلْفَحْشَآءِ﴾: المَعَاصِي وَمَا قَبُحَ مِنَ الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ، وَهُوَ مَصْدَرٌ كَ(السَّرَّاءِ)، وَ(الضَّرَّاءِ)، ﴿وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾: مِنْ تَحْرِيمِ الحَرْثِ وَالأَنْعَامِ وَغَيْرِهَا.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾: **قِيلَ**: هَذِهِ قِصَّةٌ مُسْتَأْنَفَةٌ، وَالْهَاءُ وَالْمِيمُ فِي ﴿لَهُمُ﴾ كِنَايَةٌ عَنْ غَيْرِ مذكور. **وَقِيلَ**: الْآيَةُ مُتَّصِلَةٌ بِمَا قَبْلَهَا وَهِيَ نَازِلَةٌ فِي مُشْرِكِي الْعَرَبِ وَكُفَّارِ قُرَيْشٍ، وَالْهَاءُ وَالْمِيمُ عَائِدَةٌ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا﴾[البَقَرَة:١٦٥]، ﴿قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا﴾: قَرَأَ الْكِسَائِيُّ ﴿بَل نَّتَّبِعُ﴾ بِإِدْغَامِ اللَّامِ فِي النُّونِ، وَكَذَلِكَ يُدْغِمُ لَامَ: (هَلْ) وَ(بَلْ) فِي التَّاءِ وَالثَّاءِ وَالزَّايِ وَالسِّينِ وَالصَّادِ وَالطَّاءِ وَالظَّاءِ، وَوَافَقَ حَمْزَةُ فِي الثَّاءِ وَالسِّينِ، ﴿مَآ أَلْفَيْنَا﴾: مَا وَجَدْنَا ﴿عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ﴾: مِنَ التَّحْرِيمِ وَالتَّحْلِيلِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ﴾: الوَاوُ فِي ﴿أَوَلَوْ﴾ وَاوُ الْعَطْفِ، وَيُقَالُ لَهَا أَيْضًا: وَاوُ التَّعَجُّبِ؛ دَخَلَتْ عَلَيْهَا أَلِفُ الِاسْتِفْهَامِ لِلتَّوْبِيخِ، وَالمَعْنَى: أَيَتَّبِعُونَ آبَاءَهُمْ وَإِنْ كَانُوا جُهَّالًا ﴿لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا﴾: لَفْظُهُ عَامٌّ وَمَعْنَاهُ الْخُصُوصُ، أَيْ: لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا مِنْ أُمُورِ الدِّينِ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَعْقِلُونَ أَمْرَ الدُّنْيَا، ﴿وَلَا يَهْتَدُونَ﴾: لِاتِّبَاعِ مُحَمَّدٍ؛ لِعَدَمِ عَقْلِهِم. ثُمَّ ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا فَقَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ:

﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾

﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ﴾: وَالنَّعِيقُ وَالنَّعْقُ: صَوْتُ الرَّاعِي بِالْغَنَمِ، مَعْنَاهُ: مَثَلُكَ يَا مُحَمَّدُ وَمَثَلُ الْكُفَّارِ فِي وَعْظِهِمْ وَدُعَائِهِمْ إِلَى اللهِ ﷻ

كَمَثَلِ الرَّاعِي الَّذِي يَنْعِقُ بِالْغَنَم. **وَقِيلَ**: مَثَلُ وَاعِظِ الكُفَّارِ وَدَاعِيهِمْ كَمَثَلِ الرَّاعِي يَنْعِقُ بِالْغَنَمِ وَهِيَ لَا تَسْمَعُ ﴿إِلَّا دُعَآءً﴾: صَوْتًا ﴿وَنِدَآءً﴾، فَأَضَافَ المَثَلَ إِلَى الَّذِينَ كَفَرُوا؛ لِدَلَالَةِ الْكَلَامِ عَلَيْهِ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾[يُوسُف:٨٢]، مَعْنَاهُ: كَمَا أَنَّ الْبَهَائِمَ تَسْمَعُ صَوْتَ الرَّاعِي وَلَا تَفْهَمُ وَلَا تَعْقِلُ مَا يُقَالُ لَهَا، كَذَلِكَ الْكَافِرُ لَا يَنْتَفِعُ بِوَعْظِكَ إِنَّمَا يَسْمَعُ صَوْتَكَ. **وَقِيلَ**: مَعْنَاهُ: وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قِلَّةِ عَقْلِهِمْ وَفَهْمِهِمْ عَنِ الله وَعَنْ رَسُولِهِ كَمَثَلِ المَنْعُوقِ بِهِ مِنَ الْبَهَائِمِ الَّتِي لَا تَفْقَهُ مِنَ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ إِلَّا الصَّوْتَ، فَيَكُونُ المَعْنَى لِلْمَنْعُوقِ بِهِ وَالْكَلَامُ خَارِجٌ عَنِ النَّاعِقِ، وَهُوَ فَاشٍ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ يَفْعَلُونَ ذَلِكَ وَيَقْلِبُونَ الكَلَامَ؛ لِإِيْضَاحِ المَعْنَى عِنْدَهُمْ، يَقُولُونَ: (فُلَانٌ يَخَافُكَ خَوْفَ الأَسَدِ) أي: كَخَوفِهِ الْأَسَد، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ﴾[القَصَص:٧٦]، وَإِنَّمَا الْعُصْبَةُ تَنُوءُ بِالمَفَاتِيح. **وَقِيلَ**: مَعْنَاهُ: مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي دُعَاءِ الْأَصْنَامِ الَّتِي لَا تَفْقَهُ وَلَا تَعْقِلُ كَمَثَلِ النَّاعِقِ بِالْغَنَمِ، فَلَا يُنْتَفَعُ مِنْ نَعِيقِهِ بِشَيْءٍ، غَيْرَ أَنَّهُ فِي غِنَاءٍ مِنَ الدُّعَاءِ وَالنِّدَاءِ، كَذَلِكَ الْكَافِرُ لَيْسَ لَهُ مِنْ دُعَاءِ الْآلِهَةِ وَعِبَادَتِهَا إِلَّا الْعَنَاءُ وَالْبَلَاءُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُواْ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُواْ مَا ٱسْتَجَابُواْ لَكُمْ﴾[فَاطِر:١٤]. **وَقِيلَ**: مَعْنَى الْآيَةِ: وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي دُعَاءِ الْأَوْثَانِ كَمَثَلِ الَّذِي يَصِيحُ فِي جَوْفِ الجِبَالِ، فَيَسْمَعُ صَوْتًا يُقَالُ لَهُ الصَّدَى لَا يَفْهَمُ مِنْهُ شَيْئًا، فَمَعْنَى الْآيَةِ: كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ مِنْهُ النَّاعِقُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً، ﴿صُمٌّۢ﴾: تَقُولُ الْعَرَبُ لِمَنْ يَسْمَعُ، وَلَا يَعْقِلُ: (كَأَنَّهُ أَصَمُّ)، ﴿بُكْمٌ﴾: عَنِ الخَيْرِ لَا يَقُولُونَهُ، ﴿عُمْىٌ﴾: عَنِ الْهُدَى لَا يُبْصِرُونَهُ، ﴿فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ﴾: حَلَالَاتِ ﴿مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ: إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيبًا، وَإِنَّ اللهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ المُرْسَلِينَ، فَقَالَ**: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾، **وَقَالَ**: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن

﴿طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ﴾، ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ، أَشْعَثَ، أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ، يَا رَبِّ يَا رَبِّ! وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟»[1].

﴿وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ﴾: عَلَى نِعَمِهِ ﴿إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ﴾ ثُمَّ بَيَّنَ الْمُحَرَّمَاتِ فَقَالَ:

﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحۡمَ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيۡرِ ٱللَّهِۖ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾

﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةَ﴾: قَرَأَ أَبُو جَعْفَر: ﴿المَيِّتَة﴾ فِي كُلِّ الْقُرْآنِ بِالتَّشْدِيدِ، وَالْبَاقُونَ يُشَدِّدُونَ الْبَعْضَ، وَالمَيْتَةُ: كُلُّ مَا لَمْ تُدْرَكْ ذَكَاتُهُ مِمَّا يُذْبَحُ، ﴿وَٱلدَّمَ﴾: أَرَادَ بِهِ الدَّمَ الجَارِي؛ يَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَوۡ دَمٗا مَّسۡفُوحًا﴾[الأَنْعَام:١٤٥]، وَاسْتَثْنَى الشَّرْعُ مِنَ المَيْتَةِ: السَّمَكَ وَالجَرَادَ، وَمِنَ الدَّمِ: الْكَبِدَ وَالطِّحَالَ، فَأَحَلَّهَا.

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَالَ: «أُحِلَّتْ لَكُمْ مَيْتَتَانِ وَدَمَانِ، فَأَمَّا المَيْتَتَانِ: فَالحُوتُ وَالجَرَادُ، وَأَمَّا الدَّمَانِ: فَالْكَبِدُ وَالطِّحَالُ»[2].

﴿وَلَحۡمَ ٱلۡخِنزِيرِ﴾: أَرَادَ بِهِ جَمِيعَ أَجْزَائِهِ، فَعَبَّرَ عَنْ ذَلِكَ بِاللَّحْمِ لِأَنَّهُ مُعْظَمُهُ ﴿وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيۡرِ ٱللَّهِۖ﴾: أَيْ: مَا ذُبِحَ لِلْأَصْنَامِ وَالطَّوَاغِيتِ، وَأَصْلُ الْإِهْلَالِ: رَفْعُ الصَّوْتِ؛ لِأَنَّ المُشْرِكِينَ كَانُوا إِذَا ذَبَحُوا لِآلِهَتِهِمْ شَيْئًا يَرْفَعُونَ أَصْوَاتَهُمْ بِذِكْرِهَا، فَجَرَى ذَلِكَ مِنْ أَمْرِهِمْ حَتَّى قِيلَ لِكُلِّ ذَابِحٍ وَإِنْ لَمْ يَجْهَرْ بِالتَّسْمِيَةِ: مُهِلٌّ. وَقَالَ الرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ وَغَيْرُهُ: ﴿وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيۡرِ ٱللَّهِۖ﴾: قَالَ: مَا ذُكِرَ عَلَيْهِ اسْمُ غَيْرِ اللهِ، ﴿فَمَنِ ٱضۡطُرَّ﴾: بِكَسْرِ النُّونِ وَأَخَوَاتِهِ قَرَأَ عَاصِمٌ وَحَمْزَةُ، وَوَافَقَ أَبُو عَمْرٍو إِلَّا فِي اللَّامِ وَالْوَاوِ مِثْل: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ﴾[الإِسْرَاء:١١٠]، وَيَعْقُوبُ إِلَّا فِي الْوَاوِ، وَوَافَقَ ابْنُ عَامِرٍ فِي التَّنْوِينِ، وَالْبَاقُونَ كُلُّهُمْ بِالضَّمِّ، فَمَنْ كَسَرَ قَالَ لِأَنَّ الجَزْمَ يُحَرَّكُ

(١) **صحيح:** مسلم: (١٠١٥).

(٢) **صحيح:** صحَّحه العلَّامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في "صحيح وضعيف سنن ابن ماجه" (٣٣١٤).

إِلَى الْكَسْرِ، وَمَنْ ضَمَّ فَلِضَمَّةِ أَوَّلِ الْفِعْلِ، نَقَلَ حَرَكَتَهَا إِلَى مَا قَبْلَهَا، وَأَبُو جَعْفَرٍ بِكَسْرِ الطَّاءِ. **وَمَعْنَاهُ:** ﴿فَمَنِ ٱضۡطُرَّ﴾: إِلَى أَكْلِ المَيتَةِ، أَيْ: أُحْوِجَ وَأُلْجِئَ إِلَيْهِ.

﴿غَيۡرَ﴾: نُصِبَ عَلَى الْحَالِ، **وَقِيلَ:** عَلَى الِاسْتِثْنَاءِ، وَإِذَا رَأَيْتَ (غَيْر) يَصْلُحُ فِي مَوْضِعِهَا (لَا) فَهِيَ حَالٌ، وَإِذَا صَلَحَ فِي مَوْضِعِهَا (إِلَّا) فَهِيَ اسْتِثْنَاءٌ، ﴿بَاغٖ وَلَا عَادٖ﴾: **أَصْلُ الْبَغْيِ:** قَصْدُ الْفَسَادِ، يُقَالُ: (بَغَى الْجُرْحُ يَبْغِي بَغْيًا)، إِذَا تَرَامَى إِلَى الْفَسَادِ. **وَأَصْلُ الْعُدْوَانِ:** الظُّلْمُ وَمُجَاوَزَةُ الْحَدِّ، يُقَالُ: (عَدَا عَلَيْهِ عَدْوًا وَعُدْوَانًا)، إِذَا ظَلَمَ.

وَاخْتَلَفُوا فِي مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ﴾: **فَقَالَ بَعْضُهُمْ:** ﴿غَيۡرَ بَاغٖ﴾: أَيْ: غَيْرَ خَارِجٍ عَلَى السُّلْطَانِ، ﴿وَلَا عَادٖ﴾: أَيْ: وَلَا مُعْتَدٍ عَاصٍ بِسَفَرِهِ، بِأَنْ خَرَجَ لِقَطْعِ الطَّرِيقِ أَوِ الفَسَادِ فِي الْأَرْضِ، وَهُوَ قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٍ وَسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، **وَقَالُوا:** لَا يَجُوزُ لِلْعَاصِي بِسَفَرِهِ أن يَأْكُلَ المَيْتَةَ إِذَا اضْطُرَّ إِلَيْهَا، وَلَا أَنْ يَتَرَخَّصَ بِرُخَصِ الْمُسَافِرِ حَتَّى يَتُوبَ، وَبِهِ قَالَ الشَّافِعِيُّ؛ لِأَنَّ فِي إِبَاحَتِهِ لَهُ إِعَانَةٌ لَهُ عَلَى فَسَادِهِ، **وَذَهَبَ جَمَاعَةٌ** إِلَى أَنَّ الْبَغْيَ وَالْعُدْوَانَ رَاجِعَانِ إِلَى الْأَكْلِ، **وَاخْتَلَفُوا فِي تَفْصِيلِهِ، فَقَالَ الْحَسَنُ وَقَتَادَةُ:** ﴿غَيۡرَ بَاغٖ﴾: لَا يَأْكُلُهُ مِنْ غَيْرِ اضْطِرَارٍ، ﴿وَلَا عَادٖ﴾: أَيْ: لَا يَعْدُو لِشِبَعِهِ، **وَقِيلَ:** ﴿غَيۡرَ بَاغٖ﴾: أَيْ: غَيْرَ طَالِبِهَا وَهُوَ يَجِدُ غَيْرَهَا، ﴿وَلَا عَادٖ﴾: أَيْ: غَيْرَ مُتَعَدٍّ مَا حُدَّ لَهُ، وَلَا يَأْكُلُ حَتَّى يَشْبَعَ، وَلَكِنْ يَأْكُلُ مِنْهَا قُوتًا مِقْدَار مَا يَسُدُّ بِهِ رَمَقَهُ. **وَقَالَ مُقَاتِلُ بْنُ حَيَّانَ:** ﴿غَيۡرَ بَاغٖ﴾: أَيْ: مُسْتَحِلٍّ لَهَا، ﴿وَلَا عَادٖ﴾: أَيْ: مُتَزَوِّدٍ مِنْهَا، **وَقِيلَ:** ﴿غَيۡرَ بَاغٖ﴾: أَيْ: غَيْرَ مُجَاوِزٍ لِلْقَدْرِ الَّذِي أُحِلَّ لَهُ، ﴿وَلَا عَادٖ﴾: أَيْ: لَا يُقَصِّرُ فِيمَا أُبِيحَ لَهُ فَيَدَعُهُ، **قَالَ مَسْرُوقٌ:** مَنِ اضْطُرَّ إِلَى المَيْتَةِ وَالدَّمِ وَلَحْمِ الْخِنْزِيرِ فَلَمْ يَأْكُلْ وَلَمْ يَشْرَبْ حَتَّى مَاتَ دَخَلَ النَّارَ.

وَاخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي مِقْدَارِ مَا يَحِلُّ لِلْمُضْطَرِّ أَكْلُهُ مِنَ المَيْتَةِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: مِقْدَارُ مَا يَسُدُّ رَمَقَهُ، وَهُوَ قَوْلُ أَبِي حَنِيفَةَ رضي الله عنه، وَأَحَدُ قَوْلَيِ الشَّافِعِيِّ رضي الله عنه، **وَالْقَوْلُ الْآخَرُ:** يَجُوزُ أَنْ يَأْكُلَ حَتَّى يَشْبَعَ، وَبِهِ قَالَ مَالِكٌ رحمه الله، **وَقَالَ سَهْلُ بْنُ عَبْدِ الله:** ﴿غَيۡرَ

بَاغٍ﴾: مُفَارِقٍ لِلْجَمَاعَةِ، ﴿وَلَا عَادٍ﴾: مُبْتَدِعٍ مُخَالِفٍ لِلسُّنَّةِ، وَلَمْ يُرَخِّصْ لِلْمُبْتَدِعِ فِي تَنَاوُلِ الْمُحَرَّمِ عِنْدَ الضَّرُورَةِ، ﴿فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِۚ﴾: فَلَا حَرَجَ عَلَيْهِ فِي أَكْلِهَا؛ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾: لِمَنْ أَكَلَ فِي حَالِ الِاضْطِرَارِ، ﴿رَّحِيمٌ﴾: حَيْثُ رَخَّصَ لِلْعِبَادِ فِي ذَلِكَ.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًاۙ أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ وَٱلْعَذَابَ بِٱلْمَغْفِرَةِۚ فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ ﴿١٧٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُواْ فِي ٱلْكِتَٰبِ لَفِي شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾: يَعْنِي: صِفَةَ مُحَمَّدٍ ﷺ وَنُبُوَّتَهُ، ﴿وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ﴾: أَيْ: بِالْمَكْتُومِ ﴿ثَمَنًا قَلِيلًاۙ﴾: أَيْ: عِوَضًا يَسِيرًا، يَعْنِي: الْمَآكِلَ الَّتِي يُصِيبُونَهَا مِنْ سَفَلَتِهِمْ، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ﴾: يَعْنِي: إِلَّا مَا يُؤَدِّيهِمْ إِلَى النَّارِ، وَهُوَ الرِّشْوَةُ وَالْحَرَامُ وَثَمَنُ الدِّينِ، فَلَمَّا كَانَ يُفْضِي ذَلِكَ بِهِمْ إِلَى النَّارِ فَكَأَنَّهُمْ أَكَلُوا النَّارَ، **وَقِيلَ:** مَعْنَاهُ: أَنَّهُ يَصِيرُ نَارًا فِي بُطُونِهِمْ، ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾: أَيْ: لَا يُكَلِّمُهُمْ بِالرَّحْمَةِ وَبِمَا يَسُرُّهُمْ، إِنَّمَا يُكَلِّمُهُمْ بِالتَّوْبِيخِ، **وَقِيلَ:** أَرَادَ بِهِ أَنَّهُ يَكُونُ عَلَيْهِمْ غَضْبَانَ، كَمَا يُقَالُ: (فُلَانٌ لَا يُكَلِّمُ فُلَانًا) إِذَا كَانَ عَلَيْهِ غَضْبَانَ، ﴿وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾: أَيْ: لَا يُطَهِّرُهُمْ مِنْ دَنَسِ الذُّنُوبِ وَالْخَطَايَا، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ وَٱلْعَذَابَ بِٱلْمَغْفِرَةِۚ فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾: **قَالَ عَطَاءٌ وَالسُّدِّيُّ:** هُوَ (مَا) الِاسْتِفْهَامِ، مَعْنَاهُ: مَا الَّذِي صَبَّرَهُمْ؟ وَأَيُّ شَيْءٍ يُصَبِّرُهُمْ عَلَى النَّارِ حَتَّى تَرَكُوا الْحَقَّ وَاتَّبَعُوا الْبَاطِلَ؟ **قَالَ الْحَسَنُ وَقَتَادَةُ:** وَاللهِ مَا لَهُمْ عَلَيْهَا مِنْ صَبْرٍ، وَلَكِنْ مَا أَجْرَأَهُمْ عَلَى الْعَمَلِ الَّذِي يُقَرِّبُهُمْ إِلَى النَّارِ؟ **وَقَالَ الْكِسَائِيُّ:** فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى عَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، أَيْ: مَا أَدْوَمَهُمْ عَلَيْهِ.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّۗ﴾: يَعْنِي: ذَلِكَ الْعَذَابُ بِأَنَّ اللهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَأَنْكَرُوهُ وَكَفَرُوا بِهِ، وَحِينَئِذٍ يَكُونُ ﴿ذَٰلِكَ﴾ فِي مَحَلِّ الرَّفْعِ، **وَقَالَ بَعْضُهُمْ:** مَحَلُّهُ

نَصْبٌ، مَعْنَاهُ: فَعَلْنَا ذَلِكَ بِهِمْ؛ ﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ﴾: أَيْ: لِأَنَّ اللهَ ﴿نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ﴾ فَاخْتَلَفُوا فِيهِ **وَقِيلَ**: مَعْنَاهُ ﴿ذَٰلِكَ﴾: أَيْ: فِعْلُهُم الَّذِي يَفْعَلُونَ مِنَ الْكُفْرِ وَالِاخْتِلَافِ وَالِاجْتِرَاءِ عَلَى اللهِ مِنْ أَجْلِ أَنَّ اللهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُواْ فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾: فَآمَنُوا بِبَعْضٍ وَكَفَرُوا بِبَعْضٍ ﴿لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ﴾: أَيْ: فِي خِلَافٍ وَضَلَالٍ بَعِيدٍ.

﴿۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُواْ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ﴾: قَرَأَ حَمْزَةُ وَحَفْصٌ: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ﴾ بِنَصْبِ الرَّاءِ، وَالْبَاقُونَ بِرَفْعِهَا، فَمَنْ رَفَعَهَا جَعَلَ: ﴿ٱلْبِرَّ﴾ اسْم ﴿لَّيْسَ﴾ وَخَبَرُهُ فِي قَوْلِهِ: ﴿أَن تُوَلُّواْ﴾، تَقْدِيرُهُ: لَيْسَ البِرُّ تَوْلِيَتكُمْ وُجُوهَكُمْ، وَمَنْ نَصَبَ جَعَلَ ﴿أَن تُوَلُّواْ﴾ فِي مَوْضِعِ الرَّفْعِ عَلَى أَنَّهُ اسْمُ ﴿لَّيْسَ﴾ تَقْدِيرُهُ: لَيْسَ تَوْلِيَتُكُمْ وُجُوهَكُمْ البِرَّ كُلَّهُ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱئْتُواْ﴾[الجاثية:٢٥]، **وَالْبِرُّ**: كُلُّ عَمَلِ خَيْرٍ يُفْضِي بِصَاحِبِهِ إِلَى الْجَنَّةِ.

وَاخْتَلَفُوا فِي الْمُخَاطَبِينَ بِهَذِهِ الْآيَةِ، فَقَالَ قَوْمٌ: عَنَى بِهَا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى، وَذَلِكَ أَنَّ الْيَهُودَ كَانَتْ تُصَلِّي قِبَلَ الْمَغْرِبِ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَالنَّصَارَى قِبَلَ الْمَشْرِقِ، وَزَعَمَ كُلُّ فَرِيقٍ مِنْهُمْ أَنَّ البِرَّ فِي تِلْكَ الْجِهَةِ، فَأَخْبَرَ اللهُ تَعَالَى أَنَّ الْبِرَّ غَيْرُ دِينِهِمْ وَعَمَلِهِمْ، وَلَكِنَّهُ مَا بَيَّنَهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ، وَعَلَى هَذَا الْقَوْلِ قَتَادَةُ وَمُقَاتِلُ بْنُ حَيَّانَ. **وَقَالَ الْآخَرُونَ**: الْمُرَادُ بِهَا الْمُؤْمِنُونَ، وَذَلِكَ أَنَّ الرَّجُلَ كَانَ فِي ابْتِدَاءِ الْإِسْلَامِ قَبْلَ نُزُولِ الْفَرَائِضِ إِذَا أَتَى بِالشَّهَادَتَيْنِ وَصَلَّى الصَّلَاةَ إِلَى أَيِّ جِهَةٍ كَانَتْ، ثُمَّ مَاتَ عَلَى ذَلِكَ وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ، فَلَمَّا هَاجَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَنَزَلَتِ الْفَرَائِضُ، وَحُدِّدَتِ الْحُدُودُ، وَصُرِفَتِ الْقِبْلَةُ إِلَى الْكَعْبَةِ، أَنْزَلَ اللهُ هَذِهِ الْآيَةَ فَقَالَ: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ﴾: أَيْ: كُلَّ البِرِّ أَنْ تُصَلُّوا قِبَلَ الْمَشْرِقِ

وَالْمَغْرِبِ وَلَا تَعْمَلُوا غَيْرَ ذَلِكَ، ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ﴾: مَا ذُكِرَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ، وَعَلَى هَذَا الْقَوْلِ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٌ وَعَطَاءٌ وَالضَّحَّاكُ. ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ﴾: قَرَأَ نَافِعٌ وَابْنُ عَامِرٍ ﴿وَلكِنِ﴾ خَفِيفَةَ النُّونِ ﴿الْبِرُّ﴾ بِالرَّفْعِ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بِتَشْدِيدِ النُّونِ وَنَصْبِ الْبِرِّ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾: جَعَلَ ﴿مَنْ﴾ وَهِيَ اسْمُ خَبَرٍ لِلْبِرِّ وَهُوَ فِعْلٌ، وَلَا يُقَالُ: (الْبِرُّ زِيدَ)، **وَاخْتَلَفُوا فِي وَجْهِهِ: قِيلَ:** لَمَّا وَقَعَ ﴿مَنْ﴾ فِي مَوْضِعِ الْمَصْدَرِ جَعَلَهُ خَبَرًا لِلْبِرِّ، كَأَنَّهُ قَالَ: وَلَكِنَّ الْبِرَّ الْإِيمَانُ بِاللهِ، وَالْعَرَبُ تَجْعَلُ الِاسْمَ خَبَرًا لِلْفِعْلِ، وَأَنْشَدَ الْفَرَّاءُ:

لَعَمْرُكَ مَا الْفِتْيَانُ أَنْ تَنْبُتَ اللِّحَى وَلَكِنَّمَا الْفِتْيَانُ كُلُّ فَتًى نَدِيِّ

فَجَعَلَ نَبَاتَ اللِّحْيَةِ خَبَرًا لِلْفَتَى. **وَقِيلَ:** فِيهِ إِضْمَارٌ، تَقْدِيرُهُ: وَلَكِنَّ الْبِرَّ بِرُّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ، فَاسْتَغْنَى بِذِكْرِ الْأَوَّلِ عَنِ الثَّانِي، كَقَوْلِهِمْ: (الْجُودُ حَاتِمٌ)، أَيِ: الْجُودُ جُودُ حَاتِمٍ. **وَقِيلَ:** مَعْنَاهُ: وَلَكِنَّ ذَا الْبِرِّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [آل عِمْرَان:١٦٣]، أَيْ: ذَوُو دَرَجَاتٍ. **وَقِيلَ:** مَعْنَاهُ: وَلَكِنَّ الْبَارَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [طه:١٣٢] أَيْ: لِلْمُتَّقِي. **وَالْمُرَادُ مِنَ الْبِرِّ هَاهُنَا:** الْإِيمَانُ وَالتَّقْوَى.

﴿وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾: كُلِّهِمْ، ﴿وَٱلْكِتَٰبِ﴾: يَعْنِي: الْكُتُبَ الْمُنَزَّلَةَ، ﴿وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾: أَجْمَع، ﴿وَءَاتَى ٱلْمَالَ﴾: أَعْطَى الْمَالَ ﴿عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾: **اخْتَلَفُوا فِي هَذِهِ الْكِنَايَةِ: فَقَالَ أَكْثَرُ أَهْلِ التَّفْسِيرِ:** إِنَّهَا رَاجِعَةٌ إِلَى الْمَالِ، أَيْ: أَعْطَى الْمَالَ فِي حَالِ صِحَّتِهِ وَمَحَبَّتِهِ الْمَالَ، **قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ:** أَنْ تُؤْتِيَهُ وَأَنْتَ صَحِيحٌ شَحِيحٌ تَأْمُلُ الْغِنَى وَتَخْشَى الْفَقْرَ.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ أَيُّ الصَّدَقَةِ أَعْظَمُ أَجْرًا؟ قَالَ: «**أَنْ تَصَدَّقَ وَأَنْتَ صَحِيحٌ شَحِيحٌ تَخْشَى الْفَقْرَ وَتَأْمُلُ الْغِنَى، وَلَا تُمْهِلْ حَتَّى إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ قُلْتَ: لِفُلَانٍ كَذَا، وَلِفُلَانٍ كَذَا، وَقَدْ كَانَ لِفُلَانٍ**»(١).

---

(١) **صحيح:** البخاري: (٢٧٤٨)، ومسلم: (١٠٣٢).

وَقِيلَ: هِيَ عَائِدَةٌ إِلَى اللهِ ﷻ، أَيْ: عَلَى حُبِّ اللهِ تَعَالَى، ﴿ذَوِي الْقُرْبَى﴾: أَهْلَ الْقَرَابَةِ.

عَنْ سَلْمَانَ بْنِ عَامِرٍ الضَّبِّيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الصَّدَقَةُ عَلَى الْمِسْكِينِ صَدَقَةٌ، وَعَلَى ذِي الرَّحِمِ ثِنْتَانِ: صَدَقَةٌ وَصِلَةٌ**»[(١)].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ﴾: **قَالَ مُجَاهِدٌ**: يَعْنِي: الْمُسَافِرَ الْمُنْقَطِعَ عَنْ أَهْلِهِ يَمُرُّ عَلَيْكَ، وَيُقَالُ لِلْمُسَافِرِ: ابْنُ السَّبِيلِ؛ لِمُلَازَمَتِهِ الطَّرِيقَ. **وَقِيلَ**: هُوَ الضَّيْفُ يَنْزِلُ بِالرَّجُلِ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ**»[(٢)]. ﴿وَالسَّائِلِينَ﴾: يَعْنِي: الطَّالِبِينَ.

عَنْ أُمِّ بُجَيْدٍ رضي الله عنها أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**رُدُّوا السَّائِلَ وَلَوْ بِظِلْفٍ مُحْرَقٍ**»[(٣)]، **وَفِي رِوَايَةٍ**: قَالَ لَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنْ لَمْ تَجِدِي شَيْئًا إِلَّا ظِلْفًا مُحْرَقًا فَادْفَعِيهِ إِلَيْهِ**»[(٤)].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَفِي الرِّقَابِ﴾: يَعْنِي: الْمُكَاتَبِينَ، **قَالَهُ أَكْثَرُ الْمُفَسِّرِينَ**، **وَقِيلَ**: عِتْقُ النَّسَمَةِ وَفَكُّ الرَّقَبَةِ، **وَقِيلَ**: فِدَاءُ الْأُسَارَى، ﴿وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ﴾: وَأَعْطَى الزَّكَاةَ، ﴿وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ﴾: فِيمَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ اللهِ ﷻ، وَفِيمَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ النَّاسِ، ﴿إِذَا عَاهَدُوا﴾: يَعْنِي: إِذَا وَعَدُوا أَنْجَزُوا، وَإِذَا حَلَفُوا وَنَذَرُوا أَوْفَوْا، وَإِذَا عَاهَدُوا أَوْفَوْا، وَإِذَا قَالُوا صَدَقُوا، وَإِذَا ائْتُمِنُوا أَدَّوْا. **وَاخْتَلَفُوا فِي رَفْعِ قَوْلِهِ**: ﴿وَالْمُوفُونَ﴾:

---

(١) **صحيح**: صحَّحه العلَّامة الألباني رحمه الله في "صحيح وضعيف سنن ابن ماجه" (١٨٤٤).

(٢) **صحيح**: البخاري: (٦٠١٨)، ومسلم: (٤٧).

(٣) **صحيح**: صحَّحه العلَّامة الألباني رحمه الله في "صحيح وضعيف سنن النسائي" (٢٥٦٥). **وَقَوْلُهُ**: «**رُدُّوا السَّائِلَ**»: لم يُرِدْ به ردَّ الحرمان، بل أراد أنَّه يردُّهُ بشيء يُعطِيَه وإن قَلَّ، فهو كقولِهِ: (سَلَّمَ عليَّ فَرَدَدْتُ عليهِ)، أي: أجبتُهُ.اهـ "شرح السُّنَّة" (٦/ ١٧٥). **وَقَوْلُهُ**: «**وَلَو بِظِلْفٍ**»: بِكَسر المُعجَمة للبَقَرِ والغنم بِمَنزِلَةِ الحافِرِ للفَرَسِ. «**مُحْرَقٍ**»: مِنَ الْإِحْرَاقِ، أرادَ الْمُبَالغَةَ في رَدِّ السَّائِلِ بأدنى ما يتيسَّرُ، ولَمْ يُرِدْ صُدورَ هذا الفعلِ من المَسئُولِ منه؛ فإنَّ الظِّلْفَ المُحرَقَ غيرُ مُنتَفِعٍ به، إلَّا إذا كان الوقتُ زَمَنَ القحطِ.اهـ "مرقاة المفاتيح" (٤/ ١٣٥٥).

(٤) **صحيح**: صحَّحه العلَّامة الألباني رحمه الله في "صحيح وضعيف سنن أبي داود" (١٦٦٧).

قِيلَ: هُوَ عَطْفٌ عَلَى خَبَرٍ، وَمَعْنَاهُ: وَلَكِنَّ ذَا الْبِرِّ: الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ. **وَقِيلَ**: تَقْدِيرُهُ: هُمْ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ، كَأَنَّهُ عَدَّ أَصْنَافًا، ثُمَّ قَالَ: هُمْ وَالْمُوفُونَ كَذَا. **وَقِيلَ**: رَفْعٌ عَلَى الِابْتِدَاءِ وَالْخَبَرِ، يَعْنِي: وَهُمُ الْمُوفُونَ. **ثُمَّ قَالَ**: ﴿وَٱلصَّـٰبِرِينَ﴾: وَفِي نَصْبِهَا أَرْبَعَةُ أَوْجُهٍ: **قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ**: نَصْبُهَا عَلَى تَطَاوُلِ الْكَلَامِ، وَمِنْ شَأْنِ الْعَرَبِ أَنْ تُغَيِّرَ الْإِعْرَابِ إِذَا طَالَ الْكَلَامُ وَالنَّسَقُ وَمِثْلُهُ فِي سُورَةِ النِّسَاءِ: ﴿وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَۚ﴾[النِّسَاء: ١٦٢] وَفِي سُورَةِ المَائِدَةِ: ﴿وَٱلصَّـٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ﴾[المَائِدَة:٦٩] **وَقِيلَ**: مَعْنَاهُ أَعْنِي الصَّابِرِينَ، **وَقِيلَ**: نَصبهُ نَسَقًا عَلَى قَوْلِهِ: ﴿ذَوِى ٱلْقُـرْبَىٰ﴾، أَيْ: وَآتَى الصَّابِرِينَ، **وَقَالَ الخَلِيلُ**: نُصِبَ عَلَى المَدْحِ، وَالْعَرَبُ تَنْصِبُ الْكَلَامَ عَلَى المَدْحِ وَالذَّمِّ كَأَنَّهُمْ يُرِيدُونَ إِفْرَادَ المَمْدُوحِ وَالمَذْمُومِ، فَلَا يُتْبِعُونَهُ أَوَّلَ الْكَلَامِ وَيَنْصِبُونَهُ، **فَالمَدْحُ** كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَۚ﴾[النِّسَاء:١٦٢]، **وَالذَّمُّ** كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَّلْعُونِينَۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓاْ﴾[الْأَحْزَاب:٦١].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فِى ٱلْبَأْسَآءِ﴾: أَيِ: الشِّدَّةِ وَالْفَقْرِ ﴿وَٱلضَّرَّآءِ﴾: المَرَضِ وَالزَّمَانَةِ، ﴿وَحِينَ ٱلْبَأْسِۗ﴾: أَيِ: الْقِتَالِ وَالْحَرْبِ.

عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه، قَالَ: «**كُنَّا إِذَا احْمَرَّ الْبَأْسُ وَلَقِيَ الْقَوْمُ الْقَوْمَ اتَّقَيْنَا بِرَسُولِ اللهِ** ﷺ، **فَمَا يَكُونُ أَحَدٌ أَقْرَبَ إِلَى العَدُوِّ مِنْهُ**»[1]، يَعْنِي: إِذَا اشْتَدَّ الْحَرْبُ.

﴿أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ﴾: فِي إِيمَانِهِمْ، ﴿وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾: مَحَارِمَ اللهِ.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَىۖ ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰۚ فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَـٰنٍۗ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌۗ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ﴾: أَيْ: فُرِضَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ ﴿فِى ٱلْقَتْلَىۖ﴾: **وَالْقِصَاصُ**: المُسَاوَاةُ وَالمُمَاثَلَةُ فِي الْجِرَاحَاتِ وَالدِّيَاتِ، وَأَصْلُهُ

(١) **صحيح**: أحمد (١٣٤٧) وصحَّحه ط: (الرِّسالة)، وأصلُهُ عند مسلم (١٧٧٦)، عن البراء رضي الله عنه.

مِنْ: (قَصَّ الْأَثَرَ) إِذَا اتَّبَعَهُ، فَالْمَفْعُولُ بِهِ يَتْبَعُ مَا فُعِلَ بِهِ فَيَفْعَلُ مِثْلَهُ، ثُمَّ بَيَّنَ الْمُمَاثَلَةَ فَقَالَ: ﴿ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ﴾: **وَجُمْلَةُ الْحُكْمِ فِيهِ**: أَنَّهُ إِذَا تَكَافَأَ الدَّمَانِ مِنَ الْأَحْرَارِ الْمُسْلِمِينَ، أَوِ الْعَبِيدِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، أَوِ الْأَحْرَارِ مِنَ الْمُعَاهِدِينَ أَوِ الْعَبِيدِ مِنْهُمْ، قُتِلَ مِنْ كُلِّ صِنْفٍ مِنْهُمُ الذَّكَرُ إِذَا قَتَلَ بِالذَّكَرِ وَالْأُنْثَى، وَتُقْتَلُ الْأُنْثَى إِذَا قَتَلَتْ بِالْأُنْثَى وَبِالذَّكَرِ، وَلَا يُقْتَلُ مُؤْمِنٌ بِكَافِرٍ وَلَا حُرٌّ بِعَبْدٍ[١]، وَلَا وَالِدٌ بِوَلَدٍ، وَلَا مُسْلِمٌ بِذِمِّيٍّ، وَيُقْتَلُ الذِّمِّيُّ بِالْمُسْلِمِ وَالْعَبْدُ بِالْحُرِّ وَالْوَلَدُ بِالْوَالِدِ، **هَذَا قَوْلُ أَكْثَرِ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ بَعْدَهُمْ**.

عَنْ أَبِي جُحَيْفَةَ قَالَ: سَأَلْتُ عَلِيًّا رضي الله عنه هَلْ عِنْدَكُمْ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ شَيْءٌ سِوَى الْقُرْآنِ؟ فَقَالَ: «**لَا وَالَّذِي فَلَقَ الحَبَّةَ وَبَرَأَ النَّسَمَةَ، إِلَّا أَنْ يُؤْتِيَ اللهُ عَبْدًا فَهْمًا فِي القُرْآنِ، وَمَا فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ**»، قُلْتُ: وَمَا فِي الصَّحِيفَةِ؟ قَالَ: «**العَقْلُ، وَفِكَاكُ الْأَسِيرِ، وَلَا يُقْتَلُ مُؤْمِنٌ بِكَافِرٍ**»[٢]. **وَرُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ** رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا تُقَامُ الحُدُودُ فِي المَسَاجِدِ، وَلَا يُقَادُ الوَالِدُ بِالْوَلَدِ**»[٣].

وَذَهَبَ الشَّعْبِيُّ وَالنَّخَعِيُّ وَأَصْحَابُ الرَّأْيِ إِلَى أَنَّ الْمُسْلِمَ يُقْتَلُ بِالكَافِرِ الذِّمِّيِّ، وَإِلَى أَنَّ الْحُرَّ يُقْتَلُ بِالْعَبْدِ، وَالْحَدِيثُ حُجَّةٌ لِمَنْ لَمْ يُوجِبِ الْقِصَاصَ عَلَى الْمُسْلِمِ بِقَتْلِ الذِّمِّيِّ.

---

(١) **قولُهُ**: (وَلَا حُرٌّ بِعَبْدٍ): قال العلَّامَةُ العُثيمينُ رحمه الله في «الشرح الممتع» (١٤/ ٤٠): **وهذِهِ المسألةُ اختَلَفَ فيهَا أهلُ العلم**: فالمذهبُ أنَّ الحُرَّ لا يُقتَل بالعبد؛ لأنَّ الحُرَّ أكملُ من العبد؛ إذ أنَّ العبدَ يُبَاعُ ويُشتَرَى، وديتُهُ قيمتُهُ، فلا يمكن أن يكون ما يُباع ويُشترى مكافئًا للحُرِّ، ولهم أحاديث لكنَّها ضعيفة، منها: «**لَا يُقْتَلُ حُرٌّ بِعَبْدٍ**»، ولهذا ذهَبَ أبو حَنيفَة وشيخ الإسلام ابن تيمية، وهو رِوَايَةٌ عن أحمد إلى أنَّ الحُرَّ يُقتَلُ بالعبدِ؛ لعموم قوله ﷺ: «**الْمُؤْمِنُونَ تَتَكَافَأُ دِمَاؤُهُمْ وَيَسْعَى بِذِمَّتِهِمْ أَدْنَاهُمْ**»، وهذا القول هو الصَّواب.اهـ ورجَّحه شيخُنا أبو بلال خالد بن عبود باعامر الحضرمي حفظه الله.

(٢) **صحيح**: البخاري: (٦٩٠٣). **وَقولُهُ**: «**الْعَقْلُ**»: أي: الدِّيةُ، وإنَّما سُمِّيت بِهِ لأَنَّهُم كانُوا يُعطُون فيها الإبلَ ويَربطُونَها بفِنَاءِ دارِ المقتُولِ بالعِقَالِ، وهو الحَبْلُ.اهـ «الفتح» (١/ ٢٠٥).

(٣) **حسن**: حسَّنه العلَّامة الألباني رحمه الله في «صحيح وضعيف سنن الترمذي» (١٤٠١).

وَتُقْتَلُ الجَمَاعَةُ بِالْوَاحِدِ: رُوِيَ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ: أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رضي الله عنه قَتَلَ سَبْعَةً -أَوْ خَمْسَةً- بِرَجُلٍ قَتَلُوهُ غِيلَةً، وَقَالَ: لَوْ تَمَالَأَ عَلَيْهِ أَهْلُ صَنْعَاءَ لَقَتَلْتُهُمْ بِهِ جَمِيعًا(١).

وَيَجْرِي الْقِصَاصُ فِي الْأَطْرَافِ كَمَا يَجْرِي فِي النُّفُوسِ: إِلَّا فِي شَيْءٍ وَاحِدٍ وَهُوَ أَنَّ الصَّحِيحَ السَّوِيَّ يُقْتَلُ بِالْمَرِيضِ الزَّمِنِ، وَفِي الْأَطْرَافِ لَوْ قَطَعَ يَدًا شَلَّاءَ أَوْ نَاقِصَةَ الإِصْبَعِ لَا تُقْطَعُ بِهَا الصَّحِيحَةُ الْكَامِلَةُ(٢)، وَذَهَبَ أَصْحَابُ الرَّأْيِ إِلَى أَنَّ الْقِصَاصَ فِي الْأَطْرَافِ لَا يَجْرِي إِلَّا بَيْنَ حُرَّيْنِ أَوْ حُرَّتَيْنِ، وَلَا يَجْرِي بَيْنَ الذَّكَرِ وَالْأُنْثَى، وَلَا بَيْنَ الْحُرِّ وَالْعَبْدِ، وَعِنْدَ الْآخَرِينَ الطَّرَفُ فِي الْقِصَاصِ مَقِيسٌ عَلَى النَّفْسِ.

---

(١) **صحيح:** صحَّحه العلَّامة الألباني رحمه الله في «الإرواء» (٢١٩٩).

(٢) **قولُهُ:** (لا تُقطَعُ بها الصَّحيحةُ الكاملةُ): قال العلَّامَةُ العُثيمينُ رحمه الله: وهذا هو الذي عليه جُمهُورُ أهلِ العِلم، ومنهم المذاهب الأربعة، وحكاه بعضُهُم إجماعًا، وقال داوُد الظَّاهِريُّ رحمه الله: إنَّها تُؤخَذُ اليد السَّليمَة بالشَّلَّاء؛ لعموم الآية: ﴿ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾[المائدة:٤٥]؛ وقوله ﷺ لأنس بن النضر رضي الله عنه: «**كِتَابُ الله القِصَاصُ**» والجاني هو الذي أراد ذلك لنفسه، وهو الَّذي جنى على نفسه في الواقع؛ لأنَّه فعل سببًا يقتضي قطع يده، فيكون هو المتسبِّب، و(على نفسها جنت براقش)، **فعلى هذا:** تُؤخَذُ اليد الصَّحيحَة بالشَّلَّاء، وكما أنَّنا نقتُلُ الرَّجُلَ العَاقِلَ الشَّابَّ الجَلِدَ بالرَّجُلِ الأَشَلِّ الكَبيرِ السِّنِّ المجنُونِ، فهكذا هذه اليد نأخذها باليد الشَّلَّاء، فعندَهُ دليلٌ أثريٌّ ونظرِيٌّ، فالأثريُّ: عموم النصوص الدَّالة على القصاص، فهاتوا نصًّا يستثني ذلك، أمَّا النظريُّ: وهو القياس، وإن كان داود الظاهري لا يقول به، لكن الجمهور يقولون به، وقياسُهُ جيِّد. لكنَّ أولئِكَ يقولُونَ: إنَّ اليد الشَّلَّاء بمنزلة البدن الميِّت؛ لأنَّ منفعتها مفقودة نهائيًّا، فلا تتحرك، ولا تحس بِلَامِس، ولا بشيء أبدًا، ومن المعلوم لو أنَّ رجُلًا حيًّا ذبح ميتًا لم يُقتَلْ به، فَهُم يَقُولُون: إنَّ قياس داود منتقض بهذا، أمَّا استدلالُهُ بعُمُوم النُّصوصِ: فقالوا: صحيح أنَّ العموم يقتضي أن تُؤخَذ الصحيحة بالشَّلَّاء؛ لعدم التَّفصِيل وعدم التَّقيِيد، وإذا لم يكن تفصيلٌ ولا تقييدٌ بقِيَ العُموم على ظاهِرِه، لكنَّ كلمةَ القصاص تعنِي أنَّه لا بُدَّ أن تكون هُناك مماثلة بين الجزء الْمُقتصِّ منه والمقتصِّ له، وإلَّا لم يتحقق القصاص. فهذا هو رأيُ الجُمهُور، والمسألة تحتاج إلى بحث؛ لأنَّ دليل داود قويٌّ جدًّا.اهـ«الشرح المتع» (١٤/ ٧٩-٨٠).

والصَّواب -إن شاء الله- قول داود الظَّاهري رحمه الله ورجَّحه شيخنا العلَّامة أبو بلال خالد بن عبود باعامر الحضرمي حفظه الله.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِك بْنِ النَّضْرِ ﷺ، أَنَّ الرُّبَيِّعَ عَمَّتَهُ كَسَرَتْ ثَنِيَّةَ جَارِيَةٍ، فَطَلَبُوا إِلَيْهَا الْعَفْوَ فَأَبَوْا، فَعَرَضُوا الْأَرْشَ فَأَبَوْا، فَأَتَوْا رَسُولَ الله ﷺ فَأَبَوْا إِلَّا الْقِصَاصَ، فَأَمَرَ رَسُولُ الله ﷺ بِالْقِصَاصِ، فَقَالَ أَنَسُ بْنُ النَّضْرِ: يَا رَسُولَ الله! أَتُكْسَرُ ثَنِيَّةُ الرُّبَيِّعِ؟ لَا وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَا تُكْسَرُ ثَنِيَّتُهَا، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**يَا أَنَسُ، كِتَابُ الله الْقِصَاصُ**»، فَرَضِيَ الْقَوْمُ فَعَفَوْا، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**إِنَّ مِنْ عِبَادِ الله مَنْ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لَأَبَرَّهُ**»[(١)].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ﴾: أَيْ: تُرِكَ لَهُ وَصُفِحَ عَنْهُ مِنَ الْوَاجِبِ عَلَيْهِ -وَهُوَ الْقِصَاصُ فِي قَتْلِ الْعَمْدِ- وَرَضِيَ بِالدِّيَةِ، **هَذَا قَوْلُ أَكْثَرِ الْمُفَسِّرِينَ**، قَالُوا: الْعَفْوُ أَنْ يَقْبَلَ الدِّيَةَ فِي قَتْلِ الْعَمْدِ. **وَقَوْلُهُ**: ﴿مِنْ أَخِيهِ﴾: أَيْ: مِنْ دَمِ أَخِيهِ، وَأَرَادَ بِالْأَخِ: المَقْتُولَ، وَالْكِنَايَتَانِ فِي قَوْلِهِ: ﴿لَهُۥ﴾ وَفِي ﴿أَخِيهِ﴾ تَرْجِعَانِ إِلَى (مَنْ) وَهُوَ الْقَاتِلُ. **وَقَوْلُهُ**: ﴿شَىْءٌ﴾ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ بَعْضَ الْأَوْلِيَاءِ إِذَا عَفَا يَسْقُطُ الْقَوَدُ؛ لِأَنَّ شَيْئًا مِنَ الدَّمِ قَدْ بَطَلَ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾: أَيْ: عَلَى الطَّالِبِ لِلدِّيَةِ أَنْ يَتَّبِعَ بِالمَعْرُوفِ فَلَا يُطَالِبُ بِأَكْثَرَ مِنْ حَقِّهِ، ﴿وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ﴾: أَيْ: عَلَى المَطْلُوبِ مِنْهُ أَدَاءُ الدِّيَةِ بِالْإِحْسَانِ مِنْ غَيْرِ مُمَاطَلَةٍ، أَمَرَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بِالْإِحْسَانِ فِيمَا لَهُ وَعَلَيْهِ، **وَمَذْهَبُ أَكْثَرِ الْعُلَمَاءِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ**: أَنَّ وَلِيَّ الدَّمِ إِذَا عَفَا عَنِ الْقِصَاصِ عَلَى الدِّيَةِ، فَلَهُ أَخْذُ الدِّيَةِ، وَإِنْ لَمْ يَرْضَ بِهِ الْقَاتِلُ، **وَقَالَ قَوْمٌ**: لَا دِيَةَ لَهُ إِلَّا بِرِضَى الْقَاتِلِ، وَهُوَ قَوْلُ الْحَسَنِ وَالنَّخَعِيِّ وَأَصْحَابِ الرَّأْيِ، وَحُجَّةُ المَذْهَبِ الْأَوَّلِ مَا جَاءَ عَنْ **أَبِي شُرَيْحٍ الْكَعْبِيِّ** ﷺ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**ثُمَّ أَنْتُمْ يَا خُزَاعَةُ قَدْ قَتَلْتُمْ هَذَا الْقَتِيلَ مِنْ**

(١) **صحيح**: البخاري: (٤٥٠٠). **وَقَوْلُهُ**: «لَأَبَرَّهُ»: أي: لَأَبَرَّ قسَمَهُ. وأَشَارَ بقولِهِ: «إِنَّ مِنْ عِبَادِ الله»: إلى أنَّ هذا الاتِّفَاقَ إنَّما وقعَ إكرامًا من الله لِأَنَسٍ؛ لِيُبِرَّ يمينَهُ وأنَّه من جُمْلَة عِبادِ الله الَّذين يجيبُ دعاءَهُم ويُعطِيهم أرَبَهُم.اهـ «الفتح» (١٢/ ٢٢٤).

هُذَيْلٍ، وَأَنَا وَاللهِ عَاقِلُهُ، فَمَنْ قَتَلَ بَعْدَهُ قَتِيلًا فَأَهْلُهُ بَيْنَ خِيرَتَيْنِ: إِنْ أَحَبُّوا قَتَلُوا، وَإِنْ أَحَبُّوا أَخَذُوا الْعَقْلَ»(١).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ﴾: أَيْ: ذَلِكَ الَّذِي ذَكَرْتُ مِنَ الْعَفْوِ عَنِ الْقِصَاصِ وَأَخْذِ الدِّيَةِ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ، ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾: فَقَتَلَ الْجَانِيَ بَعْدَ الْعَفْوِ وَقَبُولِ الدِّيَةِ، [وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ أَيْضًا: مَنِ اعْتَدَى مِنْ أَوْلِيَاءِ الْقَاتِلِ]، ﴿فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ: يَتَحَتَّمُ قَتْلُهُ حَتَّى لَا يَقْبَلَ الْعَفْوَ.

وَفِي الْآيَةِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْقَاتِلَ لَا يَصِيرُ كَافِرًا بِالْقَتْلِ لِأَنَّ اللهَ تَعَالَى خَاطَبَهُ بَعْدَ الْقَتْلِ بِخِطَابِ الْإِيمَانِ، فَقَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ﴾، وَقَالَ فِي آخِرِ الْآيَةِ: ﴿فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ﴾، وَأَرَادَ بِهِ أُخُوَّةَ الْإِيمَانِ، فَلَمْ يَقْطَعِ الْأُخُوَّةَ بَيْنَهُمَا بِالقَتْلِ.

﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾: أَيْ: بَقَاءٌ، وَذَلِكَ أَنَّ الْقَاصِدَ لِلْقَتْلِ إِذَا عَلِمَ أَنَّهُ إِذَا قَتَلَ يُقْتَلُ، يَمْتَنِعُ عَنِ الْقَتْلِ، فَيَكُونُ فِيهِ بَقَاؤُهُ وَبَقَاءُ مَنْ هَمَّ بِقَتْلِهِ، وَقِيلَ فِي الْمَثَلِ: (الْقَتْلُ قَلَّلَ الْقَتْلَ)، وَقِيلَ فِي الْمَثَلِ: (الْقَتْلُ أَنْفَى لِلْقَتْلِ)، وَقِيلَ: مَعْنَى الْحَيَاةِ: سَلَامَتُهُ مِنْ قِصَاصِ الْآخِرَةِ؛ فَإِنَّهُ إِذَا اقْتُصَّ مِنْهُ فِي الدُّنْيَا حَيِيَ فِي الْآخِرَةِ، وَإِذَا لَمْ يُقْتَصَّ مِنْهُ فِي الدُّنْيَا اقْتُصَّ مِنْهُ فِي الْآخِرَةِ ﴿يَٰٓأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾: أَيْ: تَنْتَهُونَ عَنِ الْقَتْلِ مَخَافَةَ الْقَوَدِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ﴾: أَيْ: فُرِضَ عَلَيْكُمْ ﴿إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ﴾: أَيْ: جَاءَهُ أَسْبَابُ الْمَوْتِ وَآثَارُهُ مِنَ الْعِلَلِ وَالْأَمْرَاضِ، ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا﴾: أَيْ: مَالًا،

(١) **صحيح:** صحَّحه العلَّامة الألباني رَحِمَهُ اللهُ في "صحيح وضعيف سنن الترمذي" (١٤٠٦).

نَظِيرُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ﴾[البقرة:٢٧٢]، ﴿ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾: كَانَتِ الْوَصِيَّةُ فَرِيضَةً فِي ابْتِدَاءِ الإِسْلَامِ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ عَلَى مَنْ مَاتَ وَلَهُ مَالٌ، ثُمَّ نُسِخَتْ بِآيَةِ المَوَارِيثِ.

عَنْ عَمْرِو بْنِ خَارِجَةَ رضي الله عنه قَالَ: كُنْتُ آخِذًا بِزِمَامِ نَاقَةِ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «**إِنَّ اللهَ قَدْ أَعْطَى كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ، فَلَا وَصِيَّةَ لِوَارِثٍ**»[(١)].

فَذَهَبَ جَمَاعَةٌ إِلَى أَنَّ وُجُوبَهَا صَارَ مَنْسُوخًا فِي حَقِّ الْأَقَارِبِ الَّذِينَ يَرِثُونَ، وَبَقِيَ وُجُوبهَا فِي حَقِّ الَّذِينَ لَا يَرِثُونَ مِنَ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقَارِبِ، **وَهُوَ قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ وَطَاوُسٍ وَقَتَادَةَ وَالحَسَنِ. قَالَ طَاوُسٌ**: مَنْ أَوْصَى لِقَوْمٍ سَمَّاهُمْ وَتَرَكَ ذَوِي قَرَابَتِهِ مُحْتَاجِينَ، انْتُزِعَتْ مِنْهُمْ وَرُدَّتْ إِلَى ذَوِي قَرَابَتِهِ. **وَذَهَبَ الْأَكْثَرُونَ**: إِلَى أَنَّ الْوُجُوبَ صَارَ مَنْسُوخًا فِي حَقِّ الْكَافَّةِ، وَهِيَ مُسْتَحَبَّةٌ فِي حَقِّ الَّذِينَ لَا يَرِثُونَ.

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**مَا حَقُّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ لَهُ شَيْءٌ يُوصِي فِيهِ يَبِيتُ لَيْلَتَيْنِ إِلَّا وَوَصِيَّتُهُ مَكْتُوبَةٌ عِنْدَ رَأْسِهِ**»[(٢)].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾: يُرِيدُ: يُوصِي بِالمَعْرُوفِ فَلَا يَزِيدُ عَلَى الثُّلُثِ، وَلَا يُوصِي لِلْغَنِيِّ وَيَدَعُ الْفَقِيرَ، **قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ**: الْوَصِيَّةُ لِلْأَخَلِّ فَالْأَخَلِّ، أَيِ: الْأَحْوَجِ فَالْأَحْوَجِ.

عَنْ سَعْدِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: جَاءَنِي النَّبِيُّ ﷺ يَعُودُنِي فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله أُوصِي بِمَالِي كُلِّهِ، قَالَ: «**لَا**» قُلْتُ: فَالشَّطْرِ، قَالَ: «**لَا**» قُلْتُ: فَالثُّلُثِ، قَالَ: «**الثُّلُثُ، وَالثُّلُثُ كَثِيرٌ، إِنَّكَ أَنْ تَدَعَ وَرَثَتَكَ أَغْنِيَاءَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَدَعَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ بِأَيْدِيهِمْ**»[(٣)].

---

(١) **صحيح**: صحَّحه العلَّامة الألباني رحمه الله في «صحيح وضعيف سنن الترمذي» (٢١٢١).

(٢) **صحيح**: البخاري: (٢٥٨٧)، ومسلم: (١٦٢٧).

(٣) **صحيح**: البخاري: (١٢٩٦)، ومسلم: (١٦٢٨).

وَقَالَ الحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: يُوصِي بِالسُّدْسِ أَوِ الْخُمْسِ أَوِ الرُّبْعِ، وَقَالَ الشَّعْبِيُّ: إِنَّمَا كَانُوا يُوصُونَ بِالْخُمْسِ أَوِ الرُّبْعِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿حَقًّا﴾: نُصِبَ عَلَى المَصْدَرِ، [أَيْ: أَحَقَّ ذَلِكَ حَقًّا]، وَقِيلَ: عَلَى المَفْعُولِ، أَيْ: جَعَلَ الْوَصِيَّةَ حَقًّا، ﴿عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ﴾: المُؤْمِنِينَ.

﴿ فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعْدَ مَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثْمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨١﴾ فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ﴾: أَيْ: غَيَّرَ الوَصِيَّةَ عَنِ الْأَوْصِيَاءِ أَوِ الْأَوْلِيَاءِ أَوِ الشُّهُودِ ﴿بَعْدَ مَا سَمِعَهُۥ﴾: أَيْ: بَعْدَ مَا سَمِعَ قَوْلَ المُوصِي، وَلِذَلِكَ ذَكَرَ الْكِنَايَةَ مَعَ كَوْنِ الْوَصِيَّةِ مُؤَنَّثَةً، وَقِيلَ: الكِنَايَةُ رَاجِعَةٌ إِلَى الْإِيصَاءِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾[البَقَرَة:٢٧٥] رَدَّ الْكِنَايَةَ إِلَى الْوَعْظِ، ﴿فَإِنَّمَآ إِثْمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓ﴾: وَالمَيِّتُ بَرِيءٌ مِنْهُ، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ﴾: لِمَا أَوْصَى بِهِ المُوصِي، ﴿عَلِيمٌ﴾: بِتَبْدِيلِ المُبَدِّلِ، أَوْ ﴿سَمِيعٌ﴾: لِوَصِيَّتِهِ ﴿عَلِيمٌ﴾: بِنِيَّتِهِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ خَافَ﴾: أَيْ: عَلِمَ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ﴾ [البَقَرَة:٢٢٩]، أَيْ: عَلِمْتُمْ، ﴿مِن مُّوصٍ﴾: قَرَأَ حَمْزَةُ وَالْكِسَائِيُّ وَأَبُو بَكْرٍ وَيَعْقُوبُ بِفَتْحِ الْوَاوِ وَتَشْدِيدِ الصَّادِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا﴾[الشُّورَى:١٣]، ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾[العَنْكَبُوت:٨]، وَقَرَأَ الْآخَرُونَ بِسُكُونِ الْوَاوِ وَتَخْفِيفِ الصَّادِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ﴾، ﴿مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِى بِهَآ أَوْ دَيْنٍ﴾[النِّسَاء:١١]، ﴿جَنَفًا﴾: أَيْ: جَوْرًا وَعُدُولًا عَنِ الحَقِّ، وَالجَنَفُ: المَيْلُ، ﴿أَوْ إِثْمًا﴾: أَيْ: ظُلْمًا، ﴿فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾: وَاخْتَلَفُوا فِي مَعْنَى الْآيَةِ: قَالَ مُجَاهِدٌ: مَعْنَاهَا أَنَّ الرَّجُلَ إِذَا حَضَرَ مَرِيضًا وَهُوَ يُوصِي فَرَآهُ يَمِيلُ إِمَّا بِتَقْصِيرٍ أَوْ إِسْرَافٍ أَوْ وَضْعِ الْوَصِيَّةِ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهَا، فَلَا حَرَجَ عَلَى مَنْ حَضَرَهُ أَنْ يَأْمُرَهُ بِالْعَدْلِ وَيَنْهَاهُ عَنِ الْجَنَفِ، فَيَنْظُرُ لِلْمُوصَى لَهُ وَلِلْوَرَثَةِ. وَقَالَ الْآخَرُونَ: إِنَّهُ أَرَادَ بِهِ أَنَّهُ إِذَا أَخْطَأَ المَيِّتُ فِي وَصِيَّتِهِ أَوْ جَارَ

مُتَعَمِّدًا فَلَا حَرَجَ عَلَى وَلِيِّهِ أَوْ وَصِيِّهِ أَوْ وَالِي أُمُورِ الْمُسْلِمِينَ أَنْ يُصْلِحَ بَعْدَ مَوْتِهِ بَيْنَ وَرَثَتِهِ وَبَيْنَ الْمُوصَى لَهُمْ، وَيَرُدَّ الْوَصِيَّةَ إِلَى الْعَدْلِ وَالْحَقِّ ﴿فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِۚ﴾: أَيْ: لا حَرَجَ عَلَيْهِ؛ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥۚ وَأَن تَصُومُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾: أَيْ: فُرِضَ وَأُوجِبَ، **وَالصَّوْمُ وَالصِّيَامُ فِي اللُّغَةِ:** الْإِمْسَاكُ، يُقَالُ: (صَامَ النَّهَارُ) إِذَا اعْتَدَلَ وَقَامَ قَائِمُ الظَّهِيرَةِ، لِأَنَّ الشَّمْسَ إِذَا بَلَغَتْ كَبِدَ السَّمَاءِ كَأَنَّهَا وَقَفَتْ وَأَمْسَكَتْ عَنِ السَّيْرِ سَرِيعَةً، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرۡتُ لِلرَّحۡمَٰنِ صَوۡمٗا﴾[مَرْيَم:٢٦]، أَيْ: صَمْتًا؛ لِأَنَّهُ إِمْسَاكٌ عَنِ الْكَلَامِ، **وَفِي الشَّرِيعَةِ:** الصَّوْمُ، وَهُوَ: الْإِمْسَاكُ عَنِ الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ وَالْجِمَاعِ مَعَ النِّيَّةِ فِي وَقْتٍ مَخْصُوصٍ، ﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ﴾: من الْأَنْبِيَاءِ وَالْأُمَمِ؛ ﴿لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾: يَعْنِي: بِالصَّوْمِ، لِأَنَّ الصَّوْمَ وَصْلَةٌ إِلَى التَّقْوَى؛ لِمَا فِيهِ مِنْ قَهْرِ النَّفْسِ وَكَسْرِ الشَّهَوَاتِ.

عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رضي الله عنها أَنَّهَا قَالَتْ: كَانَ يَوْمُ عَاشُورَاءَ يَوْمًا تَصُومُهُ قُرَيش فِي الجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ رَسُولُ الله ﷺ يَصُومُهُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَلَمَّا قَدِمَ رَسُولُ الله ﷺ المَدِينَةَ صَامَهُ وَأَمَرَ النَّاسَ بِصِيَامِهِ، فَلَمَّا فُرِضَ رَمَضَانُ كَانَ هُوَ الْفَرِيضَةُ، وَتُرِكَ يَوْمُ عَاشُورَاءَ، فَمَنْ شَاءَ صَامَهُ وَمَنْ شَاءَ تَرَكَهُ[(١)].

﴿أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۚ﴾: نُصِبَ ﴿أَيَّامٗا﴾ عَلَى الظَّرْفِ، أَيْ: فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ، **وَقِيلَ:** عَلَى التَّفْسِيرِ، ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ﴾: أَيْ: فَأَفْطَرَ فَعَلَيْهِ

(١) **صحيح:** البخاري: (١٨٩٨)، ومسلم: (١١٢٥).

عِدَّةٌ، وَالْعَدَدُ وَالْعِدَّةُ وَاحِدٌ، ﴿مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۚ﴾: أَيْ: غَيْرِ أَيَّامِ مَرَضِهِ وَسَفَرِهِ، وَ﴿أُخَرَۚ﴾ فِي مَوْضِعِ خَفْضٍ، لَكِنَّهَا لَا تَنْصَرِفُ، فَلِذَلِكَ نُصِبَتْ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ﴾: اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي تَأْوِيلِ هَذِهِ الْآيَةِ وَحُكْمِهَا: فَذَهَبَ أَكْثَرُهُمْ إِلَى أَنَّ الْآيَةَ مَنْسُوخَةٌ: وَهُوَ قَوْلُ ابْنِ عُمَرَ وَسَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ وَغَيْرِهِمَا، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا فِي ابْتِدَاءِ الْإِسْلَامِ مُخَيَّرِينَ بَيْنَ أَنْ يَصُومُوا وَبَيْنَ أَنْ يُفْطِرُوا وَيَفْتَدُوا، خَيَّرَهُمُ اللهُ تَعَالَى لِئَلَّا يَشُقَّ عَلَيْهِمْ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا لَمْ يَتَعَوَّدُوا الصَّوْمَ، ثُمَّ نَسَخَ التَّخْيِيرَ وَنَزَلَتِ العَزِيمَةُ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ﴾[البَقَرَة: ١٨٥]. **وَقَالَ قَتَادَةُ**: هِيَ خَاصَّةٌ فِي حَقِّ الشَّيْخِ الْكَبِيرِ الَّذِي يُطِيقُ الصَّوْمَ، وَلَكِنْ يَشُقُّ عَلَيْهِ، رُخِّصَ لَهُ فِي أَنْ يُفْطِرَ وَيَفْدِيَ، ثُمَّ نُسِخَ. **وَقَالَ الحَسَنُ**: هَذَا فِي المَرِيضِ الَّذِي بِهِ مَا يَقَعُ عَلَيْهِ اسْمُ المَرَضِ وَهُوَ مُسْتَطِيعٌ لِلصَّوْمِ، خُيِّرَ بَيْنَ أَنْ يَصُومَ وَبَيْنَ أَنْ يُفْطِرَ أَوْ يفْدِي، ثُمَّ نُسِخَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ﴾[البَقَرَة:١٨٥]، وَثَبَتَتِ الرُّخْصَةُ لِلَّذِينِ لَا يُطِيقُونَ. **وَذَهَبَ جَمَاعَةٌ إِلَى أَنَّ الْآيَةَ مُحْكَمَةٌ غَيْرُ مَنْسُوخَةٍ**: وَمَعْنَاهُ: وَعَلَى الَّذِينَ كَانُوا يُطِيقُونَهُ فِي حَالِ الشَّبَابِ فَعَجَزُوا عَنْهُ فِي حَالِ الْكِبَرِ فَعَلَيْهِمُ الْفِدْيَةُ بَدَلَ الصَّوْمِ، وَقَرَأَ ابْنُ عَبَّاسٍ: **﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطَوَّقُونَهُ﴾** بِضَمِّ الْيَاءِ وَفَتْحِ الطَّاءِ وَتَخْفِيفِهَا وَفَتْحِ الْوَاوِ وَتَشْدِيدِهَا، أَيْ: يُكَلَّفُونَ الصَّوْمَ، وَتَأْوِيلُهُ: عَلَى الشَّيْخِ الْكَبِيرِ وَالْمَرْأَةِ الْكَبِيرَةِ لَا يَسْتَطِيعَانِ الصَّوْمَ، وَالمَرِيضِ الَّذِي لَا يُرْجَى زَوَالُ مَرَضِهِ، فَهُمْ يُكَلَّفُونَ الصَّوْمَ وَلَا يُطِيقُونَهُ، فَلَهُمْ أَنْ يُفْطِرُوا وَيُطْعِمُوا مَكَانَ كُلِّ يَوْمٍ مِسْكِينًا، وَهُوَ قَوْلُ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، وَجَعَلَ الْآيَةَ مُحْكَمَةً.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ﴾: قَرَأَ أَهْلُ المَدِينَةِ وَالشَّامِ مُضَافًا، وَكَذَلِكَ فِي المَائِدَةِ: ﴿كَفَّـٰرَةٞ طَعَامُ مَسَٰكِينَ﴾[المَائِدَة:٩٥]، أَضَافَ الْفِدْيَةَ إِلَى الطَّعَامِ، وَإِنْ كَانَ وَاحِدًا لِاخْتِلَافِ اللَّفْظَيْنِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَحَبَّ ٱلۡحَصِيدِ﴾[ق:٩]، وَقَوْلِهِمْ: (مَسْجِدُ الجَامِعِ)، وَ(رَبِيعُ الْأَوَّلِ)، وَقَرَأَ الْآخَرُونَ: ﴿فِدۡيَةٌ﴾، وَ﴿كَفَّـٰرَةٌ﴾ مُنَوَّنَةً، وَ﴿طَعَامُ﴾ رَفْع، وَقَرَأَ

﴿مَسَاكِينَ﴾ بِالْجَمْعِ هُنَا أَهْلُ الْمَدِينَةِ وَالشَّامِ، وَالْآخَرُونَ عَلَى التَّوْحِيدِ، فَمَنْ جَمَعَ نَصَبَ النُّونَ، وَمَنْ وَحَّدَ خَفَضَ النُّونَ وَنَوَّنَهَا. **وَالْفِدْيَةُ**: الْجَزَاءُ.

وَيَجِبُ أَنْ يُطْعِمَ مَكَانَ كُلِّ يَوْمٍ مِسْكِينًا مُدًّا مِنَ الطَّعَامِ بِمُدِّ النَّبِيِّ ﷺ، وَهُوَ رَطْلٌ وَثُلُثٌ مِنْ غَالِبِ قُوتِ الْبَلَدِ، **هَذَا قَوْلُ فُقَهَاءِ الْحِجَازِ. وَقَالَ بَعْضُ فُقَهَاءِ أَهْلِ الْعِرَاقِ**: عَلَيْهِ لِكُلِّ مِسْكِينٍ نِصْفُ صَاعٍ لِكُلِّ يَوْمٍ يُفْطِرُ. **وَقَالَ بَعْضُهُمْ**: نِصْفُ صَاعٍ مِنْ قَمْحٍ أَوْ صَاعٌ مِنْ غَيْرِهِ، **وَقَالَ بَعْضُ الْفُقَهَاءِ**: مَا كَانَ الْمُفْطِرُ يَتَقَوَّتُهُ يَوْمَهُ الَّذِي أَفْطَرَهُ، **وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ**: يُعْطِي كُلَّ مِسْكِينٍ عَشَاءَهُ وَسَحُورَهُ، ﴿فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ﴾: أَيْ: زَادَ عَلَى مِسْكِينٍ وَاحِدٍ فَأَطْعَمَ مَكَانَ كُلِّ يَوْمٍ مِسْكِينَيْنِ فَأَكْثَرَ، **قَالَهُ مُجَاهِدٌ وَعَطَاءٌ وَطَاوُسٌ. وَقِيلَ**: مَنْ زَادَ عَلَى الْقَدْرِ الْوَاجِبِ عَلَيْهِ فَأَعْطَى صَاعًا وَعَلَيْهِ مُدٌّ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ، ﴿وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾: فَمَنْ ذَهَبَ إِلَى النَّسْخِ قَالَ مَعْنَاهُ: الصَّوْمُ خَيْرٌ لَهُ مِنَ الْفِدْيَةِ. **وَقِيلَ**: هَذَا فِي الشَّيْخِ الْكَبِيرِ لَوْ تَكَلَّفَ الصَّوْمَ، وَإِنْ شَقَّ عَلَيْهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يُفْطِرَ وَيَفْدِيَ، ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا رُخْصَةَ لِمُؤْمِنٍ مُكَلَّفٍ فِي إِفْطَارِ رَمَضَانَ إِلَّا لِثَلَاثَةٍ: أَحَدُهُمْ: يَجِبُ عَلَيْهِ الْقَضَاءُ وَالْكَفَّارَةُ. **وَالثَّانِي**: عَلَيْهِ الْقَضَاءُ دُونَ الْكَفَّارَةِ. **وَالثَّالِثُ**: عَلَيْهِ الْكَفَّارَةُ دُونَ الْقَضَاءِ. **أَمَّا الَّذِي عَلَيْهِ الْقَضَاءُ وَالْكَفَّارَةُ**: فَالْحَامِلُ وَالْمُرْضِعُ إِذَا خَافَتَا عَلَى وَلَدَيْهِمَا فَإِنَّهُمَا تُفْطِرَانِ وَتَقْضِيَانِ، وَعَلَيْهِمَا مَعَ الْقَضَاءِ الْكَفَّارَةُ، **وَهُوَ قَوْلُ ابْنِ عُمَرَ وَابْنِ عَبَّاسٍ وَبِهِ قَالَ مُجَاهِدٌ**، وَإِلَيْهِ ذَهَبَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ. **وَقَالَ قَوْمٌ**: لَا فِدْيَةَ عَلَيْهِمَا، **وَبِهِ قَالَ الْحَسَنُ وَعَطَاءٌ وَإِبْرَاهِيمُ النَّخَعِيُّ وَالزُّهْرِيُّ**، وَإِلَيْهِ ذَهَبَ الْأَوْزَاعِيُّ وَالثَّوْرِيُّ وَأَصْحَابُ الرَّأْيِ. **وَأَمَّا الَّذِي عَلَيْهِ الْقَضَاءُ دُونَ الْكَفَّارَةِ**: فَالْمَرِيضُ، وَالْمُسَافِرُ، وَالْحَائِضُ، وَالنُّفَسَاءُ. **وَأَمَّا الَّذِي عَلَيْهِ الْكَفَّارَةُ دُونَ الْقَضَاءِ**: فَالشَّيْخُ الْكَبِيرُ، وَالْمَرِيضُ الَّذِي لَا يُرْجَى زَوَالُ مَرَضِهِ.

﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾

ثُمَّ بَيَّنَ اللهُ تَعَالَى أَيَّامَ الصِّيَامِ فَقَالَ: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ﴾: رَفْعُهُ عَلَى مَعْنَى: هُوَ شَهْرُ رَمَضَانَ، **وَقَالَ الْكِسَائِيُّ**: كُتِبَ عَلَيْكُمْ شَهْرُ رَمَضَانَ، **وَسُمِّيَ الشَّهْرُ شَهْرًا**؛ لِشُهْرَتِهِ، **وَأَمَّا رَمَضَان** فَقَدْ **قَالَ مُجَاهِد**: هُوَ مِنْ أَسْمَاءِ الله تَعَالَى، يُقَالُ: (شَهْرُ رَمَضَانَ) كَمَا يُقَالُ (شَهْرُ الله) وَالصَّحِيحُ: أَنَّهُ اسْمٌ لِلشَّهْرِ، سُمِّيَ بِهِ مِنَ الرَّمْضَاءِ، وَهِيَ الحِجَارَةُ الْمُحْمَاةُ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَصُومُونَهُ فِي الْحَرِّ الشَّدِيدِ، وَكَانَتْ تُرْمَضُ فِيْهِ الحِجَارَةُ مِنَ الْحَرَارَةِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾: **سُمِّيَ الْقُرْآنُ قُرْآنًا**: لِأَنَّهُ يَجْمَعُ السُّوَرَ وَالْآيَ وَالْحُرُوفَ، وَجُمِعَ فِيهِ الْقَصَصُ وَالْأَمْرُ وَالنَّهْيُ وَالْوَعْدُ وَالْوَعِيدُ، **وَأَصْلُ الْقَرْءِ**: الْجَمْعُ، وَقَدْ تُحْذَفُ الهَمْزَةُ فَيُقَالُ: (قَرَيْتُ المَاءَ فِي الْحَوْضِ) إِذَا جَمَعْتَهُ، وَقَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ: ﴿الْقُرَانُ﴾ بِفَتْحِ الرَّاءِ غَيْرَ مَهْمُوزٍ، وَكَذَلِكَ كَانَ يَقْرَأُ الشَّافِعِيُّ وَيَقُولُ: لَيْسَ هُوَ مِنَ الْقِرَاءَةِ وَلَكِنَّهُ اسْمٌ لِهَذَا الْكِتَابِ، كَالتَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ.

رُوِيَ عَنْ مِقْسَمٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ قَوْلِهِ ﷻ: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾، وَقَوْلِهِ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾[الْقَدْر:١]، وَقَوْلِهِ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ﴾[الدُّخَان:٣]، وَقَدْ نَزَلَ فِي سَائِرِ الشُّهُورِ، وَقَالَ ﷻ: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ﴾[الْإِسْرَاء:١٠٦]؟ فَقَالَ: أُنْزِلَ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً مِنَ اللَّوْحِ المَحْفُوظِ فِي لَيْلَةِ القَدْرِ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ إِلَى بَيْتِ الْعِزَّةِ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا، ثُمَّ نَزَلَ بِهِ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ نُجُومًا فِي ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً[(١)]. **قَالَ دَاوُدُ بْنُ أَبِي هِنْدٍ**: قُلْتُ لِلشَّعْبِيِّ: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ أَمَا كَانَ يَنْزِلُ فِي سَائِرِ الشُّهُورِ؟ قَالَ: بَلَى وَلَكِنَّ

(١) الأثر بمجموع طرقه حسَّنه شيخنا وهف بن عبد الله الذيفاني رَحِمَهُ اللهُ.

جِبْرَائِيل كَانَ يُعَارِضُ مُحَمَّدًا ﷺ فِي رَمَضَانَ مَا نَزَلَ إِلَيْهِ، فَيُحْكِمُ اللهُ مَا يَشَاءُ، وَيُثْبِتُ مَا يَشَاءُ، وَيُنْسِيهِ مَا يَشَاءُ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ﴾: مِنَ الضَّلَالَةِ وَ﴿هُدًى﴾ فِي مَحَلِّ نَصْبٍ عَلَى الْقَطْعِ؛ لِأَنَّ (الْقُرْآنَ) مَعْرِفَةٌ وَ(هُدًى) نَكِرَةٌ، ﴿وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ﴾: أَيْ: دَلَالَاتٍ وَاضِحَاتٍ مِنَ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ وَالْحُدُودِ وَالأَحْكَامِ، ﴿وَٱلْفُرْقَانِ﴾: أَيِ: الفَارِق بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾: أَيْ: فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ كُلَّهُ فَلْيَصُمْهُ، أَيِ: الشَّهْرَ كُلَّهُ، وَمَنْ لَمْ يَشْهَدْ مِنْكُمُ الشَّهْرَ كُلَّهُ فَلْيَصُمْ مَا شَهِدَ مِنْهُ، **وَالدَّلِيلُ عَلَيْهِ**: مَا جَاءَ عَنْ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُتْبَةَ بْنِ مَسْعُود، **عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ** رضي الله عنهما أَنَّهُ أَخْبَرَهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ خَرَجَ إِلَى مَكَّةَ عَامَ الْفَتْحِ فِي رَمَضَانَ، فَصَامَ حَتَّى بَلَغَ الْكَدِيدَ ثُمَّ أَفْطَرَ وَأَفْطَرَ النَّاسُ مَعَهُ، وَكَانُوا يَأْخُذُونَ بِالْأَحْدَثِ فَالْأَحْدَثِ مِنْ أَمْرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ[1].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾: أَبَاحَ الْفِطْرَ لِعُذْرِ الْمَرَضِ وَالسَّفَرِ، وَأَعَادَ هَذَا الْكَلَامَ لِيُعْلَمَ أَنَّ هَذَا الْحُكْمَ ثَابِتٌ فِي النَّاسِخِ ثُبُوته فِي الْمَنْسُوخِ، **وَاخْتَلَفُوا فِي الْمَرَضِ الَّذِي يُبِيحُ الْفِطْرَ: فَذَهَبَ أَهْلُ الظَّاهِرِ** إِلَى أَنَّ مَا يُطْلَقُ عَلَيْهِ اسْمُ الْمَرَضِ يُبِيحُ الْفِطْرَ، وَهُوَ قَوْلُ ابْنِ سِيرِينَ، **وَذَهَبَ الْأَكْثَرُونَ** إِلَى أَنَّهُ مَرَضٌ يُخَافُ مَعَهُ مِنَ الصَّوْمِ زِيَادَةُ عِلَّةٍ غَيْرِ مُحْتَمَلَةٍ، وَفِي الْجُمْلَةِ أَنَّهُ إِذَا أَجْهَدَهُ الصَّوْمُ أَفْطَرَ، وَإِنْ لَمْ يُجْهِدْهُ فَهُوَ كَالصَّحِيحِ.

وَأَمَّا السَّفَرُ: فَالْفِطْرُ فِيهِ مُبَاحٌ، وَالصَّوْمُ جَائِزٌ عِنْدَ عَامَّةِ أَهْلِ الْعِلْمِ، إِلَّا مَا رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ[2] وَأَبِي هُرَيْرَةَ وَعُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ وَعَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ أَنَّهُمْ قَالُوا: لَا يَجُوزُ

---

(١) **صحيح:** البخاري: (١٨٤٢)، ومسلم: (١١١٣)، واللفظُ لهُ.

(٢) لعلَّه رضي الله عنهما كان يرى هذا القول ثم تراجع عنه، فقد ثبت عنه أنه قال: «**لَا تَعِبْ عَلَى مَنْ صَامَ، وَلَا عَلَى مَنْ أَفْطَرَ، قَدْ صَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي السَّفَرِ وَأَفْطَرَ**». رواهُ البخاري ومسلم واللفظُ له.

الصَّوْمُ فِي السَّفَرِ وَمَنْ صَامَ فَعَلَيْهِ القَضَاءُ، وَاحْتَجُّوا بِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «**لَيْسَ مِنَ الْبِرِّ الصَّوْمُ فِي السَّفَرِ**»[(١)]، وَذَلِكَ عِنْدَ الْآخَرِينَ فِي حَقِّ مَنْ يُجْهِدُهُ الصَّوْمُ، فَالْأَوْلَى لَهُ أَنْ يُفْطِرَ، وَالدَّلِيلُ عَلَيْهِ مَا صَحَّ **عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله** رضي الله عنهما قَالَ: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ فِي سَفَرٍ فَرَأَى زِحَامًا وَرَجُلًا قَدْ ظُلِّلَ عَلَيْهِ، فَقَالَ: مَا هَذَا؟ قَالُوا: صَائِمٌ، فَقَالَ: «**لَيْسَ مِنَ الْبِرِّ الصَّوْمُ فِي السَّفَرِ**». وَالدَّلِيلُ عَلَى جَوَازِ الصَّوْمِ مَا جَاءَ **عَنْ أَبِي سَعِيدٍ** رضي الله عنه قَالَ: كُنَّا نُسَافِرُ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ فِي رَمَضَانَ، فَمِنَّا الصَّائِمُ وَمِنَّا الْمُفْطِرُ، فَلَا يَعِيبُ الصَّائِمُ عَلَى الْمُفْطِرِ وَلَا الْمُفْطِرُ عَلَى الصَّائِمِ[(٢)].

وَاخْتَلَفُوا فِي أَفْضَلِ الْأَمْرَيْنِ: فَقَالَتْ طَائِفَةٌ: الْفِطْرُ فِي السَّفَرِ أَفْضَلُ مِنَ الصَّوْمِ، رُوِيَ ذَلِكَ عَنِ ابْنِ عُمَرَ وَإِلَيْهِ ذَهَبَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ وَالشَّعْبِيُّ، **وَذَهَبَ قَوْمٌ إِلَى أَنَّ الصَّوْمَ أَفْضَلُ**، وَرُوِيَ ذَلِكَ عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ وَأَنَسٍ، وَبِهِ قَالَ إِبْرَاهِيمُ النَّخَعِيُّ وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، **وَقَالَتْ طَائِفَةٌ**: أَفْضَلُ الْأَمْرَيْنِ أَيْسَرُهُمَا عَلَيْهِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾، وَهُوَ قَوْلُ مُجَاهِدٍ وَقَتَادَةَ وَعُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ.

وَمَنْ أَصْبَحَ مُقِيمًا صَائِمًا ثُمَّ سَافَرَ فِي أَثْنَاءِ النَّهَارِ لَا يَجُوزُ لَهُ أَنْ يُفْطِرَ ذَلِكَ الْيَوْمَ عِنْدَ أَكْثَرِ أَهْلِ الْعِلْمِ، **وَقَالَتْ طَائِفَةٌ**: لَهُ أَنْ يُفْطِرَ، وَهُوَ قَوْلُ الشَّعْبِيِّ وَبِهِ قَالَ أَحْمَدُ. أَمَّا الْمُسَافِرُ إِذَا أَصْبَحَ صَائِمًا فَيَجُوزُ لَهُ أَنْ يُفْطِرَ بِالِاتِّفَاقِ، وَالدَّلِيلُ عَلَيْهِ مَا ثَبَتَ **عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله** رضي الله عنهما، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ خَرَجَ إِلَى مَكَّةَ عَامَ الْفَتْحِ فِي رَمَضَانَ فَصَامَ حَتَّى بَلَغَ كُرَاعَ الْغَمِيمِ، فَصَامَ النَّاسُ مَعَهُ فَقِيلَ لَهُ: يَا رَسُولَ الله إِنَّ النَّاسَ قَدْ شَقَّ عَلَيْهِمُ الصِّيَامُ، فَدَعَا بِقَدَحٍ مِنْ مَاءٍ بَعْدَ الْعَصْرِ فَشَرِبَ وَالنَّاسُ يَنْظُرُونَ، فَأَفْطَرَ بَعْضُ النَّاسِ، وَصَامَ بَعْضُهُمْ، فَبَلَغَهُ أَنَّ أُنَاسًا صَامُوا، فَقَالَ: «**أُولَئِكَ الْعُصَاةُ**»[(٣)].

---

(١) **صحيح:** البخاري: (١٨٤٤)، ومسلم: (١١١٥).

(٢) **صحيح:** البخاري: (٦٨٤٥) عن أنس بن مالك رضي الله عنه، مسلم: (١١١٦) عن أبي سعيد رضي الله عنه.

(٣) **صحيح:** مسلم: (١١١٤).

وَاخْتَلَفُوا فِي السَّفَرِ الَّذِي يُبِيحُ الْفِطْرَ: فَقَالَ قَوْمٌ: مَسِيرَةُ يَوْمٍ، **وَذَهَبَ جَمَاعَةٌ إِلَى** مَسِيرَةِ يَوْمَيْنِ، وَهُوَ قَوْلُ الشَّافِعِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ، **وَذَهَبَ جَمَاعَةٌ** إِلَى مَسِيرَةِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، وَهُوَ قَوْلُ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ وَأَصْحَابِ الرَّأْيِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ﴾: بِإِبَاحَةِ الْفِطْرِ فِي الْمَرَضِ وَالسَّفَرِ، ﴿وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾: قَرَأَ أَبُو جَعْفَرٍ: ﴿الْعُسُرَ وَالْيُسُرَ﴾ وَنَحْوَهُمَا بِضَمِّ السِّينِ، وَقَرَأَ الْآخَرُونَ بِالسُّكُونِ. **وَقَالَ الشَّعْبِيُّ**: مَا خُيِّرَ رَجُلٌ بَيْنَ أَمْرَيْنِ فَاخْتَارَ أَيْسَرَهُمَا إِلَّا كَانَ ذَلِكَ أَحَبَّهُمَا إِلَى اللهِ عَزَّوَجَلَّ ﴿وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ﴾: قَرَأَ أَبُو بَكْرٍ بِتَشْدِيدِ الْمِيمِ وَقَرَأَ الْآخَرُونَ بِالتَّخْفِيفِ وَهُوَ الِاخْتِيَارُ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾[المَائِدَة:٣]، **وَالْوَاوُ** فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلِتُكْمِلُوا۟﴾ وَاوُ النَّسَقِ **وَاللَّامُ**: لَامُ كَيْ، تَقْدِيرُهُ: وَيُرِيدُ لِكَيْ تُكْمِلُوا الْعِدَّةَ، أَيْ: لِتُكْمِلُوا عَدَدَ أَيَّامِ الشَّهْرِ بِقَضَاءِ مَا أَفْطَرْتُمْ فِي مَرَضِكُمْ وَسَفَرِكُمْ، **وَقَالَ عَطَاءٌ**: ﴿وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ﴾: أَيْ: عَدَدَ أَيَّامِ الشَّهْرِ.

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**الشَّهْرُ تِسْعٌ وَعِشْرُونَ فَلَا تَصُومُوا حَتَّى تَرَوُا الْهِلَالَ وَلَا تُفْطِرُوا حَتَّى تَرَوْهُ، فَإِنْ غُمَّ عَلَيْكُمْ فَأَكْمِلُوا العِدَّةَ ثَلَاثِينَ**»[(١)].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا تَقَدَّمُوا الشَّهْرَ بِصَوْمِ يَوْمٍ وَلَا يَوْمَيْنِ، إِلَّا أَنْ يُوَافِقَ ذَلِكَ صَوْمًا كَانَ يَصُومُهُ أَحَدُكُمْ، صُومُوا لِرُؤْيَتِهِ وَأَفْطِرُوا لِرُؤْيَتِهِ، فَإِنْ أُغْمِيَ عَلَيْكُمْ فَعُدُّوا ثَلَاثِينَ ثُمَّ أَفْطِرُوا**»[(٢)].

﴿وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ﴾: وَلِتُعَظِّمُوا اللهَ ﴿عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ﴾: أَرْشَدَكُمْ إِلَى مَا رَضِيَ بِهِ مِنْ صَوْمِ شَهْرِ رَمَضَانَ وَخَصَّكُمْ بِهِ دُونَ سَائِرِ أَهْلِ الْمِلَلِ، **قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ**: هُوَ تَكْبِيرَاتُ لَيْلَةِ الْفِطْرِ. **وَرُوِيَ عَنِ الشَّافِعِيِّ وَعَنِ ابْنِ الْمُسَيَّبِ وَعُرْوَةَ وَأَبِي سَلَمَةَ** أَنَّهُمْ

---

(١) **صحيح**: البخاري: (١٨٠٨)، ومسلم: (١٠٨٠).

(٢) **صحيح**: صحَّحه العلَّامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في "صحيح وضعيف سنن الترمذي" (٦٨٤).

كَانُوا يُكَبِّرُونَ لَيْلَةَ الْفِطْرِ يَجْهَرُونَ بِالتَّكْبِيرِ، وَشَبَّهَ لَيْلَةَ النَّحْرِ بِهَا إِلَّا مَنْ كَانَ حَاجًّا فَذِكْرُهُ التَّلْبِيَةُ، ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾: اللهَ عَلَى نِعَمِهِ، وَقَدْ وَرَدَتْ أَخْبَارٌ فِي فَضْلِ شَهْرِ رَمَضَانَ وَثَوَابِ الصَّائِمِينَ:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِذَا دَخَلَ رَمَضَانُ صُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ، وَفُتِّحَتْ أَبْوَابُ الجَنَّةِ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ»(١).

وَعَنْهُ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا كَانَ أَوَّلُ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ صُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ وَمَرَدَةُ الجِنِّ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ فَلَمْ يُفْتَحْ مِنْهَا بَابٌ، وَفُتِّحَتْ أَبْوَابُ الجَنَّةِ فَلَمْ يُغْلَقْ مِنْهَا بَابٌ، وَيُنَادِي مُنَادٍ: يَا بَاغِيَ الخَيْرِ أَقْبِلْ وَيَا بَاغِيَ الشَّرِّ أَقْصِرْ، وَللهِ عُتَقَاءُ مِنَ النَّارِ وَذَلِكَ كُلَّ لَيْلَةٍ»(٢).

وَعَنْهُ أَيْضًا رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، وَمَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»(٣).

وَعَنْهُ أَيْضًا رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ يُضَاعَفُ الحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِ مِائَةِ ضِعْفٍ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: إِلَّا الصَّوْمَ؛ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، يَدَعُ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ وَشَهْوَتَهُ مِنْ أَجْلِي، وَلِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ: فَرْحَةٌ عِنْدَ فِطْرِهِ، وَفَرْحَةٌ عِنْدَ لِقَاءِ رَبِّهِ، وَلَخُلُوفُ فِيهِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ مِنْ رِيحِ المِسْكِ، الصَّوْمُ جُنَّةٌ»(٤).

وَعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رضي الله عنهما عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «فِي الجَنَّةِ ثَمَانِيَةُ أَبْوَابٍ، مِنْهَا بَابٌ يُسَمَّى الرَّيَّانُ لَا يَدْخُلُهُ إِلَّا الصَّائِمُونَ»(٥).

---

(١) **صحيح:** البخاري: (٣١٠٣)، ومسلم: (١٠٧٩).

(٢) **صحيح:** صحَّحه العلَّامة الألباني رحمه الله في "صحيح وضعيف سنن الترمذي" (٦٨٢).

(٣) **صحيح:** البخاري: (١٩١٠)، ومسلم: (٧٦٠).

(٤) **صحيح:** البخاري: (٧٠٥٤)، ومسلم: (١١٥١).

(٥) **صحيح:** البخاري: (٣٠٨٤)، ومسلم: (١١٥٢).

وَعَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرٍو ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «الصِّيَامُ وَالْقُرْآنُ يَشْفَعَانِ لِلْعَبْدِ، يَقُولُ الصِّيَامُ: أَيْ رَبِّ إِنِّي مَنَعْتُهُ الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ وَالشَّهَوَاتِ بِالنَّهَارِ فَشَفِّعْنِي فِيهِ، وَيَقُولُ الْقُرْآنُ: رَبِّ إِنِّي مَنَعْتُهُ النَّوْمَ بِاللَّيْلِ فَشَفِّعْنِي فِيهِ، فَيُشَفَّعَانِ»(١).

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِى وَلْيُؤْمِنُوا بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ﴾: فِيهِ إِضْمَارٌ، كَأَنَّهُ قَالَ: فَقُلْ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ إِنِّي قَرِيبٌ مِنْهُمْ بِالْعِلْمِ لَا يَخْفَى عَلَيَّ شَيْءٌ، كَمَا قَالَ: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾[ق:١٦].

عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ قَالَ: لَمَّا غَزَا رَسُولُ الله ﷺ خَيْبَرَ -أَوْ قَالَ: لَمَّا تَوَجَّهَ رَسُولُ الله ﷺ إِلَى خَيْبَرَ- أَشْرَفَ النَّاسُ عَلَى وَادٍ فَرَفَعُوا أَصْوَاتَهُمْ بِالتَّكْبِيرِ: اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، إِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا، إِنَّكُمْ تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا وَهُوَ مَعَكُمْ»(٢).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾: قَرَأَ أَهْلُ المَدِينَةِ غَيْرَ قَالُون وَأَبِي عَمْرٍو بِإِثْبَاتِ الْيَاءِ فِيهِمَا فِي الوَصْلِ، وَالبَاقُونَ يَحْذِفُونَهَا وَصْلًا وَوَقْفًا، وَكَذَلِكَ اخْتَلَفَ الْقُرَّاءُ فِي إِثْبَاتِ الْيَاءَاتِ المَحْذُوفَةِ مِنَ الخَطِّ وَحَذْفِهَا فِي التِّلَاوَةِ، وَأَثْبَتَ يَعْقُوبُ جَمِيعَهَا وَصْلًا وَوَقْفًا، وَاتَّفَقُوا عَلَى إِثْبَاتِ مَا هُوَ مُثْبَتٌ فِي الْخَطِّ وَصْلًا وَوَقْفًا.

﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِى ﴾: قِيلَ: الاِسْتِجَابَةُ بِمَعْنَى الْإِجَابَةِ، أَيْ: فَلْيُجِيبُوا إِلَيَّ بِالطَّاعَةِ، وَالْإِجَابَةُ فِي اللُّغَةِ: الطَّاعَةُ وَإِعْطَاءُ مَا سُئِلَ، فَالْإِجَابَةُ مِنَ الله تَعَالَى: الْعَطَاءُ، وَمِنَ الْعَبْدِ: الطَّاعَةُ. وَقِيلَ: فَلْيَسْتَجِيبُوا إِلَيَّ، أَيْ: لِيَسْتَدْعُوا مِنِّي الْإِجَابَةَ، وَحَقِيقَتُهُ: فَلْيُطِيعُونِي، ﴿وَلْيُؤْمِنُوا بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾: لِكَيْ يَهْتَدُوا.

(١) **صحيح:** صحَّحه العلَّامة الألباني رَحِمَهُ اللهُ في «صحيح الترغيب والترهيب» (١٤٢٩).

(٢) **صحيح:** البخاري: (٣٩٦٨)، ومسلم: (٢٧٠٤).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يَسْتَجِيبُ اللهُ لِأَحَدِكُمْ مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ أَوْ قَطِيعَةِ رَحِمٍ أَوْ يَسْتَعْجِلْ»، قَالُوا: وَمَا الِاسْتِعْجَالُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «يَقُولُ قَدْ دَعَوْتُكَ يَا رَبِّ قَدْ دَعَوْتُكَ يَا رَبِّ قَدْ دَعَوْتُكَ يَا رَبِّ فَلَا أَرَاكَ تَسْتَجِيبُ لِي؟! فَيَسْتَحْسِرُ عِنْدَ ذَلِكَ فَيَدَعُ الدُّعَاءَ»(١).

وَقِيلَ: هُوَ عَامٌّ، وَمَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿أُجِيبُ﴾: أَيْ: أَسْمَعُ، وَيُقَالُ: لَيْسَ فِي الْآيَةِ أَكْثَرُ مِنْ إِجَابَةِ الدَّعْوَةِ، فَأَمَّا إِعْطَاءُ الْمُنْيَةِ فَلَيْسَ بِمَذْكُورٍ فِيهَا، وَقَدْ يُجِيبُ السَّيِّدُ عَبْدَهُ وَالْوَالِدُ وَلَدَهُ ثُمَّ لَا يُعْطِيهِ سُؤْلَهُ، فَالْإِجَابَةُ كَائِنَةٌ لَا مَحَالَةَ عِنْدَ حُصُولِ الدَّعْوَةِ. وَقِيلَ: مَعْنَى الْآيَةِ أَنَّهُ لَا يُخَيِّبُ دُعَاءَهُ، فَإِنْ قَدَّرَ لَهُ مَا سَأَلَ أَعْطَاهُ، وَإِنْ لَمْ يُقَدِّرْ لَهُ ادَّخَرَ لَهُ الثَّوَابَ فِي الْآخِرَةِ أَوْ كَفَّ عَنْهُ بِهِ سُوءًا، وَالدَّلِيلُ عَلَيْهِ:

عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَا عَلَى الْأَرْضِ رَجُلٌ مُسْلِمٌ يَدْعُو اللهَ تَعَالَى بِدَعْوَةٍ إِلَّا آتَاهُ اللهُ إِيَّاهَا، أَوْ كَفَّ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَهَا، مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ أَوْ قَطِيعَةِ رَحِمٍ»(٢).

﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْۚ هُنَّ لِبَاسٞ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٞ لَّهُنَّۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخۡتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْۖ فَٱلْـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُواْ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْۚ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِۖ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِۚ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِي ٱلْمَسَٰجِدِۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْۚ﴾: الرَّفَثُ: كِنَايَةٌ عَنِ الْجِمَاعِ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: إِنَّ اللهَ حَيِيٌّ كَرِيمٌ يُكَنِّي، كُلُّ مَا ذُكِرَ فِي الْقُرْآنِ مِنَ الْمُبَاشَرَةِ وَالْمُلَامَسَةِ وَالْإِفْضَاءِ وَالدُّخُولِ وَالرَّفَثِ، فَإِنَّمَا عَنَى بِهِ الْجِمَاعَ. وَقَالَ الزَّجَّاجُ:

(١) **صحيح:** البخاري: (٥٩٨١)، ومسلم: (٢٧٣٥)، واللفظ له.

(٢) **صحيح:** صحَّحه العلَّامة الألباني رحمه الله في "صحيح وضعيف سنن الترمذي" (٣٥٧٣).

الرَّفَثُ: كَلِمَةٌ جَامِعَةٌ لِكُلِّ مَا يُرِيدُهُ الرِّجَالُ مِنَ النِّسَاءِ. **قَالَ أَهْلُ التَّفْسِيرِ**: كَانَ فِي ابْتِدَاءِ الْأَمْرِ إِذَا أَفْطَرَ الرَّجُلُ حَلَّ لَهُ الطَّعَامُ وَالشَّرَابُ وَالْجِمَاعُ إِلَى أَنْ يُصَلِّيَ الْعِشَاءَ الْآخِرَةَ، أَوْ يَرْقُدَ قَبْلَهَا، فَإِذَا صَلَّى الْعِشَاءَ أَوْ رَقَدَ قَبْلَهَا حَرُمَ عَلَيْهِ الطَّعَامُ وَالشَّرَابُ وَالنِّسَاءُ إِلَى اللَّيْلَةِ الْقَابِلَةِ.

﴿أُحِلَّ لَكُمْ﴾: أَيْ: أُبِيحَ لَكُمْ ﴿لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ﴾: أَيْ: فِي لَيْلَةِ الصِّيَامِ ﴿ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ﴾: أَيْ: سَكَنٌ لَكُمْ، ﴿وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّۗ﴾: أَيْ: سَكَنٌ لَهُنَّ، دَلِيلُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَاۖ﴾[الْأَعْرَاف:١٨٩]. **وَقِيلَ**: لَا يَسْكُنُ شَيْءٌ إِلَى شَيْءٍ كَسُكُونِ أَحَدِ الزَّوْجَيْنِ إِلَى الْآخَرِ. **وَقِيلَ**: **سُمِّيَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الزَّوْجَيْنِ لِبَاسًا**: لِتَجَرُّدِهِمَا عِنْدَ النَّوْمِ وَاجْتِمَاعِهِمَا فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ حَتَّى يَصِيرَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا لِصَاحِبِهِ كَالثَّوْبِ الَّذِي يَلْبَسُهُ. **وَقِيلَ**: **اللِّبَاسُ**: اسْمٌ لِمَا يُوَارِي الشَّيْءَ، فَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا سِتْرًا لِصَاحِبِهِ عَمَّا لَا يَحِلُّ، كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ: «**مَنْ تَزَوَّجَ فَقَدِ اسْتَكْمَلَ نِصْفَ الإِيْمَانِ فَلْيَتَّقِ اللهَ فِي النِّصْفِ البَاقِي**»(١).

﴿عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ﴾ أَيْ: تَخُونُونَهَا وَتَظْلِمُونَهَا بِالْمُجَامَعَةِ بَعْدَ الْعِشَاءِ، **قَالَ الْبَرَاءُ** رضي الله عنه: لَمَّا نَزَلَ صَوْمُ رَمَضَانَ، كَانُوا لَا يَقْرَبُونَ النِّسَاءَ رَمَضَانَ كُلَّهُ، وَكَانَ رِجَالٌ يَخُونُونَ أَنْفُسَهُمْ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: ﴿عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾(٢): تَجَاوَزَ عَنْكُمْ، ﴿وَعَفَا عَنكُمْۖ﴾: مَحَا ذُنُوبَكُمْ، ﴿فَٱلْـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ﴾: جَامِعُوهُنَّ حَلَالًا، سُمِّيَتِ الْمُجَامَعَةُ مُبَاشَرَةً لِمُلَاصَقَةِ بَشَرَةِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ، ﴿وَٱبْتَغُواْ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْۚ﴾: أَيْ: فَاطْلُبُوا مَا قَضَى اللهُ لَكُمْ **وَقِيلَ**: مَا كَتَبَ اللهُ لَكُمْ فِي اللَّوْحِ المَحْفُوظِ، يَعْنِي: الْوَلَدَ، **قَالَهُ أَكْثَرُ الْمُفَسِّرِينَ**. **وَقَالَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ**: ﴿وَٱبْتَغُواْ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْۚ﴾: يَعْنِي: لَيْلَةَ الْقَدْرِ.

---

(١) **حسن**: حسّنه العلّامة الألباني رحمه الله في "صحيح الجامع الصغير" (٦١٤٨) عن أنس رضي الله عنه.

(٢) **صحيح**: البخاري: (٤٢٣٨). وأورده العلّامة الإمام الوادعي رحمه الله في كتابه "الصحيح المسند من أسباب النزول" صـ(٣٠).

قَوْلُهُ: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ﴾: يَعْنِي: بَيَاضَ النَّهَارِ مِنْ سَوَادِ اللَّيْلِ، سُمِّيَا خَيْطَيْنِ: لِأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَبْدُو فِي الِابْتِدَاءِ مُمْتَدًّا كَالْخَيْطِ(١).

عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رضي الله عنهما قَالَ: أُنْزِلَتْ: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ﴾، وَلَمْ يَنْزِلْ قَوْلُهُ: ﴿مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾، فَكَانَ رِجَالٌ إِذَا أَرَادُوا الصَّوْمَ رَبَطَ أَحَدُهُمْ فِي رِجْلِهِ الْخَيْطَ الْأَبْيَضَ وَالْخَيْطَ الْأَسْوَدَ، وَلَا يَزَالُ يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُ رُؤْيَتُهُمَا، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى بَعْدَهُ: ﴿مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾، فَعَلِمُوا إِنَّمَا يَعْنِي بِهِمَا: اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ(٢).

وَعَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ رضي الله عنه قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ﴾: عَمَدْتُ إِلَى عِقَالٍ أَسْوَدَ وَإِلَى عِقَالٍ أَبْيَضَ فَجَعَلْتُهُمَا تَحْتَ وِسَادَتِي، فَجَعَلْتُ أَنْظُرُ إِلَيْهِمَا فِي اللَّيْلِ فَلَا يَسْتَبِينُ لِي، فَغَدَوْتُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لَهُ فَقَالَ: «إِنَّمَا ذَلِكَ سَوَادُ اللَّيْلِ وَبَيَاضُ النَّهَارِ»(٣).

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ بِلَالًا يُنَادِي بِلَيْلٍ فَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يُنَادِيَ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ»، قَالَ: وَكَانَ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ رَجُلًا أَعْمَى لَا يُنَادِي حَتَّى يُقَالَ لَهُ: أَصْبَحْتَ أَصْبَحْتَ(٤).

---

(١) قال العلَّامة الإمام مقبل بن هادي الوادعيُّ رحمه الله في كتابِهِ «الصحيح المسند من أسباب النزول» ص(٢٩): قال الإمامُ البُخاريُّ رحمه الله (ج٥/ ص٣١): حدثنا عبيد الله بن موسى، عن إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن البراء رضي الله عنه، قال: كان أصحابُ محمَّدٍ ﷺ إذا كان الرَّجُل صائمًا فحضر الإفطار فنام قبل أن يفطر لم يأكل ليلتَهُ ولا يومَهُ حتى يُمسِي، وإنَّ قيسَ بنَ صَرِمَةَ الأنصاريَّ كان صائمًا، فلمَّا حضر الإفطارُ أتى امرأته فقالَ لَهَا أعِندَكِ طعامٌ؟ قالَتْ: لا، ولكِنْ أنطَلِقُ فَأَطلُبُ لك، وكان يومَهُ يعملُ، فغلبتْهُ عيناهُ، فقالَتْ: خيبَةً لَكَ!! فلمَّا انتصف النَّهارُ غُشِيَ عليهِ، فذُكِرَ ذلك للنَّبيِّ ﷺ، فنزلَتْ هذِهِ الآية: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾، ففرِحُوا بها فرحًا شديدًا، ونزلَتْ: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ﴾. اهـ.

(٢) **صحيح**: البخاري: (٤٢٤١)، ومسلم: (١٠٩١). وأورده العلَّامة الإمام مقبل بن هادي الوادعي رحمه الله في كتابه «الصحيح المسند من أسباب النزول» ص(٣٠).

(٣) **صحيح**: البخاري: (١٩١٦)، ومسلم: (١٠٩٠).

(٤) **صحيح**: البخاري: (٢٦٥٦)، ومسلم: (١٠٩٢).

وَاعْلَمْ أَنَّ الْفَجْرَ فَجْرَانِ: كَاذِبٌ وَصَادِقٌ، فَالْكَاذِبُ: يَطْلُعُ أَوَّلًا مُسْتَطِيلًا كَذَنَبِ السِّرْحَانِ(١) وَيَصْعَدُ إِلَى السَّمَاءِ، فَبِطُلُوعِهِ لَا يَخْرُجُ اللَّيْلُ وَلَا يَحْرُمُ الطَّعَامُ وَالشَّرَابُ عَلَى الصَّائِمِ، ثُمَّ يَغِيبُ فَيَطْلُعُ بَعْدَهُ الْفَجْرُ الصَّادِقُ مُسْتَطِيرًا يَنْتَشِرُ سَرِيعًا فِي الْأُفُقِ، فَبِطُلُوعِهِ يَدْخُلُ النَّهَارُ وَيَحْرُمُ الطَّعَامُ وَالشَّرَابُ عَلَى الصَّائِمِ.

عَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدُبٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا يَمْنَعُكُمْ مِنْ سُحُورِكُمْ أَذَانُ بِلَالٍ وَلَا الْفَجْرُ الْمُسْتَطِيلُ، وَلَكِنِ الْفَجْرُ الْمُسْتَطِيرُ فِي الْأُفُقِ**»(٢).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ﴾: فَالصَّائِمُ يَحْرُمُ عَلَيْهِ الطَّعَامُ وَالشَّرَابُ بِطُلُوعِ الْفَجْرِ الصَّادِقِ وَيَمْتَدُّ إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ، فَإِذَا غَرَبَتْ حَصَلَ الْفِطْرُ.

عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِذَا أَقْبَلَ اللَّيْلُ مِنْ هَاهُنَا وَأَدْبَرَ النَّهَارُ مِنْ هَاهُنَا وَغَرَبَتِ الشَّمْسُ فَقَدْ أَفْطَرَ الصَّائِمُ**»(٣).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَٰجِدِ﴾: وَقَدْ نَوَيْتُمُ الِاعْتِكَافَ فِي الْمَسَاجِدِ، وَلَيْسَ الْمُرَادُ عَنْ مُبَاشَرَتِهِنَّ فِي الْمَسَاجِدِ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ مَمْنُوعٌ مِنْهُ فِي غَيْرِ الِاعْتِكَافِ، **وَالْعُكُوفُ**: هُوَ الْإِقَامَةُ عَلَى الشَّيْءِ، **وَالِاعْتِكَافُ فِي الشَّرْعِ**: هُوَ الْإِقَامَةُ فِي الْمَسْجِدِ عَلَى عِبَادَةِ اللهِ تَعَالَى، وَهُوَ سُنَّةٌ، وَلَا يَجُوزُ فِي غَيْرِ الْمَسْجِدِ وَيَجُوزُ فِي جَمِيعِ الْمَسَاجِدِ.

عَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَعْتَكِفُ الْعَشْرَ الْأَوَاخِرَ مِنْ رَمَضَانَ حَتَّى تَوَفَّاهُ اللهُ تَعَالَى، ثُمَّ اعْتَكَفَ أَزْوَاجُهُ مِنْ بَعْدِهِ(٤).

---

(١) السِّرْحَانُ: هو الذِّئب. وقيل: الأسد.اهـ «لسان العرب» (٢/ ٤٨٢).

(٢) **صحيح**: صحَّحه العلَّامة الألباني رحمه الله في «صحيح وضعيف سنن الترمذي» (٧٠٦)، وأصله في الصحيحين: البخاري: (٦٢١)، ومسلم: (١٠٩٤).

(٣) **صحيح**: البخاري: (١٩٥٤)، ومسلم: (١١٠٠).

(٤) **صحيح**: البخاري: (٢٠٢٦)، ومسلم: (١١٧٢).

وَالْجِمَاعُ حَرَامٌ فِي حَالِ الاِعْتِكَافِ، وَيَفْسُدُ بِهِ الاِعْتِكَافُ، أَمَّا مَا دُونَ الْجِمَاعِ مِنَ الْمُبَاشَرَاتِ كَالْقُبْلَةِ وَاللَّمْسِ بِالشَّهْوَةِ فَمَكْرُوهٌ، وَلَا يَفْسُدُ بِهِ الاِعْتِكَافُ عِنْدَ أَكْثَرِ أَهْلِ الْعِلْمِ، وَهُوَ أَظْهَرُ قَوْلَيِ الشَّافِعِيِّ، كَمَا لَا يَبْطُلُ بِهِ الْحَجُّ، وَقَالَتْ طَائِفَةٌ: يَبْطُلُ بِهَا اعْتِكَافُهُ، وَهُوَ قَوْلُ مَالِكٍ، وَقِيلَ: إِنْ أَنْزَلَ بَطَلَ اعْتِكَافُهُ، وَإِنْ لَمْ يُنْزِلْ فَلَا، كَالصَّوْمِ.

وَأَمَّا اللَّمْسُ الَّذِي لَا يُقْصَدُ بِهِ التَّلَذُّذُ فَلَا يَفْسُدُ بِهِ الاِعْتِكَافُ.

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّهَا قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ إِذَا اعْتَكَفَ أَدْنَى إِلَيَّ رَأْسَهُ فَأُرَجِّلُهُ وَكَانَ لَا يَدْخُلُ الْبَيْتَ إِلَّا لِحَاجَةِ الْإِنْسَانِ(١).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ﴾: يَعْنِي: تِلْكَ الأَحْكَامُ الَّتِي ذَكَرَهَا فِي الصِّيَامِ وَالاِعْتِكَافِ حُدُودُ الله، أَيْ: مَا مَنَعَ اللهُ عَنْهَا، **قَالَ السُّدِّيُّ**: شُرُوطُ الله، **وَقَالَ شَهْرُ بْنُ حَوْشَبٍ**: فَرَائِضُ الله، **وَأَصْلُ الْحَدِّ فِي اللُّغَةِ**: الْمَنْعُ، وَمِنْهُ يُقَالُ لِلْبَوَّابِ: حَدَّادٌ؛ لِأَنَّهُ يَمْنَعُ النَّاسَ مِنَ الدُّخُولِ، وَحُدُودُ الله مَا يَمْنَعُ النَّاسَ مِنْ مُخَالَفَتِهَا، ﴿فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾: فَلَا تَأْتُوهَا، ﴿كَذَٰلِكَ﴾: هَكَذَا ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾: لِكَيْ يَتَّقُوهَا فَيَنْجُوا مِنَ الْعَذَابِ.

﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ﴾: أَيْ: لَا يَأْكُلُ بَعْضُكُمْ مَالَ بَعْضٍ بِالْبَاطِلِ، أَيْ: مِنْ غَيْرِ الْوَجْهِ الَّذِي أَبَاحَهُ اللهُ، **وَأَصْلُ الْبَاطِلِ**: الشَّيْءُ الذَّاهِبُ، **وَالْأَكْلُ بِالْبَاطِلِ أَنْوَاعٌ: قَدْ يَكُونُ**: بِطَرِيقِ الْغَصْبِ وَالنَّهْبِ، **وَقَدْ يَكُونُ**: بِطَرِيقِ اللَّهْوِ كَالْقِمَارِ وَأُجْرَةِ الْمُغَنِّي وَنَحْوِهِمَا، **وَقَدْ يَكُونُ**: بِطَرِيقِ الرِّشْوَةِ وَالْخِيَانَةِ، ﴿وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ﴾: أَيْ: تُلْقُوا أُمُورَ تِلْكَ الأَمْوَالِ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ أَرْبَابِهَا إِلَى الْحُكَّامِ، **وَأَصْلُ**

(١) **صحيح**: البخاري: (٢٠٢٩)، ومسلم: (٢٩٧).

الْإِدْلَاءِ: إِرْسَالُ الدَّلْوِ وَإِلْقَاؤُهُ فِي الْبِئْرِ، يُقَالُ: (أَدْلَى دَلْوَهُ) إِذَا أَرْسَلَهُ، وَ(دَلَاهُ يَدْلُوهُ) إِذَا أَخْرَجَهُ، **قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ**: هَذَا فِي الرَّجُلِ يَكُونُ عَلَيْهِ مَالٌ وَلَيْسَ عَلَيْهِ بَيِّنَةٌ فَيَجْحَدُ الْمَالَ، وَيُخَاصِمُ فِيهِ إِلَى الْحَاكِمِ وَهُوَ يَعْرِفُ أَنَّ الْحَقَّ عَلَيْهِ، وَإِنَّهُ آثِمٌ بِمَنْعِهِ. **قَالَ مُجَاهِدٌ فِي هَذِهِ الْآيَةِ**: لَا تُخَاصِمْ وَأَنْتَ ظَالِمٌ. **قَالَ الْكَلْبِيُّ**: هُوَ أَنْ يُقِيمَ شَهَادَةَ الزُّورِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَتُدۡلُواْ﴾: فِي مَحَلِّ الْجَزْمِ بِتَكْرِيرِ حَرْفِ النَّهْيِ، مَعْنَاهُ: وَلَا تُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ، **وَقِيلَ**: مَعْنَاهُ: لَا تَأْكُلُوا بِالْبَاطِلِ وَتَنْسِبُونَهُ إِلَى الْحُكَّامِ، **قَالَ قَتَادَةُ**: لَا تُدْلِ بِمَالِ أَخِيكَ إِلَى الْحَاكِمِ وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّكَ ظَالِمٌ وَهُوَ مُحِقٌّ، فَإِنَّ قَضَاءَهُ لَا يُحِلُّ حَرَامًا، **وَكَانَ شُرَيْحٌ الْقَاضِي يَقُولُ**: إِنِّي لَأَقْضِي لَكَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ ظَالِمًا، وَلَكِنْ لَا يَسَعُنِي إِلَّا أَنْ أَقْضِيَ بِمَا يَحْضُرُنِي مِنَ الْبَيِّنَةِ، وَإِنَّ قَضَائِي لَا يُحِلُّ لَكَ حَرَامًا.

عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ وَإِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ أَلْحَنَ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ فَأَقْضِيَ لَهُ عَلَى نَحْوِ مَا أَسْمَعُ مِنْهُ، فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ بِشَيْءٍ مِنْ حَقِّ أَخِيهِ فَلَا يَأْخُذَنَّهُ؛ فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً مِنَ النَّارِ**»[1].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لِتَأۡكُلُواْ فَرِيقٗا﴾: قِطْعَةً وَطَائِفَةً ﴿مِّنۡ أَمۡوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلۡإِثۡمِ﴾: بِالظُّلْمِ وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: بِالْيَمِينِ الْكَاذِبَةِ يَقْطَعُ بِهَا مَالَ أَخِيهِ ﴿وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾: أَنَّكُمْ مُبْطِلُونَ.

﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَهِلَّةِۖ قُلۡ هِيَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلۡحَجِّۗ وَلَيۡسَ ٱلۡبِرُّ بِأَن تَأۡتُواْ ٱلۡبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰۗ وَأۡتُواْ ٱلۡبُيُوتَ مِنۡ أَبۡوَٰبِهَاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَهِلَّةِۖ﴾: وَهِيَ جَمْعُ (هِلَالٍ)، مِثْلُ: (رِدَاءٍ وَأَرْدِيَةٍ)، **سُمِّيَ هِلَالًا**: لِأَنَّ النَّاسَ يَرْفَعُونَ أَصْوَاتَهُمْ بِالذِّكْرِ عِنْدَ رُؤْيَتِهِ، مِنْ قَوْلِهِمْ: (اسْتَهَلَّ الصَّبِيُّ) إِذَا صَرَخَ حِينَ يُولَدُ، وَ(أَهَلَّ الْقَوْمُ بِالْحَجِّ) إِذَا رَفَعُوا أَصْوَاتَهُمْ بِالتَّلْبِيَةِ، ﴿قُلۡ

(١) **صحيح**: البخاري: (٧١٦٩)، ومسلم: (١٧١٣).

﴿هِيَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلۡحَجِّۗ﴾: جَمْعُ مِيقَاتٍ، أَيْ: فَعَلْنَا ذَلِكَ لِيَعْلَمَ النَّاسُ أَوْقَاتَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ وَالصَّوْمِ وَالْإِفْطَارِ وَآجَالَ الدُّيُونِ وَعِدَدَ النِّسَاءِ وَغَيْرَهَا، فَلِذَلِكَ خَالَفَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الشَّمْسِ الَّتِي هِيَ دَائِمَةٌ عَلَى حَالَةٍ وَاحِدَةٍ.

﴿وَلَيۡسَ ٱلۡبِرُّ بِأَن تَأۡتُواْ ٱلۡبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا﴾: قَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ وَابْنُ عَامِرٍ وَحَمْزَةُ وَالكِسَائِيُّ وَأَبُو بَكْرٍ: ﴿الْبِيُوتَ﴾ وَ﴿الغِيُوبَ﴾ وَ﴿الْجِيُوبَ﴾ وَ﴿الْعِيُونَ﴾ وَ﴿شِيُوخًا﴾ بِكَسْرِ أَوَائِلِهِنَّ، لِمَكَانِ الْيَاءِ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بِالضَّمِّ عَلَى الْأَصْلِ، وَقَرَأَ ابْنُ عَامِرٍ وَحَمْزَةُ وَالْكِسَائِيُّ: ﴿جِيُوبِهِنَّ﴾ بِكَسْرِ الْجِيمِ، وَقَرَأَ أَبُو بَكْرٍ وَحَمْزَةُ: ﴿الْغِيُوبَ﴾ بِكَسْرِ الغَيْنِ. ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰۗ﴾: أَيْ: الْبِرَّ بِرُّ مَنِ اتَّقَى، ﴿وَأۡتُواْ ٱلۡبُيُوتَ مِنۡ أَبۡوَٰبِهَاۚ﴾: فِي حَالِ الْإِحْرَامِ ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾[(١)].

﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾

﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: أَيْ: فِي طَاعَةِ اللهِ ﴿ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ﴾: كَانَ فِي ابْتِدَاءِ الْإِسْلَامِ أَمَرَ اللهُ تَعَالَى رَسُولَ اللهِ ﷺ بِالْكَفِّ عَنْ قِتَالِ الْمُشْرِكِينَ، ثُمَّ لَمَّا هَاجَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ أَمَرَهُ بِقِتَالِ مَنْ قَاتَلَهُ مِنْهُمْ بِهَذِهِ الْآيَةِ. **وَقَالَ الرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ**: هَذِهِ أَوَّلُ آيَةٍ نَزَلَتْ فِي الْقِتَالِ، ثُمَّ أَمَرَهُ بِقِتَالِ الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً قَاتَلُوا أَوْ لَمْ يُقَاتِلُوا بِقَوْلِهِ: ﴿فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [التَّوْبَة:٥] فَصَارَتْ هَذِهِ الْآيَةُ مَنْسُوخَةً بِهَا حُكْمًا.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ﴾: أَيْ: وَلَا تَبْدَؤُوهُمْ بِالْقِتَالِ، **وَقِيلَ**: هَذِهِ الْآيَةُ مُحْكَمَةٌ غَيْرُ مَنْسُوخَةٍ، أُمِرَ النَّبِيُّ ﷺ بِقِتَالِ الْمُقَاتِلِينَ، **وَمَعْنَى قَوْلِهِ**: ﴿وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ﴾: أَيْ: لَا

---

(١) قال العلَّامة الإمامُ مقبلُ بن هادي الوادعي رَحِمَهُ اللهُ: **قال الإمامُ البُخاريُّ** (ج/ ٤ ص٣٧٠): حدَّثَنَا أبو الوَلِيدِ حدَّثَنَا شُعبَة عن أبي إسحَاق قال: سَمِعْتُ **البَرَاءَ** يقُولُ: نزلَتْ هذِهِ الآيَة فِينا، كانت الأنصارُ إِذَا حَجُّوا فجاءُوا لم يدخلوا من قِبَلِ أبواب بيوتِهِم ولكن من ظهورها، فجاء رجل من الأنصار فدخل من قِبَلِ بابه فكأنَّه عُيِّرَ بذلك، فنزلت: ﴿وَلَيۡسَ ٱلۡبِرُّ بِأَن تَأۡتُواْ ٱلۡبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰۗ وَأۡتُواْ ٱلۡبُيُوتَ مِنۡ أَبۡوَٰبِهَاۚ﴾. اهـ "الصحيح المسند من أسباب النزول" ص(٣٠-٣١).

تَقْتُلُوا النِّسَاءَ وَالصِّبْيَانَ وَالشَّيْخَ الْكَبِيرَ وَالرُّهْبَانَ، وَلَا مَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ، **هَذَا قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٍ**.

عَنْ بُرَيْدَةَ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا بَعَثَ جَيْشًا قَالَ: «**اغْزُوا بِاسْمِ اللهِ وَفِي سَبِيلِ اللهِ، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللهِ، لَا تَغُلُّوا، وَلَا تَغْدِرُوا، وَلَا تَقْتُلُوا امْرَأَةً وَلَا وَلِيدًا وَلَا شَيْخًا كَبِيرًا**»[(١)].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾: [**وَالِاعْتِدَاءُ**: تَجَاوُزُ مَا يَحِلُّ].

﴿وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۚ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِ ۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ ۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩١﴾ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٢﴾ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾: **قِيلَ**: نُسِخَتِ الْآيَةُ الْأُولَى بِهَذِهِ الْآيَةِ، **وَأَصْلُ الثَّقَافَةِ**: الْحِذْقُ وَالْبَصَرُ بِالْأَمْرِ وَمَعْنَاهُ: وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ بَصُرْتُمْ مُقَاتَلَتَهُمْ وَتَمَكَّنْتُمْ مِنْ قَتْلِهِمْ، ﴿وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ﴾: وَذَلِكَ أَنَّهُمْ أَخْرَجُوا الْمُسْلِمِينَ مِنْ مَكَّةَ، فَقَالَ: أَخْرِجُوهُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ كَمَا أَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ، ﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾: يَعْنِي: شِرْكُهُمْ بِاللهِ ﷻ أَشَدُّ وَأَعْظَمُ مِنْ قَتْلِكُمْ إِيَّاهُمْ فِي الْحَرَمِ وَالْإِحْرَامِ، ﴿وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِ ۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ﴾: قَرَأَ حَمْزَةُ وَالْكِسَائِيُّ: ﴿وَلَا تَقْتُلُوهُمْ﴾، ﴿حَتَّى يَقْتُلُوكُمْ﴾، ﴿فَإِنْ قَتَلُوكُمْ﴾، بِغَيْرِ أَلِفٍ فِيهِنَّ مِنَ الْقَتْلِ عَلَى مَعْنَى وَلَا تَقْتُلُوا بَعْضَهُمْ، تَقُولُ الْعَرَبُ: (قَتَلْنَا بَنِي فُلَانٍ)، وَإِنَّمَا قَتَلُوا بَعْضَهُمْ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بِالْأَلِفِ مِنَ الْقِتَالِ وَكَانَ هَذَا فِي ابْتِدَاءِ الْإِسْلَامِ، كَانَ لَا يَحِلُّ بِدَايَتُهُمْ بِالْقِتَالِ فِي الْبَلَدِ الْحَرَامِ، ثُمَّ صَارَ مَنْسُوخًا بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾[البَقَرَة: ١٩٣]، **هَذَا قَوْلُ قَتَادَةَ. وَقَالَ مُقَاتِلُ بْنُ حَيَّانَ: قَوْلُهُ**: ﴿وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾: أَيْ:

(١) **صحيح**: مسلم: (١٧٣١). **وَقَوْلُهُ**: «**لَا تَغُلُّوا**»: هو بضمِّ الغَينِ المعجمة وتشديد اللَّام؛ أي: لا تخونوا في الغنيمة.اهـ "البحر المحيط الثجاج" (٥/ ١٣٩).

حَيْثُ أَدْرَكْتُمُوهُمْ فِي الحِلِّ وَالحَرَمِ، وَصَارَتْ هَذِهِ الْآيَةُ مَنْسُوخَةً بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا تُقَٰتِلُوهُمۡ عِندَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ﴾، ثُمَّ نَسَخَتْهَا آيَةُ السَّيْفِ فِي (بَرَاءَةٌ)، فَهِيَ نَاسِخَةٌ مَنْسُوخَةٌ. **وَقَالَ مُجَاهِدٌ وَجَمَاعَةٌ**: هَذِهِ الْآيَةُ مُحْكَمَةٌ وَلَا يَجُوزُ الِابْتِدَاءُ بِالْقِتَالِ فِي الحَرَمِ، ﴿كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ ١٩١ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ﴾: عَنِ الْقِتَالِ وَالْكُفْرِ ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾: أَيْ: غَفُورٌ لِمَا سَلَفَ رَحِيمٌ بِالْعِبَادِ.

﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ﴾: يَعْنِي: الْمُشْرِكِينَ؛ ﴿حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ﴾: أَيْ: شِرْكٌ، يَعْنِي: قَاتِلُوهُمْ حَتَّى يُسْلِمُوا فَلَا يُقْبَلُ مِنَ الْوَثَنِيِّ إِلَّا الْإِسْلَامُ فَإِنْ أَبَى قُتِلَ، ﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ﴾: أَيِ: الطَّاعَةُ وَالعِبَادَةُ ﴿لِلَّهِ﴾: وَحْدَهُ فَلَا يُعْبَدُ شَيْءٌ دُونَهُ، ﴿فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ﴾: عَنِ الْكُفْرِ وَأَسْلَمُوا ﴿فَلَا عُدۡوَٰنَ﴾: فَلَا سَبِيلَ ﴿إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، **قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ**، يَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَيَّمَا ٱلۡأَجَلَيۡنِ قَضَيۡتُ فَلَا عُدۡوَٰنَ عَلَيَّۖ﴾[القَصَص:٢٨]، أَيْ: فَلَا سَبِيلَ عَلَيَّ. **وَقَالَ أَهْلُ المَعَانِي: الْعُدْوَانُ**: الظُّلْمُ، أَيْ: فَإِنْ أَسْلَمُوا فَلَا نَهْبَ وَلَا أَسْرَ وَلَا قَتْلَ ﴿إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ الَّذِينَ بَقُوا عَلَى الشِّرْكِ، وَمَا يُفْعَلُ بِأَهْلِ الشِّرْكِ مِنْ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ لَا يَكُونُ ظُلْمًا، وَسَمَّاهُ عُدْوَانًا عَلَى طَرِيقِ الْمُجَازَاةِ وَالْمُقَابَلَةِ، كَمَا قَالَ: ﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ﴾[البَقَرَة: ١٩٤]، وَكَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ﴾[الشُّورَى:٤٠]، **وَسُمِّيَ الْكَافِرُ ظَالِمًا**: لِأَنَّهُ يَضَعُ الْعِبَادَةَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهَا.

﴿ٱلشَّهۡرُ ٱلۡحَرَامُ بِٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ وَٱلۡحُرُمَٰتُ قِصَاصٞۚ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ٱلشَّهۡرُ ٱلۡحَرَامُ﴾: يَعْنِي ذَا الْقِعْدَةِ الَّذِي دَخَلْتُمْ فِيهِ مَكَّةَ وَقَضَيْتُمْ فِيهِ عُمْرَتَكُمْ سَنَةَ سَبْعٍ مِنَ الهِجْرَةِ ﴿بِٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ﴾: يَعْنِي: ذَا الْقِعْدَةِ الَّذِي صُدِدْتُمْ فِيهِ عَنِ الْبَيْتِ سَنَةَ سِتٍّ، ﴿وَٱلۡحُرُمَٰتُ قِصَاصٞۚ﴾: جَمْعُ حُرْمَةٍ، وَإِنَّمَا جَمَعَهَا لِأَنَّهُ أَرَادَ حُرْمَةَ الشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْبَلَدِ الْحَرَامِ وَحُرْمَةَ الْإِحْرَامِ، **وَالْقِصَاصُ**: الْمُسَاوَاةُ وَالْمُمَاثَلَةُ، وَهُوَ أَنْ يُفْعَلَ بِالْفَاعِلِ مِثْلُ مَا فَعَلَ. **وَقِيلَ**: هَذَا فِي أَمْرِ القِتَالِ، مَعْنَاهُ: إِنْ بَدَؤُكُمْ بِالْقِتَالِ فِي الشَّهْرِ

الْحَرَامِ فَقَاتِلُوهُمْ فِيهِ؛ فَإِنَّهُ قِصَاصٌ بِمَا فَعَلُوا فِيهِ، ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُواْ عَلَيْهِ﴾: وَقَاتِلُوهُ ﴿بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾: سُمِّيَ الجَزَاءُ بِاسْمِ الِابْتِدَاءِ: عَلَى ازْدِوَاجِ الْكَلَامِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾[الشُّورى:٤٠]، ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾.

﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: أَرَادَ بِهِ الْجِهَادَ وَكُلَّ خَيْرٍ هُوَ فِي سَبِيلِ الله وَلَكِنَّ إِطْلَاقَهُ يَنْصَرِفُ إِلَى الْجِهَادِ، ﴿وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾: **قِيلَ**: الْبَاءُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿بِأَيْدِيكُمْ﴾ زَائِدَةٌ، يُرِيدُ: وَلَا تُلْقُوا أَيْدِيَكُمْ، أَيْ: أَنْفُسَكُمْ ﴿إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾، عَبَّرَ بِالْأَيْدِي عَنِ الأَنْفُسِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾[الشُّورى:٣٠]، أَيْ: بِمَا كَسَبْتُمْ، **وَقِيلَ**: الْبَاءُ فِي مَوْضِعِهَا، وَفِيهِ حَذْفٌ، أَيْ: وَلَا تُلْقُوا أَنْفُسَكُمْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ، أَيِ الْهَلَاكِ. **وَقِيلَ**: **التَّهْلُكَةُ**: كُلُّ شَيْءٍ يَصِيرُ عَاقِبَتُهُ إِلَى الْهَلَاكِ، أَيْ: وَلَا تَأْخُذُوا فِي ذَلِكَ. **وَقِيلَ**: **التَّهْلُكَةُ**: مَا يُمْكِنُ الِاحْتِرَازُ عَنْهُ، **وَالهَلَاكُ**: مَا لَا يُمْكِنُ الِاحْتِرَازُ عَنْهُ، وَالْعَرَبُ لَا تَقُولُ لِلْإِنْسَانِ: (أَلْقَى بِيَدِهِ) إِلَّا فِي الشَّرِّ.

وَاخْتَلَفُوا فِي تَأْوِيلِ هَذِهِ الْآيَةِ: فَقَالَ بَعْضُهُمْ: هَذَا فِي الْبُخْلِ وَتَرْكِ الْإِنْفَاقِ، يَقُولُ: ﴿وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾: بِتَرْكِ الْإِنْفَاقِ فِي سَبِيلِ الله، **وَهُوَ قَوْلُ حُذَيْفَةَ وَالحَسَنِ وَقَتَادَةَ وَعِكْرِمَةَ وَعَطَاءٍ. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِي هَذِهِ الْآيَةِ**: أَنْفِقْ فِي سَبِيلِ الله وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَكَ إِلَّا سَهْمٌ أَوْ مِشْقَصٌ[1] وَلَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: إِنِّي لَا أَجِدُ شَيْئًا. **وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ سِيرِينَ وَعبيدَةُ السَّلْمَانِيُّ: الْإِلْقَاءُ إِلَى التَّهْلُكَةِ**: هُوَ الْقُنُوطُ مِنْ رَحْمَةِ الله تَعَالَى، **قَالَ أَبُو قِلَابَةَ**: هُوَ الرَّجُلُ يُصِيبُ الذَّنْبَ فَيَقُولُ قَدْ هَلَكْتُ لَيْسَ لِي تَوْبَةٌ، فَيَيْأَسُ مِنْ رَحْمَةِ الله وَيَنْهَمِكُ فِي المَعَاصِي، فَنَهَاهُمُ اللهُ تَعَالَى عَنْ ذَلِكَ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[يُوسُف:٨٧].

(١) المِشْقَصُ: كَـ(مِنْبَرٍ): نصلٌ عريضٌ، أو سهمٌ فيه ذلك. انظر «القاموس المحيط» (٦٢٢).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَحْسِنُوٓاْ﴾: أَيْ: أَحْسِنُوا أَعْمَالَكُمْ وَأَخْلَاقَكُمْ وَتَفَضَّلُوا عَلَى الفُقَرَاءِ؛ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[1].

(١) قال العلَّامة الإمامُ مقبلُ بن هادي الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ: قال الإمامُ البُخَاريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ (ج٩ص٢٥١): حدَّثنا إسحاق، أخبرنَا النَّضر، حدثنا شعبة، عن سليمان قال: سمعت أَبَا وَائِل، عن حذيفة: ﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ قال: نَزَلَتْ فِي النَّفَقة.

قَالَ التِّرمذيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ (ج٤ ص٧٢): حدَّثَنَا عَبْدُ بنُ حُمَيد، حدَّثنَا الضَّحَّاكُ بنُ مَخْلَد، عن حَيْوَةَ بن شُرَيح، عن يزيدَ بنِ أبي حَبيب، عَن أسلم أَبِي عِمرَان التُّجِيبيِّ: قال: كُنَّا بِمَدينَةِ الرُّوم، فأخرجوا إلينا صفًّا عظيمًا من الرُّوم، فخرج إليهم من المسلِمِين مثلُهُم أو أكثرُ، وعلى أهل مصر عقبة بن عامر، وعلى الجَمَاعَة فُضَالَة بن عبيد، فحَمَلَ رجُلٌ من المُسلِمِين على صَفِّ الرُّوم حتى دخل فيهم، فصاح النَّاس وقالوا: سُبحَانَ الله! يُلقِي بنفسه إلى التَّهلُكَة، فقامَ أبو أيوبَ الأنصاريُّ فقَالَ: يا أيُّها النَّاسُ: إنَّكم تتأوَّلُونَ هذِهِ الآيةَ هذا التأويل، وإنما أُنزِلَتْ هذِهِ الآيةُ فينا معشرَ الأنصارِ لَمَّا أعزَّ اللهُ الإسلامَ وكَثُرَ نَاصِرُوهُ، فقَالَ بعضُنَا لبَعضٍ سِرًّا دونَ رسُول الله ﷺ: إنَّ أموالَنا قد ضاعت، وإنَّ اللهَ قد أعزَّ الإسلام وكَثُرَ نَاصِرُوهُ، فلو أقمنا في أموالِنَا فأصلَحْنَا ما ضاع منها، فأنزل الله على نبيه ﷺ يرُدُّ علينا ما قلناه: ﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾، فكانَتِ التَّهلُكَة الإقامة على الأموالِ وإصلاحِهَا، وتركَنَا الغَزْوَ. فما زال أبو أيوبَ شَاخِصًا في سبيلِ الله حتى دُفِنَ بأرضِ الرُّومِ. هَذَا حديثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ.

وَقَالَ الطَّبَرَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ في «الكبير» (ج٢٢ ص٣٩٠): حدَّثنَا محمَّدُ بنُ عبدِ الله الحضرميُّ، ثَنَا هُدبَةُ بنُ خَالِدٍ، ثَنَا حَمَّادُ بنُ سَلَمَةَ، عَن دَاوُدَ بنِ أَبِي هِنْدٍ، عن الشَّعْبِيِّ، عن أبي جَبِيرَةَ بنِ الضَّحَّاكِ، قال: كان الأنصارُ يتصدَّقُون ويُعطُونَ ما شاءَ اللهُ، فأصابتهم مصيبةٌ فأمسكوا فأنزَلَ اللهُ ﷻ: ﴿وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾.

هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ إن ثبتَتْ صُحبَةُ أبي جبيرة وسيأتِي الكلامُ عليهِ في: (سُورَة الحُجُرَات) إن شاء الله.

وَفِي «مجمع الزَّوائِد» (ج٦ ص٣١٧): وعن النعمان بن بشير في قولِهِ: ﴿وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ قال: كان الرَّجُل يُذنِبُ فيقول لا يغفِرُ اللهُ لِي، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾. روَاهُ الطَّبرانِيُّ في «الكبير» و«الأوسط» ورجالُهما رجالَ الصحيح.اهـ

وَفِي «الفتح» (ج٩ ص٢٥١): من حديث البراء نحوه، قال الحَافِظُ: وسنَدُهُ صحيحٌ، ثم قال: والأوَّلُ أظهرُ؛ لتصدير الآية بذكر النَّفَقَةِ، فهو المعتمد في نزولها.

وَأَقُولُ: لَا دَاعِي لإلغاءِ الرِّوَايَتَينِ -أعني روايةَ النعمان والبَرَاء- مع صحَّتِها؛ فالآية تشمل مَنْ تَرَك الجِهَادَ وبخلَ، وتشمل من أذنب وظنَّ أنَّ اللهَ لا يغفِرُ لَهُ، ولا مَانِعَ من أَنْ تكُونَ الآيةُ نزلَتْ في الجَمِيعِ. واللهُ أعلم.اهـ «الصحيح المسند من أسباب النزول» (٣٢-٣٤).

﴿وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِۚ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِۖ وَلَا تَحْلِقُوا۟ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْىُ مَحِلَّهُۥۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍۚ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِۚ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌۗ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾

قَوْلُهُ ﷻ: ﴿وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِۚ﴾: قَرَأَ عَلْقَمَةُ وَإِبْرَاهِيمُ النَّخَعِيُّ: ﴿وَأَقِيمُوا الحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لله﴾ **وَاخْتَلَفُوا فِي إِتْمَامِهِمَا: فَقَالَ بَعْضُهُمْ**: هُوَ أَنْ يُتِمَّهُمَا بِمَنَاسِكِهِمَا وَحُدُودِهِمَا وَسُنَنِهِمَا، وَهُوَ قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ وَعَلْقَمَةَ وَإِبْرَاهِيمَ النَّخَعِيِّ وَمُجَاهِدٍ. **وَأَرْكَانُ الحَجِّ خَمْسَةٌ**: الْإِحْرَامُ، وَالْوُقُوفُ بِعَرَفَةَ، وَطَوَافُ الزِّيَارَةِ، وَالسَّعْيُ بَيْنَ الصَّفَا وَالمَرْوَةِ، وَحَلْقُ الرَّأْسِ أَوِ التَّقْصِيرُ. **وَلِلْحَجِّ تَحَلُّلَانِ: وَأَسْبَابُ التَّحَلُّلِ ثَلَاثَةٌ**: رَمْيُ جَمْرَةِ الْعَقَبَةِ يَوْمَ النَّحْرِ، وَطَوَافُ الزِّيَارَةِ، وَالحَلْقُ، فَإِذَا وُجِدَ شَيْئَانِ مِنْ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ الثَّلَاثَةِ حَصَلَ التَّحَلُّلُ الْأَوَّلُ، وَبِالثَّلَاثِ حَصَلَ التَّحَلُّلُ الثَّانِي، وَبَعْدَ التَّحَلُّلِ الْأَوَّلِ يَسْتَبِيحُ جَمِيعَ مَحْظُورَاتِ الْإِحْرَامِ إِلَّا النِّسَاءَ، وَبَعْدَ الثَّانِي يَسْتَبِيحُ الْكُلَّ. **وَأَرْكَانُ الْعُمْرَةِ أَرْبَعَةٌ**: الْإِحْرَامُ، وَالطَّوَافُ بِالْبَيْتِ، وَالسَّعْيُ بَيْنَ الصَّفَا وَالمَرْوَةِ، وَالحَلْقُ. **وَاتَّفَقَتِ الْأُمَّةُ**: عَلَى وُجُوبِ الحَجِّ عَلَى مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا. **وَاخْتَلَفُوا فِي وُجُوبِ الْعُمْرَةِ**: فَذَهَبَ أَكْثَرُ أَهْلِ الْعِلْمِ إِلَى وُجُوبِهَا **وَهُوَ قَوْلُ عُمَرَ وَعَلِيٍّ وَابْنِ عُمَرَ**، وَذَهَبَ قَوْمٌ إِلَى أَنَّهَا سُنَّةٌ، **وَهُوَ قَوْلُ جَابِرٍ** وَبِهِ قَالَ الشَّعْبِيُّ، وَإِلَيْهِ ذَهَبَ مَالِكٌ وَأَهْلُ الْعِرَاقِ، وَتَأَوَّلُوا قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِۚ﴾ عَلَى مَعْنَى أَتِمُّوهُمَا إِذَا دَخَلْتُمْ فِيهِمَا، أَمَّا ابْتِدَاءُ الشُّرُوعِ فِيهَا فَتَطَوُّعٌ، وَاحْتَجَّ مَنْ لَمْ يُوجِبْهَا بِمَا رُوِيَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُنْكَدِرِ، **عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ** عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ سُئِلَ عَنِ الْعُمْرَةِ أَوَاجِبَةٌ هِيَ؟ فَقَالَ: «**لَا، وَأَنْ تَعْتَمِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ**»[1]، وَالْقَوْلُ الْأَوَّلُ أَصَحُّ، وَمَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِۚ﴾، أَيِ: ابْتَدِئُوهُمَا فَإِذَا دَخَلْتُمْ فِيهِمَا فَأَتِمُّوهُمَا، فَهُوَ أَمْرٌ بِالِابْتِدَاءِ وَالْإِتْمَامِ، أَيْ: أَقِيمُوهُمَا، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِۚ﴾[الْبَقَرَة:١٨٧]، أَيِ: ابْتَدِئُوهُ وَأَتِمُّوهُ.

(١) **ضعيف**: ضعَّفه العلَّامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «صحيح وضعيف سنن الترمذي» (٩٣١).

عَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**تَابِعُوا بَيْنَ الحَجِّ وَالْعُمْرَةِ؛ فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الْفَقْرَ وَالذُّنُوبَ كَمَا يَنْفِي الْكِيرُ خَبَثَ الحَدِيدِ وَالذَهَبِ وَالفِضَّةِ، وَلَيْسَ لِلْحَجَّةِ المَبْرُورَةِ جَزَاءٌ إِلَّا الجَنَّةَ**»(١).

وَاتَّفَقَتِ الْأُمَّةُ عَلَى أَنَّهُ يَجُوزُ أَدَاءُ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ عَلَى ثَلَاثَةِ أَوْجُهٍ: الْإِفْرَادِ، وَالتَّمَتُّعِ، وَالْقِرَانِ. **فَصُورَةُ الْإِفْرَادِ**: أَنْ يُفْرِدَ الحَجَّ، ثُمَّ بَعْدَ الْفَرَاغِ مِنْهُ يَعْتَمِرُ. **وَصُورَةُ التَّمَتُّعِ**: أَنْ يَعْتَمِرَ فِي أَشْهُرِ الحَجِّ ثُمَّ بَعْدَ الْفَرَاغِ مِنْ أَعْمَالِ الْعُمْرَةِ يُحْرِمُ بِالْحَجِّ مِنْ مَكَّةَ، فَيَحُجُّ فِي هَذَا الْعَامِ. **وَصُورَةُ الْقِرَانِ**: أَنْ يُحْرِمَ بِالْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ مَعًا، أَوْ يُحْرِمَ بِالْعُمْرَةِ ثُمَّ يُدْخِلُ عَلَيْهَا الْحَجَّ قَبْلَ أَنْ يَفْتَتِحَ الطَّوَافَ، فَيَصِيرُ قَارِنًا.

وَاخْتَلَفُوا فِي الْأَفْضَلِ مِنْ هَذِهِ الْوُجُوهِ: فَذَهَبَ جَمَاعَةٌ إِلَى أَنَّ الْإِفْرَادَ أَفْضَلُ ثُمَّ التَّمَتُّعَ ثُمَّ الْقِرَانَ، وَهُوَ قَوْلُ مَالِكٍ وَالشَّافِعِيِّ؛ لِمَا ثَبَتَ **عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ** رضي الله عنها أَنَّهَا قَالَتْ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَامَ حَجَّةِ الْوَدَاعِ، فَمِنَّا مَنْ أَهَلَّ بِعُمْرَةٍ، وَمِنَّا مَنْ أَهَلَّ بِحَجٍّ وَعُمْرَةٍ، وَمِنَّا مَنْ أَهَلَّ بِالحَجِّ، وَأَهَلَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالْحَجِّ، فَأَمَّا مَنْ أَهَلَّ بِالْعُمْرَةِ فَحَلَّ، وَأَمَّا مَنْ أَهَلَّ بِالْحَجِّ أَوْ جَمَعَ بَيْنَ الحَجِّ وَالْعُمْرَةِ فَلَمْ يَحِلُّوا حَتَّى كَانَ يَوْمُ النَّحْرِ(٢).

وَعَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه وَهُوَ يُحَدِّثُ عَنْ حَجَّةِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَسْنَا نَنْوِي إِلَّا الْحَجَّ، لَسْنَا نَعْرِفُ الْعُمْرَةَ(٣).

وَرُوِيَ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَفْرَدَ الْحَجَّ(٤).

---

(١) **صحيح**: صحَّحه العلَّامة الألباني رحمه الله في "صحيح وضعيف سنن الترمذي" (٨١٠)، وأصله في "الصحيحين": البخاري: (١٧٧٣)، ومسلم: (١٣٤٩)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) **صحيح**: البخاري: (٤٤٠٨)، ومسلم: (١٢١١).

(٣) **صحيح**: مسلم: (١٢١٨).

(٤) **صحيح**: مسلم: (١٢٣٢).

وَذَهَبَ قَوْمٌ إِلَى أَنَّ الْقِرَانَ أَفْضَلُ، وَهُوَ قَوْلُ الثَّوْرِيِّ وَأَصْحَابِ الرَّأْيِ، وَاحْتَجُّوا بِمَا ثَبَتَ **عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ** ﵁، قَالَ: أَهَلَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «**لَبَّيْكَ بِحَجٍّ وَعُمْرَةٍ**»[(١)].

وَذَهَبَ قَوْمٌ إِلَى أَنَّ التَّمَتُّعَ أَفْضَلُ، وَهُوَ قَوْلُ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ وَإِسْحَاقَ بْنِ رَاهَوَيْهِ، وَاحْتَجُّوا بِمَا جَاءَ **عَنِ ابْنِ عُمَرَ** ﵄، قَالَ: تَمَتَّعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي حَجَّةِ الوَدَاعِ بِالعُمْرَةِ إِلَى الحَجِّ وَأَهْدَى فَسَاقَ مَعَهُ الْهَدْيَ مِنْ ذِي الْحُلَيْفَةِ، وَبَدَأَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَأَهَلَّ بِالْعُمْرَةِ ثُمَّ أَهَلَّ بِالْحَجِّ، فَتَمَتَّعَ النَّاسُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ، فَكَانَ مِنَ النَّاسِ مَنْ أَهْدَى فَسَاقَ الْهَدْيَ، وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ يُهْدِ، فَلَمَّا قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ مَكَّةَ قَالَ لِلنَّاسِ: «**مَنْ كَانَ مِنْكُمْ أَهْدَى فَإِنَّهُ لَا يَحِلُّ مِنْ شَيْءٍ حُرِمَ مِنْهُ حَتَّى يَقْضِيَ حَجَّهُ، وَمَنْ لَمْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَهْدَى فَلْيَطُفْ بِالْبَيْتِ وَيَسْعَى بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَة وَلْيُقَصِّرْ وَلْيَحْلِلْ، ثُمَّ لِيُهِلَّ بِالحَجِّ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ هَدْيًا فَلْيَصُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فِي الحَجِّ وَسَبْعَةً إِذَا رَجَعَ إِلَى أَهْلِهِ**»، فَطَافَ حِينَ قَدِمَ مَكَّةَ وَاسْتَلَمَ الرُّكْنَ أَوَّلَ شَيْءٍ، ثُمَّ خَبَّ ثَلَاثَةَ أَطْوَافٍ وَمَشَى أَرْبَعًا فَرَكَعَ حِينَ قَضَى طَوَافَهُ بِالْبَيْتِ عِنْدَ الْمَقَامِ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ سَلَّمَ فَانْصَرَفَ فَأَتَى الصَّفَا فَطَافَ بِالصَّفَا وَالْمَرْوَةِ سَبْعَةَ أَطْوَافٍ، ثُمَّ لَمْ يَتَحَلَّلْ مِنْ شَيْءٍ حُرِمَ مِنْهُ حَتَّى قَضَى حَجَّهُ وَنَحَرَ هَدْيَهُ يَوْمَ النَّحْرِ وَأَفَاضَ فَطَافَ بِالْبَيْتِ ثُمَّ حَلَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ حُرِمَ مِنْهُ، وَفَعَلَ مِثْلَ مَا فَعَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَنْ أَهْدَى وَسَاقَ الْهَدْيَ مِنَ النَّاسِ[(٢)].

وَعَنْ عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ ﵂ أَخْبَرَتْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي تَمَتُّعِهِ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ، فَتَمَتَّعَ النَّاسُ مَعَهُ بِمِثْلِ الَّذِي أَخْبَرَنِي سَالِمٌ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ[(٣)].

قَالَ الشَّيْخُ ﵁: قَدِ اخْتَلَفَ الرُّوَاةُ فِي إِحْرَامِ النَّبِيِّ ﷺ كَمَا ذَكَرْنَاهُ، وَذَكَرَ الشَّافِعِيُّ فِي كِتَابِ «اخْتِلَافِ الحديث» كَلَامًا مُوجَزًا أَنَّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللهِ ﷺ كَانَ

(١) **صحيح:** البخاري: (١٥٥١)، ومسلم: (١٢٣٢).

(٢) **صحيح:** البخاري: (١٦٩١)، ومسلم: (١٢٢٧).

(٣) **صحيح:** البخاري: (١٦٩٢)، ومسلم: (١٢٢٨).

مِنْهُمُ الْمُفْرِدُ وَالْقَارِنُ وَالْمُتَمَتِّعُ، وَكُلٌّ كَانَ يَأْخُذُ مِنْهُ ﷺ أَمرَ نُسُكِهِ وَيَصْدُرُ عَنْ تَعْلِيمِهِ، فَأُضِيفَ الْكُلُّ إِلَيْهِ عَلَى مَعْنَى أَنَّهُ أَمَرَ بِهَا وَأَذِنَ فِيهَا، وَيَجُوزُ فِي لُغَةِ العَرَبِ إِضَافَةُ الفِعْلِ إِلَى الْآمِرِ بِهِ، كَمَا يَجُوزُ إِضَافَتُهُ إِلَى الْفَاعِلِ لَهُ، كَمَا يُقَالُ: (بَنَى فُلَانٌ دَارًا) وَأُرِيدَ أَنَّهُ أَمَرَ بِبِنَائِهَا، وَكَمَا رُوِيَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَجَمَ مَاعِزًا[(١)]، وَإِنَّمَا أَمَرَ بِرَجْمِهِ، وَاخْتَارَ الشَّافِعِيُّ الْإِفْرَادَ؛ لِرِوَايَةِ جَابِرٍ وَعَائِشَةَ وَابْنِ عُمَرَ، وَقَدَّمَهَا عَلَى رِوَايَةِ غَيْرِهِمْ؛ لِتَقَدُّمِ صُحْبَةِ جَابِرٍ لِلنَّبِيِّ ﷺ، وَحَسَّنَ سِيَاقَهُ لِابْتِدَاءِ قِصَّةِ حَجَّةِ الْوَدَاعِ وَآخِرِهَا، وَلِفَضْلِ حِفْظِ عَائِشَةَ، وَقُرْبِ ابْنِ عُمَرَ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ، وَمَالَ الشَّافِعِيُّ فِي "اخْتِلَافِ الحَدِيثِ" إِلَى التَّمَتُّعِ، وَقَالَ: لَيْسَ شَيْءٌ مِنَ الاخْتِلَافِ أَيْسَرَ مِنْ هَذَا، وَإِنْ كَانَ الْغَلَطُ فِيهِ قَبِيحًا مِنْ جِهَةِ أَنَّهُ مُبَاحٌ؛ لِأَنَّ الْكِتَابَ ثُمَّ السُّنَّةَ ثُمَّ مَا لَا أَعْلَمُ فِيهِ خِلَافًا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ التَّمَتُّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ وَإِفْرَادَ الْحَجِّ وَالْقِرَانَ وَاسِعٌ كُلُّهُ، وَقَالَ: مَنْ قَالَ إِنَّهُ أَفْرَدَ الْحَجَّ يُشْبِهُ أَنْ يَكُونَ قَالَهُ عَلَى مَا لَا يَعْرِفُ مِنْ أَهْلِ العِلْمِ الَّذِينَ أَدْرَكُوا دَوْرَ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّ أَحَدًا لَا يَكُونُ مُقِيمًا عَلَى الْحَجِّ إِلَّا وَقَدِ ابْتَدَأَ إِحْرَامَهُ بِالْحَجِّ.

قَالَ الشَّيْخُ الإِمَامُ رَحِمَهُ اللهُ: وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ كَانَ مُتَمَتِّعًا أَنَّ الرِّوَايَةَ عَنِ ابْنِ عُمَرَ وَعَائِشَةَ مُتَعَارِضَةٌ، وَقَدْ رُوِّينَا عَنِ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ سَالِمٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: تَمَتَّعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ[(٢)]، وَقَالَ ابْنُ شِهَابٍ عَنْ عُرْوَةَ: أَنَّ عَائِشَةَ أَخْبَرَتْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي تَمَتُّعِهِ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الحَجِّ، فَتَمَتَّعَ النَّاسُ مَعَهُ بِمِثْلِ الَّذِي أَخْبَرَنِي سَالِمٌ عَنِ ابْنِ عُمَرَ[(٣)]، وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**هَذِهِ عُمْرَةٌ اسْتَمْتَعْنَا بِهَا**»[(٤)]، وَقَالَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ فِي الْمُتْعَةِ: صَنَعَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَصَنَعْنَاهَا مَعَهُ[(٥)].

---

(١) **صحيح:** البخاري: (٦٨٢٤)، ومسلم: (١٦٩٣) عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما.

(٢) تقدَّم تخريجه.

(٣) تقدَّم تخريجه.

(٤) **صحيح:** مسلم: (١٢١٤).

(٥) **حسن:** أحمد: (١٥٠٣) وحسَّنه ط: (الرسالة).

قَالَ الشَّيْخُ الْإِمَامُ: وَمَا رُوِيَ عَنْ جَابِرٍ أَنَّهُ قَالَ: خَرَجْنَا لَا نَنْوِي إِلَّا الْحَجَّ، لَا يُنَافِي التَّمَتُّعَ؛ لِأَنَّ خُرُوجَهُمْ كَانَ لِقَصْدِ الْحَجِّ، ثُمَّ مِنْهُمْ مَنْ قَدَّمَ الْعُمْرَةَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَهَلَّ بِالْحَجِّ إِلَى أَنْ أَمَرَهُ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يَجْعَلَهُ مُتْعَةً.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ﴾: اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي الإِحْصَارِ الَّذِي يُبِيحُ لِلْمُحْرِمِ التَّحَلُّلَ مِنْ إِحْرَامِهِ: فَذَهَبَ جَمَاعَةٌ: إِلَى أَنَّ كُلَّ مَانِعٍ يَمْنَعُهُ عَنِ الوُصُولِ إِلَى البَيْتِ الحَرَامِ وَالْمُضِيِّ فِي إِحْرَامِهِ مِنْ عَدُوٍّ أَوْ مَرَضٍ أَوْ جُرْحٍ أَوْ ذَهَابِ نَفَقَةٍ أَوْ إِضْلَالِ رَاحِلَةٍ يُبِيحُ لَهُ التَّحَلُّلَ، وَبِهِ قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ، وَهُوَ قَوْلُ إِبْرَاهِيمَ النَّخَعِيِّ وَالْحَسَنِ وَمُجَاهِدٍ وَعَطَاءٍ وَقَتَادَةَ وَعُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، وَإِلَيْهِ ذَهَبَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ وَأَهْلُ الْعِرَاقِ، وَقَالُوا: إِنَّ الْإِحْصَارَ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ هُوَ: حَبْسُ الْعِلَّةِ أَوِ المَرَضِ، **وَقَالَ الْكِسَائِيُّ وَأَبُو عُبَيْدَةَ:** مَا كَانَ مِنْ مَرَضٍ أَوْ ذَهَابِ نَفَقَةٍ، يُقَالُ: (مِنْهُ أُحْصِرَ فَهُوَ مُحْصَرٌ) وَمَا كَانَ مِنْ حَبْسِ عَدُوٍّ أَوْ سِجْنٍ يُقَالُ: (حُصِرَ فَهُوَ مَحْصُورٌ)، وَإِنَّمَا جُعِلَ هَاهُنَا حَبْس الْعَدُوِّ إِحْصَارًا قِيَاسًا عَلَى المَرَضِ إِذْ كَانَ فِي مَعْنَاهُ، وَاحْتَجُّوا بِمَا رُوِيَ عَنْ عِكْرِمَةَ **عَنِ الحَجَّاجِ بْنِ عَمْرٍو الْأَنْصَارِيِّ** قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«مَنْ كُسِرَ أَوْ عَرِجَ فَقَدْ حَلَّ وَعَلَيْهِ الحَجُّ مِنْ قَابِلٍ»**، قَالَ عِكْرِمَةُ: فَسَأَلْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ وَأَبَا هُرَيْرَةَ فَقَالَا: صَدَقَ[(١)].

وَذَهَبَ جَمَاعَةٌ: إِلَى أَنَّهُ لَا يُبَاحُ لَهُ التَّحَلُّلُ إِلَّا بِحَبْسِ الْعَدُوِّ، وَهُوَ قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ وَقَالَ: لَا حَصْرَ إِلَّا حَصْر الْعَدُوِّ[(٢)]، وَرُوِيَ مَعْنَاهُ عَنِ ابْنِ عُمَرَ وَعَبْدِ اللهِ بْنِ الزُّبَيْرِ، وَهُوَ قَوْلُ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ وَسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، وَإِلَيْهِ ذَهَبَ الشَّافِعِيُّ وَأَحْمَدُ وَإِسْحَاقُ، وَقَالُوا: الْحَصْرُ وَالْإِحْصَارُ بِمَعْنًى وَاحِدٍ، وَقَالَ ثَعْلَبٌ: تَقُولُ الْعَرَبُ: (حَصَرْتُ الرَّجُلَ عَنْ حَاجَتِهِ) فَهُوَ مَحْصُورٌ، وَ(أَحْصَرَهُ الْعَدُوُّ) إِذَا مَنَعَهُ عَنِ السَّيْرِ فَهُوَ مُحْصَرٌ،

(١) **صحيح:** صحَّحه العلَّامة الألباني رَحِمَهُ اللهُ في "صحيح وضعيف سنن الترمذي" (٩٤٠).

(٢) **صحيح:** أخرجه الشافعي رَحِمَهُ اللهُ في "مسنده" ص(٣٦٧)، من طريق: سفيان بن عيينة، عن ابن طاوس، عن أبيه، عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، وعن عمرو بن دينار، عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، والبيهقي رَحِمَهُ اللهُ في "الصغير" برقم: (١٧٦٤)، وسنده صحيح.

وَاحْتَجُّوا بِأَنَّ نُزُولَ هَذِهِ الْآيَةِ فِي قِصَّةِ الحُدَيبِيةِ وَكَانَ ذَلِكَ حَبْسًا مِنْ جِهَةِ الْعَدُوِّ، وَيَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى فِي سِيَاقِ الْآيَةِ: ﴿فَإِذَآ أَمِنتُمْ﴾، وَالْأَمْنُ يَكُونُ مِنَ الْخَوْفِ، وَضَعَّفُوا حَدِيثَ الْحَجَّاجِ بْنِ عَمْرٍو بِمَا ثَبَتَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ: لَا حَصْرَ إِلَّا حَصْرُ الْعَدُوِّ، وَتَأَوَّلَهُ بَعْضُهُمْ عَلَى أَنَّهُ إِنَّمَا يَحِلُّ بِالْكَسْرِ وَالْعَرَجِ إِذَا كَانَ قَدْ شَرَطَ ذَلِكَ فِي عَقْدِ الإِحْرَامِ، كَمَا رُوِيَ أَنَّ **ضُبَاعَةَ بِنْتَ الزُّبَيْرِ** كَانَتْ وَجِعَةً، فَقَالَ لَهَا النَّبِيُّ ﷺ: «**حُجِّي وَاشْتَرِطِي وَقُولِي: اللَّهُمَّ مَحِلِّي حَيْثُ حَبَسْتَنِي**»[(١)].

ثُمَّ الْمُحْصَرُ يَتَحَلَّلُ بِذَبْحِ الهَدْيِ وَحَلْقِ الرَّأْسِ، وَالهَدْيُ شَاةٌ، وَهُوَ الْمُرَادُ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ﴾، وَمَحِلُّ ذَبْحِهِ حَيْثُ أُحْصِرَ عِنْدَ أَكْثَرِ أَهْلِ الْعِلْمِ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ ذَبَحَ الْهَدْيَ عَامَ الْحُدَيْبِيَةِ بِهَا، **وَذَهَبَ قَوْمٌ** إِلَى أَنَّ الْمُحْصَرَ يُقِيمُ عَلَى إِحْرَامِهِ، وَيَبْعَثُ بِهَدْيِهِ إِلَى الْحَرَمِ وَيُوَاعِدُ مَنْ يَذْبَحُهُ هُنَاكَ ثُمَّ يَحِلُّ، وَهُوَ قَوْلُ أَهْلِ الْعِرَاقِ.

وَاخْتَلَفَ الْقَوْلُ فِي الْمُحْصَرِ إِذَا لَمْ يَجِدْ هَدْيًا: فَفِي قَوْلٍ: لَا بَدَلَ لَهُ فَيَتَحَلَّلُ وَالْهَدْيُ فِي ذِمَّتِهِ إِلَى أَنْ يَجِدَهُ. **وَالْقَوْلُ الثَّانِي**: لَهُ بَدَلٌ، فَعَلَى هَذَا اخْتَلَفَ الْقَوْلُ فِيهِ **فَفِي قَوْلٍ**: عَلَيْهِ صَوْمُ التَّمَتُّعِ. **وَفِي قَوْلٍ**: تُقَوَّمُ الشَّاةُ بِدَرَاهِمَ وَيَجْعَلُ الدَّرَاهِمَ طَعَامًا فَيَتَصَدَّقُ بِهِ، فَإِنْ عَجَزَ عَنِ الْإِطْعَامِ صَامَ عَنْ كُلِّ مُدٍّ مِنَ الطَّعَامِ يَوْمًا كَمَا فِي فِدْيَةِ الطِّيبِ وَاللُّبْسِ؛ فَإِنَّ الْمُحْرِمَ إِذَا احْتَاجَ إِلَى سَتْرِ رَأْسِهِ لِحَرٍّ أَوْ بَرْدٍ أَوْ إِلَى لُبْسِ قَمِيصٍ أَوْ مَرَضٍ فَاحْتَاجَ إِلَى مُدَاوَاتِهِ بِدَوَاءٍ فِيهِ طِيبٌ، فَعَلَ وَعَلَيْهِ الْفِدْيَةُ، وَفِدْيَتُهُ عَلَى التَّرْتِيبِ وَالتَّعْدِيلِ، فَعَلَيْهِ ذَبْحُ شَاةٍ، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ يُقَوِّمُ الشَّاةَ بِدَرَاهِمَ، وَالدَّرَاهِمُ يَشْتَرِي بِهَا طَعَامًا فَيَتَصَدَّقُ بِهِ، فَإِنْ عَجَزَ صَامَ عَنْ كُلِّ مُدٍّ يَوْمًا.

ثُمَّ الْمُحْصَرُ إِنْ كَانَ إِحْرَامُهُ بِفَرْضٍ قَدِ اسْتَقَرَّ عَلَيْهِ فَذَلِكَ الفَرْضُ فِي ذِمَّتِهِ، وَإِنْ كَانَ بِحَجٍّ تَطَوُّعٍ فَهَلْ عَلَيْهِ الْقَضَاءُ؟ **اخْتَلَفُوا فِيهِ: فَذَهَبَ جَمَاعَةٌ** إِلَى أَنَّهُ لَا قَضَاءَ عَلَيْهِ،

---

(١) **صحيح:** البخاري: (٥٠٨٩)، ومسلم: (١٢٠٧).

وَهُوَ قَوْلُ مَالِكٍ وَالشَّافِعِيِّ. **وَذَهَبَ قَوْمٌ** إِلَى أَنَّ عَلَيْهِ الْقَضَاءَ، وَهُوَ قَوْلُ مُجَاهِدٍ وَالشَّعْبِيِّ وَالنَّخَعِيِّ وَأَصْحَابِ الرَّأْيِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ﴾: أَيْ: فَعَلَيْهِ مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْهَدْيِ، وَمَحَلُّهُ رَفْعٌ، **وَقِيلَ**: (مَا) فِي مَحَلِّ النَّصْبِ، أَيْ: فَاهْدِ مَا اسْتَيْسَرَ، **وَالْهَدْيُ**: جَمْعُ (هَدِيَّةٍ)، وَهِيَ اسْمٌ لِكُلِّ مَا يُهْدَى إِلَى بَيْتِ اللهِ تَقَرُّبًا إِلَيْهِ، وَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ شَاةٌ، **قَالَهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَابْنُ عَبَّاسٍ**؛ لِأَنَّهُ أَقْرَبُ إِلَى الْيُسْرِ. **وَقَالَ الْحَسَنُ وَقَتَادَةُ**: أَعْلَاهُ بَدَنَةٌ، وَأَوْسَطُهُ بَقَرَةٌ، وَأَدْنَاهُ شَاةٌ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَحْلِقُوا۟ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْىُ مَحِلَّهُۥ﴾: **اخْتَلَفُوا فِي الْمَحِلِّ الَّذِي يَحِلُّ الْمُحْصَرُ بِبُلُوغِ هَدْيِهِ إِلَيْهِ: فَقَالَ بَعْضُهُمْ**: هُوَ ذَبْحُهُ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي أُحْصِرَ فِيهِ سَوَاءٌ كَانَ فِي الْحِلِّ أَوْ فِي الْحَرَمِ، وَمَعْنَى ﴿مَحِلَّهُۥ﴾: حَيْثُ يَحِلُّ ذَبْحُهُ وَأَكْلُهُ فِيهِ.

عَنِ الْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ فِي قِصَّةِ الْحُدَيْبِيَةِ، قَالَ: فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ قَضِيَّةِ الْكِتَابِ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِأَصْحَابِهِ: «**قُومُوا فَانْحَرُوا ثُمَّ احْلِقُوا**»، فَوَاللهِ مَا قَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ حَتَّى قَالَ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَلَمَّا لَمْ يَقُمْ مِنْهُمْ أَحَدٌ دَخَلَ عَلَى أُمِّ سَلَمَةَ فَذَكَرَ لَهَا مَا لَقِيَ مِنَ النَّاسِ، فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: يَا نَبِيَّ اللهِ أَتُحِبُّ ذَلِكَ! اخْرُجْ ثُمَّ لَا تُكَلِّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ كَلِمَةً حَتَّى تَنْحَرَ بُدْنَكَ وَتَدْعُوَ حَالِقَكَ فَيَحْلِقَكَ، فَخَرَجَ فَلَمْ يُكَلِّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ حَتَّى فَعَلَ ذَلِكَ وَنَحَرَ بَدَنَهُ وَدَعَا حَالِقَهُ فَحَلَقَهُ، فَلَمَّا رَأَوْا ذَلِكَ قَامُوا فَنَحَرُوا، وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَحْلِقُ بَعْضًا حَتَّى كَادَ بَعْضُهُمْ يَقْتُلُ بَعْضًا غَمًّا[(١)].

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: مَحِلُّ هَدْيِ الْمُحْصَرِ الْحَرَمُ، فَإِنْ كَانَ حَاجًّا فَمَحِلُّهُ يَوْمُ النَّحْرِ وَإِنْ كَانَ مُعْتَمِرًا فَمَحِلُّهُ يَوْمَ يَبْلُغُ هَدْيُهُ الْحَرَمَ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ﴾: مَعْنَاهُ: لَا تَحْلِقُوا رُؤُوسَكُمْ فِي حَالِ الْإِحْرَامِ إِلَّا أَنْ تَضْطَرُّوا إِلَى حَلْقِهِ لِمَرَضٍ أَوْ لِأَذًى فِي الرَّأْسِ مِنْ هَوَامٍّ أَوْ

(١) **صحيح**: البخاري: (٢٧٣١).

صُدَاعٍ، ﴿فَفِدۡيَةٞ﴾: فِيهِ إِضْمَارٌ، أَيْ: فَحَلَقَ فَعَلَيْهِ فِدْيَةٌ، نَزَلَتْ فِي كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ[١].

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى، **عَنْ كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ** رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ رَآهُ وَقَمْلُهُ يَسْقُطُ عَلَى وَجْهِهِ، فَقَالَ: «**أَيُؤْذِيكَ هَوَامُّكَ**»؟ قَالَ: نَعَمْ، فَأَمَرَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ يَحْلِقَ وَهُوَ بِالْحُدَيْبِيَةِ، وَلَمْ يُبَيِّنْ لَهُمْ أَنَّهُمْ يُحِلُّونَ بِهَا، وَهُمْ عَلَى طَمَعٍ أَنْ يَدْخُلُوا مَكَّةَ فَأَنْزَلَ اللهُ الْفِدْيَةَ، فَأَمَرَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ يُطْعِمَ فَرَقًا بَيْنَ سِتَّةِ مَسَاكِينَ، أَوْ يُهْدِيَ شَاةً، أَوْ يَصُومَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ[٢].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَفِدۡيَةٞ مِّن صِيَامٍ﴾: أَيْ: ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ﴿أَوۡ صَدَقَةٍ﴾: أَيْ: ثَلَاثَةِ آصُعٍ عَلَى سِتَّةِ مَسَاكِينَ لِكُلِّ مِسْكِينٍ نِصْفُ صَاعٍ، ﴿أَوۡ نُسُكٖۚ﴾: وَاحِدَتُهَا نَسِيكَةٌ، أَيْ: ذَبِيحَةٌ، أَعْلَاهَا بَدَنَةٌ، وَأَوْسَطُهَا بَقَرَةٌ، وَأَدْنَاهَا شَاةٌ، أَيَّتُهَا شَاءَ ذَبَحَ، فَهَذِهِ الْفِدْيَةُ عَلَى التَّخْيِيرِ وَالتَّقْدِيرِ، وَيَتَخَيَّرُ بَيْنَ أَنْ يَذْبَحَ أَوْ يَصُومَ أَوْ يَتَصَدَّقَ، وَكُلُّ هَدْيٍ أَوْ طَعَامٍ يَلْزَمُ الْمُحْرِمَ يَكُونُ بِمَكَّةَ وَيَتَصَدَّقُ بِهِ عَلَى مَسَاكِينِ الْحَرَمِ، إِلَّا هَدْيًا يَلْزَمُ الْمُحْصَرَ فَإِنَّهُ يَذْبَحُهُ حَيْثُ أُحْصِرَ، أَمَّا الصَّوْمُ فَلَهُ أَنْ يَصُومَ حَيْثُ شَاءَ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَإِذَآ أَمِنتُمۡ﴾: أَيْ: مِنْ خَوْفِكُمْ وَبَرَأْتُمْ مِنْ مَرَضِكُمْ، ﴿فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلۡعُمۡرَةِ إِلَى ٱلۡحَجِّ فَمَا ٱسۡتَيۡسَرَ مِنَ ٱلۡهَدۡيِۚ﴾: **اخْتَلَفُوا فِي هَذِهِ الْمُتْعَةِ:** فَذَهَبَ عَبْدُ اللهِ بْنُ الزُّبَيْرِ إِلَى أَنَّ مَعْنَاهُ: فَمَنْ أُحْصِرَ حَتَّى فَاتَهُ الْحَجُّ وَلَمْ يَتَحَلَّلْ فَقَدِمَ مَكَّةَ خَرَجَ مِنْ إِحْرَامِهِ بِعَمَلِ عُمْرَةٍ وَاسْتَمْتَعَ بِإِحْلَالِهِ ذَلِكَ بِتِلْكَ الْعُمْرَةِ إِلَى السَّنَةِ الْمُقْبِلَةِ ثُمَّ حَجَّ، فَيَكُونُ مُتَمَتِّعًا بِذَلِكَ الْإِحْلَالِ إِلَى إِحْرَامِهِ الثَّانِي فِي الْعَامِ الْقَابِلِ. **وَقَالَ بَعْضُهُمْ:** مَعْنَاهُ: فَإِذَا أَمِنْتُمْ

---

(١) قال العلَّامة الإمامُ مقبلُ بن هادي الوادعي رحمه الله: **قَالَ الإِمَامُ البُخَارِيُّ** رحمه الله في «صحيحه» (ج٤ ص٣٨٧): حدَّثنَا أبو نُعيم حدَّثنَا سَيْفٌ قال: حدَّثني مُجَاهِد قال: سَمِعْتُ عبدَ الرحمَنِ بن أَبِي لَيْلَى أنَّ **كَعْبَ بنَ عُجْرَةَ** حدَّثَه قال: وقفتُ على رسول الله ﷺ بالحديْبِيَة ورَأْسِي يتهَافَتُ قَمْلًا، فقال: «**يُؤْذِيكَ هَوَامُّكَ؟**» قلتُ: نَعَمْ، قال: «**فَاحْلِقْ رَأْسَكَ**» أو قالَ: «**احْلِقْ**» قال: فيَّ نزلَتْ هـذِهِ الآية: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ بِهِۦٓ أَذٗى مِّن رَّأۡسِهِۦ﴾ إلى آخِرِهَا، فقال النبيُّ ﷺ: «**صُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، أَوْ تَصَدَّقْ بِفَرَقٍ بَيْنَ سِتَّةٍ، أَوِ انْسُكْ بِمَا تَيَسَّرَ**».اهـ «الصحيح المسند من أسباب النزول» (٣٥-٣٦).

(٢) **صحيح:** البخاري: (١٨١٧)، ومسلم: (١٢٠١).

وَقَدْ حَلَلْتُمْ مِنْ إِحْرَامِكُمْ بَعْدَ الْإِحْصَارِ وَلَمْ تَقْضُوا عُمْرَةً وَأَخَّرْتُمُ الْعُمْرَةَ إِلَى السَّنَةِ الْقَابِلَةِ فَاعْتَمَرْتُمْ فِي أَشْهُرِ الْحَجِّ ثُمَّ حَلَلْتُمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِإِحْلَالِكُمْ إِلَى الْحَجِّ ثُمَّ أَحْرَمْتُمْ بِالْحَجِّ، فَعَلَيْكُمْ مَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ، وَهُوَ قَوْلُ عَلْقَمَةَ وَإِبْرَاهِيمَ النَّخَعِيِّ وَسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ. **وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَعَطَاءٌ وَجَمَاعَةٌ**: هُوَ الرَّجُلُ يَقْدمُ مُعْتَمِرًا مِنْ أُفُقٍ مِنَ الْآفَاقِ فِي أَشْهُرِ الْحَجِّ، فَقَضَى عُمْرَتَهُ وَأَقَامَ حَلَالًا بِمَكَّةَ حَتَّى أَنْشَأَ مِنْهَا الْحَجَّ، فَحَجَّ مِنْ عَامِهِ ذَلِكَ فَيَكُونُ مُسْتَمْتِعًا بِالْإِحْلَالِ مِنَ الْعُمْرَةِ إِلَى إِحْرَامِهِ بِالْحَجِّ، فَمَعْنَى التَّمَتُّعِ: هُوَ الِاسْتِمْتَاعُ بَعْدَ الْخُرُوجِ مِنَ الْعُمْرَةِ بِمَا كَانَ مَحْظُورًا عَلَيْهِ فِي الْإِحْرَامِ إِلَى إِحْرَامِهِ بِالْحَجِّ.

وَلِوُجُوبِ دَمِ التَّمَتُّعِ أَرْبَعُ شَرَائِطَ: **أَحَدُهَا**: أَنْ يُحْرِمَ بِالْعُمْرَةِ فِي أَشْهُرِ الْحَجِّ، **وَالثَّانِي**: أَنْ يَحُجَّ بَعْدَ الْفَرَاغِ مِنَ الْعُمْرَةِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ، **وَالثَّالِثُ**: أَنْ يُحْرِمَ بِالْحَجِّ فِي مَكَّةَ وَلَا يَعُود إِلَى الْمِيقَاتِ لِإِحْرَامِهِ، **وَالرَّابِعُ**: أَنْ يَكُونَ مِنْ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، فَمَتَى وُجِدَتْ هَذِهِ الشَّرَائِطُ فَعَلَيْهِ مَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ، وَهُوَ دَمُ شَاةٍ يَذْبَحُهَا يَوْمَ النَّحْرِ، فَلَوْ ذَبَحَهَا قَبْلَهُ بَعْدَ مَا أَحْرَمَ بِالْحَجِّ يَجُوزُ عِنْدَ بَعْضِ أَهْلِ الْعِلْمِ كَدِمَاءِ الْجِنَايَاتِ، وَذَهَبَ بَعْضُهُمْ إِلَى أَنَّهُ لَا يَجُوزُ قَبْلَ يَوْمِ النَّحْرِ كَدَمِ الْأُضْحِيَةِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ﴾: الهَدْيَ ﴿فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ﴾: أَيْ: صُومُوا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، يَصُومُ يَوْمًا قَبْلَ التَّرْوِيَةِ، وَيَوْمَ التَّرْوِيَةِ، وَيَوْمَ عَرَفَةَ، وَلَوْ صَامَ قَبْلَهُ بَعْدَ مَا أَحْرَمَ بِالحَجِّ جَازَ، وَلَا يَجُوزُ يَوْمَ النَّحْرِ وَلَا أَيَّامَ التَّشْرِيقِ عِنْدَ أَكْثَرِ أَهْلِ الْعِلْمِ، وَذَهَبَ بَعْضُهُمْ إِلَى جَوَازِ صَوْمِ الثَّلَاثَةِ فِي أَيَّامَ التَّشْرِيقِ، يُرْوَى ذَلِكَ عَنْ عَائِشَةَ وَابْنِ عُمَرَ وَابْنِ الزُّبَيْرِ، وَهُوَ قَوْلُ مَالِكٍ وَالْأَوْزَاعِيِّ وَأَحْمَدَ وَإِسْحَاقَ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ﴾: أَيْ: صُومُوا سَبْعَةَ أَيَّامٍ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَى أَهْلِيكُمْ وَبَلَدِكُمْ، فَلَوْ صَامَ السَّبْعَةَ قَبْلَ الرُّجُوعِ إِلَى أَهْلِهِ لَا يَجُوزُ، وَهُوَ قَوْلُ أَكْثَرِ أَهْلِ الْعِلْمِ، رُوِيَ ذَلِكَ عَنِ ابْنِ عُمَرَ وَابْنِ عَبَّاسٍ. **وَقِيلَ**: يَجُوزُ أَنْ يَصُومَهَا بَعْدَ الْفَرَاغِ مِنْ أَعْمَالِ الْحَجِّ، وَهُوَ الْمُرَادُ مِنَ الرُّجُوعِ الْمَذْكُورِ فِي الْآيَةِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿تِلۡكَ عَشَرَةٞ كَامِلَةٞۗ﴾: ذَكَرَهَا عَلَى وَجْهِ التَّأْكِيدِ، وَهَذَا لِأَنَّ الْعَرَبَ مَا كَانُوا يَهْتَدُونَ إِلَى الْحِسَابِ فَكَانُوا يَحْتَاجُونَ إِلَى فَضْلِ شَرْحٍ وَزِيَادَةِ بَيَانٍ، **وَقِيلَ**: فِيهِ تَقْدِيمٌ وَتَأْخِيرٌ، يَعْنِي: فَصِيَامُ عَشَرَةِ أَيَّامٍ، ثَلَاثَةٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ، فَهِيَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ. **وَقِيلَ**: كَامِلَةٌ فِي الثَّوَابِ وَالْأَجْرِ. **وَقِيلَ**: كَامِلَةٌ فِيمَا أُرِيدَ بِهِ مِنْ إِقَامَةِ الصَّوْمِ بَدَلَ الْهَدْيِ. **وَقِيلَ**: كَامِلَةٌ بِشُرُوطِهَا وَحُدُودِهَا. **وَقِيلَ**: لَفْظُهُ خَبَرٌ وَمَعْنَاهُ أَمْرٌ، أَيْ: فَأَكْمِلُوهَا وَلَا تَنْقُصُوهَا، ﴿ذَٰلِكَ﴾: أَيْ: هَذَا الْحُكْمُ ﴿لِمَن لَّمۡ يَكُنۡ أَهۡلُهُۥ حَاضِرِي ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ﴾: **وَاخْتَلَفُوا فِي حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ: فَذَهَبَ قَوْمٌ**: إِلَى أَنَّهُمْ أَهْلُ مَكَّةَ، وَهُوَ قَوْلُ مَالِكٍ. **وَقِيلَ**: هُمْ أَهْلُ الحَرَمِ، وَبِهِ قَالَ طَاوُسٌ مِنَ التَّابِعِينَ. **وَقَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ**: أَهْلُ عَرَفَةَ وَالرَّجِيعِ وَضَجْنَانَ وَنَخْلَتَانِ. **وَقَالَ الشَّافِعِيُّ** رَحِمَهُ اللَّهُ: كُلُّ مَنْ كَانَ وَطَنُهُ مِنْ مَكَّةَ عَلَى أَقَلِّ مِنْ مَسَافَةِ الْقَصْرِ، فَهُوَ مِنْ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ. **وَقَالَ عِكْرِمَةُ**: هُمْ مَنْ دُونَ الْمِيقَاتِ. **وَقِيلَ**: هُمْ أَهْلُ الْمِيقَاتِ فَمَا دُونَهُ، وَهُوَ قَوْلُ أَصْحَابِ الرَّأْيِ.

وَدَمُ الْقِرَانِ كَدَمِ التَّمَتُّعِ، وَالْمَكِّيُّ إِذَا قَرَنَ أَوْ تَمَتَّعَ فَلَا هَدْيَ عَلَيْهِ، **قَالَ عِكْرِمَةُ**: **سُئِلَ ابْنُ عَبَّاسٍ** عَنْ مُتْعَةِ الْحَجِّ، فَقَالَ: أَهَلَّ الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ وَأَزْوَاجُ النَّبِيِّ ﷺ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ، وَأَهْلَلْنَا فَلَمَّا قَدِمْنَا مَكَّةَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**اجْعَلُوا إِهْلَالَكُمْ بِالحَجِّ عُمْرَةً إِلَّا مَنْ قَلَّدَ الهَدْيَ**»، فَطُفْنَا بِالْبَيْتِ وَبِالصَّفَا وَالْمَرْوَةِ، وَأَتَيْنَا النِّسَاءَ وَلَبِسْنَا الثِّيَابَ، ثُمَّ أَمَرَنَا عَشِيَّةَ التَّرْوِيَةِ أَنْ نُهِلَّ بِالْحَجِّ فَإِذَا فَرَغْنَا فَقَدْ تَمَّ حَجُّنَا وَعَلَيْنَا الْهَدْيُ، فَجَمَعُوا بَيْنَ نُسُكَيْنِ فِي عَامٍ، بَيْنَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ، فَإِنَّ اللهَ أَنْزَلَهُ فِي كِتَابِهِ وَسَنَّهُ نَبِيُّهُ، وَأَبَاحَهُ لِلنَّاسِ غَيْرَ أَهْلِ مَكَّةَ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ذَٰلِكَ لِمَن لَّمۡ يَكُنۡ أَهۡلُهُۥ حَاضِرِي ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ﴾[1].

(١) **صحيح:** قال العلَّامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه "حجة النَّبي" (١/ ٨٧): أخرجه البخاري تعليقًا مجزومًا، ورواه مسلم خارج صحيحه موصولًا، وكذا الإسماعيليُّ في "مستخرجه" ومن طريقه البيهقي في "سننه" (٥/ ٢٣)، وإسناده صحيح رجالُهُ رجال الصحيح.اهـ

وَمَنْ فَاتَهُ الحَجُّ -وَفَوَاتُهُ يَكُونُ بِفَوَاتِ الْوُقُوفِ بِعَرَفَةَ حَتَّى يَطْلُعَ الْفَجْرُ يَوْمَ النَّحْرِ- فَإِنَّهُ يَتَحَلَّلُ بِعَمَلِ الْعُمْرَةِ، وَعَلَيْهِ الْقَضَاءُ مِنْ قَابِلٍ، وَالْفِدْيَةُ وَهِيَ عَلَى التَّرْتِيبِ وَالتَّقْدِيرِ كَفِدْيَةِ التَّمَتُّعِ وَالْقِرَانِ. ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾: فِي أَدَاءِ الْأَوَامِرِ ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾: عَلَى ارْتِكَابِ المَنَاهِي.

﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ﴾: أَيْ: وَقْتُ الحَجِّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ، وَهِيَ: شَوَّالٌ وَذُو الْقِعْدَةِ وَتِسْعٌ مِنْ ذِي الحِجَّةِ إِلَى طُلُوعِ الْفَجْرِ مِنْ يَوْمِ النَّحْرِ، **وَيُرْوَى عَنِ ابْنِ عُمَرَ:** شَوَّالٌ وَذُو الْقِعْدَةِ وَعَشْرٌ مِنْ ذِي الحِجَّةِ[(١)] وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنَ اللَّفْظَيْنِ صَحِيحٌ غَيْرُ مُخْتَلَفٍ فِيهِ، **فَمَنْ قَالَ عَشْرٌ:** عَبَّرَ بِهِ عَنِ اللَّيَالِي، **وَمَنْ قَالَ تِسْعٌ:** عَبَّرَ بِهِ عَنِ الْأَيَّامِ؛ فَإِنَّ آخِرَ أَيَّامِهَا يَوْمُ عَرَفَةَ وَهُوَ اليَوْمُ التَّاسِعُ، وَإِنَّمَا قَالَ: ﴿أَشْهُرٌ﴾ بِلَفْظِ الجَمْعِ وَهِيَ شَهْرَانِ وَبَعْضُ الثَّالِثِ؛ لِأَنَّهَا وَقْتٌ، وَالْعَرَبُ تُسَمِّي الْوَقْتَ تَامًّا بِقَلِيلِهِ وَكَثِيرِهِ، فَتَقُولُ: (أَتَيْتُكَ يَومَ الخَمِيسِ)، وَإِنَّمَا أَتَاهُ فِي سَاعَةٍ مِنْهُ، وَتَقُولُ: (زُرْتُكَ الْعَامَ)، وَإِنَّمَا زَارَهُ فِي بَعْضِهِ. **وَقِيلَ:** الاِثْنَانِ فَمَا فَوْقَهُمَا جَمَاعَةٌ؛ لِأَنَّ مَعْنَى الجَمْعِ ضَمُّ الشَّيْءِ إِلَى الشَّيْءِ، فَإِذَا جَازَ أَنْ يُسَمَّى الاِثْنَانِ جَمَاعَةً، جَازَ أَنْ يُسَمَّى الاِثْنَانِ وَبَعْضُ الثَّالِثِ جَمَاعَةً، وَقَدْ ذَكَرَ اللهُ تَعَالَى الاِثْنَيْنِ بِلَفْظِ الجَمْعِ، فَقَالَ: ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ۖ﴾[التَّحْرِيم: ٤]، أَيْ: قَلْبَاكُمَا، **وَقَالَ عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ وَغَيْرُهُ:** أَرَادَ بِالْأَشْهُرِ: (شَوَّالًا، وَذَا الْقِعْدَةِ، وَذَا الحِجَّةِ مُكَمَّلًا)؛ لِأَنَّهُ يَبْقَى عَلَى الحَاجِّ أُمُورٌ بَعْدَ عَرَفَةَ يَجِبُ عَلَيْهِ فِعْلُهَا، مِثْلُ: الرَّمْيِ، وَالذَّبْحِ، وَالحَلْقِ، وَطَوَافِ الزِّيَارَةِ، وَالْبَيْتُوتَةِ بِمِنًى، فَكَانَتْ فِي حُكْمِ الجَمْعِ.

﴿فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ﴾: أَيْ: فَمَنْ أَوْجَبَ عَلَى نَفْسِهِ الحَجَّ بِالْإِحْرَامِ وَالتَّلْبِيَةِ، وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ مَنْ أَحْرَمَ بِالحَجِّ فِي غَيْرِ أَشْهُرِ الحَجِّ لَا يَنْعَقِدُ إِحْرَامُهُ بِالحَجِّ، وَهُوَ

---

(١) **صحيح:** أورده البخاري رَحِمَهُ اللهُ معلَّقًا في "صحيحه": (كتاب الحج): باب قول الله تعالى: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ...﴾، ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ...﴾، وصحَّحه الحافظ رَحِمَهُ اللهُ في "الفتح" (٣/ ٤٢٠).

قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ وَجَابِرٍ، وَبِهِ قَالَ عَطَاءٌ وَطَاوُسٌ وَمُجَاهِدٌ وَإِلَيْهِ ذَهَبَ الْأَوْزَاعِيُّ وَالشَّافِعِيُّ، وَقَالَ: يَنْعَقِدُ إِحْرَامُهُ بِالْعُمْرَةِ؛ لِأَنَّ اللهَ تَعَالَى خَصَّ هَذِهِ الْأَشْهُرَ بِفَرْضِ الْحَجِّ فِيهَا، فَلَوِ انْعَقَدَ فِي غَيْرِهَا لَمْ يَكُنْ لِهَذَا التَّخْصِيصِ فَائِدَةٌ، كَمَا أَنَّهُ عَلَّقَ الصَّلَوَاتِ بِالْمَوَاقِيتِ، ثُمَّ مَنْ أَحْرَمَ بِفَرْضِ الصَّلَاةِ قَبْلَ دُخُولِ وَقْتِهِ لَا يَنْعَقِدُ إِحْرَامُهُ عَنِ الْفَرْضِ **وَذَهَبَ جَمَاعَةٌ** إِلَى أَنَّهُ يَنْعَقِدُ إِحْرَامُهُ بِالْحَجِّ، وَهُوَ قَوْلُ مَالِكٍ وَالثَّوْرِيِّ وَأَبِي حَنِيفَةَ، وَأَمَّا الْعُمْرَةُ: فَجَمِيعُ أَيَّامِ السَّنَةِ لَهَا إِلَّا أَنْ يَكُونَ مُتَلَبِّسًا بِالْحَجِّ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ﴾: قَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ وَأَهْلُ الْبَصْرَةِ: **﴿فَلا رَفَثٌ وَلا فُسُوقٌ﴾** بِالرَّفْعِ وَالتَّنْوِينِ فِيهِمَا، وَقَرَأَ الْآخَرُونَ بِالنَّصْبِ مِنْ غَيْرِ تَنْوِينٍ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾، وَقَرَأَ أَبُو جَعْفَرٍ كُلَّهَا بِالرَّفْعِ وَالتَّنْوِينِ، **وَاخْتَلَفُوا فِي الرَّفَثِ، قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ وَابْنُ عَبَّاسٍ وَابْنُ عُمَرَ**: هُوَ الْجِمَاعُ، وَهُوَ قَوْلُ الْحَسَنِ وَمُجَاهِدٍ وَعَمْرِو بْنِ دِينَارٍ وَقَتَادَةَ وَعِكْرِمَةَ وَالرَّبِيعِ وَإِبْرَاهِيمَ النَّخَعِيِّ، **وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ**: الرَّفَثُ: غِشْيَانُ النِّسَاءِ وَالتَّقْبِيلُ وَالْغَمْزُ وَأَنْ يُعَرِّضَ لَهَا بِالْفُحْشِ مِنَ الْكَلَامِ، **وَقَالَ طَاوُسٌ**: الرَّفَثُ: التَّعْرِيضُ لِلنِّسَاءِ بِالْجِمَاعِ وَذِكْرُهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ، **وَقَالَ عَطَاءٌ**: الرَّفَثُ: قَوْلُ الرَّجُلِ لِلْمَرْأَةِ فِي حَالِ الْإِحْرَامِ إِذَا حَلَلْتُ أَصَبْتُكِ، **وَقِيلَ**: الرَّفَثُ الْفُحْشُ وَالْقَوْلُ الْقَبِيحُ. **أَمَّا الفُسُوقُ فَقَدْ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ** رضي الله عنهما: هُوَ الْمَعَاصِي كُلُّهَا، وَهُوَ قَوْلُ طَاوُسٍ وَالْحَسَنِ وَسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ وَقَتَادَةَ وَالزُّهْرِيِّ وَالرَّبِيعِ الْقُرَظِيِّ، **وَقَالَ ابْنُ عُمَرَ**: هُوَمَا نُهِيَ عَنْهُ الْمُحْرِمُ فِي حَالِ الْإِحْرَامِ مِنْ قَتْلِ الصَّيْدِ، وَتَقْلِيمِ الْأَظْفَارِ، وَأَخْذِ الْأَشْعَارِ، وَمَا أَشْبَهَهَا، **وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ وَعَطَاءٌ وَمُجَاهِدٌ**: هُوَ السِّبَابُ؛ بِدَلِيلِ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «**سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ وَقِتَالُهُ كُفْرٌ**»[1]، **وَقَالَ الضَّحَّاكُ**: هُوَ التَّنَابُزُ بِالْأَلْقَابِ بِدَلِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ﴾[الْحُجُرَاتِ: ١١].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**مَنْ حَجَّ للهِ فَلَمْ**

(١) **صحيح:** البخاري: (٧٠٧٦)، ومسلم: (٦٤) عن ابن مسعود رضي الله عنه.

يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ»[1].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا جِدَالَ فِي ٱلْحَجِّ﴾: قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ وَابْنُ عَبَّاسٍ: الْجِدَالُ: أَنْ يُمَارِيَ صَاحِبَهُ وَيُخَاصِمَهُ حَتَّى يُغْضِبَهُ، وَهُوَ قَوْلُ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ وَسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ وَعِكْرِمَةَ وَالزُّهْرِيِّ وَعَطَاءٍ وَقَتَادَةَ، وَقَالَ الْقَاسِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ: هُوَ أَنْ يَقُولَ بَعْضُهُمْ: الْحَجُّ الْيَوْمَ وَيَقُولَ بَعْضُهُمْ: الْحَجُّ غَدًا، وَقَالَ الْقُرَظِيُّ: كَانَتْ قُرَيْشٌ إِذَا اجْتَمَعَتْ بِمِنًى قَالَ هَؤُلَاءِ: حَجُّنَا أَتَمُّ مِنْ حَجِّكُمْ، وَقَالَ هَؤُلَاءِ: حَجُّنَا أَتَمُّ مِنْ حَجِّكُمْ، وَقِيلَ: هُوَ مَا كَانَ عَلَيْهِ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ، كَانَ بَعْضُهُمْ يَقِفُ بِعَرَفَةَ وَبَعْضُهُمْ بِالْمُزْدَلِفَةِ، وَكَانَ بَعْضُهُمْ يَحُجُّ فِي ذِي الْقِعْدَةِ وَبَعْضُهُم يَحُجُّ فِي ذِي الْحِجَّةِ، فَكُلٌّ يَقُولُ: مَا فَعَلْتُهُ هُوَ الصَّوَابُ، فَقَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿وَلَا جِدَالَ فِي ٱلْحَجِّ﴾: أَيِ: اسْتَقَرَّ أَمْرُ الْحَجِّ عَلَى مَا فَعَلَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَلَا اخْتِلَافَ فِيهِ مِنْ بَعْدُ، وَذَلِكَ مَعْنَى قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «أَلَا إِنَّ الزَّمَانَ قَدِ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ»[2]. قَالَ مُجَاهِدٌ: مَعْنَاهُ وَلَا شَكَّ فِي الْحَجِّ أَنَّهُ فِي ذِي الْحِجَّةِ، فَأُبْطِلَ النَّسِيءُ، قَالَ أَهْلُ الْمَعَانِي: ظَاهِرُ الْآيَةِ نَفْيٌ، وَمَعْنَاهَا: نَهْيٌ، أَيْ: لَا تَرْفُثُوا وَلَا تَفْسُقُوا وَلَا تُجَادِلُوا؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾[البقرة:٢]، أَيْ: لَا تَرْتَابُوا، ﴿وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ﴾: أَيْ: لَا يَخْفَى عَلَيْهِ فَيُجَازِيكُمْ بِهِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾: نَزَلَتْ فِي نَاسٍ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ كَانُوا يَخْرُجُونَ إِلَى الْحَجِّ بِغَيْرِ زَادٍ وَيَقُولُونَ: نَحْنُ مُتَوَكِّلُونَ، وَيَقُولُونَ: نَحْنُ نَحُجُّ بَيْتَ اللهِ فَلَا يُطْعِمُنَا؟ فَإِذَا قَدِمُوا مَكَّةَ سَأَلُوا النَّاسَ، وَرُبَّمَا يُفْضِي بِهِمُ الْحَالُ إِلَى النَّهْبِ وَالْغَصْبِ، فَقَالَ اللهُ ﷻ: ﴿وَتَزَوَّدُوا۟﴾: أَيْ: مَا تَتَبَلَّغُونَ بِهِ وَتَكُفُّونَ بِهِ وُجُوهَكُمْ؛ ﴿فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾: مِنَ السُّؤَالِ وَالنَّهْبِ، ﴿وَٱتَّقُونِ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾: يَا

(١) **صحيح:** البخاري: (١٥٢١)، ومسلم: (١٣٥٠).

(٢) **صحيح:** البخاري: (٣١٩٧)، ومسلم: (١٦٧٩) عن أبي بكرة رضي الله عنه.

ذَوِي الْعُقُولِ[(١)].

﴿ لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَبۡتَغُواْ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّكُمۡۚ فَإِذَآ أَفَضۡتُم مِّنۡ عَرَفَٰتٖ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلۡمَشۡعَرِ ٱلۡحَرَامِۖ وَٱذۡكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمۡ وَإِن كُنتُم مِّن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَبۡتَغُواْ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّكُمۡۚ ﴾.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: كَانَتْ عُكَاظٌ وَمَجَنَّةُ وَذُو المَجَازِ أَسْوَاقًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَلَمَّا كَانَ الْإِسْلَامُ تَأَثَّمُوا مِنَ التِّجَارَةِ فِيهَا، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُناحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فِي مَوَاسِمِ الحَجِّ﴾، قَرَأَ ابْنُ عَبَّاسٍ كَذَا[(٢)].

وَرُوِيَ عَنْ أَبِي أُمَامَةَ التَّيْمِيِّ قَالَ: قُلْتُ لِابْنِ عُمَرَ: إِنَّا قَوْمٌ نَكْرِي فِي هَذَا الْوَجْهِ، يَعْنِي: إِلَى مَكَّةَ، فَيَزْعُمُونَ أَنْ لَا حَجَّ لَنَا؟ فَقَالَ: أَلَسْتُمْ تُحْرِمُونَ كَمَا يُحْرِمُونَ وَتَطُوفُونَ كَمَا يَطُوفُونَ وَتَرْمُونَ كَمَا يَرْمُونَ؟ قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: أَنْتَ حَاجٌّ، جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ يَسْأَلُهُ عَنِ الَّذِي سَأَلْتَنِي عَنْهُ فَلَمْ يُجِبْهُ بِشَيْءٍ حَتَّى نَزَلَ جِبْرِيلُ بِهَذِهِ الْآيَةِ: ﴿ لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ ﴾[(٣)]: أَيْ: حَرَجٌ ﴿أَن تَبۡتَغُواْ فَضۡلٗا ﴾: أَيْ: رِزْقًا ﴿مِّن رَّبِّكُمۡۚ ﴾: يَعْنِي: بِالتِّجَارَةِ فِي مَوَاسِمِ الْحَجِّ، ﴿فَإِذَآ أَفَضۡتُم ﴾: دَفَعْتُمْ، وَالْإِفَاضَةُ: دَفْعٌ بِكَثْرَةٍ،

(١) قال العلَّامة الإمامُ مقبلُ بن هادي الوادعي رحمه الله: قَالَ الإِمَامُ البُخَارِيُّ رحمه الله (ج٤ ص١٢٧): حدَّثَنَا يحيى بنُ بِشْرٍ، حدَّثَنَا شَبَابَةُ، عن وَرْقَاءَ، عن عمرِو بنِ دينارٍ، عن عكرمةَ، عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: كانَ أهلُ اليَمَنِ يحُجُّونَ وَلَا يَتزوَّدُونَ ويَقُولُونَ نحنُ المُتَوكِّلُون، فإذا قَدِمُوا مكَّةَ سأَلُوا النَّاسَ فأنزل اللهُ تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰۚ ﴾.اهـ "الصحيح المسند من أسباب النزول" (٣٦).

(٢) صحيح: البخاري: (٢٠٩٨)، وأورده الإمام الوادعي رحمه الله في كتابه "الصحيح المسند من أسباب النزول" ص(٣٦). قال الحافظ رحمه الله في "الفتح" (٤/ ٢٩٠): وَقِرَاءَة ابن عَبَّاسٍ: (فِي مَوَاسِمِ الْحَجِّ) مَعْدُودَةٌ مِنَ الشَّاذِّ الَّذِي صَحَّ إِسْنَادُهُ، وَهُوَ حُجَّةٌ وَلَيْسَ بِقُرْآنٍ.اهـ

(٣) صحيح: صحَّحه الإمام الألباني رحمه الله في "صحيح وضعيف سنن أبي داود" (١٧٣٣)، وأورده العلَّامة الإمام الوادعي رحمه الله في كتابه "الصحيح المسند من أسباب النزول" ص(٣٧).

وَأَصْلُهُ مِنْ قَوْلِ الْعَرَبِ: (أَفَاضَ الرَّجُلُ مَاءَهُ)، أَيْ: صَبَّهُ، ﴿مِّنْ عَرَفَٰتٍ﴾: هِيَ جَمْعُ (عَرَفَةَ)، جَمْعٌ بِمَا حَوْلَهَا وَإِنْ كَانَتْ بُقْعَةً وَاحِدَةً، كَقَوْلِهِمْ: (ثَوْبٌ أَخْلَاقٌ).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ﴾: بِالدُّعَاءِ وَالتَّلْبِيَةِ ﴿عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ﴾: وَهُوَ مَا بَيْنَ جَبَلَي الْمُزْدَلِفَةِ مِنْ مَأْزِمَيْ عَرَفَةَ إِلَى الْمُحَسِّرِ، وَلَيْسَ الْمَأْزِمَانِ وَلَا الْمُحَسِّرُ مِنَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ، **وَسُمِّيَ مَشْعَرًا**: مِنَ الشِّعَارِ، وَهِيَ الْعَلَامَةُ؛ لِأَنَّهُ مِنْ مَعَالِمِ الْحَجِّ، **وَأَصْلُ الْحَرَامِ**: مِنَ الْمَنْعِ، فَهُوَ مَمْنُوعٌ مِنْ أَنْ يُفْعَلَ فِيهِ مَا لَمْ يُؤْذَنْ فِيهِ، **وَسُمِّيَ الْمُزْدَلِفَةُ جَمْعًا**؛ لِأَنَّهُ يُجْمَعُ فِيهِ بَيْنَ صَلَاتَيِ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ، وَالْإِفَاضَةُ مِنْ عَرَفَاتٍ تَكُونُ بَعْدَ غُرُوبِ الشَّمْسِ، وَمِنْ جَمْعٍ قَبْلَ طُلُوعِهَا مِنْ يَوْمِ النَّحْرِ.

عَنْ كُرَيْبٍ مَوْلَى عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ **عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ** أَنَّهُ سَمِعَهُ يَقُولُ: دَفَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ عَرَفَةَ حَتَّى إِذَا كَانَ بِالشِّعْبِ نَزَلَ فَبَالَ، ثُمَّ تَوَضَّأَ فَلَمْ يُسْبِغِ الْوُضُوءَ، فَقُلْتُ لَهُ: الصَّلَاةَ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: فَقَالَ: «**الصَّلَاةُ أَمَامَكَ**»، فَرَكِبَ فَلَمَّا جَاءَ الْمُزْدَلِفَةَ، نَزَلَ فَتَوَضَّأَ فَأَسْبَغَ الْوُضُوءَ، ثُمَّ أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ فَصَلَّى الْمَغْرِبَ، ثُمَّ أَنَاخَ كُلُّ إِنْسَانٍ بَعِيرَهُ فِي مَنْزِلِهِ، ثُمَّ أُقِيمَتِ الْعِشَاءُ فَصَلَّاهَا وَلَمْ يُصَلِّ بَيْنَهُمَا شَيْئًا[(١)].

وَقَالَ جَابِرٌ: دَفَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّى أَتَى الْمُزْدَلِفَةَ فَصَلَّى بِهَا الْمَغْرِبَ وَالْعِشَاءَ بِأَذَانٍ وَاحِدٍ وَإِقَامَتَيْنِ، وَلَمْ يُسَبِّحْ بَيْنَهُمَا شَيْئًا، ثُمَّ اضْطَجَعَ حَتَّى طَلَعَ الْفَجْرُ، فَصَلَّى الْفَجْرَ حِينَ تَبَيَّنَ لَهُ الصُّبْحُ بِأَذَانٍ وَإِقَامَةٍ، ثُمَّ رَكِبَ الْقَصْوَاءَ حَتَّى أَتَى الْمَشْعَرَ الْحَرَامَ فَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ وَدَعَاهُ وَكَبَّرَهُ وَهَلَّلَهُ وَوَحَّدَهُ، فَلَمْ يَزَلْ وَاقِفًا حَتَّى أَسْفَرَ جِدًّا، فَدَفَعَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ[(٢)].

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ كَانَ رِدْفَ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ عَرَفَةَ إِلَى الْمُزْدَلِفَةِ، ثُمَّ أَرْدَفَ الْفَضْلَ مِنَ الْمُزْدَلِفَةِ إِلَى مِنًى، قَالَ: فَكِلَاهُمَا قَالَ: لَمْ يَزَلِ النَّبِيُّ ﷺ

(١) **صحيح:** البخاري: (١٦٧٢)، ومسلم: (١٢٨٠).

(٢) **صحيح:** مسلم: (١٢١٨) مطوَّلًا.

يُلَبِّي حَتَّى رَمَى جَمْرَةَ الْعَقَبَةِ[(١)].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَٱذۡكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمۡ﴾: أَيْ: وَاذْكُرُوهُ بِالتَّوْحِيدِ وَالتَّعْظِيمِ كَمَا ذَكَرَكُمْ بِالْهِدَايَةِ فَهَدَاكُمْ لِدِينِهِ وَمَنَاسِكِ حَجِّهِ، ﴿وَإِن كُنتُم مِّن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾: أَيْ: وَقَدْ كُنْتُمْ، وَقِيلَ: وَمَا كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ إِلَّا مِنَ الضَّالِّينَ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾[الشُّعَرَاء:١٨٦] أَيْ: وَمَا نَظُنُّكَ إِلَّا مِنَ الْكَاذِبِينَ، وَالْهَاءُ فِي قَوْلِهِ ﴿مِّن قَبۡلِهِۦ﴾: رَاجِعَةٌ إِلَى الْهُدَى، وَقِيلَ: إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ كِنَايَةٌ عَنْ غَيْرِ مَذْكُورٍ.

﴿ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنۡ حَيۡثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنۡ حَيۡثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ﴾: قَالَ أَهْلُ التَّفْسِيرِ: كَانَتْ قُرَيْشٌ وَحُلَفَاؤُهَا وَمَنْ دَانَ بِدِينِهَا -وَهُمُ الْحُمْسُ- يَقِفُونَ بِالْمُزْدَلِفَةِ وَيَقُولُونَ: نَحْنُ أَهْلُ اللهِ وَقُطَّانُ حَرَمِهِ، فَلَا نُخَلِّفُ الْحَرَمَ وَلَا نَخْرُجُ مِنْهُ، وَيَتَعَظَّمُونَ أَنْ يَقِفُوا مَعَ سَائِرِ الْعَرَبِ بِعَرَفَاتٍ، وَسَائِرُ النَّاسِ كَانُوا يَقِفُونَ بِعَرَفَاتٍ، فَإِذَا أَفَاضَ النَّاسُ مَنْ عَرَفَاتٍ أَفَاضَ الْحُمْسُ مِنَ الْمُزْدَلِفَةِ، فَأَمَرَهُمُ اللهُ أَنْ يَقِفُوا بِعَرَفَاتٍ وَيُفِيضُوا مِنْهَا إِلَى جَمْعٍ مَعَ سَائِرِ النَّاسِ، وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّهُ سُنَّةُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ[(٢)]. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: خَاطَبَ بِهِ جَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مِنۡ حَيۡثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ﴾: مِنْ جَمْعٍ، أَيْ: ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ جَمْعٍ إِلَى مِنًى، وَقَالُوا: لِأَنَّ الْإِفَاضَةَ مِنْ عَرَفَاتٍ قَبْلَ الْإِفَاضَةِ مِنْ جَمْعٍ، فَكَيْفَ يُسَوِّغُ أَنْ يَقُولَ: فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ عَرَفَاتٍ؟ وَالْأَوَّلُ قَوْلُ أَكْثَرِ أَهْلِ التَّفْسِيرِ، وَفِي الْكَلَامِ تَقْدِيمٌ وَتَأْخِيرٌ، تَقْدِيرُهُ: (فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ، ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ

---

(١) **صحيح:** البخاري: (١٥٤٣)، ومسلم: (١٢٨٠)، و(١٢٨٢)، واللَّفظُ للبخاري.

(٢) **صحيح:** البخاري: (٤٥٢٠)، ومسلم: (١٢١٩)، عن عائشة رضي الله عنها، وأورده الإمام الوادعي رحمه الله في كتابه «الصحيح المسند من أسباب النزول» ص(٣٧-٣٨).

النَّاسُ، فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ). وَقِيلَ: ﴿ ثُمَّ ﴾ بِمَعْنَى (الْوَاوِ)، أَيْ: وَأَفِيضُوا، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾[الْبَلَد:١٧]، وَأَمَّا النَّاسُ فَهُمُ الْعَرَبُ كُلُّهُمْ غَيْرَ الْحُمْسِ.

عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ: سُئِلَ أُسَامَةُ وَأَنَا جَالِسٌ كَيْفَ كَانَ يَسِيرُ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ حِينَ دَفَعَ؟ قَالَ: كَانَ يَسِيرُ الْعَنَقَ، فَإِذَا وَجَدَ فَجْوَةً نَصَّ. قَالَ هِشَامٌ: وَالنَّصُّ: فَوْقَ الْعَنَقِ[(١)].

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أَنَّهُ دَفَعَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ يَوْمَ عَرَفَةَ، فَسَمِعَ النَّبِيُّ ﷺ وَرَاءَهُ زَجْرًا شَدِيدًا وَضَرْبًا لِلْإِبِلِ، فَأَشَارَ بِسَوْطِهِ إِلَيْهِمْ وَقَالَ: «**أَيُّهَا النَّاسُ عَلَيْكُمْ بِالسَّكِينَةِ؛ فَإِنَّ الْبِرَّ لَيْسَ بِالْإِيضَاعِ**»[(٢)]. ﴿وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَـٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ۗ فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَـٰقٍ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَـٰسِكَكُمْ﴾: أَيْ: فَرَغْتُمْ مِنْ حَجِّكُمْ وَذَبَحْتُمْ نَسَائِكَكُمْ، أَيْ: ذَبَائِحَكُمْ، يُقَالُ: (نَسَكَ الرَّجُلُ يَنْسُكُ نُسُكًا) إِذَا ذَبَحَ نَسِيكَتَهُ، وَذَلِكَ بَعْدَ رَمْيِ جَمْرَةِ الْعَقَبَةِ وَالِاسْتِقْرَارِ بِمِنًى، ﴿فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ﴾: بِالتَّكْبِيرِ وَالتَّحْمِيدِ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ ﴿كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ﴾: وَذَلِكَ أَنَّ الْعَرَبَ كَانَتْ إِذَا فَرَغَتْ مِنَ الْحَجِّ وَقَفَتْ عِنْدَ الْبَيْتِ فَذَكَرَتْ مَفَاخِرَ آبَائِهَا، فَأَمَرَهُمُ اللهُ بِذِكْرِهِ، وَقَالَ: فَاذْكُرُونِي؛ فَإِنِّي الَّذِي فَعَلْتُ ذَلِكَ بِكُمْ وَبِآبَائِكُمْ وَأَحْسَنْتُ إِلَيْكُمْ وَإِلَيْهِمْ.

---

(١) **صحيح:** البخاري: (١٦٦٦)، ومسلم: (١٢٨٦). **وقولُهُ:** «**كَانَ يَسِيرُ الْعَنَقَ**»: بفتح المُهمَلةِ والنُّون: هو السَّير بين الإبطاء والإسراع.اهـ«البحر المحيط الثجاج» (٢٣/ ٥٩١).

(٢) **صحيح:** البخاري: (١٦٧١). **وقولُهُ:** «**لَيْسَ بِالإِيْضَاعِ**»: أي: السَّير السَّريع.اهـ«الفتح» (٣/ ٥٢٢).

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَوۡ أَشَدَّ ذِكۡرٗاۗ﴾: يَعْنِي: وَأَشَدَّ ذِكْرًا، وَبَلْ أَشَدَّ، أَيْ: وَأَكْثَر ذِكْرًا، ﴿فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا﴾: أَرَادَ بِهِ الْمُشْرِكِينَ كَانُوا لَا يَسْأَلُونَ اللهَ تَعَالَى فِي الْحَجِّ إِلَّا الدُّنْيَا، يَقُولُونَ: اللَّهُمَّ أَعْطِنَا غَنَمًا وَإِبِلًا وَبَقَرًا وَعَبِيدًا، وَكَانَ الرَّجُلُ يَقُومُ فَيَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنَّ أَبِي كَانَ عَظِيمَ الْقُبَّةِ كَبِيرَ الْجَفْنَةِ كَثِيرَ الْمَالِ، فَأَعْطِنِي مِثْلَ مَا أَعْطَيْتَهُ، قَالَ قَتَادَةُ: هَذَا عَبْدٌ نِيَّتُهُ الدُّنْيَا لَهَا أَنْفَقَ وَلَهَا عَمِلَ وَنَصَبَ، ﴿وَمَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنۡ خَلَٰقٖ﴾: مِنْ حَظٍّ وَنَصِيبٍ.

﴿وَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾: يَعْنِي: الْمُؤْمِنِينَ، وَاخْتَلَفُوا فِي مَعْنَى الْحَسَنَتَيْنِ: قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه: ﴿فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ﴾: امْرَأَةٌ صَالِحَةٌ، ﴿وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ﴾: الْجَنَّةُ وَالْحُورُ الْعِينُ.

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنهما، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «**الدُّنْيَا كُلُّهَا مَتَاعٌ، وَخَيْرُ مَتَاعِهَا الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ**»(١).

وَقَالَ الْحَسَنُ: ﴿فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ﴾: الْعِلْمُ وَالْعِبَادَةُ، ﴿وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ﴾: الْجَنَّةُ، وَقَالَ السُّدِّيُّ وَابْنُ حَيَّانَ: ﴿فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ﴾: رِزْقًا حَلَالًا وَعَمَلًا صَالِحًا، ﴿وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ﴾: الْمَغْفِرَةُ وَالثَّوَابُ، وَقَالَ قَتَادَةُ: فِي الدُّنْيَا عَافِيَةً وَفِي الْآخِرَةِ عَافِيَةً، وَقَالَ عَوْفٌ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: مَنْ آتَاهُ اللهُ الْإِسْلَامَ وَالْقُرْآنَ وَأَهْلًا وَمَالًا فَقَدْ أُوتِيَ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَادَ رَجُلًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ قَدْ خَفَتَ فَصَارَ مِثْلَ الْفَرْخِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**هَلْ كُنْتَ تَدْعُو بِشَيْءٍ أَوْ تَسْأَلُهُ إِيَّاهُ؟**» قَالَ: نَعَمْ، كُنْتُ أَقُولُ: اللَّهُمَّ مَا كُنْتَ مُعَاقِبِي بِهِ فِي الْآخِرَةِ فَعَجِّلْهُ لِي فِي الدُّنْيَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**سُبْحَانَ اللهِ! لَا تَسْتَطِيعُهُ وَلَا تُطِيقُهُ، فَهَلَّا قُلْتَ: اللَّهُمَّ آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ**»(٢).

---

(١) **صحيح**: مسلم: (١٤٦٧).

(٢) **صحيح**: مسلم: (٢٦٨٨).

وَعَنْهُ ﷺ قَالَ: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾[(١)].

وَعَنْ عَبْدِ الله بْنِ السَّائِبِ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ فِيمَا بَيْنَ رُكْنِ بَنِي جُمَحَ وَالرُّكْنِ الْأَسْوَدِ: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾[(٢)].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ﴾: حَظٌّ ﴿مِّمَّا كَسَبُوا۟﴾: مِنَ الْخَيْرِ وَالدُّعَاءِ بِالثَّوَابِ وَالْجَزَاءِ، ﴿وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾: يَعْنِي: إِذَا حَاسَبَ عَبْدَهُ فَحِسَابُهُ سَرِيعٌ لَا يَحْتَاجُ إِلَى عَقْدِ يَدٍ وَلَا وَعْيِ صَدْرٍ، وَلَا إِلَى رَوِيَّةٍ وَلَا فِكْرٍ، **قَالَ الْحَسَنُ**: أَسْرَعُ مِنْ لَمْحِ الْبَصَرِ، **وَقِيلَ**: مَعْنَاهُ إِتْيَانُ الْقِيَامَةِ قَرِيبٌ؛ لِأَنَّ مَا هُوَ كَائِنٌ لَا مَحَالَةَ فَهُوَ قَرِيبٌ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾[الشورى:١٧].

> ﴿۞ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ ۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِى يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ لِمَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ﴾: يَعْنِي: التَّكْبِيرَاتِ أَدْبَارَ الصَّلَاةِ وَعِنْدَ الْجَمَرَاتِ يُكَبِّرُ مَعَ كُلِّ حَصَاةٍ وَغَيْرِهَا مِنَ الْأَوْقَاتِ، ﴿فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ﴾: **الْأَيَّامُ الْمَعْدُودَاتُ**: هِيَ أَيَّامُ التَّشْرِيقِ وَهِيَ أَيَّامُ مِنًى وَرَمْيِ الْجِمَارِ، **سُمِّيَتْ مَعْدُودَاتٍ**؛ لِقِلَّتِهِنَّ كَقَوْلِهِ: ﴿دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ﴾[يوسف:٢٠]، **وَالْأَيَّامُ الْمَعْلُومَاتُ**: عَشْرُ ذِي الْحِجَّةِ آخِرُهُنَّ يَوْمُ النَّحْرِ، **هَذَا قَوْلُ أَكْثَرِ أَهْلِ الْعِلْمِ، وَرُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ**: الْمَعْلُومَاتُ: يَوْمُ النَّحْرِ وَيَوْمَانِ بَعْدَهُ، وَالْمَعْدُودَاتُ: أَيَّامُ التَّشْرِيقِ، **وَعَنْ عَلِيٍّ قَالَ**: الْمَعْلُومَاتُ: يَوْمُ النَّحْرِ وَثَلَاثَةُ أَيَّامٍ بَعْدَهُ، **وَقَالَ عَطَاءٌ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ**: الْمَعْلُومَاتُ: يَوْمُ عَرَفَةَ وَيَوْمُ النَّحْرِ وَأَيَّامُ التَّشْرِيقِ. **وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ**: هُمَا شَيْءٌ وَاحِدٌ وهي أيام التشـريق، **وَرُوِيَ عَنْ نُبَيْشَةَ**

---

(١) **صحيح:** البخاري: (٦٣٨٩)، ومسلم: (٢٦٩٠).

(٢) **حسن:** حسَّنه العلَّامة الألباني رَحِمَهُ اللهُ في "صحيح وضعيف سنن أبي داود" (١٨٩٢).

الْهُذَلِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَيَّامُ التَّشْرِيقِ أَيَّامُ أَكْلٍ وَشُرْبٍ وَذِكْرٍ للهِ»[1].

وَالتَّكْبِيرُ أَدْبَارَ الصَّلَوَاتِ مَشْرُوعٌ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ فِي حَقِّ الْحَاجِّ وَغَيْرِ الْحَاجِّ عِنْدَ عَامَّةِ الْعُلَمَاءِ، وَاخْتَلَفُوا فِي قَدْرِهِ: فَذَهَبَ قَوْمٌ إِلَى أَنَّهُ يُبْتَدَأُ التَّكْبِيرُ عَقِبَ صَلَاةِ الصُّبْحِ مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ وَيُخْتَمُ بَعْدَ الْعَصْرِ مِنْ آخِرِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ، يُرْوَى ذَلِكَ عَنْ عُمَرَ وَعَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، وَبِهِ قَالَ مَكْحُولٌ وَإِلَيْهِ ذَهَبَ أَبُو يُوسُفَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَذَهَبَ قَوْمٌ إِلَى أَنَّهُ يُبْتَدَأُ التَّكْبِيرُ عَقِيبَ صَلَاةِ الصُّبْحِ مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَيُخْتَمُ بَعْدَ الْعَصْرِ مِنْ يَوْمِ النَّحْرِ، وَلَفْظُ التَّكْبِيرِ: كَانَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ وَالْحَسَنُ يَقُولَانِ: (اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ) ثَلَاثًا نَسَقًا، وَهُوَ قَوْلُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ وَإِلَيْهِ ذَهَبَ الشَّافِعِيُّ، وَقَالَ: وَمَا زَادَ مِنْ ذِكْرِ اللهِ فَهُوَ حَسَنٌ، وَعِنْدَ أَهْلِ الْعِرَاقِ يُكَبِّرُ اثْنَتَيْنِ، يُرْوَى ذَلِكَ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾: أَرَادَ أَنَّ مَنْ نَفَرَ مِنَ الْحَاجِّ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي مِنْ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ ﴿فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾، وَذَلِكَ أَنَّهُ عَلَى الحَاجِّ أَنْ يَبِيتَ بِمِنًى اللَّيْلَةَ الْأُولَى وَالثَّانِيَةَ مِنْ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ، وَيَرْمِي كُلَّ يَوْمٍ بَعْدَ الزَّوَالِ إِحْدَى وَعِشْرِينَ حَصَاةً عِنْدَ كُلِّ جَمْرَةٍ سَبْعَ حَصَيَاتٍ وَرَخَّصَ فِي تَرْكِ الْبَيْتُوتَةِ لِرُعَاةِ الْإِبِلِ وَأَهْلِ سِقَايَةِ الْحَاجِّ، ثُمَّ كُلُّ مَنْ رَمَى الْيَوْمَ الثَّانِي مِنْ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ وَأَرَادَ أَنْ يَنْفِرَ وَيَدَعَ الْبَيْتُوتَةَ اللَّيْلَةَ الثَّالِثَةَ وَرَمَى يَوْمَهَا فَذَلِكَ لَهُ وَاسِعٌ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ وَمَنْ لَمْ يَنْفِرْ حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ فَعَلَيْهِ أَنْ يَبِيتَ حَتَّى يَرْمِيَ الْيَوْمَ الثَّالِثَ، ثُمَّ يَنْفِر.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِۚ﴾: يَعْنِي: لَا إِثْمَ عَلَى مَنْ تَعَجَّلَ فَنَفَرَ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي فِي تَعْجِيلِهِ، وَمَنْ تَأَخَّرَ حَتَّى يَنْفِرَ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ ﴿فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِۚ﴾ فِي تَأْخِيرِهِ. وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: ﴿فَمَن تَعَجَّلَ﴾ فَقَدْ تَرَخَّصَ ﴿فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِۚ﴾ بِالتَّرَخُّصِ، ﴿وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِۚ﴾ بِتَرْكِ التَّرَخُّصِ، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: رَجَعَ مَغْفُورًا لَهُ لَا ذَنْبَ عَلَيْهِ تَعَجَّلَ أَوْ تَأَخَّرَ، كَمَا رَوَيْنَا: «مَنْ حَجَّ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ

(١) **صحيح:** مسلم: (١١٤١).

أُمُّهُ»[(١)]، وَهَذَا قَوْلُ عَلِيٍّ وَابْنِ مَسْعُودٍ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لِمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾: أَيْ: لِمَنِ اتَّقَى أَنْ يُصِيبَ فِي حَجِّهِ شَيْئًا نَهَاهُ اللهُ عَنْهُ، كَمَا قَالَ: «**مَنْ حَجَّ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ**»، **قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ**: إِنَّمَا جُعِلَتْ مَغْفِرَةُ الذُّنُوبِ لِمَنِ اتَّقَى اللهَ تَعَالَى فِي حَجِّهِ، ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾: تُجْمَعُونَ فِي الْآخِرَةِ فَيَجْزِيكُمْ بِأَعْمَالِكُمْ.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾: أَيْ: تَسْتَحْسِنُهُ وَيَعْظُمُ فِي قَلْبِكَ، وَيُقَالُ فِي الِاسْتِحْسَانِ: (أَعْجَبَنِي كَذَا)، وَفِي الْكَرَاهِيَةِ وَالْإِنْكَارِ: (عَجِبْتُ مِنْ كَذَا)، ﴿وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ﴾: يَعْنِي يَقُولُ: وَاللهِ إِنِّي بِكَ مُؤْمِنٌ وَلَكَ مُحِبٌّ، ﴿وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ﴾، أَيْ: شَدِيدُ الْخُصُومَةِ، يُقَالُ: (لَدَدْتَ يَا هَذَا)، وَ(أَنْتَ تَلُدُّ لَدًّا، وَلَدَادَةً)، فَإِذَا أَرَدْتَ أَنَّهُ غَلَبَ عَلَى خَصْمِهِ قُلْتَ: (لَدَّهُ يَلُدُّهُ لَدًّا)، يُقَالُ: (رَجُلٌ أَلَدُّ) وَ(امْرَأَةٌ لَدَّاءُ) وَ(قَوْمٌ لُدٌّ)، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا﴾[مَرْيَم:٩٧]، **قَالَ الزَّجَّاجُ**: اشْتِقَاقُهُ مِنْ لَدِيدِي الْعُنُقِ وَهُمَا صَفْحَتَاهُ، وَتَأْوِيلُهُ: أَنَّهُ فِي أَيِّ وَجْهٍ أَخَذَ مِنْ يَمِينٍ أَوْ شِمَالٍ فِي أَبْوَابِ الْخُصُومَةِ غَلَبَ، **وَالْخِصَامُ**: مَصْدَرُ (خَاصَمَهُ خِصَامًا، وَمُخَاصَمَةً)، **قَالَهُ أَبُو عُبَيْدَةَ، وَقَالَ الزَّجَّاجُ**: هُوَ جَمْعُ (خَصْمٍ)، يُقَالُ: (خَصْمٌ، وَخِصَامٌ، وَخُصُومٌ) مِثْلُ: (بَحْرٍ، وَبِحَارٍ، وَبُحُورٍ) **قَالَ الْحَسَنُ**: ﴿أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ﴾: أَيْ: كَاذِبُ الْقَوْلِ. **قَالَ قَتَادَةُ**: شَدِيدُ الْقَسْوَةِ فِي الْمَعْصِيَةِ، جَدِلٌ بِالْبَاطِلِ، يَتَكَلَّمُ بِالْحِكْمَةِ وَيَعْمَلُ بِالْخَطِيئَةِ.

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ أَبْغَضَ الرِّجَالِ إِلَى اللهِ تَعَالَى: الْأَلَدُّ الْخَصِمُ**»[(٢)].

---

(١) تقدَّم تخريجه.

(٢) **صحيح:** البخاري: (٢٤٥٧)، ومسلم: (٢٦٦٨).

﴿ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُۖ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾

﴿ وَإِذَا تَوَلَّىٰ ﴾: أَيْ: أَدْبَرَ وَأَعْرَضَ عَنْكَ ﴿سَعَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾: أَيْ: عَمِلَ فِيهَا، **وَقِيلَ**: سَارَ فِيهَا وَمَشَى، ﴿لِيُفْسِدَ فِيهَا ﴾: **قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ**: قَطَعَ الرَّحِمَ وَسَفَكَ دِمَاءَ الْمُسْلِمِينَ، ﴿وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَۗ﴾: **وَالنَّسْلُ**: نَسْلُ كُلِّ دَابَّةٍ، وَالنَّاسُ مِنْهُمْ، **وَقَالَ الضَّحَّاكُ**: ﴿ وَإِذَا تَوَلَّىٰ ﴾: أَيْ: مَلَكَ الْأَمْرَ وَصَارَ وَالِيًا ﴿سَعَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾: **قَالَ مُجَاهِدٌ فِي قَوْلِهِ** ﷻ: ﴿ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾: قَالَ: إِذَا وَلِيَ فَعَمِلَ بِالْعُدْوَانِ وَالظُّلْمِ أَمْسَكَ اللهُ الْمَطَرَ فَهَلَكَ الْحَرْثُ وَالنَّسْلُ، ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴾: أَيْ: لَا يَرْضَى بِالْفَسَادِ، **وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيِّبْ**: قَطْعُ الدِّرْهَمِ مِنَ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ.

قَوْلُهُ: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ ﴾: أَيْ: خِفِ اللهَ ﴿أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِۚ ﴾: أَيْ: حَمَلَتْهُ الْعِزَّةُ وَحَمِيَّةُ الْجَاهِلِيَّةِ عَلَى الْفِعْلِ بِالْإِثْمِ، أَيْ: بِالظُّلْمِ وَالْعِزَّةِ وَالتَّكَبُّرِ وَالْمَنَعَةُ، **وَقِيلَ**: مَعْنَاهُ: أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ لِلْإِثْمِ الَّذِي فِي قَلْبِهِ، فَأَقَامَ الْبَاءَ مَقَامَ اللَّامِ، ﴿فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُۖ ﴾: أَيْ: كَافِيهِ ﴿وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴾: أَيِ: الْفِرَاشُ، **قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ**: إِنَّ مِنْ أَكْبَرِ الذَّنْبِ عِنْدَ اللهِ أَنْ يُقَالَ لِلْعَبْدِ: اتَّقِ اللهَ فَيَقُولُ: عَلَيْكَ بِنَفْسِكَ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِۗ ﴾: أَيْ: لِطَلَبِ رِضَا اللهِ تَعَالَى، ﴿وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾[1].

---

(١) قال العلَّامة الإمامُ مقبلُ بن هادي الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ: **قال الإمامُ أبو عبدِ اللهِ الحَاكِمُ** في «مستدركه» (ج٣ ص٣٩٨): حدثنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الزَّاهِدُ، حدثنا إسماعيل بن إسحاق القاضي، ثنا سليمان بن حَرْبٍ، حدثنا حمَّادُ بن زيد، عن أيوبَ، **عن عكرمةَ** قال: لمَّا خرج صُهَيبٌ مهاجرًا تَبِعَه أهلُ مكَّةَ، فنثَلَ كِنَانَتَه، فأخرج منها أربعين سهمًا فقال: لا تصلون إليَّ حتى أضعَ في كل رجل منكم سهمًا ثمَّ أصيرُ بعدَهُ إلى السَّيف؛ فتعلمون أنِّي رجلٌ، وقد خلَّفتُ بمكَّةَ قَيْنَتَيْن، فهُمَا لكُم. **قال**: وحدثنا حمَّادُ بن سلمةَ، عن ثابت، عن أنسٍ نحوَهُ، ونزلت على النبيِّ ﷺ: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِي =

عَنْ أَبِي أُمَامَةَ أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ الله أَيُّ الْجِهَادِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «أَفْضَلُ الْجِهَادِ مَنْ قَالَ كَلِمَةَ حَقٍّ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ»[(١)].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾ فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً﴾: قَرَأَ أَهْلُ الْحِجَازِ وَالْكِسَائِيُّ: ﴿السَّلْمِ﴾ هَاهُنَا بِفَتْحِ السِّينِ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بِكَسْرِهَا، وَفِي سُورَةِ الْأَنْفَالِ ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسِّلْمِ﴾[الأنفال:٦١] بِالْكَسْرِ، وَقَرَأَ أَبُو بَكْرٍ وَالْبَاقُونَ بِالْفَتْحِ، وَفِي سُورَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ بِالْكَسْرِ حَمْزَةُ وَأَبُو بَكْرٍ.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ﴾: أَيْ: فِي الْإِسْلَامِ، قَالَ مُجَاهِدٌ: فِي أَحْكَامِ أَهْلِ الْإِسْلَامِ وَأَعْمَالِهِمْ، ﴿كَآفَّةً﴾: أَيْ جَمِيعًا، وَقِيلَ: ادْخُلُوا فِي الْإِسْلَامِ إِلَى مُنْتَهَى شَرَائِعِهِ كَافِّينَ عَنِ الْمُجَاوَزَةِ إِلَى غَيْرِهِ، وَأَصْلُ السِّلْمِ: مِنَ الِاسْتِسْلَامِ وَالِانْقِيَادِ، وَلِذَلِكَ قِيلَ لِلصُّلْحِ: سِلْمٌ، ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ﴾: أَيْ: آثَارَهُ فِيمَا زَيَّنَ لَكُمْ؛ ﴿إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾.

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله رضي الله عنهما، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ حِينَ أَتَاهُ عُمَرُ فَقَالَ: إِنَّا نَسْمَعُ أَحَادِيثَ مِنْ يَهُود تُعْجِبُنَا، أَفَتَرَى أَنْ نَكْتُبَ بَعْضَهَا؟ فَقَالَ: «أَمُتَهَوِّكُونَ أَنْتُمْ كَمَا تَهَوَّكَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى؟ لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِهَا بَيْضَاءَ نَقِيَّةً، وَلَوْ كَانَ مُوسَى حَيًّا مَا وَسِعَهُ

= نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾ الآيةُ، فلمَّا رآهُ النبيُّ ﷺ قال: «أَبَا يَحْيَى رَبِحَ البَيْعُ!»، قالَ وتَلَا عليهِ الآيةَ. صحيحٌ على شرطِ مُسلِم، ولم يُخرِجَاهُ.

الحديثُ له طُرق أُخَر أغلبُهَا مراسِيل، كما في «الإصابة» (ج٢ ص١٨٨)، وفي «الطبقات» لابن سعد (ج٣ ص١٦٢ و١٦٣) من القسم الأوَّل، وهي بمجموعها تزيد الحديث قوَّة وتدلُّ على ثبوتِهِ.اهـ«الصحيح المسند من أسباب النزول» ص(٣٨-٣٩).

(١) **صحيح:** صحَّحه العلَّامة الألباني رَحِمَهُ اللهُ في «صحيح الجامع الصغير» (١١٠٠).

إِلَّا اتِّبَاعِي»[(١)].

﴿فَإِن زَلَلْتُم﴾: ضَلَلْتُمْ **وَقِيلَ**: مِلْتُمْ، يُقَالُ: (زَلَّتْ قَدَمُهُ تَزِلُّ زَلًّا وَزَلَلًا) إِذَا دَحَضَتْ، **قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ**: يَعْنِي الشِّرْكَ، **قَالَ قَتَادَةُ**: قَدْ عَلِمَ اللهُ أَنَّهُ سَيَزِلُّ زَالُّونَ مِنَ النَّاسِ فَتَقَدَّمَ فِي ذَلِكَ وَأَوْعَدَ فِيهِ؛ لِيَكُونَ لَهُ بِهِ الْحُجَّةُ عَلَيْهِمْ ﴿مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡكُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ﴾: أَيِ: الدَّلَالَاتُ الْوَاضِحَاتُ ﴿فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾: فِي نِقْمَتِهِ ﴿حَكِيمٌ﴾: فِي أَمْرِهِ، **فَالْعَزِيزُ**: هُوَ الْغَالِبُ الَّذِي لَا يَفُوتُهُ شَيْءٌ، **وَالحَكِيمُ**: ذُو الْإِصَابَةِ فِي الْأَمْرِ.

> ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ٢١٠ سَلۡ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ كَمۡ ءَاتَيۡنَٰهُم مِّنۡ ءَايَةِۭ بَيِّنَةٖۗ وَمَن يُبَدِّلۡ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ﴾: أَيْ: هَلْ يَنْتَظِرُ التَّارِكُونَ الدُّخُولَ فِي السِّلْمِ وَالْمُتَّبِعُونَ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ، يُقَالُ: (نَظَرْتُهُ، وَانْتَظَرْتُهُ) بِمَعْنًى وَاحِدٍ، فَإِذَا كَانَ النَّظَرُ مَقْرُونًا بِذِكْرِ (الله) أَوْ بِذِكْرِ (الْوَجْهِ) أَوْ (إِلَى) لَمْ يَكُنْ إِلَّا بِمَعْنَى الرُّؤْيَةِ، ﴿إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ﴾: جَمْعُ ظُلَّةٍ ﴿مِّنَ ٱلۡغَمَامِ﴾: وَهُوَ السَّحَابُ الْأَبْيَضُ الرَّقِيقُ، **سُمِّيَ غَمَامًا**؛ لِأَنَّهُ يَغُمُّ، أَيْ يَسْتُرُ. **وَقَالَ مُجَاهِدٌ**: هُوَ غَيْرُ السَّحَابِ، **وَقَالَ الحَسَنُ**: فِي سُتْرَةٍ مِنَ الْغَمَامِ فَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِ أَهْلُ الْأَرْضِ، ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾: قَرَأَ أَبُو جَعْفَرٍ بِالْخَفْضِ عَطْفًا عَلَى الْغَمَامِ، تَقْدِيرُهُ: مَعَ الْمَلَائِكَةِ، تَقُولُ الْعَرَبُ: (أَقْبَلَ الْأَمِيرُ فِي الْعَسْكَرِ)، أَيْ: مَعَ الْعَسْكَرِ، وَقَرَأَ البَاقُونَ الرَّفْعَ عَلَى مَعْنَى: إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ وَالْمَلَائِكَةُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ، **وَالْأَوْلَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ وَمَا شَاكَلَهَا**: أَنْ يُؤْمِنَ الْإِنْسَانُ بِظَاهِرِهَا وَيَكِلَ عِلْمَهَا إِلَى اللهِ تَعَالَى، وَيَعْتَقِدَ أَنَّ اللهَ عَزَّ اسْمُهُ مُنَزَّهٌ عَنْ سِمَاتِ الْحُدُوثِ، عَلَى ذَلِكَ مَضَتْ أَئِمَّةُ السَّلَفِ وَعُلَمَاءُ السُّنَّةِ، وَكَانَ مَكْحُولٌ وَالزُّهْرِيُّ وَالْأَوْزَاعِيُّ وَمَالِكٌ وَابْنُ الْمُبَارَكِ وَسُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ وَاللَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ وَأَحْمَدُ وَإِسْحَاقُ يَقُولُونَ فِيهِ وَفِي أَمْثَالِهِ: أَمِرُّوهَا كَمَا

---

(١) **حسن**: حسَّنه العلَّامة الألباني رَحِمَهُ اللهُ في «المشكاة» (١٧٧).

جَاءَتْ بِلَا كَيْفٍ، **قَالَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ:** كُلُّ مَا وَصَفَ اللهُ بِهِ نَفْسَهُ فِي كِتَابِهِ فَتَفْسِيرُهُ: قِرَاءَتُهُ وَالسُّكُوتُ عَنْهُ، لَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يُفَسِّرَهُ إِلَّا اللهُ تَعَالَى وَرَسُولُهُ ﷺ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُۚ﴾: أَيْ: وَجَبَ الْعَذَابُ وَفُرِغَ مِنَ الْحِسَابِ وَذَلِكَ فَصْلُ اللهِ الْقَضَاءُ بِالْحَقِّ بَيْنَ الْخَلْقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ﴾: قَرَأَ ابْنُ عَامِرٍ وَحَمْزَةُ وَالْكِسَائِيُّ وَيَعْقُوبُ بِفَتْحِ التَّاءِ وَكَسْرِ الْجِيمِ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بِضَمِّ التَّاءِ وَفَتْحِ الجِيمِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿سَلۡ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾: أَيْ: سَلْ يَا مُحَمَّدُ يَهُودَ المَدِينَةِ ﴿كَمۡ ءَاتَيۡنَٰهُم﴾: أَعْطَيْنَا آبَاءَهُمْ وَأَسْلَافَهُمْ ﴿مِّنۡ ءَايَةِۭ بَيِّنَةٖۗ﴾: دَلَالَةٍ وَاضِحَةٍ عَلَى نُبُوَّةِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مِثْلَ: الْعَصَا وَالْيَدِ الْبَيْضَاءِ وَفَلْقِ الْبَحْرِ وَغَيْرِهَا، **وَقِيلَ:** مَعْنَاهُ الدَّلَالَاتُ الَّتِي آتَاهُم اللهُ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ عَلَى نُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، ﴿وَمَن يُبَدِّلۡ﴾: يَعْنِي: يُغَيِّرْ ﴿نِعۡمَةَ ٱللَّهِ﴾: كِتَابَ اللهِ **وَقِيلَ:** عَهْدَ اللهِ **وَقِيلَ:** مَنْ يُنْكِرُ الدَّلَالَةَ عَلَى نُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾.

﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَيَسۡخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۘ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾

﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا﴾: الْأَكْثَرُونَ عَلَى أَنَّ الْمُزَيِّنَ هُوَ اللهُ تَعَالَى، وَالتَّزْيِينُ مِنَ اللهِ تَعَالَى: هُوَ أَنَّهُ خَلَقَ الْأَشْيَاءَ الْحَسَنَةَ وَالمَنَاظِرَ الْعَجِيبَةَ، فَنَظَرَ الْخَلْقُ إِلَيْهَا بِأَكْثَرَ مِنْ قَدْرِهَا فَأَعْجَبَهُمْ حُسْنُهَا فَفُتِنُوا بِهَا. **وَقَالَ الزَّجَّاجُ:** زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ، **قِيلَ:** نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي مُشْرِكِي الْعَرَبِ أَبِي جَهْلٍ وَأَصْحَابِهِ، كَانُوا يَتَنَعَّمُونَ بِمَا بَسَطَ اللهُ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا مِنَ المَالِ وَيُكَذِّبُونَ بِالمَعَادِ، ﴿وَيَسۡخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾: أَيْ: يَسْتَهْزِئُونَ بِالْفُقَرَاءِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، **وَقَالَ مُقَاتِلٌ:** نَزَلَتْ فِي المُنَافِقِينَ عَبْدِ اللهِ بْنِ أُبَيٍّ وَأَصْحَابِهِ كَانُوا يَتَنَعَّمُونَ فِي الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنْ ضُعَفَاءِ الْمُؤْمِنِينَ وَفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ، وَيَقُولُونَ: انْظُرُوا إِلَى هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَزْعُمُ مُحَمَّدٌ أَنَّهُ يَغْلِبُ بِهِمْ، **وَقَالَ عَطَاءٌ:** نَزَلَتْ فِي رُؤَسَاءِ الْيَهُودِ مِنْ بَنِي قُرَيْظَةَ وَالنَّضِيرِ وَبَنِي قَيْنُقَاعَ، سَخِرُوا مِنْ فُقَرَاءِ المُهَاجِرِينَ، فَوَعَدَهُمُ اللهُ أَنْ يُعْطِيَهُمْ

أَمْوَالَ بَنِي قُرَيْظَةَ وَالنَّضِيرِ بِغَيْرِ قِتَالٍ، ﴿وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾: لِفَقْرِهِمْ، ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ﴾: يَعْنِي: هَؤُلَاءِ الْفُقَرَاءَ ﴿فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾: لِأَنَّهُمْ فِي أَعْلَى عِلِّيِّينَ وَهُمْ فِي أَسْفَلِ السَّافِلِينَ.

عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**وَقَفْتُ عَلَى بَابِ الجَنَّةِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا المَسَاكِينَ، وَوَقَفْتُ عَلَى بَابِ النَّارِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ، وَإِذَا أَهْلُ الجَدِّ مَحْبُوسُونَ إِلَّا مَنْ كَانَ مِنْهُمْ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَقَدْ أُمِرَ بِهِ إِلَى النَّارِ**»(١).

عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ: مَرَّ رَجُلٌ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ لِرَجُلٍ عِنْدَهُ جَالِسٍ: «**مَا رَأْيُكَ فِي هَذَا**»؟ فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ أَشْرَافِ النَّاسِ: هَذَا وَاللهِ حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ يُنْكَحَ، وَإِنْ شَفَعَ أَنْ يُشَفَّعَ، وَإِنْ قَالَ يُسْمَعُ لِقَولِهِ، قَالَ: فَسَكَتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، ثُمَّ مَرَّ رَجُلٌ آخَرُ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا رَأْيُكَ فِي هَذَا**»؟ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! هَذَا رَجُلٌ مِنْ فُقَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ، هَذَا حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ لَا يُنْكَحَ وَإِنْ شَفَعَ أَنْ لَا يُشَفَّعَ وَإِنْ قَالَ أَنْ لَا يُسْمَعَ لِقَوْلِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**هَذَا خَيْرٌ مِنْ مِلْءِ الْأَرْضِ مِثْلَ هَذَا**»(٢).

﴿وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾: **قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ**: يَعْنِي: كَثِيرًا بِغَيْرِ مِقْدَارٍ؛ لِأَنَّ كُلَّ مَا دَخَلَ عَلَيْهِ الْحِسَابُ فَهُوَ قَلِيلٌ، يُرِيدُ: يُوَسِّعُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَيَبْسُطُ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ، **وَقَالَ الضَّحَّاكُ**: يَعْنِي مِنْ غَيْرِ تَبِعَةٍ يَرْزُقُهُ فِي الدُّنْيَا وَلَا يُحَاسِبُهُ فِي الْآخِرَةِ، **وَقِيلَ**: هَذَا يَرْجِعُ إِلَى اللهِ، مَعْنَاهُ: يُقَتِّرُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَيَبْسُطُ لِمَنْ يَشَاءُ، وَلَا يُعْطِي كُلَّ أَحَدٍ بِقَدْرِ حَاجَتِهِ، بَلْ يُعْطِي الكَثِيرَ لِمَنْ لَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ وَلَا يُعْطِي الْقَلِيلَ مَنْ يَحْتَاجُ إِلَيْهِ، فَلَا يُعْتَرَضُ عَلَيْهِ وَلَا يُحَاسَبُ فِيمَا يَرْزُقُ، وَلَا يُقَالُ: لِمَ أَعْطَيْتَ هَذَا وَحَرَمْتَ هَذَا؟ وَلِمَ

(١) **صحيح**: البخاري: (٥١٩٦)، ومسلم: (٢٧٣٦). **وقولُهُ**: «أَهْلُ الجَدِّ»: بفتح الجِيم؛ أي: الأغنياء. «مَحْبُوسُونَ»: في العرَصات، فلم يؤذن لهم في دخول الجَنَّة؛ لِطُول حسابهم.اهـ "البحر المحيط الثجاج" (٤٢/ ٤٦٨).

(٢) **صحيح**: البخاري: (٥٠٩١).

أَعْطَيْتَ هَذَا أَكْثَرَ مِمَّا أَعْطَيْتَ ذَاكَ؟ وَقِيلَ: مَعْنَاهُ لَا يَخَافُ نَفَاد خَزَائِنِهِ، فَيَحْتَاجُ إِلَى حِسَابِ مَا يَخْرُجُ مِنْهَا؛ لِأَنَّ الْحِسَابَ مِنَ الْمُعْطِي إِنَّمَا يَكُونُ لِمَا يَخَافُ مِنْ نَفَادِ خَزَائِنِهِ.

﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾: عَلَى دِينٍ وَاحِدٍ، قَالَ مُجَاهِدٌ: أَرَادَ آدَمَ وَحْدَهُ كَانَ أُمَّةً وَاحِدَةً، سُمِّيَ الْوَاحِدُ بِلَفْظِ الْجَمْعِ؛ لِأَنَّهُ أَصْلُ النَّسْلِ وَأَبُو الْبَشَرِ ثُمَّ خَلَقَ اللهُ تَعَالَى مِنْهُ حَوَّاءَ وَنَشَرَ مِنْهُمَا النَّاسَ فَانْتَشَرُوا، وَكَانُوا مُسْلِمِينَ إِلَى أَنْ قَتَلَ قَابِيلُ هَابِيلَ فَاخْتَلَفُوا، ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾: قَالَ الْحَسَنُ وَعَطَاءٌ: كَانَ النَّاسُ مِنْ وَقْتِ وَفَاةِ آدَمَ إِلَى مَبْعَثِ نُوحٍ أُمَّةً وَاحِدَةً عَلَى مِلَّةِ الْكُفْرِ أَمْثَالَ الْبَهَائِمِ فَبَعَثَ اللهُ نُوحًا وَغَيْرَهُ مِنَ النَّبِيِّينَ، وَقَالَ قَتَادَةُ وَعِكْرِمَةُ: كَانَ النَّاسُ مِنْ وَقْتِ آدَمَ إِلَى مَبْعَثِ نُوحٍ كُلُّهُمْ عَلَى شَرِيعَةٍ وَاحِدَةٍ مِنَ الْحَقِّ وَالْهُدَى، ثُمَّ اخْتَلَفُوا فِي زَمَنِ نُوحٍ، فَبَعَثَ اللهُ إِلَيْهِمْ نُوحًا فَكَانَ أَوَّلَ نَبِيٍّ بُعِثَ، ثُمَّ بَعَثَ بَعْدَهُ النَّبِيِّينَ، وَرُوِيَ عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ قَالَ: كَانَ النَّاسُ حِينَ عُرِضُوا عَلَى آدَمَ وَأُخْرِجُوا مِنْ ظَهْرِهِ وَأَقَرُّوا بِالعُبُودِيَّةِ لله تَعَالَى أُمَّةً وَاحِدَةً مُسْلِمِينَ كُلُّهُمْ، وَلَمْ يَكُونُوا أُمَّةً وَاحِدَةً قَطُّ غَيْرَ ذَلِكَ الْيَوْمِ، ثُمَّ اخْتَلَفُوا بَعْدَ آدَمَ نَظِيرُهُ فِي سُورَةِ يُونُسَ: ﴿ وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟ ﴾[يونس:١٩]، ﴿مُبَشِّرِينَ﴾: بِالثَّوَابِ مَنْ آمَنَ وَأَطَاعَ، ﴿وَمُنذِرِينَ﴾: مُحَذِّرِينَ بِالْعِقَابِ مَنْ كَفَرَ وَعَصَى، ﴿وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ﴾: أَيِ: الْكُتُبَ، تَقْدِيرُهُ: وَأَنْزَلَ مَعَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمُ الكِتَابَ ﴿بِٱلْحَقِّ﴾: بِالْعَدْلِ وَالصِّدْقِ؛ ﴿لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾: قَرَأَ أَبُو جَعْفَرٍ ﴿لِيُحْكَمَ﴾ بِضَمِّ الْيَاءِ وَفَتْحِ الْكَافِ هَاهُنَا، وَفِي أَوَّلِ آلِ عِمْرَانَ، وَفِي النُّورِ مَوْضِعَيْنِ؛ لِأَنَّ الْكِتَابَ لَا يَحْكُمُ فِي الْحَقِيقَةِ إِنَّمَا يُحْكَمُ بِهِ، وَقِرَاءَةُ الْعَامَّةِ بِفَتْحِ الْيَاءِ وَضَمِّ الْكَافِ، أَيْ: لِيَحْكُمَ الْكِتَابُ، ذَكَرَهُ عَلَى سِعَةِ الْكَلَامِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ هَـٰذَا كِتَـٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ﴾[الجاثية:

٢٩]، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ لِيَحْكُمَ كُلُّ نَبِيٍّ بِكِتَابِهِ ﴿فِيمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِۚ وَمَا ٱخۡتَلَفَ فِيهِ﴾: أَيْ: فِي الْكِتَابِ ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ﴾: أَيْ: أُعْطُوا الْكِتَابَ ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ﴾: يَعْنِي: أَحْكَامَ التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ، قَالَ الْفَرَّاءُ: وَلِاخْتِلَافِهِمْ مَعْنَيَانِ: أَحَدُهُمَا: كُفْرُ بَعْضِهِمْ بِكِتَابِ بَعْضٍ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ﴾[النِّسَاء:١٥٠] وَالْآخَرُ: تَحْرِيفُهُمْ كِتَابَ اللهِ، قَالَ اللهُ: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾[النِّسَاء:٤٦]، وَقِيلَ: الْآيَةُ رَاجِعَةٌ إِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ وَكِتَابِهِ، اخْتَلَفَ فِيهِ أَهْلُ الْكِتَابِ ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ﴾: صِفَةُ مُحَمَّدٍ ﷺ فِي كُتُبِهِمْ، ﴿بَغۡيَۢا﴾: ظُلْمًا وَحَسَدًا ﴿بَيۡنَهُمۡۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ﴾: أَيْ: إِلَى مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ ﴿مِنَ ٱلۡحَقِّ بِإِذۡنِهِۦۗ﴾: بِعِلْمِهِ وَإِرَادَتِهِ فِيهِمْ.

قَالَ ابْنُ زَيْدٍ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: اخْتَلَفُوا فِي الْقِبْلَةِ: فَمِنْهُمْ مَنْ يُصَلِّي إِلَى الْمَشْرِقِ وَمِنْهُمْ مَنْ يُصَلِّي إِلَى الْمَغْرِبِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُصَلِّي إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ، فَهَدَانَا اللهُ إِلَى الْكَعْبَةِ. وَاخْتَلَفُوا فِي الصِّيَامِ: فَهَدَانَا اللهُ لِشَهْرِ رَمَضَانَ. وَاخْتَلَفُوا فِي الْأَيَّامِ: فَأَخَذَتِ الْيَهُودُ السَّبْتَ، وَالنَّصَارَى الْأَحَدَ، فَهَدَانَا اللهُ لِلْجُمُعَةِ. وَاخْتَلَفُوا فِي إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: فَقَالَتِ الْيَهُودُ: كَانَ يَهُودِيًّا، وَقَالَتِ النَّصَارَى: كَانَ نَصْرَانِيًّا، فَهَدَانَا اللهُ لِلْحَقِّ مِنْ ذَلِكَ. وَاخْتَلَفُوا فِي عِيسَى: فَجَعَلَتْهُ الْيَهُودُ لِفِرْيَةٍ، وَجَعَلَتْهُ النَّصَارَى إِلَهًا، فَهَدَانَا اللهُ لِلْحَقِّ فِيهِ، ﴿وَٱللَّهُ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٍ﴾.

﴿أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَأۡتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِكُمۖ مَّسَّتۡهُمُ ٱلۡبَأۡسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلۡزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِۗ أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَمۡ حَسِبۡتُمۡ﴾: مَعْنَاهُ: أَحَسِبْتُمْ وَالْمِيمُ: صِلَةٌ، قَالَهُ الْفَرَّاءُ. وَقَالَ الزَّجَّاجُ: بَلْ حَسِبْتُمْ، وَمَعْنَى الْآيَةِ: أَظَنَنْتُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ ﴿أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَأۡتِكُم﴾: أَيْ: وَلَمْ يَأْتِكُمْ، وَمَا: صِلَةٌ، ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ﴾: شَبَهُ الَّذِينَ مَضَوْا ﴿مِن قَبۡلِكُمۖ﴾: مِنَ النَّبِيِّينَ وَالْمُؤْمِنِينَ، ﴿مَّسَّتۡهُمُ ٱلۡبَأۡسَآءُ﴾: الْفَقْرُ وَالشِّدَّةُ وَالْبَلَاءُ، ﴿وَٱلضَّرَّآءُ﴾: الْمَرَضُ وَالزَّمَانَةُ، ﴿وَزُلۡزِلُواْ﴾: أَيْ: حُرِّكُوا بِأَنْوَاعِ الْبَلَايَا وَالرَّزَايَا وَخُوِّفُوا ﴿حَتَّىٰ يَقُولَ

﴿ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِۗ﴾: مَا زَالَ الْبَلَاءُ بِهِمْ حَتَّى اسْتَبْطَئُوا النَّصْرَ مِنْ عِنْدِ اللهِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾: قَرَأَ نَافِعٌ ﴿حَتَّى يَقُولُ الرَّسُولُ﴾ بِالرَّفْعِ، مَعْنَاهُ: حَتَّى قَالَ الرَّسُولُ، وَإِذَا كَانَ الْفِعْلُ الَّذِي يَلِي (حَتَّى) فِي مَعْنَى المَاضِي وَلَفْظُهُ لَفْظُ الْمُسْتَقْبَلِ، فَلَكَ فِيهِ وَجْهَانِ: الرَّفْعُ وَالنَّصْبُ، فَالنَّصْبُ: عَلَى ظَاهِرِ الْكَلَامِ؛ لِأَنَّ (حَتَّى) تَنْصِبُ الْفِعْلَ الْمُسْتَقْبَلَ، وَالرَّفْعُ: مَعْنَاهُ المَاضِي، وَ(حَتَّى) لَا تَعْمَلُ فِي المَاضِي.

﴿يَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَۖ قُلۡ مَآ أَنفَقۡتُم مِّنۡ خَيۡرٖ فَلِلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۗ وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٞ ﴿٢١٥﴾ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ وَهُوَ كُرۡهٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَۖ﴾ فِي قَوْلِهِ ﴿مَاذَا﴾ وَجْهَانِ مِنَ الْإِعْرَابِ: أَحَدُهُمَا: أَنْ يَكُونَ مَحَلُّهُ نَصْبًا لِقَوْلِهِ: ﴿يُنفِقُونَۖ﴾، تَقْدِيرُهُ: أَيَّ شَيْءٍ يُنْفِقُونَ؟ وَالآخَرُ: أَنْ يَكُونَ رَفْعًا بِـ﴿مَا﴾، وَمَعْنَاهُ: مَا الَّذِي يُنْفِقُونَ؟ ﴿قُلۡ مَآ أَنفَقۡتُم مِّنۡ خَيۡرٖ﴾: أَيْ: مِنْ مَالٍ، ﴿فَلِلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۗ وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٞ﴾: يُجَازِيكُمْ بِهِ، **قَالَ أَهْلُ التَّفْسِيرِ**: كَانَ هَذَا قَبْلَ فَرْضِ الزَّكَاةِ فَنُسِخَتْ بِالزَّكَاةِ، [**وَقَالَ مُقَاتِلٌ**: هَذِهِ الآيَةُ فِي نَفَقَةِ التَّطَوُّعِ].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ﴾: أَيْ: فُرِضَ عَلَيْكُمُ الْجِهَادُ، **قَالَ عَطَاءٌ**: الْجِهَادُ فَرْضٌ عَلَى كَافَّةِ الْمُسْلِمِينَ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَغْزُ وَلَمْ يُحَدِّثْ نَفْسَهُ بِالْغَزْوِ مَاتَ عَلَى شُعْبَةٍ مِنَ النِّفَاقِ**»[(١)].

وَقَالَ قَوْمٌ -وَعَلَيْهِ الْجُمْهُورُ-: إِنَّ الْجِهَادَ فَرْضٌ عَلَى الْكِفَايَةِ إِذَا قَامَ بِهِ الْبَعْضُ سَقَطَ عَنِ الْبَاقِينَ، مِثْلُ صَلَاةِ الْجِنَازَةِ، وَرَدِّ السَّلَامِ، **قَالَ الزُّهْرِيُّ وَالْأَوْزَاعِيُّ**: كَتَبَ

(١) **صحيح**: مسلم: (١٩١٠).

اللهُ الْجِهَادَ عَلَى النَّاسِ غَزْوًا أَوْ قُعُودًا، فَمَنْ غَزَا فَبِهَا وَنِعْمَتْ، وَمَنْ قَعَدَ فَهُوَ عُدَّةٌ: إِنِ اسْتُعِينَ بِهِ أَعَانَ، وَإِنِ اسْتُنْفِرَ نَفَرَ، وَإِنِ اسْتُغْنِيَ عَنْهُ قَعَدَ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ﴾: أَيْ: شَاقٌّ عَلَيْكُمْ، **قَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْمَعَانِي:** هَذَا الْكُرْهُ مِنْ حَيْثُ نُفُور الطَّبْعِ عَنْهُ؛ لِمَا فِيهِ مِنْ مُؤْنَةِ الْمَالِ وَمَشَقَّةِ النَّفْسِ وَخَطَرِ الرُّوحِ لَا أَنَّهُمْ كَرِهُوا أَمْرَ الله تَعَالَى، ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾: لِأَنَّ فِي الْغَزْوِ إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ، إِمَّا الظَّفَرُ وَالْغَنِيمَةُ، وَإِمَّا الشَّهَادَةُ وَالْجَنَّةُ، ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا﴾: يَعْنِي: الْقُعُودَ عَنِ الْغَزْوِ، ﴿وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ﴾: لِمَا فِيهِ مِنْ فَوَاتِ الْغَنِيمَةِ وَالْأَجْرِ، ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ﴾: يَعْنِي: رَجَبًا، سُمِّيَ بِذَلِكَ لِتَحْرِيمِ الْقِتَالِ فِيهِ، [**وَقِيلَ:** الأَشْهُرُ الْحُرُمُ]، ﴿قِتَالٍ فِيهِ﴾: أَيْ: عَنْ قِتَالٍ فِيهِ، ﴿قُلْ﴾: يَا مُحَمَّدُ ﴿قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾: عَظِيمٌ، تَمَّ الْكَلَامُ هَاهُنَا ثُمَّ ابْتَدَأَ فَقَالَ: ﴿وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: أَيْ: وَصَدُّكُم الْمُسْلِمِينَ عَنِ الْإِسْلَامِ ﴿وَكُفْرٌۢ بِهِۦ﴾ أَيْ: كُفْرُكُمْ بِالله ﴿وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾: أَيْ: بِالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، **وَقِيلَ:** وَصَدُّكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، ﴿وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ﴾: أَيْ: إِخْرَاجُ أَهْلِ الْمَسْجِدِ ﴿مِنْهُ أَكْبَرُ﴾: أَعْظَمُ وِزْرًا ﴿عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ﴾: أَي: الشِّرْكُ الَّذِي أَنْتُمْ عَلَيْهِ ﴿أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾: أَيْ: أَعْظَمُ، ﴿وَلَا يَزَالُونَ﴾: يَعْنِي: مُشْرِكِي مَكَّةَ، وَهُوَ فِعْلٌ لَا مَصْدَرَ لَهُ مِثْل (عَسَى)، ﴿يُقَٰتِلُونَكُمْ﴾: يَا مَعْشَرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ﴾:

يَصْرِفُوكُمْ ﴿عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ﴾: جَزْمٌ بِالنَّسَقِ، ﴿وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ﴾: بَطَلَتْ ﴿أَعْمَٰلُهُمْ﴾: حَسَنَاتُهُمْ ﴿فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟﴾: فَارَقُوا عَشَائِرَهُمْ وَمَنَازِلَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ، ﴿وَجَٰهَدُوا۟﴾: المُشْرِكِينَ ﴿فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: فِي طَاعَةِ اللهِ، فَجَعَلَهَا جِهَادًا ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ﴾: أَخْبَرَ أَنَّهُمْ عَلَى رَجَاءِ الرَّحْمَةِ، ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

﴿۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ﴾: جُمْلَةُ الْقَوْلِ فِي تَحْرِيمِ الخَمْرِ عَلَى مَا قَالَ الْمُفَسِّرُونَ: أَنَّ اللهَ أَنْزَلَ فِي الْخَمْرِ أَرْبَعَ آيَاتٍ نَزَلَتْ بِمَكَّةَ، وَهِيَ: ﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ۗ﴾[النَّحل:٦٧]، فَكَانَ الْمُسْلِمُونَ يَشْرَبُونَهَا وَهِيَ لَهُمْ حَلَالٌ يَوْمَئِذٍ، ثُمَّ نَزَلَتْ فِي مَسْأَلَةِ عُمَرَ: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾، فَتَرَكَهَا قَوْمٌ لِقَوْلِهِ: ﴿إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾، وَشَرِبَهَا قَوْمٌ لِقَوْلِهِ: ﴿وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ﴾[النِّساء:٤٣]، فَحُرِّمَ السُّكْرُ فِي أَوْقَاتِ الصَّلَاةِ، [وَكَانَ مُنَادِي رَسُولِ اللهِ ﷺ إِذَا أَقَامَ الصَّلَاةَ نَادَى: أَنْ لَا يَقْرَبَنَّ الصَّلَاةَ سَكْرَانُ]، فَلَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ تَرَكَهَا قَوْمٌ وَقَالُوا: لَا خَيْرَ فِي شَيْءٍ يَحُولُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الصَّلَاةِ، وَتَرَكَهَا قَوْمٌ فِي أَوْقَاتِ الصَّلَاةِ وَشَرِبُوهَا فِي غَيْرِ حِينِ الصَّلَاةِ، فَقَالَ عُمَرُ: اللَّهُمَّ بَيِّنْ لَنَا رَأْيَكَ فِي الْخَمْرِ بَيَانًا شَافِيًا، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى تَحْرِيمَ الخَمْرِ فِي سُورَةِ المَائِدَةِ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾[المَائِدَة:٩١]،

وَذَلِكَ بَعْدَ غَزْوَةِ الْأَحْزَابِ بِأَيَّامٍ، فَقَالَ عُمَرُ رضي الله عنه: انْتَهَيْنَا يَا رَبِّ[١]. **قَالَ أَنَسٌ**: حُرِّمَتِ الْخَمْرُ وَلَمْ يَكُنْ يَوْمَئِذٍ لِلْعَرَبِ عَيْشٌ أَعْجَبَ مِنْهَا، وَمَا حُرِّمَ عَلَيْهِمْ شَيْءٌ أَشَدَّ مِنَ الْخَمْرِ.

عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: مَا كَانَ لَنَا خَمْرٌ غَيْرَ فَضِيخِكُمْ هَذَا الَّذِي تُسَمُّونَهُ الفَضِيخَ، وَإِنِّي لَقَائِمٌ أَسْقِي أَبَا طَلْحَةَ وَفُلَانًا وَفُلَانًا إِذْ جَاءَ رَجُلٌ فَقَالَ: وَهَلْ بَلَغَكُمُ الخَبَرُ؟ فَقَالُوا: وَمَا ذَاكَ؟ قَالَ: حُرِّمَتِ الْخَمْرُ، فَقَالُوا: أَهْرِقْ هَذِهِ الْقِلَالَ يَا أَنَسُ، قَالَ: فَمَا سَأَلُوا عَنْهَا وَلَا رَاجَعُوهَا بَعْدَ خَبَرِ الرَّجُلِ[٢].

قَالَ أَنَسٌ: سُمِّيَتْ خَمْرًا؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَدَعُونَهَا فِي الدِّنَانِ حَتَّى تَخْتَمِرَ وَتَتَغَيَّرَ، **وَعَنِ ابْنِ الْمُسَيَّبِ**: لِأَنَّهَا تُرِكَتْ حَتَّى صَفَا صَفْوُهَا وَرَسَبَ كَدْرُهَا، **وَاخْتَلَفَ العُلَمَاءُ فِي مَاهِيَّةِ الخَمْرِ: فَقَالَ قَوْمٌ**: هِيَ عَصِيرُ الْعِنَبِ أَوِ الرُّطَبِ الَّذِي اشْتَدَّ وَغَلَا مِنْ غَيْرِ عَمَلِ النَّارِ فِيهِ، **وَاتَّفَقَتِ الْأَئِمَّةُ** عَلَى أَنَّ هَذَا الخَمْرَ نَجِسٌ يُحَدُّ شَارِبُهُ وَيَفْسُقُ، وَيَكْفُرُ مُسْتَحِلُّهَا، **وَذَهَبَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ وَأَبُو حَنِيفَةَ وَجَمَاعَةٌ** إِلَى أَنَّ التَّحْرِيمَ لَا يَتَعَدَّى هَذَا، وَلَا يَحْرُمُ مَا يُتَّخَذُ مِنْ غَيْرِهَا، كَالْمُتَّخَذِ مِنَ الْحِنْطَةِ وَالشَّعِيرِ وَالذُّرَةِ وَالعَسَلِ وَالفَانِيذِ[٣]، إِلَّا أَنْ يُسْكَرَ مِنْهُ فَيَحْرُمُ، **وَقَالُوا**: إِذَا طُبِخَ عَصِيرُ الْعِنَبِ وَالرُّطَبِ حَتَّى ذَهَبَ نِصْفُهُ فَهُوَ حَلَالٌ، لَكِنَّهُ يُكْرَهُ، وَإِنْ طُبِخَ حَتَّى ذَهَبَ ثُلُثَاهُ قَالُوا: هُوَ حَلَالٌ مُبَاحٌ شُرْبُهُ، إِلَّا أَنَّ السُّكْرَ مِنْهُ حَرَامٌ، **وَرَأَى أَبُو عُبَيْدَةَ وَمُعَاذٌ** شُرْبَ الطِّلَاءِ عَلَى الثُّلُثِ، **وَقَالَ قَوْمٌ**: إِذَا طُبِخَ الْعَصِيرُ أَدْنَى طَبْخٍ صَارَ حَلَالًا وَهُوَ قَوْلُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ عُلَيَّةَ، **وَذَهَبَ أَكْثَرُ أَهْلِ الْعِلْمِ** إِلَى أَنَّ كُلَّ شَرَابٍ أَسْكَرَ كَثِيرُهُ فَهُوَ خَمْرٌ وَقَلِيلُهُ حَرَامٌ يُحَدُّ

---

(١) **صحيح**: أحمد: (٣٧٦)، وصحَّحه الألباني رحمه الله في «صحيح وضعيف سنن الترمذي» (٣٠٤٩)، وأورده الوادعي رحمه الله في كتابه «الصحيح المسند من أسباب النزول» ص(٣٩)، عن عمر رضي الله عنه.

(٢) **صحيح**: البخاري: (٤٦١٧)، ومسلم: (١٩٨٠). والفضيخ: عصير العنب، وشراب يتخذ من البسر من غير أن تمسَّه النَّار، ولبن غلبَهُ الماء حتى رَقَّ.اهـ «المعجم الوسيط» (٢/ ٦٩٢).

(٣) الفانيذ: ضربٌ من الحلواء.اهـ «القاموس المحيط» (١/ ٣٣٦).

شَارِبُهُ، وَاحْتَجُّوا بِمَا ثَبَتَ عَنْ عَائِشَةَ ﵂ أَنَّهَا قَالَتْ: سُئِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنِ الْبِتْعِ، فَقَالَ: «كُلُّ شَرَابٍ أَسْكَرَ فَهُوَ حَرَامٌ»(١). وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ ﵄، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَا أَسْكَرَ كَثِيرُهُ فَقَلِيلُهُ حَرَامٌ»(٢). وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ ﵄ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «كُلُّ مُسْكِرٍ خَمْرٌ، وَكُلُّ خَمْرٍ حَرَامٌ، وَمَنْ شَرِبَ الخَمْرَ فِي الدُّنْيَا فَمَاتَ وَهُوَ يُدْمِنُهَا وَلَمْ يَتُبْ لَمْ يَشْرَبْهَا فِي الْآخِرَةِ»(٣). وَعَنْهُ ﵄ قَالَ: خَطَبَ عُمَرُ عَلَى مِنْبَرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: إِنَّهُ قَدْ نَزَلَ تَحْرِيمُ الْخَمْرِ، وَهِيَ مِنْ خَمْسَةِ أَشْيَاءَ: الْعِنَبِ، وَالتَّمْرِ، وَالْحِنْطَةِ، وَالشَّعِيرِ، وَالْعَسَلِ، وَالخَمْرُ: مَا خَامَرَ العَقْلَ(٤). وَعَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ مِنَ الْعِنَبِ خَمْرًا، وَإِنَّ مِنَ التَّمْرِ خَمْرًا، وَإِنَّ مِنَ الْعَسَلِ خَمْرًا، وَإِنَّ مِنَ الْبُرِّ خَمْرًا، وَإِنَّ مِنَ الشَّعِيرِ خَمْرًا»(٥). فَثَبَتَ أَنَّ الْخَمْرَ لَا يَخْتَصُّ بِمَا يُتَّخَذُ مِنَ الْعِنَبِ أَوِ الرُّطَبِ.

وَعَنِ السَّائِبِ بْنِ يَزِيدَ، أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ خَرَجَ عَلَيْهِمْ فَقَالَ: إِنِّي وَجَدْتُ مِنْ فُلَانٍ رِيحَ شَرَابٍ، وَزَعَمَ أَنَّهُ شَرِبَ الطِّلَاءَ، وَأَنَا سَائِلٌ عَمَّا شَرِبَ، فَإِنْ كَانَ يُسْكِرُ جَلَدْتُهُ، فَجَلَدَهُ عُمَرُ الْحَدَّ تَامًّا(٦). وَمَا رُوِيَ عَنْ عُمَرَ ﵁(٧) فِي الطِّلَاءِ فَهُوَ فِيمَا طُبِخَ حَتَّى خَرَجَ عَنْ أَنْ يَكُونَ مُسْكِرًا، وَسُئِلَ ابْنُ عَبَّاسٍ ﵄ عَنِ الْبَاذَقِ، فَقَالَ: سَبَقَ

(١) **صحيح:** البخاري: (٥٥٨٥)، ومسلم: (٢٠٠١). والبِتْعُ: هو نبيذُ العَسَل، كما جاء في الرواية الأخرى: (٤٣٤٣).

(٢) **صحيح:** صحَّحه العلَّامة الألباني ﵀ في «صحيح وضعيف سنن أبي داود» (٣٦٨١).

(٣) **صحيح:** البخاري: (٥٥٧٥)، ومسلم: (٢٠٠٣)، واللفظ له.

(٤) **صحيح:** البخاري: (٥٥٨٨)، ومسلم: (٣٠٣٢).

(٥) **صحيح:** صحَّحه العلَّامة الألباني ﵀ في «صحيح وضعيف سنن أبي داود» (٣٦٧٦).

(٦) **صحيح:** أورده البخاري ﵀ معلَّقًا في «صحيحه» (كتاب الأشربة)، وصحَّحه الحافظ ﵀، وقال: وفي السِّياقِ حذفٌ تقديرُهُ: فسأل عنه فوجده يُسكِرُ فجلده.اهـ«الفتح» (١٠/ ٦٥). والطِّلَاءُ: هو ماء عنب طُبِخ فذهب أقل من ثلثيه.اهـ«التعريفات» (١٤٢).

(٧) **صحيح:** أورده البخاري ﵀ معلَّقًا في «صحيحه» (كتاب الأشربة): (بَابُ الْبَاذَقِ وَمَنْ نَهَى عَنْ كُلِّ مُسْكِرٍ مِنَ الْأَشْرِبَةِ)، وصحَّحه الحافظ ﵀ في «الفتح» (١٠/ ٦٣).

مُحَمَّدٌ ﷺ الْبَاذَقَ، فَمَا أَسْكَرَ فَهُوَ حَرَامٌ[(١)].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَٱلْمَيْسِرِ﴾: يَعْنِي: الْقِمَارَ، **وَالْمَيْسِرُ**: (مَفْعِلٌ) مِنْ قَوْلِهِمْ: (يَسَرَ لِي الشَّيْءُ -إِذَا وَجَبَ- يَيْسِرُ يَسْرًا، وَمَيْسِرًا) ثُمَّ قِيلَ لِلْقِمَارِ: (مَيْسِرٌ)، وَلِلْمُقَامِرِ: (يَاسِرٌ، وَيَسِرٌ)، **وَالْمُرَادُ مِنَ الْآيَةِ**: أَنْوَاعُ الْقِمَارِ كُلِّهَا، **قَالَ طَاوُسٌ وَعَطَاءٌ وَمُجَاهِدٌ**: كُلُّ شَيْءٍ فِيهِ قِمَارٌ فَهُوَ مِنَ الْمَيْسِرِ، حَتَّى لَعِبُ الصِّبْيَانِ بِالْجَوْزِ وَالْكِعَابِ، وَرُوِيَ عَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه فِي النَّرْدِ وَالشِّطْرَنْجِ أَنَّهُمَا مِنَ الْمَيْسِرِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾: وِزْرٌ عَظِيمٌ مِنَ الْمُخَاصَمَةِ وَالْمُشَاتَمَةِ وَقَوْلِ الْفُحْشِ، قَرَأَ حَمْزَةُ وَالْكِسَائِيُّ: ﴿إِثْمٌ كَثِيرٌ﴾ بِالثَّاءِ الْمُثَلَّثَةِ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بِالْبَاءِ، فَالْإِثْمُ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ مَا ذَكَرَهُ اللهُ فِي سُورَةِ الْمَائِدَةِ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾[المَائِدَة:٩١]. ﴿وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾: فَمَنْفَعَةُ الْخَمْرِ: اللَّذَّةُ عِنْدَ شُرْبِهَا وَالْفَرَحُ وَاسْتِمْرَاءُ الطَّعَامِ وَمَا يُصِيبُونَ مِنَ الرِّبْحِ بِالتِّجَارَةِ فِيهَا، وَمَنْفَعَةُ الْمَيْسِرِ: إِصَابَةُ الْمَالِ مِنْ غَيْرِ كَدٍّ وَلَا تَعَبٍ، وَالْإِثْمُ فِيهِ أَنَّهُ إِذَا ذَهَبَ مَالُهُ مِنْ غَيْرِ عِوَضٍ سَاءَهُ ذَلِكَ فَعَادَى صَاحِبَهُ فَقَصَدَهُ بِالسُّوءِ، ﴿وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾: **قَالَ الضَّحَّاكُ وَغَيْرُهُ**: إِثْمُهُمَا بَعْدَ التَّحْرِيمِ أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا قَبْلَ التَّحْرِيمِ، **وَقِيلَ**: إِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا قَبْلَ التَّحْرِيمِ، وَهُوَ مَا يَحْصُلُ بِهِ مِنَ الْعَدَاوَةِ وَالْبَغْضَاءِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ﴾: وَذَلِكَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ حَثَّهُمْ عَلَى الصَّدَقَةِ، فَقَالُوا: مَاذَا نُنْفِقُ؟ فَقَالَ: ﴿قُلِ ٱلْعَفْوَ﴾: قَرَأَ أَبُو عَمْرٍو وَالْحَسَنُ وَقَتَادَةُ وَابْنُ أَبِي إِسْحَاقَ ﴿الْعَفْوُ﴾ بِالرَّفْعِ، مَعْنَاهُ: الَّذِي يُنْفِقُونَ هُوَ الْعَفْوُ، وَقَرَأَ الْآخَرُونَ بِالنَّصْبِ عَلَى مَعْنَى، قُلْ: أَنْفِقُوا الْعَفْوَ. **وَاخْتَلَفُوا فِي مَعْنَى الْعَفْوِ: فَقَالَ قَتَادَةُ وَعَطَاءٌ وَالسُّدِّيُّ**: هُوَ مَا فَضَلَ عَنِ الْحَاجَةِ، وَكَانَتِ الصَّحَابَةُ يَكْتَسِبُونَ الْمَالَ وَيُمْسِكُونَ قَدْرَ النَّفَقَةِ

---

(١) **صحيح**: البخاري: (٥٥٩٨). والباذَقُ: شرابُ العسل.اهـ"الفتح" (١٠/ ٦٦).

وَيَتَصَدَّقُونَ بِالْفَضْلِ بِحُكْمِ هَذِهِ الْآيَةِ ثُمَّ نُسِخَ بِآيَةِ الزَّكَاةِ. **وَقَالَ مُجَاهِدٌ**: مَعْنَاهُ التَّصَدُّقُ عَنْ ظَهْرِ غِنًى حَتَّى لَا يَبْقَى كَلًّا عَلَى النَّاسِ.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**خَيْرُ الصَّدَقَةِ مَا كَانَ عَنْ ظَهْرِ غِنًى، وَالْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ**»(١).

وَقَالَ عَمْرُو بْنُ دِينَارٍ: الْوَسَطُ مِنْ غَيْرِ إِسْرَافٍ وَلَا إِقْتَارٍ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا﴾[الْفُرْقَان:٦٧].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِالصَّدَقَةِ، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ عِنْدِي دِينَارٌ، قَالَ ﷺ: «**أَنْفِقْهُ عَلَى نَفْسِكَ**»، قَالَ: عِنْدِي آخَرُ، قَالَ ﷺ: «**أَنْفِقْهُ عَلَى وَلَدِكَ**»، قَالَ: عِنْدِي آخَرُ، قَالَ ﷺ: «**أَنْفِقْهُ عَلَى أَهْلِكَ**»، قَالَ: عِنْدِي آخَرُ، قَالَ ﷺ: «**أَنْفِقْهُ عَلَى خَادِمِكَ**» قَالَ: عِنْدِي آخَرُ، قَالَ ﷺ: «**أَنْتَ أَعْلَمُ**»(٢).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ﴾: **قَالَ الزَّجَّاجُ**: إِنَّمَا قَالَ كَذَلِكَ عَلَى الْوَاحِدِ وَهُوَ يُخَاطِبُ جَمَاعَةً، لِأَنَّ الْجَمَاعَةَ مَعْنَاهَا الْقَبِيلُ، كَأَنَّهُ قَالَ: كَذَلِكَ أَيُّهَا الْقَبِيلُ، ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ۝٢١٩ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾: **قِيلَ**: مَعْنَاهُ: يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الْآيَاتِ فِي أَمْرِ النَّفَقَةِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَتَحْبِسُونَ مِنْ أَمْوَالِكُمْ مَا يُصْلِحُكُمْ فِي مَعَاشِ الدُّنْيَا، وَتُنْفِقُونَ الْبَاقِيَ فِيمَا يَنْفَعُكُمْ فِي الْعُقْبَى. **وَقَالَ أَكْثَرُ الْمُفَسِّرِينَ**: مَعْنَاهَا: هَكَذَا يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الْآيَاتِ فِي أَمْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾: فِي زَوَالِ الدُّنْيَا وَفَنَائِهَا فَتَزْهَدُوا فِيهَا، وَفِي إِقْبَالِ الْآخِرَةِ وَبَقَائِهَا فَتَرْغَبُوا فِيهَا.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ﴾: أَيْ: الْإِصْلَاحُ لِأَمْوَالِهِمْ مِنْ غَيْرِ أُجْرَةٍ وَلَا أَخْذِ عِوَضٍ خَيْرٌ وَأَعْظَمُ أَجْرًا؛ لِمَا لَكُمْ فِي ذَلِكَ مِنَ الثَّوَابِ، وَخَيْرٌ لَهُمْ؛ لِمَا فِي ذَلِكَ مِنْ تَوَفُّرِ أَمْوَالِهِمْ عَلَيْهِمْ. **قَالَ مُجَاهِدٌ**: يُوَسِّعُ عَلَيْهِ مِنْ طَعَامِ نَفْسِهِ وَلَا

(١) **صحيح**: البخاري: (١٤٢٧)، ومسلم: (١٠٤٢).

(٢) **حسن**: حسَّنه العلَّامة الألباني رحمه الله في "صحيح وضعيف سنن أبي داود" (١٦٩١).

يُوَسِّعُ مِنْ طَعَامِ الْيَتِيمِ. ﴿وَإِن تُخَالِطُوهُمْ﴾: هَذِهِ إِبَاحَةُ الْمُخَالَطَةِ، أَيْ: وَإِنْ تُشَارِكُوهُمْ فِي أَمْوَالِهِمْ وَتَخْلِطُوهَا بِأَمْوَالِكُمْ فِي نَفَقَاتِكُمْ وَمَسَاكِنِكُمْ وَخَدَمِكُمْ وَدَوَابِّكُمْ، فَتُصِيبُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ عِوَضًا عَنْ قِيَامِكُمْ بِأُمُورِهِمْ، أَوْ تُكَافِئُوهُمْ عَلَى مَا تُصِيبُونَ مِنْ أَمْوَالِهِمْ، ﴿فَإِخْوَٰنُكُمْۚ﴾: أَيْ: فَهُمْ إِخْوَانُكُمْ، وَالْإِخْوَانُ يُعِينُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَيُصِيبُ بَعْضُهُمْ مِنْ مَالِ بَعْضٍ عَلَى وَجْهِ الْإِصْلَاحِ وَالرِّضَا، ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ﴾: لِأَمْوَالِهِمْ ﴿مِنَ ٱلْمُصْلِحِۚ﴾: لَهَا، يَعْنِي: الَّذِي يَقْصِدُ بِالْمُخَالَطَةِ الْخِيَانَةَ وَإِفْسَادَ مَالِ الْيَتِيمِ وَأَكْلَهُ بِغَيْرِ حَقٍّ مِنَ الَّذِي يَقْصِدُ الْإِصْلَاحَ، ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْۚ﴾: أَيْ: لَضَيَّقَ عَلَيْكُمْ وَمَا أَبَاحَ لَكُمْ مُخَالَطَتَهُمْ. **وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ**: وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَعَلَ مَا أَصَبْتُمْ مِنْ أَمْوَالِ الْيَتَامَى مَوْبِقًا لَكُمْ، **وَأَصْلُ الْعَنَتِ**: الشِّدَّةُ وَالْمَشَقَّةُ، وَمَعْنَاهُ: كَلَّفَكُمْ فِي كُلِّ شَيْءٍ مَا يَشُقُّ عَلَيْكُمْ، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾: **وَالْعَزِيزُ**: الَّذِي يَأْمُرُ بِعِزَّةٍ، سَهلَ عَلَى الْعِبَادِ أَوْ شَقَّ عَلَيْهِمْ، ﴿حَكِيمٌ﴾: فِيمَا صَنَعَ مِنْ تَدْبِيرِهِ وَتَرْكِ الإِعْنَاتِ.

﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْۗ وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْۗ أُو۟لَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِۖ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّۚ﴾: **قِيلَ**: الْآيَةُ مَنْسُوخَةٌ فِي حَقِّ الكِتَابِيَّاتِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ﴾[المَائِدَة:٥]، **وَقَالَ قَتَادَةُ وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ**: أَرَادَ بِالْمُشْرِكَاتِ الْوَثَنِيَّات.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْۗ﴾: بِجَمَالِهَا، وَمَالِهَا، [وَخُلُقِهَا، وَحَسَبِهَا، وَغَيْرِ ذَلِكَ]، ﴿وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟ۚ﴾: هَذَا إِجْمَاعٌ: لَا يَجُوزُ لِلْمُسْلِمَةِ أَنْ تَنْكِحَ الْمُشْرِكَ، ﴿وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْۗ أُو۟لَٰٓئِكَ﴾: يَعْنِي: الْمُشْرِكِينَ ﴿يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِۖ﴾: أَيْ: إِلَى الْأَعْمَالِ الْمُوجِبَةِ لِلنَّارِ، ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَى

﴿ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ﴾: أَيْ: بِقَضَائِهِ وَقَدَرِهِ وَإِرَادَتِهِ، ﴿وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ﴾: أَيْ: أَوَامِرَهُ وَنَوَاهِيَهِ ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾: يَتَّعِظُونَ.

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ﴾: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه: أَنَّ الْيَهُودَ كَانُوا إِذَا حَاضَتْ مِنْهُمُ الْمَرْأَةُ أَخْرَجُوهَا مِنَ الْبَيْتِ، وَلَمْ يُؤَاكِلُوهَا، وَلَمْ يُشَارِبُوهَا، وَلَمْ يُجَامِعُوهَا فِي الْبَيْتِ[(١)]، فَسُئِلَ رَسُولُ الله ﷺ عَنْ ذَلِكَ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ﴾ الْآيَةَ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**جَامِعُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ وَاصْنَعُوا كُلَّ شَيْءٍ إِلَّا النِّكَاحَ**»، فَقَالَتِ الْيَهُودُ: مَا يُرِيدُ هَذَا الرَّجُلُ أَنْ يَدَعَ شَيْئًا مِنْ أَمْرِنَا إِلَّا خَالَفَنَا فِيهِ، فَجَاءَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ وَعَبَّادُ بْنُ بشير إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَا: يَا رَسُولَ الله! إِنَّ الْيَهُودَ تَقُولُ كَذَا وَكَذَا، أَفَلَا نَنْكِحُهُنَّ فِي الْمَحِيضِ؟ فَتَمَعَّرَ وَجْهُ رَسُولِ الله ﷺ حَتَّى ظَنَنَّا أَنْ قَدْ وَجَدَ عَلَيْهِمَا، فَخَرَجَا فَاسْتَقْبَلَتْهُمَا هَدِيَّةٌ مِنْ لَبَنٍ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ، فَبَعَثَ فِي آثَارِهِمَا فَسَقَاهُمَا، فَعَرَفْنَا أَنَّهُ لَمْ يَجِدْ عَلَيْهِمَا[(٢)].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ﴾: أَيْ: عَنِ الْحَيْضِ وَهُوَ مَصْدَرُ: (حَاضَتِ الْمَرْأَةُ تَحِيضُ حَيْضًا، وَمَحِيضًا) كَـ(السَّيْرِ، وَالْمَسِيرِ) **وَأَصْلُ الْحَيْضِ**: الِانْفِجَارُ وَالسَّيَلَانُ. **وَقَوْلُهُ**: ﴿قُلْ هُوَ أَذًى﴾: أَيْ: قَذِرٌ، **وَالْأَذَى**: كُلُّ مَا يُكْرَهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، ﴿فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ﴾: أَرَادَ بِالِاعْتِزَالِ تَرْكَ الوَطْءِ، ﴿وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ﴾: أَيْ: لَا تُجَامِعُوهُنَّ، أَمَّا الْمُلَامَسَةُ وَالْمُضَاجَعَةُ مَعَهَا فَجَائِزَةٌ.

---

(١) أي: لم يُساكِنُوها في المحلِّ الواحد، وليس المرادُ مجامعتها في الفرج.اهـ "البحر المحيط الثجاج" (٧/ ٤١٢).

(٢) **صحيح**: مسلم: (٣٠٢)، وأورده العلَّامة الإمام مقبل بن هادي الوادعي رحمه الله في كتابه "الصحيح المسند من أسباب النزول" ص(٤٠).

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: كُنْتُ أَغْتَسِلُ أَنَا وَالنَّبِيُّ ﷺ مِنْ إِنَاءٍ وَاحِدٍ، كِلَانَا جُنُبٌ، وَكَانَ يَأْمُرُنِي فَأَتَّزِرُ، فَيُبَاشِرُنِي وَأَنَا حَائِضٌ، وَكَانَ يُخْرِجُ رَأْسَهُ إِلَيَّ وَهُوَ مُعْتَكِفٌ فَأَغْسِلُهُ وَأَنَا حَائِضٌ[(١)]. **وَعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: حِضْتُ وَأَنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي الْخَمِيلَةِ، فَانْسَلَلْتُ فَخَرَجْتُ مِنْهَا فَأَخَذْتُ ثِيَابَ حَيْضَتِي فَلَبِسْتُهَا، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَنَفِسْتِ**»؟ قُلْتُ: نَعَمْ، فَدَعَانِي فَأَدْخَلَنِي مَعَهُ الخَمِيلَةَ[(٢)]. **وَعَنْ عَائِشَةَ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: كُنْتُ أَشْرَبُ وَأَنَا حَائِضٌ ثُمَّ أُنَاوِلُهُ النَّبِيَّ ﷺ فَيَضَعُ فَاهُ عَلَى مَوْضِعِ فِيَّ فَيَشْرَبُ، وَأَتَعَرَّقُ الْعَرْقَ فَيَتَنَاوَلُهُ فَيَضَعُ فَاهُ فِي مَوْضِعِ فِيَّ[(٣)].

فَوَطْءُ الْحَائِضِ حَرَامٌ وَمَنْ فَعَلَهُ يَعْصِي اللهَ ﷻ، وَيُعَزِّرُهُ الْإِمَامُ إِنْ عَلِمَ مِنْهُ ذَلِكَ، **وَاخْتَلَفَ أَهْلُ الْعِلْمِ فِي وُجُوبِ الْكَفَّارَةِ عَلَيْهِ: فَذَهَبَ أَكْثَرُهُمْ** إِلَى أَنَّهُ لَا كَفَّارَةَ عَلَيْهِ فَيَسْتَغْفِرُ اللهَ وَيَتُوبُ إِلَيْهِ، **وَذَهَبَ قَوْمٌ** إِلَى وُجُوبِ الْكَفَّارَةِ عَلَيْهِ، مِنْهُمْ قَتَادَةُ وَالْأَوْزَاعِيُّ وَأَحْمَدُ وَإِسْحَاقُ؛ لِمَا رُوِيَ **عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي الَّذِي يَأْتِي امْرَأَتَهُ وَهِيَ حَائِضٌ، قَالَ: «**يَتَصَدَّقُ بِدِينَارٍ أَوْ نِصْفِ دِينَارٍ**»[(٤)]، وَيُرْوَى هَذَا مَوْقُوفًا عَلَى ابْنِ عَبَّاسٍ[(٥)]. وَيَمْنَعُ الْحَيْضُ جَوَازَ الصَّلَاةِ وَوُجُوبَهَا، وَيَمْنَعُ جَوَازَ الصَّوْمِ وَلَا يَمْنَعُ وُجُوبَهُ، حَتَّى إِذَا طَهُرَتْ يَجِبُ عَلَيْهَا قَضَاءُ الصَّوْمِ وَلَا يَجِبُ عَلَيْهَا قَضَاءُ الصَّلَاةِ، وَكَذَلِكَ النُّفَسَاءُ.

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: كُنَّا نَحِيضُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ثُمَّ نَطْهُرُ، فَيَأْمُرُنَا بِقَضَاءِ الصِّيَامِ وَلَا يَأْمُرُنَا بِقَضَاءِ الصَّلَاةِ[(٦)].

---

(١) **صحيح:** البخاري: (٢٩٩).

(٢) **صحيح:** البخاري: (٣٢٢)، ومسلم: (٢٩٦).

(٣) **صحيح:** مسلم: (٣٠٠). «**أَتَعَرَّقُ**»: أي: آكُل «**العَرْقَ**»: العظم إذا أُخِذ عنه مُعظم اللحم.

(٤) **صحيح:** صحَّحه العلَّامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في "صحيح وضعيف سنن أبي داود" (٢٦٤).

(٥) **صحيح موقوفًا:** صحَّحه العلَّامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في "صحيح وضعيف سنن أبي داود" (٢٦٥)، ولفظُهُ: «إِذَا أَصَابَهَا فِي الدَّمِ فَدِينَارٌ، وَإِذَا أَصَابَهَا فِي انْقِطَاعِ الدَّمِ فَنِصْفُ دِينَارٍ».

(٦) **صحيح:** البخاري: (٣٢١)، ومسلم: (٣٣٥).

وَلَا يَجُوزُ لِلْحَائِضِ الطَّوَافُ بِالْبَيْتِ، وَلَا يَجُوزُ لِلزَّوْجِ غِشْيَانُهَا.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ﴾: قَرَأَ عَاصِمٌ بِرِوَايَةِ أَبِي بَكْرٍ وَحَمْزَةَ وَالْكِسَائِيِّ بِتَشْدِيدِ الطَّاءِ وَالْهَاءِ، يَعْنِي: حَتَّى يَغْتَسِلْنَ، وَقَرَأَ الْآخَرُونَ بِسُكُونِ الطَّاءِ وَضَمِّ الهَاءِ مُخَفَّفًا، وَمَعْنَاهُ: حَتَّى يَطْهُرْنَ مِنَ الْحَيْضِ وَيَنْقَطِعُ دَمُهُنَّ.

﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ﴾: يَعْنِي: اغْتَسَلْنَ، ﴿فَأْتُوهُنَّ﴾: أَيْ: فَجَامِعُوهُنَّ ﴿مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ﴾: أَيْ: مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمْ أَنْ تَعْتَزِلُوهُنَّ مِنْهُ وَهُوَ الْفَرْجُ، **قَالَهُ مُجَاهِدٌ وَقَتَادَةُ وَعِكْرِمَةُ، وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ:** طَئُوهُنَّ فِي الْفَرْجِ وَلَا تَعْدُوهُ إِلَى غَيْرِهِ، أَيِ: اتَّقُوا الْأَدْبَارَ، **وَقِيلَ:** ﴿مِنْ﴾ بِمَعْنَى: (فِي)، أَيْ: فِي حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللهُ تَعَالَى وَهُوَ الْفَرْجُ، كَقَوْلِهِ ﷻ: ﴿إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ﴾ [الجُمُعَة:٩]، أَيْ: فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ، **وَقِيلَ:** فَأْتُوهُنَّ مِنَ الْوَجْهِ الَّذِي أَمَرَكُمُ اللهُ أَنْ تَأْتُوهُنَّ وَهُوَ الطُّهْرُ، **وَقَالَ ابْنُ الْحَنَفِيَّةِ:** مِنْ قِبَلِ الْحَلَالِ دُونَ الْفُجُورِ **وَقِيلَ:** لَا تَأْتُوهُنَّ صَائِمَاتٍ وَلَا مُعْتَكِفَاتٍ وَلَا مُحْرِمَاتٍ، وَأْتُوهُنَّ وَغِشْيَانُهُنَّ لَكُمْ حَلَالٌ.

وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا يَرْتَفِعُ تَحْرِيمُ شَيْءٍ مِمَّا مَنَعَهُ الحَيْضُ بِانْقِطَاعِ الدَّمِ مَا لَمْ تَغْتَسِلْ أَوْ تَتَيَمَّمْ عِنْدَ عَدَمِ المَاءِ، إِلَّا تَحْرِيمُ الصَّوْمِ؛ فَإِنَّ الْحَائِضَ إِذَا انْقَطَعَ دَمُهَا بِاللَّيْلِ وَنَوَتِ الصَّوْمَ فَوَقَعَ غُسْلُهَا بِالنَّهَارِ صَحَّ صَوْمُهَا، وَالطَّلَاقُ فِي حَالِ الْحَيْضِ يَكُونُ بِدْعِيًّا وَإِذَا طَلَّقَهَا بَعْدَ انْقِطَاعِ الدَّمِ قَبْلَ الْغُسْلِ لَا يَكُونُ بِدْعِيًّا، **وَذَهَبَ أَبُو حَنِيفَةَ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى أَنَّهُ إِذَا انْقَطَعَ دَمُهَا لِأَكْثَرِ الحَيْضِ -وَهِيَ عِنْدَهُ عَشَرَةُ أَيَّامٍ- يَجُوزُ لِلزَّوْجِ غِشْيَانُهَا قَبْلَ الغُسْلِ، **وَقَالَ مُجَاهِدٌ وَطَاوُسٌ:** إِذَا غَسَلَتْ فَرْجَهَا يَجُوزُ لِلزَّوْجِ غِشْيَانُهَا قَبْلَ الْغُسْلِ، **وَأَكْثَرُ أَهْلِ الْعِلْمِ** عَلَى التَّحْرِيمِ مَا لَمْ تَغْتَسِلْ أَوْ تَتَيَمَّمْ عِنْدَ عَدَمِ المَاءِ؛ لِأَنَّ اللهَ تَعَالَى عَلَّقَ جَوَازَ وَطْئِهَا بِشَرْطَيْنِ: بِانْقِطَاعِ الدَّمِ وَالغُسْلِ، فَقَالَ: ﴿حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ﴾، يَعْنِي: مِنَ الْحَيْضِ ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ﴾: يَعْنِي: اغْتَسَلْنَ ﴿فَأْتُوهُنَّ﴾، وَمَنْ قَرَأَ يَطَّهَّرْنَ بِالتَّشْدِيدِ

فَالْمُرَادُ مِنْ ذَلِكَ الْغُسْلُ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا﴾[المَائِدَة:٦]، أَيِ: اغْتَسِلُوا، فَدَلَّ عَلَى أَنَّ قَبْلَ الْغُسْلِ لَا يَحِلُّ الْوَطْءُ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾: **قَالَ عَطَاءٌ وَمُقَاتِلُ بْنُ سُلَيْمَانَ وَالْكَلْبِيُّ**: يُحِبُّ التَّوَّابِينَ مِنَ الذُّنُوبِ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ بِالْمَاءِ مِنَ الْأَحْدَاثِ وَالنَّجَاسَاتِ، **وَقَالَ مُقَاتِلُ بْنُ حَيَّانَ**: يُحِبُّ التَّوَّابِينَ مِنَ الذُّنُوبِ وَالْمُتَطَهِّرِينَ مِنَ الشِّرْكِ، **وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ**: التَّوَّابِينَ مِنَ الشِّرْكِ وَالْمُتَطَهِّرِينَ مِنَ الذُّنُوبِ، **وَقَالَ مُجَاهِدٌ**: التَّوَّابِينَ مِنَ الذُّنُوبِ لَا يَعُودُونَ فِيهَا وَالْمُتَطَهِّرِينَ مِنْهَا لَمْ يُصِيبُوهَا، **وَالتَّوَّابُ**: الَّذِي كُلَّمَا أَذْنَبَ تَابَ، نَظِيرُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا﴾[الإِسْرَاء:٢٥].

﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ۖ وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُم مُّلَاقُوهُ ۗ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾: **عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ** رضي الله عنهما قَالَ: جَاءَ عُمَرُ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله هَلَكْتُ، قَالَ: «**وَمَا الَّذِي أَهْلَكَكَ؟**» قَالَ: حَوَّلْتُ رَحْلِي الْبَارِحَةَ، فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ شَيْئًا، فَأَوْحَى اللهُ إِلَيْهِ: ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾، يَقُولُ: «**أَدْبِرْ وَأَقْبِلْ وَاتَّقِ الدُّبُرَ وَالْحَيْضَةَ**»(١).

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله رضي الله عنهما قَالَ: كَانَتِ الْيَهُودُ تَقُولُ فِي الَّذِي يَأْتِي امْرَأَتَهُ مِنْ دُبُرِهَا فِي قُبُلِهَا إِنَّ الْوَلَدَ يَكُونُ أَحْوَلَ، فَنَزَلَتْ: ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾(٢).

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: كَانَ مِنْ شَأْنِ أَهْلِ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَأْتُوا النِّسَاءَ إِلَّا عَلَى حَرْفٍ، وَذَلِكَ أَسْتَرُ مَا تَكُونُ الْمَرْأَةُ، وَكَانَ هَذَا الْحَيُّ مِنَ الْأَنْصَارِ قَدْ أَخَذُوا بِذَلِكَ

(١) **حسن**: حسَّنه العلَّامة الألباني رحمه الله في «صحيح وضعيف سنن الترمذي» (٢٩٨٠).

(٢) **صحيح**: البخاري: (٤٥٢٨)، ومسلم: (١٤٣٥)، وأورده العلَّامة الإمام مقبل بن هادي الوادعي رحمه الله في كتابه «الصحيح المسند من أسباب النزول» ص(٤١).

مِنْ فِعْلِهِمْ وَكَانَ هَذَا الحَيُّ مِنْ قُرَيْشٍ يَتَلَذَّذُونَ مِنْهُنَّ مُقْبِلَاتٍ وَمُدْبِرَاتٍ وَمُسْتَلْقِيَاتٍ فَلَمَّا قَدِمَ المُهَاجِرُونَ المَدِينَةَ تَزَوَّجَ رَجُلٌ مِنْهُمُ امْرَأَةً مِنَ الْأَنْصَارِ فَذَهَبَ يَصْنَعُ بِهَا ذَلِكَ، فَأَنْكَرَتْ عَلَيْهِ وَقَالَتْ: إِنَّا كُنَّا نُؤْتَى عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ شِئْتَ فَاصْنَعْ ذَلِكَ، وَإِلَّا فَاجْتَنِبْنِي، حَتَّى سَرَى أَمْرُهُمَا، فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ﴾ الْآيَةَ، أَيْ: مُقْبِلَاتٍ وَمُدْبِرَاتٍ وَمُسْتَلْقِيَاتٍ يَعْنِي بِذَلِكَ: مَوْضِعَ الْوَلَدِ[(١)].

وَ﴿أَنَّىٰ﴾: حَرْفُ اسْتِفْهَامٍ يَكُونُ سُؤَالًا عَنِ الحَالِ وَالمَحَلِّ، مَعْنَاهُ: (كَيْفَ شِئْتُمْ) وَ(حَيْثُ شِئْتُمْ) بَعْدَ أَنْ يَكُونَ فِي صِمَامٍ وَاحِدٍ، **وَقِيلَ**: ﴿حَرْثٌ لَّكُمْ﴾: أَيْ: مَزْرَعٌ لَكُمْ وَمَنْبَتٌ لِلْوَلَدِ بِمَنْزِلَةِ الْأَرْضِ الَّتِي تُزْرَعُ، وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى تَحْرِيمِ الْأَدْبَارِ؛ لِأَنَّ مَحَلَّ الحَرْثِ وَالزَّرْعِ هُوَ الْقُبُلُ لَا الدُّبُرُ، **وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ المُسَيَّبِ**: هَذَا فِي الْعَزْلِ، يَعْنِي: إِنْ شِئْتُمْ، فَاعْزِلُوا وَإِنْ شِئْتُمْ فَلَا تَعْزِلُوا، **وَسُئِلَ ابْنُ عَبَّاسٍ عَنِ الْعَزْلِ** فَقَالَ: حَرْثُكَ إِنْ شِئْتَ فَأَعْطِشْ وَإِنْ شِئْتَ فَارْوِ، **وَرُوِيَ عَنْهُ** أَنَّهُ قَالَ: تُسْتَأْمَرُ الحُرَّةُ فِي الْعَزْلِ وَلَا تُسْتَأْمَرُ الجَارِيَةُ، وَبِهِ قَالَ أَحْمَدُ، وَكَرِهَ جَمَاعَةٌ الْعَزْلَ وَقَالُوا: هُوَ الْوَأْدُ الخَفِيُّ، وَيُحْكَى عَنْ مَالِكٍ إِبَاحَةُ ذَلِكَ، وَأَنْكَرَ ذَلِكَ أَصْحَابُهُ[(٢)].

وَالدَّلِيلُ عَلَى تَحْرِيمِ الْأَدْبَارِ مَا جَاءَ **عَنْ خُزَيْمَةَ بْنِ ثَابِتٍ** رضي الله عنه، أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ عَنْ إِتْيَانِ النِّسَاءِ فِي أَدْبَارِهِنَّ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**فِي أَيِّ الخُرْمَتَيْنِ، أَوْ فِي أَيِّ الخَرَزَتَيْنِ، أَوْ فِي الخُصْفَتَيْنِ، أَمِنَ دُبُرِهَا فِي قُبُلِهَا فَنَعَمْ، أَمْ مِنْ دُبُرِهَا فِي دُبُرِهَا فَلَا؛ فَإِنَّ**

(١) **حسن**: حسَّنه العلَّامة الألباني رحمه الله في "صحيح وضعيف سنن أبي داود" (٢١٦٤).

(٢) قال أبو عبد الله ابن الحاج في كتابه "المدخل" (٢/ ١٩٢): (فصلٌ): وليحذر أن يفعل مع زوجته أو جاريته هذا الفعل القبيح الشنيع الذي أحدثه بعض السفهاء، وهو إتيان المرأة في دبرها، وهي مسألة معضلة في الإسلام، ولَيتَهُم لو اقتصروا على ذلك، لكنَّهم نسبوا ذلك إلى الجواز، ويقولون: إنَّه مرويٌّ عن مالك رحمه الله، وهي رواية منكرة عنه لا أصل لها؛ لأنَّ من نسبها إلى مالك إنَّما نسبها لكتاب "السِّر"، وإن وُجِد ذلك في غيره فهو مُتقوَّل عليه، وأصحاب مالك رحمه الله مطبقون على أنَّ مالكًا لم يكن له كتاب "السِّر"، وفيه من غير هذا أشياء كثيرة منكرة يجلُّ غير مالك عن إباحتها، فكيف بمنصبه، وما عُرِف مالكٌ إلا بنقيض ما نقلوا عنه..إلخ.

اللهَ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الحَقِّ، لَا تَأْتُوا النِّسَاءَ فِي أَدْبَارِهِنَّ»[(١)]. وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَلْعُونٌ مَنْ أَتَى امْرَأَتَهُ فِي دُبُرِهَا»[(٢)].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُمۡۚ﴾: قَالَ عَطَاءٌ: التَّسْمِيَةُ عِنْدَ الْجِمَاعِ، قَالَ مُجَاهِدٌ: ﴿وَقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُمۡۚ﴾: يَعْنِي: إِذَا أَتَى أَهْلَهُ فَلْيَدْعُ.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَأْتِيَ أَهْلَهُ قَالَ: بِسْمِ الله، اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا الشَّيْطَانَ وَجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا، فَإِنَّهُ إِنْ يُقَدَّرْ بَيْنَهُمَا وَلَدٌ فِي ذَلِكَ لَمْ يَضُرَّهُ الشَّيْطَانُ أَبَدًا»[(٣)].

وَقِيلَ: ﴿وَقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُمۡۚ﴾: يَعْنِي: طَلَبَ الْوَلَدِ.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ»[(٤)].

وَقِيلَ: هُوَ التَّزَوُّجُ بِالْعَفَافِ لِيَكُونَ الْوَلَدُ صَالِحًا.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لِأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا، وَلِحَسَبِهَا، وَلِجَمَالِهَا، وَلِدِينِهَا، فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ»[(٥)].

وَقِيلَ: مَعْنَى الْآيَةِ: تَقْدِيمُ الْأَفْرَاطِ.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «لَا يَمُوتُ لِأَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْوَلَدِ فَتَمَسَّهُ النَّارُ إِلَّا تَحِلَّةَ الْقَسَمِ»[(٦)].

---

(١) **صحيح:** صحَّحه العلَّامة الألباني رحمه الله في كتابه صـ"آداب الزفاف" (١٠٤).

(٢) **حسن:** حسَّنه العلَّامة الألباني رحمه الله في "صحيح وضعيف سنن أبي داود" (٢١٦٢).

(٣) **صحيح:** البخاري: (٧٣٩٦)، ومسلم: (١٤٣٤).

(٤) **صحيح:** مسلم: (١٦٣١).

(٥) **صحيح:** البخاري: (٥٠٩٠)، ومسلم: (١٤٦٦).

(٦) **صحيح:** البخاري: (٦٦٥٦)، ومسلم: (٢٦٣٢).

وَقَالَ الْكَلْبِيُّ وَالسُّدِّيُّ: ﴿وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ﴾: يَعْنِي: الخَيْرَ وَالْعَمَلَ الصَّالِحَ؛ بِدَلِيلِ سِيَاقِ الْآيَةِ، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُم مُّلَاقُوهُ﴾: صَائِرُونَ إِلَيْهِ فَيَجْزِيكُمْ بِأَعْمَالِكُمْ، ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَانِكُمْ أَن تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٢٤) لَّا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَانِكُمْ﴾: **الْعُرْضَةُ**: أَصْلُهَا الشِّدَّةُ وَالْقُوَّةُ، وَمِنْهُ قِيلَ لِلدَّابَّةِ الَّتِي تُتَّخَذُ لِلسَّفَرِ: عُرْضَةٌ؛ لِقُوَّتِهَا عَلَيْهِ، ثُمَّ قِيلَ لِكُلِّ مَا يَصْلُحُ لِشَيْءٍ: هُوَ عُرْضَةٌ لَهُ، حَتَّى قَالُوا لِلْمَرْأَةِ: هِيَ عُرْضَةُ النِّكَاحِ إِذَا صَلحَتْ لَهُ، وَالعُرْضَةُ: كُلُّ مَا يَعْرُضُ فَيَمْنَعُ عَنِ الشَّيْءِ، وَمَعْنَى الْآيَةِ: لَا تَجْعَلُوا الْحَلِفَ بِاللهِ سَبَبًا مَانِعًا لَكُمْ عَنِ الْبِرِّ وَالتَّقْوَى، يُدْعَى أَحَدُكُمْ إِلَى صِلَةِ رَحِمٍ أَوْ بِرٍّ، فَيَقُولُ: حَلَفْتُ بِاللهِ أَنْ لَا أَفْعَلَهُ، فَيَعْتَلُّ بِيَمِينِهِ فِي تَرْكِ الْبِرِّ، ﴿أَن تَبَرُّوا﴾: مَعْنَاهُ: أَنْ لَا تَبَرُّوا، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا﴾[النِّسَاء:١٧٦] أَيْ: لِئَلَّا تَضِلُّوا، ﴿وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: **«مَنْ حَلَفَ بِيَمِينٍ فَرَأَى خَيْرًا مِنْهَا، فَلْيُكَفِّرْ عَنْ يَمِينِهِ، وَلْيَفْعَلِ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ»**[(١)].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾: **اللَّغْوُ**: كُلُّ سَاقِطٍ مُطْرَحٍ مِنَ الْكَلَامِ لَا يُعْتَدُّ بِهِ، **وَاخْتَلَفَ أَهْلُ الْعِلْمِ فِي اللَّغْوِ فِي الْيَمِينِ الْمَذْكُورَةِ فِي الْآيَةِ: فَقَالَ قَوْمٌ**: هُوَ مَا يَسْبِقُ إِلَى اللِّسَانِ عَلَى عَجَلَةٍ لِصِلَةِ الْكَلَامِ مِنْ غَيْرِ عَقْدٍ وَقَصْدٍ كَقَوْلِ الْقَائِلِ: (لَا وَاللهِ)، وَ(بَلَى وَاللهِ)، وَ(كَلَّا وَاللهِ).

عَـنْ عَـائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّهَا قَالَتْ: لَغْوُ الْيَمِينِ قَـوْلُ الْإِنْسَانِ: لَا وَاللهِ، وَبَلَى وَاللهِ[(٢)].

---

(١) **صحيح**: مسلم: (١٦٥٠).

(٢) قال العلَّامة الإمام الوادعي رحمه الله في كتابه «الصحيح المسند من أسباب النزول» ص(٤٣): **قال الإمام البخاري** رحمه الله: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، حَدَّثَنَا يَحْيَى، عَنْ هِشَامٍ قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبِي، **عَنْ عَائِشَةَ** =

وَرَفَعَهُ بَعْضُهُمْ[1]، وَإِلَى هَذَا ذَهَبَ الشَّعْبِيُّ وَعِكْرِمَةُ، وَبِهِ قَالَ الشَّافِعِيُّ، وَيُرْوَى عَنْ عَائِشَةَ أَيْمَانُ اللَّغْوِ: مَا كَانَتْ فِي الْهَزْلِ وَالْمِرَاءِ وَالْخُصُومَةِ وَالْحَدِيثِ الَّذِي لَا يَعْقِدُ عَلَيْهِ الْقَلْبُ، **وَقَالَ قَوْمٌ**: هُوَ أَنْ يَحْلِفَ عَلَى شَيْءٍ يَرَى أَنَّهُ صَادِقٌ فِيهِ، ثُمَّ يَتَبَيَّنُ لَهُ خِلَافُ ذَلِكَ، وَهُوَ قَوْلُ الْحَسَنِ وَالزُّهْرِيِّ وَإِبْرَاهِيمَ النَّخَعِيِّ وَقَتَادَةَ وَمَكْحُولٍ، وَبِهِ قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ رضي الله عنه، وَقَالُوا: لَا كَفَّارَةَ فِيهِ وَلَا إِثْم، **وَقَالَ عَلِيٌّ**: هُوَ اليَمِينُ فِي الغَضَبِ، وَبِهِ قَالَ طَاوُس، **وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ**: هُوَ الْيَمِينُ فِي المَعْصِيَةِ لَا يُؤَاخِذُهُ اللهُ بِالْحِنْثِ فِيهَا، بَلْ يَحْنَثُ وَيُكَفِّرُ، **وَقَالَ مَسْرُوقٌ**: لَيْسَ عَلَيْهِ كَفَّارَةٌ، أَنُكَفِّر خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ؟ **وَقَالَ الشَّعْبِيُّ** -فِي الرَّجُلِ يَحْلِفُ عَلَى المَعْصِيَةِ-: كَفَّارَتُهَا أَنْ يَتُوبَ مِنْهَا، وَكُلُّ يَمِينٍ لَا يَحِلُّ لَكَ أَنْ تَفِيَ بِهَا فَلَيْسَ فِيهَا كَفَّارَةٌ، وَلَوْ أَمَرْتهُ بِالْكَفَّارَةِ لَأَمَرْتهُ أَنْ يُتِمَّ عَلَى قَوْلِهِ، **وَقَالَ زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ**: هُوَ دُعَاءُ الرَّجُلِ عَلَى نَفْسِهِ، كَقَوْلِ الإِنْسَانِ: (أَعْمَى اللهُ بَصَرِي إِنْ لَمْ أَفْعَلْ كَذَا)، (أَخْرَجَنِي اللهُ مِنْ مَالِي إِنْ لَمْ آتِكَ غَدًا)، فَهَذَا كُلُّهُ لَغْوٌ لَا يُؤَاخِذُ اللهُ بِهِ، وَلَوْ آخَذَهُمْ لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعُقُوبَةَ، ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ لَقُضِىَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ﴾[يُونُس:١١] وَقَالَ: ﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ﴾[الإِسْرَاء:١١].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾: أَيْ: عَزَمْتُمْ وَقَصَدْتُمْ إِلَى الْيَمِينِ، وَكَسْبُ الْقَلْبِ: العَقْدُ وَالنِّيَّةُ، ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾، وَاعْلَمْ أَنَّ الْيَمِينَ لَا تَنْعَقِدُ إِلَّا بِالله أَوْ بِاسْمٍ مِنْ أَسْمَائِهِ أَوْ بِصِفَةٍ مِنْ صِفَاتِهِ، **فَالْيَمِينُ بِالله**: أَنْ يَقُولَ: (وَالَّذِي أَعْبُدُهُ)، (وَالَّذِي أُصَلِّي لَهُ)، (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ)، وَنَحْوَ ذَلِكَ. **وَالْيَمِينُ بِأَسْمَائِهِ**: كَقَوْلِهِ: (وَالله)، (وَالرَّحْمَنِ)، وَنَحْوِهِ. **وَالْيَمِينُ بِصِفَاتِهِ**: كَقَوْلِهِ (وَعِزَّةِ الله)، (وَعَظَمَةِ الله)، (وَجَلَالِ اللهِ)، (وَقُدْرَةِ اللهِ) وَنَحْوِهَا.

= رضي الله عنها: «﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ﴾ قَالَ: قَالَتْ: أُنْزِلَتْ فِي قَوْلِهِ: لَا وَاللهِ، وَبَلَى وَاللهِ».اهـ

(١) **صحيح:** صححه العلَّامة الألباني رحمه الله في "صحيح وضعيف سنن أبي داود" (٣٢٥٤)، حدثنا حميد بن مسعدة السامي، حدثنا حسَّان -يعني: ابن إبراهيم- حدثنا إبراهيم -يعني: الصائغ- عن عطاء في اللغو في اليمين قال: قالت عائشة رضي الله عنها إنَّ رسول الله ﷺ قال: «**هُوَ كَلَامُ الرَّجُلِ فِي بَيْتِهِ: كَلَّا وَاللهِ، وَبَلَى واللهِ**».

فَإِذَا حَلَفَ بِشَيْءٍ مِنْهَا عَلَى أَمْرٍ فِي الْمُسْتَقْبَلِ، فَحَنَثَ يَجِبُ عَلَيْهِ الْكَفَّارَةُ. وَإِذَا حَلَفَ عَلَى أَمْرٍ مَاضٍ أَنَّهُ كَانَ وَلَمْ يَكُنْ، أَوْ عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ وَقَدْ كَانَ، إِنْ كَانَ عَالِمًا بِهِ حَالَةَ مَا حَلَفَ فَهُوَ الْيَمِينُ الْغَمُوسُ وَهُوَ مِنَ الْكَبَائِرِ، وَتَجِبُ فِيهِ الْكَفَّارَةُ عِنْدَ بَعْضِ أَهْلِ الْعِلْمِ عَالِمًا كَانَ أَوْ جَاهِلًا، وَبِهِ قَالَ الشَّافِعِيُّ، وَلَا يَجِبُ عِنْدَ بَعْضِهِمْ، وَهُوَ قَوْلُ أَصْحَابِ الرَّأْيِ، وَقَالُوا: إِنْ كَانَ عَالِمًا فَهُوَ كَبِيرَةٌ وَلَا كَفَّارَةَ لَهَا كَمَا فِي سَائِرِ الْكَبَائِرِ، وَإِنْ كَانَ جَاهِلًا فَهُوَ الْيَمِينُ اللَّغْوُ عِنْدَهُمْ.

وَمَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ مَثَلًا، مِثْلَ أَنْ قَالَ: (وَالْكَعْبَةِ)، (وَبَيْتِ اللهِ)، (وَنَبِيِّ اللهِ)، أَوْ حَلَفَ بِـ(أَبِيهِ) وَنَحْوِ ذَلِكَ، فَلَا يَكُونُ يَمِينًا، وَلَا تَجِبُ بِهِ الْكَفَّارَةُ إِذَا حَلَفَ، وَهُوَ يَمِينٌ مَكْرُوهَةٌ، قَالَ الشَّافِعِيُّ: وَأَخْشَى أَنْ يَكُونَ مَعْصِيَةً.

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَدْرَكَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ وَهُوَ يَسِيرُ فِي رَكْبٍ وَهُوَ يَحْلِفُ بِأَبِيهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ يَنْهَاكُمْ أَنْ تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ، فَمَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللهِ أَوْ لِيَصْمُتْ**»[(١)].

﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍۖ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾ وَإِنْ عَزَمُوا۟ ٱلطَّلَٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٧﴾ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِۚ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِى ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓا۟ إِصْلَٰحًاۚ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ﴾: ﴿يُؤْلُونَ﴾: أَيْ: يَحْلِفُونَ **وَالْأَلِيَّةُ**: الْيَمِينُ، وَالْمُرَادُ مِنَ الْآيَةِ الْيَمِينُ عَلَى تَرْكِ وَطْءِ الْمَرْأَةِ، **قَالَ قَتَادَةُ**: كَانَ الْإِيلَاءُ طَلَاقًا لِأَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ، **وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ**: كَانَ ذَلِكَ مِنْ ضِرَارِ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ، كَانَ الرَّجُلُ لَا يُحِبُّ امْرَأَتَهُ وَلَا يُرِيدُ أَنْ يَتَزَوَّجَهَا غَيْرُهُ، فَيَحْلِفُ أَنْ لَا يَقْرَبَهَا أَبَدًا

---

(١) **صحيح:** البخاري: (٦٦٤٦)، ومسلم: (١٦٤٦).

فَيَتْرُكُهَا لَا أَيِّمًا[(١)] وَلَا ذَات بَعْلٍ، وَكَانُوا عَلَيْهِ فِي ابْتِدَاءِ الْإِسْلَامِ، فَضَرَبَ اللهُ لَهُ أَجَلًا فِي الْإِسْلَامِ، **وَاخْتَلَفَ أَهْلُ الْعِلْمِ فِيهِ: فَذَهَبَ أَكْثَرُهُمْ** إِلَى أَنَّهُ إِنْ حَلَفَ أَنْ لَا يَقْرَبَ زَوْجَتَهُ أَبَدًا أَوْ سَمَّى مُدَّةً أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ يَكُونُ مُولِيًا، فَلَا يُتَعَرَّض لَهُ قَبْلَ مُضِيِّ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ، وَبَعْدَ مُضِيِّهَا يُوقَفُ وَيُؤْمَرُ بِالْفَيْءِ أَوْ بِالطَّلَاقِ بَعْدَ مُطَالَبَةِ المَرْأَةِ، وَالْفَيْءُ: هُوَ الرُّجُوعُ عَمَّا قَالَهُ بِالْوَطْءِ إِنْ قَدَرَ عَلَيْهِ، وَإِنْ لَمْ يَقْدِرْ فَبِالْقَوْلِ، فَإِن لَّمْ يَفِ وَلَمْ يُطَلِّقْ طَلَّقَ عَلَيْهِ السُّلْطَانُ وَاحِدَةً، وَذَهَبَ إِلَى الْوُقُوفِ بَعْدَ مُضِيِّ الْمُدَّةِ: عُمَرُ وَعُثْمَانُ وَعَلِيٌّ وَأَبُو الدَّرْدَاءِ وَابْنُ عُمَرَ، **قَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ يَسَارٍ**: أَدْرَكْتُ بِضْعَةَ عَشَرَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ كُلُّهُمْ يَقُولُونَ بِوَقْفِ المُولِي[(٢)]، وَإِلَيْهِ ذَهَبَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، وَسُلَيْمَانُ بْنُ يَسَارٍ، وَمُجَاهِدٌ، وَبِهِ قَالَ مَالِكٌ، وَالشَّافِعِيُّ، وَأَحْمَدُ، وَإِسْحَاقُ. **وَقَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ**: إِذَا مَضَتْ أَرْبَعَةُ أَشْهُرٍ تَقَعُ عَلَيْهَا طَلْقَةٌ بَائِنَةٌ، وَهُوَ قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ وَابْنِ مَسْعُودٍ، وَبِهِ قَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ وَأَصْحَابُ الرَّأْيِ، وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ وَالزُّهْرِيُّ: تَقَعُ طَلْقَةٌ رَجْعِيَّةٌ. وَلَوْ حَلَفَ أَنْ لَا يَطَأَهَا أَقَلَّ مِنْ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ لَا يَكُونُ مُولِيًا بَلْ هُوَ حَالِفٌ، فَإِذَا وَطِئَهَا قَبْلَ مُضِيِّ تِلْكَ الْمُدَّةِ تَجِبُ عَلَيْهِ كَفَّارَةُ الْيَمِينِ.

وَلَوْ حَلَفَ أَنْ لَا يَطَأَهَا أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ لَا يَكُونُ مُولِيًا عِنْدَ مَنْ يَقُولُ بِالْوَقْفِ بَعْدَ مُضِيِّ الْمُدَّةِ؛ لِأَنَّ بَقَاءَ الْمُدَّةِ شَرْطٌ لِلْوَقْفِ وَثُبُوتِ الْمُطَالَبَةِ بِالْفَيْءِ أَوِ الطَّلَاقِ، وَقَدْ مَضَتِ الْمُدَّةُ. وَعِنْدَ مَنْ لَا يَقُولُ بِالْوَقْفِ يَكُونُ مُولِيًا، وَيَقَعُ الطَّلَاقُ بِمُضِيِّ الْمُدَّةِ.

وَمُدَّةُ الْإِيلَاءِ أَرْبَعَةُ أَشْهُرٍ فِي حَقِّ الْحُرِّ وَالْعَبْدِ جَمِيعًا عِنْدَ الشَّافِعِيِّ رَحِمَهُ اللهُ؛ لِأَنَّهَا ضُرِبَتْ لِمَعْنًى يَرْجِعُ إِلَى الطَّبْعِ، وَهُوَ قِلَّةُ صَبْرِ الْمَرْأَةِ عَنِ الزَّوْجِ، فَيَسْتَوِي فِيهِ الْحُرُّ وَالعَبْدُ، وَعِنْدَ مَالِكٍ رَحِمَهُ اللهُ وَأَبِي حَنِيفَةَ رَحِمَهُ اللهُ تَتَنَصَّفُ مُدَّةُ الْعُنَّةِ بِالرِّقِّ، غَيْرَ أَنَّ عِنْدَ أَبِي حَنِيفَةَ تَتَنَصَّفُ بِرِقِّ الْمَرْأَةِ، وَعِنْدَ مَالِكٍ بِرِقِّ الزَّوْجِ، كَمَا قَالَا فِي الطَّلَاقِ.

---

(١) الأَيِّمُ: كـ(كَيِّسٍ) من لا زَوْجَ لها بِكْرًا أو ثَيِّبًا، ومَنْ لا امرأةَ له.اهـ «القاموس المحيط» ص(١٠٧٨).

(٢) **صحيح:** صحَّحه العلَّامة الألباني رَحِمَهُ اللهُ في «الإرواء» (٢٠٨٦).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ﴾: أَيِ: انْتِظَارُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ، **وَالتَّرَبُّصُ**: التَّثَبُّتُ وَالتَّوَقُّفُ، ﴿فَإِن فَآءُو﴾: رَجَعُوا عَنِ الْيَمِينِ بِالْوَطْءِ ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: وَإِذَا وَطِئَ خَرَجَ عَنِ الْإِيلَاءِ، وَتَجِبُ عَلَيْهِ كَفَّارَةُ الْيَمِينِ **عِنْدَ أَكْثَرِ أَهْلِ الْعِلْمِ، وَقَالَ الْحَسَنُ وَإِبْرَاهِيمُ النَّخَعِيُّ وَقَتَادَةُ**: لَا كَفَّارَةَ عَلَيْهِ؛ لِأَنَّ اللهَ تَعَالَى وَعَدَ بِالْمَغْفِرَةِ، فَقَالَ: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، وَذَلِكَ عِنْدَ الْأَكْثَرِينَ فِي إِسْقَاطِ الْعُقُوبَةِ لَا فِي الْكَفَّارَةِ، وَلَوْ قَالَ لِزَوْجَتِهِ: إِنْ قَرَّبْتُكِ فَعَبْدِي حُرٌّ، أَوْ ضَرَبْتُكِ فَأَنْتِ طَالِقٌ، أَوْ للهِ عَلَيَّ عِتْقُ رَقَبَةٍ، أَوْ صَوْمٌ، أَوْ صَلَاةٌ، فَهُوَ مُولٍ؛ لِأَنَّ الْمُولِيَ مَنْ يَلْزَمُهُ أَمْرٌ بِالْوَطْءِ وَيُوقَفُ بَعْدَ مُضِيِّ الْمُدَّةِ، فَإِنْ فَاءَ يَقَعُ الطَّلَاقُ، أَوِ الْعِتْقُ الْمُعَلَّقُ بِهِ، وَإِنِ الْتَزَمَ فِي الذِّمَّةِ يَلْزَمُهُ كَفَّارَةُ الْيَمِينِ فِي قَوْلٍ، وَفِي قَوْلٍ: يَلْزَمُهُ مَا الْتُزِمَ فِي ذِمَّتِهِ مِنَ الإِعْتَاقِ، أَوِ الصَّلَاةِ، أَوِ الصَّوْمِ، ﴿وَإِنْ عَزَمُوا۟ ٱلطَّلَٰقَ﴾: أَيْ: حَقَّقُوهُ بِالْإِيقَاعِ، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ﴾: لِقَوْلِهِمْ، ﴿عَلِيمٌ﴾: بِنِيَّاتِهِمْ، وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهَا لَا تُطَلَّقُ بَعْدَ مُضِيِّ الْمُدَّةِ مَا لَمْ يُطَلِّقْهَا زَوْجُهَا؛ لِأَنَّهُ شَرَطَ فِيهِ الْعَزْمَ، وَقَالَ: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾، فَدَلَّ عَلَى أَنَّهُ يَقْتَضِي مَسْمُوعًا، وَالْقَوْلُ هُوَ الَّذِي يُسْمَعُ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ﴾: أَيِ: الْمُخَلَّيَاتُ مِنْ حِبَالِ أَزْوَاجِهِنَّ ﴿يَتَرَبَّصْنَ﴾: يَنْتَظِرْنَ ﴿بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾: فَلَا يَتَزَوَّجْنَ، **وَالْقُرُوءُ**: جَمْعُ (قَرْءٍ) مِثْلُ: (فَرْعٍ)، وَجَمْعُهُ الْقَلِيلُ: (أَقْرُؤٌ)، وَالْجَمْعُ الْكَثِيرُ: (أَقْرَاءٌ)، **وَاخْتَلَفَ أَهْلُ الْعِلْمِ فِي (الْقَرْءِ)**: **فَذَهَبَ جَمَاعَةٌ**: إِلَى أَنَّهَا الْحَيْضُ، وَهُوَ قَوْلُ عُمَرَ وَعَلِيٍّ وَابْنِ مَسْعُودٍ وَابْنِ عَبَّاسٍ، وَبِهِ قَالَ الْحَسَنُ وَمُجَاهِدٌ، وَإِلَيْهِ ذَهَبَ الْأَوْزَاعِيُّ وَالثَّوْرِيُّ وَأَصْحَابُ الرَّأْيِ وَاحْتَجُّوا بِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِلْمُسْتَحَاضَةِ «**دَعِي الصَّلَاةَ أَيَّامَ أَقْرَائِكِ**»[(١)]، وَإِنَّمَا تَدَعُ الْمَرْأَةُ الصَّلَاةَ أَيَّامَ حَيْضِهَا. **وَذَهَبَ جَمَاعَةٌ** إِلَى أَنَّهَا الْأَطْهَارُ، وَهُوَ قَوْلُ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ وَعَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ وَعَائِشَةَ، وَهُوَ قَوْلُ الْفُقَهَاءِ السَّبْعَةِ وَالزُّهْرِيِّ، وَبِهِ قَالَ رَبِيعَةُ وَمَالِكٌ وَالشَّافِعِيُّ. وَاحْتَجُّوا بِأَنَّ ابْنَ عُمَرَ رضي الله عنهما لَمَّا طَلَّقَ امْرَأَتَهُ وَهِيَ حَائِضٌ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِعُمَرَ: «**مُرْهُ**

(١) **صحيح**: صحَّحه الإمام الألباني رحمه الله في "صحيح وضعيف سنن أبي داود" (٣١٥) عن عائشة رضي الله عنها.

فَلْيُرَاجِعْهَا حَتَّى تَطْهُرَ، ثُمَّ إِنْ شَاءَ أَمْسَكَ وَإِنْ شَاءَ طَلَّقَ قَبْلَ أَنْ يَمَسَّ، فَتِلْكَ الْعِدَّةُ الَّتِي أَمَرَ اللهُ أَنْ يُطَلَّقَ لَهَا النِّسَاءُ»(١)، فَأَخْبَرَ أَنَّ زَمَانَ الْعِدَّةِ هُوَ الطُّهْرُ، وَمِنْ جِهَةِ اللُّغَةِ قَوْلُ الشَّاعِرِ:

فَفِي كُلِّ عَامٍ أَنْتَ جَاشِمُ غَزْوَةٍ تَشُدُّ لِأَقْصَاهَا عَزِيمَ عَزَائِكَا

مُوَرِّثَةٍ مَالًا وَفِي الْحَيِّ رِفْعَةً لِمَا ضَاعَ فِيهَا مِنْ قُرُوءِ نِسَائِكَا

وَأَرَادَ بِهِ أَنَّهُ كَانَ يَخْرُجُ إِلَى الْغَزْوِ وَلَمْ يَغْشَ نِسَاءَهُ فَتَضِيعُ أَقْرَاؤُهُنَّ، وَإِنَّمَا تُضَيَّعُ بِالسَّفَرِ زَمَانَ الطُّهرِ لَا زَمَانَ الحَيْضَةِ، وَفَائِدَةُ الْخِلَافِ تَظْهَرُ فِي أَنَّ الْمُعْتَدَّةَ إِذَا شَرَعَتْ فِي الْحَيْضَةِ الثَّالِثَةِ تَنْقَضِي عِدَّتُهَا عَلَى قَوْلِ مَنْ يَجْعَلُهَا أَطْهَارًا، وَتَحْسِبُ بَقِيَّةَ الطُّهْرِ الَّذِي وَقَعَ فِيهِ الطَّلَاقُ قَرْءًا.

وَمَنْ ذَهَبَ إِلَى أَنَّ الْأَقْرَاءَ هِيَ الْحَيْضُ يَقُولُ لَا تَنْقَضِي عِدَّتُهَا مَا لَمْ تَطْهُرْ مِنَ الْحَيْضَةِ الثَّالِثَةِ، وَهَذَا الِاخْتِلَافُ مِنْ حَيْثُ أَنَّ اسْمَ الْقُرْءِ يَقَعُ عَلَى الطُّهْرِ وَالْحَيْضِ جَمِيعًا، يُقَالُ: (أَقْرَأَتِ الْمَرْأَةُ) إِذَا حَاضَتْ، وَ(أَقْرَأَتْ) إِذَا طَهُرَتْ فَهِيَ (مَقْرِئٌ)، **وَاخْتَلَفُوا فِي أَصْلِهِ**: **فَقَالَ أَبُو عَمْرِو بْنُ الْعَلَاءِ وَأَبُو عُبَيْدَةَ**: هُوَ الْوَقْتُ لِمَجِيءِ الشَّيْءِ وَذَهَابِهِ يُقَالُ: (رَجَعَ فُلَانٌ لِقُرْئِهِ، وَلِقَارِئِهِ) أَيْ: لِوَقْتِهِ الَّذِي يَرْجِعُ فِيهِ، وَ(هَذَا قَارِئُ الرِّيَاحِ)، أَيْ: وَقْتُ هُبُوبِهَا، قَالَ مَالِكُ بْنُ الْحَارِثِ الْهُذَلِيُّ:

كَرِهْتُ العَقْرَ عَقْرَ بَنِي شَلِيلٍ إِذَا هَبَّتْ لِقَارِئِهَا الرِّيَاحُ

أَيْ: لِوَقْتِهَا، وَالْقَرْءُ يَصْلُحُ لِلْوَجْهَيْنِ؛ لِأَنَّ الْحَيْضَ يَأْتِي لِوَقْتٍ، وَالطُّهْرُ مِثْلُهُ. **وَقِيلَ**: هُوَ مِنَ (الْقَرْءِ)، وَهُوَ الْحَبْسُ وَالْجَمْعُ، تَقُولُ الْعَرَبُ: (مَا قَرَأَتِ النَّاقَةُ سَلًّا قَطُّ) أَيْ: لَمْ تَضُمَّ رَحِمَهَا عَلَى وَلَدٍ، وَمِنْهُ: (قَرَيْتُ الْمَاءَ فِي الْمِقْرَاةِ) -وَهِيَ الْحَوْضُ- أَيْ: جَمَعْتُهُ، بِتَرْكِ هَمْزِهَا، فَالْقَرْءُ هَاهُنَا احْتِبَاسُ الدَّمِ وَاجْتِمَاعُهُ، فَعَلَى هَذَا يَكُونُ التَّرْجِيحُ فِيهِ لِلطُّهْرِ؛ لِأَنَّهُ يَحْبِسُ الدَّمَ وَيَجْمَعُهُ، وَالْحَيْضُ يُرْخِيهِ وَيُرْسِلُهُ.

---

(١) **صحيح:** البخاري: (٥٢٥١)، ومسلم: (١٤٧١).

وَجُمْلَةُ الحُكْمِ فِي الْعِدَدِ: أَنَّ المَرْأَةَ إِذَا كَانَتْ حَامِلًا فَعِدَّتُهَا بِوَضْعِ الحَمْلِ، سَوَاءٌ وَقَعَتِ الْفُرْقَةُ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الزَّوْجِ بِالطَّلَاقِ أَوْ بِالمَوْتِ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلۡأَحۡمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ﴾[الطَّلَاق:٤]، **فَإِنْ لَمْ تَكُنْ حَامِلًا نظرَ**: إِنْ وَقَعَتِ الْفُرْقَةُ بَيْنَهُمَا بِمَوْتِ الزَّوْجِ، فَعَلَيْهَا أَنْ تَعْتَدَّ بِأَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا، سَوَاءٌ مَاتَ الزَّوْجُ قَبْلَ الدُّخُولِ أَوْ بَعْدَهُ، وَسَوَاءٌ كَانَتِ المَرْأَةُ مِمَّنْ تَحِيضُ أَوْ لَا تَحِيضُ؛ لِقَوْلِ الله ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوۡنَ مِنكُمۡ وَيَذَرُونَ أَزۡوَٰجٗا يَتَرَبَّصۡنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرۡبَعَةَ أَشۡهُرٖ وَعَشۡرٗاۖ﴾[الْبَقَرَة:٢٣٤]، وَإِنْ وَقَعَتِ الْفُرْقَةُ بَيْنَهُمَا بِالطَّلَاقِ فِي الحَيَاةِ نظرَ: فَإِنْ كَانَ الطَّلَاقُ قَبْلَ الدُّخُولِ بِهَا فَلَا عِدَّةَ عَلَيْهَا؛ لِقَوْلِ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِذَا نَكَحۡتُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقۡتُمُوهُنَّ مِن قَبۡلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمۡ عَلَيۡهِنَّ مِنۡ عِدَّةٖ تَعۡتَدُّونَهَاۖ﴾[الأَحْزَاب:٤٩]، وَإِنْ كَانَ بَعْدَ الدُّخُولِ بِهَا نظرَ: إِنْ كَانَتِ المَرْأَةُ لَمْ تَحِضْ قَطُّ أَوْ بَلَغَتْ فِي الْكِبَرِ سِنَّ الْآيِسَاتِ فَعِدَّتُهَا ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ لِقَوْلِ الله تَعَالَى: ﴿ وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسۡنَ مِنَ ٱلۡمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمۡ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشۡهُرٖ وَٱلَّٰٓـِٔي لَمۡ يَحِضۡنَۚ﴾[الطَّلَاق:٤]، وَإِنْ كَانَتْ مِمَّنْ تَحِيضُ فَعِدَّتُهَا ثَلَاثَةُ أَقْرُؤٍ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ وَٱلۡمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصۡنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٖۚ ﴾.

وَقَوْلُهُ: ﴿يَتَرَبَّصۡنَ بِأَنفُسِهِنَّ﴾: لَفْظُهُ خَبَرٌ وَمَعْنَاهُ أَمْرٌ، وَعِدَّةُ الْأَمَةِ إِنْ كَانَتْ حَامِلًا بِوَضْعِ الحَمْلِ كَالْحُرَّةِ، وَإِنْ كَانَتْ حَائِلًا فَفِي الْوَفَاةِ عِدَّتُهَا شَهْرَانِ وَخَمْسُ أَيَّامٍ، وَفِي الطَّلَاقِ إِنْ كَانَتْ مِمَّنْ تَحِيضُ فَعِدَّتُهَا قَرْءَانِ، وَإِنْ كَانَتْ مِمَّنْ لَا تَحِيضُ فَشَهْرٌ وَنِصْفٌ، **وَقِيلَ**: شَهْرَانِ كَالقَرْأَيْنِ فِي حَقِّ مَنْ تَحِيضُ، **قَالَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ** رضي الله عنه: يَنْكِحُ الْعَبْدُ امْرَأَتَيْنِ وَيُطَلِّقُ تَطْلِيقَتَيْنِ، وَتَعْتَدُّ الْأَمَةُ حَيْضَتَيْنِ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَحِيضُ فَشَهْرَيْنِ أَوْ شَهْرًا وَنِصْفًا(١).

قَوْلُهُ ﷻ: ﴿وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكۡتُمۡنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِيٓ أَرۡحَامِهِنَّ﴾: **قَالَ عِكْرِمَةُ**: يَعْنِي الحَيْضَ، وَهُوَ أَنْ يُرِيدَ الرَّجُلُ مُرَاجَعَتَهَا، فَتَقُولُ: قَدْ حِضْتُ الثَّلَاثَةَ، **وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ**

---

(١) **صحيح:** صحَّحه العلَّامة الألباني رحمه الله في "الإرواء" (٢٠٦٧).

وَقَتَادَةُ: يَعْنِي الْحَمْلَ، وَمَعْنَى الْآيَةِ: لَا يَحِلُّ لِلْمَرْأَةِ كِتْمَانُ مَا خَلَقَ اللهُ فِي رَحِمِهَا مِنَ الْحَيْضِ وَالْحَمْلِ؛ لِتُبْطِلَ حَقَّ الزَّوْجِ مِنَ الرَّجْعَةِ وَالْوَلَدِ، ﴿إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِۚ﴾: مَعْنَاهُ: أَنَّ هَذَا مِنْ فِعْلِ الْمُؤْمِنَاتِ، وَإِنْ كَانَتِ الْمُؤْمِنَةُ وَالْكَافِرَةُ فِي هَذَا الْحُكْمِ سَوَاء، كَمَا تَقُولُ: (أَدِّ حَقِّي إِنْ كُنْتَ مُؤْمِنًا)، يَعْنِي: أَدَاءُ الْحُقُوقِ مِنْ فِعْلِ الْمُؤْمِنِينَ، ﴿وَبُعُولَتُهُنَّ﴾: يَعْنِي: أَزْوَاجُهُنَّ جَمْعُ: (بَعْلٍ)، كَالْفُحُولِ جَمْعُ: (فَحْلٍ)، **سُمِّيَ الزَّوْجُ بَعْلًا**؛ لِقِيَامِهِ بِأُمُورِ زَوْجَتِهِ، **وَأَصْلُ الْبَعْلِ**: السَّيِّدُ وَالْمَالِكُ، ﴿أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ﴾: أَوْلَى بِرَجْعَتِهِنَّ إِلَيْهِمْ ﴿فِي ذَٰلِكَ﴾: أَيْ: فِي حَالِ الْعِدَّةِ ﴿إِنْ أَرَادُوٓاْ إِصْلَٰحًاۚ﴾: أَيْ: إِنْ أَرَادُوا بِالرَّجْعَةِ الصَّلَاحَ وَحُسْنَ الْعِشْرَةِ، لَا الْإِضْرَارَ كَمَا كَانُوا يَفْعَلُونَهُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، كَانَ الرَّجُلُ يُطَلِّقُ امْرَأَتَهُ، فَإِذَا قَرُبَ انْقِضَاءُ عِدَّتِهَا رَاجَعَهَا، ثُمَّ تَرَكَهَا مُدَّةً ثُمَّ طَلَّقَهَا، يَقْصِدُ بِذَلِكَ تَطْوِيلَ الْعِدَّةِ عَلَيْهَا، ﴿وَلَهُنَّ﴾: أَيْ: لِلنِّسَاءِ عَلَى الْأَزْوَاجِ ﴿مِثْلُ ٱلَّذِي عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ﴾.

عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ حَيْدَةَ رضي الله عنه قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ، مَا حَقُّ زَوْجَةِ أَحَدِنَا عَلَيْهِ؟ قَالَ: «**أَنْ تُطْعِمَهَا إِذَا طَعِمْتَ، وَأَنْ تَكْسُوَهَا إِذَا اكْتَسَيْتَ، وَلَا تَضْرِبِ الْوَجْهَ، وَلَا تُقَبِّحْ، وَلَا تَهْجُرْ إِلَّا فِي الْبَيْتِ**»[(١)].

وَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، أَنَّهُ قَالَ: دَخَلْنَا عَلَى جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنهما فَقُلْتُ: أَخْبِرْنِي عَنْ حَجَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَسَرَدَ لِي قِصَّةَ حَجَّةِ الْوَدَاعِ إِلَى أَنْ ذَكَرَ خُطْبَتَهُ يَوْمَ عَرَفَةَ قَالَ: «**فَاتَّقُوا اللهَ فِي النِّسَاءِ؛ فَإِنَّكُمْ أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانَةِ اللهِ، وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللهِ، وَلَكُمْ عَلَيْهِنَّ أَنْ لَا يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ أَحَدًا تَكْرَهُونَهُ، فَإِنْ فَعَلْنَ ذَلِكَ فَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبَرِّحٍ، وَلَهُنَّ عَلَيْكُمْ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ، وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ: كِتَابُ اللهِ، وَأَنْتُمْ تُسْأَلُونَ عَنِّي فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ؟**»، قَالُوا: نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَّغْتَ وَأَدَّيْتَ

---

(١) **صحيح**: صحَّحه العلَّامة الألباني رحمه الله في "صحيح الترغيب والترهيب" (١٩٢٩).

وَنَصَحْتَ، فَقَالَ بِأُصْبُعِهِ السَّبَّابَةِ يَرْفَعُهَا إِلَى السَّمَاءِ وَيَنْكُتُهَا إِلَى النَّاسِ: «**اللَّهُمَّ اشْهَدْ، اللَّهُمَّ اشْهَدْ**»، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ[(١)].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ أَكْمَلَ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا، وَخِيَارُكُمْ خِيَارُكُمْ لِنِسَائِهِمْ**»[(٢)].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾: **قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ**: بِمَا سَاقَ إِلَيْهَا مِنَ الْمَهْرِ وَأَنْفَقَ عَلَيْهَا مِنَ الْمَالِ، **وَقَالَ قَتَادَةُ**: بِالْجِهَادِ، **وَقِيلَ**: بِالْعَقْلِ، **وَقِيلَ**: بِالشَّهَادَةِ، **وَقِيلَ**: بِالْمِيرَاثِ، **وَقِيلَ**: بِالدِّيَةِ، **وَقِيلَ**: بِالطَّلَاقِ لِأَنَّ الطَّلَاقَ بِيَدِ الرِّجَالِ، **وَقِيلَ**: بِالرَّجْعَةِ، **وَقَالَ سُفْيَانُ وَزَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ**: بِالْإِمَارَةِ، **وَقَالَ الْقُتَيْبِيُّ**: ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾: مَعْنَاهُ: فَضِيلَةٌ فِي الْحَقِّ، ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ ﵁، أَنَّهُ خَرَجَ فِي غَزَاةٍ بَعَثَهُ النَّبِيُّ ﷺ فِيهَا، ثُمَّ رَجَعَ فَرَأَى رِجَالًا يَسْجُدُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لَوْ أَمَرْتُ أَحَدًا أَنْ يَسْجُدَ لِأَحَدٍ لَأَمَرْتُ الْمَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا**»[(٣)].

﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَأۡخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ شَيۡـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَا فِيمَا ٱفۡتَدَتۡ بِهِۦۗ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعۡتَدُوهَاۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ﴾: رُوِيَ عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ قَالَ: كَانَ النَّاسُ فِي ابْتِدَاءِ الإِسْلَامِ يُطَلِّقُونَ مِنْ غَيْرِ حَصْرٍ وَلَا عِدَدٍ، وَكَانَ الرَّجُلُ يُطَلِّقُ امْرَأَتَهُ فَإِذَا قَارَبَتِ انْقِضَاءَ عِدَّتِهَا رَاجَعَهَا، ثُمَّ طَلَّقَهَا كَذَلِكَ، ثُمَّ رَاجَعَهَا، يقصد مُضَارَّتَهَا، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ﴾: يَعْنِي: الطَّلَاقُ الَّذِي يَمْلِكُ الرَّجْعَةَ عَقِيبَهُ مَرَّتَانِ، فَإِذَا طَلَّقَ ثَلَاثًا فَلَا تَحِلُّ لَهُ إِلَّا بَعْدَ نِكَاحِ زَوْجٍ آخَرَ.

---

(١) **صحيح**: مسلم: (١٢١٨).

(٢) **صحيح**: صحَّحه العلَّامة الألباني ﵀ في «الصحيحة» (٢٨٤).

(٣) **صحيح**: صحَّحه العلَّامة الألباني ﵀ في «صحيح الجامع الصغير» (٥٢٩٤).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ﴾: قِيلَ: أَرَادَ بِالْإِمْسَاكِ الرَّجْعَةَ بَعْدَ الثَّانِيَةِ، وَالصَّحِيحُ أَنَّ المُرَادَ مِنْهُ: الْإِمْسَاكُ بَعْدَ الرَّجْعَةِ، يَعْنِي: إِذَا رَاجَعَهَا بَعْدَ الطَّلْقَةِ الثَّانِيَةِ فَعَلَيْهِ أَنْ يُمْسِكَهَا بِالمَعْرُوفِ، وَالمَعْرُوفُ: كُلُّ مَا يُعْرَفُ فِي الشَّرْعِ مِنْ أَدَاءِ الحُقُوقِ فِي النِّكَاحِ وَحُسْنِ الصُّحْبَةِ، ﴿أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ﴾: أَنْ يَتْرُكَهَا بَعْدَ الطَّلَاقِ حَتَّى تَنْقَضِيَ عِدَّتُهَا. وَقِيلَ: الطَّلْقَةُ الثَّالِثَةُ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ﴾: وَصَرِيحُ اللَّفْظِ الَّذِي يَقَعُ بِهِ الطَّلَاقُ مِنْ غَيْرِ نِيَّةٍ ثَلَاثَةٌ: الطَّلَاقُ، وَالْفِرَاقُ، وَالسَّرَاحُ، وَعِنْدَ أَبِي حَنِيفَةَ: الصَّرِيحُ هُوَ لَفْظُ الطَّلَاقِ فَحَسْبُ، وَجُمْلَةُ الحُكْمِ فِيهِ: أَنَّ الحُرَّ إِذَا طَلَّقَ زَوْجَتَهُ طَلْقَةً أَوْ طَلْقَتَيْنِ بَعْدَ الدُّخُولِ بِهَا يَجُوزُ لَهُ أَنْ يُرَاجِعَهَا بِغَيْرِ رِضَاهَا مَا دَامَتْ فِي العِدَّةِ، فَإِن لَّمْ يُرَاجِعْهَا حَتَّى انْقَضَتْ عِدَّتُهَا، أَوْ طَلَّقَهَا قَبْلَ الدُّخُولِ بِهَا، أَوْ خَالَعَهَا، فَلَا تَحِلُّ لَهُ إِلَّا بِنِكَاحٍ جَدِيدٍ بِإِذْنِهَا وَإِذْنِ وَلِيِّهَا، فَإِنْ طَلَّقَهَا ثَلَاثًا فَلَا تَحِلُّ لَهُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ. وَأَمَّا الْعَبْدُ: إِذَا كَانَتْ تَحْتَهُ امْرَأَةٌ فَطَلَّقَهَا طَلْقَتَيْنِ فَإِنَّهَا لَا تَحِلُّ لَهُ إِلَّا بَعْدَ نِكَاحِ زَوْجٍ آخَرَ.

وَاخْتَلَفَ أَهْلُ الْعِلْمِ فِيمَا إِذَا كَانَ أَحَدُ الزَّوْجَيْنِ رَقِيقًا: فَذَهَبَ أَكْثَرُهُمْ إِلَى أَنَّهُ يُعْتَبَرُ عَدَدُ الطَّلَاقِ بِالزَّوْجِ، فَالحُرُّ يَمْلِكُ عَلَى زَوْجَتِهِ الأَمَةِ ثَلَاثَ تَطْلِيقَاتٍ، وَالْعَبْدُ لَا يَمْلِكُ عَلَى زَوْجَتِهِ الحُرَّةِ إِلَّا طَلْقَتَيْنِ، وَهُوَ قَوْلُ عُثْمَانَ وَزَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ وَابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهم، وَبِهِ قَالَ عَطَاءٌ وَسَعِيدُ بْنُ المُسَيَّبِ، وَإِلَيْهِ ذَهَبَ مَالِكٌ وَالشَّافِعِيُّ وَأَحْمَدُ وَإِسْحَاقُ. **وَذَهَبَ قَوْمٌ** إِلَى أَنَّ الاِعْتِبَارَ بِالمَرْأَةِ فِي عَدَدِ الطَّلَاقِ، فَيَمْلِكُ الْعَبْدُ عَلَى زَوْجَتِهِ الحُرَّةِ ثَلَاثَ تَطْلِيقَاتٍ، وَلَا يَمْلِكُ الْحُرُّ عَلَى زَوْجَتِهِ الأَمَةِ إِلَّا تَطْلِيقَتَيْنِ، وَهُوَ قَوْلُ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ وَأَصْحَابِ الرَّأْيِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَأۡخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ شَيۡـًٔا﴾: أَعْطَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا مِنَ المُهُورِ وَغَيْرِهَا، ثُمَّ اسْتَثْنَى الْخُلْعَ، فَقَالَ: ﴿إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۖ﴾.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﵄، أَنَّ امْرَأَةَ ثَابِتِ بْنِ قَيْسٍ أَتَتِ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا أَعْتِبُ عَلَيْهِ فِي خُلُقٍ وَلَا دِينٍ، وَلَكِنِّي أَكْرَهُ الْكُفْرَ بَعْدَ الْإِسْلَامِ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَتَرُدِّينَ عَلَيْهِ حَدِيقَتَهُ؟**» قَالَتْ: نَعَمْ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**اقْبَلِ الحَدِيقَةَ وَطَلِّقْهَا تَطْلِيقَةً**»[(١)].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِلَّآ أَن يَخَافَآ﴾: أَيْ: يَعْلَمَا ﴿أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ﴾: قَرَأَ أَبُو جَعْفَرٍ وَحَمْزَةُ وَيَعْقُوبُ: ﴿إِلَّا أَنْ يُخَافَا﴾ بِضَمِّ الْيَاءِ، أَيْ: يُعْلَمُ ذَلِكَ مِنْهُمَا، يَعْنِي: يَعْلَمُ الْقَاضِي وَالْوَلِيُّ ذَلِكَ مِنَ الزَّوْجَيْنِ بِدَلِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ﴾، فَجَعَلَ الْخَوْفَ لِغَيْرِ الزَّوْجَيْنِ، وَلَمْ يَقُلْ: فَإِنْ خَافَا، وَقَرَأَ الْآخَرُونَ: ﴿يَخَافَآ﴾ بِفَتْحِ الْيَاءِ، أَيْ: يَعْلَمُ الزَّوْجَانِ مِنْ أَنْفُسِهِمَا ﴿أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ﴾: تَخَافُ الْمَرْأَةُ أَنْ تَعْصِيَ اللهَ فِي أَمْرِ زَوْجِهَا، وَيَخَافُ الزَّوْجُ إِذَا لَمْ تُطِعْهُ امْرَأَتُهُ أَنْ يَعْتَدِيَ عَلَيْهَا، فَنَهَى اللهُ الرَّجُلَ أَنْ يَأْخُذَ مِنِ امْرَأَتِهِ شَيْئًا مِمَّا آتَاهَا إِلَّا أَنْ يَكُونَ النُّشُوزُ مِنْ قِبَلِهَا، فَقَالَتْ: (لَا أُطِيعُ لَكَ أَمْرًا)، وَ(لَا أَطَأُ لَكَ مَضْجَعًا)، وَنَحْوَ ذَلِكَ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦ﴾: أَيْ: فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ الْمَرْأَةُ نَفْسَهَا مِنْهُ، **قَالَ الْفَرَّاءُ:** أَرَادَ بِقَوْلِهِ: ﴿عَلَيْهِمَا﴾: الزَّوْجَ دُونَ الْمَرْأَةِ فَذَكَرَهُمَا جَمِيعًا؛ لِاقْتِرَانِهِمَا كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿نَسِيَا حُوتَهُمَا﴾[الْكَهْف:٦١] وَإِنَّمَا النَّاسِي فَتَى مُوسَى دُونَ مُوسَى. **وَقِيلَ:** أَرَادَ أَنَّهُ لَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا جَمِيعًا، لَا جُنَاحَ عَلَى الْمَرْأَةِ فِي النُّشُوزِ إِذَا خَشِيَتِ الْهَلَاكَ وَالْمَعْصِيَةَ، وَلَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ وَأَعْطَتْ مِنَ الْمَالِ؛ لِأَنَّهَا مَمْنُوعَةٌ مِنْ إِتْلَافِ الْمَالِ بِغَيْرِ حَقٍّ، وَلَا عَلَى الزَّوْجِ فِيمَا أَخَذَ مِنْهَا مِنَ الْمَالِ إِذَا أَعْطَتْهُ طَائِعَةً، **وَذَهَبَ أَكْثَرُ أَهْلِ الْعِلْمِ** إِلَى أَنَّ الْخُلْعَ جَائِزٌ عَلَى أَكْثَرَ مِمَّا أَعْطَاهَا، **وَقَالَ الزُّهْرِيُّ:** لَا يَجُوزُ بِأَكْثَرَ مِمَّا أَعْطَاهَا مِنَ الْمَهْرِ. **وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ:** لَا يَأْخُذُ مِنْهَا جَمِيعَ مَا أَعْطَاهَا، بَلْ يَتْرُكُ لَهَا شَيْئًا، وَيَجُوزُ الْخُلْعُ فِي غَيْرِ حَالِ النُّشُوزِ، غَيْرَ أَنَّهُ يُكْرَهُ؛ لِمَا فِيهِ مِنْ قَطْعِ الْوَصْلَةِ بِلَا سَبَبٍ.

---

(١) **صحيح:** البخاري: (٥٢٧٣).

عَنْ ثَوْبَانَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَيُّمَا امْرَأَةٍ سَأَلَتْ زَوْجَهَا الطَّلَاقَ فِي غَيْرِ مَا بَأْسٍ فَحَرَامٌ عَلَيْهَا رَائِحَةُ الجَنَّةِ**»[1].

وَقَالَ طَاوُسٌ: الْخُلْعُ يَخْتَصُّ بِحَالَةِ خَوْفِ النُّشُوزِ؛ لِظَاهِرِ الآيَة، وَالآيَةُ خَرَجَتْ عَلَى وِفْقِ العَادَةِ فِي أَنَّ الْخُلْعَ لَا يَكُونُ إِلَّا فِي حَالِ خَوْفِ النُّشُوزِ غَالِبًا، وَإِذَا طَلَّقَ الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ بِلَفْظِ الطَّلَاقِ عَلَى مَالٍ فَقَبِلَتْ وَقَعَتِ الْبَيْنُونَةُ، وَانْتُقِصَ بِهِ الْعَدَدُ.

وَاخْتَلَفَ أَهْلُ الْعِلْمِ فِي الْخُلْعِ: فَذَهَبَ أَكْثَرُهُمْ إِلَى أَنَّهُ تَطْلِيقَةٌ بَائِنَةٌ يَنْتَقِصُ بِهِ عَدَدُ الطَّلَاقِ، وَهُوَ قَوْلُ عُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ وَابْنِ مَسْعُودٍ، وَبِهِ قَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ وَعَطَاءٌ وَالْحَسَنُ وَالشَّعْبِيُّ وَالنَّخَعِيُّ وَإِلَيْهِ ذَهَبَ مَالِكٌ وَالثَّوْرِيُّ وَالْأَوْزَاعِيُّ وَأَصْحَابُ الرَّأْيِ، وَهُوَ أَظْهَرُ قَوْلَيِ الشَّافِعِيِّ. **وَذَهَبَ قَوْمٌ** إِلَى أَنَّهُ فَسْخٌ لَا يُنْتَقَصُ بِهِ عَدَدُ الطَّلَاقِ، وَهُوَ قَوْلُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ وَعَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهم، وَبِهِ قَالَ عِكْرِمَةُ وَطَاوُسٌ، وَإِلَيْهِ ذَهَبَ أَحْمَدُ وَإِسْحَاقُ، وَاحْتَجُّوا بِأَنَّ اللهَ تَعَالَى ذَكَرَ الطَّلَاقَ مَرَّتَيْنِ، ثُمَّ ذَكَرَ بَعْدَهُ الْخُلْعَ، ثُمَّ ذَكَرَ بَعْدَهُ الطَّلْقَةَ الثَّالِثَةَ فَقَالَ: ﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوۡجًا غَيۡرَهُۥۗ﴾[البَقَرَة:٢٣٠]، وَلَوْ كَانَ الْخُلْعُ طَلَاقًا لَكَانَ الطَّلَاقُ أَرْبَعًا، وَمَنْ قَالَ بِالْقَولِ الْأَوَّلِ جَعَلَ الطَّلْقَةَ الثَّالِثَةَ: ﴿أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ﴾.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ﴾: أَيْ: هَذِهِ أَوَامِرُ اللهِ وَنَوَاهِيهِ، **وَحُدُودُ اللهِ**: مَا مَنَعَ الشَّرْعُ مِنَ الْمُجَاوَزَةِ عَنْهُ، ﴿فَلَا تَعۡتَدُوهَاۚ﴾: فَلَا تُجَاوِزُوهَا، ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾.

﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوۡجًا غَيۡرَهُۥۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۗ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَإِن طَلَّقَهَا﴾: يَعْنِي: الطَّلْقَةَ الثَّالِثَةَ، ﴿فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدُ﴾: أَيْ: مِنْ

(١) **صحيح**: صحَّحه العلَّامة الألباني رحمه الله في "صحيح وضعيف سنن أبي داود" (٢٢٢٦).

بَعْدِ الطَّلْقَةِ الثَّالِثَةِ ﴿حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ﴾: أَيْ: غَيْرَ الْمُطَلِّقِ فَيُجَامِعُهَا، وَالنِّكَاحُ يَتَنَاوَلُ الْوَطْءَ وَالْعَقْدَ جَمِيعًا.

عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: جَاءَتِ امْرَأَةُ رِفَاعَةَ الْقُرَظِيِّ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَتْ: إِنِّي كُنْتُ عِنْدَ رِفَاعَةَ الْقُرَظِيِّ فَطَلَّقَنِي فَبَتَّ طَلَاقِي، وَتَزَوَّجْتُ بَعْدَهُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ الزُّبَيْرِ، وَإِنَّمَا مَعَهُ مِثْلُ هُدْبَةِ الثَّوْبِ، فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَقَالَ: «**أَتُرِيدِينَ أَنْ تَرْجِعِي إِلَى رِفَاعَةَ؟**» قَالَتْ: نَعَمْ قَالَ: «**لَا حَتَّى يَذُوقَ عَسِيلَتَكِ وَتَذُوقِي عَسِيلَتَهُ**»(١).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ﴾: يَعْنِي: فَإِنْ طَلَّقَهَا الزَّوْجُ الثَّانِي بَعْدَ مَا جَامَعَهَا، ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ﴾: يَعْنِي: عَلَى الْمَرْأَةِ وَعَلَى الزَّوْجِ الْأَوَّلِ ﴿أَن يَتَرَاجَعَآ﴾: يَعْنِي: بِنِكَاحٍ جَدِيدٍ، ﴿إِن ظَنَّآ﴾: أَيْ: عَلِمَا، **وَقِيلَ**: رَجَوَا؛ لِأَنَّ أَحَدًا لَا يَعْلَمُ مَا هُوَ كَائِنٌ إِلَّا اللهُ ﷻ، ﴿أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ﴾: أَيْ: يَكُون بَيْنَهُمَا الصَّلَاحُ وَحُسْنُ الصُّحْبَةِ، **وَقَالَ مُجَاهِدٌ**: مَعْنَاهُ: إِنْ عَلِمَا أَنَّ نِكَاحَهُمَا عَلَى غَيْرِ دُلْسَةٍ، وَأَرَادَ بِالدُّلْسَةِ: التَّحْلِيلَ، وَهُوَ مَذْهَبُ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ وَالْأَوْزَاعِيِّ وَمَالِكٍ وَأَحْمَدَ وَإِسْحَاقَ، قَالُوا: إِذَا تَزَوَّجَتِ الْمُطَلَّقَةُ ثَلَاثًا زَوْجًا آخَرَ لِيُحَلِّلَهَا لِلزَّوْجِ الْأَوَّلِ فَإِنَّ النِّكَاحَ فَاسِدٌ، **وَذَهَبَ جَمَاعَةٌ** إِلَى أَنَّهُ إِذَا لَمْ يَشْتَرِطْ فِي النِّكَاحِ مَعَ الثَّانِي أَنَّهُ يُفَارِقُهَا، فَالنِّكَاحُ صَحِيحٌ وَيَحْصُلُ بِهِ التَّحْلِيلُ، وَلَهَا صَدَاقُ مِثْلِهَا، غَيْرَ أَنَّهُ يُكْرَهُ إِذَا كَانَ فِي عَزْمِهَا ذَلِكَ.

عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**لَعَنَ اللهُ الْمُحَلِّلَ وَالْمُحَلَّلَ لَهُ**»(٢).

وَقَالَ نَافِعٌ: أَتَى رَجُلٌ ابْنَ عُمَرَ فَقَالَ لَهُ: إِنَّ رَجُلًا طَلَّقَ امْرَأَتَهُ ثَلَاثًا، فَانْطَلَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ غَيْرِ مُؤَامَرَةٍ فَتَزَوَّجَهَا؛ لِيَحِلَّهَا لِلْأَوَّلِ، فَقَالَ: لَا، إِلَّا نِكَاحَ رَغْبَةٍ، كُنَّا نَعُدُّ هَذَا سِفَاحًا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ(٣).

---

(١) **صحيح**: البخاري: (٥٢٦٠)، ومسلم: (١٤٣٣).

(٢) **صحيح**: صحَّحه العلَّامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في "صحيح وضعيف سنن الترمذي" (١١٢٠).

(٣) **صحيح**: صحَّحه العلَّامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في "الإرواء" (١٨٩٨).

﴿وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾: يَعْنِي: يَعْلَمُونَ مَا أَمَرَهُمُ اللهُ تَعَالَى بِهِ.

﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍۚ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا۟ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥۚ وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًاۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾: أَيْ: أَشْرَفْنَ عَلَى أَنْ يَبِنَّ بِانْقِضَاءِ الْعِدَّةِ، وَلَمْ يُرِدْ حَقِيقَةَ انْقِضَاءِ الْعِدَّةِ؛ لِأَنَّ الْعِدَّةَ إِذَا انْقَضَتْ لَمْ يَكُنْ لِلزَّوْجِ إِمْسَاكُهَا، فَالْبُلُوغُ هَاهُنَا بُلُوغُ مُقَارَبَةٍ، وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى بَعْدَ هَذَا: ﴿فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾ [البَقَرَة:٢٣٢] حَقِيقَةٌ لِانْقِضَاءِ الْعِدَّةِ، وَالبُلُوغُ يَتَنَاوَلُ المَعْنَيَيْنِ، يُقَالُ: (بَلَغَ المَدِينَةَ)، إِذَا قَرُبَ مِنْهَا، وَإِذَا دَخَلَهَا، ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ﴾: أَيْ: رَاجِعُوهُنَّ ﴿بِمَعْرُوفٍ﴾: **قِيلَ**: المُرَاجَعَةُ بِالمَعْرُوفِ أَنْ يُشْهِدَ عَلَى رَجْعَتِهَا وَأَنْ يُرَاجِعَهَا بِالْقَوْلِ لَا بِالْوَطْءِ، ﴿أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍۚ﴾: أَيِ: اتْرُكُوهُنَّ حَتَّى تَنْقَضِيَ عِدَّتُهُنَّ فَيَكُنَّ أَمْلَكُ لِأَنفُسِهِنَّ، ﴿وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا۟ۚ﴾: أَيْ: لَا تَقْصُدُوا بِالرَّجْعَةِ المُضَارَّةَ لَهُنَّ بِتَطْوِيلِ الحَبْسِ، ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥۚ﴾: أَيْ: أَضَرَّ بِنَفْسِهِ بِمُخَالَفَةِ أَمْرِ اللهِ تَعَالَى، ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًاۚ﴾: وَكُلُّ مَنْ خَالَفَ أَمْرَ الشَّرْعِ فَهُوَ مُتَّخِذٌ آيَاتِ اللهِ هُزُوًا، **وَقَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ**: هُوَ أَنَّ الرَّجُلَ كَانَ يُطَلِّقُ امْرَأَتَهُ ثُمَّ يَقُولُ كُنْتُ لَاعِبًا، وَيُعْتِقُ وَيَقُولُ مِثْلَ ذَلِكَ، وَيَنْكِحُ وَيَقُولُ مِثْلَ ذَلِكَ.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**ثَلَاثٌ جِدُّهُنَّ جِدٌّ، وَهَزْلُهُنَّ جِدٌّ: الطَّلَاقُ، وَالنِّكَاحُ، وَالرَّجْعَةُ**»(١).

﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾: بِالإِيمَانِ ﴿وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾: يَعْنِي: الْقُرْآنَ ﴿وَٱلْحِكْمَةِ﴾: يَعْنِي: السُّنَّةَ، **وَقِيلَ**: مَوَاعِظُ الْقُرْآنِ، ﴿يَعِظُكُم بِهِۦۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾.

---

(١) **حسن**: حسَّنه العلَّامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في "صحيح وضعيف سنن أبي داود" (٢١٩٤).

﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوْاْ بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِۗ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِۗ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾: نَزَلَتْ فِي جَمِيلَةَ بِنْتِ يَسَارٍ أُخْتِ مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ الْمُزَنِيِّ، كَانَتْ تَحْتَ أبي البداح بن عَاصِمِ بْنِ عَدِيِّ بْنِ عَجْلَانَ، فَطَلَّقَهَا.

عَنْ مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ رضي الله عنه قَالَ: زَوَّجْتُ أُخْتًا لِي مِنْ رَجُلٍ فَطَلَّقَهَا حَتَّى إِذَا انْقَضَتْ عِدَّتُهَا جَاءَ يَخْطُبُهَا، فَقُلْتُ لَهُ: زَوَّجْتُكَ وَفَرَشْتُكَ وَأَكْرَمْتُكَ فَطَلَّقْتَهَا! ثُمَّ جِئْتَ تَخْطُبُهَا؟ لَا وَاللهِ لَا تَعُودُ إِلَيْكَ أَبَدًا، وَكَانَ رَجُلًا لَا بَأْسَ بِهِ، وَكَانَتِ الْمَرْأَةُ تُرِيدُ أَنْ تَرْجِعَ إِلَيْهِ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ﴾، فَقُلْتُ: الْآنَ أَفْعَلُ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: فَزَوَّجْتُهَا إِيَّاهُ[1].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾: أَيِ: انْقَضَتْ عِدَّتُهُنَّ، ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ﴾: أَيْ: لَا تَمْنَعُوهُنَّ عَنِ النِّكَاحِ، **وَالْعَضْلُ**: الْمَنْعُ، وَأَصْلُهُ الضِّيقُ وَالشِّدَّةُ، يُقَالُ: (عَضَلَتِ الْمَرْأَةُ) إِذَا نَشِبَ وَلَدُهَا فِي بَطْنِهَا فَضَاقَ عَلَيْهِ الْخُرُوجُ، (وَالدَّاءُ الْعُضَالُ) الَّذِي لَا يُطَاقُ عِلَاجُهُ، وَفِي الْآيَةِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْمَرْأَةَ لَا تَلِي عَقْدَ النِّكَاحِ، إِذْ لَوْ كَانَتْ تَمْلِكُ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ عَضْلٌ، وَلَا لِنَهْيِ الْوَلِيِّ عَنِ الْعَضْلِ مَعْنًى، **وَقِيلَ**: الْآيَةُ خِطَابٌ مَعَ الْأَزْوَاجِ لِمَنْعِهِمْ مِنَ الْإِضْرَارِ لِأَنَّ ابْتِدَاءَ الْآيَةِ خِطَابٌ مَعَهُمْ، وَالْأَوَّلُ أَصَحُّ، ﴿إِذَا تَرَٰضَوْاْ بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِۗ﴾: بِعَقْدٍ حَلَالٍ وَمَهْرٍ جَائِزٍ، ﴿ذَٰلِكَ﴾: أَيْ: ذَلِكَ الَّذِي ذُكِرَ مِنَ النَّهْيِ ﴿يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِۗ﴾: وَإِنَّمَا قَالَ ﴿ذَٰلِكَ﴾ مُوَحَّدًا وَالْخِطَابُ لِلْأَوْلِيَاءِ؛ لِأَنَّ الْأَصْلَ فِي مُخَاطَبَةِ الْجَمْعِ (ذَلِكُمْ)، ثُمَّ كَثُرَ حَتَّى تَوَهَّمُوا أَنَّ الْكَافَ مِنْ نَفْسِ الْحَرْفِ وَلَيْسَ بِكَافِ خِطَابٍ، فَقَالُوا: ﴿ذَٰلِكَ﴾، فَإِذَا قَالُوا

(١) **صحيح:** البخاري: (٥١٣٠)، وأورده الإمام الوادعي رحمه الله في كتابه "الصحيح المسند من أسباب النزول" ص(٤٣-٤٤).

هَذَا كَانَتِ الْكَافُ مُوَحَّدَةً مُسْتَوِيَةً فِي الِاثْنَيْنِ وَالْجَمْعِ وَالْمُؤَنَّثِ وَالْمُذَكَّرِ **قِيلَ**: هُوَ خِطَابٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَلِذَلِكَ وَحَّدَ ثُمَّ رَجَعَ إِلَى خِطَابِ الْمُؤْمِنِينَ، فَقَالَ: ﴿ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ﴾: أَيْ: خَيْرٌ لَكُمْ، ﴿وَأَطْهَرُ﴾: لِقُلُوبِكُمْ مِنَ الرِّيْبَةِ؛ وَذَلِكَ أَنَّه كَانَ فِي نَفْسِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَلَاقَةٌ حَيْثُ لَمْ يُؤْمَنْ أَنْ يَتَجَاوَزَ ذَلِكَ إِلَى غَيْرِ مَا أَحَلَّ اللهُ لَهُمَا، وَلَمْ يُؤْمَنْ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ أَنْ يَسْبِقَ إِلَى قُلُوبِهِمْ مِنْهُمَا مَا لَعَلَّهُمَا أَنْ يَكُونَا بَرِيئَيْنِ مِنْ ذَلِكَ فَيَأْثَمُونَ، ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾: أَيْ: يَعْلَمُ مِنْ حُبِّ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا لِصَاحِبِهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ أَنْتُمْ.

﴿۞ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَۚ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَاۚ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةُۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦۚ وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَۗ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَاۗ وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ﴾: أَيْ: وَالْمُطَلَّقَاتُ اللَّاتِي لَهُنَّ أَوْلَادٌ مِنْ أَزْوَاجِهِنَّ ﴿يُرْضِعْنَ﴾: خَبَرٌ بِمَعْنَى الْأَمْرِ، وَهُوَ أَمْرُ اسْتِحْبَابٍ لَا أَمْرُ إِيجَابٍ؛ لِأَنَّهُ لَا يَجِبُ عَلَيْهِنَّ الْإِرْضَاعُ إِذَا كَانَ يُوجَدُ مَنْ يُرْضِعُ الْوَلَدَ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى فِي سُورَةِ الطَّلَاقِ: ﴿فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾[الطَّلَاق:٦]، فَإِنْ رَغِبَتِ الْأُمُّ فِي الْإِرْضَاعِ فَهِيَ أَوْلَى مِنْ غَيْرِهَا، ﴿حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِۖ﴾: أَيْ: سَنَتَيْنِ، وَذَكَرَ الْكَمَالَ لِلتَّأْكِيدِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌۗ﴾[الْبَقَرَة:١٩٦]. **وَقِيلَ**: إِنَّمَا قَالَ كَامِلَيْنِ؛ لِأَنَّ الْعَرَبَ قَدْ تُسَمِّي بَعْضَ الْحَوْلِ حَوْلًا وَبَعْضَ الشَّهْرِ شَهْرًا، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌۚ﴾[الْبَقَرَة:١٩٧]، وَإِنَّمَا هِيَ شَهْرَانِ وَبَعْضُ الثَّالِثِ، وَقَالَ: ﴿فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾[الْبَقَرَة: ٢٠٣] وَإِنَّمَا يُتَعَجَّلُ فِي يَوْمٍ وَبَعْضِ يَوْمٍ، وَيُقَالُ: (أَقَامَ فُلَانٌ بِمَوْضِعِ كَذَا حَوْلَيْنِ) وَإِنَّمَا أَقَامَ بِهِ حَوْلًا وَبَعْضَ آخَر، فَبَيَّنَ اللهُ تَعَالَى أَنَّهُمَا حَوْلَانِ كَامِلَانِ: (أَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ شَهْرًا)، **وَاخْتَلَفَ أَهْلُ الْعِلْمِ فِي هَذَا الْحَدِّ**: **فَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ**: هُوَ حَدٌّ لبعض الْمَوْلُودِينَ، وَذَلِكَ أَنَّهَا إِذَا وَضَعَتْ لِسِتَّةِ أَشْهُرٍ فَإِنَّهَا تُرْضِعُهُ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ، وَإِنْ وَضَعَتْ لِسَبْعَةِ

أَشْهُرٍ فَإِنَّهَا تُرْضِعُهُ ثَلَاثَةً وَعِشْرِينَ شَهْرًا، وَإِنْ وَضَعَتْ لِتِسْعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنَّهَا تُرْضِعُهُ أَحَدًا وَعِشْرِينَ شَهْرًا، وَإِنْ وَضَعَتْ لِعَشَرَةِ أَشْهُرٍ فَإِنَّهَا تُرْضِعُهُ عِشْرِينَ شَهْرًا، كُلُّ ذَلِكَ تَمَامُ ثَلَاثِينَ شَهْرًا؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًاۚ﴾[الْأَحْقَاف:١٥]، **وَقَالَ قَوْمٌ**: هُوَ حَدٌّ لِكُلِّ مَوْلُودٍ بِأَيِّ وَقْتٍ وُلِدَ لَا يَنْقُصُ رَضَاعُهُ عَنْ حَوْلَيْنِ إِلَّا بِاتِّفَاقِ الْأَبَوَيْنِ، فَأَيُّهُمَا أَرَادَ الْفِطَامَ قَبْلَ تَمَامِ الْحَوْلَيْنِ لَيْسَ لَهُ ذَلِكَ إِلَّا أَنْ يَجْتَمِعَا عَلَيْهِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ﴾، وَهَذَا قَوْلُ ابْنِ جُرَيْجٍ وَالثَّوْرِيِّ، **وَقِيلَ**: الْمُرَادُ مِنَ الْآيَةِ: بَيَانُ أَنَّ الرَّضَاعَ الَّذِي تَثْبُتُ بِهِ الْحُرْمَةُ مَا يَكُونُ فِي الْحَوْلَيْنِ، فَلَا يُحَرِّمُ مَا يَكُونُ بَعْدَ الْحَوْلَيْنِ، **قَالَ قَتَادَةُ**: فَرَضَ اللهُ عَلَى الْوَالِدَاتِ إِرْضَاعَ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ثُمَّ أَنْزَلَ التَّخْفِيفَ فَقَالَ: ﴿لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَۚ﴾: أَيْ: هَذَا مُنْتَهَى الرَّضَاعَةِ وَلَيْسَ فِيمَا دُونَ ذَلِكَ حَدٌّ مَحْدُودٌ، وَإِنَّمَا هُوَ عَلَى مِقْدَارِ صَلَاحِ الصَّبِيِّ وَمَا يَعِيشُ بِهِ.

﴿وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ﴾: يَعْنِي: الْأَبَ ﴿رِزْقُهُنَّ﴾: طَعَامُهُنَّ، ﴿وَكِسْوَتُهُنَّ﴾: لِبَاسُهُنَّ، ﴿بِٱلْمَعْرُوفِۚ﴾: أَيْ: عَلَى قَدْرِ الْمَيْسَرَةِ، ﴿لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَاۚ﴾: أَيْ: طَاقَتَهَا، ﴿لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةُۢ بِوَلَدِهَا﴾: قَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ وَأَهْلُ الْبَصْرَةِ بِرَفْعِ الرَّاءِ نَسَقًا عَلَى قَوْلِهِ: ﴿لَا تُكَلَّفُ﴾، وَأَصْلُهُ: (تُضَارِرْ)، فَأُدْغِمَتِ الرَّاءُ فِي الرَّاءِ، وَقَرَأَ الْآخَرُونَ: ﴿تُضَآرَّ﴾ بِنَصْبِ الرَّاءِ، وَقَالُوا: لَمَّا أُدْغِمَتِ الرَّاءُ فِي الرَّاءِ حُرِّكَتْ إِلَى أَخَفِّ الْحَرَكَاتِ وَهُوَ النَّصْبُ، وَمَعْنَى الْآيَةِ: ﴿لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةُۢ بِوَلَدِهَا﴾: فَيُنْزَعُ الْوَلَدُ مِنْهَا إِلَى غَيْرِهَا بَعْدَ أَنْ رَضِيَتْ بِإِرْضَاعِهِ، ﴿وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦۚ﴾: أَيْ: لَا تُلْقِيهِ الْمَرْأَةُ إِلَى أَبِيهِ بَعْدَ مَا أَلِفَهَا تُضَارُّهُ بِذَلِكَ، **وَقِيلَ**: مَعْنَاهُ: ﴿لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةُۢ﴾ فَتُكْرَهُ عَلَى إِرْضَاعِهِ إِذَا كَرِهَتْ إِرْضَاعَهُ وَقَبِلَ الصَّبِيُّ مِنْ غَيْرِهَا؛ لِأَنَّ ذَلِكَ لَيْسَ بِوَاجِبٍ عَلَيْهَا، ﴿وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦۚ﴾، فَيُحْتَمَلُ أَنْ يُعْطِيَ الْأُمَّ أَكْثَرَ مِمَّا يَجِبُ لَهَا إِذَا لَمْ يَرْضَعِ الْوَلَدُ مِنْ غَيْرِهَا، فَعَلَى هَذَيْنِ الْقَوْلَيْنِ أَصْلُ الْكَلِمَةِ: (لَا تُضَارَرْ)، بِفَتْحِ الرَّاءِ الْأُولَى عَلَى الْفِعْلِ الْمَجْهُولِ، وَالْوَالِدَةُ وَالْمَوْلُودُ لَهُ مَفْعُولَانِ، وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْفِعْلُ لَهُمَا، وَتَكُونُ: ﴿تُضَآرَّ﴾ بِمَعْنَى: (تُضَارِرْ) بِكَسْرِ الرَّاءِ الْأُولَى عَلَى تَسْمِيَةِ الْفَاعِلِ، وَالْمَعْنَى: ﴿لَا تُضَآرَّ

وَلِدَةُۢ﴾: فتَأْبَى أَنْ تُرْضِعَ وَلَدَهَا لِيَشُقَّ عَلَى أَبِيهِ، ﴿وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ﴾: أَيْ: لَا يُضَارَّ الْأَبُ أُمَّ الصَّبِيِّ فَيَنْزِعُهُ مِنْهَا وَيَمْنَعُهَا مِنْ إِرْضَاعِهِ، وَعَلَى هَذِهِ الأَقْوَالِ يَرْجِعُ الإِضْرَارُ إِلَى الْوَالِدَيْنِ، يُضَارُّ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ بِسَبَبِ الْوَلَدِ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الضِّرَارُ رَاجِعًا إِلَى الصَّبِيِّ، أَيْ: لَا يُضَارَّ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا الصَّبِيَّ، فَلَا تُرْضِعُهُ الْأُمُّ حَتَّى يَمُوتَ، أَوْ لَا يُنْفِقُ الْأَبُ، أَوْ يَنْتَزِعُهُ مِنَ الْأُمِّ حَتَّى يُضَرَّ بِالصَّبِيِّ، فَعَلَى هَذَا تَكُونُ الْبَاءُ زَائِدَةً وَمَعْنَاهُ: (لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ وَلَدَهَا، وَلَا أَبٌ وَلَدَهُ)، وَكُلُّ هَذِهِ الْأَقَاوِيلِ مَرْوِيَّةٌ عَنِ الْمُفَسِّرِينَ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ﴾: **اخْتَلَفُوا فِي هَذَا الْوَارِثِ: فَقَالَ قَوْمٌ**: هُوَ وَارِثُ الصَّبِيِّ، مَعْنَاهُ: وَعَلَى وَارِثِ الصَّبِيِّ الَّذِي لَوْ مَاتَ الصَّبِيُّ وَلَهُ مَالٌ وَرِثَهُ مِثْلُ الَّذِي كَانَ عَلَى أَبِيهِ فِي حَالِ حَيَاتِهِ، **ثُمَّ اخْتَلَفُوا فِي أَيِّ وَارِثٍ هُوَ مِنْ وَرَثَتِهِ: فَقَالَ بَعْضُهُمْ**: هُوَ عَصَبَةُ الصَّبِيِّ مِنَ الرِّجَالِ، مِثْلُ: الْجَدِّ، وَالْأَخِ، وَابْنِ الْأَخِ، وَالْعَمِّ، وَابْنِ الْعَمِّ، وَهُوَ قَوْلُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَبِهِ قَالَ إِبْرَاهِيمُ وَالْحَسَنُ وَمُجَاهِدٌ وَعَطَاءٌ، وَهُوَ مَذْهَبُ سُفْيَانَ، قَالُوا: إِذَا لَمْ يَكُنْ لِلصَّبِيِّ مَالٌ يُنْفَقُ عَلَيْهِ أُجْبِرَتْ عَصَبَتُهُ الَّذِينَ يَرِثُونَهُ عَلَى أَنْ يَسْتَرْضِعُوهُ، **وَقِيلَ**: هُوَ وَارِثُ الصَّبِيِّ مَنْ كَانَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ، وَهُوَ قَوْلُ قَتَادَةَ وَابْنِ أَبِي لَيْلَى، وَمَذْهَبُ أَحْمَدَ وَإِسْحَاقَ، وَقَالُوا: يُجْبَرُ عَلَى نَفَقَتِهِ كُلُّ وَارِثٍ عَلَى قَدْرِ مِيرَاثِهِ، عَصَبَةً كَانُوا أَوْ غَيْرَهُمْ، **وَقَالَ بَعْضُهُمْ**: هُوَ مَنْ كَانَ ذَا رَحِمٍ مَحْرَمٍ مِنْ وَرَثَةِ الْمَوْلُودِ، فَمَنْ لَيْسَ بِمَحْرَمٍ مِثْلُ: ابْنِ الْعَمِّ، وَالْمَوْلَى، فَغَيْرُ مُرَادٍ بِالْآيَةِ، وَهُوَ قَوْلُ أَبِي حَنِيفَةَ رَحِمَهُ اللهُ. **وَذَهَبَ جَمَاعَةٌ**: إِلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِالْوَارِثِ هُوَ الصَّبِيُّ نَفْسُهُ الَّذِي هُوَ وَارِثُ أَبِيهِ الْمُتَوَفَّى، تَكُونُ أُجْرَةُ رَضَاعِهِ وَنَفَقَتُهُ فِي مَالِهِ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ مَالٌ فَعَلَى الْأُمِّ، وَلَا يُجْبَرُ عَلَى نَفَقَةِ الصَّبِيِّ إِلَّا الْوَالِدَانِ، وَهُوَ قَوْلُ مَالِكٍ وَالشَّافِعِيِّ رَحِمَهُمَا اللهُ. **وَقِيلَ**: هُوَ الْبَاقِي مِنْ وَالِدَي الْمَوْلُودِ، بَعْدَ وَفَاةِ الْآخَرِ عَلَيْهِ مِثْلُ الَّذِي كَانَ عَلَى الْأَبِ مِنْ أُجْرَةِ الرَّضَاعِ وَالنَّفَقَةِ وَالْكِسْوَةِ، **وَقِيلَ**: لَيْسَ الْمُرَادُ مِنْهُ النَّفَقَة بَلْ مَعْنَاهُ: وَعَلَى الْوَارِثِ تَرْكُ الْمُضَارَّةِ، وَبِهِ قَالَ الشَّعْبِيُّ وَالزُّهْرِيُّ.

﴿فَإِنْ أَرَادَا﴾: يَعْنِي: الْوَالِدَيْنِ ﴿فِصَالًا﴾: فِطَامًا قَبْلَ الْحَوْلَيْنِ ﴿عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا﴾: أَي: اتِّفَاقٍ مِنَ الْوَالِدَيْنِ، ﴿وَتَشَاوُرٍ﴾: أَيْ: يُشَاوِرُونَ أَهْلَ الْعِلْمِ بِهِ حَتَّى يُخْبِرُوا أَنَّ الْفِطَامَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ لَا يَضُرُّ بِالْوَلَدِ، **وَالْمُشَاوَرَةُ**: اسْتِخْرَاجُ الرَّأْيِ، ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾: أَيْ: لَا حَرَجَ عَلَيْهِمَا فِي الْفِطَامِ قَبْلَ الْحَوْلَيْنِ، ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ﴾: أَيْ: لِأَوْلَادِكُمْ مَرَاضِعَ غَيْرَ أُمَّهَاتِهِمْ إِذَا أَبَتْ أُمَّهَاتُهُمْ إِرْضَاعَهُمْ، أَوْ تَعَذَّرَ لِعِلَّةٍ بِهِنَّ، أَوِ انْقِطَاعِ لَبَنٍ، أَوْ أَرَدْنَ النِّكَاحَ، ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم﴾: إِلَى أُمَّهَاتِهِمْ ﴿مَّآ ءَاتَيْتُم﴾: مَا سَمَّيْتُمْ لَهُنَّ مِنْ أُجْرَةِ الرَّضَاعِ بِقَدْرِ مَا أَرْضَعْنَ، **وَقِيلَ**: إِذَا سَلَّمْتُمْ أُجُورَ الْمَرَاضِعِ إِلَيْهِنَّ ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾: قَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ: ﴿مَا أَتَيْتُم﴾، وَفِي الرُّومِ: ﴿وَمَا أَتَيْتُم مِن رِّبًا﴾[الرُّوم:٣٩] بِقَصْرِ الْأَلْفِ، وَمَعْنَاهُ: مَا فَعَلْتُمْ، يُقَالُ: (أَتَيْتُ جَمِيلًا) إِذَا فَعَلْتَهُ، فَعَلَى هَذِهِ الْقِرَاءَةِ يَكُونُ التَّسْلِيمُ بِمَعْنَى الطَّاعَةِ وَالِانْقِيَادِ لَا بِمَعْنَى تَسْلِيمِ الْأُجْرَةِ، يَعْنِي: إِذَا سَلَّمْتُمْ لِأَمْرِهِ وَانْقَدْتُمْ لِحُكْمِهِ، **وَقِيلَ**: إِذَا سَلَّمْتُمْ لِلِاسْتِرْضَاعِ عَنْ تَرَاضٍ وَاتِّفَاقٍ دُونَ الضِّرَارِ، ﴿وَاتَّقُوا۟ اللَّهَ وَاعْلَمُوٓا۟ أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ۖ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ﴾: أَيْ: يَمُوتُونَ وَتُتَوَفَّى آجَالُهُمْ، وَ(تَوَفَّى، وَاسْتَوْفَى) بِمَعْنًى وَاحِدٍ، **وَمَعْنَى التَّوَفِّي**: أَخْذُ الشَّيْءِ وَافِيًا، ﴿وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا﴾: يَتْرُكُونَ أَزْوَاجًا ﴿يَتَرَبَّصْنَ﴾: يَنْتَظِرْنَ ﴿بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾: أَيْ يَعْتَدِدْنَ بِتَرْكِ الزِّينَةِ وَالطِّيبِ وَالنُّقْلَةِ عَلَى فِرَاقِ أَزْوَاجِهِنَّ هَذِهِ الْمُدَّةَ، إِلَّا أَنْ يَكُنَّ حَوَامِلَ فَعِدَّتُهُنَّ بِوَضْعِ الْحَمْلِ، وَكَانَتْ عِدَّةُ الْوَفَاةِ فِي الِابْتِدَاءِ حَوْلًا كَامِلًا لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾[الْبَقَرَة:٢٤٠]، ثُمَّ نُسِخَتْ بِأَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا[1]. **وَقَالَ ابْنُ أَبِي نَجِيحٍ عَنْ مُجَاهِدٍ**: كَانَتْ هَذِهِ الْعِدَّةُ –

(١) **صحيح**: البخاري: (٤٥٣٠)، عن عثمان بن عفَّان رضي الله عنه.

يَعْنِي: أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا- وَاجِبَةً عِنْدَ أَهْلِ زَوْجِهَا، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: ﴿مَّتَـٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ﴾، فَجَعَلَ لَهَا تَمَامَ السَّنَةِ سَبْعَةَ أَشْهُرٍ وَعِشْرِينَ لَيْلَةً وَصِيَّةً إِنْ شَاءَتْ سَكَنَتْ فِي وَصِيَّتِهَا وَإِنْ شَاءَتْ خَرَجَتْ، وَهو قَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿غَيْرَ إِخْرَاجٍۚ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ﴾[البَقَرَة:٢٤٠]، فَالْعِدَّةُ كَمَا هِيَ وَاجِبَةٌ عَلَيْهَا(١). وَقَالَ عَطَاءٌ: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: نَسَخَتْ هَذِهِ الْآيَةُ عِدَّتَهَا عِنْدَ أَهْلِهَا، فَتَعْتَدُّ حَيْثُ شَاءَتْ، وَهُوَ قَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾(٢)، وَقَالَ عَطَاءٌ: إِنْ شَاءَتْ اعْتَدَّتْ عِنْدَ أَهْلِهَا وَسَكَنَتْ فِي وَصِيَّتِهَا وَإِنْ شَاءَتْ خَرَجَتْ؛ لِقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ﴾ قَالَ عَطَاءٌ: ثُمَّ جَاءَ الْمِيرَاثُ فَنَسَخَ السُّكْنَى، فَتَعْتَدُّ حَيْثُ شَاءَتْ وَلَا سُكْنَى لَهَا(٣).

وَيَجِبُ عَلَيْهَا الْإِحْدَادُ فِي عِدَّةِ الْوَفَاةِ، وَهِيَ أَنْ تَمْتَنِعَ مِنَ الزِّينَةِ وَالطِّيبِ، وَلَا يَجُوزُ لَهَا أَنْ تَكْتَحِلَ بِكُحْلٍ فِيهِ طِيبٌ أَوْ فِيهِ زِينَةٌ كَالْكُحْلِ الْأَسْوَدِ، وَلَا بَأْسَ بِالْكُحْلِ الْفَارِسِيِّ الَّذِي لَا زِينَةَ فِيهِ، فَإِنِ اضْطُرَّتْ إِلَى كُحْلٍ فِيْهِ زِينَةٌ فَقَدْ رَخَّصَ فِيهِ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ، وَمِنْهُمْ سَالِمُ بْنُ عَبْدِ اللهِ، وَسُلَيْمَانُ بْنُ يَسَارٍ، وَعَطَاءٌ، وَالنَّخَعِيُّ، وَبِهِ قَالَ مَالِكٌ وَأَصْحَابُ الرَّأْيِ.

وَلَا يَجُوزُ لَهَا الْخِضَابُ وَلَا لُبْسُ الْوَشْيِ وَالدِّيبَاجِ وَالْحُلِيِّ، وَيَجُوزُ لَهَا لُبْسُ الْبِيضِ مِنَ الثِّيَابِ وَلُبْسُ الصُّوفِ وَالْوَبَرِ، وَلَا تَلْبَسُ الثَّوْبَ الْمَصْبُوغَ لِلزِّينَةِ كَالْأَحْمَرِ، وَالْأَخْضَرِ النَّاضِرِ، وَالْأَصْفَرِ، وَيَجُوزُ مَا صُبِغَ لِغَيْرِ زِينَةٍ كَالسَّوَادِ وَالْكُحْلِيِّ، **وَقَالَ سُفْيَانُ**: لَا تَلْبَسُ الْمَصْبُوغَ بِحَالٍ.

قَالَتْ زَيْنَبُ: دَخَلْتُ عَلَى أُمِّ حَبِيبَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ حِينَ تُوُفِّيَ أَبُوهَا أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ، فَدَعَتْ أُمُّ حَبِيبَةَ بِطِيبٍ فِيهِ صُفْرَةٌ خَلُوقٌ أَوْ غَيْرُهُ فَدَهَنَتْ بِهِ جَارِيَةً ثُمَّ مَسَّتْ بِهِ عَارِضَيْهَا، ثُمَّ قَالَتْ: وَاللهِ مَا لِي بِالطِّيبِ مِنْ حَاجَةٍ غَيْرَ أَنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ

(١) **صحيح**: البخاري: (٤٥٣١).
(٢) "المصدر السابق".
(٣) "المصدر السابق".

الله ﷺ يَقُولُ عَلَى الْمِنْبَرِ: «**لَا يَحِلُّ لِامْرَأَةٍ تُؤْمِنُ بِالله وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ تَحِدَّ عَلَى مَيِّتٍ فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ، إِلَّا عَلَى زَوْجٍ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا**». **وَقَالَتْ زَيْنَبُ**: ثُمَّ دَخَلْتُ عَلَى زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ حِينَ تُوُفِّيَ أَخُوهَا عَبْدُ الله، فَدَعَتْ بِطِيبٍ فَمَسَّتْ بِهِ، ثُمَّ قَالَتْ: وَالله مَا لِي بِالطِّيبِ مِنْ حَاجَةٍ، غَيْرَ أَنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ عَلَى الْمِنْبَرِ: «**لَا يَحِلُّ لِامْرَأَةٍ تُؤْمِنُ بِالله وَاليَومِ الآخِرِ أَنْ تَحِدَّ عَلَى مَيِّتٍ فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ، إِلَّا عَلَى زَوْجٍ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا**». **قَالَتْ زَيْنَبُ**: وَسَمِعْتُ أُمِّي أُمَّ سَلَمَةَ تَقُولُ: جَاءَتِ امْرَأَةٌ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ الله، إِنَّ ابْنَتِي تُوُفِّيَ عَنْهَا زَوْجُهَا وَقَدِ اشْتَكَتْ عَيْنَهَا أَفَنَكْحُلُهَا؟ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**لَا**»، ثُمَّ قَالَ: «**إِنَّمَا هِيَ أَرْبَعَةُ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا، وَقَدْ كَانَتْ إِحْدَاكُنَّ فِي الجَاهِلِيَّةِ تَرْمِي بِالْبَعْرَةِ عَلَى رَأْسِ الحَوْلِ**»، **قَالَ حُمَيْدٌ**: فَقُلْتُ لِزَيْنَبَ: وَمَا تَرْمِي بِالْبَعْرَةِ عَلَى رَأْسِ الْحَوْلِ؟ فَقَالَتْ زَيْنَبُ: كَانَتِ الْمَرْأَةُ إِذَا تُوُفِّيَ عَنْهَا زَوْجُهَا دَخَلَتْ حِفْشًا وَلَبِسَتْ شَرَّ ثِيَابِهَا، وَلَمْ تَمَسَّ طِيبًا وَلَا شَيْئًا حَتَّى يَمُرَّ بِهَا سَنَةٌ، ثُمَّ تُؤْتَى بِدَابَّةٍ حِمَارٍ أَوْ شَاةٍ أَوْ طَيْرٍ فَتَفْتَضُّ بِهِ، فَقَلَّمَا تَفْتَضُّ بِشَيْءٍ إِلَّا مَاتَ، ثُمَّ تَخْرُجُ فَتُعْطَى بَعْرَةً فَتَرْمِي بِهَا، ثُمَّ تُرَاجِعُ بَعْدَ ذَلِكَ مَا شَاءَتْ مِنْ طِيبٍ أَوْ غَيْرِهِ. **سُئِلَ مَالِكٌ**: مَا تَفْتَضُّ؟ قَالَ: تَمْسَحُ بِهِ جِلْدَهَا[(١)].

وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ: الْحِكْمَةُ فِي هَذِهِ الْمُدَّةِ أَنَّ فِيهَا يُنْفَخُ الرُّوحُ فِي الْوَلَدِ، **وَيُقَالُ**: إِنَّ الْوَلَدَ يَرْتَكِضُ، أَيْ: يَتَحَرَّكُ فِي الْبَطْنِ لِنِصْفِ مُدَّةِ الحَمْلِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا قَرِيبًا مِنْ نِصْفِ مُدَّةِ الْحَمْلِ، وَإِنَّمَا قَالَ (عَشْرًا) بِلَفْظِ الْمُؤَنَّثِ؛ لِأَنَّهُ أَرَادَ اللَّيَالِيَ؛ لِأَنَّ الْعَرَبَ إِذَا أَبْهَمَتِ الْعَدَدَ بَيْنَ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ غَلَّبَتْ عَلَيْهَا اللَّيَالِيَ، فَيَقُولُونَ: (صُمْنَا عَشْرًا)، وَالصَّوْمُ لَا يَكُونُ إِلَّا بِالنَّهَارِ، **وَقَالَ الْمُبَرِّدُ**: إِنَّمَا أَنَّثَ الْعَشْرَ لِأَنَّهُ أَرَادَ الْمُدَدَ، أَيْ: عَشْرَ مُدَدٍ، كُلُّ مُدَّةٍ يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ.

---

(١) **صحيح**: البخاري: (٥٣٣٤)، (٥٣٣٥)، (٥٣٣٦)، (٥٣٣٧)، ومسلم: (١٤٨٩).

وَإِذَا كَانَ الْمُتَوَفَّى عَنْهَا زَوْجُهَا حَامِلًا فَعِدَّتُهَا بِوَضْعِ الْحَمْلِ عِنْدَ أَكْثَرِ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنَ الصَّحَابَةِ فَمَنْ بَعْدَهُمْ، **وَرُوِيَ عَنْ عَلِيٍّ وَابْنِ عَبَّاسٍ** رضي الله عنهم[١] أَنَّهَا تَنْتَظِرُ آخِرَ الْأَجَلَيْنِ مِنْ وَضْعِ الْحَمْلِ أَوْ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا، **وَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ** رضي الله عنه: أُنْزِلَتْ سُورَةُ النِّسَاءِ الْقُصْرَى بَعْدَ الطُّولَى[٢]. أَرَادَ بِالْقُصْرَى سُورَةَ الطَّلَاقِ ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾[الطَّلَاق:٤]، نَزَلَتْ بَعْدَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ فِي سُورَةِ البَقَرَةِ، فَحَمَلَهُ عَلَى النَّسْخِ، وَعَامَّةُ الْفُقَهَاءِ خَصُّوا الْآيَةَ بِحَدِيثِ سُبَيْعَةَ، وَهُوَ مَا جَاءَ **عَنْ الْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ**، أَنَّ سُبَيْعَةَ نَفِسَتْ بَعْدَ وَفَاةِ زَوْجِهَا بِلَيَالٍ فَجَاءَتْ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَاسْتَأْذَنَتْهُ أَنْ تَنْكِحَ، فَأَذِنَ لَهَا، فَنَكَحَتْ[٣].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾: أَيِ: انْقَضَتْ عِدَّتُهُنَّ ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾: خِطَابٌ لِلْأَوْلِيَاءِ، ﴿فِيمَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ﴾: أَيْ: مِنَ اخْتِيَارِ الْأَزْوَاجِ دُونَ الْعَقْدِ فَإِنَّ الْعَقْدَ إِلَى الْوَلِيِّ، **وَقِيلَ**: فِيمَا فَعَلْنَ مِنَ التَّزَيُّنِ لِلرِّجَالِ زِينَةً لَا يُنْكِرُهَا الشَّرْعُ ﴿بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾: وَالْإِحْدَادُ وَاجِبٌ عَلَى الْمَرْأَةِ فِي عِدَّةِ الْوَفَاةِ، أَمَّا الْمُعْتَدَّةُ عَنِ الطَّلَاقِ فَفِيهَا نَظَر: فَإِنْ كَانَتْ رَجْعِيَّةً: لَا إِحْدَادَ عَلَيْهَا فِي الْعِدَّةِ؛ لِأَنَّ لَهَا أَنْ تَصْنَعَ مَا يُشَوِّقُ قَلْبَ الزَّوْجِ إِلَيْهَا لِيُرَاجِعَهَا، وَفِي الْبَائِنَةِ بِالْخُلْعِ وَالطَّلْقَاتِ الثَّلَاثِ قَوْلَانِ: أَحَدُهُمَا: عَلَيْهَا الْإِحْدَادُ كَالْمُتَوَفَّى عَنْهَا زَوْجُهَا، وَهُوَ قَوْلُ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ، وَبِهِ قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ، وَالثَّانِي: لَا إِحْدَادَ عَلَيْهَا، وَهُوَ قَوْلُ عَطَاءٍ، وَبِهِ قَالَ مَالِكٌ.

﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّآ أَن تَقُولُوا۟ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۚ وَلَا تَعْزِمُوا۟ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ﴾: أَي: النِّسَاء الْمُعْتَدَّات

(١) **صحيح:** البخاري: (٤٩٠٩)، ومسلم: (١٤٨٥)، دون لفظة: «أَوْ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا».
(٢) **صحيح:** البخاري: (٤٩١٠).
(٣) **صحيح:** البخاري: (٥٣٢٠) ومسلم: عن سليمان بن يسار: (١٤٨٥).

وَأَصْلُ التَّعْرِيضِ: هُوَ التَّلْوِيحُ بِالشَّيْءِ، وَالتَّعْرِيضُ فِي الْكَلَامِ بِمَا يَفْهَمُ بِهِ السَّامِعُ مُرَادَهُ مِنْ غَيْرِ تَصْرِيحٍ، وَالتَّعْرِيضُ بِالْخِطْبَةِ مُبَاحٌ فِي الْعِدَّةِ، وَهُوَ أَنْ يَقُولَ: (رُبَّ رَاغِبٍ فِيكِ)، (مَنْ يَجِدُ مِثْلَكِ)، (إِنَّكِ لَجَمِيلَةٌ)، وَ(إِنَّكِ لَصَالِحَةٌ)، وَ(إِنَّكِ عَلَيَّ لَكَرِيمَةٌ)، وَ(إِنِّي فِيكِ لَرَاغِبٌ)، وَ(إِنَّ مِنْ غَرَضِي أَنْ أَتَزَوَّجَ بِكِ)، وَ(إِنْ جَمَعَ اللهُ بَيْنِي وَبَيْنَكِ بِالْحَلَالِ أَعْجَبَنِي)، وَ(لَئِنْ تَزَوَّجْتُكِ لَأُحْسِنَنَّ إِلَيْكِ)، وَنَحْوَ ذَلِكَ مِنَ الْكَلَامِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَقُولَ أَنْكِحِينِي، وَالْمَرْأَةُ تُجِيبُهُ بِمِثْلِهِ إِنْ رَغِبَتْ فِيهِ. **وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ**: لَا بَأْسَ أَنْ يُهْدِيَ إِلَيْهَا وَيَقُومَ بِشُغْلِهَا فِي الْعِدَّةِ إِذَا كَانَتْ مِنْ شَأْنِهِ. وَالتَّعْرِيضُ بِالْخِطْبَةِ جَائِزٌ فِي عِدَّةِ الْوَفَاةِ، أَمَّا الْمُعْتَدَّةُ عَنْ فُرْقَةِ الحَيَاةِ يُنْظَرُ: إِنْ كَانَتْ مِمَّنْ لَا يَحِلُّ لِمَنْ بَانَتْ مِنْهُ نِكَاحُهَا، كَالْمُطَلَّقَةِ ثَلَاثًا، وَالْمُبَانَةِ بِاللِّعَانِ وَالرَّضَاعِ، فَإِنَّهُ يَجُوزُ خِطْبَتُهَا تَعْرِيضًا، وَإِنْ كَانَتْ مِمَّنْ يَحِلُّ لِلزَّوْجِ نِكَاحُهَا، كَالْمُخْتَلِعَةِ وَالْمَفْسُوخِ نِكَاحُهَا، يَجُوزُ لِزَوْجِهَا خِطْبَتُهَا تَعْرِيضًا وَتَصْرِيحًا، وَهَلْ يَجُوزُ لِلْغَيْرِ تَعْرِيضًا؟ فِيهِ قَوْلَانِ، أَحَدُهُمَا: يَجُوزُ كَالْمُطَلَّقَةِ ثَلَاثًا، وَالثَّانِي: لَا يَجُوزُ؛ لِأَنَّ الْمُعَاوَدَةَ ثَابِتَةٌ لِصَاحِبِ الْعِدَّةِ كَالرَّجْعِيَّةِ لَا يَجُوزُ لِلْغَيْرِ تَعْرِيضُهَا بِالخِطْبَةِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ﴾: **الخِطْبَةُ**: الْتِمَاسُ النِّكَاحِ، وَهِيَ مَصْدَرُ: (خَطَبَ الرَّجُلُ الْمَرْأَةَ يَخْطُبُ خِطْبَةً). **وَقَالَ الْأَخْفَشُ**: الخِطْبَةُ: الذِّكْرُ، وَالخِطْبَةُ التَّشَهُّدُ، فَيَكُونُ مَعْنَاهُ: فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ ذِكْرِ النِّسَاءِ عِنْدَهُنَّ، ﴿أَوْ أَكْنَنتُمْ﴾: أَضْمَرْتُمْ ﴿فِيٓ أَنفُسِكُمْۚ﴾: مِنْ نِكَاحِهِنَّ، يُقَالُ: (أَكْنَنْتُ الشَّيْءَ، وَكَنَنْتُهُ) لُغَتَانِ، **وَقَالَ ثَعْلَبٌ**: (أَكْنَنْتُ الشَّيْءَ)، أَيْ: أَخْفَيْتُهُ فِي نَفْسِي، وَ(كَنَنْتُهُ): سَتَرْتُهُ، **قَالَ السُّدِّيُّ**: هُوَ أَنْ يَدْخُلَ فَيُسَلِّمَ وَيُهْدِيَ إِنْ شَاءَ وَلَا يَتَكَلَّمُ بِشَيْءٍ، ﴿عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ﴾: بِقُلُوبِكُمْ ﴿وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا﴾: **اخْتَلَفُوا فِي السِّرِّ الْمَنْهِيِّ عَنْهُ: فَقَالَ قَوْمٌ**: هُوَ الزِّنَا، وَكَانَ الرَّجُلُ يَدْخُلُ عَلَى الْمَرْأَةِ مِنْ أَجْلِ الزِّنْيَةِ وَهُوَ يَعْرِضُ بِالنِّكَاحِ، وَيَقُولُ لَهَا: دَعِينِي فَإِذَا وَفَيْتِ عِدَّتَكِ أَظْهَرْتُ نِكَاحَكِ، هَذَا قَوْلُ الْحَسَنِ وَقَتَادَةَ وَإِبْرَاهِيمَ وَعَطَاءٍ، وَرِوَايَةُ عَطِيَّةَ عَنِ

ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، **قَالَ زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ**: أَيْ لَا يَنْكِحُهَا سِرًّا فَيُمْسِكُهَا فَإِذَا حَلَّتْ أَظْهَرَ ذَلِكَ، **وَقَالَ مُجَاهِدٌ**: هُوَ قَوْلُ الرَّجُلِ لَا تَفُوتِينِي بِنَفْسِكِ فَإِنِّي نَاكِحُكِ، **وَقَالَ الشَّعْبِيُّ وَالسُّدِّيُّ**: لَا يَأْخُذُ مِيثَاقَهَا أَنْ لَا تَنْكِحَ غَيْرَهُ، **وَقَالَ عِكْرِمَةُ**: لَا يَنْكِحُهَا وَلَا يَخْطُبُهَا فِي الْعِدَّةِ، **قَالَ الشَّافِعِيُّ**: السِّرُّ هُوَ الْجِمَاعُ، وَيُذْكَرُ السِّرُّ وَيُرَادُ بِهِ الْجِمَاعُ، قَالَ امْرُؤُ الْقَيْسِ:

أَلَّا زَعَمَتْ بَسْبَاسَةُ الْقَوْمِ أَنَّنِي ... كَبِرْتُ وَأَلَّا يُحْسِنُ السِّرَّ أَمْثَالِي

وَإِنَّمَا قِيلَ لِلزِّنَا وَالْجِمَاعِ سِرًّا؛ لِأَنَّهُ يَكُونُ فِي خَفَاءٍ بَيْنَ الرَّجُلِ وَالْمَرْأَةِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِلَّآ أَن تَقُولُواْ قَوْلًا مَّعْرُوفًاۚ﴾: هُوَ مَا ذَكَرْنَا مِنَ التَّعْرِيضِ بِالْخِطْبَةِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَعْزِمُواْ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥۚ﴾: أَيْ: لَا تُحَقِّقُوا الْعَزْمَ عَلَى عَقْدِ النِّكَاحِ فِي الْعِدَّةِ، ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥۚ﴾: أَيْ: حَتَّى تَنْقَضِيَ الْعِدَّةُ، **وَسَمَّاهَا اللهُ كِتَابًا**؛ لِأَنَّهَا فَرْضٌ مِنَ اللهِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ﴾[البَقَرَة:٢٤٦]، أَيْ: فُرِضَ عَلَيْكُمْ، ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُۚ﴾: أَيْ: فَخَافُوا اللهَ، ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾: لَا يُعَجِّلُ بِالْعُقُوبَةِ.

﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُواْ لَهُنَّ فَرِيضَةًۚ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعًۢا بِٱلْمَعْرُوفِۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُواْ لَهُنَّ فَرِيضَةًۚ﴾: أَيْ: وَلَمْ تَمَسُّوهُنَّ وَلَمْ تَفْرِضُوا. قَرَأَ حَمْزَةُ وَالْكِسَائِيُّ: ﴿مَا لَمْ تُمَاسُّوهُنَّ﴾ بِالْأَلِفِ هَاهُنَا، وَفِي الْأَحْزَابِ عَلَى الْمُفَاعَلَةِ؛ لِأَنَّ بَدَنَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يُلَاقِي بَدَنَ صَاحِبِهِ كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّاۚ﴾[الْمُجَادَلَة:٤]، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ ﴿تَمَسُّوهُنَّ﴾ بِلَا أَلِفٍ؛ لِأَنَّ الْغِشْيَانَ يَكُونُ مِنْ فِعْلِ الرِّجَالِ دَلِيلُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌۖ﴾[آل عِمْرَان:٤٧].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَوْ تَفْرِضُواْ لَهُنَّ فَرِيضَةًۚ﴾: أَيْ: تُوجِبُوا لَهُنَّ صَدَاقًا، **فَإِنْ قِيلَ**: فَمَا الْوَجْهُ فِي نَفْيِ الْجُنَاحِ عَنِ الْمُطَلِّقِ؟ **قِيلَ**: الطَّلَاقُ قَطْعُ سَبَبِ الْوَصْلَةِ، فَنَفَى الْجُنَاحَ عَنْهُ

إِذَا كَانَ الْفِرَاقُ أَرْوَحَ مِنَ الْإِمْسَاكِ، **وَقِيلَ**: مَعْنَاهُ لَا سَبِيلَ لِلنِّسَاءِ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ المَسِيسِ وَالْفَرْضِ بِصَدَاقٍ وَلَا نَفَقَةٍ، **وَقِيلَ**: لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي تَطْلِيقِهِنَّ قَبْلَ المَسِيسِ فِي أَيِّ وَقْتٍ شِئْتُمْ، حَائِضًا كَانَتِ المَرْأَةُ أَوْ طَاهِرًا؛ لِأَنَّهُ لَا سُنَّةَ وَلَا بِدْعَةَ فِي طَلَاقِهِنَّ قَبْلَ الدُّخُولِ بِهَا، بِخِلَافِ المَدْخُولِ بِهَا، فَإِنَّهُ لَا يَجُوزُ تَطْلِيقُهَا فِي حَالِ الْحَيْضِ، ﴿وَمَتِّعُوهُنَّ﴾: أَيْ: أَعْطُوهُنَّ مِنْ مَالِكُمْ مَا يَتَمَتَّعْنَ بِهِ، **وَالمُتْعَةُ وَالمَتَاعُ**: مَا يُتَبَلَّغُ بِهِ مِنَ الزَّادِ، ﴿عَلَى ٱلْمُوسِعِ﴾: أَيْ: عَلَى الْغَنِيِّ ﴿قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ﴾: أَيِ: الْفَقِيرِ، ﴿قَدَرُهُۥ﴾: أَيْ: إِمْكَانُهُ وَطَاقَتُهُ، قَرَأَ أَبُو جَعْفَرٍ وَابْنُ عَامِرٍ وَحَمْزَةُ وَالْكِسَائِيُّ وَحَفْصٌ: ﴿قَدَرُهُۥ﴾ بِفَتْحِ الدَّالِ فِيهِمَا، وَقَرَأَ الْآخَرُونَ بِسُكُونِهِمَا، وَهُمَا لُغَتَانِ، **وَقِيلَ**: الْقَدْرُ بِسُكُونِ الدَّالِ: المَصْدَرُ، وَبِالْفَتْحِ: الِاسْمُ، ﴿مَتَٰعًا﴾: نُصِبَ عَلَى المَصْدَرِ أَيْ: مَتِّعُوهُنَّ ﴿مَتَٰعًا بِٱلْمَعْرُوفِ﴾: أَيْ: بِمَا أَمَرَكُمُ اللهُ بِهِ مِنْ غَيْرِ ظُلْمٍ، ﴿حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾، **وَبَيَانُ حُكْمِ الْآيَةِ**: أَنَّ مَنْ تَزَوَّجَ امْرَأَةً وَلَمْ يَفْرِضْ لَهَا مَهْرًا، ثُمَّ طَلَّقَهَا قَبْلَ المَسِيسِ يَجِبُ عَلَيهِ المُتْعَةُ بِالِاتِّفَاقِ، وَإِنْ طَلَّقَهَا بَعْدَ الْفَرْضِ قَبْلَ المَسِيسِ فَلَا مُتْعَةَ لَهَا عَلَى قَوْلِ الْأَكْثَرِينَ، وَلَهَا نِصْفُ المَهْرِ المَفْرُوضِ.

وَاخْتَلَفُوا فِي المُطَلَّقَةِ بَعْدَ الدُّخُولِ بِهَا: **فَذَهَبَ جَمَاعَةٌ**: إِلَى أَنَّهَا لَا مُتْعَةَ لَهَا؛ لِأَنَّهَا تَسْتَحِقُّ المَهْرَ، وَهُوَ قَوْلُ أَصْحَابِ الرَّأْيِ، **وَذَهَبَ جَمَاعَةٌ**: إِلَى أَنَّهَا تَسْتَحِقُّ المُتْعَةَ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾[البَقَرَة:٢٤١]، وَهُوَ قَوْلُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ، وَبِهِ قَالَ عَطَاءٌ، وَمُجَاهِدٌ، وَالْقَاسِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ، وَإِلَيْهِ ذَهَبَ الشَّافِعِيُّ؛ لِأَنَّ اسْتِحْقَاقَهَا المَهْرَ بِمُقَابَلَةِ مَا أُتْلِفَ عَلَيْهَا مِنْ مَنْفَعَةِ الْبُضْعِ، وَلَهَا المُتْعَةُ عَلَى وَحْشَةِ الْفِرَاقِ، فَعَلَى الْقَوْلِ الْأَوَّلِ: لَا مُتْعَةَ إِلَّا لِوَاحِدَةٍ، وَهِيَ المُطَلَّقَةُ قَبْلَ الْفَرْضِ وَالمَسِيسِ، وَعَلَى الْقَوْلِ الثَّانِي: لِكُلِّ مُطَلَّقَةٍ مُتْعَةٌ إِلَّا لِوَاحِدَةٍ، وَهِيَ المُطَلَّقَةُ بَعْدَ الْفَرْضِ قَبْلَ المَسِيسِ، **قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ**: لِكُلِّ مُطَلَّقَةٍ مُتْعَةٌ إِلَّا الَّتِي فُرِضَ لَهَا وَلَمْ يَمَسَّهَا زَوْجُهَا، فَحَسْبُهَا نِصْفُ المَهْرِ[(١)]،

(١) **صحيح**: صحَّحه العلَّامة الألباني رَحِمَهُ اللهُ في «الإرواء» (١٩٤١).

قَالَ الزُّهْرِيُّ: مُتْعَتَانِ يَقْضِي بِإِحْدَاهُمَا السُّلْطَانُ وَلَا يَقْضِي بِالأُخْرَى، بَلْ يَلْزَمُهُ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الله تَعَالَى، فَأَمَّا الَّتِي يَقْضِي بِهَا السُّلْطَانُ: فَهِيَ الْمُطَلَّقَةُ قَبْلَ الْفَرْضِ وَالْمَسِيسِ، وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾، وَالَّتِي تَلْزَمُهُ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الله تَعَالَى وَلَا يَقْضِي بِهَا السُّلْطَانُ: فَهِيَ الْمُطَلَّقَةُ بَعْدَ الْمَسِيسِ، وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ﴾، **وَذَهَبَ الْحَسَنُ وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ** إِلَى أَنَّ لِكُلِّ مُطَلَّقَةٍ مُتْعَةً، سَوَاءٌ كَانَ قَبْلَ الْفَرْضِ وَالْمَسِيسِ أَوْ بَعْدَ الْفَرْضِ قَبْلَ الْمَسِيسِ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعُۢ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾[الْبَقَرَة:٢٤١]، وَلِقَوْلِهِ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْأَحْزَابِ: ﴿فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾[الْأَحْزَاب:٤٩]، وَقَالَا: مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا۟ لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾، أَيْ: أَوْ لَمْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً، **وَقَالَ بَعْضُهُمْ**: الْمُتْعَةُ غَيْرُ وَاجِبَةٍ وَالْأَمْرُ بِهَا أَمْرُ نَدْبٍ وَاسْتِحْبَابٍ.

وَاخْتَلَفُوا فِي قَدْرِ الْمُتْعَةِ: **فَرُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ** رضي الله عنهما: أَعْلَاهَا خَادِمٌ، وَأَوْسَطُهَا ثَلَاثَةُ أَثْوَابٍ: دِرْعٌ وَخِمَارٌ وَإِزَارٌ، وَدُونَ ذَلِكَ وِقَايَةٌ، أَوْ شَيْءٌ مِنَ الْوَرِقِ[1]، وَبِهِ قَالَ الشَّعْبِيُّ وَالزُّهْرِيُّ وَهَذَا مَذْهَبُ الشَّافِعِيِّ، قال: أَعْلَاهَا عَلَى الْمُوسِعِ: خَادِمٌ وَأَوْسَطُهَا: ثَوْبٌ وَأَقَلُّهَا: أَقَلُّ مَا لَهُ ثَمَنٌ وَحَسُنَ ثَلَاثُونَ دِرْهَمًا، وَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ رَحِمَهُ اللهُ: مَبْلَغُهَا إِذَا اخْتَلَفَ الزَّوْجَانِ قَدْرُ نِصْفِ مَهْرِ مِثْلِهَا لَا يُجَاوَزُ. وَالْآيَةُ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ يُعْتَبَرُ حَالُ الزَّوْجِ فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ، وَمِنْ حُكْمِ الْآيَةِ أَنَّ مَنْ تَزَوَّجَ امْرَأَةً بَالِغَةً بِرِضَاهَا عَلَى غَيْرِ مَهْرٍ يَصِحُّ النِّكَاحُ، وَلِلْمَرْأَةِ مُطَالَبَتُهُ بِأَنْ يَفْرِضَ لَهَا صَدَاقًا، فَإِنْ دَخَلَ بِهَا قَبْلَ الْفَرْضِ فَلَهَا عَلَيْهِ مَهْرُ مِثْلِهَا، وَإِنْ طَلَّقَهَا قَبْلَ الْفَرْضِ وَالدُّخُولِ فَلَهَا الْمُتْعَةُ، وَإِنْ مَاتَ أَحَدُهُمَا قَبْلَ الفَرْضِ وَالدُّخُولِ: فَاخْتَلَفَ أَهْلُ الْعِلْمِ فِي أَنَّهَا هَلْ تَسْتَحِقُّ الْمَهْرَ أَمْ لَا؟ فَذَهَبَ جَمَاعَةٌ إِلَى أَنَّهُ لَا مَهْرَ لَهَا، وَهُوَ قَوْلُ عَلِيٍّ وَزَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ وَعَبْدِ الله بْنِ عُمَرَ وَعَبْدِ الله بْنِ عَبَّاسٍ، كَمَا لَوْ طَلَّقَهَا قَبْلَ الْفَرْضِ وَالدُّخُولِ، وَذَهَبَ قَوْمٌ إِلَى أَنَّ لَهَا الْمَهْرَ؛ لِأَنَّ الْمَوْتَ كَالدُّخُولِ فِي تَقْرِيرِ الْمُسَمَّى، فَكَذَلِكَ فِي إِيجَابِ مَهْرِ الْمِثْلِ إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي الْعَقْدِ مُسَمًّى،

---

(١) **صحيح**: صحَّحه العلَّامة الألباني رَحِمَهُ اللهُ في «الإرواء» (١٩٤٢).

وَهُوَ قَوْلُ الثَّوْرِيِّ وَأَصْحَابِ الرَّأْيِ، وَاحْتَجُّوا بِمَا رُوِيَ عَنْ عَلْقَمَةَ **عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ** أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ رَجُلٍ تَزَوَّجَ امْرَأَةً وَلَمْ يَفْرِضْ لَهَا صَدَاقًا وَلَمْ يَدْخُلْ بِهَا حَتَّى مَاتَ، فَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: لَهَا صَدَاقُ نِسَائِهَا وَلَا وَكْسَ وَلَا شَطَطَ، وَعَلَيْهَا الْعِدَّةُ، وَلَهَا الْمِيرَاثُ، فَقَامَ مَعْقِلُ بْنُ سِنَانٍ الْأَشْجَعِيُّ فَقَالَ: قَضَى رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي بَرْوَعَ بِنْتِ وَاشِقٍ امْرَأَةٍ مِنَّا مِثْلَ مَا قَضَيْتَ، فَفَرِحَ بِهَا ابْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه[(١)]. **وَقَالَ الشَّافِعِيُّ** رَحِمَهُ اللهُ: فَإِنْ ثَبَتَ حَدِيثُ بَرْوَعَ بِنْتِ وَاشِقٍ فَلَا حُجَّةَ فِي قَوْلِ أَحَدٍ دُونَ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ، وَإِنْ لَمْ يَثْبُتْ فَلَا مَهْرَ لَهَا وَلَهَا الْمِيرَاثُ.

﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَا۟ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ ۚ وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ﴾: هَذَا فِي الْمُطَلَّقَةِ بَعْدَ الْفَرْضِ قَبْلَ الْمَسِيسِ، فَلَهَا نِصْفُ الْمَفْرُوضِ وَإِنْ مَاتَ أَحَدُهُمَا قَبْلَ الْمَسِيسِ فَلَهَا كَمَالُ الْمَهْرِ الْمَفْرُوضِ، وَالْمُرَادُ بِالْمَسِّ الْمَذْكُورِ فِي الْآيَةِ: الْجِمَاعُ.

وَاخْتَلَفَ أَهْلُ الْعِلْمِ فِيمَا لَوْ خَلَا الرَّجُلُ بِامْرَأَتِهِ ثُمَّ طَلَّقَهَا قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ بِهَا: **فَذَهَبَ جَمَاعَةٌ** إِلَى أَنَّهُ لَا يَجِبُ لَهَا إِلَّا نِصْفُ الصَّدَاقِ وَلَا عِدَّةَ عَلَيْهَا؛ لِأَنَّ اللهَ تَعَالَى أَوْجَبَ بِالطَّلَاقِ قَبْلَ الْمَسِيسِ نِصْفَ الْمَهْرِ وَلَمْ يُوجِبِ الْعِدَّةَ، وَهُوَ قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما وَابْنِ مَسْعُودٍ، وَبِهِ قَالَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللهُ، **وَقَالَ قَوْمٌ**: يَجِبُ لَهَا كَمَالُ الْمَهْرِ وَعَلَيْهَا الْعِدَّةُ لِمَا رُوِيَ **عَنْ عُمَرَ** رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ: إِذَا [أُجِيفَ البَابُ]، [وَ]أُرْخِيَتِ السُّتُورُ، فَقَدْ وَجَبَ الصَّدَاقُ، [وَعَلَيهَا العِدَّةُ][(٢)]. وَحَمَلَ بَعْضُهُمْ قَوْلَ عُمَرَ عَلَى وُجُوبِ تَسْلِيمِ الصَّدَاقِ إِلَيْهَا إِذَا سَلَّمَتْ نَفْسَهَا، لَا عَلَى تَقْدِيرِ الصَّدَاقِ. **وَقِيلَ**: هَذِهِ الْآيَةُ نَاسِخَةٌ لِلْآيَةِ الَّتِي فِي الْأَحْزَابِ: ﴿فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا فَمَتِّعُوهُنَّ﴾[الأَحْزَاب:٤٩]،

---

(١) **صحيح**: صحَّحه العلَّامة الألباني رَحِمَهُ اللهُ في "صحيح وضعيف سنن أبي داود" (٢١١٤).

(٢) **صحيح**: صحَّحه العلَّامة الألباني رَحِمَهُ اللهُ في "الإرواء" (١٩٣٧).

فَقَدْ كَانَ لِلْمُطَلَّقَةِ قَبْلَ المَسِيسِ مَتَاعٌ فَنُسِخَتْ بِهَذِهِ الْآيَةِ وَأَوْجَبَ لِلْمُطَلَّقَةِ المَفْرُوضِ لَهَا قَبْلَ المَسِيسِ نِصْفَ المَفْرُوضِ، وَلَا مَتَاعَ لَهَا.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾: أَيْ: سَمَّيْتُمْ لَهُنَّ مَهْرًا، ﴿فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ﴾: أَيْ: لَهَا نِصْفُ المَهْرِ المُسَمَّى، ﴿إِلَّآ أَن يَعْفُونَ﴾: يَعْنِي: النِّسَاءَ أَيْ: إِلَّا أَنْ تَتْرُكَ المَرْأَةُ نَصِيبَهَا فَيَعُودُ جَمِيعُ الصَّدَاقِ إِلَى الزَّوْجِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَوْ يَعْفُوَاْ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِۚ﴾: **اخْتَلَفُوا** فِيهِ: **فَذَهَبَ بَعْضُهُمْ**: إِلَى أَنَّ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ هُوَ الْوَلِيُّ، وَبِهِ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، مَعْنَاهُ: إِلَّا أَنْ تَعْفُوَ المَرْأَةُ بِتَرْكِ نَصِيبِهَا إِلَى الزَّوْجِ إِنْ كَانَتْ ثَيِّبًا مِنْ أَهْلِ الْعَفْوِ، أَوْ يَعْفُو وَلِيُّهَا فَيَتْرُكُ نَصِيبَهَا إِنْ كَانَتِ المَرْأَةُ بِكْرًا، أَوْ غَيْرَ جَائِزَةِ العَفْوِ فَيَجُوزُ عَفْوُ وَلِيِّهَا، وَهُوَ قَوْلُ عَلْقَمَةَ وَعَطَاءٍ وَالحَسَنِ وَالزُّهْرِيِّ وَرَبِيعَةَ، **وَذَهَبَ بَعْضُهُمْ**: إِلَى أَنَّهُ إِنَّمَا يَجُوزُ عَفْوُ الْوَلِيِّ إِذَا كَانَتِ المَرْأَةُ بِكْرًا، فَإِنْ كَانَتْ ثَيِّبًا فَلَا يَجُوزُ عَفْوُ وَلِيِّهَا، **وَقَالَ بَعْضُهُمْ**: ﴿ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِۚ﴾: هُوَ الزَّوْجُ، وَهُوَ قَوْلُ عَلِيٍّ، وَبِهِ قَالَ سَعِيدُ بْنُ المُسَيَّبِ وَسَعِيدُ بْنِ جُبَيْرٍ وَالشَّعْبِيُّ وَشُرَيْحٌ وَمُجَاهِدٌ وَقَتَادَةُ، وَقَالُوا: لَا يَجُوزُ لِوَلِيِّهَا تَرْكُ شَيْءٍ مِنْ صَدَاقِهَا بِكْرًا كَانَتْ أَوْ ثَيِّبًا كَمَا لَا يَجُوزُ لَهُ ذَلِكَ قَبْلَ الطَّلَاقِ بِالِاتِّفَاقِ، وَكَمَا لَا يَجُوزُ لَهُ أَنْ يَهَبَ شَيْئًا مِنْ مَالِهَا، وَقَالُوا: مَعْنَى الْآيَةِ: إِلَّا أَنْ تَعْفُوَ المَرْأَةُ بِتَرْكِ نَصِيبِهَا فَيَعُودُ جَمِيعُ الصَّدَاقِ إِلَى الزَّوْجِ، أَوْ يَعْفُو الزَّوْجُ بِتَرْكِ نَصِيبِهِ فَيَكُونُ لَهَا جَمِيعُ الصَّدَاقِ، فَعَلَى هَذَا التَّأْوِيلِ وَجْهُ الْآيَةِ: ﴿ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِۚ﴾: نِكَاحُ نَفْسِهِ فِي كُلِّ حَالٍ قَبْلَ الطَّلَاقِ أَوْ بَعْدَهُ، ﴿وَأَن تَعْفُوٓاْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰۚ﴾: مَوْضِعُهُ رَفْعٌ بِالِابْتِدَاءِ، أَيْ: فَالْعَفْوُ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى، أَيْ: إِلَى التَّقْوَى، وَالخِطَابُ لِلرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ جَمِيعًا؛ لِأَنَّ المُذَكَّرَ وَالمُؤَنَّثَ إِذَا اجْتَمَعَا، كَانَتِ الْغَلَبَةُ لِلْمُذَكَّرِ، مَعْنَاهُ: وَعَفْوُ بَعْضِكُمْ عَنْ بَعْضٍ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى، ﴿وَلَا تَنسَوُاْ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْۚ﴾: أَيْ: إِفْضَالُ بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ بِإِعْطَاءِ الرَّجُلِ تَمَامَ الصَّدَاقِ أَوْ تَرْكِ المَرْأَةِ نَصِيبَهَا حَثَّهُمَا جَمِيعًا عَلَى الْإِحْسَانِ؛ لِأَنَّهُ مِنْ شِيَمِ الأَخْلَاقِ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ فَرِجَالًا أَوۡ رُكۡبَانٗاۖ فَإِذَآ أَمِنتُمۡ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ﴾: أَيْ: وَاظِبُوا وَدَاوِمُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ المَكْتُوبَاتِ بِمَوَاقِيتِهَا وَحُدُودِهَا وَإِتْمَامِ شُرُوطِهَا وَأَرْكَانِهَا، ثُمَّ خَصَّ اللهُ مِنْ بَيْنِهَا الصَّلَاةَ الْوُسْطَى بِالْمُحَافَظَةِ عَلَيْهَا؛ دَلَالَةً عَلَى فَضْلِهَا، **وَالوُسْطَى**: تَأْنِيثُ الْأَوْسَطِ، وَوَسَطُ الشَّيْءِ: خَيْرُهُ وَأَعْدَلُهُ، **وَاخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ مِنَ الصَّحَابَةِ وَمَنْ بَعْدَهُمْ** فِي الصَّلَاةِ الْوُسْطَى: **فَقَالَ قَوْمٌ**: هِيَ صَلَاةُ الْفَجْرِ، وَهُوَ قَوْلُ عُمَرَ وَابْنِ عُمَرَ وَابْنِ عَبَّاسٍ وَمُعَاذٍ وَجَابِرٍ، وَبِهِ قَالَ عَطَاءٌ وَعِكْرِمَةُ وَمُجَاهِدٌ، وَإِلَيْهِ ذَهَبَ مَالِكٌ وَالشَّافِعِيُّ؛ لِأَنَّ اللهَ تَعَالَى قَالَ: ﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾: **وَالْقُنُوتُ**: طُولُ الْقِيَامِ، وَصَلَاةُ الصُّبْحِ مَخْصُوصَةٌ بِطُولِ الْقِيَامِ وَبِالْقُنُوتِ؛ وَلِأَنَّ اللهَ تَعَالَى خَصَّهَا فِي آيَةٍ أُخْرَى مِنْ بَيْنِ الصَّلَوَاتِ، فَقَالَ اللهُ: ﴿وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودٗا﴾[الإسراء:٧٨] يَعْنِي: يَشْهَدُهَا مَلَائِكَةُ اللَّيْلِ وَمَلَائِكَةُ النَّهَارِ، فَهِيَ مَكْتُوبَةٌ فِي دِيوَانِ اللَّيْلِ وَدِيوَانِ النَّهَارِ؛ وَلِأَنَّهَا بَيْنَ صَلَاتَيْ جَمْعٍ، وَهِيَ لَا تُقْصَرُ وَلَا تُجْمَعُ إِلَى غَيْرِهَا، **وَذَهَبَ قَوْمٌ** إِلَى أَنَّهَا صَلَاةُ الظُّهْرِ، وَهُوَ قَوْلُ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ وَأَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ وَأُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ؛ لِأَنَّهَا فِي وَسَطِ النَّهَارِ وَهِيَ أَوْسَطُ صَلَوَاتِ النَّهَارِ فِي الطُّولِ.

عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُصَلِّي الظُّهْرَ بِالْهَاجِرَةِ وَلَمْ يَكُنْ يُصَلِّي صَلَاةً أَشَدَّ عَلَى أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ مِنْهَا، فَنَزَلَتْ: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ﴾(١).

وَذَهَبَ الْأَكْثَرُونَ إِلَى أَنَّهَا صَلَاةُ الْعَصْرِ، رَوَاهُ جَمَاعَةٌ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَهُوَ قَوْلُ عَلِيٍّ وَعَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ وَأَبِي أَيُّوبَ وَأَبِي هُرَيْرَةَ وَعَائِشَةَ -رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ- وَبِهِ قَالَ إِبْرَاهِيمُ النَّخَعِيُّ وَقَتَادَةُ وَالْحَسَنُ.

(١) **صحيح:** صحَّحه العلَّامة الألباني رحمه الله في «صحيح وضعيف سنن أبي داود» (٤١١)، وأورده العلَّامة الوادعي رحمه الله في كتابه «الصحيح المسند من أسباب النزول» ص(٤٤).

عَنْ أَبِي يُونُسَ مَوْلَى عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ ﵂ أَنَّهُ قَالَ: أَمَرَتْنِي عَائِشَةُ أَنْ أَكْتُبَ لَهَا مُصْحَفًا وَقَالَتْ: إِذَا بَلَغْتَ هَذِهِ الْآيَةَ فَآذِنِّي: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾، فَلَمَّا بَلَغْتُهَا آذَنْتُهَا فَأَمْلَتْ عَلَيَّ: ﴿حافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاةِ الْوُسْطى وَصَلَاةِ الْعَصْرِ وَقُومُوا للهِ قانِتِينَ﴾ قَالَتْ عَائِشَةُ ﵂: سَمِعْتُهَا مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ[(١)].

وَعَنْ حَفْصَةَ مِثْلُ ذَلِكَ[(٢)].

وَعَنْ زِرِّ بْنِ حُبَيْشٍ قَالَ: قُلْنَا لِعُبَيْدَةَ: سَلْ عَلِيًّا عَنِ الصَّلَاةِ الْوُسْطَى، فَسَأَلَهُ فَقَالَ: كُنَّا نَرَى أَنَّهَا صَلَاةُ الْفَجْرِ حَتَّى سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ يَوْمَ الْخَنْدَقِ: «**شَغَلُونَا عَنِ الصَّلَاةِ الْوُسْطَى صَلَاةِ الْعَصْرِ مَلَأَ اللهُ أَجْوَافَهُمْ وَقُبُورَهُمْ نَارًا**»[(٣)].

وَلِأَنَّهَا بَيْنَ صَلَاتَيْ نَهَارٍ وَصَلَاتَيْ لَيْلٍ، وَقَدْ خَصَّهَا النَّبِيُّ ﷺ بِالتَّغْلِيظِ.

---

(١) **صحيح:** مسلم: (٦٢٩). قال الإمام ابن حزم ﵀ في «المحلى» (٣/ ١٧٧): **فَإِنْ قِيلَ**: فَكَيْفَ تَصْنَعُونَ أَنْتُمْ فِي هَذِهِ الرِّوَايَاتِ الَّتِي أُورِدَتْ عَنْ حَفْصَةَ، وَعَائِشَةَ، وَأُمِّ سَلَمَةَ، وَأُبَيٍّ، وَابْنِ عَبَّاسٍ الَّتِي فِيهَا: ﴿وَصَلَاةُ الْعَصْرِ﴾، وَالَّتِي فِيهَا: ﴿صَلَاةُ الْعَصْرِ﴾ عَنْهُمْ بِلَا وَاوٍ حَاشَا حَفْصَةَ؟ وَكَيْفَ تَقُولُونَ فِي الْقِرَاءَةِ بِهَذِهِ الزِّيَادَةِ وَهِيَ لَا تَحِلُّ الْقِرَاءَةُ بِهَا الْيَوْمَ؟ **فَجَوَابُنَا وَبِاللهِ تَعَالَى التَّوْفِيقُ**: أَنَّ الَّذِي يُظَنُّ مِنْ اخْتِلَافِ الرِّوَايَةِ فِي ذَلِكَ فَلَيْسَ اخْتِلَافًا، بَلْ الْمَعْنَى فِي ذَلِكَ مَعَ الْوَاوِ وَمَعَ إِسْقَاطِهَا سَوَاءٌ، وَهُوَ أَنَّهَا تَعْطِفُ الصِّفَةَ عَلَى الصِّفَةِ، لَا يَجُوزُ غَيْرُ ذَلِكَ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾[الأحزاب:٤٠]، فَرَسُولُ اللهِ ﷺ هُوَ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ، وَكَمَا تَقُولُ: (أَكْرِمْ إِخْوَانَك وَأَبَا زَيْدٍ الْكَرِيمِ وَالْحَسِيبَ أَخَا مُحَمَّدٍ) فَأَبُو زَيْدٍ هُوَ الْحَسِيبُ، وَهُوَ أَخُو مُحَمَّدٍ، فَقَوْلُهُ: ﴿وَصَلَاةُ الْعَصْرِ﴾ بَيَانٌ لِلصَّلَاةِ الْوُسْطَى، فَهِيَ الْوُسْطَى وَهِيَ صَلَاةُ الْعَصْرِ. وَأَمَّا قَوْلُهُ ﵇: «**شَغَلُونَا عَنْ الصَّلَاةِ الْوُسْطَى صَلَاةِ الْعَصْرِ**» فَلَا يَحْتَمِلُ تَأْوِيلًا أَصْلًا، فَوَجَبَ بِذَلِكَ حَمْلُ قَوْلِهِ ﵇: ﴿وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَصَلَاةِ الْعَصْرِ﴾ عَلَى أَنَّهَا عَطْفُ صِفَةٍ عَلَى صِفَةٍ، وَلَا بُدَّ، وَيُبَيِّنُ أَيْضًا صِحَّةَ هَذَا التَّأْوِيلِ عَنْهُمْ مَا قَدْ أَوْرَدْنَاهُ عَنْهُمْ أَنْفُسَهُمْ مِنْ قَوْلِهِمْ: «**وَالصَّلَاةُ الْوُسْطَى صَلَاةُ الْعَصْرِ**» وَصَحَّتْ الرِّوَايَةُ عَنْ عَائِشَةَ بِأَنَّهَا الْعَصْرُ، وَهِيَ الَّتِي رَوَتْ نُزُولَ الْآيَةِ فِيهَا: ﴿وَصَلَاةُ الْعَصْرِ﴾، فَصَحَّ أَنَّهَا عَرَفَتْ أَنَّهَا صِفَةٌ لِصَلَاةِ الْعَصْرِ، وَهِيَ سَمِعَتْ النَّبِيَّ ﷺ يَتْلُوهَا كَذَلِكَ، وَبِهَذَا ارْتَفَعَ الِاضْطِرَابُ عَنْهُمْ، وَتَتَّفِقُ أَقْوَالُهُمْ، وَيَصِحُّ كُلُّ مَا رُوِيَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي ذَلِكَ، وَيَنْتَفِي عَنْهُ الِاخْتِلَافُ، وَحَاشَا للهِ أَنْ يَأْتِيَ اضْطِرَابٌ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ.اهـ

(٢) **حسن:** حسَّنه العلَّامة الألباني ﵀ في «التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان» (٦٢٨٩).

(٣) **صحيح:** البخاري: (٤٥٣٣)، ومسلم: (٦٢٧).

عَنْ أَبِي المَلِيحِ قَالَ: كُنَّا مَعَ بُرَيْدَةَ فِي غَزْوَةٍ فِي يَوْمٍ ذِي غَيْمٍ، فَقَالَ: بَكِّرُوا بِصَلَاةِ الْعَصْرِ؛ فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**مَنْ تَرَكَ صَلَاةَ الْعَصْرِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ**»(١).

وَقَالَ قَبِيصَةُ بْنُ ذُؤَيْبٍ: هِيَ صَلَاةُ المَغْرِبِ؛ لِأَنَّهَا وَسَطٌ لَيْسَ بِأَقَلِّهَا وَلَا بِأَكْثَرِهَا وَلَمْ يُنْقَلْ عَنْ أَحَدٍ مِنَ السَّلَفِ أَنَّهَا صَلَاةُ العِشَاءِ، وَإِنَّمَا ذَكَرَهَا بَعْضُ المُتَأَخِّرِينَ؛ لِأَنَّهَا بَيْنَ صَلَاتَيْنِ لَا تُقْصَرَانِ، **وَقَالَ بَعْضُهُمْ**: هِيَ إِحْدَى الصَّلَوَاتِ الخَمْسِ لَا بِعَيْنِهَا أَبْهَمَهَا اللهُ تَعَالَى؛ تَحْرِيضًا لِلْعِبَادِ عَلَى المُحَافَظَةِ عَلَى أَدَاءِ جَمِيعِهَا، كَمَا أَخْفَى لَيْلَةَ الْقَدْرِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ، وَسَاعَةَ إِجَابَةِ الدَّعْوَةِ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ، وَأَخْفَى اسْمَهُ الْأَعْظَمَ فِي الْأَسْمَاءِ؛ لِيُحَافِظُوا عَلَى جَمِيعِهَا.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ﴾: أَيْ: مُطِيعِينَ، **قَالَ الشَّعْبِيُّ وَعَطَاءٌ وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ وَالحَسَنُ وَقَتَادَةُ وَطَاوُسٌ**: وَالْقُنُوتُ: الطَّاعَةُ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قَانِتًا لِّلَّهِ﴾[النَّحْل: ١٢٠]، أَيْ: مُطِيعًا، **وَقِيلَ**: الْقُنُوتُ: السُّكُوتُ عَمَّا لَا يَجُوزُ التَّكَلُّمُ بِهِ فِي الصَّلَاةِ.

عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا نَتَكَلَّمُ خَلْفَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي الصَّلَاةِ، يُكَلِّمُ الرَّجُلُ مِنَّا صَاحِبَهُ إِلَى جَنْبِهِ، حَتَّى نَزَلَتْ: ﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ﴾، فَأُمِرْنَا بِالسُّكُوتِ وَنُهِينَا عَنِ الْكَلَامِ(٢).

وَقَالَ مُجَاهِدٌ: خَاشِعِينَ، **وَقَالَ**: مِنَ الْقُنُوتِ: طُولُ الرُّكُوعِ، وَغَضُّ البَصَرِ، وَالرُّكُودُ، وَخَفْضُ الجَنَاحِ، وَكَانَ العُلَمَاءُ إِذَا كَانَ أَحَدُهُمْ يُصَلِّي يَهَابُ الرَّحْمَنَ أَنْ يَلْتَفِتَ أَوْ يَقْلِبَ الحَصَى أَوْ يَعْبَثَ بِشَيْءٍ أَوْ يُحَدِّثَ نَفْسَهُ بِشَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا إِلَّا نَاسِيًا، **وَقِيلَ**: المُرَادُ مِنَ الْقُنُوتِ طُولُ الْقِيَامِ.

عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قِيلَ لِلنَّبِيِّ ﷺ أَيُّ الصَّلَاةِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «**طُولُ الْقُنُوتِ**»(٣).

---

(١) **صحيح**: البخاري: (٥٥٣).

(٢) **صحيح**: البخاري: (٤٥٣٤)، ومسلم: (٥٣٩)، وأورده العلَّامة الوادعي رَحِمَهُ اللهُ في كتابه "الصحيح المسند من أسباب النُّزول" ص(٤٥).

(٣) **صحيح**: مسلم: (٧٥٦).

وَقِيلَ: ﴿قَـٰنِتِينَ﴾: أَيْ: دَاعِينَ، دَلِيلُهُ مَا رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: قَنَتَ رَسُولُ الله ﷺ شَهْرًا مُتَتَابِعًا يَدْعُو عَلَى أَحْيَاءٍ من بني سُلَيْم، عَلَى رِعْلٍ، وَذَكْوَانَ، وَعُصَيَّةَ[١]، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: مُصَلِّينَ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَـٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ﴾[الزُّمر:٩]، أَيْ: مُصَلٍّ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا﴾: أَيْ: رَجَّالَةً، يُقَالُ: (رَاجِلٌ وَرِجَالٌ)، مِثْلُ: (صَاحِبٍ وَصِحَابٍ، وَقَائِمٍ وَقِيَامٍ، وَنَائِمٍ وَنِيَامٍ)، ﴿أَوْ رُكْبَانًا﴾: عَلَى دَوَابِّهِمْ، وَهُوَ جَمْعُ (رَاكِبٍ)، مَعْنَاهُ: إِنْ لَمْ يُمْكِنْكُمْ أَنْ تُصَلُّوا قَانِتِينَ مُوَفِّينَ لِلصَّلَاةِ حَقَّهَا لِخَوْفٍ، فَصَلُّوا مُشَاةً عَلَى أَرْجُلِكُمْ أَوْ رُكْبَانًا عَلَى ظُهُورِ دَوَابِّكُمْ، وَهَذَا فِي حَالِ الْمُقَاتَلَةِ وَالْمُسَايَفَةِ يُصَلِّي حَيْثُ كَانَ وَجْهُهُ رَاجِلًا أَوْ رَاكِبًا، مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ وَغَيْرَ مُسْتَقْبِلِهَا، وَيُومِئُ بِالرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ، وَيَجْعَلُ السُّجُودَ أَخْفَضَ مِنَ الرُّكُوعِ، وَكَذَلِكَ إِذَا قَصَدَهُ سَبُعٌ أَوْ غَشِيَهُ سَيْلٌ يَخَافُ مِنْهُ عَلَى نَفْسِهِ فَعَدَا أَمَامَهُ مُصَلِّيًا بِالْإِيمَاءِ يَجُوزُ. وَالصَّلَاةُ فِي حَالِ الْخَوْفِ عَلَى أَقْسَامٍ، فَهَذِهِ صَلَاةُ شِدَّةِ الْخَوْفِ، وَسَائِرُ الْأَقْسَامِ سَيَأْتِي بَيَانُهَا فِي (سُورَةِ النِّسَاءِ) إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى، وَلَا يُنْتَقَصُ عَدَدُ الرَّكَعَاتِ بِالْخَوْفِ عِنْدَ أَكْثَرِ أَهْلِ الْعِلْمِ، وَرَوَى مُجَاهِدٌ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: فَرَضَ اللهُ الصَّلَاةَ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّكُمْ ﷺ فِي الْحَضَرِ أَرْبَعًا، وَفِي السَّفَرِ رَكْعَتَيْنِ، وَفِي الْخَوْفِ رَكْعَةً[٢]، وَهُوَ قَوْلُ عَطَاءٍ وَطَاوُسٍ وَالْحَسَنِ وَمُجَاهِدٍ وَقَتَادَةَ: أَنَّهُ يُصَلِّي فِي حَالِ شِدَّةِ الْخَوْفِ رَكْعَةً، ﴿فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ﴾: أَيْ: فَصَلُّوا الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ تَامَّةً بِحُقُوقِهَا ﴿كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَـٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ ۚ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ

(١) **حسن:** حسَّنه العلَّامة الألباني رحمه الله في «صحيح وضعيف سنن أبي داود» (١٤٤٣)، وأصله في «الصحيحين» عن أنس بن مالك رضي الله عنه، البخاري: (٤٠٩٤)، ومسلم: (٦٧٧).

(٢) **صحيح:** مسلم: (٦٨٧).

﴿٢٤٠﴾ وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعُۢ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ﴾: يَا مَعْشَرَ الرِّجَالِ، ﴿وَيَذَرُونَ﴾: أَيْ: يَتْرُكُونَ ﴿أَزْوَٰجًا﴾: أَيْ: زَوْجَاتٍ ﴿وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم﴾: قَرَأَ أَهْلُ الْبَصْرَةِ وَابْنُ عَامِرٍ وَحَمْزَةُ وَحَفْصٌ: ﴿وَصِيَّةً﴾ بِالنَّصْبِ عَلَى مَعْنَى: فَلْيُوصُوا وَصِيَّةً، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بِالرَّفْعِ، أَيْ: كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْوَصِيَّةُ، ﴿مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ﴾: مَتَاعًا نُصِبَ عَلَى الْمَصْدَرِ، أَيْ: مَتِّعُوهُنَّ مَتَاعًا، **وَقِيلَ**: جَعَلَ اللهُ ذَلِكَ لَهُنَّ مَتَاعًا، **وَالْمَتَاعُ**: نَفَقَةُ سَنَةٍ لِطَعَامِهَا وَكِسْوَتِهَا وَسَكَنِهَا وَمَا تَحْتَاجُ إِلَيْهِ، ﴿غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾: نُصِبَ عَلَى الْحَالِ، **وَقِيلَ**: بِنَزْعِ حَرْفٍ عَلَى الصِّفَةِ، أَيْ: مِنْ غَيْرِ إِخْرَاجٍ، وَكَانَتْ عِدَّةُ الْوَفَاةِ فِي ابْتِدَاءِ الْإِسْلَامِ حَوْلًا كَامِلًا، وَكَانَ يَحْرُمُ عَلَى الْوَارِثِ إِخْرَاجُهَا مِنَ الْبَيْتِ قَبْلَ تَمَامِ الْحَوْلِ، وَكَانَتْ نَفَقَتُهَا وَسَكَنُهَا وَاجِبَةٌ فِي مَالِ زَوْجِهَا تِلْكَ السَّنَةَ مَا لَمْ تَخْرُجْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهَا الْمِيرَاثُ، فَإِنْ خَرَجَتْ مِنْ بَيْتِ زَوْجِهَا سَقَطَتْ نَفَقَتُهَا، وَكَانَ عَلَى الرَّجُلِ أَنْ يُوصِيَ بِهَا، فَكَانَ كَذَلِكَ حَتَّى نَزَلَتْ آيَةُ الْمِيرَاثِ، فَنَسَخَ اللهُ تَعَالَى نَفَقَةَ الْحَوْلِ بِالرُّبُعِ وَالثُّمُنِ، وَنَسَخَ عِدَّةَ الحَوْلِ بِأَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَإِنْ خَرَجْنَ﴾: يَعْنِي: مِنْ قِبَلِ أَنْفُسِهِنَّ قَبْلَ الْحَوْلِ مِنْ غَيْرِ إِخْرَاجِ الْوَرَثَةِ ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾: يَا أَوْلِيَاءَ الْمَيِّتِ ﴿فِى مَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ﴾: يَعْنِي: التَّزَيُّنَ لِلنِّكَاحِ، وَلِرَفْعِ الْجُنَاحِ عَنِ الرِّجَالِ وَجْهَانِ، أَحَدُهُمَا: لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي قَطْعِ النَّفَقَةِ عَنْهُنَّ إِذَا خَرَجْنَ قَبْلَ انْقِضَاءِ الْحَوْلِ، وَالْآخَرُ: لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي تَرْكِ مَنْعِهِنَّ مِنَ الْخُرُوجِ؛ لِأَنَّ مُقَامَهَا فِي بَيْتِ زَوْجِهَا حَوْلًا غَيْرُ وَاجِبٍ عَلَيْهَا، خَيَّرَهَا اللهُ تَعَالَى بَيْنَ أَنْ تُقِيمَ حَوْلًا وَلَهَا النَّفَقَةُ وَالسُّكْنَى، وَبَيْنَ أَنْ تَخْرُجَ فَلَا نَفَقَةَ وَلَا سُكْنَى، إِلَى أَنْ نَسَخَهُ بِأَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ وَعَشْرٍ، ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

﴿وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعُۢ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ﴾: إِنَّمَا أَعَادَ ذِكْرَ الْمُتْعَةِ هَاهُنَا لِزِيَادَةِ

مَعْنًى، وَذَلِكَ أَنَّ فِي غَيْرِهَا بَيَانُ حُكْمِ غَيْرِ المَمْسُوسَةِ، وَفِي هَذِهِ الآيَةِ بَيَانُ حُكْمِ جَمِيعِ المُطَلَّقَاتِ فِي المُتْعَةِ، ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾.

﴿۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾ وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٤﴾ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾: أَيْ: أَلَمْ تَعْلَمْ بِإِعْلَامِي إِيَّاكَ، وَهُوَ مِنْ رُؤْيَةِ الْقَلْبِ، **وَقَالَ أَهْلُ المَعَانِي**: هُوَ تَعْجِيبٌ، يَقُولُ: هَلْ رَأَيْتَ مِثْلَهُمْ؟ كَمَا تَقُولُ: أَلَمْ تَرَ إِلَى مَا يَصْنَعُ فُلَانٌ؟ وَكُلُّ مَا فِي الْقُرْآنِ ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ وَلَمْ يُعَايِنْهُ النَّبِيُّ ﷺ فَهَذَا وَجْهُهُ، ﴿إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ﴾: جَمْعُ (أَلْفٍ)، وَالْأُلُوفُ جَمْعُ الْكَثِيرِ، وَجَمْعُهُ الْقَلِيلُ (آلَافٌ)، وَلَا يُقَالُ لِمَا دُونَ عَشَرَةِ آلَافٍ: (أُلُوفٌ)، **وَقِيلَ**: مُؤْتَلِفَةٌ قُلُوبُهُمْ جَمْعُ (آلِفٍ)، مِثْلُ: (قَاعِدٍ، وَقعُودٍ)، **وَالصَّحِيحُ**: أَنَّ المُرَادَ مِنْهُ الْعَدَدُ، ﴿حَذَرَ ٱلْمَوْتِ﴾: أَيْ: خَوْفَ المَوْتِ، ﴿فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟﴾: أَمْرُ تَحْوِيلٍ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾[الْبَقَرَة: ٦٥] ﴿ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ﴾: بَعْدَ مَوْتِهِمْ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾: **قِيلَ**: هُوَ عَلَى الْعُمُومِ فِي حَقِّ الْكَافَّةِ فِي الدُّنْيَا **وَقِيلَ**: عَلَى الْخُصُوصِ فِي حَقِّ الْمُؤْمِنِينَ، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾: أَمَّا الكُفَّارُ فَلَا يَشْكُرُونَ، وَأَمَّا الْمُؤْمِنُونَ فَلَمْ يَبْلُغُوا غَايَةَ الشُّكْرِ، ﴿وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: أَيْ: فِي طَاعَةِ اللهِ أَعْدَاءَ اللهِ، ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾: **قَالَ أَكْثَرُ أَهْلِ التَّفْسِيرِ**: هَذَا خِطَابٌ لِلَّذِينَ أُحْيُوْا، أُمِرُوا بِالْقِتَالِ فِي سَبِيلِ اللهِ فَخَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ فِرَارًا مِنَ الْجِهَادِ فَأَمَاتَهُمُ اللهُ ثُمَّ أَحْيَاهُمْ وَأَمَرَهُمْ أَنْ يُجَاهِدُوا، **وَقِيلَ**: الْخِطَابُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ أَمَرَهُمْ بِالْجِهَادِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾: **الْقَرْضُ**: اسْمٌ لِكُلِّ مَا يُعْطِيهِ الْإِنْسَانُ لِيُجَازَى عَلَيْهِ، فَسَمَّى اللهَ تَعَالَى عَمَلَ الْمُؤْمِنِينَ لَهُ عَلَى رَجَاءِ مَا وَعَدَهُمْ مِنَ

الثَّوَابِ قَرْضًا؛ لِأَنَّهُمْ يَعْمَلُونَهُ لِطَلَبِ ثَوَابِهِ، **قَالَ الْكِسَائِيُّ**: الْقَرْضُ: مَا أَسْلَفْتَ مِنْ عَمَلٍ صَالِحٍ أَوْ سَيِّئٍ، **وَأَصْلُ الْقَرْضِ فِي اللُّغَةِ**: الْقَطْعُ، سُمِّيَ بِهِ الْقَرْضُ؛ لِأَنَّهُ يَقْطَعُ مِنْ مَالِهِ شَيْئًا يُعْطِيهِ لِيَرْجِعَ إِلَيْهِ مِثْلُهُ، **وَقِيلَ**: فِي الْآيَةِ اخْتِصَارٌ مَجَازُهُ: مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ عِبَادَ اللهِ وَالْمُحْتَاجِينَ مِنْ خَلْقِهِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [الْأَحْزَاب:٥٧]، أَيْ: يُؤْذُونَ عِبَادَ اللهِ، كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ **عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ** رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «**إِنَّ اللهَ تَعَالَى يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَطْعَمْتُكَ فَلَمْ تُطْعِمْنِي، قَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ أُطْعِمُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ قَالَ: اسْتَطْعَمَكَ عَبْدِي فُلَانٌ فَلَمْ تُطْعِمْهُ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ أَطْعَمْتَهُ لَوَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي**»[(١)].

وَقَوْلُهُ ﷻ: ﴿يُقْرِضُ ٱللَّهَ﴾: أَيْ: يُنْفِقُ فِي طَاعَةِ اللهِ ﴿قَرْضًا حَسَنًا﴾: **قَالَ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ الْوَاقِدِيُّ**: يَعْنِي: مُحْتَسِبًا طَيِّبَةً بِهِ نَفْسُهُ، **وَقَالَ ابْنُ الْمُبَارَكِ**: مِنْ مَالٍ حَلَالٍ، **وَقَالَ**: لَا يَمُنُّ بِهِ وَلَا يُؤْذِي، ﴿فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ﴾: قَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ وَأَبُو جَعْفَرٍ وَابْنُ عَامِرٍ وَيَعْقُوبُ: ﴿فَيُضَعِّفَهُ﴾ وَبَابُهُ بِالتَّشْدِيدِ، وَوَافَقَ أَبُو عَمْرٍو فِي (سُورَةِ الْأَحْزَابِ)، وَقَرَأَ الْآخَرُونَ: ﴿فَيُضَٰعِفَهُۥ﴾ بِالْأَلِفِ مُخَفَّفًا، وَهُمَا لُغَتَانِ، وَدَلِيلُ التَّشْدِيدِ قَوْلُهُ: ﴿أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾؛ لِأَنَّ التَّشْدِيدَ لِلتَّكْثِيرِ، وَقَرَأَ ابْنُ عَامِرٍ وَعَاصِمٌ وَيَعْقُوبُ بِنَصْبِ الْفَاءِ، وَكَذَلِكَ فِي (سُورَةِ الْحَدِيدِ) عَلَى جَوَابِ الِاسْتِفْهَامِ **وَقِيلَ**: بِإِضْمَارِ (أَنْ) وَقَرَأَ الْآخَرُونَ بِرَفْعِ الْفَاءِ؛ نَسَقًا عَلَى قَوْلِهِ: ﴿يُقْرِضُ﴾، ﴿أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾: **قَالَ السُّدِّيُّ**: وَهَذَا التَّضْعِيفُ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللهُ ﷻ، **وَقِيلَ**: سَبْعُمِائَةِ ضِعْفٍ، ﴿وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ﴾: قَرَأَ أَهْلُ الْبَصْرَةِ وَحَمْزَةُ: ﴿يَبْسُطُ﴾ هُنَا، وَفِي (الْأَعْرَافِ): ﴿بَسْطَةً﴾[الأَعْرَاف:٦٩]، بِالسِّينِ كَنَظَائِرِهِمَا وَقَرَأَهُمَا الْآخَرُونَ بِالصَّادِ، **وَقِيلَ**: يَقْبِضُ بِإِمْسَاكِ الرِّزْقِ وَالنَّفْسِ وَالتَّقْتِيرِ، وَيَبْسُطُ بِالتَّوْسِيعِ، **وَقِيلَ**: يَقْبِضُ بِقَبُولِ التَّوْبَةِ وَالصَّدَقَةِ، وَيَبْسُطُ بِالْخَلَفِ وَالثَّوَابِ، **وَقِيلَ**: هُوَ الإِحْيَاءُ وَالْإِمَاتَةُ، فَمَنْ أَمَاتَهُ فَقَدْ قَبَضَهُ، وَمَنْ مَدَّ لَهُ فِي عُمْرِهِ فَقَدْ بَسَطَ لَهُ، **وَقِيلَ**: هَذَا فِي الْقُلُوبِ؛ لَمَّا أَمَرَهُمُ اللهُ تَعَالَى بِالصَّدَقَةِ أَخْبَرَ أَنَّهُمْ لَا يُمْكِنُهُمْ ذَلِكَ إِلَّا

(١) **صحيح**: مسلم: (٢٥٦٩).

بِتَوْفِيقِهِ، قَالَ: يَقْبِضُ بَعْضَ الْقُلُوبِ فَلَا يَنْشَطُ بِالْخَيْرِ وَيَبْسُطُ بَعْضَهَا فَيُقَدِّمُ لِنَفْسِهِ خَيْرًا، كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ: «**الْقُلُوبُ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ يُقَلِّبُهَا اللهُ كَيْفَ يَشَاءُ**»(١) الْحَدِيث، ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ أَيْ: إِلَى اللهِ تَعُودُونَ فَيَجْزِيكُمْ بِأَعْمَالِكُمْ، **وَقَالَ قَتَادَةُ**: الْهَاءُ رَاجِعَةٌ إِلَى التُّرَابِ، كِنَايَةً عَنْ غَيْرِ مَذْكُورٍ، أَيْ: مِنَ التُّرَابِ خَلَقَهُمْ وَإِلَيْهِ يَعُودُونَ.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ ۖ قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾: وَالْمَلَأُ مِنَ الْقَوْمِ: وُجُوهُهُمْ وَأَشْرَافُهُمْ، **وَأَصْلُ الْمَلَأِ**: الْجَمَاعَةُ مِنَ النَّاسِ وَلَا وَاحِدَ لَهُ مِنْ لَفْظِهِ كَـ(الْقَوْمِ، وَالرَّهْطِ، وَالْإِبِلِ، وَالْخَيْلِ، وَالْجَيْشِ)، وَجَمْعُهُ: (أَمْلَاءٌ)، ﴿مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ﴾: أَيْ: مِنْ بَعْدِ مَوْتِ مُوسَى، ﴿إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ﴾: جَزْمٌ عَلَى جَوَابِ الْأَمْرِ، فَلَمَّا قَالُوا لَهُ ذَلِكَ: ﴿قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ﴾: اسْتِفْهَامُ شَكٍّ، يَقُولُ: لَعَلَّكُمْ، قَرَأَ نَافِعٌ: ﴿عَسِيتُمْ﴾ بِكَسْرِ السِّينِ كُلَّ الْقُرْآنِ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بِالْفَتْحِ وَهِيَ اللُّغَةُ الْفَصِيحَةُ؛ بِدَلِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ﴾[الأعراف:١٢٩]، ﴿إِن كُتِبَ﴾: فُرِضَ ﴿عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ﴾: مَعَ ذَلِكَ الْمَلِكِ ﴿أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ ۖ﴾ أَنْ لَا تَفُوا بِمَا تَقُولُونَ وَلَا تُقَاتِلُوا مَعَهُ؟ ﴿قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: **فَإِنْ قِيلَ**: فَمَا وَجْهُ دُخُولِ (أَنْ) فِي هَذَا الْمَوْضِعِ وَالْعَرَبُ لَا تَقُولُ: (مَا لَكَ أَنْ لَا تَفْعَلَ)، وَإِنَّمَا يُقَالُ: (مَا لَكَ لَا تَفْعَلُ)؟ **قِيلَ**: دُخُولُ (أَنْ) وَحَذْفُهَا لُغَتَانِ صَحِيحَتَانِ فَالْإِثْبَاتُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ [الْحِجْر:٣٢] وَالْحَذْفُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۙ﴾[الحديد:٨] **وَقَالَ الْكِسَائِيُّ**: مَعْنَاهُ: وَمَا لَنَا فِي أَنْ لَا نُقَاتِلَ، فَحُذِفَ (فِي)، **وَقَالَ الْفَرَّاءُ**: أَيْ: وَمَا يَمْنَعُنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي

(١) **صحيح**: مسلم: (٢٦٥٤).

سَبِيلِ الله كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾[الْأَعْرَاف:١٢]، وَقَالَ الْأَخْفَشُ: (أَنْ) هَاهُنَا زَائِدَةٌ مَعْنَاهُ: وَمَا لَنَا لَا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ الله ﴿وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا﴾: وَمَعْنَى الْآيَةِ: أَنَّهُمْ قَالُوا مُجِيبِينَ لِنَبِيِّهِمْ: إِنَّمَا كُنَّا نَزْهَدُ فِي الْجِهَادِ إِذْ كُنَّا مَمْنُوعِينَ فِي بِلَادِنَا لَا يَظْهَرُ عَلَيْنَا عَدُوُّنَا، فَأَمَّا إِذَا بَلَغَ ذَلِكَ مِنَّا فَنُطِيعُ رَبَّنَا فِي الْجِهَادِ، وَنَمْنَعُ نِسَاءَنَا وَأَوْلَادَنَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْاْ﴾: أَعْرَضُوا عَنِ الْجِهَادِ وَضَيَّعُوا أَمْرَ الله ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾: وَهُمُ الَّذِينَ عَبَرُوا النَّهْرَ مَعَ طَالُوت وَاقْتَصَرُوا عَلَى الْغُرْفَةِ، عَلَى مَا سَيَأْتِي إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى، ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًاۚ قَالُوٓاْ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِي ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾

﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًاۚ قَالُوٓاْ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا﴾: أَيْ: مِنْ أَيْنَ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا؟ ﴿وَنَحْنُ أَحَقُّ﴾: أَوْلَى ﴿بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ﴾: وَمَعَ ذَلِكَ قَالُوا هُوَ فَقِيرٌ، ﴿وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ﴾: اخْتَارَهُ ﴿عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً﴾: فَضِيلَةً وَسَعَةً ﴿فِي ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِۖ﴾: وَذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ أَعْلَمَ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي وَقْتِهِ، وَقِيلَ: إِنَّهُ أَتَاهُ الْوَحْيُ حِينَ أُوتِيَ الْمُلْكَ، وَقَالَ الْكَلْبِيُّ: ﴿وَزَادَهُۥ بَسْطَةً﴾: فَضِيلَةً وَسَعَةً ﴿فِي ٱلْعِلْمِ﴾: بِالْحَرْبِ، ﴿وَٱلْجِسْمِۖ﴾: بِالطُّولِ، وَقِيلَ: الْجِسْمُ بِالْجَمَالِ، وَكَانَ طَالُوتُ أَجْمَلَ رَجُلٍ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي وَقْتِهِ وَأَعْلَمَهُمْ، ﴿وَٱللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾: قِيلَ: الْوَاسِعُ: ذُو السَّعَةِ وَهُوَ الَّذِي يُعْطِي عَنْ غِنًى، وَالْعَلِيمُ: الْعَالِمُ، وَقِيلَ: الْعَالِمُ بِمَا كَانَ، وَالْعَلِيمُ بِمَا يَكُونُ.

فَقَالُوا لَهُ: فَمَا آيَة مُلْكِهِ؟ فَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ: ﴿إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾: قَالَ قَتَادَةُ وَالكَلْبِيُّ: السَّكِينَةُ: (فَعِيلَةٌ)، مِنَ السُّكُونِ، أَيْ: طُمَأْنِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ، ﴿وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً﴾: لَعِبْرَةً ﴿لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّى وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّىٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ ۚ فَشَرِبُوا۟ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ قَالُوا۟ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ﴾: أَيْ: خَرَجَ بِهِمْ، **وَأَصْلُ الْفَصْلِ:** الْقَطْعُ، يَعْنِي: قَطَعَ مُسْتَقَرَّهُ شَاخِصًا إِلَى غَيْرِهِ، وَكَانَ فِي حَرٍّ شَدِيدٍ فَشَكَوْا قِلَّةَ المَاءِ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ عَدُوِّهِمْ، فَقَالُوا: إِنَّ الْمِيَاهَ قَلِيلَةٌ لَا تَحْمِلُنَا فَادْعُ اللهَ أَنْ يُجْرِيَ لَنَا نَهْرًا، ﴿قَالَ﴾: طَالُوتُ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم﴾: مُخْتَبِرُكُمْ لِيَرَى طَاعَتَكُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ، ﴿بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّى﴾: أَيْ: مِنْ أَهْلِ دِينِي وَطَاعَتِي، ﴿وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ﴾: لَمْ يَشْرَبْهُ ﴿فَإِنَّهُۥ مِنِّىٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ﴾: قَرَأَ أَهْلُ الْحِجَازِ وَأَبُو عَمْرٍو: ﴿غَرْفَةً﴾ بِفَتْحِ الغَيْنِ، وَقَرَأَ الآخَرُونَ بِالضَّمِّ، وَهُمَا لُغَتَانِ، **قَالَ الْكِسَائِيُّ: الْغُرْفَةُ بِالضَّمِّ:** الَّذِي يَحْصُلُ فِي الْكَفِّ مِنَ المَاءِ إِذَا غرف، **وَالْغَرْفَةُ بِالْفَتْحِ:** الاِغْتِرَافُ، فَالضَّمُّ اسْمٌ، وَالْفَتْحُ مَصْدَرٌ، ﴿فَشَرِبُوا۟ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾: نُصِبَ عَلَى الاِسْتِثْنَاءِ، **وَاخْتَلَفُوا فِي الْقَلِيلِ الَّذِينَ لَمْ يَشْرَبُوا: فَقَالَ السُّدِّيُّ:** كَانُوا أَرْبَعَةَ آلَافٍ، **وَقَالَ غَيْرُهُ:** ثَلَاثَمِائَةٍ وَبِضْعَةَ عَشَرَ، وَهُوَ الصَّحِيحُ؛ لِمَا ثَبَتَ عَنِ الْبَرَاءِ ﷺ قَالَ: كُنَّا أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ ﷺ نَتَحَدَّثُ أَنَّ عِدَّةَ أَصْحَابِ بَدْرٍ عَلَى عِدَّةِ أَصْحَابِ طَالُوتَ الَّذِينَ جَاوَزُوا مَعَهُ النَّهْرَ، وَلَمْ يُجَاوِزْ مَعَهُ إِلَّا مُؤْمِنٌ، وَهُمْ بِضْعَةُ عَشَرَ وَثَلَاثُمِائَةٍ[1]. وَرُوِيَ: ثَلَاثُمِائَةٍ وَثَلَاثَةَ عَشَرَ.

(١) **صحيح:** البخاري: (٣٩٥٨).

فَلَمَّا وَصَلُوا إِلَى النَّهْرِ وَقَدْ أُلْقِيَ عَلَيْهِمُ الْعَطَشُ، فَشَرِبَ مِنْهُ الْكُلُّ إِلَّا هَذَا الْعَدَدَ الْقَلِيلَ، فَمَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً كَمَا أَمَرَ اللهُ قَوِيَ قَلْبُهُ وَصَحَّ إِيمَانُهُ، وَعَبَرَ النَّهْرَ سَالِمًا وَكَفَتْهُ تِلْكَ الْغُرْفَةُ الْوَاحِدَةُ لِشُرْبِهِ وَحَمْلِهِ وَدَوَابِّهُ، وَالَّذِينَ شَرِبُوا وَخَالَفُوا أَمْرَ اللهِ لَمْ يَرْوُوا وَبَقُوا عَلَى شَطِّ النَّهْرِ وَجَبُنُوا عَنْ لِقَاءِ الْعَدُوِّ، فَلَمْ يُجَاوِزُوا وَلَمْ يَشْهَدُوا الْفَتْحَ، **وَقِيلَ**: كُلُّهُمْ جَاوَزُوا وَلَكِنْ لَمْ يَحْضُرِ الْقِتَالَ إِلَّا الَّذِينَ لَمْ يَشْرَبُوا، ﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ﴾: يَعْنِي: النَّهْرَ ﴿هُوَ﴾: يَعْنِي طَالُوت ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ﴾: يَعْنِي: الْقَلِيلَ، ﴿قَالُواْ﴾: يَعْنِي: الَّذِينَ شَرِبُوا وَخَالَفُوا أَمْرَ اللهِ وَكَانُوا أَهْلَ شَكٍّ وَنِفَاقٍ ﴿لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦۚ﴾: **قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ** رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا **وَالسُّدِّيُّ**: فَانْحَرَفُوا وَلَمْ يُجَاوِزُوا، ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ﴾: يَسْتَيْقِنُونَ ﴿أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ﴾: وَهُمُ الَّذِينَ ثَبَتُوا مَعَ طَالُوتَ، ﴿كَم مِّن فِئَةٍ﴾: جَمَاعَةٍ، وَهُوَ جَمْعٌ لَا وَاحِدَ لَهُ مِنْ لَفْظِهِ، وَجَمْعُهُ: (فِئَاتٌ، وَفِئُونَ) فِي الرَّفْعِ، وَ(فِئِينَ) فِي الْخَفْضِ وَالنَّصْبِ، ﴿قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ﴾: بِقَضَائِهِ وَقَدَرِهِ وَإِرَادَتِهِ، ﴿وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾: بِالنَّصْرِ وَالْمَعُونَةِ.

﴿وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُواْ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾

﴿وَلَمَّا بَرَزُواْ﴾ يَعْنِي: طَالُوتَ وَجُنُودَهُ يَعْنِي: الْمُؤْمِنِينَ ﴿لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ﴾: الْمُشْرِكِينَ، وَمَعْنَى: ﴿بَرَزُواْ﴾: صَارُوا بِالْبِرَازِ مِنَ الْأَرْضِ وَهُوَ مَا ظَهَرَ وَاسْتَوَى مِنْهَا، ﴿قَالُواْ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا﴾: أَنْزِلْ وَاصْبُبْ ﴿صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا﴾: قَوِّ قُلُوبَنَا، ﴿وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾

﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾: أَيْ: بِعِلْمِ اللهِ تَعَالَى ﴿وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ

﴿ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾: يَعْنِي: النُّبُوَّةَ، جَمَعَ اللهُ لِدَاوُدَ بَيْنَ المُلْكِ وَالنُّبُوَّةِ، وَلَمْ يَكُنْ مِنْ قَبْلُ، بَلْ كَانَ المُلْكُ فِي سِبْطٍ وَالنُّبُوَّةُ فِي سِبْطٍ، **وَقِيلَ**: المُلْكُ وَالحِكْمَةُ هُوَ: الْعِلْمُ مَعَ العَمَلِ، ﴿وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ﴾: **قَالَ الْكَلْبِيُّ وَغَيْرُهُ**: يَعْنِي صَنْعَةَ الدُّرُوعِ، فَكَانَ يَصْنَعُهَا وَيَبِيعُهَا، وَكَانَ لَا يَأْكُلُ إِلَّا مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، **وَقِيلَ**: مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَكَلَامَ الجَبَلِ وَالنَّمْلِ وَالْكَلَامَ الحَسَنِ، **وَقِيلَ**: هُوَ الزَّبُورُ، **وَقِيلَ**: الصَّوْتُ الطَّيِّبُ وَالْأَلْحَانُ، فَلَمْ يُعْطِ اللهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِهِ مِثْلَ صَوْتِهِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾: قَرَأَ أَهْلُ المَدِينَةِ وَيَعْقُوبُ: ﴿دِفَاعُ اللهِ﴾ بِالْأَلِفِ هَاهُنَا وَفِي سُورَةِ الْحَجِّ، وَقَرَأَ الْآخَرُونَ بِغَيْرِ الْأَلِفِ؛ لِأَنَّ اللهَ تَعَالَى لَا يُغَالِبُهُ أَحَدٌ، وَهُوَ الدَّافِعُ وَحْدَهُ، وَمَنْ قَرَأَ بِالْأَلِفِ قَالَ: قَدْ يَكُونُ الدِّفَاعُ مِنْ وَاحِدٍ مِثْلُ قَوْلِ الْعَرَبِ: (أَحْسَنَ اللهُ عَنْكَ الدِّفَاعَ). **قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٌ**: لَوْلَا دَفْعُ اللهِ بِجُنُودِ المُسْلِمِينَ لَغَلَبَ المُشْرِكُونَ عَلَى الْأَرْضِ فَقَتَلُوا المُؤْمِنِينَ وَخَرَّبُوا المَسَاجِدَ وَالْبِلَادَ، **وَقَالَ سَائِرُ المُفَسِّرِينَ**: لَوْلَا دَفْعُ اللهِ بِالمُؤْمِنِينَ وَالْأَبْرَارِ عَنِ الْكُفَّارِ وَالْفُجَّارِ لَهَلَكَتِ الْأَرْضُ بِمَنْ فِيهَا، وَلَكِنَّ اللهَ يَدْفَعُ بِالمُؤْمِنِ عَنِ الْكَافِرِ وَبِالصَّالِحِ عَنِ الْفَاجِرِ، ﴿لَفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾.

﴿۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُواْ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُواْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾

﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾: أَيْ: كَلَّمَهُ اللهُ تَعَالَى، يَعْنِي:

مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، ﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍۚ﴾: يَعْنِي: مُحَمَّدًا ﷺ، وَنَبِيُّنَا فُضِّلَ عَلَى غَيْرِهِ بِآيَاتٍ، مِثْلَ: انْشِقَاقِ الْقَمَرِ، وَحَنِينِ الْجِذْعِ عَلَى مُفَارَقَتِهِ، وَتَسْلِيمِ الْحَجَرِ وَالشَّجَرِ عَلَيْهِ، وَنَبْعِ الْمَاءِ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْمُعْجِزَاتِ وَالْآيَاتِ، وَأَظْهَرُهَا الْقُرْآنُ الَّذِي عَجَزَ أَهْلُ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ عَنِ الإِتْيَانِ بِمِثْلِهِ [أَوْ سُورَةٍ مِنْهُ].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**مَا مِنْ نَبِيٍّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ إِلَّا وَقَدْ أُعْطِيَ مِنَ الْآيَاتِ مَا آمَنَ عَلَى مِثْلِهِ الْبَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُهُ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللهُ تَعَالَى إِلَيَّ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»(١).

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ فَلْيُصَلِّ، وَأُحِلَّتْ لِي الْغَنَائِمُ وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً**»(٢).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**فُضِّلْتُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بِسِتٍّ، أُوتِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ، وَأُحِلَّتْ لِي الْغَنَائِمُ، وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، وَأُرْسِلْتُ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً، وَخُتِمَ بِي النَّبِيُّونَ**»(٣).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِۗ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم﴾: أَيْ: مِنْ بَعْدِ الرُّسُلِ ﴿مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ﴾: ثَبَتَ عَلَى إِيمَانِهِ بِفَضْلِ اللهِ، ﴿وَمِنْهُم مَّن كَفَرَۚ﴾: بِخُذْلَانِهِ، ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟﴾: أَعَادَهُ تَأْكِيدًا، ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾: يُوَفِّقُ مَنْ يَشَاءُ فَضْلًا وَيَخْذُلُ مَنْ يَشَاءُ عَدْلًا.

---

(١) **صحيح:** البخاري: (٤٩٨١)، مسلم: (١٥٢).

(٢) **صحيح:** البخاري: (٣٣٥)، مسلم: (٥٢١).

(٣) **صحيح:** مسلم: (٥٢٣).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم﴾: قَالَ السُّدِّيُّ: أَرَادَ بِهِ الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ، وَقَالَ غَيْرُهُ: أَرَادَ بِهِ صَدَقَةَ التَّطَوُّعِ وَالنَّفَقَةَ فِي الْخَيْرِ، ﴿مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ﴾: أَيْ: لَا فِدَاء فِيهِ، سَمَّاهُ بَيْعًا؛ لِأَنَّ الْفِدَاءَ شِرَاءُ نَفْسِهِ ﴿وَلَا خُلَّةٞ﴾: وَلَا صَدَاقَة ﴿وَلَا شَفَٰعَةٞۗ﴾: إِلَّا بِإِذْنِ الله، قَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ وَأَهْلُ الْبَصْرَةِ كُلَّهَا بِالنَّصْبِ وَكَذَلِكَ فِي سُورَةِ إِبْرَاهِيمَ: ﴿لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ﴾[إبراهيم:٣١]، وَفِي سُورَةِ الطُّورِ: ﴿لَّا لَغۡوٞ فِيهَا وَلَا تَأۡثِيمٞ﴾[الطُّور:٢٣]، وَقَرَأَ البَاقُونَ كُلَّهَا بِالرَّفْعِ وَالتَّنْوِينِ ﴿وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾؛ لِأَنَّهُمْ وَضَعُوا الْعِبَادَةَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهَا.

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ﴾

قَوْلُهُ ﷻ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾: عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «يَا أَبَا الْمُنْذِرِ: أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ الله أَعْظَمُ»؟ قُلْتُ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾، قَالَ: فَضَرَبَ فِي صَدْرِي ثُمَّ قَالَ: «لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ أَبَا الْمُنْذِرِ»، ثُمَّ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنَّ لِهَذِهِ الْآيَةِ لِسَانًا وَشَفَتَيْنِ تُقَدِّسُ الْمَلِكَ عِنْدَ سَاقِ الْعَرْشِ»[(١)].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: وَكَّلَنِي رَسُولُ الله ﷺ بِحِفْظِ زَكَاةِ رَمَضَانَ، فَأَتَانِي آتٍ فَجَعَلَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ فَأَخَذْتُهُ وَقُلْتُ: لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ، قَالَ: إِنِّي مُحْتَاجٌ وَعَلَيَّ عِيَالٌ وَلِي حَاجَةٌ شَدِيدَةٌ، قَالَ: فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ فَأَصْبَحْتُ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «يَا أَبَا هُرَيْرَةَ مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ الْبَارِحَةَ؟» قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله شَكَا حَاجَةً شَدِيدَةً وَعِيَالًا فَرَحِمْتُهُ فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، قَالَ: «أَمَا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ وَسَيَعُودُ»، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ سَيَعُودُ

(١) **صحيح:** مسلم: (٨١٠) دون قوله: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ...»، صحَّحها العلَّامة الألباني رحمه الله في "الصحيحة" (٣٤١٠).

لِقَوْلِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَرَصَدْتُهُ فَجَاءَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ فَأَخَذْتُهُ، فَقُلْتُ: لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: دَعْنِي فَإِنِّي مُحْتَاجٌ وَلِي عِيَالٌ وَلَا أَعُودُ، فَرَحِمْتُهُ فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، فَأَصْبَحْتُ فَقَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَا أَبَا هُرَيْرَةَ مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ الْبَارِحَةَ؟**» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ شَكَا حَاجَةً وَعِيَالًا فَرَحِمْتُهُ وَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، قَالَ: «**أَمَا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ وَسَيَعُودُ**»، فَرَصَدْتُهُ الثَّالِثَةَ فَجَاءَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ فَأَخَذْتُهُ فَقُلْتُ: لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهَذَا آخِرُ ثَلَاثِ مَرَّاتٍ إِنَّكَ تَزْعُمُ لَا تَعُودُ ثُمَّ تَعُودُ، قَالَ: دَعْنِي أُعَلِّمْكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللهُ بِهَا، قُلْتُ: مَا هِيَ؟ قَالَ: إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ حَتَّى تَخْتِمَ الْآيَةَ؛ فَإِنَّكَ لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللهِ حَافِظٌ، وَلَا يَقْرَبُكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ فَأَصْبَحْتُ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ الْبَارِحَةَ؟**» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ زَعَمَ أَنَّهُ يُعَلِّمُنِي كَلِمَاتٍ يَنْفَعُنِي اللهُ بِهَا فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، قَالَ: «**وَمَا هِيَ؟**» قَالَ: قَالَ لِي: إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ مِنْ أَوَّلِهَا حَتَّى تَخْتِمَ الْآيَةَ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ﴾، وَقَالَ: لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللهِ حَافِظٌ وَلَا يَقْرَبُكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ -وَكَانُوا أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى الْخَيْرِ- فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَمَا إِنَّهُ صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ، تَعْلَمُ مَنْ تُخَاطِبُ مُنْذُ ثَلَاثِ لَيَالٍ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ؟**» قُلْتُ: لَا، قَالَ: «**ذَاكَ شَيْطَانٌ**»(١).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ٱللَّهُ﴾: رَفْعٌ بِالِابْتِدَاءِ وَخَبَرُهُ فِي: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ﴾ الْبَاقِي الدَّائِمُ عَلَى الْأَبَدِ وَهُوَ مَنْ لَهُ الْحَيَاةُ، وَالْحَيَاةُ صِفَةُ اللهِ تَعَالَى، ﴿ٱلْقَيُّومُ﴾: قَرَأَ عُمَرُ وَابْنُ مَسْعُودٍ: ﴿الْقَيَّامُ﴾، وَقَرَأَ عَلْقَمَةُ: ﴿الْقَيِّمُ﴾، وَكُلُّهَا لُغَاتٌ بِمَعْنًى وَاحِدٍ، **قَالَ مُجَاهِدٌ:** ﴿ٱلْقَيُّومُ﴾: الْقَائِمُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، **وَقِيلَ:** هُوَ الْقَائِمُ بِالْأُمُورِ، **وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ:** الَّذِي لَا يَزُولُ، ﴿لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ﴾: **السِّنَةُ:** النُّعَاسُ، وَهُوَ النَّوْمُ الْخَفِيفُ، وَالْوَسْنَانُ بَيْنَ النَّائِمِ وَالْيَقْظَانِ، يُقَالُ مِنْهُ: (وَسِنَ يَسِنُ وَسَنًا، وَسِنَةً)، **وَالنَّوْمُ:** هُوَ الثِّقَلُ الْمُزِيلُ لِلْقُوَّةِ

(١) **صحيح:** أورده البخاري رَحِمَهُ اللهُ معلَّقًا في "صحيحه"، وصحَّحه العلَّامة الإمام الألباني رَحِمَهُ اللهُ في "المشكاة" (٢١٢٣).

وَالْعَقْلِ، وَقَالَ الْمُفَضَّلُ الضَّبِّيُّ: السِّنَةُ: فِي الرَّأْسِ، وَالنَّوْمُ: فِي الْقَلْبِ، فَالسِّنَةُ أَوَّلُ النَّوْمِ وَهُوَ النُّعَاسُ، وَقِيلَ: السِّنَةُ: فِي الرَّأْسِ وَالنُّعَاسُ: فِي الْعَيْنِ، وَالنَّوْمُ فِي الْقَلْبِ، فَهُوَ غَشْيَةٌ ثَقِيلَةٌ تَقَعُ عَلَى الْقَلْبِ تَمْنَعُ الْمَعْرِفَةَ بِالْأَشْيَاءِ، نَفَى اللهُ تَعَالَى عَنْ نَفْسِهِ النَّوْمَ؛ لِأَنَّهُ آفَةٌ، وَهُوَ مُنَزَّهٌ عَنِ الْآفَاتِ؛ وَلِأَنَّهُ تَغَيُّرٌ، وَلَا يَجُوزُ عَلَيْهِ التَّغَيُّرُ.

عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ فَقَالَ: «إِنَّ اللهَ لَا يَنَامُ وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ، وَلَكِنَّهُ يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ، يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ، وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ، حِجَابُهُ النُّورُ لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ»(١). وَرَوَاهُ الْمَسْعُودِيُّ عَنْ عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ، وَقَالَ: «حِجَابُهُ النَّارُ»(٢).

﴿لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ﴾: مُلْكًا وَخَلْقًا، ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾: بِأَمْرِهِ، ﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ﴾: قَالَ مُجَاهِدٌ وَعَطَاءٌ وَالسُّدِّيُّ: ﴿مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ﴾: مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا ﴿وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ﴾: مِنْ أَمْرِ الْآخِرَةِ، وَقَالَ الْكَلْبِيُّ: ﴿مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ﴾: يَعْنِي: الْآخِرَةَ؛ لِأَنَّهُمْ يَقْدمُونَ عَلَيْهَا ﴿وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ﴾: الدُّنْيَا؛ لِأَنَّهُمْ يُخَلِّفُونَهَا وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ، وَقَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ: ﴿مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ﴾: مَا مَضَى أَمَامَهُمْ، ﴿وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ﴾: مَا يَكُونُ بَعْدَهُمْ. وَقَالَ مُقَاتِلٌ: ﴿مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ﴾: مَا كَانَ قَبْلَ خَلْقِ الْمَلَائِكَةِ، ﴿وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ﴾: أَيْ: مَا كَانَ بَعْدَ خَلْقِهِمْ، وَقِيلَ: ﴿مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ﴾: أَيْ: مَا قَدَّمُوهُ مِنْ خَيْرٍ

---

(١) **صحيح:** مسلم: (١٧٩).

(٢) **صحيح:** أحمد: (١٩٥٨٧)، وصحَّحه ط: (الرِّسالة). قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ كما في "مجموع الفتاوى" (٦/ ٣٨٨): فهذا الحديث فيه ذكر حجابه، فإن تردد الراوي في لفظ: «**النَّار**» و«**النُّور**» لا يمنع ذلك؛ فإنَّ مثل هذه النار الصافية التي كلم بها موسى يقال لها: (نار) و(نور) كما سمَّى الله نار المصباح نورًا، بخلاف النار المظلمة كنار جهنم؛ فتلك لا تسمَّى نورًا، فالأقسام ثلاثة: (إشراق بلا إحراق) وهو النور المحض كالقمر، و(إحراق بلا إشراق) وهي النار المظلمة، و (ما هو نار ونور) كالشمس ونار المصابيح التي في الدنيا توصف بالأمرين؛ وإذا كان كذلك صحَّ أن يكون نور السموات والأرض، وأن يضاف إليه النور، وليس المضاف هو عين المضاف إليه.اهـ

وَشَرٍّ، ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾: مَا هُمْ فَاعِلُوهُ، ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ﴾: أَيْ: مِنْ عِلْمِ الله ﴿إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾: أَنْ يُطْلِعَهُمْ عَلَيْهِ، يَعْنِي: لَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِ الْغَيْبِ إِلَّا بِمَا شَاءَ مِمَّا أَخْبَرَ بِهِ الرُّسُلَ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾[الجِنّ: ٢٦-٢٧].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَا يَـُٔودُهُۥ﴾: أَيْ: لَا يُثْقِلُهُ وَلَا يَشُقُّ عَلَيْهِ يُقَالُ: (آدَنِي الشَّيْءُ) أَيْ: أَثْقَلَنِي، ﴿حِفْظُهُمَا﴾: أَيْ: حِفْظُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ﴾: الرَّفِيعُ فَوْقَ خَلْقِهِ وَالْمُتَعَالِي عَنِ الْأَشْيَاءِ وَالْأَنْدَادِ، وَقِيلَ: الْعَلِيُّ بِالْمُلْكِ وَالسَّلْطَنَةِ، ﴿ٱلْعَظِيمُ﴾: الْكَبِيرُ الَّذِي لَا شَيْءَ أَعْظَمَ مِنْهُ.

﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾: قَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: كَانَتِ الْمَرْأَةُ مِنَ الْأَنْصَارِ تَكُونُ مِقْلَاتًا -وَالْمِقْلَاةُ مِنَ النِّسَاءِ الَّتِي لَا يَعِيشُ لَهَا وَلَدٌ- وَكَانَتْ تَنْذُرُ لَئِنْ عَاشَ لَهَا وَلَدٌ لَتُهَوِّدَنَّهُ، فَإِذَا عَاشَ وَلَدُهَا جَعَلَتْهُ فِي الْيَهُودِ، فَجَاءَ الْإِسْلَامُ وَفِيهِمْ مِنْهُمْ، فَلَمَّا أُجْلِيَتْ بَنُو النَّضِيرِ كَانَ فِيهِمْ عَدَدٌ مِنْ أَوْلَادِ الْأَنْصَارِ فَأَرَادَتِ الْأَنْصَارُ اسْتِرْدَادَهُمْ، وَقَالُوا: هُمْ أَبْنَاؤُنَا وَإِخْوَانُنَا، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ ۚ﴾[1]: أَي: الْإِيمَانُ مِنَ الْكُفْرِ وَالْحَقُّ مِنَ الْبَاطِلِ، ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ﴾: يَعْنِي: بِالشَّيْطَانِ، وَقِيلَ: كُلُّ مَا عُبِدَ مِنْ دُونِ الله تَعَالَى فَهُوَ طَاغُوتٌ، وَقِيلَ: مَا يُطْغِي الْإِنْسَانَ، (فَاعُولٌ)، مِنَ: (الطُّغْيَانِ)؛ زِيدَتِ التَّاءُ فِيهِ بَدَلًا مِنْ لَامِ الْفِعْلِ كَقَوْلِهِمْ: (حَانُوتٌ، وَتَابُوتٌ)، فَالتَّاءُ فِيهِمَا مُبْدَلَةٌ مِنْ هَاءِ التَّأْنِيثِ، ﴿وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾: أَيْ: تَمَسَّكَ وَاعْتَصَمَ بِالْعَقْدِ الْوَثِيقِ

(١) **صحيح**: صحَّحه العلَّامة الألباني رحمه الله في «صحيح وضعيف سنن أبي داود» (٢٦٨٢)، وأورده العلَّامة الوادعي رحمه الله في كتابه «الصحيح المسند من أسباب النزول» ص(٤٦).

الْمُحْكَمِ فِي الدِّينِ، **وَالْوُثْقَى**: تَأْنِيثُ (الْأَوْثَقِ)، **وَقِيلَ**: الْعُرْوَةُ الْوُثْقَى: السَّبَبُ الَّذِي يُوصِلُ إِلَى رِضَا اللهِ تَعَالَى، ﴿لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ﴾: لَا انْقِطَاعَ لَهَا، ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾: **قِيلَ**: سَمِيعٌ لِدُعَائِكَ إِيَّاهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، عَلِيمٌ بِحِرْصِكَ عَلَى إِيْمَانِهِمْ.

﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ أَنۡ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ إِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُۖ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾: نَاصِرُهُمْ وَمُعِينُهُمْ، **وَقِيلَ**: مُحِبُّهُمْ، **وَقِيلَ**: مُتَوَلِّي أُمُورَهُمْ لَا يَكِلُهُمْ إِلَى غَيْرِهِ، **وَقَالَ الْحَسَنُ**: وَلِيُّ هِدَايَتِهِمْ، ﴿يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ﴾: أَيْ: مِنَ الْكُفْرِ إِلَى الْإِيمَانِ، **قَالَ الْوَاقِدِيُّ**: كُلُّ مَا فِي الْقُرْآنِ مِنَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورِ فَالْمُرَادُ مِنْهُ: الْكُفْرُ وَالْإِيمَانُ، غَيْرُ الَّتِي فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ: ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَۖ﴾[الأَنْعَام:١]، فَالْمُرَادُ مِنْهُ: اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، سُمِّيَ الْكُفْرُ ظُلْمَةً؛ لِالْتِبَاسِ طَرِيقِهِ، وَسُمِّيَ الْإِسْلَامُ نُورًا؛ لِوُضُوحِ طَرِيقِهِ، ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ﴾: يَدْعُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ، **وَالطَّاغُوتُ**: يَكُونُ مُذَكَّرًا وَمُؤَنَّثًا وَوَاحِدًا وَجَمْعًا، قَالَ تَعَالَى فِي الْمُذَكَّرِ وَالْوَاحِدِ: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦ﴾[النِّسَاء:٦٠]، وَقَالَ فِي الْمُؤَنَّثِ: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجۡتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعۡبُدُوهَا﴾[الزُّمَر:١٧]، وَقَالَ فِي الْجَمْعِ: ﴿يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ﴾، **فَإِنْ قِيلَ**: كَيْفَ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ وَهُمْ كُفَّارٌ لَمْ يَكُونُوا فِي نُورٍ قَطُّ؟ **قِيلَ**: هُمُ الْيَهُودُ كَانُوا مُؤْمِنِينَ بِمُحَمَّدٍ ﷺ قَبْلَ أَنْ يُبْعَثَ؛ لِمَا يَجِدُونَ فِي كُتُبِهِم مِنْ نَعْتِهِ، فَلَمَّا بُعِثَ كَفَرُوا بِهِ، **وَقِيلَ**: هُوَ عَلَى الْعُمُومِ فِي حَقِّ جَمِيعِ الْكُفَّارِ، قَالُوا: مَنْعُهُمْ إِيَّاهُمْ مِنَ الدُّخُولِ فِيهِ: إِخْرَاجٌ، كَمَا يَقُولُ الرَّجُلُ لِأَبِيهِ: (أَخْرَجْتَنِي مِنْ مَالِكَ)، وَلَمْ يَكُنْ فِيهِ كَمَا

قَالَ اللهُ تَعَالَى إِخْبَارًا عَنْ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾[يُوسُف: ٣٧]، وَلَمْ يَكُنْ قَطُّ فِي مِلَّتِهِمْ، ﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ﴾: مَعْنَاهُ: هَلِ انْتَهَى إِلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ خَبَرُ الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ، أَيْ خَاصَمَ وَجَادَلَ؛ ﴿أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ﴾: أَيْ: لِأَنْ آتَاهُ اللهُ المُلْكَ فَطَغَى، أَيْ: كَانَتْ تِلْكَ المُحَاجَّةُ مِنْ بَطَرِ المَلِكِ وَطُغْيَانِهِ، ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾: وَهَذَا جَوَابُ سُؤَالٍ غَيْرِ مَذْكُورٍ تَقْدِيرُهُ: قَالَ لَهُ مَنْ رَبُّكَ؟ فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ: ﴿رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾: قَرَأَ حَمْزَةُ: ﴿رَبِّي الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ بِإِسْكَانِ الْيَاءِ وَكَذَلِكَ ﴿حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ﴾[الأَعْرَاف:٣٣] وَ﴿عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ﴾[الأَعْرَاف:١٤٦]، وَ﴿قُل لِّعِبَادِيَ الَّذِينَ﴾[إِبْرَاهِيم:٣١]، وَ﴿آتَانِيَ الْكِتَابَ﴾[مَرْيَم:٣٠]، وَ﴿مَسَّنِيَ الضُّرُّ﴾[الأَنْبِيَاء:٨٣]، وَ﴿عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾[الأَنْبِيَاء:١٠٥]، وَ﴿عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾[سَبَأ:١٣]، وَ﴿مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ﴾[ص:٤١]، وَ﴿إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ﴾[الزُّمَر:٣٨]، وَ﴿إِنْ أَهْلَكَنِيَ اللَّهُ﴾[المُلْك:٢٨]، أَسْكَنَ الْيَاءَ فِيهِنَّ حَمْزَةُ، وَوَافَقَ ابْنُ عَامِرٍ وَالْكِسَائِيُّ فِي: ﴿لِّعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾[إِبْرَاهِيم:٣١]، وَابْنُ عَامِرٍ: ﴿آيَاتِيَ الَّذِينَ﴾[الأَعْرَاف:١٤٦]، وَفَتَحَهَا الآخَرُونَ.

﴿قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ﴾: قَرَأَ أَهْلُ المَدِينَةِ: ﴿أَنَا﴾ بِإِثْبَاتِ الْأَلِفِ وَالمَدِّ فِي الْوَصْلِ إِذَا تَلَتْهَا أَلِفٌ مَفْتُوحَةٌ أَوْ مَضْمُومَةٌ، وَالْبَاقُونَ بِحَذْفِ الْأَلِفِ، وَوَقَفُوا جَمِيعًا بِالْأَلِفِ، **قَالَ أَكْثَرُ الْمُفَسِّرِينَ:** دَعَا بِرَجُلَيْنِ فَقَتَلَ أَحَدَهُمَا وَاسْتَحْيَا الْآخَرَ فَجَعَلَ تَرْكَ الْقَتْلِ إِحْيَاءً لَهُ، فَانْتَقَلَ إِبْرَاهِيمُ إِلَى حُجَّةٍ أُخْرَى لِيُعْجِزَهُ، فَإِنَّ حُجَّتَهُ كَانَتْ لَازِمَةً؛ لِأَنَّهُ أَرَادَ بِالْإِحْيَاءِ إِحْيَاءَ المَيِّتِ، فَكَانَ لَهُ أَنْ يَقُولَ فَأَحْيِي مَنْ أَمَتَّ إِنْ كُنْتَ صَادِقًا، فَانْتَقَلَ إِلَى حُجَّةٍ أُخْرَى أَوْضَحَ مِنَ الْأُولَى، ﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾: أَيْ: تَحَيَّرَ وَدَهِشَ وَانْقَطَعَتْ حُجَّتُهُ، **فَإِنْ قِيلَ:** كَيْفَ بُهِتَ وَكَانَ يُمْكِنُهُ أَنْ يُعَارِضَ إِبْرَاهِيمَ، فَيَقُولُ لَهُ: سَلْ أَنْتَ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَ بِهَا مِنَ

المَغْرِبِ، **قِيلَ**: إِنَّمَا لَمْ يَقُلْهُ؛ لِأَنَّهُ خَافَ أَنْ لَوْ سَأَلَهُ ذَلِكَ دَعَا إِبْرَاهِيمُ رَبَّهُ فَكَانَ زِيَادَةً فِي فَضِيحَتِهِ وَانْقِطَاعِهِ، وَالصَّحِيحُ أَنَّ اللهَ صَرَفَهُ عَنْ تِلْكَ المُعَارَضَةِ؛ إِظْهَارًا لِلْحُجَّةِ عَلَيْهِ، أَوْ مُعْجِزَةً لِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

﴿أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ﴾: وَهَذِهِ الآيَةُ مَنْسُوقَةٌ عَلَى الْآيَةِ الْأُولَى، تَقْدِيرُهُ: أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ، وَإِلَى الَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ؟ **وَقِيلَ**: تَقْدِيرُهُ: هَلْ رَأَيْتَ كَالَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ؟ وَهَلْ رَأَيْتَ كَالَّذِيْ مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ؟ ﴿وَهِىَ خَاوِيَةٌ﴾: سَاقِطَةٌ يُقَالُ: (خَوِيَ الْبَيْتُ -بِكَسْرِ الْوَاوِ- يَخْوِي خَوًى) مَقْصُورًا إِذَا سَقَطَ وَ(خَوَى الْبَيْتُ -بِالْفَتْحِ- خَوَاءً) مَمْدُودًا إِذَا خَلَا، ﴿عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾: سُقُوفِهَا وَاحِدُهَا عَرْشٌ، **وَقِيلَ**: كُلُّ بِنَاءٍ عَرْشٌ، وَمَعْنَاهُ: أَنَّ السُّقُوفَ سَقَطَتْ ثُمَّ وَقَعَتِ الْحِيطَانُ عَلَيْهَا، ﴿قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ﴾: أَيْ: أَحْيَاهُ، ﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتَ﴾: أَيْ: كَمْ مَكَثْتَ؟ يُقَالُ: لَمَّا أَحْيَاهُ اللهُ بَعَثَ إِلَيْهِ مَلَكًا فَسَأَلَهُ: كَمْ لَبِثْتَ؟ ﴿قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا﴾: وَذَلِكَ أَنَّ اللهَ تَعَالَى أَمَاتَهُ ضُحًى فِي أَوَّلِ النَّهَارِ وَأَحْيَاهُ بَعْدَ مِائَةِ عَامٍ فِي آخِرِ النَّهَارِ قَبْلَ غَيْبُوبَةِ الشَّمْسِ، فَقَالَ: ﴿لَبِثْتُ يَوْمًا﴾ وَهُوَ يَرَى أَنَّ الشَّمْسَ قَدْ غَرَبَتْ، ثُمَّ الْتَفَتَ فَرَأَى بَقِيَّةً مِنَ الشَّمْسِ، فَقَالَ: ﴿أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾: بَلْ بَعْضَ يَوْمٍ، ﴿قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾: أَيْ: لَمْ يَتَغَيَّرْ، **قَالَ الْكِسَائِيُّ**: كَأَنَّهُ لَمْ تَأْتِ عَلَيْهِ السُّنُونَ، وَقَرَأَ حَمْزَةُ وَالْكِسَائِيُّ وَيَعْقُوبُ: ﴿لَمْ يَتَسَنَّ﴾ بِحَذْفِ الْهَاءِ فِي الْوَصْلِ، وَكَذَلِكَ: ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾[الأَنْعَام:٩٠]، وَقَرَأَ الْآخَرُونَ بِالْهَاءِ فِيهِمَا وَصْلًا وَوَقْفًا، فَمَنْ أَسْقَطَ الْهَاءَ فِي الْوَصْلِ جَعَلَ الْهَاءَ صِلَةً زَائِدَةً، وَقَالَ:

أَصْلُهُ: (يَتَسَنَّى)، فَحَذَفَ اليَاءَ فِي الجَزْمِ وَأَبْدَلَ مِنْهُ هَاءً فِي الْوَقْفِ، **وَقَالَ أَبُو عَمْرٍو**: هُوَ مِنَ: (التَّسَنُّنِ)، بِنُونَيْنِ، وَهُوَ التَّغَيُّرُ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ﴾[الحِجْر:٢٦]، أَيْ: مُتَغَيِّرٍ، فَعُوِّضَتْ مِنْ إِحْدَى النُّونَيْنِ يَاءً؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ﴾ [القِيَامَة:٣٣] أَيْ: يَتَمَطَّطُ وَقَوْلِهِ: ﴿وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾[الشَّمْس:١٠] وَأَصْلُهُ: دَسَّسَهَا وَمَنْ أَثْبَتَ الْهَاءَ فِي الْحَالَيْنِ جَعَلَ الْهَاءَ أَصْلِيَّةً لَامَ الْفِعْلِ، وَهَذَا عَلَى قَوْلِ مَنْ جَعَلَ أَصْلَ السَّنَةِ: (السَّنْهَةَ)، وَتَصْغِيرُهَا: (سُنَيْهَةٌ)، وَالْفِعْلُ مِنَ: (الْمُسَانَهَةِ)، وَإِنَّمَا قَالَ: ﴿لَمۡ يَتَسَنَّهۡۖ﴾ وَلَمْ يُثَنِّهِ مَعَ أَنَّهُ أَخْبَرَ عَنْ شَيْئَيْنِ؛ رَدًّا لِلْمُتَغَيِّرِ إِلَى أَقْرَبِ اللَّفْظَيْنِ بِهِ وَهُوَ الشَّرَابُ، وَاكْتَفَى بِذِكْرِ أَحَدِ الْمَذْكُورَيْنِ؛ لِأَنَّهُ فِي مَعْنَى الْآخَرِ، ﴿وَٱنظُرۡ إِلَىٰ حِمَارِكَ﴾: فَنَظَرَ فَإِذَا هُوَ عِظَامٌ بِيضٌ، فَرَكَّبَ اللهُ تَعَالَى الْعِظَامَ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فَكَسَاهُ اللَّحْمَ وَالْجِلْدَ وَأَحْيَاهُ وَهُوَ يَنْظُرُ، ﴿وَلِنَجۡعَلَكَ ءَايَةٗ لِّلنَّاسِۖ﴾: **قِيلَ**: **الْوَاوُ**: زَائِدَةٌ مُقْحَمَةٌ، **وَقَالَ الْفَرَّاءُ**: أُدْخِلَتِ الْوَاوُ فِيهِ دَلَالَةً عَلَى أَنَّهَا شَرْطٌ لِفِعْلٍ بَعْدَهَا مَعْنَاهُ: وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً أَيْ: عِبْرَةً وَدَلَالَةً عَلَى الْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ، **قَالَهُ أَكْثَرُ الْمُفَسِّرِينَ**.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡعِظَامِ كَيۡفَ نُنشِزُهَا﴾: قَرَأَ أَهْلُ الْحِجَازِ وَالْبَصْرَةِ ﴿نَنْشُرُهَا﴾ بِالرَّاءِ، مَعْنَاهُ: نُحْيِيهَا، يُقَالُ: (أَنْشَرَ اللهُ الْمَيْتَ إِنْشَارًا)، وَ(أَنْشَرَهُ نُشُورًا)، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ﴾[عَبَسَ:٢٢] وَقَالَ فِي اللَّازِمِ: ﴿وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ﴾[الْمُلْك:١٥]. وَقَرَأَ الْآخَرُونَ بِالزَّايِ، أَيْ: نَرْفَعُهَا مِنَ الْأَرْضِ وَنَرُدُّهَا إِلَى أَمَاكِنِهَا مِنَ الْجَسَدِ، وَنُرَكِّبُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ، وَإِنْشَازُ الشَّيْءِ: رَفْعُهُ وَإِزْعَاجُهُ، يُقَالُ: (أَنْشَزْتُهُ فَنَشَزَ)، أَيْ: رَفَعْتُهُ فَارْتَفَعَ. **وَاخْتَلَفُوا فِي مَعْنَى الْآيَةِ، فَقَالَ الْأَكْثَرُونَ**: إِنَّهُ أَرَادَ بِهِ عِظَامَ حِمَارِهِ، **وَقَالَ السُّدِّيُّ**: إِنَّ اللهَ تَعَالَى أَحْيَاهُ ثُمَّ قَالَ لَهُ: انْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ قَدْ هَلَكَ وَبَلِيَتْ عِظَامُهُ، فَاجْتَمَعَتْ فَرُكِّبَ بَعْضُهَا فِي بَعْضٍ وَهُوَ يَنْظُرُ، فَصَارَ حِمَارًا مِنْ عِظَامٍ لَيْسَ فِيهِ لَحْمٌ وَلَا دَمٌ، ﴿ثُمَّ نَكۡسُوهَا لَحۡمٗاۚ﴾: ثُمَّ كَسَى العِظَامَ لَحْمًا فَصَارَ حِمَارًا وَنَهَقَ بِإِذْنِ اللهِ، **وَقَالَ قَوْمٌ**: أَرَادَ بِهِ عِظَامَ هَذَا الرَّجُلِ، وَذَلِكَ أَنَّ اللهَ تَعَالَى لَمْ يُمِتْ حِمَارَهُ بَلْ أَمَاتَهُ هُوَ، فَأَحْيَا اللهُ عَيْنَيْهِ، وَرَأْسُهُ وَسَائِرُ جَسَدِهِ مَيْتٌ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: انْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ، فَنَظَرَ فَرَأَى

حِمَارَهُ قَائِمًا وَاقِفًا كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ رَبَطَهُ حَيًّا لَمْ يَطْعَمْ وَلَمْ يَشْرَبْ مِائَةَ عَامٍ، وَتَقْرِيرُ الْآيَةِ: وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَانْظُرْ إِلَى عِظَامِكَ كَيْفَ نُنْشِزُهَا، هَذَا قَوْلُ قَتَادَةَ وَالضَّحَّاكِ، وَفِي الآيَةِ تَقْدِيمٌ وَتَأْخِيرٌ، وَتَقْدِيرُهَا (وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ، وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا، وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ)، ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ﴾: ذَلِكَ عِيَانًا ﴿قَالَ أَعۡلَمُ﴾: قَرَأَ حَمْزَةُ وَالْكِسَائِيُّ مَجْزُومًا مَوْصُولًا عَلَى الْأَمْرِ عَلَى مَعْنَى قَالَ اللهُ تَعَالَى لَهُ: ﴿اعۡلَمۡ﴾، وَقَرَأَ الْآخَرُونَ: ﴿أَعۡلَمُ﴾ بِقَطْعِ الْأَلِفِ وَرَفْعِ الْمِيمِ عَلَى الْخَبَرِ، أَنَّهُ قَالَ لَمَّا رَأَى ذَلِكَ: ﴿أَعۡلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾.

﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيۡفَ تُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ قَالَ أَوَلَمۡ تُؤۡمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِيۖ قَالَ فَخُذۡ أَرۡبَعَةٗ مِّنَ ٱلطَّيۡرِ فَصُرۡهُنَّ إِلَيۡكَ ثُمَّ ٱجۡعَلۡ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٖ مِّنۡهُنَّ جُزۡءٗا ثُمَّ ٱدۡعُهُنَّ يَأۡتِينَكَ سَعۡيٗاۚ وَٱعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيۡفَ تُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ قَالَ أَوَلَمۡ تُؤۡمِنۖ قَالَ بَلَىٰ﴾: يَا رَبِّ عَلِمْتُ وَآمَنْتُ، ﴿وَلَٰكِن لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِيۖ﴾: أَيْ: لِيَسْكُنَ قَلْبِي إِلَى الْمُعَايَنَةِ وَالْمُشَاهَدَةِ، أَرَادَ أَنْ يَصِيرَ لَهُ عِلْمُ الْيَقِينِ عَيْنَ الْيَقِينِ؛ لِأَنَّ الْخَبَرَ لَيْسَ كَالْمُعَايَنَةِ.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: **«نَحْنُ أَحَقُّ بِالشَّكِّ مِنْ إِبْرَاهِيمَ، إِذْ قَالَ: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيۡفَ تُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ قَالَ أَوَلَمۡ تُؤۡمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِيۖ﴾، وَرَحِمَ اللهُ لُوطًا لَقَدْ كَانَ يَأْوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ، وَلَوْ لَبِثْتُ فِي السِّجْنِ طُولَ مَا لَبِثَ يُوسُفُ لَأَجَبْتُ الدَّاعِيَ»**(١).

وَأَخْرَجَ مُسْلِمُ بْنُ الْحَجَّاجِ هَذَا الْحَدِيثَ عَنْ حَرْمَلَةَ بْنِ يَحْيَى، **عَنْ وَهْبٍ**، وَقَالَ: **«نَحْنُ أَحَقُّ بِالشَّكِّ مِنْ إِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيۡفَ تُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ﴾»**(٢).

---

(١) **صحيح:** البخاري: (٣٣٧٢).

(٢) **صحيح:** مسلم: (١٥١).

حَكَى مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ بْن خُزَيْمَةَ عَنْ أَبِي إِبْرَاهِيمَ إِسْمَاعِيلَ بْنِ يَحْيَى الْمُزَنِيِّ أَنَّهُ قَالَ عَلَى هَذَا الْحَدِيثِ: لَمْ يَشُكَّ النَّبِيُّ ﷺ وَلَا إِبْرَاهِيمُ فِي أَنَّ اللهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى، وَإِنَّمَا شَكَّا فِي أَنَّهُ هَلْ يُجِيبُهُمَا إِلَى مَا سَأَلَا.

وَقَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ الْخَطَّابِيُّ: لَيْسَ فِي قَوْلِهِ ﷺ: «**نَحْنُ أَحَقُّ بِالشَّكِّ مِنْ إِبْرَاهِيمَ**» اعْتِرَافٌ بِالشَّكِّ عَلَى نَفْسِهِ وَلَا عَلَى إِبْرَاهِيمَ، لَكِنْ فِيهِ نَفْيُ الشَّكِّ عَنْهُمَا، يَقُولُ: إِذَا لَمْ أَشُكَّ أَنَا فِي قُدْرَةِ اللهِ تَعَالَى عَلَى إِحْيَاءِ الْمَوْتَى فَإِبْرَاهِيمُ أَوْلَى بِأَنْ لَا يَشُكَّ، وَقَالَ ذَلِكَ عَلَى سَبِيلِ التَّوَاضُعِ وَالْهَضْمِ مِنَ النَّفْسِ، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: «**لَوْ لَبِثْتُ فِي السِّجْنِ مَا لَبِثَ يُوسُفُ لَأَجَبْتُ الدَّاعِيَ**». وَفِيهِ الْإِعْلَامُ أَنَّ الْمَسْأَلَةَ مِنْ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمْ تَعْرِضْ مِنْ جِهَةِ الشَّكِّ، وَلَكِنْ مِنْ قِبَلِ زِيَادَةِ الْعِلْمِ بِالْعِيَانِ؛ فَإِنَّ الْعِيَانَ يُفِيدُ مِنَ الْمَعْرِفَةِ وَالطُّمَأْنِينَةِ مَا لَا يُفِيدُ الِاسْتِدْلَالُ[(١)].

قَوْلُهُ: ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِن﴾: مَعْنَاهُ: قَدْ آمَنْتَ فَلِمَ تَسْأَلُ؟ شَهِدَ لَهُ بِالْإِيمَانِ كَقَوْلِ جَرِيرٍ:

أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا ... وَأَنْدَى الْعَالَمِينَ بُطُونَ رَاحِ

يَعْنِي: أَنْتُمْ كَذَلِكَ، ﴿وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾: بِزِيَادَةِ الْيَقِينِ، ﴿قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾: قَرَأَ أَبُو جَعْفَرٍ وَحَمْزَةُ: ﴿فَصِرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾ بِكَسْرِ الصَّادِ، أَيْ: قَطِّعْهُنَّ وَمَزِّقْهُنَّ، يُقَالُ: (صَارَ يَصِيرُ صَيْرًا) إِذَا قَطَعَ، وَ(انْصَارَ الشَّيْءُ انْصِيَارًا) إِذَا انْقَطَعَ قَالَ **الْفَرَّاءُ**: هُوَ مَقْلُوبٌ مِنْ (صَرَيْتُ أَصْرِي صَرْيًا) إِذَا قَطَعْتَ، وَقَرَأَ الْآخَرُونَ

---

(١) قال رَحِمَهُ اللهُ في «شرح السنة» (١/ ١١٦-١١٧): وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ فِي يُوسُفَ: «**لَوْ لَبِثْتُ فِي السِّجْنِ طُولَ مَا لَبِثَ يُوسُفُ لَأَجَبْتُ الدَّاعِيَ**»: وَصَفَ يُوسُفَ بِالْأَنَاةِ وَالصَّبْرِ حَيْثُ لَمْ يُبَادِرْ إِلَى الْخُرُوجِ -حِينَ جَاءَهُ رَسُولُ الْمَلِكِ- فِعْلَ الْمُذْنِبِ يُعْفَى عَنْهُ مَعَ طُولِ لُبْثِهِ فِي السِّجْنِ، بَلْ قَالَ: ﴿ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾[يوسف:٥٠]، أَرَادَ أَنْ يُقِيمَ عَلَيْهِمُ الْحُجَّةَ فِي حَبْسِهِمْ إِيَّاهُ ظُلْمًا، وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ ذَلِكَ أَيْضًا عَلَى سَبِيلِ التَّوَاضُعِ، لَا أَنَّهُ كَانَ فِي الْأَمْرِ مِنْهُ مُبَادَرَةٌ وَعَجَلَةٌ لَوْ كَانَ مَكَانَ يُوسُفَ، وَالتَّوَاضُعُ لَا يُصَغِّرُ كَبِيرًا، وَلَا يَضَعُ رَفِيعًا، وَلا يُبْطِلُ لِذِي حَقٍّ حَقًّا، وَلَكِنَّهُ يُوجِبُ لِصَاحِبِهِ فَضْلًا، وَيُكْسِبُهُ جَلَالًا وَقَدْرًا.اهـ

﴿فَصُرْهُنَّ﴾ بِضَمِّ الصَّادِ، وَمَعْنَاهُ: أَمِلْهُنَّ إِلَيْكَ وَوَجِّهْهُنَّ، يُقَالُ: (صِرْتُ الشَّيْءَ أُصَوِّرُهُ) إِذَا أَمَلْتَهُ، وَ(رَجُلٌ أَصْوَرُ) إِذَا كَانَ مَائِلَ الْعُنُقِ، **وَقَالَ عَطَاءٌ**: مَعْنَاهُ: اجْمَعْهُنَّ وَاضْمُمْهُنَّ إِلَيْكَ، يُقَالُ: (صَارَ يُصَوِّرُ صَوْرًا) إِذَا اجْتَمَعَ، وَمِنْهُ قِيلَ لِجَمَاعَةِ النَّحْلِ: (صَوْرٌ)، **وَمَنْ فَسَّرَهُ بِالْإِمَالَةِ وَالضَّمِّ قَالَ**: فِيهِ إِضْمَارٌ مَعْنَاهُ: فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ قَطِّعْهُنَّ، فَحَذَفَهُ اكْتِفَاءً بِقَوْلِهِ: ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا؛ لِأَنَّهُ يَدُلُّ عَلَيْهِ. **وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ**: فَصُرْهُنَّ: مَعْنَاهُ قَطِّعْهُنَّ أَيْضًا، وَالصَّوْرُ: الْقَطْعُ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ ٱجۡعَلۡ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٖ مِّنۡهُنَّ جُزۡءٗا﴾: قَرَأَ عَاصِمٌ بِرِوَايَةِ أَبِي بَكْرٍ ﴿جُزُءًا﴾ مُثَقَّلًا مَهْمُوزًا، وَالْآخَرُونَ بِالتَّخْفِيفِ وَالْهَمْزِ، وَقَرَأَ أَبُو جَعْفَرٍ مُشَدَّدَةَ الزَّايِ بِلَا هَمْزٍ، وَأَرَادَ بِهِ بَعْضَ الْجِبَالِ، ﴿ثُمَّ ٱدۡعُهُنَّ يَأۡتِينَكَ سَعۡيٗاۚ﴾: **قِيلَ**: الْمُرَادُ بِالسَّعْيِ: الْإِسْرَاعُ وَالْعَدْوُ، **وَقِيلَ**: الْمُرَادُ بِهِ: الْمَشْيُ دُونَ الطَّيْرِ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾[الجُمُعَة:٩]، أَيْ: فَامْضُوا، وَالْحِكْمَةُ فِي الْمَشْيِ دُونَ الطَّيَرَانِ كَوْنُهُ أَبْعَدُ عَنِ الشُّبْهَةِ؛ لِأَنَّهَا لَوْ طَارَتْ لَتَوَهَّمَ مُتَوَهِّمٌ أَنَّهَا غَيْرُ تِلْكَ الطَّيْرِ، وَأَنَّ أَرْجُلَهَا غَيْرُ سَلِيمَةٍ، وَاللهُ أَعْلَمُ، **وَقِيلَ**: السَّعْيُ بِمَعْنَى: الطَّيَرَانِ، ﴿وَٱعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾.

﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتۡبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنّٗا وَلَآ أَذٗى لَّهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: فِيهِ إِضْمَارٌ تَقْدِيرُهُ: مَثَلُ صَدَقَاتِ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ، ﴿كَمَثَلِ﴾: زَارِعِ ﴿حَبَّةٍ﴾: **وَأَرَادَ بِسَبِيلِ اللهِ**: الْجِهَادَ، **وَقِيلَ**: جَمِيعَ أَبْوَابِ الْخَيْرِ، ﴿أَنۢبَتَتۡ﴾: أَخْرَجَتْ ﴿سَبۡعَ سَنَابِلَ﴾: جَمْعُ: سُنْبُلَةٍ، ﴿فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ﴾: **فَإِنْ قِيلَ**: فَمَا رَأَيْنَا سُنْبُلَةً فِيهَا مِائَةُ حَبَّةٍ فَكَيْفَ ضَرَبَ الْمَثَلَ بِهِ؟ **قِيلَ**: ذَلِكَ مُتَصَوَّرٌ غَيْرُ مُسْتَحِيلٍ، وَمَا لَا يَكُونُ مُسْتَحِيلًا جَازَ ضَرْبُ الْمَثَلِ بِهِ وَإِنْ لَمْ يُوجَدْ، مَعْنَاهُ: فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ إِنْ جَعَلَ اللهُ فِيهَا ذَلِكَ، **وَقِيلَ**: هُوَ مَوْجُودٌ فِي

الدُّخنِ، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: أَنَّهَا إِنْ بَذرت أَنْبَتَتْ مِائَة حَبَّةٍ، فَمَا حَدَثَ مِنَ الْبَذْرِ الَّذِي كَانَ فِيهَا كَانَ مُضَافًا إِلَيْهَا، وَكَذَلِكَ تَأَوَّلَهُ الضَّحَّاكُ فَقَالَ: كُلُّ سُنْبُلَةٍ أَنْبَتَتْ مِائَةَ حَبَّةٍ، ﴿وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ﴾: قِيلَ: مَعْنَاهُ: يُضَاعِفُ هَذِهِ الْمُضَاعَفَةَ لِمَنْ يَشَاءُ، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: يُضَاعِفُ عَلَى هَذَا وَيَزِيدُ لِمَنْ يَشَاءُ، مَا بَيْنَ سَبْعٍ إِلَى سَبْعِينَ إِلَى سَبْعِمِائَةٍ إِلَى مَا شَاءَ اللهُ مِنَ الْأَضْعَافِ مِمَّا لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللهُ، ﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ﴾: غَنِيٌّ يُعْطِي عَنْ سَعَةٍ، ﴿عَلِيمٌ﴾: بِنِيَّةِ مَنْ يُنْفِقُ مَالَهُ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: فِي طَاعَةِ اللهِ، ﴿ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنًّا﴾: وَهُوَ أَنْ يَمُنَّ عَلَيْهِ بِعَطَائِهِ، فَيَقُولُ: أَعْطَيْتُكَ كَذَا، وَيَعُدُّ نِعَمَهُ عَلَيْهِ فَيُكَدِّرُهَا، ﴿وَلَآ أَذًى﴾: هُوَ أَنْ يُعَيِّرَهُ، فَيَقُولُ: إِلَى كَمْ تَسْأَلُ وَكَمْ تُؤْذِينِي؟ وَقِيلَ: مِنَ الْأَذَى: أَنْ يَذْكُرَ إِنْفَاقَهُ عَلَيْهِ عِنْدَ مَنْ لَا يُحِبُّ وُقُوفَهُ عَلَيْهِ، وَقَالَ سُفْيَانُ: ﴿مَنًّا وَلَآ أَذًى﴾: هُوَ: أَنْ يَقُولَ: قَدْ أَعْطَيْتُكَ وَأَعْطَيْتُ فَمَا شَكَرْتَ، قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زَيْدِ بْن أَسْلَمَ: كَانَ أَبِي يَقُولُ: إِذَا أَعْطَيْتَ رَجُلًا شَيْئًا وَرَأَيْتَ أَنَّ سَلَامَكَ يَثْقُلُ عَلَيْهِ فَكُفَّ سَلَامَكَ عَنْهُ، فَحَظَرَ اللهُ عَلَى عِبَادِهِ الْمَنَّ بِالصَّنِيعَةِ، وَاخْتَصَّ بِهِ صِفَةً لِنَفْسِهِ؛ لِأَنَّهُ مِنَ الْعِبَادِ تَعْيِيرٌ وَتَكْدِيرٌ وَمِنَ اللهِ إِفْضَالٌ وَتَذْكِيرٌ، ﴿لَّهُمْ أَجْرُهُمْ﴾: أَيْ: ثَوَابُهُمْ ﴿عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

﴿۞ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُواْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾

﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾: أَيْ: كَلَامٌ حَسَنٌ وَرَدٌّ عَلَى السَّائِلِ جَمِيلٌ، وَقِيلَ: عِدَةٌ حَسَنَةٌ، وَقَالَ الْكَلْبِيُّ: دُعَاءٌ صَالِحٌ يَدْعُو لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ، وَقَالَ الضَّحَّاكُ: إِصْلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ، ﴿وَمَغْفِرَةٌ﴾: أَيْ: تَسْتُرُ عَلَيْهِ خَلَّتَهُ وَلَا تَهْتِكُ عَلَيْهِ سِتْرَهُ، وَقَالَ الْكَلْبِيُّ وَالضَّحَّاكُ:

يَتَجَاوَزُ عَنْ ظَالِمِهِ، وَقِيلَ: يَتَجَاوَزُ عَنِ الْفَقِيرِ إِذَا اسْتَطَالَ عَلَيْهِ عِنْدَ رَدِّهِ، ﴿خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ﴾: يَدْفَعُهَا إِلَيْهِ ﴿يَتْبَعُهَآ أَذًى﴾: أَيْ: مَنٌّ وَتَعْيِيرٌ لِلسَّائِلِ، أَوْ قَوْلٌ يُؤْذِيهِ، ﴿وَٱللَّهُ غَنِيٌّ﴾: أَيْ: مُسْتَغْنٍ عَنْ صَدَقَةِ الْعِبَادِ، ﴿حَلِيمٌ﴾: لَا يُعَجِّلُ بِالْعُقُوبَةِ على مَنْ يَمُنُّ وَيُؤْذِي بِالصَّدَقَةِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم﴾: أَيْ: أُجُورَ صَدَقَاتِكُمْ ﴿بِٱلْمَنِّ﴾: عَلَى السَّائِلِ، **وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ** ﵄: بِالمَنِّ عَلَى الله تَعَالَى ﴿وَٱلْأَذَىٰ﴾: لِصَاحِبِهَا، ثُمَّ ضَرَبَ لِذَلِكَ مَثَلًا فَقَالَ: ﴿كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ﴾: أَيْ: كَإِبْطَالِ الَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ ﴿رِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾: أَيْ: مُرَاءَاةً وَسُمْعَةً؛ لِيَرَوْا نَفَقَتَهُ وَيَقُولُوا: إِنَّهُ كَرِيمٌ سَخِيٌّ، ﴿وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِ﴾: يُرِيدُ أَنَّ الرِّيَاءَ يُبْطِلُ الصَّدَقَةَ، وَلَا تَكُونُ النَّفَقَةُ مَعَ الرِّيَاءِ مِنْ فِعْلِ الْمُؤْمِنِينَ، وَهَذَا لِلْمُنَافِقِينَ؛ لِأَنَّ الْكَافِرَ مُعْلِنٌ بِكُفْرِهِ غَيْرُ مُرَاءٍ، ﴿فَمَثَلُهُۥ﴾: أَيْ: مَثَلُ هَذَا الْمُرَائِي ﴿كَمَثَلِ صَفْوَانٍ﴾: وَهُوَ الْحَجَرُ الْأَمْلَسُ، وَهُوَ وَاحِدٌ وَجَمْعٌ، فَمَنْ جَعَلَهُ جَمْعًا فَوَاحِدُهُ: (صَفْوَانَةٌ)، وَمَنْ جَعَلَهُ وَاحِدًا فَجَمْعُهُ: (صُفِيٌّ)، ﴿عَلَيْهِ﴾: أَيْ: عَلَى الصَّفْوَانِ ﴿تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ﴾: وَهُوَ المَطَرُ الشَّدِيدُ الْعَظِيمُ الْقَطْرِ، ﴿فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا﴾: أَيْ: أَمْلَسَ، **وَالصَّلْدُ**: الْحَجَرُ الصُّلْبُ الْأَمْلَسُ الَّذِي لَا شَيْءَ عَلَيْهِ، فَهَذَا مَثَلٌ ضَرَبَهُ اللهُ تَعَالَى لِنَفَقَةِ المُنَافِقِ وَالمُرَائِي وَالْمُؤْمِنِ الَّذِي يَمُنُّ بِصَدَقَتِهِ وَيُؤْذِي، وَيُرِي النَّاسَ فِي الظَّاهِرِ أَنَّ لِهَؤُلَاءِ أَعْمَالًا كَمَا يُرَى التُّرَابُ عَلَى هَذَا الصَّفْوَانِ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ بَطَلَ كُلُّهُ وَاضْمَحَلَّ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لله ﷻ، كَمَا أَذْهَبَ الْوَابِلُ مَا عَلَى الصَّفْوَانِ مِنَ التُّرَابِ ﴿فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾: أَيْ: عَلَى ثَوَابِ شَيْءٍ ﴿مِّمَّا كَسَبُواْ﴾: عَمِلُوا فِي الدُّنْيَا، ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

عَنْ مَحْمُودِ بْنِ لَبِيدٍ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْك الْأَصْغَر**»، قَالُوا: يَا رَسُولَ الله وَمَا الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ؟ قَالَ: «**الرِّيَاءُ، يَقُولُ اللهُ لَهُمْ يَوْمَ يُجَازِي الْعِبَادَ بِأَعْمَالِهِمْ: اذْهَبُوا إِلَى الَّذِينَ كُنْتُمْ تُرَاؤُونَ فِي الدُّنْيَا فَانْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ**

عِنْدَهُمْ جَزَاءً؟!»[١].

عَنْ عُقْبَةَ بْنَ مُسْلِمٍ أَنَّ شَفِيًّا الْأَصْبَحِيَّ حَدَّثَهُ، أَنَّهُ دَخَلَ الْمَدِينَةَ فَإِذَا هُوَ بِرَجُلٍ قَدِ اجْتَمَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ، فَقَالَ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: أَبُو هُرَيْرَةَ، فَدَنَوْتُ مِنْهُ حَتَّى قَعَدْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُوَ يُحَدِّثُ النَّاسَ، فَلَمَّا سَكَتَ وَخَلَا، قُلْتُ لَهُ: أَنْشُدُكَ بِحَقٍّ وَبِحَقٍّ لَمَا حَدَّثْتَنِي حَدِيثًا سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ اللهَ إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ يَنْزِلُ إِلَى الْعِبَادِ لِيَقْضِيَ بَيْنَهُمْ وَكُلُّ أُمَّةٍ جَاثِيَةٍ، فَأَوَّلُ مَنْ يَدْعُو بِهِ رَجُلٌ جَمَعَ الْقُرْآنَ، وَرَجُلٌ يُقْتَتَلُ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَرَجُلٌ كَثِيرُ الْمَالِ، فَيَقُولُ اللهُ لِلْقَارِئِ: أَلَمْ أُعَلِّمْكَ مَا أَنْزَلْتُ عَلَى رَسُولِي؟ فَقَالَ: بَلَى يَا رَبِّ، قَالَ: فَمَاذَا عَمِلْتَ فِيمَا عَلِمْتَ؟ قَالَ: كُنْتُ أَقُومُ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ، فَيَقُولُ اللهُ لَهُ كَذَبْتَ، وَتَقُولُ لَهُ الْمَلَائِكَةُ: كَذَبْتَ، وَيَقُولُ اللهُ تَعَالَى: بَلْ أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ: فُلَانٌ قَارِئٌ فَقَدْ قِيلَ ذَلِكَ، وَيُؤْتَى بِصَاحِبِ الْمَالِ فَيَقُولُ اللهُ لَهُ: أَلَمْ أُوَسِّعْ عَلَيْكَ حَتَّى لَمْ أَدَعْكَ تَحْتَاجُ إِلَى أَحَدٍ؟ قَالَ: بَلَى يَا رَبِّ، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيمَا آتَيْتُكَ؟ قَالَ: كُنْتُ أَصِلُ الرَّحِمَ وَأَتَصَدَّقُ، فَيَقُولُ اللهُ لَهُ: كَذَبْتَ، وَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ: كَذَبْتَ، وَيَقُولُ اللهُ تَعَالَى: بَلْ أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ فُلَانٌ جَوَّادٌ فَقَدْ قِيلَ ذَلِكَ، وَيُؤْتَى بِالَّذِي قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيَقُولُ اللهُ لَهُ: فِي مَاذَا قُتِلْتَ؟ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ أَمَرْتَ بِالْجِهَادِ فِي سَبِيلِكَ، فَقَاتَلْتُ حَتَّى قُتِلْتُ، فَيَقُولُ اللهُ: كَذَبْتَ، وَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ: كَذَبْتَ، وَيَقُولُ اللهُ تَعَالَى: بَلْ أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ فُلَانٌ جَرِيءٌ فَقَدْ قِيلَ ذَلِكَ»، ثُمَّ ضَرَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى رُكْبَتِي فَقَالَ: «يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أُولَئِكَ الثَّلَاثَةُ أَوَّلُ خَلْقٍ تُسَعَّرُ بِهِمُ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[٢].

﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا

(١) **صحيح:** صحَّحه العلَّامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «الصحيحة» (٩٥١).

(٢) **صحيح:** صحَّحه العلَّامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «صحيح وضعيف سنن الترمذي» (٢٣٨٢).

مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾: أَيْ: طَلَبَ رِضَا الله تَعَالَى ﴿وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾: **قَالَ قَتَادَةُ:** احْتِسَابًا، **وَقَالَ الشَّعْبِيُّ وَالْكَلْبِيُّ:** تَصْدِيقًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ، أَيْ: يُخْرِجُونَ الزَّكَاةَ طَيِّبَةً بِهَا أَنْفُسُهُمْ عَلَى يَقِينٍ بِالثَّوَابِ وَتَصْدِيقٍ بِوَعْدِ الله، وَيَعْلَمُونَ أَنَّ مَا أَخْرَجُوا خَيْرٌ لَهُمْ مِمَّا تَرَكُوا، **وَقِيلَ:** عَلَى يَقِينٍ بِإِخْلَافِ الله عَلَيْهِمْ، **وَقَالَ عَطَاءٌ وَمُجَاهِدٌ:** يَتَثَبَّتُونَ أَيْنَ يَضَعُونَ أَمْوَالَهُمْ، **قَالَ الحَسَنُ:** كَانَ الرَّجُلُ إِذَا هَمَّ بِصَدَقَةٍ تَثَبَّتَ، فَإِنْ كَانَ لله أَمْضَى، وَإِنْ خَالَطَهُ شَكٌّ أَمْسَكَ، وَعَلَى هَذَا الْقَوْلِ يَكُونُ التَّثْبِيتُ بِمَعْنَى التَّثَبُّتِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾[الْمُزَّمِّل:٨]، أَيْ: تَبَتُّلًا، ﴿كَمَثَلِ جَنَّةٍ﴾: أَيْ: بُسْتَانٍ ﴿بِرَبْوَةٍ﴾: قَرَأَ ابْنُ عَامِرٍ وَعَاصِمٌ: ﴿بِرَبْوَةٍ﴾ وَ﴿إِلَىٰ رَبْوَةٍ﴾ فِي سُورَةِ الْمُؤْمِنُونَ بِفَتْحِ الرَّاءِ، وَقَرَأَ الْآخَرُونَ بِضَمِّهَا، وَهِيَ: المَكَانُ الْمُرْتَفِعُ الْمُسْتَوِي الَّذِي تَجْرِي فِيهِ الْأَنْهَارُ فَلَا يَعْلُوهُ المَاءُ، وَلَا يَعْلُو عَنِ المَاءِ، وَإِنَّمَا جَعَلَهَا بِرَبْوَةٍ؛ لِأَنَّ النَّبَاتَ عَلَيْهَا أَحْسَنُ وَأَزْكَى، ﴿أَصَابَهَا وَابِلٌ﴾: مَطَرٌ شَدِيدٌ كَثِيرٌ، ﴿فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا﴾: ثَمَرَهَا، قَرَأَ نَافِعٌ وَابْنُ كَثِيرٍ وَأَبُو عَمْرٍو بِالتَّخْفِيفِ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بِالتَّثْقِيلِ، وَزَادَ نَافِعٌ وَابْنُ كَثِيرٍ تَخْفِيفَ: «أُكْلِهِ، وَالْأُكْلِ»، وَخَفَّفَ أَبُو عَمْرٍو: «رُسْلَنَا، وَرُسْلَكُمْ، وَرُسْلَهُمْ، وَسُبْلَنَا»، ﴿ضِعْفَيْنِ﴾: أَيْ: أَضْعَفَتْ فِي الحَمْلِ، **قَالَ عَطَاءٌ:** حَمَلَتْ فِي السَّنَةِ مِنَ الرِّيعِ مَا يَحْمِلُ غَيْرُهَا فِي سَنَتَيْنِ، **وَقَالَ عِكْرِمَةُ:** حَمَلَتْ فِي السَّنَةِ مَرَّتَيْنِ، ﴿فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ۗ﴾: أَيْ: فَطَشٌّ وَهُوَ المَطَرُ الضَّعِيفُ الْخَفِيفُ، وَيَكُونُ دَائِمًا، **قَالَ السُّدِّيُّ:** هُوَ النَّدَى. وَهَذَا مَثَلٌ ضَرَبَهُ اللهُ تَعَالَى لِعَمَلِ الْمُؤْمِنِ الْمُخْلِصِ، فَيَقُولُ: كَمَا أَنَّ هَذِهِ الجَنَّةَ تَرِيعُ فِي كُلِّ حَالٍ وَلَا تَخَلَّفُ، سَوَاءٌ قَلَّ المَطَرُ أَوْ كَثُرَ، كَذَلِكَ يُضْعِفُ اللهُ صَدَقَةَ الْمُؤْمِنِ الْمُخْلِصِ الَّذِي لَا يَمُنُّ وَلَا يُؤْذِي، سَوَاءٌ قَلَّتْ نَفَقَتُهُ أَوْ كَثُرَتْ، وَذَلِكَ أَنَّ الطَّلَّ إِذَا كَانَ يَدُومُ يَعْمَلُ عَمَلَ الْوَابِلِ الشَّدِيدِ، ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾: هَذِهِ الْآيَةُ مُتَّصِلَةٌ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ﴾.

قَوْلُهُ: ﴿أَيَوَدُّ﴾: يَعْنِي: أَيُحِبُّ ﴿أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ﴾: أَيْ: بُسْتَانٌ ﴿مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ﴾: أَوْلَادٌ صِغَارٌ ضِعَافٌ عَجَزَةٌ، ﴿فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ﴾: وَهُوَ الرِّيحُ الْعَاصِفُ الَّتِي تَرْتَفِعُ إِلَى السَّمَاءِ كَأَنَّهَا عَمُودٌ وَجَمْعُهُ: أَعَاصِيرُ، ﴿فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ﴾. هَذَا مَثَلٌ ضَرَبَهُ اللهُ لِعَمَلِ الْمُنَافِقِ وَالْمُرَائِي، يَقُولُ: عَمَلُهُ فِي حُسْنِهِ كَحُسْنِ الجَنَّةِ، وَيَنْتَفِعُ بِهِ كَمَا يَنْتَفِعُ صَاحِبُ الْجَنَّةِ بِالْجَنَّةِ، فَإِذَا كَبِرَ أَوْ ضَعُفَ وَصَارَ لَهُ أَوْلَادٌ ضِعَافٌ أَصَابَ جَنَّتَهُ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ، فَصَارَ أَحْوَجَ مَا يَكُونُ إِلَيْهَا وَضَعُفَ عَنْ إِصْلَاحِهَا؛ لِكِبَرِهِ وَضَعْفِ أَوْلَادِهِ عَنْ إِصْلَاحِهَا لِصِغَرِهِمْ، وَلَمْ يَجِدْ هُوَ مَا يَعُودُ بِهِ عَلَى أَوْلَادِهِ وَلَا أَوْلَادُهُ مَا يَعُودُونَ بِهِ عَلَيْهِ، فَبَقُوا جَمِيعًا مُتَحَيِّرِينَ عَجَزَةً لَا حِيلَةَ بِأَيْدِيهِمْ، كَذَلِكَ يُبْطِلُ اللهُ عَمَلَ هَذَا الْمُنَافِقِ وَالْمُرَائِي حِينَ لَا مُغِيثَ لَهُمَا وَلَا تَوْبَةَ وَلَا إِقَالَةَ.

قَالَ عُبَيْدُ بْنُ عُمَيْرٍ: قَالَ عُمَرُ رضي الله عنه يَوْمًا لِأَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ: فِيمَنْ تَرَوْنَ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ﴾؟ قَالُوا: اللهُ أَعْلَمُ، فَغَضِبَ عُمَرُ رضي الله عنه، فَقَالَ: قُولُوا نَعْلَمُ أَوْ لَا نَعْلَمُ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: فِي نَفْسِي مِنْهَا شَيْءٌ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَقَالَ عُمَرُ رضي الله عنه: يَا ابْنَ أَخِي قُلْ وَلَا تُحَقِّرْ نَفْسَكَ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: ضُرِبَتْ مَثَلًا لِعَمَلٍ، قَالَ عُمَرُ رضي الله عنه: أَيُّ عَمَلٍ؟ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: لِعَمَلٍ، قَالَ عُمَرُ رضي الله عنه: لِرَجُلٍ غَنِيٍّ يَعْمَلُ بِطَاعَةِ اللهِ بَعَثَ اللهُ لَهُ الشَّيْطَانَ فَعَمِلَ بِالْمَعَاصِي حَتَّى أَغْرَقَ أَعْمَالَهُ(١).

﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾.

---

(١) **صحيح:** البخاري: (٤٥٣٨).

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبۡتُمۡ وَمِمَّآ أَخۡرَجۡنَا لَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلۡخَبِيثَ مِنۡهُ تُنفِقُونَ وَلَسۡتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغۡمِضُواْ فِيهِۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ ﴾: من خِيَارِ، **قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ** رضي الله عنه **وَمُجَاهِدٌ**: مِنْ حَلَالَاتِ ﴿مَا كَسَبۡتُمۡ﴾: بِالتِّجَارَةِ وَالصِّنَاعَةِ، وَفِيهِ دَلَالَةٌ عَلَى إِبَاحَةِ الْكَسْبِ، وَأَنَّهُ يَنْقَسِمُ: إِلَى طَيِّبٍ وَخَبِيثٍ.

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ مِنْ أَطْيَبِ مَا أَكَلَ الرَّجُلُ مِنْ كَسْبِهِ، وَإِنَّ وَلَدَهُ مِنْ كَسْبِهِ**»[(١)].

عَنِ الْمِقْدَامِ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، وَكَانَ دَاوُدُ** عليه السلام **لَا يَأْكُلُ إِلَّا مِنْ عَمَلِ يَدِهِ**»[(٢)].

وَالزَّكَاةُ وَاجِبَةٌ فِي مَالِ التِّجَارَةِ عِنْدَ أَكْثَرِ أَهْلِ الْعِلْمِ، فَبَعْدَ الحَوْلِ يُقَوَّمُ الْعَرْضُ، فَيُخْرِجُ مِنْ قِيمَتِهَا رُبْعَ الْعُشْرِ إِذَا كَانَ قِيمَتُهَا عِشْرِينَ دِينَارًا أَوْ مِائَتَيْ دِرْهَمٍ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمِمَّآ أَخۡرَجۡنَا لَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِۖ﴾: **قِيلَ**: هَذَا أَمْرٌ بِإِخْرَاجِ الْعُشُورِ مِنَ الثِّمَارِ وَالْحُبُوبِ، وَاتَّفَقَ أَهْلُ الْعِلْمِ عَلَى إِيجَابِ الْعُشْرِ فِي النَّخِيلِ وَالْكُرُومِ، وَفِيمَا يُقْتَاتُ مِنَ الْحُبُوبِ إِنْ كَانَ مَسْقِيًّا بِمَاءِ السَّمَاءِ أَوْ مِنْ نَهْرٍ يَجْرِي الْمَاءُ إِلَيْهِ مِنْ غَيْرِ مُؤْنَةٍ، وَإِنْ كَانَ مَسْقِيًّا بِسَاقِيَةٍ أَوْ بِنَضْحٍ فَفِيهِ نِصْفُ الْعُشْرِ.

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «**فِيمَا سَقَتِ السَّمَاءُ وَالْعُيُونُ أَوْ كَانَ عَثَرِيًّا الْعُشْرُ، وَفِيمَا سُقِيَ بِالنَّضْحِ نِصْفُ الْعُشْرِ**»[(٣)].

وَاخْتَلَفَ أَهْلُ الْعِلْمِ فِيمَا سِوَى النَّخْلِ وَالْكُرُومِ، وَفِيمَا سِوَى مَا يُقْتَاتُ بِهِ مِنَ الْحُبُوبِ، **فَذَهَبَ قَوْمٌ**: إِلَى أَنَّهُ لَا عُشْرَ فِي شَيْءٍ مِنْهَا، وَهُوَ قَوْلُ ابْنِ أَبِي لَيْلَى وَالشَّافِعِيِّ

---

(١) **صحيح**: صحَّحه العلَّامة الألباني رحمه الله في "صحيح وضعيف سنن أبي داود" (٣٥٢٨).

(٢) **صحيح**: البخاري: (٢٠٧٢).

(٣) **صحيح**: البخاري: (١٤٨٣)، ومسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: (٩٨١).

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَقَالَ الزُّهْرِيُّ وَالْأَوْزَاعِيُّ وَمَالِكٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم: يَجِبُ فِي الزَّيْتُونِ، وَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يَجِبُ فِي جَمِيعِ الْبُقُولِ وَالْخُضْرَوَاتِ كَالثِّمَارِ، إِلَّا الْحَشِيشَ وَالْحَطَبَ، وَكُلُّ ثَمَرَةٍ أَوْجَبْنَا فِيهَا الزَّكَاةَ فَإِنَّمَا يَجِبُ بِبُدُوِّ الصَّلَاحِ، وَوَقْتُ الْإِخْرَاجِ بَعْدَ الِاجْتِنَاءِ وَالْجَفَافِ، وَكُلُّ حَبٍّ أَوْجَبْنَا فِيهِ الْعُشْرَ، فَوَقْتُ وُجُوبِهِ اشْتِدَادُ الْحَبِّ وَوَقْتُ الْإِخْرَاجِ بَعْدَ الدِّيَاسَةِ وَالتَّنْقِيَةِ، وَلَا يَجِبُ الْعُشْرُ فِي شَيْءٍ مِنْهَا حَتَّى تَبْلُغَ خَمْسَةَ أَوْسُقٍ عِنْدَ أَكْثَرِ أَهْلِ الْعِلْمِ، وَعِنْدَ أَبِي حَنِيفَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ يَجِبُ فِي كُلِّ قَلِيلٍ وَكَثِيرٍ مِنْهَا، وَاحْتَجَّ مَنْ شَرَطَ النِّصَابَ بِمَا ثَبَتَ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**لَيْسَ فِيمَا دُونَ خَمْسَةِ أَوْسُقٍ مِنَ التَّمْرِ صَدَقَةٌ، وَلَيْسَ فِيمَا دُونَ خَمْسِ أَوَاقٍ مِنَ الْوَرِقِ صَدَقَةٌ، وَلَيْسَ فِيمَا دُونَ خَمْسِ ذَوْدٍ مِنَ الإِبِلِ صَدَقَةٌ**»[(١)].

وَرَوَى يَحْيَى بْنُ عُمَارَةَ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**لَيْسَ فِي حَبٍّ وَلَا تَمْرٍ صَدَقَةٌ حَتَّى تَبْلُغَ خَمْسَةَ أَوْسُقٍ**»[(٢)].

وَقَالَ قَوْمٌ: الْآيَةُ فِي صَدَقَاتِ التَّطَوُّعِ.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا أَوْ يَزْرَعُ زَرْعًا فَيَأْكُلُ مِنْهُ إِنْسَانٌ أَوْ طَيْرٌ أَوْ بَهِيمَةٌ، إِلَّا كَانَ لَهُ بِهِ صَدَقَةٌ**»[(٣)].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا﴾: قَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ بِرِوَايَةِ الْبَزِّيِّ بِتَشْدِيدِ التَّاءِ فِي الْوَصْلِ فِيهَا وَفِي أَخَوَاتِهَا، وَهِيَ إِحْدَى وَثَلَاثُونَ مَوْضِعًا فِي الْقُرْآنِ؛ لِأَنَّهُ فِي الْأَصْلِ تَاءَانِ أُسْقِطَتْ إِحْدَاهُمَا، فَرَدَّ هُوَ السَّاقِطَةَ وَأَدْغَمَ، وَقَرَأَ الْآخَرُونَ بِالتَّخْفِيفِ، وَمَعْنَاهُ: لَا تَقْصِدُوا ﴿ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ﴾.

عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَتِ الْأَنْصَارُ تُخْرِجُ إِذَا كَانَ جُذَاذُ النَّخْلِ أَقْنَاءً مِنَ التَّمْرِ وَالْبُسْرِ فَيُعَلِّقُونَهُ عَلَى حَبْلٍ بَيْنَ الْأُسْطُوَانَتَيْنِ فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ

(١) **صحيح:** البخاري: (١٤٥٩)، ومسلم: (٩٧٩).
(٢) **صحيح:** مسلم: (٩٧٩).
(٣) **صحيح:** البخاري: (٢٣٢٠)، ومسلم: (١٥٥٣).

فَيَأْكُلُ مِنْهُ فُقَرَاءُ الْمُهَاجِرِينَ، فَكَانَ الرَّجُلُ مِنْهُمْ يَعْمِدُ فَيُدْخِلُ قِنْوَ الْحَشَفِ وَهُوَ يَظُنُّ أَنَّهُ جَائِزٌ عَنْهُ فِي كَثْرَةِ مَا يُوضَعُ مِنَ الْأَقْنَاءِ، فَنَزَلَ فِيمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ: ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ﴾[1]، أَيِ: الْحَشَفَ وَالرَّدِيءَ. **وَقَالَ الْحَسَنُ وَمُجَاهِدٌ وَالضَّحَّاكُ**: كَانُوا يَتَصَدَّقُونَ بِشِرَارِ ثِمَارِهِمْ وَرُذَالَةِ أَمْوَالِهِمْ وَيَعْزِلُونَ الْجَيِّدَ نَاحِيَةً لِأَنْفُسِهِمْ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ﴾: الرَّدِيءَ ﴿مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ﴾: يَعْنِي: الْخَبِيثَ ﴿إِلَّا أَن تُغْمِضُوا فِيهِ﴾: **الْإِغْمَاضُ**: غَضُّ الْبَصَرِ، وَأَرَادَ هَاهُنَا: التَّجَوُّزَ وَالْمُسَاهَلَةَ، مَعْنَاهُ: لَوْ كَانَ لِأَحَدِكُمْ عَلَى رَجُلٍ حَقٌّ فَجَاءَهُ بِهَذَا لَمْ يَأْخُذْهُ إِلَّا وَهُوَ يَرَى أَنَّهُ قَدْ أَغْمَضَ لَهُ عَنْ حَقِّهِ وَتَرَكَهُ. **قَالَ الْحَسَنُ وَقَتَادَةُ**: لَوْ وَجَدْتُمُوهُ يُبَاعُ فِي السُّوقِ مَا أَخَذْتُمُوهُ بِسِعْرِ الْجَيِّدِ. هَذَا إِذَا كَانَ الْمَالُ كُلُّهُ جَيِّدًا فَلَيْسَ لَهُ إِعْطَاءُ الرَّدِيءِ؛ لِأَنَّ أَهْلَ السُّهْمَانِ شُرَكَاؤُهُ فِيمَا عِنْدَهُ، فَإِنْ كَانَ كُلُّ مَالِهِ رَدِيئًا فَلَا بَأْسَ بِإِعْطَاءِ الرَّدِيءِ ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ﴾: عَنْ صَدَقَاتِكُمْ ﴿حَمِيدٌ﴾: مَحْمُودٌ فِي أَفْعَالِهِ.

﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ ۖ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾

﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ﴾: أَيْ: يُخَوِّفُكُمْ بِالْفَقْرِ يُقَالُ: وَعَدْتُهُ خَيْرًا وَوَعَدْتُهُ شَرًّا، قَالَ اللهُ تَعَالَى فِي الْخَيْرِ: ﴿وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً﴾[الْفَتْح:٢٠]، وَقَالَ فِي الشَّرِّ: ﴿النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾[الحَجّ:٧٢]، فَإِذَا لَمْ يُذْكَرِ الْخَيْرُ وَالشَّرُّ قُلْتَ فِي الْخَيْرِ: (وَعَدْتُهُ)، وَفِي الشَّرِّ: (أَوْعَدْتُهُ)، **وَالْفَقْرُ**: سُوءُ الْحَالِ وَقِلَّةُ ذَاتِ الْيَدِ وَأَصْلُهُ مِنْ: كَسْرِ الْفَقَارِ، وَمَعْنَى الْآيَةِ: أَنَّ الشَّيْطَانَ يُخَوِّفُكُمْ بِالْفَقْرِ، وَيَقُولُ لِلرَّجُلِ: أَمْسِكْ عَلَيْكَ مَالَكَ فَإِنَّكَ إِذَا تَصَدَّقْتَ بِهِ افْتَقَرْتَ، ﴿وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ﴾: أَيْ: بِالْبُخْلِ وَمَنْعِ الزَّكَاةِ، **وَقَالَ الْكَلْبِيُّ**: كُلُّ الْفَحْشَاءِ فِي الْقُرْآنِ فَهُوَ الزِّنَا إِلَّا هَذَا، ﴿وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً

(١) **صحيح:** صحَّحه العلَّامة الألباني رَحِمَهُ اللهُ في "صحيح وضعيف سنن الترمذي" (٢٩٨٧)، وأورده العلَّامة الوادعي رَحِمَهُ اللهُ في كتابه "الصحيح المسند من أسباب النزول" ص(٤٧).

مِّنْهُ﴾: أَيْ: لِذُنُوبِكُمْ ﴿وَفَضْلًا﴾: أَيْ: رِزْقًا وَخَلَفًا، ﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ﴾: غَنِيٌّ ﴿عَلِيمٌ﴾.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ تَعَالَى يَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ أَنْفِقْ أُنْفِقْ عَلَيْكَ»، وَقَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَمِينُ اللهِ مَلْأَى لَا تَغِيضُهَا نَفَقَةٌ، سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَنْقُصْ مَا فِي يَمِينِهِ، قَالَ: وَعَرْشُهُ عَلَى المَاءِ، وَبِيَدِهِ الأُخْرَى الْقَبْضُ، يَرْفَعُ وَيَخْفِضُ»[(١)].

عَنْ أَسْمَاءَ رضي الله عنها، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ لَهَا: «أَنْفِقِي وَلَا تُحْصِي فَيُحْصِيَ اللهُ عَلَيْكِ، وَلَا تُوعِي فَيُوعِي اللهُ عَلَيْكِ»[(٢)].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ﴾: قَالَ السُّدِّيُّ: هِيَ النُّبُوَّةُ، وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما وَقَتَادَةُ: عِلْمُ الْقُرْآنِ نَاسِخُهُ وَمَنْسُوخُهُ، وَمُحْكَمُهُ وَمُتَشَابِهُهُ، وَمُقَدَّمُهُ وَمُؤَخَّرُهُ، وَحَلَالُهُ وَحَرَامُهُ، وَأَمْثَالُهُ، وَقَالَ الضَّحَّاكُ: الْقُرْآنُ وَالْفَهْمُ فِيهِ. وَقَالَ مُجَاهِدٌ: هِيَ: الْقُرْآنُ وَالعِلْمُ وَالفِقْهُ، وَرَوَى ابْنُ أَبِي نَجِيحٍ عَنْهُ: الْإِصَابَةُ فِي الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ، وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ النَّخَعِيُّ: مَعْرِفَةُ مَعَانِي الْأَشْيَاءِ وَفَهْمُهَا، ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ﴾: مَنْ: فِي مَحَلِّ الرَّفْعِ عَلَى مَا لَمْ يُسَمَّ فَاعِلُهُ، وَالْحِكْمَةَ: خَبَرُهُ، وَقَرَأَ يَعْقُوبُ: ﴿يُؤْتِ الْحِكْمَةَ﴾ بِكَسْرِ التَّاءِ، أَيْ: مَنْ يُؤْتِهِ اللهُ الحِكْمَةَ، دَلِيلُهُ قِرَاءَةُ الْأَعْمَشِ: ﴿وَمَنْ يُؤْتِهِ اللهُ﴾. حُكِيَ عَنِ الحَسَنِ: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ﴾: قَالَ: الْوَرَعُ فِي دِينِ اللهِ ﴿فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ﴾: يَتَّعِظُ ﴿إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾: ذَوُو الْعُقُولِ.

﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٢٧٠﴾ إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ﴾: فِيمَا فَرَضَ اللهُ عَلَيْكُمْ ﴿أَوْ نَذَرْتُم مِّن

(١) **صحيح:** البخاري: (٤٦٨٤)، ومسلم: (٩٩٣).

(٢) **صحيح:** البخاري: (٢٥٩١)، ومسلم: (١٠٢٩).

﴿نَّذۡرٖ﴾: أَيْ: مَا أَوْجَبْتُمُوهُ أَنْتُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ فِي طَاعَةِ الله فَوَفَّيْتُمْ بِهِ، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُهُۥۗ﴾: وَيَحْفَظُهُ حَتَّى يُجَازِيَكُمْ بِهِ، وَإِنَّمَا قَالَ: ﴿يَعۡلَمُهُۥۗ﴾ وَلَمْ يَقُلْ يَعْلَمُهَا؛ لِأَنَّهُ رَدَّهُ إِلَى الآخَرِ مِنْهُمَا؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَن يَكۡسِبۡ خَطِيٓـَٔةً أَوۡ إِثۡمٗا ثُمَّ يَرۡمِ بِهِۦ بَرِيٓـٔٗا﴾[النِّسَاء:١١٢]، وَإِنْ شِئْتَ حَمَلْتَهُ عَلَى (مَا)؛ كَقَوْلِهِ: ﴿وَمَآ أَنزَلَ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡحِكۡمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦۚ﴾ [الْبَقَرَة:٢٣١]، وَلَمْ يَقُلْ: بِهِمَا، ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ﴾: الْوَاضِعِينَ الصَّدَقَةَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهَا بِالرِّيَاءِ وَيَتَصَدَّقُونَ مِنَ الحَرَامِ ﴿مِنۡ أَنصَارٍ﴾: من أَعْوَانٍ يَدْفَعُونَ عَذَابَ الله عَنْهُمْ، وَهِيَ جَمْعُ: نَصِيرٍ، مِثْلُ: شَرِيفٍ، وَأَشْرَافٍ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِن تُبۡدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ﴾: أَيْ: تُظْهِرُوهَا ﴿فَنِعِمَّا هِيَۖ﴾: أَيْ: نِعْمَتِ الْخَصْلَةُ هِيَ، وَ(مَا): فِي مَحَلِّ الرَّفْعِ، وَ(هِيَ): فِي مَحَلِّ النَّصْبِ، كَمَا تَقُولُ: (نِعْمَ الرَّجُلُ رَجُلًا) فَإِذَا عُرِّفَتْ رُفِعَتْ فَقُلْتَ: (نِعْمَ الرَّجُلُ زَيْدٌ) وَأَصْلُهُ: (نِعْمَ مَا) فَوُصِلَتْ. قَرَأَ أَهْلُ المَدِينَةِ غَيْرَ وَرْشٍ وَأَبُو عمرو وَأَبُو بَكْرٍ: ﴿فَنِعْمَّا﴾ بِكَسْرِ النُّونِ وَسُكُونِ الْعَيْنِ، وَقَرَأَ ابْنُ عَامِرٍ وَحَمْزَةُ وَالْكِسَائِيُّ بِفَتْحِ النُّونِ وَكَسْرِ الْعَيْنِ، وَقَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ وَنَافِعٌ بِرِوَايَةِ وَرْشٍ وَيَعْقُوبُ وَحَفْصٌ بِكَسْرِهِمَا، وَكُلُّهَا لُغَاتٌ صَحِيحَةٌ، وَكَذَلِكَ فِي سُورَةِ النِّسَاءِ، ﴿وَإِن تُخۡفُوهَا﴾: تُسِرُّوهَا ﴿وَتُؤۡتُوهَا ٱلۡفُقَرَآءَ﴾: أَيْ: تُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فِي السِّرِّ ﴿فَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ﴾: وَأَفْضَلُ، وَكُلٌّ مَقْبُولٌ إِذَا كَانَتِ النِّيَّةُ صَادِقَةً، وَلَكِنْ صَدَقَةُ السِّرِّ أَفْضَلُ، وَفِي الْحَدِيثِ: «**صَدَقَةُ السِّرِّ تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ**»(١).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: إِمَامٌ عَادِلٌ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ الله تَعَالَى، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ بِالمَسْجِدِ إِذَا خَرَجَ مِنْهُ حَتَّى يَعُودَ إِلَيْهِ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي الله اجْتَمَعَا عَلَى ذَلِكَ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ: إِنِّي**

---

(١) **حسن لغيره:** الطبراني "المعجم الكبير": (١٠١٨) عن معاوية بن حيدة رضي الله عنه، وقال العلَّامة الألباني رحمه الله في "صحيح الترغيب" (٨٨٨): حسن لغيره.

أَخَافُ اللهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ»[(١)].

وَقِيلَ: الْآيَةُ فِي صَدَقَةِ التَّطَوُّعِ، أَمَّا الزَّكَاةُ الْمَفْرُوضَةُ فَالْإِظْهَارُ فِيهَا أَفْضَلُ حَتَّى يَقْتَدِيَ بِهِ النَّاسُ، كَالصَّلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ فِي الْجَمَاعَةِ أَفْضَلُ، وَالنَّافِلَةُ فِي الْبَيْتِ أَفْضَلُ. **وَقِيلَ**: الْآيَةُ فِي الزَّكَاةِ الْمَفْرُوضَةِ كَانَ الْإِخْفَاءُ فِيهَا خَيْرًا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَمَّا فِي زَمَانِنَا فَالْإِظْهَارُ أَفْضَلُ حَتَّى لَا يُسَاءَ بِهِ الظَّنُّ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾: قَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ وَأَهْلُ الْبَصْرَةِ وَأَبُو بَكْرٍ بِالنُّونِ وَرَفْعِ الرَّاءِ، أَيْ: وَنَحْنُ نُكَفِّرُ، وَقَرَأَ ابْنُ عَامِرٍ وَحَفْصٌ بِالْيَاءِ وَرَفْعِ الرَّاءِ، أَيْ: وَيُكَفِّرُ اللهُ، وَقَرَأَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ وَحَمْزَةُ وَالْكِسَائِيُّ بِالنُّونِ وَالْجَزْمِ؛ نَسَقًا عَلَى الْفَاءِ الَّتِي فِي قَوْلِهِ: ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾؛ لِأَنَّ مَوْضِعَهَا جَزْمٌ بِالْجَزَاءِ. **وَقَوْلُهُ: ﴿مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾**: **قِيلَ**: (مِنْ): صِلَةٌ، تَقْدِيرُهُ: نُكَفِّرُ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ، **وَقِيلَ**: هُوَ لِلتَّحْقِيقِ وَالتَّبْعِيضِ، يَعْنِي: نُكَفِّرُ الصَّغَائِرَ مِنَ الذُّنُوبِ، ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.

﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾

﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ﴾: **قَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ**: كَانُوا يَتَصَدَّقُونَ عَلَى فُقَرَاءِ أَهْلِ الذِّمَّةِ، فَلَمَّا كَثُرَ فُقَرَاءُ الْمُسْلِمِينَ نَهَى رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنِ التَّصَدُّقِ عَلَى الْمُشْرِكِينَ؛ كَيْ تَحْمِلَهُمُ الْحَاجَةُ عَلَى الدُّخُولِ فِي الْإِسْلَامِ فَنَزَلَ قَوْلُهُ: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ﴾: فَتَمْنَعُهُمُ الصَّدَقَةَ لِيَدْخُلُوا فِي الْإِسْلَامِ حَاجَةً مِنْهُمْ إِلَيْهَا، ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ﴾: وَأَرَادَ بِهِ هِدَايَةَ التَّوْفِيقِ أَمَّا هُدَى الْبَيَانِ وَالدَّعْوَةِ فَكَانَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَأَعْطَوهُمْ بَعْدَ نُزُولِ الْآيَةِ[(٢)].

---

(١) **صحيح**: البخاري: (٦٨٠٦)، ومسلم: (١٠٣١).

(٢) قال العلَّامة الإمام مقبل بن هادي الوادعي رَحِمَهُ اللهُ في كتابه «الصحيح المسند من أسباب النزول» ص(٤٩): **قال الإمام أبو جعفر بن جرير** رَحِمَهُ اللهُ (ج٣ ص٩٤): حدَّثنا أبو كُريبٍ قال: حدَّثنا أبو داود، =

﴿وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ﴾: أَيْ: مَالٍ ﴿فَلِأَنفُسِكُمْ﴾: أَيْ تَعْمَلُونَهُ لِأَنْفُسِكُمْ ﴿وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ﴾: وَ(مَا): لَفْظُهُ نَفْيٌ وَمَعْنَاهُ نَهْيٌ، أَيْ: لَا تُنْفِقُوا إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ الله، ﴿وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ﴾: شَرْطٌ كَالْأَوَّلِ، وَلِذَلِكَ حَذَفَ النُّونَ مِنْهُمَا، ﴿يُوَفَّ إِلَيْكُمْ﴾: أَيْ: يُوَفَّرْ لَكُمْ جَزَاؤُهُ، وَمَعْنَاهُ: يُؤَدِّي إِلَيْكُمْ، وَلِذَلِكَ أُدْخِلَ فِيهِ: (إِلَى)، ﴿وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾: لَا تُنْقَصُونَ مِنْ ثَوَابِ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا، وَهَذَا فِي صَدَقَةِ التَّطَوُّعِ أَبَاحَ اللهُ تَعَالَى أَنْ تُوضَعَ فِي أَهْلِ الْإِسْلَامِ وَأَهْلِ الذِّمَّةِ، فَأَمَّا الصَّدَقَةُ الْمَفْرُوضَةُ فَلَا يَجُوزُ وَضْعُهَا إِلَّا فِي الْمُسْلِمِينَ، وَهُمْ أَهْلُ السُّهْمَانِ الْمَذْكُورُونَ فِي سُورَةِ التَّوْبَةِ.

﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: **اخْتَلَفُوا فِي مَوْضِعِ هَذِهِ اللَّامِ: قِيلَ**: هُوَ مَرْدُودٌ عَلَى مَوْضِعِ اللَّامِ مِنْ قَوْلِهِ ﴿فَلِأَنفُسِكُمْ﴾ كَأَنَّهُ قَالَ: وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِلْفُقَرَاءِ، وَإِنَّمَا تُنْفِقُونَ لِأَنْفُسِكُمْ. **وَقِيلَ**: مَعْنَاهَا: الصَّدَقَاتُ الَّتِي سَبَقَ ذِكْرُهَا. **وَقِيلَ**: خَبَرُهُ مَحْذُوفٌ تَقْدِيرُهُ: لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ صِفَتُهُمْ كَذَا حَقٌّ وَاجِبٌ، وَهُمْ فُقَرَاءُ الْمُهَاجِرِينَ، كَانُوا نَحْوًا مِنْ أَرْبَعِمِائَةِ رَجُلٍ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ مَسَاكِنُ بِالْمَدِينَةِ وَلَا عَشَائِرُ، وَكَانُوا فِي الْمَسْجِدِ يَتَعَلَّمُونَ الْقُرْآنَ وَيَرْضَخُونَ النَّوَى بِالنَّهَارِ، وَكَانُوا يَخْرُجُونَ فِي كُلِّ سَرِيَّةٍ يَبْعَثُهَا رَسُولُ الله ﷺ، وَهُمْ أَصْحَابُ الصُّفَّةِ، فَحَثَّ اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِمُ النَّاسَ فَكَانَ مَنْ عِنْدَهُ فَضْلٌ أَتَاهُمْ بِهِ إِذَا أَمْسَى، ﴿ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: **فِيهِ أَقَاوِيلُ: قَالَ قَتَادَةُ**: هُمْ هَؤُلَاءِ حَبَسُوا أَنْفُسَهُمْ عَلَى الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ

= عن سفيان، عن جعفر بن إياس، عن سعيد بن جبير، **عن ابن عبَّاسٍ**، قال: كانوا لا يرضخون لقراباتهم من المشركين، فنزلَتْ: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾. الحديث رجاله رجال الصحيح.اهـ

الله، ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي ٱلْأَرْضِ﴾: لَا يَتَفَرَّغُونَ لِلتِّجَارَةِ وَطَلَبِ المَعَاشِ، وَهُمْ أَهْلُ الصُّفَةِ التي ذَكَرْنَاهُمْ، **وَقِيلَ**: حَبَسُوا أَنْفُسَهُمْ عَلَى طَاعَةِ الله، **وَقِيلَ**: حَبَسَهُمُ الْفَقْرُ وَالْعُدْمُ عَنِ الجِهَادِ فِي سَبِيلِ الله، **وَقِيلَ**: هَؤُلَاءِ قَوْمٌ أَصَابَتْهُمْ جِرَاحَاتٌ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ فِي الجِهَادِ فِي سَبِيلِ الله فَصَارُوا زَمْنَى، أَحْصَرَهُمُ المَرَضُ وَالزَّمَانَةُ عَنِ الضَّرْبِ فِي سَبِيلِ الله لِلْجِهَادِ، ﴿يَحْسَبُهُمُ﴾: قَرَأَ أَبُو جَعْفَرٍ وَابْنُ عَامِرٍ وَعَاصِمٌ وَحَمْزَةُ: ﴿يَحْسَبُهُمُ﴾ وَبَابُهُ بِفَتْحِ السِّينِ، وَقَرَأَ الآخَرُونَ بِالْكَسْرِ، ﴿ٱلْجَاهِلُ﴾: بِحَالِهِمْ ﴿أَغْنِيَاءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ﴾: أَيْ: مِنْ تَعَفُّفِهِمْ عَنِ السُّؤَالِ وَقَنَاعَتِهِمْ يَظُنُّ مَنْ لَا يَعْرِفُ حَالَهُمْ أَنَّهُمْ أَغْنِيَاءُ، **وَالتَّعَفُّفُ**: (التَّفَعُّلُ)، مِنَ الْعِفَّةِ وَهِيَ التَّرْكُ، يُقَالُ: (عَفَّ عَنِ الشَّيْءِ) إِذَا كَفَّ عَنْهُ، وَ(تَعَفَّفَ) إِذَا تَكَلَّفَ فِي الإِمْسَاكِ، ﴿تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ﴾: **السِّيمَاءُ، وَالسِّيمِيَاءُ، وَالسِّمَةُ**: الْعَلَامَةُ الَّتِي يُعْرَفُ بِهَا الشَّيْءُ، **وَاخْتَلَفُوا فِي مَعْنَاهَا هَاهُنَا: فَقَالَ مُجَاهِدٌ**: هِيَ التَّخَشُّعُ وَالتَّوَاضُعُ، **وَقَالَ السُّدِّيُّ**: أَثَرُ الجُهْدِ مِنَ الحَاجَةِ وَالْفَقْرِ. **وَقَالَ الضَّحَّاكُ**: صُفْرَةُ أَلْوَانِهِمْ مِنَ الجُوعِ وَالضُّرِّ، **وَقِيلَ**: رَثَاثَةُ ثِيَابِهِمْ، ﴿لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾: **قَالَ عَطَاءٌ**: إِذَا كَانَ عِنْدَهُمْ غَدَاءٌ لَا يَسْأَلُونَ عَشَاءً، وَإِذَا كَانَ عِنْدَهُمْ عَشَاءٌ لَا يَسْأَلُونَ غَدَاءً، **وَقِيلَ**: مَعْنَاهُ: لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ أَصْلًا؛ لِأَنَّهُ قَالَ: ﴿مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ﴾، **وَالتَّعَفُّفُ**: تَرْكُ السُّؤَالِ؛ وَلِأَنَّهُ قَالَ: ﴿تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ﴾، وَلَوْ كَانَتِ المَسْأَلَةُ مِنْ شَأْنِهِمْ لَمَا كَانَتْ إِلَى مَعْرِفَتِهِمْ بِالْعَلَامَةِ حَاجَةٍ، فَمَعْنَى الآيَةِ: لَيْسَ لَهُمْ سُؤَالٌ فَيَقَعُ فِيهِ إِلْحَافٌ، **وَالْإِلْحَافُ**: الإِلْحَاحُ وَاللَّجَاجُ.

عَنِ الزُّبَيْرِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ فَيَذْهَبَ فَيَأْتِيَ بِحُزْمَةِ حَطَبٍ عَلَى ظَهْرِهِ فَيَكُفَّ بِهَا وَجْهَهُ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ أَعْطَوْهُ أَوْ مَنَعُوهُ**»[(١)].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**لَيْسَ المِسْكِينُ بِهَذَا الطَّوَّافِ الَّذِي يَطُوفُ عَلَى النَّاسِ تَرُدُّهُ اللُّقْمَةُ وَاللُّقْمَتَانِ وَالتَّمْرَةُ وَالتَّمْرَتَانِ**»، قَالُوا: فَمَنِ

(١) **صحيح**: البخاري: (١٤٧١)، ومسلم: (١٠٤٢).

الْمِسْكِينُ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: «الَّذِي لَا يَجِدُ غِنًى فَيُغْنِيهِ وَلَا يُفْطَنُ لَهُ فَيُتَصَدَّقُ عَلَيْهِ، وَلَا يَقُومُ فَيَسْأَلُ النَّاسَ»(١).

وَرُوِيَ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ سَأَلَ وَلَهُ أُوقِيَّةٌ أَوْ عِدْلُهَا فَقَدْ سَأَلَ إِلْحَافًا»(٢).

عَنْ قَبِيصَةَ بْنِ مُخَارِقٍ رضي الله عنه، قَالَ: إِنِّي تَحَمَّلْتُ بِحَمَالَةٍ فِي قَوْمِي فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله إِنِّي تَحَمَّلْتُ بِحَمَالَةٍ فِي قَوْمِي وَأَتَيْتُكَ لِتُعِينَنِي فِيهَا، قَالَ: «بَلْ نَتَحَمَّلُهَا عَنْكَ يَا قَبِيصَةُ وَنُؤَدِّيهَا إِلَيْهِمْ مِنَ الصَّدَقَةِ»، ثُمَّ قَالَ: «يَا قَبِيصَةُ إِنَّ الْمَسْأَلَةَ حُرِّمَتْ إِلَّا فِي إِحْدَى ثَلَاثٍ: رَجُلٍ أَصَابَتْهُ جَائِحَةٌ فَاجْتَاحَتْ مَالَهُ فَيَسْأَلُ حَتَّى يُصِيبَ قِوَامًا مِنْ عَيْشِهِ ثُمَّ يُمْسِكُ، وَرَجُلٍ أَصَابَتْهُ فَاقَةٌ حَتَّى يَشْهَدَ لَهُ ثَلَاثَةٌ نَفَرٍ مِنْ ذَوِي الحِجَى مِنْ قَوْمِهِ أَنَّ الْمَسْأَلَةَ قَدْ حَلَّتْ لَهُ فَيَسْأَلُ حَتَّى يُصِيبَ الْقِوَامَ مِنَ الْعَيْشِ ثُمَّ يُمْسِكُ، وَرَجُلٍ تَحَمَّلَ بِحَمَالَةٍ فَيَسْأَلُ حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَمْسَكَ، وَمَا كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ فَإِنَّهُ سُحْتٌ يَأْكُلُهُ صَاحِبُهُ سُحْتًا»(٣).

عَنْ عَبْدِ الله بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ «مَنْ سَأَلَ النَّاسَ وَلَهُ مَا يُغْنِيهِ جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمَسْأَلَتُهُ فِي وَجْهِهِ خُمُوشٌ أَوْ خُدُوشٌ أَوْ كُدُوحٌ»، قِيلَ: يَا رَسُولَ الله وَمَا يُغْنِيهِ؟ قَالَ: «خَمْسُونَ دِرْهَمًا أَوْ قِيمَتُهَا ذَهَبًا»(٤).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ﴾ مِنْ مَالٍ ﴿فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾: وَعَلَيْهِ مُجَازٍ، ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾:

(١) **صحيح:** البخاري: (١٤٧٩)، ومسلم: (١٠٣٩).

(٢) **صحيح:** صحَّحه العلَّامة الألباني رحمه الله في "الصحيحة" (١٧١٩) عن رجل من بني أسد رضي الله عنه.

(٣) **صحيح:** مسلم: (١٠٤٤). وَقَوْلُهُ: «تَحَمَّلْتُ حَمَالَةً»: بفتح الحاء، وهي المال الذي يتحمله الإنسان -أي: يستدينه ويدفعه في إصلاح ذات البين كالإصلاح بين قبيلتين ونحو ذلك- وإنما تحل له المسألة ويعطى من الزكاة بشرط أن يستدين لغير معصية.اهـ"شرح النووي على مسلم" (٧/ ١٣٣).

(٤) **صحيح:** صحَّحه العلَّامة الألباني رحمه الله في "صحيح وضعيف سنن أبي داود" (١٦٢٦).

قَالَ الْأَخْفَشُ: جعَلَ الْخَبَرَ بِالْفَاءِ؛ لِأَنَّ ﴿ٱلَّذِينَ﴾ بِمَعْنَى: (مَنْ)، وَجَوَابُ (مَنْ) بِالْفَاءِ فِي الجَزَاءِ، وَمَعْنَى الْآيَةِ: مَنْ أَنْفَقَ كَذَا فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ، ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾: أَيِ: الَّذِينَ يُعَامِلُونَ بِهِ، وَإِنَّمَا خَصَّ الْأَكْلَ؛ لِأَنَّهُ مُعْظَمُ المَقْصُودِ مِنَ المَالِ، ﴿لَا يَقُومُونَ﴾: يَعْنِي: يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ قُبُورِهِمْ ﴿إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ﴾: أَيْ: يَصْرَعُهُ ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ﴾: **أَصْلُ الخَبْطِ**: الضَّرْبُ وَالْوَطْءُ، وَهُوَ ضَرْبٌ عَلَى غَيْرِ اسْتِوَاءٍ، يُقَالُ: (نَاقَةٌ خَبُوطٌ) لِلَّتِي تَطَأُ النَّاسَ وَتَضْرِبُ الْأَرْضَ بِقَوَائِمِهَا، ﴿مِنَ ٱلْمَسِّ﴾: أَيِ: الْجُنُونِ، يُقَالُ: (مُسَّ الرَّجُلُ فَهُوَ مَمْسُوسٌ) إِذَا كَانَ مَجْنُونًا، وَمَعْنَاهُ: أَنَّ آكِلَ الرِّبَا يُبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَمِثْلِ المَصْرُوعِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ﴾: أَيْ: ذَلِكَ الَّذِي نَزَلَ بِهِمْ لِقَوْلِهِمْ هَذَا وَاسْتِحْلَالِهِمْ إِيَّاهُ، وَذَلِكَ أَنَّ أَهْلَ الْجَاهِلِيَّةِ كَانَ أَحَدُهُمْ إِذَا حَلَّ مَالُهُ عَلَى غَرِيمِهِ فَطَالَبَهُ بِهِ، يَقُولُ الْغَرِيمُ لِصَاحِبِ الْحَقِّ: زِدْنِي فِي الْأَجَلِ حَتَّى أَزِيدَكَ فِي المَالِ، فَيَفْعَلَانِ ذَلِكَ وَيَقُولُونَ: سَوَاءٌ عَلَيْنَا الزِّيَادَةُ فِي أَوَّلِ الْبَيْعِ بِالرِّبْحِ أَوْ عِنْدَ المَحَلِّ لِأَجْلِ التَّأْخِيرِ، فَكَذَّبَهُمُ اللهُ تَعَالَى فَقَالَ: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾: وَاعْلَمْ أَنَّ الرِّبَا فِي اللُّغَةِ الزِّيَادَةُ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَاْ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ﴾ -أَيْ: لِيَكْثُرَ- ﴿فَلَا يَرْبُواْ عِندَ ٱللَّهِ﴾[الرُّوم:٣٩]، وَطَلَبُ الزِّيَادَةِ بِطَرِيقِ التِّجَارَةِ غَيْرُ حَرَامٍ فِي الْجُمْلَةِ، إِنَّمَا المُحَرَّمُ زِيَادَةٌ عَلَى صِفَةٍ مَخْصُوصَةٍ فِي مَالٍ مَخْصُوصٍ بَيَّنَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِيمَا جَاءَ

عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**لَا تَبِيعُوا الذَّهَبَ بِالذَّهَبِ، وَلَا الْوَرِقَ بِالْوَرِقِ، وَلَا الْبُرَّ بِالْبُرِّ، وَلَا الشَّعِيرَ بِالشَّعِيرِ، وَلَا التَّمْرَ بِالتَّمْرِ، وَلَا الْمِلْحَ بِالْمِلْحِ، إِلَّا سَوَاءً بِسَوَاءٍ عَيْنًا بِعَيْنٍ يَدًا بِيَدٍ، وَلَكِنْ بِيعُوا الذَّهَبَ بِالْوَرِقِ، وَالْوَرِقَ بِالذَّهَبِ، وَالْبُرَّ بِالشَّعِيرِ، وَالشَّعِيرَ بِالْبُرِّ، وَالتَّمْرَ بِالْمِلْحِ، وَالْمِلْحَ بِالتَّمْرِ، يَدًا بِيَدٍ كَيْفَ شِئْتُمْ، فَمَنْ زَادَ أَوِ اسْتَزَادَ فَقَدْ أَرْبَى**»[(١)]، فَالنَّبِيُّ ﷺ نَصَّ عَلَى سِتَّةِ أَشْيَاءَ، **وَذَهَبَ عَامَّةُ أَهْلِ الْعِلْمِ** إِلَى أَنَّ حُكْمَ الرِّبَا يَثْبُتُ فِي هَذِهِ الْأَشْيَاءِ السِّتَّةِ لِأَوْصَافٍ فِيهَا فَيَتَعَدَّى إِلَى كُلِّ مَالٍ تُوجَدُ فِيهِ تِلْكَ الْأَوْصَافُ، ثُمَّ **اخْتَلَفُوا فِي تِلْكَ الْأَوْصَافِ: فَذَهَبَ قَوْمٌ** إِلَى أَنَّ الْمَعْنَى فِي جَمِيعِهَا وَاحِدٌ وَهُوَ النَّفْعُ، وَأَثْبَتُوا الرِّبَا فِي جَمِيعِ الْأَمْوَالِ، **وَذَهَبَ الْأَكْثَرُونَ** إِلَى أَنَّ الرِّبَا يَثْبُتُ فِي الدَّرَاهِمِ وَالدَّنَانِيرِ بِوَصْفٍ، وَفِي الْأَشْيَاءِ الْمَطْعُومَةِ بِوَصْفٍ آخَرَ، **وَاخْتَلَفُوا فِي ذَلِكَ الْوَصْفِ: فَقَالَ قَوْمٌ**: ثَبَتَ فِي الدَّرَاهِمِ وَالدَّنَانِيرِ بِوَصْفِ النَّقْدِيَّةِ، وَهُوَ قَوْلُ مَالِكٍ وَالشَّافِعِيِّ، وَقَالَ قَوْمٌ ثَبَتَ بِعِلَّةِ الْوَزْنِ، وَهُوَ قَوْلُ أَصْحَابِ الرَّأْيِ، وَأَثْبَتُوا الرِّبَا فِي جَمِيعِ الْمَوْزُونَاتِ، مِثْلِ: الْحَدِيدِ وَالنُّحَاسِ وَالْقُطْنِ وَنَحْوِهَا.

وَأَمَّا الْأَشْيَاءُ الْأَرْبَعَةُ الْمَطْعُومَةُ: **فَذَهَبَ قَوْمٌ** إِلَى أَنَّ الرِّبَا ثَبَتَ فِيهَا بِعِلَّةِ الْكَيْلِ، وَهُوَ قَوْلُ أَصْحَابِ الرَّأْيِ، وَأَثْبَتُوا الرِّبَا فِي جَمِيعِ الْمَكِيلِ مَطْعُومًا كَانَ أَوْ غَيْرَ مَطْعُومٍ، كَالْجِصِّ وَالنُّورَةِ وَنَحْوِهِمَا، وَذَهَبَ جَمَاعَةٌ إِلَى أَنَّ الْعِلَّةَ فِيهَا الطَّعْمُ مَعَ الْكَيْلِ وَالْوَزْنِ، فَكُلُّ مَطْعُومٍ -وَهُوَ مَكِيلٌ أَوْ مَوْزُونٌ- يَثْبُتُ فِيهِ الرِّبَا، وَلَا يَثْبُتُ فِيمَا لَيْسَ بِمَكِيلٍ وَلَا مَوْزُونٍ، وَهُوَ قَوْلُ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ وَقَالَهُ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي الْقَدِيمِ، وَقَالَ فِي الْجَدِيدِ: يَثْبُتُ فِيهَا الرِّبَا بِوَصْفِ الطَّعْمِ، وَأَثْبَتَ الرِّبَا فِي جَمِيعِ الْأَشْيَاءِ الْمَطْعُومَةِ مِنَ الثِّمَارِ وَالْفَوَاكِهِ وَالْبُقُولِ وَالْأَدْوِيَةِ مَكِيلَةً كَانَتْ أَوْ مَوْزُونَةً؛ لِمَا رُوِيَ عَنْ مَعْمَرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ قَالَ: كُنْتُ أَسْمَعُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**الطَّعَامُ بِالطَّعَامِ مِثْلًا بِمِثْلٍ**»[(٢)]، فَجُمْلَةُ مَالِ الرِّبَا عِنْدَ الشَّافِعِيِّ مَا كَانَ ثَمَنًا أَوْ مَطْعُومًا.

---

(١) **صحيح**: مسلم: (١٥٨٧).

(٢) **صحيح**: مسلم: (١٥٩٢).

وَالرِّبَا نَوْعَانِ: رِبَا الْفَضْلِ وَرِبَا النَّسَاءِ، فَإِذَا بَاعَ مَالَ الرِّبَا بِجِنْسِهِ مِثْلًا بِمِثْلٍ بِأَنْ بَاعَ أَحَدَ النَّقْدَيْنِ بِجِنْسِهِ، أَوْ بَاعَ مَطْعُومًا بِجِنْسِهِ، كَالْحِنْطَةِ بِالْحِنْطَةِ وَنَحْوِهَا يَثْبُتُ فِيهِ كِلَا نَوْعَيِ الرِّبَا، حَتَّى لَا يَجُوزَ إِلَّا مُتَسَاوِيَيْنِ فِي مِعْيَارِ الشَّرْعِ، فَإِنْ كَانَ مَوْزُونًا كَالدَّرَاهِمِ وَالدَّنَانِيرِ فَيُشْتَرَطُ الْمُسَاوَاةُ فِي الْوَزْنِ، وَإِنْ كَانَ مَكِيلًا كَالْحِنْطَةِ وَالشَّعِيرِ بِيعَ بِجِنْسِهِ، فَيُشْتَرَطُ الْمُسَاوَاةُ فِي الْكَيْلِ وَيُشْتَرَطُ التَّقَابُضُ فِي مَجْلِسِ الْعَقْدِ. وَإِذَا بَاعَ مَالَ الرِّبَا بِغَيْرِ جِنْسِهِ نُظِرَ: إِنْ بَاعَ بِمَا لَا يُوَافِقُهُ فِي وَصْفِ الرِّبَا مِثْلَ: أَنْ بَاعَ مَطْعُومًا بِأَحَدِ النَّقْدَيْنِ فَلَا رِبَا فِيهِ، كَمَا لَوْ بَاعَ بِغَيْرِ مَالِ الرِّبَا، وَإِنْ بَاعَهُ بِمَا يُوَافِقُهُ فِي الْوَصْفِ مِثْلَ: أَنْ بَاعَ الدَّرَاهِمَ بِالدَّنَانِيرِ أَوْ بَاعَ الْحِنْطَةَ بِالشَّعِيرِ أَوْ بَاعَ مَطْعُومًا بِمَطْعُومٍ آخَرَ مِنْ غَيْرِ جِنْسِهِ فَلَا يَثْبُتُ فِيهِ رِبَا الْفَضْلِ حَتَّى يَجُوزَ مُتَفَاضِلًا أَوْ جِزَافًا، وَيَثْبُتُ فِيهِ رِبَا النَّسَاءِ حَتَّى يُشْتَرَطَ التَّقَابُضُ فِي الْمَجْلِسِ.

وَقَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ: «**لَا تَبِيعُوا الذَّهَبَ بِالذَّهَبِ**» إِلَى أَنْ قَالَ: «**إِلَّا سَوَاءً بِسَوَاءٍ**»: فِيهِ إِيجَابُ الْمُمَاثَلَةِ وَتَحْرِيمُ الْفَضْلِ عِنْدَ اتِّفَاقِ الْجِنْسِ. وَقَوْلُهُ: «**عَيْنًا بِعَيْنٍ**»: فِيهِ تَحْرِيمُ النَّسَاءِ. وَقَوْلُهُ: «**يَدًا بِيَدٍ كَيْفَ شِئْتُمْ**»: فِيهِ إِطْلَاقُ التَّفَاضُلِ عِنْدَ اخْتِلَافِ الْجِنْسِ مَعَ إِيجَابِ التَّقَابُضِ فِي الْمَجْلِسِ، هَذَا فِي رِبَا الْمُبَايَعَةِ. وَمَنْ أَقْرَضَ شَيْئًا بِشَرْطِ أَنْ يَرُدَّ عَلَيْهِ أَفْضَلَ مِنْهُ، فَهُوَ قَرْضٌ مَنْفَعَةً، وَكُلُّ قَرْضٍ جَرَّ مَنْفَعَةً فَهُوَ رِبًا.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ﴾: تَذْكِيرٌ وَتَخْوِيفٌ، وَإِنَّمَا ذَكَرَ الْفِعْلَ رَدًّا إِلَى الْوَعْظِ، ﴿فَٱنتَهَىٰ﴾: عَنْ أَكْلِ الرِّبَا، ﴿فَلَهُۥ مَا سَلَفَ﴾: أَيْ: مَا مَضَى مِنْ ذَنْبِهِ قَبْلَ النَّهْيِ مَغْفُورٌ لَهُ، ﴿وَأَمۡرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾: بَعْدَ النَّهْيِ إِنْ شَاءَ عَصَمَهُ حَيْثُ يَثْبُتُ عَلَى الِانْتِهَاءِ، وَإِنْ شَاءَ خَذَلَهُ حَتَّى يَعُودَ، **وَقِيلَ**: ﴿وَأَمۡرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾: فِيمَا يَأْمُرُهُ وَيَنْهَاهُ وَيُحِلُّ لَهُ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِ، وَلَيْسَ إِلَيْهِ مِنْ أَمْرِ نَفْسِهِ شَيْءٌ، ﴿وَمَنۡ عَادَ﴾: بَعْدَ التَّحْرِيمِ إِلَى أَكْلِ الرِّبَا مُسْتَحِلًّا لَهُ، ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

عَنْ وَهْبِ بْنِ عَبْدِ اللهِ أَنَّهُ قَالَ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَهَى عَنْ ثَمَنِ الدَّمِ، وَثَمَنِ الْكَلْبِ،

وَكَسْبِ الْبَغِي، وَلَعَنَ آكِلَ الرِّبَا وَمُوكِلَهُ، وَالْوَاشِمَةَ وَالْمُسْتَوْشِمَةَ، وَالْمُصَوِّرَ»[(١)].

عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه قَالَ: لَعَنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ آكِلَ الرِّبَا وَمُؤْكِلَهُ وَكَاتِبَهُ وَشَاهِدَيْهِ، وَقَالَ: «**هُمْ سَوَاءٌ**»[(٢)].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الرِّبَا سَبْعُونَ بَابًا أَهْوَنُهَا عِنْدَ اللهِ** عز وجل **كَالَّذِي يَنْكِحُ أُمَّهُ**»[(٣)].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ﴾: أَيْ: يَنْقُصُهُ وَيُهْلِكُهُ وَيَذْهَبُ بِبَرَكَتِهِ، ﴿وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ﴾: أَيْ: يُثَمِّرُهَا وَيُبَارِكُ فِيهَا فِي الدُّنْيَا وَيُضَاعِفُ بِهَا الْأَجْرَ وَالثَّوَابَ فِي الْعُقْبَى، ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ﴾: بِتَحْرِيمِ الرِّبَا ﴿أَثِيمٍ﴾: فَاجِرٍ بِأَكْلِهِ، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ فَأۡذَنُواْ بِحَرۡبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَإِن تُبۡتُمۡ فَلَكُمۡ رُءُوسُ أَمۡوَٰلِكُمۡ لَا تَظۡلِمُونَ وَلَا تُظۡلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ وَإِن كَانَ ذُو عُسۡرَةٖ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيۡسَرَةٖۚ وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ﴾: أَيْ: إِذَا لَمْ تَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا، ﴿فَأۡذَنُواْ بِحَرۡبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ﴾: قَرَأَ حَمْزَةُ وَعَاصِمٌ بِرِوَايَةِ أَبِي بَكْرٍ: ﴿فَآذِنُوا﴾ بِالْمَدِّ عَلَى وَزْنِ: (آمِنُوا)، أَيْ: فَأَعْلِمُوا غَيْرَكُمْ أَنَّكُمْ حَرْبٌ للهِ وَرَسُولِهِ، وَأَصْلُهُ مِنَ الْأُذُنِ، أَيْ: أَوْقِعُوا فِي الْآذَانِ وَقَرَأَ الْآخَرُونَ ﴿فَأۡذَنُواْ﴾ مَقْصُورًا بِفَتْحِ الذَّالِ، أَيْ: فَاعْلَمُوا أَنْتُمْ وَأَيْقِنُوا ﴿بِحَرۡبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ﴾: **قَالَ أَهْلُ**

(١) **صحيح:** البخاري: (٢٠٨٦).

(٢) **صحيح:** مسلم: (١٥٩٨).

(٣) **صحيح:** صحَّحه العلَّامة الألباني رحمه الله في "صحيح وضعيف سنن ابن ماجه" (٢٢٧٤).

المَعَانِي: حَرْبُ اللهِ النَّارُ وَحَرْبُ رَسُولِ اللهِ السَّيْفُ ﴿وَإِن تُبْتُمْ﴾: أَيْ تَرَكْتُمُ اسْتِحْلَالَ الرِّبَا وَرَجَعْتُمْ عنه ﴿فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ﴾: بِطَلَبِ الزِّيَادَةِ ﴿وَلَا تُظْلَمُونَ﴾: بِالنُّقْصَانِ عَنْ رَأْسِ المَالِ، ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ﴾: يَعْنِي: وَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الدَّيْنُ مُعْسِرًا، رَفَعَ الْكَلَامَ بِاسْمِ (كَانَ) وَلَمْ يَأْتِ لَهَا بِخَبَرٍ، وَذَلِكَ جَائِزٌ فِي النَّكِرَةِ، تَقُولُ: (إِنْ كَانَ رَجُلًا صَالِحًا فَأَكْرِمْهُ)، وَقِيلَ: (كَانَ): بِمَعْنَى (وَقَعَ)، وَحِينَئِذٍ لَا تَحْتَاجُ إِلَى خَبَرٍ. قَرَأَ أَبُو جَعْفَرٍ: ﴿عُسُرَةٍ﴾ بِضَمِّ السِّينِ، ﴿فَنَظِرَةٌ﴾: أَمْرٌ فِي صِيغَةِ الْخَبَرِ، تَقْدِيرُهُ: فَعَلَيْهِ نَظِرَةٌ ﴿إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾: قَرَأَ نَافِعٌ: ﴿مَيْسُرَةٍ﴾ بِضَمِّ السِّينِ، وَقَرَأَ الْآخَرُونَ بِفَتْحِهَا، وَقَرَأَ مُجَاهِدٌ: ﴿مَيْسُرَةٍ﴾ بِضَمِّ السِّينِ مُضَافًا، وَمَعْنَاهَا: الْيَسَارُ وَالسَّعَةُ، ﴿وَأَن تَصَدَّقُواْ﴾: أَيْ: تَتْرُكُوا رُؤُوسَ أَمْوَالِكُمْ إِلَى الْمُعْسِرِ ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: قَرَأَ عَاصِمٌ: ﴿تَصَدَّقُواْ﴾ بِتَخْفِيفِ الصَّادِ، وَالآخَرُونَ بِتَشْدِيدِهَا.

عَنْ أَبِي قَتَادَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّهُ كَانَ يَطْلُبُ رَجُلًا بِحَقٍّ فَاخْتَبَأَ مِنْهُ، فَقَالَ: مَا حَمَلَكَ عَلَى ذَلِكَ؟ قَالَ: الْعُسْرَةُ، فَاسْتَحْلَفَهُ عَلَى ذَلِكَ فَحَلَفَ، فَدَعَا بِصَكِّهِ فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ وَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا أَوْ وَضَعَ لَهُ أَنْجَاهُ اللهُ مِنْ كَرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ»[(١)].

عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَلَقَّتْ رُوحَ رَجُلٍ كَانَ قَبْلَكُمْ فَقَالُوا لَهُ: هَلْ عَمِلْتَ خَيْرًا قَطُّ؟ قَالَ: لَا، قَالُوا: تَذَكَّرْ! قَالَ: لَا، إِلَّا أَنِّي رَجُلٌ كُنْتُ أُدَايِنُ النَّاسَ فَكُنْتُ آمُرُ فِتْيَانِي أَنْ يُنْظِرُوا الْمُوسِرَ وَيَتَجَاوَزُوا عَنِ الْمُعْسِرِ، قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تَجَاوَزُوا عَنْهُ»[(٢)].

عَنْ أَبِي الْيَسَرِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا أَوْ وَضَعَ عَنْهُ أَظَلَّهُ اللهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ»[(٣)].

---

(١) **صحيح:** مسلم: (١٥٦٣).

(٢) **صحيح:** البخاري: (٢٣٩١)، مسلم: (١٥٦١).

(٣) **صحيح:** مسلم: (٣٠١٤).

فَصْلٌ فِي الدَّيْنِ وَحُسْنِ قَضَائِهِ وَتَشْدِيدِ أَمْرِهِ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَجُلًا تَقَاضَى رَسُولَ الله ﷺ، فَأَغْلَظَ لَهُ، فَهَمَّ بِهِ أَصْحَابُهُ، فَقَالَ: «دَعُوهُ فَإِنَّ لِصَاحِبِ الحَقِّ مَقَالًا وَاشْتَرُوا لَهُ بَعِيرًا فَأَعْطُوهُ إِيَّاهُ»، قَالُوا: لَا نَجِدُ إِلَّا أَفْضَلَ مِنْ سِنِّهِ، قَالَ: «اشْتَرُوهُ فَأَعْطُوهُ إِيَّاهُ، فَإِنَّ خِيَارَكُمْ أَحْسَنُكُمْ قَضَاءً»(١).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «مَطْلُ الْغَنِيِّ ظُلْمٌ، وَإِذَا أُتْبِعَ أَحَدُكُمْ عَلَى مَلِيءٍ فَلْيَتْبَعْ»(٢).

وَعَنْهُ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «نَفْسُ الْمُؤْمِنِ مُعَلَّقَةٌ بِدَيْنِهِ حَتَّى يُقْضَى عَنْهُ»(٣).

عَنْ أَبِي قَتَادَةَ الأَنْصَارِيِّ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ أَرَأَيْتَ إِنْ قُتِلْتُ فِي سَبِيلِ الله صَابِرًا مُحْتَسِبًا مُقْبِلًا غَيْرَ مُدْبِرٍ يُكَفِّرُ اللهُ عَنِّي خَطَايَايَ؟ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «نَعَمْ»، فَلَمَّا أَدْبَرَ نَادَاهُ رَسُولُ الله ﷺ، أَوْ أَمَرَ بِهِ فَنُودِيَ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «كَيْفَ قُلْتَ؟» فَأَعَادَ عَلَيْهِ قَوْلَهُ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «نَعَمْ إِلَّا الدَّيْنَ، كَذَلِكَ قَالَ جِبْرِيلُ»(٤).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾: قَرَأَ أَهْلُ الْبَصْرَةِ بِفَتْحِ التَّاءِ، أَيْ: تَصِيرُونَ إِلَى الله، وَقَرَأَ الْآخَرُونَ بِضَمِّ التَّاءِ وَفَتْحِ الْجِيمِ، أَيْ: تُرَدُّونَ إِلَى الله تَعَالَى، ﴿ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾: قَالَ الشَّعْبِيُّ: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: آخِرُ آيَةٍ نَزَلَتْ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ آيَةُ الرِّبَا(٥).

---

(١) **صحيح:** البخاري: (٢٣٩٠)، ومسلم: (١٦٠١).

(٢) **صحيح:** البخاري: (٢٢٨٧)، ومسلم: (١٥٦٤).

(٣) **صحيح:** صحَّحه العلَّامة الألباني رحمه الله في "صحيح وضعيف سنن الترمذي" (١٠٧٩).

(٤) **صحيح:** مسلم: (١٨٨٥).

(٥) **صحيح:** البخاري: (٤٥٤٤).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ وَلۡيَكۡتُب بَّيۡنَكُمۡ كَاتِبُۢ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَلَا يَأۡبَ كَاتِبٌ أَن يَكۡتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُۚ فَلۡيَكۡتُبۡ وَلۡيُمۡلِلِ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ وَلۡيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبۡخَسۡ مِنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ فَإِن كَانَ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ سَفِيهًا أَوۡ ضَعِيفًا أَوۡ لَا يَسۡتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلۡيُمۡلِلۡ وَلِيُّهُۥ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَٱسۡتَشۡهِدُواْ شَهِيدَيۡنِ مِن رِّجَالِكُمۡۖ فَإِن لَّمۡ يَكُونَا رَجُلَيۡنِ فَرَجُلٞ وَٱمۡرَأَتَانِ مِمَّن تَرۡضَوۡنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحۡدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحۡدَىٰهُمَا ٱلۡأُخۡرَىٰۚ وَلَا يَأۡبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْۚ وَلَا تَسۡـَٔمُوٓاْ أَن تَكۡتُبُوهُ صَغِيرًا أَوۡ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقۡوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَرۡتَابُوٓاْ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةٗ تُدِيرُونَهَا بَيۡنَكُمۡ فَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَلَّا تَكۡتُبُوهَاۗ وَأَشۡهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعۡتُمۡۚ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٞ وَلَا شَهِيدٞۚ وَإِن تَفۡعَلُواْ فَإِنَّهُۥ فُسُوقُۢ بِكُمۡۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى﴾: **قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ** رضي الله عنهما: لَمَّا حَرَّمَ اللهُ الرِّبَا أَبَاحَ السَّلَمَ[(١)]، **وَقَالَ:** أَشْهَدُ أَنَّ السَّلَفَ المَضْمُونَ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى قَدْ أَحَلَّهُ اللهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ وَأَذِنَ فِيهِ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ﴾[(٢)].

قَوْلُهُ: ﴿إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ﴾: أَيْ: تَعَامَلْتُمْ بِالدَّيْنِ، يُقَالُ: (دَايَنْتُهُ) إِذَا عَامَلْتَهُ بِالدَّيْنِ، وَإِنَّمَا قَالَ ﴿بِدَيۡنٍ﴾ بَعْدَ قَوْلِهِ: ﴿إِذَا تَدَايَنتُم﴾؛ لِأَنَّ المُدَايَنَةَ قَدْ تَكُونُ مُجَازَاةً، وَقَدْ تَكُونُ مُعَاطَاةً، فَقَيَّدَهُ بِالدَّيْنِ؛ لِيُعْرَفَ المُرَادُ مِنَ اللَّفْظِ. **وَقِيلَ:** ذَكَرَهُ تَأْكِيدًا، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ﴾[الأنعام:٣٨]، ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى﴾: **الْأَجَلُ:** مُدَّةٌ مَعْلُومَةُ الْأَوَّلِ وَالْآخِرِ، وَالْأَجَلُ يَلْزَمُ فِي الثَّمَنِ فِي البَيْعِ وَفِي السَّلَمِ؛ حَتَّى لَا يَكُونَ لِصَاحِبِ الحَقِّ الطَّلَبُ قَبْلَ مَحِلِّهِ، وَفِي الْقَرْضِ لَا يَلْزَمُ الْأَجَلُ عِنْدَ أَكْثَرِ أَهْلِ الْعِلْمِ،

---

(١) **السَّلَمُ فِي اللُّغَةِ:** التقديمُ والتَّسليمُ، **وفِي الشَّرْعِ:** اسم لعقد يوجب الملك للبائع في الثمن عاجلًا، وللمشتري في الثمن آجلًا، فالمبيع يسمى مسلمًا به، والثمن، يسمى: رأس المال، والبائع يسمى: مسلمًا إليه، والمشتري يسمى: رب السلم.اهـ «التعريفات» صـ(١٢٠).

(٢) **صحيح:** صحَّحه العلَّامة الألباني رحمه الله في «الإرواء» (١٣٦٩).

﴿فَٱكۡتُبُوهُۚ﴾: أَيِ: اكْتُبُوا الَّذِي تَدَايَنْتُمْ بِهِ بَيْعًا كَانَ أَوْ سَلَمًا أَوْ قَرْضًا، **وَاخْتَلَفُوا فِي هَذِهِ الْكِتَابَةِ: فَقَالَ بَعْضُهُمْ**: هِيَ وَاجِبَةٌ، **وَالْأَكْثَرُونَ** عَلَى أَنَّهُ أَمْرُ اسْتِحْبَابٍ، فَإِنْ تُرِكَ فَلَا بَأْسَ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾[الجُمُعَة:١٠]، ثُمَّ بَيَّنَ كَيْفِيَّةَ الْكِتَابَةِ فَقَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿وَلۡيَكۡتُب بَّيۡنَكُمۡ﴾: أَيْ: لِيَكْتُبْ كِتَابَ الدَّيْنِ بَيْنَ الطَّالِبِ وَالمَطْلُوبِ ﴿كَاتِبُۢ بِٱلۡعَدۡلِۚ﴾: أَيْ: بِالْحَقِّ مِنْ غَيْرِ زِيَادَةٍ وَلَا نُقْصَانٍ وَلَا تَقْدِيمِ أَجَلٍ وَلَا تَأْخِيرٍ، ﴿وَلَا يَأۡبَ﴾: أَيْ: لَا يَمْتَنِعُ ﴿كَاتِبٌ أَن يَكۡتُبَ﴾: **وَاخْتَلَفُوا فِي وُجُوبِ الْكِتَابَةِ عَلَى الْكَاتِبِ وَتَحَمُّلِ الشَّهَادَةِ عَلَى الشَّاهِدِ: فَذَهَبَ قَوْمٌ** إِلَى وُجُوبِهَا إِذَا طُولِبَ وَهُوَ قَوْلُ مُجَاهِدٍ، **وَقَالَ الحَسَنُ**: يَجِبُ إِذَا لَمْ يَكُنْ كَاتِبٌ غَيْرُهُ، **وَقَالَ قَوْمٌ**: هُوَ عَلَى النَّدْبِ وَالِاسْتِحْبَابِ، **وَقَالَ الضَّحَّاكُ**: كَانَتْ عَزِيمَةً وَاجِبَةً عَلَى الْكَاتِبِ وَالشَّاهِدِ فَنَسَخَهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٞ وَلَا شَهِيدٞۚ﴾، ﴿كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُۚ﴾: أَيْ: كَمَا شَرَعَهُ اللهُ وَأَمَرَهُ، ﴿فَلۡيَكۡتُبۡ وَلۡيُمۡلِلِ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ﴾: يَعْنِي المَطْلُوبُ يُقِرُّ عَلَى نَفْسِهِ بِلِسَانِهِ لِيَعْلَمَ مَا عَلَيْهِ، **وَالْإِمْلَالُ وَالْإِمْلَاءُ**: لُغَتَانِ فَصِيحَتَانِ مَعْنَاهُمَا وَاحِدٌ جَاءَ بِهِمَا الْقُرْآنُ، فَالْإِمْلَالُ هَاهُنَا، وَالْإِمْلَاءُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا﴾[الفُرْقَان:٥]، ﴿وَلۡيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ﴾: يَعْنِي: المُمْلِي، ﴿وَلَا يَبۡخَسۡ مِنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ﴾: أَيْ: لَا يَنْقُصْ مِنْهُ، أَيْ: مِنَ الحَقِّ الَّذِي عَلَيْهِ شَيْئًا، ﴿فَإِن كَانَ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ سَفِيهًا﴾: أَيْ: جَاهِلًا بِالْإِمْلَاءِ، **قَالَهُ مُجَاهِدٌ. وَقَالَ الضَّحَّاكُ وَالسُّدِّيُّ**: طِفْلًا صَغِيرًا، **وَقَالَ الشَّافِعِيُّ** رَحِمَهُ اللَّهُ: السَّفِيهُ المُبَذِّرُ المُفْسِدُ لِمَالِهِ أَوْ فِي دِينِهِ.

قَوْلُهُ: ﴿أَوۡ ضَعِيفًا﴾: أَيْ: شَيْخًا كَبِيرًا، **وَقِيلَ**: هُوَ ضَعِيفُ الْعَقْلِ لِعَتَهٍ أَوْ جُنُونٍ، ﴿أَوۡ لَا يَسۡتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ﴾: لِخَرَسٍ أَوْ عَيٍّ أَوْ عُجْمَةٍ أَوْ حَبْسٍ أَوْ غَيْبَةٍ لَا يُمْكِنُهُ حُضُورُ الْكِتَابَةِ أَوْ جَهْلٌ بِمَا لَهُ وَعَلَيْهِ، ﴿فَلۡيُمۡلِلۡ وَلِيُّهُۥ﴾: أَيْ: قَيِّمُهُ ﴿بِٱلۡعَدۡلِۚ﴾: أَيْ: بِالصِّدْقِ وَالْحَقِّ، **وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا **وَمُقَاتِلٌ**: أَرَادَ بِالْوَلِيِّ صَاحِبَ الْحَقِّ، يَعْنِي: إِنْ عَجَزَ مَنْ عَلَيْهِ الْحَقُّ مِنَ الْإِمْلَالِ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّ الْحَقِّ وَصَاحِبُ الدَّيْنِ بِالْعَدْلِ؛ لِأَنَّهُ أَعْلَمُ بِحَقِّهِ، ﴿وَٱسۡتَشۡهِدُواْ﴾: أَيْ: وَأَشْهِدُوا ﴿شَهِيدَيۡنِ﴾: أَيْ: شَاهِدَيْنِ ﴿مِن رِّجَالِكُمۡۖ﴾:

يَعْنِي: الْأَحْرَارَ الْمُسْلِمِينَ دُونَ الْعَبِيدِ وَالصِّبْيَانِ وَالْكُفَّارِ، وَهُوَ قَوْلُ أَكْثَرِ أَهْلِ الْعِلْمِ، وَأَجَازَ شُرَيْحٌ وَابْنُ سِيرِينَ شَهَادَةَ الْعَبِيدِ، ﴿فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ﴾: أَيْ: لَمْ يَكُنِ الشَّاهِدَانِ رَجُلَيْنِ، ﴿فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ﴾: أَيْ فَلْيَشْهَدْ رَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ، **وَأَجْمَعَ الْفُقَهَاءُ** عَلَى أَنَّ شَهَادَةَ النِّسَاءِ جَائِزَةٌ مَعَ الرِّجَالِ فِي الْأَمْوَالِ حَتَّى تَثْبُت بِرَجُلٍ وَامْرَأَتَيْنِ، **وَاخْتَلَفُوا فِي غَيْرِ الْأَمْوَالِ: فَذَهَبَ جَمَاعَةٌ:** إِلَى أَنَّهُ يَجُوزُ شَهَادَتَيْنِ مَعَ الرِّجَالِ فِي غَيْرِ الْعُقُوبَاتِ، وَهُوَ قَوْلُ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ وَأَصْحَابِ الرَّأْيِ، **وَذَهَبُ جَمَاعَةٌ:** إِلَى أَنَّ غَيْرَ الْمَالِ لَا يَثْبُتُ إِلَّا بِرَجُلَيْنِ عَدْلَيْنِ، **وَذَهَبَ الشَّافِعِيُّ** رَحِمَهُ اللَّهُ إِلَى أَنَّ مَا يَطَّلِعُ عَلَيْهِ النِّسَاءُ غَالِبًا كَالْوِلَادَةِ وَالرَّضَاعِ وَالثُّيُوبَةِ وَالْبَكَارَةِ وَنَحْوِهَا يَثْبُتُ بِشَهَادَةِ رَجُلٍ وَامْرَأَتَيْنِ، وَشَهَادَةِ أَرْبَعِ نِسْوَةٍ، وَاتَّفَقُوا عَلَى أَنَّ شَهَادَةَ النِّسَاءِ غَيْرُ جَائِزَةٍ فِي الْعُقُوبَاتِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ﴾: يَعْنِي: مَنْ كَانَ مَرْضِيًّا فِي دِيَانَتِهِ وَأَمَانَتِهِ، **وَشَرَائِطُ قَبُولِ الشَّهَادَةِ سَبْعَةٌ:** الْإِسْلَامُ، وَالْحُرِّيَّةُ، وَالْعَقْلُ، وَالْبُلُوغُ، وَالْعَدَالَةُ، وَالْمُرُوءَةُ، وَانْتِفَاءُ التُّهْمَةِ، فَشَهَادَةُ الْكَافِرِ مَرْدُودَةٌ؛ لِأَنَّ الْمَعْرُوفِينَ بِالْكَذِبِ عَلَى النَّاسِ لَا تَجُوزُ شَهَادَتُهُمْ، فَالَّذِي يَكْذِبُ عَلَى اللهِ تَعَالَى أَوْلَى أَنْ يَكُونَ مَرْدُودَ الشَّهَادَةِ، وَجَوَّزَ أَصْحَابُ الرَّأْيِ شَهَادَةَ أَهْلِ الذِّمَّةِ بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ، وَلَا تُقْبَلُ شَهَادَةُ الْعَبِيدِ، وَأَجَازَهَا شُرَيْحٌ وَابْنُ سِيرِينَ، وَهُوَ قَوْلُ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَلَا قَوْلَ لِلْمَجْنُونِ حَتَّى يَكُونَ لَهُ شَهَادَةٌ، وَلَا تَجُوزُ شَهَادَةُ الصِّبْيَانِ، وَالْعَدَالَةُ شَرْطٌ، وَهِيَ أَنْ يَكُونَ الشَّاهِدُ مُجْتَنِبًا لِلْكَبَائِرِ غَيْرَ مُصِرٍّ عَلَى الصَّغَائِرِ، وَالْمُرُوءَةُ شَرْطٌ، وَهِيَ مَا يَتَّصِلُ بِآدَابِ النَّفْسِ مِمَّا يُعْلَمُ أَنَّ تَارِكَهُ قَلِيلُ الْحَيَاءِ، وَهِيَ حُسْنُ الْهَيْئَةِ وَالسِّيرَةِ وَالْعِشْرَةِ وَالصِّنَاعَةِ، فَإِنْ كَانَ الرَّجُلُ يَظْهَرُ مِنْ نَفْسِهِ شَيْءٌ مِمَّا يَسْتَحِي أَمْثَالُهُ مِنْ إِظْهَارِهِ فِي الْأَغْلَبِ يُعْلَمُ بِهِ قِلَّةُ مُرُوءَتِهِ، وَتُرَدُّ شَهَادَتُهُ، وَانْتِفَاءُ التُّهْمَةِ شَرْطٌ حَتَّى لَا تُقْبَلَ شَهَادَةُ الْعَدُوِّ عَلَى الْعَدُوِّ، وَإِنْ كَانَ مَقْبُولَ الشَّهَادَةِ عَلَى غَيْرِهِ؛ لِأَنَّهُ مُتَّهَمٌ فِي حَقِّ عَدُوِّهِ، وَلَا تُقْبَلُ شَهَادَةُ الرَّجُلِ لِوَلَدِهِ وَوَالِدِهِ وَإِنْ كَانَ مَقْبُولَ الشَّهَادَةِ عَلَيْهِمَا، وَلَا تُقْبَلُ شَهَادَةُ مَنْ يَجُرُّ إِلَى نَفْسِهِ بِشَهَادَتِهِ نَفْعًا، كَالْوَارِثِ يَشْهَدُ عَلَى رَجُلٍ بِقَتْلِ مُوَرِّثِهِ، أَوْ يَدْفَعُ عَنْ نَفْسِهِ

بِشَهَادَتِهِ ضَرَرًا، كَالْمَشْهُودِ عَلَيْهِ يَشْهَدُ بِجُرْحِ مَنْ يَشْهَدُ عَلَيْهِ؛ لِتَمَكُّنِ التُّهْمَةِ فِي شَهَادَتِهِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ﴾: قَرَأَ حَمْزَةُ: ﴿إِنْ تَضِلَّ﴾ بِكَسْرِ الْأَلِفِ، ﴿فَتُذَكِّرُ﴾ بِرَفْعِ الرَّاءِ، وَمَعْنَاهُ الْجَزَاءُ وَالِابْتِدَاءُ، وَمَوْضِعُ تَضِلَّ: جَزْمٌ بِالْجَزَاءِ إِلَّا أَنَّهُ لَا يَتَبَيَّنُ فِي التَّضْعِيفِ، ﴿فَتُذَكِّرُ﴾ رُفِعَ؛ لِأَنَّ مَا بَعْدَ فَاءِ الْجَزَاءِ مُبْتَدَأٌ، وَقِرَاءَةُ الْعَامَّةِ بِفَتْحِ الْأَلِفِ وَنَصْبِ الرَّاءِ عَلَى الِاتِّصَالِ بِالْكَلَامِ الْأَوَّلِ، وَ﴿تَضِلَّ﴾: مَحَلُّهُ نَصْبٌ بِـ(أَنْ)، ﴿فَتُذَكِّرَ﴾: مَنْسُوقٌ عَلَيْهِ، وَمَعْنَى الْآيَةِ: فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ كَيْ تُذَكِّرَ ﴿إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ﴾: وَمَعْنَى: ﴿تَضِلَّ﴾: تَنْسَى، يُرِيدُ إِذَا نَسِيَتْ إِحْدَاهُمَا شَهَادَتَهَا تُذَكِّرُهَا الْأُخْرَى، فَتَقُولُ: أَلَسْنَا حَضَرْنَا مَجْلِسَ كَذَا وَسَمِعْنَا كَذَا؟ قَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ وَأَهْلُ الْبَصْرَةِ: ﴿فَتُذَكِّرَ﴾ مُخَفَّفًا، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ مُشَدَّدًا، وَ(ذَكَرَ، وَاذَّكَّرَ) بِمَعْنًى وَاحِدٍ، وَهُمَا مُتَعَدِّيَانِ، مِنَ الذِّكْرِ الَّذِي هُوَ ضِدُّ النِّسْيَانِ، **وَحُكِيَ عَنْ سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ** أَنَّهُ قَالَ: هُوَ مِنَ الذِّكْرِ أَيْ: تَجْعَلُ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى ذِكْرًا، أَيْ: تَصِيرُ شَهَادَتُهُمَا كَشَهَادَةِ ذِكْرٍ، وَالْأَوَّلُ أَصَحُّ؛ لِأَنَّهُ مَعْطُوفٌ عَلَى النِّسْيَانِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُوا۟﴾: **قِيلَ**: أَرَادَ بِهِ إِذَا مَا دُعُوا لِتَحَمُّلِ الشَّهَادَةِ، سَمَّاهُمْ شُهَدَاءَ عَلَى مَعْنَى أَنَّهُمْ يَكُونُونَ شُهَدَاءَ، وَهُوَ أَمْرُ إِيجَابٍ عِنْدَ بَعْضِهِمْ، **وَقَالَ قَوْمٌ**: تَجِبُ الْإِجَابَةُ إِذَا لَمْ يَكُنْ غَيْرُهُمْ، فَإِنْ وُجِدَ غَيْرُهُمْ فَهُمْ مُخَيَّرُونَ، وَهُوَ قَوْلُ الْحَسَنِ، **وَقَالَ قَوْمٌ**: هُوَ أَمْرُ نَدْبٍ وَهُوَ مُخَيَّرٌ فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ، **وَقَالَ بَعْضُهُمْ**: هَذَا فِي إِقَامَةِ الشَّهَادَةِ وَأَدَائِهَا، فَمَعْنَى الْآيَةِ: ﴿وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُوا۟﴾ لِأَدَاءِ الشَّهَادَةِ الَّتِي تَحَمَّلُوهَا، وَهُوَ قَوْلُ مُجَاهِدٍ وَعَطَاءٍ وَعِكْرِمَةَ وَسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، **وَقَالَ الشَّعْبِيُّ**: الشَّاهِدُ بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يَشْهَدْ، **وَقَالَ الْحَسَنُ**: الْآيَةُ فِي الْأَمْرَيْنِ جَمِيعًا، فِي التَّحَمُّلِ وَالْإِقَامَةِ إِذَا كَانَ فَارِغًا، ﴿وَلَا تَسْـَٔمُوٓا۟﴾: أَيْ: وَلَا تَمَلُّوا ﴿أَن تَكْتُبُوهُ﴾: **الْهَاءُ**: رَاجِعَةٌ إِلَى الْحَقِّ ﴿صَغِيرًا﴾: كَانَ الْحَقُّ ﴿أَوْ كَبِيرًا﴾: قَلِيلًا كَانَ أَوْ كَثِيرًا ﴿إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦ﴾:

إِلَى مَحَلِّ الْحَقِّ، ﴿ذَٰلِكُمْ﴾: أَيِ: الْكِتَابُ، ﴿أَقْسَطُ﴾: أَعْدَلُ ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾؛ لِأَنَّهُ أَمَرَ بِهِ، وَاتِّبَاعُ أَمْرِهِ أَعْدَلُ مِنْ تَرْكِهِ، ﴿وَأَقْوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ﴾؛ لِأَنَّ الْكِتَابَةَ تُذَكِّرُ الشُّهُودَ، ﴿وَأَدْنَىٰٓ﴾: وَأَحْرَى وَأَقْرَبُ إِلَى ﴿أَلَّا تَرْتَابُوٓاْ﴾: تَشُكُّوا فِي الشَّهَادَةِ، ﴿إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةً﴾: قَرَأَهُمَا عَاصِمٌ بِالنَّصْبِ عَلَى خَبَرِ (كَانَ)، وَأَضْمَرَ الِاسْمَ، مَجَازُهُ: إِلَّا أَنْ تَكُونَ التِّجَارَةُ تِجَارَةً، أَوِ الْمُبَايَعَةُ تِجَارَةً، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بِالرَّفْعِ، وَلَهُ وَجْهَانِ، أَحَدُهُمَا: أَنْ تَجْعَلَ الْكَوْنَ بِمَعْنَى الْوُقُوعِ، مَعْنَاهُ: إِلَّا أَنْ تَقَعَ تِجَارَةٌ، وَالثَّانِي: أَنْ تَجْعَلَ الِاسْمَ فِي التِّجَارَةِ وَالْخَبَرَ فِي الْفِعْلِ، وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ﴾: تَقْدِيرُهُ: إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً دَائِرَةً بَيْنَكُمْ، وَمَعْنَى الْآيَةِ: إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً يَدًا بِيَدٍ تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ لَيْسَ فِيهَا أَجَلٌ، ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا﴾: يَعْنِي: التِّجَارَةَ، ﴿وَأَشْهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾: **قَالَ الضَّحَّاكُ**: هُوَ عَزْمٌ مِنَ اللهِ تَعَالَى، **وَالْإِشْهَادُ**: وَاجِبٌ فِي صَغِيرِ الْحَقِّ وَكَبِيرِهِ نَقْدًا أَوْ نَسِيئًا، **وَقَالَ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الْأَمْرُ فِيهِ إِلَى الْأَمَانَةِ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾[البَقَرَة:٢٨٣] الْآيَةَ، **وَقَالَ الْآخَرُونَ**: هُوَ أَمْرُ نَدْبٍ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾: هَذَا نَهْيٌ لِلْغَائِبِ، وَأَصْلُهُ: (يُضَارِرْ) فَأُدْغِمَتْ إِحْدَى الرَّاءَيْنِ فِي الْأُخْرَى وَنُصِبَتْ لِحَقِّ التَّضْعِيفِ لِاجْتِمَاعِ السَّاكِنَيْنِ، **وَاخْتَلَفُوا فِيهِ**: **فَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ**: أَصْلُهُ: (يُضَارِرْ) بِكَسْرِ الرَّاءِ الْأُولَى، وَجَعَلَ الْفِعْلَ لِلْكَاتِبِ وَالشَّهِيدِ، مَعْنَاهُ: لَا يُضَارِرِ الْكَاتِبُ فَيَأْبَى أَنْ يَكْتُبَ وَلَا الشَّهِيدُ فَيَأْبَى أَنْ يَشْهَدَ، وَلَا يُضَارَّ الْكَاتِبُ فَيَزِيدُ أَوْ يَنْقُصُ أَوْ يُحَرِّفُ مَا أُمْلِيَ عَلَيْهِ وَلَا الشَّهِيدُ فَيَشْهَدُ بِمَا لَمْ يُسْتَشْهَدْ عَلَيْهِ، وَهَذَا قَوْلُ طَاوُسٍ وَالْحَسَنِ وَقَتَادَةَ، **وَقَالَ قَوْمٌ**: أَصْلُهُ: (يُضَارَرْ) بِفَتْحِ الرَّاءِ عَلَى الْفِعْلِ الْمَجْهُولِ، وَجَعَلُوا الْكَاتِبَ وَالشَّهِيدَ مَفْعُولَيْنِ، وَمَعْنَاهُ: أَنْ يَدْعُوَ الرَّجُلُ الْكَاتِبَ أَوِ الشَّاهِدَ وَهُمَا عَلَى شُغْلٍ مُهِمٍّ فَيَقُولَانِ: نَحْنُ عَلَى شُغْلٍ مُهِمٍّ فَاطْلُبْ غَيْرَنَا، فَيَقُولُ الدَّاعِي: إِنَّ اللهَ أَمَرَكُمَا أَنْ تُجِيبَا وَيَلِحَّ عَلَيْهِمَا فَيَشْغَلُهُمَا عَنْ حَاجَتِهِمَا فَنَهَى عَنْ ذَلِكَ، وَأَمَرَ بِطَلَبِ غَيْرِهِمَا، ﴿وَإِن تَفْعَلُواْ﴾: مَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ مِنَ

الضَّرَرِ ﴿فَإِنَّهُۥ فُسُوقُۢ بِكُمْۗ﴾: أَيْ: مَعْصِيَةٌ وَخُرُوجٌ عَنِ الْأَمْرِ، ﴿وَاتَّقُواْ اللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُۗ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٞ﴾.

﴿۞ وَإِن كُنتُمۡ عَلَىٰ سَفَرٖ وَلَمۡ تَجِدُواْ كَاتِبٗا فَرِهَٰنٞ مَّقۡبُوضَةٞۖ فَإِنۡ أَمِنَ بَعۡضُكُم بَعۡضٗا فَلۡيُؤَدِّ ٱلَّذِي ٱؤۡتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلۡيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥۗ وَلَا تَكۡتُمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَۚ وَمَن يَكۡتُمۡهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٞ قَلۡبُهُۥۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ﴾

﴿وَإِن كُنتُمۡ عَلَىٰ سَفَرٖ وَلَمۡ تَجِدُواْ كَاتِبٗا فَرِهَٰنٞ مَّقۡبُوضَةٞۖ﴾: قَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ وَأَبُو عَمْرٍو: ﴿فَرُهُنٌ﴾ بِضَمِّ الْهَاءِ وَالرَّاءِ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ: ﴿فَرِهَٰنٞ﴾ وَهُوَ جَمْعُ: (رَهْنٍ)، مِثْلُ: (بَغْلٍ وَبِغَالٍ، وَجَبَلٍ وَجِبَالٍ) وَ(الرُّهُنُ) جَمْعُ (الرِّهَانِ)، جَمْعُ الْجَمْعِ، **قَالَهُ الْفَرَّاءُ وَالْكِسَائِيُّ**، **وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ وَغَيْرُهُ**: هُوَ جَمْعُ (الرَّهْنِ) أَيْضًا، مِثْلُ: (سَقْفٍ وَسُقُفٍ)، **وَقَالَ أَبُو عَمْرٍو**: وَإِنَّمَا قَرَأْنَا ﴿فَرُهُنٌ﴾؛ لِيَكُونَ فَرْقًا بَيْنَهَا وَبَيْنَ رِهَانِ الْخَيْلِ، وَقَرَأَ عِكْرِمَةُ: ﴿فَرُهْنٌ﴾ بِضَمِّ الرَّاءِ وَسُكُونِ الْهَاءِ، وَالتَّخْفِيفُ وَالتَّثْقِيلُ فِي الرُّهْنِ لُغَتَانِ، مِثْلُ: (كُتْبٍ وَكُتُبٍ، وَرُسْلٍ وَرُسُلٍ)، وَمَعْنَى الْآيَةِ: وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا آلَاتَ الْكِتَابَةِ فَارْتَهِنُوا مِمَّنْ تُدَايِنُونَهُ رُهُونًا؛ لِتَكُونَ وَثِيقَةً لَكُمْ بِأَمْوَالِكُمْ.

وَاتَّفَقُوا عَلَى أَنَّ الرَّهْنَ لَا يَتِمُّ إِلَّا بِالْقَبْضِ، وَقَوْلُهُ: ﴿فَرِهَٰنٞ مَّقۡبُوضَةٞۖ﴾: أَيِ: ارْتَهِنُوا وَاقْبِضُوا حَتَّى لَوْ رَهَنَ وَلَمْ يُسَلِّمْ فَلَا يُجْبَرُ الرَّاهِنُ عَلَى التَّسْلِيمِ، فَإِذَا سَلَّمَ لَزِمَ مِنْ جِهَةِ الرَّاهِنِ، حَتَّى لَا يَجُوز لَهُ أَنْ يَسْتَرْجِعَهُ مَا دَامَ شَيْءٌ مِنَ الْحَقِّ بَاقِيًا. وَيَجُوزُ فِي الْحَضَرِ الرَّهْنُ مَعَ وُجُودِ الْكَاتِبِ، وَقَالَ مُجَاهِدٌ: لَا يَجُوزُ الرَّهْنُ إِلَّا فِي السَّفَرِ عِنْدَ عَدَمِ الْكَاتِبِ لِظَاهِرِ الْآيَةِ، وَعِنْدَ الْآخَرِينَ: خَرَجَ الْكَلَامُ فِي الْآيَةِ عَلَى الْأَعَمِّ الْأَغْلَبِ لَا عَلَى سَبِيلِ الشَّرْطِ، وَالدَّلِيلُ عَلَيْهِ مَا رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ رَهَنَ دِرْعَهُ عِنْدَ أَبِي الشَّحْمِ الْيَهُودِيِّ[1]، وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ فِي السَّفَرِ وَلَا عِنْدَ عَدَمِ كَاتِبٍ.

---

(١) **صحيح**: البخاري: (٢٩١٦) عن عائشة رضي الله عنها.

﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾: وَفِي حَرْفِ أُبَيٍّ: ﴿فَإِنِ ائْتَمَنَ﴾، يَعْنِي: فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ أَمِينًا عِنْدَ صَاحِبِ الْحَقِّ فَلَمْ يَرْتَهِنْ مِنْهُ شَيْئًا لِحُسْنِ ظَنِّهِ بِهِ ﴿فَلْيُؤَدِّ الَّذِى اؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ﴾: أَيْ: فَلْيَقْضِهِ عَلَى الْأَمَانَةِ، ﴿وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُۥ﴾: فِي أَدَاءِ الْحَقِّ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى خِطَابِ الشُّهُودِ فَقَالَ: ﴿وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَٰدَةَ﴾: إِذَا دُعِيتُمْ إِلَى إِقَامَتِهَا، نَهَى عَنْ كِتْمَانِ الشَّهَادَةِ وَأَوْعَدَ عَلَيْهِ فَقَالَ: ﴿وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ﴾: أَيْ: فَاجِرٌ قَلْبُهُ، قِيلَ: مَا أَوْعَدَ اللهُ عَلَى شَيْءٍ كَإِيعَادِهِ عَلَى كِتْمَانِ الشَّهَادَةِ، قَالَ: ﴿فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ﴾، وَأَرَادَ بِهِ مَسْخَ الْقَلْبِ نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ ذَلِكَ ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ مِنْ بَيَانِ الشَّهَادَةِ وَكِتْمَانِهَا ﴿عَلِيمٌ﴾.

﴿لِّلَّهِ مَا فِي السَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِن تُبْدُوا مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾

﴿لِّلَّهِ مَا فِي السَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾: مُلْكًا وَأَهْلُهَا لَهُ عَبِيدٌ وَهُوَ مَالِكُهُمْ، ﴿وَإِن تُبْدُوا مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾: **اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: فَقَالَ قَوْمٌ**: هِيَ خَاصَّةٌ، **ثُمَّ اخْتَلَفُوا فِي وَجْهِ خُصُوصِهَا: فَقَالَ بَعْضُهُمْ**: هِيَ مُتَّصِلَةٌ بِالْآيَةِ الْأُولَى نَزَلَتْ فِي كِتْمَانِ الشَّهَادَةِ، مَعْنَاهُ: ﴿وَإِن تُبْدُوا مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ﴾ أَيُّهَا الشُّهُودُ مِنْ كِتْمَانِ الشَّهَادَةِ ﴿أَوْ تُخْفُوهُ﴾ الْكِتْمَانُ ﴿يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ﴾، وَهُوَ قَوْلُ الشَّعْبِيِّ وَعِكْرِمَةَ، **وَقَالَ بَعْضُهُمْ**: نَزَلَتْ فِيمَنْ يَتَوَلَّى الْكَافِرِينَ دُونَ الْمُؤْمِنِينَ، يَعْنِي: وَإِنْ تُعْلِنُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ مِنْ وِلَايَةِ الْكُفَّارِ أَوْ تُسِرُّوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللهُ، وَهُوَ قَوْلُ مُقَاتِلٍ، كَمَا ذَكَرَ فِي سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ: ﴿لَّا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ إِلَى أَنْ قَالَ: ﴿قُلْ إِن تُخْفُوا مَا فِى صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ﴾[آلِ عِمْرَان:٢٩] **وَذَهَبَ الْأَكْثَرُونَ** إِلَى أَنَّ الْآيَةَ عَامَّةٌ، **ثُمَّ اخْتَلَفُوا فِيهَا: فَقَالَ قَوْمٌ**: هِيَ مَنْسُوخَةٌ بِالْآيَةِ الَّتِي بَعْدَهَا، وَالدَّلِيلُ عَلَيْهِ مَا جَاءَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: لَمَّا أَنْزَلَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ: ﴿لِّلَّهِ مَا فِي السَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِن تُبْدُوا مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ﴾ الْآيَةَ، قَالَ: اشْتَدَّ عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ

فَأَتَوْا رَسُولَ الله ﷺ ثُمَّ بَرَكُوا عَلَى الرُّكَبِ فَقَالُوا: أَيْ رَسُولَ الله، كُلِّفْنَا مِنَ الْأَعْمَالِ مَا نُطِيقُ: الصَّلَاةُ وَالصِّيَامُ وَالْجِهَادُ وَالصَّدَقَةُ، وَقَدْ أُنْزِلَتْ عَلَيْكَ هَذِهِ الْآيَةُ وَلَا نُطِيقُهَا، قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**أَتُرِيدُونَ أَنْ تَقُولُوا كَمَا قَالَ أَهْلُ الْكِتَابَيْنِ مِنْ قَبْلِكُمْ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا؟ بَلْ قُولُوا**: ﴿سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾»، فَلَمَّا قَرَأَهَا الْقَوْمُ وَذَلَّتْ بِهَا أَلْسِنَتُهُمْ أَنْزَلَ اللهُ فِي إِثْرِهَا: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾، فَلَمَّا فَعَلُوا ذَلِكَ نَسَخَهَا اللهُ تَعَالَى فَأَنْزَلَ اللهُ ﷻ: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ﴾، قَالَ: «**نَعَمْ**»، ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ﴾، قَالَ: «**نَعَمْ**»، ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ﴾، قَالَ: «**نَعَمْ**»، ﴿وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾، قَالَ: «**نَعَمْ**»[(١)]. وَرَوَى سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ **عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ** رضي الله عنهما بِمَعْنَاهُ، وَقَالَ فِي كُلِّ ذَلِكَ: «**قَدْ فَعَلْتُ**» بَدَلَ قَوْلِهِ: «**نَعَمْ**»[(٢)]، وَهَذَا قَوْلُ ابْنِ مَسْعُودٍ وَابْنِ عَبَّاسٍ وَابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهم، وَإِلَيْهِ ذَهَبَ مُحَمَّدُ بْنُ سِيرِينَ وَمُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ وَقَتَادَةُ وَالْكَلْبِيُّ.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ اللهَ تَجَاوَزَ عَنْ أُمَّتِي مَا وَسْوَسَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا مَا لَمْ تَتَكَلَّمْ أَوْ تَعْمَلْ بِهِ**»[(٣)].

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: الْآيَةُ غَيْرُ مَنْسُوخَةٍ؛ لِأَنَّ النَّسْخَ لَا يَرِدُ عَلَى الْإِخْبَارِ، إِنَّمَا يَرِدُ عَلَى الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ، **وَقَوْلُهُ**: ﴿يُحَاسِبۡكُم بِهِ ٱللَّهُۖ﴾: خَبَرٌ لَا يَرِدُ عَلَيْهِ النَّسْخُ، **ثُمَّ اخْتَلَفُوا فِي**

---

(١) **صحيح**: مسلم: (١٢٥)، وأورده العلَّامة الإمام الوادعي رحمه الله في كتابه "الصحيح المسند من أسباب النزول" ص(٥٠-٥١).

(٢) **صحيح**: مسلم: (١٢٦)، وأورده العلَّامة الإمام الوادعي رحمه الله في كتابه "الصحيح المسند من أسباب النزول" ص(٥١).

(٣) **صحيح**: البخاري: (٢٥٢٨)، ومسلم: (١٢٧).

تَأْوِيلِهَا: فَقَالَ قَوْمٌ: قَدْ أَثْبَتَ اللهُ تَعَالَى لِلْقَلْبِ كَسْبًا، فَقَالَ: ﴿بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾[الْبَقَرَة: ٢٢٥]، فَلَيْسَ لله عَبْدٌ أَسَرَّ عَمَلًا أَوْ أَعْلَنَهُ مِنْ حَرَكَةٍ مِنْ جَوَارِحِهِ أَوْ هَمْسَةٍ فِي قَلْبِهِ إِلَّا يَجْزِهِ اللهُ بِهِ وَيُحَاسِبُهُ عَلَيْهِ، ثُمَّ يَغْفِرُ بِمَا يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ بِمَا يَشَاءُ، وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِ الْحَسَنِ، يَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإِسْرَاء:٣٦]، **وَقَالَ الْآخَرُونَ:** مَعْنَى الْآيَةِ: أَنَّ اللهَ ﷻ يُحَاسِبُ خَلْقَهُ بِجَمِيعِ مَا أَبْدَوْا مِنْ أَعْمَالِهِمْ أَوْ أَخْفَوْهُ وَيُعَاقِبُهُمْ عَلَيْهِ، غَيْرَ أَنَّ مُعَاقَبَتَهُ عَلَى مَا أَخْفَوْهُ مِمَّا لَمْ يَعْمَلُوهُ بِمَا يَحْدُثُ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا مِنَ النَّوَائِبِ وَالْمَصَائِبِ وَالْأُمُورِ الَّتِي يَحْزَنُونَ عَلَيْهَا.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، عَنْ رَسُولِ الله ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**إِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدِهِ الْخَيْرَ عَجَّلَ لَهُ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا، وَإِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدِهِ الشَّرَّ أَمْسَكَ عَلَيْهِ بِذَنْبِهِ حَتَّى يُوَافِيَهُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»[(١)].

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: ﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ﴾: يَعْنِي: مَا فِي قُلُوبِكُمْ مِمَّا عَزَمْتُمْ عَلَيْهِ ﴿أَوْ تُخْفُوهُ﴾: وَلَا تُبْدُوهُ وَأَنْتُم عَازِمُونَ عَلَيْهِ ﴿يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾: فَأَمَّا مَا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسُكُمْ مِمَّا لَمْ تَعْزِمُوا عَلَيْهِ فَإِنَّ ذَلِكَ مِمَّا لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَها، وَلَا يُؤَاخِذُكُمْ بِهِ، دَلِيلُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾[الْبَقَرَة:٢٢٥] **قَالَ عَبْدُ الله بْنُ الْمُبَارَكِ:** قُلْتُ لِسُفْيَانَ: أَيُؤَاخِذُ اللهُ الْعَبْدَ بِالْهِمَّةِ؟ قَالَ: إِذَا كَانَ عَزْمًا أُخِذَ بِهَا، **وَقِيلَ:** مَعْنَى الْمُحَاسَبَةِ: الْإِخْبَارُ وَالتَّعْرِيفُ، وَمَعْنَى الْآيَةِ: ﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ﴾: فَتَعْمَلُوا بِهِ ﴿أَوْ تُخْفُوهُ﴾: مِمَّا أَضْمَرْتُمْ وَنَوَيْتُمْ، ﴿يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾: وَيُخْبِرْكُمْ بِهِ وَيُعَرِّفْكُمْ إِيَّاهُ، ثُمَّ يَغْفِرُ لِلْمُؤْمِنِينَ إِظْهَارًا لِفَضْلِهِ، وَيُعَذِّبُ الْكَافِرِينَ إِظْهَارًا لِعَدْلِهِ، وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِ الضَّحَّاكِ، وَيُرْوَى ذَلِكَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، يَدُلُّ عَلَيْهِ أَنَّهُ قَالَ: ﴿يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾، وَلَمْ يَقُلْ: يُؤَاخِذْكُمْ بِهِ، وَالْمُحَاسَبَةُ غَيْرُ الْمُؤَاخَذَةِ، وَالدَّلِيلُ عَلَيْهِ مَا رُوِيَ **عَنْ صَفْوَانَ بْنِ مُحْرِزٍ** قَالَ: كُنْتُ آخِذًا

(١) **حسن:** حسَّنه العلَّامة الألباني رحمه الله في «المشكاة» (١٥٦٥).

بِيَدِ عَبْدِ الله بْنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنهما، فَأَتَاهُ رَجُلٌ فَقَالَ: كَيْفَ سَمِعْتَ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ فِي النَّجْوَى؟ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ اللهَ تَعَالَى يُدْنِي الْمُؤْمِنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يَضَعَ عَلَيْهِ كَنَفَهُ يَسْتُرُهُ مِنَ النَّاسِ فَيَقُولُ: أَيْ عَبْدِي! أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا وَكَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، أَيْ رَبِّ، ثُمَّ يَقُولُ: أَيْ عَبْدِي! أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا وَكَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، أَيْ رَبِّ، حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ وَرَأَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ قَدْ هَلَكَ، قَالَ: فَإِنِّي سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا وَقَدْ غَفَرْتُهَا لَكَ الْيَوْمَ، ثُمَّ يُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ، وَأَمَّا الكُفَّارُ وَالْمُنَافِقُونَ فَيَقُولُ الْأَشْهَادُ: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾**»[1].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَيَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۗ﴾: رَفَعَ الرَّاءَ وَالْبَاءَ أَبُو جَعْفَرٍ وَابْنُ عَامِرٍ وَعَاصِمٌ وَيَعْقُوبُ، وَجَزَمَهُمَا الْآخَرُونَ، فَالرَّفْعُ عَلَى الِابْتِدَاءِ، وَالْجَزْمُ عَلَى النَّسَقِ، ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾.

﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ﴾: أَيْ: صَدَّقَ ﴿بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾: يَعْنِي: كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ، وَلِذَلِكَ وَحَّدَ الْفِعْلَ، ﴿وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾: قَرَأَ حَمْزَةُ وَالكِسَائِيُّ: ﴿وَكِتَابِهِ﴾ عَلَى الْوَاحِدِ، يَعْنِي: الْقُرْآنَ، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: الْجَمْعُ وَإِنْ ذُكِرَ بِلَفْظِ التَّوْحِيدِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ﴾[الْبَقَرَة:٢١٣]، وَقَرَأَ الْآخَرُونَ: ﴿وَكُتُبِهِۦ﴾ بِالْجَمْعِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ

(١) **صحيح:** البخاري: (٢٤٤١)، ومسلم: (٢٧٦٨).

﴿وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾[النِّسَاء:١٣٦]، ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ﴾: فَنُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ كَمَا فَعَلَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى وَفِيهِ إِضْمَارٌ تَقْدِيرُهُ: يَقُولُونَ لَا نُفَرِّقُ، وَقَرَأَ يَعْقُوبُ: ﴿لَا يُفَرِّقُ﴾ بِالْيَاءِ، فَيَكُونُ خَبَرًا عَنِ الرَّسُولِ، أَوْ مَعْنَاهُ: لَا يُفَرِّقُ الْكُلُّ، وَإِنَّمَا قَالَ: ﴿بَيۡنَ أَحَدٖ﴾ وَلَمْ يَقُلْ: بَيْنَ آحَادٍ؛ لِأَنَّ الأَحَدَ يَكُونُ لِلْوَاحِدِ وَالْجَمْعِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَمَا مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ عَنۡهُ حَٰجِزِينَ﴾[الحَاقَّة:٤٧]، ﴿وَقَالُواْ سَمِعۡنَا﴾: قَوْلَكَ ﴿وَأَطَعۡنَاۖ﴾: أَمْرَكَ، ﴿غُفۡرَانَكَ﴾: وَهُوَ نَصْبٌ عَلَى الْمَصْدَرِ، أَي: اغْفِرْ غُفْرَانَكَ، أَوْ عَلَى الْمَفْعُولِ بِهِ [وَهُوَ الأَصْوَبُ]، أَي: نَسْأَلُكَ غُفْرَانَكَ ﴿رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ﴾: ظَاهِرُ الْآيَةِ قَضَاءُ الْحَاجَةِ، وَفِيهَا إِضْمَارُ السُّؤَالِ، كَأَنَّهُ قَالَ: وَقَالُوا لَا تُكَلِّفْنَا إِلَّا وُسْعَنَا، فَأَجَابَ: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ﴾: أَيْ: طَاقَتَهَا، **وَالْوُسْعُ**: اسْمٌ لِمَا يَسَعُ الْإِنْسَانَ وَلَا يُضَيِّقُ عَلَيْهِ، **وَاخْتَلَفُوا فِي تَأْوِيلِهِ**: **فَذَهَبَ ابْنُ عَبَّاسٍ** رضي الله عنهما **وَعَطَاءٌ وَأَكْثَرُ الْمُفَسِّرِينَ**: إِلَى أَنَّهُ أَرَادَ بِهِ حَدِيثَ النَّفْسِ الَّذِي ذُكِرَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ﴾: كَمَا ذَكَرْنَا، وَرُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أَنَّهُ قَالَ: هُمُ الْمُؤْمِنُونَ خَاصَّةً وَسَّعَ عَلَيْهِمْ أَمْرَ دِينِهِمْ وَلَمْ يُكَلِّفْهُمْ فِيهِ إِلَّا مَا يَسْتَطِيعُونَ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ﴾[البَقَرَة:١٨٥]، وَقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ﴾[الحَجّ:٧٨]، وَسُئِلَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ عَنْ قَوْلِهِ عز وجل: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ﴾، قَالَ: إِلَّا يُسْرَهَا وَلَمْ يُكَلِّفْهَا فَوْقَ طَاقَتِهَا، وَهَذَا قَوْلٌ حَسَنٌ؛ لِأَنَّ الْوُسْعَ مَا دُونَ الطَّاقَةِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتۡ﴾: أَيْ: لِلنَّفْسِ مَا عَمِلَتْ مِنَ الْخَيْرِ لَهَا أَجْرُهُ وَثَوَابُهُ، ﴿وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ﴾: مِنَ الشَّرِّ وَعَلَيْهَا وِزْرُهُ، ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ﴾: أَيْ: لَا تُعَاقِبْنَا ﴿إِن نَّسِينَآ﴾: جَعَلَهُ بَعْضُهُمْ مِنَ النِّسْيَانِ الَّذِي هُوَ السَّهْوُ، **وَقِيلَ**: هُوَ مِنَ النِّسْيَانِ الَّذِي هُوَ التَّرْكُ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمۡۚ﴾[التَّوْبَة:٦٧].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ﴾: **قِيلَ**: مَعْنَاهُ الْقَصْدُ وَالْعَمْدُ، يُقَالُ: أَخْطَأَ فُلَانٌ إِذَا تَعَمَّدَ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ قَتۡلَهُمۡ كَانَ خِطۡـٔٗا كَبِيرٗا﴾[الإِسْرَاء:٣١]، **قَالَ عَطَاءٌ**: ﴿إِن

﴿نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ﴾: يَعْنِي: إِنْ جَهِلْنَا أَوْ تَعَمَّدْنَا، **وَجَعَلَهُ الْأَكْثَرُونَ**: مِنَ الْخَطَأِ الَّذِي هُوَ الْجَهْلُ وَالسَّهْوُ؛ لِأَنَّ مَا كَانَ عَمْدًا مِنَ الذَّنْبِ فَغَيْرُ مَعْفُوٍّ عَنْهُ بَلْ هُوَ فِي مَشِيئَةِ اللهِ، وَالْخَطَأُ مَعْفُوٌّ عَنْهُ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**رُفِعَ عَنْ أُمَّتِي الخَطَأُ وَالنِّسْيَانُ وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ**»(١).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا﴾: أَيْ: عَهْدًا ثَقِيلًا وَمِيثَاقًا لَا نَسْتَطِيعُ الْقِيَامَ بِهِ فَتُعَذِّبنَا بِنَقْضِهِ وَتَرْكِهِ ﴿كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ﴾: يَعْنِي: الْيَهُودَ، فَلَمْ يَقُومُوا بِهِ فَعَذَّبْتَهُمْ، هَذَا قَوْلُ مُجَاهِدٍ وَعَطَاءٍ وَقَتَادَةَ وَالسُّدِّيِّ وَالْكَلْبِيِّ وَجَمَاعَةٍ يَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَخَذۡتُمۡ عَلَىٰ ذَٰلِكُمۡ إِصۡرِيۖ﴾[آل عِمْرَان:٨١] أَيْ: عَهْدِي. **وَقِيلَ**: مَعْنَاهُ: لَا تُشَدِّدْ وَلَا تُغْلِظِ الْأَمْرَ عَلَيْنَا كَمَا شَددتَ عَلَى مَنْ قَبْلَنَا مِنَ الْيَهُودِ، وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِ عُثْمَانَ وَعَطَاءٍ وَمَالِكِ بْنِ أَنَسٍ وَأَبِي عُبَيْدَةَ وَجَمَاعَةٍ، يَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ﴾[الْأَعْرَاف:١٥٧]، **وَقِيلَ**: **الْإِصْرُ**: ذَنْبٌ لَا تَوْبَةَ لَهُ، مَعْنَاهُ: اعْصِمْنَا مِنْ مِثْلِهِ، وَالْأَصْلُ فِيهِ الْعَقْلُ وَالْإِحْكَامُ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ﴾: أَيْ: لَا تُكَلِّفْنَا مِنَ الْأَعْمَالِ مَا لَا نُطِيقُهُ، **وَقِيلَ**: هُوَ حَدِيثُ النَّفْسِ وَالْوَسْوَسَةِ، **وَقَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ**: هُوَ مَسْخُ الْقِرَدَةِ وَالْخَنَازِيرِ، **وَقِيلَ**: هُوَ شَمَاتَةُ الْأَعْدَاءِ، **وَقِيلَ**: هُوَ الْفُرْقَةُ وَالْقَطِيعَةُ نَعُوذُ بِاللهِ مِنْهَا، ﴿وَٱعۡفُ عَنَّا﴾: أَيْ: تَجَاوَزْ وَامْحُ عَنَّا ذُنُوبَنَا، ﴿وَٱغۡفِرۡ لَنَا﴾: اسْتُرْ عَلَيْنَا ذُنُوبَنَا وَلَا تَفْضَحْنَا، ﴿وَٱرۡحَمۡنَآۚ﴾: فَإِنَّنَا لَا نَنَالُ الْعَمَلَ إِلَّا بِطَاعَتِكَ وَلَا نَتْرُكُ مَعْصِيَتَكَ إِلَّا بِرَحْمَتِكَ ﴿أَنتَ مَوۡلَىٰنَا﴾: نَاصِرُنَا وَحَافِظُنَا وَوَلِيُّنَا ﴿فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾.

عَنْ عَبْدِ اللهِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: «لَمَّا أُسْرِيَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ انْتُهِيَ بِهِ إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى، وَهِيَ فِي السَّمَاءِ السَّادِسَةِ إِلَيْهَا يَنْتَهِي مَا يُعْرَجُ بِهِ مِنَ الْأَرْضِ فَيُقْبَضُ

(١) **صحيح**: صحَّحه العلَّامة الألباني رحمه الله في "صحيح وضعيف سنن ابن ماجه" (٢٠٤٥)، عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما.

مِنْهَا، وَإِلَيْهَا يَنْتَهِي مَا يُهْبَطُ بِهِ مِنْ فَوْقِهَا فَيُقْبَضُ مِنْهَا، قَالَ: ﴿إِذۡ يَغۡشَى ٱلسِّدۡرَةَ مَا يَغۡشَىٰ﴾[النَّجْم:١٦]، قَالَ: فَرَاشٌ مِنْ ذَهَبٍ، قَالَ: فَأُعْطِيَ رَسُولُ الله ﷺ ثَلَاثًا: أُعْطِيَ الصَّلَوَات الْخَمْس، وَأُعْطِيَ خَوَاتِيم سُورَةِ الْبَقَرَةِ، وَغُفِرَ لِمَنْ لَمْ يُشْرِكْ بِالله مِنْ أُمَّتِهِ شَيْئًا الْمُقْحِمَاتُ»[(١)]. كَبَائِرُ الذُّنُوبِ.

عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**الآيَتَانِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ مَنْ قَرَأَهُمَا فِي لَيْلَةٍ كَفَتَاهُ**»[(٢)].

عن النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**إِنَّ اللهَ تَعَالَى كَتَبَ كِتَابًا قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِأَلْفَيْ عَام، فَأَنْزَلَ مِنْهُ آيَتَيْنِ خَتَمَ بِهِمَا سُورَةَ الْبَقَرَةِ، وَلَا يُقْرَآنِ فِي دَارٍ ثَلَاثَ لَيَالٍ فَيَقْرَبهَا شَيْطَانٌ**»[(٣)].

❋ ❋ ❋

---

(١) **صحيح:** مسلم: (١٧٣).

(٢) **صحيح:** البخاري: (٤٠٠٨)، ومسلم: (٨٠٧).

(٣) **صحيح:** صحَّحه العلَّامة الألباني رحمه الله في "صحيح وضعيف سنن الترمذي" (٢٨٨٢).

سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿الٓمٓ ﴿١﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴿٢﴾ نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِن قَبۡلُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلۡفُرۡقَانَۗ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخۡفَىٰ عَلَيۡهِ شَيۡءٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٥﴾ هُوَ ٱلَّذِي يُصَوِّرُكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ كَيۡفَ يَشَآءُۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ ٱللَّهُ﴾: مَفْتُوحُ الْمِيمِ مَوْصُولٌ عِنْدَ الْعَامَّةِ، وَإِنَّمَا فُتِحَ الْمِيمُ لِالْتِقَاءِ السَّاكِنَيْنِ، حُرِّكَ إِلَى أَخفِّ الْحَرَكَاتِ، وَقَرَأَ أَبُو يُوسُف وَيَعْقُوبُ بْنُ خَلِيفَةَ الْأَعْمَشُ عَنْ أَبِي بَكْرٍ: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ ٱللَّهُ﴾ مَقْطُوعًا؛ سَكَّنَ الْمِيمَ عَلَى نِيَّةِ الْوَقْفِ، ثُمَّ قَطَعَ الْهَمْزَةَ لِلِابْتِدَاءِ وَأَجْرَاهُ عَلَى لُغَةِ مَنْ يَقْطَعُ أَلِفَ الْوَصْلِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ٱللَّهُ﴾: ابْتِدَاءٌ وَمَا بَعْدَهُ خَبَرٌ، وَ﴿ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾: نَعْتٌ لَهُ، ﴿نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ﴾: أَيِ: الْقُرْآنَ، ﴿بِٱلۡحَقِّ﴾: بِالصِّدْقِ، ﴿مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ﴾: لِمَا قَبْلَهُ مِنَ الْكُتُبِ فِي التَّوْحِيدِ وَالنُّبُوَّةِ وَالْأَخْبَارِ وَبَعْضِ الشَّرَائِعِ، ﴿وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِن قَبۡلُ﴾: وَإِنَّمَا قَالَ: ﴿وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ﴾؛ لِأَنَّ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ أُنْزِلَا جُمْلَةً وَاحِدَةً، وَقَالَ فِي الْقُرْآنِ: ﴿نَزَّلَ﴾؛ لِأَنَّهُ نَزَلَ مُفَصَّلًا، وَالتَّنْزِيلُ: لِلتَّكْثِيرِ، **وَالتَّوْرَاةُ: قَالَ الْبَصْرِيُّونَ:** أَصْلُهَا: (وَوْرَيَةٌ) عَلَى وَزْنِ: (فَوْعَلَةٍ)، مِثْل: (دَوْحَلَةٍ، وَحَوْقَلَةٍ)، فَحُوِّلَتِ الْوَاوُ الْأُولَى تَاءً وَجُعِلَتِ الْيَاءُ الْمَفْتُوحَةُ أَلِفًا فَصَارَتْ: (تَوْرَاةً)، ثُمَّ كُتِبَتْ يَاءً عَلَى أَصْلِ الْكَلِمَةِ، **وَقَالَ الْكُوفِيُّونَ:** أَصْلُهَا: (تَفْعِلَةٌ)، مِثْل: (تَوْصِيَةٍ، وَتَوْفِيَةٍ)، فَقُلِبَتِ الْيَاءُ أَلِفًا عَلَى لُغَةِ طَيِّئٍ، فَإِنَّهُمْ يَقُولُونَ لِلْجَارِيَةِ: (جَارَاةٌ)، وَلِلنَّاصِيَةِ: (نَاصَاةٌ)، وَأَصْلُهَا مِنْ قَوْلِهِمْ: (وَرَى الزَّنْدُ) إِذَا خَرَجَتْ نَارُهُ، وَ(أَوْرَيْتُهُ أَنَا)، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿أَفَرَءَيۡتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي تُورُونَ﴾[الْوَاقِعَة:٧١]، فَسُمِّيَ التَّوْرَاة؛ لِأَنَّهَا نُورٌ وَضِيَاءٌ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَضِيَآءٗ وَذِكۡرٗا لِّلۡمُتَّقِينَ﴾[الْأَنْبِيَاء:٤٨]، **وَالْإِنْجِيلُ:** (إِفْعِيلٌ) مِنَ: النَّجْلِ، وَهُوَ الْخُرُوجُ، وَمِنْهُ سُمِّيَ

الْوَلَدُ: (نَجْلًا)؛ لِخُرُوجِهِ، فَسُمِّيَ الْإِنْجِيلُ بِهِ؛ لِأَنَّ اللهَ تَعَالَى أَخْرَجَ بِهِ دَارِسًا مِنَ الْحَقِّ عَافِيًا، وَيُقَالُ: هُوَ مِنَ: (النَّجَلِ) وَهُوَ سَعَةُ الْعَيْنِ، سُمِّيَ بِهِ؛ لِأَنَّهُ أُنْزِلَ سَعَةً لَهُمْ وَنُورًا.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ﴾: هَادِيًا لِمَنْ تَبِعَهُ وَلَمْ يُثَنِّهِ لِأَنَّهُ مَصْدَرٌ، ﴿وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ﴾: الْمُفَرِّقَ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَقَالَ السُّدِّيُّ: فِي الْآيَةِ تَقْدِيمٌ وَتَأْخِيرٌ، تَقْدِيرُهَا: وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَالْفُرْقَانَ هُدًى لِلنَّاسِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٥﴾ هُوَ ٱلَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُۚ﴾: ذَكَرًا أَوْ أُنْثَى، أَبْيَضَ أَوْ أَسْوَدَ، حَسَنًا أَوْ قَبِيحًا، تَامًّا أَوْ نَاقِصًا، ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾.

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهُوَ الصَّادِقُ المَصْدُوقُ: «إِنَّ خَلْقَ أَحَدِكُمْ يُجْمَعُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا نُطْفَةً، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللهُ إِلَيْهِ المَلَكَ -أَوْ قَالَ: يُبْعَثُ إِلَيْهِ المَلَكُ- بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، فَيَكْتُبُ رِزْقَهُ وَعَمَلَهُ وَأَجَلَهُ وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ، قَالَ: وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ غَيْرُ ذِرَاعٍ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا، وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ غَيْرُ ذِرَاعٍ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا»[(١)].

عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ أُسَيْدٍ رضي الله عنه يَبْلُغُ بِهِ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «يَدْخُلُ المَلَكُ عَلَى النُّطْفَةِ بَعْدَمَا تَسْتَقِرُّ فِي الرَّحِمِ بِأَرْبَعِينَ أَوْ خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ لَيْلَةً، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ أَشَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ؟ فَيُكْتَبَانِ ذَلِكَ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ أَذَكَرٌ أَمْ أُنْثَى؟ فَيُكْتَبَانِ، وَيُكْتَبُ عَمَلُهُ وَأَثَرُهُ وَأَجَلُهُ وَرِزْقُهُ، ثُمَّ تُطْوَى الصُّحُفُ، فَلَا يُزَادُ فِيهَا وَلَا يُنْقَصُ»[(٢)].

---

(١) **صحيح:** البخاري: (٧٤٥٤)، ومسلم: (٢٦٤٣).

(٢) **صحيح:** مسلم: (٢٦٤٤).

﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ ﴾: مُبَيِّنَاتٌ مُفَصَّلَاتٌ، سُمِّيَتْ **مُحْكَمَات**: مِنَ الْإِحْكَامِ، فَمَنَعَ الْخَلْقَ مِنَ التَّصَرُّفِ فِيهَا لِظُهُورِهَا وَوُضُوحِ مَعْنَاهَا، ﴿هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾: أَيْ: أَصْلُهُ الَّذِي يُعْمَلُ عَلَيْهِ فِي الْأَحْكَامِ، وَإِنَّمَا قَالَ: ﴿هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ وَلَمْ يَقُلْ: أُمَّهَاتِ الْكِتَابِ؛ لِأَنَّ الْآيَاتِ كُلَّهَا فِي تَكَامُلِهَا وَاجْتِمَاعِهَا كَالْآيَةِ الْوَاحِدَةِ، وَكَلَامُ اللهِ وَاحِدٌ، **وَقِيلَ**: مَعْنَاهُ: كُلُّ آيَةٍ مِنْهُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ، كَمَا قَالَ: ﴿ وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً ﴾[الْمُؤْمِنُون:٥٠]، أَيْ: كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا آيَةً، ﴿وَأُخَرُ﴾: جَمْعُ أُخْرَى، وَلَمْ يَصْرِفْهُ لِأَنَّهُ مَعْدُولٌ عَنِ الْآخَرِ، مِثْلَ: (عُمَرَ وَزُفَرَ)، ﴿مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾: **فَإِنْ قِيلَ**: كَيْفَ فَرَّقَ هَاهُنَا بَيْنَ الْمُحْكَمِ وَالْمُتَشَابِهِ وَقَدْ جَعَلَ اللهُ كُلَّ الْقُرْآنِ مُحْكَمًا فِي مَوَاضِعَ أُخَرَ فَقَالَ: ﴿الٓر ۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ﴾[هُود:١] وَجَعَلَهُ كُلَّهُ مُتَشَابِهًا فِي مَوْضِعٍ آخَرَ فَقَالَ: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا﴾[الزُّمَر:٢٣]؟ **قِيلَ**: حَيْثُ جَعَلَ الْكُلَّ مُحْكَمًا: أَرَادَ أَنَّ الْكُلَّ حَقٌّ لَيْسَ فِيهِ عَبَثٌ وَلَا هَزْلٌ، وَحَيْثُ جَعَلَ الْكُلَّ مُتَشَابِهًا: أَرَادَ أَنَّ بَعْضَهُ يُشْبِهُ بَعْضًا فِي الْحَقِّ وَالصِّدْقِ وَالْحُسْنِ، وَجَعَلَ بَعْضَهُ هَاهُنَا مُحْكَمًا وَبَعْضَهُ مُتَشَابِهًا.

قِيلَ: **الْمُحْكَمُ**: مَا أَوْقَفَ اللهُ الْخَلْقَ عَلَى مَعْنَاهُ، **وَالْمُتَشَابِهُ**: مَا اسْتَأْثَرَ اللهُ تَعَالَى بِعِلْمِهِ، وَلَا سَبِيلَ لِأَحَدٍ إِلَى عِلْمِهِ، نَحْوِ الْخَبَرِ عَنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ، وَخُرُوجِ الدَّجَّالِ وَنُزُولِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَطُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَقِيَامِ السَّاعَةِ، وَفَنَاءِ الدُّنْيَا، **قَالَ أَحْمَدُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ الزُّبَيْرِ**: **الْمُحْكَمُ**: مَا لَا يَحْتَمِلُ مِنَ التَّأْوِيلِ غَيْرَ وَجْهٍ وَاحِدٍ **وَالْمُتَشَابِهُ**: مَا احْتَمَلَ أَوْجُهًا، **وَقِيلَ**: **الْمُحْكَمُ**: مَا يُعْرَفُ مَعْنَاهُ وَتَكُونُ حُجَّتُهُ وَاضِحَةً، وَدَلَائِلُهُ لَائِحَةً لَا تَشْتَبِهُ، **وَالْمُتَشَابِهُ**: هُوَ الَّذِي يُدْرَكُ عِلْمُهُ بِالنَّظَرِ، وَلَا يَعْرِفُ الْعَوَامُّ تَفْصِيلَ الْحَقِّ فِيهِ مِنَ الْبَاطِلِ، **وَقَالَ بَعْضُهُمُ**: **الْمُحْكَمُ**: مَا يَسْتَقِلُّ بِنَفْسِهِ فِي الْمَعْنَى، **وَالْمُتَشَابِهُ**: مَا

لَا يَسْتَقِلُّ بِنَفْسِهِ إِلَّا بِرَدِّهِ إِلَى غيره، ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾: أَيْ: مَيْلٌ عَنِ الْحَقِّ، وَقِيلَ: شَكٌّ، ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ﴾: وَاخْتَلَفُوا فِي المَعْنِيِّ بِهَذِهِ الْآيَةِ: قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ: هُمُ الْمُنَافِقُونَ، وَقَالَ الحَسَنُ: هُمُ الْخَوَارِجُ، وَكَانَ قَتَادَةُ إِذَا قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ قَالَ: إِنْ لَمْ يَكُونُوا الْحَرُورِيَّةَ وَالسَّبَئِيَّةَ فَلَا أَدْرِي مَنْ هُمْ؟ وَقِيلَ: هُمْ جَمِيعُ الْمُبْتَدِعَةِ.

عَنْ عَائِشَةَ ﵂ قَالَتْ: تَلَا رَسُولُ الله ﷺ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «فَإِذَا رَأَيْتِ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَّى اللهُ فَاحْذَرُوهُمْ»(١).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ﴾: طَلَبَ الشِّرْكِ، قَالَهُ الرَّبِيعُ وَالسُّدِّيُّ، وَقَالَ مُجَاهِدٌ: ابْتِغَاءَ الشُّبُهَاتِ وَاللَّبْسِ لِيُضِلُّوا بِهَا جُهَّالَهُمْ، ﴿وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾: تَفْسِيرِهِ وَعِلْمِهِ، دَلِيلُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾[الكَهْف:٧٨]، وَقِيلَ: ابْتِغَاءَ عَاقِبَتِهِ، ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾: اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي نَظْمِ هَذِهِ الْآيَةِ: فَقَالَ قَوْمٌ: (الْوَاوُ) فِي قَوْلِهِ: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ﴾ وَاوُ الْعَطْفِ، يَعْنِي: أَنَّ تَأْوِيلَ الْمُتَشَابِهِ يَعْلَمُهُ اللهُ وَيَعْلَمُهُ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ وَهُمْ مَعَ عِلْمِهِمْ: ﴿يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾، وَهَذَا قَوْلُ مُجَاهِدٍ وَالرَّبِيعِ، وَعَلَى هَذَا يَكُونُ قَوْلُهُ: ﴿يَقُولُونَ﴾ حَالًا مَعْنَاهُ: وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ قَائِلِينَ آمَنَّا بِهِ، هَذَا كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [الحَشْر:٧]، ثُمَّ قَالَ: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ﴾[الحَشْر:٨]، إِلَى أَنْ قَالَ: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ﴾[الحَشْر:٩]، ثُمَّ قَالَ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾[الحَشْر:١٠]، وَهَذَا عَطْفٌ عَلَى مَا سَبَقَ، ثُمَّ قَالَ: ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا﴾[الحَشْر:١٠]، يَعْنِي: هُمْ مَعَ اسْتِحْقَاقِهِمْ لِلْفَيْءِ ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا﴾، أَيْ: قَائِلِينَ عَلَى الْحَالِ، وَذَهَبَ الْأَكْثَرُونَ: إِلَى أَنَّ (الْوَاوَ) فِي قَوْلِهِ: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ﴾ وَاوُ

(١) **صحيح:** البخاري: (٤٥٤٧)، ومسلم: (٢٦٦٥).

الِاسْتِئْنَافِ، وَتَمَّ الْكَلَامُ عِنْدَ قَوْلِهِ: ﴿وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ﴾، وَهُوَ قَوْلُ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ وَعَائِشَةَ وَعُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ رضي الله عنهم، وَرِوَايَةُ طَاوُسٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، وَبِهِ قَالَ الْحَسَنُ وَأَكْثَرُ التَّابِعِينَ، وَاخْتَارَهُ الْكِسَائِيُّ وَالْفَرَّاءُ وَالْأَخْفَشُ، وَقَالُوا: لَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَ الْمُتَشَابِهِ إِلَّا اللهُ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ لِلْقُرْآنِ تَأْوِيلٌ اسْتَأْثَرَ اللهُ بِعِلْمِهِ ولم يُطْلِعْ عَلَيْهِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِهِ، كَمَا اسْتَأْثَرَ بِعِلْمِ السَّاعَةِ، وَوَقْتِ طُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَخُرُوجِ الدَّجَّالِ، وَنُزُولِ عِيسَى عليه السلام، وَنَحْوِهَا. وَالْخَلْقُ مُتَعَبَّدُونَ فِي الْمُتَشَابِهِ بِالْإِيمَانِ بِهِ، وَفِي الْمُحْكَمِ بِالْإِيمَانِ بِهِ وَالْعَمَلِ، وَمِمَّا يُصَدِّقُ ذَلِكَ قِرَاءَةُ عَبْدِ اللهِ: ﴿إِنْ تَأْوِيلُهُ إِلَّا عِنْدَ اللهِ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ﴾، وَفِي حَرْفِ أُبَيٍّ: ﴿وَيَقُولُ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ آمَنَّا بِهِ﴾، **وَقَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ** فِي هَذِهِ الْآيَةِ: انْتَهَى عِلْمُ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ بِتَأْوِيلِ الْقُرْآنِ إِلَى أَنْ قَالُوا: ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ﴾، وَهَذَا الْقَوْلُ أَقْيَسُ فِي الْعَرَبِيَّةِ وَأَشْبَهُ بِظَاهِرِ الْآيَةِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ﴾: أَيِ: الدَّاخِلُونَ فِي الْعِلْمِ هُمُ الَّذِينَ أَتْقَنُوا عِلْمَهُمْ بِحَيْثُ لَا يَدْخُلُ فِي مَعْرِفَتِهِمْ شَكٌّ، وَأَصْلُهُ مِنْ رُسُوخِ الشَّيْءِ فِي الشَّيْءِ، وَهُوَ ثُبُوتُهُ، يُقَالُ: (رَسَخَ الْإِيمَانُ فِي قَلْبِ فُلَانٍ، يَرْسُخُ رسْخًا وَرُسُوخًا)، **وَسُئِلَ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ** رضي الله عنه عَنِ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ، قَالَ: الْعَالِمُ الْعَامِلُ بِمَا عَلِمَ الْمُتَّبِعُ لَهُ، **وَقِيلَ**: الرَّاسِخُ فِي الْعِلْمِ مَنْ وُجِدَ فِي عِلْمِهِ أَرْبَعَةُ أَشْيَاءَ: التَّقْوَى بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللهِ، وَالتَّوَاضُعُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْخَلْقِ، وَالزُّهْدُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الدُّنْيَا، وَالْمُجَاهَدَةُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ نَفْسِهِ، ﴿يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾: أَيْ: بِالْمُتَشَابِهِ، ﴿كُلٌّ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ﴾: الْمُحْكَمُ وَالْمُتَشَابِهُ وَالنَّاسِخُ وَالْمَنْسُوخُ، وَمَا عَلِمْنَا وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ﴾: وَمَا يَتَّعِظُ بِمَا فِي الْقُرْآنِ ﴿إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾: ذَوُو الْعُقُولِ.

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا﴾: أَيْ: وَيَقُولُ الرَّاسِخُونَ: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا﴾: أَيْ: لَا تُمِلْهَا عَنِ الْحَقِّ وَالْهُدَى كَمَا أَزَغْتَ قُلُوبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ، ﴿بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا﴾:

وَفَّقْتَنَا لِدِينِكَ وَالْإِيمَانِ بِالْمُحْكَمِ وَالْمُتَشَابِهِ مِنْ كِتَابِكَ، ﴿وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ﴾: أَعْطِنَا مِنْ عِنْدِكَ ﴿رَحْمَةً﴾: تَوْفِيقًا وَتَثْبِيتًا لِلَّذِي نَحْنُ عَلَيْهِ مِنَ الْإِيمَانِ وَالْهُدَى، **وَقَالَ الضَّحَّاكُ**: تَجَاوُزًا وَمَغْفِرَةً، ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾.

عَنِ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ الْكِلَابِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا مِنْ قَلْبٍ إِلَّا وَهُوَ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ، إِنْ شَاءَ أَنْ يُزِيغَهُ أَزَاغَهُ، وَإِنْ شَاءَ أَنْ يُقِيمَهُ أَقَامَهُ**»، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**اللَّهُمَّ يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قُلُوبَنَا عَلَى دِينِكَ**»، قَالَ: «**وَالْمِيزَانُ بِيَدِ الرَّحْمَنِ يَرْفَعُ قَوْمًا وَيَضَعُ آخَرِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**»(١).

وَعَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَثَلُ الْقَلْبِ كَرِيشَةٍ بِأَرْضِ فَلَاةٍ تُقَلِّبُهَا الرِّيَاحُ ظَهْرًا لِبَطْنٍ**»(٢).

﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ وَقُودُ ٱلنَّارِ ﴿١٠﴾ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ﴾: أَيْ: لِقَضَاءِ يَوْمٍ، **وَقِيلَ**: (اللَّامُ) بِمَعْنَى: (فِي)، أَيْ: فِي يَوْمٍ ﴿لَّا رَيْبَ فِيهِ﴾: أَيْ: لَا شَكَّ فِيهِ، وَهُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾: وَهُوَ (مِفْعَالٌ) مِنَ: الْوَعْدِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن تُغْنِىَ﴾: لَنْ تَنْفَعَ وَلَنْ تَدْفَعَ ﴿عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾: **قَالَ الْكَلْبِيُّ**: مِنْ عَذَابِ اللهِ، **وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ**: (مِنْ) بِمَعْنَى: (عِنْدَ)، أَيْ: عِنْدَ اللهِ ﴿شَيْـًٔا ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ وَقُودُ ٱلنَّارِ ﴿١٠﴾ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾: **قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ** رضي الله عنهما **وَعِكْرِمَةُ وَمُجَاهِدٌ**: كَفِعْلِ آلِ فِرْعَوْنَ وَصَنِيعِهِمْ فِي الْكُفْرِ وَالتَّكْذِيبِ، **وَقَالَ عَطَاءٌ وَالْكِسَائِيُّ وَأَبُو عُبَيْدَةَ**: كَسُنَّةِ آلِ فِرْعَوْنَ، **وَقَالَ الْأَخْفَشُ**: كَأَمْرِ آلِ فِرْعَوْنَ

---

(١) **صحيح**: صحَّحه العلَّامة الألباني رحمه الله في "صحيح وضعيف سنن ابن ماجه" (١٩٩).

(٢) **صحيح**: صحَّحه العلَّامة الألباني رحمه الله في "المشكاة" (١٠٣).

وَشَأْنِهِمْ، **وَقَالَ النَّضْرُ بْنُ شُمَيْلٍ**: كَعَادَةِ آلِ فِرْعَوْنَ، يُرِيدُ عَادَةَ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارِ فِي تَكْذِيبِ الرَّسُولِ وَجُحُودِ الْحَقِّ كَعَادَةِ آلِ فِرْعَوْنَ، ﴿وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ﴾: كَفَّارِ الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ، مِثْلِ: عَادٍ وَثَمُودَ وَغَيْرِهِمْ ﴿كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ﴾: فَعَاقَبَهُمُ اللهُ ﴿بِذُنُوبِهِمۡۗ﴾: **وَقِيلَ**: نَظْمُ الْآيَةِ: إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ عِنْدَ حُلُولِ النِّقْمَةِ وَالْعُقُوبَةِ، مِثْلِ آلِ فِرْعَوْنَ وَكُفَّارِ الْأُمَمِ الْخَالِيَةِ، أَخَذْنَاهُمْ فَلَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ، ﴿وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾.

﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغۡلَبُونَ وَتُحۡشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ﴿١٢﴾ قَدۡ كَانَ لَكُمۡ ءَايَةٞ فِي فِئَتَيۡنِ ٱلۡتَقَتَاۖ فِئَةٞ تُقَٰتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخۡرَىٰ كَافِرَةٞ يَرَوۡنَهُم مِّثۡلَيۡهِمۡ رَأۡيَ ٱلۡعَيۡنِۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصۡرِهِۦ مَن يَشَآءُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغۡلَبُونَ وَتُحۡشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَۖ﴾: قَرَأَ حَمْزَةُ وَالْكِسَائِيُّ بِالْيَاءِ فِيهِمَا، أَيْ: أَنَّهُمْ يُغْلَبُونَ وَيُحْشَرُونَ، وَقَرَأَ الْآخَرُونَ بِالتَّاءِ فِيهِمَا عَلَى الْخِطَابِ، أَيْ: إِنَّكُمْ ﴿سَتُغۡلَبُونَ﴾: تُهْزَمُونَ ﴿وَتُحۡشَرُونَ﴾: فِي الْآخِرَةِ ﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ﴾: الْفِرَاشُ، أَيْ: بِئْسَ مَا مُهِّدَ لَهُمْ، يَعْنِي: النَّارَ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قَدۡ كَانَ لَكُمۡ ءَايَةٞ﴾: وَلَمْ يَقُلْ: قَدْ كَانَتْ، وَالْآيَةُ مُؤَنَّثَةٌ؛ لِأَنَّهُ رَدَّهَا إِلَى الْبَيَانِ، أَيْ: قَدْ كَانَ لَكُمْ بَيَانٌ، فَذَهَبَ إِلَى الْمَعْنَى، **وَقَالَ الْفَرَّاءُ**: إِنَّمَا ذُكِّرَ لِأَنَّهُ حَالَتِ الصِّفَةُ بَيْنَ الْفِعْلِ وَالِاسْمِ الْمُؤَنَّثِ فَذُكِّرَ الْفِعْلُ، وَكُلُّ مَا جَاءَ مِنْ هَذَا النَّحْوِ فَهَذَا وَجْهُهُ، فَمَعْنَى الْآيَةِ: ﴿قَدۡ كَانَ لَكُمۡ ءَايَةٞ﴾: أَيْ: عِبْرَةٌ وَدَلَالَةٌ عَلَى صِدْقِ مَا أَقُولُ إِنَّكُمْ سَتَغْلِبُونَ ﴿فِي فِئَتَيۡنِ﴾: فِرْقَتَيْنِ، وَأَصْلُهَا: فَيْءُ الْحَرْبِ؛ لِأَنَّ بَعْضَهُمْ يَفِيءُ إِلَى بَعْضٍ، ﴿ٱلۡتَقَتَاۖ﴾: يَوْمَ بَدْرٍ، ﴿فِئَةٞ تُقَٰتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: طَاعَةِ اللهِ، وَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ وَكَانُوا ثَلَاثَمِائَةٍ وَثَلَاثَةَ عَشَرَ رَجُلًا، ﴿وَأُخۡرَىٰ كَافِرَةٞ﴾: أَيْ: فِرْقَةٌ أُخْرَى كَافِرَةٌ، وَهُمْ مُشْرِكُو مَكَّةَ وَكَانُوا تِسْعَمِائَةٍ وَخَمْسِينَ رَجُلًا مِنَ الْمُقَاتِلَةِ، وَكَانَتْ حَرْبُ بَدْرٍ أَوَّلُ مَشْهَدٍ شَهِدَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ، ﴿يَرَوۡنَهُم مِّثۡلَيۡهِمۡ﴾: قَرَأَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ

وَيَعْقُوبُ بِالتَّاءِ، يَعْنِي: تَرَوْنَ يَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ أَهْلَ مَكَّةَ مِثْلَيْ عَدَدِ الْمُسْلِمِينَ، وَذَلِكَ أَنَّ جَمَاعَةً مِنَ الْيَهُودِ كَانُوا حَضَرُوا قِتَالَ بَدْرٍ لِيَنْظُرُوا عَلَى مَنْ تَكُونُ الدَّائِرَةُ، فَرَأَوُا الْمُشْرِكِينَ مِثْلَيْ عَدَدِ الْمُسْلِمِينَ وَرَأَوُا النَّصْرَ مَعَ ذَلِكَ لِلْمُسْلِمِينَ، فَكَانَ ذَلِكَ مُعْجِزَةً وَآيَةً. وَقَرَأَ الْآخَرُونَ بِالْيَاءِ، **وَاخْتَلَفُوا فِي وَجْهِهِ: فَجَعَلَ بَعْضُهُمُ** الرُّؤْيَةَ لِلْمُسْلِمِينَ، ثُمَّ لَهُ تَأْوِيلَانِ، أَحَدُهُمَا: يَرَى الْمُسْلِمُونَ الْمُشْرِكِينَ مِثْلَيْهِمْ كَمَا هُمْ، **فَإِنْ قِيلَ**: كَيْفَ قَالَ: ﴿مِّثْلَيْهِمْ﴾ وَهُمْ كَانُوا ثَلَاثَةَ أَمْثَالِهِمْ؟ **قِيلَ**: هَذَا مِثْلُ قَوْلِ الرَّجُلِ وَعِنْدَهُ دِرْهَمٌ: (أَنَا أَحْتَاجُ إِلَى مِثْلَيْ هَذَا الدِّرْهَمِ)، يَعْنِي: إِلَى مِثْلَيْهِ سِوَاهُ فَيَكُونُ ثَلَاثَةَ دَرَاهِمَ. وَالتَّأْوِيلُ الثَّانِي -وَهُوَ الْأَصَحُّ-: كَانَ الْمُسْلِمُونَ يَرَوْنَ الْمُشْرِكِينَ مِثْلَيْ عَدَدِ أَنْفُسِهِمْ قَلَّلَهُمُ اللهُ تَعَالَى فِي أَعْيُنِهِمْ. **وَقَالَ بَعْضُهُمْ**: الرُّؤْيَةُ رَاجِعَةٌ إِلَى الْمُشْرِكِينَ، يَعْنِي: يَرَى الْمُشْرِكُونَ الْمُسْلِمِينَ مِثْلَيْهِمْ، قَلَّلَهُمُ اللهُ قَبْلَ الْقِتَالِ فِي أَعْيُنِ الْمُشْرِكِينَ؛ لِيَجْتَرِئَ الْمُشْرِكُونَ عَلَيْهِمْ وَلَا يَنْصَرِفُوا، فَلَمَّا أَخَذُوا فِي الْقِتَالِ كَثَّرَهُمُ اللهُ فِي أَعْيُنِ الْمُشْرِكِينَ لِيَجْبُنُوا، وَقَلَّلَهُمْ فِي أَعْيُنِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَجْتَرِئُوا، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ﴾[الأنفال:٤٤].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿رَأْىَ ٱلْعَيْنِ﴾: أَيْ: فِي رَأْيِ الْعَيْنِ، نُصِبَ بِنَزْعِ حَرْفِ الصِّفَةِ، ﴿وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾: الَّذِي ذَكَرْتُ ﴿لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ﴾: لِذَوِي الْعُقُولِ، **وَقِيلَ**: لِمَنْ أَبْصَرَ الْجَمْعَيْنِ.

﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾: جَمْعُ: شَهْوَةٍ، وَهِيَ مَا تَدْعُو النَّفْسُ إِلَيْهِ، ﴿مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ﴾: جَمْعُ قِنْطَارٍ، **وَاخْتَلَفُوا فِيهِ: فَقَالَ الرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ**: الْقِنْطَارُ: الْمَالُ الْكَثِيرُ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ، **وَقَالَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ** رضي الله عنه: الْقِنْطَارُ: أَلْفٌ

وَمِائَتَا أُوقِيَّةٍ، **وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ** رضي الله عنهما **وَالضَّحَّاكُ**: أَلْفٌ وَمِائَتَا مِثْقَالٍ، وَعَنْهُمَا رِوَايَةٌ أُخْرَى: اثْنَا عَشَرَ أَلْفِ دِرْهَمٍ وَأَلْف دِينَارٍ، دِيَةُ أَحَدِكُمْ، **وَعَنِ الحَسَنِ**: الْقِنْطَارُ: دِيَةُ أَحَدِكُمْ، **وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ وَعِكْرِمَةُ**: هُوَ مِائَةُ أَلْفٍ وَمِائَةُ مَنٍّ وَمِائَةُ رَطْلٍ وَمِائَةُ مِثْقَالٍ وَمِائَةُ دِرْهَمٍ، وَلَقَدْ جَاءَ الإِسْلَامُ وَبِمَكَّةَ مِائَةُ رَجُلٍ قَدْ قَنْطَرُوا، **وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ وَقَتَادَةُ**: ثَمَانُونَ أَلْفًا، **وَقَالَ مُجَاهِدٌ**: سَبْعُونَ أَلْفًا، **وَعَنِ السُّدِّيِّ قَالَ**: أَرْبَعَةُ آلَافِ مِثْقَالٍ، **وَقَالَ الحَكَمُ**: الْقِنْطَارُ: مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ مِنْ مَالٍ، **وَقَالَ أَبُو نَضْرَةَ**: مِلْءُ مَسْكِ ثَوْرٍ ذَهَبًا أَوْ فِضَّةً، وَسُمِّيَ قِنْطَارًا مِنَ الْإِحْكَامِ، يُقَالُ: (قَنْطَرْتُ الشَّيْءَ) إِذَا أَحْكَمْتَهُ، وَمِنْهُ سُمِّيَتِ الْقَنْطَرَةُ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ٱلْمُقَنطَرَةِ﴾: **قَالَ الضَّحَّاكُ**: الْمُحَصَّنَةُ الْمُحْكَمَةُ، **وَقَالَ قَتَادَةُ**: هِيَ الْكَثِيرَةُ الْمُنَضَّدَةُ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ، **وَقَالَ يَمَانُ بْنُ رَبَابٍ**: هِيَ الْمَدْفُونَةُ، **وَقَالَ السُّدِّيُّ**: الْمَضْرُوبَةُ الْمَنْقُوشَةُ حَتَّى صَارَتْ دَرَاهِمَ وَدَنَانِيرَ، **وَقَالَ الْفَرَّاءُ**: الْمُضَعَّفَةُ، فَالْقَنَاطِيرُ ثَلَاثَةٌ، وَالْمُقَنْطَرَةُ تِسْعَةٌ، ﴿مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ﴾: **قِيلَ**: سُمِّيَ الذَّهَبُ ذَهَبًا؛ لِأَنَّهُ يَذْهَبُ وَلَا يَبْقَى، وَالْفِضَّةُ فِضَّةً؛ لِأَنَّهَا تَنْفَضُّ، أَيْ: تَتَفَرَّقُ، ﴿وَٱلْخَيْلِ﴾: الْخَيْلُ: جَمْعٌ لَا وَاحِدَ لَهُ مِنْ لَفْظِهِ، وَاحِدُهَا: فَرَسٌ، كَالْقَوْمِ وَالنِّسَاءِ وَنَحْوِهِمَا، ﴿ٱلْمُسَوَّمَةِ﴾: **قَالَ مُجَاهِدٌ**: هِيَ الْمُطَهَّمَةُ الْحِسَانُ، **وَقَالَ عِكْرِمَةُ**: تَسْوِيمُهَا حُسْنُهَا، **وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ**: هِيَ الرَّاعِيَةُ يُقَالُ: (أَسَامَ الخَيْلَ وَسَوَّمَهَا)، **وَقَالَ الحَسَنُ وَأَبُو عُبَيْدَةَ**: هِيَ الْمُعَلَّمَةُ، مِنْ: السِّيمَاءِ، وَالسِّيمَاءُ: الْعَلَامَةُ، ثُمَّ مِنْهُمْ مَنْ قَالَ: سِيمَاهَا الشَّبَهُ وَاللَّوْنُ، وَهُوَ **قَوْلُ قَتَادَةَ**، **وَقِيلَ**: الْكَيُّ، ﴿وَٱلْأَنْعَٰمِ﴾: جَمْعُ النَّعَمِ، وَهِيَ: الْإِبِلُ وَالْبَقَرُ وَالْغَنَمُ، جَمْعٌ لَا وَاحِدَ لَهُ مِنْ لَفْظِهِ، ﴿وَٱلْحَرْثِۗ﴾: يَعْنِي: الزَّرْعِ، ﴿ذَٰلِكَ﴾: الَّذِي ذَكَرْتُ ﴿مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۖ﴾: يُشِيرُ إِلَى أَنَّهَا مَتَاعٌ يَفْنَى، ﴿وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ﴾: أَيِ: الْمَرْجِعِ، فِيهِ تَزْهِيدٌ فِي الدُّنْيَا وَتَرْغِيبٌ فِي الآخِرَةِ.

﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿١٥﴾ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ

ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٦﴾ ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم﴾: أَيْ: أُخْبِرُكُمْ ﴿بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِۗ﴾: قَرَأَ الْعَامَّةُ بِكَسْرِ الرَّاءِ، وَرَوَى أَبُو بَكْرٍ عَنْ عَاصِمٍ بِضَمِّ الرَّاءِ وَهُمَا لُغَتَانِ كَـ(الْعُدْوَانِ، وَالْعِدْوَانِ).

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ اللهَ تبارك وتعالى يَقُولُ لِأَهْلِ الجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ، فَيَقُولُونَ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَالخَيْرُ فِي يَدَيْكَ، فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لَا نَرْضَى يَا رَبِّ وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، فَيَقُولُ: أَلَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُونَ: يَا رَبِّ وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُ: أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا»[(١)].

﴿وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿١٥﴾ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ﴾: إِنْ شِئْتَ جَعَلْتَ مَحَلَّ ﴿ٱلَّذِينَ﴾ خَفْضًا رَدًّا عَلَى قَوْلِهِ: ﴿لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ﴾: وَإِنْ شِئْتَ جَعَلْتَهُ رَفْعًا عَلَى الِابْتِدَاءِ وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ نَصْبًا تَقْدِيرُهُ: أَعْنِي الَّذِينَ يَقُولُونَ ﴿رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا﴾: صَدَّقْنَا، ﴿فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾: اسْتُرْهَا عَلَيْنَا وَتَجَاوَزْ عَنَّا، ﴿وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٦﴾ ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ﴾: إِنْ شِئْتَ نَصَبْتَهَا عَلَى المَدْحِ، وَإِنْ شِئْتَ خَفَضْتَهَا عَلَى النَّعْتِ، يَعْنِي: ﴿ٱلصَّٰبِرِينَ﴾: فِي أَدَاءِ الأَمْرِ وَعَنِ ارْتِكَابِ النَّهْيِ وَعَلَى الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ ﴿وَٱلصَّٰدِقِينَ﴾: فِي إِيمَانِهِمْ، قَالَ قَتَادَةُ: هُمْ قَوْمٌ صَدَقَتْ نِيَّاتُهُمْ وَاسْتَقَامَتْ قُلُوبُهُمْ وَأَلْسِنَتُهُمْ فَصَدَقُوا فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ، ﴿وَٱلْقَٰنِتِينَ﴾: المُطِيعِينَ المُصَلِّينَ، ﴿وَٱلْمُنفِقِينَ﴾: أَمْوَالَهُمْ فِي طَاعَةِ اللهِ، ﴿وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ﴾: قَالَ مُجَاهِدٌ وَقَتَادَةُ وَالْكَلْبِيُّ: يَعْنِي المُصَلِّينَ بِالْأَسْحَارِ. وَعَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ أَنَّهُ قَالَ: هُمُ الَّذِينَ يُصَلُّونَ الصُّبْحَ فِي الجَمَاعَةِ، وَقُيِّدَ بِالسَّحَرِ؛ لِقُرْبِهِ مِنَ الصُّبْحِ، وَقَالَ الحَسَنُ: مَدُّوا الصَّلَاةَ إِلَى السَّحَرِ، ثُمَّ اسْتَغْفَرُوا.

---

(١) **صحيح:** البخاري: (٧٥١٨)، ومسلم: (٢٨٢٩).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «يَنْزِلُ اللهُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا كُلَّ لَيْلَةٍ حِينَ يَبْقَى الثُّلُثُ الأَخِيرُ، فَيَقُولُ: أَنَا المَلِكُ، مَنْ ذَا الَّذِي يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، مَنْ ذَا الَّذِي يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ ذَا الَّذِي يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ»[(١)].

﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾

قَوْلُهُ: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ ﴾: أَيْ: بَيَّنَ اللهُ؛ لِأَنَّ الشَّهَادَةَ تُبَيِّنُ، **وَقَالَ مُجَاهِدٌ**: حَكَمَ اللهُ **وَقِيلَ**: عَلِمَ اللهُ، **وَقِيلَ**: أَعْلَمَ اللهُ ﴿أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾: أَيْ: وَشَهِدَتِ المَلَائِكَةُ، **قِيلَ**: مَعْنَى شَهَادَةِ الله: الْإِخْبَارُ وَالْإِعْلَامُ، وَمَعْنَى شَهَادَةِ المَلَائِكَةِ وَالمُؤْمِنِينَ: الْإِقْرَارُ، ﴿وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ﴾: يَعْنِي: الْأَنْبِيَاءَ عليهم السلام، **وَقَالَ السُّدِّيُّ وَالْكَلْبِيُّ**: يَعْنِي: جَمِيعَ عُلَمَاءِ المُؤْمِنِينَ، ﴿قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ﴾: أَيْ: بِالْعَدْلِ، وَنَظْمُ الْآيَةِ: شَهِدَ اللهُ قَائِمًا بِالْقِسْطِ، نَصْبٌ عَلَى الحَالِ، **وَقِيلَ**: نَصْبٌ عَلَى الْقَطْعِ، وَمَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ﴾: أَيْ: قَائِمًا بِتَدْبِيرِ الخَلْقِ كَمَا يُقَالُ: (فُلَانٌ قَائِمٌ بِأَمْرِ فُلَانٍ)، أَيْ: مُدَبِّرٌ لَهُ وَمُتَعَهِّدٌ لِشَأْنِهِ، وَ(فُلَانٌ قَائِمٌ بِحَقِّ فُلَانٍ)، أَيْ: مُجَازٍ لَهُ، فَاللهُ ﷻ مُدَبِّرٌ وَرَازِقٌ وَمُجَازٍ بِالْأَعْمَالِ، ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾.

﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾

﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ﴾: يَعْنِي: الدِّينُ المَرْضِيُّ الصَّحِيحُ، كَمَا قَالَ: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ﴾[المَائِدَة:٣]، وَقَالَ: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾[آل عِمْرَان:٨٥]، وَفَتَحَ الْكِسَائِيُّ الْأَلِفَ مِنْ: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ﴾؛ رَدًّا عَلَى (أَنَّ) الْأُولَى، تَقْدِيرُهُ: شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَشَهِدَ أَنَّ الدِّينَ عِنْدَ الله الْإِسْلَامُ، أَوْ شَهِدَ اللهُ أَنَّ الدِّينَ عِنْدَ الله الْإِسْلَامُ بِأَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، وَكَسَرَ الْبَاقُونَ الْأَلِفَ عَلَى الِابْتِدَاءِ، **وَالْإِسْلَامُ**: هُوَ الدُّخُولُ فِي السِّلْمِ، وَهُوَ الِانْقِيَادُ وَالطَّاعَةُ، يُقَالُ: (أَسْلَمَ)، أَيْ: دَخَلَ

---

(١) **صحيح**: البخاري: (١١٤٥)، ومسلم: (٧٥٨).

فِي السِّلْمِ، وَ(اسْتَسْلَمَ)، قَالَ قَتَادَةُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَـٰمُ﴾: قَالَ: شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَالْإِقْرَارُ بِمَا جَاءَ مِنْ عِنْدِ اللهِ تَعَالَى، وَهُوَ دِينُ اللهِ الَّذِي شَرَعَ لِنَفْسِهِ وَبَعَثَ بِهِ رُسُلَهُ وَدَلَّ عَلَيْهِ أَوْلِيَاءَهُ، فَلَا يَقْبَلُ غَيْرَهُ، وَلَا يَجْزِي إِلَّا بِهِ، ﴿وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ﴾: أَيْ: لِلْمُعَادَاةِ وَالْمُخَالَفَةِ، ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾.

﴿فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَـٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَإِنْ حَآجُّوكَ﴾: أَيْ: خَاصَمُوكَ يَا مُحَمَّدُ فِي الدِّينِ، ﴿فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ﴾: أَيِ: انْقَدْتُ للهِ وَحْدَهُ بِقَلْبِي وَلِسَانِي وَجَمِيعِ جَوَارِحِي، وَإِنَّمَا خصَّ الوَجْه؛ لِأَنَّهُ أَكْرَمُ الجَوَارِحِ مِنَ الإِنْسَانِ وَفِيهِ بَهَاؤُهُ، فَإِذَا خَضَعَ وَجْهُهُ لِلشَّيْءِ خَضَعَ لَهُ جَمِيعُ جَوَارِحِهِ، وَقَالَ الْفَرَّاءُ: مَعْنَاهُ: أَخْلَصْتُ عَمَلِي للهِ ﴿وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ﴾: أَيْ: وَمَنِ اتَّبَعَنِي فَأَسْلَمَ كَمَا أَسْلَمْتُ، وَأَثْبَتَ نَافِعٌ وَأَبُو عَمْرٍو الْيَاءَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿اتَّبَعَنِي﴾ عَلَى الْأَصْلِ وَحَذَفَهَا الْآخَرُونَ عَلَى الْخَطِّ؛ لِأَنَّهَا فِي الْمُصْحَفِ بِغَيْرِ يَاءٍ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ﴾: يَعْنِي: الْعَرَبَ ﴿ءَأَسْلَمْتُمْ﴾: لَفْظُهُ اسْتِفْهَامٌ وَمَعْنَاهُ أَمْرٌ، أَيْ: أَسْلِمُوا، كَمَا قَالَ: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾[المَائِدَة:٩١]، أَيِ: انْتَهُوا، ﴿فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَـٰغُ﴾: أَيْ: تَبْلِيغُ الرِّسَالَةِ، وَلَيْسَ عَلَيْكَ الْهِدَايَةُ، ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾: عَالِمٌ بِمَنْ يُؤْمِنُ وَبِمَنْ لَا يُؤْمِنُ.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّـٰصِرِينَ﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ﴾: يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللهِ، يَعْنِي: الْقُرْآنَ، وَهُمُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى، ﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ

﴿بِٱلۡقِسۡطِ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾: قَرَأَ حَمْزَةُ: ﴿وَيُقَاتِلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ﴾ بِأَلِفٍ، ﴿فَبَشِّرۡهُم﴾: أَخْبِرْهُمْ ﴿بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾: وَجِيعٍ، وَإِنَّمَا أُدْخِلَ الفَاءُ عَلَى البَاءِ فِي خَبَرِ (إِنَّ)، وَتَقْدِيرُهُ: الَّذِينَ يَكْفُرُونَ وَيَقْتُلُونَ فَبَشِّرْهُمْ، لِأَنَّهُ لَا يُقَالُ: (إِنَّ زَيْدًا فَقَائِمٌ)، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتۡ﴾: بَطَلَتْ ﴿أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾، وَبُطْلَانُ الْعَمَلِ فِي الدُّنْيَا أَنْ لَا يُقْبَلَ، وَفِي الآخِرَةِ أَلَّا يُجَازَى عَلَيْهِ.

﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يُدۡعَوۡنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ وَهُم مُّعۡرِضُونَ ٢٣ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۖ وَغَرَّهُمۡ فِي دِينِهِم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ٢٤ فَكَيۡفَ إِذَا جَمَعۡنَٰهُمۡ لِيَوۡمٖ لَّا رَيۡبَ فِيهِ وَوُفِّيَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾: يَعْنِي: الْيَهُودَ ﴿يُدۡعَوۡنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾: اخْتَلَفُوا فِي هَذَا الْكِتَابِ، **فَقَالَ قَتَادَةُ**: هُمُ الْيَهُودُ دُعُوا إِلَى حُكْمِ الْقُرْآنِ فَأَعْرَضُوا عَنْهُ، **وَرَوَى الضَّحَّاكُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ** رضي الله عنهما فِي هَذِهِ الْآيَةِ: إِنَّ اللهَ تَعَالَى جَعَلَ الْقُرْآنَ حَكَمًا فِيمَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَحَكَمَ الْقُرْآنُ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى أَنَّهُمْ عَلَى غَيْرِ الْهُدَى، فَأَعْرَضُوا عَنْهُ، **وَقَالَ آخَرُونَ**: هُوَ التَّوْرَاةُ، ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ وَهُم مُّعۡرِضُونَ ٢٣ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۖ وَغَرَّهُمۡ فِي دِينِهِم﴾: **وَالْغُرُورُ**: هُوَ الْإِطْمَاعُ فِيمَا لَا يَحْصُلُ مِنْهُ شَيْءٌ، ﴿مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ﴾: **وَالِافْتِرَاءُ**: اخْتِلَاقُ الْكَذِبِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَكَيۡفَ إِذَا جَمَعۡنَٰهُمۡ﴾: أَيْ: فَكَيْفَ حَالُهُمْ أَوْ كَيْفَ يَصْنَعُونَ ﴿إِذَا جَمَعۡنَٰهُمۡ لِيَوۡمٖ لَّا رَيۡبَ فِيهِ﴾: وَهُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، ﴿وَوُفِّيَتۡ﴾: وُفِّرَتْ ﴿كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ﴾: أَيْ: جَزَاءَ مَا كَسَبَتْ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ، ﴿وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾: أَيْ: لَا يُنْقَصُ مِنْ حَسَنَاتِهِمْ وَلَا يُزَادُ عَلَى سَيِّئَاتِهِمْ.

﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن

﴿تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٢٦ تُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِۖ وَتُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَتُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّۖ وَتَرۡزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ﴾: قِيلَ: مَعْنَاهُ (يَا اللهُ)، فَلَمَّا حُذِفَ حَرْفُ النِّدَاءِ زِيدَ الْمِيمُ فِي آخِرِهِ، وَقَالَ قَوْمٌ: لِلْمِيمِ فِيهِ مَعْنى، وَمَعْنَاهُ: (يَا أَللهُ أُمَّنَا بِخَيْرٍ) أَي: اقْصِدْنَا، حُذِفَ مِنْهُ حَرْفُ النِّدَاءِ، كَقَوْلِهِمْ: (هَلُمَّ إِلَيْنَا)، كَانَ أَصْلُهُ: (هَلْ أُمَّ إِلَيْنَا) ثُمَّ كَثُرَتْ فِي الْكَلَامِ فَحُذِفَتِ الْهَمْزَةُ اسْتِخْفَافًا، وَرُبَّمَا خَفَّفُوا أَيْضًا فَقَالُوا: (لَاهُمَّ).

قَوْلُهُ: ﴿مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ﴾: يَعْنِي: يَا مَالِكَ الْمُلْكِ، أَيْ: مَالِكَ الْعِبَادِ وَمَا مَلَكُوا، وَقِيلَ: يَا مَالِكَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، ﴿تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ﴾: قَالَ مُجَاهِدٌ وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: يَعْنِي: مُلْكَ النُّبُوَّةِ، وَقَالَ الْكَلْبِيُّ: ﴿تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ﴾: مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ، ﴿وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ﴾: أَبِي جَهْلٍ وَصَنَادِيدِ قُرَيْشٍ، وَقِيلَ: ﴿تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ﴾: الْعَرَبَ، ﴿وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ﴾: فَارِسَ وَالرُّومَ، وَقَالَ السُّدِّيُّ: ﴿تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ﴾: آتَى اللهُ الأَنْبِيَاءَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ الْمُلْكَ وَأَمَرَ الْعِبَادَ بِطَاعَتِهِمْ، ﴿وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ﴾: نَزَعَهُ مِنَ الْجَبَّارِينَ وَأَمَرَ الْعِبَادَ بِخِلَافِهِمْ، وَقِيلَ: ﴿تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ﴾: آدَمَ وَوَلَدَهُ، ﴿وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ﴾: إِبْلِيسَ وَجُنُودَهُ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ﴾: قَالَ عَطَاءٌ: ﴿وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ﴾: الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارَ، ﴿وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ﴾: فَارِسَ وَالرُّومَ، وَقِيلَ: ﴿وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ﴾: مُحَمَّدًا ﷺ وَأَصْحَابَهُ حِينَ دَخَلُوا مَكَّةَ فِي عَشْرَةِ آلَافٍ ظَاهِرِينَ عَلَيْهَا، ﴿وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ﴾: أَبَا جَهْلٍ وَأَصْحَابَهُ حَتَّى حُزَّتْ [-أَيْ: أُحِيطَتْ-] رُؤُوسُهُمْ وَأُلْقُوا فِي الْقَلِيبِ [-أَيِ: الْبِئْرِ-]، وَقِيلَ: ﴿وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ﴾: بِالْإِيمَانِ وَالْهِدَايَةِ وَدُخُولِ الْجَنَّةِ، ﴿وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ﴾: بِالْكُفْرِ وَالضَّلَالَةِ وَدُخُولِ النَّارِ، وَقِيلَ: ﴿وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ﴾: بِالطَّاعَةِ، ﴿وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ﴾: بِالْمَعْصِيَةِ، وَقِيلَ: ﴿وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ﴾: بِالنَّصْرِ ﴿وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ﴾: بِالْقَهْرِ، وَقِيلَ: ﴿وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ﴾: بِالْغِنَى، ﴿وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ﴾: بِالْفَقْرِ، وَقِيلَ:

﴿وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ﴾: بِالْقَنَاعَةِ وَالرِّضَى، وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِالْحِرْصِ وَالطَّمَعِ، ﴿بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ﴾: أَيْ: تُدْخِلُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ حَتَّى يَكُونَ النَّهَارُ خَمْسَ عَشْرَةَ سَاعَةً وَاللَّيْلُ تِسْعَ سَاعَاتٍ، ﴿وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ﴾: حَتَّى يَكُونَ اللَّيْلُ خَمْسَ عَشْرَةَ سَاعَةً وَالنَّهَارُ تِسْعَ سَاعَاتٍ، فَمَا نَقَصَ مِنْ أَحَدِهِمَا زَادَ فِي الْآخَرِ ﴿وَتُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ﴾: قَرَأَ أَهْلُ المَدِينَةِ وَحَمْزَةُ وَالْكِسَائِيُّ وَحَفْصٌ عَنْ عَاصِمٍ ﴿ٱلْمَيِّتِ﴾: بِتَشْدِيدِ الْيَاءِ هَاهُنَا، وَفِي الْأَنْعَامِ، وَيُونُسَ، وَالرُّومِ، وَفِي الأَعْرَافِ: ﴿لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾[الأَعْرَاف:٥٧]، وَفِي فَاطِرٍ: ﴿إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾[فَاطِر:٩]، زَادَ نَافِعٌ: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾[الأَنْعَام:١٢٢]، وَ﴿لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾[الحُجُرَات:١٢]، وَ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا﴾[يس:٣٣]، فَيُشَدِّدُهَا وَالآخَرُونَ يُخَفِّفُونَهَا وَشَدَّدَ يَعْقُوبُ: ﴿وَتُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾، وَ﴿لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾[الحُجُرَات:١٢]، **قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ وَمُجَاهِدٌ وَقَتَادَةُ**: مَعْنَى الْآيَةِ: يُخْرِجُ الْحَيَوَانَ مِنَ النُّطْفَةِ وَهِيَ مَيْتَةٌ، وَيُخْرِجُ النُّطْفَةَ مِنَ الْحَيَوَانِ، **وَقَالَ عِكْرِمَةُ وَالْكَلْبِيُّ**: يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ المَيِّتِ، أَيِ: الْفَرْخَ مِنَ الْبَيْضَةِ وَيُخْرِجُ الْبَيْضَةَ مِنَ الطَّيْرِ، **وَقَالَ الْحَسَنُ وَعَطَاءٌ**: يُخْرِجُ الْمُؤْمِنَ مِنَ الْكَافِرِ وَيُخْرِجُ الْكَافِرَ مِنَ الْمُؤْمِنِ، فَالْمُؤْمِنُ حَيُّ الْفُؤَادِ وَالْكَافِرُ مَيِّتُ الْفُؤَادِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾[الأَنْعَام:١٢٢]، **وَقَالَ الزَّجَّاجُ**: يُخْرِجُ النَّبَاتَ الْغَضَّ الطَّرِيَّ مِنَ الْحَبِّ الْيَابِسِ وَيُخْرِجُ الحَبَّ اليَابِسَ مِنَ النَّبَاتِ الطَّرِيِّ النَّامِي ﴿وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾: مِنْ غَيْرِ تَضْيِيقٍ وَلَا تَقْتِيرٍ.

﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَىٰةً وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾

قَوْلُهُ ﷻ: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾: أَيْ: مُوَالَاةَ الْكُفَّارِ فِي نَقْلِ الْأَخْبَارِ إِلَيْهِمْ وَإِظْهَارِهِمْ عَلَى عَوْرَةِ الْمُسْلِمِينَ، ﴿فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ

﴿فِي شَيْءٍ﴾: أَيْ: لَيْسَ مِنْ دِينِ اللهِ فِي شَيْءٍ، ثُمَّ اسْتَثْنَى فَقَالَ: ﴿إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَىٰةً﴾: يَعْنِي: إِلَّا أَنْ تَخَافُوا مِنْهُمْ مَخَافَةً، قَرَأَ مُجَاهِدٌ وَيَعْقُوبُ: ﴿تَقِيَّةً﴾ عَلَى وَزْنِ (بَقِيَّةٍ)؛ لِأَنَّهُمْ كَتَبُوهَا بِالْيَاءِ، وَلَمْ يَكْتُبُوهَا بِالْأَلِفِ: مِثْلِ: (حَصَاةٍ، وَنَوَاةٍ)، وَهِيَ مَصْدَرٌ، يُقَالُ: (تَقَيْتُ تُقَاةً)، وَ(تقى تَقِيَّةً، وَتَقْوَى)، فَإِذَا قُلْتَ: (اتَّقَيْت) كَانَ المَصْدَرُ (الِاتِّقَاءَ)، وَإِنَّمَا قَالَ: ﴿تَتَّقُواْ﴾ مِنَ: (الِاتِّقَاءِ) ثُمَّ قَالَ: ﴿تُقَىٰةً﴾ وَلَمْ يَقُلِ: (اتِّقَاءً)؛ لِأَنَّ مَعْنَى اللَّفْظَيْنِ إِذَا كَانَ وَاحِدًا يَجُوزُ إِخْرَاجُ مَصْدَرِ أَحَدِهِمَا عَلَى لَفْظِ الْآخَرِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾[المُزَّمِّل:٨]، وَمَعْنَى الْآيَةِ: أَنَّ اللهَ تَعَالَى نَهَى الْمُؤْمِنِينَ عَنْ مُوَالَاةِ الْكُفَّارِ وَمُدَاهَنَتِهِمْ وَمُبَاطَنَتِهِمْ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ الكُفَّارُ غَالِبِينَ ظَاهِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، أَوْ يَكُونَ الْمُؤْمِنُ فِي قَوْمٍ كُفَّارٍ يَخَافُهُمْ فَيُدَارِيهِمْ بِاللِّسَانِ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ؛ دَفْعًا عَنْ نَفْسِهِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَسْتَحِلَّ دَمًا حَرَامًا أَوْ مَالًا حَرَامًا أَوْ يُظْهِرَ الْكُفَّارَ عَلَى عَوْرَةِ الْمُسْلِمِينَ، **وَالتَّقِيَّةُ**: لَا تَكُونُ إِلَّا مَعَ خَوْفِ الْقَتْلِ وَسَلَامَةِ النِّيَّةِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾[النَّحل:١٠٦]، ثُمَّ هَذَا رُخْصَةٌ، فَلَوْ صَبَرَ حَتَّى قُتِلَ فَلَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ، **وَأَنْكَرَ قَوْمٌ التَّقِيَّةَ الْيَوْمَ، قَالَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ وَمُجَاهِدٌ**: كَانَتِ التَّقِيَّةُ فِي بُدُوِّ الْإِسْلَامِ قَبْلَ اسْتِحْكَامِ الدِّينِ وَقُوَّةِ الْمُسْلِمِينَ، فَأَمَّا الْيَوْمَ فَقَدْ أَعَزَّ اللهُ الْإِسْلَامَ، فَلَيْسَ يَنْبَغِي لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ أَنْ يَتَّقُوا مِنْ عَدُوِّهِمْ، **وَقَالَ يَحْيَى الْبَكَّاءُ**: قُلْتُ لِسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ فِي أَيَّامِ الْحَجَّاجِ إِنَّ الْحَسَنَ كَانَ يَقُولُ لَكُمْ: (تَقِيَّة بِاللِّسَانِ وَالْقَلْبُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ)، فَقَالَ سَعِيدٌ: لَيْسَ فِي الْإِسْلَامِ تَقِيَّةٌ، وإنما التَّقِيَّةُ فِي أَهْلِ الْحَرْبِ، ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾: أَيْ: يُخَوِّفُكُمُ اللهُ عُقُوبَتَهُ عَلَى مُوَالَاةِ الكُفَّارِ وَارْتِكَابِ المَنْهِيِّ عَنْهُ وَمُخَالَفَةِ المَأْمُورِ، ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾.

﴿قُلْ إِن تُخْفُواْ مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾

﴿قُلْ إِن تُخْفُواْ مَا فِي صُدُورِكُمْ﴾: أَيْ: مَا فِي قُلُوبِكُمْ مِنْ مَوَدَّةِ الكُفَّارِ، ﴿أَوْ تُبْدُوهُ﴾:

مِنْ مُوَالَاتِهِمْ، قَوْلًا وَفِعْلًا ﴿يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ﴾: قَالَ الْكَلْبِيُّ: إِنْ تُسِرُّوا مَا فِي قُلُوبِكُمْ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ مِنَ التَّكْذِيبِ، أَوْ تُظْهِرُوهُ بِحَرْبِهِ وَقِتَالِهِ، يَعْلَمْهُ اللهُ وَيَحْفَظْهُ عَلَيْكُم حَتَّى يُجَازِيكُمْ بِهِ، ثُمَّ قَالَ: ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾: يَعْنِي: إِذَا كَانَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الأَرْضِ فَكَيْفَ يَخْفَى عَلَيْهِ مُوَالَاتُكُمُ الْكُفَّارَ وَمَيْلُكُمْ إِلَيْهِمْ بِالْقَلْبِ؟ ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ﴾: نُصِبَ ﴿يَوْمَ﴾ بِنَزْعِ حَرْفِ الصِّفَةِ، أَيْ: فِي يَوْمٍ، وَقِيلَ: بِإِضْمَارِ فِعْلٍ، أَيِ: اذْكُرُوا وَاتَّقُوا ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا﴾: لَمْ يُبْخَسْ مِنْهُ شَيْءٌ كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًا﴾[الْكَهْف:٤٩]، ﴿وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ﴾: جَعَلَهُ بَعْضُهُمْ خَبَرًا فِي مَوْضِعِ النَّصْبِ، أَيْ تَجِدُ مُحْضَرًا مَا عَمِلَتْ مِنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، فَتُسَرُّ بِمَا عَمِلَتْ مِنَ الْخَيْرِ، وَجَعَلَهُ بَعْضُهُمْ خَبَرًا مُسْتَأْنَفًا، دَلِيلُ هَذَا التَّأْوِيلِ قِرَاءَةُ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنهما: ﴿وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ وَدَّتْ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا﴾: أَيْ: بَيْنَ النَّفْسِ ﴿وَبَيْنَهُۥٓ﴾: يَعْنِي: وَبَيْنَ السُّوءِ ﴿أَمَدًۢا بَعِيدًا﴾: قَالَ السُّدِّيُّ: مَكَانًا بَعِيدًا، وَقَالَ مُقَاتِلٌ: كَمَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، وَالْأَمَدُ: الْأَجَلُ وَالْغَايَةُ الَّتِي لَا يُنْتَهَى إِلَيْهَا، قَالَ الْحَسَنُ: يَسُرُّ أَحَدَهُمْ أَنْ لَا يَلْقَى عَمَلَهُ أَبَدًا، وَقِيلَ: يَوَدُّ أَنَّهُ لَمْ يَعْمَلْهُ، ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلْعِبَادِ﴾.

﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾: أَيِ: اتَّبِعُوا شَرِيعَتِي وَسُنَّتِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ، فَحُبُّ الْمُؤْمِنِينَ للهِ اتِّبَاعُهُمْ أَمْرَهُ وَإِيثَارُ طَاعَتِهِ وَابْتِغَاءُ مَرْضَاتِهِ، وَحُبُّ اللهِ لِلْمُؤْمِنِينَ ثَنَاؤُهُ عَلَيْهِمْ وَثَوَابُهُ لَهُمْ وَعَفْوُهُ عَنْهُمْ، ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوْاْ﴾: أَيْ: أَعْرَضُوا عَنْ طَاعَتِهِمَا، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا

﴿يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾: أَيْ: لَا يَرْضَى فِعْلَهُمْ وَلَا يَغْفِرُ لَهُمْ.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى»، قَالُوا: وَمَنْ يَأْبَى؟ قَالَ: «مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى»[(١)].

عَنْ سَعِيد بْن مِينَاءَ قَالَ: حَدَّثَنَا أَوْ سَمِعْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنهما يَقُولُ: «جَاءَتْ مَلَائِكَةٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ نَائِمٌ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّهُ نَائِمٌ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ إِنَّ الْعَيْنَ نَائِمَةٌ وَالْقَلْبَ يَقْظَانُ، فَقَالُوا: إِنَّ لِصَاحِبِكُمْ هَذَا مَثَلًا، فَاضْرِبُوا لَهُ مَثَلًا، فَقَالُوا: مَثَلُهُ كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى دَارًا، وَجَعَلَ فِيهَا مَأْدُبَةً وَبَعَثَ دَاعِيًا، فَمَنْ أَجَابَ الدَّاعِيَ دَخَلَ الدَّارَ وَأَكَلَ مِنَ الْمَأْدُبَةِ، وَمَنْ لَمْ يُجِبِ الدَّاعِيَ لَمْ يَدْخُلِ الدَّارَ وَلَمْ يَأْكُلْ مِنَ الْمَأْدُبَةِ، فَقَالُوا أَوِّلُوهَا لَهُ يَفْقَهْهَا، فَقَالُوا: أَمَّا الدَّارُ الْجَنَّةُ، وَالدَّاعِي مُحَمَّدٌ ﷺ، فَمَنْ أَطَاعَ مُحَمَّدًا ﷺ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ، وَمَنْ عَصَى مُحَمَّدًا ﷺ فَقَدْ عَصَى اللهَ، وَمُحَمَّدٌ ﷺ فَرْقٌ بَيْنَ النَّاسِ»[(٢)].

﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾: اخْتَارَ، (افْتَعَلَ) مِنَ: (الصَّفْوَةِ)، وَهِيَ الْخَالِصُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، ﴿ءَادَمَ﴾: أَبُو الْبَشَرِ، ﴿وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ﴾: قِيلَ: أَرَادَ بِآلِ إِبْرَاهِيمَ وَآلِ عِمْرَانَ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام وَعِمْرَانَ أَنْفُسَهُمَا كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ﴾[الْبَقَرَة:٢٤٨]، يَعْنِي: مُوسَى وَهَارُونَ، وَقَالَ آخَرُونَ: آلُ إِبْرَاهِيمَ: إِسْمَاعِيلُ وَإِسْحَاقُ وَيَعْقُوبُ وَالْأَسْبَاطُ، وَكَانَ مُحَمَّدٌ ﷺ مِنْ آلِ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام، وَآلُ عِمْرَانَ: مَرْيَمَ وَعِيسَى، ﴿عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةً﴾: اشْتِقَاقُهَا مِنْ: (ذَرَأَ) بِمَعْنَى: (خَلَقَ)، وَقِيلَ: مِنَ (الذَّرِّ)؛ لِأَنَّهُ اسْتَخْرَجَهُمْ مِنْ صُلْبِ آدَمَ كَالذَّرِّ، وَيُسَمَّى

(١) **صحيح:** البخاري: (٧٢٨٠).

(٢) **صحيح:** البخاري: (٧٢٨١) **والمَأدُبَةُ:** طعام صُنع لدعوةٍ أو عرس.اهـ"القاموس المحيط" (١/ ٥٨).

الْأَوْلَادُ وَالْآبَاءُ ذُرِّيَّةً، فَالْأَبْنَاءُ ذُرِّيَّةٌ؛ لِأَنَّهُ ذَرَأَهُمْ، وَالْآبَاءُ ذُرِّيَّةٌ؛ لِأَنَّهُ ذَرَأَ الْأَبْنَاءَ مِنْهُمْ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ﴾[يس:٤١]، أَيْ: آبَاءَهُمْ.

﴿ذُرِّيَّةَۢ﴾: نَصْبٌ عَلَى مَعْنَى: اصْطَفَى ذُرِّيَّةً، ﴿بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍۗ﴾: أَيْ: بَعْضُهَا مِنْ وَلَدِ بَعْضٍ، **وَقِيلَ**: بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ فِي التَّنَاصُرِ، **وَقِيلَ**: بَعْضُهَا عَلَى دِينِ بَعْضٍ، ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

﴿إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ٣٥ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰۖ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا﴾: أَيْ: جَعَلْتُ الَّذِي فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا نَذْرًا مِنِّي لَكَ، ﴿فَتَقَبَّلْ مِنِّيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾، **وَالنَّذْرُ**: مَا يُوجِبُهُ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ، ﴿مُحَرَّرًا﴾: أَيْ: عَتِيقًا خَالِصًا للهِ مُفْرَغًا لِعِبَادَةِ اللهِ وَلِخِدْمَةِ الْكَنِيسَةِ، لَا أَشْغَلُهُ بِشَيْءٍ مِنَ الدُّنْيَا، وَكُلُّ مَا أُخْلِصَ فَهُوَ مُحَرَّرٌ، يُقَالُ: (حَرَّرْتُ الْعَبْدَ) إِذَا أَعْتَقْتَهُ وَخَلَّصْتَهُ مِنَ الرِّقِّ، **قَالَ الْكَلْبِيُّ وَمُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ وَغَيْرُهُمَا**: كَانَ الْمُحَرَّرُ إِذَا حُرِّرَ جُعِلَ فِي الْكَنِيسَةِ يَقُومُ عَلَيْهَا، يَكْنُسُهَا وَيَخْدُمُهَا وَلَا يَبْرَحُ حَتَّى يَبْلُغَ الْحُلُمَ، ثُمَّ يُخَيَّرُ إِنْ أَحَبَّ أَقَامَ فِيهَا وَإِنْ أَحَبَّ ذَهَبَ حَيْثُ شَاءَ، وَإِنْ أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ بَعْدَ التَّخْيِيرِ لَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، وَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْعُلَمَاءِ إِلَّا مِنْ نَسْلِهِ مُحَرَّرٌ لِبَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَلَمْ يَكُنْ مُحَرَّرًا إِلَّا الْغِلْمَانُ وَلَا تَصْلُحُ لَهُ الْجَارِيَةُ؛ لِمَا يُصِيبُهَا مِنَ الْحَيْضِ وَالْأَذَى، فَحَرَّرَتْ أَمُّ مَرْيَمَ مَا فِي بَطْنِهَا، ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا﴾: أَيْ: وَلَدَتْهَا، إِذَا هِيَ جَارِيَةٌ، **وَالْهَاءُ** فِي قَوْلِهِ: ﴿وَضَعَتْهَا﴾: رَاجِعَةٌ إِلَى النَّذِيرَةِ لَا إِلَى مَا فِي بَطْنِهَا وَلِذَلِكَ أُنِّثَ ﴿قَالَتْ﴾: -وَكَانَتْ تَرْجُو أَنْ يَكُونَ غُلَامًا- ﴿رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ﴾: اعْتِذَارًا إِلَى اللهِ ﷻ، ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ﴾: بِجَزْمِ التَّاءِ إِخْبَارًا عَنِ اللهِ ﷻ، وَهِيَ قِرَاءَةُ الْعَامَّةِ، وَقَرَأَ ابْنُ عَامِرٍ وَأَبُو بَكْرٍ وَيَعْقُوبُ: ﴿وَضَعْتُ﴾ بِرَفْعِ التَّاءِ جَعَلُوهَا مِنْ

كَلَامِ أُمِّ مَرْيَمَ، ﴿وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ﴾: فِي خِدْمَةِ الْكَنِيسَةِ وَالعُبَّادِ الَّذِينَ فِيْهَا؛ لِلِينِهَا وَضَعْفِهَا وَمَا يَعْتَرِيهَا مِنَ الْحَيْضِ وَالنِّفَاسِ، ﴿وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ﴾: وَهِيَ بِلُغَتِهِمْ: الْعَابِدَةُ وَالْخَادِمَةُ، وَكَانَتْ مَرْيَمُ مِنْ أَجْمَلِ النِّسَاءِ فِي وَقْتِهَا وَأَفْضَلِهِنَّ، ﴿وَإِنِّي أُعِيذُهَا﴾: أَمْنَعُهَا وَأُجِيرُهَا ﴿بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا﴾: أَوْلَادَهَا ﴿مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾: **وَالشَّيْطَانُ** الطَّرِيدُ اللَّعِينُ، **وَالرَّجِيمُ**: الْمَرْمِيُّ بِالشُّهُبِ.

عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ قَالَ: **قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ** رضي الله عنه، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**مَا مِنْ بَنِي آدَمَ مَوْلُودٌ إِلَّا يَمَسُّهُ الشَّيْطَانُ حِينَ يُولَدُ، فَيَسْتَهِلُّ الصَّبِيُّ صَارِخًا مِنَ مَسِّ الشَّيْطَانِ، غَيْرَ مَرْيَمَ وَابْنِهَا**»، ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: ﴿وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾[(١)].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**كُلُّ بَنِي آدَمَ يَطْعَنُ الشَّيْطَانُ فِي جَنْبِهِ بِأُصْبُعِهِ حِينَ يُولَدُ غَيْرَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، ذَهَبَ يَطْعَنُ فَطَعَنَ فِي الحِجَابِ**»[(٢)].

﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾

قَوْلُهُ: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ﴾: أَيْ: تَقَبَّلَ اللهُ مَرْيَمَ وَ(تَقَبَّلَ) بِمَعْنَى: (قَبِلَ، وَرَضِيَ)، **وَالْقَبُولُ**: مَصْدَرُ (قَبِلَ يَقْبَلُ قَبُولًا)، مِثْلَ: (الوَلُوعِ، وَالوَزُوعِ)، وَلَمْ يَأْتِ غَيْرُ هَذِهِ الثَّلَاثَةِ، **وَقِيلَ: مَعْنَى التَّقَبُّلِ**: التَّكَفُّلُ فِي التَّرْبِيَةِ وَالْقِيَامِ بِشَأْنِهَا، ﴿وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾: مَعْنَاهُ: وَأَنْبَتَهَا فَنَبَتَتْ نَبَاتًا حَسَنًا، **وَقِيلَ**: هَذَا مَصْدَرٌ عَلَى غَيْرِ اللَّفْظِ، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ﴾، وَمِثْلُهُ شَائِعٌ كَقَوْلِكَ: (تَكَلَّمْتُ كَلَامًا)، **وَقَالَ جُوَيْبِرٌ عَنِ الضَّحَّاكِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ** رضي الله عنهما: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ﴾: أَيْ:

---

(١) **صحيح**: البخاري: (٣٤٣١)، ومسلم: (٢٣٦٦).

(٢) **صحيح**: البخاري: (٣٢٨٦).

سَلَكَ بِهَا طَرِيقَ السُّعَدَاءِ، ﴿وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾: يَعْنِي: سَوَّى خَلْقَهَا مِنْ غَيْرِ زِيَادَةٍ وَلَا نُقْصَانٍ، ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّاۖ﴾: **قَالَ أَهْلُ الْأَخْبَارِ**: أَخَذَتْ مَرْيَمَ حِينَ وَلَدَتْهَا، فَلَفَّتْهَا فِي خِرْقَةٍ وَحَمَلَتْهَا إِلَى الْمَسْجِدِ فَوَضَعَتْهَا عِنْدَ الْأَحْبَارِ، وَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَلُونَ مِنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ مَا يَلِي الْحَجَبَةُ مِنَ الْكَعْبَةِ، فَقَالَتْ لَهُمْ: دُونَكُمْ هَذِهِ النَّذِيرَةَ، فَتَنَافَسَ فِيهَا الأَحْبَارُ؛ لِأَنَّهَا كَانَتْ بِنْتَ إِمَامِهِمْ وَصَاحِبِ قُرْبَانِهِمْ، فَقَالَ لَهُمْ زَكَرِيَّا: أَنَا أَحَقُّكُمْ بِهَا، عِنْدِي خَالَتُهَا، فَقَالَتْ لَهُ الْأَحْبَارُ: لَا تَفْعَلْ ذَلِكَ؛ فَإِنَّهَا لَوْ تُرِكَتْ لِأَحَقِّ النَّاسِ بِهَا لَتُرِكَتْ لِأُمِّهَا الَّتِي وَلَدَتْهَا، لَكِنَّا نَقْتَرِعُ عَلَيْهَا فَتَكُونُ عِنْدَ مَنْ خَرَجَ سَهْمُهُ فَانْطَلَقُوا إِلَى نَهْرٍ جَارٍ، فَأَلْقَوْا أَقْلَامَهُمْ فِي الْمَاءِ عَلَى أَنَّ مَنْ ثَبَتَ قَلَمُهُ فِي الْمَاءِ وَصَعَدَ فَهُوَ أَوْلَى بِهَا، وَقِيلَ: كَانَ عَلَى كُلِّ قَلَمٍ اسْمُ وَاحِدٍ مِنْهُمْ، وَقِيلَ: كَانُوا يَكْتُبُونَ التَّوْرَاةَ فَأَلْقَوْا أَقْلَامَهُمُ الَّتِي كَانَتْ بِأَيْدِيهِمْ، فَسَهَمَهُمْ وَقَرَعَهُمْ زَكَرِيَّا، وَكَانَ رَأْسَ الْأَحْبَارِ وَنَبِيَّهُمْ.

﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّاۖ﴾: قَرَأَ حَمْزَةُ وَعَاصِم وَالكِسَائِيُّ: ﴿كَفَّلَهَا﴾ بِتَشْدِيدِ الْفَاءِ فَيَكُونُ ﴿زَكَرِيَّاۖ﴾ فِي مَحَلِّ النَّصْبِ أَيْ: ضَمَنَهَا اللهُ زَكَرِيَّا وَضَمَّهَا إِلَيْهِ وَقَرَأَ الْآخَرُونَ بِالتَّخْفِيفِ، فَيَكُونُ ﴿زَكَرِيَّاۖ﴾ فِي مَحَلِّ الرَّفْعِ، أَيْ: ضَمَّهَا زَكَرِيَّا إِلَى نَفْسِهِ وَقَامَ بِأَمْرِهَا، وَقَرَأَ حَمْزَةُ وَالْكِسَائِيُّ وَحَفْصٌ عَنْ عَاصِمٍ: ﴿زَكَرِيَّاۖ﴾ مَقْصُورًا، وَالآخَرُونَ مَمْدُودًا، **قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ**: ضَمَّهَا إِلَى خَالَتِهَا أَمِّ يَحْيَى حَتَّى إِذَا شَبَّتْ وَبَلَغَتْ مَبْلَغَ النِّسَاءِ بَنَى لَهَا مِحْرَابًا، ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ﴾: أَرَادَ بِالمِحْرَابِ الغُرْفَةَ الَّتِي بَنَاهَا، **وَالْمِحْرَابُ**: أَشْرَفُ الْمَجَالِسِ وَمُقَدَّمُهَا، وَكَذَلِكَ هُوَ مِنَ الْمَسْجِدِ، وَيُقَالُ لِلْمَسْجِدِ أَيْضًا: مِحْرَابٌ، فَإِذَا دَخَلَ عَلَيْهَا غُرْفَتَهَا ﴿وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًاۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ﴾: **قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ**: مَعْنَاهُ: (مِنْ أَيْنَ لَكِ هَذَا)، وَأَنْكَرَ بَعْضُهُمْ عَلَيْهِ وَقَالَ: مَعْنَاهُ: (مِنْ أَيِّ جِهَةٍ لَكِ هَذَا)؛ لِأَنَّ (أَنَّى) لِلسُّؤَالِ عَنِ الجِهَةِ، وَ(أَيْنَ) لِلسُّؤَالِ عَنِ الْمَكَانِ، ﴿قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.

﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾

﴿هُنَالِكَ﴾: أَيْ: عِنْدَ ذَلِكَ ﴿دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ قَالَ رَبِّ﴾: أَيْ: يَا رَبِّ ﴿هَبْ لِي﴾: أَعْطِنِي ﴿مِن لَّدُنكَ﴾: أَيْ: مِنْ عِنْدِكَ ﴿ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾: أَيْ: وَلَدًا مُبَارَكًا تَقِيًّا صَالِحًا رَضِيًّا، **وَالذُّرِّيَّةُ**: تَكُونُ وَاحِدًا وَجَمْعًا ذَكَرًا وَأُنْثَى، وَهُوَ هَاهُنَا وَاحِدٌ بِدَلِيلِ قَوْلِهِ ﷺ: ﴿فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا﴾[مَرْيَم:٥]، وَإِنَّمَا قَالَ: ﴿طَيِّبَةً﴾ لِتَأْنِيثِ لَفْظِ الذُّرِّيَّةِ، ﴿إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾: أَيْ: سَامِعُهُ، **وَقِيلَ**: مُجِيبُهُ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنِّي آمَنتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ﴾[يس:٢٥]، أَيْ: فَأَجِيبُونِي، ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ﴾: قَرَأَ حَمْزَةُ وَالْكِسَائِيُّ: ﴿فَنَادَاهُ﴾ بِالْأَلِفِ، وَالْآخَرُونَ بِالتَّاءِ، فَمَنْ قَرَأَ بِالتَّاءِ فَلِتَأْنِيثِ لَفْظِ الْمَلَائِكَةِ وَلِلْجَمْعِ مَعَ أَنَّ الذُّكُورَ إِذَا تَقَدَّمَ فِعْلُهُمْ وَهُمْ جَمَاعَةٌ كَانَ التَّأْنِيثُ فِيهِمْ أَحْسَنَ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ﴾[الْحُجُرَات:١٤]، وَأَرَادَ بِالْمَلَائِكَةِ هَاهُنَا جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَحْدَهُ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى فِي سُورَةِ النَّحْلِ ﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ﴾ يَعْنِي: جِبْرِيلَ ﴿بِالرُّوحِ﴾[النَّحْل:٢] بِالْوَحْيِ، وَيَجُوزُ فِي الْعَرَبِيَّةِ أَنْ يُخْبَرَ عَنِ الْوَاحِدِ بِلَفْظِ الْجَمْعِ، كَقَوْلِهِمْ: (سَمِعْتُ هَذَا الْخَبَرَ مِنَ النَّاسِ)، وَإِنَّمَا سَمِعَ مِنْ وَاحِدٍ، نَظِيرُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ﴾ يَعْنِي: نُعَيْمَ بْنَ مَسْعُودٍ ﴿إِنَّ النَّاسَ﴾[آل عِمْرَانَ:١٧٣] يَعْنِي: أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ، **وَقَالَ الْمُفَضَّلُ بْنُ سَلَمَةَ**: إِذَا كَانَ الْقَائِلُ رَئِيسًا يَجُوزُ الْإِخْبَارُ عَنْهُ بِالْجَمْعِ؛ لِاجْتِمَاعِ أَصْحَابِهِ مَعَهُ، وَكَانَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ رَئِيسَ الْمَلَائِكَةِ، وَقَلَّ مَا يُبْعَثُ إِلَّا وَمَعَهُ جَمْعٌ، فَجَرَى عَلَى ذَلِكَ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ﴾: أَيْ: فِي الْمَسْجِدِ ﴿أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ﴾: قَرَأَ ابْنُ عَامِرٍ وَحَمْزَةُ: ﴿إِنَّ اللهَ﴾ بِكَسْرِ الْأَلِفِ عَلَى إِضْمَارِ الْقَوْلِ، تَقْدِيرُهُ: (فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ فَقَالَتْ: إِنَّ اللهَ)، وَقَرَأَ الْآخَرُونَ بِالْفَتْحِ بِإِيقَاعِ النِّدَاءِ عَلَيْهِ كَأَنَّهُ قَالَ: (فَنَادَتْهُ

الْمَلَائِكَةُ بِأَنَّ اللهَ يُبَشِّرُكَ)، قَرَأَ حَمْزَةُ: ﴿يُبَشِّرُكَ﴾ وَبَابهُ بِالتَّخْفِيفِ كُلَّ الْقُرْآنِ إِلَّا قَوْلَهُ: ﴿فَبِمَ تُبَشِّرُونَ﴾[الْحِجْر:٥٤]؛ فَإِنَّهُمُ اتَّفَقُوا عَلَى تَشْدِيدِهَا، وَوَافَقَهُ الْكِسَائِيُّ هَاهُنَا فِي الْمَوْضِعَيْنِ، وَفِي: (سُبْحَانَ، وَالكَهْفِ، وَحم عسق)، وَوَافَقَ ابْنُ كَثِيرٍ وَأَبُو عَمْرٍو فِي: (حم عسق)، وَالْبَاقُونَ بِالتَّشْدِيدِ، فَمَنْ قَرَأَ بِالتَّشْدِيدِ فَهُوَ مِنْ: (بَشَّرَ يُبَشِّرُ تَبْشِيرًا) وَهُوَ أَعْرَبُ اللُّغَاتِ وَأَفْصَحُهَا دَلِيلُ التَّشْدِيدِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ﴾[الزُّمَر: ١٧]، ﴿وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ﴾[الصَّافَّات:١١٢]، ﴿قَالُواْ بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ﴾[الْحِجْر:٥٥] وَغَيْرُهَا مِنَ الْآيَاتِ، وَمَنْ خَفَّفَ فَهُوَ مِنْ: (بَشَرَ يَبْشُرُ)، وَهِيَ لُغَةُ تِهَامَةَ، وَقِرَاءَةُ ابْن مَسْعُودٍ رضي الله عنه: ﴿بِيَحْيَى﴾ هُوَ اسْمٌ لَا يُجَرُّ لِمَعْرِفَتِهِ، وَلِلزَّائِدِ فِي أَوَّلِهِ، مِثْلَ: (يَزِيدَ، وَيَعْمُرَ)، وَجَمْعُهُ: (يَحْيَوْنَ)، مِثْلَ: (مُوسَوْنَ، وَعِيسَوْنَ)، **وَاخْتَلَفُوا فِي أَنَّهُ لِمَ سُمِّيَ يَحْيَى؟ فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ** رضي الله عنهما: لِأَنَّ اللهَ أَحْيَا بِهِ عَقْرَ أُمِّهِ، **وَقَالَ قَتَادَةُ**: لِأَنَّ اللهَ تَعَالَى أَحْيَا قَلْبَهُ بِالْإِيمَانِ، **وَقِيلَ**: لِأَنَّ اللهَ تَعَالَى أَحْيَاهُ بِالطَّاعَةِ حَتَّى لَمْ يَعْصِ وَلَمْ يَهُمَّ بِمَعْصِيَةٍ، ﴿مُصَدِّقًا﴾: نُصِبَ عَلَى الْحَالِ، ﴿بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾: يَعْنِي: عِيسَى عليه السلام، سُمِّيَ عِيسَى كَلِمَةَ اللهِ؛ لِأَنَّ اللهَ تَعَالَى قَالَ لَهُ: كُنْ مِنْ غَيْرِ أَبٍ فَكَانَ، فَوَقَعَ عَلَيْهِ اسْمُ الْكَلِمَةِ لِأَنَّهُ بِهَا كَانَ، **وَقِيلَ**: سُمِّيَ كَلِمَةً؛ لِأَنَّهُ يُهْتَدَى بِهِ كَمَا يُهْتَدَى بِكَلَامِ اللهِ تَعَالَى، **وَقِيلَ**: هِيَ بِشَارَةُ اللهِ تَعَالَى لِمَرْيَمَ بِعِيسَى عليه السلام بِكَلَامِهِ عَلَى لِسَانِ جِبْرِيلَ عليه السلام **وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ**: ﴿بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾: أَيْ: بِكِتَابٍ مِنَ اللهِ وَآيَاتِهِ، تَقُولُ الْعَرَبُ: (أَنْشِدْنِي كَلِمَةَ فُلَانٍ)، أَيْ: قَصِيدَتَهُ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَسَيِّدًا﴾: هُوَ (فعيل) مِنْ: (سَادَ يَسُودُ)، وَهُوَ الرَّئِيسُ الَّذِي يُتْبَعُ وَيُنْتَهَى إِلَى قَوْلِهِ، **قَالَ الْمُفَضَّلُ**: أَرَادَ سَيِّدًا فِي الدِّينِ، **قَالَ الضَّحَّاكُ**: السَّيِّدُ: الْحَسَنُ الْخُلُقِ، **قَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ**: السَّيِّدُ: الَّذِي يُطِيعُ رَبَّهُ عز وجل، **وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ**: السَّيِّدُ: الْفَقِيهُ الْعَالِمُ، **وَقَالَ قَتَادَةُ**: سَيِّدٌ فِي الْعِلْمِ وَالْعِبَادَةِ وَالْوَرَعِ، **وَقِيلَ**: الْحَلِيمُ الَّذِي لَا يُغْضِبُهُ شَيْءٌ، **قَالَ مُجَاهِدٌ**: الْكَرِيمُ عَلَى اللهِ تَعَالَى، **وَقَالَ الضَّحَّاكُ**: السَّيِّدُ:

التَّقِيُّ، **وَقَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ**: الَّذِي لَا يَحْسُدُ، **وَقِيلَ**: الَّذِي يَفُوقُ أَقْرَانَهُ وَقَوْمَهُ فِي جَمِيعِ خِصَالِ الْخَيْرِ، **وَقِيلَ**: هُوَ الْقَانِعُ بِمَا قَسَمَ اللهُ لَهُ، **وَقِيلَ**: هُوَ السَّخِيُّ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ سَيِّدُكُمْ يَا بُنِي سَلَمَةَ؟**» قَالُوا: جَدُّ بْنُ قَيْسٍ عَلَى أَنَّا نُبَخِّلُهُ، قَالَ: «**وَأَيُّ دَاءٍ أَدْوَى مِنَ الْبُخْلِ، لَكِنَّ سَيِّدَكُمْ عَمْرُو بْنُ الْجَمُوحِ**»(١).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾: **الحَصُورُ**: أَصْلُهُ مِنَ الْحَصْرِ، وَهُوَ الْحَبْسُ، **وَالْحَصُورُ فِي قَوْلِ ابْنِ مَسْعُودٍ وَابْنِ عَبَّاسٍ وَسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ وَقَتَادَةَ وَعَطَاءٍ وَالْحَسَنِ**: الَّذِي لَا يَأْتِي النِّسَاءَ وَلَا يَقْرَبُهُنَّ، وَهُوَ عَلَى هَذَا الْقَوْلِ: (فَعُولٌ) بِمَعْنَى (فَاعِلٍ)، يَعْنِي: أَنَّهُ يَحْصُرُ نَفْسَهُ عَنِ الشَّهَوَاتِ، **وَفِيهِ قَوْلٌ آخَرُ**: إِنَّ الْحَصُورَ هُوَ الْمُمْتَنِعُ مِنَ الْوَطْءِ مَعَ الْقُدْرَةِ عَلَيْهِ، وَاخْتَارَ قَوْمٌ هَذَا الْقَوْلَ لِوَجْهَيْنِ، أَحَدُهُمَا: لِأَنَّ الْكَلَامَ خَرَجَ مَخْرَجَ الثَّنَاءِ، وَهَذَا أَقْرَبُ إِلَى اسْتِحْقَاقِ الثَّنَاءِ، وَالثَّانِي: أَنَّهُ أَبْعَدُ مِنْ إِلْحَاقِ الْآفَةِ بِالْأَنْبِيَاءِ.

﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِي عَاقِرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿٤٠﴾ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً ۖ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا ۗ وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قَالَ رَبِّ﴾: أَيْ: يَا سَيِّدِي، قَالَ لِجِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، **هَذَا قَوْلُ الْكَلْبِيِّ وَجَمَاعَةٍ، وَقِيلَ**: قَالَهُ للهِ ﷻ ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ﴾: مِنْ أَيْنَ يَكُونُ ﴿لِي غُلَٰمٌ﴾: أَيِ: ابْنٌ ﴿وَقَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ﴾: هَذَا مِنَ الْمَقْلُوبِ، أَيْ: وَقَدْ بَلَغْتُ الكِبَرَ وَشِخْتُ، كَمَا تَقُولُ: (بَلَغَنِي الْجَهْدُ) أَيْ: أَنَا فِي الْجَهْدِ **وَقِيلَ**: مَعْنَاهُ: وَقَدْ نَالَنِيَ الْكِبَرُ وَأَدْرَكَنِي وَأَضْعَفَنِي ﴿وَٱمْرَأَتِي عَاقِرٌ﴾: أَيْ: عَقِيمٌ لَا تَلِدُ، يُقَالُ: (رَجُلٌ عَاقِرٌ)، وَ(امْرَأَةٌ عَاقِرٌ)، وَقَدْ (عَقُرَ -بِضَمِّ الْقَافِ- يَعْقُرُ عُقْرًا وَعُقَارَةً)، ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾: **فَإِنْ قِيلَ**: لِمَ قَالَ زَكَرِيَّا بَعْدَمَا وَعَدَهُ اللهُ تَعَالَى: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ﴾؟ أَكَانَ شَاكًّا فِي وَعْدِ اللهِ وَفِي

(١) **صحيح**: صحَّحه العلَّامة الألباني رَحِمَهُ اللهُ في «صحيح الأدب المفرد» (٢٢٧) عن جابر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

قُدْرَتِهِ؟ قِيلَ: أَنَّهُ لَمْ يَشُكَّ فِي وَعْدِ اللهِ، إِنَّمَا شَكَّ فِي كَيْفِيَّتِهِ، أَيْ: كَيْفَ ذَلِكَ؟ أَتَجْعَلُنِي وَامْرَأَتِي شَابَّيْنِ؟ أَمْ تَرْزُقنَا وَلَدًا عَلَى الكِبَرِ مِنَّا؟ أَمْ تَرْزُقَنِي مِن امْرَأَةٍ أُخْرَى؟ قَالَهُ مُسْتَفْهِمًا لَا شَاكًّا، هَذَا قَوْلُ **الحَسَنِ**.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً﴾: أَيْ: عَلَامَةً أَعْلَمُ بِهَا وَقْتَ حَمْلِ امْرَأَتِي فَأَزِيدُ فِي الْعِبَادَةِ شُكْرًا لَكَ، ﴿قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ﴾: أَيْ: تَكُفَّ عَنِ الْكَلَامِ ﴿ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ﴾: وَتُقْبِلَ بِكُلِّيَّتِكَ عَلَى عِبَادَتِي لَا أَنَّهُ يَحْبِسُ لِسَانَهُ عَنِ الْكَلَامِ، وَلَكِنَّهُ نَهْيٌ عَنِ الْكَلَامِ وَهُوَ صَحِيحٌ سَوِيٌّ، كَمَا قَالَ فِي سُورَةِ مَرْيَمَ: ﴿أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٖ سَوِيّٗا﴾[مَرْيَم:١٠]، يَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَسَبِّحۡ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ﴾[آل عِمْرَان:٤١]، فَأَمَرَهُ بِالذِّكْرِ وَنَهَاهُ عَنْ كَلَامِ النَّاسِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿إِلَّا رَمۡزٗاۗ﴾: أَيْ: إِشَارَةً، وَالْإِشَارَةُ قَدْ تَكُونُ بِاللِّسَانِ وَبِالْعَيْنِ وَبِالْيَدِ، **قَالَ الْفَرَّاءُ**: قَدْ يَكُونُ الرَّمْزُ بِاللِّسَانِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُبَيِّنَ، وَهُوَ الصَّوْتُ الخَفِيُّ أَشْبَهَ الْهَمْس، ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ كَثِيرٗا وَسَبِّحۡ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ﴾: قِيلَ: **الْمُرَادُ بِالتَّسْبِيحِ** الصَّلَاةُ **وَالْعَشِيُّ**: مَا بَيْنَ زَوَالِ الشَّمْسِ إِلَى غُرُوبِهَا، وَمِنْهُ سُمِّيَتْ صَلَاةُ الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ صَلَاتَي الْعَشِيِّ، **وَالْإِبْكَارُ**: مَا بَيْنَ صَلَاةِ الْفَجْرِ إِلَى الضُّحَى.

﴿وَإِذۡ قَالَتِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصۡطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٤٢ يَٰمَرۡيَمُ ٱقۡنُتِي لِرَبِّكِ وَٱسۡجُدِي وَٱرۡكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ٤٣ ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهِ إِلَيۡكَۚ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ يُلۡقُونَ أَقۡلَٰمَهُمۡ أَيُّهُمۡ يَكۡفُلُ مَرۡيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ يَخۡتَصِمُونَ﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذۡ قَالَتِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾: يَعْنِي: جِبْرِيلَ ﴿يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰكِ﴾: اخْتَارَكِ، ﴿وَطَهَّرَكِ﴾: **قِيلَ**: مِنْ مَسِيسِ الرِّجَالِ، **وَقِيلَ**: مِنَ الْحَيْضِ وَالنِّفَاسِ، **وَقِيلَ**: مِنَ الذُّنُوبِ، ﴿وَٱصۡطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾: **قِيلَ**: عَلَى نِسَاءِ عَالَمِي زَمَانِهَا، **وَقِيلَ**: عَلَى جَمِيعِ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ فِي أَنَّهَا وَلَدَتْ بِلَا أَبٍ، وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ لِأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ، **وَقِيلَ**: بِالتَّحْرِيرِ فِي المَسْجِدِ، وَلَمْ يُحَرَّرْ فِيهِ أَحَدٌ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا هِيَ.

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ جَعْفَرٍ قَالَ: سَمِعْتُ عَلِيًّا رضي الله عنه يَقُولُ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «خَيْرُ نِسَائِهَا مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وَخَيْرُ نِسَائِهَا خَدِيجَةُ»[(١)]. وَرَوَاهُ وَكِيعٌ وَأَبُو مُعَاوِيَةَ عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، وَأَشَارَ وَكِيعٌ إِلَى السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ.

عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «كَمُلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ، وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَرْيَمَ بِنْتَ عِمْرَانَ وَآسِيَةَ امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ، وَفَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ»[(٢)].

عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «حَسْبُكَ مِنْ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ: مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وَخَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ، وَفَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَآسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ»[(٣)].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ﴾: قَالَتْ لَهَا الْمَلَائِكَةُ شِفَاهًا، أَيْ: أَطِيعِي رَبَّكِ قَالَ مُجَاهِدٌ: أَطِيلِي الْقِيَامَ فِي الصَّلَاةِ لِرَبِّكِ، وَالْقُنُوتُ: الطَّاعَةُ، وَقِيلَ: الْقُنُوتُ طُولُ الْقِيَامِ، ﴿وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى﴾: قِيلَ: إِنَّمَا قَدَّمَ السُّجُودَ عَلَى الرُّكُوعِ لِأَنَّهُ كَانَ كَذَلِكَ فِي شَرِيعَتِهِمْ، وَقِيلَ: بَلْ كَانَ الرُّكُوعُ قَبْلَ السُّجُودِ فِي الشَّرَائِعِ كُلِّهَا، وَلَيْسَ الْوَاوُ لِلتَّرْتِيبِ بَلْ للجمع، وَيَجُوزُ أَنْ يَقُولَ الرَّجُلُ: (رَأَيْتُ زَيْدًا وَعَمْرًا) وَإِنْ كَانَ قَدْ رَأَى (عَمْرًا) قَبْلَ (زَيْدٍ)، ﴿مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾: وَلَمْ يَقُلْ مَعَ الرَّاكِعَاتِ لِيَكُونَ أَعَمَّ وَأَشْمَلَ؛ فَإِنَّهُ يَدْخُلُ فِيهِ الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: مَعَ الْمُصَلِّينَ فِي الجَمَاعَةِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾: يَقُولُ لِمُحَمَّدٍ ﷺ: ﴿ذَٰلِكَ﴾: الَّذِي ذَكَرْتُ مِنْ حَدِيثِ زَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَمَرْيَمَ وَعِيسَى ﴿مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ﴾: أَيْ: مِنْ أَخْبَارِ الْغَيْبِ ﴿نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾: رَدَّ الْكِنَايَةَ إِلَى ﴿ذَٰلِكَ﴾؛ فَلِذَلِكَ ذَكَّرَهُ، ﴿وَمَا كُنتَ﴾: يَا مُحَمَّدُ ﴿لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ﴾: سِهَامَهُمْ فِي الْمَاءِ لِلِاقْتِرَاعِ ﴿أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾: يَحْضُنُهَا وَيُرَبِّيهَا، ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾: فِي كَفَالَتِهَا.

---

(١) **صحيح:** البخاري: (٣٤٣٢)، ومسلم: (٢٤٣٠).

(٢) **صحيح:** البخاري: (٣٤١١)، ومسلم: (٢٤٣١).

(٣) **صحيح:** صحَّحه العلَّامة الألباني رحمه الله في "صحيح وضعيف سنن الترمذي" (٣٨٧٨).

﴿ إِذۡ قَالَتِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٖ مِّنۡهُ ٱسۡمُهُ ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ وَجِيهٗا فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلۡمَهۡدِ وَكَهۡلٗا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتۡ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٞ وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞۖ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ إِذۡ قَالَتِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٖ مِّنۡهُ ٱسۡمُهُ ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ ﴾: إِنَّمَا قَالَ: ﴿ٱسۡمُهُ﴾؛ رَدَّ الْكِنَايَةَ إِلَى عِيسَى، **وَاخْتَلَفُوا فِي أَنَّهُ لِمَ سُمِّيَ مَسِيحًا، فَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ**: هُوَ (فَعِيلٌ) بِمَعْنَى الْمَفْعُول يَعْنِي: أَنَّهُ مُسِحَ مِنَ الْأَقْذَارِ وَطُهِّرَ مِنَ الذُّنُوبِ، **وَقِيلَ**: لِأَنَّهُ مُسِحَ بِالْبَرَكَةِ، **وَقَالَ بَعْضُهُمْ**: هُوَ (فَعِيلٌ) بِمَعْنَى الْفَاعِلِ، مِثْلُ: (عَلِيم، وَعَالِم)، **وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ** رضي الله عنهما: سُمِّيَ مَسِيحًا لِأَنَّهُ مَا مَسَحَ ذَا عَاهَةٍ إِلَّا بَرِأَ، **وَقِيلَ**: سُمِّيَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ كَانَ يَسِيحُ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُقِيمُ فِي مَكَانٍ، وَعَلَى هَذَا الْقَوْلِ تَكُونُ الْمِيمُ فِيهِ زَائِدَةً، **وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ النَّخَعِيُّ**: الْمَسِيحُ: الصِّدِّيقُ، وَيَكُونُ الْمَسِيحُ بِمَعْنَى: الْكَذَّابِ، وَبِهِ سُمِّيَ الدَّجَّالُ، وَالْحَرْفُ مِنَ الْأَضْدَادِ، ﴿وَجِيهٗا﴾: أَيْ: شَرِيفًا رَفِيعًا ذَا جَاهٍ وَقَدْرٍ ﴿فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ﴾: عِنْدَ اللهِ، ﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلۡمَهۡدِ﴾: صَغِيرًا قَبْلَ أَوَانِ الْكَلَامِ كَمَا ذَكَرَهُ فِي سُورَةِ مَرْيَمَ: ﴿قَالَ إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيّٗا﴾[مَرْيَم:٣٠] الآيَة.

قَوْلُهُ: ﴿وَكَهۡلٗا﴾: **قَالَ مُقَاتِلٌ**: يَعْنِي إِذَا اجْتَمَعَتْ قُوَّتُهُ قَبْلَ أَنْ يُرْفَعَ إِلَى السَّمَاءِ، **وَقَالَ الْحُسَيْنُ بْنُ الْفَضْلِ**: ﴿وَكَهۡلٗا﴾: بَعْدَ نُزُولِهِ مِنَ السَّمَاءِ، **وَقِيلَ**: أَخْبَرَهَا اللهُ أَنَّهُ يَبْقَى حَتَّى يَكْتَهِلَ، وَكَلَامُهُ بَعْدَ الْكُهُولَةِ إِخْبَارُهُ عَنِ الْأَشْيَاءِ الْمُعْجِزَةِ، **وَقِيلَ**: ﴿وَكَهۡلٗا﴾: نَبِيًّا بَشَّرَهَا بِنُبُوَّةِ عِيسَى عليه السلام، وَكَلَامُهُ فِي الْمَهْدِ مُعْجِزَةٌ وَفِي الْكُهُولَةِ دَعْوَةٌ، **وَقَالَ مُجَاهِد**: ﴿وَكَهۡلٗا﴾: أَيْ: حَلِيمًا، وَالْعَرَبُ تَمْدَحُ الْكُهُولَةَ؛ لِأَنَّهَا الْحَالَةُ الْوُسْطَى فِي احْتِنَاكِ السِّنِّ وَاسْتِحْكَامِ الْعَقْلِ وَجَوْدَةِ الرَّأْيِ وَالتَّجْرِبَةِ، ﴿وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾: أَيْ: هُوَ مِنَ الْعِبَادِ الصَّالِحِينَ.

﴿قَالَتۡ رَبِّ﴾: تَقُولُهُ لِجِبْرِيلَ، **وَقِيلَ**: تَقُولُ للهِ عز وجل، ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٞ وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞۖ﴾: ولم يُصِبْنِي رَجُلٌ، قَالَتْ ذَلِكَ تَعَجُّبًا؛ إِذْ لَمْ تَكُنْ جَرَتِ الْعَادَةُ بِأَنْ يُولَدَ وَلَدٌ

لَا أَبَ لَهُ، ﴿قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا﴾: أراد كَوْنَ الشَّيْءِ ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾: كَمَا يُرِيدُ.

﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْۖ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَيُعَلِّمُهُ﴾: قَرَأَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ وَعَاصِمٌ وَيَعْقُوبُ بِالْيَاءِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُۚ﴾، **وَقِيلَ:** رَدَّهُ عَلَى قَوْلِهِ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ﴾، وَقَرَأَ الْآخَرُونَ بِالنُّونِ عَلَى التَّعْظِيمِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَۚ﴾[آل عِمْرَان:٤٤].

قَوْلُهُ: ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾: أَيِ الْكِتَابَةَ وَالْخَطَّ ﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾: الْعِلْمَ وَالْفِقْهَ ﴿وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾: عَلَّمَهُ اللهُ التَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ، ﴿وَرَسُولًا﴾: أَيْ: وَنَجْعَلُهُ رَسُولًا ﴿إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾: **قِيلَ:** كَانَ رَسُولًا فِي حَالِ الصِّبَا، **وَقِيلَ:** إِنَّمَا كَانَ رَسُولًا بَعْدَ الْبُلُوغِ، وَكَانَ أَوَّلُ أَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ يُوسُفَ وَآخِرُهُمْ عِيسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، فَلَمَّا بُعِثَ قَالَ: ﴿أَنِّى﴾: **قَالَ الْكِسَائِيُّ:** إِنَّمَا فتح لِأَنَّهُ أَوْقَعَ الرِّسَالَةَ عَلَيْهِ، **وَقِيلَ:** مَعْنَاهُ: بِأَنِّي ﴿قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ﴾: عَلَامَةٍ ﴿مِّن رَّبِّكُمْۖ﴾: تُصَدِّقُ قَوْلِي، وَإِنَّمَا قَالَ بِآيَةٍ وَقَدْ أَتَى بِآيَاتٍ لِأَنَّ الْكُلَّ دَلَّ عَلَى شَيْءٍ وَاحِدٍ وَهُوَ صِدْقُهُ فِي الرِّسَالَةِ، فَلَمَّا قَالَ ذَلِكَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ قَالُوا: وَمَا هِيَ؟ قَالَ: ﴿أَنِّىٓ﴾: قَرَأَ نَافِعٌ بِكَسْرِ الْأَلْفِ عَلَى الِاسْتِئْنَافِ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بِالْفَتْحِ عَلَى مَعْنَى بِإِنِّي ﴿أَخْلُقُ﴾: أَيْ أُصَوِّرُ وَأُقَدِّرُ ﴿لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ﴾: قَرَأَ أَبُو جَعْفَرٍ: ﴿كَهَيْئَةِ الطَّائِرِ﴾ هَاهُنَا وَفِي الْمَائِدَةِ، **وَالْهَيْئَةُ:** الصُّورَةُ الْمُهَيَّأَةُ مِنْ قَوْلِهِمْ: (هَيَّأْتُ الشَّيْءَ) إِذَا قَدَّرْتَهُ وَأَصْلَحْتَهُ، ﴿فَأَنفُخُ فِيهِ﴾: أَيْ: فِي الطَّيْرِ ﴿فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِۖ﴾: قِرَاءَةُ الْأَكْثَرِينَ بِالْجَمْعِ؛ لِأَنَّهُ خلق طَيْرًا كَثِيرًا، وَقَرَأَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ وَيَعْقُوبُ: ﴿فَيَكُونُ طَائِرًا﴾ عَلَى الْوَاحِدِ هَاهُنَا وَفِي سُورَةِ الْمَائِدَةِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ﴾: أَيْ: أَشْفِيهِمَا وَأُصَحِّحُهُمَا، وَاخْتَلَفُوا فِي الْأَكْمَهِ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما وَقَتَادَةُ: هُوَ الَّذِي وُلِدَ أَعْمَى، وَقَالَ الْحَسَنُ وَالسُّدِّيُّ: هُوَ الْأَعْمَى، وَقَالَ عِكْرِمَةُ: هُوَ الْأَعْمَشُ، [وَالعَمَشُ ضَعْفُ الرُّؤْيَةِ مَعَ سَيَلَانِ الدَّمْعِ فِي أَكْثَرِ الأَوْقَاتِ]، وَقَالَ مُجَاهِدٌ: هُوَ الَّذِي يُبْصِرُ بِالنَّهَارِ وَلَا يُبْصِرُ بِاللَّيْلِ، [وَهُوَ الأَعْشَى]، ﴿وَٱلْأَبْرَصَ﴾: هو الَّذِي بِهِ وَضَحٌ، وَإِنَّمَا خَصَّ هَذَيْنِ لِأَنَّهُمَا دَاءَانِ عَيَاءَانِ وَكَانَ الغَالِبُ فِي زَمَنِ عِيسَى عليه السلام الطِّبَّ، فَأَرَاهُمُ اللهُ الْمُعْجِزَةَ مِنْ جِنْسِ ذَلِكَ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾: [مِمَّنْ أَرَادَ اللهُ عز وجل إِحْيَاءَهُمْ عِبْرَةً لَكُمْ]، ﴿وَأُنَبِّئُكُم﴾: أُخْبِرُكُمْ ﴿بِمَا تَأْكُلُونَ﴾: مِمَّا لَمْ أُعَايِنْهُ، ﴿وَمَا تَدَّخِرُونَ﴾: تَرْفَعُونَهُ ﴿فِي بُيُوتِكُمْ﴾: حَتَّى تَأْكُلُوهُ، وَقِيلَ: كَانَ يُخْبِرُ الرَّجُلَ بِمَا أَكَلَ الْبَارِحَةَ وَبِمَا يَأْكُلُ الْيَوْمَ وَبِمَا ادَّخَرَهُ لِلْعَشَاءِ، ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾: الَّذِي ذَكَرْتُ ﴿لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۗ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾

﴿وَمُصَدِّقًا﴾: عَطْفٌ عَلَى قَوْلِهِ ﴿وَرَسُولًا﴾، ﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾: مِنَ اللُّحُومِ وَالشُّحُومِ. وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: أَرَادَ بِالْبَعْضِ الْكُلَّ، يَعْنِي: كُلَّ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ، وَقَدْ يُذْكَرُ الْبَعْضُ وَيُرَادُ بِهِ الْكُلُّ، كَقَوْلِ لَبِيدٍ:

تَرَّاكُ أَمْكِنَةٍ إِذَا لَمْ أَرْضَهَا ... أَوْ يَرْتَبِطْ بَعْضَ النُّفُوسِ حِمَامُهَا

يَعْنِي: كُلَّ النُّفُوسِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾: يَعْنِي: مَا ذَكَرَ مِنَ الْآيَاتِ، وَإِنَّمَا وَحَّدَهَا لِأَنَّهَا كُلَّهَا جِنْسٌ وَاحِدٌ فِي الدَّلَالَةِ عَلَى رِسَالَتِهِ، ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۗ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾.

﴿ ۞ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنۡهُمُ ٱلۡكُفۡرَ قَالَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ﴿٥٢﴾ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلۡتَ وَٱتَّبَعۡنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ﴾: أَيْ: وَجَدَ، **قَالَهُ الْفَرَّاءُ، وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ:** عَرَفَ، **وَقَالَ مُقَاتِلٌ:** رَأَى ﴿مِنۡهُمُ ٱلۡكُفۡرَ﴾: وَأَرَادُوا قَتْلَهُ اسْتَنْصَرَ عَلَيْهِمْ، ﴿قَالَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾: **قَالَ السُّدِّيُّ وَابْنُ جُرَيْجٍ:** مَعَ اللهِ تَعَالَى، تَقُولُ الْعَرَبُ: (الذَّوْدُ إِلَى الذَّوْدِ إِبِلٌ)، أَيْ: مَعَ الذود، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَهُمۡ إِلَىٰٓ أَمۡوَٰلِكُمۡۚ﴾[النِّسَاء: ٢]، أَيْ: مَعَ أَمْوَالِكُمْ، **وَقَالَ الْحَسَنُ وَأَبُو عُبَيْدَةَ:** ﴿إِلَى﴾ بِمَعْنَى: (فِي)، أَيْ: مَنْ أَعْوَانِي فِي اللهِ، أَيْ: فِي ذَاتِ اللهِ وَسَبِيلِهِ، **وَقِيلَ:** ﴿إِلَى﴾ فِي مَوْضِعِهِ، مَعْنَاهُ: مَنْ يَضُمُّ نُصْرَتَهُ إِلَى نُصْرَةِ اللهِ لِي، ﴿قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ﴾: أَعْوَانُ دِينِ اللهِ وَرَسُولِهِ، **وَاخْتَلَفُوا فِي الْحَوَارِيِّينَ، قَالَ مُجَاهِدٌ وَالسُّدِّيُّ:** كَانُوا صَيَّادِينَ يَصْطَادُونَ السَّمَكَ، سُمُّوا حَوَارِيِّينَ لِبَيَاضِ ثِيَابِهِمْ، **وَقِيلَ:** كَانُوا مَلَّاحِينَ، **وَقَالَ الْحَسَنُ:** كَانُوا قَصَّارِينَ، سُمُّوا بِذَلِكَ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يُحَوِّرُونَ الثِّيَابَ، أَيْ: يُبَيِّضُونَهَا، **وَقَالَ الضَّحَّاكُ:** سُمُّوا حَوَارِيِّينَ لِصَفَاءِ قُلُوبِهِمْ، **وَقَالَ ابْنُ الْمُبَارَكِ:** سُمُّوا بِهِ لِمَا عَلَيْهِمْ مِنْ أَثَرِ الْعِبَادَةِ وَنُورِهَا، وَأَصْلُ الْحَوَرِ عِنْدَ الْعَرَبِ: شِدَّةُ الْبَيَاضِ، يُقَالُ: (رَجُلٌ أَحْوَرُ وَامْرَأَةٌ حَوْرَاءُ)، أَيْ: شَدِيدَةُ بَيَاضِ الْعَيْنِ، **وَقَالَ الْكَلْبِيُّ وَعِكْرِمَةُ:** الْحَوَارِيُّونَ هُمُ الْأَصْفِيَاءُ وَهُمْ كَانُوا أَصْفِيَاءَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، **قَالَ رَوْحُ بْنُ الْقَاسِمِ:** سَأَلْتُ قَتَادَةَ عَنِ الحَوَارِيِّينَ، قَالَ: هُمْ الَّذِينَ تَصْلُحُ لَهُمُ الخِلَافَةُ، وَعَنْهُ أَيْضًا أَنَّهُ قَالَ: الْحَوَارِيُّونَ هُمُ الْوُزَرَاءُ، **وَقَالَ الْحَسَنُ:** الْحَوَارِيُّونَ الْأَنْصَارُ، وَالْحَوَارِيُّ النَّاصِرُ، وَالْحَوَارِيُّ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ خَاصَّةً: الرَّجُلُ الَّذِي يَسْتَعِينُ بِهِ فِيمَا يَنُوبُهُ.

عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُنْكَدِرِ قَالَ: سَمِعْتُ **جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ** رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، يَقُولُ: نَدَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ النَّاسَ يَوْمَ الْخَنْدَقِ، فَانْتَدَبَ الزُّبَيْرُ، ثُمَّ نَدَبَهُمْ، فَانْتَدَبَ الزُّبَيْرُ، فَقَالَ

النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوَارِيًّا، وَحَوَارِيَّ الزُّبَيْرُ**»(١). **قَالَ سُفْيَانُ**: الْحَوَارِيُّ: النَّاصِرُ. **قَالَ مَعْمَرٌ**: **قَالَ قَتَادَةُ**: إِنَّ الْحَوَارِيِّينَ كُلَّهُمْ مِنْ قُرَيْشٍ، أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ وَعَلِيٌّ وَحَمْزَةُ وَجَعْفَرٌ وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ وَعُثْمَانُ بْنُ مَظْعُونٍ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ وَطَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ وَالزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ رضي الله عنهم أَجْمَعِينَ.

﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ﴾: يَا عِيسَى ﴿بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ۝٥٢ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ﴾: مِنْ كِتَابِكَ، ﴿وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ﴾: عِيسَى ﴿فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾: الَّذِينَ شَهِدُوا لِأَنْبِيَائِكَ بِالصِّدْقِ، **وَقَالَ عَطَاءٌ**: مَعَ النَّبِيِّينَ لِأَنَّ كُلَّ نَبِيٍّ شَاهِدُ أُمَّتِهِ، **وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ** رضي الله عنهما: مَعَ مُحَمَّدٍ ﷺ وَأُمَّتِهِ؛ لِأَنَّهُمْ يَشْهَدُونَ لِلرُّسُلِ بِالبَلَاغِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَكَرُوا﴾: يَعْنِي كُفَّارَ بَنِي إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الكُفْرَ، دَبَّرُوا فِي قَتْلِ عِيسَى عليه السلام، ﴿وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾: **فَالْمَكْرُ مِنَ المَخْلُوقِينَ**: الخُبْثُ وَالخَدِيعَةُ وَالحِيْلَةُ، **وَمِنَ اللهِ**: اسْتِدْرَاجُ الْعَبْدِ وَأَخْذُهُ بَغْتَةً مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُ، كَمَا قَالَ: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾[الأَعْرَاف:١٨٢]، **وَقَالَ الزَّجَّاجُ**: **مَكْرُ اللهِ** ﷻ: مُجَازَاتُهُ عَلَى مَكْرِهِمْ، فَسَمَّى الْجَزَاءَ بِاسْمِ الِابْتِدَاءِ؛ لِأَنَّهُ فِي مُقَابَلَتِهِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾[البَقَرَة:١٥]، ﴿وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾[النِّسَاء:١٤٢]، وَمَكْرُ اللهِ تَعَالَى خَاصَّةً بِهِمْ فِي هَذِهِ الْآيَةِ وَهُوَ إِلْقَاؤُهُ الشَّبَهَ عَلَى صَاحِبِهِمُ الَّذِي أَرَادَ قَتْلَ عِيسَى عليه السلام حَتَّى قُتِلَ.

﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ۝٥٥ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ۝٥٦ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾

﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ﴾: **اخْتَلَفُوا فِي مَعْنَى التَّوَفِّي هَاهُنَا، قَالَ**

---

(١) **صحيح**: البخاري: (٢٩٩٧)، ومسلم: (٢٤١٥).

الْحَسَنُ وَالْكَلْبِيُّ وَابْنُ جُرَيْجٍ: إِنِّي قَابِضُكَ وَرَافِعُكَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَيَّ مِنْ غَيْرِ مَوْتٍ يَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾[المَائِدَة:١١٧] أَيْ: قَبَضْتَنِي إِلَى السَّمَاءِ وَأَنَا حَيٌّ؛ لِأَنَّ قَوْمَهُ إِنَّمَا تَنَصَّرُوا بَعْدَ رَفْعِهِ إِلَى السَّمَاءِ لَا بَعْدَ مَوْتِهِ، فَعَلَى هَذَا لِلتَّوَفِّي تَأْوِيلَانِ: أَحَدُهُمَا: إِنِّي رَافِعُكَ إِلَيَّ وَافِيًا لَمْ يَنَالُوا مِنْكَ شَيْئًا، مِنْ قَوْلِهِمْ: (تَوَفَّيْتُ كَذَا، وَاسْتَوْفَيْتُهُ) إِذَا أَخَذْتَهُ تَامًّا، وَالْآخَرُ: إِنِّي مُتَسَلِّمُكَ، مِنْ قَوْلِهِمْ: (تَوَفَّيْتُ مِنْهُ كَذَا)، أَيْ: تَسَلَّمْتُهُ، **وَقَالَ الرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ**: الْمُرَادُ بِالتَّوَفِّي: النَّوْمُ، وَكُلُّ ذِي عَيْنٍ نَائِمٌ، وَكَانَ عِيسَى قَدْ نَامَ فَرَفَعَهُ اللهُ نَائِمًا إِلَى السَّمَاءِ مَعْنَاهُ: إِنِّي مُنِيمُكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ﴾[الأَنْعَام:٦٠] أَيْ: يُنِيمُكُمْ بِاللَّيْلِ، **وَقَالَ بَعْضُهُمْ**: الْمُرَادُ بِالتَّوَفِّي: الْمَوْتُ، وَرَوَى عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أَنَّ مَعْنَاهُ: أَنِّي مُمِيتُكَ، يَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ﴾[السَّجْدَة:١١]، فَعَلَى هَذَا لَهُ تَأْوِيلَانِ: أَحَدُهُمَا: مَا قَالَهُ وَهْبُ بْنُ مُنَبِّهٍ: تَوَفَّى اللهُ عِيسَى سَاعَاتٍ مِنَ النَّهَارِ، ثُمَّ أَحْيَاهُ، ثُمَّ رَفَعَهُ إِلَيْهِ، وَالْآخَرُ: مَا قَالَهُ الضَّحَّاكُ وَجَمَاعَةٌ: إِنَّ فِي هَذِهِ الْآيَةِ تَقْدِيمًا وَتَأْخِيرًا، مَعْنَاهُ: أَنِّي رَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمُتَوَفِّيكَ بَعْدَ إِنْزَالِكَ مِنَ السَّمَاءِ.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمُ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا عَادِلًا، يَكْسِرُ الصَّلِيبَ وَيَقْتُلُ الْخِنْزِيرَ، وَيَضَعُ الْجِزْيَةَ، فَيَفِيضُ الْمَالُ حَتَّى لَا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ**»[(١)].

وَيُرْوَى **عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ** رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي نُزُولِ عِيسَى عليه السلام قَالَ: «**وَتَهْلَكُ فِي زَمَانِهِ الْمِلَلُ كُلُّهَا إِلَّا الْإِسْلَامَ، وَيَهْلَكُ الدَّجَّالُ، فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ**

(١) **صحيح**: البخاري: (٣٤٤٨)، ومسلم: (١٥٥). **وَقَوْلُهُ**: «**فَيَفِيضُ الْمَالُ**»: بِفَتْحِ أَوَّلِهِ وَكَسْرِ الْفَاءِ وَبِالضَّادِ الْمُعْجَمَةِ، أَيْ: يَكْثُرُ، وَفِي رِوَايَةِ عَطَاءِ بْنِ مِينَاءَ الْمَذْكُورَةِ: «**وَلَيُدْعَوُنَّ إِلَى الْمَالِ فَلَا يَقْبَلُهُ أَحَدٌ**»، وَسَبَبُ كَثْرَتِهِ نُزُولُ الْبَرَكَاتِ وَتَوَالِي الْخَيْرَاتِ بِسَبَبِ الْعَدْلِ وَعَدَمِ الظُّلْمِ، وَحِينَئِذٍ تُخْرِجُ الْأَرْضُ كُنُوزَهَا وَتَقِلُّ الرَّغَبَاتُ فِي اقْتِنَاءِ الْمَالِ؛ لِعِلْمِهِمْ بِقُرْبِ السَّاعَةِ.اهـ"الفتح" (٦/ ٤٩٢).

أَرْبَعِينَ سَنَةً، ثُمَّ يُتَوَفَّى، فَيُصَلِّي عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ»[1]. وَقِيلَ لِلْحُسَيْنِ بْنِ الْفَضْلِ: هَلْ تَجِدُ نُزُولَ عِيسَى فِي الْقُرْآنِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَوْلُهُ: ﴿وَكَهْلًا﴾ وَهُوَ لم يَكْتَهِلْ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّمَا مَعْنَاهُ: ﴿وَكَهْلًا﴾ بَعْدَ نُزُولِهِ مِنَ السَّمَاءِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ أَيْ مُخْرِجُكَ مِنْ بَيْنِهِمْ وَمُنْجِيكَ مِنْهُمْ، ﴿وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۖ﴾: قَالَ قَتَادَةُ وَالرَّبِيعُ وَالشَّعْبِيُّ وَمُقَاتِلٌ وَالْكَلْبِيُّ: هُمْ أَهْلُ الْإِسْلَامِ الَّذِينَ صَدَّقُوهُ وَاتَّبَعُوا دِينَهُ فِي التَّوْحِيدِ مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَهُمْ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا ظَاهِرِينَ قَاهِرِينَ بِالْعِزَّةِ وَالْمَنْعَةِ وَالْحُجَّةِ، ﴿ثُمَّ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ﴾: فِي الْآخِرَةِ ﴿فَأَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ فِيمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ﴾: مِنَ الدِّيْنِ وَأَمْرِ عِيسَى ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَأُعَذِّبُهُمۡ عَذَابٗا شَدِيدٗا فِي ٱلدُّنۡيَا﴾: بِالْقَتْلِ وَالسَّبْيِ والجزية والذِّلَّةِ ﴿وَٱلۡأٓخِرَةِ﴾: أَيْ: وَفِي الْآخِرَةِ بِالنَّارِ ﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ٥٦ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمۡ أُجُورَهُمۡۗ﴾: قَرَأَ الْحَسَنُ وَحَفْصٌ بِالْيَاءِ، وَالْبَاقُونَ بِالنُّونِ، أَيْ: نُوَفِّي أُجُورَ أَعْمَالِهِمْ، ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: أَيْ: لَا يَرْحَمُ الْكَافِرِينَ وَلَا يُثْنِي عَلَيْهِمْ بِالجَمِيلِ.

﴿ذَٰلِكَ نَتۡلُوهُ عَلَيۡكَ مِنَ ٱلۡأٓيَٰتِ وَٱلذِّكۡرِ ٱلۡحَكِيمِ ٥٨ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٖ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٥٩ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ ٦٠ فَمَنۡ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ فَقُلۡ تَعَالَوۡاْ نَدۡعُ أَبۡنَآءَنَا وَأَبۡنَآءَكُمۡ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمۡ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمۡ ثُمَّ نَبۡتَهِلۡ فَنَجۡعَل لَّعۡنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ذَٰلِكَ﴾: أَيْ: هَذَا الَّذِي ذَكَرْتُ مِنَ الْخَبَرِ عَنْ عِيسَى وَمَرْيَمَ وَالحَوَارِيِّينَ ﴿نَتۡلُوهُ عَلَيۡكَ﴾: يَعْنِي نُخْبِرُكَ بِهِ بِتِلَاوَةِ جِبْرِيلَ عَلَيْكَ ﴿مِنَ ٱلۡأٓيَٰتِ وَٱلذِّكۡرِ ٱلۡحَكِيمِ﴾: يَعْنِي: القُرْآن وَالذِّكْر ذِي الْحِكْمَةِ، وَقَالَ مُقَاتِلٌ: الذِّكْرُ الْحَكِيمُ: أَيِ: الْمُحْكَمُ الْمَمْنُوعُ مِنَ الْبَاطِلِ، وَقِيلَ: الذِّكْرُ الْحَكِيمُ: هُوَ اللَّوْحُ الْمَحْفُوظُ، وَقِيلَ:

(١) **صحيح:** صحَّحه العلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في "صحيح وضعيف سنن أبي داود" (٤٣٢٤).

﴿مِنَ ٱلۡأٓيَٰتِ﴾: أَيْ: مِنَ الْعَلَامَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى نُبُوَّتِكَ لِأَنَّهَا أَخْبَارٌ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا قَارِئُ كِتَابِ اللهِ، أَوْ مَنْ يُوحَى إِلَيْهِ، وَأَنْتَ أُمِّيٌّ لَا تَقْرَأُ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ﴾ فِي كَوْنِهِ خَلَقَهُ مِنْ غَيْرِ أَبٍ ﴿كَمَثَلِ ءَادَمَۖ﴾ لِأَنَّهُ خُلِقَ مِنْ غَيْرِ أَبٍ وَأُمٍّ، ﴿خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٖ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ﴾: يَعْنِي: لِعِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿كُن فَيَكُونُ﴾: يَعْنِي: فَكَانَ، **فَإِنْ قِيلَ**: مَا مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٖ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ وَلَا تَكْوِينَ بَعْدَ الْخَلْقِ، **قِيلَ**: مَعْنَاهُ: خَلَقَهُ ثُمَّ أَخْبَرَكُمْ أَنِّي قُلْتُ لَهُ كُنْ فَكَانَ مِنْ غَيْرِ تَرْتِيبٍ فِي الْخَلْقِ كَمَا يَكُونُ فِي الْوِلَادَةِ، وَهُوَ مِثْلُ قَوْلِ الرَّجُلِ: (أَعْطَيْتُكَ الْيَوْمَ دِرْهَمًا ثُمَّ أَعْطَيْتُكَ أَمْسِ دِرْهَمًا)، أَيْ: ثُمَّ أُخْبِرُكَ أَنِّي أَعْطَيْتُكَ أَمْسِ دِرْهَمًا، وَفِيمَا سَبَقَ مِنَ التَّمْثِيلِ دَلِيلٌ عَلَى جَوَازِ الْقِيَاسِ، لِأَنَّ الْقِيَاسَ: هُوَ رَدُّ فَرْعٍ إِلَى أَصْلٍ بِنَوْعِ شَبَهٍ، وَقَدْ رَدَّ اللهُ تَعَالَى خَلْقَ عِيسَى إِلَى آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِنَوْعِ شَبَهٍ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾: أَيْ: هُوَ الْحَقُّ، **وَقِيلَ**: جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ ﴿فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ﴾: أَيِ: الشَّاكِّينَ، الْخِطَابُ لِلنَّبِيِّ ﷺ، وَالْمُرَادُ: أُمَّتُهُ، ﴿فَمَنۡ حَآجَّكَ فِيهِ﴾: أَيْ: جَادَلَكَ فِي أَمْرِ عِيسَى أَوْ فِي الْحَقِّ ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ﴾: بِأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، ﴿فَقُلۡ تَعَالَوۡاْ﴾: وَأَصْلُهُ: (تَعَالَيُوا)، (تَفَاعَلُوا) مِنَ: الْعُلُوِّ، فَاسْتُثْقِلَتِ الضَّمَّةُ عَلَى الْيَاءِ فَحُذِفَتْ، **قَالَ الْفَرَّاءُ**: بِمَعْنَى: تَعَالَى كَأَنَّهُ يَقُولُ: ارتفع، ﴿نَدۡعُ﴾: جَزْمٌ عَلَى جَوَابِ الْأَمْرِ، وَعَلَامَةُ الْجَزْمِ سُقُوطُ الْوَاوِ، ﴿أَبۡنَآءَنَا وَأَبۡنَآءَكُمۡ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمۡ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمۡ﴾: هُوَ عَلَى الْعُمُومِ لِجَمَاعَةِ أَهْلِ الدِّينِ، ﴿ثُمَّ نَبۡتَهِلۡ﴾: **قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ** رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: أَيْ نَتَضَرَّعُ فِي الدُّعَاءِ، **وَقَالَ الْكَلْبِيُّ**: نَجْتَهِدُ وَنُبَالِغُ فِي الدُّعَاءِ، **وَقَالَ الْكِسَائِيُّ وَأَبُو عُبَيْدَةَ**: نَلْتَعِنُ، وَالِابْتِهَالُ: الِالْتِعَانُ يُقَالُ: (عَلَيْهِ بَهْلَةُ اللهِ)، أَيْ: لَعْنَتُهُ، ﴿فَنَجۡعَل لَّعۡنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾: مِنَّا وَمِنْكُمْ فِي أَمْرِ عِيسَى.

﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡقَصَصُ ٱلۡحَقُّۚ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٦٢ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِٱلۡمُفۡسِدِينَ ٦٣ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۢ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ

وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ﴾

﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡقَصَصُ ٱلۡحَقُّۚ﴾ النَّبَأُ الْحَقُّ ﴿وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُۚ﴾ وَ﴿مِنۡ﴾ صِلَةٌ تَقْدِيرُهُ: (وَمَا إِلَهٌ إِلَّا اللهُ)، ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٦٢ فَإِن تَوَلَّوۡاْ﴾: أَعْرَضُوا عَنِ الْإِيمَانِ ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾: الَّذِينَ يَعْبُدُونَ غَيْرَ اللهِ وَيَدْعُونَ النَّاسَ إِلَى عِبَادَةِ غَيْرِ اللهِ.

﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ﴾: عَدْلٍ ﴿بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ﴾: مُسْتَوِيَة، أَيْ: أَمْرٍ مُسْتَوٍ، يُقَالُ: (دَعَا فُلَانٌ إِلَى السَّوَاءِ)، أَيْ إِلَى النَّصَفَةِ، وَسَوَاءُ كُلِّ شَيْءٍ وَسَطُهُ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَرَءَاهُ فِي سَوَآءِ ٱلۡجَحِيمِ﴾[الصَّافَّات:٥٥]، أَيْ: فِي وَسَطِهِ، وَإِنَّمَا قِيلَ: لِلنِّصْفِ سَوَاءٌ؛ لِأَنَّ أَعْدَلَ الْأُمُورِ وَأَفْضَلَهَا أَوْسَطُهَا وَ﴿سَوَآءِۭ﴾ نَعْتٌ لِـ﴿كَلِمَةٖ﴾ إِلَّا أَنَّهُ مَصْدَرٌ، وَالْمَصَادِرُ لَا تُثَنَّى وَلَا تُجْمَعُ وَلَا تُؤَنَّثُ، فَإِذَا فَتَحْتَ السِّينَ مَدَدْتَ، وَإِذَ كَسَرْتَ أَوْ ضَمَمْتَ قَصَرْتَ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَكَانٗا سُوٗى﴾[طه:٥٨]، ثُمَّ فَسَّرَ الْكَلِمَةَ فَقَالَ: ﴿أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾: وَمَحَلُّ (أَنْ) رَفْعٌ عَلَى إِضْمَارِ (هِيَ)، **وَقَالَ الزَّجَّاجُ**: رَفْعٌ بِالِابْتِدَاءِ، **وَقِيلَ**: مَحَلُّهُ نَصْبٌ بِنَزْعِ حَرْفِ الصِّفَةِ، مَعْنَاهُ: بِأَنْ لَا نَعْبُدَ إِلَّا اللهَ، **وَقِيلَ**: مَحَلُّهُ خَفْضٌ بَدَلًا مِنَ الْكَلِمَةِ، أَيْ: تَعَالَوْا إِلَى أَنْ لَا نَعْبُدَ إِلَّا اللهَ، ﴿وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ﴾: كَمَا فَعَلَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾[التَّوْبَة:٣١]، **وَقَالَ عِكْرِمَةُ**: هُوَ سُجُودُ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ، أَيْ: لَا نَسْجُدُ لِغَيْرِ اللهِ، **وَقِيلَ**: مَعْنَاهُ: لَا نُطِيعُ أَحَدًا فِي مَعْصِيَةِ اللهِ، ﴿فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ﴾: أَيْ: فَقُولُوا أَنْتُمْ لَهُمْ: ﴿ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ﴾: مُخْلِصُونَ بِالتَّوْحِيدِ.

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، أَنَّ **أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ** أَخْبَرَهُ أَنَّ هِرَقْلَ أَرْسَلَ إِلَيْهِ فِي رَكْبٍ مِنْ قُرَيْشٍ -وَكَانُوا تُجَّارًا بِالشَّامِ- فِي الْمُدَّةِ الَّتِي كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَادَّ فِيهَا أَبَا سُفْيَانَ وَكُفَّارَ قُرَيْشٍ، فَأَتَوْهُ -وَهُوَ بِإِيلِيَاء- فَدَعَاهُمْ فِي مَجْلِسِهِ -وَحَوْلَهُ

عُظَمَاءُ الرُّومِ- ثُمَّ دَعَا بِكِتَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ الَّذِي بَعَثَ بِهِ دِحْيَةُ إِلَى عَظِيمِ بُصْرَى، فَدَفَعَهُ إِلَى هِرَقْلَ، فَقَرَأَهُ فَإِذَا فِيهِ: «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللهِ وَرَسُولِهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ: سَلَامٌ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى، أَمَّا بَعْدُ: فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ الإِسْلَامِ، أَسْلِمْ تَسْلَمْ، أَسْلِمْ يُؤْتِكَ اللهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ، فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ إِثْمُ الأَرِيسِيِّينَ، وَ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ﴾»[1].

﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجۡتُمۡ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفٗا مُّسۡلِمٗا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوۡلَى ٱلنَّاسِ بِإِبۡرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ﴾: تَزْعُمُونَ أَنَّهُ كَانَ عَلَى دِينِكُمْ، وَإِنَّمَا دِينُكُمُ الْيَهُودِيَّةُ وَالنَّصْرَانِيَّةُ، وَقَدْ حَدَثَتِ الْيَهُودِيَّةُ بَعْدَ نُزُولِ التَّوْرَاةِ، وَالنَّصْرَانِيَّةُ بَعْدَ نُزُولِ الإِنْجِيلِ، وَإِنَّمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ مِنْ بَعْدِ إِبْرَاهِيمَ بِزَمَانٍ طَوِيلٍ، ﴿أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾: بُطْلَانَ قَوْلِكُمْ؟

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿هَٰٓأَنتُمۡ﴾: بِتَلْيِينِ الْهَمْزَةِ حَيْثُ كَانَ مَدَنِيٌّ، وَأَبُو عَمْرٍو وَالبَاقُونَ بِالْهَمْزِ، **وَاخْتَلَفُوا فِي أَصْلِهِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ**: أَصْلُهُ: (أَنْتُمْ)، وَ(هَا): تَنْبِيهٌ، **وَقَالَ الْأَخْفَشُ**: أَصْلُهُ: (أَأَنْتُمْ) فَقُلِبَتِ الْهَمْزَةُ الْأُولَى هَاءً كَقَوْلِهِمْ: (هَرَقْتَ الْمَاءَ وَأَرَقْتَ) ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾: أَصْلُهُ: (أُولَاءِ) دَخَلَتْ عَلَيْهِ هَاءُ التَّنْبِيهِ، وَهُوَ مَوْضِعُ النِّدَاءِ يَعْنِي: يَا هَؤُلَاءِ أَنْتُمْ ﴿حَٰجَجۡتُمۡ﴾: جَادَلْتُمْ ﴿فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ﴾: يَعْنِي: فِي أَمْرِ مُوسَى وَعِيسَى وَادَّعَيْتُمْ أَنَّكُمْ عَلَى دِينِهِمَا، وَقَدْ أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالإِنْجِيلُ عَلَيْكُمْ، ﴿فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا

(١) **صحيح**: البخاري: (٧)، ومسلم: (١٧٧٣).

﴿لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞۚ﴾: وَلَيْسَ فِي كِتَابِكُمْ أَنَّهُ كَانَ يَهُودِيًّا أَوْ نَصْرَانِيًّا، **وَقِيلَ**: ﴿حَٰجَجۡتُمۡ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ﴾: يَعْنِي: فِي أَمْرِ مُحَمَّدٍ ﷺ؛ لِأَنَّهُمْ وَجَدُوا نَعْتَهُ فِي كِتَابِهِمْ، فَجَادَلُوا فِيهِ بِالْبَاطِلِ، ﴿فَلِمَ تُحَآجُّونَ﴾: فِي إِبْرَاهِيمَ، وَلَيْسَ فِي كِتَابِكُمْ وَلَا عِلْمَ لَكُمْ بِهِ، ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾.

ثُمَّ بَرَّأَ اللهُ تَعَالَى إِبْرَاهِيمَ مِمَّا قَالُوا، فَقَالَ: ﴿مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفٗا مُّسۡلِمٗا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾: **وَالْحَنِيفُ**: الْمَائِلُ عَنِ الْأَدْيَانِ كُلِّهَا إِلَى الدِّينِ الْمُسْتَقِيمِ، **وَقِيلَ**: **الْحَنِيفُ**: الَّذِي يُوَحِّدُ وَيَحُجُّ وَيُضَحِّي وَيَخْتِنُ وَيَسْتَقْبِلُ الْكَعْبَةَ، وَهُوَ أَسْهَلُ الْأَدْيَانِ وَأَحَبُّهَا إِلَى اللهِ ﷻ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ أَوۡلَى ٱلنَّاسِ بِإِبۡرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ﴾: أَيْ: مَنِ اتَّبَعَهُ فِي زَمَانِهِ وَمِلَّتِهِ بَعْدَهُ، ﴿وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ﴾: يَعْنِي: مُحَمَّدًا ﷺ، ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۗ﴾: يَعْنِي: مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ، ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾.

﴿وَدَّت طَّآئِفَةٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَوۡ يُضِلُّونَكُمۡ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ﴿٦٩﴾ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمۡ تَشۡهَدُونَ ﴿٧٠﴾ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٧١﴾ وَقَالَت طَّآئِفَةٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجۡهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكۡفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَا تُؤۡمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمۡ قُلۡ إِنَّ ٱلۡهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤۡتَىٰٓ أَحَدٞ مِّثۡلَ مَآ أُوتِيتُمۡ أَوۡ يُحَآجُّوكُمۡ عِندَ رَبِّكُمۡۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡفَضۡلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ﴿٧٣﴾ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾

قَوْلُهُ ﷻ: ﴿وَدَّت طَّآئِفَةٞ﴾: أَيْ: تَمَنَّتْ جَمَاعَةٌ ﴿مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ﴾: يَعْنِي: الْيَهُود ﴿لَوۡ يُضِلُّونَكُمۡ﴾: عَنْ دِينِكُمْ وَيَرُدُّونَكُمْ إِلَى الْكُفْرِ ﴿وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ﴿٦٩﴾ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾: يَعْنِي: الْقُرْآنَ وَبَيَانَ نَعْتَ مُحَمَّدٍ ﷺ ﴿وَأَنتُمۡ تَشۡهَدُونَ﴾: أَنَّ نَعْتَهُ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ مَذْكُورٌ، ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ﴾: تَخْلِطُونَ الْإِسْلَامَ بِالْيَهُودِيَّةِ وَالنَّصْرَانِيَّةِ، **وَقِيلَ**: لِمَ تَخْلِطُونَ الْإِيمَانَ

بِعِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهُوَ الْحَقُّ بِالْكُفْرِ بِمُحَمَّدٍ ﷺ وَهُوَ البَاطِلُ، **وَقِيلَ**: لِمَ تَخلطُونَ التَّوْرَاة الَّتِي أُنْزِلَتْ عَلَى مُوسَى بِالْبَاطِلِ الَّذِي حَرَّفْتُمُوهُ وَكَتَبْتُمُوهُ بِأَيْدِيكُمْ، ﴿وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ وَدِينَهُ حَقٌّ.

﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُواْ﴾ الآيَة، **قَالَ الحَسَنُ وَقَتَادَةُ وَالسُّدِّيُّ**: قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: ادْخُلُوا فِي دِينِ مُحَمَّدٍ ﷺ أَوَّلَ النَّهَارِ بِاللِّسَانِ دُونَ الِاعْتِقَادِ ثُمَّ اكْفُرُوا آخِرَ النَّهَارِ، وَقُولُوا: إِنَّا نَظَرْنَا فِي كُتُبِنَا وَشَاوَرْنَا عُلَمَاءَنَا فَوَجَدْنَا مُحَمَّدًا ﷺ لَيْسَ هُوَ بِذَاكَ المَنْعُوت وَظَهَرَ لَنَا كَذِبُهُ، فَإِذَا فَعَلْتُمْ ذَلِكَ شَكَّ أَصْحَابُهُ فِي دِينِهِمْ وَاتَّهَمُوهُ، وَقَالُوا: إِنَّهُم أَهْلُ كِتَابٍ وَهُمْ أَعْلَمُ بِهِ مِنَّا، فَيَرْجِعُونَ عَنْ دِينِهِمْ، **وَقَالَ مُجَاهِدٌ وَمُقَاتِلٌ وَالْكَلْبِيُّ**: هَذَا فِي شَأْنِ الْقِبْلَةِ لَمَّا صُرِفَتْ إِلَى الْكَعْبَةِ شَقَّ ذَلِكَ عَلَى الْيَهُودِ، فَقَالَ كَعْبُ بْنُ الْأَشْرَفِ لِأَصْحَابِهِ: آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ مِنْ أَمْرِ الْكَعْبَةِ وَصَلُّوا إِلَيْهَا أَوَّلَ النَّهَارِ، ثُمَّ اكْفُرُوا وَارْجِعُوا إِلَى قِبْلَتِكُمْ آخِرَ النَّهَارِ لَعَلَّهُمْ يَقُولُونَ: هَؤُلَاءِ أَهْلُ الْكِتَابِ وَهُمْ أَعْلَمُ مِنَّا، فَيَرْجِعُونَ إِلَى قِبْلَتِنَا، فَأَطْلَعَ اللهُ تَعَالَى رَسُولَهُ عَلَى سِرِّهِمْ.

﴿ءَامِنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ﴾: أَوَّلَهُ، سُمِّيَ وَجْهًا؛ لِأَنَّهُ أَحْسَنُهُ وَأَوَّلُ مَا يُوَاجِهُ النَّاظِرَ فَيَرَاهُ ﴿وَٱكْفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ﴾: عِنْدَ غُرُوبِ الشَّمْسِ ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾: فَيَشُكُّونَ وَيَرْجِعُونَ عَنْ دِيْنِهِمْ.

﴿وَلَا تُؤْمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ﴾: هَذَا مُتَّصِلٌ بِالْأَوَّلِ مِنْ قَوْلِ الْيَهُودِ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ: ﴿وَلَا تُؤْمِنُوٓاْ﴾: أَيْ: وَلَا تُصَدِّقُوا ﴿إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ﴾: أَيْ: وَافَقَ مِلَّتَكُمْ، **وَاللَّامُ** فِي: ﴿لِمَن﴾ صِلَةٌ، أَيْ: لَا تُصَدِّقُوا إِلَّا مَنْ تَبعَ دِينكُمُ الْيَهُودِيَّةَ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم﴾[النَّمْل:٧٢] أَيْ: رِدْفَكُمْ، ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ﴾: هَذَا خَبَرٌ مِنَ اللهِ تَعَالَى أَنَّ الْبَيَانَ بَيَانُهُ، ثُمَّ اخْتَلَفُوا فِيهِ: **فَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ**: هَذَا كَلَامٌ مُعْتَرِضٌ بَيْنَ كَلَامَيْنِ وَمَا بَعْدَهُ مُتَّصِلٌ بِالْكَلَامِ الْأَوَّلِ إِخْبَارٌ عَنْ قَوْلِ الْيَهُودِ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ،

وَمَعْنَاهُ: ﴿وَلَا تُؤْمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمۡ﴾ وَلَا تُؤْمِنُوا ﴿أَن يُؤۡتَىٰٓ أَحَدٞ مِّثۡلَ مَآ أُوتِيتُمۡ﴾ مِنَ الْعِلْمِ وَالْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ، وَالْآيَاتِ مِنَ الْمَنِّ وَالسَّلْوَى وَفَلْقِ الْبَحْرِ وَغَيْرِهَا مِنَ الْكَرَامَاتِ، وَلَا تُؤْمِنُوا أَنْ ﴿يُحَآجُّوكُمۡ عِندَ رَبِّكُمۡۗ﴾؛ لِأَنَّكُمْ أَصَحُّ دِينًا مِنْهُمْ، وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِ مُجَاهِدٍ **وَقِيلَ**: إِنَّ الْيَهُودَ قَالَتْ لِسَفَلَتِهِمْ ﴿وَلَا تُؤْمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمۡ﴾؛ ﴿أَن يُؤۡتَىٰٓ أَحَدٞ مِّثۡلَ مَآ أُوتِيتُمۡ﴾ مِنَ الْعِلْمِ، أَيْ: لِئَلَّا يُؤْتَى أَحَدٌ، وَ(لَا) فِيهِ مُضْمَرَةٌ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ أَن تَضِلُّواْۗ﴾[النِّسَاء:١٧٦]، أَيْ: لِئَلَّا تَضِلُّوا، يَقُولُ: لَا تُصَدِّقُوهُمْ لِئَلَّا يَعْلَمُوا مِثْلَ مَا عَلِمْتُمْ فَيَكُونُ لَكُمُ الْفَضْلُ عَلَيْهِمْ فِي الْعِلْمِ، وَلِئَلَّا يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ فَيَقُولُوا: عَرَفْتُمْ أَنَّ دِينَنَا حَقٌّ، وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِ ابْنِ جُرَيْجٍ، وَقَرَأَ الْحَسَنُ وَالْأَعْمَشُ: ﴿إِنْ يُؤْتَى﴾ بِكَسْرِ الْأَلِفِ فَيَكُونُ قَوْلُ الْيَهُودِ تَامًّا عِنْدَ قَوْلِهِ: ﴿إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمۡ﴾، وَمَا بَعْدَهُ مِنْ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى، يَقُولُ: قُلْ يَا مُحَمَّدُ إِنَّ الْهُدى هُدَى اللهِ إِنْ يُؤْتَى، (إِنْ) بِمَعْنَى: الْجَحْدِ، أَيْ: مَا يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ ﷺ ﴿أَوۡ يُحَآجُّوكُمۡ عِندَ رَبِّكُمۡۗ﴾ يَعْنِي: إِلَّا أَنْ يُجَادِلَكُمُ الْيَهُودُ بِالْبَاطِلِ فَيَقُولُوا: نَحْنُ أَفْضَلُ مِنْكُمْ، فَقَوْلُهُ ﷻ: ﴿عِندَ رَبِّكُمۡۗ﴾: أَيْ: عِنْدَ فِعْلِ رَبِّكُمْ بِكُمْ، وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ وَالْحَسَنِ وَالْكَلْبِيِّ وَمُقَاتِلٍ. **وَقَالَ الْفَرَّاءُ**: وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ (أَوْ) بِمَعْنَى (حَتَّى) كَمَا يُقَالُ: (تَعَلَّقْ بِهِ أَوْ يُعْطِيَكَ حَقَّكَ)، وَمَعْنَى الْآيَةِ: مَا أُعْطِيَ أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُعْطِيتُمْ يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ مِنَ الدِّينِ وَالْحُجَّةِ حَتَّى يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ! وَقَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ: ﴿آنْ يُؤْتَى﴾ بِالْمَدِّ عَلَى الِاسْتِفْهَامِ، وَحِينَئِذٍ يَكُونُ فِيهِ اخْتِصَارٌ تَقْدِيرُهُ: أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ يَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ تَحْسُدُونَهُ وَلَا تُؤْمِنُونَ بِهِ؟! **هَذَا قَوْلُ قَتَادَةَ وَالرَّبِيعِ**، قَالَا: هَذَا مِنْ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى، يَقُولُ: قُلْ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللهِ بِأَنْ أَنْزَلَ كِتَابًا مِثْلَ كِتَابِكُمْ وَبَعَثَ نَبِيًّا حَسَدْتُمُوهُ وَكَفَرْتُمْ بِهِ.

﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡفَضۡلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ﴾. قَوْلُهُ: ﴿أَوۡ يُحَآجُّوكُمۡ﴾: عَلَى هَذِهِ الْقِرَاءَةِ رُجُوعٌ إِلَى خِطَابِ الْمُؤْمِنِينَ، وَتَكُونُ (أَوْ) بِمَعْنَى: (أَنْ)؛ لِأَنَّهُمَا حَرْفَا شَرْطٍ وَجَزَاءٍ يُوضَعُ أَحَدُهُمَا مَوْضِعَ الْآخَرِ، أَيْ: وَإِنْ يُحَاجُّوكُمْ يَا مَعْشَرَ الْمُؤْمِنِينَ عِنْدَ

رَبِّكُمْ، فَقُلْ يَا مُحَمَّدُ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللهِ وَنَحْنُ عَلَيْهِ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْجَمِيعُ خِطَابًا لِلْمُؤْمِنِينَ، وَيَكُونُ نَظْمُ الْآيَةِ: أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ يَا مَعْشَرَ الْمُؤْمِنِينَ حَسَدُوكُمْ، فَقُلْ: إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللهِ، وَإِنْ حَاجُّوكُمْ، فَقُلْ: إِنَّ الْهُدى هُدَى اللهِ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْخَبَرُ عَنِ الْيَهُودِ قَدْ تَمَّ عِنْدَ قَوْلِهِ: ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تُؤْمِنُوٓاْ﴾: مِنْ كَلَامِ اللهِ يُثَبِّتُ بِهِ قُلُوبَ الْمُؤْمِنِينَ لِئَلَّا يَشُكُّوا عِنْدَ تَلْبِيسِ الْيَهُودِ وَتَزْوِيرِهِمْ فِي دِينِهِمْ، يَقُولُ: لَا تُصَدِّقُوا يَا مَعْشَرَ الْمُؤْمِنِينَ إِلَّا مَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ، وَلَا تُصَدِّقُوا أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوْتِيتُمْ مِنَ العِلْمِ وَالدِّينِ وَالْفَضْلِ، وَلَا تُصَدِّقُوا أَنْ يُحَاجُّوكُمْ فِي دِينِكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَوْ يَقْدِرُوا عَلَى ذَلِكَ؛ فَإِنَّ الْهُدَى هُدَى اللهِ، وَ﴿إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾، فَتَكُونُ الْآيَةُ كُلُّهَا خِطَابَ اللهِ لِلْمُؤْمِنِينَ عِنْدَ تَلْبِيسِ الْيَهُودِ؛ لِئَلَّا يَرْتَابُوا.

قَوْلُهُ: ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ﴾: أَيْ: بِنُبُوَّتِهِ ﴿مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾.

﴿ ۞ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًاۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ﴾ الْآيَة، نَزَلَتْ فِي الْيَهُودِ أَخْبَرَ اللهُ تَعَالَى أَنَّ فِيهِمْ أَمَانَةً وَخِيَانَةً، وَالْقِنْطَارُ: عِبَارَةٌ عَنِ الْمَالِ الْكَثِيرِ، وَالدِّينَارُ: عِبَارَةٌ عَنِ المَالِ القَلِيلِ، يَقُولُ: مِنْهُمْ مَنْ يُؤَدِّي الْأَمَانَةَ وَإِنْ كَثُرَتْ، وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُؤَدِّيهَا وَإِنْ قَلَّتْ.

قَوْلُهُ: ﴿يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ﴾: قَرَأَ أَبُو عَمْرٍو وَأَبُو بَكْرٍ وَحَمْزَةُ: ﴿يُؤَدِّهْ﴾ وَ﴿لَا يُؤَدِّهْ﴾ وَ﴿وَنُصْلِهْ﴾ وَ﴿نُؤْتِهْ﴾ وَ﴿نُوَلِّهْ﴾ سَاكِنَةَ الْهَاءِ، وَقَرَأَ أَبُو جَعْفَرٍ وَقَالُونُ وَيَعْقُوبُ بِالِاخْتِلَاسِ كَسْرًا، وَالْبَاقُونَ بِالْإِشْبَاعِ كَسْرًا، فَمَنْ سَكَّنَ الْهَاءَ قَالَ لِأَنَّهَا وُضِعَتْ فِي مَوْضِعِ الْجَزْمِ وَهُوَ الْيَاءُ الذَّاهِبَةُ، وَمَنِ اخْتَلَسَ فَاكْتَفَى بِالْكَسْرَةِ عَنِ الْيَاءِ، وَمَنْ أَشْبَعَ

فَعَلَى الْأَصْلِ؛ لِأَنَّ الْأَصْلَ فِي الْهَاءِ الْإِشْبَاعُ، ﴿إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًاۗ﴾: **قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ**: مُلِحًّا، يُرِيدُ يَقُومُ عَلَيْهِ يُطَالِبُهُ بِالْإِلْحَاحِ، **وَقَالَ الضَّحَّاكُ**: مُوَاظِبًا، أَيْ تُوَاظِبُ عَلَيْهِ بِالِاقْتِضَاءِ، **وَقِيلَ**: أَرَادَ إِنْ أَوْدَعْتَهُ ثُمَّ اسْتَرْجَعْتَهُ وَأَنْتَ قَائِمٌ عَلَى رَأْسِهِ وَلَمْ تُفَارِقْهُ رَدَّهُ إِلَيْكَ، فَإِنْ فَارَقْتَهُ وَأَخَّرْتَهُ أَنْكَرَهُ وَلَمْ يُؤَدِّهِ ﴿ذَٰلِكَ﴾: أَيْ: ذَلِكَ الِاسْتِحْلَالُ وَالْخِيَانَةُ؛ ﴿بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَيْسَ عَلَيْنَا فِي ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٞ﴾: أَيْ: فِي مَالِ الْعَرَبِ إِثْمٌ وَحَرَجٌ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٖۚ﴾[التَّوْبَة:٩١]، وَذَلِكَ بِأَنَّ الْيَهُودَ قَالُوا: أَمْوَالُ الْعَرَبِ حَلَالٌ لَنَا؛ لِأَنَّهُمْ لَيْسُوا عَلَى دِينِنَا وَلَا حُرْمَةَ لَهُمْ فِي كِتَابِنَا، وَكَانُوا يَسْتَحِلُّونَ ظُلْمَ مَنْ خَالَفَهُمْ فِي دِينِهِمْ، **وَقَالَ الْكَلْبِيُّ**: قَالَتِ الْيَهُودُ إِنَّ الْأَمْوَالَ كُلَّهَا كَانَتْ لَنَا، فَمَا فِي يَدِ الْعَرَبِ مِنْهَا فَهُوَ لَنَا، وَإِنَّمَا ظَلَمُونَا وَغَصَبُونَا فَلَا سَبِيلَ عَلَيْنَا فِي أَخْذِنَا إِيَّاهُ مِنْهُمْ، **وَقَالَ الْحَسَنُ وَابْنُ جُرَيْجٍ وَمُقَاتِلٌ**: بَايَعَ الْيَهُودُ رِجَالًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَلَمَّا أَسْلَمُوا تَقَاضُوهُمْ بَقِيَّةَ أَمْوَالِهِمْ فَقَالُوا: لَيْسَ لَكُمْ عَلَيْنَا حَقٌّ، وَلَا عِنْدَنَا قَضَاءٌ؛ لِأَنَّكُمْ تَرَكْتُمْ دِينَكُمْ وَانْقَطَعَ الْعَهْدُ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ، وَادَّعَوْا أَنَّهُمْ وَجَدُوا ذَلِكَ فِي كُتُبِهِمْ، فَكَذَّبَهُمُ اللهُ ﷻ، وَقَالَ -عَزَّ مِنْ قَائِلٍ-: ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾.

ثُمَّ قَالَ رَدًّا عَلَيْهِمْ: ﴿بَلَىٰ﴾: أَيْ: لَيْسَ كَمَا قَالُوا بَلْ عَلَيْهِمْ سَبِيلٌ، ثُمَّ ابْتَدَأَ فَقَالَ: ﴿مَنۡ أَوۡفَىٰ﴾: أَيْ: وَلَكِنَّ مَنْ أَوْفَى ﴿بِعَهۡدِهِۦ﴾: أَيْ: بِعَهْدِ اللهِ الَّذِي عَهِدَ إِلَيْهِ فِي التَّوْرَاةِ مِنَ الْإِيمَانِ بِمُحَمَّدٍ ﷺ وَالْقُرْآنِ وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ، **وَقِيلَ**: الْهَاءُ فِي عَهْدِهِ رَاجِعَةٌ إِلَى الْمُوفِي، ﴿وَٱتَّقَىٰ﴾: الْكُفْرَ وَالْخِيَانَةَ وَنَقْضَ الْعَهْدِ، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾.

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا: إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ**»[1].

---

(١) **صحيح**: البخاري: (٣٤)، ومسلم: (٥٨).

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيۡهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنٗا قَلِيلًا ﴾: **قَالَ عِكْرِمَةُ:** نَزَلَتْ فِي رُؤُوسِ الْيَهُودِ كَتَمُوا مَا عَهِدَ اللهَ إِلَيْهِمْ فِي التَّوْرَاةِ فِي شَأْنِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَبَدَّلُوهُ وَكَتَبُوا بِأَيْدِيهِمْ غَيْرَهُ وَحَلَفُوا أَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللهِ؛ لِئَلَّا يَفُوتَهُمُ الْمَآكِلُ وَالرِّشَا الَّتِي كَانَتْ لَهُمْ مِنْ أَتْبَاعِهِمْ.

عَنْ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينِ صَبْرٍ يَقْتَطِعُ بِهَا مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ لَقِيَ اللهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ**»، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى تَصْدِيقَ ذَلِكَ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنٗا قَلِيلًا ﴾ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ، فَدَخَلَ الْأَشْعَثُ بْنُ قَيْسٍ فَقَالَ: مَا يُحَدِّثُكُمْ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ؟ فَقَالُوا: كَذَا وَكَذَا، فَقَالَ: فِيَّ أُنْزِلَتْ، كَانَتْ لِي بِئْرٌ فِي أَرْضِ ابْنِ عَمٍّ لِي، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَحَدَّثْتُهُ، فَقَالَ: «**بَيِّنَتَكَ أَوْ يَمِينَهُ**»، قُلْتُ: إِذًا يَحْلِفُ عَلَيْهَا يَا رَسُولَ اللهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينِ صَبْرٍ وَهُوَ فِيهَا فَاجِرٌ يَقْتَطِعُ بِهَا مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ لَقِيَ اللهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ**»(١).

عَنْ عَلْقَمَةَ بْنِ وَائِلٍ، **عَنْ أَبِيهِ** قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ مِنْ حَضْرَمَوْتَ وَرَجُلٌ مِنْ كِنْدَةَ إِلَى النَّبِيِّ، فَقَالَ الْحَضْرَمِيُّ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ هَذَا قَدْ غَلَبَنِي عَلَى أَرْضٍ لِي كَانَتْ لِأَبِي، فَقَالَ الْكِنْدِيُّ: هِيَ أَرْضٌ فِي يَدِي أَزْرَعُهَا لَيْسَ لَهُ فِيهَا حَقٌّ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِلْحَضْرَمِيِّ: «**أَلَكَ بَيِّنَةٌ؟**» قَالَ: لَا، قَالَ: «**فَلَكَ يَمِينُهُ**»، قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ الرَّجُلَ فَاجِرٌ لَا يُبَالِي عَلَى مَا حَلَفَ عَلَيْهِ، قَالَ: «**لَيْسَ لَكَ مِنْهُ إِلَّا ذَلِكَ**»، فَانْطَلَقَ لِيَحْلِفَ،

---

(١) **صحيح:** البخاري: (٦٦٧٦)، ومسلم: (١٣٨)، وأورده العلَّامة الإمام الوادعي رحمه الله في "الصحيح المسند من أسباب النزول" ص(٥٢). **وَقَوْلُهُ:** «صَبْر»: هي التي تَلزم وَيُجبر عليها حالفها، يُقال: (أصبرهُ اليمينَ) أحلفه بها في مقاطع الحق.اهـ"الفتح" (١١/ ٥٥٩).

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لَمَّا أَدْبَرَ: «**أَمَا لَئِنْ حَلَفَ عَلَى مَالِهِ لِيَأْكُلَهُ ظُلْمًا لَيَلْقَيَنَّ اللهَ وَهُوَ عَنْهُ مُعْرِضٌ**». وَرَوَاهُ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ عُمَيْرٍ **عَنْ عَلْقَمَةَ**، وَقَالَ: هُوَ امْرُؤُ الْقَيْسِ بْنُ عَابِسٍ الْكِنْدِيُّ وَخَصْمُهُ رَبِيعَةُ بْنُ عَبْدَانَ[(١)].

عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**مَنِ اقْتَطَعَ حَقَّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِيَمِينِهِ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَأَوْجَبَ لَهُ النَّارَ**»، قَالُوا: وَإِنْ كَانَ شَيْئًا يَسِيرًا يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**وَإِنْ كَانَ قَضِيبًا مَنْ أَرَاكٍ**»[(٢)]، قَالَهَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ.

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى رضي الله عنهما، أَنَّ رَجُلًا أَقَامَ سِلْعَةً وَهُوَ فِي السُّوقِ فَحَلَفَ بِاللهِ لَقَدْ أُعْطِيَ بِهَا مَا لَمْ يُعْطَ؛ لِيُوقِعَ فِيهَا رَجُلًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَنَزَلَتْ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَـٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾[(٣)].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ﴾: أَيْ: يَسْتَبْدِلُونَ ﴿بِعَهْدِ ٱللَّهِ﴾: أَدَاءِ الْأَمَانَةِ، ﴿وَأَيْمَـٰنِهِمْ﴾: الْكَاذِبَةِ ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾: أَيْ: شَيْئًا قَلِيلًا مِنْ حُطَامِ الدُّنْيَا ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ لَا خَلَـٰقَ لَهُمْ﴾: لَا نَصِيبَ لَهُمْ ﴿فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾: وَنَعِيمِهَا، ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ﴾: كَلَامًا يَنْفَعُهُمْ وَيَسُرُّهُمْ، وَقِيلَ: هُوَ بِمَعْنَى الْغَضَبِ، كَمَا يَقُولُ الرَّجُلُ: (إِنِّي لَا أُكَلِّمُ فُلَانًا) إِذَا كَانَ غَضِبَ عَلَيْهِ، ﴿وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾: أَيْ: لَا يَرْحَمُهُمْ وَلَا يُحْسِنُ إِلَيْهِمْ وَلَا يُنِيلُهُمْ خَيْرًا ﴿وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾: أَيْ: لَا يُثْنِي عَلَيْهِمْ بِالْجَمِيلِ وَلَا يُطَهِّرُهُمْ مِنَ الذُّنُوبِ ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**»، قَالَ: قَرَأَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ،

---

(١) **صحيح**: مسلم: (١٣٩).

(٢) **صحيح**: مسلم: (١٣٧).

(٣) **صحيح**: البخاري: (٢٠٨٨)، وأورده العلَّامة الإمام الوادعي رحمه الله في "الصحيح المسند من أسباب النزول" ص(٥٣)، ثم قال رحمه الله -بعد أن ذكر الرِّوايتين-: ولا منافاة بينهما، ويُحمَلُ على أنَّ النزول كان بالسببين جميعًا، ولفظُ الآية أعم من ذلك.اهـ

فَقَالَ أَبُو ذَرٍّ: خَابُوا وَخَسِرُوا مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ «**الْمُسْبِلُ، وَالْمَنَّانُ، وَالْمُنْفِقُ سِلْعَتَهُ بِالْحَلِفِ الْكَاذِبِ**»، فِي رِوَايَةٍ: «**الْمُسْبِلُ إِزَارَهُ**»(١).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: رَجُلٌ حَلَفَ يَمِينًا عَلَى مَالِ مُسْلِمٍ فَاقْتَطَعَهُ، وَرَجُلٌ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ كَاذِبَةٍ بَعْدَ صَلَاةِ الْعَصْرِ أَنَّهُ أُعْطِيَ بِسِلْعَتِهِ أَكْثَرَ مِمَّا أُعْطِيَ وَهُوَ كَاذِبٌ، وَرَجُلٌ مَنَعَ فَضْلَ مَائِهِ، فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى يَقُولُ: الْيَوْمَ أَمْنَعُكَ فَضْلِي كَمَا مَنَعْتَ فَضْلَ مَا لَمْ تَعْمَلْ يَدَاكَ**»(٢).

﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ﴾: يَعْنِي: مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ﴿لَفَرِيقًا﴾: أَيْ: طَائِفَةً، وَهُمْ كَعْبُ بْنُ الْأَشْرَفِ وَمَالِكُ بْنُ الصَّيْفِ وَحُيَيُّ بْنُ أَخْطَبَ وَأَبُو يَاسِرٍ وَشُعْبَةُ بن عمرو الشَّاعِرُ ﴿يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ﴾: أَيْ: يَعْطِفُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالتَّحْرِيفِ وَالتَّغْيِيرِ وَهُوَ مَا غَيَّرُوا مِنْ صِفَةِ النَّبِيِّ ﷺ وَآيَةِ الرَّجْمِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، يُقَالُ: (لَوَى لِسَانَهُ عَلَى كَذَا) إِذَا غَيَّرَهُ، ﴿لِتَحْسَبُوهُ﴾: أَيْ: لِتَظُنُّوا مَا حَرَّفُوا ﴿مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾: الَّذِي أَنْزَلَهُ اللهُ تَعَالَى، ﴿وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾: عَمْدًا ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾: أَنَّهُمْ كَاذِبُونَ، **وَقَالَ الضَّحَّاكُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ**: إِنَّ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى جَمِيعًا؛ وَذَلِكَ أَنَّهُمْ حَرَّفُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَأَلْحَقُوا بِكِتَابِ اللهِ مَا لَيْسَ مِنْهُ.

(١) **صحيح:** مسلم: (١٠٦).

(٢) **صحيح:** البخاري: (٢٣٦٩)، مسلم: (١٠٨). **وَقَوْلُهُ:** «**بَعْدَ صَلَاةِ العَصْرِ**»: قال الإمام القرطبي رحمه الله في "المفهم" (١/ ٣٠٧): وتخصيصُهُ بما بَعدَ العَصر يَدُلُّ على أنَّ لهذا الوقتِ من الفضلِ والحُرمةِ ما ليس لغيره مِن ساعات اليوم.اهـ

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ﴾: أَيْ: مَا يَنْبَغِي لِبَشَرٍ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا﴾[النُّور:١٦]، أَيْ: مَا يَنْبَغِي لَنَا، وَالْبَشَرُ: جَمِيعُ بَنِي آدَمَ لَا وَاحِدَ لَهُ مِنْ لَفْظِهِ، كَالْقَوْمِ وَالْجَيْشِ، وَيُوضَعُ مَوْضِعَ الْوَاحِدِ وَالْجَمْعِ، ﴿أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ﴾: الْفَهْمَ وَالْعِلْمَ، وَقِيلَ: إِمْضَاءَ الْحُكْمِ عَنِ اللهِ ﷻ، ﴿وَٱلنُّبُوَّةَ﴾: الْمَنْزِلَةَ الرَّفِيعَةَ بِالإِنْبَاءِ، ﴿ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّي مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟﴾: أَيْ: وَلَكِنْ يَقُولُ كُونُوا ﴿رَبَّٰنِيِّـۧنَ﴾: وَاخْتَلَفُوا فِيهِ، قَالَ عَلِيٌّ وَابْنُ عَبَّاسٍ وَالْحَسَنُ: كُونُوا فُقَهَاءَ عُلَمَاءَ، وَقَالَ قَتَادَةُ: حُكَمَاءَ عُلَمَاءَ، وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: الْعَالِمُ الَّذِي يَعْمَلُ بِعِلْمِهِ، وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: فُقَهَاءَ مُعَلِّمِينَ، وَقِيلَ: الرَّبَّانِيُّ الَّذِي يُرَبِّي النَّاسَ بِصِغَارِ الْعِلْمِ قَبْلَ كِبَارِهِ، وَقَالَ عَطَاء: حُكَمَاءَ عُلَمَاءَ نُصَحَاءَ للهِ فِي خَلْقِهِ، وَقِيلَ: الرَّبَّانِيُّونَ فَوْقَ الْأَحْبَارِ، وَالأَحْبَارُ: الْعُلَمَاءُ، وَالرَّبَّانِيُّونَ الَّذِينَ جَمَعُوا مَعَ الْعِلْمِ الْبَصَارَةَ بِسِيَاسَةِ النَّاسِ، قَالَ الْمُؤَرِّجُ: كُونُوا رَبَّانِيِّينَ تَدِينُونَ لِرَبِّكُمْ، مِنَ الرُّبُوبِيَّةِ، كَانَ فِي الْأَصْلِ: (رَبِّيٌّ) فَأُدْخِلَتِ الْأَلِفُ لِلتَّفْخِيمِ، ثُمَّ أُدْخِلَتِ النُّونُ لِسُكُونِ الْأَلِفِ، كَمَا قِيلَ: (صَنْعَانِيٌّ، وَبَهْرَانِيٌّ)، وَقَالَ الْمُبَرِّدُ: هُمْ أَرْبَابُ الْعِلْمِ سُمُّوا بِهِ لِأَنَّهُمْ يُرَبُّونَ الْعِلْمَ وَيَقُومُونَ بِهِ، وَيُرَبُّونَ الْمُتَعَلِّمِينَ بِصِغَارِ الْعُلُومِ قَبْلَ كِبَارِهَا، وَكُلُّ مَنْ قَامَ بِإِصْلَاحِ الشَّيْءِ وَإِتْمَامِهِ فَقَدْ رَبَّهُ يَرُبُّهُ، وَاحِدُهَا: (رَبَّانٌ) كَمَا قَالُوا: (رَيَّانٌ، وَعَطْشَانٌ، وَشَبْعَانٌ، وَغَرْثَانُ [-أَيْ: جَوْعَانُ-]) ثُمَّ ضُمَّتْ إِلَيْهِ يَاءُ النِّسْبَةِ، كَمَا يُقَالُ: (لِحْيَانِيٌّ) [لِطَوِيلِ اللِّحْيَةِ، أَوْ عَظِيمِهَا]، وَ(رَقَبَانِيٌّ) [لِغَلِيظِ الرَّقَبَةِ]، وَحُكِيَ عَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ: هُوَ الَّذِي يُرَبِّي عِلْمَهُ بِعَمَلِهِ، قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الحَنَفِيَّةِ يَوْمَ مَاتَ ابْنُ عَبَّاسٍ: الْيَوْمَ مَاتَ رَبَّانِيُّ هَذِهِ الْأُمَّةِ.

﴿بِمَا كُنتُمْ﴾: أَيْ: بِمَا أَنْتُمْ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَن كَانَ فِي ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا﴾[مَرْيَم:٢٩]، أَيْ: مَنْ هُوَ فِي الْمَهْدِ، ﴿تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾: قَرَأَ ابْنُ عَامِرٍ وَعَاصِمٌ وَحَمْزَةُ وَالْكِسَائِيُّ ﴿تُعَلِّمُونَ﴾ بِالتَّشْدِيدِ مِنَ: التَّعْلِيمِ، وَقَرَأَ الْآخَرُونَ ﴿تَعْلَمُونَ﴾ بِالتَّخْفِيفِ مِنَ: الْعِلْمِ، كَقَوْلِهِ: ﴿وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾: أَيْ: تَقْرَءُونَ.

﴿ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَـٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّـٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿٨٢﴾ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾

قَوْلُهُ: ﴿ وَلَا يَأْمُرَكُمْ ﴾: قَرَأَ ابْنُ عَامِرٍ وَحَمْزَةُ وَيَعْقُوبُ بِنَصْبِ الرَّاءِ عَطْفًا عَلَى قَوْلِهِ: ﴿ثُمَّ يَقُولَ ﴾ فَيَكُونُ مَرْدُودًا عَلَى الْبَشَرِ، أَيْ: وَلَا يَأْمُرُ ذَلِكَ الْبَشَرُ، **وَقِيلَ**: عَلَى إِضْمَارِ: (أَنْ)، أَيْ: وَلَا أَنْ يَأْمُرَكُمْ ذَلِكَ الْبَشَرُ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بِالرَّفْعِ عَلَى الِاسْتِئْنَافِ، مَعْنَاهُ: وَلَا يَأْمُرُكُمُ اللهُ، **وَقَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ وَجَمَاعَةٌ:** ﴿ وَلَا يَأْمُرَكُمْ ﴾: مُحَمَّدٌ ﴿أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۗ ﴾: كَفِعْلِ قُرَيْشٍ وَالصَّابِئِينَ حَيْثُ قَالُوا: الْمَلَائِكَةُ بَنَاتُ اللهِ، وَالْيَهُودِ وَالنَّصَارَى حَيْثُ قَالُوا فِي الْمَسِيحِ وَعُزَيْرٍ مَا قَالُوا، ﴿أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾: قَالَهُ عَلَى طَرِيقِ التَّعَجُّبِ وَالإِنْكَارِ، يَعْنِي: لَا يَقُولُ هَذَا.

قَوْلُهُ ﷻ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَـٰبٍ وَحِكْمَةٍ ﴾: قَرَأَ حَمْزَةُ ﴿لِمَا﴾ بِكَسْرِ اللَّامِ وَقَرَأَ الْآخَرُونَ بِفَتْحِهَا، فَمَنْ كَسَرَ اللَّامَ فَهِيَ لَامُ الْإِضَافَةِ دَخَلَتْ عَلَى (مَا) المَوْصُولَةِ وَمَعْنَاهُ: (الَّذِي)، يُرِيدُ: لِلَّذِي آتَيْتُكُمْ، أَيْ: أَخَذَ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لِأَجْلِ الَّذِي آتَاهُمْ مِنَ الكِتَابِ وَالحِكْمَةِ، يَعْنِي: أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الشَّرَائِعِ، وَمَنْ فَتَحَ اللَّامَ مَعْنَاهُ: لِلَّذِي آتَيْتُكُمْ، بِمَعْنَى الْخَبَرِ، **وَقِيلَ**: بِمَعْنَى الْجَزَاءِ، أَيْ: لَئِنْ آتَيْتُكُمْ وَمَهْمَا آتَيْتُكُمْ، وَجَوَابُ الْجَزَاءِ، قَوْلُهُ: ﴿لَتُؤْمِنُنَّ﴾.

قَوْلُهُ: ﴿لَمَآ ءَاتَيْتُكُم ﴾: قَرَأَ نَافِعٌ وَأَهْلُ الْمَدِينَةِ: ﴿آتَيْنَاكُمْ﴾ عَلَى التَّعْظِيمِ كَمَا قَالَ: ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴾[النِّسَاء:١٦٣]، وَ﴿وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴾[مَرْيَم:١٢]، وَقَرَأَ الْآخَرُونَ بِالتَّاءِ لِمُوَافَقَةِ الْخَطِّ، وَلِقَوْلِهِ: ﴿وَأَنَا۠ مَعَكُم﴾، **وَاخْتَلَفُوا فِي الْمَعْنِيِّ بِهَذِهِ الْآيَةِ: فَذَهَبَ قَوْمٌ**: إِلَى أَنَّ اللهَ تَعَالَى أَخَذَ الْمِيثَاقِ عَلَى النَّبِيِّينَ خَاصَّةً أَنْ يُبَلِّغُوا كِتَابَ

اللهِ وَرِسَالَتَهُ إِلَى عِبَادِهِ، وَأَنْ يُصَدِّقَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَأَخَذَ العُهُودَ عَلَى كُلِّ نَبِيٍّ أَنْ يُؤْمِنَ بِمَنْ يَأْتِي بَعْدَهُ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، وَيَنْصُرَهُ إِنْ أَدْرَكَهُ، وَإِنْ لَمْ يُدْرِكْهُ أَنْ يَأْمُرَ قَوْمَهُ بِنُصْرَتِهِ إِنْ أَدْرَكُوهُ، فَأَخَذَ الْمِيثَاقَ مِنْ مُوسَى أَنْ يُؤْمِنَ بِعِيسَى، وَمِنْ عِيسَى أَنْ يُؤْمِنَ بِمُحَمَّدٍ ﷺ، **وَقَالَ الْآخَرُونَ**: إِنَّمَا أَخَذَ اللهُ الْمِيثَاقَ مِنْهُمْ فِي أَمْرِ مُحَمَّدٍ ﷺ، **فَعَلَى هَذَا اخْتَلَفُوا: فَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ**: إِنَّمَا أَخَذَ الْمِيثَاقَ عَلَى أَهْلِ الْكِتَابِ الَّذِينَ أَرْسَلَ مِنْهُمُ النَّبِيِّينَ، وَهَذَا قَوْلُ مُجَاهِدٍ وَالرَّبِيعِ، أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِهِ: ﴿ثُمَّ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مُّصَدِّقٞ لِّمَا مَعَكُمۡ لَتُؤۡمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥۚ﴾، وَإِنَّمَا كَانَ مُحَمَّدٌ ﷺ مَبْعُوثًا إِلَى أَهْلِ الْكِتَابِ دُونَ النَّبِيِّينَ، يَدُلُّ عَلَيْهِ أَنَّ فِي قِرَاءَةِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ وَأُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوْتُوا الكِتَابَ﴾ وَإِنَّمَا الْقِرَاءَةُ الْمَعْرُوفَةُ: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ فَأَرَادَ: أَنَّ اللهَ أَخَذَ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ أَنْ يَأْخُذُوا المِيثَاقَ عَلَى أُمَمِهِمْ أَنْ يُؤْمِنُوا بِمُحَمَّدٍ ﷺ وَيُصَدِّقُوهُ وَيَنْصُرُوهُ، إِنْ أَدْرَكُوهُ، **وَقَالَ بَعْضُهُمْ**: أَرَادَ أَخَذَ اللهُ الْمِيثَاقَ عَلَى النَّبِيِّينَ وَأُمَمِهِمْ جَمِيعًا فِي أَمْرِ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَاكْتَفَى بِذِكْرِ الأَنْبِيَاءِ؛ لِأَنَّ الْعَهْدَ مَعَ الْمَتْبُوعِ عَهْدٌ عَلَى الْأَتْبَاعِ، وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ.

قَوْلُهُ: ﴿ثُمَّ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مُّصَدِّقٞ لِّمَا مَعَكُمۡ﴾: يَعْنِي: مُحَمَّدًا ﷺ ﴿لَتُؤۡمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥۚ﴾: يَقُولُ اللهُ تَعَالَى لِلْأَنْبِيَاءِ حِينَ اسْتَخْرَجَ الذُّرِّيَّةَ مِنْ صُلْبِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَالْأَنْبِيَاءُ فِيهِمْ كَالْمَصَابِيحِ وَالسُّرُجِ، وَأَخَذَ عَلَيْهِمُ الْمِيثَاقَ فِي أَمْرِ مُحَمَّدٍ ﷺ، ﴿قَالَ ءَأَقۡرَرۡتُمۡ وَأَخَذۡتُمۡ عَلَىٰ ذَٰلِكُمۡ إِصۡرِيۖ﴾: أَيْ: قَبِلْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ عَهْدِي، **وَالْإِصْرُ**: الْعَهْدُ الثَّقِيلُ، ﴿قَالُوٓاْ أَقۡرَرۡنَاۚ قَالَ﴾: اللهُ تَعَالَى: ﴿فَٱشۡهَدُواْ﴾: أَيْ: فَاشْهَدُوا أَنْتُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ وَعَلَى أَتْبَاعِكُمْ، ﴿وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾: عَلَيْكُمْ وَعَلَيْهِمْ، ﴿فَمَن تَوَلَّىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ﴾: الْإِقْرَارِ ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾: الْعَاصُونَ الْخَارِجُونَ عَنِ الإِيمَانِ.

قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أَفَغَيۡرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبۡغُونَ﴾: قَرَأَ أَهْلُ الْبَصْرَةِ وَحَفْصٌ عَنْ عَاصِمٍ ﴿يَبۡغُونَ﴾ بِالْيَاءِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾، وَقَرَأَ الْآخَرُونَ: بِالتَّاءِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَمَآ ءَاتَيۡتُكُم﴾. ﴿وَلَهُۥٓ أَسۡلَمَ﴾: خَضَعَ وَانْقَادَ ﴿مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ

﴿وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا﴾: **فَالطَّوْعُ**: الِانْقِيَادُ وَالِاتِّبَاعُ بِسُهُولَةٍ، **وَالْكُرْهُ**: مَا كَانَ بِمَشَقَّةٍ وَإِبَاءٍ مِنَ النَّفْسِ، **وَاخْتَلَفُوا فِي قَوْلِهِ**: ﴿طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا﴾: **قَالَ الحسن**: أَسْلَمَ أَهْلُ السَّمَوَاتِ طَوْعًا، وَأَسْلَمَ مَنْ فِي الْأَرْضِ بَعْضُهُمْ طَوْعًا وَبَعْضُهُمْ كَرْهًا؛ خَوْفًا مِنَ السَّيْفِ وَالسَّبْيِ، **وَقَالَ مُجَاهِدٌ**: ﴿طَوۡعٗا﴾: الْمُؤْمِنُ، ﴿وَكَرۡهٗا﴾: ذَلِكَ الْكَافِرُ؛ بِدَلِيلِ: ﴿وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا وَظِلَٰلُهُم بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ ۩﴾[الرَّعْد: ١٥]، **وَقِيلَ**: هَذَا يَوْمُ الْمِيثَاقِ حِينَ قَالَ لَهُمْ: ﴿أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ﴾[الأَعْرَاف:١٧٢]، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: طَوْعًا، وَبَعْضُهُمْ: كَرْهًا، **وَقَالَ قَتَادَةُ**: الْمُؤْمِنُ أَسْلَمَ طَوْعًا فَنَفَعَهُ الإِسْلَامُ، وَالْكَافِرُ أَسْلَمَ كَرْهًا فِي وَقْتِ الْبَأْسِ فَلَمْ يَنْفَعْهُ الإِسْلَامُ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَلَمۡ يَكُ يَنفَعُهُمۡ إِيمَٰنُهُمۡ لَمَّا رَأَوۡاْ بَأۡسَنَاۖ﴾[غَافِر:٨٥]، **وَقَالَ الشَّعْبِيُّ**: هُوَ اسْتِعَاذَتُهُمْ بِهِ عِنْدَ اضْطِرَارِهِمْ كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلۡفُلۡكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [الْعَنْكَبُوت:٦٥]، **وَقَالَ الْكَلْبِيُّ**: ﴿طَوۡعٗا﴾: الَّذِي وُلِدَ فِي الْإِسْلَامِ، ﴿وَكَرۡهٗا﴾: الَّذِينَ أُجْبِرُوا عَلَى الْإِسْلَامِ مِمَّنْ يُسْبَى مِنْهُمْ فَيُجَاءُ بِهِمْ فِي السَّلَاسِلِ.

﴿وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُونَ﴾ قَرَأَ بِالْيَاءِ حَفْصٌ عَنْ عَاصِمٍ وَيَعْقُوبُ كَمَا قَرَأَ ﴿يَبۡغُونَ﴾ بِالْيَاءِ وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بِالتَّاءِ فِيهِمَا إِلَّا أَبُو عَمْرٍو فَإِنَّهُ قَرَأَ ﴿يَبۡغُونَ﴾ بِالْيَاءِ وَ﴿تُرْجَعُونَ﴾ بِالتَّاءِ قَالَ: لِأَنَّ الْأَوَّلَ خَاصٌّ، وَالثَّانِي عَامٌّ، لِأَنَّ مَرْجِعَ جَمِيعِ الْخَلْقِ إِلَى اللهِ ﷻ.

> ﴿قُلۡ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ٨٤ وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٨٥ كَيۡفَ يَهۡدِي ٱللَّهُ قَوۡمٗا كَفَرُواْ بَعۡدَ إِيمَٰنِهِمۡ وَشَهِدُوٓاْ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقّٞ وَجَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٦ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمۡ أَنَّ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةَ ٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ٨٧ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ ٨٨ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلۡ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ

وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾: ذَكَرَ الْمِلَلَ وَالْأَدْيَانَ وَاضْطِرَابَ النَّاسِ فِيهَا، ثُمَّ أَمَرَ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَنْ يَقُولَ: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ الْآيَةَ.

قَوْلُهُ: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلْآخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ كَيْفَ يَهْدِي ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ ﴾: لَفْظُهُ اسْتِفْهَامٌ وَمَعْنَاهُ جَحْدٌ أَيْ: لَا يَهْدِي اللهُ، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: كَيْفَ يَهْدِيهِمُ اللهُ فِي الْآخِرَةِ إِلَى الجَنَّةِ وَالثَّوَابِ، ﴿وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴾: وَذَلِكَ أَنَّ الْحَارِثَ بْنَ سُوَيْدٍ لَمَّا لَحِقَ بِالْكُفَّارِ نَدِمَ فَأَرْسَلَ إِلَى قَوْمِهِ أَنْ سَلُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ هَلْ لِي مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَفَعَلُوا ذَلِكَ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ لما كَانَ مِنْهُ، فَحَمَلَهَا إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ قَوْمِهِ فَقَرَأَهَا عَلَيْهِ، فَأَسْلَمَ وَحَسُنَ إِسْلَامُهُ[1].

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ

---

(١) قال العلَّامة الإمام الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ في «الصحيح المسند من أسباب النزول» ص(٥٣-٥٤): **قال الإمام أبو جعفر بن جرير** رَحِمَهُ اللَّهُ ج(٣) ص(٣٤٠): حدَّثنا محمد بن عبد الله بن بزيع البصري، قال: حدثنا يزيد بن زريع، قال: حدثنا داود بن أبي هند، عن عكرمة، **عن ابن عبَّاس** قال: كان رجل من الأنصار أسلم ثم ارتدَّ ولحق بالشرك، ثم ندم فأرسل إلى قومه: أرسِلُوا إلى رسول الله: هل من توبة؟ قال: فنزلت: ﴿ كَيْفَ يَهْدِي ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ ﴾ إلى قوله: ﴿وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ ... ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾، فأرسل إليه قومه فأسلم. الحديث رجاله رجال الصحيح، وقد أعاده مرسلًا وموصولًا، وأخرجه ابن حبان في «صحيحه» كما في «موارد الظمآن» ص(٤٢٧)، والطحاوي في «مشكل الآثار» ج(٤) ص(٦٤)، والحاكم ج(٢) ص(١٤٢)، وج(٤) ص(٣٦٦)، وفي كلا الموضعين قال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وسكت عليه الذهبي. اهـ

﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾

قَوْلُهُ ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡدَ إِيمَٰنِهِمۡ ثُمَّ ٱزۡدَادُواْ كُفۡرٗا﴾: **قَالَ قَتَادَةُ وَالْحَسَنُ**: نَزَلَتْ فِي الْيَهُودِ ﴿كَفَرُواْ﴾: بِعِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَالْإِنْجِيل ﴿بَعۡدَ إِيمَٰنِهِمۡ﴾: بِأَنْبِيَائِهِمْ ﴿ثُمَّ ٱزۡدَادُواْ كُفۡرٗا﴾: بِمُحَمَّدٍ ﷺ وَالْقُرْآنِ، **وَقَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ**: نَزَلَتْ فِي الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى ﴿كَفَرُواْ﴾: بِمُحَمَّدٍ ﷺ لَمَّا رَأَوْهُ ﴿بَعۡدَ إِيمَٰنِهِمۡ﴾: بِنَعْتِهِ وَصِفَتِهِ فِي كُتُبِهِمْ، ﴿ثُمَّ ٱزۡدَادُواْ كُفۡرٗا﴾: يَعْنِي: ذُنُوبًا فِي حَالِ كُفْرِهِمْ، **قَالَ مُجَاهِدٌ**: نَزَلَتْ فِي جَمِيعِ الْكُفَّارِ أَشْرَكُوا بَعْدَ إِقْرَارِهِمْ بِأَنَّ اللهَ خَالِقُهُمْ، ﴿ثُمَّ ٱزۡدَادُواْ كُفۡرٗا﴾: أَيْ: أَقَامُوا عَلَى كُفْرِهِمْ حَتَّى هَلَكُوا عَلَيْهِ، **قَالَ الْحَسَنُ**: ﴿ثُمَّ ٱزۡدَادُواْ كُفۡرٗا﴾: كُلَّمَا نَزَلَتْ آيَةٌ كَفَرُوا بِهَا، فَازْدَادُوا كُفْرًا، **وَقِيلَ**: ﴿ثُمَّ ٱزۡدَادُواْ كُفۡرٗا﴾: بِقَوْلِهِمْ: نَتَرَبَّصُ بِمُحَمَّدٍ رَيْبَ الْمَنُونِ.

فَإِنْ قِيلَ: قَدْ وَعَدَ اللهُ قَبُولَ تَوْبَةِ مَنْ تَابَ، فَمَا مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿لَّن تُقۡبَلَ تَوۡبَتُهُمۡ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ﴾؟ قِيلَ: لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ إِذَا رَجَعُوا فِي حَالِ الْمُعَايَنَةِ، كَمَا قَالَ: ﴿وَلَيۡسَتِ ٱلتَّوۡبَةُ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ إِنِّي تُبۡتُ ٱلۡـَٰٔنَ﴾[النِّسَاء:١٨] **وَقِيلَ**: هَذَا فِي أَصْحَابِ الْحَارِثِ بْنِ سُوَيْدٍ حَيْثُ أَمْسَكُوا عَنِ الإِسْلَامِ، وَقَالُوا: نَتَرَبَّصُ بِمُحَمَّدٍ، فَإِنْ سَاعَدَهُ الزَّمَانُ نَرْجِعُ إِلَى دينه، ﴿لَّن تُقۡبَلَ تَوۡبَتُهُمۡ﴾: لَنْ يُقْبَلَ مِنْهُمْ ذَلِكَ؛ لِأَنَّهُمْ مُتَرَبِّصُونَ غَيْرُ مُحَقِّقِينَ، ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ﴾[(١)].

قَوْلُهُ ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٞ فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡ أَحَدِهِم مِّلۡءُ ٱلۡأَرۡضِ﴾: أَيْ: قَدْرُ مَا يَمْلَأُ الأَرْضَ مِنْ مَشْرِقِهَا إِلَى مَغْرِبِهَا ﴿ذَهَبٗا﴾: نُصِبَ عَلَى التَّفْسِيرِ،

(١) قال العلَّامة الإمام الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الصحيح المسند من أسباب النزول» ص(٥٤): قال الحافظُ ابن كثير في «تفسيره» ج(١) ص(٣٨٠): **قال الحافظُ أبو بكرٍ البَزَّارُ**: حدثنا محمد بن عبد الله بن بزيع، حدثنا يزيد بن زريع، حدثنا داود بن أبي هند، عن عكرمة، **عن ابن عبَّاس**: أنَّ قومًا أسلموا ثم ارتدُّوا ثم أسلموا ثم ارتدُّوا، فأرسلوا إلى قومهم يسألون لهم، فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ، فنزلت هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡدَ إِيمَٰنِهِمۡ ثُمَّ ٱزۡدَادُواْ كُفۡرٗا لَّن تُقۡبَلَ تَوۡبَتُهُمۡ﴾. هكذا رواهُ وإسناده جيِّد.اهـ

كَقَوْلِهِمْ: (عِشْرُونَ دِرْهَمًا) ﴿وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ﴾: قِيلَ: مَعْنَاهُ: لَوِ افْتَدَى بِهِ وَالْوَاوُ: زَائِدَةٌ مُقْحَمَةٌ، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يَقُولُ اللهُ لِأَهْوَنِ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ: لَوْ أَنَّ لَكَ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ أَكُنْتَ تَفْتَدِي بِهِ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: أَرَدْتُ مِنْكَ أَهْوَنَ مِنْ هَذَا وَأَنْتَ فِي صُلْبِ آدَمَ: أَلَّا تُشْرِكَ بِي شَيْئًا، فَأَبَيْتَ إِلَّا أَنْ تُشْرِكَ بِي»(١).

﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ﴾: يَعْنِي: الْجَنَّةَ، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ وَابْنُ مَسْعُودٍ وَمُجَاهِدٌ وَقَالَ مُقَاتِلُ بْنُ حَيَّانَ: التَّقْوَى، وَقِيلَ: الطَّاعَةَ، وَقِيلَ: الخَيْرَ، وَقَالَ الحَسَنُ: لَنْ تَكُونُوا أَبْرَارًا.

عَنْ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ؛ فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ صِدِّيقًا، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ؛ فَإِنَّ الكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّابًا»(٢).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ﴾: أَيْ: مِنْ أَحَبِّ أَمْوَالِكُمْ إِلَيْكُمْ، رَوَى الضَّحَّاكُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ الْمُرَادَ مِنْهُ أَدَاءُ الزَّكَاةِ، وَقَالَ مُجَاهِدٌ وَالْكَلْبِيُّ: هَذِهِ الْآيَةُ نَسَخَتْهَا آيَةُ الزَّكَاةِ، وَقَالَ الْحَسَنُ: كُلُّ إِنْفَاقٍ يَبْتَغِي بِهِ الْمُسْلِمُ وَجْهَ اللهِ، حَتَّى الثَّمْرَةَ يَنَالُ بِهِ هَذَا الْبِرَّ، وَقَالَ عَطَاءٌ: لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ، أَيْ: شَرَفَ الدِّينِ وَالتَّقْوَى حَتَّى تَتَصَدَّقُوا وَأَنْتُمْ أَصِحَّاءُ أَشِحَّاءُ.

---

(١) **صحيح:** البخاري: (٦٥٥٧)، ومسلم: (٢٨٠٥).

(٢) **صحيح:** البخاري: (٦٠٩٤)، ومسلم: (٢٦٠٧).

عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ، أَنَّهُ سَمِعَ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ يَقُولُ: كَانَ أَبُو طَلْحَةَ الْأَنْصَارِيُّ أَكْثَرَ أَنْصَارِيٍّ بِالْمَدِينَةِ مَالًا، وَكَانَ أَحَبُّ أَمْوَالِهِ إِلَيْهِ بَيْرُحَاءَ، وَكَانَتْ مُسْتَقْبِلَةَ المَسْجِدِ، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدْخُلُهَا وَيَشْرَبُ مِنْ مَاءٍ فِيهَا طَيِّبٍ، قَالَ أَنَسٌ: فَلَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾، قَامَ أَبُو طَلْحَةَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ اللهَ تَعَالَى يَقُولُ فِي كِتَابِهِ: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾، وَإِنَّ أَحَبَّ أَمْوَالِي إِلَيَّ بَيْرُحَاءُ، وَإِنَّهَا صَدَقَةٌ للهِ أَرْجُو بِرَّهَا وَذُخْرَهَا عِنْدَ اللهِ، فَضَعْهَا يَا رَسُولَ اللهِ حَيْثُ شِئْتَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**بَخٍ بَخٍ، ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ، ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ، وَقَدْ سَمِعْتُ مَا قُلْتَ فِيهَا، وَإِنِّي أَرَى أَنْ تَجْعَلَهَا فِي الْأَقْرَبِينَ**»، فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ: أَفْعَلُ يَا رَسُولَ اللهِ، فَقَسَمَهَا أَبُو طَلْحَةَ فِي أَقَارِبِهِ وَبَنِي عَمِّهِ[(١)].

﴿وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾: أَيْ: يَعْلَمُهُ وَيُجَازِي بِهِ.

﴿۞ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ ۗ قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٩٣﴾ فَمَنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾: يُرِيدُ: سِوَى الْمَيْتَةِ وَالدَّمِ؛ فَإِنَّهُ لَمْ يَكُنْ حَلَالًا قَطُّ، ﴿إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾: وَهُوَ يَعْقُوبُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ﴾: يَعْنِي: لَيْسَتْ فِي التَّوْرَاةِ حُرْمَتُهَا، **قَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ وَعَطَاءٌ وَمُقَاتِلٌ وَالْكَلْبِيُّ**: كَانَ ذَلِكَ الطَّعَامُ لُحْمَانَ الْإِبِلِ وَأَلْبَانَهَا.

وَرُوِيَ أَنَّ يَعْقُوبَ مَرِضَ مَرَضًا شَدِيدًا فَطَالَ سُقْمُهُ فَنَذَرَ لَئِنْ عَافَاهُ اللهُ مِنْ سَقَمِهِ لَيُحَرِّمَنَّ أَحَبَّ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ إِلَيْهِ، وَكَانَ أَحَبُّ الطَّعَامِ إِلَيْهِ لُحْمَانَ الْإِبِلِ، وَأَحَبُّ الشَّرَابِ إِلَيْهِ أَلْبَانَهَا، فَحَرَّمَهُمَا، وَكَانَ السَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّهُ اشْتَكَى عِرْقَ

---

(١) **صحيح**: البخاري: (١٤٦١)، ومسلم: (٩٩٨).

النَّسَا[1]. واخْتَلَفُوا فِي هَذَا الطَّعَامِ الْمُحَرَّمِ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بَعْدَ نُزُولِ التَّوْرَاةِ، **فَقَالَ السُّدِّيُّ**: حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِمْ فِي التَّوْرَاةِ مَا كَانُوا يُحَرِّمُونَهُ قَبْلَ نُزُولِهَا، **وَقَالَ عَطِيَّةُ**: إِنَّمَا كَانَ مُحَرَّمًا عَلَيْهِمْ بِتَحْرِيمِ إِسْرَائِيلَ، وَلَمْ يَكُنْ مُحَرَّمًا عَلَيْهِمْ فِي التَّوْرَاةِ، **وَقَالَ الضَّحَّاكُ**: لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ حَرَامًا عَلَيْهِمْ وَلَا حَرَّمَهُ اللهُ فِي التَّوْرَاةِ، وَإِنَّمَا حَرَّمُوهُ عَلَى أَنْفُسِهِمْ؛ اتِّبَاعًا لِأَبِيهِمْ، ثُمَّ أَضَافُوا تَحْرِيمَهُ إِلَى اللهِ، فَكَذَّبَهُمُ اللهُ ﷻ فَقَالَ: ﴿قُلْ﴾: يَا مُحَمَّدُ ﴿فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ﴾: حَتَّى يَتَبَيَّنَ أَنَّهُ كَمَا قُلْتُمْ، ﴿إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾: فَلَمْ يَأْتُوا، فَقَالَ اللهُ ﷻ: ﴿فَمَنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾.

﴿قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ ۗ فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٥﴾ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَـٰتٌۢ بَيِّنَـٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾

﴿قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ ۗ فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾: وَإِنَّمَا دَعَاهُمْ إِلَى اتِّبَاعِ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ؛ لِأَنَّ فِي اتِّبَاعِ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ اتِّبَاعُهُ ﷺ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ﴾: **قِيلَ**: هُوَ أَوَّلُ بَيْتٍ مُبَارَكٍ وضع هُدًى لِلنَّاسِ، **وَقَالَ الضَّحَّاكُ**: أَوَّلُ بَيْتٍ وُضِعَ فِيهِ البَرَكَةُ، **وَقِيلَ**: أَوَّلُ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ يُعْبَدُ اللهُ فِيهِ وَيُحَجُّ إِلَيْهِ، **وَقِيلَ**: هُوَ أَوَّلُ بَيْتٍ جُعِلَ قِبْلَةً لِلنَّاسِ، **وَقَالَ الحَسَنُ وَالكَلْبِيُّ**: أَوَّلُ مَسْجِدٍ وَمُتَعَبَّدٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ يُعْبَدُ اللهُ فِيهِ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ﴾[النُّور:٣٦]، يَعْنِي: الْمَسَاجِدَ.

عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه قَالَ: قَلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَيُّ مَسْجِدٍ وُضِعَ فِي الْأَرْضِ أَوَّلًا؟ قَالَ: «**الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ**»، قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «**الْمَسْجِدُ الْأَقْصَى**»، قُلْتُ: كَمْ كَانَ

---

(١) **حسن**: أحمد: (٢٤٣٨) وحسَّنه ط: (الرسالة)، عن ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما. **وَقَوْلُهُ**: «**عِرْق النَّسَا**»: هو وَجَعٌ يبتدىء مِنْ مَفْصِلِ الْوَرِكِ، وَيَنْزِلُ مِنْ خَلْفٍ عَلَى الْفَخِذِ، وَرُبَّمَا عَلَى الْكَعْبِ، وَكُلَّمَا طَالَتْ مُدَّتُهُ زَادَ نُزُولُهُ، وَتَهْزُلُ مَعَهُ الرِّجْلُ وَالْفَخِذُ.اهـ "الطِّب النبوي" لابن القيِّم رحمه الله صـ(٥٥).

بَيْنَهُمَا؟ قَالَ: «**أَرْبَعُونَ سَنَةً، ثُمَّ أَيْنَمَا أَدْرَكَتْكَ الصَّلَاةُ بَعْدُ فَصَلِّ؛ فَإِنَّ الْفَضْلَ فِيهِ**»[(١)].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَلَّذِي بِبَكَّةَ﴾: **قَالَ جَمَاعَةٌ**: هِيَ مَكَّةُ نَفْسُهَا، وَهُوَ قَوْلُ الضَّحَّاكِ، وَالْعَرَبُ تُعَاقِبُ بَيْنَ الْبَاءِ وَالْمِيمِ، فَتَقُولُ: (سَبَّدَ رَأْسَهُ، وَسَمَّدَهُ)، وَ(ضَرْبَةُ لَازِبٍ، وَلَازِمٍ)، **وَقَالَ الْآخَرُونَ**: **بَكَّةُ**: مَوْضِعُ الْبَيْتِ، **وَمَكَّةُ**: اسْمٌ لِلْبَلَدِ كُلِّهِ، **وَقِيلَ**: بَكَّةُ مَوْضِعُ الْبَيْتِ وَالْمَطَافِ، سُمِّيَتْ بَكَّةَ: لِأَنَّ النَّاسَ يَتَبَاكُّونَ فِيهَا، أَيْ يَزْدَحِمُونَ يَبُكُّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَيُصَلِّي بَعْضُهُمْ بَيْنَ يَدَيْ بَعْضٍ، وَيَمُرُّ بَعْضُهُمْ بَيْنَ يَدَيْ بَعْضٍ، **وَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ الزُّبَيْرِ**: سُمِّيَتْ بَكَّةَ: لِأَنَّهَا تَبُكُّ أَعْنَاقَ الْجَبَابِرَةِ، أَيْ تَدُقُّهَا فَلَمْ يَقْصِدْهَا جَبَّارٌ بِسُوءٍ إِلَّا قَصَمَهُ اللهُ، وَأَمَّا مَكَّةُ: سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِقِلَّةِ مَائِهَا، مِنْ قَوْلِ الْعَرَبِ: (مَكَّ الْفَصِيلُ ضَرْعَ أُمِّهِ، وَامْتَكَّهُ) إِذَا امْتَصَّ كُلَّ مَا فِيهِ مِنَ اللَّبَنِ، وَتُدْعَى: (أُمَّ رَحِمٍ) لِأَنَّ الرَّحْمَةَ تَنْزِلُ بِهَا.

﴿مُبَارَكًا﴾: نُصِبَ عَلَى الْحَالِ، أَيْ: ذَا بَرَكَةٍ، ﴿وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾: لِأَنَّهُ قِبْلَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ، ﴿فِيهِ ءَايَٰتٌ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ﴾: قَرَأَ ابْنُ عَبَّاسٍ: ﴿آيَةٌ بَيِّنَةٌ﴾ عَلَى الوَاحِدِ، وَأَرَادَ مَقَامَ إِبْرَاهِيمَ وَحْدَهُ، وَقَرَأَ الْآخَرُونَ: ﴿ءَايَٰتٌ بَيِّنَٰتٌ﴾: بِالْجَمْعِ، فَذَكَرَ مِنْهَا مَقَامَ إِبْرَاهِيمَ وَهُوَ الْحَجَرُ الَّذِي قَامَ عَلَيْهِ إِبْرَاهِيمُ، وَمِنْ تِلْكَ الآيَاتِ فِي الْبَيْتِ: الْحَجَرُ الْأَسْوَدُ، وَالْحَطِيمُ، وَزَمْزَمُ، وَالْمَشَاعِرُ كُلُّهَا **وَقِيلَ**: مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ جَمِيعُ الْحَرَمِ. وَمِنَ الآيَاتِ فِي الْبَيْتِ: أَنَّهُ بَلَدٌ صَدَرَ إِلَيْهِ الْأَنْبِيَاءُ وَالْمُرْسَلُونَ وَالْأَوْلِيَاءُ وَالْأَبْرَارُ، وَأَنَّ الطَّاعَةَ وَالصَّدَقَةَ فِيهَا تُضَاعَفُ.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهُ، إِلَّا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ**»[(٢)].

قَوْلُهُ ﷻ: ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾: مِنْ أَنْ يُحَاجَّ فِيهِ، وَذَلِكَ بِدُعَاءِ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام حَيْثُ قَالَ: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا﴾[البَقَرَة:١٢٦]، وَكَانَتِ الْعَرَبُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ يَقْتُلُ

---

(١) **صحيح**: البخاري: (٣٣٦٦)، ومسلم: (٥٢٠).

(٢) **صحيح**: البخاري: (١١٩٠)، ومسلم: (١٣٩٤).

بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَيُغِيرُ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ، وَمَنْ دَخَلَ الْحَرَمَ أَمِنَ مِنَ الْقَتْلِ وَالْغَارَةِ، وَهُوَ الْمُرَادُ مِنَ الْآيَةِ عَلَى قَوْلِ الْحَسَنِ وَقَتَادَةَ وَأَكْثَرِ الْمُفَسِّرِينَ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْۚ﴾[العَنْكَبُوت:٦٧]، **وَقِيلَ**: الْمُرَادُ بِهِ أَنَّ مَنْ دَخَلَهُ عَامَ عُمْرَةِ الْقَضَاءِ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ كَانَ آمِنًا كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾[الْفَتْح:٢٧]، **وَقِيلَ**: هُوَ خَبَرٌ بِمَعْنَى الْأَمْرِ، تَقْدِيرُهُ: وَمَنْ دَخَلَهُ فَأَمِّنُوهُ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلْحَجِّۗ﴾[الْبَقَرَة:١٩٧]، أَيْ: لَا تَرْفُثُوا وَلَا تَفْسُقُوا، حَتَّى ذَهَبَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ إِلَى أَنَّ مَنْ وَجَبَ عَلَيْهِ الْقَتْلُ قِصَاصًا أَوْ حَدًّا فَالْتَجَأَ إِلَى الحَرَمِ فَلَا يُسْتَوْفَى مِنْهُ فِيهِ، وَلَكِنَّهُ لَا يُطْعَمُ وَلَا يُبَايَعُ وَلَا يُشَارَى، حَتَّى يَخْرُجَ مِنْهُ، فَيُقْتَلُ، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَبِهِ قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ، وَذَهَبَ قَوْمٌ إِلَى أَنَّ الْقَتْلَ الْوَاجِبَ بِالشَّرْعِ يُسْتَوْفَى فِيهِ، أَمَّا إِذَا ارْتَكَبَ الْجَرِيمَةَ فِي الحَرَمِ فَيُسْتَوْفَى فِيهِ عُقُوبَتَهُ بِالِاتِّفَاقِ، **وَقِيلَ**: مَعْنَاهُ: من دَخَلَهُ مُعَظِّمًا لَهُ مُتَقَرِّبًا إِلَى اللهِ ﷻ كَانَ آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْعَذَابِ.

قَوْلُهُ ﷻ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًاۚ﴾: أَيْ: وَللهِ فَرْضٌ وَاجِبٌ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ، قَرَأَ أَبُو جَعْفَرٍ وَحَمْزَةُ وَالْكِسَائِيُّ وَحَفْصٌ: ﴿حِجُّ ٱلْبَيْتِ﴾ بِكَسْرِ الْحَاءِ فِي هَذَا الْحَرْفِ خَاصَّةً، وَقَرَأَ الْآخَرُونَ بِفَتْحِ الْحَاءِ، وَهِيَ لُغَةُ أَهْلِ الْحِجَازِ، وَهُمَا لُغَتَانِ فَصِيحَتَانِ وَمَعْنَاهُمَا وَاحِدٌ، **وَالْحَجُّ**: أَحَدُ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ.

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ**»(١).

قَالَ أَهْلُ الْعِلْمِ: وَلِوُجُوبِ الْحَجِّ خَمْسُ شَرَائِطَ: الْإِسْلَامُ، وَالعَقْلُ، وَالبُلُوغُ، وَالحُرِّيَّةُ، وَالِاسْتِطَاعَةُ، وَلَا يَجِبُ عَلَى الْكَافِرِ وَلَا عَلَى الْمَجْنُونِ وَلَوْ حَجَّا بِأَنْفُسِهِمَا

---

(١) **صحيح:** البخاري: (٨)، ومسلم: (١٦).

لَا يَصِحُّ؛ لِأَنَّ الْكَافِرَ لَيْسَ مِنْ أَهْلِ الْقُرْبَةِ وَلَا حُكْمَ لِفِعْلِ الْمَجْنُونِ، وَلَا يَجِبُ عَلَى الصَّبِيِّ وَلَا عَلَى الْعَبْدِ، وَلَوْ حَجَّ صَبِيٌّ يَعْقِلُ أَوْ عَبْدٌ يَصِحُّ حَجُّهُمَا تَطَوُّعًا، وَلَكِنْ لَا يَسْقُطُ بِهِ فَرْضُ الْإِسْلَامِ عَنْهُمَا، فَلَوْ بَلَغَ الصَّبِيُّ أَوْ أُعْتِقَ العَبْدُ بَعْدَمَا حَجَّ وَاجْتَمَعَ فِي حَقِّهِ شَرَائِطُ وُجُوبِ الحَجِّ عَلَيْهِ أَنْ يَحُجَّ ثَانِيًا، وَلَا يَجِبَ عَلَى غَيْرِ الْمُسْتَطِيعِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًاۚ﴾، غَيْرَ أَنَّهُ لَوْ تَكَلَّفَ فَحَجَّ يَسْقُطُ عَنْهُ فَرْضُ الْإِسْلَامِ، **وَالِاسْتِطَاعَةُ نَوْعَانِ، أَحَدُهُمَا**: أَنْ يَكُونَ قَادِرًا مُسْتَطِيعًا بِنَفْسِهِ، **وَالْآخَرُ**: أَنْ يَكُونَ مُسْتَطِيعًا بِغَيْرِهِ، **أَمَّا الِاسْتِطَاعَةُ بِنَفْسِهِ**: فَأَنْ يَكُونَ قَادِرًا بِنَفْسِهِ عَلَى الذِّهَابِ وَوَجَدَ الزَّادَ وَالرَّاحِلَةَ، وَتَفْصِيلُهُ: أَنْ يَجِدَ رَاحِلَةً تَصْلُحُ لِمِثْلِهِ، وَوَجَدَ الزَّادَ لِلذَّهَابِ وَالرُّجُوعِ، فَاضِلًا عَنْ نَفَقَتِهِ وَنَفَقَةِ عِيَالِهِ وَمَنْ تَلْزَمُهُ نَفَقَتُهُمْ وَكُسْوَتُهُمْ لِذَهَابِهِ وَرُجُوعِهِ، وَعَنْ دَيْنٍ يَكُونُ عَلَيْهِ، وَوَجَدَ رُفْقَةً يَخْرُجُونَ فِي وَقْتٍ جَرَتْ عَادَةُ أَهْلِ بَلَدِهِ بِالْخُرُوجِ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ، فَإِنْ خَرَجُوا قَبْلَهُ أَوْ أَخَّرُوا الْخُرُوجَ إِلَى وَقْتٍ لَا يَصِلُونَ إِلَّا أَنْ يَقْطَعُوا كُلَّ يَوْمٍ أَكْثَرَ مِنْ مَرْحَلَةٍ لَا يَلْزَمُهُمُ الْخُرُوجُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ، وَيُشْتَرَطُ أَنْ يَكُونَ الطَّرِيقُ آمِنًا فَإِنْ كَانَ فِيهِ خَوْفٌ مِنْ عَدُوٍّ مُسْلِمٍ أَوْ كَافِرٍ أَوْ رَصْدِيٍّ يَطْلُبُ شَيْئًا لَا يَلْزَمُهُ، وَيُشْتَرَطُ أَنْ تَكُونَ الْمَنَازِلُ الْمَأْهُولَةُ مَعْمُورَةً يجد الزَّادَ وَالْمَاءَ فَإِنْ كَانَ زَمَانُ جُدُوبَةٍ تَفَرَّقَ أَهْلُهَا أَوْ غَارَتْ مِيَاهُهَا فَلَا يَلْزَمُهُ الحَجُّ، وَلَوْ لَمْ يَجِدِ الرَّاحِلَةَ لَكِنَّهُ قَادِرٌ عَلَى الْمَشْيِ أَوْ لَمْ يَجِدِ الزَّادَ وَلَكِنْ يُمْكِنُهُ أَنْ يَكْتَسِبَ فِي الطَّرِيقِ لَا يَلْزَمُهُ الْحَجُّ، وَيُسْتَحَبُّ لَوْ فَعَلَ، وَعِنْدَ مَالِكٍ يَلْزَمُهُ [وَهُوَ الصَّحِيحُ]. **وَأَمَّا الِاسْتِطَاعَةُ بِالْغَيْرِ**: فهي أَنْ يَكُونَ الرَّجُلُ عَاجِزًا بِنَفْسِهِ، بِأَنْ كَانَ زَمِنًا أَوْ بِهِ مَرَضٌ غَيْرُ مَرْجُوِّ الزَّوَالِ، لَكِنْ لَهُ مَالٌ يُمَكِنُهُ أَنْ يَسْتَأْجِرَ بِهِ مَنْ يَحُجُّ عَنْهُ، يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَسْتَأْجِرَ، أَوْ لَمْ يَكُنْ لَهُ مَالٌ لَكِنْ بَذَلَ لَهُ وَلَدُهُ أَوْ أَجْنَبِيٌّ الطَّاعَةَ فِي أَنْ يَحُجَّ عَنْهُ، يَلْزَمُهُ أَنْ يَأْمُرَهُ إِذَا كَانَ يَعْتَمِدُ صِدْقَهُ؛ لِأَنَّ وُجُوبَ الْحَجِّ يَتَعَلَّقُ بِالِاسْتِطَاعَةِ، وَيُقَالُ فِي الْعُرْفِ: (فُلَانٌ مُسْتَطِيعٌ لِبِنَاءِ دَارٍ) وَإِنْ كَانَ لَا يَفْعَلُهُ بِنَفْسِهِ، وَإِنَّمَا يَفْعَلُهُ بِمَالِهِ وَأَعْوَانِهِ، وَعِنْدَ أَبِي حَنِيفَةَ لَا يَجِبُ الْحَجُّ بِبَذْلِ الطَّاعَةِ، وَعِنْدَ مَالِكٍ لَا يَجِبُ عَلَى

المَعْضُوبِ [-وَهُوَ الضَّعِيفُ العَاجِزُ-] فِي الْمَالِ، وَحُجَّةُ مَنْ أَوْجَبَهُ مَا جَاءَ عَنْ **عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ** أَنَّهُ قَالَ: كَانَ الْفَضْلُ بْنُ عَبَّاسٍ رَدِيفَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَجَاءَتْهُ امْرَأَةٌ مِنْ خَثْعَمَ تَسْتَفْتِيهِ، فَجَعَلَ الْفَضْلُ يَنْظُرُ إِلَيْهَا وَتَنْظُرُ إِلَيْهِ فَجَعَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَصْرِفُ وَجْهَ الْفَضْلِ إِلَى الشِّقِّ الْآخَرِ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ فَرِيضَةَ اللهِ عَلَى عِبَادِهِ فِي الْحَجِّ أَدْرَكَتْ أَبِي شَيْخًا كَبِيرًا لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَثْبُتَ عَلَى الرَّاحِلَةِ، أَفَأَحُجُّ عَنْهُ؟ قَالَ: «**نَعَمْ**»[1].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: **قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَالْحَسَنُ وَعَطَاءٌ**: جَحَدَ فَرْضَ الْحَجِّ، **وَقَالَ مُجَاهِدٌ**: مَنْ كَفَرَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، **وَقَالَ السُّدِّيُّ**: هُوَ مَنْ وَجَدَ مَا يَحُجُّ بِهِ ثُمَّ لَمْ يَحُجَّ حَتَّى مَاتَ فَهُوَ كُفْرٌ بِهِ.

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: أَيْ: لِمَ تَصْرِفُونَ عَنْ دِينِ اللهِ ﴿مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا﴾: تَطْلُبُونَهَا ﴿عِوَجًا﴾: زَيْغًا وَمَيْلًا، يَعْنِي: لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ بَاغِينَ لَهَا عِوَجًا؟ **قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ**: الْعِوَجُ -بِالْكَسْرِ- فِي الدِّينِ وَالْقَوْلِ وَالْعَمَلِ، وَالْعَوَجُ -بِالْفَتْحِ- فِي الْجِدَارِ وَكُلِّ شَخْصٍ قَائِمٍ، ﴿وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾: أَنَّ فِي التَّوْرَاةِ مَكْتُوبًا نَعْتُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَأَنَّ دِينَ اللهِ الَّذِي لَا يَقْبَلُ غَيْرَهُ هُوَ الْإِسْلَامُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾

---

(١) **صحيح**: البخاري: (١٥١٣)، ومسلم: (١٣٣٤).

﴿وَكَيۡفَ تَكۡفُرُونَ﴾: يَعْنِي: وَلِمَ تَكْفُرُونَ؟ ﴿وَأَنتُمۡ تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ﴾: أَيِ: الْقُرْآنُ، ﴿وَفِيكُمۡ رَسُولُهُۥۗ﴾: مُحَمَّدٌ ﷺ، **قَالَ قَتَادَةُ**: فِي هَذِهِ الْآيَةِ عَلَمَانِ بَيِّنَانِ: كِتَابُ اللهِ وَنَبِيُّ اللهِ، أَمَّا نَبِيُّ اللهِ فَقَدْ مَضَى، وَأَمَّا كِتَابُ اللهِ فَأَبْقَاهُ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ رَحْمَةً مِنَ اللهِ وَنِعْمَةً.

عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ رضي الله عنه قَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ خَطِيبًا، فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «**أَمَّا بَعْدُ أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَنِي رَسُولُ رَبِّي فَأُجِيبُهُ، وَإِنِّي تَارِكٌ فِيكُمُ الثَّقَلَيْنِ أَوَّلُهُمَا: كِتَابُ اللهِ فِيهِ الْهُدَى وَالنُّورُ، فَتَمَسَّكُوا بِكِتَابِ اللهِ وَخُذُوا بِهِ**»، فَحَثَّ عَلَيْهِ وَرَغَّبَ فِيهِ، ثُمَّ قَالَ: «**وَأَهْلُ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي**»[(١)].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَن يَعۡتَصِم بِٱللَّهِ﴾: أَيْ: يَمْتَنِعْ بِاللهِ وَيَسْتَمْسِكْ بِدِينِهِ وَطَاعَتِهِ، ﴿فَقَدۡ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾: طَرِيقٍ وَاضِحٍ، **وَقَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ**: ﴿وَمَن يَعۡتَصِم بِٱللَّهِ﴾: أَيْ يُؤْمِنْ بِاللهِ، **وَأَصْلُ الْعِصْمَةِ**: الْمَنْعُ، فَكُلُّ مَانِعٍ شَيْئًا فَهُوَ عَاصِمٌ لَهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾: **قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ وَابْنُ عَبَّاسٍ**: هُوَ أَنْ يُطَاعَ فَلَا يُعْصَى، **وَقَالَ مُجَاهِدٌ**: أَنْ تُجَاهِدُوا فِي اللهِ حَقَّ جِهَادِهِ، وَلَا تَأْخُذُكُمْ فِي اللهِ لَوْمَةُ لَائِمٍ، وَتَقُومُوا للهِ بِالْقِسْطِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ وَآبَائِكُمْ وَأَبْنَائِكُمْ، **وَعَنْ أَنَسٍ** أَنَّهُ قَالَ: لَا يَتَّقِي اللهَ عَبْدٌ حَقَّ تُقَاتِهِ حَتَّى يَخْزِنَ لِسَانَهُ، ﴿وَلَا

---

(١) **صحيح**: مسلم: (٢٤٠٨).

﴿تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾: أَيْ: مُؤْمِنُونَ، وَقِيلَ: مُخْلِصُونَ مُفَوِّضُونَ أُمُورَكُمْ إِلَى اللهِ ﷻ، وَقَالَ الْفُضَيْلُ: مُحْسِنُونَ الظَّنَّ بِاللهِ، ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا﴾: الْحَبْلُ: السَّبَبُ الَّذِي يُتَوَصَّلُ بِهِ إِلَى الْبُغْيَةِ، وَسُمِّيَ الْإِيمَانُ حَبْلًا: لِأَنَّهُ سَبَبٌ يُتَوَصَّلُ بِهِ إِلَى زَوَالِ الْخَوْفِ مِنَ النَّارِ، وَاخْتَلَفُوا فِي مَعْنَاهُ هَاهُنَا، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: مَعْنَاهُ: تَمَسَّكُوا بِدِينِ اللهِ، وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: هُوَ الْجَمَاعَةُ، وَقَالَ: عَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ؛ فَإِنَّهَا حَبْلُ اللهِ الَّذِي أَمَرَ بِهِ، وَإِنَّ مَا تَكْرَهُونَ فِي الْجَمَاعَةِ وَالطَّاعَةِ خَيْرٌ مِمَّا تُحِبُّونَ فِي الْفُرْقَةِ، وَقَالَ مُجَاهِدٌ وَعَطَاءٌ: بِعَهْدِ اللهِ، وَقَالَ قَتَادَةُ وَالسُّدِّيُّ: هُوَ الْقُرْآنُ، وَقَالَ مُقَاتِلُ بْنُ حَيَّانَ: ﴿بِحَبْلِ ٱللَّهِ﴾: أَيْ: بِأَمْرِ اللهِ وَطَاعَتِهِ ﴿وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾: كَمَا افْتَرَقَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللهَ تَعَالَى يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا وَيَسْخَطُ لَكُمْ ثَلَاثًا، يَرْضَى لَكُمْ: أَن تَعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا، وَأَنْ تُنَاصِحُوا مَنْ وَلَّى اللهُ أَمْرَكُمْ، وَيَسْخَطُ لَكُمْ: قِيلَ وَقَالَ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ»[(١)].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً﴾: قَبْلَ الْإِسْلَامِ ﴿فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ﴾: بِالْإِسْلَامِ، ﴿فَأَصْبَحْتُم﴾: أَيْ: فَصِرْتُمْ ﴿بِنِعْمَتِهِۦٓ﴾: بِرَحْمَتِهِ وَبِدِينِهِ الْإِسْلَامِ ﴿إِخْوَٰنًا﴾: فِي الدِّينِ وَالْوِلَايَةِ بَيْنَكُمْ، ﴿وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ﴾: أَيْ: عَلَى طَرَفِ حُفْرَةٍ، مِثْلُ: شَفَا الْبِئْرِ، مَعْنَاهُ: وَكُنْتُمْ عَلَى طَرَفِ حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ لَيْسَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الْوُقُوعِ فِيهَا إِلَّا أَنْ تَمُوتُوا عَلَى كُفْرِكُمْ، ﴿فَأَنقَذَكُم﴾: اللهُ ﴿مِّنْهَا﴾: بِالْإِيمَانِ، ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ﴾: أَيْ: كُونُوا أُمَّةً، (مِنْ): صِلَةٌ لَيْسَتْ لِلتَّبْعِيضِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ﴾[الحَجّ:٣٠]، لَمْ يُرِدِ اجْتِنَابَ بَعْضِ الْأَوْثَانِ، بَلْ أَرَادَ: اجْتَنِبُوا جَمِيعَ الْأَوْثَانِ، وَ(اللَّامُ): فِي قَوْلِهِ: ﴿وَلْتَكُن﴾ لَامُ الْأَمْرِ، ﴿يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ﴾: إِلَى الْإِسْلَامِ، ﴿وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾.

(١) **صحيح:** مسلم: (١٧١٥).

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ ﵁ قَالَ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ»[(١)].

عَنْ حُذَيْفَةَ ﵁، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ، أَوْ لَيُوشِكَنَّ اللهُ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ عِنْدِهِ ثُمَّ لَتَدْعُنَّهُ فَلَا يُسْتَجَابُ لَكُمْ»[(٢)].

عَنِ قَيْسِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ ﵁ يَقُولُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ تَقْرَءُونَ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ﴾[المَائِدَة:١٠٥]، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا مُنْكَرًا فَلَمْ يُغَيِّرُوهُ يُوشِكُ أَنْ يَعُمَّهُمُ اللهُ تَعَالَى بِعِقَابِهِ»[(٣)].

عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ ﵁ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَثَلُ الْمُدَاهِنِ فِي حُدُودِ اللهِ تَعَالَى وَالْوَاقِعِ فِيهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ فَصَارَ بَعْضُهُمْ فِي أَسْفَلِهَا وَصَارَ بَعْضُهُمْ فِي أَعْلَاهَا، فَكَانَ الَّذِي فِي أَسْفَلِهَا يَمُرُّ بِالْمَاءِ عَلَى الَّذِينَ فِي أَعْلَاهَا فَتَأَذَّوْا بِهِ فَأَخَذَ فَأْسًا فَجَعَلَ يَنْقُرُ أَسْفَلَ السَّفِينَةِ، فَأَتَوْهُ فَقَالُوا: مَا لَكَ؟ قَالَ: تَأَذَّيْتُمْ بِي وَلَا بُدَّ لِي مِنَ الْمَاءِ، فَإِنْ أَخَذُوا عَلَى يَدَيْهِ أَنْجَوْهُ وَنَجَّوْا أَنْفُسَهُمْ، وَإِنْ تَرَكُوهُ أَهْلَكُوهُ وَأَهْلَكُوا أَنْفُسَهُمْ»[(٤)].

﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿١٠٥﴾ يَوۡمَ تَبۡيَضُّ وُجُوهٞ وَتَسۡوَدُّ وُجُوهٞۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡوَدَّتۡ وُجُوهُهُمۡ أَكَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ

(١) **صحيح:** مسلم: (٤٩).

(٢) **حسن:** حسَّنه العلَّامة الألباني ﵀ في "صحيح وضعيف سنن الترمذي" (٢١٦٩).

(٣) **صحيح:** صحَّحه العلَّامة الألباني ﵀ في "صحيح وضعيف سنن الترمذي" (٢١٦٨).

(٤) **صحيح:** البخاري: (٢٦٨٦).

بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبۡيَضَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فَفِي رَحۡمَةِ ٱللَّهِ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٠٧﴾ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتۡلُوهَا عَلَيۡكَ بِٱلۡحَقِّۗ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمًا لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ﴾: **قَالَ أَكْثَرُ الْمُفَسِّرِينَ**: هُمُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى، **وَقَالَ بَعْضُهُمُ**: الْمُبْتَدِعَةُ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ، **وَقَالَ أَبُو أُمَامَةَ** رضي الله عنه: هُمُ الْحَرُورِيَّةُ بِالشَّامِ، **قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ شَدَّادٍ**: وَقَفَ أَبُو أُمَامَةَ وَأَنَا مَعَهُ عَلَى رَأْسِ الْحَرُورِيَّةِ بِالشَّامِ، فَقَالَ: هُمْ كِلَابُ النَّارِ، كَانُوا مُؤْمِنِينَ فَكَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ﴾ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَكَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ﴾[(١)].

عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَسْكُنَ بُحْبُوحَةُ الْجَنَّةِ فَعَلَيْهِ بِالْجَمَاعَةِ؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الْفَذِّ، وَهُوَ مِنَ الِاثْنَيْنِ أَبْعَدُ**»[(٢)].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿١٠٥﴾ يَوۡمَ تَبۡيَضُّ وُجُوهٞ وَتَسۡوَدُّ وُجُوهٞۚ﴾: ﴿يَوۡمَ﴾ نُصِبَ عَلَى الظَّرْفِ، أَيْ: فِي يَوْمٍ، وَانْتِصَابُ الظَّرْفِ عَلَى التَّشْبِيهِ بِالْمَفْعُولِ، يُرِيدُ: تَبْيَضُّ وُجُوهُ الْمُؤْمِنِينَ وَتَسْوَدُّ وُجُوهُ الْكَافِرِينَ، **وَقِيلَ**: تَبْيَضُّ وُجُوهُ الْمُخْلِصِينَ وَتَسْوَدُّ وُجُوهُ الْمُنَافِقِينَ، **وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ** رضي الله عنهما أَنَّهُ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ قَالَ: تَبْيَضُّ وُجُوهُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَتَسْوَدُّ وُجُوهُ أَهْلِ الْبِدْعَةِ. **قَالَ أَهْلُ الْمَعَانِي**: ابْيِضَاضُ الْوُجُوهِ: إِشْرَاقُهَا وَاسْتِبْشَارُهَا وَسُرُورُهَا بِعَمَلِهَا وَبِثَوَابِ اللهِ، وَاسْوِدَادُهَا: حُزْنُهَا وَكَآبَتُهَا وَكُسُوفُهَا بِعَمَلِهَا وَبِعَذَابِ اللهِ، يَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ وَلَا يَرۡهَقُ وُجُوهَهُمۡ قَتَرٞ وَلَا ذِلَّةٌۚ﴾[يُونُس:٢٦]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةِۭ بِمِثۡلِهَا وَتَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۖ﴾[يُونُس:٢٧]، وَقَالَ: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ﴿٢٣﴾

---

(١) **حسن**: أحمد: (٢٢١٥١)، وحسَّنه ط: (الرسالة).

(٢) **صحيح**: صحَّحه العلَّامة الألباني رحمه الله في «الصحيحة» (٤٣٠). **وَقَوْلُهُ**: «**بُحْبُوحَةُ الْجَنَّةِ**»: بِضَمِّ الْمُوَحَّدَتَيْنِ أَيْ: وَسَطُهَا وَخِيَارُهَا، «**فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الْفَذِّ**»: بِفَتْحِ الْفَاءِ وَتَشْدِيدِ الذَّالِ الْمُعْجَمَةِ، أَيْ: مُقَارِنٌ لِلْفَرْدِ الَّذِي تَفَرَّدَ بِرَأْيِهِ.اهـ«المرقاة» (٩/ ٣٨٧٩).

﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ﴾[الْقِيَامَة:٢٢-٢٤]، وَقَالَ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ﴾[عَبَسَ:٣٨-٤٠].

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾: مَعْنَاهُ: يُقَالُ لَهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ؟ ﴿فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾: **فَإِنْ قِيلَ**: كَيْفَ قَالَ ﴿أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ وَهُمْ لَمْ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ؟ **قِيلَ**: حُكِيَ عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ أَنَّهُ قَالَ: أَرَادَ بِهِ الْإِيمَانَ يَوْمَ الْمِيثَاقِ حِينَ قَالَ لَهُمْ رَبُّهُمْ: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾، يَقُولُ: أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ يَوْمَ الْمِيثَاقِ. **وَقَالَ الْحَسَنُ**: هُمُ الْمُنَافِقُونَ تَكَلَّمُوا بِالْإِيمَانِ بِأَلْسِنَتِهِمْ وَأَنْكَرُوا بِقُلُوبِهِمْ، **وَعَنْ عِكْرِمَةَ**: أَنَّهُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ، آمَنُوا بِأَنْبِيَائِهِمْ وَبِمُحَمَّدٍ ﷺ قَبْلَ أَنْ يُبْعَثَ، فَلَمَّا بُعِثَ كَفَرُوا بِهِ، **وَقَالَ قَوْمٌ**: هُمْ مِنْ أَهْلِ قِبْلَتِنَا، **وَقَالَ أَبُو أُمَامَةَ**: هُمُ الْخَوَارِجُ، **وَقَالَ قَتَادَةُ**: هُمْ أَهْلُ الْبِدَعِ.

عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنِّي عَلَى الْحَوْضِ حَتَّى أَنْظُرَ مَنْ يَرِدُ عَلَيَّ مِنْكُمْ، وَسَيُؤْخَذُ نَاسٌ دُونِي، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ مِنِّي وَمِنْ أُمَّتِي! فَيُقَالُ: هَلْ شَعَرْتَ مَا عَمِلُوا بَعْدَكَ؟ وَاللهِ مَا بَرِحُوا [بَعْدَكَ] يَرْجِعُونَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ**»[(١)].

وَقَالَ الْحَارِثُ الْأَعْوَرُ: سَمِعْتُ عَلِيًّا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَلَى الْمِنْبَرِ يَقُولُ: إِنَّ الرَّجُلَ لَيَخْرُجُ مِنْ أَهْلِهِ فَمَا يَعُودُ إِلَيْهِمْ حَتَّى يَعْمَلَ عَمَلًا يَسْتَوْجِبُ بِهِ الْجَنَّةَ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَخْرُجُ مِنْ أَهْلِهِ فَمَا يَؤُوبُ إِلَيْهِمْ حَتَّى يَعْمَلَ عَمَلًا يَسْتَوْجِبُ بِهِ النَّارَ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ الْآيَةَ، ثُمَّ نَادَى: هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ الْإِيمَانِ -وَرَبِّ الْكَعْبَةِ-.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، وَيُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا؛ يَبِيعُ**

---

(١) **صحيح**: البخاري: (٦٥٩٣)، ومسلم: (٢٢٩٣) واللفظ له.

دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا»[(١)].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ﴾: هَؤُلَاءِ أَهْلُ الطَّاعَةِ، ﴿فَفِي رَحْمَةِ ٱللَّهِ﴾: جَنَّةِ اللهِ ﴿هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝١٠٧ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ﴾.

﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ۝١٠٩ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ۝١١٠ لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى ۖ وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ۝١١١ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا۟ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ﴾

﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ۝١٠٩ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾: رَوَى سَعِيدُ بْنِ جُبَيْرٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﵄: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾: هُمُ الَّذِينَ هَاجَرُوا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَقَالَ جُوَيْبِرٌ عَنِ الضَّحَّاكِ: هُمْ أَصْحَاب مُحَمَّدٍ ﷺ خَاصَّة الرُّوَاةُ وَالدُّعَاةُ الَّذِينَ أَمَرَ اللهُ الْمُسْلِمِينَ بِطَاعَتِهِمْ.

عَنْ عِمْرَانِ بْنِ حُصَيْنٍ ﵁، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «خَيْرُكُمْ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ»، قَالَ عِمْرَانُ: لَا أَدْرِي أَذَكَرَ النَّبِيُّ ﷺ بَعْدَ قَرْنِهِ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، وَقَالَ: «إِنَّ بَعْدَكُمْ قَوْمًا يَخُونُونَ وَلَا يُؤْتَمَنُونَ، وَيَشْهَدُونَ وَلَا يُسْتَشْهَدُونَ، وَيُنْذِرُونَ وَلَا يُوفُونَ، وَيَظْهَرُ فِيهِمُ السِّمَنُ»[(٢)].

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ ﵁، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي؛ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ»[(٣)].

---

(١) **صحيح:** مسلم: (١١٨).

(٢) **صحيح:** البخاري: (٢٦٥١)، ومسلم: (٢٥٣٥).

(٣) **صحيح:** البخاري: (٣٦٧٣)، ومسلم: (٢٥٤٠).

وَقَالَ الآخَرُونَ: هُمْ جَمِيعُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿كُنتُمْ﴾: أَيْ: أَنْتُمْ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا﴾ [الْأَعْرَاف:٨٦]، وَقَالَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ: ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ﴾[الْأَنْفَال:٢٦]، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ عِنْدَ اللهِ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ، وَقَالَ قَوْمٌ: قَوْلُهُ: ﴿لِلنَّاسِ﴾: صِلَةُ قَوْلِهِ: ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ﴾، أَيْ: أَنْتُمْ خَيْر أُمَّةٍ لِلنَّاسِ، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: مَعْنَاهُ: كُنْتُمْ خَيْرَ النَّاسِ لِلنَّاسِ؛ تَجِيئُونَ بِهِمْ فِي السَّلَاسِلِ فَتُدْخِلُونَهُمْ فِي الْإِسْلَامِ، قَالَ قَتَادَةُ: هُمْ أُمَّةُ مُحَمَّدٍ ﷺ لَمْ يُؤْمَرْ نَبِيٌّ قَبْلَهُ بِالْقِتَالِ، فَهُمْ يُقَاتِلُونَ الْكُفَّارَ فَيُدْخِلُونَهُمْ فِي دِينِهِمْ، فَهُمْ خَيْرُ أُمَّةٍ لِلنَّاسِ، وَقِيلَ: ﴿لِلنَّاسِ﴾: صِلَةُ قَوْلِهِ: ﴿أُخْرِجَتْ﴾، أَيْ: مَا أَخْرَجَ اللهُ لِلنَّاسِ أُمَّةً خَيْرًا مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ.

عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ حَيْدَةَ رضي الله عنه، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ قَالَ: «إِنَّكُمْ تُتِمُّونَ سَبْعِينَ أُمَّةً أَنْتُمْ خَيْرُهَا وَأَكْرَمُهَا عَلَى اللهِ عز وجل»[(١)].

عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَثَلُ أُمَّتِي مَثَلُ الْمَطَرِ لَا يُدْرَى أَوَّلُهُ خَيْرٌ أَمْ آخِرُهُ»[(٢)].

عَنْ بُرَيْدَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَهْلُ الْجَنَّةِ عِشْرُونَ وَمِائَةُ صَفٍّ، ثَمَانُونَ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ»[(٣)].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾: أَيِ: الْكَافِرُونَ ﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى ۖ﴾: يَعْنِي: لَا يَضُرُّكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ هَؤُلَاءِ الْيَهُودُ

---

(١) **حسن**: حسَّنه العلَّامة الألباني رحمه الله في "صحيح وضعيف سنن الترمذي" (٣٠٠١).

(٢) **صحيح**: صحَّحه العلَّامة الألباني رحمه الله في "الصحيحة" (٢٢٨٦).

(٣) **صحيح**: صحَّحه العلَّامة الألباني رحمه الله في " صحيح وضعيف سنن الترمذي" (٢٥٤٦).

إِلَّا أَذَى بِاللِّسَانِ: وَعِيدًا وَطَعْنًا، وَقِيلَ: كَلِمَةُ كُفْرٍ تَتَأَذَّوْنَ بِهَا، ﴿وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾: بَلْ يَكُونُ لَكُمُ النَّصْرُ عَلَيْهِمْ؛ ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓاْ﴾: حَيْثُ مَا وُجِدُوا، ﴿إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾: يَعْنِي: أَيْنَمَا وُجِدُوا اسْتُضْعِفُوا وَقُتِلُوا أَوْ سُبُوا، فَلَا يَأْمَنُونَ ﴿إِلَّا بِحَبْلٍ﴾: عَهْدٍ ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾: تَعَالَى بِأَنْ يُسْلِمُوا، ﴿وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾: مِنَ الْمُؤْمِنِينَ بِبَذْلِ جِزْيَةٍ أَوْ أَمَانٍ، يَعْنِي: إِلَّا أَنْ يَعْتَصِمُوا بِحَبْلٍ فَيَأْمَنُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾: رَجَعُوا بِهِ، ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ﴾.

﴿۞ لَيْسُواْ سَوَآءً مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَأُوْلَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٤﴾ وَمَا يَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَيْسُواْ سَوَآءً مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ﴾: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما وَمُقَاتِلٌ: لَمَّا أَسْلَمَ عَبْدُ اللهِ بْنُ سَلَامٍ وَأَصْحَابُهُ، قَالَتْ أَحْبَارُ الْيَهُودِ: مَا آمَنَ بِمُحَمَّدٍ ﷺ إِلَّا شِرَارُنَا، وَلَوْلَا ذَلِكَ مَا تَرَكُوا دِينَ آبَائِهِمْ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ[1].

وَاخْتَلَفُوا فِي وَجْهِهَا، فَقَالَ قَوْمٌ: فِيهِ اخْتِصَارٌ تَقْدِيرُهُ: ﴿لَيْسُواْ سَوَآءً مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ﴾ وَأُخْرَى غَيْرُ قَائِمَةٍ، فَتَرَكَ الْأُخْرَى اكْتِفَاءً بِذِكْرِ أَحَدِ الْفَرِيقَيْنِ،

(١) أورده العلَّامة الإمام الوادعي رحمه الله في "الصحيح المسند من أسباب النزول" ص(٥٥). وفي الباب أيضًا سبب آخر لنزول الآية أورده رحمه الله ص(٥٤-٥٥) فقال: قال الإمام أحمد رحمه الله ج(١) ص(٣٩٦): حدثنا أبو النضر وحسن بن موسى، قالا: حدثنا شيبان، عن عاصم، عن زر، عن ابن مسعود قال: أخَّر رسولُ الله ﷺ صلاة العشاء، ثم خرج إلى المسجد فإذا الناس ينتظرون الصلاة، قال: «أَمَا إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الْأَدْيَانِ أَحَدٌ يَذْكُرُ اللهَ هَذِهِ السَّاعَةَ غَيْرُكُمْ»، قال: وأنزل الله هؤلاء الآيات: ﴿لَيْسُواْ سَوَآءً مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ حتَّى بلغ: ﴿وَمَا يَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ﴾.اهـ

وَقَالَ الْآخَرُونَ: تَمَامُ الْكَلَامِ عِنْدَ قَوْلِهِ: ﴿لَيْسُواْ سَوَآءً﴾ وَهُوَ وَقْفٌ؛ لِأَنَّهُ قَدْ جَرَى ذِكْرُ الْفَرِيقَيْنِ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾، ثُمَّ قَالَ: ﴿لَيْسُواْ سَوَآءً﴾ يَعْنِي: الْمُؤْمِنِينَ وَالْفَاسِقِينَ، ثُمَّ وَصَفَ الْفَاسِقِينَ فَقَالَ: ﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى﴾، وَوَصَفَ الْمُؤْمِنِينَ بِقَوْلِهِ: ﴿أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ﴾، **وَقِيلَ:** قَوْلُهُ: ﴿مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ ابْتِدَاءُ كلام آخرَ؛ لِأَنَّ ذِكْرَ الْفَرِيقَيْنِ قَدْ جَرَى، ثُمَّ قَالَ: لَيْسَ هَذَانِ الْفَرِيقَانِ سَوَاءٌ، ثُمَّ ابْتَدَأَ فَقَالَ: ﴿مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾، **قَالَ ابْنُ مسعود** رضي الله عنه: لَا يَسْتَوِي الْيَهُودُ وَأُمَّةُ مُحَمَّدٍ ﷺ الْقَائِمَةُ بِأَمْرِ اللهِ الثَّابِتَةُ عَلَى الْحَقِّ الْمُسْتَقِيمَةُ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ﴾: **قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ:** أَيْ مُهْتَدِيَةٌ قَائِمَةٌ عَلَى أَمْرِ اللهِ لَمْ يُضَيِّعُوهُ وَلَمْ يَتْرُكُوهُ، **وَقَالَ مُجَاهِدٌ:** عَادِلَةٌ، **وَقَالَ السُّدِّيُّ:** مُطِيعَةٌ قَائِمَةٌ عَلَى كِتَابِ اللهِ وَحُدُودِهِ، **وَقِيلَ:** قَائِمَةٌ فِي الصَّلَاةِ، **وَقِيلَ:** الْأُمَّةُ الطَّرِيقَةُ، وَمَعْنَى الآيَةِ: أَيْ: ذَوُو أُمَّةٍ، أَيْ: ذَوُو طَرِيقَةٍ مُسْتَقِيمَةٍ ﴿يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ﴾: يقرؤون كِتَابَ اللهِ، **وَقَالَ مُجَاهِدٌ:** يَتَّبِعُونَ آناءَ اللَّيْلِ: سَاعَاتِهِ، وَاحِدُهَا: (إِنًى، وَآنَاء)، مِثْل: (نِحًى، وَأَنْحَاءَ)، وَ(إِنًى، وَآنَاء) مِثْلَ: (مِعًى، وَأَمْعَاءٍ)، وَ(إِنًى، [وَآنَاء]) مِثْل: (مِنًا، وَأَمْنَاءٍ)، ﴿وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾: أَيْ: يُصَلُّونَ؛ لِأَنَّ التِّلَاوَةَ لَا تَكُونُ فِي السُّجُودِ، **وَاخْتَلَفُوا فِي مَعْنَاهَا، فَقَالَ بَعْضُهُمْ:** هي قِيَام اللَّيْلِ، **وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ:** هِيَ صَلَاةُ الْعَتَمَةِ يُصَلُّونَهَا وَلَا يُصَلِّيهَا مَنْ سِوَاهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ.

﴿يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَأُوْلَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٤﴾ وَمَا يَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ﴾: قَرَأَ حَمْزَةُ وَالْكِسَائِيُّ وَحَفْصٌ بِالْيَاءِ فِيهِمَا إِخْبَارٌ عَنِ الْأُمَّةِ الْقَائِمَةِ، وَقَرَأَ الْآخَرُونَ بِالتَّاءِ فِيهِمَا لِقَوْلِهِ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾، وَأَبُو عَمْرٍو يَرَى الْقِرَاءَتَيْنِ جَمِيعًا، وَمَعْنَى الْآيَةِ: وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ تُعْدَمُوا ثَوَابَهُ بَلْ يُشْكَرُ لَكُمْ وَتُجَازُونَ عَلَيْهِ، ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ﴾: بِالْمُؤْمِنِينَ.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغۡنِيَ عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۚ هُمۡ
فِيهَا خَٰلِدُونَ ١١٦ مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَثَلِ رِيحٖ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتۡ حَرۡثَ قَوۡمٖ
ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَأَهۡلَكَتۡهُۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنۡ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ١١٧ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا
تَتَّخِذُواْ بِطَانَةٗ مِّن دُونِكُمۡ لَا يَأۡلُونَكُمۡ خَبَالٗا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمۡ قَدۡ بَدَتِ ٱلۡبَغۡضَآءُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَمَا
تُخۡفِي صُدُورُهُمۡ أَكۡبَرُۚ قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ ١١٨ هَٰٓأَنتُمۡ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمۡ وَلَا يُحِبُّونَكُمۡ
وَتُؤۡمِنُونَ بِٱلۡكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمۡ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ عَضُّواْ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَنَامِلَ مِنَ ٱلۡغَيۡظِۚ قُلۡ مُوتُواْ
بِغَيۡظِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ١١٩ إِن تَمۡسَسۡكُمۡ حَسَنَةٞ تَسُؤۡهُمۡ وَإِن تُصِبۡكُمۡ سَيِّئَةٞ يَفۡرَحُواْ بِهَاۖ
وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـًٔاۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغۡنِيَ عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۖ﴾: أَيْ: لَا تَدْفَعُ أَمْوَالُهُمْ بِالْفِدْيَةِ وَأَوْلَادُهُمْ بِالنُّصْرَةِ ﴿مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۖ﴾: أَيْ: مَنْ عَذَابِ اللهِ، وَخَصَّهُمَا بِالذِّكْرِ؛ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ يَدْفَعُ عَنْ نَفْسِهِ تَارَةً بِفِدَاءِ الْمَالِ، وَتَارَةً بِالِاسْتِعَانَةِ بِالْأَوْلَادِ، ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۚ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾: وَإِنَّمَا جَعَلَهُمْ مِنْ أَصْحَابِهَا؛ لِأَنَّهُمْ أَهْلُهَا لَا يَخْرُجُونَ مِنْهَا وَلَا يُفَارِقُونَهَا، كَصَاحِبِ الرَّجُلِ لَا يُفَارِقُهُ، ﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾: **قِيلَ**: أَرَادَ نَفَقَاتِ أَبِي سُفْيَانَ وَأَصْحَابِهِ بِبَدْرٍ وَأُحُدٍ عَلَى عَدَاوَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، **وَقَالَ مُقَاتِل**: أَرَادَ نَفَقَةَ الْيَهُودِ عَلَى عُلَمَائِهِمْ، **قَالَ مُجَاهِدٌ**: يَعْنِي جَمِيعَ نَفَقَاتِ الْكُفَّارِ فِي الدُّنْيَا وَصَدَقَاتِهِمْ، **وَقِيلَ**: أَرَادَ إِنْفَاقَ الْمُرَائِي الَّذِي لَا يَبْتَغِي بِهِ وَجْهَ اللهِ تَعَالَى، ﴿كَمَثَلِ رِيحٖ فِيهَا صِرٌّ﴾: **حُكِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ** رضي الله عنهما: أَنَّهَا السَّمُومُ الْحَارَّةُ الَّتِي تَقْتُلُ، **وَقِيلَ**: ﴿فِيهَا صِرٌّ﴾: أَيْ: صَوْتٌ، **وَأَكْثَرُ الْمُفَسِّرِينَ قَالُوا**: فِيهَا بَرْدٌ شَدِيدٌ ﴿أَصَابَتۡ حَرۡثَ قَوۡمٖ﴾: زَرْعَ قَوْمٍ ﴿ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ﴾: بِالْكُفْرِ وَالْمَعْصِيَةِ وَمَنْعِ حَقِّ اللهِ تَعَالَى ﴿فَأَهۡلَكَتۡهُۚ﴾: فَمَعْنَى الْآيَةِ: مَثَلُ نَفَقَاتِ الْكُفَّارِ وَذَهَابِهَا وَقْتَ الْحَاجَةِ إِلَيْهَا كَمَثَلِ زَرْعٍ أَصَابَتْهُ رِيحٌ بَارِدَةٌ فَأَهْلَكَتْهُ، أَوْ نَارٌ فَأَحْرَقَتْهُ، فَلَمْ يَنْتَفِعْ أَصْحَابُهُ مِنْهُ بِشَيْءٍ، ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ﴾: بِذَلِكَ، ﴿وَلَٰكِنۡ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾: بِالْكُفْرِ وَالْمَعْصِيَةِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمۡ﴾ الآيَة. **قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ** رضي الله عنهما كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يُوَاصِلُونَ الْيَهُودَ؛ لِمَا بَيْنَهُمْ مِنَ الْقَرَابَةِ وَالصَّدَاقَةِ وَالْحِلْفِ وَالْجِوَارِ وَالرَّضَاعِ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ يَنْهَاهُمْ عَنْ مُبَاطَنَتِهِمْ؛ خَوْفَ الْفِتْنَةِ عَلَيْهِمْ. **وَقَالَ مُجَاهِدٌ:** نَزَلَتْ فِي قَوْمٍ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ كَانُوا يُصَافُونَ الْمُنَافِقِينَ فَنَهَاهُمُ اللهُ تَعَالَى عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمۡ﴾: أَيْ: أَوْلِيَاءَ أَصْفِيَاءَ مِنْ غَيْرِ أَهْلِ مِلَّتِكُمْ، وَبِطَانَةُ الرَّجُلِ: خَاصَّتُهُ، تَشْبِيهًا بِبِطَانَةِ الثَّوْبِ الَّتِي تَلِي بَطْنَهُ؛ لِأَنَّهُمْ يَسْتَبْطِنُونَ أَمْرَهُ وَيَطَّلِعُونَ مِنْهُ عَلَى مَا لَا يَطَّلِعُ عَلَيْهِ غَيْرُهُمْ، ثُمَّ بَيَّنَ الْعِلَّةَ فِي النَّهْيِ عَنْ مُبَاطَنَتِهِمْ، فَقَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿لَا يَأۡلُونَكُمۡ خَبَالٗا﴾: أَيْ: لَا يُقَصِّرُونَ وَلَا يَتْرُكُونَ جُهْدَهُمْ فِيمَا يُورِثُكُمُ الشَّرَّ وَالْفَسَادَ، **وَالْخَبَالُ**: الشَّرُّ وَالْفَسَادُ، وَنُصِبَ ﴿خَبَالٗا﴾ عَلَى الْمَفْعُولِ الثَّانِي؛ لِأَنَّ (يَأْلُو) يَتَعَدَّى إِلَى مَفْعُولَيْنِ، **وَقِيلَ**: بِنَزْعِ الْخَافِضِ، أَيْ بِالْخَبَالِ، كَمَا يُقَالُ: (أَوْجَعْتُهُ ضَرْبًا)، ﴿وَدُّواْ مَا عَنِتُّمۡ﴾: أَيْ: يَوَدُّونَ مَا يَشُقُّ عَلَيْكُمْ مِنَ الضُّرِّ وَالشَّرِّ وَالْهَلَاكِ، **وَالْعَنَتُ**: الْمَشَقَّةُ ﴿قَدۡ بَدَتِ ٱلۡبَغۡضَآءُ﴾: أَيِ: الْبُغْضُ مَعْنَاهُ: ظَهَرَتْ أَمَارَةُ الْعَدَاوَةِ ﴿مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡ﴾ بِالشَّتِيمَةِ وَالْوَقِيعَةِ فِي الْمُسْلِمِينَ **وَقِيلَ**: بِإِطْلَاعِ الْمُشْرِكِينَ عَلَى أَسْرَارِ الْمُسْلِمِينَ ﴿وَمَا تُخۡفِي صُدُورُهُمۡ﴾: مِنَ الْعَدَاوَةِ وَالْغَيْظِ ﴿أَكۡبَرُۚ﴾: أَعْظَمُ، ﴿قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ ١١٨ هَٰٓأَنتُمۡ﴾: (هَا): تَنْبِيهٌ وَ(أَنْتُمْ): كِنَايَةٌ لِلْمُخَاطَبِينَ مِنَ الذُّكُورِ ﴿أُوْلَآءِ﴾: اسْمٌ لِلْمُشَارِ إِلَيْهِ، يُرِيدُ: أَنْتُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ ﴿تُحِبُّونَهُمۡ﴾: أَيْ: تُحِبُّونَ هَؤُلَاءِ الْيَهُودَ الَّذِينَ نَهَيْتُكُمْ عَنْ مُبَاطَنَتِهِمْ لِلْأَسْبَابِ الَّتِي بَيْنَكُمْ مِنَ الْقَرَابَةِ وَالرَّضَاعِ وَالْمُصَاهَرَةِ، ﴿وَلَا يُحِبُّونَكُمۡ﴾: لِمَا بَيْنَكُمْ مِنْ مُخَالَفَةِ الدِّينِ، **وَقَالَ مُقَاتِلٌ**: هُمُ الْمُنَافِقُونَ يُحِبُّهُمُ الْمُؤْمِنُونَ لِمَا أَظْهَرُوا مِنَ الْإِيمَانِ وَلَا يَعْلَمُونَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ ﴿وَتُؤۡمِنُونَ بِٱلۡكِتَٰبِ كُلِّهِۦ﴾: يَعْنِي: بِالْكُتُبِ كُلِّهَا وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ بِكِتَابِكُمْ، ﴿وَإِذَا لَقُوكُمۡ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ﴾: وَكَانَ بَعْضُهُمْ مَعَ بَعْضٍ ﴿عَضُّواْ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَنَامِلَ﴾: يَعْنِي: أَطْرَافَ الْأَصَابِعِ وَاحِدَتُهَا: (أَنْمُلَةٌ) بِضَمِّ الْمِيمِ وَفَتْحِهَا، ﴿مِنَ ٱلۡغَيۡظِۚ﴾: لِمَا يَرَوْنَ مِنَ ائْتِلَافِ الْمُؤْمِنِينَ وَاجْتِمَاعِ

كَلِمَتِهِمْ، وَعَضُّ الْأَنَامِلِ عِبَارَةٌ عَنْ شِدَّةِ الْغَيْظِ، وَهَذَا مِنْ مَجَازِ الْأَمْثَالِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ ثَمَّ عَضٌّ، ﴿قُلْ مُوتُوا۟ بِغَيْظِكُمْ﴾: أَيِ: ابْقَوْا إِلَى الْمَمَاتِ بِغَيْظِكُمْ، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾: أَيْ: بِمَا فِي الْقُلُوبِ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ﴾ أَيْ تُصِبْكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ حَسَنَةٌ بِظُهُورِكُمْ عَلَى عَدُوِّكُمْ وَغَنِيمَةٍ تَنَالُونَهَا مِنْهُمْ، وَتَتَابُعِ النَّاسِ فِي الدُّخُولِ فِي دِينِكُمْ، وَخِصْبٍ [-أَيْ: رَغَدٍ وَنَمَاءٍ وَبَرَكَةٍ-] فِي مَعَايِشِكُمْ ﴿تَسُؤْهُمْ﴾: تُحْزِنْهُمْ ﴿وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ﴾ مَسَاءَةٌ بِإِخْفَاقِ سَرِيَّةٍ لَكُمْ، أَوْ إِصَابَةِ عَدُوٍّ مِنْكُمْ، أَوِ اخْتِلَافٍ يَكُونُ بَيْنَكُمْ، أَوْ جَدْبٍ، أَوْ نَكْبَةٍ، ﴿يَفْرَحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُوا۟﴾: عَلَى أَذَاهُمْ ﴿وَتَتَّقُوا۟﴾: تَخَافُوا رَبَّكُمْ ﴿لَا يَضُرُّكُمْ﴾: أَيْ: لَا يَنْقُصُكُمْ ﴿كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا﴾: قَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ وَنَافِعٌ وَأَهْلُ الْبَصْرَةِ: لَا ﴿يَضِرْكُمْ﴾ بِكَسْرِ الضَّادِ خَفِيفَةٍ، يُقَالُ: (ضَارَ يَضِيرُ ضَيْرًا)، وَهُوَ جَزْمٌ عَلَى جَوَابِ الْجَزَاءِ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بِضَمِّ الضَّادِ وَتَشْدِيدِ الرَّاءِ مِنْ: (ضَرَّ يَضُرُّ ضَرًّا)، مِثْلَ: (رَدَّ يَرُدُّ رَدًّا)، وَفِي رَفْعِهِ وَجْهَانِ، أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ أَرَادَ الْجَزْمَ، وَأَصْلُهُ: (يَضْرُرْكُمْ)؛ أُدْغِمَتِ الرَّاءُ فِي الرَّاءِ، وَنُقِلَتْ ضَمَّةُ الرَّاءِ الْأُولَى الضَّادِ وَضُمَّتِ الثَّانِيَةُ اتِّبَاعًا، وَالثَّانِي: أَنْ تَكُونَ ﴿لَا﴾ بِمَعْنَى: (لَيْسَ) وَيُضْمَرُ فِيهِ الْفَاءُ، تَقْدِيرُهُ: وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَلَيْسَ يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾: أَيْ: عَالِمٌ.

﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَـٰعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾ إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَـٰعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ﴾: **قَالَ الْحَسَنُ**: هُوَ يَوْمُ بَدْرٍ، **وَقَالَ مُقَاتِلٌ**: هُوَ يَوْمُ الْأَحْزَابِ، **وَقَالَ سَائِرُ الْمُفَسِّرِينَ**: هُوَ يَوْمُ أُحُدٍ؛ لِأَنَّ مَا بَعْدَهُ إِلَى قَرِيبٍ مِنْ آخِرِ السُّورَةِ فِي حَرْبِ أُحُدٍ.

قَوْلُهُ: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ﴾: أَيْ: وَاذْكُرْ إِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ ﴿تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: أَيْ: تُنَزِّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿مَقَـٰعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ﴾: أَيْ: مَوَاطِنَ وَمَوَاضِعَ لِلْقِتَالِ،

يُقَالُ: (بَوَّأْتُ القَوْمَ) إِذَا وَطَّنْتَهُمْ، وَ(تَبَوَّؤُوا هُمْ) إِذَا تَوَاطَؤُوا، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ﴾[يُونُس:٩٣]، وَقَالَ: ﴿أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا﴾[يُونُس: ٨٧] وَقِيلَ: تَتَّخِذُ مُعَسْكَرًا ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾ إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا﴾: أَيْ: تَجْبُنَا وَتَضْعُفَا وَتَتَخَلَّفَا، وَالطَّائِفَتَانِ: بَنُو سَلَمَةَ مِنَ الْخَزْرَجِ، وَبَنُو حَارِثَةَ مِنَ الأَوْسِ، وَكَانَا جَنَاحَيِ الْعَسْكَرِ، وَذَلِكَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ خَرَجَ إِلَى أُحُدٍ فِي أَلْفِ رَجُلٍ وَقِيلَ: فِي تِسْعِمِائَةٍ وَخَمْسِينَ رَجُلًا، فَلَمَّا بَلَغُوا الشَّوْطَ انْخَذَلَ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيٍّ بِثُلُثِ النَّاسِ وَرَجَعَ فِي ثَلَاثِمِائَةٍ، وَقَالَ: عَلَامَ نَقْتُلُ أَنْفُسَنَا وَأَوْلَادَنَا؟ فَتَبِعَهُمْ أَبُو جَابِرٍ السُّلَمِيُّ، فَقَالَ: أُنْشِدُكُمُ اللهَ فِي نَبِيِّكُمْ وَفِي أَنْفُسِكُمْ، فَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيٍّ: لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ، وَهَمَّتْ بَنُو سَلَمَةَ وَبَنُو حَارِثَةَ بِالِانْصِرَافِ مَعَ عَبْدِ اللهِ بْنِ أُبَيٍّ، فَعَصَمَهُمُ اللهُ فَلَمْ يَنْصَرِفُوا، فَذَكَّرَهُمُ اللهُ عَظِيمَ نِعْمَتِهِ، فَقَالَ ﷻ: ﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾: نَاصِرُهُمَا وَحَافِظُهُمَا، ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾.

عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه قَالَ: نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِينَا: ﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾ بَنُو سَلِمَةَ وَبَنُو حَارِثَةَ، وَمَا أُحِبُّ أَنَّهَا لَمْ تَنْزِلْ، وَاللهُ يَقُولُ: ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾[(١)].

﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓ إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْ يَكْبِتَهُمْ

(١) **صحيح**: البخاري: (٤٠٥١)، ومسلم: (٢٥٠٥)، وأورده العلَّامة الإمام الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ في "الصحيح المسند من أسباب النزول" ص(٥٦). **وَقَوْلُهُ**: «وَمَا أُحِبُّ أَنَّهَا»: أي: أنَّ الآية «لَمْ تَنْزِل»؛ والحال أن الله تعالى يقول: ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾، وحاصل المعنى: أن ذلك فرط الاستبشار بما حصل لهم من الشرف بثناء الله تعالى وإنزاله فيهم آية ناطقة بصحة الولاية، وأن ذلك الهمَّ غير مآخذ به؛ لأنه لم يكن عن عزم وتصميم.اهـ "عمدة القاري" (١٧/ ١٤٧).

فَيَنقَلِبُوا۟ خَآئِبِينَ ﴿١٢٧﴾ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٢٨﴾ وَلِلَّهِ مَا
فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ﴾: وَبَدْرٌ: مَوْضِعٌ بَيْنَ مَكَّةَ وَالمَدِينَةِ، وَهُوَ اسْمُ مَوْضِعٍ، وَعَلَيْهِ الْأَكْثَرُونَ، وَقِيلَ: اسْمٌ لِبِئْرٍ هُنَاكَ، وَقِيلَ: كَانَتْ بَدْرٌ بِئْرًا لِرَجُلٍ يُقَالُ لَهُ بَدْرٌ، قَالَهُ الشَّعْبِيُّ، وَأَنْكَرَ الْآخَرُونَ عَلَيْهِ. يَذْكُرُ اللهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ مِنَّتَهُ عَلَيْهِمْ بِالنُّصْرَةِ يَوْمَ بَدْرٍ، ﴿وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ﴾: جَمْعُ: ذَلِيلٍ، وَأَرَادَ بِهِ قِلَّةَ الْعَدَدِ؛ فَإِنَّهُمْ كَانُوا ثَلَاثَمِائَةٍ وَثَلَاثَةَ عَشَرَ رَجُلًا فَنَصَرَهُمُ اللهُ مَعَ قِلَّةِ عَدَدِهِمْ وَعُدَدِهِمْ، ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم﴾: اخْتَلَفُوا فِي هَذِهِ الْآيَةِ، فَقَالَ قَتَادَةُ: كَانَ هَذَا يَوْمَ بَدْرٍ أَمَدَّهُمُ اللهُ تَعَالَى بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ كَمَا قَالَ: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾[الْأَنْفَال:٩]، ثُمَّ صَارُوا ثَلَاثَةَ آلَافٍ ثُمَّ صَارُوا خَمْسَةَ آلَافٍ كَمَا ذُكِرَ هَاهُنَا.

﴿بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓ ۚ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾: فَصَبَرُوا يَوْمَ بَدْرٍ وَاتَّقَوا، فَأَمَدَّهُمُ اللهُ بِخَمْسَةِ آلَافٍ كَمَا وَعَدَ.

عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ وَمَعَهُ رَجُلَانِ يُقَاتِلَانِ عَنْهُ عَلَيْهِمَا ثِيَابٌ بِيضٌ كَأَشَدِّ الْقِتَالِ مَا رَأَيْتُهُمَا قَبْلُ وَلَا بَعْدُ(١).

وَرَوَاهُ مُسْلِمٌ عَنْ سَعْدٍ -يَعْنِي ابْنَ أَبِي وَقَّاصٍ- قَالَ: رَأَيْتُ عَنْ يَمِينِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَعَنْ شِمَالِهِ يَوْمَ أُحُدٍ رَجُلَيْنِ عَلَيْهِمَا ثِيَابٌ بِيضٌ مَا رَأَيْتُهُمَا قَبْلُ وَلَا بَعْدُ. يَعْنِي: جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ(٢).

---

(١) **صحيح:** البخاري: (٤٠٥٤).

(٢) **صحيح:** مسلم: (٢٣٠٦). وَقَوْلُهُ: «يَعْنِي: جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ»: من تفسير بعض الرُّواة. انظر "البحر المحيط الثجاج" (٣٧/ ٣٩٦).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم﴾: **الإِمْدَادُ**: إِعَانَةُ الْجَيْشِ بِالْجَيْشِ، **وَقِيلَ**: مَا كَانَ عَلَى جِهَةِ الْقُوَّةِ وَالْإِعَانَةِ، يُقَالُ فِيهِ: (أُمِدُّهُ إِمْدَادًا)، وَمَا كَانَ عَلَى جِهَةِ الزِّيَادَةِ يُقَالُ فِيهِ: (مَدَّهُ مَدًّا)، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ﴾[لُقْمَان:٢٧] **وَقِيلَ**: **الْمَدُّ**: فِي الشَّرِّ، **وَالْإِمْدَادُ**: فِي الْخَيْرِ؛ يَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾[الْبَقَرَة:١٥]، ﴿وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا﴾[مَرْيَم:٧٩]، وَقَالَ فِي الْخَيْرِ: ﴿أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾[الْأَنْفَال:٩]، وَقَالَ: ﴿وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ﴾[الْإِسْرَاء:٦].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ﴾: قَرَأَ ابْنُ عَامِرٍ بِتَشْدِيدِ الزَّايِ عَلَى التَّكْثِيرِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾[الْأَنْعَام:١١١]، وَقَرَأَ الْآخَرُونَ بِالتَّخْفِيفِ؛ دَلِيلُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾[الْفُرْقَان:٢١] وَقَوْلُهُ: ﴿وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾[التَّوْبَة:٢٦]. ثُمَّ قَالَ: ﴿بَلَىٰٓ﴾: نَمُدُّكُمْ ﴿إِن تَصْبِرُوا﴾: لِعَدُوِّكُمْ ﴿وَتَتَّقُوا﴾: مُخَالَفَةَ نَبِيِّكُمْ ﴿وَيَأْتُوكُم﴾: يَعْنِي الْمُشْرِكِينَ ﴿مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا﴾: **قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ** رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا **وَقَتَادَةُ وَالْحَسَنُ وَأَكْثَرُ الْمُفَسِّرِينَ**: مِنْ وَجْهِهِمْ هَذَا، **وَقَالَ مُجَاهِدٌ وَالضَّحَّاكُ**: مِنْ غَضَبِهِمْ هَذَا لِأَنَّهُمْ إِنَّمَا رَجَعُوا لِلْحَرْبِ يَوْمَ أُحُدٍ مِنْ غَضَبِهِمْ لِيَوْمِ بَدْرٍ، ﴿يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾: لَمْ يُرِدْ خَمْسَةَ آلَافٍ سِوَى مَا ذَكَرَ مِنْ ثَلَاثَةِ آلَافٍ، بَلْ أَرَادَ مَعَهُمْ. **وَقَوْلُهُ**: ﴿مُسَوِّمِينَ﴾: أَيْ مُعَلِّمِينَ، قَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ وَأَبُو عَمْرٍو وَعَاصِمٌ بِكَسْرِ الْوَاوِ وَقَرَأَ الْآخَرُونَ بِفَتْحِهَا، فَمَنْ كَسَرَ الوَاوَ: أَرَادَ أَنَّهُمْ سَوَّمُوا خَيْلَهُمْ، وَمَنْ فَتَحَهَا: أَرَادَ بِهِ أَنْفُسَهُمْ، **وَالتَّسْوِيمُ**: الْإِعْلَامُ، مِنَ: السَّوْمَةِ، وَهِيَ: الْعَلَامَةُ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ﴾: يَعْنِي هَذَا الْوَعْدَ وَالْمَدَدَ، ﴿إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ﴾: أَيْ: بِشَارَةً لِتَسْتَبْشِرُوا بِهِ ﴿وَلِتَطْمَئِنَّ﴾: وَلِتَسْكُنَ ﴿قُلُوبُكُم بِهِۦ﴾: فَلَا تَجْزَعُوا مِنْ كَثْرَةِ عَدُوِّكُمْ وَقِلَّةِ عَدَدِكُمْ، ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾: يَعْنِي: لَا تُحِيلُوا بِالنَّصْرِ عَلَى الْمَلَائِكَةِ وَالْجُنْدِ؛ فَإِنَّ النَّصْرَ مِنَ اللهِ تَعَالَى فَاسْتَعِينُوا بِهِ وَتَوَكَّلُوا عَلَيْهِ؛ لِأَنَّ الْعِزَّ وَالْحُكْمَ لَهُ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾: يَقُولُ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ بِبَدْرٍ لِيَقْطَعَ طَرَفًا، أَيْ: لِكَيْ يُهْلِكَ طَائِفَةً مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا، **وَقَالَ السُّدِّيُّ**: مَعْنَاهُ: لِيَهْدِمَ رُكْنًا مِنْ أَرْكَانِ الشِّرْكِ بِالْقَتْلِ وَالْأَسْرِ، فَقُتِلَ مِنْ قَادَتِهِمْ وَسَادَتِهِمْ يَوْمَ بَدْرٍ سَبْعُونَ، وَأُسِرَ سَبْعُونَ، وَمَنْ حَمَلَ الْآيَةَ عَلَى حَرْبِ أُحُدٍ، فَقَدْ قُتِلَ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ سِتَّةَ عَشَرَ، وَكَانَ النَّصْرُ لِلْمُسْلِمِينَ حَتَّى خَالَفُوا أَمْرَ الرَّسُولِ ﷺ فَانْقَلَبَ عَلَيْهِمْ، ﴿أَوْ يَكْبِتَهُمْ﴾: **قَالَ الْكَلْبِيُّ**: يَهْزِمهُمْ، **وَقَالَ يَمَانٌ**: يَصْرَعهُمْ لِوُجُوهِهِمْ، **وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ**: يُهْلِكهُمْ، **وَقِيلَ**: يُحْزِنهُمْ، **وَالْمَكْبُوتُ**: الْحَزِينُ، **وَقِيلَ**: أَصْلُهُ: يَكْبِدَهُمْ، أَيْ: يُصِيبُ الْحُزْنُ وَالْغَيْظُ أَكْبَادَهُمْ، وَالتَّاءُ وَالدَّالُ يَتَعَاقَبَانِ كَمَا يُقَالُ: (سَبَتَ رَأْسَهُ وَسَبَدَهُ) إِذَا حَلَقَهُ، **وَقِيلَ**: يَكْبِتَهُمْ بِالْخَيْبَةِ، ﴿فَيَنقَلِبُواْ خَآئِبِينَ﴾: لَمْ يَنَالُوا شَيْئًا مِمَّا كَانُوا يَرْجُونَهُ مِنَ الظَّفَرِ بِكُمْ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ الْآيَةَ، **اخْتَلَفُوا فِي سَبَبِ نُزُولِ هَذِهِ الآيَةِ**: **فَقَالَ قَوْمٌ**: نَزَلَتْ فِي أَهْلِ بِئْرِ مَعُونَةَ، وَهُمْ سَبْعُونَ رَجُلًا مِنَ الْقُرَّاءِ بَعَثَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى أَهْلِ بِئْرِ مَعُونَةَ فِي صَفَرٍ سَنَةَ أَرْبَعٍ مِنَ الْهِجْرَةِ عَلَى رَأْسِ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ مِنْ أُحُدٍ لِيُعَلِّمُوا النَّاسَ الْقُرْآنَ وَالْعِلْمَ أَمِيرُهُمُ الْمُنْذِرُ بْنُ عَمْرٍو، فَقَتَلَهُمْ عَامِرُ بْنُ الطُّفَيْلِ، فَوَجَدَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ ذَلِكَ وَجْدًا شَدِيدًا، وَقَنَتَ شَهْرًا فِي الصَّلَوَاتِ كُلِّهَا يَدْعُو عَلَى جَمَاعَةٍ مِنْ تِلْكَ الْقَبَائِلِ بِاللَّعْنِ وَالسِّنِينَ، فَنَزَلَتْ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾.

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ فِي الرَّكْعَةِ الْأَخِيرَةِ مِنَ الفَجْرِ يَقُولُ: «**اللَّهُمَّ الْعَنْ فُلَانًا وَفُلَانًا وَفُلَانًا**» بَعْدَ مَا يَقُولُ: «**سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ**»، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾[(١)].

وَقَالَ قَوْمٌ: نَزَلَتْ يَوْمَ أُحُدٍ.

---

(١) **صحيح**: البخاري: (٤٥٥٩)، وهو في "الصحيح المسند من أسباب النزول" للإمام الوادعي رحمه الله ص(٥٦).

عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كُسِرَتْ رَبَاعِيَتُهُ يَوْمَ أُحُدٍ وَشُجَّ فِي رَأْسِهِ، فَجَعَلَ يَسْلِتُ الدَّمَ عَنْهُ وَيَقُولُ: «**كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ شَجُّوا نَبِيَّهُمْ وَكَسَرُوا رَبَاعِيَتَهُ، وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللهِ** ﷻ؟»، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾[(1)].

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ: «**اللَّهُمَّ الْعَنْ أَبَا سُفْيَانَ، اللَّهُمَّ الْعَنِ الْحَارِثَ بْنَ هِشَامٍ، اللَّهُمَّ الْعَنْ صَفْوَانَ بْنَ أُمَيَّةَ**»، فَنَزَلَتْ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾، فَأَسْلَمُوا وَحَسُنَ إِسْلَامُهُمْ[(2)].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾: أَيْ: لَيْسَ إِلَيْكَ، **اللَّامُ**: بِمَعْنَى: (إِلَى)، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَٰنِ﴾[آل عِمْرَانَ:١٩٣]، أَيْ: إِلَى الْإِيمَانِ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾: **قَالَ بَعْضُهُمْ**: مَعْنَاهُ: حَتَّى يَتُوبَ عَلَيْهِمْ، أَوْ إِلَّا أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ، **وَقِيلَ**: هُوَ نَسَقٌ عَلَى قَوْلِهِ: ﴿لِيَقْطَعَ طَرَفًا﴾.

وَقَوْلُهُ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾: اعْتِرَاضٌ بَيْنَ الكَلَامِ، وَنَظْمُ الْآيَةِ: لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا، أَوْ يَكْبِتَهُمْ، أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ، ﴿أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾، لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ، بَلِ الْأَمْرُ أَمْرِي فِي ذَلِكَ كُلِّهِ. ثُمَّ قَالَ: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوا۟ ٱلرِّبَوٰٓا۟ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿١٣١﴾ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوا۟ ٱلرِّبَوٰٓا۟ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً﴾: أَرَادَ بِهِ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَهُ عِنْدَ حُلُولِ أَجَلِ الدَّيْنِ مِنْ زِيَادَةِ المَالِ وَتَأْخِيرِ الطَّلَبِ ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾: فِي أَمْرِ الرِّبَا فَلَا

(١) **صحيح**: مسلم: (١٧٩١).

(٢) **صحيح**: صحَّحه العلَّامة الألباني رحمه الله في "صحيح وضعيف سنن الترمذي" (٣٠٠٤).

تَأْكُلُوهُ؛ ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾. ثُمَّ خَوَّفَهُمْ فَقَالَ: ﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿١٣١﴾
وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾: لِكَيْ تُرْحَمُوا.

﴿۞ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾
الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ
الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ
وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُم
مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾

﴿وَسَارِعُوا﴾: قَرَأَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ وَالشَّامِ: ﴿سَارِعُوا﴾ بِلَا وَاوٍ، وَقَرَأَ البَاقُونَ بِالْوَاوِ، ﴿إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾: أَيْ: بَادِرُوا وَسَابِقُوا إِلَى الْأَعْمَالِ الَّتِي تُوجِبُ الْمَغْفِرَةَ **قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: إِلَى الْإِسْلَامِ، **وَرُوِيَ عَنْهُ**: إِلَى التَّوْبَةِ، **وَبِهِ قَالَ عِكْرِمَةُ وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِلَى أَدَاءِ الْفَرَائِضِ، **وَقَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ**: إِلَى الْهِجْرَةِ، **وَقَالَ الضَّحَّاكُ**: إِلَى الْجِهَادِ، **وَقَالَ مُقَاتِلٌ**: إِلَى الأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، **وَرُوِيَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ** أَنَّهَا التَّكْبِيرَةُ الْأُولَى ﴿وَجَنَّةٍ﴾: أَيْ وَإِلَى جَنَّةٍ ﴿عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ أَيْ: عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، كَمَا قَالَ فِي سُورَةِ الْحَدِيدِ: ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾[الحَدِيد:٢١] أَيْ: سَعَتُهَا وَإِنَّمَا ذُكِرَ الْعَرْضُ عَلَى الْمُبَالَغَةِ لِأَنَّ طُولَ كُلِّ شَيْءٍ فِي الأَغْلَبِ أَكْبَرُ مِنْ عَرْضِهِ، يَقُولُ: هَذِهِ صِفَةُ عَرْضِهَا فَكَيْفَ طُولُهَا؟ **قَالَ الزُّهْرِيُّ**: إِنَّمَا وَصَفَ عَرْضَهَا فَأَمَّا طُولُهَا فَلَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللهُ، وَهَذَا عَلَى التَّمْثِيلِ لَا أَنَّهَا كَالسَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا غَيْرَ مَعْنَاهُ: كَعَرْضِ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَالْأَرْضِينَ السَّبْعِ عِنْدَ ظَنِّكُمْ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾[هُود:١٠٧] يَعْنِي: عِنْدَ ظَنِّكُمْ وَإِلَّا فَهُمَا زَائِلَتَانِ، **وَرُوِيَ عَنْ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ**: أَنَّ نَاسًا مِنَ الْيَهُودِ سَأَلُوا عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ -وَعِنْدَهُ أَصْحَابُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ- وَقَالُوا: أَرَأَيْتُمْ قَوْلَهُ: ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ فَأَيْنَ النَّارُ؟ فَقَالَ: عُمَرُ: أَرَأَيْتُمْ إِذَا جَاءَ اللَّيْلُ أَيْنَ يَكُونُ

النَّهَارُ، وَإِذَا جَاءَ النَّهَارُ فَأَيْنَ يَكُونُ اللَّيْلُ؟ فَقَالُوا: إِنَّهُ لَمِثْلُهَا فِي التَّوْرَاةِ، وَمَعْنَاهُ: أَنَّهُ حَيْثُ يَشَاءُ اللهُ.

﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ۝١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ﴾: أَيْ: فِي الْيُسْرِ وَالْعُسْرِ، فَأَوَّلُ مَا ذَكَرَ مِنْ أَخْلَاقِهِمُ الْمُوجِبَةِ لِلْجَنَّةِ ذِكْرُ السَّخَاوَةِ، ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ﴾: أَيِ: الْجَارِعِينَ الْغَيْظَ عِنْدَ امْتِلَاءِ نُفُوسِهِمْ مِنْهُ، **وَالْكَظْمُ**: حَبْسُ الشَّيْءِ عِنْدَ امْتِلَائِهِ، وَكَظْمُ الْغَيْظِ: أَنْ يَمْتَلِئَ غَيْظًا فَيَرُدَّهُ فِي جَوْفِهِ وَلَا يُظْهِرَهُ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ﴾[غَافِر:١٨].

عَنْ مُعَاذِ بْنِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ كَظَمَ غَيْظًا وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يُنْفِذَهُ دَعَاهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ حَتَّى يُخَيِّرَهُ مِنْ أَيِّ الْحُورِ شَاءَ**»[(١)].

﴿وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾: **قَالَ الْكَلْبِيُّ**: عَنِ الْمَمْلُوكِينَ سُوءَ الْأَدَبِ، **وَقَالَ زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ وَمُقَاتِلٌ**: عَمَّنْ ظَلَمَهُمْ وَأَسَاءَ إِلَيْهِمْ، ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً﴾: يَعْنِي: قَبِيحَةً خَارِجَةً عَمَّا أَذِنَ اللهُ تَعَالَى فِيهِ، **وَأَصْلُ الْفُحْشِ**: الْقُبْحُ وَالْخُرُوجُ عَنِ الْحَدِّ، **قَالَ جَابِرٌ**: الْفَاحِشَةُ الزِّنَا، ﴿أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾: مَا دُونَ الزِّنَا مِنَ الْقُبْلَةِ وَالْمُعَانَقَةِ وَالنَّظَرِ وَاللَّمْسِ، **وَقَالَ مُقَاتِلٌ وَالْكَلْبِيُّ**: الْفَاحِشَةُ: مَا دُونَ الزِّنَا مِنْ قُبْلَةٍ أَوْ لَمْسَةٍ أَوْ نَظْرَةٍ فِيمَا لَا يَحِلُّ، ﴿أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾: بِالْمَعْصِيَةِ **وَقِيلَ**: ﴿فَعَلُواْ فَٰحِشَةً﴾: الْكَبَائِرَ ﴿أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾: بِالصَّغَائِرِ، **وَقِيلَ**: ﴿فَعَلُواْ فَٰحِشَةً﴾: فِعْلًا، ﴿أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾: قَوْلًا، ﴿ذَكَرُواْ ٱللَّهَ﴾: أَيْ: ذَكَرُوا وَعِيدَ اللهِ، وَأَنَّ اللهَ سَائِلُهُمْ، **وَقَالَ مُقَاتِلُ بْنُ حَيَّانَ**: ﴿ذَكَرُواْ ٱللَّهَ﴾: بِاللِّسَانِ عِنْدَ الذُّنُوبِ، ﴿فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾: أَيْ: وَهَلْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللهُ، ﴿وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ﴾: أَيْ: لَمْ يُقِيمُوا وَلَمْ يَثْبُتُوا عَلَيْهِ، وَلَكِنْ تَابُوا وَأَنَابُوا

(١) **حسن**: حسَّنه العلَّامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في "صحيح وضعيف سنن ابن ماجه" (٤١٨٦).

وَاسْتَغْفَرُوا، وَأَصْلُ الإِصْرَارِ: الثَّبَاتُ عَلَى الشَّيْءِ، وَقَالَ الْحَسَنُ: إِتْيَانُ الْعَبْدِ ذَنْبًا عَمْدًا إِصْرَارٌ حَتَّى يَتُوبَ، وَقَالَ السُّدِّيُّ: الإِصْرَارُ: السُّكُوتُ وَتَرْكُ الِاسْتِغْفَارِ، ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَالْحَسَنُ وَمُقَاتِلٌ وَالْكَلْبِيُّ: وَهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّهَا مَعْصِيَةٌ، وَقِيلَ: وَهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّ الْإِصْرَارَ ضَارٌّ، وَقَالَ الضَّحَّاكُ: وَهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّ اللهَ يَمْلِكُ مَغْفِرَةَ الذُّنُوبِ، وَقَالَ الحُسَيْنُ بْنُ الفَضْلِ: أَنَّ لَهُمْ رَبًّا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ، وَقِيلَ: وَهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّ اللهَ لَا يَتَعَاظَمُهُ الْعَفْوُ عَنِ الذُّنُوبِ وَإِنْ كَثُرَتْ، وَقِيلَ: وَهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّهُمْ إِنِ اسْتَغْفَرُوا غُفِرَ لَهُمْ، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ﴾: ثَوَابُ المُطِيعِينَ.

عَنْ أَسْمَاءَ بْنِ الْحَكَمِ الْفَزَارِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ عَلِيًّا رضي الله عنه يَقُولُ: إِنِّي كُنْتُ رَجُلًا إِذَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَدِيثًا يَنْفَعُنِي اللهُ مِنْهُ بِمَا شَاءَ أَنْ يَنْفَعَنِي، وَإِذَا حَدَّثَنِي أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِهِ اسْتَحْلَفْتُهُ فَإِذَا حَلَفَ لِي صَدَّقْتُهُ، وَإِنَّهُ حَدَّثَنِي أَبُو بَكْرٍ وَصَدَقَ أَبُو بَكْرٍ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**مَا مِنْ عَبْدٍ مُؤْمِنٍ يُذْنِبُ ذَنْبًا فَيُحْسِنُ الطَّهُورَ ثُمَّ يَقُومُ فَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ يَسْتَغْفِرُ اللهَ إِلَّا غَفَرَ اللهُ لَهُ**»، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ﴾ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ[(١)].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ عَبْدًا أَذْنَبَ ذَنْبًا فَقَالَ: أَيْ رَبِّ أَذْنَبْتُ ذَنْبًا فَاغْفِرْهُ لِي، قَالَ: فَقَالَ رَبُّهُ ﷻ: أَعَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ؟ غَفَرْتُ لِعَبْدِي، ثُمَّ مَكَثَ مَا شَاءَ اللهُ، ثُمَّ أَذْنَبَ ذَنْبًا آخَرَ فَقَالَ: رَبِّ أَذْنَبْتُ ذَنْبًا فَاغْفِرْهُ لِي، فَقَالَ رَبُّهُ ﷻ: أَعَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ قَدْ غَفَرْتُ لِعَبْدِي فَلْيَفْعَلْ مَا شَاءَ**»[(٢)].

عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِيمَا يَرْوِيهِ عَنْ رَبِّهِ تبارك وتعالى قَالَ: «**قَالَ اللهُ تَعَالَى: يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ مِنْكَ، ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ إِنْ**

(١) **صحيح:** صحَّحه العلَّامة الألباني رحمه الله في "صحيح وضعيف سنن أبي داود" (١٥٢١).

(٢) **صحيح:** البخاري: (٧٥٠٧)، ومسلم: (٢٧٥٨).

لَقِيتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا لَقِيتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً بَعْدَ أَنْ لَا تُشْرِكَ بِي شَيْئًا، ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ إِنْ تُذْنِبْ حَتَّى تَبْلُغَ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ تَسْتَغْفِرُنِي أَغْفِرُ لَكَ»(١).

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «قَالَ اللهُ تَعَالَى: مَنْ عَلِمَ أَنِّي ذُو قُدْرَةٍ عَلَى مَغْفِرَةِ الذُّنُوبِ غَفَرْتُ لَهُ وَلَا أُبَالِي، مَا لَمْ يُشْرِكْ بِي شَيْئًا»(٢).

﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾ هَـٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾ وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَمْحَقَ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ﴾: قَالَ عَطَاءٌ: شَرَائِعُ، وَقَالَ الْكَلْبِيُّ: مَضَتْ لِكُلِّ أُمَّةٍ سُنَّةٌ وَمِنْهَاجٌ إِذَا اتَّبَعُوهَا رضي الله عنهم، وَقَالَ مُجَاهِدٌ: قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ بِالْهَلَاكِ فِيمَنْ كَذَّبَ قَبْلَكُمْ، وَقِيلَ: سُنَنٌ: أَيْ: أُمَمٌ وَالسُّنَّةُ: الْأُمَّةُ، قَالَ الشَّاعِرُ:

مَا عَايَنَ النَّاسُ مِنْ فَضْلٍ كَفَضْلِكُمُ ... وَلَا رَأَوْا مِثْلَكُمْ فِي سَالِفِ السُّنَنِ

وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: أَهْلُ السُّنَنِ، وَالسُّنَّةُ: هِيَ الطَّرِيقَةُ الْمُتَّبَعَةُ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، يُقَالُ: (سَنَّ فُلَانٌ سُنَّةً حَسَنَةً وَسُنَّةً سَيِّئَةً) إِذَا عَمِلَ عَمَلًا اقْتُدِيَ بِهِ فيه مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ وَمَعْنَى الْآيَةِ: قَدْ مَضَتْ وَسَلَفَتْ مِنِّي سُنَنٌ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ مِنَ الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ الْكَافِرَةِ بِإِمْهَالِي وَاسْتِدْرَاجِي إِيَّاهُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ فِيهِمْ أَجَلِي الَّذِي أَجَّلْتُهُ لِإِهْلَاكِهِمْ، وَإِدَالَةِ [-أَيْ: غَلَبَةِ-] أَنْبِيَائِي عَلَيْهِمْ، ﴿فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾: أَيْ: آخِرُ أَمْرِ الْمُكَذِّبِينَ، وَهَذَا فِي حَرْبِ أُحُدٍ، يَقُولُ اللهُ ﷻ: فَأَنَا أُمْهِلُهُمْ وَأَسْتَدْرِجُهُمْ حَتَّى يَبْلُغَ أَجَلِي الَّذِي أَجَّلْتُ فِي نُصْرَةِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَوْلِيَائِهِ وَإِهْلَاكِ

---

(١) **صحيح:** صحَّحه العلَّامة الألباني رَحِمَهُ اللهُ في «الصحيحة» (١٢٧).

(٢) **حسن:** حسَّنه العلَّامة الألباني رَحِمَهُ اللهُ في «صحيح الجامع» (٤٣٣٠).

أَعْدَائِهِ، ﴿هَٰذَا﴾: أَيْ: هَذَا الْقُرْآنُ ﴿بَيَانٌ لِّلنَّاسِ﴾: عَامَّةً، ﴿وَهُدًى﴾: مِنَ الضَّلَالَةِ، ﴿وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾: خَاصَّة.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟﴾: هَذَا حَثٌّ لِأَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى الجِهَادِ وَالصَّبْرِ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ مِنَ الْقَتْلِ وَالْجَرْحِ يَوْمَ أُحُدٍ، يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟﴾: أَيْ: لَا تَضْعُفُوا وَلَا تَجْبُنُوا عَنْ جِهَادِ أَعْدَائِكُمْ بِمَا نَالَكُمْ مِنَ الْقَتْلِ وَالْجَرْحِ وَكَانَ قَدْ قُتِلَ يَوْمَئِذٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ خَمْسَةٌ مِنْهُمْ: حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَمُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ، وَقُتِلَ مِنَ الْأَنْصَارِ سَبْعُونَ رَجُلًا، ﴿وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ﴾: أَيْ: فَإِنَّكُمْ أَنْتُمُ الأَعْلَونَ، أَيْ: تَكُونُ لَكُمُ العَاقِبَةُ بِالنَّصْرِ وَالظَّفَرِ عَلَى أَعْدَائِكُمْ ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾: يَعْنِي: إِذْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ، أَيْ: لِأَنَّكُمْ مُؤْمِنُونَ، ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ﴾: قَرَأَ حَمْزَةُ وَالْكِسَائِيُّ وَأَبُو بَكْرٍ: ﴿قُرْحٌ﴾ بِضَمِّ الْقَافِ حَيْثُ جَاءَ، وَقَرَأَ الْآخَرُونَ بِالْفَتْحِ، وَهُمَا لُغَتَانِ مَعْنَاهُمَا وَاحِدٌ، كَ(الْجُهْدِ، وَالْجَهْدِ)، **وَقَالَ الْفَرَّاءُ:** القَرْحُ بِالْفَتْحِ: اسْمٌ لِلْجِرَاحَةِ، وَبِالضَّمِّ: اسْمٌ لِأَلَمِ الْجِرَاحَةِ.

هَذَا خِطَابٌ مَعَ الْمُسْلِمِينَ حَيْثُ انْصَرَفُوا مِنْ أُحُدٍ مَعَ الْكَآبَةِ وَالْحُزْنِ، يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ﴾: يَوْمَ أُحُدٍ ﴿فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ﴾: يَوْمَ بَدْرٍ، ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾: فَيَوْمٌ لَهُمْ وَيَوْمٌ عَلَيْهِمْ، أُدِيلُ المُسْلِمُونَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ يَوْمَ بَدْرٍ حَتَّى قَتَلُوا مِنْهُمْ سَبْعِينَ وَأَسَرُوا سَبْعِينَ، وَأُدِيلَ الْمُشْرِكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَ أُحُدٍ حَتَّى جَرَحُوا مِنْهُمْ سَبْعِينَ وَقَتَلُوا خَمْسًا وَسَبْعِينَ.

عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: جَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى الرَّجَّالَةِ يَوْمَ أُحُدٍ -وَكَانُوا خَمْسِينَ رَجُلًا- عَبْدَ اللهِ بْنَ جُبَيْرٍ، فَقَالَ: «**إِنْ رَأَيْتُمُونَا تَخْطَفُنَا الطَّيْرُ فَلَا تَبْرَحُوا مَكَانَكُمْ هَذَا حَتَّى أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ وَإِنْ رَأَيْتُمُونَا هَزَمْنَا الْقَوْمَ وَأَوْطَأْنَاهُمْ فَلَا تَبْرَحُوا حَتَّى أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ**»، فَهَزَمُوهُمْ، قَالَ: فَأَنَا وَاللهِ رَأَيْتُ النِّسَاءَ يَشْتَدِدْنَ قَدْ بَدَتْ خَلَاخِلُهُنَّ وَأَسْوُقُهُنَّ رَافِعَاتٍ ثِيَابَهُنَّ، فَقَالَ أَصْحَابُ عَبْدِ اللهِ بْنِ جُبَيْرٍ: الْغَنِيمَةَ، أَيْ

قَوْمِ الْغَنِيمَةَ، ظَهَرَ أَصْحَابُكُمْ فَمَا تَنْتَظِرُونَ؟ فَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ جُبَيْرٍ: أَنَسِيتُمْ مَا قَالَ لَكُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ؟ قَالُوا: وَاللهِ لَنَأْتِيَنَّ النَّاسَ فَلَنُصِيبَنَّ مِنَ الْغَنِيمَةِ، فَلَمَّا أَتَوْهُمْ صُرِفَتْ وُجُوهُهُمْ فَأَقْبَلُوا مُنْهَزِمِينَ، فَذَاكَ إِذْ يَدْعُوهُمُ الرَّسُولُ فِي أُخْرَاهُمْ، فَلَمْ يَبْقَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ غَيْرُ اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا، فَأَصَابُوا مِنَّا سَبْعِينَ، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ وَأَصْحَابُهُ أَصَابُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ يَوْمَ بَدْرٍ أَرْبَعِينَ وَمِائَةً، سَبْعِينَ أَسِيرًا وَسَبْعِينَ قَتِيلًا، فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ: أَفِي الْقَوْمِ مُحَمَّدٌ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَنَهَاهُمُ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يُجِيبُوهُ، ثُمَّ قَالَ: أَفِي الْقَوْمِ ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ قَالَ: أَفِي الْقَوْمِ ابْنُ الْخَطَّابِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ: أَمَّا هَؤُلَاءِ فَقَدْ قُتِلُوا، فَمَا مَلَكَ عُمَرُ نَفْسَهُ، فَقَالَ: كَذَبْتَ وَاللهِ يَا عَدُوَّ اللهِ، إِنَّ الَّذِينَ عَدَّدْتَ لَأَحْيَاءٌ كُلُّهُمْ، وَقَدْ بَقِيَ لَكَ مَا يَسُوءُكَ، فَقَالَ: يَوْمٌ بِيَوْمِ بَدْرٍ، وَالْحَرْبُ سِجَالٌ، إِنَّكُمْ سَتَجِدُونَ فِي الْقَوْمِ مُثْلَةً لَمْ آمُرْ بِهَا وَلَمْ تَسُؤْنِي، ثُمَّ أَخَذَ يَرْتَجِزُ: اعْلُ هُبَلُ اعْلُ هُبَلُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَلَا تُجِيبُوهُ؟**»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ مَا نَقُولُ؟ قَالَ: «**قُولُوا اللهُ أَعْلَى وَأَجَلُّ**»، قَالَ: إِنَّ لَنَا الْعُزَّى وَلَا عُزَّى لَكُمْ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَلَا تُجِيبُوهُ؟**»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ مَا نَقُولُ؟ قَالَ: «**قُولُوا اللهُ مَوْلَانَا وَلَا مَوْلَى لَكُمْ**»(١).

وَرُوِيَ هَذَا الْمَعْنَى عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، وَفِي حَدِيثِهِ قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: يَوْمٌ بِيَوْمٍ وَإِنَّ الْأَيَّامَ دُوَلٌ وَالْحَرْبَ سِجَالٌ، فَقَالَ عُمَرُ رضي الله عنه: لَا سَوَاءً، قَتْلَانَا فِي الْجَنَّةِ وَقَتْلَاكُمْ فِي النَّارِ(٢).

قَالَ الزَّجَّاجُ: الدَّوْلَةُ تَكُونُ لِلْمُسْلِمِينَ عَلَى الكُفَّارِ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾[الصَّافَّات:١٧٣]، وَكَانَتْ يَوْمَ أُحُدٍ لِلْكُفَّارِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ؛ لِمُخَالَفَتِهِمْ

(١) **صحيح**: البخاري: (٣٠٣٩). **قَوْلُهُ**: «**اعْلُ هُبَلْ**»: هو اسم الصَّنم الأكبر الَّذي كانوا يعبدونه، وكانوا قد وضعوه على الكعبة، قال بن إسحاق: معنى قوله: «**اعْلُ هُبَلْ**»: أي: ظهر دينك، وقال السُّهَيليُّ: معناه: زاد علوًّا، وقال الكرماني: فإن قلت ما معنى: «**اعْلُ**» ولا عُلوَّ في «**هُبَلْ**»؟ فالجواب: هو بمعنى العليُّ، أو المراد أعلى من كل شيء.اهـ"الفتح" (١/ ٢٠٠)، (٧/ ٣٥٢).

(٢) **حسن**: أحمد (٢٦٠٩)، وحسَّنه ط: (الرِّسالة).

أَمْرَ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾: يَعْنِي: إِنَّمَا كَانَتْ هَذِهِ الْمُدَاوَلَةُ لِيَعْلَمَ اللهُ، أَيْ: لِيَرَى اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا فَيُمَيِّزُ الْمُؤْمِن مِنَ الْمُنَافِقِ، ﴿وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ﴾: يُكْرِم أَقْوَامًا بِالشَّهَادَةِ، ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾: أَيْ: يُطَهِّرهُمْ مِنَ الذُّنُوبِ ﴿وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾: يُفْنِيهِمْ وَيُهْلِكُهُمْ مَعْنَاهُ: أَنَّهُمْ إِنْ قَتَلُوكُمْ فَهُوَ تَطْهِيرٌ لَكُمْ، وَإِنْ قَتَلْتُمُوهُمْ فَهُوَ مَحْقُهُمْ وَاسْتِئْصَالُهُمْ.

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿١٤٣﴾ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِي۟ن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا ۗ وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْءَاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ۚ وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ﴾

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ﴾: أَيْ: أَحَسِبْتُمْ؟ ﴿أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ﴾: أَيْ: وَلَمْ يَعْلَم اللهُ ﴿ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ﴾: وَذَلِكَ أَنَّ قَوْمًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ تَمَنَّوْا يَوْمًا كَيَوْم بَدْرٍ لِيُقَاتِلُوا وَيُسْتَشْهَدُوا فَأَرَاهُمُ اللهُ يَوْمَ أُحُدٍ وَقَوْلُهُ: ﴿تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ﴾: أَيْ: سَبَبَ الْمَوْتِ وَهُوَ الْجِهَادُ ﴿مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ﴾: يَعْنِي أَسْبَابَهُ ﴿وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾: **فَإِنْ قِيلَ**: مَا مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ بَعْدَ قَوْلِهِ: ﴿فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ﴾؟ **قِيلَ**: ذَكَرَهُ تَأْكِيدًا، **وَقِيلَ**: الرُّؤْيَةُ قَدْ تَكُونُ بِمَعْنَى الْعِلْم، فَقَالَ: ﴿وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ لِيعْلَمَ أَنَّ الْمُرَادَ بِالرُّؤْيَةِ النَّظَر، **وَقِيلَ**: مَعْنَاهُ: وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ.

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾: **عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ** رضي الله عنهما قَالَ: اشْتَدَّ غَضَبُ اللهِ عَلَى مَنْ قَتَلَهُ نَبِيٌّ، وَاشْتَدَّ غَضَبُ اللهِ عَلَى مَنْ دَمَّى وَجه رَسُولِ اللهِ ﷺ[(١)].

(١) **صحيح**: البخاري: (٤٠٧٦).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْۚ﴾: أَيْ: رَجَعْتُمْ إِلَى دِينِكُمُ الْأَوَّلِ، ﴿وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾: فَيَرْتَدَّ عَنْ دِينِهِ ﴿فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔاۗ﴾: بِارْتِدَادِهِ وَإِنَّمَا يَضُرُّ نَفْسَهُ ﴿وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ﴾: **قَالَ الْأَخْفَشُ:** اللَّامُ فِي ﴿لِنَفْسٍ﴾: مَنْقُولَةٌ تَقْدِيرُهُ: وَمَا كَانَتْ نَفْسٌ لِتَمُوتَ ﴿إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾: بِقَضَائِهِ وَقَدَرِهِ، وَقِيلَ: بِعِلْمِهِ، وَقِيلَ: بِأَمْرِهِ، ﴿كِتَـٰبًا مُّؤَجَّلًاۗ﴾: أَيْ: كَتَبَ لِكُلِّ نَفْسٍ أَجَلًا لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ عَلَى تَقْدِيمِهِ وَتَأْخِيرِهِ، وَنَصَبَ ﴿كِتَـٰبًا﴾ عَلَى الْمَصْدَرِ، أَيْ: كَتَبَ كِتَابًا، ﴿وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا﴾: يَعْنِي: مَنْ يُرِدْ بِطَاعَتِهِ الدُّنْيَا وَيَعْمَلْ لَهَا نُؤْتِهِ مِنْهَا مَا يَكُونُ جَزَاءً لِعَمَلِهِ، يُرِيدُ نُؤْتِهِ مِنْهَا مَا يَشَاءُ مِمَّا قَدَّرْنَاهُ لَهُ، كَمَا قَالَ: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ﴾[الْإِسْرَاء:١٨]، ﴿وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾: أَيْ أَرَادَ بِعَمَلِهِ الْآخِرَةَ، ﴿نُؤْتِهِۦ مِنْهَاۚ وَسَنَجْزِى ٱلشَّـٰكِرِينَ﴾: أَيِ: الْمُؤْمِنِينَ الْمُطِيعِينَ.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ كَانَتْ نِيَّتُهُ طَلَبَ الْآخِرَةِ جَعَلَ اللهُ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ وَجَمَعَ لَهُ شَمْلَهُ وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ، وَمَنْ كَانَتْ نِيَّتُهُ طَلَبَ الدُّنْيَا جَعَلَ اللهُ الْفَقْرَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَشَتَّتَ عَلَيْهِ أَمْرَهُ، وَلَا يَأْتِيهِ مِنْهَا إِلَّا مَا كُتِبَ لَهُ»[(١)].

عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوِ امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ»[(٢)].

﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَـٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَـٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ﴾: قَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ ﴿وَكَائِنْ﴾ بِالْمَدِّ

(١) **صحيح:** صحَّحه العلَّامة الألباني رحمه الله في «صحيح وضعيف سنن الترمذي» (٢٤٦٥).

(٢) **صحيح:** البخاري: (١)، ومسلم: (١٩٠٧).

وَالْهَمْزَةِ عَلَى وَزْنِ: (فَاعِلٍ)، وبتليين الْهَمْزَةِ أَبُو جَعْفَرٍ، وَقَرَأَ الْآخَرُونَ: ﴿وَكَأَيِّن﴾ بِالْهَمْزَةِ وَالتَّشْدِيدِ عَلَى وَزْنِ: (كَعَيِّنْ)، وَمَعْنَاهُ: وَكَمْ، وَهِيَ كَافُ التَّشْبِيهِ ضُمَّتْ إِلَى (أَيٍّ) الِاسْتِفْهَامِيَّةِ، وَلَمْ يَقَع لِلتَّنْوِينِ صُورَةٌ فِي الْخَطِّ إِلَّا فِي هَذَا الْحَرْفِ خَاصَّةً، وَيَقِفُ بَعْضُ القراء عَلَى: ﴿وَكَأَيٍّ﴾ بِلَا نُونٍ، وَالأَكْثَرُونَ عَلَى الوَقْفِ بِالنُّونِ.

قَوْلُهُ: ﴿قَـٰتَلَ﴾: قَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ وَنَافِع وَأَهْلُ البَصْرَةِ: ﴿قُتِلَ﴾ بِضَمِّ الْقَافِ، وَقَرَأَ الْآخَرُونَ ﴿قَـٰتَلَ﴾. فَمَنْ قَرَأَ: ﴿قَـٰتَلَ﴾ فَلِقَوْلِهِ: ﴿فَمَا وَهَنُوا۟﴾، وَيَسْتَحِيلُ وَصْفُهُمْ بِأَنَّهُمْ لَمْ يَهنوا بَعْدَمَا قُتِلُوا؛ لِقَوْلِ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ: مَا سَمِعْنَا أَنَّ نَبِيًّا قُتِلَ فِي الْقِتَالِ؛ وَلِأَنَّ ﴿قَـٰتَلَ﴾ أَعَمُّ، **قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ**: إِنَّ اللهَ تَعَالَى إِذَا مَدَحَ مَنْ قَاتَلَ كَانَ مَنْ قُتِلَ دَاخِلًا فِيْهِ، وَإِذَا مَدَحَ مَنْ قَتَلَ لَمْ يَدْخُلْ فِيهِ غَيْرُهُمْ، فَكَانَ ﴿قَـٰتَلَ﴾ أَعَمَّ. وَمَنْ قَرَأَ ﴿قُتِلَ﴾ فَلَهُ ثَلَاثَةُ أَوْجُهٍ: أَحَدُهَا: أَنْ يَكُونَ الْقَتْلُ رَاجِعًا إِلَى النَّبِيِّ وَحْدَهُ، فَيَكُونُ تَمَامُ الكَلَامِ عِنْدَ قَوْلِهِ: ﴿قُتِلَ﴾، وَيَكُونُ فِي الْآيَةِ إِضْمَارٌ مَعْنَاهُ: وَمَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ، كَمَا يُقَالُ: (قُتِلَ فَلَانٌ مَعَهُ جَيْشٌ كَثِيرٌ)، أَيْ: وَمَعَهُ، وَالْوَجْهُ الثَّانِي: أَنْ يَكُونَ الْقَتْلُ نَالَ النَّبِيَّ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الرِّبِّيِّينَ، وَيَكُونُ الْمُرَادُ: بَعْضَ مَنْ مَعَهُ، تَقُولُ الْعَرَبُ: (قَتَلْنَا بَنِي فُلَانٍ) وَإِنَّمَا قَتَلُوا بَعْضَهُمْ، وَيَكُونُ قَوْلُهُ ﴿فَمَا وَهَنُوا۟﴾ رَاجِعًا إِلَى الْبَاقِينَ، وَالْوَجْهُ الثَّالِثُ: أَنْ يَكُونَ الْقَتْلُ لِلرِّبِّيِّينَ لَا غَيْرَ.

وَقَوْلُهُ: ﴿رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ﴾: **قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٌ وَقَتَادَةُ**: جُمُوعٌ كَثِيرَةٌ، **وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ**: الرِّبِّيُّونَ الْأُلُوفُ، **وَقَالَ الْكَلْبِيُّ**: الرِّبِّيَّةُ الْوَاحِدَةُ: عَشْرَةُ آلَافٍ، **وَقَالَ الضَّحَّاكُ**: الرِّبِّيَّةُ الْوَاحِدَةُ: أَلْفٌ، **وَقَالَ الْحَسَنُ**: فُقَهَاءُ عُلَمَاءُ، **وَقِيلَ**: هُمُ الْأَتْبَاعُ، وَالرَّبَّانِيُّونَ: الْوُلَاةُ، وَالرِّبِّيُّونَ: الرَّعِيَّةُ، **وَقِيلَ**: مَنْسُوبٌ إِلَى الرَّبِّ وَهُمُ الَّذِينَ يَعْبُدُونَ الرَّبَّ، ﴿فَمَا وَهَنُوا۟﴾: أَيْ: فَمَا جَبُنُوا ﴿لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟﴾: عَنِ الْجِهَادِ بِمَا نَالَهُمْ مِنْ أَلَمِ الْجِرَاحِ وَقَتْلِ الْأَصْحَابِ، ﴿وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟﴾: **قَالَ مُقَاتِلٌ**: وَمَا اسْتَسْلَمُوا وَمَا خَضَعُوا لِعَدُوِّهِم، **وَقَالَ السُّدِّيُّ**: وَمَا ذلوا، **وَقَالَ عَطَاءٌ**: وَمَا تَضَرَّعُوا،

وَقَالَ أَبُو العَالِيَةِ: وَمَا جَبُنُوا، وَلَكِنْ صَبَرُوا عَلَى أَمْرِ رَبِّهِمْ وَطَاعَةِ نَبِيِّهِمْ وَجِهَادِ عَدُوِّهِمْ، ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ﴾: نُصِبَ عَلَى خَبَرِ كَانَ، وَالِاسْمُ فِي: ﴿أَن قَالُواْ﴾، وَمَعْنَاهُ: وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ عِنْدَ قَتْلِ نَبِيِّهِمْ ﴿إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾: أَيِ: الصَّغَائِرَ، ﴿وَإِسْرَافَنَا فِيٓ أَمْرِنَا﴾: أَيِ: الْكَبَائِرَ، ﴿وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا﴾: كَيْ لَا تَزُولَ، ﴿وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾: يَقُولُ: فَهَلَّا فَعَلْتُمْ وَقُلْتُمْ مِثْلَ ذَلِكَ يَا أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ ﴿فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا﴾: النُّصْرَةَ وَالْغَنِيمَةَ ﴿وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْأٓخِرَةِ﴾: أَيِ: الْأَجْرَ وَالْجَنَّةَ ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ
خَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ ﴿١٥٠﴾ سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ
ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًاۖ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۚ وَبِئْسَ مَثْوَى
ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥١﴾ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَا
فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِي ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَۚ مِنكُم مَّن
يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْأٓخِرَةَۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْۖ وَلَقَدْ عَفَا
عَنكُمْۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾ ۞ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ
وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِيٓ أُخْرَىٰكُمْ فَأَثَٰبَكُمْ غَمَّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُواْ عَلَىٰ مَا
فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْۗ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾: يَعْنِي: الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى، **وَقَالَ عَلِيٌّ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يَعْنِي: الْمُنَافِقِينَ فِي قَوْلِهِمْ لِلْمُؤْمِنِينَ عِنْدَ الْهَزِيمَةِ: ارْجِعُوا إِلَى إِخْوَانِكُمْ وَادْخُلُوا فِي دِينِهِمْ، ﴿يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ﴾: يُرْجِعُوكُمْ إِلَى أَوَّلِ أَمْرِكُمْ مِنَ الشِّرْكِ بِاللهِ ﴿فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ﴾: مَغْبُونِينَ، ثُمَّ قَالَ: ﴿بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْۖ﴾: نَاصِرُكُمْ وَحَافِظُكُمْ عَلَى دِينِكُمْ ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ ﴿١٥٠﴾ سَنُلْقِي﴾: أَيْ: سَنَقْذِفُ ﴿فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ﴾: الخَوْفَ، قَرَأَ أَبُو جَعْفَرٍ وَابْنُ عَامِرٍ

وَالْكِسَائِيُّ وَيَعْقُوبُ: ﴿الرُّعُبَ﴾ بِضَمِّ الْعَيْنِ وَقَرَأَ الْآخَرُونَ بِسُكُونِهَا ﴿بِمَآ أَشْرَكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗاۖ﴾: حُجَّةً وَبُرْهَانًا، ﴿وَمَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۚ وَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: مَقَامُ الْكَافِرِينَ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدۡ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥٓ﴾: بِالنَّصْرِ وَالظَّفَرِ، وَذَلِكَ أَنَّ النَّصْرَ وَالظَّفَرَ كَانَ لِلْمُسْلِمِينَ فِي الِابْتِدَاءِ، ﴿إِذۡ تَحُسُّونَهُم بِإِذۡنِهِۦۖ﴾: وَذَلِكَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ جَعَلَ أُحُدًا خَلْفَ ظَهْرِهِ وَاسْتَقْبَلَ الْمَدِينَةَ وَجَعَلَ عَيْنَيْنَ -وَهُوَ جَبَلٌ- عَنْ يَسَارِهِ وَأَقَامَ عَلَيْهِ الرُّمَاةَ وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ عَبْدَ اللهِ بْنَ جُبَيْرٍ، وَقَالَ لَهُمْ: «**احْمُوا ظُهُورَنَا، فَإِنْ رَأَيْتُمُونَا قَدْ غَنِمْنَا فَلَا تَشْرَكُونَا، وَإِنْ رَأَيْتُمُونَا نُقَتَّلُ فَلَا تَنْصُرُونَا**»(١)، وَأَقْبَلَ الْمُشْرِكُونَ فَأَخَذُوا فِي الْقِتَالِ، فَجَعَلَ الرُّمَاةُ يَرْشُقُونَ خَيْلَ الْمُشْرِكِينَ بِالنَّبْلِ، وَالْمُسْلِمُونَ يَضْرِبُونَهُمْ بِالسُّيُوفِ، حَتَّى وَلَّوْا هَارِبِينَ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِذۡ تَحُسُّونَهُم بِإِذۡنِهِۦۖ﴾: أَيْ: تَقْتُلُونَهُمْ قَتْلًا ذَرِيعًا بِقَضَاءِ اللهِ، **قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: الحَسُّ** [بِفَتْحِ الحَاءِ]: الِاسْتِئْصَالُ بِالْقَتْلِ، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلۡتُمۡ﴾: أَيْ: إِنْ جَبُنْتُمْ، **وَقِيلَ:** مَعْنَاهُ فَلَمَّا فَشِلْتُمْ ﴿وَتَنَٰزَعۡتُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ وَعَصَيۡتُم﴾: **الوَاوُ** زَائِدَةٌ فِي ﴿وَتَنَٰزَعۡتُمۡ﴾ يَعْنِي: حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ تَنَازَعْتُمْ، **وَقِيلَ:** فِيهِ تَقْدِيمٌ وَتَأْخِيرٌ، تَقْدِيرُهُ: حَتَّى إِذَا تَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ فَشِلْتُمْ، **وَمَعْنَى التَّنَازُعِ:** الِاخْتِلَافُ، وَكَانَ اخْتِلَافُهُمْ أَنَّ الرُّمَاةَ اخْتَلَفُوا حِينَ انْهَزَمَ الْمُشْرِكُونَ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: انْهَزَمَ الْقَوْمُ فَمَا مُقَامُنَا؟ وَأَقْبَلُوا عَلَى الْغَنِيمَةِ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا تُجَاوِزُوا أَمْرَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَثَبَتَ عَبْدُ اللهِ بْنُ جُبَيْرٍ فِي نَفَرٍ يَسِيرٍ دُونَ الْعَشْرَةِ، فَلَمَّا رَأَى خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ وَعِكْرِمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ ذَلِكَ حَمَلُوا عَلَى الرُّمَاةِ فَقَتَلُوا عَبْدَ اللهِ بْنَ جُبَيْرٍ وَأَصْحَابَهُ وَأَقْبَلُوا عَلَى الْمُسْلِمِينَ، وَانْتَقَضَتْ صُفُوفُ الْمُسْلِمِينَ وَاخْتَلَطُوا فَجَعَلُوا يَقْتُلُونَ عَلَى غَيْرِ شِعَارٍ يَضْرِبُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا مَا يَشْعُرُونَ مِنَ الدَّهَشِ، فَكَانَ ذَلِكَ سَبَبُ هَزِيمَةِ المُسْلِمِينَ.

---

(١) تقدَّم تخريجه.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَعَصَيْتُم﴾: يَعْنِي: الرَّسُولَ ﷺ وَخَالَفْتُمْ أَمْرَهُ ﴿مِّنۢ بَعۡدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَۚ﴾: يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ مِنَ الظَّفَرِ وَالْغَنِيمَةِ، ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنۡيَا﴾: يَعْنِي: الَّذِينَ تَرَكُوا الْمَرْكَزَ، ﴿وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۚ﴾: يَعْنِي: الَّذِينَ ثَبَتُوا مَعَ عَبْدِ اللهِ بْنِ جُبَيْرٍ حَتَّى قُتِلُوا، ﴿ثُمَّ صَرَفَكُمۡ عَنۡهُمۡ﴾: أَيْ: رَدَّكُمْ عَنْهُمْ بِالْهَزِيمَةِ؛ ﴿لِيَبۡتَلِيَكُمۡۖ﴾: لِيَمْتَحِنَكُمْ، **وَقِيلَ:** لِيُنْزِلَ عَلَيْكُمُ البَلَاءَ، ﴿وَلَقَدۡ عَفَا عَنكُمۡۗ﴾ فَلَمْ يَسْتَأْصِلْكُمْ بَعْدَ المَعْصِيَةِ وَالمُخَالَفَةِ ﴿وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾.

﴿إِذۡ تُصۡعِدُونَ﴾: يَعْنِي وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ إِذْ تُصْعِدُونَ هَارِبِينَ، وَقَرَأَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيُّ وَالْحَسَنُ وَقَتَادَةُ ﴿تَصْعَدُونَ﴾ بِفَتْحِ التَّاءِ وَالْعَيْنِ وَالْقِرَاءَةُ الْمَعْرُوفَةُ بِضَمِّ التَّاءِ وَكَسْرِ الْعَيْنِ، **وَالْإِصْعَادُ:** السَّيْرُ فِي مُسْتَوَى الْأَرْضِ، **وَالصُّعُودُ:** الِارْتِفَاعُ عَلَى الْجِبَالِ وَالسُّطُوحِ، **قَالَ أَبُو حَاتِمٍ:** يُقَالُ: (أَصْعَدْتَ) إِذَا مَضَيْتَ حِيَالَ وَجْهِكَ، وَ(صَعِدْتَ) إِذَا ارْتَقَيْتَ فِي جَبَلٍ أَوْ غَيْرِهِ **وَقَالَ الْمُبَرِّدُ:** (أَصْعَدَ) إِذَا أَبْعَدَ فِي الذَّهَابِ وَكِلْتَا الْقِرَاءَتَيْنِ صَوَابٌ؛ فَقَدْ كَانَ يَوْمَئِذٍ مِنَ الْمُنْهَزِمِينَ مُصْعِدٌ وَصَاعِدٌ، **وَقَالَ الْمُفَضَّلُ:** (صَعِدَ، وَأَصْعَدَ، وَصَعَّدَ) بِمَعْنًى وَاحِدٍ، ﴿وَلَا تَلۡوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ﴾: أَيْ: لَا تعرجُونَ وَلَا تقيمُونَ عَلَى أَحَدٍ، لَا يَلْتَفِتُ بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ، ﴿وَٱلرَّسُولُ يَدۡعُوكُمۡ فِيٓ أُخۡرَىٰكُمۡ﴾: أَيْ: فِي آخِرِكُمْ وَمِنْ وَرَائِكُمْ، ﴿فَأَثَٰبَكُمۡ﴾: فَجَازَاكُمْ، جَعَلَ الْإِثَابَةَ بِمَعْنَى الْعِقَابِ، وَأَصْلُهَا فِي الْحَسَنَاتِ؛ لِأَنَّهُ وَضَعَهَا مَوْضِعَ الثَّوَابِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[آل عِمْرَان:٢١]، جَعَلَ الْبِشَارَةَ فِي الْعَذَابِ، وَمَعْنَاهُ: جَعَلَ مَكَانَ الثَّوَابِ الَّذِي كُنْتُمْ تَرْجُونَ ﴿غَمَّۢا بِغَمٍّ﴾: **قِيلَ:** **الْبَاءُ:** بِمَعْنَى (عَلَى)، أَيْ: غَمًّا عَلَى غَمٍّ، **وَقِيلَ:** غَمًّا مُتَّصِلًا بِغَمٍّ، فَالْغَمُّ الْأَوَّلُ: مَا فَاتَهُمْ مِنَ الظَّفَرِ وَالْغَنِيمَةِ، وَالْغَمُّ الثَّانِي: مَا نَالَهُمْ مِنَ الْقَتْلِ وَالْهَزِيمَةِ، **وَقِيلَ:** الْغَمُّ الْأَوَّلُ: مَا أَصَابَهُمْ مِنَ الْقَتْلِ وَالْجِرَاحِ، وَالْغَمُّ الثَّانِي: مَا سَمِعُوا أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ قَدْ قُتِلَ فَأَنْسَاهُمُ الْغَمَّ الْأَوَّلَ، **وَقِيلَ:** إِنَّهُمْ غَمُّوا الرَّسُولَ بِمُخَالَفَةِ أَمْرِهِ، فَجَازَاهُمُ اللهُ بِذَلِكَ الْغَمِّ غَمَّ الْقَتْلِ وَالْهَزِيمَةِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لِّكَيۡلَا تَحۡزَنُواْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ﴾: مِنَ الْفَتْحِ وَالْغَنِيمَةِ، ﴿وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمۡۗ﴾: أَيْ: وَلَا عَلَى مَا أَصَابَكُمْ مِنَ الْقَتْلِ وَالْهَزِيمَةِ، ﴿وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾.

﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيۡكُم مِّنۢ بَعۡدِ ٱلۡغَمِّ أَمَنَةٗ نُّعَاسٗا يَغۡشَىٰ طَآئِفَةٗ مِّنكُمۡۖ وَطَآئِفَةٞ قَدۡ أَهَمَّتۡهُمۡ أَنفُسُهُمۡ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ ظَنَّ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ مِن شَيۡءٖۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡأَمۡرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِۗ يُخۡفُونَ فِيٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبۡدُونَ لَكَۖ يَقُولُونَ لَوۡ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٞ مَّا قُتِلۡنَا هَٰهُنَاۗ قُل لَّوۡ كُنتُمۡ فِي بُيُوتِكُمۡ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَتۡلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمۡۖ وَلِيَبۡتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمۡ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمۡۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ مِنكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ إِنَّمَا ٱسۡتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِبَعۡضِ مَا كَسَبُواْۖ وَلَقَدۡ عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٞ﴾

﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيۡكُم﴾: يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ ﴿مِّنۢ بَعۡدِ ٱلۡغَمِّ أَمَنَةٗ﴾: يَعْنِي أَمْنًا وَ(الأَمْنُ، وَالأَمَنَةُ) بِمَعْنًى وَاحِدٍ، وَقِيلَ: الْأَمْنُ: يَكُونُ مَعَ زَوَالِ سَبَبِ الْخَوْفِ، وَالْأَمَنَةُ: مَعَ بَقَاءِ سَبَبِ الْخَوْفِ، وَكَانَ سَبَبُ الخَوْفِ هَاهُنَا قَائِمًا، ﴿نُّعَاسٗا﴾: بَدَلٌ مِنَ الْأَمَنَةِ، ﴿يَغۡشَىٰ طَآئِفَةٗ مِّنكُمۡۖ﴾: قَرَأَ حَمْزَةُ وَالْكِسَائِيُّ: ﴿تَغْشَى﴾ بِالتَّاءِ رَدًّا إِلَى الْأَمَنَةِ، وَقَرَأَ الْآخَرُونَ بِالْيَاءِ رَدًّا إِلَى النُّعَاسِ، **قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ** رضي الله عنهما: أَمَّنَهُمْ يَوْمَئِذٍ بِنُعَاسٍ يَغْشَاهُمْ، وَإِنَّمَا يَنْعَسُ مَنْ يَأْمَنُ، وَالْخَائِفُ لَا يَنَامُ.

عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، أَنَّ **أَبَا طَلْحَةَ** رضي الله عنه قَالَ: غَشِيَنَا النُّعَاسُ وَنَحْنُ فِي مَصَافِّنَا يَوْمَ أُحُدٍ، قَالَ: فَجَعَلَ سَيْفِي يَسْقُطُ مِنْ يَدِي فَآخُذُهُ، وَيَسْقُطُ وَآخُذُهُ[(١)].

وَقَالَ ثَابِتٌ عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه **عَنْ أَبِي طَلْحَةَ** رضي الله عنه قَالَ: رَفَعْتُ رَأْسِي يَوْمَ أُحُدٍ فَجَعَلْتُ مَا أَرَى أَحَدًا مِنَ الْقَوْمِ إِلَّا وَهُوَ يَمِيلُ تَحْتَ جُحْفَتِهِ مِنَ النُّعَاسِ[(٢)].

---

(١) **صحيح**: البخاري: (٤٥٦٢).

(٢) **صحيح**: صحَّحه العلَّامة الألباني رحمه الله في "صحيح وضعيف سنن الترمذي" (٣٠٠٧)، وتمامُهُ: فذلك قولُهُ عز وجل: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيۡكُم مِّنۢ بَعۡدِ ٱلۡغَمِّ أَمَنَةٗ نُّعَاسٗا﴾. ثم قال الإمام الترمذي رحمه الله: حدثنا عبد بن حميد، ثنا روح بن عبادة، عن حماد بن سلمة، عن هشام بن عروة، عن أبيه، **عن أبي الزُّبير** مثله، =

وَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ الزُّبَيْرِ عَنْ أَبِيهِ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ رضي الله عنه قَالَ: لَقَدْ رَأَيْتُنِي مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ حِينَ اشْتَدَّ عَلَيْنَا الخَوْفُ أَرْسَلَ اللهُ عَلَيْنَا النَّوْمَ، وَاللهِ إِنِّي لَأَسْمَعُ قَوْلَ مُعَتِّبِ بْنِ قُشَيْرٍ -وَالنُّعَاسُ يَغْشَانِي مَا أَسْمَعُهُ إِلَّا كَالْحُلْمِ- يَقُولُ: ﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا﴾، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ﴾: يَعْنِي: الْمُؤْمِنِينَ ﴿وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾: يَعْنِي المُنَافِقِينَ قِيلَ: أَرَادَ تَمْيِيزَ الْمُنَافِقِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، فَأَوْقَعَ النُّعَاسَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَتَّى أَمِنُوا، وَلَمْ يُوقِعْ عَلَى الْمُنَافِقِينَ، فَبَقُوا فِي الخَوْفِ وَ﴿قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾: أَيْ: حَمَلَتْهُمْ عَلَى الْهَمِّ يُقَالُ: (أَمْرٌ مُهِمٌّ) ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾: أَيْ: لَا يَنْصُرُ مُحَمَّدًا، وَقِيلَ: ظَنُّوا أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ قَدْ قُتِلَ، ﴿ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾: أَيْ: كَظَنِّ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ وَالشِّرْكِ، ﴿يَقُولُونَ هَل لَّنَا﴾: مَا لَنَا، لَفْظُهُ اسْتِفْهَامٌ وَمَعْنَاهُ: جَحْدٌ، ﴿مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَيْءٍ﴾: يَعْنِي: النَّصْرَ، ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ﴾: قَرَأَ أَهْلُ الْبَصْرَةِ بِرَفْعِ اللَّامِ عَلَى الِابْتِدَاءِ وَخَبَرُهُ فِي: ﴿لِلَّهِ﴾ وَقَرَأَ الْآخَرُونَ بِالنَّصْبِ عَلَى الْبَدَلِ، وَقِيلَ: عَلَى النَّعْتِ، ﴿يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا﴾: وَذَلِكَ أَنَّ الْمُنَافِقِينَ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: لَوْ كَانَ لَنَا عُقُولٌ لَمْ نَخْرُجْ مَعَ مُحَمَّدٍ إِلَى قِتَالِ أَهْلِ مَكَّةَ وَلَمْ يُقْتَلْ رُؤَسَاؤُنَا، وَقِيلَ: لَوْ كُنَّا عَلَى الْحَقِّ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا، قَالَ الضَّحَّاكُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾: يَعْنِي: التَّكْذِيبَ بِالْقَدَرِ، وَهُوَ قَوْلُهُمْ: ﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا

= هذا حديث حسن صحيح. قال الإمام الوادعي رحمه الله: قال المباركفوري: قولُهُ: (عن أبي الزبير): كذا في النسخة الأحمدية، وهو غلطٌ، والصحيح: (عن الزبير) بحذف لفظة: (أبي).اهـ وحديث الزبير أخرجه ابن راهويه كما في «المطالب العالية» ج(٤) ص(٢١٩) وهذا لفظُهُ: قال الزُّبيرُ: لقد رأيتُني مع رسول الله ﷺ يوم أُحُد حين اشتد علينا الخوف، وأرسل علينا النوم، فما مِنَّا أحد إلا وذَقْنُه -أو قال: ذِقْنُهُ- في صدره، فوالله إني لأسمع كالحلم قول معتب بن قشير: ﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا﴾، فحفظتها، فأنزل الله ﷻ في ذلك: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا﴾ إلى قولِهِ: ﴿مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا﴾، لقول مُعَتِّب بن قُشَيرٍ قال: ﴿لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ﴾ حتى بلغ: ﴿عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾. قال المعلق حبيب الرحمن الأعظمي: سكت عليه البوصيري، وإسناده جيِّد.اهـ «الصحيح المسند من أسباب النزول» ص(٥٨-٥٩).

هَـٰهُنَاۗ﴾. ﴿قُل لَّوۡ كُنتُمۡ فِي بُيُوتِكُمۡ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ﴾: قُضِيَ ﴿عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَتۡلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمۡۖ﴾: مَصَارِعِهِمْ، ﴿وَلِيَبۡتَلِيَ ٱللَّهُ﴾: وَلِيَمْتَحِنَ اللهُ ﴿مَا فِي صُدُورِكُمۡ وَلِيُمَحِّصَ﴾: يُخْرِجَ وَيُظْهِرَ ﴿مَا فِي قُلُوبِكُمۡۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾: بِمَا فِي الْقُلُوبِ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ﴾: انْهَزَمُوا ﴿مِنكُمۡ﴾: يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ ﴿يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ﴾: جَمْعُ الْمُسْلِمِينَ وَجَمْعُ الْمُشْرِكِينَ يَوْمَ أُحُدٍ، وَكَانَ قَدِ انْهَزَمَ أَكْثَرُ الْمُسْلِمِينَ وَلَمْ يَبْقَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ إِلَّا ثَلَاثَةَ عَشَرَ رَجُلًا، سِتَّةٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، وَهُمْ: أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعَلِيٌّ وَطَلْحَةُ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ رضي الله عنهم.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا ٱسۡتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيۡطَـٰنُ﴾: أَيْ: طَلَبَ زَلَّتَهُمْ كَمَا يُقَالُ: (اسْتَعْجَلْتُ فُلَانًا) إِذَا طَلَبْتَ عَجَلَتَهُ **وَقِيلَ**: حَمَلَهُمُ الزَّلَة، وَهِيَ الْخَطِيئَةُ، **وَقِيلَ**: (أَزَلَّ، وَاسْتَزَلَّ) بِمَعْنًى وَاحِدٍ، ﴿بِبَعۡضِ مَا كَسَبُواْۖ﴾: أَيْ: بِشُؤْمِ ذُنُوبِهِمْ، **قَالَ بَعْضُهُمْ**: بِتَرْكِهِمُ الْمَرْكَزَ، **وَقَالَ الْحَسَنُ**: ﴿مَا كَسَبُواْۖ﴾: هُوَ قَبُولُهُمْ مِنَ الشَّيْطَانِ مَا وَسْوَسَ إِلَيْهِمْ مِنَ الْهَزِيمَةِ، ﴿وَلَقَدۡ عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٞ﴾.

> ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ إِذَا ضَرَبُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَوۡ كَانُواْ غُزّٗى لَّوۡ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ لِيَجۡعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسۡرَةٗ فِي قُلُوبِهِمۡۗ وَٱللَّهُ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ١٥٦ وَلَئِن قُتِلۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوۡ مُتُّمۡ لَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحۡمَةٌ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ١٥٧ وَلَئِن مُّتُّمۡ أَوۡ قُتِلۡتُمۡ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحۡشَرُونَ﴾

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾: يَعْنِي: الْمُنَافِقِينَ عَبْدَ اللهِ بْنَ أُبَيٍّ وَأَصْحَابَهُ، ﴿وَقَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ﴾: فِي النِّفَاقِ وَالْكُفْرِ، **وَقِيلَ**: فِي النَّسَبِ ﴿إِذَا ضَرَبُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾: أَيْ: سَافَرُوا فِيهَا لِتِجَارَةٍ أَوْ غَيْرِهَا ﴿أَوۡ كَانُواْ غُزّٗى﴾: أَيْ غُزَاةً جَمْعُ (غَازٍ)، فَقُتِلُوا، ﴿لَّوۡ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ لِيَجۡعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ﴾: يَعْنِي: قَوْلَهُمْ وَظَنَّهُمْ ﴿حَسۡرَةٗ فِي قُلُوبِهِمۡۗ وَٱللَّهُ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾: قَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ وَحَمْزَةُ وَالْكِسَائِيُّ: ﴿يَعۡمَلُونَ﴾ بِالْيَاءِ، وَقَرَأَ الْآخَرُونَ بِالتَّاءِ، ﴿وَلَئِن قُتِلۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوۡ مُتُّمۡ﴾: قَرَأَ نَافِعٌ

وَحَمْزَةُ وَالْكِسَائِيُّ: ﴿مِتُّمْ﴾ بِكَسْرِ الْمِيمِ، وَقَرَأَ الْآخَرُونَ بِالضَّمِّ، فَمَنْ ضَمَّهُ فَهُوَ مِنْ: (مَاتَ يَمُوتُ)، كَقَوْلِكَ: مِنْ: (قَالَ يَقُولُ قُلْتُ) بِضَمِّ الْقَافِ، وَمَنْ كَسَرَهُ فَهُوَ مِنْ: (مَاتَ يَمَاتُ)، كَقَوْلِكَ مِنْ: (خَافَ يَخَافُ خِفْتُ)، ﴿لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾: فِي الْعَاقِبَةِ، ﴿وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾: مِنَ الْغَنَائِمِ، قِرَاءَةُ الْعَامَّةِ: ﴿تَجْمَعُونَ﴾ بِالتَّاءِ؛ لِقَوْلِهِ: ﴿وَلَئِن قُتِلْتُمْ﴾، وَقَرَأَ حَفْصٌ عَنْ عَاصِمٍ: ﴿يَجْمَعُونَ﴾ بِالْيَاءِ يَعْنِي: خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُ النَّاسُ، ﴿وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ﴾: فِي الْعَاقِبَةِ.

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾ وَمَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَغُلَّ ۚ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦١﴾ أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾ هُمْ دَرَجَـٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾: أَيْ: فَبِرَحْمَةٍ مِنَ اللهِ، وَ(مَا): صِلَةٌ؛ كَقَوْلِهِ: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم﴾[المَائِدَة:١٣] ﴿لِنتَ لَهُمْ﴾: أَيْ: سَهُلَتْ لَهُمْ أَخْلَاقُكَ وَكَثْرَةُ احْتِمَالِكَ وَلَمْ تُسْرِعْ إِلَيْهِمْ بِالْغَضَبِ فِيمَا كَانَ مِنْهُمْ يَوْمَ أُحُدٍ، ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا﴾: يَعْنِي: جَافِيًا سَيِّئَ الْخُلُقِ قَلِيلَ الِاحْتِمَالِ ﴿غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ﴾: **قَالَ الْكَلْبِيُّ:** ﴿فَظًّا﴾: فِي الْقَوْلِ ﴿غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ﴾: فِي الْفِعْلِ ﴿لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾: أَيْ: لَنَفَرُوا وَتَفَرَّقُوا عَنْكَ، يُقَالُ: (فَضَضْتُهُمْ فَانْفَضُّوا)، أَيْ: فَرَّقْتُهُمْ فَتَفَرَّقُوا، ﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ﴾: تَجَاوَزْ عَنْهُمْ مَا أَتَوْا يَوْمَ أُحُدٍ، ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾: حَتَّى أُشَفِّعَكَ فِيهِمْ، ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ﴾: أَيِ: اسْتَخْرِجْ آرَاءَهُمْ وَاعْلَمْ مَا عِنْدَهُمْ، مِنْ قَوْلِ الْعَرَبِ: (شُرْتُ الدَّابَّةَ وَشَوَّرْتُهَا) إِذَا اسْتَخْرَجْتَ جَرْيَهَا، وَ(شُرْتُ الْعَسَلَ وَأَشَرْتُهُ) إِذَا أَخَذْتَهُ مِنْ مَوْضِعِهِ، وَاسْتَخْرَجْتَهُ، وَاخْتَلَفُوا فِي الْمَعْنَى الَّذِي لِأَجْلِهِ أَمَرَ اللهُ تَعَالَى نَبِيَّهُ ﷺ بِالْمُشَاوَرَةِ مَعَ كَمَالِ عَقْلِهِ وَجَزَالَةِ رَأْيِهِ وَنُزُولِ الْوَحْيِ عَلَيْهِ، وَوُجُوبِ طَاعَتِهِ عَلَى الْخَلْقِ فِيمَا أَحَبُّوا وَكَرِهُوا: **فَقَالَ بَعْضُهُمْ:** هُوَ

خَاصٌّ فِي الْمَعْنَى، أَيْ: وَشَاوِرْهُمْ فِيمَا لَيْسَ عِنْدَكَ فِيهِ مِنَ اللهِ تَعَالَى عَهْدٌ، **قَالَ الْكَلْبِيُّ**: يَعْنِي نَاظِرْهُمْ فِي لِقَاءِ الْعَدُوِّ وَمَكَايِدِ الْحَرْبِ عِنْدَ الْغَزْوِ، **وَقَالَ مُقَاتِلٌ وَقَتَادَةُ**: أَمَرَ اللهُ تَعَالَى بِمُشَاوَرَتِهِمْ تَطْيِيبًا لِقُلُوبِهِمْ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ أَعْطَفُ لَهُمْ عَلَيْهِ وَأَذْهَبُ لِأَضْغَانِهِمْ؛ فَإِنَّ سَادَاتِ الْعَرَبِ كَانُوا إِذَا لَمْ يُشَاوِرُوا فِي الْأَمْرِ شَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ، **وَقَالَ الْحَسَنُ**: قَدْ عَلِمَ اللهُ ﷻ أَنَّهُ مَا بِهِ إِلَى مُشَاوَرَتِهِمْ حَاجَةٌ، وَلَكِنَّهُ أَرَادَ أَنْ يَسْتَنَّ بِهِ مَنْ بَعْدَهُ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾: لَا عَلَى مُشَاوَرَتِهِمْ أَيْ: قُمْ بِأَمْرِ اللهِ وَثِقْ بِهِ وَاسْتَعِنْهُ؛ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ﴾: يُعِنْكُمُ اللهُ وَيَمْنَعْكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ ﴿فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾: مِثْلَ يَوْمِ بَدْرٍ ﴿وَإِن يَخْذُلْكُمْ﴾: يَتْرُكْكُمْ فَلَمْ يَنْصُرْكُمْ كَمَا كَانَ بِأُحُدٍ، **وَالْخِذْلَانُ**: الْقُعُودُ عَنِ النُّصْرَةِ، وَالْإِسْلَامُ لِلْهَلَكَةِ، ﴿فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ﴾: أَيْ: مِنْ بَعْدِ خِذْلَانِهِ، ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾: **قِيلَ**: **التَّوَكُّلُ**: أَنْ لَا تَعْصِيَ اللهَ مِنْ أَجْلِ رِزْقِكَ، **وَقِيلَ**: أَلَّا تَطْلُبَ لِنَفْسِكَ نَاصِرًا غَيْرَ اللهِ، وَلَا لِرِزْقِكَ خَازِنًا غَيْرَهُ، وَلَا لِعَمَلِكَ شَاهِدًا غَيْرَهُ.

عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَدْخُلُ سَبْعُونَ أَلْفًا مِنْ أُمَّتِي الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ**»، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ مَنْ هُمْ؟ قَالَ: «**هُمُ الَّذِينَ لَا يَكْتَوُونَ، وَلَا يَسْتَرْقُونَ، وَلَا يَتَطَيَّرُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**»، فَقَالَ عُكَاشَةُ بْنُ مِحْصَنٍ: يَا رَسُولَ اللهِ ادْعُ اللهَ لِي أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، قَالَ: «**أَنْتَ مِنْهُمْ**»، ثُمَّ قَامَ آخَرُ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ ادْعُ اللهَ أَن يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، فَقَالَ: «**سَبَقَكَ بِهَا عُكَاشَةُ**»(١).

عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**لَوْ أَنَّكُمْ تَتَوَكَّلُونَ عَلَى اللهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا**»(٢).

---

(١) **صحيح:** البخاري: (٥٧٠٥)، ومسلم: (٢٢٠).

(٢) **صحيح:** صحَّحه العلَّامة الألباني رحمه الله في "الصحيحة" (٣١٠)، وهو في "الصحيح المسند" للإمام الوادعي رحمه الله (٩٨٦).

قَوْلُهُ ﷻ: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ﴾: **قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ** رضي الله عنهما: نَزَلَتْ فِي قَطِيفَةٍ حَمْرَاءَ فُقِدَتْ يَوْمَ بَدْرٍ، فَقَالَ بَعْضُ النَّاسِ أَخَذَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، **وَقَالَ الْكَلْبِيُّ وَمُقَاتِلٌ**: نَزَلَتْ فِي غَنَائِمِ أُحُدٍ حِينَ تَرَكَ الرُّمَاةُ الْمَرْكَزَ لِلْغَنِيمَةِ، وَقَالُوا: نَخْشَى أَنْ يَقُولَ النَّبِيُّ ﷺ مَنْ أَخَذَ شَيْئًا فَهُوَ لَهُ، وَأَنْ لَا يَقْسِمَ الْغَنَائِمَ كَمَا لَمْ يَقْسِمْ يَوْمَ بَدْرٍ، **وَقَالَ قَتَادَةُ**: ذُكِرَ لَنَا أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي طَائِفَةٍ غَلَّتْ مِنْ أَصْحَابِهِ، **وَقِيلَ**: إِنَّ الْأَقْوِيَاءَ أَلَحُّوا عَلَيْهِ يَسْأَلُونَهُ مِنَ الْمَغْنَمِ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ﴾: فَيُعْطِي قَوْمًا وَيَمْنَع آخَرِينَ، بَلْ عَلَيْهِ أَنْ يَقْسِمَ بَيْنَهُمْ بِالسَّوِيَّةِ، **وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ بْن يَسَارٍ**: هَذَا فِي الْوَحْيِ يَقُولُ: مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكْتُمَ شَيْئًا مِنَ الْوَحْيِ رَغْبَةً أَوْ رَهْبَةً أَوْ مُدَاهَنَةً.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ﴾: قَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ وَأَهْلُ الْبَصْرَةِ وَعَاصِمٌ ﴿يَغُلَّ﴾ بِفَتْحِ الْيَاءِ وَضَمِّ الْغَيْنِ، مَعْنَاهُ: أَنْ يَخُونَ، وَالْمُرَادُ مِنْهُ: الْأُمَّةَ، **وَقِيلَ**: اللَّامُ فِيهِ مَنْقُولَةٌ مَعْنَاهُ: مَا كَانَ النَّبِيُّ لِيَغُلَّ، **وَقِيلَ**: مَعْنَاهُ مَا كَانَ يُظَنُّ بِهِ ذَلِكَ وَلَا يَلِيقُ بِهِ، وَقَرَأَ الْآخَرُونَ بِضَمِّ الْيَاءِ وَفَتْحِ الْغَيْنِ [﴿يُغَل﴾]، وَلَهُ وَجْهَانِ، أَحَدُهُمَا: أَنْ يَكُونَ مِنَ الْغُلُولِ أَيْضًا، أَيْ: مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يُخَانَ، يَعْنِي: أَنْ تَخُونَهُ أُمَّتُهُ، وَالْوَجْهُ الْآخَرُ: أَنْ يَكُونَ مِنَ الْإِغْلَالِ، مَعْنَاهُ: مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَخُونَ، أَوْ يُنْسَبَ إِلَى الْخِيَانَةِ(١).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَامَ خَيْبَرَ فَلَمْ نَغْنَمْ ذَهَبًا وَلَا فِضَّةً إِلَّا الْأَمْوَالَ وَالثِّيَابَ وَالْمَتَاعَ، قَالَ فَوَجَّهَ رَسُولُ اللهِ ﷺ نَحْوَ وَادِي الْقُرَى، وَكَانَ رِفَاعَةُ بْنُ زَيْدٍ وَهَبَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ عَبْدًا أَسْوَدَ يُقَالُ لَهُ مِدْعَمٌ، قَالَ: فَخَرَجْنَا حَتَّى إِذَا كُنَّا بِوَادِي الْقُرَى فَبَيْنَمَا مِدْعَمٌ يَحُطُّ رَحْلًا لِرَسُولِ اللهِ ﷺ إِذْ جَاءَهُ سَهْمٌ عَائِرٌ فَأَصَابَهُ فَقَتَلَهُ، فَقَالَ النَّاسُ: هَنِيئًا لَهُ الْجَنَّةَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**كَلَّا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ الشَّمْلَةَ الَّتِي أَخَذَهَا يَوْمَ خَيْبَرَ مِنَ المَغَانِمِ لَمْ تُصِبْهَا الْمَقَاسِمُ تَشْتَعِلُ عَلَيْهِ نَارًا**»، فَلَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ النَّاسُ جَاءَ رَجُلٌ بِشِرَاكٍ أَوْ شِرَاكَيْنِ إِلَى رَسُولِ

---

(١) انظر «الصحيح المسند من أسباب النزول» للإمام الوادعي رحمه الله ص(٥٩-٦١).

اللهِ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «شِرَاكٌ مِنْ نَارٍ أَوْ شِرَاكَانِ مِنْ نَارٍ»[(١)].

عَنْ أَبِي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيِّ رضي الله عنه قَالَ: اسْتَعْمَلَ النَّبِيُّ ﷺ رَجُلًا مِنَ الْأَزْدِ يُقَالُ لَهُ ابْنُ اللُّتْبِيَّةِ عَلَى الصَّدَقَةِ، فَلَمَّا قَدِمَ قَالَ: هَذَا لَكُمْ وَهَذَا أُهْدِيَ لِي، فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى الْمِنْبَرِ فَقَالَ: «مَا بَالُ الْعَامِلِ نَبْعَثُهُ عَلَى بَعْضِ أَعْمَالِنَا فَيَقُولُ هَذَا لَكُمْ وَهَذَا أُهْدِيَ لِي، فَهَلَّا جَلَسَ فِي بَيْتِ أُمِّهِ أَوْ فِي بَيْتِ أَبِيهِ فَيَنْظُرَ أَيُهْدَى إِلَيْهِ أَمْ لَا، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يَأْخُذُ أَحَدٌ مِنْهَا شَيْئًا إِلَّا جَاءَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَحْمِلُهُ عَلَى رَقَبَتِهِ، إِنْ كَانَ بَعِيرًا لَهُ رُغَاءٌ، أَوْ بَقَرَةً لَهَا خُوَارٌ، أَوْ شَاةً تَيْعَرُ»، ثُمَّ رَفَعَ يَدَهُ حَتَّى رَأَيْنَا عَفْرَةَ إِبِطَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ، اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ ثَلَاثًا»[(٢)].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦١﴾ أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ﴾: فَتَرَكَ الْغُلُولَ ﴿كَمَن بَاءَ بِسَخَطٍ مِّنَ اللَّهِ﴾: فَغَلَّ ﴿وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾ هُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ اللَّهِ﴾: يَعْنِي: ذُوْ دَرَجَاتٍ عِنْدَ اللهِ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: يَعْنِي مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللهِ وَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللهِ مُخْتَلِفُوا الْمَنَازِلِ عِنْدَ اللهِ، فَلِمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللهِ الثَّوَابُ الْعَظِيمُ، وَلِمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللهِ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ، ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾.

﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾ وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا ۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا ۖ قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّاتَّبَعْنَاكُمْ ۗ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ

---

(١) **صحيح:** البخاري: (٥٧٠٥)، ومسلم: (٢٢٠). والشِّرَاكُ: بكسر المعجمة وتخفيف الرَّاء: سيرُ النعل على ظهر القَدَم.اهـ "الفتح" (٧/ ٤٨٩).

(٢) **صحيح:** البخاري: (٢٥٩٧) ومسلم: (١٨٣٢). وقولُهُ: «اللُّتْبِيَّةُ»: قال ابن السَّمعاني: بضمِّ اللَّام وفتح المثناة، ويقال بالهمز بدل اللام، وقد تقدم أنَّ اسمه عبد الله، واللتبيةُ أمُّه لم نقف على تسميتها. وقولُهُ: «عَفْرَةَ إِبْطَيْهِ»: العَفْرُ: بياض ليس بالنَّاصع.اهـ "الفتح" (١٣/ ١٦٦).

لِلْإِيمَٰنِۚ يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾ ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُواْ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْۗ قُلْ فَٱدْرَءُواْ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾

﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾: **قِيلَ**: أَرَادَ بِهِ الْعَرَبَ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ حَيٌّ مِنْ أَحْيَاءِ العَرَبِ إِلَّا وَلَهُ فِيهِمْ نَسَبٌ إِلَّا بَنِي تَغْلِبَة، دَلِيلُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾[الجُمُعَة:٢]، **وَقَالَ آخَرُونَ**: أَرَادَ بِهِ جَمِيعَ الْمُؤْمِنِينَ، وَمَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾: أَيْ: بِالْإِيمَانِ وَالشَّفَقَةِ لَا بِالنَّسَبِ؛ دَلِيلُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾[التَّوبَة:١٢٨]. ﴿يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ﴾: وَقَدْ كَانُوا ﴿مِن قَبْلُ﴾: أَيْ: مِنْ قَبْلِ بَعْثِهِ ﴿لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾.

﴿أَوَلَمَّآ﴾: أَيْ حِينَ ﴿أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ﴾: بِأُحُدٍ ﴿قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا﴾: بِبَدْرٍ وَذَلِكَ أَنَّ الْمُشْرِكِينَ قَتَلُوا مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَ أُحُدٍ سَبْعِينَ، وَقَتَلَ الْمُسْلِمُونَ مِنْهُمْ بِبَدْرٍ سَبْعِينَ وَأَسَرُوا سَبْعِينَ، ﴿قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ﴾: مِنْ أَيْنَ لَنَا هَذَا الْقَتْلُ وَالْهَزِيمَةُ وَنَحْنُ مُسْلِمُونَ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ فِينَا؟ ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْۗ﴾: أَيْ: بِأَخْذِكُمُ الْفِدَاءَ وَاخْتِيَارِكُمُ الْقَتْلَ[(١)]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾ وَمَآ أَصَٰبَكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ﴾: بِأُحُدٍ مِنَ القَتْلِ وَالجِرَاحِ وَالهَزِيمَةِ ﴿فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾: أَيْ: بِقَضَاءِ اللهِ وَقَدَرِهِ ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: أَيْ: لِيُمَيِّزَ، وَقِيلَ: لِيَرَى، ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ قَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: أَيْ: لِأَجْلِ دِينِ اللهِ وَطَاعَتِهِ، ﴿أَوِ ٱدْفَعُواْۖ﴾: عَنْ أَهْلِكُمْ وَحَرِيمِكُمْ، **وَقَالَ السُّدِّيُّ**: أَيْ: كَثِّرُوا سَوَادَ الْمُسْلِمِينَ وَارْبِطُوا إِنْ لَمْ تُقَاتِلُوا يَكُونُ ذَلِكَ دَفْعًا وَقَمْعًا لِلْعَدُوِّ، ﴿قَالُواْ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَٰكُمْۗ﴾: وَهُوَ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيٍّ وَأَصْحَابُهُ الَّذِينَ انْصَرَفُوا عَنْ أُحُدٍ وَكَانُوا ثَلَاثَمِائَةٍ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ﴾: أَيْ:

(١) **صحيح**: أحمد: (٢٣٨٨)، وهو في «الصحيح المسند من أسباب النزول» صـ(٦١-٦٢) للإمام الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ.

إِلَى الْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ ﴿مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِ﴾: أَيْ: إِلَى الْإِيمَانِ؛ ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم﴾: يَعْنِي: كَلِمَةَ الْإِيمَانِ ﴿مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ۗ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾.

﴿الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَٰنِهِمْ﴾: فِي النَّسَبِ لَا فِي الدِّينِ -وَهُمْ شُهَدَاءُ أُحُدٍ- ﴿وَقَعَدُوا﴾: يَعْنِي: قَعَدَ هَؤُلَاءِ الْقَائِلُونَ عَنِ الْجِهَادِ ﴿لَوْ أَطَاعُونَا﴾: وَانْصَرَفُوا عَنْ مُحَمَّدٍ ﷺ وَقَعَدُوا فِي بُيُوتِهِمْ ﴿مَا قُتِلُوا ۗ قُلْ﴾: لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ ﴿فَادْرَءُوا﴾: فَادْفَعُوا ﴿عَنْ أَنفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾: أَنَّ الْحَذَرَ يُغْنِي عَنِ الْقَدَرِ.

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَٰتًا ۚ بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَا ءَاتَىٰهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ۞ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَٰتًا ﴾: الْآيَةَ، **قِيلَ**: نَزَلَتْ فِي شُهَدَاءِ بَدْرٍ وَكَانُوا أَرْبَعَةَ عَشَرَ رَجُلًا ثَمَانِيَةً مِنَ الْأَنْصَارِ وَسِتَّةً مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، **وَقَالَ الْآخَرُونَ**: نَزَلَتْ فِي شُهَدَاءِ أُحُدٍ وَكَانُوا سَبْعِينَ رَجُلًا أَرْبَعَةً مِنَ الْمُهَاجِرِينَ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَمُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ وَعُثْمَانُ بْنُ شَمَّاسٍ وَعَبْدُ اللهِ بْنُ جَحْشٍ وَسَائِرُهُمْ مِنَ الْأَنْصَارِ.

عَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ: سَأَلْنَا **عَبْدَ اللهِ بْنَ مَسْعُودٍ** رضي الله عنه عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَٰتًا ۚ بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾، قَالَ: أَمَا إِنَّا قَدْ سَأَلْنَا عَنْ ذَلِكَ [-يَعْنِي: رَسُولَ اللهِ ﷺ-] فَقَالَ: «**أَرْوَاحُهُمْ كَطَيْرٍ خُضْرٍ**»[1]، وَيُرْوَى: «**فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضْرٍ لَهَا قَنَادِيلُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ، تَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ، ثُمَّ تَأْوِي إِلَى تِلْكَ الْقَنَادِيلِ، فَاطَّلَعَ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمُ اطِّلَاعَةً، فَقَالَ: هَلْ تَشْتَهُونَ شَيْئًا؟ قَالُوا: أَيَّ شَيْءٍ نَشْتَهِي وَنَحْنُ نَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شِئْنَا، فَفَعَلَ ذَلِكَ بِهِمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَلَمَّا رَأَوْا**

---

(١) **صحيح:** صحَّحه العلَّامة الألباني رحمه الله في "صحيح وضعيف سنن ابن ماجه" (٢٨٠١).

أَنَّهُمْ لَنْ يُتْرَكُوا مِنْ أَنْ يَسْأَلُوا قَالُوا: يَا رَبِّ نُرِيدُ أَنْ تَرُدَّ أَرْوَاحنَا فِي أَجْسَادِنَا، حَتَّى نُقْتَلَ فِي سَبِيلِكَ مَرَّةً أُخْرَى، فَلَمَّا رَأَى أَنْ لَيْسَ لَهُمْ حَاجَةٌ تُرِكُوا»[(١)].

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَمَّا أُصِيبَ إِخْوَانُكُمْ يَوْمَ أُحُدٍ جَعَلَ اللهُ ﷻ أَرْوَاحَهُمْ فِي أَجْوَافِ طَيْرٍ خُضْرٍ تَرِدُ أَنْهَارَ الجنَّةِ تَأْكُلُ مِنْ ثِمَارِهَا وَتَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ وَتَأْوِي إِلَى قَنَادِيلَ مِنْ ذَهَبٍ مُعَلَّقَة فِي ظِلِّ العَرْشِ، فَلَمَّا وَجَدُوا طِيْبَ مَأْكَلِهِمْ وَمَشْرَبِهِمْ وَمَقِيلِهِمْ وَرَأَوْا مَا أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ مِنَ الْكَرَامَةِ، قَالُوا: يَا لَيْتَ قَوْمَنَا يَعْلَمُونَ مَا نَحْنُ فِيهِ مِنَ النَّعِيمِ وَمَا يَصْنَعُ اللهُ بِنَا كَيْ يَرْغَبُوا فِي الْجِهَادِ، وَلَا يَتَّكِلُوا عَنْهُ، فَقَالَ اللهُ ﷻ أَنَا مُخْبِرٌ عَنْكُمْ وَمُبَلِّغٌ إِخْوَانَكُمْ، فَفَرِحُوا بِذَلِكَ وَاسْتَبْشَرُوا، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾»[(٢)].

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنهما قَالَ: لَقِيَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ لِي: «يَا جَابِرُ مَا لِي أَرَاكَ مُنْكَسِرًا؟»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ اسْتُشْهِدَ أَبِي وَتَرَكَ عِيَالًا وَدَيْنًا، قَالَ: «أَفَلَا أُبَشِّرُكَ بِمَا لَقِيَ اللهَ بِهِ أَبَاكَ؟»، قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «مَا كَلَّمَ اللهُ تَعَالَى أَحَدًا قَطُّ إِلَّا مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ، وَإِنَّهُ أَحْيَا أَبَاكَ فَكَلَّمَهُ كِفَاحًا، قَالَ: يَا عَبْدِي تَمَنَّ عَلَيَّ

---

(١) **صحيح:** مسلم: (١٨٨٧). **وَقَوْلُهُ:** «كَطَيْرٍ خُضْرٍ»، و«فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضْرٍ»: في حديث آخر: «بِحَوَاصِلِ طَيْرٍ»، وفي "الموطأ": «إِنَّمَا نَسَمَةُ الْمُؤْمِنِ طَيْر»، وفي حديث آخر عن قتادة: «فِي صُوْرَةِ طَيْرٍ أَبْيَض»، اختلف العلماء في معنى هذه الروايات، والأقرب -إن شاء الله- ما قاله العلَّامة محمد بن علي بن آدم الأثيوبي رَحِمَهُ اللهُ بعد أن ذكر كلام القاضي عياض رَحِمَهُ اللهُ، قال: وبالجملة فآخر كلام القاضي هو مناط البحث، وهو قوله: (والله تعالى أعلم بمراد نبيِّه ﷺ)، فالواجب على العاقل أن يسلِّم ما صحَّ عنه ﷺ، ولا يحرِّف، ولا يخوض في تأويله بلا دليل؛ فإنه من القول بلا علم، وقد قال الله ﷻ: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾[الإسراء:٣٦]، وقال: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ إلى أن قال: ﴿وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[الأعراف:٣٣]، فتبصَّر، ولا تكن أسير التقليد، والله تعالى الهادي إلى سواء السبيل.اهـ"البحر المحيط الثجاج" (٣٢/ ٣٣٥).

(٢) **حسن:** حسَّنه العلَّامة الألباني رَحِمَهُ اللهُ في "صحيح وضعيف سنن أبي داود" (٢٥٢٠) وهو في "الصحيح المسند من أسباب النزول" ص(٦٢-٦٣) للإمام الوادعي رَحِمَهُ اللهُ.

أُعْطِكَ، قَالَ: يَا رَبِّ أَحْيِنِي فَأُقْتَلُ فِيكَ الثَّانِيَةَ، قَالَ الرَّبُّ ﷻ: إِنَّهُ قَدْ سَبَقَ مِنِّي أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ، فَأُنْزِلَتْ فِيهِمْ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًا﴾»[(١)].

وَعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَمُوتُ لَهُ عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ يُحِبُّ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا وَأَنَّ لَهُ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، إِلَّا الشَّهِيدَ؛ لِمَا يَرَى مِنْ فَضْلِ الشَّهَادَةِ، فَإِنَّهُ يُحِبُّ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا فَيُقْتَلَ مَرَّةً أُخْرَى»[(٢)].

وَقَالَ قَوْمٌ: نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي شُهَدَاءِ بِئْرِ مَعُونَةَ.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، أَنَّ رِعْلًا وَذَكْوَانَ وَعُصَيَّةَ وَبَنِي لَحْيَانَ اسْتَمَدُّوا رَسُولَ اللهِ ﷺ عَلَى عَدُوٍّ لَهُمْ، فَأَمَدَّهُمْ بِسَبْعِينَ مِنَ الْأَنْصَارِ كُنَّا نُسَمِّيهِمُ الْقُرَّاءَ فِي زَمَانِهِمْ، كَانُوا يَحْتَطِبُونَ بِالنَّهَارِ وَيُصَلُّونَ بِاللَّيْلِ، حَتَّى كَانُوا بِبِئْرِ مَعُونَةَ قَتَلُوهُمْ وَغَدَرُوا بِهِمْ، فَبَلَغَ النَّبِيَّ ﷺ فَقَنَتَ شَهْرًا يَدْعُو فِي الصُّبْحِ عَلَى أَحْيَاءٍ مِنَ الْعَرَبِ: عَلَى رِعْلٍ وَذَكْوَانَ وَعُصَيَّةَ وَبَنِي لَحْيَانَ، قَالَ أَنَسٌ رضي الله عنه: فَقَرَأْنَا فِيهِمْ قُرْآنًا، ثُمَّ إِنَّ ذَلِكَ رُفِعَ: ﴿أَلَا بَلِّغُوا عَنَّا قَوْمَنَا أَنَّا لَقِينَا رَبَّنَا فَرَضِيَ عَنَّا وَأَرْضَانَا﴾، ثُمَّ نُسِخَتْ، فَرُفِعَ بَعْدَمَا قَرَأْنَاهُ زَمَانًا، وَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًا﴾ الْآيَةَ[(٣)].

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ﴾: وَلَا تَظُنَّنَّ ﴿ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: قَرَأَ ابْنُ عَامِرٍ: ﴿قُتِّلُوا﴾ بِالتَّشْدِيدِ، وَالْآخَرُونَ بِالتَّخْفِيفِ، ﴿أَمْوَٰتًا﴾: كَأَمْوَاتِ مَنْ لَمْ يُقْتَلْ فِي سَبِيلِ اللهِ، ﴿بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ﴾: قِيلَ: أَحْيَاءٌ فِي الدِّينِ، وَقِيلَ: فِي الذِّكْرِ، وَقِيلَ: لِأَنَّهُمْ يُرْزَقُونَ

---

(١) **حسن:** حسَّنه العلَّامة الألباني رحمه الله في "صحيح وضعيف سنن الترمذي" (٣٠١٠) وهو في "الصحيح المسند من أسباب النزول" ص(٦٤-٦٥) للإمام الوادعي رحمه الله.

(٢) **صحيح:** البخاري: (٢٧٩٥)، ومسلم: (١٨٧٧).

(٣) **صحيح:** البخاري: (٣٠٦٤)، وهو في "الصحيح المسند من أسباب النزول" ص(٦٥) للإمام الوادعي رحمه الله مطوَّلًا، أخرجه ابن جرير رحمه الله في "تفسيره" (٧/ ٣٩٢) برقم: (٨٢٢٤). وأخرجه البخاري رحمه الله في "صحيحه" برقم: (٢٨٠١) مختصرًا.

وَيَأْكُلُونَ وَيَتَمَتَّعُونَ كَالْأَحْيَاءِ، وَقِيلَ: لِأَنَّ الشَّهِيدَ لَا يَبْلَى فِي الْقَبْرِ وَلَا تَأْكُلُهُ الأَرْضُ ﴿يُرْزَقُونَ﴾: مِنْ ثِمَارِ الجَنَّةِ وَتُحَفِهَا، ﴿فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾: رِزْقِهِ وَثَوَابِهِ، ﴿وَيَسْتَبْشِرُونَ﴾: وَيَفْرَحُونَ ﴿بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ﴾: مِنْ إِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ تَرَكُوهُمْ أَحْيَاءً فِي الدُّنْيَا عَلَى مَنَاهِجِ الإِيمَانِ وَالْجِهَادِ لِعِلْمِهِمْ أَنَّهُمْ إِذَا اسْتُشْهِدُوا وَلَحِقُوا بِهِمْ وَنَالُوا مِنَ الْكَرَامَةِ مَا نَالُوا، فَهُمْ لِذَلِكَ مُسْتَبْشِرُونَ، ﴿أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝١٧٠ ۞ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ﴾: أَيْ: وَبِأَنَّ اللهَ، وَقَرَأَ الْكِسَائِيُّ بِكَسْرِ الْأَلْفِ عَلَى الِاسْتِئْنَافِ، ﴿لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «تَكَفَّلَ اللهُ لِمَنْ جَاهَدَ فِي سَبِيلِهِ لَا يُخْرِجُهُ مَنْ بَيْتِهِ إِلَّا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ وَتَصْدِيقُ كَلِمَتِهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، أَوْ يُرْجِعَهُ إِلَى مَسْكَنِهِ الَّذِي خَرَجَ مِنْهُ مَعَ مَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ». وَقَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُكْلَمُ أَحَدٌ فِي سَبِيلِ اللهِ -وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يُكْلَمُ فِي سَبِيلِهِ- إِلَّا جَاءَ يَوْمَ القِيَامَةِ وَجُرْحُهُ يَثْعَبُ دَمًا، اللَّوْنُ لَوْنُ الدَّمِ وَالرِّيحُ رِيحُ الْمِسْكِ»(١).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الشَّهِيدُ لَا يَجِدُ أَلَمَ الْقَتْلِ إِلَّا كَمَا يَجِدُ أَحَدُكُمْ أَلَمَ الْقَرْصَةِ»(٢).

﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ۝١٧٢ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ

---

(١) **صحيح:** البخاري: (٢٨٠٣)، (٣١٢٣)، ومسلم: (١٨٧٦). وَقَوْلُهُ: «يُكْلَمُ»: أي: يُجرح، والكُلُوم: الجراح. وَقَوْلُهُ: «يَثْعَبُ»: بفتح الياء والعين وإسكان المثلثة بينهما، ومعناه: يجري متفجِّرًا؛ أي: كثيرًا، وهو بمعنى الرواية الأخرى: «يَتَفَجَّرُ دَمًا».اهـ "البحر المحيط الثجاج" (٣٢/ ٣٦٩)، و"شرح النووي على مسلم" (١٣/ ٢٢).

(٢) **حسن:** حسَّنه العلَّامة الألباني رحمه الله في "المشكاة" (٣٨٣٦)، والعلَّامة الوادعي رحمه الله في "الصحيح المسند" (١٤٣٢).

وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾: الْآيَةَ، عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها: «﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ قَالَتْ لِعُرْوَةَ: يَا ابْنَ أُخْتِي، كَانَ أَبَوَاكَ مِنْهُمْ: الزُّبَيْرُ وَأَبُو بَكْرٍ، لَمَّا أَصَابَ رَسُولَ اللهِ ﷺ مَا أَصَابَ يَوْمَ أُحُدٍ، وَانْصَرَفَ عَنْهُ الْمُشْرِكُونَ، خَافَ أَنْ يَرْجِعُوا، قَالَ: مَنْ يَذْهَبُ فِي إِثْرِهِمْ؟ فَانْتَدَبَ مِنْهُمْ سَبْعُونَ رَجُلًا، قَالَ: كَانَ فِيهِمْ أَبُو بَكْرٍ وَالزُّبَيْرُ»[(١)].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾: أَيْ: أَجَابُوا، وَمَحَلُّ ﴿ٱلَّذِينَ﴾ خَفْضٌ عَلَى صِفَةِ الْمُؤْمِنِينَ تَقْدِيرُهُ: إِنَّ اللهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ الْمُسْتَجِيبِينَ للهِ وَالرَّسُولِ ﴿مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ﴾: أَيْ: نَالَتْهُمُ الْجِرَاحُ، تَمَّ الْكَلَامُ هَاهُنَا، ثُمَّ ابْتَدَأَ فَقَالَ: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ﴾: بِطَاعَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَإِجَابَتِهِ إِلَى الْغَزْوِ، ﴿وَٱتَّقَوْا۟﴾: مَعْصِيَتَهُ ﴿أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾.

﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ﴾: وَمَحَلُّ ﴿ٱلَّذِينَ﴾ خَفْضٌ أَيْضًا مَرْدُودٌ عَلَى ﴿ٱلَّذِينَ﴾ الْأَوَّلِ، ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ﴾: يَعْنِي أَبَا سُفْيَانَ وَأَصْحَابَهُ، ﴿فَٱخْشَوْهُمْ﴾: فَخَافُوهُمْ وَاحْذَرُوهُمْ؛ فَإِنَّهُ لَا طَاقَةَ لَكُمْ بِهِمْ، ﴿فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا﴾: تَصْدِيقًا وَيَقِينًا وَقُوَّةً ﴿وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ﴾: أَيْ: كَافِينَا اللهُ، ﴿وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾: أَيِ: الْمَوْكُولُ إِلَيْهِ الْأُمُورُ، (فَعِيلٌ) بِمَعْنَى (مَفْعُولٍ)، وَذَلِكَ أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ يَوْمَ أُحُدٍ حِينَ أَرَادَ أَنْ يَنْصَرِفَ قَالَ: يَا مُحَمَّد بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْسِمُ بَدْرٍ الصُّغْرَى لِقَابِلٍ إِنْ شِئْتَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**ذَلِكَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ إِنْ شَاءَ اللهُ**»، فَلَمَّا كَانَ الْعَامُ الْمُقْبِلُ خَرَجَ أَبُو سُفْيَانَ فِي أَهْلِ مَكَّةَ حَتَّى نَزَلَ مَجَنَّةَ مِنْ نَاحِيَةِ مَرِّ الظَّهْرَانِ، ثُمَّ أَلْقَى اللهُ الرُّعْبَ فِي قَلْبِهِ فَبَدَا لَهُ الرُّجُوعُ وَقَالَ: إِنَّ هَذَا عَامُ جَدْبٍ وَلَا يُصْلِحُنَا إِلَّا عَامٌ نَرْعَى فِيهِ الشَّجَرَ وَنَشْرَبُ فِيهِ اللَّبَنَ، فَخَرَجَ رَسُولُ

---

(١) **صحيح**: البخاري: (٤٠٧٧)، ومسلم: (٢٤١٨).

اللهِ ﷺ فِي أَصْحَابِهِ حَتَّى وَافَوْا بَدْرًا الصُّغْرَى فَجَعَلُوا يَلْقَوْنَ الْمُشْرِكِينَ وَيَسْأَلُونَهُمْ عَنْ قُرَيْشٍ فَيَقُولُونَ: (قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ)؛ يُرِيدُونَ أَنْ يُرْعِبُوا الْمُسْلِمِينَ فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُونَ: ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾، حَتَّى بَلَغُوا بَدْرًا وَكَانَتْ مَوْضِعَ سُوقٍ لَهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ يَجْتَمِعُونَ إِلَيْهَا فِي كُلِّ عَامٍ ثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ، فَأَقَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِبَدْرٍ يَنْتَظِرُ أَبَا سُفْيَانَ -وَقَدِ انْصَرَفَ أَبُو سُفْيَانَ وَأَصْحَابُهُ مِنْ مَجَنَّةَ إِلَى مَكَّةَ- فَلَمْ يَلْقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ أَحَدًا مِنَ الْمُشْرِكِينَ، وَوَافَقُوا السُّوقَ، وَكَانَتْ مَعَهُمْ تِجَارَاتٌ وَنَفَقَاتٌ، فَبَاعُوا وَأَصَابُوا الدِّرْهَمَ دِرْهَمَيْنِ، وَانْصَرَفُوا إِلَى الْمَدِينَةِ سَالِمِينَ غَانِمِينَ.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: «﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ قَالَهَا إِبْرَاهِيمُ حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَقَالَهَا مُحَمَّدٌ ﷺ حِينَ قَالُوا: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ﴾»[(١)].

﴿فَٱنقَلَبُواْ﴾: فَانْصَرَفُوا ﴿بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ﴾: بِعَافِيَةٍ لَمْ يَلْقَوْا عَدُوًّا، ﴿وَفَضۡلٖ﴾: تِجَارَةٍ وَرِبْحٍ وَهُوَ مَا أَصَابُوا فِي السُّوقِ ﴿لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ﴾: لَمْ يُصِبْهُمْ أَذًى وَلَا مَكْرُوهٌ، ﴿وَٱتَّبَعُواْ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِۗ﴾: فِي طَاعَةِ اللهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ، ﴿وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَظِيمٍ﴾.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾: يَعْنِي: ذَلِكَ الَّذِي قَالَ لَكُمْ: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ﴾ مِنْ فِعْلِ الشَّيْطَانِ أَلْقَى فِي أَفْوَاهِهِمْ لِيُرْهِبُوهُمْ وَيَجْبُنُوا عَنْهُمْ، ﴿يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ﴾: أَيْ: يُخَوِّفُكُمْ بِأَوْلِيَائِهِ، وَكَذَلِكَ هُوَ فِي قِرَاءَةِ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ يَعْنِي: يُخَوِّفُ الْمُؤْمِنِينَ بِالْكَافِرِينَ، **قَالَ السُّدِّيُّ:** يُعَظِّمُ أَوْلِيَاءَهُ فِي صُدُورِهِمْ لِيَخَافُوهُمْ، يَدُلُّ عَلَيْهِ قِرَاءَةُ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ: ﴿يُخَوِّفُكُمْ أَوْلِيَاءَهُ﴾، ﴿فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ﴾: فِي تَرْكِ أَمْرِي ﴿إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾: مُصَدِّقِينَ بِوَعْدِي؛ لِأَنِّي مُتَكَفِّلٌ لَكُمْ بِالنَّصْرِ وَالظَّفَرِ.

﴿وَلَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِۚ إِنَّهُمۡ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗاۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجۡعَلَ لَهُمۡ حَظّٗا فِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلۡكُفۡرَ بِٱلۡإِيمَٰنِ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗا وَلَهُمۡ عَذَابٌ

(١) **صحيح:** البخاري: (٤٥٦٣).

أَلِيمٌ ﴿١٧٧﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْۚ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًاۚ وَلَهُمْ
عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ
لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ وَإِن تُؤْمِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَلَكُمْ
أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُمۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْۖ
سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾

قَوْلُهُ ﷻ: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ﴾: قَرَأَ نَافِعٌ ﴿يُحْزِنكَ﴾ بِضَمِّ اليَاءِ وَكَسْرِ الزَّايِ، وَكَذَلِكَ جَمِيع الْقُرْآنِ إِلَّا قَوْلَهُ: ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ﴾[الأنبياء:١٠٣]، ضِدَّهُ أَبُو جعْفَرٍ، وَهُمَا لُغَتَانِ: (حَزَنَ يَحزنُ) وَ(أَحْزَنَ يُحزِنُ)، إِلَّا أَنَّ اللُّغَةَ الْغَالِبَةَ: (حَزِنَ يَحْزنُ). ﴿ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْكُفْرِۚ﴾: **قَالَ الضَّحَّاكُ**: هُمْ كُفَّارُ قُرَيْشٍ، **وَقَالَ غَيْرُهُ**: هُمُ الْمُنَافِقُونَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ بِمُظَاهَرَةِ الْكُفَّارِ، ﴿إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيْـًٔاۗ﴾: بِمُسَارَعَتِهِمْ فِي الْكُفْرِ، ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي ٱلْأٓخِرَةِۖ﴾: نَصِيبًا فِي ثَوَابِ الْآخِرَةِ، فَلِذَلِكَ خَذَلَهُمْ حَتَّى سَارَعُوا فِي الْكُفْرِ ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ﴾: اسْتَبْدَلُوا ﴿ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيْـًٔا﴾: بِمُسَارَعَتِهِمْ فِي الْكُفْرِ، وَإِنَّمَا يَضُرُّونَ أَنْفُسَهُمْ، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٧﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾: قَرَأَ حَمْزَةُ هَذَا وَالَّذِي بَعْدَهُ بِالتَّاءِ فِيهِمَا، وَقَرَأَ الْآخَرُونَ بِالْيَاءِ، فَمَنْ قَرَأَ بِاليَاءِ فَ﴿ٱلَّذِينَ﴾ فِي مَحَلِّ الرَّفْعِ عَلَى الْفَاعِلِ وَتَقْدِيرُهُ: وَلَا يَحْسَبَنَّ الْكُفَّارُ إِمْلَاءَنَا لَهُمْ خيْرًا، وَمَنْ قَرَأَ بِالتَّاءِ يَعْنِي: وَلَا تَحْسَبَنَّ يَا مُحَمَّدُ الَّذِينَ كَفَرُوا، وَإِنَّمَا نُصِبَ عَلَى الْبَدَلِ مِنَ ﴿ٱلَّذِينَ﴾. ﴿أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْۚ﴾: **وَالْإِمْلَاءُ**: الْإِمْهَالُ وَالتَّأْخِيرُ، يُقَالُ: (عِشْت طَوِيلًا حَمِيدًا)، وَ(تَمَلَّيْت حِينًا)، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَٱهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾[مَرْيَم:٤٦] أَيْ: حِينًا طَوِيلًا، ثُمَّ ابْتَدَأَ فَقَالَ: ﴿إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ﴾: نُمْهِلُهُمْ ﴿لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًاۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾.

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ، **عَنْ أَبِيهِ** ؓ قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ؟ قَالَ: «**مَنْ طَالَ عُمْرُهُ وَحَسُنَ عَمَلُهُ**»، قِيلَ: فَأَيُّ النَّاسِ شَرٌّ؟ قَالَ: «مَنْ

طَالَ عُمْرُهُ وَسَاءَ عَمَلُهُ»[(١)].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾: اخْتَلَفُوا فِي حُكْمِ الْآيَةِ وَنَظْمِهَا: **فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ** رضي الله عنهما **وَالضَّحَّاكُ وَمُقَاتِلٌ وَالْكَلْبِيُّ وَأَكْثَرُ الْمُفَسِّرِينَ**: الْخِطَابُ لِلْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ، يَعْنِي: مَا كانَ اللهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ يَا مَعْشَرَ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ مِنَ الْكُفْرِ وَالنِّفَاقِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ، **وَقَالَ قَوْمٌ**: الْخِطَابُ لِلْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ أَخْبَرَ عَنْهُمْ، مَعْنَاهُ: مَا كَانَ اللهُ لِيَذَرَكُمْ يَا مَعْشَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْتِبَاسِ الْمُؤْمِنِ بِالْمُنَافِقِ، فَرَجَعَ مِنَ الْخَبَرِ إِلَى الْخِطَابِ، ﴿حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾: قَرَأَ حَمْزَةُ وَالْكِسَائِيُّ وَيَعْقُوبُ: بِضَمِّ الْيَاءِ وَتَشْدِيدِهَا، وَكَذَلِكَ الَّتِي فِي الْأَنْفَالِ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بِالتَّخْفِيفِ، يُقَالُ: (مَازَ الشَّيْءَ يَمِيزُهُ مَيْزًا، وَمَيَّزَهُ تَمْيِيزًا) إِذَا فَرَّقَهُ، وَ(امْتَازَ، وَانْمَازَ) هُوَ بِنَفْسِهِ، **قَالَ أَبُو مُعَاذٍ**: إِذَا فَرَّقْتَ بَيْنَ شَيْئَيْنِ، قُلْتَ: (مِزْتُ مَيْزًا)، فَإِذَا كَانَتْ أَشْيَاءَ، قُلْتَ: (مَيَّزْتُهَا تَمْيِيزًا)، وَكَذَلِكَ إِذَا جَعَلْتَ الشَّيْءَ الْوَاحِدَ شَيْئَيْنِ قُلْتَ: (فَرَقْتُ) بِالتَّخْفِيفِ، وَمِنْهُ فَرْقُ الشَّعْرِ، فَإِنْ جَعَلْتَهُ أَشْيَاءَ، قُلْتَ: (فَرَّقْتُهُ تَفْرِيقًا)، وَمَعْنَى الْآيَةِ: حَتَّى يُمَيِّزَ الْمُنَافِقَ مِنَ الْمُخْلِصِ، فَمَيَّزَ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الْمُنَافِقِينَ يَوْمَ أُحُدٍ حَيْثُ أَظْهَرُوا النِّفَاقَ وَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، **وَقَالَ قَتَادَةُ**: حَتَّى يَمِيزَ الْكَافِرَ مِنَ الْمُؤْمِنِ بِالْهِجْرَةِ وَالْجِهَادِ، **وَقَالَ الضَّحَّاكُ**: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ﴾: فِي أَصْلَابِ الرِّجَالِ وَأَرْحَامِ النِّسَاءِ يَا مَعْشَرَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُفَرِّقَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ مَنْ فِي أَصْلَابِكُمْ وَأَرْحَامِ نِسَاءِكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، **وَقِيلَ**: ﴿حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ﴾: وَهُوَ الْمُذْنِبُ ﴿مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾: وَهُوَ الْمُؤْمِنُ، يَعْنِي: حَتَّى يَحُطَّ الْأَوْزَارَ عَنِ الْمُؤْمِنِ بِمَا يُصِيبُهُ مِنْ نَكْبَةٍ وَمِحْنَةٍ وَمُصِيبَةٍ، ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ﴾؛ لِأَنَّهُ لَا يَعْلَمُ الْغَيْبَ أَحَدٌ غَيْرُ اللهِ، ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾: فَيُطْلِعُهُ عَلَى بَعْضِ عِلْمِ الْغَيْبِ نَظِيرُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾[الجن:٢٦-٢٧]، **وَقَالَ السُّدِّيُّ**: مَعْنَاهُ:

(١) **صحيح:** صحَّحه العلَّامة الألباني رحمه الله في "صحيح وضعيف سنن أبي داود" (٢٣٣٠).

وَمَا كَانَ اللهُ لِيُطْلِعَ مُحَمَّدًا ﷺ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللهَ اجْتَبَاهُ، ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ وَإِن تُؤۡمِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَلَكُمۡ أَجۡرٌ عَظِيمٞ﴾.

﴿وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ هُوَ خَيۡرٗا لَّهُمۖ﴾: أَيْ: وَلَا يَحْسَبَنَّ الْبَاخِلُونَ الْبُخْلَ خَيْرًا لَهُمْ، ﴿بَلۡ هُوَ﴾: يَعْنِي: الْبُخْل ﴿شَرّٞ لَّهُمۡۖ سَيُطَوَّقُونَ﴾: أَيْ: سَوْفَ يُطَوَّقُونَ ﴿مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ﴾: يَعْنِي: يُجْعَلُ مَا مَنَعَهُ مِنَ الزَّكَاةِ حَيَّةً تُطَوَّقُ فِي عُنُقِهِ يَوْمَ القيامة تَنْهَشُهُ مِنْ فَوْقِهِ إِلَى قَدَمِهِ، **وَهَذَا قَوْلُ ابْنِ مَسْعُودٍ وَابْنِ عَبَّاسٍ وَأَبِي وَائِلٍ وَالشَّعْبِيِّ وَالسُّدِّيِّ**.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«مَنْ آتَاهُ اللهُ مَالًا فَلَمْ يُؤَدِّ زَكَاتَهُ مُثِّلَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شُجَاعًا أَقْرَعَ لَهُ زَبِيبَتَانِ، يُطَوَّقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ يَأْخُذُ بِلِهْزِمَتَيْهِ، -يَعْنِي: شِدْقَيْهِ- ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا مَالُكَ، أَنَا كَنْزُكَ، ثُمَّ تَلَا:** ﴿وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ﴾ **الْآيَةَ»**(١).

وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه قَالَ: انْتَهَيْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ جَالِسٌ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ فَلَمَّا رَآنِي، قَالَ: **«هُمُ الْأَخْسَرُونَ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ»** قَالَ: فَجِئْتُ حَتَّى جَلَسْتُ، فَلَمْ أَتَقَارَّ أَنْ قُمْتُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي مَنْ هُمْ؟ قَالَ: **«هُمُ الْأَكْثَرُونَ أَمْوَالًا إِلَّا مَنْ قَالَ هَكَذَا وَهَكَذَا، وَهَكَذَا** -مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ، وَمِنْ خَلْفِهِ، وَعَنْ يَمِينِهِ، وَعَنْ

(١) **صحيح:** البخاري: (١٤٠٣). **وَقَوْلُهُ:** «**شُجَاعًا**»: المراد بالشُّجاع: الحَيَّةُ الذَّكر، وقيل: الذي يقوم على ذنبه ويواثب الفارس. **وَقَوْلُهُ:** «**أَقْرَعَ**»: قال القرطبي: الأقرع من الحيَّاتِ: الذي ابيضَّ رأسُهُ من السُّمِّ، ومن الناس الذي لا شعر برأسه. **وَقَوْلُهُ:** «**لَهُ زَبِيبَتَانِ**»: تثنية (زَبِيبَة)، وهما الزبدتان اللتان في الشدقين، يقال: (تكلم حتى زبد شدقاه)، أي: خرج الزبد منهما، وقيل: هما النكتتان السوداوان فوق عينيه، وقيل: نقطتان يكتنفان فاه، وقيل: هما في حلقه بمنزلة زنمتي العنز، وقيل: لحمتان على رأسه مثل القرنين، وقيل: نابان يخرجان من فيه. **وَقَوْلُهُ:** «**يَأْخُذُ**»: فاعل (يأخذ) هو (الشجاع)، والمأخوذ: يد صاحب المال كما وقع مبيَّنًا في رواية همام عن أبي هريرة الآتية في ترك الحيل بلفظ: «**لَا يَزَالُ يَطْلُبُهُ حَتَّى يَبْسُطَ يَدَهُ فَيُلْقِمَهَا فَاهُ**». **وَقَوْلُهُ:** «**بِلِهْزِمَتَيْهِ**»: فُسِّر في الحديث بالشدقين، وفي "الصحاح": هما العظمان الناتئان في اللحيين تحت الأذنين، وفي "الجامع": هما لحم الخدين الذي يتحرك إذا أكل الإنسان.اهـ "الفتح" (٣/ ٢٧٠).

شِمَالِهِ- وَقَلِيلٌ مَا هُمْ، مَا مِنْ صَاحِبِ إِبِلٍ وَلَا بَقَرٍ وَلَا غَنَمٍ لَا يُؤَدِّي زَكَاتَهَا إِلَّا جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْظَمَ مَا كَانَتْ وَأَسْمَنَهُ، تَنْطَحُهُ بِقُرُونِهَا، وَتَطَؤُهُ بِأَظْلَافِهَا، كُلَّمَا نَفِدَتْ أُخْرَاهَا، عَادَتْ عَلَيْهِ أُولَاهَا، حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ »[(١)].

قَالَ إِبْرَاهِيمُ النَّخَعِيُّ: مَعْنَى الْآيَةِ يَجْعَلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي أَعْنَاقِهِمْ طَوْقًا مِنَ النَّارِ، قَالَ مُجَاهِدٌ: يُكَلَّفُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنْ يَأْتُوا بِمَا بَخِلُوا بِهِ فِي الدُّنْيَا مِنْ أَمْوَالِهِمْ، وَرَوَى عَطِيَّةُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي أَحْبَارِ الْيَهُودِ الَّذِينَ كَتَمُوا صِفَةَ مُحَمَّدٍ ﷺ وَنُبُوَّتَهُ، وَأَرَادَ بِالْبُخْلِ كِتْمَانَ الْعِلْمِ كَمَا قَالَ فِي سُورَةِ النِّسَاءِ: ﴿ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِ وَيَكۡتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ﴾[النِّسَاء:٣٧]، وَمَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ﴾: أَيْ: يَحْمِلُونَ وِزْرَهُ وَإِثْمَهُ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَهُمۡ يَحۡمِلُونَ أَوۡزَارَهُمۡ عَلَىٰ ظُهُورِهِمۡۚ﴾[الْأَنْعَام:٣١]، ﴿وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ﴾: يَعْنِي: أَنَّهُ الْبَاقِي الدَّائِمُ بَعْدَ فَنَاءِ خَلْقِهِ وَزَوَالِ أَمْلَاكِهِمْ فَيَمُوتُونَ وَيَرِثُهُمْ، نَظِيرُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَرِثُ ٱلۡأَرۡضَ وَمَنۡ عَلَيۡهَا﴾[مَرْيَم:٤٠]، ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ﴾: قَرَأَ أَهْلُ الْبَصْرَةِ وَمَكَّةَ: ﴿يَعْمَلُونَ﴾ بِالْيَاءِ، وَقَرَأَ الْآخَرُونَ بِالتَّاءِ.

﴿لَّقَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٞ وَنَحۡنُ أَغۡنِيَآءُۘ سَنَكۡتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتۡلَهُمُ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّامٖ لِّلۡعَبِيدِ ﴿١٨٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيۡنَآ أَلَّا نُؤۡمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأۡتِيَنَا بِقُرۡبَانٖ تَأۡكُلُهُ ٱلنَّارُۗ قُلۡ قَدۡ جَآءَكُمۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِي بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِي قُلۡتُمۡ فَلِمَ قَتَلۡتُمُوهُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿١٨٣﴾ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدۡ كُذِّبَ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِكَ جَآءُو بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُنِيرِ﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَّقَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٞ وَنَحۡنُ أَغۡنِيَآءُ﴾: قَالَ الْحَسَنُ وَمُجَاهِدٌ: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا﴾[البَقَرَة:٢٤٥]، قَالَتِ الْيَهُودُ: إِنَّ اللهَ فَقِيرٌ يَسْتَقْرِضُ مِنَّا وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ ﴿سَنَكۡتُبُ مَا قَالُواْ﴾: مِنَ الْإِفْكِ وَالْفِرْيَةِ عَلَى اللهِ فَنُجَازِيهِمْ بِهِ، وَقَالَ مُقَاتِلٌ: سَنَحْفَظُ عَلَيْهِمْ، وَقَالَ الْوَاقِدِيُّ: سَنَأْمُرُ الْحَفَظَةَ

(١) **صحيح:** البخاري: (١٤٦٠)، ومسلم: (٩٩٠) واللفظ له.

بالْكِتَابَةِ؛ نَظِيرُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّا لَهُۥ كَـٰتِبُونَ﴾[الأنبياء:٩٤]، ﴿وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾: قَرَأَ حَمْزَةُ ﴿سَيُكْتَبُ﴾ بِضَمِّ الْيَاءِ، ﴿وَقَتْلُهُمْ﴾ بِرَفْعِ اللَّامِ، ﴿وَيَقُولُ﴾ بِالْيَاءِ، وَ﴿ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾: أَيِ: النَّارِ، وَهُوَ بِمَعْنَى: الْمُحْرِقِ، كَمَا يُقَالُ: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[البَقَرَة:١٠]، أَيْ: مُؤْلِمٌ. ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾: فَيُعَذِّبُ بِغَيْرِ ذَنْبٍ.

قَوْلُهُ تَعالَى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ﴾: أَيْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا وَمَحَلُّ ﴿ٱلَّذِينَ﴾ خَفْضٌ؛ رَدًّا عَلَى ﴿ٱلَّذِينَ﴾ الْأَوَّلِ، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَآ﴾: أَيْ: أَمَرَنَا وَأَوْصَانَا فِي كُتُبِهِ ﴿أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ﴾: أَيْ: لَا نُصَدِّقَ رَسُولًا يَزْعُمُ أَنَّهُ جَاءَ مِنْ عِنْدِ اللهِ ﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ ٱلنَّارُ﴾: فَيَكُونُ دَلِيلًا عَلَى صِدْقِهِ، **وَالْقُرْبَانُ:** كُلُّ مَا يَتَقَرَّبُ بِهِ الْعَبْدُ إِلَى اللهِ تَعَالَى مِنْ نَسِيكَةٍ وَصَدَقَةٍ وَعَمَلٍ صَالِحٍ، وَهُوَ: (فُعْلَانٌ) مِنَ: (الْقُرْبَةِ)، ﴿قُلْ﴾: يَا مُحَمَّدُ ﴿قَدْ جَآءَكُمْ﴾: يَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ ﴿رُسُلٌ مِّن قَبْلِي بِٱلْبَيِّنَـٰتِ وَبِٱلَّذِي قُلْتُمْ﴾: مِنَ الْقُرْبَانِ ﴿فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ﴾: يَعْنِي: زَكَرِيَّا وَيَحْيَى عليهما السلام وَسَائِرَ مَنْ قَتَلُوا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، وَأَرَادَ بِذَلِكَ أَسْلَافَهُمْ فَخَاطَبَهُمْ بِذَلِكَ لِأَنَّهُمْ رَضُوا بِفِعْلِ أَسْلَافِهِمْ ﴿إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾: مَعْنَاهُ: تَكْذِيبُهُمْ إِيَّاكَ مَعَ عِلْمِهِمْ بِصِدْقِكَ كَقَتْلِ آبَائِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ مَعَ الْإِتْيَانِ بِالْقُرْبَانِ وَالْمُعْجِزَاتِ، ثُمَّ قَالَ مُعَزِّيًا لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَـٰتِ وَٱلزُّبُرِ﴾: قَرَأَ ابْنُ عَامِرٍ ﴿وَبِالزُّبُرِ﴾ أَيْ: بِالْكُتُبِ الْمَزْبُورَةِ، يَعْنِي: الْمَكْتُوبَةَ، وَاحِدُهَا: (زَبُورٌ)، مِثْلَ: (رَسُولٍ، وَرُسُلٍ)، ﴿وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلْمُنِيرِ﴾: الْوَاضِحِ الْمُضِيءِ.

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ ١٨٥ ۞ لَتُبْلَوُنَّ فِيٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَذًى كَثِيرًاۚ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾

قَوْلُهُ عز وجل: ﴿كُلُّ نَفْسٍ﴾: مَنْفُوسَةٍ [-أَيْ: مَوْلُودَةٍ-] ﴿ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ

﴿أُجُورَكُمْ﴾: تُوَفَّوْنَ جَزَاءَ أَعْمَالِكُمْ ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾: إِنْ خَيْرًا فَخَيْرٌ وَإِنْ شَرًّا فَشَرٌّ، ﴿فَمَن زُحْزِحَ﴾: نُحِّيَ وَأُزِيلَ ﴿عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾: ظَفَرَ بِالنَّجَاةِ، ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾: يَعْنِي: مَنْفَعَةٌ وَمُتْعَةٌ، كَالْفَأْسِ وَالْقِدْرِ وَالْقَصْعَةِ، ثُمَّ تَزُولُ وَلَا تَبْقَى، **وَقَالَ الْحَسَنُ**: كَخُضْرَةِ النَّبَاتِ وَلَعِبِ الْبَنَاتِ لَا حَاصِلَ لَهُ، **قَالَ قَتَادَةُ**: هِيَ مَتَاعٌ مَتْرُوكَةٌ يُوشِكُ أَنْ تَضْمَحِلَّ بِأَهْلِهَا، فَخُذُوا مِنْ هَذَا الْمَتَاعِ بِطَاعَةِ اللهِ مَا اسْتَطَعْتُمْ، **وَالْغُرُورُ**: الْبَاطِلُ.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ**» اقْرَؤُوا إِنْ شِئْتُمْ ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[السَّجْدَة:١٧]. «**وَإِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَشَجَرَةً يَسِيرُ الرَّاكِبُ فِي ظِلِّهَا مِائَةَ عَامٍ لَا يَقْطَعُهَا**»، وَاقْرَؤُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾[الْوَاقِعَة:٣٠]. «**وَلَمَوْضِعُ سَوْطٍ فِي الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا**»، وَاقْرَؤُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾[آل عِمْرَان:١٨٥][1].

﴿لَتُبْلَوُنَّ﴾: لَتُخْتَبَرُنَّ، **وَاللَّامُ**: لِلتَّأْكِيدِ، وَفِيهِ مَعْنَى الْقَسَمِ، **وَالنُّونُ**: لِتَأْكِيدِ الْقَسَمِ ﴿فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ﴾ بِالْجَوَائِحِ وَالْعَاهَاتِ وَالْخُسْرَانِ ﴿وَأَنفُسِكُمْ﴾ بِالْأَمْرَاضِ **وَقِيلَ**: بِمَصَائِبِ الْأَقَارِبِ وَالْعَشَائِرِ، **قَالَ عَطَاءٌ**: هُمُ الْمُهَاجِرُونَ أَخَذَ الْمُشْرِكُونَ أَمْوَالَهُمْ وَرِبَاعَهُمْ وَعَذَّبُوهُمْ، **وَقَالَ الْحَسَنُ**: هُوَ مَا فُرِضَ عَلَيْهِمْ فِي أَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ مِنَ الْحُقُوقِ، كَالصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ وَالْحَجِّ وَالْجِهَادِ وَالزَّكَاةِ، ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ﴾: يَعْنِي الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟﴾: يَعْنِي: مُشْرِكِي الْعَرَبِ ﴿أَذًى كَثِيرًا وَإِن تَصْبِرُوا۟﴾: عَلَى أَذَاهُمْ ﴿وَتَتَّقُوا۟﴾: اللهَ

(١) **حسن**: حسَّنه العلَّامة الألباني رحمه الله في «صحيح وضعيف سنن الترمذي» (٣٢٩٢)، وهو في «الصحيحين»: البخاري: (٤٧٧٩)، (٤٨٨١) دون قوله: «وَلَمَوْضِعُ سَوْطٍ...»، ومسلم: (٢٨٢٤) دون قوله: «وَإِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَشَجَرَةً...» الحديث.

﴿فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾: أَيْ: مِنْ حَقِّ الْأُمُورِ وَخَيْرِهَا، وَقَالَ عَطَاء: مِنْ حَقِيقَةِ الإِيمَانِ[(١)].

﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾

﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾: قَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ وَأَهْلُ الْبَصْرَةِ وَأَبُو بَكْرٍ بِالْيَاءِ فِيهِمَا، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ﴾، وَقَرَأَ الْآخَرُونَ بِالتَّاءِ فِيهَا عَلَى إِضْمَارِ الْقَوْلِ، ﴿فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ﴾: أَيْ: طَرَحُوهُ وَضَيَّعُوهُ وَتَرَكُوا الْعَمَلَ بِهِ، ﴿وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾: يَعْنِي: الْمَآكِلَ وَالرُّشَا ﴿فَبِئْسَ مَا

(١) قال العلَّامة الإمام الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ في "الصحيح المسند من أسباب النزول" صـ(٦٧-٦٨): **قال الإمام أبو دواد** رَحِمَهُ اللَّهُ جـ(٣) صـ(١١٤): حدثنا محمد بن يحيى بن فارس، أن الحكم بن نافع حدثهم، قال: أنبأنا شعيب، عن الزهري، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك، **عن أبيه**، وكان أحد الثلاثة الذين تِيبَ عليهم، وكان كعب بن الأشرف يهجو النبي ﷺ ويُحرِّضُ عليه كفارَ قريش، وكان النبي ﷺ حين قدم المدينة وأهلها أخلاط: منهم المسلمون، والمشركون يعبدون الأوثان، واليهود، وكانوا يؤذون النبي ﷺ وأصحابه، فأمر الله ﷻ نبيه ﷺ بالصبر والعفو، ففيهم أنزل الله تعالى: ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ الآية، فلمَّا أبى كعب بن الأشرف أن ينزع عن أذى النبي ﷺ أمر النبي ﷺ سعد بن معاذ أن يبعث رهطًا يقتلونه، فبعث محمد بن مسلمة -وذكر قصَّة قتله- فلما قتلوه فزعت اليهودُ والمشركون، فغدوا على النبي ﷺ فقالوا: طُرِقَ صاحبُنا فقُتِل. فذكر لهم النبيُّ ﷺ الذي كان يقول، ودعاهم النبي ﷺ إلى أن يكتب بينه وبينهم كتابًا ينتهون إلى ما فيه، فكتب النبيُّ ﷺ بينه وبينهم وبين المسلمين عامَّةً صحيفةً. الحديث
قال المنذري: قوله: عن أبيه: فيه نظر؛ فإنَّ أباه عبد الله بن كعب ليست له صحبة ولا هو أحد الثلاثة الذين تيب عليهم، ويكون الحديث على هذا مرسلًا، ويُحتمل أن يكون أراد بأبيه جدَّهُ -وهو كعب بن مالك- فيكون الحديث على هذا مسندًا؛ إذ قد سمع عبد الرحمن من جده كعب بن مالك، وكعب هو أحد الثلاثة الذين تِيبَ عليهم، وقد وقع مثل هذا في الأسانيد في غير موضع.اهـ من "عون المعبود" بتصرف، وذكره الواحدي في "أسباب النزول" بهذا السند وبهذا اللَّفظِ.اهـ

وقِصَّة قتلِهِ في "الصَّحيحين": البخاري: (٤٠٣٧) ومسلم: (١٨٠١) عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

﴿يَشْتَرُونَ﴾: قَالَ قَتَادَةُ: هَذَا مِيثَاقٌ أَخَذَهُ اللهُ تَعَالَى عَلَى أَهْلِ الْعِلْمِ، فَمَنْ عَلِمَ شَيْئًا فَلْيُعَلِّمْهُ، وَإِيَّاكُمْ وَكِتْمَانَ الْعِلْمِ؛ فَإِنَّهُ هَلَكَةٌ، وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: لَوْلَا مَا أَخَذَ اللهُ عَلَيَّ فِي الْكِتَابِ مَا حَدَّثْتُكُمْ بِشَيْءٍ، ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾[(١)].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ يَعْلَمُهُ فَكَتَمَهُ أُلْجِمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ»[(٢)].

قَوْلُهُ: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟﴾ الْآيَة، قَرَأَ عَاصِمٌ وَحَمْزَةُ وَالْكِسَائِيُّ: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ﴾ بِالتَّاءِ، أَيْ: لَا تَحْسَبَنَّ يَا مُحَمَّدُ الْفَارِحِينَ، وَقَرَأَ الْآخَرُونَ بِالْيَاءِ: ﴿لَا يَحْسَبَنَّ﴾ الْفَارِحُونَ فَرَحَهُمْ مُنْجِيًا لَهُمْ مِنَ الْعَذَابِ، ﴿فَلَا يَحْسَبُنَّهُمْ﴾، وَقَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ وَأَبُو عَمْرٍو بِالْيَاءِ وَضَمِّ الْبَاءِ خَبَرًا عَنِ الْفَارِحِينَ، أَيْ فَلَا يَحْسَبُنَّ أَنْفُسَهُمْ، وَقَرَأَ الْآخَرُونَ بِالتَّاءِ وَفَتْحِ الْبَاءِ أَيْ: ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّهُم﴾ يَا مُحَمَّدُ، وَأَعَادَ قَوْلَهُ: ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّهُم﴾ تَأْكِيدًا، وَفِي حَرْفِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ﴾ مِنْ غَيْرِ تَكْرَارٍ. وَاخْتَلَفُوا فِيمَنْ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ.

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنهما، أَنَّ رِجَالًا مِنَ الْمُنَافِقِينَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ كَانُوا إِذَا خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى الْغَزْوِ تَخَلَّفُوا عَنْهُ، وَفَرِحُوا بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَإِذَا قَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ اعْتَذَرُوا إِلَيْهِ وَحَلَفُوا، وَأَحَبُّوا أَنْ يُحْمَدُوا

---

(١) **صحيح:** صححَّه العلَّامة الألباني رحمه الله في «التعليقات الحسان» (٥٦٥٥)، من غير ذكر الآية. وروى الإمام أحمد رحمه الله في «مسنده» (٧٧٠٥)، وصحَّحه ط: (الرسالة) وفيه: «**وَايْمُ الله، لَوْلَا آيَةٌ فِي كِتَابِ الله مَا حَدَّثْتُكُمْ بِشَيْءٍ أَبَدًا، ثُمَّ تَلَا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ﴾[البقرة:١٥٩] الآيَةَ كُلَّهَا**».

(٢) **صحيح:** صححَّه العلَّامة الألباني رحمه الله في «صحيح وضعيف سنن الترمذي» (٢٦٤٩). **واللِّجام:** ما يُجعل في فم الفرس من حديدة في طرفيها سَيْرٌ من جلد.

بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا، فَنَزَلَتْ: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟﴾ الآيَة[(١)].

وَعَنْ عَلْقَمَةَ بْنِ وَقَّاصٍ، أَنَّ مَرْوَانَ قَالَ لِبَوَّابِهِ: اذْهَبْ يَا رَافِعُ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ فَقُلْ لَهُ: لَئِنْ كَانَ كُلُّ امْرِئٍ فَرِحَ بِمَا أُوتِيَ وَأَحَبَّ أَنْ يُحْمَدَ بِمَا لَمْ يَفْعَلْ مُعَذَّبًا لَنُعَذَّبَنَّ أَجْمَعُونَ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: مَا لَكُمْ وَلِهَذِهِ، إِنَّمَا دَعَا النَّبِيُّ ﷺ يَهُودَ فَسَأَلَهُمْ عَنْ شَيْءٍ فَكَتَمُوهُ إِيَّاهُ، وَأَخْبَرُوهُ بِغَيْرِهِ، فَأَرَوْهُ أَنْ قَدِ اسْتُحْمِدُوا إِلَيْهِ بِمَا أَخْبَرُوهُ عَنْهُ فِيمَا سَأَلَهُمْ، وَفَرِحُوا بِمَا أَتَوْا مِنْ كِتْمَانِهِمْ، ثُمَّ قَرَأَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ كَذَلِكَ حَتَّى قَوْلِهِ: ﴿يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟﴾[(٢)].

﴿يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟﴾: قَالَ الْفَرَّاءُ: بِمَا فَعَلُوا، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا﴾[مَرْيَم:٢٧]، أَيْ: فَعَلْتِ، ﴿وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ﴾: بِمَنْجَاةٍ ﴿مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ﴾: يَصْرِفُهَا كَيْفَ يَشَاءُ، ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾.

> ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾

﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾: عَنْ

---

(١) **صحيح:** البخاري: (٤٥٦٧)، ومسلم: (٢٧٧٧)، وهو في "الصحيح المسند من أسباب النزول" للإمام الوادعي رحمه الله صـ(٦٨-٦٩).

(٢) **صحيح:** البخاري: (٤٥٦٨)، ومسلم: (٢٧٧٨)، وهو في "الصحيح المسند من أسباب النزول" للإمام الوادعي رحمه الله صـ(٦٩). قال الحافظ رحمه الله في "الفتح" (٨/ ٢٣٣): ويمكن الجمع بأن تكون الآية نزلت في الفريقين معًا، وبهذا أجاب القُرطبيُّ وغيره.اهـ

عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، أَنَّهُ رَقَدَ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَرَآهُ اسْتَيْقَظَ فَتَسَوَّكَ ثُمَّ تَوَضَّأَ وَهُوَ يَقُولُ: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ حَتَّى خَتَمَ السُّورَةَ، ثُمَّ قَامَ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ فَأَطَالَ فِيهِمَا الْقِيَامَ وَالرُّكُوعَ وَالسُّجُودَ، ثُمَّ انْصَرَفَ فَنَامَ حَتَّى نَفَخَ، ثُمَّ فَعَلَ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ سِتَّ رَكَعَاتٍ، كُلُّ ذَلِكَ يَسْتَاكُ ثُمَّ يَتَوَضَّأُ ثُمَّ يَقْرَأُ هَؤُلَاءِ الْآيَاتِ، ثُمَّ أَوْتَرَ بِثَلَاثِ رَكَعَاتٍ ثُمَّ أَتَاهُ الْمُؤَذِّنُ فَخَرَجَ إِلَى الصَّلَاةِ وَهُوَ يَقُولُ: «**اللَّهُمَّ اجْعَلْ فِي بَصَرِي نُورًا، وَفِي سَمْعِي نُورًا، وَفِي لِسَانِي نُورًا، وَاجْعَلْ مِنْ خَلْفِي نُورًا، وَمِنْ أَمَامِي نُورًا، وَاجْعَلْ مِنْ فَوْقِي نُورًا، وَمِنْ تَحْتِي نُورًا، اللَّهُمَّ أَعْطِنِي نُورًا**»(١). وَرَوَاهُ كُرَيْبٌ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، وَزَادَ: «**اللَّهُمَّ اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُورًا وَفِي بَصَرِي نُورًا وَفِي سَمْعِي نُورًا وَعَنْ يَمِينِي نُورًا وَعَنْ يَسَارِي نُورًا**»(٢).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾: ذَوِي الْعُقُولِ، ثُمَّ وَصَفَهُمْ فَقَالَ: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ﴾: **قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَابْنُ عباس** رضي الله عنهم **وَالنَّخَعِيُّ وَقَتَادَةُ**: هَذَا فِي الصَّلَاةِ، يُصَلِّي قَائِمًا، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَقَاعِدًا، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَى جَنْبٍ.

عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رضي الله عنه قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنْ صَلَاةِ الْمَرِيضِ، فَقَالَ: «**صَلِّ قَائِمًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَقَاعِدًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَعَلَى جَنْبٍ**»(٣).

وَقَالَ سَائِرُ الْمُفَسِّرِينَ: أَرَادَ بِهِ الْمُدَاوَمَةَ عَلَى الذِّكْرِ فِي عُمُومِ الْأَحْوَالِ؛ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ قَلَّ مَا يَخْلُو مِنْ إِحْدَى هَذِهِ الْحَالَاتِ الثَّلَاثِ، نَظِيرُهُ فِي سُورَةِ النِّسَاءِ: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِكُمْ﴾[النِّسَاء:١٠٣].

﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: وَمَا أَبْدَعَ فِيهِمَا لِيَدُلَّهُمْ ذَلِكَ عَلَى قُدْرَةِ اللهِ وَيَعْرِفُوا أَنَّ لَهَا صَانِعًا قَادِرًا مُدَبِّرًا حَكِيمًا، **قَالَ ابْنُ عَوْنٍ**: الْفِكْرَةُ تُذْهِبُ

---

(١) **صحيح**: مسلم: (٧٦٣).

(٢) **صحيح**: البخاري: (٦٣١٦)، ومسلم: (٧٦٣).

(٣) **صحيح**: البخاري: (١١١٧).

الْغَفْلَةَ وَتُحْدِثُ لِلْقَلْبِ الْخَشْيَةَ كَمَا يُحْدِثُ المَاءُ لِلزَّرْعِ النَّمَاءِ، وَمَا جُلِيَتِ الْقُلُوبُ بِمِثْلِ الْأَحْزَانِ، وَلَا اسْتَنَارَتْ بِمِثْلِ الْفِكْرَةِ. ﴿رَبَّنَا﴾: أَيْ: وَيَقُولُونَ ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا﴾: رَدَّهُ إِلَى الْخَلْقِ فَلِذَلِكَ لَمْ يَقُلْ: (هَذِهِ)، ﴿بَٰطِلًا﴾: أَيْ: عَبَثًا وَهَزْلًا، بَلْ خَلَقْتَهُ لِأَمْرٍ عَظِيمٍ، وَانْتَصَبَ ﴿بَٰطِلًا﴾ بِنَزْعِ الْخَافِضِ، أَيْ: بِالْبَاطِلِ ﴿سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ﴾: أَيْ: أَهَنْتَهُ، **وَقِيلَ**: أَهْلَكْتَهُ، **وَقِيلَ**: فَضَحْتَهُ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِيٓ﴾[هُود:٧٨]، **فَإِنْ قِيلَ**: قَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ﴾[التَّحْرِيم:٨]، وَمِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ مَنْ يَدْخُلُ النَّارَ، وَقَدْ قَالَ: ﴿إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ﴾ فَكَيْفَ الجَمْعُ؟ **قِيلَ**: **قَالَ أَنَسٌ وَقَتَادَةُ**: مَعْنَاهُ: إِنَّكَ مَنْ تُخَلِّدْ فِي النَّارِ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ، **وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ**: هَذِهِ خَاصَّةٌ لِمَنْ لَا يُخْرَجُ مِنْهَا، فَقَدْ رَوَى **أَنَسٌ** رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّ اللهَ يُدْخِلُ قَوْمًا النَّارَ ثُمَّ يُخْرَجُونَ مِنْهَا[(١)].

﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا﴾: يَعْنِي: مُحَمَّدًا ﷺ، **قَالَهُ ابْنُ مَسْعُودٍ وَابْنُ عَبَّاسٍ** رضي الله عنهم وَأَكْثَرُ الْمُفَسِّرِينَ، **وَقَالَ الْقُرَظِيُّ**: يَعْنِي الْقُرْآنَ، فَلَيْسَ كُلُّ أَحَدٍ يَلْقَى النَّبِيَّ ﷺ، ﴿يُنَادِي لِلْإِيمَٰنِ﴾: أَيْ: إِلَى الْإِيمَانِ ﴿أَنْ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّاۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ﴾: أَيْ: فِي جُمْلَةِ الْأَبْرَارِ، ﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ﴾: أَيْ: عَلَى أَلْسِنَةِ رُسُلِكَ، ﴿وَلَا تُخْزِنَا﴾: وَلَا تُعَذِّبْنَا وَلَا تَفْضَحْنَا وَلَا تُهْلِكْنَا وَلَا تُهِنَّا ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾ **فَإِنْ قِيلَ**: مَا وَجْهُ قَوْلِهِمْ ﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ﴾ وَقَدْ عَلِمُوا أَنَّ اللهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ؟ **قِيلَ**: لَفْظُهُ دُعَاءٌ وَمَعْنَاهُ خَبَرٌ أَيْ لِتُؤْتِيَنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ تَقْدِيرُهُ: فَاغْفِرْ لَنا ذُنُوبنا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئاتِنا وَلا تُخزِنا يَوْمَ الْقِيامَةِ؛ لِتُؤْتِينَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ مِنَ الْفَضْلِ وَالرَّحْمَةِ، **وَقِيلَ**: مَعْنَاهُ: رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مِمَّنْ يَسْتَحِقُّونَ ثَوَابَكَ وَتُؤْتِيهِمْ مَا وَعَدْتَهُمْ عَلَى أَلْسِنَةِ رُسُلِكَ؛ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَتَيَقَّنُوا اسْتِحْقَاقَهُمْ لِتِلْكَ الْكَرَامَةِ، فَسَأَلُوهُ أَنْ يَجْعَلَهُمْ مُسْتَحِقِّينَ

(١) كما في حديث الشفاعة، رواه البخاري: (٤٤)، ومسلم: (١٩٣)، وغيرهما.

لَهَا، وَقِيلَ: إِنَّمَا سَأَلُوهُ تَعْجِيلَ مَا وَعَدَهُمْ مِنَ النَّصْرِ عَلَى الْأَعْدَاءِ، قَالُوا: قَدْ عَلِمْنَا أَنَّكَ لَا تُخْلِف، وَلَكِنْ لَا صَبْرَ لَنَا عَلَى حِلْمِكَ، فَعَجِّلْ خِزْيَهُمْ وَانْصُرْنَا عَلَيْهِمْ.

﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي ٱلْبِلَٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي﴾: أَيْ: بِأَنِّي ﴿لَآ أُضِيعُ﴾: لَا أُحْبِطُ ﴿عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم﴾: أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ ﴿مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍۖ﴾: **قَالَ الْكَلْبِيُّ:** فِي الدِّينِ وَالنُّصْرَةِ وَالْمُوَالَاةِ، ﴿فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي﴾: أَيْ: فِي طَاعَتِي وَدِينِي، وَهُمُ الْمُهَاجِرُونَ الَّذِينَ أَخْرَجَهُمُ الْمُشْرِكُونَ مِنْ مَكَّةَ، ﴿وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ﴾: قَرَأَ ابْنُ عَامِرٍ وَابْنُ كَثِيرٍ: ﴿وَقُتِّلُوا﴾ بِالتَّشْدِيدِ، **قَالَ الْحَسَنُ:** يَعْنِي: أَنَّهُمْ قُطِّعُوا فِي المَعْرَكَةِ، وَالآخَرُونَ بِالتَّخْفِيفِ، وَقَرَأَ أَكْثَرُ الْقُرَّاءِ: ﴿وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ﴾: يُرِيدُ أَنَّهُمْ قَاتَلُوا الْعَدُوَّ ثُمَّ إِنَّهُمْ قُتِلُوا، وَقَرَأَ حَمْزَةُ وَالكسَائِيُّ: ﴿قَاتَلُوا وَقُتِلُوا﴾، وَلَهُ وَجْهَانِ، أَحَدُهُمَا: مَعْنَاهُ وَقَاتَلَ مَنْ بَقِيَ مِنْهُمْ، وَمَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿وَقُتِلُواْ﴾ أَيْ: قُتِلَ بَعْضُهُمْ، تَقُولُ الْعَرَبُ: (قَتَلْنَا بَنِي فُلَانٍ)، وَإِنَّمَا قَتَلُوا بَعْضَهُمْ، وَالْوَجْهُ الْآخَرُ: ﴿وَقُتِلُواْ﴾ وَقَدْ قَاتَلُوا ﴿لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِۗ﴾: نُصِبَ عَلَى الْقَطْعِ **قَالَهُ الْكِسَائِيُّ، وَقَالَ الْمُبَرِّدُ:** مَصْدَرٌ، أَيْ: لَأُثِيبَنَّهُمْ ثَوَابًا، ﴿وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ﴾.

قَوْلُهُ ﷻ: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي ٱلْبِلَٰدِ﴾: ضَرْبُهُمْ فِي الْأَرْضِ وَتَصَرُّفُهُمْ فِي الْبِلَادِ لِلتِّجَارَاتِ وَأَنْوَاعِ المَكَاسِبِ، الْخِطَابُ لِلنَّبِيِّ ﷺ وَالْمُرَادُ مِنْهُ غَيْرُهُ ﴿مَتَٰعٌ

﴿قَلِيلٌ﴾: أَيْ: هُوَ مَتَاعٌ قَلِيلٌ، بُلْغَةٌ فَانِيَةٌ، وَمُتْعَةٌ زَائِلَةٌ، ﴿ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ﴾: مَصِيرُهُمْ ﴿جَهَنَّمُۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾: الْفِرَاشُ، ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلًا﴾: جَزَاءً وَثَوَابًا ﴿مِّنْ عِندِ ٱللَّهِۗ﴾: نُصِبَ عَلَى التَّفْسِيرِ، وَقِيلَ: جَعَلَ ذَلِكَ نُزُلًا، ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ﴾: مِنْ مَتَاعِ الدُّنْيَا.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ **عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ** رضي الله عنه: جِئْتُ فَإِذَا رَسُولُ اللهِ فِي مَشْرُبَةٍ وَإِنَّهُ لَعَلَى حَصِيرٍ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ شَيْءٌ، وَتَحْتَ رَأْسِهِ وِسَادَةٌ مِنْ أَدَمٍ حَشْوُهَا لِيفٌ، وَإِنَّ عِنْدَ رِجْلَيْهِ قَرَظًا مَصْبُورًا، وَعِنْدَ رَأْسِهِ أُهُبٌ مُعَلَّقَةٌ، فَرَأَيْتُ أَثَرَ الْحَصِيرِ فِي جَنْبِهِ فَبَكَيْتُ فَقَالَ: «**مَا يُبْكِيكَ؟**» فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ كِسْرَى وَقَيْصَرَ فِيمَا هُمَا فِيهِ وَأَنْتَ رَسُولُ اللهِ؟ فَقَالَ: «**أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ لَهُمُ الدُّنْيَا وَلَنَا الآخِرَةُ؟**»[(١)].

﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًاۗ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾﴾

قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ﴾: **قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَجَابِرٌ وَأَنَسٌ وَقَتَادَةُ**: نَزَلَتْ فِي النَّجَاشِيِّ مَلِكِ الْحَبَشَةِ، وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا مَاتَ نَعَاهُ جِبْرِيلُ عليه السلام لِرَسُولِ اللهِ ﷺ فِي الْيَوْمِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِأَصْحَابِهِ: «**اخْرُجُوا فَصَلُّوا عَلَى أَخٍ لَكُمْ مَاتَ بِغَيْرِ أَرْضِكُمْ، النَّجَاشِيِّ**» فَقَالَ الْمُنَافِقُونَ: انْظُرُوا إِلَى هَذَا يُصَلِّي عَلَى عِلْجٍ حَبَشِيٍّ نَصْرَانِيٍّ لَمْ يَرَهُ قَطُّ، وَلَيْسَ عَلَى دِينِهِ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ[(٢)]. **وَقَالَ مُجَاهِدٌ**: نَزَلَتْ فِي مُؤْمِنِي أَهْلِ الْكِتَابِ كُلِّهِمْ: ﴿وَإِنَّ مِنْ

---

(١) **صحيح**: البخاري: (٤٩١٣)، ومسلم: (١٤٧٩). **وَقَوْلُهُ**: «مِنْ أَدَمٍ»: أي: جلد. **وَقَوْلُهُ**: «مَصْبُورًا»: أي: مجموعًا. **وَقَوْلُهُ**: «أُهُبًا»: بفتحتين، أو بضمَّتين: جمع (إهاب)، وهو الجلد قبل الدبغ.اهـ "البحر المحيط الثجاج" (٢٦/ ١٦٧-١٦٨).

(٢) **صحيح**: صحَّحه العلَّامة الألباني رحمه الله في "الصحيحة" (٣٠٤٤) عن أنس رضي الله عنه بلفظ: لَمَّا جاءَ نَعْيُ النَّجَاشِيِّ قال رسول الله ﷺ: «**صَلُّوا عَلَيْهِ**»، قالوا: يا رسول الله! نُصَلِّي على عَبْدٍ حَبَشِيٍّ ليس بمسلم؟! =

﴿أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ﴾: يَعْنِي: الْقُرْآنَ، ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ﴾: يَعْنِي: التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ، ﴿خَـٰشِعِينَ لِلَّهِ﴾: خَاضِعِينَ مُتَوَاضِعِينَ للهِ، ﴿لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾: يَعْنِي: لَا يُحَرِّفُونَ كُتُبَهُمْ وَلَا يَكْتُمُونَ صِفَةَ مُحَمَّدٍ ﷺ لِأَجْلِ الرِّيَاسَةِ وَالْمَأْكَلَةِ كَفِعْلِ غَيْرِهِمْ مِنْ رُؤَسَاءِ الْيَهُودِ، ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾.

قَوْلُهُ ﷻ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟﴾: **قَالَ الْحَسَنُ**: اصْبِرُوا عَلَى دِينِكُمْ، **وَقَالَ قَتَادَةُ**: اصْبِرُوا عَلَى طَاعَةِ اللهِ، **وَقَالَ الضَّحَّاكُ وَمُقَاتِلُ بْنُ سُلَيْمَانَ**: عَلَى أَمْرِ اللهِ، **وَقَالَ مُقَاتِلُ بْنُ حَيَّانَ**: عَلَى أَدَاءِ فَرَائِضِ اللهِ تَعَالَى، **وَقَالَ زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ**: عَلَى الْجِهَادِ، **وَقَالَ الْكَلْبِيُّ**: عَلَى الْبَلَاءِ، ﴿وَصَابِرُوا۟﴾: يَعْنِي: عَلَى قِتَالِ الْكُفَّارِ، ﴿وَرَابِطُوا۟﴾: يَعْنِي: الْمُشْرِكِينَ، **قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ**: أَيْ دَاوِمُوا وَاثْبُتُوا، **وَالرَّبْطُ**: الشَّدُّ، **وَأَصْلُ الرِّبَاطِ**: أَنْ يَرْبِطَ هَؤُلَاءِ خُيُولَهُمْ، وَهَؤُلَاءِ خُيُولَهُمْ، ثُمَّ قِيلَ: لِكُلِّ مُقِيمٍ فِي ثَغْرٍ يَدْفَعُ عَمَّنْ وَرَاءَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ مَرْكَبٌ.

عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: **«رِبَاطُ يَوْمٍ فِي سَبِيلِ اللهِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا، وَمَوْضِعُ سَوْطِ أَحَدِكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا، وَالرَّوْحَةُ يَرُوحُهَا الْعَبْدُ فِي سَبِيلِ اللهِ -أَوِ الْغَدْوَةُ- خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا»**[(١)].

= فأنزل الله ﷻ: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَـٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ .اهـ (٧/ ٩٤).

وقال الإمام الوادعي رحمه الله: **قال الإمام أبو بكر البزار** رحمه الله ج(١) صـ(٣٩٢): ... **عن أنس** أنَّ النبي ﷺ صلَّى على النجاشي حين نُعِي، فقيل: يا رسول الله تصلي على عبد حبشي؟! فأنزل الله ﷻ: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ الآية... إلى أن قال: ولكن الحديث له طرق يرتقي بمجموعها إلى الصحة، على أنَّ الحديث له أصل في «الصحيحين»، البخاري: (مناقب الأنصار) ج(٥) صـ(٦٤-٦٥)، و(باب الجنائز) ج(٢) صـ(١٠٨-١٠٩)، ومسلم: (كتاب الجنائز) ج(٣) صـ(٥٤-٥٥)، والله أعلم. انظر «الصحيح المسند من أسباب النزول» صـ(٧٠-٧٢).

(١) **صحيح**: البخاري: (٢٨٩٢).

عَنْ سَلْمَانَ الْخَيْرِ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ رَابَطَ يَوْمًا وَلَيْلَةً فِي سَبِيلِ اللهِ كَانَ لَهُ أَجْرُ صِيَامِ شَهْرٍ مُقِيمٍ، وَمَنْ مَاتَ مُرَابِطًا جَرَى لَهُ مِثْلُ ذَلِكَ الأَجْرِ، وَأُجْرِيَ عَلَيْهِ مِنَ الرِّزْقِ، وَأَمِنَ مِنَ الْفَتَّانِ»[1].

وَقَالَ أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ: لَمْ يَكُنْ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ غَزْوٌ يُرَابَطُ فِيهِ، وَلَكِنَّهُ انْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، وَدَلِيلُ هَذَا التَّأْوِيلِ:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَا يَمْحُو اللهُ بِهِ الْخَطَايَا وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟ إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ، فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ»[2].

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾: قَالَ بَعْضُ أَرْبَابِ اللِّسَانِ: اصْبِرُوا عَلَى النَّعْمَاءِ، وَصَابِرُوا عَلَى الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ، وَرَابِطُوا فِي دَارِ الْأَعْدَاءِ، وَاتَّقُوا إِلَهَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ؛ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ فِي دَارِ الْبَقَاءِ.

❊ ❊ ❊

---

(١) **صحيح:** مسلم: (١٩١٣).

(٢) **صحيح:** مسلم: (٢٥١).

سُورَةُ النِّسَاءِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ وَآتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ ۖ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ ۖ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ ۚ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾: يَعْنِي: آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾: يَعْنِي: حَوَّاءَ، ﴿وَبَثَّ مِنْهُمَا﴾: نَشَرَ وَأَظْهَرَ ﴿رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ﴾: أَيْ: تَتَسَاءَلُونَ بِهِ، قَرَأَ أَهْلُ الْكُوفَةِ بِتَخْفِيفِ السِّينِ عَلَى حَذْفِ إِحْدَى التَّاءَيْنِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا﴾[المَائِدَة:٢]، ﴿وَالْأَرْحَامَ﴾: قِرَاءَةُ الْعَامَّةِ بِالنَّصْبِ أَيْ: وَاتَّقُوا الْأَرْحَامَ أَنْ تَقْطَعُوهَا، وَقَرَأَ حَمْزَةُ بِالْخَفْضِ، أَيْ: بِهِ وَبِالْأَرْحَام كَمَا يُقَالُ: (سَأَلْتُكَ بِاللهِ وَالْأَرْحَام)، وَالقِرَاءَةُ الْأُولَى أَفْصَحُ؛ لِأَنَّ الْعَرَبَ لَا تَكَادُ تُنَسِّقُ بِظَاهِرٍ عَلَى مكنًى إِلَّا أَنْ تُعِيدَ الْخَافِضَ فَتَقُولُ: (مَرَرْتُ بِهِ وَبِزَيْدٍ) إِلَّا أَنَّهُ جَائِزٌ مَعَ قِلَّتِهِ، ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾: أَيْ: حَافِظًا.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَآتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ﴾: خِطَابٌ لِلْأَوْلِيَاءِ وَالْأَوْصِيَاءِ، **وَالْيَتَامَى**: جَمْعُ يَتِيمٍ، **وَالْيَتِيمُ**: اسْمٌ لِصَغِيرٍ لَا أَبَ لَهُ وَلَا جَدَّ، وَإِنَّمَا يُدْفَعُ الْمَالُ إِلَيْهِمْ بَعْدَ الْبُلُوغِ، وَسَمَّاهُمْ يَتَامَى هَاهُنَا عَلَى مَعْنَى أَنَّهُمْ كَانُوا يَتَامَى، ﴿وَلَا تَتَبَدَّلُوا﴾: أَيْ: لَا تَسْتَبْدِلُوا ﴿الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ﴾: أَيْ: مَالَهُمُ الَّذِي هُوَ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ بِالْحَلَالِ مِنْ أَمْوَالِكُمْ، **وَاخْتَلَفُوا فِي هَذَا التَّبَدُّلِ، قَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ وَالنَّخَعِيُّ وَالزُّهْرِيُّ وَالسُّدِّيُّ**: كَانَ أَوْلِيَاءُ الْيَتَامَى يَأْخُذُونَ الْجَيِّدَ مِنْ مَالِ الْيَتِيمِ وَيَجْعَلُونَهُ مَكَانَ الرَّدِيءِ، فَرُبَّمَا كَانَ أَحَدُهُمْ يَأْخُذُ الشَّاةَ السَّمِينَةَ مِنْ مَالِ الْيَتِيمِ وَيَجْعَلُ مَكَانَهَا الْمَهْزُولَةَ، وَيَأْخُذُ الدِّرْهَمَ الْجَيِّدَ وَيَجْعَلُ مَكَانَهُ الزَّيْفَ، وَيَقُولُ: دِرْهَمٌ بِدِرْهَمٍ، فَنُهُوا عَنْ ذَلِكَ. **وَقِيلَ**: كَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ لَا يُوَرِّثُونَ النِّسَاءَ وَالصِّبْيَانَ وَيَأْخُذُ الْأَكْبَرُ الْمِيرَاثَ، فَنَصِيبُهُ مِنَ الْمِيرَاثِ

طَيِّبٌ، وَهَذَا الَّذِي يَأْخُذهُ مِنْ نَصِيبِ غَيْرِه خَبِيثٌ، **وَقَالَ مُجَاهِدٌ**: لَا تَتَعَجَّلِ الرِّزْقَ الْحَرَامَ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكَ الْحَلَالُ، ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْۚ﴾: أَيْ: مَعَ أَمْوَالِكُمْ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾[آل عِمْرَان:٥٢] أَيْ: مَعَ اللهِ ﴿إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾: أَيْ: إِثْمًا عَظِيمًا.

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُواْ فِي ٱلْيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُواْ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ ﴿٣﴾ وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةًۚ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُواْ فِي ٱلْيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۖ﴾: **اخْتَلَفُوا فِي تَأْوِيلِهَا، فَقَالَ بَعْضُهُمْ**: مَعْنَاهُ: إِنْ خِفْتُمْ يَا أَوْلِيَاءَ الْيَتَامَى أَنْ لَا تَعْدِلُوا فِيهِنَّ إِذَا نَكَحْتُمُوهُنَّ فَانْكِحُوا غَيْرَهُنَّ مِنَ الْغَرَائِبِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاع.

عَنْ عُرْوَةَ بْن الزُّبَيْرِ رضي الله عنه، أَنَّهُ سَأَلَ عَائِشَةَ رضي الله عنها عَنِ قَوْلِهِ: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُواْ فِي ٱلْيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ قَالَتْ: هِيَ الْيَتِيمَةُ تَكُونُ فِي حِجْرِ وَلِيِّهَا فَيَرْغَبُ فِي جَمَالِهَا وَمَالِهَا وَيُرِيدُ أَنْ يَتَزَوَّجَهَا بِأَدْنَى مِنْ سُنَّةِ نِسَائِهَا، فَنُهُوا عَنْ نِكَاحِهِنَّ إِلَّا أَنْ يُقْسِطُوا لَهُنَّ فِي إِكْمَالِ الصَّدَاقِ، وَأُمِرُوا بِنِكَاحِ مَنْ سِوَاهُنَّ مِنَ النِّسَاءِ، قَالَتْ عَائِشَةُ رضي الله عنها: ثُمَّ اسْتَفْتَى النَّاسُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي ٱلنِّسَآءِۖ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ﴾ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ﴾[النِّسَاء:١٢٧]، قَالَتْ: فَبَيَّنَ اللهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ أَنَّ الْيَتِيمَةَ إِذَا كَانَتْ ذَاتَ جَمَالٍ أَوْ مَالٍ، رَغِبُوا فِي نِكَاحِهَا وَلَمْ يُلْحِقُوهَا بِسُنَّتِهَا بِإِكْمَالِ الصَّدَاقِ، وَإِذَا كَانَتْ مَرْغُوبَةً عَنْهَا فِي قِلَّةِ الْمَالِ وَالْجَمَالِ تَرَكُوهَا وَالْتَمَسُوا غَيْرَهَا مِنَ النِّسَاءِ، قَالَ: فَكَمَا يَتْرُكُونَهَا حِينَ يَرْغَبُونَ عَنْهَا فَلَيْسَ لَهُمْ أَنْ يَنْكِحُوهَا إِذَا رَغِبُوا فِيهَا إِلَّا أَنْ يُقْسِطُوا لَهَا الْأَوْفَى مِنَ الصَّدَاقِ وَيُعْطُوهَا حَقَّهَا[١].

(١) **صحيح**: البخاري: (٢٧٦٣)، ومسلم: (٣٠١٨).

قَالَ الْحَسَنُ: كَانَ الرَّجُلُ مِنْ أَهْلِ الجَاهِلِيَّةِ يَكُونُ عِنْدَهُ الْأَيْتَامُ وَفِيهِنَّ مَنْ يَحِلُّ لَهُ نِكَاحُهَا، فَيَتَزَوَّجُهَا لِأَجْلِ مَالِهَا وَهِيَ لَا تُعْجِبُهُ؛ كَرَاهِيَةَ أَنْ يَدْخُلَهُ غَرِيبٌ فَيُشَارِكُهُ فِي مَالِهَا، ثُمَّ يُسِيءُ صُحْبَتَهَا وَيَتَرَبَّصُ أَنْ تَمُوتَ وَيَرِثهَا، فَعَابَ اللهُ تَعَالَى ذَلِكَ، وَأَنْزَلَ اللهُ هَذِهِ الْآيَةَ[1]. ثُمَّ رَخَّصَ فِي نِكَاحِ أَرْبَعٍ فَقَالَ: ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تَعۡدِلُواْ﴾: فِيهِنَّ ﴿فَوَٰحِدَةً﴾: **وَقَالَ مُجَاهِدٌ**: مَعْنَاهُ: إِنْ تَحَرَّجْتُمْ مِنْ وِلَايَةِ الْيَتَامَى وَأَمْوَالِهِمْ إِيمَانًا فَكَذَلِكَ تَحَرَّجُوا مِنَ الزِّنَا فَانْكِحُوا النِّسَاءَ الْحَلَالَ نِكَاحًا طَيِّبًا ثُمَّ بَيَّنَ لَهُمْ عَدَدًا، وَكَانُوا يَتَزَوَّجُونَ مَا شَاؤُوا مِنْ غَيْرِ عَدَدٍ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾: أَيْ: مَنْ طَابَ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا﴾[الشَّمْس:٥] أَيْ: وَمَنْ بَنَاهَا، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قَالَ فِرۡعَوۡنُ وَمَا رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[الشُّعَرَاء:٢٣]، وَالْعَرَبُ تَضَعُ (مَنْ) وَ(مَا) كُلَّ وَاحِدَةٍ مَوْضِعَ الْأُخْرَى، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰ بَطۡنِهِۦ وَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰ رِجۡلَيۡنِ﴾[النُّور:٤٥]. وَ﴿طَابَ﴾: أَيْ: حَلَّ ﴿لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۖ﴾: مَعْدُولَاتٍ عَنِ: (اثْنَيْنِ، وَثَلَاث، وَأَرْبَع)، وَلِذَلِكَ لَا يُصْرَفْنَ، وَ(الْوَاوُ) بِمَعْنَى: (أَوْ)، لِلتَّخْيِيرِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثۡنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ﴾[سَبَأ:٤٦]، وَقَوْلِهِ: ﴿أُوْلِيٓ أَجۡنِحَةٖ مَّثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ﴾[فَاطِر:١]، وَهَذَا إِجْمَاعٌ أَنَّ أَحَدًا مِنَ الْأُمَّةِ لَا يَجُوزُ لَهُ أَنْ يَزِيدَ عَلَى أَرْبَعِ نِسْوَةٍ، وَكَانَتِ الزِّيَادَةُ مِنْ خَصَائِصِ النَّبِيِّ ﷺ لَا مُشَارَكَةَ مَعَهُ لِأَحَدٍ مِنَ الْأُمَّةِ فِيهَا. **وَرُوِيَ أَنَّ قَيْسَ بْنَ الْحَارِث** كَانَ تَحْتَهُ ثَمَان نِسْوَةٍ، فَلَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ قَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«طَلِّقْ أَرْبَعًا وَأَمْسِكْ أَرْبَعًا»**،

---

(١) قال الإمام الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **قال الإمام البخاريُّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ ج(٩) ص(٣٠٧): حدثنا إبراهيم بن موسى، أخبرنا هشام، عن ابن جريج، قال: أخبرني هشام بن عروة، عن أبيه، **عن عائشة** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، أنَّ رجلًا كانت له يتيمةٌ فنكَحَهَا، وكان لها عَذْقٌ، وكان يُمسِكُها عليه، ولم يكن لها من نفسه شيء، فنزلت فيه: ﴿وَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تُقۡسِطُواْ فِي ٱلۡيَتَٰمَىٰ﴾ أحسِبُهُ قال: كانت شريكتَهُ في ذلك العَذْقِ وفي مالِهِ. الحديث أخرجه ابن جرير في «تفسيره» ج(٤) ص(٢٣٢)، وأخرجه مسلم ج(١٨) ص(١٥٥).اهـ «الصحيح المسند من أسباب النزول» ص(٧٣). **وَقَوْلُهُ**: «**عَذْقٌ**»: بفتح العين المهملة وسكون المعجمة، النخلة. **وَقَوْلُهُ**: «**أَحْسِبُهُ قَالَ...**»: هو شكٌّ من هشام بن يوسف.اهـ «الفتح» (٨/ ٢٣٩).

قَالَ: فَجَعَلْتُ أَقُولُ لِلْمَرْأَةِ الَّتِي لَمْ تَلِدْ: يَا فُلَانَةُ أَدْبِرِي، وَلِلَّتِي قَدْ وَلَدَتْ: يَا فُلَانَةُ أَقْبِلِي[(١)]. **وَرُوِيَ أَنَّ غَيْلَانَ بْنَ سَلَمَةَ الثَّقَفِيَّ** أَسْلَمَ وَعِنْدَهُ عَشْرُ نِسْوَةٍ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَمْسِكْ أَرْبَعًا وَفَارِقْ سَائِرَهُنَّ**»[(٢)]. وَإِذَا جَمَعَ الْحُرُّ بَيْنَ أَرْبَعِ نِسْوَةٍ حَرَائِرَ يَجُوزُ، فَأَمَّا الْعَبْدُ فَلَا يَجُوزُ لَهُ أَنْ يَنْكِحَ أَكْثَرَ مِنِ امْرَأَتَيْنِ عِنْدَ أَكْثَرِ أَهْلِ الْعِلْمِ.

عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه، أَنَّهُ قَالَ: يَنْكِحُ العَبْدُ امْرَأَتَيْنِ، وَيُطَلِّقُ تَطْلِيقَتَيْنِ، وَتَعْتَدُّ الْأَمَةُ بِحَيْضَتَيْنِ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَحِيضُ فَبِشَهْرَيْنِ أَوْ شَهْرٍ وَنِصْفٍ[(٣)]. **وَقَالَ رَبِيعَةُ**: يَجُوزُ لِلْعَبْدِ أَنْ يَنْكِحَ أَرْبَعَ نِسْوَةٍ كَالْحُرِّ.

﴿فَإِنْ خِفْتُمْ﴾: خَشِيتُمْ، **وَقِيلَ**: عَلِمْتُمْ ﴿أَلَّا تَعْدِلُوا﴾: بَيْنَ الْأَزْوَاجِ الْأَرْبَعِ ﴿فَوَاحِدَةً﴾: أَيْ: فَانْكِحُوا وَاحِدَةً، وَقَرَأَ أَبُو جَعْفَرٍ ﴿فَواحِدَةٌ﴾ بِالرَّفْعِ، ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾: يَعْنِي: السَّرَارِيَّ؛ لِأَنَّهُ لَا يَلْزَمُ فِيهِنَّ مِنَ الْحُقُوقِ مَا يَلْزَمُ فِي الْحَرَائِرِ وَلَا قَسْمَ [-أَيْ: قَدْرَ-] لَهُنَّ، وَلَا وَقْفَ فِي عَدَدِهِنَّ، وَذِكْرُ الْأَيْمَانِ بَيَانٌ تَقْدِيرُهُ: أَوْ مَا مَلَكْتُمْ، ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ﴾: أَقْرَب ﴿أَلَّا تَعُولُوا﴾: أَيْ: لَا تَجُوروا وَلَا تَمِيلُوا، يُقَالُ: (مِيزَانٌ عَائِلٌ)، أَيْ: جَائِرٌ مَائِلٌ، **هَذَا قَوْلُ أَكْثَرِ الْمُفَسِّرِينَ، وَقَالَ مُجَاهِدٌ**: أَنْ لَا تَضِلُّوا، **وَقَالَ الْفَرَّاءُ**: أَنْ لَا تُجَاوِزُوا مَا فَرَضَ اللهُ عَلَيْكُمْ، وَأَصْلُ الْعَوْلِ: (الْمُجَاوَزَةُ)، وَمِنْهُ عَوْلُ الْفَرَائِضِ.

﴿وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً﴾: **قَالَ الْكَلْبِيُّ وَمُجَاهِدٌ**: هَذَا الْخِطَابُ لِلْأَوْلِيَاءِ، وَذَلِكَ أَنَّ وَلِيَّ الْمَرْأَةِ كَانَ إِذَا زَوَّجَهَا فَإِنْ كَانَتْ مَعَهُمْ فِي الْعَشِيرَةِ لَمْ يُعْطِهَا مِنْ مَهْرِهَا قَلِيلًا وَلَا كَثِيرًا، وَإِنْ كَانَ زَوْجُهَا غَرِيبًا حَمَلُوهَا إِلَيْهِ عَلَى بَعِيرٍ وَلَمْ يُعْطُوهَا مِنْ مَهْرِهَا غَيْرَ ذَلِكَ، فَنَهَاهُمْ عَنْ ذَلِكَ وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَدْفَعُوا الحَقَّ إِلَى أَهْلِهِ. **قَالَ الْحَضْرَمِيُّ**: وَكَانَ أَوْلِيَاءُ النِّسَاءِ يُعْطِي هَذَا أُخْتَهُ عَلَى أَنْ يُعْطِيَهُ الْآخَرُ أُخْتَهُ، وَلَا مَهْرَ بَيْنَهُمَا، فَنُهُوا عَنْ ذَلِكَ وَأُمِرُوا بِتَسْمِيَةِ الْمَهْرِ فِي الْعَقْدِ.

---

(١) **صحيح**: صحَّحه العلَّامة الألباني رحمه الله في "صحيح وضعيف سنن أبي داود" (٢٢٤١).

(٢) **صحيح**: صحَّحه العلَّامة الألباني رحمه الله في "صحيح وضعيف سنن الترمذي" (١١٢٨).

(٣) **صحيح**: صحَّحه العلَّامة الألباني رحمه الله في "الإرواء" (٢٠٦٧).

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ «**نَهَى عَنِ الشِّغَارِ**». **وَالشِّغَارُ**: أَنْ يُزَوِّجَ الرَّجُلُ ابْنَتَهُ عَلَى أَنْ يُزَوِّجهُ الْآخَرُ ابْنَتَهُ، وَلَيْسَ بَيْنَهُمَا صَدَاقٌ[(١)].

وَقَالَ الآخَرُونَ: الْخِطَابُ لِلْأَزْوَاجِ أُمِرُوا بِإِيتَاءِ نِسَائِهِمُ الصَّدَاقَ، وَهَذَا أَصَحُّ، لِأَنَّ الْخِطَابَ فِيمَا قَبْلُ مَعَ النَّاكِحِينَ، **وَالصَّدُقَاتُ**: الْمُهُورُ، وَاحِدُهَا: (صَدُقَةٌ)، ﴿نِحْلَةً﴾: **قَالَ قَتَادَةُ**: فَرِيضَة، **وَقَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ**: فَرِيضَة مُسَمَّاة، **قَالَ أَبُو عُبَيْدَة**: وَلَا تَكُونُ النِّحْلَةُ إِلَّا مُسَمَّاةً مَعْلُومَةً، **وَقَالَ الْكَلْبِيُّ**: عَطِيَّةً وَهِبَةً، **وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ**: عَنْ طِيبِ نَفْسٍ، **وَقَالَ الزَّجَّاجُ**: تَدَيُّنًا.

عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَحَقُّ الشُّرُوطِ أَنْ تُوفُوا بِهِ مَا اسْتَحْلَلْتُمْ بِهِ الْفُرُوجَ**»[(٢)].

﴿فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا﴾: يَعْنِي: فَإِنْ طَابَتْ نُفُوسُهُنَّ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ فَوَهَبْنَ مِنْكُمْ، فَنَقَلَ الْفِعْلَ مِنَ النُّفُوسِ إِلَى أَصْحَابِهَا، فَخَرَجَتِ النَّفْسُ مُفَسَّرَةً، فَلِذَلِكَ وَحَّدَ النَّفْسَ كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾[العَنْكَبُوت:٣٣]، ﴿وَقَرِّي عَيْنًا﴾[مَرْيَم:٢٦]، **وَقِيلَ**: لَفْظُهَا وَاحِدٌ وَمَعْنَاهَا جَمْعٌ، ﴿فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا﴾: سَائِغًا طَيِّبًا، يُقَالُ: هَنَأَ -فِي الطَّعَامِ- يَهْنِئُ) بِفَتْحِ النُّونِ فِي الْمَاضِي وَكَسْرِهَا فِي الحَاضِرِ، **وَقِيلَ**: الْهَنِيءُ: الطَّيِّبُ الْمُسَاغُ الَّذِي لَا يُنَغِّصُهُ شَيْءٌ، وَالْمَرِيءُ: الْمَحْمُودُ الْعَاقِبَةِ التَّامُّ الْهَضْمِ الَّذِي لَا يَضُرُّ، قَرَأَ أَبُو جَعْفَرٍ ﴿هَنِيًّا مَرِيًّا﴾ بِتَشْدِيدِ اليَاءِ فِيهِمَا مِنْ غَيْرِ هَمْزَةٍ، وَكَذَلِكَ: ﴿بَرِيٌّ﴾ وَ﴿بَرِيُّونَ﴾ وَ﴿بَرِيًّا﴾ وَ﴿كَهَيَّةِ﴾، وَالْآخَرُونَ يَهْمِزُونَهَا.

﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا﴾: **اخْتَلَفُوا فِي هَؤُلَاءِ السُّفَهَاءِ، فَقَالَ قَوْمٌ**: هُمُ النِّسَاءُ، **وَقَالَ الضَّحَّاكُ**: النِّسَاءُ مِنْ أَسْفَهِ السُّفَهَاءِ، **وَقَالَ**

(١) **صحيح**: البخاري: (٥١١٢)، ومسلم: (١٤١٥).
(٢) **صحيح**: البخاري: (٢٧٢١)، ومسلم: (١٤١٨).

مُجَاهِدٌ: نَهَى الرِّجَالَ أَنْ يُؤْتُوا النِّسَاءَ أَمْوَالَهُمْ وَهُنَّ سُفَهَاء، سَوَاءٌ كُنَّ أَزْوَاجًا أَوْ بَنَاتٍ أَوْ أُمَّهَاتٍ، **وَقَالَ آخَرُونَ**: هُمُ الْأَوْلَادُ، **قَالَ الزُّهْرِيُّ**: يَقُولُ لَا تُعْطِ وَلَدَكَ السَّفِيهَ مَالَكَ الَّذِي هُوَ قِيَامُكَ بَعْدَ اللهِ تَعَالَى فَيُفْسِدُهُ، **وَقَالَ بَعْضُهُمْ**: هُمُ النِّسَاءُ وَالصِّبْيَانُ، **وَقَالَ الْحَسَنُ**: هِيَ امْرَأَتُكَ السَّفِيهَةُ وَابْنُكَ السَّفِيهُ، **وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ**: لَا تَعْمَدْ إِلَى مَالِكَ الَّذِي خَوَّلَكَ اللهُ وَجَعَلَهُ لَكَ مَعِيشَةً فَتُعْطِيهِ امْرَأَتَكَ أَوبَنِيكَ فَيَكُونُوا هُمُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ عَلَيْكَ، ثُمَّ تَنْظُرُ إِلَى مَا فِي أَيْدِيهِمْ، وَلَكِنْ أَمْسِكْ مَالَكَ وَأَصْلِحْهُ وَكُنْ أَنْتَ الَّذِي تُنْفِقُ عَلَيْهِمْ فِي رِزْقِهِمْ وَمُؤْنَتِهِمْ، **قَالَ الْكَلْبِيُّ**: إِذَا عَلِمَ الرَّجُلُ أَنَّ امْرَأَتَهُ سَفِيهَةٌ مُفْسِدَةٌ وَأَنَّ وَلَدَهُ سَفِيهٌ مُفْسِدٌ فَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يُسَلِّطَ وَاحِدًا مِنْهُمَا عَلَى مَالِهِ فَيُفْسِدَهُ، **وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ وَعِكْرِمَةُ**: هُوَ مَالُ الْيَتِيمِ يَكُونُ عِنْدَكَ، يَقُولُ: لَا تُؤْتِهِ إِيَّاهُ، وَأَنْفِقْ عَلَيْهِ حَتَّى يَبْلُغَ، وَإِنَّمَا أَضَافَ إِلَى الْأَوْلِيَاءِ فَقَالَ: ﴿أَمْوَالَكُمُ﴾؛ لِأَنَّهُمْ قِوَامُهَا وَمُدَبِّرُوهَا.

وَالسَّفِيهُ الَّذِي لَا يَجُوزُ لِوَلِيِّهِ أَنْ يُؤْتِيَهُ مَالَهُ هُوَ الْمُسْتَحِقُّ الحَجْرَ [-أَيِ: المَنْعَ-] عَلَيْهِ، وَهُوَ أَنْ يَكُونَ مُبَذِّرًا فِي مَالِهِ أَوْ مُفْسِدًا فِي دِينِهِ فَقَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ﴾: أَيِ: الْجُهَّالَ بِمَوْضِعِ الْحَقِّ ﴿أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا﴾: قَرَأَ نَافِعٌ وَابْنُ عَامِرٍ: ﴿قَيِّمًا﴾ بِلَا أَلِفٍ، وَقَرَأَ الْآخَرُونَ: ﴿قِيَٰمًا﴾ وَأَصْلُهُ: (قِوَامًا)، فَانْقَلَبَتِ الْوَاوُ يَاءً لِانْكِسَارِ مَا قَبْلَهَا، وَهُوَ: مَلَاكُ الْأَمْرِ وَمَا يَقُومُ بِهِ الْأَمْرُ، وَأَرَادَ هَاهُنَا: قِوَامَ عَيْشِكُمُ الَّذِي تَعِيشُونَ بِهِ، **قَالَ الضَّحَّاكُ**: بِهِ يُقَامُ الْحَجُّ وَالْجِهَادُ وَأَعْمَالُ الْبِرِّ، وَبِهِ فَكَاكُ الرِّقَابِ مِنَ النَّارِ.

﴿وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا﴾: أَيْ: أَطْعِمُوهُمْ ﴿وَٱكْسُوهُمْ﴾: لِمَنْ يَجِبُ عَلَيْكُمْ رِزْقُهُ وَمُؤْنَتُهُ، وَإِنَّمَا قَالَ: ﴿فِيهَا﴾ وَلَمْ يَقُلْ: مِنْهَا؛ لِأَنَّهُ أَرَادَ: اجْعَلُوا لَهُمْ فِيهَا رِزْقًا، فَإِنَّ الرِّزْقَ مِنَ اللهِ: الْعَطِيَّةُ مِنْ غَيْرِ حَدٍّ، وَمِنَ العِبَادِ: أَجْرٌ مُؤَقَّتٌ مَحْدُودٌ، ﴿وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾: عِدَةً جَمِيلَةً، **وَقَالَ عَطَاءٌ**: يَقُولُ إِذَا رَبِحْتُ أَعْطَيْتُكَ، وَإِنْ غَنِمْتُ جَعَلْتُ لَكَ حَظًّا، **وَقِيلَ**:

هُوَ الدُّعَاءُ، **وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ**: إِنْ لَمْ يَكُنْ مِمَّنْ تَجِبُ عَلَيْكَ نَفَقَتُهُ، فَقُلْ لَهُ: عَافَانَا اللهُ وَإِيَّاكَ، بَارَكَ اللهُ فِيكَ، **وَقِيلَ**: قَوْلًا لَيِّنًا تَطِيبُ بِهِ نُفُوسُهُمْ.

﴿وَٱبۡتَلُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنۡ ءَانَسۡتُم مِّنۡهُمۡ رُشۡدٗا فَٱدۡفَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ وَلَا تَأۡكُلُوهَآ إِسۡرَافٗا وَبِدَارًا أَن يَكۡبَرُواْۚ وَمَن كَانَ غَنِيّٗا فَلۡيَسۡتَعۡفِفۡۖ وَمَن كَانَ فَقِيرٗا فَلۡيَأۡكُلۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِذَا دَفَعۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡ فَأَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِمۡۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبٗا﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَٱبۡتَلُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰ﴾: أَيِ: اخْتَبِرُوهُمْ فِي عُقُولِهِمْ وَأَدْيَانِهِمْ وَحِفْظِهِمْ أَمْوَالَهُمْ، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ﴾: أَيْ: مَبْلَغَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ، ﴿فَإِنۡ ءَانَسۡتُم﴾: أَبْصَرْتُمْ ﴿مِّنۡهُمۡ رُشۡدٗا﴾: **قَالَ الْمُفَسِّرُونَ**: يَعْنِي: عَقْلًا وَصَلَاحًا فِي الدِّينِ وَحِفْظًا لِلْمَالِ وَعِلْمًا بِمَا يُصْلِحُهُ، **قَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ وَمُجَاهِدٌ وَالشَّعْبِيُّ**: لَا يَدْفَعُ إِلَيْهِ مَالَهُ -وَإِنْ كَانَ شَيْخًا- حَتَّى يُؤْنَسَ مِنْهُ رُشْدُهُ، وَالِابْتِلَاءُ يَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ أَحْوَالِهِمْ، فَإِنْ كَانَ مِمَّنْ يَتَصَرَّفُ فِي السُّوقِ فَيَدْفَعُ الْوَلِيُّ إِلَيْهِ شَيْئًا يَسِيرًا مِنَ الْمَالِ وَيَنْظُرُ فِي تَصَرُّفِهِ، وَإِنْ كَانَ مِمَّنْ لَا يَتَصَرَّفُ فِي السُّوقِ فَيَخْتَبِرُهُ فِي نَفَقَةِ دَارِهِ، وَالْإِنْفَاقِ عَلَى عَبِيدِهِ وَأُجَرَائِهِ، وَتُخْتَبَرُ الْمَرْأَةُ فِي أَمْرِ بَيْتِهَا وَحِفْظِ مَتَاعِهَا وَغَزْلِهَا وَاسْتِغْزَالِهَا، فَإِذَا رَأَى حُسْنَ تَدْبِيرِهِ وَتَصَرُّفِهِ فِي الْأُمُورِ مِرَارًا يَغْلِبُ عَلَى الْقَلْبِ رُشْدُهُ، دَفَعَ الْمَالَ إِلَيْهِ.

وَاعْلَمْ أَنَّ اللهَ تَعَالَى عَلَّقَ زَوَالَ الْحَجْرِ عَنِ الصَّغِيرِ وَجَوَازَ دَفْعِ الْمَالِ إِلَيْهِ بِشَيْئَيْنِ: بِالْبُلُوغِ وَالرُّشْدِ، وَالْبُلُوغُ يَكُونُ بِأَحَدِ أَشْيَاءَ أَرْبَعَةٍ: اثْنَانِ يَشْتَرِكُ فِيهِمَا الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ، وَاثْنَانِ تَخْتَصَّانِ بِالنِّسَاءِ، فَمَا يَشْتَرِكُ فِيهِ الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ أَمْرَانِ: أَحَدُهُمَا: السِّنُّ، وَالثَّانِي: الِاحْتِلَامُ، أَمَّا السِّنُّ: فَإِذَا اسْتَكْمَلَ الْمَوْلُودُ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً حُكِمَ بِبُلُوغِهِ غُلَامًا كَانَ أَوْ جَارِيَةً.

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: عُرِضْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ عَامَ أُحُدٍ وَأَنَا ابْنُ أَرْبَعَ عَشْرَةَ سَنَةً، فَرَدَّنِي، ثُمَّ عُرِضْتُ عَلَيْهِ عَامَ الْخَنْدَقِ وَأَنَا ابْنُ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً

فَأَجَازَنِي، **قَالَ نَافِعٌ**: فَحَدَّثْتُ بِهَذَا الْحَدِيثِ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ، فَقَالَ: هَذَا فَرْقٌ بَيْنَ الْمُقَاتَلَةِ وَالذُّرِّيَّةِ، وَكَتَبَ أَنْ يُفْرَضَ لِابْنِ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً فِي الْمُقَاتَلَةِ، وَمَنْ لَمْ يَبْلُغْهَا فِي الذُّرِّيَّةِ[(١)]. **وَهَذَا قَوْلُ أَكْثَرِ أَهْلِ الْعِلْمِ. وَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ** ﵀: بُلُوغُ الْجَارِيَةِ بِاسْتِكْمَالِ سَبْعَ عَشْرَةَ سَنَةً، وَبُلُوغُ الْغُلَامِ بِاسْتِكْمَالِ ثَمَانِي عَشْرَةَ سَنَةً.

وَأَمَّا الِاحْتِلَامُ: فَنَعْنِي بِهِ نُزُولَ الْمَنِيِّ، سَوَاءً كَانَ بِالِاحْتِلَامِ أَوْ بِالْجِمَاعِ أَوْ غَيْرِهِمَا، فَإِذَا وُجِدَ ذَلِكَ بَعْدَ اسْتِكْمَالِ تِسْعِ سِنِينَ مِنْ أَيِّهِمَا كَانَ حُكِمَ بِبُلُوغِهِ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟﴾[النُّور:٥٩]، وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِمُعَاذٍ فِي الْجِزْيَةِ حِينَ بَعَثَهُ إِلَى الْيَمَنِ: «**خُذْ مِنْ كُلِّ حَالِمٍ دِينَارًا**»[(٢)].

وَأَمَّا الْإِنْبَاتُ: -وَهُوَ نَبَاتُ الشَّعْرِ الْخَشِنِ حَوْلَ الْفَرَجِ- فَهُوَ بُلُوغٌ فِي أَوْلَادِ الْمُشْرِكِينَ؛ لِمَا رُوِيَ **عَنْ عَطِيَّةَ الْقُرَظِيِّ** قَالَ: كُنْتُ مِنْ سَبْيِ قُرَيْظَةَ، فَكَانُوا يَنْظُرُونَ: فَمَنْ أَنْبَتَ الشَّعْرَ قُتِلَ، وَمَنْ لَمْ يُنْبِتْ لَمْ يُقْتَلْ، فَكُنْتُ مِمَّنْ لَمْ يُنْبِتْ[(٣)].

وَهَلْ يَكُونُ ذَلِكَ بُلُوغًا فِي أَوْلَادِ الْمُسْلِمِينَ؟ فِيهِ قَوْلَانِ، أَحَدُهُمَا: يَكُونُ بُلُوغًا كَمَا فِي أَوْلَادِ الْكُفَّارِ، وَالثَّانِي: لَا يَكُونُ بُلُوغًا لِأَنَّهُ يُمْكِنُ الْوُقُوفُ عَلَى مَوَالِيدِ الْمُسْلِمِينَ بِالرُّجُوعِ إِلَى آبَائِهِمْ، وَفِي الْكُفَّارِ لَا يُوقَفُ عَلَى مَوَالِيدِهِمْ، وَلَا يُقْبَلُ قَوْلُ آبَائِهِمْ فِيهِ لِكُفْرِهِمْ، فَجُعِلَ الْإِنْبَاتُ الَّذِي هُوَ أَمَارَةُ الْبُلُوغِ بُلُوغًا فِي حَقِّهِمْ.

وَأَمَّا مَا يَخْتَصُّ بِالنِّسَاءِ: فَالْحَيْضُ وَالْحَبَلُ، فَإِذَا حَاضَتِ الْمَرْأَةُ بَعْدَ اسْتِكْمَالِ تِسْعِ سِنِينَ يُحْكَمُ بِبُلُوغِهَا، وَكَذَلِكَ إِذَا وَلَدَتْ يُحْكَمُ بِبُلُوغِهَا قَبْلَ الْوَضْعِ بِسِتَّةِ أَشْهُرٍ لِأَنَّهَا أَقَلُّ مُدَّةِ الْحَمْلِ.

وَأَمَّا الرُّشْدُ: فَهُوَ أَنْ يَكُونَ مُصْلِحًا فِي دِينِهِ وَمَالِهِ، وَالصَّلَاحُ فِي الدِّينِ: هُوَ أَنْ يَكُونَ مُجْتَنِبًا عَنِ الْفَوَاحِشِ وَالْمَعَاصِي الَّتِي تُسْقِطُ الْعَدَالَةَ، وَالصَّلَاحُ فِي الْمَالِ:

(١) **صحيح:** البخاري: (٢٦٦٤)، ومسلم: (١٨٦٨).

(٢) **صحيح:** صحَّحه العلَّامة الألباني ﵀ في "صحيح وضعيف سنن الترمذي" (٦٢٣).

(٣) **صحيح:** صحَّحه العلَّامة الألباني ﵀ في "صحيح وضعيف سنن الترمذي" (١٥٨٤).

هُوَ أَنْ لَا يَكُونَ مُبَذِّرًا، وَالتَّبْذِيرُ: هُوَ أَنْ يُنْفِقَ مَالَهُ فِيمَا لَا يَكُونُ فِيهِ مَحْمَدَةٌ دُنْيَوِيَّةٌ وَلَا مَثُوبَةٌ أُخْرَوِيَّةٌ، أَوْ لَا يُحْسِنُ التَّصَرُّفَ فِيهَا، فَيَغْبِنُ [-أَيْ: يَنْقِصُ-] فِي الْبُيُوعِ، فَإِذَا بَلَغَ الصَّبِيُّ -وَهُوَ مُفْسِدٌ فِي دِينِهِ وَغَيْرُ مُصْلِحٍ لِمَالِهِ- دَامَ الْحَجْرُ عَلَيْهِ، وَلَا يُدْفَعُ إِلَيْهِ مَالُهُ، وَلَا يُنْفَذُ تَصَرُّفُهُ.

وَعِنْدَ أَبِي حَنِيفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِذَا كَانَ مُصْلِحًا لِمَالِهِ زَالَ الْحَجْرُ عَنْهُ وَإِنْ كَانَ مُفْسِدًا فِي دِينِهِ، وَإِذَا كَانَ مُفْسِدًا لِمَالِهِ قَالَ: لَا يُدْفَعُ إِلَيْهِ الْمَالُ حَتَّى يَبْلُغَ خَمْسًا وَعِشْرِينَ سَنَةً، غَيْرَ أَنَّ تَصَرُّفَهُ يَكُونُ نَافِذًا قَبْلَهُ، وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لِمَنِ اسْتَدَامَ الْحَجْرُ عَلَيْهِ؛ لِأَنَّ اللهَ تَعَالَى قَالَ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُوا۟ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ﴾، أَمَرَ بِدَفْعِ الْمَالِ إِلَيْهِمْ بَعْدَ الْبُلُوغِ وَإِينَاسِ الرُّشْدِ، وَالْفَاسِقُ لَا يَكُونُ رَشِيدًا، وَبَعْدَ بُلُوغِهِ خَمْسًا وَعِشْرِينَ سَنَةً وَهُوَ مُفْسِدٌ لِمَالِهِ بِالِاتِّفَاقِ غَيْرُ رَشِيدٍ، فَوَجَبَ أَنْ لَا يَجُوزُ دَفْعُ الْمَالِ إِلَيْهِ كَمَا قَبْلَ بُلُوغِ هَذَا السِّنِّ.

وَإِذَا بَلَغَ وَأُونِسَ مِنْهُ الرُّشْدُ زَالَ الْحَجْرُ عَنْهُ، وَدُفِعَ إِلَيْهِ الْمَالُ رَجُلًا كَانَ أَوِ امْرَأَةً، تَزَوَّجَ أَوْ لَمْ يَتَزَوَّجْ، **وَعِنْدَ مَالِكٍ** رَحِمَهُ اللَّهُ: إِنْ كَانَتِ امْرَأَةً لَا يُدْفَعُ الْمَالُ إِلَيْهَا مَا لَمْ تَتَزَوَّجْ، فَإِذَا تَزَوَّجَتْ دُفِعَ إِلَيْهَا، وَلَكِنْ لَا يَنفُذُ تَصَرُّفُهَا إِلَّا بِإِذْنِ الزَّوْجِ، مَا لَمْ تَكْبُرْ وَتُجَرِّبْ.

وَإِذَا بَلَغَ الصَّبِيُّ رَشِيدًا وَزَالَ الْحَجْرُ عَنْهُ ثُمَّ عَادَ سَفِيهًا نُظِرَ: فَإِنْ عَادَ مُبَذِّرًا لِمَالِهِ حُجِرَ عَلَيْهِ، وَإِنْ عَادَ مُفْسِدًا فِي دِينِهِ فَعَلَى وَجْهَيْنِ، أَحَدُهُمَا: يُعَادُ الْحَجْرُ عَلَيْهِ كَمَا يُسْتَدَامُ الْحَجْرُ عَلَيْهِ إِذَا بَلَغَ بِهَذِهِ الصِّفَةِ، وَالثَّانِي: لَا يُعَادُ؛ لِأَنَّ حُكْمَ الدَّوَامِ أَقْوَى مِنْ حُكْمِ الِابْتِدَاءِ، **وَعِنْدَ أَبِي حَنِيفَةَ** رَحِمَهُ اللَّهُ: لَا حَجْرَ عَلَى الْحُرِّ الْعَاقِلِ الْبَالِغِ بِحَالٍ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوهَآ﴾: يَا مَعْشَرَ الْأَوْلِيَاءِ ﴿إِسْرَافًا﴾: بِغَيْرِ حَقٍّ، ﴿وَبِدَارًا﴾: أَيْ: مُبَادَرَةً؛ ﴿أَن يَكْبَرُوا۟﴾: وَ(أَنْ) فِي مَحَلِّ النَّصْبِ، يَعْنِي: لَا تُبَادِرُوا كِبَرَهُمْ

وَرُشْدَهُمْ حَذَرًا مِنْ أَنْ يَبْلُغُوا فَيَلْزَمَكُمْ تَسْلِيمَهَا إِلَيْهِمْ، ثُمَّ بَيَّنَ مَا يَحِلُّ لَهُمْ مِنْ مَالِهِمْ فَقَالَ: ﴿وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ﴾: أَيْ: لِيَمْتَنِعْ مِنْ مَالِ الْيَتِيمِ فَلَا يَرْزَأْهُ [-يَنْزَعْهُ وَيَنْقُصْهُ-] قَلِيلًا وَلَا كَثِيرًا، وَالْعِفَّةُ: الِامْتِنَاعُ مِمَّا لَا يَحِلُّ ﴿وَمَن كَانَ فَقِيرًا﴾: مُحْتَاجًا إِلَى مَالِ الْيَتِيمِ وَهُوَ يَحْفَظُهُ وَيَتَعَهَّدُهُ، ﴿فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾.

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما، أَنَّ رَجُلًا أَتَى رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقَالَ: إِنِّي فَقِيرٌ وَلَيْسَ لِي شَيْءٌ، وَلِيَ يَتِيمٌ، فَقَالَ: «**كُلْ مِنْ مَالِ يَتِيمِكَ غَيْرَ مُسْرِفٍ وَلَا مُبَاذِرٍ وَلَا مُتَأَثِّلٍ**»[(١)].

وَاخْتَلَفُوا فِي أَنَّهُ هَلْ يَلْزَمُهُ الْقَضَاءُ؟ فَذَهَبَ بَعْضُهُمْ: إِلَى أَنَّهُ يَقْضِي إِذَا أَيْسَرَ، وَهُوَ الْمُرَادُ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾، وَالْمَعْرُوفُ: الْقَرْضُ، أَيْ: يَسْتَقْرِضُ مِنْ مَالِ الْيَتِيمِ إِذَا احْتَاجَ إِلَيْهِ، فَإِذَا أَيْسَرَ قَضَاهُ، **وَهُوَ قَوْلُ مُجَاهِدٍ وَسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، وَقَالَ الشَّعْبِيُّ**: لَا يَأْكُلْهُ إِلَّا أَنْ يُضْطَرَّ إِلَيْهِ كَمَا يُضْطَرُّ إِلَى الْمَيْتَةِ. **وَقَالَ قَوْمٌ**: لَا قَضَاءَ عَلَيْهِ.

ثُمَّ اخْتَلَفُوا فِي كَيْفِيَّةِ هَذَا الْأَكْلِ بِالْمَعْرُوفِ، فَقَالَ عَطَاءٌ وَعِكْرِمَةُ: يَأْكُلُ بِأَطْرَافِ أَصَابِعِهِ، وَلَا يُسْرِفُ وَلَا يَكْتَسِي مِنْهُ، **وَقَالَ النَّخَعِيُّ**: لَا يَلْبَسُ الْكَتَّانَ وَلَا الْحُلَلَ، وَلَكِنْ مَا سَدَّ الْجَوْعَةَ وَوَارَى الْعَوْرَةَ، **وَقَالَ الْحَسَنُ وَجَمَاعَةٌ**: يَأْكُلُ مِنْ تَمْرِ نَخِيلِهِ وَلَبَنِ مَوَاشِيهِ بِالْمَعْرُوفِ، وَلَا قَضَاءَ عَلَيْهِ، فَأَمَّا الذَّهَبُ وَالْفِضَّةُ فَلَا، فَإِنْ أَخَذَ شَيْئًا مِنْهُ رَدَّهُ، **وَقَالَ الْكَلْبِيُّ**: الْمَعْرُوفُ رُكُوبُ الدَّابَّةِ وَخِدْمَةُ الْخَادِمِ، وَلَيْسَ لَهُ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ مَالِهِ شَيْئًا، **وَقَالَ بَعْضُهُمْ**: الْمَعْرُوفُ أَنْ يَأْخُذَ مِنْ جَمِيعِ مَالِهِ بِقَدْرِ قِيَامِهِ وَأُجْرَةِ عَمَلِهِ، وَلَا قَضَاءَ عَلَيْهِ، **وَهُوَ قَوْلُ عَائِشَةَ وَجَمَاعَةٍ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ**[(٢)].

---

(١) **حسن:** حسَّنه العلَّامة الألباني رحمه الله في «الإرواء» (١٤٥٦).

(٢) قال العلَّامة الإمام الوادعي رحمه الله في كتابه «الصحيح المسند من أسباب النزول» ص(٧٣): **قال الإمام البخاريُّ** رحمه الله ج(٩) ص(٣٠٩): حدثني إسحاقُ، أخبرنا عبدُ الله بنُ نُمير، حدثنا هشامٌ، عن أبيه، **عن عائشة** رضي الله عنها في قوله تعالى: ﴿وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ أنَّها =

﴿فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ﴾: هَذَا أَمْرُ إِرْشَادٍ وَلَيْسَ بِوَاجِبٍ، أَمَرَ الْوَلِيَّ بِالْإِشْهَادِ عَلَى دَفْعِ المَالِ إِلَى اليَتِيمِ بَعْدَمَا بَلَغَ؛ لِتَزُولَ عَنْهُ التُّهْمَةُ وَتَنْقَطِعَ الْخُصُومَةُ، ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾: مُحَاسِبًا وَمُجَازِيًا وَشَاهِدًا.

﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا ﴿٧﴾ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لِلرِّجَالِ﴾: يَعْنِي: لِلذُّكُورِ مِنْ أَوْلَادِ الْمَيِّتِ وَأَقْرِبَائِهِ ﴿نَصِيبٌ﴾: حَظٌّ ﴿مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ﴾: مِنَ الْمِيرَاثِ، ﴿وَلِلنِّسَاءِ﴾: لِلْإِنَاثِ مِنْهُمْ ﴿نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ﴾: أَيْ: مِنَ الْمَالِ، ﴿أَوْ كَثُرَ﴾: مِنْهُ ﴿نَصِيبًا مَفْرُوضًا﴾: نُصِبَ عَلَى الْقَطْعِ، [أَيْ: حَظًّا فَرَضَهُ اللهُ ﷻ وَقَدَّرَهُ].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ﴾: يَعْنِي: قِسْمَةَ المَوَارِيثِ ﴿أُولُو الْقُرْبَى﴾: الَّذِينَ لَا يَرِثُونَ، ﴿وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ﴾: أَيْ: فَارْضَخُوا لَهُمْ مِنَ الْمَالِ قَبْلَ الْقِسْمَةِ، ﴿وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾.

اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي حُكْمِ هَذِهِ الْآيَةِ، فَقَالَ قَوْمٌ: هِيَ مَنْسُوخَةٌ، **وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ وَالضَّحَّاكُ**: كَانَتْ هَذِهِ قَبْلَ آيَةِ الْمِيرَاثِ، فَلَمَّا نَزَلَتْ آيَةُ الْمِيرَاثِ جَعَلَتِ الْمَوَارِيثَ لِأَهْلِهَا، وَنَسَخَتْ هَذِهِ الْآيَةَ. **وَقَالَ الْآخَرُونَ**: هِيَ مُحْكَمَةٌ، وَهُوَ قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ وَالشَّعْبِيِّ وَالنَّخَعِيِّ وَالزُّهْرِيِّ، **وَقَالَ مُجَاهِدٌ**: هِيَ وَاجِبَةٌ عَلَى أَهْلِ الْمِيرَاثِ مَا طَابَتْ بِهِ أَنْفُسُهُمْ، **وَقَالَ الْحَسَنُ**: كَانُوا يُعْطُونَ التَّابُوتَ وَالْأَوَانِيَ وَرَثَّ الثِّيَابِ وَالْمَتَاعَ وَالشَّيْءَ الَّذِي يُسْتَحْيَا مِنْ قِسْمَتِهِ، **وَإِنْ كَانَ بَعْضُ الْوَرَثَةِ طِفْلًا فَقَدِ اخْتَلَفُوا فِيهِ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ** رضي الله عنهما **وَغَيْرُهُ**: إِنْ كَانَتِ الْوَرَثَةُ كِبَارًا رَضَخُوا لَهُمْ، وَإِنْ كَانَتْ

= نزلت في مال اليتيم إذا كان فقيرًا، أنَّهُ يأكُلُ منه مكانَ قيامِهِ عليهِ بمعروفٍ. الحديث أخرجه مسلم ج(١٨) ص(١٦٥) و(١٦٦).اهـ

صِغَارًا اعْتَذَرُوا إِلَيْهِمْ، فَيَقُولُ الوَلِيُّ وَالوَصِيُّ: إِنِّي لَا أَمْلِكُ هَذَا الْمَالَ؛ إِنَّمَا هُوَ لِلصِّغَارِ، وَلَوْ كَانَ لِي مِنْهُ شَيْءٌ لَأَعْطَيْتُكُمْ، وَإِنْ يَكْبُرُوا فَسَيعْرِفُونَ حُقُوقَكُمْ، هَذَا هُوَ الْقَوْلُ بِالْمَعْرُوفِ. **وَقَالَ بَعْضُهُمْ**: ذَلِكَ حَقٌّ وَاجِبٌ فِي أَمْوَالِ الصِّغَارِ وَالْكِبَارِ، فَإِنْ كَانُوا كِبَارًا تَوَلَّوْا إِعْطَاءَهُمْ، وَإِنْ كَانُوا صِغَارًا أَعْطَى وَلِيُّهُمْ، **وَقَالَ بَعْضُهُمْ** - وَهُوَ أَوْلَى الْأَقَاوِيلِ-: إِنَّ هَذَا عَلَى النَّدْبِ وَالِاسْتِحْبَابِ، لَا عَلَى الحَتْمِ وَالإِيجَابِ.

﴿ وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُواْ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُواْ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُواْ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا﴾: أَوْلَادًا صِغَارًا ﴿خَافُواْ عَلَيْهِمْ ﴾: الْفَقْرَ، هَذَا فِي الرَّجُلِ يَحْضُرُهُ الْمَوْتُ، فَيَقُولُ مَنْ بِحَضْرَتِهِ: انْظُرْ لِنَفْسِكَ فَإِنَّ أَوْلَادَكَ وَوَرَثَتَكَ لَا يُغْنُونَ عَنْكَ شَيْئًا، قَدِّمْ لِنَفْسِكَ أَعْتِقْ وَتَصَدَّقْ وَأَعْطِ فُلَانًا كَذَا وَفُلَانًا كَذَا، حَتَّى يَأْتِيَ عَلَى عَامَّةِ مَالِهِ، فَنَهَاهُمُ اللهُ تَعَالَى عَنْ ذَلِكَ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَأْمُرُوهُ أَنْ يَنْظُرَ لِوَلَدِهِ وَلَا يَزِيدَ فِي وَصِيَّتِهِ عَلَى الثُّلُثِ، وَلَا يُجْحِفَ بِوَرَثَتِهِ كَمَا أنه لَوْ كَانَ هَذَا الْقَائِلُ هُوَ الْمُوْصِي لَسَرَّهُ أَنْ يَحُثَّهُ مَنْ بِحَضْرَتِهِ عَلَى حِفْظِ مَالِهِ لِوَلَدِهِ، وَلَا يَدَعَهُمْ عَالَةً مَعَ ضَعْفِهِمْ وَعَجْزِهِمْ، **وَقَالَ الْكَلْبِيُّ**: هَذَا الْخِطَابُ لِوُلَاةِ الْيَتَامَى، يَقُولُ: مَنْ كَانَ فِي حِجْرِهِ يَتِيمٌ فَلْيُحْسِنْ إِلَيْهِ وَلْيَأْتِ إِلَيْهِ فِي حَقِّهِ مَا يُحِبُّ أَنْ يُفْعَلَ بِذُرِّيَّتِهِ مِنْ بَعْدِهِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلْيَتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴾: أَيْ: عَدْلًا، **وَالسَّدِيدُ**: الْعَدْلُ وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ، وَهُوَ أَنْ يَأْمُرُهُ بِأَنْ يَتَصَدَّقَ بِمَا دُوْنَ الثُّلُثِ وَيُخْلِفَ البَاقِي لِوَرَثَتِهِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا ﴾: حَرَامًا بِغَيْرِ حَقٍّ، ﴿إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ﴾: أَخْبَرَ عَنْ مَآلِهِ، أَيْ: عَاقِبَتُهُ تَكُونُ كَذَلِكَ، ﴿وَسَيَصْلَوْنَ

سَعِيرًا﴾: قِرَاءَةُ الْعَامَّةِ بِفَتْحِ الْيَاءِ، أَيْ: يَدْخُلُونَهَا، يُقَالُ: (صَلِيَ النَّارَ يَصْلَاهَا صِلًى وَصِلِيًّا) وَجَدَ حَرَّ النَّارِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ﴾[الصَّافَّات:١٦٣] وَقَرَأَ ابْنُ عَامِرٍ وَأَبُو بَكْرٍ بِضَمِّ الْيَاءِ، أَيْ: يَدْخُلُونَ النَّارَ وَيُحْرَقُونَ، نَظِيرُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا﴾[النِّسَاء:٣٠]، ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾[المُدَّثِّر:٢٦].

﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ فَإِن كُنَّ نِسَآءٗ فَوۡقَ ٱثۡنَتَيۡنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَۖ وَإِن كَانَتۡ وَٰحِدَةٗ فَلَهَا ٱلنِّصۡفُۚ وَلِأَبَوَيۡهِ لِكُلِّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٞۚ فَإِن لَّمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٞ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُۚ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخۡوَةٞ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُۚ مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصِي بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍۗ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ لَا تَدۡرُونَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ لَكُمۡ نَفۡعٗاۚ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ١١ ۞وَلَكُمۡ نِصۡفُ مَا تَرَكَ أَزۡوَٰجُكُمۡ إِن لَّمۡ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٞۚ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٞ فَلَكُمُ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكۡنَۚ مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصِينَ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٖۚ وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكۡتُمۡ إِن لَّمۡ يَكُن لَّكُمۡ وَلَدٞۚ فَإِن كَانَ لَكُمۡ وَلَدٞ فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكۡتُمۚ مِّنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ تُوصُونَ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٖۗ وَإِن كَانَ رَجُلٞ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمۡرَأَةٞ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوۡ أُخۡتٞ فَلِكُلِّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا ٱلسُّدُسُۚ فَإِن كَانُوٓاْ أَكۡثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمۡ شُرَكَآءُ فِي ٱلثُّلُثِۚ مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصَىٰ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍ غَيۡرَ مُضَآرّٖۚ وَصِيَّةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٞ﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ﴾: الْآيَةَ، اعْلَمْ أَنَّ الْوِرَاثَةَ كَانَتْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ **بِالذُّكُورَةِ وَالْقُوَّةِ** فَكَانُوا يُوَرِّثُونَ الرِّجَالَ دُونَ النِّسَاء وَالصِّبْيَان فَأَبْطَلَ اللهُ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٞ مِّمَّا تَرَكَ ٱلۡوَٰلِدَانِ وَٱلۡأَقۡرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٞ﴾ الْآيَةَ، وَكَانَتْ أَيْضًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَابْتِدَاءِ الْإِسْلَام **بِالْمُحَالَفَةِ** قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ عَقَدَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ فَـَٔاتُوهُمۡ نَصِيبَهُمۡۚ﴾[النِّسَاء:٣٣]، ثُمَّ صَارَتِ الْوِرَاثَةُ **بِالْهِجْرَةِ**، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيۡءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ﴾[الأَنفَال:٧٢]، فَنُسِخَ ذَلِكَ كُلُّهُ وَصَارَتِ الْوِرَاثَةُ بِأَحَدِ الْأُمُورِ الثَّلَاثَةِ: **بِالنَّسَبِ** أَوِ **النِّكَاحِ** أَوِ **الوَلَاءِ**.

فَالمَعْنِيُّ بِالنَّسَبِ: أَنَّ الْقَرَابَةَ يَرِثُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۗ﴾[الأنفال:٧٥]. وَالْمَعْنِيُّ بِالنِّكَاحِ: أَنَّ أَحَدَ الزَّوْجَيْنِ يَرِثُ صَاحِبَهُ. وَبِالْوَلَاءِ: أَنَّ الْمُعْتِقَ وَعَصَبَاتِهِ يَرِثُونَ الْمُعْتَقَ، فَنَذْكُرُ بِعَوْنِ اللهِ تَعَالَى فَصْلًا وَجِيزًا فِي بَيَانِ مَنْ يَرِثُ مِنَ الْأَقَارِبِ، وَكَيْفِيَّةِ تَوْرِيثِ الْوَرَثَةِ فَنَقُولُ:

إِذَا مَاتَ مَيِّتٌ وَلَهُ مَالٌ فَيُبْدَأُ: بِتَجْهِيزِهِ، ثُمَّ بِقَضَاءِ دُيُونِهِ، ثُمَّ بِإِنْفَاذِ وَصَايَاهُ، فَمَا فَضُلَ يُقَسَّمُ بَيْنَ الْوَرَثَةِ. ثُمَّ الوَرَثَةُ عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ: مِنْهُمْ مَنْ يَرِثُ بِالْفَرْضِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَرِثُ بِالتَّعْصِيبِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَرِثُ بِهِمَا جَمِيعًا، فَمَنْ يَرِثُ بِالنِّكَاحِ لَا يَرِثُ إِلَّا بِالْفَرْضِ، وَمَنْ يَرِثُ بِالْوَلَاءِ لَا يَرِثُ إِلَّا بِالتَّعْصِيبِ، وَأَمَّا مَنْ يَرِثُ بِالْقَرَابَةِ: فَمِنْهُمْ مَنْ يَرِثُ بِالْفَرْضِ: كَالْبَنَاتِ وَالْأَخَوَاتِ وَالْأُمَّهَاتِ وَالْجَدَّاتِ، وَأَوْلَادِ الْأُمِّ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَرِثُ بِالتَّعْصِيبِ: كَالْبَنِينِ، وَالْإِخْوَةِ وَبَنِي الإِخْوَةِ، وَالأَعْمَامِ وَبَنِيهِمْ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَرِثُ بِهِمَا: كَالْأَبِ يَرِثُ بِالتَّعْصِيبِ إِذَا لَمْ يَكُنْ لِلْمَيِّتِ وَلَدٌ، وَإِنْ كَانَ لِلْمَيِّتِ ابْنٌ فَيَرِثُ الْأَبُ بِالْفَرْضِ السُّدُسَ، وَإِنْ كَانَ لِلْمَيِّتِ بِنْتٌ فَيَرِثُ الْأَبُ السُّدُسَ بِالْفَرْضِ، وَيَأْخُذُ الْبَاقِي بَعْدَ نَصِيبِ الْبِنْتِ بِالتَّعْصِيبِ، وَكَذَلِكَ الْجَدُّ، وَصَاحِبُ التَّعْصِيبِ مَنْ يَأْخُذُ جَمِيعَ المَالِ عِنْدَ الِانْفِرَادِ، وَيَأْخُذُ مَا فَضُلَ عَنْ أَصْحَابِ الْفَرَائِضِ.

وَجُمْلَةُ الْوَرَثَةِ سَبْعَةَ عَشَرَ: عَشَرَةٌ مِنَ الرِّجَالِ، وَسَبْعٌ مِنَ النِّسَاءِ، فَمِنَ الرِّجَالِ: الِابْنُ وَابْنُ الِابْنِ وَإِنْ سَفَلَ، وَالْأَبُ وَالْجَدُّ أَبُو الْأَبِ وَإِنْ عَلَا، وَالْأَخُ سَوَاءٌ كَانَ لِأَبٍ وَأُمٍّ، أَوْ لِأَبٍ، أَوْ لِأُمٍّ، وَابْنُ الأَخِ لِلْأَبِ وَالْأُمِّ أَوْ لِلْأَبِ وَإِنْ سَفَلَ، وَالْعَمُّ لِلْأَبِ وَالْأُمِّ أَوْ لِلْأَبِ وَأَبْنَاؤُهُمَا وَإِنْ سَفَلُوا، وَالزَّوجُ وَمَوْلَى الْعِتَاقِ، وَمِنَ النِّسَاءِ: الْبِنْتُ وَبِنْتُ الِابْنِ وَإِنْ سَفَلَتْ، وَالْأُمُّ وَالْجَدَّةُ أُمُّ الْأُمِّ وَأُمُّ الْأَبِ، وَالْأُخْتُ سَوَاءٌ كَانَتْ لِأَبٍ وَأُمٍّ أَوْ لِأَبٍ أَوْ لِأُمٍّ، وَالزَّوْجَةُ وَمَوْلَاةُ الْعِتَاقِ. وَسِتَّةٌ مِنْ هَؤُلَاءِ لَا يَلْحَقُهُمْ حَجْبُ الْحِرْمَانِ بِالْغَيْرِ: الْأَبَوَانِ، وَالْوَلَدَانِ، وَالزَّوْجَانِ؛ لِأَنَّهُ لَيْس بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْمَيِّتِ وَاسِطَةٌ. **وَالْأَسْبَابُ الَّتِي تُوجِبُ حِرْمَانَ الْمِيرَاثِ أَرْبَعَةٌ**: اخْتِلَافُ الدِّينِ، وَالرِّقُّ،

وَالْقَتْلُ، وَعَمِّيُّ الْمَوْتِ، وَنَعْنِي بِاخْتِلَافِ الدِّينِ: أَنَّ الْكَافِرَ لَا يَرِثُ الْمُسْلِمَ وَالْمُسْلِمَ لَا يَرْثُ الْكَافِرَ.

عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رضي الله عنهما، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**لَا يَرِثُ الْمُسْلِمُ الْكَافِرَ وَلَا الْكَافِرُ الْمُسْلِمَ**»[(١)].

فَأَمَّا الْكُفَّارُ فَيَرِثُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ مَعَ اخْتِلَافِ مِلَلِهِمْ؛ لِأَنَّ الْكُفْرَ كُلَّهُ مِلَّةٌ وَاحِدَةٌ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾[الأنفال:٧٣]، وَذَهَبَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ إِلَى أَنَّ اخْتِلَافَ الْمِلَلِ فِي الْكُفْرِ يَمْنَعُ التَّوَارُثَ حَتَّى لَا يَرِثَ الْيَهُودِيُّ النَّصْرَانِيَّ وَلَا النَّصْرَانِيُّ الْمَجُوسِيَّ، وَإِلَيْهِ ذَهَبَ الزُّهْرِيُّ وَالْأَوْزَاعِيُّ وَأَحْمَدُ وإسحاق؛ لِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «**لَا يَتَوَارَثُ أَهْلُ مِلَّتَيْنِ شَتَّى**»[(٢)]، وَتَأَوَّلَهُ الْآخَرُونَ عَلَى الْإِسْلَامِ مَعَ الْكُفْرِ، أَمَّا الْكُفْرُ فَكُلُّهُ مِلَّةٌ وَاحِدَةٌ، فَتَوْرِيثُ بَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ لَا يَكُونُ فِيهِ إِثْبَاتُ التَّوَارُثِ بَيْنَ أَهْلِ مِلَّتَيْنِ شَتَّى.

وَالرَّقِيقُ لَا يَرِثُ أَحَدًا وَلَا يَرِثُهُ أَحَدٌ؛ لِأَنَّهُ لَا مُلْكَ لَهُ، وَلَا فَرْقَ فِيهِ بَيْنَ الْقِنِّ، وَالْمُدَبَّرِ، وَالْمُكَاتَبِ، وَأُمِّ الْوَلَدِ.

وَالْقَتْلُ يَمْنَعُ الْمِيرَاثَ عَمْدًا كَانَ أَوْ خَطَأً[(٣)]؛ لِمَا رُوِيَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه،

---

(١) **صحيح:** البخاري: (٦٧٦٤)، ومسلم: (١٦١٤).

(٢) **حسن:** حسَّنه العلَّامة الألباني رحمه الله في «الإرواء» (١٧١٩).

(٣) قال الإمام الماوردي رحمه الله في كتابه «الحاوي الكبير في مذهب الإمام الشافعي» (٨/ ٨٥-٨٦): فَأَمَّا الْقَاتِلُ إِذَا لَمْ يَكُنْ عَامِدًا فِي الْقَتْلِ قَاصِدًا لِلْإِرْثِ فَقَدِ اخْتَلَفَ الْفُقَهَاءُ فِيهِ، فَقَالَ مَالِكٌ: قَاتِلُ الْخَطَأِ يَرِثُ مِنَ الْمَالِ وَلَا يَرِثُ مِنَ الدِّيَةِ. وَقَالَ الْحَسَنُ وَابْنُ سِيرِينَ: قَاتِلُ الْخَطَأِ يَرِثُ مِنَ الْمَالِ وَالدِّيَةِ جَمِيعًا. وَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ: لَا يَرِثُ قَاتِلُ الْعَمْدِ وَالْخَطَأِ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ صَبِيًّا أَوْ مَجْنُونًا فَيَرِثُ... وَقَالَ الشَّافِعِيُّ: كُلُّ قَاتِلٍ يُطْلَقُ عَلَيْهِ اسْمُ الْقَتْلِ مِنْ صَغِيرٍ أَوْ كَبِيرٍ، عَاقِلٍ أَوْ مَجْنُونٍ، عَامِدٍ أَوْ خَاطِئٍ، مُحِقٍّ أَوْ مُبْطِلٍ، فَإِنَّهُ لَا يَرِثُ. فَأَمَّا مَالِكٌ فَاسْتَدَلَّ عَلَى أَنَّ قَاتِلَ الْخَطَأِ يَرِثُ مِنَ الْمَالِ دُونَ الدِّيَةِ بِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «**رُفِعَ عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأُ وَالنِّسْيَانُ وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ**»، وَرَوَى مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدٍ عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**يَرِثُ الزَّوْجُ زَوْجَتَهُ مَالَهَا وَدِيَتَهَا، وَتَرِثُ مِنْ زَوْجِهَا** =

عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**الْقَاتِلُ لَا يَرِثُ**»[(١)].

وَنَعْنِي بِعَمِّيِّ الْمَوْتِ: أَنَّ الْمُتَوَارِثَيْنِ إِذَا عَمِيَ مَوْتُهُمَا؛ بِأَنْ غَرِقَا فِي مَاءٍ أَوِ انْهَدَمَ عَلَيْهِمَا بِنَاءٌ فَلَمْ يُدْرَ أَيُّهُمَا سَبَقَ مَوْتُهُ فَلَا يُوَرَّثُ أَحَدُهُمَا مِنَ الْآخَرِ، بَلْ مِيرَاثُ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا لِمَنْ كَانَتْ حَيَاتُهُ يَقِينًا بَعْدَ مَوْتِهِ مِنْ وَرَثَتِهِ.

وَالسِّهَامُ الْمَحْدُودَةُ فِي الْفَرَائِضِ سِتَّةٌ: النِّصْفُ، وَالرُّبُعُ، وَالثُّمُنُ، وَالثُّلُثَانِ، وَالثُّلُثُ، وَالسُّدُسُ، **فَالنِّصْفُ** فَرْضُ ثَلَاثَةٍ: فَرْضُ الزَّوْجِ عِنْدَ عَدَمِ الْوَلَدِ، وَفَرْضُ الْبِنْتِ الْوَاحِدَةِ لِلصُّلْبِ أَوْ بِنْتِ الِابْنِ عِنْدَ عَدَمِ وَلَدِ الصُّلْبِ، وَفَرْضُ الْأُخْتِ

= **مَالَهُ وَدِيَتَهُ**»، فَإِنْ قَتَلَ أَحَدُهُمَا عَمْدًا لَمْ يَرِثْهُ، وَإِنْ قَتَلَ خَطَأً وَرِثَ مَالَهُ دُونَ دِيَتِهِ؛ وَلِأَنَّ مَنْعَ الْقَاتِلِ مِنَ الْمِيرَاثِ عُقُوبَةٌ، وَالْخَاطِئُ لَا عُقُوبَةَ عَلَيْهِ كَمَا لَا قَوَدَ عَلَيْهِ. وَأَمَّا أَبُو حَنِيفَةَ فَاسْتَدَلَّ عَلَى أَنَّ الْقَاتِلَ إِذَا كَانَ صَبِيًّا أَوْ مَجْنُونًا وَرِثَ بِمَا رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثٍ: عَنِ الصَّبِيِّ حَتَّى يَحْتَلِمَ، وَعَنِ الْمَجْنُونِ حَتَّى يَفِيقَ، وَعَنِ النَّائِمِ حَتَّى يَنْتَبِهَ**»، فَاقْتَضَى عُمُومُ ذَلِكَ رَفْعَ الْأَحْكَامِ عَنْهُ؛ وَلِأَنَّ كُلَّ عُقُوبَةٍ تَعَلَّقَتْ بِالْقَتْلِ سَقَطَتْ عَنِ الصَّبِيِّ وَالْمَجْنُونِ كَالْقَوَدِ. [وَقَالَ الشَّافِعِيُّ]: الدَّلِيلُ عَلَيْهِ عُمُومُ قَوْلِهِ ﷺ: «**الْقَاتِلُ لَا يَرِثُ**»، وَرَوَى أَبُو قِلَابَةَ قَالَ: قَتَلَ رَجُلٌ أَخَاهُ فِي زَمَنِ عُمَرَ بْنِ الْخُطَّابِ رضي الله عنه فَلَمْ يُوَرِّثْهُ مِنْهُ. وَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّمَا قَتَلْتُهُ خَطَأً، قَالَ: (لَوْ قَتَلْتَهُ عَمْدًا لَأَقَدْنَاكَ بِهِ). وَرَوَى خِلَاسٌ: أَنَّ رَجُلًا قَذَفَ بِحَجَرٍ فَأَصَابَ أُمَّهُ فَقَتَلَهَا، فَغَرَّمَهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه الدِّيَةَ وَنَفَاهُ مِنَ الْمِيرَاثِ، وَقَالَ: (إِنَّمَا حَظُّكَ مِنْ مِيرَاثِهَا ذَاكَ الْحَجَرُ). وَلِأَنَّ كُلَّ مَنْ سَقَطَ إِرْثُهُ عَنْ دِيَةِ مَقْتُولِهِ سَقَطَ عَنْ سَائِرِ مَالِهِ كَالعَامِدِ؛ لِأَنَّ كُلَّ مَالٍ حُرِمَ إِرْثُهُ لَوْ كَانَ عَامِدًا حُرِمَ إِرْثُهُ وَإِنْ كَانَ خَاطِئًا كَالدِّيَةِ، فَأَمَّا قوله ﷺ: «**رُفِعَ عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأُ**» فَمَعْنَاهُ: مَأْثَمُ الْخَطَأِ، وَأَمَّا حَدِيثُ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ فَمُرْسَلٌ، وَرِوَايَةُ مُحَمَّدِ بْنِ سَعِيدٍ الْمَصْلُوبِ صُلِبَ فِي الزَّنْدَقَةِ عَلَى مَا قِيلَ، ثُمَّ لَوْ سَلِمَ لَحُمِلَ عَلَى إِرْثِ مَا اسْتَحَقَّهُ مِنْ دَيْنٍ أَوْ صَدَاقٍ. وَأَمَّا قَوْلُهُمْ أَنَّ الْخَاطِئَ لَا يُعَاقَبُ بِمَنْعِ الْمِيرَاثِ قُلْنَا هَلَّا أَنْكَرْتُمْ بِذَلِكَ وُجُوبَ الدِّيَةِ عَلَيْهِ وَالْكَفَّارَةِ؟!.اهـ بتصرف. وما ذهب إليه الإمام الشافعي رحمه الله وغيره مذهب الجمهور، والصحيح -إن شاء الله- قول الإمام مالك رحمه الله، وبه قال ابن المسيب وعطاء والأوزاعي والقرطبي وغيرهم، ورجحه الإمام العثيمين رحمه الله وغيره، قال في "الشرح الممتع" (١١/ ٣٢١): القول الرَّاجحُ في مسألة القتل: أنه إذا تعمَّد الوارثُ قتلَ مُورِّثه عمدًا لا شك فيه فإنه لا يرث، وإن كان خطأً فإنه يرثُ، ولكن هل يرث من الدِّية التي سيبذلها؟ لا يرث؛ لأن الدية غرم عليه.اهـ

(١) **صحيح:** صحَّحه العلَّامة الألباني رحمه الله في "صحيح وضعيف سنن الترمذي" (٢١٠٩).

الْوَاحِدَةِ لِلْأَبِ وَالْأُمِّ أَوْ لِلْأَبِ إِذَا لَمْ يَكُنْ وَلَدٌ لِأَبٍ وَأُمٍّ. **وَالرُّبُعُ** فَرْضُ اثْنَيْنِ: فَرْضُ الزَّوْجِ إِذَا كَانَ لِلْمَيِّتِ وَلَدٌ، وَفَرْضُ الزَّوْجَةِ إِذَا لَمْ يَكُنْ لِلْمَيِّتِ وَلَدٌ. **وَالثُّمُنُ**: فَرْضُ الزَّوْجَةِ إِذَا كَانَ لِلْمَيِّتِ وَلَدٌ. **وَالثُّلُثَانِ**: فَرْضُ الْبِنْتَيْنِ لِلصُّلْبِ فَصَاعِدًا وَلِبِنْتَي الِابْنِ فَصَاعِدًا عِنْدَ عَدَمِ وَلَدِ الصُّلْبِ، وَفَرْضُ الْأُخْتَيْنِ لِأَبٍ وَأُمٍّ أَوْ لِلْأَبِ فَصَاعِدًا. **وَالثُّلُثُ** فَرْضُ ثَلَاثَةٍ: فَرْضُ الْأُمِّ إِذَا لَمْ يَكُنْ لِلْمَيِّتِ وَلَدٌ، وَلَا اثْنَانِ مِنَ الإِخْوَةِ وَالأَخَوَاتِ، إِلَّا فِي مَسْأَلَتَيْنِ: إِحْدَاهُمَا: زَوْجٌ وَأَبَوَانِ، وَالثَّانِيَةُ: زَوْجَةٌ وَأَبَوَانِ، فَإِنَّ لِلْأُمِّ فِيهِمَا ثُلُثُ مَا بَقِيَ بَعْدَ نَصِيبِ الزَّوْجِ وَالزَّوْجَةِ، وَفَرْضُ الِاثْنَيْنِ فَصَاعِدًا مِنْ أَوْلَادِ الْأُمِّ، ذَكَرُهُمْ وَأُنْثَاهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ، وَفَرْضُ الجَدِّ مَعَ الإِخْوَةِ إِذا لَمْ يَكُنْ فِي الْمَسْأَلَةِ صَاحِبُ فَرْضٍ، وَكَانَ الثُّلُثُ خَيْرًا لِلْجَدِّ مِنَ الْمُقَاسَمَةِ مَعَ الإِخْوَةِ. **وَأَمَّا السُّدُسُ** فَفَرْضُ سَبْعَةٍ: فَرْضُ الْأَبِ إِذَا كَانَ لِلْمَيِّتِ وَلَدٌ، وَفَرْضُ الْأُمِّ إِذَا كَانَ لِلْمَيِّتِ وَلَدٌ، أَوِ اثْنَانِ مِنَ الْإِخْوَةِ وَالْأَخَوَاتِ، وَفَرْضُ الْجَدِّ إِذَا كَانَ لِلْمَيِّتِ وَلَدٌ وَمَعَ الْإِخْوَةِ وَالْأَخَوَاتِ إِذَا كَانَ فِي الْمَسْأَلَةِ صَاحِبُ فَرْضٍ وَكَانَ السُّدُسُ خَيْرًا لِلْجَدِّ مِنَ الْمُقَاسَمَةِ مَعَ الْإِخْوَةِ، وَفَرْضُ الْجَدَّةِ وَالْجَدَّاتِ، وَفَرْضُ الْوَاحِدِ مِنْ أَوْلَادِ الْأُمِّ ذَكَرًا كَانَ أَوْ أُنْثَى، وَفَرْضُ بَنَاتِ الِابْنِ إِذَا كَانَ لِلْمَيِّتِ بِنْتٌ وَاحِدَةٌ لِلصُّلبِ تَكْمِلَةً لِلثُّلُثَيْنِ، وَفَرْضُ الْأَخَوَاتِ لِلْأَبِ إِذَا كَانَ لِلْمَيِّتِ أُخْتٌ وَاحِدَةٌ لِأَبٍ وَأُمٍّ؛ تَكْمِلَةً لِلثُّلُثَيْنِ.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَلْحِقُوا الْفَرَائِضَ بِأَهْلِهَا فَمَا بَقِيَ فَهُوَ لِأَوْلَى رَجُلٍ ذَكَرٍ**»[1].

وَفِي الْحَدِيثِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ بَعْضَ الْوَرَثَةِ يَحْجُبُ الْبَعْضَ، وَالْحَجْبُ نَوْعَانِ: حَجْبُ نُقْصَانٍ، وَحَجْبُ حِرْمَانٍ، فَأَمَّا حَجْبُ النُّقْصَانِ: فَهُوَ أَنَّ الوَلَدَ وَوَلَد الِابْنِ يَحْجُبُ الزَّوْجَ مِنَ النِّصْفِ إِلَى الرُّبُعِ وَالزَّوْجَةَ مِنَ الرُّبُعِ إِلَى الثُّمُنِ، وَالْأُمَّ مِنَ الثُّلُثِ إِلَى السُّدسِ، وَكَذَلِكَ الِاثْنَانِ فَصَاعِدًا مِنَ الإِخْوَةِ وَالْأَخَوَاتِ يَحْجُبُونَ الْأُمَّ مِنَ

(١) **صحيح:** البخاري: (٦٧٣٢)، ومسلم: (١٦١٥).

الثُّلُثِ إِلَى السُّدُسِ. وَحَجْبُ الْحِرْمَانِ: هُوَ أَنَّ الأُمَّ تُسْقِطُ الجَدَّاتِ كُلَّهُنَّ. وَأَوْلَاد الأُمِّ -وَهُم الإِخْوَةُ وَالأَخَوَاتُ لِلأُمِّ- يَسْقُطُونَ بِأَرْبَعَةٍ: بِالْأَبِ، وَالْجَدِّ وَإِنْ عَلَا، وَبِالْوَلَدِ، وَوَلَدِ الِابْنِ وَإِنْ سَفَلَ. وَأَوْلَادُ الْأَبِ وَالْأُمِّ يَسْقُطُونَ بِثَلَاثَةٍ: بِالْأَبِ، وَالِابْنِ، وَابْنِ الِابْنِ وَإِنْ سَفَلُوا، وَلَا يَسْقُطُونَ بِالْجَدِّ عَلَى مَذْهَبِ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ، وَهُوَ قَوْلُ عُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ وَابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنهم، وَبِهِ قَالَ مَالِكٌ وَالشَّافِعِيُّ وَالْأَوْزَاعِيُّ وَأَحْمَدُ وَإِسْحَاقُ رحمهم الله. وَأَوْلَادُ الْأَبِ يَسْقُطُونَ بِهَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةِ، وَبِالْأَخِ لِلْأَبِ وَالْأُمِّ، وَذَهَبَ قَوْمٌ إِلَى أَنَّ الْإِخْوَةَ جَمِيعًا يَسْقُطُونَ بِالْجَدِّ كَمَا يَسْقُطُونَ بِالْأَبِ، وَهُوَ قَوْلُ أَبِي بَكْرٍ الصَّدِيقِ، وَابْنِ عَبَّاسٍ وَمُعَاذٍ وَأَبِي الدَّرْدَاءِ وَعَائِشَةَ رضي الله عنهم، وَبِهِ قَالَ الْحَسَنُ وَعَطَاءٌ وَطَاوُسٌ وَأَبُو حَنِيفَةَ رحمهم الله.

وَأَقْرَبُ الْعَصِبَاتِ يُسْقِطُ الْأَبْعَدَ مِنَ الْعُصُوبَةِ، وَأَقْرَبُهُمْ: الِابْنُ، ثُمَّ ابْنُ الِابْنِ وَإِنْ سَفَلَ، ثُمَّ الْأَبُ، ثُمَّ الْجَدُّ أَبُو الْأَبِ وَإِنْ عَلَا، فَإِنْ كَانَ مَعَ الْجَدِّ أَحَدٌ مِنَ الإِخْوَةِ وَالأَخَوَاتِ لِلْأَبِ وَالْأُمِّ أَوْ لِلْأَبِ فَيَشْتَرِكَانِ فِي الْمِيرَاثِ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ جَدٌّ فَالْأَخُ لِلْأَبِ وَالْأُمِّ، ثُمَّ الْأَخُ لِلْأَبِ، ثُمَّ بَنُو الْإِخْوَةِ يُقَدَّمُ أَقْرَبُهُمْ سَوَاءٌ كَانَ لِأَبٍ وَأُمٍّ أَوْ لِأَبٍ، فَإِنِ اسْتَوَيَا فِي الدَّرَجَةِ فَالَّذِي هُوَ لِأَبٍ وَأُمٍّ أَوْلَى، ثُمَّ الْعَمُّ لِلْأَبِ وَالْأُمِّ، ثُمَّ الْعَمُّ لِلْأَبِ، ثُمَّ بَنُوهُمْ عَلَى تَرْتِيبِ بَنِي الْإِخْوَةِ، ثُمَّ عُمُّ الْأَبِ، ثُمَّ عُمُّ الْجَدِّ عَلَى هَذَا التَّرْتِيبِ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنْ عَصَبَاتِ النَّسَبِ وَعَلَى الْمَيِّتِ وَلَاءٌ فَالْمِيرَاثُ لِلْمُعْتِقِ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ حَيًّا فَلِعَصِبَاتِ الْمُعْتِقِ، وَأَرْبَعَةٌ مِنَ الذُّكُورِ يَعْصِبُونَ الْإِنَاثَ، الِابْنُ، وَابْنُ الِابْنِ، وَالْأَخُ لِلْأَبِ وَالْأُمِّ، وَالْأَخُ لِلْأَبِ، حَتَّى لَوْ مَاتَ عَنِ ابْنٍ وَبِنْتٍ، أَوْ عَنْ أَخٍ وَأُخْتٍ لِأَبٍ وَأُمٍّ أَوْ لِأَبٍ، فَإِنَّهُ يَكُونُ الْمَالُ بَيْنَهُمَا لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ، وَلَا يُفْرَضُ لِلْبِنْتِ وَالْأُخْتِ، وَكَذَلِكَ ابْنُ الِابْنِ يَعْصِبُ مَنْ فِي دَرَجَتِهِ مِنَ الْإِنَاثِ، وَمَنْ فَوْقَهُ إِذَا لَمْ يَأْخُذْ مِنَ الثُّلُثَيْنِ شَيْئًا حَتَّى لَوْ مَاتَ عَنْ بِنْتَيْنِ وَبِنْتِ ابْنٍ فَلِلْبِنْتَيْنِ الثُّلُثَانِ وَلَا شَيْءَ لِبَنَتِ الِابْنِ، فَإِنْ كَانَ فِي دَرَجَتِهَا ابْنُ ابْنٍ أَوْ أَسْفَلَ مِنْهَا ابْنُ ابْنِ ابْنٍ كَانَ الْبَاقِي بَيْنَهُمَا لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ، وَالْأُخْتُ لِلْأَبِ وَالْأُمِّ أَوْ لِلْأَبِ

تَكُونُ عَصَبَةً مَعَ الْبِنْتِ حَتَّى لَوْ مَاتَ عَنْ بِنْتٍ وَأُخْتٍ كَانَ النِّصْفُ لِلْبِنْتِ وَالْبَاقِي لِلْأُخْتِ، فَلَوْ مَاتَ عَنْ بِنْتَيْنِ وَأُخْتٍ فَلِلْبِنْتَيْنِ الثُّلُثَانِ وَالْبَاقِي لِلْأُخْتِ، وَالدَّلِيلُ عَلَيْهِ:

عَنْ هُزَيْلِ بْنِ شُرَحْبِيلَ قَالَ: سُئِلَ **أَبُو مُوسَى** عَنِ ابْنَةٍ وَبِنْتِ ابْنٍ وَأُخْتٍ، فَقَالَ: لِلْبِنْتِ النِّصْفُ وَلِلْأُخْتِ النِّصْفُ، وَائْتِ ابْنَ مَسْعُودٍ فَسَيُتَابِعُنِي، فَسُئِلَ ابْنُ مَسْعُودٍ وَأُخْبِرَ بِقَوْلِ أَبِي مُوسَى، فَقَالَ: لَقَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ، أَقْضِي فِيهَا بِمَا قَضَى بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ: لِلْبِنْتِ النِّصْفُ، وَلِابْنَةِ الِابْنِ السُّدُسُ تَكْمِلَةُ الثُّلُثَيْنِ، وَمَا بَقِيَ فَلِلْأُخْتِ، فَأَتَيْنَا أَبَا مُوسَى فَأَخْبَرْنَاهُ بِقَوْلِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، فَقَالَ: لَا تَسْأَلُونِي مَا دَامَ هَذَا الْحَبْرُ فِيكُمْ[(١)].

رَجَعْنَا إِلَى تَفْسِيرِ الْآيَةِ.

عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه قَالَ: جَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَعُودُنِي وَأَنَا مَرِيضٌ لَا أَعْقِلُ، فَتَوَضَّأَ وَصَبَّ عَلَيَّ مِنْ وَضُوئِهِ فَعَقَلْتُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ لِمَنِ الْمِيرَاثُ؟ إِنَّمَا يَرِثُنِي كَلَالَة، فَنَزَلَتْ آيَةُ الْفَرَائِضِ[(٢)].

قَوْلُهُ ﷻ: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ﴾: أَيْ: يَعْهَدُ إِلَيْكُمْ وَيَفْرِضُ عَلَيْكُمْ فِي أَوْلَادِكُمْ، أَيْ: فِي أَمْرِ أَوْلَادِكُمْ إِذَا مِتُّمْ، ﴿لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ فَإِن كُنَّ﴾: يَعْنِي: الْمَتْرُوكَات مِنَ الْأَوْلَادِ ﴿نِسَآءٗ فَوۡقَ ٱثۡنَتَيۡنِ﴾: أَيِ: ابْنَتَيْنِ فَصَاعِدًا وَ﴿فَوۡقَ﴾ صِلَة، كَقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿فَٱضۡرِبُواْ فَوۡقَ ٱلۡأَعۡنَاقِ﴾[الْأَنْفَال:١٢]، ﴿فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَۖ وَإِن كَانَتۡ﴾: يَعْنِي الْبِنْتُ ﴿وَٰحِدَةٗ﴾: قِرَاءَةُ الْعَامَّةِ بِالنَّصْبِ عَلَى خَبَرِ (كَانَ) وَرَفَعَهَا أَهْلُ الْمَدِينَةِ عَلَى مَعْنَى: إِنْ وَقَعَتْ وَاحِدَةٌ ﴿فَلَهَا ٱلنِّصۡفُۚ وَلِأَبَوَيۡهِ﴾: يَعْنِي: لِأَبَوَيِ الْمَيِّتِ كِنَايَةً عَنْ غَيْرِ مَذْكُورٍ، ﴿لِكُلِّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٞۚ﴾: أَرَادَ أَنَّ الْأَبَ وَالْأُمَّ

---

(١) **صحيح:** البخاري: (٦٧٣٦).

(٢) **صحيح:** البخاري: (١٩٤)، ومسلم: (١٦١٦)، وهو في "الصحيح المسند من أسباب النزول" للإمام الوادعي رحمه الله صـ(٧٣-٧٤).

يَكُونُ لِكُلٍّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا سُدُسُ الْمِيرَاثِ عِنْدَ وُجُودِ الْوَلَدِ أَوْ وَلَدِ الِابْنِ، وَالْأَبُ يَكُونُ صَاحِبَ فَرْضٍ، ﴿فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٌ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُۚ﴾: قَرَأَ حَمْزَةُ وَالْكِسَائِيُّ: ﴿فَلِإِمِّهِ﴾ بِكَسْرِ الْهَمْزَةِ اسْتِثْقَالًا لِلضَّمَّةِ بَعْدَ الْكَسْرَةِ، وَقَرَأَ الْآخَرُونَ بِالضَّمِّ عَلَى الْأَصْلِ، ﴿فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ﴾: اثْنَانِ أَوْ أَكْثَرُ ذُكُورًا أَوْ إِنَاثًا ﴿فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُۚ﴾: وَالْبَاقِي يَكُونُ لِلْأَبِ إِنْ كَانَ مَعَهَا أَبٌ، وَالْإِخْوَةُ لَا مِيرَاثَ لَهُمْ مَعَ الْأَبِ، وَلَكِنَّهُمْ يَحْجُبُونَ الْأُمَّ مِنَ الثُّلُثِ إِلَى السُّدُسِ، **وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ** رضي الله عنهما: لَا يَحْجُبُ الْإِخْوَةُ الْأُمَّ مِنَ الثُّلُثِ إِلَى السُّدُسِ إِلَّا أَنْ يَكُونُوا ثَلَاثَةً، وَقَدْ تَفَرَّدَ بِهِ؛ وَقَالَ لِأَنَّ اللهَ تَعَالَى قَالَ: ﴿فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُۚ﴾، وَلَا يُقَالُ لِلِاثْنَيْنِ إِخْوَةٌ، فَنَقُولُ: اسْمُ الْجَمْعِ قَدْ يَقَعُ عَلَى التَّثْنِيَةِ؛ لِأَنَّ الْجَمْعَ ضَمُّ شَيْءٍ إِلَى شَيْءٍ وَهُوَ مَوْجُودٌ فِي الِاثْنَيْنِ كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَاۖ﴾[التَّحْرِيم:٤] ذَكَرَ الْقَلْبَ بِلَفْظِ الْجَمْعِ وَأَضَافَهُ إِلَى الِاثْنَيْنِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَآ أَوْ دَيْنٍۗ﴾: قَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ وَابْنُ عَامِرٍ وَأَبُو بَكْرٍ: ﴿يُوصَى﴾ بِفَتْحِ الصَّادِ عَلَى مَا لَمْ يُسَمَّ فَاعِلُهُ، وَكَذَلِكَ الثَّانِيَةُ، وَوَافَقَ حَفْص فِي الثَّانِيَةِ، وَقَرَأَ الْآخَرُونَ بِكَسْرِ الصَّادِ؛ لِأَنَّهُ جَرَى ذِكْرُ الْمَيِّتِ مِنْ قَبْلُ، بِدَلِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يُوصِينَ﴾، وَ﴿تُوصُونَ﴾.

قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه: إِنَّكُمْ تَقْرَءُونَ الْوَصِيَّةَ قَبْلَ الدَّيْنِ، وَبَدَأَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالدَّيْنِ قَبْلَ الْوَصِيَّةِ[1]. وَهَذَا إِجْمَاعٌ أَنَّ الدَّيْنَ مُقَدَّمٌ عَلَى الْوَصِيَّةِ، وَمَعْنَى الْآيَةِ: الْجَمْعُ لَا التَّرْتِيبُ، وَبَيَانُ أَنَّ الْمِيرَاثَ مُؤَخَّرٌ عَنِ الدَّيْنِ وَالْوَصِيَّةِ جَمِيعًا، مَعْنَاهُ: مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ إِنْ كَانَتْ أَوْ دَيْنٍ إِنْ كَانَ، وَالْإِرْثُ مُؤَخَّرٌ عَنْ كُلٍّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا.

﴿ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ﴾: يَعْنِي: الَّذِينَ يَرِثُونَكُمْ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ، ﴿لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًاۚ﴾: أَيْ: لَا تَعْلَمُونَ أَيُّهُمْ أَنْفَعُ لَكُمْ فِي الدِّينِ وَالدُّنْيَا، فَمِنْكُمْ مَنْ يَظُنُّ أَنَّ

---

(١) **حسن:** حسَّنه العلَّامة الألباني رحمه الله في «صحيح وضعيف سنن الترمذي» (٢٠٩٥).

الْأَبَ أَنْفَعُ لَهُ فَيَكُونُ الِابْنُ أَنْفَعَ لَهُ، وَمِنْكُمْ مَنْ يَظُنُّ أَنَّ الِابْنَ أَنْفَعُ لَهُ فَيَكُونُ الْأَبُ أَنْفَعَ لَهُ، وَأَنَا الْعَالِمُ بِمَنْ هُوَ أَنْفَعُ لَكُمْ، وَقَدْ دَبَّرْتُ أَمْرَكُمْ عَلَى مَا فِيهِ الْمَصْلَحَةُ فَاتَّبِعُوهُ، **وَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبَّاسٍ** رضي الله عنهما: أَطْوَعُكُمْ للهِ عز وجل مِنَ الْآبَاءِ وَالْأَبْنَاءِ أَرْفَعُكُمْ دَرَجَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَاللهُ تَعَالَى يُشَفِّعُ الْمُؤْمِنِينَ بَعْضَهُمْ فِي بَعْضٍ، فَإِنْ كَانَ الْوَالِدُ أَرْفَعَ دَرَجَةً فِي الْجَنَّةِ رُفِعَ إِلَيْهِ وَلَدُهُ، وَإِنْ كَانَ الْوَلَدُ أَرْفَعَ دَرَجَةً رُفِعَ إِلَيْهِ وَالِدُهُ؛ لِتَقَرَّ بِذَلِكَ أَعْيُنُهُمْ، ﴿فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ﴾: أَيْ: مَا قَدَّرَ مِنَ الْمَوَارِيثِ، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾: بِأُمُورِ الْعِبَادِ، ﴿حَكِيمًا﴾: بِنصبِ الأَحْكَامِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَٰجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ﴾: هَذَا فِي مِيرَاثِ الْأَزْوَاجِ، ﴿وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ﴾: يَعْنِي: لِلزَّوْجَاتِ الرُّبُعُ ﴿مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم مِّنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ﴾: هَذَا فِي مِيرَاثِ الزَّوْجَاتِ، وَإِذَا كَانَ لِلرَّجُلِ أَرْبَعُ نِسْوَةٍ فَهُنَّ يَشْتَرِكْنَ فِي الرُّبُعِ وَالثُّمُنِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمْرَأَةٌ﴾: تُورَثُ كَلَالَةً، وَنَظْمُ الْآيَةِ: وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ أَوِ امْرَأَةٌ يُورَثُ كَلَالَةً، وَهُوَ نُصِبَ عَلَى الْمَصْدَرِ، **وَقِيلَ**: عَلَى خَبَرِ مَا لَمْ يُسَمَّ فَاعِلُهُ، وَتَقْدِيرُهُ: وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ مَالُهُ كَلَالَةً. **وَاخْتَلَفُوا فِي الْكَلَالَةِ**: **فَذَهَبَ أَكْثَرُ الصَّحَابَةِ** إِلَى أَنَّ الْكَلَالَةَ مَنْ لَا وَلَدَ لَهُ وَلَا وَالِدَ لَهُ، **وَذَهَبَ طَاوُسٌ** إِلَى أَنَّ الْكَلَالَةَ مَنْ لَا وَلَدَ لَهُ، وَهُوَ إِحْدَى الرِّوَايَتَيْنِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، وَأَحَدُ الْقَوْلَيْنِ عَنْ عُمَرَ رضي الله عنه، وَاحْتَجَّ مَنْ ذَهَبَ إِلَى هَذَا بِقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي ٱلْكَلَٰلَةِ إِنِ ٱمْرُؤٌا۟ هَلَكَ لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ﴾[النِّسَاء:١٧٦] وَبَيَانُهُ عِنْدَ الْعَامَّةِ: مَأْخُوذٌ مِنْ حَدِيثِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ؛ لِأَنَّ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِيهِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ يَوْمَ نُزُولِهَا أَبٌ وَلَا ابْنٌ؛ لِأَنَّ أَبَاهُ عَبْدَ اللهِ بْنَ حَرَامٍ قُتِلَ يَوْمَ أُحُدٍ، وَآيَةُ الْكَلَالَةِ نَزَلَتْ فِي آخِرِ عُمْرِ النَّبِيِّ ﷺ، فَصَارَ شَأْنُ جَابِرٍ بَيَانًا لِمُرَادِ الْآيَةِ لِنُزُولِهَا فِيهِ.

وَاخْتَلَفُوا فِي أَنَّ (الْكَلَالَةَ) اسْمٌ لِمَنْ؟ فَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: اسْمٌ لِلْمَيِّتِ، وَهُوَ قَوْلُ عَلِيٍّ وَابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنهما؛ لِأَنَّهُ مَاتَ عَنْ ذَهَابِ طَرَفَيْهِ، فَكَلَّ عَمُودُ نَسَبِهِ، **وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ**: اسْمٌ لِلْوَرَثَةِ، وَهُوَ قَوْلُ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ؛ لِأَنَّهُمْ يَتَكَلَّلُونَ الْمَيِّتَ مِنْ جَوَانِبِهِ، وَلَيْسَ فِي عَمُودِ نَسَبِهِ أَحَدٌ، كَالْإِكْلِيلِ يُحِيطُ بِالرَّأْسِ وَوَسَطُ الرَّأْسِ مِنْهُ خَالٍ، وَعَلَيْهِ يَدُلُّ حَدِيثُ جَابِرٍ رضي الله عنه حَيْثُ قَالَ: (إِنَّمَا يَرِثُنِي كَلَالَةً)، أَيْ: يَرِثُنِي وَرَثَةٌ لَيْسُوا بِوَلَدٍ وَلَا وَالِدٍ، **وَقَالَ النَّضْرُ بْنُ شُمَيْلٍ**: الْكَلَالَةُ: اسْمٌ لِلْمَالِ، **وَقَالَ أَبُو الْخَيْرِ**: سَأَلَ رَجُلٌ عُقْبَةَ عَنِ الْكَلَالَةِ فَقَالَ: أَلَا تَعْجَبُونَ مِنْ هَذَا يَسْأَلُنِي عَنِ الْكَلَالَةِ، وَمَا أَعْضَلَ بِأَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ مَا أَعْضَلَتْ بِهِمُ الْكَلَالَةُ، **وَقَالَ مَعْدَانُ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ**: خَطَبَ **عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ** رضي الله عنه فَقَالَ: إِنِّي لَا أَدَعُ بَعْدِي شَيْئًا أَهَمَّ عِنْدِي مِنَ الْكَلَالَةِ، مَا رَاجَعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فِي شَيْءٍ مَا رَاجَعْتُهُ فِي الْكَلَالَةِ، وَمَا أَغْلَظَ لِي فِي شَيْءٍ مَا أَغْلَظَ لِي فِي الْكَلَالَةِ، حَتَّى طَعَنَ بِأُصْبُعِهِ فِي صَدْرِي وَقَالَ: «**يَا عُمَرُ أَلَا تَكْفِيكَ آيَةُ الصَّيْفِ الَّتِي فِي آخِرِ سُورَةِ النِّسَاءِ**»، وَإِنِّي إِنْ أَعِشْ أَقْضِ بِقَضِيَّةٍ يَقْضِي بِهَا مَنْ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَمَنْ لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ[1]. وَقَوْلُهُ: «**أَلَا تَكْفِيكَ آيَةُ الصَّيْفِ؟**» أَرَادَ: أَنَّ اللهَ عز وجل أَنْزَلَ فِي الْكَلَالَةِ آيَتَيْنِ، إِحْدَاهُمَا: فِي الشِّتَاءِ، وَهِيَ الَّتِي فِي أَوَّلِ سُورَةِ النِّسَاءِ، وَالْأُخْرَى: فِي الصَّيْفِ، وَهِيَ الَّتِي فِي آخِرِهَا، وَفِيهَا مِنَ الْبَيَانِ مَا لَيْسَ فِي آيَةِ الشِّتَاءِ، فَلِذَلِكَ أَحَالَهُ عَلَيْهَا.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوۡ أُخۡتٌ فَلِكُلِّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا ٱلسُّدُسُۚ﴾: أَرَادَ بِهِ الْأَخَ وَالْأُخْتَ مِنَ الْأُمِّ بِالِاتِّفَاقِ، قَرَأَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ: ﴿**وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ مِنْ أُمٍّ**﴾، وَلَمْ يَقُلْ لَهُمَا مَعَ ذِكْرِ الرَّجُلِ وَالْمَرْأَةِ مِنْ قَبْلُ، عَلَى عَادَةِ الْعَرَبِ إِذَا ذَكَرَتِ اسْمَيْنِ ثُمَّ أَخْبَرَتْ عَنْهُمَا وَكَانَا فِي الْحُكْمِ سَوَاء رُبَّمَا أَضَافَتْ إِلَى أَحَدِهِمَا، وَرُبَّمَا أَضَافَتْ إِلَيْهِمَا، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ﴾[الْبَقَرَة:٤٥].

﴿فَإِن كَانُوٓاْ أَكۡثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمۡ شُرَكَآءُ فِي ٱلثُّلُثِۚ﴾: فِيهِ إِجْمَاعٌ أَنَّ أَوْلَادَ الْأُمِّ

(١) **صحيح**: مسلم: (١٦١٧).

إِذَا كَانُوا اثْنَيْنِ فَصَاعِدًا يَشْتَرِكُونَ فِي الثُّلُثِ ذَكَرُهُمْ وَأُنْثَاهُمْ، **قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ** رضي الله عنه **فِي خُطْبَتِهِ**: أَلَا إِنَّ الْآيَةَ الَّتِي أَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى فِي أَوَّلِ سُورَةِ النِّسَاءِ فِي شَأْنِ الْفَرَائِضِ: أَنْزَلَهَا فِي الْوَلَدِ وَالْوَالِدِ وَالأُمِّ، وَالْآيَةُ الثَّانِيَةُ: فِي الزَّوْجِ وَالزَّوْجَةِ وَالإِخْوَةِ وَالأَخَوَاتِ مِنَ الأُمِّ، وَالْآيَةُ الَّتِي خَتَمَ بِهَا سُورَةَ النِّسَاءِ: فِي الإِخْوَةِ وَالْأَخَوَاتِ مِنَ الأَبِ وَالأُمِّ، وَالْآيَةُ الَّتِي خَتَمَ بِهَا سُورَةَ الْأَنْفَالِ: أَنْزَلَهَا فِي أُولِي الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللهِ.

﴿مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصَىٰ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍ غَيۡرَ مُضَآرّٖۚ﴾: أَيْ: غَيْرَ مُدْخِلِ الضَّرَرِ عَلَى الْوَرَثَةِ بِمُجَاوَزَتِهِ الثُّلُثَ فِي الْوَصِيَّةِ، **قَالَ الْحَسَنُ**: هُوَ أَنْ يُوصِيَ بِدَيْنٍ لَيْسَ عَلَيْهِ، ﴿وَصِيَّةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٞ﴾: **قَالَ قَتَادَةُ**: كَرِهَ اللهُ الضِّرَارَ فِي الْحَيَاةِ وَعِنْدَ الْمَوْتِ، وَنَهَى عَنْهُ وَقَدَّمَ فِيهِ.

﴿تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٣ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدۡخِلۡهُ نَارًا خَٰلِدٗا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٞ مُّهِينٞ﴾

﴿تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ﴾: يَعْنِي: مَا ذَكَرَ مِنَ الْفُرُوضِ الْمَحْدُودَةِ، ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٣ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدۡخِلۡهُ نَارًا خَٰلِدٗا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٞ مُّهِينٞ﴾: قَرَأَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ وَابْنُ عَامِرٍ: ﴿نُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ﴾، وَ﴿نُدْخِلْهُ نَارًا﴾، وَفِي سُورَةِ الْفَتْحِ: ﴿نُدْخِلْهُ﴾[الفتح:١٧]، وَ﴿نُعَذِّبْهُ﴾[الفتح:١٧] وَفِي سُورَةِ التَّغَابُنِ: ﴿نُكَفِّرْ﴾[التَّغَابُن:٩]، وَ﴿نُدْخِلْهُ﴾[التَّغَابُن:٩]، وَفِي سُورَةِ الطَّلَاقِ: ﴿نُدْخِلْهُ﴾[الطَّلَاق:١١] بِالنُّونِ فِيهِنَّ، وَقَرَأَ الْآخَرُونَ بِالْيَاءِ.

﴿وَٱلَّٰتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمۡ فَٱسۡتَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِنَّ أَرۡبَعَةٗ مِّنكُمۡۖ فَإِن شَهِدُواْ فَأَمۡسِكُوهُنَّ فِي ٱلۡبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلۡمَوۡتُ أَوۡ يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلٗا﴾

قَوْلُهُ عز وجل: ﴿وَٱلَّٰتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ﴾: يَعْنِي: الـــزِّنَا ﴿مِن نِّسَآئِكُمۡ فَٱسۡتَشۡهِدُواْ

عَلَيۡهِنَّ أَرۡبَعَةٗ مِّنكُمۡۖ﴾: يَعْنِي: مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَهَذَا خِطَابٌ لِلْحُكَّامِ، أَيْ: فَاطْلُبُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنَ الشُّهُودِ، وَفِيهِ بَيَانُ أَنَّ الزِّنَا لَا يَثْبُتُ إِلَّا بِأَرْبَعَةٍ مِنَ الشُّهُودِ، ﴿فَإِن شَهِدُواْ فَأَمۡسِكُوهُنَّ﴾: فَاحْبِسُوهُنَّ ﴿فِي ٱلۡبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلۡمَوۡتُ أَوۡ يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلٗا﴾: وَهَذَا كَانَ فِي أَوَّلِ الْإِسْلَامِ قَبْلَ نُزُولِ الْحُدُودِ، فَكَانَتِ الْمَرْأَةُ إِذَا زَنَتْ حُبِسَتْ فِي الْبَيْتِ حَتَّى تَمُوتَ، ثُمَّ نُسِخَ ذَلِكَ فِي حَقِّ الْبِكْرِ بِالْجَلْدِ وَالتَّغْرِيبِ، وَفِي حَقِّ الثَّيِّبِ بِالْجَلْدِ وَالرَّجْمِ.

عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**خُذُوا عَنِّي، خُذُوا عَنِّي، قَدْ جَعَلَ اللهُ لَهُنَّ سَبِيلًا: الْبِكْرُ بِالْبِكْرِ جَلْدُ مِائَةٍ وَتَغْرِيبُ عَامٍ، وَالثَّيِّبُ بِالثَّيِّبِ جَلْدُ مِائَةٍ وَالرَّجْمُ**»(١).

ثُمَّ نُسِخَ الْجَلْدُ فِي حَقِّ الثَّيِّبِ وَبَقِيَ الرَّجْمُ **عِنْدَ أَكْثَرِ أَهْلِ الْعِلْمِ، وَذَهَبَ طَائِفَةٌ** إِلَى أَنَّهُ يُجْمَعُ بَيْنَهُمَا، وَعَامَّةُ الْعُلَمَاءِ عَلَى أَنَّ الثَّيِّبَ لَا يُجْلَدُ مَعَ الرَّجْمِ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَجَمَ مَاعِزًا وَالْغَامِدِيَّةَ(٢) وَلَمْ يَجْلِدْهُمَا، **وَعِنْدَ أَبِي حَنِيفَةَ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: التَّغْرِيبُ أَيْضًا مَنْسُوخٌ فِي حَقِّ الْبِكْرِ، وَأَكْثَرُ أَهْلِ الْعِلْمِ عَلَى أَنَّهُ ثَابِتٌ؛ رَوَى نَافِعٌ **عَنِ ابْنِ عُمَرَ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ ضَرَبَ وَغَرَّبَ، وَأَنَّ أَبَا بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ضَرَبَ وَغَرَّبَ، وَأَنَّ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ضَرَبَ وَغَرَّبَ(٣). **وَاخْتَلَفُوا فِي أَنَّ الْإِمْسَاكَ فِي الْبَيْتِ كَانَ حَدًّا فَنُسِخَ أَمْ كَانَ حَبْسًا لِيَظْهَرَ الْحَدُّ؟** عَلَى قَوْلَيْنِ.

﴿وَٱلَّذَانِ يَأۡتِيَٰنِهَا مِنكُمۡ فَـَٔاذُوهُمَاۖ فَإِن تَابَا وَأَصۡلَحَا فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابٗا رَّحِيمًا ١٦ إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٖ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ١٧ وَلَيۡسَتِ ٱلتَّوۡبَةُ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ

(١) **صحيح:** مسلم: (١٦٩٠).
(٢) **صحيح:** البخاري: (٦٨٢٤) عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ومسلم: (١٦٩٥) عن بُريدة بن الحُصيب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٣) **صحيح:** صحَّحه العلَّامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في "صحيح وضعيف سنن الترمذي" (١٤٣٨).

ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ ٱلْـَٔـٰنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌۚ أُوْلَـٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذَانِ يَأْتِيَـٰنِهَا مِنكُمْ﴾: يَعْنِي الرَّجُلَ وَالْمَرْأَةَ، **وَالْهَاءُ**: رَاجِعَةٌ إِلَى الْفَاحِشَةِ، قَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ: ﴿**اللَّذَانِّ، وَاللَّذَيْنِّ، وَهَاتَانِّ، وَهَذَانِّ**﴾ مُشَدَّدَة النُّونِ لِلتَّأْكِيدِ وَوَافَقَهُ أَهْلُ البَصْرَةِ فِي ﴿**فَذَانِّكَ**﴾، وَقَرَأَ الآخَرُونَ بِالتَّخْفِيفِ **قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ**: خَصَّ أَبُو عَمْرٍو (فَذَانِّكَ) بِالتَّشْدِيدِ؛ لِقِلَّةِ الْحُرُوفِ فِي الاِسْمِ، ﴿فَـَٔاذُوهُمَاۖ﴾: **قَالَ عَطَاءٌ وَقَتَادَةُ**: فَعَيِّرُوهُمَا بِاللِّسَانِ: أَمَا خِفْتَ اللهَ؟ أَمَا اسْتَحْيَيْتَ مِنَ اللهِ حَيْثُ زَنَيْتَ؟ **قَالَ ابْن عَبَّاسٍ** رضي الله عنهما: سُبُّوهُمَا وَاشْتُمُوهُمَا، **قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ**: هُوَ بِاللِّسَانِ وَالْيَدِ، يُؤْذَى بِالتَّعْيِيرِ وَضَرْبِ النِّعَالِ، **فَإِنْ قِيلَ**: ذُكِرَ الْحَبْسُ فِي الْآيَةِ الْأُولَى وَذُكِرَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْإِيذَاءُ، فَكَيْفَ وَجْهُ الْجَمْعِ؟ **قِيلَ**: الْآيَةُ الْأُولَى فِي النِّسَاءِ، وَهَذِهِ فِي الرِّجَالِ، وَهُوَ قَوْلُ مُجَاهِدٍ، **وَقِيلَ**: الْآيَةُ الْأُولَى فِي الثَّيِّبِ، وَهَذِهِ فِي الْبِكْرِ، ﴿فَإِن تَابَا﴾: مِنَ الْفَاحِشَةِ، ﴿وَأَصْلَحَا﴾: الْعَمَلَ فِيمَا بَعْدُ، ﴿فَأَعْرِضُواْ عَنْهُمَآۗ﴾: فَلَا تُؤْذُوهُمَا؛ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾: وَهَذَا كُلُّهُ كَانَ قَبْلَ نُزُولِ الْحُدُودِ، فَنُسِخَتْ بِالْجَلْدِ وَالرَّجْمِ، وَالجَلْدُ فِي الْقُرْآنِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍۖ﴾[النُّور:٢]، وَالرَّجْمُ فِي السُّنَّةِ.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَزَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الْجُهَنِيِّ رضي الله عنهما، أَنَّ رَجُلَيْنِ اخْتَصَمَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ أَحَدُهُمَا: اقْضِ يَا رَسُولَ اللهِ بَيْنَنَا بِكِتَابِ اللهِ، وَقَالَ الْآخَرُ -وَكَانَ أَفْقَهَهُمَا-: أَجَلْ يَا رَسُولَ اللهِ فَاقْضِ بَيْنَنَا بِكِتَابِ اللهِ، وَائْذَنْ لِي أَنْ أَتَكَلَّمَ، فَقَالَ: «**تَكَلَّمْ**»، قَالَ: إِنَّ ابْنِي كَانَ عَسِيفًا عَلَى هَذَا، فَزَنَى بِامْرَأَتِهِ فَأَخْبَرُونِي أَنَّ عَلَى ابْنِي الرَّجْمَ، فَافْتَدَيْتُ مِنْهُ بِمِائَةِ شَاةٍ وَبِجَارِيَةٍ لِي، ثُمَّ إِنِّي سَأَلْتُ أَهْلَ الْعِلْمِ فَأَخْبَرُونِي أَنَّمَا عَلَى ابْنِي جَلْدُ مائَةٍ وَتَغْرِيبُ عَامٍ، وَإِنَّمَا الرَّجْمُ عَلَى امْرَأَتِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَمَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَأَقْضِيَنَّ بَيْنَكُمَا بِكِتَابِ اللهِ، أَمَّا غَنَمُكَ وَجَارِيَتُكَ فَرَدٌّ**

عَلَيْكَ»، وَجَلَدَ ابْنَهُ مِائَةً وَغَرَّبَهُ عَامًا، وَأَمَرَ أُنَيْسًا الْأَسْلَمِيَّ أَنْ يَأْتِيَ امْرَأَةَ الْآخَرِ فَإِنِ اعْتَرَفَتْ رَجَمَهَا، فَاعْتَرَفَتْ، فَرَجَمَهَا[(١)].

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ **عُمَرُ** رضي الله عنه، إِنَّ اللهَ تعالى بَعَثَ مُحَمَّدًا ﷺ بِالْحَقِّ وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ الْكِتَابَ، فَكَانَ مِمَّا أَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى آيَةُ الرَّجْمِ، فَقَرَأْنَاهَا وَعَقِلْنَاهَا وَوَعَيْنَاهَا، رَجَمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَرَجَمْنَا بَعْدَهُ، وَأَخْشَى إِنْ طَالَ بِالنَّاسِ زَمَانٌ أَنْ يَقُولَ قَائِلٌ: وَاللهِ مَا نَجِدُ آيَةَ الرَّجْمِ فِي كِتَابِ اللهِ تَعَالَى، فَيَضِلُّوا بِتَرْكِ فَرِيضَةٍ أَنْزَلَهَا اللهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ، وَالرَّجْمُ فِي كِتَابِ اللهِ تَعَالَى حَقٌّ عَلَى مَنْ زَنَى إِذَا أَحْصَنَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ، إِذَا قَامَتِ الْبَيِّنَةُ أَوْ كَانَ الْحَبَلُ أَوِ الِاعْتِرَافُ[(٢)].

وَجُمْلَةُ حَدِّ الزِّنَا: أَنَّ الزَّانِيَ إِذَا كَانَ مُحْصَنًا -وَهُوَ الَّذِي اجْتَمَعَتْ فِيهِ أَرْبَعَةُ أَوْصَافٍ: الْعَقْلُ، وَالْبُلُوغُ، وَالْحُرِّيَّةُ، وَالْإِصَابَةُ بِالنِّكَاحِ الصَّحِيحِ- فَحَدُّهُ الرَّجْمُ، مُسْلِمًا كَانَ أَوْ ذِمِّيًّا، وَهُوَ الْمُرَادُ مِنَ الثَّيِّبِ الْمَذْكُورِ فِي الْحَدِيثِ، وَذَهَبَ أَصْحَابُ الرَّأْيِ إِلَى أَنَّ الْإِسْلَامَ مِنْ شَرَائِطِ الإِحْصَانِ وَلَا يُرْجَمُ الذِّمِّيُّ، وَقَدْ **صَحَّ** عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ رَجَمَ يَهُودِيَّيْنِ زَنَيَا، وَكَانَا قَدْ أَحْصَنَا[(٣)].

وَإِنْ كَانَ الزَّانِي غَيْرَ مُحْصَنٍ بِأَنْ لَمْ تَجْتَمِعْ فِيهِ هَذِهِ الْأَوْصَافُ نَظَرَ: إِنْ كَانَ غَيْرَ بَالِغٍ أَوْ كَانَ مَجْنُونًا فَلَا حَدَّ عَلَيْهِ، وَإِنْ كَانَ حُرًّا عَاقِلًا بَالِغًا غَيْرَ أَنَّهُ لَمْ يُصِبْ بِنِكَاحٍ صَحِيحٍ فَعَلَيْهِ جَلْدُ مِائَةٍ وَتَغْرِيبُ عَامٍ، وَإِنْ كَانَ عَبْدًا فَعَلَيْهِ جَلْدُ خَمْسِينَ، وَفِي تَغْرِيبِهِ قَوْلَانِ، إِنْ قُلْنَا يُغَرَّبُ فِيهِ قَوْلَانِ، أَصَحُّهُمَا نِصْفُ سَنَةٍ، كَمَا يُجْلَدُ خَمْسِينَ عَلَى نِصْفِ حَدِّ الْحُرِّ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ﴾: **قَالَ الْحَسَنُ**: يَعْنِي: التَّوْبَةَ الَّتِي يَقْبَلُهَا، فَيَكُونُ ﴿عَلَى﴾ بِمَعْنَى (عِنْدَ) **وَقِيلَ**: مِنَ اللهِ ﴿لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ﴾: **قَالَ قَتَادَةُ**:

---

(١) **صحيح**: البخاري: (٦٦٣٣)، ومسلم: (١٦٩٨).

(٢) **صحيح**: البخاري: (٦٨٣٠)، ومسلم: (١٦٩١).

(٣) **صحيح**: البخاري: (٣٦٣٥)، ومسلم: (١٦٩٩).

أَجْمَعَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَلَى أَنَّ كُلَّ مَا عُصِيَ بِهِ اللهُ فَهُوَ جَهَالَةٌ، عَمْدًا كَانَ أَوْ لَمْ يَكُنْ، وَكُلَّ مَنْ عَصَى اللهَ فَهُوَ جَاهِلٌ، **وَقَالَ مُجَاهِدٌ**: الْمُرَادُ مِنَ الْآيَةِ: الْعَمْدُ، **قَالَ الْكَلْبِيُّ**: لَمْ يَجْهَلْ أَنَّهُ أَذْنَبَ، لَكِنَّهُ جَهِلَ عُقُوبَتَهُ، **وَقِيلَ**: مَعْنَى الْجَهَالَةِ: اخْتِيَارُهُمُ اللَّذَّةَ الْفَانِيَةَ عَلَى اللَّذَّةِ الْبَاقِيَةِ، ﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ﴾: **قِيلَ**: مَعْنَاهُ قَبْلَ أَنْ يُحِيطَ السُّوءُ بِحَسَنَاتِهِ فَيُحْبِطَهَا، **وَقَالَ السُّدِّيُّ وَالْكَلْبِيُّ**: الْقَرِيبُ أَنْ يَتُوبَ فِي صِحَّتِهِ قَبْلَ مَرَضِ مَوْتِهِ، **وَقَالَ عِكْرِمَةُ**: قَبْلَ الْمَوْتِ، **وَقَالَ الضَّحَّاكُ**: قَبْلَ مُعَايَنَةِ مَلَكِ الْمَوْتِ.

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ اللهَ تَعَالَى يَقْبَلُ تَوْبَةَ الْعَبْدِ مَا لَمْ يُغَرْغِرْ**»[(١)].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ۝١٧ وَلَيۡسَتِ ٱلتَّوۡبَةُ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾: يَعْنِي: الْمَعَاصِي، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ﴾: وَوَقَعَ فِي النَّزْعِ ﴿قَالَ إِنِّي تُبۡتُ ٱلۡـَٰٔنَ﴾: وَهِيَ حَالَةُ السَّوْقِ حِينَ تُسَاقُ رُوحُهُ، لَا يُقْبَلُ مِنْ كَافِرٍ إِيمَانٌ وَلَا مِنْ عَاصٍ تَوْبَةٌ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَلَمۡ يَكُ يَنفَعُهُمۡ إِيمَٰنُهُمۡ لَمَّا رَأَوۡاْ بَأۡسَنَاۖ﴾[غَافِر:٨٥]، وَلِذَلِكَ لَمْ يَنْفَعْ إِيمَانُ فِرْعَوْنَ حِينَ أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ، ﴿وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمۡ كُفَّارٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعۡتَدۡنَا﴾: أَيْ: هَيَّأْنَا وَأَعْدَدْنَا ﴿لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرۡهٗاۖ وَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ لِتَذۡهَبُواْ بِبَعۡضِ مَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِن كَرِهۡتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرۡهٗاۖ﴾: نَزَلَتْ فِي أَهْلِ الْمَدِينَةِ كَانُوا فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَفِي أَوَّلِ الْإِسْلَامِ، إِذَا مَاتَ الرَّجُلُ وَلَهُ امْرَأَةٌ جَاءَ قَرِيبُهُ مِنْ عَصَبَتِهِ فَأَلْقَى ثَوْبَهُ عَلَى تِلْكَ الْمَرْأَةِ أَوْ عَلَى خِبَائِهَا [-أَيْ: مَنْزِلِهَا-] فَصَارَ أَحَقَّ بِهَا

(١) **حسن**: حسَّنه العلَّامة الألباني رحمه الله في «صحيح وضعيف سنن الترمذي» (٣٥٣٧). **وَقَوْلُهُ**: «**مَا لَمْ يُغَرْغِرْ**»: أي: ما لم تبلغ روحُهُ حُلقومَهُ، فتكونُ بمنزلة الشيء يُتَغَرْغَر به.اهـ«شرح السنة» (٥/ ٩١).

مِنْ نَفْسِهَا وَمِنْ غَيْرِهِ، فَإِنْ شَاءَ تَزَوَّجَهَا بِغَيْرِ صَدَاقٍ إِلَّا الصَّدَاقَ الْأَوَّلَ الَّذِي أَصْدَقَهَا الْمَيِّتُ، وَإِنْ شَاءَ زَوَّجَهَا غَيْرَهُ وَأَخَذَ صَدَاقَهَا، وَإِنْ شَاءَ عَضَلَهَا وَمَنَعَهَا مِنَ الْأَزْوَاجِ؛ يُضَارُّهَا لِتَفْتَدِيَ مِنْهُ بِمَا وَرِثَتْهُ مِنَ الْمَيِّتِ أَوْ تَمُوتَ هِيَ فَيَرِثُهَا، فَإِنْ ذَهَبَتِ الْمَرْأَةُ إِلَى أَهْلِهَا قَبْلَ أَنْ يُلْقِيَ عَلَيْهَا وَلِيُّ زَوْجِهَا ثَوْبَهُ فَهِيَ أَحَقُّ بِنَفْسِهَا، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرۡهٗاۖ﴾(1): قَرَأَ حَمْزَةُ وَالْكِسَائِيُّ ﴿كُرْهًا﴾ بِضَمِّ الْكَافِ هَاهُنَا وَفِي سُورَةِ التَّوْبَةِ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بِالْفَتْحِ، **قَالَ الكِسَائِيُّ**: هُمَا لُغَتَانِ، **وَقَالَ الْفَرَّاءُ**: الْكَرْهُ بِالْفَتْحِ مَا أُكْرِهُ عَلَيْهِ، وَبِالضَّمِّ مَا كَانَ مِنْ قِبَلِ نَفْسِهِ مِنَ الْمَشَقَّةِ ﴿وَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ لِتَذۡهَبُواْ بِبَعۡضِ مَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ﴾: أَيْ لَا تَمْنَعُوهُنَّ مِنَ الْأَزْوَاجِ لِيَضْجَرْنَ فَيَفْتَدِينَ بِبَعْضِ مَالِهِنَّ، **قِيلَ**: هَذَا خِطَابٌ لِأَوْلِيَاءِ الْمَيِّتِ، وَالصَّحِيحُ أَنَّهُ خِطَابٌ لِلْأَزْوَاجِ، **قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ** رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: هَذَا فِي الرَّجُلِ تَكُونُ لَهُ الْمَرْأَةُ وَهُوَ كَارِهٌ لِصُحْبَتِهَا وَلَهَا عَلَيْهِ مَهْرٌ، فَيُضَارُّهَا لِتَفْتَدِيَ وَتَرُدَّ إِلَيْهِ مَا سَاقَ إِلَيْهَا مِنَ الْمَهْرِ، فَنَهَى اللهُ تَعَالَى عَنْ ذَلِكَ ثُمَّ قَالَ ﴿إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ﴾ فَحِينَئِذٍ يَحِلُّ لَكُمْ إِضْرَارُهُنَّ لِيَفْتَدِينَ مِنْكُمْ، **وَاخْتَلَفُوا فِي الفَاحِشَةِ، فَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ وَقَتَادَةُ**: هِيَ النُّشُوزُ، **وَقَالَ بَعْضُهُمْ وَهُوَ قَوْلُ الْحَسَنِ**: هِيَ الزِّنَا، يَعْنِي: الْمَرْأَةُ إِذَا نَشَزَتْ أَوْ زَنَتْ حَلَّ لِلزَّوْجِ أَنْ يَسْأَلَهَا الْخُلْعَ، **وَقَالَ عَطَاءٌ**: كَانَ الرَّجُلُ إِذَا أَصَابَتِ امْرَأَتُهُ فَاحِشَةً أَخَذَ مِنْهَا مَا سَاقَ إِلَيْهَا وَأَخْرَجَهَا، فَنَسَخَ اللهُ تَعَالَى ذَلِكَ بِالْحُدُودِ، وَقَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ وَأَبُو بَكْرٍ: ﴿مُبَيَّنَة﴾، وَ﴿مُبَيَّنَاتٍ﴾ بِفَتْحِ الْيَاءِ وَوَافَقَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ وَالْبَصْرَةِ فِي ﴿مُبَيَّنَاتٍ﴾ وَالْبَاقُونَ بِكَسْرِهَا.

﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ﴾: **قَالَ الحَسَنُ**: رَاجِعٌ إِلَى أَوَّلِ الْكَلَامِ، يَعْنِي: ﴿وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحۡلَةٗۚ﴾[النِّساء:٤]، ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ﴾، **وَالمُعَاشَرَةُ بِالمَعْرُوفِ**: هُوَ الْإِجْمَالُ فِي الْقَوْلِ وَالْمَبِيتِ وَالنَّفَقَةِ، **وَقِيلَ**: هُوَ أَنْ يَتَصَنَّعَ لَهَا كَمَا تَتَصَنَّعُ لَهُ،

---

(١) **صحيح**: البخاري: (٤٥٧٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وهو في "الصحيح المسند من أسباب النزول" للإمام الوادعي رحمه الله ص(٧٥-٧٦).

﴿فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾: **قِيلَ**: هُوَ وَلَدٌ صَالِحٌ، أَوْ يَعْطِفُهُ اللهُ عَلَيْهَا.

﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُواْ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٢٠﴾ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا ﴿٢١﴾ وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَـٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا﴾

﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ﴾: أَرَادَ بِالزَّوْجِ الزَّوْجَة إِذَا لَمْ يَكُنْ مِنْ قِبَلِهَا نُشُوزٌ وَلَا فَاحِشَةٌ، ﴿وَءَاتَيْتُمْ﴾: أَعْطَيْتُمْ ﴿إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا﴾: وَهُوَ الْمَالُ الْكَثِيرُ: صَدَاقًا، ﴿فَلَا تَأْخُذُواْ مِنْهُ﴾: أَيْ: مِنَ الْقِنْطَارِ ﴿شَيْـًٔا ۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ﴾: اسْتِفْهَام نَهْي بِمَعْنَى التَّوْبِيخ، ﴿بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾: انْتِصَابُهُمَا مِنْ وَجْهَيْنِ: أَحَدُهُمَا: بِنَزْعِ الْخَافِضِ، وَالثَّانِي: بِالْإِضْمَارِ تَقْدِيرُهُ: تُصِيبُونَ فِي أَخْذِهِ بُهْتَانًا وَإِثْمًا، ثُمَّ قَالَ: ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ﴾: عَلَى طَرِيقِ الِاسْتِعْظَام ﴿وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾: أَرَادَ بِهِ الْمُجَامَعَةَ، وَلَكِنَّ اللهَ حَيِيٌّ يُكَنِّي، **وَأَصْلُ الْإِفْضَاءِ**: الْوُصُولُ إِلَى الشَّيْءِ مِنْ غَيْرِ وَاسِطَةٍ، ﴿وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا﴾: **قَالَ الْحَسَنُ وَابْنُ سِيرِينَ وَالضَّحَّاكُ وَقَتَادَةُ**: هُوَ قَوْلُ الْوَلِيِّ عِنْدَ الْعَقْدِ: زَوَّجْتُكَهَا عَلَى مَا أَخَذَ اللهُ لِلنِّسَاءِ عَلَى الرِّجَالِ مِنْ إِمْسَاكٍ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٍ بِإِحْسَانٍ، **وَقَالَ الشَّعْبِيُّ وَعِكْرِمَةُ**: هُوَ مَا رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**اتَّقُوا اللهَ فِي النِّسَاءِ؛ فَإِنَّكُمْ أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانَةِ اللهِ تَعَالَى، وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللهِ تَعَالَى**»(١).

قَوْلُهُ ﷻ: ﴿وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾: كَانَ أَهْلُ الجَاهِلِيَّةِ يَنْكِحُونَ أَزْوَاجَ آبَائِهِمْ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ

(١) **صحيح**: مسلم: (١٢١٨) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

ﱡﭐ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدۡ سَلَفَۚ ﱠ[(١)] : **قِيلَ**: بَعْدَ مَا سَلَفَ، **وَقِيلَ**: مَعْنَاهُ: لَكِنْ مَا سَلَفَ، أَيْ: مَا مَضَى فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَهُوَ مَعْفُوٌّ عَنْهُ ﱡﭐ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةٗ ﱠ أَيْ إِنَّهُ فَاحِشَةٌ وَ ﱡﭐ كَانَ ﱠ فِيهِ صِلَةٌ، **وَالْفَاحِشَةُ**: أَقْبَحُ الْمَعَاصِي، ﱡﭐ وَمَقۡتٗا ﱠ: أَيْ: يُورِثُ مَقْتَ اللهِ، **وَالْمَقْتُ**: أَشَدُّ الْبُغْضِ، ﱡﭐ وَسَآءَ سَبِيلًا ﱠ: وَبِئْسَ ذَلِكَ طَرِيقًا، وَكَانَتِ الْعَرَبُ تَقُولُ لِوَلَدِ الرَّجُلِ مِنِ امْرَأَةِ أَبِيهِ: مَقِيتٌ.

عَنْ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رضي الله عنه قَالَ: مَرَّ بِي خَالِي أَبُو بُرْدَةَ بْن نِيَار وَمَعَهُ لِوَاءٌ، فَقُلْتُ أَيْنَ تَذْهَبُ؟ قَالَ بَعَثَنِي النَّبِيُّ ﷺ إِلَى رَجُلٍ تَزَوَّجَ امْرَأَةَ أَبِيهِ أَنْ آتِيه بِرَأْسِهِ[(٢)].

ﱡﭐ حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمۡ أُمَّهَٰتُكُمۡ وَبَنَاتُكُمۡ وَأَخَوَٰتُكُمۡ وَعَمَّٰتُكُمۡ وَخَٰلَٰتُكُمۡ وَبَنَاتُ ٱلۡأَخِ وَبَنَاتُ ٱلۡأُخۡتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِيٓ أَرۡضَعۡنَكُمۡ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمۡ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِي دَخَلۡتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمۡ تَكُونُواْ دَخَلۡتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ وَحَلَٰٓئِلُ أَبۡنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنۡ أَصۡلَٰبِكُمۡ وَأَن تَجۡمَعُواْ بَيۡنَ ٱلۡأُخۡتَيۡنِ إِلَّا مَا قَدۡ سَلَفَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﱠ

قَوْلُهُ تَعالَى: ﱡﭐ حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمۡ أُمَّهَٰتُكُمۡ ﱠ: الْآيَة، بَيَّنَ اللهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْمُحَرَّمَاتِ بِسَبَبِ الْوُصْلَةِ، وَجُمْلَةُ الْمُحَرَّمَاتِ فِي كِتَابِ اللهِ تَعَالَى أَرْبَعَ عَشْرَةَ: سَبْعٌ بِالنَّسَبِ، وَسَبْعٌ بِالسَّبَبِ، فَأَمَّا السَّبْعُ بِالسَّبَبِ: فَمِنْهَا اثْنَتَانِ بِالرِّضَاعِ، وَأَرْبَعٌ بِالصِّهْرِيَّةِ، وَالسَّابِعَةُ الْمُحْصَنَاتُ، وَهُنَّ ذَوَاتُ الْأَزْوَاجِ، وَأَمَّا السَّبْعُ بِالنَّسَبِ: فَقَوْلُهُ

---

(١) قال العلَّامة الإمام مقبل بن هادي الوادعي رحمه الله: قال الإمام **ابنُ جرير** رحمه الله جـ(٤) صـ(٣١٨): حدثني محمد بن عبد الله المخرمي، قال: حدثنا قُرادٌ، قال: حدثنا ابن عيينة، عن عمرو، عن عكرمة **عن ابن عبَّاس** قال: كان أهلُ الجاهلية يحرِّمون ما يَحرُمُ إلَّا امرأةَ الأب، والجَمْعَ بين الأُختَين، قال فأنزل الله: ﱡﭐ وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدۡ سَلَفَۚ ﱠ إلى قولِهِ: ﱡﭐ وَأَن تَجۡمَعُواْ بَيۡنَ ٱلۡأُخۡتَيۡنِ ﱠ. الحديث رجاله رجال الصحيح إلَّا محمد بن عبد الله المخرمي، وهو ثقة حافظ.اهـ "الصحيح المسند من أسباب النزول" صـ(٧٦-٧٧).

(٢) **صحيح**: صحَّحه العلَّامة الألباني رحمه الله في "صحيح وضعيف سنن الترمذي" (١٣٦٢).

تَعَالَى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ﴾: وَهِيَ جَمْعُ (أُمٍّ) فيَدْخُلُ فِيهِنَّ الْجَدَّاتُ وَإِنْ عَلَوْنَ مِنْ قِبَلِ الأُمِّ أَوْ مِنْ قِبَلِ الأَبِ، ﴿وَبَنَاتُكُمْ﴾: جَمْعُ: (الْبِنْتِ)، فَيَدْخُلُ فِيهِنَّ بَنَاتُ الْأَوْلَادِ وَإِنْ سَفَلْنَ، ﴿وَأَخَوَٰتُكُمْ﴾: جَمْعُ (الْأُخْتِ)، سَوَاءٌ كَانَتْ مِنْ قِبَلِ الْأَبِ وَالْأُمِّ أَوْ مِنْ قِبَلِ أَحَدِهِمَا، ﴿وَعَمَّٰتُكُمْ﴾: جَمْعُ (الْعَمَّةِ)، وَيَدْخُلُ فِيهِنَّ جَمِيعُ أَخَوَاتِ آبَائِكَ وَأَجْدَادِكَ وَإِنْ عَلَوْنَ، ﴿وَخَٰلَٰتُكُمْ﴾: جَمْعُ (خَالَةٍ)، وَيَدْخُلُ فِيهِنَّ جَمِيعُ أَخَوَاتِ أُمَّهَاتِكَ وَجَدَّاتِكَ، ﴿وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ﴾: وَيَدْخُلُ فِيهِنَّ بَنَات أَوْلَادِ الْأَخِ وَالْأُخْتِ وَإِنْ سَفَلْنَ، وَجُمْلَتُهُ: أَنَّهُ يَحْرُمُ عَلَى الرَّجُلِ أُصُولُهُ، وَفُصُولُهُ، وَفُصُولُ أَوَّلِ أُصُولِهِ، وَأَوَّلُ فَصْلٍ مِنْ كُلِّ أَصْلٍ بَعْدَهُ، وَالأُصُولُ: هُنَّ الْأُمَّهَاتُ، وَالْجَدَّاتُ، وَالْفُصُولُ: الْبَنَاتُ وَبَنَاتُ الأَوْلَادِ، وَفُصُولُ أَوَّلِ أُصُولِهِ: هِيَ الْأَخَوَاتُ، وَبَنَاتُ الْإِخْوَةِ وَالْأَخَوَاتِ، وَأَوَّلُ فَصْلٍ مِنْ كُلِّ أَصْلٍ بَعْدَهُ: هُنَّ الْعَمَّاتُ وَالْخَالَاتُ وَإِنْ عَلَوْنَ.

وَأَمَّا الْمُحَرَّمَاتُ بِالرَّضَاعِ فَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِيٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ﴾: وَجُمْلَتُهُ: أَنَّهُ يَحْرُمُ مِنَ الرَّضَاعَةِ مَا يَحْرُمُ مِنَ النَّسَبِ.

عَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**يَحْرُمُ مِنَ الرَّضَاعَةِ مَا يَحْرُمُ مِنَ الْوِلَادَةِ**»(١).

عَنْ عَمْرَةَ بِنْتِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، **عَنْ عَائِشَةَ** زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهَا أَخْبَرَتْهَا: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ عِنْدَهَا وَأَنَّهَا سَمِعَتْ صَوْتَ رَجُلٍ يَسْتَأْذِنُ فِي بَيْتِ حَفْصَةَ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ رضي الله عنها: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! هَذَا رَجُلٌ يَسْتَأْذِنُ فِي بَيْتِكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أُرَاهُ فُلَانًا**» - لِعَمِّ حَفْصَةَ مِنَ الرَّضَاعَةِ- فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ لَوْ كَانَ فُلَانٌ حَيًّا- لِعَمِّهَا مِنَ الرَّضَاعَةِ- أَيَدْخُلُ عَلَيَّ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**نَعَمْ؛ إِنَّ الرَّضَاعَةَ تُحَرِّمُ مَا يَحْرُمُ مِنَ الْوِلَادَةِ**»(٢).

---

(١) **صحيح:** مسلم: (١٤٤٥).

(٢) **صحيح:** البخاري: (٥٠٩٩)، ومسلم: (١٤٤٤).

وَإِنَّمَا تَثْبُتُ حُرْمَةُ الرَّضَاعِ بِشَرْطَيْنِ: أَحَدُهُمَا: أَنْ يَكُونَ قَبْلَ اسْتِكْمَالِ الْمَوْلُودِ حَوْلَيْنِ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾[البَقَرَة:٢٣٣]، وَرُوِيَ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا يُحَرِّمُ مِنَ الرَّضَاعِ إِلَّا مَا فَتَقَ الأَمْعَاءَ فِي الثَّدْيِ وَكَانَ قَبْلَ الفِطَامِ»(١).

وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: «لَا رَضَاعَ إِلَّا مَا أَنْشَزَ الْعَظْمَ وَأَنْبَتَ اللَّحْمَ»(٢).

وَإِنَّمَا يَكُونُ هَذَا فِي حَالِ الصِّغَرِ، وَعِنْدَ أَبِي حَنِيفَةَ رضي الله عنه مُدَّةُ الرَّضَاعِ ثَلَاثُونَ شَهْرًا؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا﴾[الْأَحْقَاف:١٥]، وَهُوَ عِنْدَ الْأَكْثَرِينَ لِأَقَلِّ مُدَّةِ الْحَمْلِ وَأَكْثَرِ مُدَّةِ الرَّضَاعِ، وَأَقَلُّ مُدَّةِ الْحَمْلِ سِتَّةُ أَشْهُرٍ. وَالشَّرْطُ الثَّانِي: أَنْ يُوجَدَ خَمْسُ رَضَعَاتٍ مُتَفَرِّقَاتٍ، يُرْوَى ذَلِكَ عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، وَبِهِ قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ الزُّبَيْرِ وَإِلَيْهِ ذَهَبَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللهُ، وَذَهَبَ أَكْثَرُ أَهْلِ الْعِلْمِ إِلَى أَنَّ قَلِيلَ الرَّضَاعِ وَكَثِيرَهُ يُحَرِّمُ، وَهُوَ قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ وَابْنِ عُمَرَ، وَبِهِ قَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ، وَإِلَيْهِ ذَهَبَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ وَمَالِكٌ وَالْأَوْزَاعِيُّ وَعَبْدُ اللهِ بْنُ الْمُبَارَكِ وَأَصْحَابُ الرَّأْيِ، وَاحْتَجَّ مَنْ ذَهَبَ إِلَى أَنَّ الْقَلِيلَ لَا يُحَرِّمُ بِمَا رُوِيَ عنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ الزُّبَيْرِ عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَا تُحَرِّمُ الْمَصَّةُ وَالْمَصَّتَانِ»(٣).

عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رضي الله عنها أَنَّهَا قَالَتْ: كَانَ فِيمَا أُنْزِلَ فِي الْقُرْآنِ عَشْرُ رَضَعَاتٍ مَعْلُومَاتٍ يُحَرِّمْنَ، ثُمَّ نُسِخْنَ بِخَمْسٍ مَعْلُومَاتٍ، فَتُوُفِّيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهُنَّ فِيمَا يُقْرَأُ مِنَ الْقُرْآنِ(٤).

---

(١) **صحيح:** صحَّحه العلَّامة الألباني رَحِمَهُ اللهُ في "صحيح وضعيف سنن الترمذي" (١١٥٢). **وقولُهُ:** «إِلَّا مَا فَتَقَ الْأَمْعَاءَ»: أي: الذي شق أمعاء الصبي، كالطعام وقع منه موقع الغذاء.اهـ"المرقاة" (٥/ ٢٠٨٢).

(٢) **صحيح:** صحَّحه العلَّامة الألباني رَحِمَهُ اللهُ في "صحيح وضعيف سنن أبي داود" (٢٠٥٩).

(٣) **صحيح:** مسلم: (١٤٥٠).

(٤) **صحيح:** مسلم: (١٤٥٢). قال الطيبيُّ رَحِمَهُ اللهُ: قول عائشة رضي الله عنها هذا مؤوَّلٌ بأنه كان يقرؤه من لم يبلغه النسخ حتى بلغه فترك؛ لأن القرآن محفوظ من الزيادة والنقصان، وهذا من جملة ما نُسخ لفظه، ومعناه باقٍ.اهـ"البحر المحيط الثجاج" (٢٥/ ٦٣٨).

وَأَمَّا الْمُحَرَّمَاتُ بِالصِّهْرِيَّةِ فَقَوْلُهُ: ﴿وَأُمَّهَـٰتُ نِسَآئِكُمْ﴾: وَجُمْلَتُهُ أَنَّ كُلَّ مَنْ عَقَدَ النِّكَاحَ عَلَى امْرَأَةٍ فَتَحْرُمُ عَلَى النَّاكِحِ أُمَّهَاتُ الْمَنْكُوحَةِ وَجَدَّاتُهَا وَإِنْ عَلَوْنَ مِنَ الرَّضَاعَةِ وَالنَّسَبِ بِنَفْسِ الْعَقْدِ، ﴿وَرَبَـٰٓئِبُكُمُ ٱلَّـٰتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّـٰتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ﴾: **الرَّبَائِبُ**: جَمْعُ (رَبِيبَة)، وَهِيَ بِنْتُ الْمَرْأَةِ، سُمِّيَتْ رَبِيبَة لِتَرْبِيَتِهِ إِيَّاهَا. وَقَوْلُهُ: ﴿فِي حُجُورِكُم﴾: أَيْ: فِي تَرْبِيَتِكُمْ، يُقَالُ: (فَلَانٌ فِي حِجْرِ فُلَانٍ) إِذَا كَانَ فِي تَرْبِيَتِهِ، ﴿دَخَلْتُم بِهِنَّ﴾: أَيْ: جَامَعْتُمُوهُنَّ، **وَيَحْرُمُ عَلَيْهِ أَيْضًا**: بَنَاتُ الْمَنْكُوحَةِ وَبَنَاتُ أَوْلَادِهَا وَإِنْ سَفَلْنَ مِنَ الرَّضَاعِ وَالنَّسَبِ بَعْدَ الدُّخُولِ بِالْمَنْكُوحَةِ حَتَّى لَوْ فَارَقَ الْمَنْكُوحَةَ قَبْلَ الدُّخُولِ بِهَا أَوْ مَاتَتْ جَازَ لَهُ أَنْ يَنْكِحَ ابْنَتَهَا، وَلَا يَجُوزَ لَهُ أَنْ يَنْكِحَ أُمَّهَا؛ لِأَنَّ اللهَ تَعَالَى أَطْلَقَ تَحْرِيمَ الْأُمَّهَاتِ، وَقَالَ فِي تَحْرِيمِ الرَّبَائِبِ، ﴿فَإِن لَّمْ تَكُونُوا۟ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾: يَعْنِي: فِي نِكَاحِ بَنَاتِهِنَّ إِذَا فَارَقْتُمُوهُنَّ أَوْ مِتْنَ، ﴿وَحَلَـٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَـٰبِكُمْ﴾: يَعْنِي: أَزْوَاج أَبْنَائِكُمْ، وَاحِدَتُهَا: (حَلِيلَةٌ)، وَالذَّكَرُ (حَلِيلٌ)، سُمِّيَا بِذَلِكَ؛ لِأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا حَلَالٌ لِصَاحِبِهِ، **وَقِيلَ**: سُمِّيَا بِذَلِكَ؛ لِأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَحِلُّ حَيْثُ يَحِلُّ صَاحِبُهُ مِنَ الْحُلُولِ وَهُوَ النُّزُولُ، **وَقِيلَ**: لِأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَحِلُّ إِزَارَ صَاحِبِهِ، مِنَ: (الْحَلِّ) وَهُوَ ضِدُّ (الْعَقْلِ)، **وَجُمْلَتُهُ**: أَنَّهُ يَحْرُمُ عَلَى الرَّجُلِ حَلَائِلُ أَبْنَائِهِ وَأَبْنَاءِ أَوْلَادِهِ وَإِنْ سَفَلُوا مِنَ الرِّضَاعِ وَالنَّسَبِ بِنَفْسِ الْعَقْدِ وَإِنَّمَا قَالَ ﴿مِنْ أَصْلَـٰبِكُمْ﴾؛ لِيُعْلِمَ أَنَّ حَلِيلَةَ الْمُتَبَنَّى لَا تَحْرُمُ عَلَى الرَّجُلِ الَّذِي تَبَنَّاهُ؛ فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ تَزَوَّجَ امْرَأَةَ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ، وَكَانَ زَيْدٌ قد تَبَنَّاهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ[1]. وَالرَّابِعُ مِنَ الْمُحَرَّمَاتِ بِالصِّهْرِيَّةِ حَلِيلَةُ الْأَبِ وَالْجَدِّ وَإِنْ عَلَا، فَيَحْرُمُ عَلَى الْوَلَدِ وَوَلَدِ الْوَلَدِ بِنَفْسِ الْعَقْدِ، سَوَاءٌ كَانَ الْأَبُ مِنَ الرِّضَاعِ أَوْ مِنَ النَّسَبِ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم﴾ [النِّسَاء:٢٢]، وَقَدْ سَبَقَ ذِكْرُهُ، وَكُلُّ امْرَأَةٍ تَحْرُمُ عَلَيْكَ بِعَقْدِ النِّكَاحِ تَحْرُمُ بِالْوَطْءِ فِي مِلْكِ الْيَمِينِ، وَالْوَطْءُ بِشُبْهَةِ النِّكَاحِ حَتَّى لَوْ وَطِئَ امْرَأَةً بِالشُّبْهَةِ أَوْ

(١) **صحيح:** البخاري: (٧٤٢٠).

جَارِيَةً بِمِلْكِ الْيَمِينِ فَتَحْرُمُ عَلَى الْوَاطِئِ أُمُّ الْمَوْطُوءَةِ وَابْنَتُهَا وَتَحْرُمُ الْمَوْطُوءَةُ عَلَى أَبِ الْوَاطِئِ وَعَلَى ابْنِهِ. وَلَوْ زَنَى بِامْرَأَةٍ: فَقَدِ اخْتَلَفَ فِيهِ أَهْلُ العِلْمِ: فَذَهَبَ جَمَاعَةٌ إِلَى أَنَّهُ لَا تَحْرُمُ عَلَى الزَّانِي أُمُّ الْمَزْنِي بِهَا وَابْنَتُهَا، وَلَا تَحْرُمُ الزَّانِيَةُ عَلَى أَبِ الزَّانِي وَابْنِهِ، وَهُوَ قَوْلُ عَلِيٍّ وَابْنِ عَبَّاسٍ ﭫ، وَبِهِ قَالَ سَعِيدُ بْنُ المُسَيّبِ وَعُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ وَالزُّهْرِيُّ، وَإِلَيْهِ ذَهَبَ مَالِكٌ وَالشَّافِعِيُّ رَحِمَهُمُ اللهُ تَعَالَى، وَذَهَبَ قَوْمٌ إِلَى التَّحْرِيمِ، يُرْوَى ذَلِكَ عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ وَأَبِي هُرَيْرَةَ ﭫ، وَبِهِ قَالَ جَابِرُ بْنُ زَيْدٍ وَالْحَسَنُ وَهُوَ قَوْلُ أَصْحَابِ الرَّأْيِ.

وَلَوْ مَسَّ امْرَأَةً بِشَهْوَةٍ أَوْ قَبَّلَهَا فَهَلْ يُجْعَلُ ذَلِكَ كَالدُّخُولِ فِي إِثْبَاتِ حُرْمَةِ المُصَاهَرَةِ؟ وَكَذَلِكَ لَوْ مَسَّ امْرَأَةً بِشَهْوَةٍ فَهَلْ يُجْعَلُ كَالْوَطْءِ فِي تَحْرِيمِ الرَّبِيبَةِ؟ فِيهِ قَوْلَانِ: أَصَحُّهُمَا -وَهُوَ قَوْلُ أَكْثَرِ أَهْلِ العِلْمِ- أَنَّهُ تَثْبُتُ بِهِ الْحُرْمَةُ، وَالثَّانِي: لَا تَثْبُتُ كَمَا لَا تَثْبُتُ بِالنَّظَرِ بِالشَّهْوَةِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَن تَجۡمَعُواْ بَيۡنَ ٱلۡأُخۡتَيۡنِ﴾: لَا يَجُوزُ لِلرَّجُلِ أَنْ يَجْمَعَ بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ فِي النِّكَاحِ سَوَاءٌ كَانَتِ الْأُخُوَّةُ بَيْنَهُمَا بِالنَّسَبِ أَوْ بِالرِّضَاعِ، فَإِذَا نَكَحَ امْرَأَةً ثُمَّ طَلَّقَهَا بَائِنًا جَازَ لَهُ نِكَاحُ أُخْتِهَا، وَكَذَلِكَ لَوْ مَلَكَ أُخْتَيْنِ بِمِلْكِ الْيَمِينِ لَمْ يَجُزْ لَهُ أَنْ يَجْمَعَ بَيْنَهُمَا فِي الْوَطْءِ، فَإِذَا وَطِئَ إِحْدَاهُمَا لَمْ يَحِلَّ لَهُ وَطْءُ الْأُخْرَى حَتَّى يُحَرِّمَ الْأُولَى عَلَى نَفْسِهِ. وَكَذَلِكَ لَا يَجُوزُ أَنْ يَجْمَعَ بَيْنَ الْمَرْأَةِ وَعَمَّتِهَا وَلَا بَيْنَ الْمَرْأَةِ وَخَالَتِهَا.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﭬ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**لَا يُجْمَعُ بَيْنَ الْمَرْأَةِ وَعَمَّتِهَا، وَلَا بَيْنَ الْمَرْأَةِ وَخَالَتِهَا**»[(١)].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِلَّا مَا قَدۡ سَلَفَۗ﴾: يَعْنِي: لَكِنْ مَا مَضَى فَهُوَ مَعْفُوٌّ عَنْهُ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَفْعَلُونَهُ قَبْلَ الْإِسْلَامِ، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾.

(١) **صحيح:** البخاري: (٥١٠٩)، ومسلم: (١٤٠٨).

﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۖ كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ ۚ فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَٰضَيْتُم بِهِۦ مِنۢ بَعْدِ ٱلْفَرِيضَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾: يَعْنِي: ذَوَاتَ الْأَزْوَاجِ، لَا يَحِلُّ لِلْغَيْرِ نِكَاحُهُنَّ قَبْلَ مُفَارَقَةِ الْأَزْوَاجِ، وَهَذِهِ السَّابِعَةُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي حُرِّمْنَ بِالسَّبَبِ، ثُمَّ اسْتَثْنَى فَقَالَ: ﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾: يَعْنِي: السَّبَايَا اللَّوَاتِي سُبِينَ وَلَهُنَّ أَزْوَاجٌ فِي دَارِ الْحَرْبِ فَيَحِلُّ لِمَالِكِهِنَّ وَطْؤُهُنَّ بَعْدَ الِاسْتِبْرَاءِ، لِأَنَّ بِالسَّبْيِ يَرْتَفِعُ النِّكَاحُ بَيْنَهَا وَبَيْنَ زَوْجِهَا، **قَالَ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ** رضي الله عنه: بَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمَ حُنَيْنٍ جَيْشًا إِلَى أَوْطَاسٍ، فَأَصَابُوا سَبَايَا لَهُنَّ أَزْوَاجٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَكَرِهُوا غَشَيَانَهُنَّ، فَأَنْزَلَ اللهُ عز وجل فِي ذَلِكَ: ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾، أَيْ: فَهُنَّ لَكُمْ حَلَالٌ إِذَا انْقَضَتْ عِدَّتُهُنَّ(١).

وَقِيلَ: أَرَادَ بِالْمُحْصَنَاتِ الْحَرَائِرَ وَمَعْنَاهُ: أَنَّ مَا فَوْقَ الْأَرْبَعِ مِنْهُنَّ حَرَامٌ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ؛ فَإِنَّهُ لَا عَدَدَ عَلَيْكُمْ فِي الْجَوَارِي.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾: نُصِبَ عَلَى الْمَصْدَرِ، أَيْ: كَتَبَ اللهُ عَلَيْكُم كِتَابَ اللهِ، **وَقِيلَ:** نُصِبَ عَلَى الْإِغْرَاءِ، أَيْ: الْزَمُوا كِتَابَ اللهِ عَلَيْكُمْ، أَيْ: فَرْضُ اللهِ عَلَيْكُمْ، ﴿وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ﴾: قَرَأَ أَبُو جَعْفَرٍ وَحَمْزَةُ وَالكِسَائِيُّ وَحَفْصٌ: ﴿وَأُحِلَّ﴾ بِضَمِّ الْأَوَّلِ وَكَسْرِ الْحَاءِ؛ لِقَوْلِهِ: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ﴾، وَقَرَأَ الْآخَرُونَ بِالنَّصْبِ، أَيْ: أَحَلَّ اللهُ لَكُمْ ﴿مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ﴾: أَيْ: مَا سِوَى ذَلِكُمُ الَّذِي ذَكَرْتُ مِنَ الْمُحَرَّمَاتِ، ﴿أَن تَبْتَغُوا۟﴾: تَطْلُبُوا ﴿بِأَمْوَٰلِكُم﴾: أَيْ: تَنْكِحُوا بِصَدَاقٍ أَوْ تَشْتَرُوا

---

(١) **صحيح:** مسلم (١٤٥٦) وهو في «الصحيح المسند من أسباب النزول» للإمام العلَّامة مقبل بن هادي الوادعي رحمه الله صـ(٧٧).

بِثَمَنٍ، ﴿مُّحۡصِنِينَ﴾: أَيْ: مُتَزَوِّجِينَ أَوْ مُتَعَفِّفِينَ، ﴿غَيۡرَ مُسَٰفِحِينَۚ﴾: أَيْ: غَيْر زَانِينَ، مَأْخُوذٌ مِنْ سَفْحِ الْمَاءِ وَصَبِّهِ وَهُوَ الْمَنِيُّ، ﴿فَمَا ٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِهِۦ مِنۡهُنَّ﴾: **اخْتَلَفُوا فِي مَعْنَاهُ، فَقَالَ الْحَسَنُ وَمُجَاهِدٌ**: أَرَادَ مَا انْتَفَعْتُمْ وَتَلَذَّذْتُمْ بِالْجِمَاعِ مِنَ النِّسَاءِ بِالنِّكَاحِ الصَّحِيحِ، ﴿فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾: أَيْ: مُهُورُهُنَّ، **وَقَالَ آخَرُونَ**: هُوَ نِكَاحُ الْمُتْعَةِ، وَهُوَ أَنْ تَنْكِحَ امْرَأَةً إِلَى مُدَّةٍ فَإِذَا انْقَضَتْ تِلْكَ الْمُدَّةُ بَانَتْ مِنْهُ بِلَا طَلَاقٍ، وَتَسْتَبْرِئُ رَحِمهَا، وَلَيْسَ بَيْنَهُمَا مِيرَاثٌ، وَكَانَ ذَلِكَ مُبَاحًا فِي ابْتِدَاءِ الْإِسْلَامِ، ثُمَّ نَهَى عَنْهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ.

عَنْ سَبْرَةَ الْجُهَنِيِّ رضي الله عنه، أَنَّهُ كَانَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي كُنْتُ أَذِنْتُ لَكُمْ فِي الِاسْتِمْتَاعِ مِنَ النِّسَاءِ، وَإِنَّ اللهَ تَعَالَى قَدْ حَرَّمَ ذَلِكَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَمَنْ كَانَ عِنْدَهُ مِنْهُنَّ شَيْءٌ فَلْيُخَلِّ سَبِيلَهُ وَلَا تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا**»[(١)].

عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ نَهَى عَنْ مُتْعَةِ النِّسَاءِ يَوْمَ خَيْبَرَ، وَعَنْ أَكْلِ لُحُومِ الْحُمُرِ الْإِنْسِيَّةِ[(٢)].

وَإِلَى هَذَا ذَهَبَ عَامَّةُ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّ نِكَاحَ الْمُتْعَةِ حَرَامٌ، وَالْآيَةُ مَنْسُوخَةٌ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾: أَيْ: مُهُورَهُنَّ ﴿فَرِيضَةٗۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ فِيمَا تَرَٰضَيۡتُم بِهِۦ مِنۢ بَعۡدِ ٱلۡفَرِيضَةِۚ﴾: فَمَنْ حَمَلَ مَا قَبْلَهُ عَلَى نِكَاحِ الْمُتْعَةِ أَرَادَ أَنَّهُمَا إِذَا عَقَدَا إِلَى أَجَلٍ بِمَالٍ. فَإِذَا تَمَّ الْأَجَلُ: فَإِنْ شَاءَتِ الْمَرْأَةُ زَادَتْ فِي الْأَجَلِ وَزَادَ الرَّجُلُ فِي المَالِ، وَإِنْ لَمْ يَتَرَاضَيَا فَارَقَهَا. وَمَنْ حَمَلَ الْآيَةَ عَلَى الِاسْتِمْتَاعِ بِالنِّكَاحِ الصَّحِيحِ قَالَ: الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ فِيمَا تَرَٰضَيۡتُم بِهِۦ﴾: الْإِبْرَاءُ عَنِ الْمَهْرِ وَالِافْتِدَاءُ وَالِاعْتِيَاضُ [-أَيْ: أَخْذُ العِوَضِ-]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا﴾.

---

(١) **صحيح**: مسلم: (١٤٠٦).

(٢) **صحيح**: البخاري: (٤٢١٦)، ومسلم: (١٤٠٧).

فَصلٌ فِي قَدْرِ الصَّدَاقِ وَفِيمَا يُسْتَحَبُّ مِنْهُ

اعْلَمْ أَنَّهُ لَا تَقْدِيرَ لِأَكْثَرِ الصَّدَاقِ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُواْ مِنْهُ شَيْـًٔا﴾[النِّسَاء:٢٠]، وَالْمُسْتَحَبُّ أَنْ لَا يُغَالَى فِيهِ.

قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ﵁: أَلَا لَا تَغَالَوا فِي صَدُقَةِ النِّسَاءِ؛ فَإِنَّهَا لَوْ كَانَتْ مَكْرُمَةً فِي الدُّنْيَا وَتَقْوى عِنْدَ اللهِ لَكَانَ أَوْلَاكُمْ بِهَا نَبِيُّ اللهِ ﷺ، مَا عَلِمْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ نَكَحَ شَيْئًا مِنْ نِسَائِهِ وَلَا أَنْكَحَ شَيْئًا مِنْ بَنَاتِهِ عَلَى أَكْثَر مِن اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أُوقِيَّةً[(١)].

عَنْ أَبِي سَلَمَةَ قَالَ: سَأَلَتْ عَائِشَةَ ﵂ كَمْ كَانَ صَدَاقُ النَّبِيِّ ﷺ لِأَزْوَاجِهِ؟ قَالَتْ: كَانَ صَدَاقُهُ لِأَزْوَاجِهِ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أُوقِيَّةً وَنَشًّا، قَالَتْ: أَتَدْرِي مَا النَّشُّ؟ قُلْتُ: لَا، قَالَتْ: نِصْفُ أُوقِيَّةٍ، فَتِلْكَ خَمْسُمِائَةِ دِرْهَمٍ، هَذَا صَدَاقُ النَّبِيِّ ﷺ لِأَزْوَاجِهِ[(٢)].

أَمَّا أَقَلُّ الصَّدَاقِ فَقَدِ اخْتَلَفُوا فِيهِ، فَذَهَبَ جَمَاعَةٌ إِلَى أَنَّهُ لَا تَقْدِيرَ لِأَقَلِّهِ بَلْ مَا جَازَ أَنْ يَكُونَ مَبِيعًا أَوْ ثَمَنًا جَازَ أَنْ يَكُونَ صَدَاقًا، وَهُوَ قَوْلُ رَبِيعَةَ وَسُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ وَالشَّافِعِيِّ وَأَحْمَدَ وَإِسْحَاقَ. وَقَالَ قَوْمٌ: يَتَقَدَّرُ بِنِصَابِ السَّرِقَةِ، وَهُوَ قَوْلُ مَالِكٍ وَأَبِي حَنِيفَةَ، غَيْرَ أَنَّ نِصَابَ السَّرِقَةِ عِنْدَ مَالِكٍ ثَلَاثَةُ دَرَاهِمَ وَعِنْدَ أَبِي حَنِيفَةَ عَشَرَةُ دَرَاهِمَ، وَالدَّلِيلُ عَلَى أَنَّهُ لَا يَتَقَدَّرُ مَا ثَبَتَ عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ ﵁، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ جَاءَتْهُ امْرَأَةٌ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي قَدْ وَهَبْتُ نَفْسِي لَكَ، فَقَامَتْ قِيَامًا طَوِيلًا، فَقَامَ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ زَوِّجْنِيهَا إِنْ لَمْ تكن لَكَ فِيهَا حَاجَةٌ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**هَلْ عِنْدَكَ مِنْ شَيْءٍ تُصْدِقُهَا؟**» قَالَ: مَا عِنْدِي إِلَّا إِزَارِي هَذَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنْ أَعْطَيْتَهَا إِيَّاهُ جَلَسْتَ لَا إِزَارَ لَكَ، فَالْتَمِسْ شَيْئًا**»، فَقَالَ: مَا أَجِدُ، فَقَالَ: «**فَالْتَمِسْ وَلَوْ خَاتَمًا مِنْ حَدِيدٍ**»، فَالْتَمَسَ فَلَمْ يَجِدْ شَيْئًا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

---

(١) **صحيح:** صحَّحه العلامة الألباني رَحِمَهُ اللهُ في «صحيح وضعيف سنن الترمذي» (١١١٤).

(٢) **صحيح:** مسلم: (١٤٢٦). الأُوقِيَّةُ: بضم الهمزة وبتشديد الياء، والمراد أوقية الحجاز، وهي أربعون درهمًا. «شرح النووي على مسلم» (٩/ ٢١٥).

«هَلْ مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ شَيْءٌ؟» قَالَ: نَعَمْ سُورَةُ كَذَا وَسُورَةُ كَذَا -لِسُورٍ سَمَّاهَا- فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «قَدْ زَوَّجْتُكَهَا بِمَا مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ»[1].

وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ لَا تَقْدِيرَ لِأَقَلِّ الصَّدَاقِ، لِأَنَّهُ قَالَ: «الْتَمِسْ شَيْئًا»، فَهَذَا يَدُلُّ عَلَى جَوَازِ أَيِّ شَيْءٍ كَانَ مِنَ المَالِ، وَقَالَ: «وَلَوْ خَاتَمًا مِنْ حَدِيدٍ»، وَلَا قِيمَةَ لِخَاتَمِ الْحَدِيدِ إِلَّا الْقَلِيلَ التَّافِهَ.

وَفِي الْحَدِيثِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ يَجُوزُ تَعْلِيمُ الْقُرْآنِ صَدَاقًا، وَهُوَ قَوْلُ الشَّافِعِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ، وَذَهَبَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ إِلَى أَنَّهُ لَا يَجُوزُ، وَهُوَ قَوْلُ أَصْحَابِ الرَّأْيِ، وَكُلُّ عَمَلٍ جَازَ الِاسْتِئْجَارُ عَلَيْهِ مِثْلُ: (الْبِنَاءِ، وَالْخِيَاطَةِ)، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَعْمَالِ جَازَ أَنْ يُجْعَلَ صَدَاقًا، وَلَمْ يُجَوِّزْ أَبُو حَنِيفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنْ يُجْعَلَ مَنْفَعَةُ الْحُرِّ صَدَاقًا، وَالْحَدِيثُ حُجَّةٌ لِمَنْ جَوَّزَهُ بَعْدَمَا أَخْبَرَ اللهُ تَعَالَى عَنْ شُعَيْبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَيْثُ زَوَّجَ ابْنَتَهُ مِنْ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى الْعَمَلِ، فَقَالَ: ﴿إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَيَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٍ﴾[القصص:٢٧].

﴿وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِكُم ۚ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ مُحْصَنَٰتٍ غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍ ۚ فَإِذَآ أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ ٱلْعَنَتَ مِنكُمْ ۚ وَأَن تَصْبِرُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا﴾: أَيْ: فَضْلًا وَسَعَةً ﴿أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ﴾: الْحَرَائِرَ ﴿ٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾: قَرَأَ الْكِسَائِيُّ: ﴿الْمُحْصِنَاتِ﴾ بِكَسْرِ الصَّادِ حَيْثُ جَاءَ إِلَّا قَوْلَهُ فِي هَذِهِ السُّورَةِ: ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ﴾، وَقَرَأَ الْآخَرُونَ بِفَتْحِ جَمِيعِهَا. ﴿فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ﴾: إِمَائِكُمْ ﴿ٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾: أَيْ: مَنْ لَمْ

(١) **صحيح:** البخاري: (٥١٣٢)، ومسلم: (١٤٢٥).

يَقْدِرْ عَلَى مَهْرِ الْحُرَّةِ الْمُؤْمِنَةِ فَلْيَتَزَوَّجِ الْأَمَةَ الْمُؤْمِنَةَ، **وَفِيهِ دَلِيلٌ** عَلَى أَنَّهُ لَا يَجُوزُ لِلْحُرِّ نِكَاحُ الْأَمَةِ إِلَّا بِشَرْطَيْنِ: **أَحَدُهُمَا**: أَنْ لَا يَجِدَ مَهْرَ حُرَّةٍ. **وَالثَّانِي**: أَنْ يَكُونَ خَائِفًا عَلَى نَفْسِهِ مِنَ الْعَنَتِ، وَهُوَ الزِّنَا؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى فِي آخِرِ الْآيَةِ: ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ ٱلْعَنَتَ مِنكُمْ﴾، وَهُوَ قَوْلُ جَابِرٍ رضي الله عنه، وَبِهِ قَالَ طَاوُسٌ وَعَمْرُو بْنُ دِينَارٍ، وَإِلَيْهِ ذَهَبَ مَالِكٌ وَالشَّافِعِيُّ. وَجَوَّزَ أَصْحَابُ الرَّأْيِ لِلْحُرِّ نِكَاحُ الْأَمَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ فِي نِكَاحِهِ حُرَّة. وَأَمَّا الْعَبْدُ فَيَجُوزُ لَهُ نِكَاحُ الْأَمَةِ وَإِنْ كَانَ فِي نِكَاحِهِ حُرَّةٌ أَوْ أَمَةٌ، وَعِنْدَ أَبِي حَنِيفَةَ رضي الله عنه لَا يَجُوزُ إِذَا كَانَتْ تَحْتَهُ حُرَّةٌ، كَمَا يَقُولُ فِي الْحُرِّ.

وَفِي الْآيَةِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ لَا يَجُوزُ لِلْمُسْلِمِ نِكَاحُ الْأَمَةِ الْكِتَابِيَّةِ؛ لِأَنَّهُ قَالَ: ﴿فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾، جَوَّزَ نِكَاحَ الْأَمَةِ بِشَرْطِ أَنْ تَكُونَ مُؤْمِنَةً، وَقَالَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ: ﴿وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾[المَائِدَة:٥]، أَيْ: الْحَرَائِرُ، جَوَّزَ نِكَاحَ الْكِتَابِيَّةِ بِشَرْطِ أَنْ تَكُونَ حُرَّةً. وَجَوَّزَ أَصْحَابُ الرَّأْيِ لِلْمُسْلِمِ نِكَاحَ الْأَمَةِ الْكِتَابِيَّةِ. وَبِالِاتِّفَاقِ يَجُوزُ وَطْؤُهَا بِمِلْكِ الْيَمِينِ.

﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِكُم﴾: أَيْ: لَا تَتَعَرَّضُوا لِلْبَاطِنِ فِي الْإِيمَانِ وَخُذُوا بِالظَّاهِرِ؛ فَإِنَّ اللهَ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ، ﴿بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾: **قِيلَ**: بَعْضُكُمْ إِخْوَةٌ لِبَعْضٍ، **وَقِيلَ**: كُلُّكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ، فَلَا تَسْتَنْكِفُوا مِنْ نِكَاحِ الْإِمَاءِ، ﴿فَٱنكِحُوهُنَّ﴾: يَعْنِي: الْإِمَاءَ ﴿بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ﴾: أَيْ: مَوَالِيهِنَّ، ﴿وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾: مُهُورَهُنَّ ﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾: مِنْ غَيْرِ مَطْلٍ وَضِرَارٍ ﴿مُحْصَنَٰتٍ﴾: عَفَائِفَ بِالنِّكَاحِ ﴿غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ﴾: أَيْ: غَيْرَ زَانِيَاتٍ ﴿وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍ﴾: أَيْ: أَحْبَابٍ تَزْنُونَ بِهِنَّ فِي السِّرِّ، **قَالَ الْحَسَنُ**: الْمُسَافِحَةُ: هِيَ أَنَّ كُلَّ مَنْ دَعَاهَا تَبِعَتْهُ، وَذَاتُ الخِدْنِ: أَنْ تَخْتَصَّ بِوَاحِدٍ لَا تَزْنِي إِلَّا مَعَهُ، وَالْعَرَبُ كَانَتْ تُحَرِّمُ الْأُولَى وَتُجَوِّزُ الثَّانِيَة، ﴿فَإِذَآ أُحْصِنَّ﴾: قَرَأَ حَمْزَةُ وَالْكِسَائِيُّ وَأَبُو بَكْرٍ بِفَتْحِ الْأَلِفِ وَالصَّادِ، أَيْ: حَفِظْنَ فُرُوجَهُنَّ، **وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ**: أَسْلَمْنَ،

وَقَرَأَ الْآخَرُونَ: ﴿أُحْصِنَّ﴾ بِضَمِّ الْأَلْفِ وَكَسْرِ الصَّادِ، أَيْ: زُوِّجْنَ، ﴿فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ﴾: يَعْنِي: الزِّنَا، ﴿فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ﴾: أَيْ: مَا عَلَى الْحَرَائِرِ الْأَبْكَارِ إِذَا زَنَيْنَ، ﴿مِنَ ٱلْعَذَابِ﴾: يَعْنِي: الْحَدَّ، فَيُجْلَدُ الرَّقِيقُ إِذَا زَنَى خَمْسِينَ جَلْدَةً، وَهَلْ يُغَرَّبُ؟ فِيهِ قَوْلَانِ، فَإِنْ قُلْنَا يُغَرَّبُ: فَيُغَرَّبُ نِصْف سَنَةٍ عَلَى الْقَوْلِ الْأَصَحِّ، وَلَا رَجْمَ عَلَى الْعَبِيدِ.

وَلَا فَرْقَ فِي حَدِّ الْمَمْلُوكِ بَيْنَ مَنْ تَزَوَّجَ أَوْ لَمْ يَتَزَوَّجْ عِنْدَ أَكْثَرِ أَهْلِ الْعِلْمِ، **وَذَهَبَ بَعْضُهُمْ** إِلَى أَنَّهُ لَا حَدَّ عَلَى مَنْ لَمْ يَتَزَوَّجْ مِنَ الْمَمَالِيكِ إِذَا زَنَى؛ لِأَنَّ اللهَ تَعَالَى قَالَ: ﴿فَإِذَآ أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِ﴾، وَرُوِيَ ذَلِكَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، وَبِهِ قَالَ طَاوُسٌ. وَمَعْنَى الْإِحْصَان عِنْدَ الْآخَرِينَ: الْإِسْلَامُ، وَإِنْ كَانَ الْمُرَادُ مِنْهُ التَّزْوِيجَ فَلَيْسَ الْمُرَادُ مِنْهُ أَنَّ التَّزْوِيجَ شَرْطٌ لِوُجُوبِ الْحَدِّ عَلَيْهِ، بَلِ الْمُرَادُ مِنْهُ التَّنْبِيهُ عَلَى أَنَّ الْمَمْلُوكَ وَإِنْ كَانَ مُحْصَنًا بِالتَّزْوِيجِ فَلَا رَجْمَ عَلَيْهِ؛ إِنَّمَا حَدُّهُ الْجِلْدُ، بِخِلَافِ الْحُرِّ، فَحَدُّ الْأَمَةِ ثَابِتٌ بِهَذِهِ الْآيَةِ، وَبَيَانُ أَنَّهُ بِالْجَلْدِ فِي الْخَبَرِ هُوَ مَا ثَبَتَ **عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ** رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**إِذَا زَنَتْ أَمَةُ أَحَدِكُمْ فَتَبَيَّنَ زِنَاهَا فَلْيَجْلِدْهَا الْحَدَّ وَلَا يُثَرِّبْ عَلَيْهَا، ثُمَّ إِنْ زَنَتْ فَلْيَجْلِدْهَا الْحَدَّ وَلَا يُثَرِّبْ، ثُمَّ إِنْ زَنَتِ الثَّالِثَةَ فَتَبَيَّنَ زِنَاهَا فَلْيَبِعْهَا وَلَوْ بِحَبْلٍ مِنْ شَعَرٍ**»[1].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ذَٰلِكَ﴾: يَعْنِي: نِكَاحَ الْأَمَةِ عِنْدَ عَدَمِ الطَّوْلِ، ﴿لِمَنْ خَشِيَ ٱلْعَنَتَ مِنكُمْ﴾: يَعْنِي: الزِّنَا، يُرِيدُ الْمَشَقَّةَ لِغَلَبَةِ الشَّهْوَةِ، ﴿وَأَن تَصْبِرُواْ﴾: عَنْ نِكَاحِ الْإِمَاءِ مُتَعَفِّفِينَ ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾: لِئَلَّا يُخْلَقَ الْوَلَدُ رَقِيقًا، ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

---

(١) **صحيح**: البخاري: (٢٢٣٤)، ومسلم: (١٧٠٣). **قولُهُ**: «**وَلَا يُثَرِّبْ عَلَيْهَا**»: التثريب: التوبيخ واللوم، أي: لا يَجمع عليها العقوبة بالجلد، وبالتعيير، وقيل: المراد: لا يَقتنع بالتوبيخ، دون الجلد.اهـ "البحر المحيط الثجاج" (٢٩/ ٥٦٢).

﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ ﴾: أَيْ: أَنْ يُبيِّنَ لَكُم كَقَوْلِهِ تعَالَى: ﴿وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ۖ﴾[الشُّورَى:١٥]، أَيْ: أَنَّ أَعْدَلَ، وَقَوْلِهِ: ﴿وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[الأَنْعَام:٧١]، وَقَالَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ: ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[غَافِر:٦٦]، وَمَعْنَى الْآيَةِ: يُرِيدُ اللهُ أَنْ يُبَيِّنَ لَكُمْ، أَيْ: يُوَضِّحَ لَكُمْ شَرَائِعَ دِينِكُمْ وَمَصَالِحَ أُمُورِكُمْ، **قَالَ عَطَاءٌ**: يُبَيِّنُ لَكُمْ مَا يُقَرِّبُكُمْ مِنْهُ، **قَالَ الْكَلْبِيُّ**: يُبَيِّنُ لَكُمْ أَنَّ الصَّبْرَ عَنْ نِكَاحِ الْإِمَاءِ خَيْرٌ لَكُمْ، ﴿وَيَهْدِيَكُمْ﴾: يُرْشِدَكُمْ ﴿سُنَنَ﴾: شَرَائِعَ ﴿ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾: فِي تَحْرِيمِ الْأُمَّهَاتِ وَالْبَنَاتِ وَالْأَخَوَاتِ؛ فَإِنَّهَا كَانَتْ مُحَرَّمَةً عَلَى مَنْ قَبْلَكُمْ، **وَقِيلَ**: وَيَهْدِيكُمُ الْمِلَّةَ الْحَنِيفِيَّةَ، وَهِيَ مِلَّةُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ﴿وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ﴾: وَيَتَجَاوَزَ عَنْكُمْ مَا أَصَبْتُمْ قَبْلَ أَنْ يُبَيِّنَ لَكُمْ، **وَقِيلَ**: يَرْجِع بِكُمْ مِنَ الْمَعْصِيَةِ الَّتِي كُنْتُمْ عَلَيْهَا إِلَى طَاعَتِهِ، **وَقِيلَ**: يُوَفِّقُكُمْ التَّوْبَةَ، ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾: بِمَصَالِحِ عِبَادِهِ فِي أَمْرِ دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ، ﴿حَكِيمٌ﴾: فِيمَا دَبَّرَ مِنْ أُمُورِهِمْ.

﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾: إِنْ وَقَعَ مِنْكُمْ تَقْصِيرٌ فِي أَمْرِ دِينِكُمْ، ﴿وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟﴾: عَنِ الْحَقِّ ﴿مَيْلًا عَظِيمًا﴾: بِإِتْيَانِكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ **وَاخْتَلَفُوا فِي الْمَوْصُوفِينَ بِاتِّبَاعِ الشَّهَوَاتِ، فَقَالَ السُّدِّيُّ**: هُمُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى، **وَقَالَ بَعْضُهُمْ**: هُمُ الْمَجُوسُ؛ لِأَنَّهُمْ يُحِلُّونَ نِكَاحَ الْأَخَوَاتِ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَالْأُخْتِ، **وَقَالَ مُجَاهِدٌ**: هُمُ الزُّنَاةُ؛ يُرِيدُونَ أَنْ تَمِيلُوا عَنِ الْحَقِّ فَتَزْنُونَ كَمَا يَزْنُونَ، **وَقِيلَ**: هُمْ جَمِيعُ أَهْلِ الْبَاطِلِ.

﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ﴾: يُسَهِّلَ عَلَيْكُمْ فِي أَحْكَامِ الشَّرْعِ، وَقَدْ سَهَّلَ كَمَا قَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ﴾[الأَعْرَاف:١٥٧]، وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**بُعِثْتُ**

بِالْحَنِيفِيَّةِ السَّمْحَةِ السَّهْلَةِ»[(١)]، ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾: قَالَ طَاوُوسٌ وَالْكَلْبِيُّ وَغَيْرُهُمَا: فِي أَمْرِ النِّسَاءِ؛ لَا يُصْبِرُ عَنْهُنَّ، وَقَالَ ابْنُ كَيْسَانَ: ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾: يَسْتَمِيلُهُ هَوَاهُ وَشَهْوَتُهُ، وَقَالَ الْحَسَنُ: هُوَ أَنَّهُ خُلِقَ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ، بَيَانُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ﴾[الرُّوم:٥٤].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْۚ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ﴾: بِالْحَرَامِ، يَعْنِي: بِالرِّبَا وَالْقِمَارِ وَالْغَصْبِ وَالسَّرِقَةِ وَالْخِيَانَةِ وَنَحْوِهَا، وَقِيلَ: هُوَ الْعُقُودُ الْفَاسِدَةُ، ﴿إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً﴾: قَرَأَ أَهْلُ الْكُوفَةِ ﴿تِجَٰرَةً﴾ نُصِبَ عَلَى خَبَرِ (كَانَ)، أَيْ: إِلَّا أَنْ تَكُونَ الْأَمْوَالُ تِجَارَةً، وَقَرَأَ الْآخَرُونَ بِالرَّفْعِ، أَيْ: إِلَّا أَنْ تَقَعَ تِجَارَةٌ، ﴿عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْۚ﴾: أَيْ: بِطِيبَةِ نَفْسِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، وَقِيلَ: هُوَ أَنْ يُجِيزَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْمُتَبَايِعَيْنِ صَاحِبَهُ بَعْدَ الْبَيْعِ، فَيَلْزَمُ، وَإِلَّا فَلَهُمَا الْخِيَارُ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا؛ لِمَا ثَبَتَ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «الْمُتَبَايِعَانِ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بِالْخِيَارِ عَلَى صَاحِبِهِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا، إِلَّا بَيْعَ الْخِيَارِ»[(٢)].

﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ﴾: قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: لَا تُهْلِكُوهَا، كَمَا قَالَ: ﴿وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾[الْبَقَرَة:١٩٥]، وَقِيلَ: لَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ بِأَكْلِ الْمَالِ بِالْبَاطِلِ، وَقِيلَ: أَرَادَ بِهِ قَتْلَ الْمُسْلِمِ نَفْسَهُ.

---

(١) **حسن**: حسَّنه العلَّامة الألباني رحمه الله في «الصحيحة» (٢٩٢٤) عن عائشة رضي الله عنها.

(٢) **صحيح**: البخاري: (٢١١١)، ومسلم: (١٥٣١). وقولُهُ: «إِلَّا بَيْعَ الْخِيَارِ»: أي: فلا يحتاج إلى التفرُّق. ينظر «البحر المحيط الثجاج» (٤٦/٢٧).

عَنْ ثَابِتِ بْنِ الضَّحَّاكِ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِشَيْءٍ فِي الدُّنْيَا عُذِّبَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»(١).

عَنْ جُنْدُب بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «خَرَجَ بِرَجُلٍ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ أَرَابٌ فَجَزِعَ مِنْهُ، فَأَخْرَجَ سِكِّينًا فَحَزَّ بِهَا يَدَهُ فَمَا رَقَأَ الدَّمُ حَتَّى مَاتَ، فَقَالَ اللهُ عز وجل: بَادَرَنِي عَبْدِي بِنَفْسِهِ فَحَرَّمْتُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ»(٢).

وَقَالَ الْحَسَنُ: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ﴾: يَعْنِي: إِخْوَانَكُمْ، أَيْ: لَا يَقْتُلُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمٗا﴾.

عَنْ جَرِيرِ بنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ: «اسْتَنْصِتِ النَّاسَ» ثُمَّ قَالَ: «لَا تَرْجِعُنَّ بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ»(٣).

﴿وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ﴾: يَعْنِي: مَا سَبَقَ ذِكْرُهُ مِنَ الْمُحَرَّمَاتِ، ﴿عُدۡوَٰنٗا وَظُلۡمٗا﴾: فَالْعُدْوَانُ مُجَاوَزَةُ الْحَدِّ، وَالظُّلْمُ وَضْعُ الشَّيْءِ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ، ﴿فَسَوۡفَ نُصۡلِيهِ﴾: نُدْخِلُهُ فِي الْآخِرَةِ ﴿نَارٗاۚ﴾: يُصْلَى فِيهَا، ﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾: هَيِّنًا.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِن تَجۡتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنۡهَوۡنَ عَنۡهُ﴾: اخْتَلَفُوا فِي الْكَبَائِرِ الَّتِي جَعَلَ اللهُ اجْتِنَابَهَا تَكْفِيرًا لِلصَّغَائِرِ.

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «الْكَبَائِرُ: الْإِشْرَاكُ بِاللهِ عز وجل، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ، وَقَتْلُ النَّفْسِ، وَالْيَمِينُ الْغَمُوسُ»(٤).

عَنْ أَبِي بَكْرَةَ رضي الله عنه قَالَ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ؟» ثَلَاثًا، قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «الْإِشْرَاكُ بِاللهِ عز وجل، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ»، وَجَلَسَ

---

(١) **صحيح:** البخاري: (٦٠٤٧)، ومسلم: (١١٠).

(٢) **صحيح:** البخاري: (٣٤٦٣)، ومسلم: (١١٣).

(٣) **صحيح:** البخاري: (١٢١)، ومسلم: (٦٥). **وقولُهُ:** «اسْتَنْصِتِ النَّاسَ»: أي: اطلب منهم الإنصات ليسمعوا الخطبة.اهـ «الفتح» (١٢/ ١٩٤).

(٤) **صحيح:** البخاري: (٦٦٧٥).

-وَكَانَ مُتَّكِئًا- فَقَالَ: «أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ»، فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى قُلْنَا لَيْتَهُ سَكَتَ[(١)].

عَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ مَسعُودٍ رضي الله عنهما قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ أَيُّ الذَّنْبِ أَكْبَرُ عِنْدَ اللهِ؟ قَالَ: «أَنْ تَجْعَلَ للهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ»، قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «أَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ خَشْيَةَ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ» قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «أَنْ تُزَانِيَ بِحَلِيلَةِ جَارِكَ»، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى تَصْدِيقَ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ﴾[الفرقان:٦٨] الْآيَةَ[(٢)].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: «الشِّرْكُ بِاللهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الغَافِلَاتِ»[(٣)].

وَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه: أَكْبَرُ الْكَبَائِرِ: الْإِشْرَاكُ بِاللهِ، وَالْأَمْنُ مِنْ مَكْرِ اللهِ، وَالْقُنُوطُ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ، وَالْيَأْسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ[(٤)].

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مِنْ أَكْبَرِ الْكَبَائِرِ أَنْ يَسُبَّ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ! وَكَيْفَ يَسُبُّ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ؟ قَالَ: «يَسُبُّ الرَّجُلُ أَبَا الرَّجُلِ فَيَسُبُّ أَبَاهُ، وَيَسُبُّ أُمَّهُ»[(٥)].

وَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ: مَا نَهَى اللهُ تَعَالَى عَنْهُ فِي هَذِهِ السُّورَةِ إِلَى قَوْلِهِ ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ فَهُوَ كَبِيرَةٌ. وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ: هِيَ كُلُّ ذَنْبٍ

---

(١) **صحيح:** البخاري: (٢٦٥٤)، ومسلم: (٨٧).

(٢) **صحيح:** البخاري: (٤٧٦١)، ومسلم: (٨٦).

(٣) **صحيح:** البخاري: (٢٧٦٦)، ومسلم: (٨٩).

(٤) **صحيح:** أخرجه عبد الرزاق برقم (١٩٧٠١)، وصححه الهيثمي في "المجمع" (١/ ١٠٤)، والإمام الوادعي رحمه الله في تحقيقه على "تفسير ابن كثير" (٢/ ٣٣٢).

(٥) **صحيح:** البخاري: (٥٩٧٣)، ومسلم: (٩٠).

خَتَمَهُ اللهُ بِنَارٍ، أَوْ غَضِبٍ، أَوْ لَعْنَةٍ، أَوْ عَذَابٍ. **وَقَالَ الضَّحَّاكُ**: مَا أَوْعَدَ اللهُ عَلَيْهِ حَدًّا فِي الدُّنْيَا، أَوْ عَذَابًا فِي الْآخِرَةِ. **وَقَالَ الْحُسَيْنُ بْنُ الْفَضْلِ**: مَا سَمَّاهُ اللهُ فِي الْقُرْآنِ كَبِيرًا أَوْ عَظِيمًا، نَحو قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾[النِّسَاء:٢]، ﴿إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا﴾[الْإِسْرَاء:٣١]، ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[لُقْمَان:١٣]، ﴿إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾[يُوسُف:٢٨]، ﴿سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ﴾[النُّور:١٦]، ﴿إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا﴾[الْأَحْزَاب:٥٣]. **وَقَالَ مَالِكُ بْن مِغْوَلٍ**: الْكَبَائِرُ ذُنُوبُ أَهْلِ الْبِدَعِ، وَالسَّيِّئَاتُ ذُنُوبُ أَهْلِ السُّنَّةِ. **وَقَالَ السُّدِّيُّ**: الْكَبَائِرُ مَا نَهَى اللهُ عَنْهُ مِنَ الذُّنُوبِ الْكَبَائِرِ، وَالسَّيِّئَاتُ مُقَدِّمَاتُهَا وَتَوَابِعُهَا وَمَا يَجْتَمِعُ فِيهِ الصَّالِحُ وَالْفَاسِقُ، مِثْل النَّظْرَةِ وَاللَّمْسَةِ وَالقُبْلَةِ وَأَشْبَاهِهَا، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**الْعَيْنَانِ تَزْنِيَانِ، وَالْيَدَانِ تَزْنِيَانِ، وَالرِّجْلَانِ تَزْنِيَانِ، وَيُصَدِّقُ ذَلِكَ الْفَرْجُ أَوْ يُكَذِّبُهُ**»[١].

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾: أَيْ: مِنَ الصَّلَاةِ إِلَى الصَّلَاةِ، وَمِنَ الْجُمُعَةِ إِلَى الْجُمُعَةِ، وَمِنْ رَمَضَانَ إِلَى رَمَضَانَ.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ: «**الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ، مُكَفِّرَاتٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتُنِبَ الْكَبَائِرُ**»[٢].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾: أَيْ: حَسَنًا وَهُوَ الْجَنَّةُ، قَرَأَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ ﴿مَدْخَلًا﴾ بِفَتْحِ الْمِيمِ هَاهُنَا وَفِي الْحَجِّ، وَهُوَ مَوْضِعُ الدُّخُولِ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بِالضَّمِّ عَلَى الْمَصْدَرِ بِمَعْنَى الإِدْخَالِ.

﴿وَلَا تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُواْۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَۚ وَسْـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ﴾: **قِيلَ**: لَمَّا جَعَلَ اللهُ ﷻ

(١) **صحيح:** أحمد: (٨٥٣٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه، وصحَّحه ط: (الرسالة).

(٢) **صحيح:** مسلم: (٢٣٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

لِلذَّكَرِ مِثْلَ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ فِي الْمِيرَاثِ قَالَتِ النِّسَاءُ: نَحْنُ أَحَقُّ وَأَحْوَجُ إِلَى الزِّيَادَةِ مِنَ الرِّجَالِ؛ لِأَنَّنَا ضُعَفَاءُ وَهُمْ أَقْوَى وَأَقْدَرُ عَلَى طَلَبِ المَعَاشِ، **وَقَالَ قَتَادَةُ وَالسُّدِّيُّ**: لَمَّا أَنْزَلَ اللهُ قَوْلَهُ: ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِۚ﴾[النِّسَاء:١١]، قَالَ الرِّجَالُ: إِنَّا لِنَرْجُوَ أَنْ نُفَضَّلَ عَلَى النِّسَاءِ بِحَسَنَاتِنَا فِي الْآخِرَةِ، فَيَكُونُ أَجْرُنَا عَلَى الضِّعْفِ مِنْ أَجْرِ النِّسَاءِ كَمَا فُضِّلْنَا عَلَيْهِنَّ فِي الْمِيرَاثِ، فَقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُواْۖ﴾: مِنَ الْأَجْرِ ﴿وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَۚ﴾: مَعْنَاهُ: أَنَّ الرِّجَالَ وَالنِّسَاءَ فِي الْأَجْرِ فِي الْآخِرَةِ سَوَاءٌ، وَذَلِكَ أَنَّ الحَسَنَةَ تَكُونُ بِعَشَرَةِ أَمْثَالِهَا، يَسْتَوِي فِيهَا الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ وَإِنْ فُضِّلَ الرِّجَالُ فِي الدُّنْيَا عَلَى النِّسَاءِ، **وَقِيلَ**: مَعْنَاهُ: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُواْۖ﴾: مِنْ أَمْرِ الْجِهَادِ، ﴿وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَۚ﴾: مِنْ طَاعَةِ الْأَزْوَاجِ وَحِفْظِ الْفُرُوجِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَسۡـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضۡلِهِۦٓۚ﴾: قَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ وَالكِسَائِيُّ: «وَسَلُوا، وَسَلْ، فَسَلْ» -إِذَا كَانَ قَبْلَ السِّينِ وَاوٌ أَوْ فَاءٌ- بِغَيْرِ هَمْزٍ وَنَقْلِ حَرَكَةِ الْهَمْزَةِ إِلَى السِّينِ، وَالْبَاقُونَ بِسُكُونِ السِّينِ مَهْمُوزًا، فَنَهَى اللهُ تَعَالَى عَنِ التَّمَنِّي لِمَا فِيهِ مِنْ دَوَاعِي الْحَسَدِ، **وَالْحَسَدُ**: أَنْ يَتَمَنَّى زَوَالَ النِّعْمَةِ عَنْ صَاحِبِهِ وَيَتَمَنَّاهَا لِنَفْسِهِ، وَهُوَ حَرَامٌ، **وَالْغِبْطَةُ**: أَنْ يَتَمَنَّى لِنَفْسِهِ مِثْلَ مَا لِصَاحِبِهِ وَهُوَ جَائِزٌ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَسۡـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضۡلِهِۦٓۚ﴾: **قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ**: ﴿وَسۡـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضۡلِهِۦٓۚ﴾: أَيْ: مِنْ رِزْقِهِ، **قَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ**: مِنْ عِبَادَتِهِ، فَهُوَ سُؤَالُ التَّوْفِيقِ لِلْعِبَادَةِ، **قَالَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ**: لَمْ يَأْمُرْ بِالْمَسْأَلَةِ إِلَّا لِيُعْطِيَ؛ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا﴾.

﴿وَلِكُلّٖ جَعَلۡنَا مَوَٰلِيَ مِمَّا تَرَكَ ٱلۡوَٰلِدَانِ وَٱلۡأَقۡرَبُونَۚ وَٱلَّذِينَ عَقَدَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ فَـَٔاتُوهُمۡ نَصِيبَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدًا﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلِكُلّٖ جَعَلۡنَا مَوَٰلِيَ﴾: أَيْ: وَلِكُلٍّ وَاحِدٍ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ جَعَلْنَا مَوَالِيَ، أَيْ: عُصْبَةً يُعْطُونَ ﴿مِمَّا تَرَكَ ٱلۡوَٰلِدَانِ وَٱلۡأَقۡرَبُونَۚ﴾: وَالْوَالِدَانِ

وَالْأَقْرَبُونَ هُمُ الْمُوَرِّثُونَ، **وَقِيلَ**: مَعْنَاهُ: ﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ﴾: أَيْ: وَرَثَةً ﴿مِمَّا تَرَكَ﴾: أَيْ: مِنَ الَّذِينَ تَرَكَهُمْ، وَيَكُونُ (مَا) بِمَعْنَى: (مِنْ)، ثُمَّ فَسَّرَ الْمَوَالِيَ فَقَالَ: ﴿الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ﴾: أَيْ: هُمُ الْوَارِثُونَ، ﴿وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾: قَرَأَ أَهْلُ الْكُوفَةِ: ﴿عَقَدَتْ﴾ بِلَا أَلْفٍ، أَيْ: عَقَدَتْ لَهُمْ أَيْمَانُكُمْ، وَقَرَأَ الْآخَرُونَ: ﴿عَاقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾، **وَالْمُعَاقَدَةُ**: الْمُحَالَفَةُ وَالْمُعَاهَدَةُ، **وَالْأَيْمَانُ**: جَمْعُ يَمِينٍ، مِنَ الْيَدِ وَالْقَسَمِ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا عِنْدَ الْمُحَالَفَةِ يَأْخُذُ بَعْضُهُمْ بِيَدِ بَعْضٍ عَلَى الوَفَاءِ وَالتَّمَسُّكِ بِالعَهْدِ. وَمُحَالَفَتُهُمْ أَنَّ الرَّجُلَ كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ يُعَاقِدُ الرَّجُلَ فَيَقُولُ: (دَمِي دَمُكَ، وَهَدْمِي هَدْمُكَ، وَثَأْرِي ثَأْرُكَ، وَحَرْبِي حَرْبُكَ، وَسِلْمِي سِلْمُكَ، وَتَرِثُنِي وَأَرِثُكَ، وَتَطْلُبُ بِي وَأَطْلُبُ بِكَ، وَتَعْقِلُ عَنِّي وَأَعْقِلُ عَنْكَ)، فَيَكُونُ لِلْحَلِيفِ السُّدُسُ مِنْ مَالِ الْحَلِيفِ، وَكَانَ ذَلِكَ ثَابِتًا فِي ابْتِدَاءِ الْإِسْلَامِ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ﴾: أَيْ: أَعْطُوهُمْ حَظَّهُمْ مِنَ الْمِيرَاثِ، ثُمَّ نُسِخَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾[الأنفال:٧٥]. **وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ وَمُجَاهِدٌ**: أَرَادَ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ مِنَ النَّصْرِ وَالرِّفْدِ [أَي: العَطَاء والصِّلَة]، وَلَا مِيرَاث لَهُمْ، وَعَلَى هَذَا تَكُونُ هَذِهِ الْآيَةُ غَيْرَ مَنْسُوخَةٍ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾[المائدة:١]، وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي خُطْبَتِهِ يَوْم فَتْح مَكَّةَ: «**لَا تُحْدِثُوا حِلْفًا فِي الْإِسْلَامِ، وَمَا كَانَ مِنْ حِلْفٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَتَمَسَّكُوا فِيهِ؛ فَإِنَّهُ لَمْ يَزِدْهُ الْإِسْلَامُ إِلَّا شِدَّةً**»(١). ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾.

﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾: أَيْ: مُسَلَّطُونَ عَلَى تَأْدِيبِهِنَّ، وَالْقَوَّامُ

(١) **حسن**: حسَّنه الألباني رَحِمَهُ اللهُ في "صحيح وضعيف سنن الترمذي" (١٥٨٥) عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

وَالْقَيِّمُ: بِمَعْنًى وَاحِدٍ، وَالْقَوَّامُ أَبْلَغُ، وَهُوَ الْقَائِمُ بِالْمَصَالِحِ وَالتَّدْبِيرِ وَالتَّأْدِيبِ ﴿بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾: يَعْنِي: فَضَّلَ الرِّجَالَ عَلَى النِّسَاءِ بِزِيَادَةِ الْعَقْلِ وَالدِّينِ وَالْوِلَايَةِ، **وَقِيلَ**: بِالشَّهَادَةِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ﴾[الْبَقَرَة: ٢٨٢]، **وَقِيلَ**: بِالْجِهَادِ، **وَقِيلَ**: بِالْعِبَادَاتِ مِنَ الْجُمُعَةِ وَالْجَمَاعَةِ، **وَقِيلَ** هُوَ أَنَّ الرَّجُلَ يَنْكِحُ أَرْبَعًا وَلَا يَحِلُّ لِلْمَرْأَةِ إِلَّا زَوْجٌ وَاحِدٌ، **وَقِيلَ**: بِأَنَّ الطَّلَاقَ بِيَدِهِ، **وَقِيلَ**: بِالْمِيرَاثِ، **وَقِيلَ**: بِالدِّيَةِ، **وَقِيلَ**: بِالنُّبُوَّةِ، ﴿وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ﴾: يَعْنِي: إِعْطَاءَ الْمَهْرِ وَالنَّفَقَةِ.

عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«لَوْ أَمَرْتُ أَحَدًا أَنْ يَسْجُدَ لِأَحَدٍ لَأَمَرْتُ الْمَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا»**(١).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ﴾: أَيْ: مُطِيعَاتٌ ﴿حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ﴾: أَيْ حَافِظَاتٌ لِلْفُرُوجِ فِي غَيْبَةِ الْأَزْوَاجِ، **وَقِيلَ**: حَافِظَاتٌ لِسِرِّهِمْ ﴿بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ﴾: قَرَأَ أَبُو جَعْفَرٍ ﴿بِمَا حَفِظَ اللهَ﴾ بِالنَّصْبِ، أَيْ: يَحْفَظْنَ اللهَ فِي الطَّاعَةِ، وَقِرَاءَةُ الْعَامَّةِ بِالرَّفْعِ، أَيْ: بِمَا حَفِظَهُنَّ اللهُ بِإِيصَاءِ الْأَزْوَاجِ بِحَقِّهِنَّ وَأَمْرِهِمْ بِأَدَاءِ الْمَهْرِ وَالنَّفَقَةِ. **وَقِيلَ**: حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِحِفْظِ اللهِ.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قِيلَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ أَيُّ النِّسَاءِ خَيْرٌ؟ قَالَ: **«الَّتِي تَسُرُّهُ إِذَا نَظَرَ، وَتُطِيعُهُ إِذَا أَمَرَ، وَلَا تُخَالِفُهُ فِي نَفْسِهَا وَمَالِهَا بِمَا يَكْرَهُ»**(٢).

﴿وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ﴾: عِصْيَانَهُنَّ، وَأَصْلُ النُّشُوزِ: التَّكَبُّرُ وَالِارْتِفَاعُ، وَمِنْهُ النَّشْزُ: وَهُوَ الْمَوْضِعُ الْمُرْتَفِعُ، ﴿فَعِظُوهُنَّ﴾: بِالتَّخْوِيفِ مِنَ اللهِ وَالْوَعْظِ بِالْقَوْلِ، ﴿وَٱهْجُرُوهُنَّ﴾: يَعْنِي: إِنْ لَمْ يَنْزِعْنَ عَنْ ذَلِكَ بِالْقَوْلِ فَاهْجُرُوهُنَّ ﴿فِى ٱلْمَضَاجِعِ﴾:

---

(١) **صحيح**: صحَّحه العلَّامة الألباني رحمه الله في "الإرواء" (١٩٩٨)، وهو في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين" للإمام الوادعي رحمه الله (١٢٨٦).

(٢) **حسن**: حسَّنه العلَّامة الألباني رحمه الله في "الصحيحة" (١٨٣٨).

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: يُوَلِّيهَا ظَهْرَهُ فِي الْفِرَاشِ وَلَا يُكَلِّمُهَا، **وَقَالَ غَيْرُهُ**: يَعْتَزِلُ عَنْهَا إِلَى فراشٍ آخَرَ، ﴿وَٱضْرِبُوهُنَّ﴾: يَعْنِي: إِنْ لَمْ يَنْزِعْنَ مِنَ الْهِجْرَانِ فَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبَرِّحٍ وَلَا شَائِنٍ، **وَقَالَ عَطَاءٌ**: ضَرْبًا بِالسِّوَاكِ، وَقَدْ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**حَقُّ الْمَرْأَةِ أَنْ تُطْعِمَهَا إِذَا طَعِمْتَ، وَتَكْسُوَهَا إِذَا اكْتَسَيْتَ، وَلَا تَضْرِبَ الْوَجْهَ، وَلَا تُقَبِّحَ، وَلَا تَهْجُرَ إِلَّا فِي الْبَيْتِ**»(١).

﴿فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا﴾: أَيْ: لَا تَجْنُوا عَلَيْهِنَّ الذُّنُوبَ، **وَقَالَ ابْنُ عُيَيْنَةَ**: لَا تُكَلِّفُوهُنَّ مَحَبَّتَكُمْ؛ فَإِنَّ الْقَلْبَ لَيْسَ بِأَيْدِيهِنَّ، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾: مُتَعَالِيًا مِنْ أَنْ يُكَلِّفَ العِبَادَ مَا لَا يُطِيقُونَهُ، وَظَاهِرُ الْآيَةِ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الزَّوْجَ يَجْمَعُ عَلَيْهَا بَيْنَ الْوَعْظِ وَالْهِجْرَانِ وَالضَّرْبِ، **فَذَهَبَ بَعْضُهُمْ** إِلَى ظَاهِرِهَا وَقَالَ: إِذَا ظَهَرَ مِنْهَا النُّشُوزُ جَمَعَ بَيْنَ هَذِهِ الْأَفْعَالِ، وَحَمَلَ الْخَوْفَ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ﴾، عَلَى الْعِلْمِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا﴾[الْبَقَرَة: ١٨٢]، أَيْ: عَلِمَ، **وَمِنْهُمْ** مَنْ حَمَلَ الْخَوْفَ عَلَى الْخَشْيَةِ لَا عَلَى حَقِيقَةِ الْعِلْمِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً﴾[الْأَنْفَال:٥٨]، وَقَالَ: هَذِهِ الْأَفْعَالُ عَلَى تَرْتِيبِ الْجَرَائِمِ، فَإِنْ خَافَ نُشُوزَهَا بِأَنْ ظَهَرَتْ أَمَارَتُهُ مِنْهَا مِنَ الْمُخَاشَنَةِ وَسُوءِ الْخُلُقِ وَعَظَهَا، فَإِنْ أَبْدَتِ النُّشُوزَ هَجَرَهَا، فَإِنْ أَصَرَّتْ عَلَى ذَلِكَ ضَرَبَهَا.

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا﴾: يَعْنِي: خِلَافًا بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ، وَالْخَوْفُ بِمَعْنَى الْيَقِينِ، **وَقِيلَ**: هُوَ بِمَعْنَى الظَّنِّ، يَعْنِي: إِنْ ظَنَنْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا، وَجُمْلَتُهُ: أَنَّهُ إِذَا ظَهَرَ بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ شِقَاقٌ وَاشْتَبَهَ حَالُهُمَا فَلَمْ يَفْعَلِ الزَّوْجُ الصَّفْحَ وَلَا الْفُرْقَةَ، وَلَا الْمَرْأَةُ تَأْدِيَةَ الْحَقِّ وَلَا الْفِدْيَةَ، وَخَرَجَا إِلَى مَا لَا يَحِلُّ قَوْلًا وَفِعْلًا، بَعَثَ الْإِمَامُ

(١) **صحيح**: صحَّحه الألباني رَحِمَهُ اللهُ في «صحيح الترغيب والترهيب» (١٩٢٩) عن معاوية بن حيدة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ إِلَيْهِ وَحَكَمًا مَنْ أَهْلِهَا إِلَيْهَا، رَجُلَيْنِ حُرَّيْنِ عَدْلَيْنِ؛ لِيَسْتَطْلِعَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْحَكَمَيْنِ رَأْيَ مَنْ بُعِثَ إِلَيْهِ إِنْ كَانَتْ رَغْبَتُهُ فِي الوَصْلَةِ أَوْ فِي الْفُرْقَةِ، ثُمَّ يَجْتَمِعُ الْحَكَمَانِ فَيُنْفِذَانِ مَا يَجْتَمِعُ عَلَيْهِ رَأْيُهُمَا مِنَ الصَّلَاحِ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ ﷻ: ﴿فَٱبۡعَثُواْ حَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهِۦ وَحَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصۡلَٰحٗا﴾: يَعْنِي: الْحَكَمَيْنِ ﴿يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيۡنَهُمَآۗ﴾: يَعْنِي: بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ، وَقِيلَ: بَيْنَ الْحَكَمَيْنِ، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرٗا﴾.

عَنْ عُبَيْدَةَ أَنَّهُ قَالَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿وَإِنۡ خِفۡتُمۡ شِقَاقَ بَيۡنِهِمَا فَٱبۡعَثُواْ حَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهِۦ وَحَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهَآ﴾ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ وَامْرَأَةٌ إِلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه وَمَعَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا فِئَامٌ مِنَ النَّاسِ، فَأَمَرَهُمْ عَلِيٌّ رضي الله عنه فَبَعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهِلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا، ثُمَّ قَالَ لِلْحَكَمَيْنِ: تَدْرِيَانِ مَا عَلَيْكُمَا؟ عَلَيْكُمَا إِنْ رَأَيْتُمَا أَنْ تَجْمَعَا جَمَعْتُمَا وَإِنْ رَأَيْتُمَا أَنْ تُفَرِّقَا فَرَّقْتُمَا، قَالَتِ الْمَرْأَةُ: رَضِيتُ بِكِتَابِ اللهِ بِمَا عَلَيَّ فِيهِ وَلِي، فَقَالَ الرَّجُلُ: أَمَّا الْفُرْقَةُ فَلَا، فَقَالَ عَلِيٌّ رضي الله عنه: كَذَبْتَ وَاللهِ حَتَّى تُقِرَّ بِمِثْلِ الَّذِي أَقَرَّتْ بِهِ[(١)].

وَاخْتَلَفَ الْقَوْلُ فِي جَوَازِ بَعْثِ الْحَكَمَيْنِ مِنْ غَيْرِ رِضَا الزَّوْجَيْنِ وَأَصَحُّ الْقَوْلَيْنِ أَنَّهُ لَا يَجُوزُ إِلَّا بِرِضَاهُمَا، وَلَيْسَ لِحَكَمِ الزَّوْجِ أَنْ يُطَلِّقَ دُوْنَ رِضَاهُ، وَلَا لِحَكَمِ المَرْأَةِ أَنْ يُخَالِعَ عَلَى مَالِهَا إِلَّا بِإِذْنِهَا، وَهُوَ قَوْلُ أَصْحَابِ الرَّأْيِ؛ لِأَنَّ عَلِيًّا رضي الله عنه حِينَ قَالَ الرَّجُلُ: أَمَّا الْفُرْقَةُ فَلَا، قَالَ: كَذَّبْتَ حَتَّى تُقِرَّ بِمِثْلِ الَّذِي أَقَرَّتْ بِهِ. فَثَبَتَ أَنَّ تَنْفِيذَ الْأَمْرِ مَوْقُوفٌ عَلَى إِقْرَارِهِ وَرِضَاهُ.

وَالْقَوْلُ الثَّانِي: يَجُوزُ بَعْثُ الْحَكَمَيْنِ دُونَ رِضَاهُمَا، وَيَجُوزُ لِحَكَمِ الزَّوْجِ أَنْ يُطَلِّقَ دُونَ رِضَاهُ وَلِحَكَمِ المَرْأَةِ أَنْ يَخْلَعَ دُونَ رِضَاهَا إِذَا رَأَيَا الصَّلَاحَ، كَالْحَاكِمِ يَحْكُمُ بَيْنَ الْخَصْمَيْنِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ عَلَى وِفْقِ مُرَادِهِمَا، وَبِهِ قَالَ مَالِكٌ، وَمَنْ قَالَ بِهَذَا

---

(١) **صحيح موقوفا:** أخرجه الشافعي في "الأم" (٥/ ١٧٧)، والطبراني (٩٤٠٨)، والبيهقي (٧/ ٣٠٥-٣٠٦) من طرق، عن عبيدة. "شرح السنة" (٢٣٤٠)، "تفسير البغوي" (١/ ٦١٤).

قَالَ: لَيْسَ الْمُرَادُ مِنْ قَوْلِ عَلِيٍّ رضي الله عنه لِلرَّجُلِ: (حَتَّى تُقِرَّ) أَنَّ رِضَاهُ شَرْطٌ بَلْ مَعْنَاهُ: أَنَّ الْمَرْأَةَ لَمَّا رَضِيَتْ بِمَا فِي كِتَابِ اللهِ فَقَالَ الرَّجُلُ: أَمَّا الْفُرْقَةُ فَلَا، يَعْنِي: الفُرْقَةُ لَيْسَتْ فِي كِتَابِ اللهِ، فَقَالَ عَلِيٌّ: كَذَبْتَ، حَيْثُ أَنْكَرْتَ أَنْ تَكُونَ الْفُرْقَةُ فِي كِتَابِ اللهِ، بَلْ هِيَ فِي كِتَابِ اللهِ؛ فَإِنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ﴾ يَشْتَمِلُ عَلَى الْفِرَاقِ وَغَيْرِهِ؛ لِأَنَّ التَّوْفِيقَ أَنْ يَخْرُجَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِنَ الْوِزْرِ، وَذَلِكَ تَارَةً يَكُونُ بِالفُرْقَةِ وَتَارَةً بِصَلَاحِ حَالِهِمَا فِي الوَصْلَةِ.

﴿ ۞ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا ﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾: أَيْ: وَحِّدُوهُ وَأَطِيعُوهُ، ﴿وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ﴾.

عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه قَالَ: كُنْتُ رَدِيفَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «**هَلْ تَدْرِي يَا مُعَاذُ مَا حَقُّ اللهِ عَلَى النَّاسِ؟**»، قَالَ قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «**حَقُّهُ عَلَيْهِمْ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، أَتَدْرِي يَا مُعَاذُ مَا حَقُّ النَّاسِ عَلَى اللهِ إِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ؟**»، قَالَ: قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «**فَإِنَّ حَقَّ النَّاسِ عَلَى اللهِ أَنْ لَا يُعَذِّبَهُمْ**»، قَالَ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! أَلَا أُبَشِّرُ النَّاسَ؟ قَالَ: «**دَعْهُمْ يَعْمَلُونَ**»(١).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا﴾: بِرًّا بِهِمَا وَعَطْفًا عَلَيْهِمَا، ﴿وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾: أَيْ: أَحْسِنُوا بِذِي الْقُرْبَى، ﴿وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ﴾.

عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا، وَأَشَارَ بِالسَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى وَفَرَّجَ بَيْنَهُمَا شَيْئًا**»(٢).

---

(١) **صحيح:** البخاري: (٥٩٦٧)، ومسلم: (٣٠).

(٢) **صحيح:** البخاري: (٥٣٠٤)، ومسلم: (٢٩٨٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾: أَيْ: ذِي الْقَرَابَةِ، ﴿وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ﴾: أَيِ: الْبَعِيد الَّذِي لَيْسَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ قَرَابَةٌ.

عَنْ أَبِي عِمْرَانَ الْجَوْنِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ طَلْحَةَ قَالَ: **قَالَتْ عَائِشَةُ** رضي الله عنها: يَا رَسُولَ اللهِ! إِنَّ لِي جَارَيْنِ فَإِلَى أَيِّهِمَا أُهْدِيَ؟ قَالَ: «**إِلَى أَقْرَبِهِمَا مِنْكِ بَابًا**»[(١)].

عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ، وَإِذَا طَبَخْتَ مَرَقَةً فَأَكْثِرْ مَاءَهَا وَاغْرِفْ لِجِيرَانِكَ مِنْهَا**»[(٢)].

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ**»[(٣)].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ﴾: يَعْنِي: الرَّفِيقَ فِي السَّفَرِ، **قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ** رضي الله عنهما **وَجَمَاعَةٌ وَعِكْرِمَةُ وَقَتَادَةُ وَمُجَاهِدٌ، وَقَالَ عَلِيٌّ وَعَبْدُ اللهِ وَالنَّخَعِيُّ**: هُوَ الْمَرْأَةُ تَكُونُ مَعَهُ إِلَى جَنْبِهِ، **وَقَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ وَابْنُ زَيْدٍ**: هُوَ الَّذِي يَصْحَبُكَ رَجَاءَ نَفْعِكَ، ﴿وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾: **قِيلَ**: هُوَ الْمُسَافِرُ لِأَنَّهُ مُلَازِمٌ لِلسَّبِيلِ، **وَالْأَكْثَرُونَ** عَلَى أَنَّهُ الضَّيْفُ.

عَنْ أَبِي شُرَيْحٍ الْخُزَاعِيِّ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُحْسِنْ إِلَى جَارِهِ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ**»[(٤)].

عَنْ أَبِي شُرَيْحٍ الْكَعْبِيِّ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ**

---

(١) **صحيح:** البخاري: (٢٢٥٩).

(٢) **صحيح:** مسلم: (٢٦٢٥)، (٢٦٢٦)، والترمذي (١٨٣٢) واللفظ له.

(٣) **صحيح:** البخاري: (٦٠١٥)، ومسلم: (٢٦٢٥).

(٤) **صحيح:** البخاري: (٦٠١٩) عن أبي شُريح العَدَويِّ رضي الله عنه، ومسلم: (٤٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال النووي رحمه الله في «شرح مسلم» (٩/ ١٢٧): ويقال له أيضا: الكَعْبِيُّ، والخُزاعِيُّ.اهـ

لِيَصْمُتْ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، جَائِزَتُهُ يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ، وَالضِّيَافَةُ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ، وَمَا كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ فَهُوَ صَدَقَةٌ، وَلَا يَحِلُّ أَنْ يَثْوِيَ -أَيْ: أَنْ يُقِيمَ- عِنْدَهُ حَتَّى يُحْرِجَهُ»[1].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ﴾: أَيْ: الْمَمَالِيكُ أَحْسِنُوا إِلَيْهِمْ.

عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنها، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ فِي مَرَضِهِ: «**الصَّلَاةَ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ**»، فَجَعَلَ يَتَكَلَّمُ وَمَا يَفِيضُ بِهَا لِسَانُهُ[2].

عَنِ الْمَعْرُورِ عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه قَالَ: رَأَيْتُ عَلَيْهِ بُرْدًا، وَعَلَى غُلَامِهِ بُرْدًا، فَقُلْتُ: لَوْ أَخَذْتَ هَذَا فَلَبِسْتَهُ كَانَتْ حُلَّةً، وَأَعْطَيْتَهُ ثَوْبًا آخَرَ، فَقَالَ: كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ رَجُلٍ كَلَامٌ، وَكَانَتْ أُمُّهُ أَعْجَمِيَّةً، فَنِلْتُ مِنْهَا، فَذَكَرَنِي إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ لِي: أَسَابَبْتَ فُلَانًا؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: أَفَنِلْتَ مِنْ أُمِّهِ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: «**إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ**»، قُلْتُ: عَلَى حِينِ سَاعَتِي هَذِهِ مِنْ كِبَرِ السِّنِّ، قَالَ: «**نَعَمْ، هُمْ إِخْوَانُكُمْ جَعَلَهُمُ اللهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَمَنْ جَعَلَ اللهُ أَخَاهُ تَحْتَ يَدِهِ فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ، وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلَا يُكَلِّفْهُ مِنَ الْعَمَلِ مَا يَغْلِبُهُ، فَإِنْ كَلَّفَهُ مَا يَغْلِبُهُ فَلْيُعِنْهُ عَلَيْهِ**»[3].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾: **الْمُخْتَالُ**: الْمُتَكَبِّرُ، **وَالْفَخُورُ**: الَّذِي يَفْتَخِرُ عَلَى النَّاسِ بِغَيْرِ الْحَقِّ تَكَبُّرًا، ذَكَرَ هَذَا بَعْدَمَا ذَكَرَ مِنَ الْحُقُوقِ؛ لِأَنَّ الْمُتَكَبِّرَ يَمْنَعُ الْحَقَّ تَكَبُّرًا.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**بَيْنَمَا رَجُلٌ يَتَبَخْتَرُ فِي بُرْدَيْنِ وَقَدْ أَعْجَبَتْهُ نَفْسُهُ خَسَفَ اللهُ بِهِ الْأَرْضَ فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ فِيهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**»[4].

---

(١) **صحيح**: البخاري: (٦١٣٥)، ومسلم: (٤٨).

(٢) **صحيح**: صحَّحه العلَّامة الألباني رحمه الله في «صحيح وضعيف سنن ابن ماجه» (١٦٢٥). **وقولُهُ: «الصَّلَاةَ»**: نصب على الإغراء، أي: الزموا المحافظةَ على الصلاة، والإحسانَ لما ملكت أيمانكم من الأَرِقَّاء.اهـ«فيض القدير» (٤/ ٢٤٤).

(٣) **صحيح**: البخاري: (٦٠٥٠)، ومسلم: (١٦٦١).

(٤) **صحيح**: البخاري: (٥٧٨٩)، ومسلم: (٢٠٨٨).

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لَا يَنْظُرُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خُيَلَاءَ»[(١)].

﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦۗ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِۗ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا ﴿٣٨﴾ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ﴿٣٩﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَعَصَوُا۟ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا﴾

﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ﴾: **الْبُخْلُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ**: مَنْعُ السَّائِلِ مِنْ فَضْلِ مَا لَدَيْهِ، **وَفِي الشَّرْعِ** مَنْعُ الْوَاجِبِ ﴿وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ﴾: قَرَأَ حَمْزَةُ وَالْكِسَائِيُّ ﴿بِالْبَخَلِ﴾ بِفَتْحِ الْبَاءِ وَالْخَاءِ، وَكَذَلِكَ فِي (سُورَةِ الْحَدِيدِ)، وَقَرَأَ الْآخَرُونَ بِضَمِّ الْبَاءِ وَسُكُونِ الْخَاءِ، **قَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ**: هَذَا فِي كِتْمَانِ الْعِلْمِ، ﴿وَيَكْتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦۗ﴾ يَعْنِي: الْمَالَ **وَقِيلَ**: يَبْخَلُونَ بِالصَّدَقَةِ، ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِۗ﴾: مَحَلُّ ﴿وَٱلَّذِينَ﴾ نَصْبٌ؛ عَطْفًا عَلَى ﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ﴾، **وَقِيلَ**: خَفْضٌ؛ عَطْفًا عَلَى قَوْلِهِ: ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ﴾ نَزَلَتْ فِي الْيَهُودِ، **وَقَالَ السُّدِّيُّ**: فِي الْمُنَافِقِينَ، **وَقِيلَ**: فِي مُشْرِكِي مَكَّةَ الْمُنْفِقِينَ عَلَى عَدَاوَةِ الرَّسُولِ ﷺ ﴿وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا﴾: صَاحِبًا وَخَلِيلًا ﴿فَسَآءَ قَرِينًا﴾: أَيْ: فَبِئْسَ الشَّيْطَانُ قَرِينًا، وَهُوَ نَصْبٌ عَلَى التَّفْسِيرِ، **وَقِيلَ**: عَلَى الْقَطْعِ بِإِلْغَاءِ الْأَلِفِ وَاللَّامِ، كَمَا تَقُولُ: (نِعْمَ رَجُلًا عَبْدُ اللهِ)، وَكَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا﴾[الكَهْف:٥٠]، وَ﴿سَآءَ مَثَلًا﴾[الأَعْرَاف:١٧٧].

---

(١) **صحيح**: البخاري: (٣٦٦٥)، ومسلم: (٢٠٨٥).

﴿ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ ﴾: أَيْ: مَا الَّذِي عَلَيْهِمْ وَأَيُّ شَيْءٍ عَلَيْهِمْ؟ ﴿لَوْ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ﴾.

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ﴾: الْمُرَادُ أَنَّهُ لَا يَظْلِمُ لَا قَلِيلًا وَلَا كَثِيرًا، وَنَظْمُهُ: وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنْفَقُوا فَإِنَّ اللهَ لَا يَظْلِمُ، أَيْ: لَا يَبْخَسُ وَلَا يُنْقِصُ أَحَدًا مِنْ ثَوَابِ عَمَلِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ، وَزْنَ ذَرَّةٍ، **وَالذَّرَّةُ**: هِيَ النَّمْلَةُ الْحَمْرَاءُ الصَّغِيرَةُ، **وَقِيلَ**: الذَّرُّ: أَجْزَاءُ الْهَبَاءِ فِي الْكُوَّةِ(١) وَكُلُّ جُزْءٍ مِنْهَا ذَرَّةٌ وَلَا يَكُونُ لَهَا وَزْنٌ، وَهَذَا مَثَلٌ، يُرِيدُ: إِنَّ اللهَ لَا يَظْلِمُ شَيْئًا، كَمَا قَالَ فِي آيَةٍ أُخْرَى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا ﴾[يُونُس:٤٤].

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ اللهَ لَا يَظْلِمُ الْمُؤْمِنَ حَسَنَةً، يُثَابُ عَلَيْهَا الرِّزْقَ فِي الدُّنْيَا، وَيُجْزَى بِهَا فِي الْآخِرَةِ**»، قَالَ: «**وَأَمَّا الْكَافِرُ فَيُطْعَمُ بِحَسَنَاتِهِ فِي الدُّنْيَا حَتَّى إِذَا أَفْضَى إِلَى الْآخِرَةِ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَسَنَةٌ يُعْطَى بِهَا خَيْرًا**»(٢).

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِذَا خَلَصَ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ وَأَمِنُوا، فَمَا مُجَادَلَةُ أَحَدِكُمْ لِصَاحِبِهِ فِي الْحَقِّ يَكُونُ لَهُ فِي الدُّنْيَا بِأَشَدَّ مُجَادَلَةً مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لِرَبِّهِم فِي إِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ أُدْخِلُوا النَّارَ، قَالَ: فَيَقُولُونَ: رَبَّنَا إِخْوَانَنَا كَانُوا يُصَلُّونَ مَعَنَا وَيَصُومُونَ مَعَنَا وَيَحُجُّونَ مَعَنَا فَأَدْخَلْتَهُمُ النَّارَ؟ قَالَ: فَيَقُولُ اللهُ لَهُمْ: اذْهَبُوا فَأَخْرِجُوا مَنْ عَرَفْتُمْ مِنْهُمْ، فَيَأْتُونَهُمْ فَيَعْرِفُونَهُمْ بِصُوَرِهِمْ لَا تَأْكُلُ النَّارُ صُوَرَهُمْ، فَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ النَّارُ إِلَى أَنْصَافِ سَاقَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ إِلَى كَعْبَيْهِ، فَيُخْرِجُونَهُمْ، فَيَقُولُونَ: رَبَّنَا قَدْ أَخْرَجْنَا مَنْ أَمَرْتَنَا، قَالَ: ثُمَّ يَقُولُ: أَخْرِجُوا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ وَزْنُ دِينَارٍ مِنَ الْإِيمَانِ، ثُمَّ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ وَزْنُ نِصْفِ**

(١) الهَبَاءُ: التُّرَاب الَّذِي تطيره الرِّيح ويلزق بالأشياء، أو ينبث في الهواء فلا يبدُو إلَّا في ضوء الشَّمس. والكُوَّة: الخَرْق فِي الْحَائِطِ والثَّقْب فِي الْبَيْتِ ونحوه. «المعجم الوسيط» (٢/ ٩٧١)، و«لسان العرب» (١٥/ ٢٣٦).

(٢) **صحيح**: مسلم: (٢٨٠٨).

دِينَارٍ، حَتَّى يَقُولَ: مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ»، قَالَ أَبُو سَعِيدٍ رضي الله عنه، فَمَنْ لَمْ يُصَدِّقْ هَذَا فَلْيَقْرَأْ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾، قَالَ: فَيَقُولُونَ: رَبَّنَا قَدْ أَخْرَجْنَا مَنْ أَمَرْتَنَا فَلَمْ يَبْقَ فِي النَّارِ أَحَدٌ فِيهِ خَيْرٌ، ثُمَّ يَقُولُ اللهُ جل جلاله: شَفَعَتِ الْمَلَائِكَةُ، وَشَفَعَتِ الْأَنْبِيَاءُ، وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ، وَبَقِيَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، قَالَ: فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ، -أَوْ قَالَ: قَبْضَتَيْنِ- فَيُخْرِجُ مِنْهَا قَوْمًا لَمْ يَعْمَلُوا للهِ خَيْرًا قَطُّ قَدِ احْتَرَقُوا حَتَّى صَارُوا حُمَمًا، فَيُؤْتَى بِهِمْ إِلَى مَاءٍ يُقَالُ لَهُ: مَاءُ الْحَيَاةِ، فَيُصَبُّ عَلَيْهِمْ، فَيَنْبُتُونَ كَمَا تَنْبُتُ الْحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ، قَالَ: فَتَخْرُجُ أَجْسَادُهُمْ مِثْلَ اللُّؤْلُؤِ فِي أَعْنَاقِهِمُ الْخَاتَمُ مَكْتُوبٌ فِيهِ: هَؤُلَاءِ عُتَقَاءُ اللهِ مِنَ النَّارِ، فَيُقَالُ لَهُمْ: ادْخُلُوا الْجَنَّةَ فَمَا تَمَنَّيْتُمْ أَوْ رَأَيْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ لَكُمْ، قَالَ: فَيَقُولُونَ: رَبَّنَا أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ، قَالَ: فَيَقُولُ فَإِنَّ لَكُمْ أَفْضَلَ مِنْهُ، فَيَقُولُونَ: رَبَّنَا وَمَا أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُ: رِضَايَ عَنْكُمْ فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ أَبَدًا»[(١)].

عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمَعَافِرِيِّ ثُمَّ الْجَبَلِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنهما يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللهَ يَسْتَخْلِصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُنْشَرُ لَهُ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلًّا كُلُّ سِجِلٍّ مِثْلَ مَدِّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ اللهُ: أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظَلَمَكَ كَتَبَتِي الْحَافِظُونَ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَفَلَكَ عُذْرٌ أَوْ حَسَنَةٌ؟ فَبُهِتَ الرَّجُلُ، قَالَ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: بَلَى إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ، فَتُخْرَجُ لَهُ بِطَاقَةٌ فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: أَحْضِرْ وَزْنَكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلَّاتِ، فَيَقُولُ: إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ، قَالَ: فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كِفَّةٍ وَالْبِطَاقَةُ فِي كِفَّةٍ فَطَاشَتِ السِّجِلَّاتُ وَثَقُلَتِ الْبِطَاقَةُ، قَالَ: فَلَا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللهِ شَيْءٌ»[(٢)].

---

(١) **صحيح:** البخاري: (٧٤٣٩)، ومسلم: (١٨٣).

(٢) **صحيح:** صحَّحه العلَّامة الألباني رحمه الله في "صحيح وضعيف سنن الترمذي" (٢٦٣٩).

وَقَالَ قَوْمٌ: هَذَا فِي الْخُصُومِ، فَمَعْنَى الآيَةِ عَلَى هَذَا التَّأْوِيلِ: أَنَّ اللهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ لِلْخَصْمِ عَلَى الخَصْمِ، بَلْ يُأْخَذُ مِنْهُ، وَلَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ تَبْقَى لَهُ، بَلْ يُثِيبُهُ عَلَيْهَا وَيُضَعِّفُهَا لَهُ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفۡهَا﴾: قَرَأَ أَهْلُ الْحِجَازِ ﴿حَسَنَةٌ﴾ بِالرَّفْعِ، أَيْ: وَإِنْ تُوجَدُ حَسَنَةٌ، وَقَرَأَ الْآخَرُونَ بِالنَّصْبِ عَلَى مَعْنَى: وَإِنْ تَكُ زِنَةُ الذَّرَّةِ حَسَنَةً ﴿يُضَٰعِفۡهَا﴾: أَيْ: يَجْعَلُهَا أَضْعَافًا كَثِيرَةً، ﴿وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾: **قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ** رضي الله عنه: إِذَا قَالَ اللهُ تَعَالَى أَجْرًا عَظِيمًا فَمَنْ يَقْدُرُ قَدْرَهُ؟

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَكَيۡفَ﴾: أَيْ: فَكَيْفَ الْحَالُ وَكَيْفَ يَصْنَعُونَ ﴿إِذَا جِئۡنَا مِن كُلِّ أُمَّةِۭ بِشَهِيدٖ﴾: يَعْنِي: بِنَبِيِّهَا يَشْهَدُ عَلَيْهِمْ بِمَا عَمِلُوا، ﴿وَجِئۡنَا بِكَ﴾: يَا مُحَمَّدُ ﴿عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدٗا﴾: شَاهِدًا يَشْهَدُ عَلَى جَمِيعِ الأُمَمِ، عَلَى مَنْ رَآهُ وَمَنْ لَمْ يَرَهُ.

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**اقْرَأْ عَلَيَّ**»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! أَأَقْرَأُ عَلَيْكَ وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ؟ قَالَ: «**نَعَمْ**»، فَقَرَأْتُ سُورَةَ النِّسَاءِ حَتَّى إِذَا أَتَيْتُ إِلَى هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿فَكَيۡفَ إِذَا جِئۡنَا مِن كُلِّ أُمَّةِۭ بِشَهِيدٖ وَجِئۡنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدٗا﴾، قَالَ: «**حَسْبُكَ الْآنَ**»، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ فَإِذَا عَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ[(١)].

قَوْلُهُ ﷻ: ﴿يَوۡمَئِذٖ﴾: أَيْ: يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَعَصَوُاْ ٱلرَّسُولَ لَوۡ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضُ﴾: قَرَأَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ وَابْنُ عَامِرٍ: ﴿تَسَّوَّى﴾ بِفَتْحِ التَّاءِ وَتَشْدِيدِ السِّينِ عَلَى مَعْنَى (تتَسَوَّى)، فَأُدْغِمَتِ التَّاءُ الثَّانِيَةُ فِي السِّينِ، وَقَرَأَ حَمْزَةُ وَالْكِسَائِيُّ بِفَتْحِ التَّاءِ وَتَخْفِيفِ السِّينِ عَلَى حَذْفِ تَاءِ (التَّفَعُّل) [﴿تَسَوَّى﴾]؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَا تَكَلَّمُ نَفۡسٌ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾[هُود:١٠٥]، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بِضَمِّ التَّاءِ وَتَخْفِيفِ السِّينِ عَلَى الْمَجْهُولِ، أَيْ: لَوْ سُوِّيَتْ بِهِمُ الأَرْضُ وَصَارُوا هُمْ وَالأَرْض شَيْئًا وَاحِدًا، **وَقَالَ قَتَادَةُ وَأَبُو عُبَيْدَةَ**: يَعْنِي لَوْ تَخَرَّقَتِ الْأَرْضُ فَسَاخُوا فِيهَا وَعَادُوا إِلَيْهَا كَمَا خَرَجُوا عَنْهَا ثُمَّ

(١) **صحيح:** البخاري: (٥٠٥٠)، ومسلم: (٨٠٠).

تُسَوَّى بِهِمْ، أَيْ: عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ، **وَقِيلَ**: وَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ لَمْ يُبْعَثُوا؛ لِأَنَّهُمْ إِنَّمَا نُقِلُوا مِنَ التُّرَابِ، وَكَانَتِ الْأَرْضُ مُسْتَوِيَةً عَلَيْهِمْ، **وَقَالَ الْكَلْبِيُّ**: يَقُولُ اللهُ ﷻ لِلْبَهَائِمِ وَالوُحُوشِ وَالطَّيْرِ وَالسِّبَاعِ: كُونُوا تُرَابًا، فَتُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ، فَعِنْدَ ذَلِكَ يَتَمَنَّى الْكَافِرُ أَنْ لَوْ كَانَ تُرَابًا كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا﴾[النَّبَإ:٤٠].

﴿وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا﴾: **قَالَ عَطَاءٌ**: وَدُّوا لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ وَأَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا كَتَمُوا أَمْرَ مُحَمَّدٍ ﷺ وَلَا نَعْتَهُ، **وَقَالَ الْآخَرُونَ**: بَلْ هُوَ كَلَامٌ مُسْتَأْنَفٌ؛ لِأَنَّ مَا عَمِلُوهُ لَا يَخْفَى عَلَى اللهِ وَلَا يَقْدِرُونَ عَلَى كِتْمَانِهِ، **وَقَالَ الْكَلْبِيُّ وَجَمَاعَةٌ**: ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا﴾؛ لِأَنَّ جَوَارِحَهُمْ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ، **وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ**: قَالَ رَجُلٌ لِابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: إِنِّي أَجِدُ فِي الْقُرْآنِ أَشْيَاءَ تَخْتَلِفُ عَلَيَّ، قَالَ: هَاتِ مَا اخْتَلَفَ عَلَيْكَ، قَالَ: ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾[الْمُؤْمِنُون:١٠١]، ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ﴾[الصَّافَّات:٢٧]، وَقَالَ: ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا﴾، وَقَالَ: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾[الْأَنْعَام:٢٣]، فَقَدْ كَتَمُوا، وَقَالَ ﴿أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا﴾ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ﴾[النَّازِعَات:٢٧-٣٠]، فَذَكَرَ خَلْقَ السَّمَاءِ قَبْلَ الْأَرْضِ، ثُمَّ قَالَ: ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿طَآئِعِينَ﴾[فُصِّلَتْ:٩-١١]، فَذَكَرَ فِي هَذِهِ الآيَةِ خَلْقَ الْأَرْضِ قَبْلَ السَّمَاءِ، وَقَالَ: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[الفَتْح:١٤] ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾[النِّسَاء:١٥٨] فَكَأَنَّهُ كَانَ ثُمَّ مَضَى؟ فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ﴾ فِي النَّفْخَةِ الْأُولَى، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾[الزُّمَر:٦٨]، فَلَا أَنْسَابَ عِنْدَ ذَلِكَ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ، ثُمَّ فِي النَّفْخَةِ الْآخِرَةِ أَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ. وَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾، ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا﴾: فَإِنَّ اللهَ يَغْفِرُ لِأَهْلِ الْإِخْلَاصِ ذُنُوبَهُمْ، فَيَقُولُ الْمُشْرِكُونَ: تَعَالَوْا نَقُلْ لَمْ نَكُنْ مُشْرِكِينَ، فَيُخْتَمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتَنْطِقُ أَيْدِيهِمْ، فَعِنْدَ ذَلِكَ عَرَفُوا أَنَّ اللهَ لَا يُكْتَمُ حَدِيثًا، وَعِنْدَهُ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ. وَخَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ، ثُمَّ خَلَقَ السَّمَاءَ، ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى

السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ فِي يَوْمَيْنِ آخَرَيْنِ، ثُمَّ دَحَا الأَرْضَ، وَدَحْوُهَا: أَنْ أَخْرَجَ مِنْهَا الْمَاءَ وَالْمَرْعَى وَخَلَقَ الْجِبَالَ وَالْآكَامَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي يَوْمَيْنِ آخَرَيْنِ، فَقَالَ: ﴿خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾، فَجُعِلَتِ الْأَرْضُ وَمَا فِيهَا مِنْ شَيْءٍ فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ، وَخُلِقَتِ السَّمَوَاتُ فِي يَوْمَيْنِ. ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ أَيْ: لَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ، فَلَا يَخْتَلِفُ عَلَيْكَ الْقُرْآنُ؛ فَإِنَّ كُلًّا مِنْ عِنْدِ اللهِ.

وَقَالَ **الْحَسَنُ**: إِنَّهَا مُوَاطِنٌ، فَفِي مَوْطِنٍ لَا يَتَكَلَّمُونَ وَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا، وَفِي مَوْطِنٍ يَتَكَلَّمُونَ وَيَكْذِبُونَ وَيَقُولُونَ: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾، وَ﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍ﴾، وَفِي مَوْطِنٍ يَعْتَرِفُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿فَٱعْتَرَفُواْ بِذَنۢبِهِمْ﴾[المُلْك:١١]، وَفِي مَوْطِنٍ لَا يَتَسَاءَلُونَ وَفِي مَوْطِنٍ يَسْأَلُونَ الرَّجْعَةَ، وَآخِرُ تِلْكَ الْمَوَاطِنِ أَنْ يُخْتَمَ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتَتَكَلَّمَ جَوَارِحُهُمْ، وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾

قَوْلُهُ ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ﴾ الْآيَةَ، وَالْمُرَادُ مِنَ السُّكْرِ: السُّكْرُ مِنَ الْخَمْرِ عِنْدَ الْأَكْثَرِينَ.

عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه قَالَ: صَنَعَ لَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ طَعَامًا فَدَعَانَا وَسَقَانَا مِنَ الخَمْرِ، فَأَخَذَتِ الخَمْرُ مِنَّا، وَحَضَرَتِ الصَّلَاةُ فَقَدَّمُونِي فَقَرَأْتُ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ وَنَحْنُ نَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ، قَالَ: فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ﴾[(١)]، فَكَانُوا بَعْدَ نُزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ يَجْتَنِبُونَ السُّكْرَ أَوْقَاتَ الصَّلَاةِ حَتَّى نَزَلَ تَحْرِيمُ الْخَمْرِ.

وَقَالَ الضَّحَّاكُ بْنُ مُزَاحِمٍ: أَرَادَ بِهِ سُكْرَ النَّوْمِ، نَهَى عَنِ الصَّلَاةِ عِنْدَ غَلَبَةِ النَّوْمِ.

---

(١) **صحيح**: صحَّحه العلَّامة الألباني رحمه الله في «صحيح وضعيف سنن الترمذي» (٣٠٢٦).

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا نَعَسَ أَحَدُكُمْ وَهُوَ يُصَلِّي فَلْيَرْقُدْ حَتَّى يَذْهَبَ عَنْهُ النَّوْمُ؛ فَإِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا صَلَّى وَهُوَ يَنْعَسُ لَعَلَّهُ يَذْهَبُ يَسْتَغْفِرُ فَيَسُبُّ نَفْسَهُ»[(١)].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا﴾: نَصْبٌ عَلَى الْحَالِ، يَعْنِي: وَلَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُم جُنُبٌ، يُقَالُ: (رَجُلٌ جُنُبٌ وَامْرَأَةٌ جُنُبٌ)، وَ(رِجَالٌ جُنُبٌ وَنِسَاءٌ جُنُبٌ)، وَأَصْلُ الْجَنَابَةِ: الْبُعْدُ، وَسُمِّيَ جُنُبًا؛ لِأَنَّهُ يَتَجَنَّبُ مَوْضِعَ الصَّلَاةِ، أَوْ لِمُجَانَبَتِهِ النَّاسَ وَبُعْدِهِ مِنْهُمْ، حَتَّى يَغْتَسِلَ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغۡتَسِلُواْۚ﴾: اخْتَلَفُوا فِي مَعْنَاهُ، **فَقَالَ بَعْضُهُمْ**: إِلَّا أَنْ تَكُونُوا مُسَافِرِينَ وَلَا تَجِدُونَ الْمَاءَ فَتَيَمَّمُوا، مَنَعَ الْجُنُبَ مِنَ الصَّلَاةِ حَتَّى يَغْتَسِلَ إِلَّا أَنْ يَكُونَ فِي سَفَرٍ وَلَا يَجِدُ مَاءً فَيُصَلِّي بِالتَّيَمُّمِ، وَهَذَا قَوْلُ **عَلِيٍّ وَابْنِ عَبَّاسٍ وَسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ وَمُجَاهِدٍ** رضي الله عنهم، **وَقَالَ الْآخَرُونَ**: بَلِ الْمُرَادُ مِنَ الصَّلَاةِ: مَوْضِعَ الصَّلَاةِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ﴾[الحَجّ:٤٠]، وَمَعْنَاهُ: لَا تَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ وَأَنْتُمْ جُنُبٌ إِلَّا مُجْتَازِينَ فِيهِ لِلْخُرُوجِ مِنْهُ، مِثْلَ: أَنْ يَنَامَ فِي الْمَسْجِدِ فَيَجْنُبَ أَوْ تُصِيبَهُ جَنَابَةٌ وَالْمَاءُ فِي الْمَسْجِدِ، أَوْ يَكُونَ طَرِيقهُ عَلَيْهِ، فَيَمُرُّ بِهِ وَلَا يُقِيمُ، وَهَذَا **قَوْلُ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ وَسَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ وَالضَّحَّاكُ وَالْحَسَنُ وَعِكْرِمَةُ وَالنَّخَعِيُّ وَالزُّهْرِيُّ**، وَذَلِكَ أَنَّ قَوْمًا مِنَ الْأَنْصَارِ كَانَتْ أَبْوَابُهُمْ فِي الْمَسْجِدِ فَتُصِيبُهُمُ الْجَنَابَةُ وَلَا مَاءَ عِنْدَهُمْ وَلَا مَمَرَّ لَهُمْ إِلَّا فِي الْمَسْجِدِ، فَرُخِّصَ لَهُمْ فِي الْعُبُورِ. **وَاخْتَلَفَ أَهْلُ الْعِلْمِ فِيهِ**، فَأَبَاحَ **بَعْضُهُمْ** الْمُرُورَ فِيهِ عَلَى الْإِطْلَاقِ، وَهُوَ **قَوْلُ الْحَسَنِ**، وَبِهِ **قَالَ مَالِكٌ وَالشَّافِعِيُّ** رَحِمَهُمُ اللهُ، وَمَنَعَ **بَعْضُهُمْ** عَلَى الْإِطْلَاقِ، وَهُوَ قَوْلُ أَصْحَابِ الرَّأْيِ، **وَقَالَ بَعْضُهُمْ**: يَتَيَمَّمُ لِلْمُرُورِ فِيهِ. أَمَّا الْمُكْثُ فَلَا يَجُوزُ عِنْدَ أَكْثَرِ أَهْلِ الْعِلْمِ؛

---

(١) **صحيح**: البخاري: (٢١٢)، ومسلم: (٧٨٦). **وقولُهُ**: «لَعَلَّهُ يَذْهَبُ»: أي: يقصد، يقال: (ذَهَبَ مَذْهَبَ فُلانٍ)، أي: قَصَدَ قَصْدَهُ، قاله في "المصباح". **وقولُهُ**: «يَسْتَغْفِرُ»: قال القاضي عياض رَحِمَهُ اللهُ: معنى: «يَسْتَغْفِرُ»: يدعو.اهـ "البحر المحيط الثجاج" (١٦/ ٢٠٣-٢٠٤).

لِمَا رُوِيَ **عَنْ عَائِشَةَ** ﵂ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**وَجِّهُوا هَذِهِ الْبُيُوتَ عَنِ الْمَسْجِدِ فَإِنِّي لَا أُحِلُّ الْمَسْجِدَ لِحَائِضٍ وَلَا جُنُبٍ**»(١)، وَجَوَّزَ أَحْمَدُ الْمُكْثَ فِيهِ وَضُعِّفَ الحَدِيثُ؛ لِأَنَّ رَاوِيَهِ مَجْهُولٌ، وَبِهِ **قَالَ الْمُزَنِيُّ**. وَلَا يَجُوزُ لِلْجُنُبِ الطَّوَافُ كَمَا لَا يَجُوزُ لَهُ الصَّلَاةُ.

وَغُسْلُ الْجَنَابَةِ يَجِبُ بِأَحَدِ أَمْرَيْنِ: إِمَّا بِنُزُولِ الْمَنِيِّ، أَوْ بِالْتِقَاءِ الْخِتَانَيْنِ وَهُوَ تَغْيِيبُ الْحَشَفَةِ فِي الْفَرَجِ وَإِنْ لَمْ يُنْزِلْ، وَكَانَ الْحُكْمُ فِي الِابْتِدَاءِ أَنَّ مَنْ جَامَعَ امْرَأَتَهُ فَأَكْسَلَ لَا يَجِبُ عَلَيْهِ الْغُسْلُ، ثُمَّ صَارَ مَنْسُوخًا.

عَنْ أَبِي بُرْدَةَ، **عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ** ﵁ قَالَ: اخْتَلَفَ فِي ذَلِكَ رَهْطٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، فَقَالَ الْأَنْصَارِيُّونَ: لَا يَجِبُ الْغُسْلُ إِلَّا مِنَ الدَّفْقِ أَوْ مِنَ الْمَاءِ، وَقَالَ الْمُهَاجِرُونَ: بَلْ إِذَا خَالَطَ فَقَدْ وَجَبَ الْغُسْلُ، قَالَ: قَالَ أَبُو مُوسَى: فَأَنَا أَشْفِيكُمْ مِنْ ذَلِكَ، فَقُمْتُ فَاسْتَأْذَنْتُ عَلَى عَائِشَةَ فَأَذِنَ لِي، فَقُلْتُ لَهَا: يَا أُمَّاهْ -أَوْ يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ- إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَكِ عَنْ شَيْءٍ، وَإِنِّي أَسْتَحْيِيكِ، فَقَالَتْ: لَا تَسْتَحْيِي أَنْ تَسْأَلَنِي عَمَّا كُنْتَ سَائِلًا عَنْهُ أُمَّكَ الَّتِي وَلَدَتْكَ، فَإِنَّمَا أَنَا أُمُّكَ، قُلْتُ: فَمَا يُوجِبُ الْغُسْلَ؟ قَالَتْ: عَلَى الْخَبِيرِ سَقَطْتَ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِذَا جَلَسَ بَيْنَ شُعَبِهَا الْأَرْبَعِ وَمَسَّ الْخِتَانُ الْخِتَانَ فَقَدْ وَجَبَ الْغُسْلُ**»(٢).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ﴾: جَمْعُ (مَرِيضٍ)، وَأَرَادَ بِهِ مَرَضًا يَضُرُّهُ إِمْسَاسُ الْمَاءِ، مِثْلَ الْجُدَرِيِّ(٣) وَنَحْوَهُ، أَوْ كَانَ عَلَى مَوْضِعِ طَهَارَتِهِ جِرَاحَةٌ يَخَافُ مِنِ اسْتِعْمَالِ الْمَاءِ فِيهَا التَّلَفَ أَوْ زِيَادَةَ الْوَجَعِ، فَإِنَّهُ يُصَلِّي بِالتَّيَمُّمِ وَإِنْ كَانَ الْمَاءُ مَوْجُودًا، وَإِنْ كَانَ بَعْضُ أَعْضَاءِ طَهَارَتِهِ صَحِيحًا وَالْبَعْضُ جَرِيحًا غَسَلَ الصَّحِيحَ

---

(١) **ضعيف**: ضعَّفه العلَّامة الألباني ﵀ في «صحيح وضعيف سنن أبي داود» (٢٣٢).

(٢) **صحيح**: البخاري: (٢١٩) عن أبي هريرة ﵁، ومسلم: (٣٤٩).

(٣) بضمِّ الجيم وفتحها، لُغتانِ، وأما الدَّالُ فمفتوحةٌ على كلِّ حال، وهو اسمٌ لِقُرُوح في البَدَن تَنَفَّطُ عن الجِلد ممتلئةٌ مَاء وتَقَيَّحُ، وهو داءٌ معروفٌ يأخُذُ الناسَ مرَّةً فِي العُمرِ. «تاج العروس» (١٠/ ٣٨٠).

مِنْهَا وَتَيَمَّمَ لِلْجَرِيحِ؛ لِمَا جَاءَ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنهما قَالَ: خَرَجْنَا فِي سَفَرٍ فَأَصَابَ رَجُلًا مِنَّا حَجَرٌ فَشَجَّهُ فِي رَأْسِهِ، فَاحْتَلَمَ فَسَأَلَ أَصْحَابَهُ: هَلْ تَجِدُونَ لِي رُخْصَةً فِي التَّيَمُّمِ؟ قَالُوا: مَا نَجِدُ لَكَ رُخْصَةً وَأَنْتِ تَقْدِرُ عَلَى الْمَاءِ، فَاغْتَسَلَ فَمَاتَ، فَلَمَّا قَدِمْنَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ أُخْبِرَ بِذَلِكَ، فَقَالَ: «**قَتَلُوهُ قَتَلَهُمُ اللهُ، أَلَا سَأَلُوا إِذَا لَمْ يَعْلَمُوا؛ فَإِنَّمَا شِفَاءُ الْعِيِّ السُّؤَالُ، إِنَّمَا كَانَ يَكْفِيهِ أَنْ يَتَيَمَّمَ وَيَعْصِرَ أَوْ يَعْصِبَ** -شَكَّ الرَّاوِي- **عَلَى جُرْحِهِ خِرْقَةً ثُمَّ يَمْسَحَ عَلَيْهَا وَيَغْسِلَ سَائِرَ جَسَدِهِ**»[(١)].

وَلَمْ يُجَوِّزْ أَصْحَابُ الرَّأْيِ الْجَمْعَ بَيْنَ التَّيَمُّمِ وَالْغُسْلِ، وَقَالُوا: إِنْ كَانَ أَكْثَرُ أَعْضَائِهِ صَحِيحًا غُسِلَ الصَّحِيحُ وَلَا يَتَيَمَّمُ عَلَيْهِ، وَإِنْ كَانَ الْأَكْثَرُ جَرِيحًا اقْتَصَرَ عَلَى التَّيَمُّمِ. وَالْحَدِيثُ حُجَّةٌ لِمَنْ أَوْجَبَ الْجَمْعَ بَيْنَهُمَا.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾: أَرَادَ أَنَّهُ إِذَا كَانَ فِي سَفَرٍ -طَوِيلًا كَانَ أَوْ قَصِيرًا- وَعُدِمَ الْمَاءُ فَإِنَّهُ يُصَلِّي بِالتَّيَمُّمِ وَلَا إِعَادَةَ عَلَيْهِ، لِمَا رُوِيَ عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنَّ الصَّعِيدَ الطَّيِّبَ وُضُوءُ الْمُسْلِمِ وَإِنْ لَمْ يَجِدِ الْمَاءَ عَشْرَ سِنِينَ، فَإِذَا وَجَدَ الْمَاءَ فَلْيَمَسَّهُ بَشَرَهُ**»[(٢)]، أَمَّا إِذَا لَمْ يَكُنِ الرَّجُلُ مَرِيضًا وَلَا فِي سَفَرٍ ولكنه عَدِمَ الْمَاءَ فِي مَوْضِعٍ لَا يُعْدَمُ فِيهِ الْمَاءُ غَالِبًا بِأَنْ كَانَ فِي قَرْيَةٍ انْقَطَعَ مَاؤُهَا فَإِنَّهُ يُصَلِّي بِالتَّيَمُّمِ ثُمَّ يُعِيدُ إِذَا قَدَرَ عَلَى الْمَاءِ عِنْدَ الشَّافِعِيِّ، وَعِنْدَ مَالِكٍ والأَوْزَاعِيِّ لَا إِعَادَةَ عَلَيْهِ، وَعِنْدَ أَبِي حَنِيفَةَ رضي الله عنه يُؤَخِّرُ الصَّلَاةَ حَتَّى يَجِدَ الْمَاءَ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ﴾: أَرَادَ بِهِ إِذَا أَحْدَثَ، **وَالْغَائِطُ**: اسْمٌ لِلْمُطْمَئِنِّ مِنَ الْأَرْضِ، وَكَانَتْ عَادَةُ الْعَرَبِ إِتْيَانَ الْغَائِطِ لِلْحَدَثِ فَكُنِّيَ عَنِ الْحَدَثِ بِالْغَائِطِ، ﴿أَوْ لَـٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾: قَرَأَ حَمْزَةُ وَالْكِسَائِيُّ: ﴿لَمَسْتُم﴾ هَاهُنَا وَفِي الْمَائِدَةِ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ: ﴿أَوْ لَـٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾. **وَاخْتَلَفُوا فِي مَعْنَى اللَّمْسِ وَالْمُلَامَسَةِ، فَقَالَ**

(١) **حسن**: قال الألباني رحمه الله في «صحيح أبي داود (الأم)» (٣٦٤): حديث حسن، إلَّا قولَهُ: «**إنَّمَا كَانَ...**» إلخ؛ فإنَّه **ضعيف**. ينظر (٢/ ١٥٩).

(٢) **صحيح**: صحَّحه العلامة الألباني رحمه الله في «صحيح أبي داود (الأم)» (٣٥٨).

قَوْمٌ: هو الْمُجَامَعَةُ، وَهُوَ قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ وَالْحَسَنِ وَمُجَاهِدٍ وَقَتَادَةَ، وَكَنَّيَ بِاللَّمْسِ عَنِ الْجِمَاعِ؛ لِأَنَّ الْجِمَاعَ لَا يَحْصُلُ إِلَّا بِاللَّمْسِ، **وَقَالَ قَوْمٌ**: هُمَا الْتِقَاءُ الْبَشَرَتَيْنِ، سَوَاءٌ كَانَ بِجِمَاعٍ أَوْ غَيْرِ جِمَاعٍ وَهُوَ قَوْلُ ابْنِ مَسْعُودٍ وَابْنِ عُمَرَ وَالشَّعْبِيِّ وَالنَّخَعِيِّ.

وَاخْتَلَفَ الْفُقَهَاءُ فِي حُكْمِ هَذِهِ الْآيَةِ، فَذَهَبَ جَمَاعَةٌ: إِلَى أَنَّهُ إِذَا أَفْضَى الرَّجُلُ بِشَيْءٍ مِنْ بَدَنِهِ إِلَى شَيْءٍ مِنْ بَدَنِهِ إِلَى شَيْءٍ مِنْ بَدَنِ الْمَرْأَةِ وَلَا حَائِلَ بَيْنَهُمَا يَنْتَقِضُ وضُوؤُهُمَا، وَهُوَ قَوْلُ ابْنِ مَسْعُودٍ وَابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهم، وَبِهِ قَالَ الزُّهْرِيُّ والأَوْزَاعِيُّ وَالشَّافِعِيُّ رضي الله عنهم، **وَقَالَ مَالِكٌ وَاللَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ وَأَحْمَدُ وَإِسْحَاقُ**: إِنْ كَانَ اللَّمْسُ بِشَهْوَةٍ نَقَضَ الطُّهْرَ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ بِشَهْوَةٍ فَلَا يَنْتَقِضُ، **وَقَالَ قَوْمٌ**: لَا يَنْتَقِضُ الْوُضُوءُ بِاللَّمْسِ بِحَالٍ، وَهُوَ قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ وَبِهِ قَالَ الْحَسَنُ وَالثَّوْرِيُّ، **وَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ** رضي الله عنه: لَا يَنْتَقِضُ إِلَّا إِذَا حَدَثَ الِانْتِشَارُ، [أَي: الِانْبِسَاطُ].

وَاحْتَجَّ مَنْ لَمْ يُوجِبِ الْوُضُوءَ بِاللَّمْسِ بِمَا ثَبَتَ **عَنْ عَائِشَةَ** رضي الله عنها زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهَا قَالَتْ: كُنْتُ أَنَامُ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَرِجْلَايَ فِي قِبْلَتِهِ، فَإِذَا سَجَدَ غَمَزَنِي فَقَبَضْتُ رِجْلِي وَإِذَا قَامَ بَسَطْتُهُمَا، قَالَتْ: وَالْبُيُوتُ يَوْمَئِذٍ لَيْسَ فِيهَا مَصَابِيحُ[(١)].

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَتْ: كُنْتُ نَائِمَةً إِلَى جَنْبِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَفَقَدْتُهُ مِنَ اللَّيْلِ، فَالْتَمَسْتُهُ فَوَقَعَتْ يَدِي عَلَى بَطْنِ قَدَمَيْهِ وَهُوَ فِي الْمَسْجِدِ وَهُمَا مَنْصُوبَتَانِ وَهُوَ يَقُولُ: «**أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ، لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ**[(٢)]».

---

(١) **صحيح**: البخاري: (٣٨٢)، ومسلم: (٥١٢).

(٢) **صحيح**: مسلم: (٤٨٦). **وقولُهُ**: «**وَهُوَ فِي الْمَسْجِدِ**»: أي: محلَّ صلاته من البيت، ويَحْتَمل أنه كان يصلِّي في المسجد النبويِّ، وفي رواية النسائي: «**وَهُوَ سَاجِدٌ**». **وقولُهُ**: «**مِنْكَ**»: أي: مما يؤدِّي إلى عذابك من المخالفات. "البحر المحيط الثجاج" (١١/ ٢١٠-٢١١).

وَاخْتَلَفَ قَوْلُ الشَّافِعِيِّ رضي الله عنه فِيمَا لَوْ لَمَسَ امْرَأَةً مِنْ مَحَارِمِهِ، كَالْأُمِّ وَالْبِنْتِ وَالْأُخْتِ، أَوْ لَمَسَ أَجْنَبِيَّةً صَغِيرَةً، أَصَحُّ القَوْلَيْنِ أَنَّهُ لَا يَنْقُضُ الْوُضُوءَ؛ لِأَنَّهَا لَيْسَتْ بِمَحَلِّ الشَّهْوَةِ كَمَا لَوْ لَمَسَ رَجُلًا.

وَاخْتَلَفَ قَوْلُهُ فِي انْتِقَاضِ وُضُوءِ الْمَلْمُوسِ عَلَى قَوْلَيْنِ، أَحَدُهُمَا: يَنْتَقِضُ لِاشْتِرَاكِهِمَا فِي الِالْتِذَاذِ كَمَا يَجِبُ الْغُسْلُ عَلَيْهِمَا بِالْجِمَاعِ، وَالثَّانِي: لَا يَنْتَقِضُ؛ لِحَدِيثِ **عَائِشَةَ** رضي الله عنها حَيْثُ قَالَتْ: فَوَقَعَتْ يَدِي عَلَى قَدَمَيْهِ وَهُوَ سَاجِدٌ. وَلَوْ لَمَسَ شَعْرَ امْرَأَةٍ أَوْ سِنَّهَا أَوْ ظِفْرَهَا لَا يَنْتَقِضُ وُضُوؤُهُ عِنْدَهُ.

وَاعْلَمْ أَنَّ الْمُحْدِثَ لَا تَصِحُّ صِلَاتُهُ مَا لَمْ يَتَوَضَّأْ إِذَا وَجَدَ الْمَاءَ، أَوْ يَتَيَمَّمْ إِذَا لَمْ يَجِدِ المَاءَ.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا يَقْبَلُ اللهُ صَلَاةَ أَحَدِكُمْ إِذَا أَحْدَثَ حَتَّى يَتَوَضَّأَ**»[(١)].

وَالْحَدَثُ: هُوَ خُرُوجُ الْخَارِجِ مِنْ أَحَدِ الْفَرْجَيْنِ عَيْنًا كَانَ أَوْ أَثَرًا، وَالْغَلَبَةُ عَلَى الْعَقْلِ بِجُنُونٍ أَوْ إِغْمَاءٍ عَلَى أَيِّ حَالٍ كَانَ، وَأَمَّا النَّوْمُ فَمَذْهَبُ الشَّافِعِيِّ رضي الله عنه أَنَّهُ يُوجِبُ الْوُضُوءَ إِلَّا أَنْ يَنَامَ قَاعِدًا مُتَمَكِّنًا فَلَا وُضُوءَ عَلَيْهِ؛ لِمَا ثَبَتَ **عَنْ أَنَسٍ** رضي الله عنه قَالَ: كَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَنْتَظِرُونَ الْعِشَاءَ فَيَنَامُونَ، -أَحْسَبُهُ قَالَ قُعُودًا- حَتَّى تَخْفِقَ رُؤُوسُهُمْ ثُمَّ يُصَلُّونَ وَلَا يَتَوَضَّؤُونَ[(٢)].

وَذَهَبَ قَوْمٌ إِلَى أَنَّ النَّوْمَ يُوجِبُ الْوُضُوءَ بِكُلِّ حَالٍ، وَهُوَ قَوْلُ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه وَعَائِشَةَ رضي الله عنها، وَبِهِ قَالَ الْحَسَنُ وَإِسْحَاقُ وَالْمُزَنِيُّ، **وَذَهَبَ قَوْمٌ** إِلَى أَنَّهُ لَوْ نَامَ

---

(١) **صحيح:** البخاري: (٦٩٥٤)، ومسلم: (٢٢٥).

(٢) **صحيح:** أبو داود (١٩٥) واللفظ له وصحَّحه الألباني رحمه الله، ومسلم: (٣٧٦). **وقولُهُ:** «**حَتَّى تَخْفِقَ**»: بفتح التاء وكسر الفاء، أي: تتحرك وتضطرب، «**رُؤُوسُهُمْ**»: من النَّوم، قال الطِّيبيُّ: الخَفْقَةُ: النَّعْسَةُ الخفيفة، ومعنى: «**تَخْفِقِ رُؤُوسُهُمْ**»: تَسقُط أذقانُهُم على صدورِهِم. "مرقاة المفاتيح" (١/ ٣٦٥).

قَائِمًا أَوْ قَاعِدًا أَوْ سَاجِدًا فَلَا وُضُوءَ عَلَيْهِ حَتَّى يَنَامَ مُضْطَجِعًا، وَبِهِ قَالَ الثَّوْرِيُّ وَابْنُ الْمُبَارَكِ وَأَصْحَابُ الرَّأْيِ.

وَاخْتَلَفُوا فِي مَسِّ الْفَرجِ مِنْ نَفْسِهِ أَوْ مِنْ غَيْرِهِ، فَذَهَبَ جَمَاعَةٌ إِلَى أَنَّهُ يُوجِبُ الْوُضُوءَ، وَهُوَ قَوْلُ عُمَرَ وَابْنِ عُمَرَ وَابْنِ عَبَّاسٍ وَسَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍّ وَأَبِي هُرَيْرَةَ وَعَائِشَةَ ﭫ، وَبِهِ قَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ وَسُلَيْمَانُ بْنُ يَسَارٍ وَعُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ وَإِلَيْهِ ذَهَبَ الْأَوْزَاعِيُّ وَالشَّافِعِيُّ، وَأَحْمَدُ وَإِسْحَاقُ، وَكَذَلِكَ الْمَرْأَةُ تَمَسُّ فَرْجَهَا، غَيْرَ أَنَّ الشَّافِعِيَّ ﭬ يَقُولُ: لَا يَنْتَقِضُ إِلَّا أَنْ يَمَسَّ بِبَطْنِ الْكَفِّ أَوْ بُطُونِ الْأَصَابِعِ، وَاحْتَجُّوا بِمَا جَاءَ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي بَكْرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ حَزْمٍ، أَنَّهُ سَمِعَ عُرْوَةَ بْنَ الزُّبَيْرِ يَقُولُ: دَخَلْتُ عَلَى مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ فَذَكَرْنَا مَا يَكُونُ مِنْهُ الْوُضُوءُ، فَقَالَ مَرْوَانُ: مِنْ مَسِّ الذَّكَرِ الْوُضُوء، فَقَالَ عُرْوَةُ: مَا عَلِمْتُ ذَلِكَ، فَقَالَ مَرْوَانُ: أَخْبَرَتْنِي **بُسْرَةُ بِنْتُ صَفْوَانَ** أَنَّهَا سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِذَا مَسَّ أَحَدُكُمْ ذَكَرَهُ فَلْيَتَوَضَّأْ**»[(١)].

وَذَهَبَ جَمَاعَةٌ إِلَى أَنَّهُ لَا يُوجِبُ الْوُضُوءَ، رُوِيَ ذَلِكَ عَنْ عَلِيٍّ وَابْنِ مَسْعُودٍ وَأَبِي الدَّرْدَاءِ وَحُذَيْفَةَ، وَبِهِ قَالَ الْحَسَنُ وَإِلَيْهِ ذَهَبَ الثَّوْرِيُّ وَابْنُ الْمُبَارَكِ وَأَصْحَابُ الرَّأْيِ، وَاحْتَجُّوا بِمَا رُوِيَ **عَنْ طَلْقِ بْنِ عَلِيٍّ** ﭬ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سُئِلَ عَنْ مَسِّ الرَّجُلِ ذَكَرَهُ، فَقَالَ: «**هَلْ هُوَ إِلَّا بِضْعَةٌ مِنْكَ؟**»، وَيُرْوَى: «**هَلْ هُوَ إِلَّا بِضْعَةٌ -أَوْ مُضْغَةٌ- مِنْهُ**»[(٢)].

وَمَنْ أَوْجَبَ الْوُضُوءَ مِنْهُ قَالَ: هَذَا مَنْسُوخٌ بِحَدِيثِ بُسْرَةَ؛ لِأَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ يَرْوِي أَيْضًا أَنَّ الوضُوْءَ مِنْ مَسِّ الذَّكَرِ، وَهُوَ مُتَأَخِّرُ الْإِسْلَامِ، وَكَانَ قُدُومُ طَلْقِ بْنِ عَلِيٍّ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ أَوَّلَ زَمَنِ الْهِجْرَةِ حِينَ كَانَ يَبْنِي الْمَسْجِدَ.

(١) **صحيح:** صحَّحه العلَّامة الألباني رَحِمَهُ اللهُ في "صحيح أبي داود (الأم)" (١٧٥).

(٢) **صحيح:** صحَّحه العلَّامة الألباني رَحِمَهُ اللهُ في "صحيح أبي داود (الأم)" (١٧٦).

وَاخْتَلَفُوا فِي خُرُوجِ النَّجَاسَةِ مِنْ غَيْرِ الْفَرْجَيْنِ بِالْفَصْدِ وَالْحِجَامَةِ وَغَيْرِهِمَا مِنَ الْقَيْءِ وَنَحْوِهِ، فَذَهَبَ جَمَاعَةٌ إِلَى أَنَّهُ لَا يُوجِبُ الْوُضُوءَ، رُوِيَ ذَلِكَ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ وَعَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ، وَبِهِ قَالَ عَطَاءٌ وَطَاوُسٌ وَالْحَسَنُ وَسَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ، وَإِلَيْهِ ذَهَبَ مَالِكٌ وَالشَّافِعِيُّ، **وَذَهَبَتْ جَمَاعَةٌ** إِلَى إِيجَابِ الْوُضُوءِ بِالْقَيْءِ وَالرُّعَافِ وَالْفَصْدِ وَالْحِجَامَةِ، مِنْهُمْ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ وَابْنُ الْمُبَارَكِ وَأَصْحَابُ الرَّأْيِ وَأَحْمَدُ وَإِسْحَاقُ، **وَاتَّفَقُوا** عَلَى أَنَّ الْقَلِيلَ مِنْهُ وَخُرُوجَ الرِّيحِ مِنْ غَيْرِ السَّبِيلَيْنِ لَا يُوجِبُ الْوُضُوءَ، وَلَوْ أَوْجَبَ الْوُضُوءَ كَثِيرُهُ لَأُوجَبَ قَلِيلُهُ كَالْفَرْجِ.

﴿فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟﴾: اعْلَمْ أَنَّ التَّيَمُّمَ مِنْ خَصَائِصِ هَذِهِ الأُمَّةِ، **رَوَى حُذَيْفَةُ** ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«فُضِّلْنَا عَلَى النَّاسِ بِثَلَاثٍ: جُعِلَتْ صُفُوفُنَا كَصُفُوفِ الْمَلَائِكَةِ، وَجُعِلَتْ لَنَا الْأَرْضُ كُلُّهَا مَسْجِدًا، وَجُعِلَتْ تُرْبَتُهَا لَنَا طَهُورًا إِذَا لَمْ نَجِدِ الْمَاءَ»**(١).

وَكَانَ بَدْءُ التَّيَمُّمِ مَا **رُوِيَ عَنْ عَائِشَةَ** ﵂ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَتْ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ حَتَّى إِذَا كُنَّا بِالْبَيْدَاءِ -أَوْ بِذَاتِ الْجَيْشِ- انْقَطَعَ عِقْدٌ لِي، فَأَقَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى الْتِمَاسِهِ وَأَقَامَ النَّاسُ مَعَهُ، وَلَيْسُوا عَلَى مَاءٍ وَلَيْسَ مَعَهُمْ مَاءٌ، فَأَتَى النَّاسُ أَبَا بَكْرٍ ﵁ فَقَالُوا: أَلَّا تَرَى مَا صَنَعَتْ عَائِشَةُ؟ أَقَامَتْ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ وَبِالنَّاسِ مَعَهُ وَلَيْسُوا عَلَى مَاءٍ وَلَيْسَ مَعَهُمْ مَاءٌ، فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ ﵁ -وَرَسُولُ اللهِ ﷺ وَاضِعٌ رَأْسَهُ عَلَى فَخِذِي قَدْ نَامَ- فَقَالَ: أَحَبَسْتِ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَالنَّاسَ وَلَيْسُوا عَلَى مَاءٍ وَلَيْسَ مَعَهُمْ مَاءٌ؟ قَالَتْ: فَعَاتَبَنِي أَبُو بَكْرٍ ﵁ وَقَالَ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَقُولَ، وَجَعَلَ يَطْعُنُ بِيَدِهِ فِي خَاصِرَتِي فَلَا يَمْنَعُنِي مِنَ التَّحَرُّكِ إِلَّا مَكَانَ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَلَى فَخِذِي، فَقَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حِينَ أَصْبَحَ عَلَى غَيْرِ مَاءٍ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى آيَةَ التَّيَمُّمِ، فَتَيَمَّمُوا، فَقَالَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ -وَهُوَ أَحَدُ النُّقَبَاءِ-: مَا

(١) **صحيح**: مسلم: (٥٢٢).

هِيَ بِأَوَّلِ بَرَكَتِكُمْ يَا آلَ أَبِي بَكْرٍ، قَالَتْ عَائِشَةُ رضي الله عنها: فَبَعَثْنَا الْبَعِيرَ الَّذِي كُنْتُ عَلَيْهِ فَوَجَدْنَا الْعِقْدَ تَحْتَهُ»[(١)].

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، أَنَّهَا اسْتَعَارَتْ مِنْ أَسْمَاءَ قِلَادَةً فَهَلَكَتْ، فَأَرْسَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِهِ فِي طَلَبِهَا، فَأَدْرَكَتْهُمُ الصَّلَاةُ فَصَلُّوا بِغَيْرِ وُضُوءٍ، فَلَمَّا أَتَوُا النَّبِيَّ ﷺ شَكَوْا ذَلِكَ إِلَيْهِ، فَنَزَلَتْ آيَةُ التَّيَمُّمِ، فَقَالَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ: جَزَاكِ اللهُ خَيْرًا، فَوَاللهِ مَا نَزَلَ بِكِ أَمْرٌ قَطُّ إِلَّا جَعَلَ اللهُ لَكِ مِنْهُ مَخْرَجًا وَجَعَلَ لِلْمُسْلِمِينَ فِيهِ بَرَكَةً»[(٢)].

﴿فَتَيَمَّمُوا﴾: أَيِ: اقْصُدُوا ﴿صَعِيدًا طَيِّبًا﴾: أَيْ: تُرَابًا طَاهِرًا نَظِيفًا، **قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ** رضي الله عنهما: الصَّعِيدُ هُوَ التُّرَابُ.

وَاخْتَلَفَ أَهْلُ الْعِلْمِ فِيمَا يَجُوزُ بِهِ التَّيَمُّمُ **فَذَهَبَ الشَّافِعِيُّ** رحمه الله إِلَى أَنَّهُ يَخْتَصُّ بِمَا يَقَعُ عَلَيْهِ اسْمُ التُّرَابِ مِمَّا يَعْلَقُ بِالْيَدِ مِنْهُ غُبَارٌ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**وَجُعِلَتْ تُرْبَتُهَا لَنَا طَهُورًا**»[(٣)]، **وَجَوَّزَ أَصْحَابُ الرَّأْيِ** التَّيَمُّمَ بِالزِّرْنِيخِ، وَالْجِصِّ، والنَّوْرَةِ[(٤)]، وَغَيْرِهَا مِنْ طَبَقَاتِ الْأَرْضِ، حَتَّى قَالُوا: لَوْ ضَرَبَ يَدَيْهِ عَلَى صَخْرَةٍ لَا غُبَارَ عَلَيْهَا أَوْ عَلَى التُّرَابِ ثُمَّ نَفَخَ فِيهِ حَتَّى زَالَ التُّرَابُ كُلُّهُ فَمَسَحَ بِهِ وَجْهَهُ وَيَدَيْهِ صَحَّ تَيَمُّمُهُ، وَقَالُوا: الصَّعِيدُ وَجْهُ الأَرْضِ؛ لِمَا رُوِيَ عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**جُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا**»، وَهَذَا مُجْمَلٌ، وَحَدِيثُ حُذَيْفَةَ فِي تَخْصِيصِ التُّرَابِ مُفَسَّرٌ وَالْمُفَسَّرُ مِنَ الْحَدِيثِ يَقْضِي عَلَى الْمُجْمَلِ، وَجَوَّزَ بَعْضُهُمْ بِكُلِّ مَا هُوَ

---

(١) **صحيح:** البخاري: (٣٦٧٢) مسلم: (٣٦٧). **وقولُهُ:** «يَطْعُنُ»: هو بضمِّ العين، وكذا في جميع ما هو حِسِّي، وأما المعنوي فيُقال: (يَطعَنُ) بالفتح، هذا هو المشهور فيهما. «الفتح» (١/ ٤٣٣).

(٢) **صحيح:** البخاري: (٣٧٧٣).

(٣) تقدَّم تخريجه.

(٤) الزِّرْنِيخُ بِالْكَسْرِ: حَجَرٌ معروف، وله أنواع كثيرة، منه أبيض ومنه أحمر ومنه أصفر، ومركباته سامة يُستخدم في الطِّبِّ وفي قتل الحشرات. والجِصُّ: من مواد البناء. والنورة: العلَامة، وحجر الكلس، وأخلاط من أملاح الكالسيوم والباريون تُستعمل لإزالة الشَّعْر. «تاج العروس» (٧/ ٢٦٣)، و«المعجم الوسيط» (١/ ٣٩٣)، و(١/ ١٢٤)، و(٢/ ٩٦٢).

مُتَّصِلٌ بِالْأَرْضِ مِنْ شَجَرٍ وَنَبَاتٍ وَنَحْوِهِمَا، وَقَالَ: إِنَّ الصَّعِيدَ اسْمٌ لِمَا تَصَاعَدَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، وَالْقَصْدُ إِلَى التُّرَابِ شَرْطٌ لِصِحَّةِ التَّيَمُّمِ لِأَنَّ اللهَ تَعَالَى قَالَ ﴿فَتَيَمَّمُواْ﴾ وَالتَّيَمُّمُ: الْقَصْدُ، حَتَّى لَوْ وَقَفَ فِي مَهَبِّ الرِّيحِ فَأَصَابَ الْغُبَارُ وَجْهَهُ وَنَوى لَمْ يَصِحَّ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾: اعْلَمْ أَنَّ مَسْحَ الْوَجْهِ وَالْيَدَيْنِ وَاجِبٌ فِي التَّيَمُّمِ، **وَاخْتَلَفُوا فِي كَيْفِيَّتِهِ، فَذَهَبَ أَكْثَرُ أَهْلِ الْعِلْمِ** إِلَى أَنَّهُ يَمْسَحُ الْوَجْهَ وَالْيَدَيْنِ مَعَ الْمَرْفِقَيْنِ بِضَرْبَتَيْنِ، يَضْرِبُ كَفَّيْهِ عَلَى التُّرَابِ فَيَمْسَحُ بِهِمَا جَمِيعَ وَجْهِهِ، وَلَا يَجِبُ إِيصَالُ التُّرَابِ إِلَى مَا تَحْتَ الشُّعُورِ، ثُمَّ يَضْرِبُ ضَرْبَةً أُخْرَى فَيَمْسَحُ يَدَيْهِ إِلَى الْمِرْفَقَيْنِ، **وَذَهَبَ الزُّهْرِيُّ** إِلَى أَنَّهُ يَمْسَحُ الْيَدَيْنِ إِلَى الْمِنْكَبَيْنِ؛ لِمَا **رُوِيَ عَنْ عَمَّارٍ** أَنَّهُ قَالَ: تَيَمَّمْنَا إِلَى الْمَنَاكِبِ[(١)]. وَذَلِكَ حِكَايَةُ فِعْلِهِ وَلَمْ يَنْقُلْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، كَمَا رُوِيَ أَنَّهُ قَالَ: أَجْنَبْتُ فَتَمَعَّكْتُ فِي التُّرَابِ، فَلَمَّا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ أَمَرَهُ بِالْوَجْهِ وَالْكَفَّيْنِ، **وَذَهَبَ جَمَاعَةٌ** إِلَى أَنَّ التَّيَمُّمَ ضَرْبَةٌ وَاحِدَةٌ لِلْوَجْهِ وَالْكَفَّيْنِ، وَهُوَ قَوْلُ عَلِيٍّ وَابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهم، وَبِهِ قَالَ الشَّعْبِيُّ وَعَطَاءُ بْنُ أَبِي رَبَاحٍ وَمَكْحُولٌ، وَإِلَيْهِ ذَهَبَ الْأَوْزَاعِيُّ وَأَحْمَدُ وَإِسْحَاقُ، وَاحْتَجُّوا بِمَا رُوِيَ عَنْ سَعِيدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبْزَى، **عَنْ أَبِيهِ** قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه فَقَالَ: إِنِّي أَجْنَبْتُ فَلَمْ أُصِبِ الْمَاءَ، فَقَالَ عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ: أَمَا تَذْكُرُ أَنَّا كُنَّا فِي سَفَرٍ أَنَا وَأَنْتَ؟ فَأَمَّا أَنْتَ فَلَمْ تُصَلِّ، وَأَمَّا أَنَا فَتَمَعَّكْتُ فَصَلَّيْتُ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنَّمَا يَكْفِيكَ هَكَذَا**[(٢)]»، فَضَرَبَ النَّبِيُّ ﷺ بِكَفَّيْهِ الْأَرْضَ وَنَفَخَ فِيهِمَا، ثُمَّ مَسَحَ بِهِمَا وَجْهَهُ وَكَفَّيْهِ. وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ... فَقَالَ عَمَّارٌ لِعُمَرَ رضي الله عنه: تَمَعَّكْتُ فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: «**يَكْفِيكَ الْوَجْهُ وَالْكَفَّانِ**»[(٣)].

---

(١) **صحيح:** صحَّحه العلَّامة الألباني رحمه الله في "صحيح أبي داود (الأم)" (٣٣٦).

(٢) **صحيح:** البخاري: (٣٣٨)، ومسلم: (٣٦٨).

(٣) **صحيح:** البخاري: (٣٤١).

وَفِي الْحَدِيثِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْجُنُبَ إِذَا لَمْ يَجِدِ الْمَاءَ يُصَلِّي بِالتَّيَمُّمِ، وَكَذَا الْحَائِضُ وَالنُّفَسَاءُ إِذَا طَهُرَتَا وَعَدِمَتَا الْمَاءَ. **وَذَهَبَ عُمَرُ وَابْنُ مَسْعُودٍ** رضي الله عنهما إِلَى أَنَّ الْجُنُبَ لَا يُصَلِّي بِالتَّيَمُّمِ، بَلْ يُؤَخِّرُ الصَّلَاةَ إِلَى أَنْ يَجِد الْمَاءَ فَيَغْتَسِلَ، وَحَمَلَا قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ عَلَى اللَّمْسِ بِالْيَدِ دُونَ الْجِمَاعِ، وَحَدِيثُ عَمَّارٍ رضي الله عنه حُجَّةٌ، وَكَانَ عُمَرُ نَسِيَ مَا ذَكَرَهُ لَهُ عَمَّارٌ فَلَمْ يَقْنَعْ بِقَوْلِهِ(١). **وَرُوِيَ أَنَّ ابْنَ مَسْعُودٍ** رضي الله عنه رَجَعَ عَنْ قَوْلِهِ وَجَوَّزَ التَّيَمُّمَ لِلْجُنُبِ.

وَمَسْحُ الْوَجْهِ وَالْيَدَيْنِ فِي التَّيَمُّمِ: تَارَةً يَكُونُ بَدَلًا عَنْ غَسْلِ جَمِيعِ الْبَدَنِ فِي حَقِّ الْجُنُبِ وَالْحَائِضِ وَالنُّفَسَاءِ وَالْمَيِّتِ، وَتَارَةً عَنْ غَسْلِ الْأَعْضَاءِ الْأَرْبَعَةِ فِي حَقِّ الْمُحْدِثِ، وَتَارَةً بَدَلًا عَنْ غَسْلِ بَعْضِ أَعْضَاءِ الطَّهَارَةِ بِأَنْ يَكُونَ عَلَى بَعْضِ أَعْضَاءِ طَهَارَتِهِ جِرَاحَةٌ لَا يُمْكِنهُ غَسْلَ مَحَلِّهَا، فَعَلَيْهِ أَنْ يَتَيَمَّمَ بَدَلًا عَنْ غَسْلِهِ.

وَلَا يَصِحُّ التَّيَمُّمُ لِصَلَاةِ الْوَقْتِ إِلَّا بَعْدَ دُخُولِ الْوَقْتِ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَجْمَعَ بَيْنَ فَرِيضَتَيْنِ بِتَيَمُّمٍ وَاحِدٍ؛ لِأَنَّ اللهَ تَعَالَى قَالَ: ﴿إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ﴾ إِلَى أَنْ قَالَ: ﴿فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ﴾[المَائِدَة:٦]، ظَاهِرُ الْآيَةِ يَدُلُّ عَلَى وُجُوبِ الْوُضُوءِ أَوِ التَّيَمُّمِ إِذَا لَمْ يَجِدِ الْمَاءَ عِنْدَ كُلِّ صَلَاةٍ، إِلَّا أَنَّ الدَّلِيلَ قَدْ قَامَ فِي الْوُضُوءِ؛ فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ صَلَّى يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ الصَّلَوَاتِ بِوُضُوءٍ وَاحِدٍ(٢)، فَبَقِيَ التَّيَمُّمُ عَلَى ظَاهِرِهِ، وَهَذَا قَوْلُ **عَلِيٍّ وَابْنِ عَبَّاسٍ وَابْنِ عُمَرَ** رضي الله عنهم، **وَبِهِ قَالَ الشَّعْبِيُّ وَالنَّخَعِيُّ وَقَتَادَةُ وَإِلَيْهِ ذَهَبَ مَالِكٌ وَالشَّافِعِيُّ وَأَحْمَدُ وَإِسْحَاقُ.**

وَذَهَبَ جَمَاعَةٌ إِلَى أَنَّ التَّيَمُّمَ كَالطَّهَارَةِ بِالْمَاءِ، يَجُوزُ تَقْدِيمُهُ عَلَى وَقْتِ الصَّلَاةِ، وَيَجُوزُ أَنْ يُصَلِّيَ بِهِ مَا شَاءَ مِنَ الْفَرَائِضِ مَا لَمْ يُحْدِثْ، وَهُوَ قَوْلُ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ وَالْحَسَنِ وَالزُّهْرِيِّ وَالثَّوْرِيِّ وَأَصْحَابِ الرَّأْيِ.

---

(١) يُنظر "صحيح مسلم": (٣٦٨).

(٢) **صحيح:** مسلم (٢٧٧).

وَاتَّفَقُوا عَلَى أَنَّهُ يَجُوزُ أَنْ يُصَلِّيَ بِتَيَمُّمٍ وَاحِدٍ مَعَ الْفَرِيضَةِ مَا شَاءَ مِنَ النَّوَافِلِ قَبْلَ الْفَرِيضَةِ وَبَعْدَهَا، وَأَنْ يَقْرَأَ الْقُرْآنَ إِنْ كَانَ جُنُبًا، وَإِنْ كَانَ تَيَمُّمُهُ بِعُذْرِ السَّفَرِ وَعَدَمِ الْمَاءِ فَيُشْتَرَطُ طَلَبُ الْمَاءِ، وَهُوَ أَنْ يَطْلُبَهُ مِنْ رَحْلِهِ وَرُفَقَائِهِ.

وَإِنْ كَانَ فِي صَحْرَاءَ لَا حَائِلَ دُونَ نَظَرِهِ يَنْظُرُ حَوَالَيْهِ، وَإِنْ كَانَ دُونَ نَظَرِهِ حَائِلٌ قَرِيبٌ مِنْ تَلٍّ[1] أَوْ جِدَارٍ عَدَلَ عَنْهُ؛ لِأَنَّ اللهَ تَعَالَى قَالَ: ﴿فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟﴾، وَلَا يُقَالُ: لَمْ يَجِدِ المَاءَ، إِلَّا لِمَنْ طَلَبَ.

وَعِنْدَ أَبِي حَنِيفَةَ رَحِمَهُ اللهُ طَلَبُ الْمَاءِ لَيْسَ بِشَرْطٍ، فَإِنْ رَأَى الْمَاءَ وَلَكِنْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَاءِ حَائِلٌ مِنْ عَدُوٍّ أَوْ سَبُعٍ يَمْنَعُهُ مِنَ الذَّهَابِ إِلَيْهِ، أَوْ كَانَ المَاءُ فِي البِئْرِ وَلَيْسَ مَعَهُ آلَةُ الِاسْتِقَاءِ، فَهُوَ كَالْمَعْدُومِ، يُصَلِّي بِالتَّيَمُّمِ وَلَا إِعَادَةَ عَلَيْهِ.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿٤٤﴾ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَآئِكُمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا ﴿٤٥﴾ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ وَٱنظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾

قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾: يَعْنِي: يَهُودَ الْمَدِينَةِ، ﴿يَشْتَرُونَ﴾: يَسْتَبْدِلُونَ ﴿ٱلضَّلَٰلَةَ﴾: يَعْنِي: بِالْهُدَى، ﴿وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ﴾: أَيْ: عَنِ السَّبِيلِ يَا مَعْشَرَ الْمُؤْمِنِينَ، ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَآئِكُمْ﴾: مِنْكُمْ، فَلَا تَسْتَنْصِحُوهُمْ؛ فَإِنَّهُمْ أَعْدَاؤُكُمْ، ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا﴾: **قَالَ الزَّجَّاجُ**: مَعْنَاهُ: اكْتَفُوا بِاللهِ وَلِيًّا وَاكْتَفُوا بِاللهِ نَصِيرًا.

﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟﴾: **قِيلَ**: هِيَ مُتَّصِلَةٌ بِقَوْلِهِ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ مِنَ الَّذِينَ هادُوا، **وَقِيلَ**: هِيَ مُسْتَأْنَفَةٌ، مَعْنَاهُ: مِنَ الَّذِينَ هَادُوا مَنْ يُحَرِّفُونَ،

(١) التَّلُّ: ما ارتفع من الأرض عمَّا حوله، وهو دون الجَبَل. «المعجم الوسيط» (١/ ٨٧).

كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾[الصَّافَّات:١٦٤]، أَيْ: مَنْ لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ، يُرِيدُ: فَرِيقٌ ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ﴾: يُغَيِّرُونَ الْكَلِمَ ﴿عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾: يَعْنِي: صِفَةَ مُحَمَّدٍ ﷺ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: كان الْيَهُودُ يَأْتُونَ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَيَسْأَلُونَهُ عَنِ الْأَمْرِ، فَيُخْبِرُهُمْ، فَيَرَى أَنَّهُمْ يَأْخُذُونَ، بِقَوْلِهِ فَإِذَا انْصَرَفُوا مِنْ عِنْدِهِ حَرَّفُوا كَلَامَهُ.

﴿وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا﴾: قَوْلَكَ ﴿وَعَصَيْنَا﴾: أَمْرَكَ، ﴿وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ﴾: أَيْ: اسْمَعْ مِنَّا وَلَا نَسْمَعُ مِنْكَ، ﴿غَيْرَ مُسْمَعٍ﴾: أَيْ: غَيْرَ مَقْبُولٍ مِنْكَ، وَقِيلَ: كَانُوا يَقُولُونَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: اسْمَعْ، ثُمَّ يَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ: لَا سَمِعْتَ، ﴿وَرَٰعِنَا﴾: أَيْ: وَيَقُولُونَ رَاعِنَا، يُرِيدُونَ بِهِ النِّسْبَةَ إِلَى الرُّعُونَةِ[1]، ﴿لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ﴾: تَحْرِيفًا ﴿وَطَعْنًا﴾: قَدْحًا ﴿فِى ٱلدِّينِ﴾؛ لِأَنَّ قَوْلَهُمْ: رَاعِنَا: مِنَ الْمُرَاعَاةِ، وَهُمْ يُحَرِّفُونَهُ، يُرِيدُونَ بِهِ الرُّعُونَةَ، ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ وَٱنظُرْنَا﴾: أَي: انْظُرْ إِلَيْنَا مَكَانَ قَوْلِهِمْ رَاعِنَا، ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ﴾: أَيْ: أَعْدَلَ وَأَصْوَبَ، ﴿وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾: إِلَّا نَفَرًا قَلِيلًا مِنْهُمْ، وَهُوَ عَبْدُ اللهِ بْنُ سَلَامٍ وَمَنْ أَسْلَمَ مَعَهُ مِنْهُمْ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُوا۟ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٤٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا﴾

قَوْلُهُ ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾: يُخَاطِبُ الْيَهُودَ ﴿ءَامِنُوا۟ بِمَا نَزَّلْنَا﴾: يَعْنِي: الْقُرْآنَ ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم﴾: يَعْنِي: التَّوْرَاةَ، وَذَلِكَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَلَّمَ أَحْبَارَ الْيَهُودِ عَبْدَ اللهِ بْنَ صُورِيَّا وَكَعْبَ بْنَ أَسَدٍ، فَقَالَ: «**يَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ، اتَّقُوا اللهَ وَأَسْلِمُوا، فَوَاللهِ إِنَّكُمْ لِتَعْلَمُونِ أَنَّ الَّذِي جِئْتُكُمْ بِهِ لَحَقٌّ**»، قَالُوا: مَا نَعْرِفُ ذَلِكَ، وَأَصَرُّوا عَلَى الْكُفْرِ[2].

---

(١) الأَرْعَنُ: الأَهْوَجُ فِي مَنْطِقِهِ المُسْتَرْخِي، والرُّعُونة: الحُمْقُ والاسْتِرْخاء. «لسان العرب» (١٣/ ١٨٢).

(٢) **صحيح:** البخاري: (٣٩١١) عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

﴿مِّن قَبۡلِ أَن نَّطۡمِسَ وُجُوهٗا﴾: **قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ**: نَجْعَلُهَا كَخُفِّ الْبَعِيرِ، **وَقَالَ قَتَادَةُ وَالضَّحَّاكُ**: نُعْمِيهَا، وَالْمُرَادُ بِالْوَجْهِ: الْعَيْنُ، ﴿فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدۡبَارِهَآ﴾: أَيْ: نَطْمِس الوُجُوهَ فَنَرُدّهَا عَلَى الْقَفَا، **وَقِيلَ**: نَجْعَلُ الْوُجُوهَ مَنَابِتَ الشَّعْرِ كَوُجُوهِ الْقِرَدَةِ؛ لِأَنَّ مَنَابِتَ شُعُور الآدَمِيِّينَ فِي أَدْبَارِ وُجُوهِهِمْ، **وَقِيلَ**: مَعْنَاهُ: نَمْحُو آثَارَهَا وَمَا فِيْهَا مِنْ أَنْفٍ وَعَيْنٍ وَفَمٍ وَحَاجِبٍ فَنَجْعَلُهَا كَالْأَقْفَاءِ، **وَقِيلَ**: نَجْعَلُ عَيْنَيْهِ عَلَى القَفَا فَيَمْشِي الْقَهْقَرَى. **فَإِنْ قِيلَ**: قَدْ أَوْعَدَهُمُ اللهُ بِالطَّمْسِ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا، ثُمَّ لَمْ يُؤْمِنُوا وَلَمْ يَفْعَلْ بِهِمْ ذَلِكَ؟ **قِيلَ**: هَذَا الْوَعِيدُ بَاقٍ، وَيَكُونُ طَمْسٌ وَمَسْخٌ فِي الْيَهُودِ قَبْلَ قِيَامِ السَّاعَةِ، **وَقِيلَ**: كَانَ هَذَا وَعِيدًا بِشَرْطٍ، فَلَمَّا أَسْلَمَ عَبْدُ اللهِ بْنُ سَلَامٍ وَأَصْحَابُهُ دَفَعَ ذَلِكَ عَنِ الْبَاقِينَ، **وَقِيلَ**: أَرَادَ بِهِ فِي الْقِيَامَةِ، **وَقَالَ مُجَاهِدٌ**: أَرَادَ بِقَوْلِهِ: ﴿نَّطۡمِسَ وُجُوهٗا﴾: أَيْ: نَتْرُكَهُمْ فِي الضَّلَالَةِ، فَيَكُونُ الْمُرَادُ طَمْسَ وَجْهِ الْقَلْبِ وَالرَّدَّ عَنْ بَصَائِرِ الْهُدَى عَلَى أَدْبَارِهَا فِي الْكُفْرِ وَالضَّلَالَةِ، **وَأَصْلُ الطَّمْسِ**: الْمَحْوُ وَالْإِفْسَادُ وَالتَّحْوِيلُ، **وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ**: نَمْحُو آثَارَهُمْ مِنْ وُجُوهِهِمْ وَنَوَاحِيهِمُ الَّتِي هُمْ بِهَا، فَنَرُدُّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا حَتَّى يَعُودُوا إِلَى حَيْثُ جَاؤُوا مِنْهُ بَدْءًا وَهُوَ الشَّامُ، وَقَالَ: قَدْ مَضَى ذَلِكَ وَتَأَوَّلَهُ فِي إِجْلَاءِ بَنِي النَّضِيرِ إِلَى أَذْرِعَاتٍ وَأَرِيحَاءَ مِنْ أَرْضِ الشَّامِ. ﴿أَوۡ نَلۡعَنَهُمۡ كَمَا لَعَنَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلسَّبۡتِۚ﴾: فَنَجْعَلَهُمْ قِرَدَةً وَخَنَازِيرَ، ﴿وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ مَفۡعُولًا﴾.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾: **قَالَ مُطَرِّفُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ الشِّخِّيرِ**: **قَالَ ابْنُ عُمَرَ** رضي الله عنه: كُنَّا عَلَى عَهْدِ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِذَا مَاتَ الرَّجُلُ عَلَى كَبِيرَةٍ شَهِدْنَا أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾، فَأَمْسَكْنَا عَنِ الشَّهَادَاتِ. **وَحُكِيَ عَنْ عَلِيٍّ** رضي الله عنه أَنَّ أَرْجَى آيَةٍ فِي الْقُرْآنِ قَوْلُهُ: ﴿وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾.

﴿وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ﴾: اخْتَلَقَ ﴿إِثۡمًا عَظِيمًا﴾.

عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه قَالَ: أَتَى النَّبِيَّ ﷺ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا الْمُوجِبَتَانِ؟ قَالَ: «**مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ مَاتَ يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا دَخَلَ النَّارَ**»(١).

عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَعَلَيْهِ ثَوْبٌ أَبْيَضُ وَهُوَ نَائِمٌ، ثُمَّ أَتَيْتُهُ وَقَدِ اسْتَيْقَظَ، فَقَالَ: «**مَا مِنْ عَبْدٍ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، ثُمَّ مَاتَ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ**»، قُلْتُ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ؟ قَالَ: «**وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ**»، قُلْتُ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ؟ قَالَ: «**وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ**»، قُلْتُ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ؟ قَالَ: «**وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ عَلَى رَغْمِ أَنْفِ أَبِي ذَرٍّ**»، وَكَانَ أَبُو ذَرٍّ إِذَا حَدَّثَ بِهَذَا قَالَ: وَإِنْ رَغِمَ أَنْفُ أَبِي ذَرٍّ(٢).

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۖ وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثْمًا مُّبِينًا﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ۚ﴾: الْآيَةَ، **قَالَ مُجَاهِدٌ وَعِكْرِمَةُ**: كَانُوا يُقَدِّمُونَ أَطْفَالَهُمْ فِي الصَّلَاةِ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ لَا ذُنُوبَ لَهُمْ، فَتِلْكَ التَّزْكِيَةُ، **وَقَالَ الْحَسَنُ وَالضَّحَّاكُ وَقَتَادَةُ وَمُقَاتِلٌ**: نَزَلَتْ فِي الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى حِينَ قَالُوا: نَحْنُ أَبْنَاءُ اللهِ وَأَحِبَّاؤُهُ، وَقالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كانَ هُوداً أَوْ نَصارى، **وَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ** رضي الله عنه: هُوَ تَزْكِيَةُ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ، رَوى طَارِقُ بْنُ شِهَابٍ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: إِنَّ الرَّجُلَ لَيَغْدُو مِنْ بَيْتِهِ وَمَعَهُ دِينُهُ، فَيَأْتِي الرَّجُلَ لَا يَمْلِكُ لَهُ وَلَا لِنَفْسِهِ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا، فَيَقُولُ: وَاللهِ إِنَّكَ كَيْتَ وَكَيْتَ!! وَيَرْجِعُ إِلَى بَيْتِهِ وَمَا مَعَهُ مِنْ دِينِهِ شَيْءٌ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ۚ﴾ الْآيَةَ.

---

(١) **صحيح:** مسلم: (٩٣).

(٢) **صحيح:** البخاري: (٥٨٢٧)، ومسلم: (٩٤).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي﴾: أَيْ: يُطَهِّرُ وَيُبَرِّئُ مِنَ الذُّنُوبِ وَيُصْلِحُ ﴿مَن يَشَآءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾: وَهُوَ اسْمٌ لِمَا فِي شَقِّ النَّوَاةِ، وَالْقِطْمِيرُ: اسْمٌ لِلْقِشْرَةِ الَّتِي عَلَى النَّوَاةِ، وَالنَّقِيرُ: اسْمٌ لِلنُّقْطَةِ الَّتِي عَلَى ظَهْرِ النَّوَاةِ، وَقِيلَ: الْفَتِيلُ: مِنَ الْفَتْلِ، وَهُوَ مَا يَحْصُلُ بَيْنَ الْأُصْبُعَيْنِ مِنَ الْوَسَخِ عِنْدَ الفَتْلِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ٱنظُرْ﴾: يَا مُحَمَّدُ ﴿كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ﴾: يَخْتَلِقُونَ عَلَى اللهِ ﴿ٱلْكَذِبَ﴾: فِي تَغْيِيرِهِمْ كِتَابَهُ، ﴿وَكَفَىٰ بِهِۦٓ﴾: أَيْ: بِالْكَذِبِ ﴿إِثْمًا مُّبِينًا﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴿٥١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾ أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلْمُلْكِ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٣﴾ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ ۚ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ﴾: اخْتَلَفُوا فِيهِمَا فَقَالَ عِكْرِمَةُ: هُمَا صَنَمَانِ كَانَ الْمُشْرِكُونَ يَعْبُدُونَهُمَا مِنْ دُونِ اللهِ ﷻ، وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: هُمَا كُلُّ مَعْبُودٍ يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ ﷻ قَالَ اللهُ تَعَالَى ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ﴾[النحل:٣٦]، قَالَ عُمَرُ رضي الله عنه: الْجِبْتُ: السِّحْرُ، وَالطَّاغُوتُ: الشَّيْطَانُ[١]، وَهُوَ قَوْلُ الشَّعْبِيِّ وَمُجَاهِدٍ. وَقِيلَ: الْجِبْتُ: الْأَوْثَانُ، وَالطَّاغُوتُ: شَيَاطِينُ الْأَوْثَانِ، وَلِكُلِّ صَنَمٍ شَيْطَانٌ يُعَبِّرُ عَنْهُ فَيَغْتَرُّ بِهِ النَّاسُ. وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ سِيرِينَ وَمَكْحُولٌ: الْجِبْتُ: الْكَاهِنُ، وَالطَّاغُوتُ: السَّاحِرُ. وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ وَأَبُو الْعَالِيَةِ: الْجِبْتُ: السَّاحِرُ بِلِسَانِ الْحَبَشَةِ، وَالطَّاغُوتُ: الْكَاهِنُ. وَرُوِيَ عَنْ عِكْرِمَةَ: الْجِبْتُ: بِلِسَانِ الْحَبَشَةِ: شَيْطَانٌ. وَقَالَ

(١) **صحيح:** صَحَّحَهُ العلَّامة الألباني رَحِمَهُ اللهُ في «مختصر صحيح البخاري» (٣/ ١٥٦)، وقوَّى إسناده الحافظ رَحِمَهُ اللهُ في «الفتح» (٨/ ٢٥٢).

الضَّحَّاكُ: الْجِبْتُ: حُيَيُّ بْنُ أَخْطَبَ، وَالطَّاغُوتُ: كَعْبُ بْنُ الْأَشْرَفِ؛ دَلِيلُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ﴾[النِّسَاء:٦٠]، **وَقِيلَ**: الْجِبْتُ: كُلُّ مَا حَرَّمَ اللهُ، وَالطَّاغُوتُ: كُلُّ مَا يُطْغِي الْإِنْسَانَ.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾: يَعْنِي: كَعْبًا وَأَصْحَابَهُ ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾: أَبِي سُفْيَانَ وَأَصْحَابِهِ ﴿هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾: بِمُحَمَّدٍ ﷺ وَأَصْحَابِهِ رضي الله عنهم ﴿سَبِيلًا﴾: دِينًا، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ۝٥٢ أَمْ لَهُمْ﴾: يَعْنِي: أَلَهُمْ، وَالْمِيمُ: صِلَةٌ، ﴿نَصِيبٌ﴾: حَظٌّ ﴿مِّنَ ٱلْمُلْكِ﴾: وَهَذَا عَلَى جِهَةِ الْإِنْكَارِ، يَعْنِي: لَيْسَ لَهُمْ مِنَ الْمُلْكِ شَيْءٌ، وَلَوْ كَانَ لَهُمْ مِنَ الْمُلْكِ شَيْءٌ ﴿فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا﴾: لِحَسَدِهِمْ وَبُخْلِهِمْ، **وَالنَّقِيرُ**: النُّقْطَةُ الَّتِي تَكُونُ فِي ظَهْرِ النَّوَاةِ وَمِنْهَا تَنْبُتُ النَّخْلَةُ، **وَقَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ**: هُوَ نَقْرُ الرَّجُلِ الشَّيْءَ بِطَرَفِ أُصْبُعِهِ كَمَا يَنْقُرُ الدِّرْهَمَ.

﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ﴾: يَعْنِي: الْيَهُودَ ﴿يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ﴾: **قَالَ قَتَادَةُ**: الْمُرَادُ بِالنَّاسِ: الْعَرَبُ، حَسَدَهُمُ الْيَهُودُ عَلَى النُّبُوَّةِ وَمَا أَكْرَمَهُمُ اللهُ تَعَالَى بِمُحَمَّدٍ ﷺ. **وَقِيلَ**: أَرَادَ مُحَمَّدًا ﷺ وَأَصْحَابَهُ، **وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَالْحَسَنُ وَمُجَاهِدٌ وَجَمَاعَةٌ**: الْمُرَادُ بِالنَّاسِ، رَسُول اللهِ ﷺ وَحْدَهُ، حَسَدُوهُ عَلَى مَا أَحَلَّ اللهُ لَهُ مِنَ النِّسَاءِ وَقَالُوا: مَا لَهُ هَمٌّ إِلَّا النِّكَاحُ، وَهُوَ الْمُرَادُ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾: **وَقِيلَ**: حَسَدُوهُ عَلَى النُّبُوَّةِ وَهُوَ الْمُرَادُ مِنَ الْفَضْلِ الْمَذْكُورِ فِي الْآيَةِ، ﴿فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾: أَرَادَ بِآلِ إِبْرَاهِيمَ: دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ، وَبِالْكِتَابِ: مَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَيْهِمْ، وَبِالْحِكْمَةِ: النُّبُوَّةَ، ﴿وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾: فَمَنْ فَسَّرَ الْفَضْلَ بِكَثْرَةِ النِّسَاءِ فَسَّرَ الْمُلْكَ الْعَظِيمَ فِي حَقِّ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عليهما السلام بِكَثْرَةِ النِّسَاءِ، فَإِنَّهُ كَانَ لِسُلَيْمَانَ أَلْفُ امْرَأَةٍ، ثَلَاثُمِائَةِ حُرَّةٍ وَسَبْعُمِائَةٍ سُرِّيَّةٍ، وَكَانَ لِدَاوُدَ مِائَةُ امْرَأَةٍ، وَلَمْ يَكُنْ يَوْمَئِذٍ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَّا تِسع نِسْوَةٍ.

فَلَمَّا قَالَ لَهُمْ ذَلِكَ سَكَتُوا، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ﴾: يَعْنِي: بِمُحَمَّدٍ ﷺ، وَهُمْ عَبْدُ اللهِ بْنُ سَلَامٍ وَأَصْحَابُهُ، ﴿وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ﴾: أَعْرَضَ عَنْهُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِهِ، ﴿وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا﴾: وَقُودًا، **وَقِيلَ**: الْمُلْكُ الْعَظِيمُ: مُلْكُ سُلَيْمَانَ، **وَقَالَ السُّدِّيُّ**: الْهَاءُ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ﴾: رَاجِعَةٌ إِلَى إِبْرَاهِيمَ.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۖ لَّهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌۖ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا﴾ نُدْخِلُهُمْ نَارًا ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ﴾ احْتَرَقَتْ ﴿جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾: غَيْرَ الْجُلُودِ الْمُحْتَرِقَةِ، **قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ** ﵄: يُبَدَّلُونَ جُلُودًا بَيْضَاءَ كَأَمْثَالِ الْقَرَاطِيسِ(١)، **قَالَ الْحَسَنُ**: تَأْكُلُهُمُ النَّارُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعِينَ أَلْفَ مَرَّةٍ، كُلَّمَا أَكَلَتْهُمْ قِيلَ لَهُمْ: عُودُوا، فَيَعُودُونَ كَمَا كَانُوا.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ قَالَ: مَا بَيْنَ مَنْكِبَيِ الْكَافِرِ مَسِيرَةُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ لِلرَّاكِبِ الْمُسْرِعِ(٢).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**ضِرْسُ الْكَافِرِ -أَوْ نَابُ الْكَافِرِ- مِثْلُ أُحُدٍ، وَغِلَظُ جِلْدِهِ مَسِيرَةُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ**»(٣)، **فَإِنْ قِيلَ**: كَيْفَ تُعَذَّبُ جُلُودٌ لَمْ تَكُنْ فِي الدُّنْيَا وَلَمْ تَعْصِهِ؟ **قِيلَ**: يُعَادُ الْجِلْدُ الْأَوَّلُ فِي كُلِّ مَرَّةٍ، وَإِنَّمَا قَالَ: ﴿جُلُودًا غَيْرَهَا﴾؛ لِتَبَدُّلِ صِفَتِهَا، كَمَا تَقُولُ (صَنَعْتُ مِنْ خَاتَمِي خَاتَمًا غَيْرَهُ)، فَالْخَاتَمُ الثَّانِي

---

(١) القرطاس: من الجَوَارِي: البيضاء المديدة القامة، ومن الدَّوَابِّ: الأَبْيَض الَّذِي لَا يُخالط بياضه نمنمة. «المعجم الوسيط» (٢/ ٧٢٧).

(٢) **صحيح**: البخاري: (٦٥٥١) واللفظ له، ومسلم: (٢٨٥٢)، ولفظه: ...عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ يَرْفَعُهُ قَالَ: «مَا بَيْنَ مَنْكِبَيِ الْكَافِرِ فِي النَّارِ مَسِيرَةُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ لِلرَّاكِبِ الْمُسْرِعِ».

(٣) **صحيح**: مسلم: (٢٨٥١).

هُوَ الْأَوَّلُ، إِلَّا أَنَّ الصِّنَاعَةَ وَالصِّفَةَ تَبَدَّلَتْ، وَكَمَنْ يَتْرُكُ أَخَاهُ صَحِيحًا ثُمَّ بَعْدَ مَرَّةٍ يَرَاهُ مَرِيضًا دَنِفًا [-أَيْ: لَزِمَهُ المَرَضُ-] فَيَقُولُ: (أَنَا غَيْرُ الَّذِي عَهِدْتَ)، وَهُوَ عَيْنُ الْأَوَّلِ، إِلَّا أَنَّ صِفَتَهُ تَغَيَّرَتْ. ﴿لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا﴾: كَنِينًا [-أَيْ: مَسْتُورًا-] لَا تَنْسَخُهُ الشَّمْسُ وَلَا يُؤْذِيهِمْ حَرٌّ وَلَا بَرْدٌ.

﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾: [**قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَابْنُ الحَنَفِيَّةِ**: هِيَ لِلْبَرِّ وَالْفَاجِرِ، أَيْ: هِيَ أَمْرٌ لِكُلِّ أَحَدٍ]، **قِيلَ**: الْمُرَادُ مِنَ الْآيَةِ: جَمِيعِ الأَمَانَاتِ.

عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَلَّمَا خَطَبَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَّا قَالَ: «**أَلَا لَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ، وَلَا دِينَ لِمَنْ لَا عَهْدَ لَهُ**»(١).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ﴾: أَيْ: بِالْقِسْطِ، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا﴾: أَيْ: نِعْمَ الشَّيْءُ الَّذِي يَعِظُكُمْ بِهِ، ﴿يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾.

عَنْ عَمْرِو بْنِ أَوْسٍ، أَنَّهُ سَمِعَ **عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ** رضي الله عنه يَرْفَعُهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**الْمُقْسِطُونَ عِنْدَ اللهِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ عَلَى يَمِينِ الرَّحْمَنِ، وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ، هُمُ الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُوا**»(٢).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ

(١) **صحيح**: صحَّحه العلَّامة الألباني رحمه الله في "صحيح الترغيب والترهيب" (٣٠٠٤).

(٢) **صحيح**: مسلم: (١٨٢٧).

إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾

قَوْلُهُ تعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾: **اخْتَلَفُوا فِي** ﴿وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ﴾: **قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَجَابِرٌ** رضي الله عنهم: هُمُ الْفُقَهَاءُ وَالْعُلَمَاءُ الَّذِينَ يُعَلِّمُونَ النَّاسَ مَعَالِمَ دِينِهِمْ، وَهُوَ قَوْلُ الْحَسَنِ وَالضَّحَّاكِ وَمُجَاهِدٍ وَدَلِيلُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ﴾[النِّساء:٨٣]، **وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ** رضي الله عنه: هُمُ الْأُمَرَاءُ وَالْوُلَاةُ.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللهَ، وَمَنْ يُطِعِ الْأَمِيرَ فَقَدْ أَطَاعَنِي، وَمَنْ يَعْصِ الْأَمِيرَ فَقَدْ عَصَانِي**»[١].

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ عَلَى الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ، مَا لَمْ يُؤْمَرْ بِمَعْصِيَةٍ، فَإِذَا أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ فَلَا سَمْعَ وَلَا طَاعَةَ**»[٢].

عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رضي الله عنه قَالَ: بَايَعْنَا رَسُولَ اللهِ ﷺ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي العُسْرِ وَاليُسْرِ، وَالْمَنْشَطِ وَالْمَكْرَهِ، وَعَلَى أَثَرَةٍ عَلَيْنَا، وَعَلَى أَنْ لَا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ، وَعَلَى أَنْ نَقُولَ بِالْحَقِّ أَيْنَمَا كُنَّا، لَا نَخَافُ فِي اللهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ[٣].

عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِأَبِي ذَرٍّ: «**اسْمَعْ وَأَطِعْ وَلَوْ لِعَبْدٍ حَبَشِيٍّ كَأَنَّ رَأْسَهُ زَبِيبَةٌ**»[٤].

عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رضي الله عنه يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَخْطُبُ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ فَقَالَ: «**اتَّقُوا اللهَ، وَصَلُّوا خَمْسَكُمْ، وَصُومُوا شَهْرَكُمْ، وَأَدُّوا زَكَاةَ أَمْوَالِكُمْ، وَأَطِيعُوا**

---

(١) **صحيح:** البخاري: (٢٩٥٧)، ومسلم: (١٨٣٥).

(٢) **صحيح:** البخاري: (٧١٤٤)، ومسلم: (١٨٣٩).

(٣) **صحيح:** البخاري: (٧١٩٩)، ومسلم: (١٧٠٩).

(٤) **صحيح:** البخاري: (٦٩٦).

ذَا أَمْرِكُمْ؛ تَدْخُلُوا جَنَّةَ رَبِّكُمْ»[(١)].

وَقِيلَ: الْمُرَادُ: أُمَرَاءُ السَّرَايَا.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمۡ﴾، قَالَ: نَزَلَتْ فِي عَبْدِ اللهِ بْنِ حُذَافَةَ بْنِ قَيْسِ بْنِ عَدِيٍّ؛ إِذْ بَعَثَهُ النَّبِيُّ ﷺ فِي سَرِيَّةٍ[(٢)].

وَقَالَ عِكْرِمَةُ: أَرَادَ بِأُولِي الْأَمْرِ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ رضي الله عنهما.

عَنْ حُذَيْفَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنِّي لَا أَدْرِي مَا بَقَائِي فِيكُمْ، فَاقْتَدُوا بِاللَّذَيْنِ مِنْ بِعْدِي أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ»[(٣)].

وَقَالَ عَطَاءٌ: هُمُ الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ وَالتَّابِعُونَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ؛ بِدَلِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ﴾[التَّوبة:١٠٠] الْآيَةَ.

قَوْلُهُ ﷻ: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ﴾: أَيْ: اخْتَلَفْتُمْ ﴿فِي شَيۡءٖ﴾: مِنْ أَمْرِ دِينِكُمْ، وَالتَّنَازُعُ: اخْتِلَافُ الْآرَاءِ، وَأَصْلُهُ مِنْ: (النَّزعِ)، فَكَأَنَّ الْمُتَنَازِعَانِ يَتَجَاذَبَانِ وَيَتَمَانَعَانِ، ﴿فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾: أَيْ: إِلَى كِتَابِ اللهِ وَإِلَى رَسُولِهِ مَا دَامَ حَيًّا، وَبَعْدَ وَفَاتِهِ إِلَى سُنَّتِهِ، والرَّدُّ إِلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَاجِبٌ إِنْ وُجِدَ فِيهِمَا، فَإِنْ لَمْ يُوجَدْ فَسَبِيلُهُ الِاجْتِهَادُ.

---

(١) **صحيح:** صحَّحه العلَّامة الألباني رحمه الله في "صحيح وضعيف سنن الترمذي" (٦١٦).

(٢) **صحيح:** البخاري: (٤٥٨٤)، ومسلم: (١٨٣٤)، وهو في "الصحيح المسند من أسباب النزول" للإمام الوادعي رحمه الله صـ(٧٨)، ثمَّ قال رحمه الله صـ(٧٨-٧٩): (بَيَانُ الحَدِيثِ الأَوَّلِ): **قال الإمامُ البخاريُّ** رحمه الله جـ(٩) صـ(١٢١): حدَّثنا مُسدَّد، حدَّثنا عبدُ الواحد، حدثنا الأعمش، حدثني سعيد بن عبيدة، عن أبي عبد الرحمن، **عن عليٍّ** رضي الله عنه قال: بعث النبيُّ ﷺ سَرِيَّةً فاستعمل عليها رَجُلًا من الأنصار، وأمرهم أن يُطيعوه، فغَضِب فقال: أليس أمركم النبي ﷺ أن تطيعوني؟ قالوا: بلى، قال: فاجمعوا لي حطبًا، فجمعوا، فقال: أَوقِدُوا نارًا، فأوقدوها، فقال: ادخلوها، فهَمُّوا وجعل بعضهم يُمسِك بعضًا، ويقولون: فررنا إلى النبي ﷺ من النار، فما زالوا حتى خَمَدَتْ، فسَكَن غضبُه، فبلغ النبيَّ ﷺ فقال: «**لَوْ دَخَلُوهَا مَا خَرَجُوا مِنْهَا إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ، الطَّاعَةُ فِي المَعْرُوفِ**».اهـ

(٣) **صحيح:** صحَّحه العلَّامة الألباني رحمه الله في "صحيح وضعيف سنن الترمذي" (٣٦٦٢).

وَقِيلَ: الرَّدُّ إِلَى اللهِ تَعَالَى وَالرَّسُولِ أَنْ يَقُولَ لِمَا لَا يَعْلَمُ: (اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ[١]).
﴿إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ﴾: أَيْ: الرَّدُّ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ ﴿خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾: أَيْ: أَحْسَنُ مَآلًا وَعَاقِبَةً.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ﴾ الآيَة: قَالَ جَابِرٌ: كَانَتِ الطَّوَاغِيتُ الَّتِي يَتَحَاكَمُونَ إِلَيْهَا وَاحِدٌ فِي جُهَيْنَة وَوَاحِدٌ فِي أَسْلَمَ، وَفِي كُلِّ حَيٍّ كُهَّانٌ[٢].

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا﴾: أَيْ: يُعْرِضُونَ عَنْكَ إِعْرَاضًا، ﴿فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ﴾: هَذَا وَعِيدٌ، أَيْ: فَكَيْفَ يَصْنَعُونَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾: يَعْنِي: عُقُوبَةَ صُدُودِهِمْ، وَقِيلَ: هِيَ كُلُّ مُصِيبَةٍ تُصِيبُ جَمِيعَ الْمُنَافِقِينَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ،

---

(١) هذا مما علمه الرسول ﷺ وذكرَهُ فِي حياته، كذِكْرِه خروجَ الدَّجَّال ونحوه، فلك في نحو هذا أن تقول: (اللهُ وَرَسُولُهُ أعلمُ)، أما بعد مماته فيُكتَفى بـ(الله أعلم).

(٢) قال الإمام الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه «الصحيح المُسند من أسباب النزول» صـ(٧٩): قال الطَّبرانيُّ كما في «تفسير ابن كثير» جـ(١) صـ(٥١٩): حدثنا أبو زيد أحمد بن يزيد الحَوطِيُّ، حدثنا أبو اليمان، حدثنا صفوان بن عمرو، عن عكرمة، عن ابن عبَّاس، قال: كان أبو بَرْزَة الأسلميُّ كاهنًا يقضي بين اليهود فيما يتنافرون فيه، فتنافر إليه ناس من المُسلمِين، فأنزل الله ﷻ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ إلى قوله: ﴿إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا﴾ .اهـ.

وَتَمَّ الْكَلَامُ هَاهُنَا، ثُمَّ عَادَ الْكَلَامُ إِلَى مَا سَبَقَ، يُخْبِرُ عَنْ فِعْلِهِمْ فَقَالَ: ﴿ثُمَّ جَآءُوكَ﴾: يَعْنِي: يَتَحَاكَمُونَ إِلَى الطَّاغُوتِ، ﴿ثُمَّ جَآءُوكَ﴾: يُحَيُّونَكَ وَيَحْلِفُونَ، ﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ﴾: مَا أَرَدْنَا بِالْعُدُولِ فِي الْمُحَاكَمَةِ أَوْ بِالتَّرَافُعِ ﴿إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا﴾: قَالَ الْكَلْبِيُّ: ﴿إِلَّآ إِحْسَٰنًا﴾: فِي الْقَوْلِ، ﴿وَتَوْفِيقًا﴾: صَوَابًا، وَقَالَ ابْنُ كَيْسَانَ: حَقًّا وَعَدْلًا؛ نَظِيرُهُ: ﴿وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ﴾[التَّوبة:١٠٧]، وَقِيلَ: هُوَ إِحْسَانُ بَعْضِهِمْ إِلَى بَعْضٍ، وَقِيلَ: هُوَ تَقْرِيبُ الْأَمْرِ مِنَ الْحَقِّ لَا الْقَضَاءُ عَلَى أَمْرِ الْحَكَمِ، وَالتَّوْفِيقُ: هُوَ مُوَافَقَةُ الْحَقِّ، وَقِيلَ: هُوَ التَّأْلِيفُ وَالْجَمْعُ بَيْنَ الخَصْمَيْنِ.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾: مِنَ النِّفَاقِ، أَيْ: عَلِمَ أَنَّ مَا فِي قُلُوبِهِمْ خِلَافُ مَا فِي أَلْسِنَتِهِمْ، ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾:أَيْ: عَنْ عُقُوبَتِهِمْ وَقِيلَ: فَأُعْرِضُ عَنْ قَبُولِ عُذْرِهِمْ ﴿وَعِظْهُمْ﴾: بِاللِّسَانِ ﴿وَقُل لَّهُمْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلَۢا بَلِيغًا﴾. وَقِيلَ: هُوَ التَّخْوِيفُ بِاللهِ ﷻ. وَقِيلَ: أَنْ تَوَعَّدَهُمْ بِالْقَتْلِ إِنْ لَمْ يَتُوبُوا، قَالَ الْحَسَنُ: الْقَوْلُ الْبَلِيغُ أَنْ يَقُولَ لَهُمْ: إِنْ أَظْهَرْتُمْ مَا فِي قُلُوبِكُمْ مِنَ النِّفَاقِ قُتِلْتُمْ؛ لِأَنَّهُ يَبْلُغُ مِنْ نُفُوسِهِمْ كُلَّ مَبْلَغٍ، وَقَالَ الضَّحَّاكُ: ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ﴾: فِي الْمَلَإِ، ﴿وَقُل لَّهُمْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلَۢا بَلِيغًا﴾ فِي السِّرِّ وَالخَلَاءِ، وَقِيلَ: هَذَا مَنْسُوخٌ بِآيَةِ الْقِتَالِ.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾

قَوْلُهُ ﷻ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ﴾: أَيْ: بِأَمْرِ اللهِ؛ لِأَنَّ طَاعَةَ الرَّسُولِ وَجَبَتْ بِأَمْرِ اللهِ، قَالَ الزَّجَّاجُ: ﴿إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ﴾؛ لِأَنَّ اللهَ قَدْ أَذِنَ فِيهِ وَأَمَرَ بِهِ، وَقِيلَ: ﴿إِلَّا لِيُطَاعَ﴾: كَلَامٌ تَامٌّ كَافٍ، ﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ﴾ تَعَالَى، أَيْ: بِعِلْمِ اللهِ وَقَضَائِهِ، أَيْ: وُقُوعُ طَاعَتِهِ يَكُونُ بِإِذْنِ اللهِ، ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾:

بِتَحَاكُمِهِمْ إِلَى الطَّاغُوتِ ﴿جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ﴾: الْآيَةَ.

عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ: أَنَّ **الزُّبَيْرَ** رضي الله عنه كَانَ يُحَدِّثُ أَنَّهُ خَاصَمَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي شِرَاجٍ مِنَ الْحَرَّةِ كَانَا يَسْقِيَانِ بِهِ كِلَاهُمَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِلزُّبَيْرِ: «**اسْقِ يَا زُبَيْرُ، ثُمَّ أَرْسِلْ إِلَى جَارِكَ**»، فَغَضِبَ الْأَنْصَارِيُّ، ثُمَّ قَالَ: يَا رَسُولُ اللهِ أَنْ كَانَ ابْنَ عَمَّتِكَ؟ فَتَلَوَّنَ وَجْهُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، ثُمَّ قَالَ لِلزُّبَيْرِ: «**اسْقِ ثُمَّ احْبِسِ الْمَاءَ حَتَّى يَبْلُغَ الْجَدْرَ**»، فَاسْتَوْعَى رَسُولُ اللهِ ﷺ حِينَئِذٍ لِلزُّبَيْرِ حَقَّهُ، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَبْلَ ذَلِكَ أَشَارَ عَلَى الزُّبَيْرِ بِرَأْيٍ أَرَادَ بِهِ سَعَةً لَهُ وَلِلْأَنْصَارِيِّ، فَلَمَّا أَحْفَظَ الْأَنْصَارِيُّ رَسُولَ اللهِ ﷺ اسْتَوْعَى لِلزُّبَيْرِ حَقَّهُ فِي صَرِيحِ الْحُكْمِ، قَالَ عُرْوَةُ: قَالَ الزُّبَيْرُ: وَاللهِ مَا أَحْسَبُ هَذِهِ الْآيَةَ إِلَّا نَزَلَتْ فِي ذَلِكَ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ الآيَةَ[1].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلَا﴾ أَيْ: لَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ مُؤْمِنُونَ ثُمَّ لَا يَرْضَوْنَ بِحُكْمِكَ، ثُمَّ اسْتَأْنَفَ الْقَسَمَ: ﴿وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ (لَا) فِي قَوْلِهِ ﴿فَلَا﴾ صِلَةً، كَمَا فِي قَوْلِهِ: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ﴾[الوَاقِعَة:٧٥]، ﴿حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ﴾: أَيْ: يَجْعَلُوكَ حَكَمًا ﴿فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾: أَيْ: اخْتَلَفَ وَاخْتَلَطَ مِنْ أُمُورِهِمْ وَالْتَبَسَ عَلَيْهِمْ حُكْمُهُ، وَمِنْهُ الشَّجَرُ؛ لِالْتِفَافِ أَغْصَانِهِ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ، ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا﴾: **قَالَ مُجَاهِدٌ**: شَكًّا **وَقَالَ غَيْرُهُ**: ضِيقًا ﴿مِّمَّا قَضَيْتَ﴾ **وَقَالَ الضَّحَّاكُ**:

---

(١) **صحيح**: البخاري: (٢٧٠٨)، ومسلم: (٢٣٥٧)، وهو في "الصحيح المسند من أسباب النزول" للإمام الوادعي رحمه الله ص(٨٠). **وقولُهُ**: «**شِرَاج**»: المراد به هنا: مَسِيلُ الماء. **وقولُهُ**: «**الجَدْر**»: بفتح الجيم وكسرها، وبالدال المهملة، وهو: الجدار، والمراد بالجدر: أصل الحائط، وقدَّره العلماء أن يرتفع الماء في الأرض كلها حتى يبتلَّ كعبُ رِجلِ الإنسان. **وقولُهُ**: «**أَحْفَظَهُ**»: أي: أغضبه. "البحر المحيط الثجاج" (٣٧/ ٧٣٠-٧٣٣)، و"فتح الباري" (٥/ ٣٨).

إِثْمًا، أَيْ: يَأْثَمُونَ بِإِنْكَارِهِمْ مَا قَضَيْتَ ﴿وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾: أَيْ: يَنْقَادُوا لِأَمْرِكَ انْقِيَادًا.

﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ ٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ أَوِ ٱخْرُجُوا۟ مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ۖ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّءَاتَيْنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَٰهُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا﴾: أَيْ فَرَضْنَا وَأَوْجَبْنَا ﴿عَلَيْهِمْ أَنِ ٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾: كَمَا أَمَرْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ، ﴿أَوِ ٱخْرُجُوا۟ مِن دِيَٰرِكُم﴾: كَمَا أَمَرْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ بِالْخُرُوجِ مِنْ مِصْرَ، ﴿مَّا فَعَلُوهُ﴾: مَعْنَاهُ: مَا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ إِلَّا طَاعَةَ الرَّسُولِ وَالرِّضَى بِحُكْمِهِ، وَلَوْ كَتَبْنَا عَلَيْهِمُ الْقَتْلَ وَالْخُرُوجَ عَنِ الدَّوْرِ مَا كَانَ يَفْعَلُهُ، ﴿إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ﴾: قَرَأَ ابْنُ عَامِرٍ وَأَهْلُ الشَّامِ: ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ بِالنَّصْبِ عَلَى الِاسْتِثْنَاءِ، وَكَذَلِكَ هُوَ فِي مُصْحَفِ أَهْلِ الشَّامِ، **وَقِيلَ:** فِيهِ إِضْمَارٌ، تَقْدِيرُهُ: إِلَّا أَنْ يَكُونَ قَلِيلًا مِنْهُمْ وَقَرَأَ الآخَرُونَ: ﴿قَلِيلٌ﴾ بِالرَّفْعِ عَلَى ضَمِيرِ الْفَاعِلِ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَعَلُوهُ﴾ تَقْدِيرُهُ: إِلَّا نَفَرٌ قَلِيلٌ فَعَلُوهُ، ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ﴾: يُؤْمَرُونَ بِهِ مِنْ طَاعَةِ الرَّسُولِ وَالرِّضَى بِحُكْمِهِ ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾: تَحْقِيقًا وَتَصْدِيقًا لِإِيمَانِهِمْ، ﴿وَإِذًا لَّءَاتَيْنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا﴾: ثَوَابًا وَافِرًا، ﴿وَلَهَدَيْنَٰهُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾: أَيْ: إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ.

﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ﴾: فِي أَدَاءِ الْفَرَائِضِ ﴿وَٱلرَّسُولَ﴾: فِي السُّنَنِ، ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾: أَيْ: لَا تَفُوتُهُمْ رُؤْيَةُ الْأَنْبِيَاءِ وَمُجَالَسَتُهُمْ لِأَنَّهُمْ يُرْفَعُونَ إِلَى دَرَجَةِ الْأَنْبِيَاءِ، ﴿وَٱلصِّدِّيقِينَ﴾: وَهُمْ أَفَاضِلُ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، وَالصِّدِّيقُ: الْمُبَالِغُ فِي الصِّدْقِ ﴿وَٱلشُّهَدَآءِ﴾: **قِيلَ:** هُمُ الَّذِينَ اسْتُشْهِدُوا فِي يَوْمِ أُحُدٍ **وَقِيلَ:** الَّذِينَ اسْتُشْهِدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ، **وَقَالَ عِكْرِمَةُ:** النَّبِيُّونَ هَاهُنَا مُحَمَّدٌ ﷺ، وَالصِّدِّيقُونَ: أَبُو بَكْرٍ، وَالشُّهَدَاءُ: عُمَرُ وَعُثْمَانُ وَعَلِيٌّ رضي الله عنهم، ﴿وَٱلصَّٰلِحِينَ﴾: سَائِرُ

الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم ﴿وَحَسُنَ أُولَٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾: يَعْنِي رُفَقَاءَ الْجَنَّةِ، وَالْعَرَبُ تَضَعُ الْوَاحِدَ مَوْضِعَ الْجَمْعِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا﴾[الحَجّ:٥]، أَيْ: أَطْفَالًا، ﴿وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾[القَمَر:٤٥]، أَيِ: الأَدْبَارَ[١].

عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، الرَّجُلُ يُحِبُّ قَوْمًا وَلَمَّا يَلْحَقْ بِهِمْ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ**»[٢].

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ مَتَى السَّاعَةُ؟ قَالَ: «**وَمَا أَعْدَدْتَ لَهَا؟**»، قَالَ: فَلَمْ يَذْكُرْ كَثِيرَ أَمْرٍ، إِلَّا أَنَّهُ يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ، قَالَ: «**فَأَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ**»[٣].

﴿ذَٰلِكَ ٱلۡفَضۡلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمٗا﴾: أَيْ: بِثَوَابِ الْآخِرَةِ، **وَقِيلَ**: بِمَنْ أَطَاعَ رَسُولَ اللهِ وَأَحَبَّهُ، وَفِيهِ بَيَانٌ أَنَّهُمْ لَنْ يَنَالُوا تِلْكَ الدَّرَجَةَ بِطَاعَتِهِمْ، وَإِنَّمَا نَالُوهَا بِفَضْلِ اللهِ ﷻ.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**قَارِبُوا وَسَدِّدُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَا يَنْجُو أَحَدٌ مِنْكُمْ بِعَمَلِهِ**»، قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللهُ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ**»[٤].

---

(١) قال الإمام الوادعيُّ رحمه الله: **قال الإمامُ الطبرانيُّ** رحمه الله في "الصغير" ج(١) ص(٢٦): حدثنا أحمد بن عمرو الخلَّالُ المكيُّ أبو عبد الله، حدثنا عبد الله بن عمران العابدي، حدثنا فُضَيلُ بنُ عِياضٍ، عن منصور، عن إبراهيم، عن الأسود، **عن عائشة**، قالت: جاء رجلٌ إلى النبيِّ ﷺ فقال: يا رسول الله، إنَّك لَأَحَبُّ إليَّ مِن نفسي، وإنَّك لَأَحَبُّ إليَّ مِن أهلي ومالي، وأحبُّ إليَّ مِن وَلَدِي، وإنِّي لَأَكُونُ في البيت فأذكرُك، فما أصبر حتى آتيك فأنظر إليك، وإذا ذكرتُ مَوتي وموتَك عرفتُ أنَّك إذا دخلت الجَنَّةَ رُفِعتَ مع النبيِّين، وإنِّي إذا دخلتُ الجنة خشيت ألَّا أراك. فلم يَرُدَّ عليه النبيُّ ﷺ شيئًا، حتى نزل جبريل عليه السلام بهذه الآية: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ﴾ الآية. ينظر "الصحيح المُسند من أسباب النزول" ص(٨٠-٨١).

(٢) **صحيح:** البخاري: (٦١٧٠)، ومسلم: (٢٦٤١)، عن ابن مسعود رضي الله عنه.

(٣) **صحيح:** البخاري: (٦١٧١)، ومسلم: (٢٦٣٩).

(٤) **صحيح:** البخاري: (٥٦٧٣)، ومسلم: (٢٨١٦).

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعٗا ﴿٧١﴾ وَإِنَّ مِنكُمۡ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنۡ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَالَ قَدۡ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيَّ إِذۡ لَمۡ أَكُن مَّعَهُمۡ شَهِيدٗا ﴿٧٢﴾ وَلَئِنۡ أَصَٰبَكُمۡ فَضۡلٞ مِّنَ ٱللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمۡ تَكُنۢ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُۥ مَوَدَّةٞ يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ مَعَهُمۡ فَأَفُوزَ فَوۡزًا عَظِيمٗا ﴿٧٣﴾ ۞ فَلۡيُقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشۡرُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا بِٱلۡأٓخِرَةِۚ وَمَن يُقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقۡتَلۡ أَوۡ يَغۡلِبۡ فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ﴾: مِنْ عَدُوِّكُمْ، أَيْ: عِدَّتَكُمْ وَآلَتَكُمْ مِنَ السِّلَاحِ، وَ(الْحِذْرُ، وَالْحَذَرُ) وَاحِدٌ، كَـ(الْمِثْلِ، وَالْمَثَلِ، وَالشِّبْهِ، وَالشَّبَهِ) ﴿فَٱنفِرُواْ﴾: اخْرُجُوا ﴿ثُبَاتٍ﴾: أَيْ سَرَايَا مُتَفَرِّقِينَ سَرِيَّةً بَعْدَ سَرِيَّةٍ، **وَالثُّبَاتُ**: جَمَاعَاتٌ فِي تَفْرِقَةٍ، وَاحِدَتُهَا: (ثُبَةٌ)، ﴿أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعٗا﴾: أَيْ: مُجْتَمِعِينَ كُلُّكُمْ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ مِنكُمۡ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ﴾: نَزَلَتْ فِي الْمُنَافِقِينَ، وَإِنَّمَا قَالَ: ﴿مِنكُمۡ﴾؛ لِاجْتِمَاعِهِمْ مَعَ أَهْلِ الْإِيمَانِ فِي الْجِنْسِيَّةِ وَالنَّسَبِ وَإِظْهَارِ الْإِسْلَامِ، لَا فِي حَقِيقَةِ الْإِيمَانِ ﴿لَّيُبَطِّئَنَّ﴾: أَيْ: لَيَتَأَخَّرَنَّ وَلَيَتَثَاقَلَنَّ عَنِ الْجِهَادِ، وَهُوَ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيٍّ الْمُنَافِقُ وَاللَّامُ فِي ﴿لَّيُبَطِّئَنَّ﴾ لَامُ الْقَسَمِ، **وَالتَّبْطِئَةُ**: التَّأَخُّرُ عَنِ الْأَمْرِ، يُقَالُ: (مَا أَبْطَأَ بِكَ؟)، أَيْ: مَا أَخَّرَكَ عَنَّا؟ وَيُقَالُ: (أَبْطَأَ إِبْطَاءً وَبَطَّأَ يُبَطِّئُ تَبْطِئَةً). ﴿فَإِنۡ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ﴾: أَيْ قَتْلٌ وَهَزِيمَةٌ ﴿قَالَ قَدۡ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيَّ﴾: بِالْقُعُودِ ﴿إِذۡ لَمۡ أَكُن مَّعَهُمۡ شَهِيدٗا﴾: أَيْ حَاضِرًا فِي تِلْكَ الْغَزَاةِ فَيُصِيبُنِي مَا أَصَابَهُمْ، ﴿وَلَئِنۡ أَصَٰبَكُمۡ فَضۡلٞ مِّنَ ٱللَّهِ﴾: فَتْحٌ وَغَنِيمَةٌ، ﴿لَيَقُولَنَّ﴾: هَذَا الْمُنَافِقُ، وَفِيهِ تَقْدِيمٌ وَتَأْخِيرٌ، وَقَوْلُهُ: ﴿كَأَن لَّمۡ تَكُنۢ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُۥ مَوَدَّةٞ﴾ مُتَّصِلٌ بِقَوْلِهِ: ﴿فَإِنۡ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ﴾، تَقْدِيرُهُ: ﴿فَإِنۡ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَالَ قَدۡ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيَّ إِذۡ لَمۡ أَكُن مَّعَهُمۡ شَهِيدٗا﴾، ﴿كَأَن لَّمۡ تَكُنۢ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُۥ مَوَدَّةٞ﴾: أَيْ: مَعْرِفَةٌ، قَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ وَحَفْصٌ وَيَعْقُوبُ: ﴿تَكُنْ﴾ بِالتَّاءِ، وَالْبَاقُونَ بِالْيَاءِ، أَيْ: وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللهِ لَيَقُولَنَّ: ﴿يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ مَعَهُمۡ﴾: فِي تِلْكَ الْغَزَاةِ، ﴿فَأَفُوزَ فَوۡزًا عَظِيمٗا﴾: أَيْ: آخُذَ نَصِيبًا وَافِرًا مِنَ الْغَنِيمَةِ، وَقَوْلُهُ: ﴿فَأَفُوزَ﴾: نُصِبَ عَلَى جَوَابِ التَّمَنِّي بِالْفَاءِ،

كَمَا تَقُولُ: (وَدِدْتُ أَنْ أَقُومَ فَيَتْبَعُنِي النَّاسُ).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلْيُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ ۚ﴾: قِيلَ: نَزَلَتْ فِي الْمُنَافِقِينَ، وَمَعْنَى ﴿يَشْرُونَ﴾: أَيْ: يَشْتَرُونَ، يَعْنِي الَّذِينَ يَخْتَارُونَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ، مَعْنَاهُ: آمَنُوا ثُمَّ قَاتَلُوا، وَقِيلَ: نَزَلَتْ فِي الْمُؤْمِنِينَ الْمُخْلِصِينَ، مَعْنَاهُ: ﴿فَلْيُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ﴾: أَيْ: يَبِيعُونَ ﴿ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ ۚ﴾: وَيَخْتَارُونَ الْآخِرَةَ، ﴿وَمَن يُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقْتَلْ﴾: يَعْنِي: يُسْتَشْهَدُ، ﴿أَوْ يَغْلِبْ﴾: يَظْفَرْ، ﴿فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ﴾: فِي كِلَا الْوَجْهَيْنِ ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾. وَيُدْغِمُ أَبُو عَمْرٍو وَالْكِسَائِيُّ الْبَاءَ فِي الْفَاءِ حَيْثُ كَانَ.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**تَكَفَّلَ اللهُ لِمَنْ جَاهَدَ فِي سَبِيلِهِ لَا يُخْرِجُهُ مِنْ بَيْتِهِ إِلَّا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ وَتَصْدِيقُ كَلِمَتِهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، أَوْ يُرْجِعَهُ إِلَى مَسْكَنِهِ الَّذِي خَرَجَ مِنْهُ مَعَ مَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ**»[(١)].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**مَثَلُ الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللهِ كَمَثَلِ الْقَانِتِ الصَّائِمِ الَّذِي لَا يَفْتُرُ مِنْ صَلَاةٍ وَلَا صِيَامٍ حَتَّى يُرْجِعَهُ اللهُ إِلَى أَهْلِهِ بِمَا يُرْجِعُهُ مِنْ غَنِيمَةٍ وَأَجْرٍ، أَوْ يَتَوَفَّاهُ فَيُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ**»[(٢)].

﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓا۟ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ﴾: لَا تُجَاهِدُونَ ﴿فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: فِي طَاعَةِ اللهِ، يُعَاتِبُهُمْ عَلَى تَرْكِ الْجِهَادِ ﴿وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ﴾: أَيْ عَنِ الْمُسْتَضْعَفِينَ وَقَالَ ابْنُ شِهَابٍ:

(١) **صحيح:** البخاري: (٧٤٦٣)، ومسلم: (١٨٧٦).

(٢) **صحيح:** البخاري: (٢٧٨٧)، ومسلم: (١٨٧٨).

فِي سَبِيلِ الْمُسْتَضْعَفِينَ لِتَخْلِيصِهِمْ، وَقِيلَ: فِي تَخْلِيصِ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنْ أَيْدِي الْمُشْرِكِينَ، وَكَانَ بِمَكَّةَ جَمَاعَةٌ ﴿مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ﴾: يَلْقَوْنَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ أَذًى كَثِيرًا.

﴿ٱلَّذِينَ﴾: يَدْعُونَ، وَ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا﴾: يَعْنِي: مَكَّةَ، ﴿ٱلظَّالِمِ﴾: أَيِ: الْمُشْرِك ﴿أَهْلُهَا﴾: يَعْنِي: الْقَرْيَة الَّتِي مِنْ صِفَتِهَا أَنَّ أَهْلَهَا مُشْرِكُونَ، وَإِنَّمَا خفضَ ﴿ٱلظَّالِمِ﴾؛ لِأَنَّهُ نَعْتٌ لِلأَهْلِ، فَلَمَّا أَعَادَ الأَهْلَ عَلَى الْقَرْيَةِ صَارَ كَأَنَّ الْفِعْلَ لَهَا، كَمَا يُقَالُ: (مَرَرْتُ بِرَجُلٍ حُسْنِهِ عَيْنُهُ)، ﴿وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا﴾: أَيْ: مَنْ يَلِي أَمْرَنَا، ﴿وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾: أَيْ: مَنْ يَمْنَعُ الْعَدُوَّ عَنَّا، فَاسْتَجَابَ اللهُ دَعْوَتَهُمْ، فَلَمَّا فَتَحَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَكَّةَ وَلَّى عَلَيْهِمْ عِتَابُ بْنُ أُسَيْدٍ وَجَعَلَهُ اللهُ لَهُمْ نَصِيرًا يَنْصِفُ الْمَظْلُومِينَ مِنَ الظَّالِمِينَ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: أَيْ: فِي طَاعَةِ اللهِ، ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ﴾: أَيْ: فِي طَاعَةِ الشَّيْطَانِ، ﴿فَقَٰتِلُوٓاْ﴾: أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ ﴿أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾: أَيْ: حِزْبَهُ وَجُنُودَهُ، وَهُمُ الْكُفَّارُ، ﴿إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾: أَيْ: مَكْرَهُ ﴿كَانَ ضَعِيفًا﴾: كَمَا فَعَلَ يَوْمَ بَدْرٍ لَمَّا رَأَى الْمَلَائِكَةَ خَافَ أَنْ يَأْخُذُوهُ فَهَرَبَ وَخَذَلَهُمْ.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓاْ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ۚ وَقَالُواْ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ ۗ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾ أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ۗ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓاْ أَيْدِيَكُمْ﴾: الآيَة: نَزَلَتْ فِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ الزُّهْرِيِّ وَجَمَاعَةٍ كَانُوا يَلْقَوْنَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ بِمَكَّةَ أَذًى كَثِيرًا قَبْلَ أَنْ يُهَاجِرُوا

وَيَقُولُونَ: يَا رَسُولَ اللهِ ائْذَنْ لَنَا فِي قِتَالِهِمْ فَإِنَّهُمْ قَدْ آذَوْنَا، فَيَقُولُ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ فَإِنِّي لَمْ أُؤْمَرْ بِقِتَالِهِمْ**»[(١)].

﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾: فَلَمَّا هَاجَرُوا إِلَى الْمَدِينَةِ وَأَمَرَهُمُ اللهُ بِقِتَالِ الْمُشْرِكِينَ شَقَّ ذَلِكَ عَلَى بَعْضِهِمْ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا كُتِبَ﴾: فُرِضَ ﴿عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ﴾: يَعْنِي: يَخْشَوْنَ مُشْرِكِي مَكَّةَ ﴿كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾: أَيْ: كَخَشْيَتِهِمْ مِنَ الله ﴿أَوْ أَشَدَّ﴾: أَكْبَرَ ﴿خَشْيَةً﴾، **وَقِيلَ**: مَعْنَاهُ: وَأَشَدَّ خَشْيَةً، ﴿وَقَالُوا۟ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ﴾: الجِهَادَ، ﴿لَوْلَآ﴾: هَلَّا ﴿أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾: يَعْنِي: الْمَوْتَ، أَيْ: هَلَّا تَرَكْتَنَا حَتَّى نَمُوتَ بِآجَالِنَا؟ **وَاخْتَلَفُوا فِي هَؤُلَاءِ الَّذِينَ قَالُوا ذَلِكَ**، **قِيلَ**: قَالَهُ قَوْمٌ مِنَ الْمُنَافِقِينَ؛ لِأَنَّ قَوْلَهُ: ﴿لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ﴾ لَا يَلِيقُ بِالْمُؤْمِنِينَ، **وَقِيلَ**: قَالَهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَمْ يَكُونُوا رَاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ، قَالُوهُ خَوْفًا وَجُبْنًا لَا اعْتِقَادًا، ثُمَّ تَابُوا، وَأَهْلُ الْإِيمَانِ يَتَفَاضَلُونَ فِي الْإِيمَانِ، **وَقِيلَ**: هُمْ قَوْمٌ كَانُوا مُؤْمِنِينَ فَلَمَّا فُرِضَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ نَافَقُوا مِنَ الْجُبْنِ وَتَخَلَّفُوا عَنِ الْجِهَادِ، ﴿قُلْ﴾: يَا مُحَمَّدُ ﴿مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا﴾: أَيْ: مَنْفَعَتُهَا وَالِاسْتِمْتَاعُ بِهَا ﴿قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ﴾: أَيْ: وَثَوَابُ الآخِرَةِ ﴿خَيْرٌ﴾: وَأَفْضَلُ ﴿لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾: الشِّرْكَ وَمَعْصِيَةَ الرَّسُولِ، ﴿وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾: قَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ وَأَبُو جَعْفَرٍ وَحَمْزَةُ وَالْكِسَائِيُّ بِالْيَاءِ، وَالْبَاقُونَ: ﴿تُظْلَمُونَ﴾ بِالتَّاءِ.

عَنِ الْمُسْتَوْرِدِ بْنِ شَدَّادٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**وَاللهِ مَا الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مِثْلُ مَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ أُصْبُعَهُ فِي اليَمِّ فَلْيَنظُرْ بِمَ تَرْجِعُ**»[(٢)].

---

(١) قال الإمام الوادعيُّ رحمه الله: **قال الإمامُ النَّسَائيُّ** رحمه الله ج(٦) ص(٣): أخبرنا محمد بن علي بن الحسن بن شقيق، قال: أنبأنا أبي، قال: أنبأنا الحسين بن واقد، عن عمرو بن دينار، عن عكرمةَ، **عن ابن عبَّاسٍ**، أنَّ عبدَ الرحمن بنَ عوفٍ وأصحابًا له أتَوا النبيَّ ﷺ بمكَّةَ فقالوا: يا رسول الله، إنَّا كُنَّا في عِزٍّ ونحنُ مشركون، فلمَّا آمنَّا صرنا أذلَّةً، فقال: «**إِنِّي أُمِرْتُ بِالْعَفْوِ، فَلَا تُقَاتِلُوا**»، فلمَّا حوَّلَنا اللهُ إلى المدينة أَمَرَنَا بالقتال، فكَفُّوا، فأنزل الله ﷻ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓا۟ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾. يُنظر «الصحيح المُسند من أسباب النزول» ص(٨١-٨٢).

(٢) **صحيح**: مسلم: (٢٨٥٨).

قَوْلُهُ ﷻ: ﴿أَيۡنَمَا تَكُونُواْ يُدۡرِككُّمُ ٱلۡمَوۡتُ﴾: أَيْ: يَنْزِلُ بِكُمُ الْمَوْتُ ﴿وَلَوۡ كُنتُمۡ فِي بُرُوجٖ مُّشَيَّدَةٖۗ﴾: **وَالْبُرُوجُ**: الْحُصُونُ وَالْقِلَاعُ، **وَالْمُشَيَّدَةُ**: الْمَرْفُوعَةُ الْمُطَوَّلَةُ، **وَقَالَ قَتَادَةُ**: مَعْنَاهُ: فِي قُصُورٍ مُحَصَّنَةٍ، **وَقَالَ عِكْرِمَةُ**: مُجَصَّصَة، **وَالشَّيْدُ**: الْجِصُّ، ﴿وَإِن تُصِبۡهُمۡ حَسَنَةٞ﴾: نَزَلَتْ فِي الْيَهُودِ وَالْمُنَافِقِينَ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ قَالُوا لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْمَدِينَةَ مَا زِلْنَا نَعْرِفُ النَّقْصَ فِي ثِمَارِنَا وَمَزَارِعِنَا مُنْذُ قَدِمَ عَلَيْنَا هَذَا الرَّجُلُ وَأَصْحَابُهُ فَقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَإِن تُصِبۡهُمۡ﴾: يَعْنِي: الْيَهُودَ ﴿حَسَنَةٞ﴾: أَيْ: خِصْبٌ وَرُخْصٌ فِي السِّعْرِ ﴿يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ﴾: لَنَا، ﴿وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ﴾: يَعْنِي: الْجَدْبَ وَغَلَاءَ الْأَسْعَارِ ﴿يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنۡ عِندِكَۚ﴾: أَيْ: مِنْ شُؤْمِ مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ، **وَقِيلَ**: الْمُرَادُ بِالْحَسَنَةِ: الظَّفْرُ وَالْغَنِيمَةُ يَوْمَ بَدْرٍ، وَبِالسَّيِّئَةِ: الْقَتْلُ وَالْهَزِيمَةُ يَوْمَ أُحُدٍ، ﴿يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنۡ عِندِكَۚ﴾: أَيْ: أَنْتَ الَّذِي حَمَلْتَنَا عَلَيْهِ يَا مُحَمَّدُ، فَعَلَى هَذَا يَكُونُ هَذَا مِنْ قَوْلِ الْمُنَافِقِينَ، ﴿قُلۡ﴾: لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ ﴿كُلّٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ﴾: أَيْ: الْحَسَنَةُ وَالسَّيِّئَةُ كُلُّهَا مِنْ عِنْدِ اللهِ، ثُمَّ عَيَّرَهُمْ بِالْجَهْلِ فَقَالَ: ﴿فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلۡقَوۡمِ﴾: يَعْنِي: الْمُنَافِقِينَ وَالْيَهُودَ ﴿لَا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ حَدِيثٗا﴾: أَيْ: لَا يَفْقَهُونَ قَوْلًا، **وَقِيلَ**: الْحَدِيثُ هَاهُنَا هُوَ: الْقُرْآنُ، أَيْ: لَا يَفْقَهُونَ مَعَانِيَ الْقُرْآنِ.

قَوْلُهُ: ﴿فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ﴾: **قَالَ الْفَرَّاءُ**: كَثُرَتْ فِي الْكَلَامِ هَذِهِ الْكَلِمَةُ حَتَّى تَوَهَّمُوا أَنَّ اللَّامَ مُتَّصِلَةٌ بِهَا وَأَنَّهُمَا حَرْفٌ وَاحِدٌ، فَفَصَلُوا اللَّامَ عَمَّا بَعْدَهَا فِي بَعْضِهِ وَوَصَلُوهَا فِي بَعْضِهِ، وَالِاتِّصَالُ الْقِرَاءَةُ، وَلَا يَجُوزُ الْوَقْفُ عَلَى اللَّامِ؛ لِأَنَّهَا لَامٌ خَافِضَةٌ.

قَوْلُهُ ﷻ: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٖ﴾: خَيْرٍ وَنِعْمَةٍ ﴿فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٖ﴾: بَلِيَّةٍ أَوْ أَمْرٍ تَكْرَهُهُ ﴿فَمِن نَّفۡسِكَۚ﴾: أَيْ: بِذُنُوبِكَ، الْخِطَابُ لِلنَّبِيِّ ﷺ وَالْمُرَادُ غَيْرُهُ؛ نَظِيرُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ﴾[الشُّورَى:٣٠]، وَتَعَلَّقَ أَهْلُ الْقَدَرِ بِظَاهِرِ هَذِهِ الْآيَةِ فَقَالُوا: نَفَى اللهُ تَعَالَى السَّيِّئَةَ عَنْ نَفْسِهِ وَنَسَبَهَا إِلَى الْعَبْدِ فَقَالَ: ﴿وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٖ فَمِن نَّفۡسِكَۚ﴾، وَلَا مُتَعَلَّقَ لَهُمْ فِيهِ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ الْمُرَادُ مِنَ الْآيَةِ

حَسَنَات الكَسْبِ وَلَا سَيِّئَاتهُ مِنَ الطَّاعَاتِ وَالْمَعَاصِي، بَلِ الْمُرَادُ مِنْهُ مَا يُصِيبُهُمْ مِنَ النِّعَمِ وَالْمِحَنِ، وَذَلِكَ لَيْسَ مِنْ فِعْلِهِمْ؛ بِدَلِيلِ أَنَّهُ نَسَبَهَا إِلَى غَيْرِهِمْ وَلَمْ يَنْسِبْهَا إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: ﴿مَّآ أَصَابَكَ﴾، وَلَا يُقَالُ فِي الطَّاعَةِ وَالْمَعْصِيَةِ: أَصَابَنِي، إِنَّمَا يُقَالُ: أَصَبْتُهَا، وَيُقَالُ فِي الْمِحَنِ: أَصَابَنِي؛ بِدَلِيلِ أَنَّهُ لَمْ يَذْكُرْ عَلَيْهِ ثَوَابًا وَلَا عِقَابًا، فَهُوَ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓۗ﴾[الأَعْرَاف:١٣١]، وَلَمَّا ذَكَرَ حَسَنَاتِ الْكَسْبِ وَسَيِّئَاتِهِ نَسَبَهَا إِلَيْهِ، وَوَعَدَ عَلَيْهَا الثَّوَابَ وَالْعِقَابَ، فَقَالَ: ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَا﴾[الأَنْعَام:١٦٠]. **وَقِيلَ**: مَعْنَى الْآيَةِ: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٖ﴾: مِنَ النَّصْرِ وَالظَّفْرِ يَوْمَ بَدْرٍ ﴿فَمِنَ ٱللَّهِۖ﴾: أَيْ: مِنْ فَضْلِ اللهِ، ﴿وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٖ﴾: مِنَ الْقَتْلِ وَالْهَزِيمَةِ يَوْمَ أُحُدٍ ﴿فَمِن نَّفۡسِكَۚ﴾: أَيْ: فَبِذُنُوبِ أَصْحَابِكَ، وَهُوَ مُخَالَفَتُهُمْ لَكَ، **فَإِنْ قِيلَ**: كَيْفَ وَجْهُ الْجَمْعِ بَيْنَ قَوْلِهِ: ﴿قُلۡ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ﴾، وَبَيْنَ قَوْلِهِ: ﴿فَمِن نَّفۡسِكَۚ﴾؟ **قِيلَ**: قَوْلُهُ: ﴿قُلۡ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ﴾ أَي: الْخِصْبُ وَالْجَدْبُ وَالنَّصْرُ وَالْهَزِيمَةُ كُلُّهَا مِنْ عِنْدِ اللهِ وَقَوْلُهُ: ﴿فَمِن نَّفۡسِكَۚ﴾ أَيْ: وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ مِنَ اللهِ فَبِذَنْبِ نَفْسِكَ عُقُوبَةً لَكَ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ﴾[الشُّورَى:٣٠] **وَقَالَ بَعْضُهُمْ**: هَذِهِ الْآيَةُ مُتَّصِلَةٌ بِمَا قَبْلَهَا، وَالْقَوْلُ فِيهِ مُضْمَرٌ تَقْدِيرُهُ: فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا، يَقُولُونَ: مَا أَصابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللهِ وَما أَصابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ، قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللهِ. ﴿وَأَرۡسَلۡنَٰكَ﴾: يَا مُحَمَّدُ ﴿لِلنَّاسِ رَسُولٗاۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا﴾: عَلَى إِرْسَالِكَ وَصِدْقِكَ، **وَقِيلَ**: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا﴾: عَلَى أَنَّ الْحَسَنَةَ وَالسَّيِّئَةَ كُلَّهَا مِنَ اللهِ تَعَالَى.

﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا ٨٠ وَيَقُولُونَ طَاعَةٞ فَإِذَا بَرَزُواْ مِنۡ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ غَيۡرَ ٱلَّذِي تَقُولُۖ وَٱللَّهُ يَكۡتُبُ مَا يُبَيِّتُونَۖ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ﴾: أَيْ: مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فِيمَا أَمَرَ بِهِ

فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ، ﴿وَمَن تَوَلَّىٰ﴾: عَنْ طَاعَتِهِ ﴿فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ﴾: يَا مُحَمَّدُ ﴿عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا﴾: أَيْ: حَافِظًا وَرَقِيبًا، بَلْ كُلُّ أُمُورِهِمْ إِلَيْهِ تَعَالَى، **وَقِيلَ**: نَسَخَ اللهُ ﷻ هَذَا بِآيَةِ السَّيْفِ، وَأَمَرَهُ بِقِتَالِ مَنْ خَالَفَ اللهَ وَرَسُولَهُ. ﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٞ﴾: يَعْنِي: الْمُنَافِقِينَ يَقُولُونَ بِاللِّسَانِ لِلرَّسُولِ ﷺ: إِنَّا آمَنَّا بِكَ فَمُرْنَا فَأَمْرُكَ طَاعَةٌ، **قَالَ النَّحْوِيُّونَ**: أَيْ: أَمْرُنَا وَشَأْنُنَا أَنْ نُطِيعَكَ ﴿فَإِذَا بَرَزُواْ﴾: خَرَجُوا ﴿مِنۡ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ غَيۡرَ ٱلَّذِي تَقُولُۖ﴾: **قَالَ قَتَادَةُ وَالْكَلْبِيُّ**: ﴿بَيَّتَ﴾: أَيْ: غَيَّرَ وَبَدَّلَ الَّذِي عَهِدَ إِلَيْهِمُ النَّبِيُّ ﷺ، وَيَكُونُ التَّبْيِيتُ بِمَعْنَى التَّبْدِيلِ، **وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ وَالْقُتَيْبِيُّ**: مَعْنَاهُ: قَالُوا وَقَدَّرُوا لَيْلًا غَيْرَ مَا أَعْطَوْكَ نَهَارًا، وَكُلُّ مَا قُدِّرَ بِلَيْلٍ فَهُوَ تَبْيِيتٌ، **وَقَالَ أَبُو الْحَسَنِ الْأَخْفَشُ**: تَقُولُ الْعَرَبُ لِلشَّيْءِ إِذَا قُدِّرَ: (بُيِّتَ)؛ يُشَبِّهُونَهُ بِتَقْدِيرِ بُيُوتِ الشِّعْرِ، ﴿وَٱللَّهُ يَكۡتُبُ﴾: أَيْ: يُثْبِتُ وَيَحْفَظُ ﴿مَا يُبَيِّتُونَۖ﴾: مَا يُزَوِّرُونَ وَيُغَيِّرُونَ وَيُقَدِّرُونَ، **وَقَالَ الضَّحَّاكُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ**: يَعْنِي مَا يُسِرُّونَ مِنَ النِّفَاقِ، ﴿فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ﴾: يَا مُحَمَّدُ وَلَا تُعَاقِبْهُمْ، **وَقِيلَ**: لَا تُخْبِرْ بِأَسْمَائِهِمْ، مُنِعَ الرَّسُولُ ﷺ مِنَ الْإِخْبَارِ بِأَسْمَاءِ الْمُنَافِقِينَ، ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾: أَيْ: اتَّخِذْهُ وَكِيلًا، وَكَفَى بِاللهِ وَكِيلًا وَنَاصِرًا.

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ﴿٨٢﴾ وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٨٣﴾ فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَۚ وَحَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأۡسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأۡسٗا وَأَشَدُّ تَنكِيلٗا﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ﴾: يَعْنِي: أَفَلَا يَتَفَكَّرُونَ فِي الْقُرْآنِ، **وَالتَّدَبُّرُ**: هُوَ النَّظَرُ فِي آخِرِ الْأَمْرِ، وَدُبُرُ كُلِّ شَيْءٍ آخِرُهُ، ﴿وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا﴾: أَيْ: تَفَاوُتًا وَتَنَاقُضًا كَثِيرًا، **قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَقِيلَ**: ﴿لَوَجَدُواْ فِيهِ﴾: أَيْ: فِي الْإِخْبَارِ عَنِ الْغَيْبِ بِمَا كَانَ وَبِمَا يَكُونُ ﴿ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا﴾، أَفَلَا يَتَفَكَّرُونَ فِيهِ

فَيَعْرِفُوا -بِعَدَمِ التَّنَاقُضِ فِيهِ وَصِدْقِ مَا يُخْبِر بِهِ- أَنَّهُ كَلَامُ اللهِ تَعَالَى؛ لِأَنَّ مَا لَا يَكُونُ مِنْ عِنْدِ اللهِ لَا يَخْلُو عَنْ تَنَاقُضٍ وَاخْتِلَافٍ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦ﴾: وَذَلِكَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَبْعَثُ السَّرَايَا، فَإِذَا غَلَبُوا أَوْ غُلِبُوا بَادَرَ الْمُنَافِقُونَ يَسْتَخْبِرُونَ عَنْ حَالِهِمْ، فَيُفْشُونَ وَيُحَدِّثُونَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يُحَدِّثَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَيُضْعِفُونَ بِهِ قُلُوبَ الْمُؤْمِنِينَ فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ﴾: يَعْنِي: الْمُنَافِقِينَ ﴿أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ﴾: أَيِ: الْفَتْحِ وَالْغَنِيمَةِ، ﴿أَوِ ٱلْخَوْفِ﴾: الْقَتْلِ وَالْهَزِيمَةِ ﴿أَذَاعُواْ بِهِۦ﴾: أَشَاعُوهُ وَأَفْشَوْهُ، ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ﴾: إِلَى رَأْيِهِ وَلَمْ يُحَدِّثُوا بِهِ حَتَّى يَكُونَ النَّبِيُّ ﷺ هُوَ الَّذِي يُحَدِّثُ بِهِ، ﴿وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ﴾: أَيْ: ذَوِي الرَّأْيِ مِنَ الصَّحَابَةِ مِثْلَ: أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ رضي الله عنهم، ﴿لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾: أَيْ: يَسْتَخْرِجُونَهُ وَهُمُ الْعُلَمَاءُ، أَيْ: عَلِمُوا مَا يَنْبَغِي أَنْ يُكْتَمَ وَمَا يَنْبَغِي أَنْ يُفْشَى، **وَالِاسْتِنْبَاطُ**: الِاسْتِخْرَاجُ، يُقَالُ: (اسْتَنْبَطَ الْمَاءَ) إِذَا اسْتَخْرَجَهُ، **وَقَالَ عِكْرِمَةُ**: ﴿يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ﴾: أَيْ: يَحْرِصُونَ عَلَيْهِ وَيَسْأَلُونَ عَنْهُ **وَقَالَ الضَّحَّاكُ**: يَتْبَعُونَهُ، يُرِيدُ الَّذِينَ سَمِعُوا تِلْكَ الْأَخْبَارَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُنَافِقِينَ، لَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ ﷺ وَإِلَى ذَوِي الرَّأْيِ وَالْعِلْمِ ﴿لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾: أَيْ: يُحِبُّونَ أَنْ يَعْلَمُوهُ عَلَى حَقِيقَتِهِ كَمَا هُوَ[(١)].

---

(١) قال الإمام الوادعيُّ رحمه الله: **قال الإمامُ مسلم** رحمه الله ج(١٠) ص(٨٢): حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ يُونُسَ الْحَنَفِيُّ، حَدَّثَنَا عِكْرِمَةُ بْنُ عَمَّارٍ، عَنْ سِمَاكٍ أَبِي زُمَيْلٍ، حَدَّثَنِي عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبَّاسٍ، حَدَّثَنِي **عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ** قَالَ: لَمَّا اعْتَزَلَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ نِسَاءَهُ، قَالَ: دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ، فَإِذَا النَّاسُ يَنْكُتُونَ بِالْحَصَى، وَيَقُولُونَ: طَلَّقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ نِسَاءَهُ، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يُؤْمَرْنَ بِالْحِجَابِ، فَقَالَ عُمَرُ: فَقُلْتُ: لَأَعْلَمَنَّ ذَلِكَ الْيَوْمَ. قَالَ: فَدَخَلْتُ عَلَى عَائِشَةَ فَقُلْتُ: يَا بِنْتَ أَبِي بَكْرٍ أَقَدْ بَلَغَ مِنْ شَأْنِكِ أَنْ تُؤْذِي رَسُولَ اللهِ ﷺ؟ فَقَالَتْ: مَا لِي وَمَا لَكَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ؟!! عَلَيْكَ بِعَيْبَتِكَ، قَالَ: فَدَخَلْتُ عَلَى حَفْصَةَ بِنْتِ عُمَرَ فَقُلْتُ لَهَا: يَا حَفْصَةُ، أَقَدْ بَلَغَ مِنْ شَأْنِكِ أَنْ تُؤْذِي رَسُولَ اللهِ ﷺ؟ وَاللهِ لَقَدْ عَلِمْتِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَا يُحِبُّكِ، وَلَوْلَا أَنَا لَطَلَّقَكِ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَبَكَتْ أَشَدَّ الْبُكَاءِ، فَقُلْتُ لَهَا: أَيْنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ؟ قَالَتْ: هُوَ فِي خِزَانَتِهِ فِي الْمَشْرُبَةِ، فَدَخَلْتُ، فَإِذَا أَنَا بِرَبَاحٍ غُلَامِ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَاعِدًا =

﴿وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ﴾: كُلُّكُمْ ﴿إِلَّا قَلِيلٗا﴾: فَإِنْ قِيلَ: كَيْفَ اسْتَثْنَى الْقَلِيلَ وَلَوْلَا فَضْلُهُ لَاتَّبَعَ الْكُلُّ الشَّيْطَانَ؟ قِيلَ: هُوَ رَاجِعٌ إِلَى مَا

= عَلَى أُسْكُفَّةِ المَشْرُبَةِ، مُدَلٍّ رِجْلَيْهِ عَلَى نَقِيرٍ مِنْ خَشَبٍ، وَهُوَ جِذْعٌ يَرْقَى عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَيَنْحَدِرُ، فَنَادَيْتُ: يَا رَبَاحُ، اسْتَأْذِنْ لِي عِنْدَكَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَنَظَرَ رَبَاحٌ إِلَى الْغُرْفَةِ، ثُمَّ نَظَرَ إِلَيَّ فَلَمْ يَقُلْ شَيْئًا، ثُمَّ قُلْتُ: يَا رَبَاحُ اسْتَأْذِنْ لِي عِنْدَكَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَنَظَرَ رَبَاحٌ إِلَى الْغُرْفَةِ، ثُمَّ نَظَرَ إِلَيَّ فَلَمْ يَقُلْ شَيْئًا، ثُمَّ رَفَعْتُ صَوْتِي، فَقُلْتُ: يَا رَبَاحُ، اسْتَأْذِنْ لِي عِنْدَكَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ؛ فَإِنِّي أَظُنُّ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ ظَنَّ أَنِّي جِئْتُ مِنْ أَجْلِ حَفْصَةَ، وَاللهِ لَئِنْ أَمَرَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ بِضَرْبِ عُنُقِهَا لَأَضْرِبَنَّ عُنُقَهَا. وَرَفَعْتُ صَوْتِي، فَأَوْمَأَ إِلَيَّ أَنِ ارْقَهْ، فَدَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ مُضْطَجِعٌ عَلَى حَصِيرٍ، فَجَلَسْتُ، فَأَدْنَى عَلَيْهِ إِزَارَهُ وَلَيْسَ عَلَيْهِ غَيْرُهُ، وَإِذَا الحَصِيرُ قَدْ أَثَّرَ فِي جَنْبِهِ، فَنَظَرْتُ بِبَصَرِي فِي خِزَانَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَإِذَا أَنَا بِقَبْضَةٍ مِنْ شَعِيرٍ نَحْوِ الصَّاعِ وَمِثْلِهَا قَرَظًا فِي نَاحِيَةِ الْغُرْفَةِ، وَإِذَا أَفِيقٌ مُعَلَّقٌ، قَالَ: فَابْتَدَرَتْ عَيْنَايَ، قَالَ: «**مَا يُبْكِيكَ يَا ابْنَ الخَطَّابِ؟**» قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللهِ، وَمَا لِي لَا أَبْكِي، وَهَذَا الحَصِيرُ قَدْ أَثَّرَ فِي جَنْبِكَ، وَهَذِهِ خِزَانَتُكَ لَا أَرَى فِيهَا إِلَّا مَا أَرَى، وَذَاكَ قَيْصَرُ وَكِسْرَى فِي الثِّمَارِ وَالْأَنْهَارِ، وَأَنْتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَصَفْوَتُهُ، وَهَذِهِ خِزَانَتُكَ، فَقَالَ: «**يَا ابْنَ الخَطَّابِ أَلَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ لَنَا الْآخِرَةُ وَلَهُمُ الدُّنْيَا؟**» قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: وَدَخَلْتُ عَلَيْهِ حِينَ دَخَلْتُ، وَأَنَا أَرَى فِي وَجْهِهِ الْغَضَبَ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا يَشُقُّ عَلَيْكَ مِنْ شَأْنِ النِّسَاءِ؟ فَإِنْ كُنْتَ طَلَّقْتَهُنَّ فَإِنَّ اللهَ مَعَكَ وَمَلَائِكَتَهُ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ، وَأَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَالْمُؤْمِنُونَ مَعَكَ، وَقَلَّمَا تَكَلَّمْتُ -وَأَحْمَدُ اللهَ- بِكَلَامٍ إِلَّا رَجَوْتُ أَنْ يَكُونَ اللهُ يُصَدِّقُ قَوْلِي الَّذِي أَقُولُ، وَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ آيَةُ التَّخْيِيرِ: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَاۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيۡهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوۡلَىٰهُ وَجِبۡرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾ عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبۡدِلَهُۥٓ أَزۡوَٰجًا خَيۡرٗا مِّنكُنَّ مُسۡلِمَٰتٖ﴾، وَكَانَتْ عَائِشَةُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ وَحَفْصَةُ تَظَاهَرَانِ عَلَى سَائِرِ نِسَاءِ النَّبِيِّ ﷺ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَطَلَّقْتَهُنَّ؟ قَالَ: «**لَا**»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي دَخَلْتُ المَسْجِدَ وَالْمُسْلِمُونَ يَنْكُتُونَ بِالحَصَى يَقُولُونَ: طَلَّقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ نِسَاءَهُ، أَفَأَنْزِلُ فَأُخْبِرَهُمْ أَنَّكَ لَمْ تُطَلِّقْهُنَّ؟ قَالَ: «**نَعَمْ، إِنْ شِئْتَ**»، فَلَمْ أَزَلْ أُحَدِّثُهُ حَتَّى تَحَسَّرَ الْغَضَبُ عَنْ وَجْهِهِ، وَحَتَّى كَشَرَ فَضَحِكَ، وَكَانَ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ ثَغْرًا، ثُمَّ نَزَلَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ وَنَزَلْتُ، فَنَزَلْتُ أَتَشَبَّثُ بِالْجِذْعِ، وَنَزَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ كَأَنَّمَا يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ مَا يَمَسُّهُ بِيَدِهِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّمَا كُنْتَ فِي الْغُرْفَةِ تِسْعَةً وَعِشْرِينَ؟ قَالَ: «**إِنَّ الشَّهْرَ يَكُونُ تِسْعًا وَعِشْرِينَ**»، فَقُمْتُ عَلَى بَابِ المَسْجِدِ، فَنَادَيْتُ بِأَعْلَى صَوْتِي: لَمْ يُطَلِّقْ رَسُولُ اللهِ ﷺ نِسَاءَهُ، وَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ﴾، فَكُنْتُ أَنَا اسْتَنْبَطْتُ ذَلِكَ الْأَمْرَ، وَأَنْزَلَ اللهُ ﷻ آيَةَ التَّخْيِيرِ. اهـ «الصحيح المُسند من أسباب النزول» ص(٨٢-٨٤).

قَبْلَهُ، **قِيلَ**: مَعْنَاهُ أَذَاعُوا بِهِ إِلَّا قَلِيلًا لَمْ يُفْشِهِ، عَنِي بِالْقَلِيلِ الْمُؤْمِنِينَ، **وَهَذَا قَوْلُ الْكَلْبِيِّ وَاخْتِيَارُ الْفَرَّاءِ**، وَقَالَ: لِأَنَّ عِلْمَ السِّرِّ إِذَا ظَهَرَ عَلِمَهُ الْمُسْتَنْبِطُ وَغَيْرُهُ، وَالْإِذَاعَةُ قَدْ تَكُونُ فِي بَعْضٍ دُونَ بَعْضٍ، **وَقِيلَ**: لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا، ثُمَّ قَوْلُهُ: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ﴾: كَلَامٌ تَامٌّ، **وَقِيلَ**: فَضْلُ اللهِ: الْإِسْلَامُ، وَرَحِمْتُهُ: الْقُرْآنُ، يَقُولُ: لَوْلَا ذَلِكَ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا، وَهُمْ قَوْمٌ اهْتَدَوْا قَبْلَ مَجِيءِ الرَّسُولِ ﷺ وَنُزُولِ الْقُرْآنِ، مِثْلَ زَيْدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ وَوَرَقَةَ بْنِ نَوْفَلٍ وَجَمَاعَةٍ سِوَاهُمَا. وَفِي الْآيَةِ: دَلِيلٌ عَلَى جَوَازِ الْقِيَاسِ؛ فَإِنَّ مِنَ الْعِلْمِ مَا يُدْرَكُ بِالتِّلَاوَةِ وَالرِّوَايَةِ وَهُوَ النَّصُّ، وَمِنْهُ مَا يُدْرَكُ بِالِاسْتِنْبَاطِ وَهُوَ الْقِيَاسُ عَلَى الْمَعَانِي الْمُودَعَةِ فِي النُّصُوصِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ﴾: أَيْ: لَا تَدَعْ جِهَادَ الْعَدُوِّ وَالِانْتِصَارَ لِلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَلَوْ وَحْدَكَ؛ فَإِنَّ اللهَ قَدْ وَعَدَكَ النُّصْرَةَ، وَالْفَاءُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿فَقَٰتِلْ﴾ جَوَابٌ عَنْ قَوْلِهِ: ﴿وَمَن يُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[النِّسَاء:٧٤]، فَقَاتِلْ، ﴿وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: عَلَى الْقِتَالِ، أَيْ: حُضَّهُمْ عَلَى الْجِهَادِ وَرَغِّبْهُمْ فِي الثَّوَابِ، ﴿عَسَى ٱللَّهُ﴾: عَسَى اللهُ أَيْ: لَعَلَّ اللهَ ﴿أَن يَكُفَّ بَأْسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾: أَيْ: قِتَالَ الْمُشْرِكِينَ، و(عَسَى) مِنَ اللهِ وَاجِبٌ، ﴿وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا﴾: أَيْ: أَشَدُّ صَوْلَةً وَأَعْظَمُ سُلْطَانًا، ﴿وَأَشَدُّ تَنكِيلًا﴾: أَيْ: عُقُوبَةً.

﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا ﴿٨٥﴾ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا﴾

قَوْلُهُ ﷻ: ﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا﴾: أَيْ: نَصِيبٌ مِنْهَا، **قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ** رضي الله عنهما: الشَّفَاعَةُ الْحَسَنَةُ: هِيَ الْإِصْلَاحُ بَيْنَ النَّاسِ، وَالشَّفَاعَةُ السَّيِّئَةُ: هِيَ الْمَشْيُ بِالنَّمِيمَةِ بَيْنَ النَّاسِ، **وَقِيلَ**:

الشَّفَاعَةُ الْحَسَنَةُ: هِيَ حُسْنُ الْقَوْلِ فِي النَّاسِ يَنَالُ بِهِ الثَّوَابَ وَالْخَيْرَ، وَالسَّيِّئَةُ: هِيَ الْغِيْبَةُ وَإِسَاءَةُ الْقَوْلِ فِي النَّاسِ يَنَالُ بِهِ الشَّرَّ.

قَوْلُهُ: ﴿كِفْلٌ مِّنْهَا﴾: أَيْ: مِنْ وِزْرِهَا، **وَقَالَ مُجَاهِدٌ:** هِيَ شَفَاعَةُ النَّاسِ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ، يُؤْجَرُ الشَّفِيعُ عَلَى شَفَاعَتِهِ وَإِنْ لَمْ يُشَفَّعْ.

عن أَبِي مُوسَى رضي الله عنه قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا جَاءَهُ رَجُلٌ يَسْأَلُ أَوْ طَالِبُ حَاجَةٍ أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ، فَقَالَ: «**اشْفَعُوا تُؤْجَرُوا، وَيَقْضِي اللهُ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ مَا شَاءَ**»(١).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا﴾: **قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ** رضي الله عنهما: مُقْتَدِرًا مُجَازِيًا قَالَ الشَّاعِرُ:

وَذِي ضِغْنٍ كَفَفْتُ النَّفْسَ عَنْهُ   وَكُنْتُ عَلَى إِسَاءَتِهِ مُقِيتًا

وَقَالَ مُجَاهِدٌ: شَاهِدًا، **وَقَالَ قَتَادَةُ:** حَافِظًا، **وَقِيلَ:** مَعْنَاهُ: عَلَى كُلِّ حَيَوَانٍ مُقِيتًا أَيْ: يُوصِلُ الْقُوتَ إِلَيْهِ، وَجَاءَ فِي الْحَدِيثِ: «**كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَقُوتُ**»(٢).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ﴾: **التَّحِيَّةُ:** هِيَ دُعَاءٌ بِطُولِ الْحَيَاةِ، وَالْمُرَادُ بِالتَّحِيَّةِ هَاهُنَا: السَّلَامُ، يَقُولُ: إِذَا سَلَّمَ عَلَيْكُمْ مُسْلِمٌ فَأَجِيبُوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا كَمَا سَلَّمَ، فَإِذَا قَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، فَقُلْ: وَعَلَيْكُمُ السَّلَامُ

---

(١) **صحيح:** البخاري: (١٤٣٢)، ومسلم: (٢٦٢٧). قال الحافظ رحمه الله: أي: إذا عَرَضَ المحتاجُ حاجتَهُ عليَّ فاشفعوا له إليَّ؛ فإنَّكُم إن شفعتم حصل لكم الأجر، سواء قَبِلتُ شفاعتكم أم لا، «**وَيَقْضِي اللهُ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ مَا شَاءَ**»: أي: مِن مُوجِباتِ قضاء الحاجة أو عدمِها، أي: إن قضيتُها أو لم أَقضِها فهو بتقدير الله تعالى وقضائه. «فتح الباري» (١٠/ ٤٥١).

(٢) **حسن:** حسَّنه العلَّامة الألباني رحمه الله في «صحيح أبي داود (الأم)» (١٤٨٥)، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، وأخرجه مسلم بنحوه: (٩٩٦).

وَرَحْمَةُ اللهِ، وَإِذَا قَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ، فَقُلْ: وَعَلَيْكُمُ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، وَإِذَا قَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، فَرُدَّ مِثْلَهُ.

عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رضي الله عنه، أَنَّ رَجُلًا جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، فَرَدَّ عَلَيْهِ، ثُمَّ جَلَسَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**عَشْرٌ**»، ثُمَّ جَاءَ آخَرُ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ، فَرَّدَ عَلَيْهِ، فَجَلَسَ، فَقَالَ: «**عِشْرُونَ**»، ثُمَّ جَاءَ آخَرُ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، فَرَدَّ عَلَيْهِ، فَجَلَسَ، فَقَالَ: «**ثَلَاثُونَ**»(١).

وَاعْلَمْ أَنَّ السَّلَامَ سُنَّةٌ وَرَدَّ السَّلَامِ فَرِيضَةٌ، وَهُوَ فَرْضٌ عَلَى الْكِفَايَةِ، وَكَذَلِكَ السَّلَامُ سُنَّةٌ عَلَى الْكِفَايَةِ، فَإِذَا سَلَّمَ وَاحِدٌ مِنْ جَمَاعَةٍ كَانَ كَافِيًا فِي السُّنَّةِ، وَإِذَا سَلَّمَ وَاحِدٌ عَلَى جَمَاعَةٍ وَرَدَّ وَاحِدٌ مِنْهُمْ سَقَطَ الفَرْضُ عَنْ جَمِيعِهِمْ.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ**»(٢).

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما، أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ رَسُولَ اللهِ ﷺ: أَيُّ الْإِسْلَامِ خَيْرٌ؟ قَالَ: «**أَنْ تُطْعِمَ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأَ السَّلَامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ**»(٣). وَمَعْنَى قَوْلِهِ: أَيُّ الْإِسْلَامِ خَيْرٌ: يُرِيدُ: أَيُّ خِصَالِ الْإِسْلَامِ خَيْرٌ.

وَقِيلَ: ﴿فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ﴾: مَعْنَاهُ: أَيْ: إِذَا كَانَ الَّذِي سَلَّمَ مُسْلِمًا، ﴿أَوْ رُدُّوهَآ﴾: بِمِثْلِهَا إِذَا لَمْ يَكُنْ مُسْلِمًا.

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ الْيَهُودَ إِذَا سَلَّمَ**

---

(١) **صحيح:** صحَّحه العلَّامة الألباني رحمه الله في "صحيح وضعيف سنن أبي داود" (٥١٩٥).

(٢) **صحيح:** مسلم: (٥٤).

(٣) **صحيح:** البخاري: (١٢)، ومسلم: (٣٩).

عَلَيْكُمْ أَحَدُهُمْ فَإِنَّمَا يَقُولُ: السَّامُ عَلَيْكَ، فَقُلْ: وَعَلَيْكَ»[1]. [وَمَعْنَى قَوْلِهِ: «السَّامُ عَلَيْكَ»: أَيِ: المَوْتُ].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾: أَيْ: عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مِنْ رَدِّ السَّلَامِ بِمِثْلِهِ أَوْ بِأَحْسَنَ مِنْهُ ﴿حَسِيبًا﴾: أَيْ: مُحَاسِبًا مُجَازِيًا، **وَقَالَ مُجَاهِدٌ**: حَفِيظًا، **وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ**: كَافِيًا، يُقَالُ: (حَسْبِي هَذَا)، أَيْ: كَفَانِي.

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِۗ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾ ۞ فَمَا لَكُمْ فِي ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓاْۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُواْ مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُۖ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ﴾: **اللَّامُ**: لَامُ القَسَمِ تَقْدِيرُهُ: وَاللهِ لَيَجْمَعَنَّكُمْ فِي الْمَوْتِ وَفِي الْقُبُورِ ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾: وَسُمِّيَتِ الْقِيَامَةُ قِيَامَةً؛ لِأَنَّ النَّاسَ يَقُومُونَ مِنْ قُبُورِهِمْ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا﴾[المَعارِج:٤٣]، **وَقِيلَ**: لِقِيَامِهِمْ إِلَى الْحِسَابِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[المُطَفِّفِين:٦]، ﴿لَا رَيْبَ فِيهِۗ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾: أَيْ: قَوْلًا وَوَعْدًا، وَقَرَأَ حَمْزَةُ وَالكِسَائِيُّ: ﴿أَصْدَقُ﴾ صَادٌ سَاكِنَةٌ بَعْدَهَا دَالٌ بِإِشْمَامِ الزَّايِ.

﴿فَمَا لَكُمْ فِي ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ﴾: نَزَلَتْ فِي الَّذِينَ تَخَلَّفُوا يَوْمَ أُحُدٍ مِنَ الْمُنَافِقِينَ، فَلَمَّا رَجَعُوا قَالَ بَعْضُ الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم لِرَسُولِ اللهِ ﷺ: اقْتُلْهُمْ فَإِنَّهُمْ مُنَافِقُونَ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: اعْفُ عَنْهُمْ؛ فَإِنَّهُمْ تَكَلَّمُوا بِالْإِسْلَامِ.

عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ رضي الله عنه قَالَ: لَمَّا خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى أُحُدٍ رَجَعَ نَاسٌ مِمَّنْ خَرَجَ مَعَهُ وَكَانَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ فِرْقَتَيْنِ: فِرْقَةٌ تَقُولُ نُقَاتِلُهُمْ، وَفِرْقَةٌ تَقُولُ لَا نُقَاتِلُهُمْ، فَنَزَلَتْ: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓاْۚ﴾ وَقَالَ: «**إِنَّهَا طَيْبَةُ**

(١) **صحيح:** البخاري: (٦٢٥٧)، ومسلم: (٢١٦٤).

تَنفِي الذُّنُوبَ كَمَا تَنْفِي النَّارُ خَبَثَ الفِضَّةِ»(١).

﴿فَمَا لَكُمۡ﴾: يَا مَعْشَرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿فِي ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيۡنِ﴾: أَيْ: صِرْتُمْ فِيهِمْ فِئَتَيْنِ، أَيْ: فِرْقَتَيْنِ ﴿وَٱللَّهُ أَرۡكَسَهُم﴾: أَيْ نَكَّسَهُمْ وَرَدَّهُمْ إِلَى الْكُفْرِ ﴿بِمَا كَسَبُوٓاْۚ﴾: بِأَعْمَالِهِمْ غَيْرِ الزَّاكِيَةِ، ﴿أَتُرِيدُونَ أَن تَهۡدُواْ﴾: أَيْ: أَنْ تُرْشِدُوا ﴿مَنۡ أَضَلَّ ٱللَّهُۖ﴾: وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: أَتَقُولُونَ أَنَّ هَؤُلَاءِ مُهْتَدُونَ وَقَدْ أَضَلَّهُمُ اللهُ؟ ﴿وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ﴾: أَيْ: مَنْ يُضْلِلْهُ اللهُ عَنِ الْهُدَى ﴿فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلٗا﴾: أَيْ: طَرِيقًا إِلَى الحَقِّ.

﴿وَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءٗۖ فَلَا تَتَّخِذُواْ مِنۡهُمۡ أَوۡلِيَآءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَخُذُوهُمۡ وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡۖ وَلَا تَتَّخِذُواْ مِنۡهُمۡ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرًا ﴿٨٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٌ أَوۡ جَآءُوكُمۡ حَصِرَتۡ صُدُورُهُمۡ أَن يُقَٰتِلُوكُمۡ أَوۡ يُقَٰتِلُواْ قَوۡمَهُمۡۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمۡ عَلَيۡكُمۡ فَلَقَٰتَلُوكُمۡۚ فَإِنِ ٱعۡتَزَلُوكُمۡ فَلَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ وَأَلۡقَوۡاْ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمۡ عَلَيۡهِمۡ سَبِيلٗا ﴿٩٠﴾ سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأۡمَنُوكُمۡ وَيَأۡمَنُواْ قَوۡمَهُمۡ كُلَّ مَا رُدُّوٓاْ إِلَى ٱلۡفِتۡنَةِ أُرۡكِسُواْ فِيهَاۚ فَإِن لَّمۡ يَعۡتَزِلُوكُمۡ وَيُلۡقُوٓاْ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَمَ وَيَكُفُّوٓاْ أَيۡدِيَهُمۡ فَخُذُوهُمۡ وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡۚ وَأُوْلَٰٓئِكُمۡ جَعَلۡنَا لَكُمۡ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٗا مُّبِينٗا﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَدُّواْ﴾: تَمَنَّوْا، يَعْنِي: أُولَئِكَ الَّذِينَ رَجَعُوا عَنِ الدِّينِ تَمَنَّوْا ﴿لَوۡ تَكۡفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءٗۖ﴾: فِي الْكُفْرِ، وَقَوْلُهُ: ﴿فَتَكُونُونَ﴾: لَمْ يُرِدْ بِهِ جَوَابُ التَّمَنِّي؛ لِأَنَّ جَوَابَ التَّمَنِّي بِالْفَاءِ مَنْصُوبٌ، إِنَّمَا أَرَادَ النَّسَقَ، أَيْ: وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ وَوَدُّوا لَوْ تَكُونُونَ سَوَاءً، مِثْلَ قَوْلِهِ: ﴿وَدُّواْ لَوۡ تُدۡهِنُ فَيُدۡهِنُونَ﴾[الْقَلَم:٩]، أَيْ: وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ وَوَدُّوا لَوْ تُدْهِنُونَ، ﴿فَلَا تَتَّخِذُواْ مِنۡهُمۡ أَوۡلِيَآءَ﴾: مَنَعَ مِنْ مُوَالَاتِهِمْ ﴿حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾: مَعَكُمْ، **قَالَ عِكْرِمَةُ**: هِيَ هِجْرَةٌ أُخْرَى، وَالْهِجْرَةُ عَلَى ثَلَاثَةِ أَوْجُهٍ: هِجْرَةُ الْمُؤْمِنِينَ فِي أَوَّلِ الْإِسْلَامِ، وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لِلۡفُقَرَآءِ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ﴾[الْحَشْر:٨]،

---

(١) **صحيح**: البخاري: (٤٠٥٠)، ومسلم: (٢٧٧٦)، وهو في "الصحيح المُسند من أسباب النزول" للإمام الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ ص(٨٤).

وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾[النِّسَاء:١٠٠]، وَنَحْوهُمَا مِنَ الْآيَاتِ، وَهِجْرَةُ الْمُنَافِقِينَ، وَهِيَ الْخُرُوجُ فِي سَبِيلِ اللهِ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ صَابِرًا مُحْتَسِبًا، كَمَا حَكَي هَاهُنَا، مَنَعَ مِنْ مُوَالَاتِهِمْ حَتَّى يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللهِ، وَهِجْرَةُ سَائِرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَهِيَ مَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**الْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللهُ عَنْهُ**»[(١)].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟﴾: أَعْرَضُوا عَنِ التَّوْحِيدِ وَالْهِجْرَةِ، ﴿فَخُذُوهُمْ﴾: أَيْ: خُذُوهُمْ أُسَارَى، وَمِنْهُ يُقَالُ لِلْأَسِيرِ: (أَخِيذٌ)، ﴿وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾: فِي الْحِلِّ وَالْحَرَمِ، ﴿وَلَا تَتَّخِذُوا۟ مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾. ثُمَّ اسْتَثْنَى طَائِفَةً مِنْهُمْ فَقَالَ: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍۭ﴾: وَهَذَا الِاسْتِثْنَاءُ يَرْجِعُ إِلَى الْقَتْلِ لَا إِلَى الْمُوَالَاةِ؛ لِأَنَّ مُوَالَاةَ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ لَا تَجُوزُ بِحَالٍ، وَمَعْنَى: ﴿يَصِلُونَ﴾: أَيْ: يَنْتَسِبُونَ إِلَيْهِمْ وَيَتَّصِلُونَ بِهِمْ وَيَدْخُلُونَ فِيهِمْ بِالْحِلْفِ وَالجِوَارِ، **قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ** رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: يُرِيدُ: يَلْجَؤُونَ إِلَى قَوْمٍ ﴿بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ﴾: أَيْ: عَهْدٌ.

وَقَوْلُهُ: ﴿أَوْ جَآءُوكُمْ﴾: أَيْ: يَتَّصِلُونَ بِقَوْمٍ جَاؤُوكُمْ، ﴿حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ﴾: أَيْ: ضَاقَتْ صُدُورُهُمْ، قَرَأَ الْحَسَنُ وَيَعْقُوبُ: ﴿حَصِرَةً﴾ مَنْصُوبَةً مُنَوَّنَةً، أَيْ: ضَيِّقَةً صُدُورُهُمْ، يَعْنِي: القَوْمَ الَّذِينَ جَاؤُوكُمْ، وَهُمْ بَنُو مُدْلَجٍ، كَانُوا عَاهَدُوا أَنْ لَا يُقَاتِلُوا الْمُسْلِمِينَ، وَعَاهَدُوا قُرَيْشًا أَنْ لَا يُقَاتِلُوهُمْ، ﴿حَصِرَتْ﴾: ضَاقَتْ صُدُورُهُمْ، ﴿أَن يُقَٰتِلُوكُمْ﴾: أَيْ: عَنْ قِتَالِكُمْ لِلْعَهْدِ الَّذِي بَيْنَكُمْ، ﴿أَوْ يُقَٰتِلُوا۟ قَوْمَهُمْ﴾: يَعْنِي: مَنْ أَمِنَ مِنْهُمْ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَاهُ: أَنَّهُمْ لَا يُقَاتِلُونَكُمْ مَعَ قَوْمِهِمْ وَلَا يُقَاتِلُونَ قَوْمَهُمْ مَعَكُمْ، يَعْنِي: قُرَيْشًا قَدْ ضَاقَتْ صُدُورُهُمْ لِذَلِكَ، **وَقَالَ بَعْضُهُمْ:** ﴿أَوْ﴾: بِمَعْنَى: الْوَاوِ، كَأَنَّهُ يَقُولُ: إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَجَاؤُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ، أَيْ: حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ عَنْ قِتَالِكُمْ وَالْقِتَالِ مَعَكُمْ، وَهُمْ قَوْمُ هِلَالٍ الأَسْلَمِيُّونَ وَبَنُو بَكْرٍ نَهَى اللهُ سُبْحَانَهُ عَنْ قِتَالِ هَؤُلَاءِ الْمُرْتَدِّينَ إِذَا اتَّصَلُوا بِأَهْلِ عَهْدٍ لِلْمُسْلِمِينَ؛ لِأَنَّ مَنِ انْضَمَّ إِلَى قَوْمٍ ذَوِي عَهْدٍ فَلَهُ حُكْمُهُمْ فِي حَقْنِ الدَّمِ.

(١) **صحيح:** البخاري: (١٠).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَـٰتَلُوكُمْ﴾: يَذْكُرُ مِنَّتَهُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ بِكَفِّ بَأْسِ الْمُعَاهِدِينَ، يَقُولُ: إِنَّ ضِيقَ صُدُورِهِمْ عَنْ قِتَالِكُمْ لِمَا أَلْقَى اللهُ فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الرُّعْبِ وَكَفَّهُمْ عَنْ قِتَالِكُمْ، وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ مَعَ قَوْمِهِمْ، ﴿فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ﴾: أَيْ: اعْتَزَلُوا قِتَالَكُمْ ﴿فَلَمْ يُقَـٰتِلُوكُمْ﴾: وَمَنِ اتَّصَلَ بِهِمْ ﴿وَأَلْقَوْاْ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ﴾: أَيْ: الصُّلْحَ فَانْقَادُوا وَاسْتَسْلَمُوا ﴿فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾: أَيْ: طَرِيقًا بِالقَتْلِ وَالقِتَالِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ﴾: فَلَا تَتَعَرَّضُوا لَهُمْ، ﴿وَيَأْمَنُواْ قَوْمَهُمْ﴾: فَلَا يَتَعَرَّضُوا لَهُمْ، ﴿كُلَّ مَا رُدُّوٓاْ إِلَى ٱلْفِتْنَةِ﴾: أَيْ: دُعُوا إِلَى الشِّرْكِ ﴿أُرْكِسُواْ فِيهَا﴾: أَيْ: رَجَعُوا وَعَادُوا إِلَى الشِّرْكِ، ﴿فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ﴾: أَيْ: فَإِنْ لَمْ يَكُفُّوا عَنْ قِتَالِكُمْ حَتَّى تَسِيرُوا إِلَى مَكَّةَ، ﴿وَيُلْقُوٓاْ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ﴾: أَيِ: الْمُفَادَاةَ وَالصُّلْحَ، ﴿وَيَكُفُّوٓاْ أَيْدِيَهُمْ﴾: أَيْ: وَلَمْ يَقْبِضُوا أَيْدِيَهُمْ عَنْ قِتَالِكُمْ، ﴿فَخُذُوهُمْ﴾: أُسَرَاءَ، ﴿وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾: أَيْ: وَجَدْتُمُوهُمْ، ﴿وَأُوْلَـٰٓئِكُمْ﴾: أَيْ: أَهْلُ هَذِهِ الصِّفَةِ ﴿جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنًا مُّبِينًا﴾: أَيْ: حُجَّةً بَيِّنَةً ظَاهِرَةً بِالْقَتْلِ وَالقِتَالِ.

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ۚ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُواْ ۚ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَـٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٢﴾ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَـٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا﴾: وَهَذَا نَهْيٌ عَنْ قَتْلِ الْمُؤْمِنِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ﴾[الْأَحْزَاب:٥٣]، ﴿إِلَّا خَطَـًٔا﴾: اسْتِثْنَاءٌ مُنْقَطِعٌ مَعْنَاهُ: لَكِنْ إِنْ وَقَعَ خَطأً، ﴿وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ

مُّؤۡمِنَةٖ ﴾: أَيْ: فَعَلَيْهِ إِعْتَاقُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ كَفَّارَةٌ ﴿وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ ﴾: كَامِلَةٌ ﴿إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦٓ ﴾: أَيْ: إِلَى أَهْلِ القَتِيلِ الَّذِينَ يَرِثُونَهُ، ﴿إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُواْۚ ﴾: أَيْ: يَتَصَدَّقُوا بِالدِّيَةِ فَيَعْفُوا وَيَتْرُكُوا الدِّيَةَ ﴿فَإِن كَانَ مِن قَوۡمٍ عَدُوّٖ لَّكُمۡ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖۖ ﴾: أَرَادَ بِهِ إِذَا كَانَ الرَّجُلُ مُسْلِمًا فِي دَارِ الْحَرْبِ، مُنْفَرِدًا مَعَ الْكُفَّارِ، فَقَتَلَهُ مَنْ لَمْ يَعْلَمْ بِإِسْلَامِهِ فَلَا دِيَةَ عَلَيْهِ، وَعَلَيْهِ الْكَفَّارَةُ، **وَقِيلَ**: الْمُرَادُ مِنْهُ: إِذَا كَانَ الْمَقْتُولُ مُسْلِمًا فِي دَارِ الْإِسْلَامِ وَهُوَ مِنْ نَسَبِ قَوْمٍ كُفَّارٍ، وَقَرَابَتُهُ فِي دَارِ الْحَرْبِ حَرْبٌ لِلْمُسْلِمِينَ، فَفِيهِ الْكَفَّارَةُ وَلَا دِيَةَ لِأَهْلِهِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِن كَانَ مِن قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٞ فَدِيَةٞ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ وَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖۖ ﴾: أَرَادَ بِهِ إِذَا كَانَ الْمَقْتُولُ كَافِرًا ذِمِّيًّا أَوْ مُعَاهدًا فَتَجِبُ فِيهِ الدِّيَةُ وَالْكَفَّارَةُ، وَالْكَفَّارَةُ تَكُونُ: بِإِعْتَاقِ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ، سَوَاءٌ كَانَ الْمَقْتُولُ مُسْلِمًا أَوْ مُعَاهِدًا، رَجُلًا كَانَ أَوِ امْرَأَةً، حُرًّا كَانَ أَوْ عَبْدًا، وَتَكُونُ فِي مَالِ الْقَاتِلِ.

﴿فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ شَهۡرَيۡنِ مُتَتَابِعَيۡنِ﴾: وَالْقَاتِلُ إِنْ كَانَ وَاجِدًا لِلرَّقَبَةِ، أَوْ قَادِرًا عَلَى تَحْصِيلِهَا بِوُجُودِ ثَمَنِهَا فَاضِلًا عَنْ نَفَقَتِهِ، وَنَفَقَةِ عِيَالِهِ، وَحَاجَتِهِ مِنْ: مَسْكَنٍ وَنَحْوِهِ، فَعَلَيْهِ الْإِعْتَاقُ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَنْتَقِلَ إِلَى الصَّوْمِ، فَإِنْ عَجَزَ عَنْ تَحْصِيلِهَا فَعَلَيْهِ صَوْمُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ، فَإِنْ أَفْطَرَ يَوْمًا مُتَعَمِّدًا فِي خِلَالِ الشَّهْرَيْنِ أَوْ نَسِيَ النِّيَّةَ وَنَوَى صَوْمًا آخَرَ وَجَبَ عَلَيْهِ اسْتِئْنَافُ الشَّهْرَيْنِ، وَإِنَّ أَفْطَرَ يَوْمًا بِعُذْرِ مَرَضٍ أَوْ سَفَرٍ فَهَلْ يَنْقَطِعُ التَّتَابُعُ؟ **اخْتَلَفَ أَهْلُ الْعِلْمِ فِيهِ، فَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ**: يَنْقَطِعُ وَعَلَيْهِ اسْتِئْنَافُ الشَّهْرَيْنِ، وَهُوَ قَوْلُ النَّخَعِيِّ وَأَظْهَرُ قَوْلَي الشَّافِعِيِّ رضي الله عنه؛ لِأَنَّهُ أَفْطَرَ مُخْتَارًا، **وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ**: لَا يَنْقَطِعُ، وَعَلَيْهِ أَنْ يَبْنِيَ، وَهُوَ قَوْلُ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ وَالْحَسَنِ وَالشَّعْبِيِّ. وَلَوْ حَاضَتِ الْمَرْأَةُ فِي خِلَالِ الشَّهْرَيْنِ: أَفْطَرَتْ أَيَّامَ الْحَيْضِ وَلَا يَنْقَطِعُ التَّتَابُعُ، فَإِذَا طَهُرَتْ بَنَتْ عَلَى مَا صَامَتْ؛ لِأَنَّهُ أَمْرٌ مَكْتُوبٌ عَلَى النِّسَاءِ لَا يُمْكِنُهُنَّ الِاحْتِرَازُ عَنْهُ، فَإِنْ عَجَزَ عَنِ الصَّوْمِ فَهَلْ يَخْرُجُ عَنْهُ بِإِطْعَامِ سِتِّينَ مِسْكِينًا،

فِيهِ قَوْلَانِ، أَحَدُهُمَا: يَخْرُجُ كَمَا فِي كَفَّارَةِ الظِّهَارِ، وَالثَّانِي: لَا يَخْرُجُ؛ لِأَنَّ الشَّرْعَ لَمْ يَذْكُرْ لَهُ بَدَلًا فَقَالَ: ﴿فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ﴾.

﴿تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ﴾: أَيْ: جَعَلَ اللهُ ذَلِكَ تَوْبَةً لِقَاتِلِ الْخَطَأِ ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا﴾: بِمَنْ قَتَلَ خَطَأً، ﴿حَكِيمًا﴾: فِيمَا حَكَمَ بِهِ عَلَيْكُمْ.

أَمَّا الْكَلَامُ فِي بَيَانِ الدِّيَةِ فَاعْلَمْ أَنَّ الْقَتْلَ عَلَى ثَلَاثَةِ أَنْوَاعٍ: عَمْدٌ مَحْضٌ، وَشِبْهُ عَمْدٍ، وَخَطَأٌ مَحْضٌ، أَمَّا العَمْدُ الْمَحْضُ فَهُوَ: أَنْ يَقْصِدَ قَتْلَ إِنْسَانٍ بِمَا يُقْصَدُ بِهِ الْقَتْلُ غَالِبًا، فَقَتَلَهُ، فَفِيهِ الْقِصَاصُ عِنْدَ وُجُودِ التَّكَافُؤِ، أَوْ دِيَةٌ مُغْلظَةٌ فِي مَالِ الْقَاتِلِ حَالَّةٌ. وَشِبْهُ الْعَمْدِ: أَنْ يَقْصِدَ ضَرْبَهُ بِمَا لَا يَمُوتُ مِثْلَهُ مِنْ ذَلِكَ الضَّرْبِ غَالِبًا، بِأَنْ ضَرَبَهُ بِعَصًا خَفِيفَةٍ أَوْ حَجَرٍ صَغِيرٍ ضَرْبَةً أَوْ ضَرْبَتَيْنِ، فَمَاتَ، فَلَا قِصَاصَ فِيهِ، بَلْ تَجِبُ فِيهِ دِيَةٌ مُغَلَّظَةٌ عَلَى عَاقِلَتِهِ مُؤَجَّلَةٌ إِلَى ثَلَاثِ سِنِينَ. وَالْخَطَأُ الْمَحْضُ هُوَ: أَنْ لَا يَقْصِدَ قَتْلَهُ بَلْ قَصَدَ شَيْئًا آخَرَ، فَأَصَابَهُ فَمَاتَ مِنْهُ فَلَا قِصَاصَ فِيهِ، بَلْ تَجِبُ فِيْهِ دِيَةٌ مُخَفَّفَةٌ عَلَى عَاقِلَتِهِ مُؤَجَّلَةٌ إِلَى ثَلَاثِ سِنِينَ.

وَتَجِبُ الْكَفَّارَةُ فِي مَالِهِ فِي الْأَنْوَاعِ كُلِّهَا، وَعِنْدَ أَبِي حَنِيفَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَتْلُ الْعُمَدِ لَا يُوجِبُ الْكَفَّارَةَ؛ لِأَنَّهُ كَبِيرَةٌ كَسَائِرِ الْكَبَائِرِ.

وَدِيَةُ الْحُرِّ الْمُسْلِمِ مِائَةٌ مِنَ الْإِبِلِ فَإِذَا عُدِمَتِ الْإِبِلُ وَجَبَتْ قِيمَتُهَا مِنَ الدَّرَاهِمِ أَوِ الدَّنَانِيرِ فِي قَوْلٍ، وَفِي قَوْلٍ يَجِبُ بَدَلٌ مُقَدَّرٌ مِنْهَا، وَهُوَ أَلْفُ دِينَارٍ، أَوِ اثْنَا عَشَرَ أَلْفَ دِرْهَمٍ؛ لِمَا رُوِيَ عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ فَرَضَ الدِّيَةَ عَلَى أَهْلِ الذَّهَبِ أَلْفَ دِينَارٍ، وَعَلَى أَهْلِ الْوَرَقِ اثْنَى عَشَرَ أَلْفَ دِرْهَمٍ. وَذَهَبَ قَوْمٌ: إِلَى أَنَّ الْوَاجِبَ فِي الدِّيَةِ مِائَةٌ مِنَ الْإِبِلِ أَوْ أَلْفُ دِينَارٍ أَوِ اثْنَا عَشَرَ أَلْفَ دِرْهَمٍ، وَهُوَ قَوْلُ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ وَالْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، وَبِهِ قَالَ مَالِكٌ، وَذَهَبَ قَوْمٌ: إِلَى أَنَّهَا مِائَةٌ مِنَ الْإِبِلِ، أَوْ أَلْفُ دِينَارٍ، أَوْ عَشَرَةُ آلَافِ دِرْهَمٍ، وَهُوَ قَوْلُ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ وَأَصْحَابِ الرَّأْيِ.

وَدِيَةُ الْمَرْأَةِ: نِصْفُ دِيَةِ الرَّجُلِ. وَدِيَةُ أَهْلِ الذِّمَّةِ وَالْعَهْدِ: ثُلُثُ دِيَةِ الْمُسْلِمِ إِنْ كَانَ كِتَابِيًّا، وَإِنْ كَانَ مَجُوسِيًّا فَخُمُسُ الدِّيَةِ، رُوِيَ عَنْ عُمَرَ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ: دِيَةُ الْيَهُودِيِّ وَالنَّصْرَانِيِّ أَرْبَعَةُ آلَافِ دِرْهَمٍ، وَدِيَةُ المَجُوسِيِّ ثَمَانُمِائَةِ دِرْهَم، وَهُوَ قَوْلُ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ وَالحَسَنِ، وَذَهَبَ إِلَيْهِ الشَّافِعِيُّ رضي الله عنه، وَذَهَبَ قَوْمٌ: إِلَى أَنَّ دِيَةَ الذِّمِّيِّ وَالْمُعَاهِدِ مِثْلُ دِيَةِ الْمُسْلِمِ، رُوِيَ ذَلِكَ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، وَهُوَ قَوْلُ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ وَأَصْحَابِ الرَّأْيِ، وَقَالَ قَوْمٌ: دِيَةُ الذِّمِّيِّ نِصْفُ دِيَةِ الْمُسْلِمِ وَهُوَ قَوْلُ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ، وَبِهِ قَالَ مَالِكٌ وَأَحْمَدُ رحمهما الله.

وَالدِّيَةُ فِي الْعَمْدِ الْمَحْضِ وَشِبْهِ الْعَمْدِ مُغَلَّظَةٌ بِالسِّنِّ، فَيَجِبُ ثَلَاثُونَ حُقَّةً، وَثَلَاثُونَ جَذَعَةً، وَأَرْبَعُونَ خَلِفَةً فِي بُطُونِهَا أَوْلَادُهَا، وَهُوَ قَوْلُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ وَزَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ رضي الله عنهما، وَبِهِ قَالَ عَطَاءٌ، وَإِلَيْهِ ذَهَبَ الشَّافِعِيُّ رضي الله عنه، لِمَا جَاءَ **عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ** رضي الله عنهما، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: **«أَلَا إِنَّ فِي قَتْلِ الْعَمْدِ الْخَطَأَ بِالسَّوْطِ أَوِ الْعَصَا مِائَةً مِنَ الْإِبِلِ مُغَلَّظَةً، مِنْهَا أَرْبَعُونَ خَلِفَةً فِي بُطُونِهَا أَوْلَادُهَا»**(١).

وَذَهَبَ قَوْمٌ إِلَى أَنَّ الدِّيَةَ الْمُغَلَّظَةَ أَرْبَاعٌ: خَمْسٌ وَعِشْرُونَ بِنْت مَخَاضٍ، وَخَمْسٌ وَعِشْرُونَ بِنْت لَبُونٍ، وَخَمْسٌ وَعِشْرُونَ حُقَّةً، وَخَمْسٌ وَعِشْرُونَ جَذَعَةً، وَهُوَ قَوْلُ الزُّهْرِيِّ وَرَبِيعَةَ، وَبِهِ قَالَ مَالِكٌ وَأَحْمَدُ وَأَصْحَابُ الرَّأْيِ.

وَأَمَّا دِيَةُ الْخَطَأِ فَمُخَفَّفَةٌ، وَهِيَ أَخْمَاسٌ بِالِاتِّفَاقِ، غَيْرَ أَنَّهُمُ اخْتَلَفُوا فِي تَقْسِيمِهَا، فَذَهَبَ قَوْمٌ: إِلَى أَنَّهَا عِشْرُونَ بِنْت مَخَاضٍ، وَعِشْرُونَ بِنْت لَبُونٍ، وَعِشْرُونَ ابْنَ لَبُونٍ، وَعِشْرُونَ حُقَّةً، وَعِشْرُونَ جَذَعَةً، وَهُوَ قَوْلُ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَسُلَيْمَانَ بْنِ يَسَارٍ وَالزُّهْرِيِّ وَرَبِيعَةَ، وَبِهِ قَالَ مَالِكٌ وَالشَّافِعِيُّ رحمهم الله، وَأَبْدَلَ قَوْمٌ بَنِي اللَّبُونِ بِبَنَاتِ المَخَاضِ يُرْوَى ذَلِكَ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه وَبِهِ قَالَ أَحْمَدُ وَأَصْحَابُ الرَّأْيِ.

(١) **صحيح:** صحَّحه العلَّامة الألباني رحمه الله في "صحيح وضعيف سنن النسائي" (٤٧٩٩).

وَدِيَةُ الْأَطْرَافِ عَلَى هَذَا التَّقْدِيرِ. وَدِيَةُ الْمَرْأَةِ فِيهَا عَلَى النِّصْفِ مِنْ دِيَةِ الرَّجُلِ، وَالدِّيَةُ فِي قَتْلِ الخَطَأِ وَشِبْهِ الْعَمْدِ عَلَى الْعَاقِلَةِ، وَهُمْ عَصَبَاتُ الْقَاتِلِ مِنَ الذُّكُورِ، وَلَا يَجِبُ عَلَى الْجَانِي مِنْهَا شَيْءٌ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَوْجَبَهَا عَلَى العَاقِلَةِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ﴾: أَيْ: طَرَدَهُ عَنِ الرَّحْمَةِ ﴿وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾: **اخْتَلَفُوا فِي حُكْمِ هَذِهِ الْآيَةِ، فَحُكِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ** رضي الله عنهما أَنَّ قَاتِلَ الْمُؤْمِنِ عَمْدًا لَا تَوْبَةَ لَهُ، فَقِيلَ لَهُ: أَلَيْسَ قَدْ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ الْفُرْقَانِ: ﴿وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ﴾؟ فَقَالَ: كَانَتْ هَذِهِ الآيَةُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَذَلِكَ أَنَّ أُنَاسًا مِنْ أَهْلِ الشِّرْكِ كَانُوا قَدْ قَتَلُوا وَزَنَوْا، فَأَتَوْا رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقَالُوا: إِنَّ الَّذِي تَدْعُو إِلَيْهِ لَحَسَنٌ، لَوْ تُخْبِرُنَا أَنَّ لِمَا عَمِلْنَا كَفَّارَةٌ، فَنَزَلَتْ: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ إِلَى قَوْلِهِ ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ﴾[الفُرْقَان:٦٨-٧٠]، فَهَذِهِ لِأُولَئِكَ، وَأَمَّا الَّتِي فِي النِّسَاءِ فَالرَّجُلُ إِذَا عَرَفَ الْإِسْلَامَ وَشَرَائِعَهُ ثُمَّ قَتَلَ مُسْلِمًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ(١).

وَقَالَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ: لَمَّا نَزَلَتِ الَّتِي فِي الْفُرْقَانِ: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾، عَجِبْنَا مِنْ لِينِهَا، فَلَبِثْنَا سَبْعَةَ أَشْهُرٍ، ثُمَّ نَزَلَتِ الْغَلِيظَةُ بَعْدَ اللَّيِّنَةِ فَنَسَخَتِ اللَّيِّنَةَ. وَأَرَادَ بِالْغَلِيظَةِ هَذِهِ الْآيَةَ، وَبِاللَّيِّنَةِ آيَةَ الْفُرْقَانِ.

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: تِلْكَ آيَةٌ مَكِّيَّةٌ، وَهَذِهِ مَدَنِيَّةٌ وَلَمْ يَنْسَخْهَا شَيْءٌ(٢).

وَالَّذِي عَلَيْهِ الْأَكْثَرُونَ -وَهُوَ مَذْهَبُ أَهْلِ السُّنَّةِ- أَنَّ قَاتِلَ الْمُسْلِمِ عَمْدًا تَوْبَتُهُ مَقْبُولَةٌ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾[طه:٨٢]، وَقَالَ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾[النِّسَاء:٤٨]، وَمَا رُوِيَ عَنِ ابْنِ

(١) **صحيح:** البخاري: (٤٧٦٥)، و(٤٨١٠)، ومسلم: (١٢٢)، و(٣٠٢٣).

(٢) **صحيح:** البخاري: (٤٧٦٢)، ومسلم: (٣٠٢٣).

عَبَّاسٍ رضي الله عنهما فَهُوَ تَشْدِيدٌ وَمُبَالَغَةٌ فِي الزَّجْرِ عَنِ الْقَتْلِ كَمَا رُوِيَ عَنْ سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ أَنَّهُ قَالَ: إِنْ لَمْ يَقْتُلْ يُقَالُ لَهُ: لَا تَوْبَةَ لَك، وَإِنْ قَتَلَ ثُمَّ جَاءَ يُقَالُ: لَكَ تَوْبَةٌ. ويُرْوَى مِثْلُهُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما[(١)].

وَقِيلَ: إِنَّهُ وَعِيدٌ لِمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا مُسْتَحِلًّا لِقَتْلِهِ بِسَبَبِ إِيمَانِهِ، وَمَنِ اسْتَحَلَّ قَتْلَ أَهْلِ الْإِيمَانِ لِإِيمَانِهِمْ كَانَ كَافِرًا مُخَلَّدًا فِي النَّارِ، وَقِيلَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا﴾: مَعْنَاهُ: هِيَ جَزَاؤُهُ إِنْ جازَاه، وَلَكِنَّهُ إِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ بِذَنْبِهِ وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُ بِكَرَمِهِ؛ فَإِنَّهُ وَعَدَ أَنْ يَغْفِرَ لِمَنْ يَشَاءُ.

وَالدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ غَيْرَ الشِّرْكِ لَا يُوجِبُ التَّخْلِيدَ فِي النَّارِ مَا رُوِّيْنَاهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ**»[(٢)].

عَنِ الزُّهْرِيِّ قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبُو إِدْرِيسَ عَائِذُ اللهِ بْنُ عَبْدِ اللهِ: أَنَّ **عُبَادَةَ بْنَ الصَّامِتِ** رضي الله عنه -وَكَانَ شَهِدَ بَدْرًا، وَهُوَ أَحَدُ النُّقَبَاءِ لَيْلَةَ العَقَبَةِ- أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ

(١) قال العلَّامة الألباني رحمه الله في «السلسلة الصحيحة» (٦/ ٧١٠-٧١٢): **تنبيهان:** الأوَّل: كلُّ هذه الروايات المتقدمة صريحة في تأخُّر نزول آية (النساء) عن آية (الفرقان)... الثاني: في رواية البخاري المتقدمة عن ابن عباس أنه قال: «لَا تَوْبَةَ لِلْقَاتِلِ عَمْدًا»، وهذا مشهور عنه له طرق كثيرة كما قال ابن كثير وابن حجر، والجمهورُ على خلافه، وهو الصَّواب الذي لا ريب فيه، وآيةُ (الفرقان) صريحة في ذلك، ولا تخالفها آية (النساء)؛ لأن هذه في عقوبة القاتل وليست في توبته، وهذا ظاهر جدًّا، وكأنه لذلك رجع إليه كما وقفتُ عليه في بعض الرِّواياتِ عنه، رأيتُ أنَّهُ لابُدَّ مِن ذكرها؛ لِعِزَّتِها وإغفالِ الحافظين لها: الأُولَى: ما رواه عطاء بن يسار عنه، أنه أتاهُ رجلٌ، فقال: إنِّي خطبتُ امرأةً فأَبَتْ أن تَنكِحَنِي، وخطبها غيري فأَحَبَّت أن تنكحه، فغرت عليها فقتلتها، فهل لي من توبة؟ قال: «أُمُّكَ حَيَّةٌ»؟ قال: لا، قال: «تُبْ إِلَى اللهِ ﷻ، وَتَقَرَّبْ إِلَيْهِ مَا اسْتَطَعْتَ»، فذهبتُ فسألتُ ابنَ عبَّاسٍ: لِمَ سألتَهُ عن حياة أُمِّه؟ فقال: «إِنِّي لَا أَعْلَمُ عَمَلًا أَقْرَبُ إِلَى اللهِ ﷻ مِنْ بِرِّ الوَالِدَةِ». أخرجهُ البُخاريُّ في «الأدب المفرد» رقم (٤) بسندٍ صحيح على شرط «الصحيحين». الثَّانيةُ: ما رواهُ سعيدٌ، عن ابن عباسٍ في قوله: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا﴾ قال: «لَيْسَ لِقَاتِلٍ تَوْبَةٌ، إِلَّا أَنْ يَسْتَغْفِرَ اللهَ»، أخرجهُ ابنُ جرير (٥/ ١٣٨) بسندٍ جَيِّدٍ، ولعلَّهُ يعني أنه لا يُغفَرُ له على قوله الأوَّل، ثُمَّ استدرك على نفسه فقال: «إِلَّا أَنْ يَسْتَغْفِرَ اللهَ». والله أعلم.اهـ

(٢) **صحيح:** البخاري: (٧٤٨٧)، ومسلم: (٩٤) عن أبي ذر رضي الله عنه.

قَالَ وَحَوْلَهُ عِصَابَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ: «بَايِعُونِي عَلَى أَنْ لَا تُشْرِكُوا بِاللهِ شَيْئًا، وَلَا تَسْرِقُوا، وَلَا تَزْنُوا، وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ، وَلَا تَأْتُوا بِبُهْتَانٍ تَفْتَرُونَهُ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ، وَلَا تَعْصُوا فِي مَعْرُوفٍ، فَمَنْ وَفَّى مِنْكُمْ فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَعُوقِبَ فِي الدُّنْيَا فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا ثُمَّ سَتَرَهُ اللهُ عَلَيْهِ فَهُوَ إِلَى اللهِ، إِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ وَإِنْ شَاءَ عَاقَبَهُ»، فَبَايَعْنَاهُ عَلَى ذَلِكَ[1].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنۡ أَلۡقَىٰٓ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسۡتَ مُؤۡمِنٗا تَبۡتَغُونَ عَرَضَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٞۚ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبۡلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَتَبَيَّنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا﴾

قَوْلُهُ ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: يَعْنِي: إِذَا سَافَرْتُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ، يَعْنِي: الْجِهَادَ، ﴿فَتَبَيَّنُواْ﴾: قَرَأَ حَمْزَةُ وَالْكِسَائِيُّ هَاهُنَا فِي مَوْضِعَيْنِ وَفِي سُورَةِ الْحُجُرَاتِ بِالتَّاءِ وَالثَّاءِ مِنَ التَّثْبِيتِ، أَيْ: قِفُوا حَتَّى تَعْرِفُوا الْمُؤْمِنَ مِنَ الْكَافِرِ، وَقَرَأَ الْآخَرُونَ بِالْيَاءِ وَالنُّونِ مِنَ التَّبَيُّنِ، يُقَالُ: (تَبَيَّنْتُ الْأَمْرَ) إِذَا تَأَمَّلْتَهُ، ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَمَ﴾: هَكَذَا قَرَأَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ وَابْنُ عَامِرٍ وَحَمْزَةُ، أَيِ: الْمَعَاذَةُ، وَهُوَ قَوْلُ: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ)، وَقَرَأَ الْآخَرُونَ: ﴿ٱلسَّلَٰمَ﴾: وَهُوَ السَّلَامُ الَّذِي هُوَ تَحِيَّةُ الْمُسْلِمِينَ؛ لِأَنَّهُ كَانَ قَدْ سَلَّمَ عَلَيْهِمْ، **وَقِيلَ**: السَّلَمُ وَالسَّلَامُ وَاحِدٌ، أَيْ: لَا تَقُولُوا لِمَنْ سَلَّمَ عَلَيْكُمْ ﴿لَسۡتَ مُؤۡمِنٗا تَبۡتَغُونَ عَرَضَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾: يَعْنِي: تَطْلُبُونَ الْغُنْمَ وَالْغَنِيمَةَ، وَ﴿عَرَضَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾: مَنَافِعَهَا وَمَتَاعَهَا، ﴿فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ﴾: أَيْ غَنَائِمُ ﴿كَثِيرَةٞۚ﴾، **وَقِيلَ**: ثَوَابٌ كَثِيرٌ لِمَنِ اتَّقَى قَتْلَ الْمُؤْمِنِ، ﴿كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبۡلُ﴾: **قَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ**: كَذَلِكَ كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ إِيمَانَكُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ﴾: بِإِظْهَارِ الْإِسْلَامِ، **وَقَالَ قَتَادَةُ**: كُنْتُمْ ضُلَّالًا مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللهُ عَلَيْكُمْ بِالْإِسْلَامِ وَالْهِدَايَةِ، **وَقِيلَ**: مَعْنَاهُ: كَذَلِكَ

---

(١) **صحيح**: البخاري: (١٨)، ومسلم: (١٧٠٩).

كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ تَأْمَنُونَ فِي قَوْمِكُمْ بِـ(لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ) قَبْلَ الْهِجْرَةِ فَلَا تُخِيفُوا مَنْ قَالَهَا فَمَنَّ اللهُ عَلَيْكُمْ بِالْهِجْرَةِ ﴿فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾: أَنْ تَقْتُلُوا مُؤْمِنًا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾[1].

﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: الْآيَة. **عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ** رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ: رَأَيْتُ مَرْوَانَ بْنَ الْحَكَمِ جَالِسًا فِي الْمَسْجِدِ، فَأَقْبَلْتُ حَتَّى جَلَسْتُ إِلَى جَنْبِهِ، فَأَخْبَرَنَا أَنَّ **زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ** رضي الله عنه أَخْبَرَهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَمْلَى

---

(١) قال الإمام الوادعي رحمه الله: **قال الإمامُ البخاريُّ** رحمه الله ج(٩) ص(٣٢٧): حدثني علي بن عبد الله حدثنا سفيان عن عمرو عن عطاء **عن ابن عبَّاسٍ** رضي الله عنهما: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾ قال: قال ابنُ عبَّاسٍ: كان رجل في غنيمة له، فَلَحِقَهُ المسلمون، فقال: السَّلامُ عليكُم، فقتلُوهُ وأخذُوا غنيمتَهُ، فأنزل اللهُ في ذلك إلى قولِهِ: ﴿تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ تلك الغنيمة. الحديث أخرجه مسلم ج(١٨) ص(١٦١)، والترمذي ج(٤) ص(٩٠) وقال هذا حديث حسن، قال المباركفوري: وأخرجه أبو دواد في الحروف، والنسائي في السير، وفي التفسير.اهـ

قال الإمامُ أحمد رحمه الله ج(٦) ص(١١): حدثنا يعقوب، حدثنا أبي، عن إسحاق، حدثني يزيد بن عبد الله بن قُسَيطٍ، عن القعقاع بن عبد الله بن أبي حَدْرَدٍ، عن أبيه **عبدِ الله بن أبي حَدْرَدٍ** قال: بعثنا رسول الله ﷺ إلى إِضَمَ، فخرجتُ في نفرٍ من المسلمين، فيهم أبو قتادة الحارثُ بن رِبعِيٍّ، ومُحَلِّمُ بنُ جَثَّامة بن قيس، فخرجنا حتى إذا كنا ببطن إِضَمَ مَرَّ بنا عامرٌ الأشجعيُّ على قَعُودٍ له مُتَيعٌ ووَطْبٌ مِن لبنٍ، فلمَّا مرَّ بنا سلَّم علينا، فأمسكنا عنه، وحَمَلَ عليه مُحَلِّمُ بن جَثَّامَةَ فقتَلَهُ بشيءٍ كان بينه وبينه، وأخذ بَعِيرَهُ ومُتَيْعَهُ، فلمَّا قَدِمنَا على رسول الله ﷺ وأخبرناه الخبر نزل فينا القرآن: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ ۚ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾. الحديث أخرجه ابن الجارود ص(٢٦٣)، والحديث حسنٌ لغيره.. قال الحافظ في «الفتح» ج(٩) ص(٣٢٧): وهذه عندي قصة أخرى، ولا مانع أن تكون الآية نزلت في الأمرين معًا. ينظر «الصحيح المسند من أسباب النزول» ص(٨٥-٨٦).

عَلَيْهِ: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، قَالَ: فَجَاءَهُ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ وَهُوَ يُمْلِيهَا عَلَيَّ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ لَوْ أَسْتَطِيعُ الْجِهَادَ لَجَاهَدْتُ، وَكَانَ رَجُلًا أَعْمَى، فَأَنْزَلَ اللهُ ﷻ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ وَفَخِذُهُ عَلَى فَخِذِي، فَثَقُلَتْ عَلَيَّ حَتَّى خِفْتُ أَنْ تَرُضَّ فَخِذِي، ثُمَّ سُرِّيَ عَنْهُ، فَأَنْزَلَ اللهُ ﷻ: ﴿غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ﴾[1].

فَهَذِهِ الْآيَةُ فِي فَضْلِ الْجِهَادِ وَالْحَثِّ عَلَيْهِ، فَقَالَ: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: عَنِ الْجِهَادِ ﴿غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ﴾: قَرَأَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ وَابْنُ عَامِرٍ وَالْكِسَائِيُّ بِنَصْبِ الرَّاءِ، أَيْ: إِلَّا أُولِي الضَّرَرِ، وَقَرَأَ الْآخَرُونَ بِرَفْعِ الرَّاءِ عَلَى نَعْتِ الْقَاعِدِينَ يُرِيدُ: لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ الَّذِينَ هُمْ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ، أَيْ: غَيْرُ أُولِي الزَّمَانَةِ وَالضَّعْفِ فِي الْبَدَنِ وَالْبَصَرِ ﴿وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ﴾: غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ؛ فَإِنَّهُمْ يُسَاوُونَ الْمُجَاهِدِينَ؛ لِأَنَّ الْعُذْرَ أَقْعَدَهُمْ.

عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَمَّا رَجَعَ مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ، فَدَنَا مِنَ الْمَدِينَةِ فَقَالَ: «**إِنَّ فِي الْمَدِينَةِ لَأَقْوَامًا مَا سِرْتُمْ مِنْ مَسِيرٍ وَلَا قَطَعْتُمْ مِنْ وَادٍ إِلَّا كَانُوا مَعَكُمْ فِيهِ**» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ؟ قَالَ: «**نَعَمْ وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ، حَبَسَهُمُ الْعُذْرُ**»[2].

وَرَوَى مِقْسَمٌ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ﴾: عَنْ بَدْرٍ وَالْخَارِجُونَ إِلَى بَدْرٍ[3].

---

(١) **صحيح**: البخاري: (٢٨٣٢)، ومسلم: (١٨٩٨)، وهو في "الصحيح المسند من أسباب النزول" ص(٨٧) للإمام الوادعي رحمه الله.

(٢) **صحيح**: البخاري: (٤٤٢٣).

(٣) قال الإمام الوادعي رحمه الله: **قال الإمامُ ابنُ حِبَّان** كما في "الموارد" ص(٤٢٩): أخبرنا أحمد بن علي بن المُثنَّى، حدثنا إبراهيم بن الحجاج السامي، حدثنا عبد الواحد بن زياد، حدثنا عاصم بن كُليب، حدثني أبي، **عن خالِي الفَلَتَانِ بن عاصِم**، قال: كُنَّا عند النبيِّ ﷺ، فأُنزلَ عليه، وكانَ إذا أُنزلَ عليه دَامَ بصرُه، وفَرَغَ سمعُه وقلبُه، مفتوحةٌ عيناهُ لِمَا يأتيه من الله، فكُنَّا نعرفُ ذلك، فقال للكاتبِ: «اكْتُبْ: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾»، قال: فقام الأعمى، فقال: يا رسول =

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً﴾: أَيْ: فَضِيلَةً، وَقِيلَ: أَرَادَ بِالْقَاعِدِينَ هَاهُنَا: أُولِي الضَّرَرِ، فَضَّلَ اللهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَيْهِمْ دَرَجَةً؛ لِأَنَّ الْمُجَاهِدَ بَاشَرَ الجِهَادَ مَعَ النِّيَّةِ، وَأُولِي الضَّرَرِ كَانَتْ لَهُمْ نِيَّةٌ وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يُبَاشِرُوا، فَنَزَلُوا عَنْهُمْ بِدَرَجَةٍ ﴿وَكُلًّا﴾: يَعْنِي الْمُجَاهِدَ وَالْقَاعِدَ ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾: يَعْنِي الْجَنَّةَ بِإِيمَانِهِمْ، وَقَالَ مُقَاتِلٌ: يَعْنِي الْمُجَاهِدَ وَالْقَاعِدَ الْمَعْذُورَ، ﴿وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾: يَعْنِي: عَلَى القَاعِدِينَ مِنْ غَيْرِ عُذْرٍ، ﴿دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾.

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**يَا أَبَا سَعِيدٍ، مَنْ رَضِيَ بِاللهِ رَبًّا وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ**»، قَالَ: فَعَجِبَ لَهَا أَبُو سَعِيدٍ

= اللهِ ما ذنبُنا؟! فأنزلَ اللهُ عليه، فقلنا للأعمى: إنَّه يُنزَلُ على النبيِّ ﷺ، فبقي قائمًا، ويقولُ: أعوذُ باللهِ من غضب رسول الله ﷺ، قال فقال النبيُّ ﷺ للكاتب: «اكْتُبْ: ﴿غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ﴾». قُلتُ: في الأصح: أعوذُ بغضب رسول الله ﷺ. هذا حديث حسن.

قال الإمام الألبانيُّ رحمه الله: قلتُ: كذا الأصل! ويبدو من قولِ مؤلِّفه عقب الحديث: (قُلتُ: في الأصح: أَعُوذُ بغضب..) أنَّه الذي في نسختِه من أصل كتابِه «صحيح ابن حبان»، لكن الذي في طبعتي «الإحسان» وأصله «مسند أبي يعلى» موافق لما صححه، وهو مشكل؛ لِمَا هو معلومٌ أنَّهُ لا يُستعاذ بمخلوق، ولفظ الطبراني (١٨/ ٣٣٤/ ٨٥٦): (أَتُوبُ إلى الله)، فلعلَّهُ الصَّوابُ.

ثُمَّ قال الإمام الوادعي رحمه الله: **قال الترمذي** رحمه الله: حَدَّثَنَا الحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ الزَّعْفَرَانِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا الحَجَّاجُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ قَالَ: أَخْبَرَنِي عَبْدُ الكَرِيمِ، سَمِعَ مِقْسَمًا مَوْلَى عَبْدِ اللهِ بْنِ الحَارِثِ، يُحَدِّثُ **عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ**، أَنَّهُ قَالَ: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ﴾: عَنْ بَدْرٍ وَالخَارِجُونَ إِلَى بَدْرٍ، لَمَّا نَزَلَتْ غَزْوَةُ بَدْرٍ قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ جَحْشٍ وَابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ: «إِنَّا أَعْمَيَانِ يَا رَسُولَ اللهِ، فَهَلْ لَنَا رُخْصَةٌ؟» فَنَزَلَتْ: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾، فَهَؤُلَاءِ القَاعِدُونَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ، ﴿وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ﴾ عَلَى القَاعِدِينَ مِنَ المُؤْمِنِينَ غَيْرِ أُولِي الضَّرَرِ. هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الوَجْهِ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَمِقْسَمٌ يُقَالُ: هُوَ مَوْلَى عَبْدِ اللهِ بْنِ الحَارِثِ، وَيُقَالُ: هُوَ مَوْلَى ابْنِ عَبَّاسٍ، وَكُنْيَتُهُ أَبُو القَاسِمِ. قلتُ: لم يكُن عبد الله بن جحش أعمى، وقد جزم الحافظ في «الفتح» بأنَّ الصواب: أبو أحمد بن جحش. «أسباب النزول» ص(٨٦-٨٩)، «صحيح الموارد» (٢/ ١٧٣).

فَقَالَ: أَعِدْهَا عَلَيَّ يَا رَسُولَ اللهِ، فَفَعَلَ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**وَأُخْرَى يَرْفَعُ اللهُ بِهَا الْعَبْدَ مِائَةَ دَرَجَةٍ فِي الْجَنَّةِ مَا بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ**»، قَالَ: وَمَا هِيَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ، الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ**»(١).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَصَامَ رَمَضَانَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللهِ** عز وجل **أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، جَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللهِ أَوْ جَلَسَ فِي أَرْضِهِ الَّتِي وُلِدَ فِيهَا**»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَفَلَا نُنْذِرُ النَّاسَ بِذَلِكَ؟ قَالَ: «**إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا اللهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِهِ، مَا بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ؛ فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلَى الْجَنَّةِ أُرَاهُ، وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ**»(٢).

وَاعْلَمْ أَنَّ الْجِهَادَ فِي الْجُمْلَةِ فَرْضٌ، غَيْرَ أَنَّهُ يَنْقَسِمُ إِلَى: فَرْضِ الْعَيْنِ، وَفَرْضِ الْكِفَايَةِ، فَفَرْضُ الْعَيْنِ: أَنْ يَدْخُلَ الْكُفَّارُ دَارَ قَوْمٍ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، فَيَجِبُ عَلَى كُلِّ مُكَلَّفٍ مِنَ الرِّجَالِ مِمَّنْ لَا عُذْرَ لَهُ مِنْ أَهْلِ تِلْكَ الْبَلْدَةِ الْخُرُوجُ إِلَى عَدُوِّهِمْ حُرًّا كَانَ أَوْ عَبْدًا، غَنِيًّا كَانَ أَوْ فَقِيرًا؛ دَفْعًا عَنْ أَنْفُسِهِمْ وَعَنْ جِيرَانِهِمْ، وَهُوَ فِي حَقِّ مَنْ بَعُدَ مِنْهُمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَرْضٌ عَلَى الْكِفَايَةِ، فَإِنْ لَمْ تَقَعِ الْكِفَايَةُ بِمَنْ نَزَلَ بِهِمْ يَجِبُ عَلَى مَنْ بَعُدَ مِنْهُمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ عَوْنُهُمْ، وَإِنْ وَقَعَتِ الْكِفَايَةُ بِالنَّازِلِينَ بِهِمْ فَلَا فَرْضَ عَلَى الْأَبْعَدِينَ إِلَّا عَلَى طَرِيقِ الِاخْتِيَارِ، وَلَا يَدْخُلُ فِي هَذَا الْقِسْمِ الْعَبِيدُ وَالْفُقَرَاءُ، وَمِنْ هَذَا الْقَبِيلِ أَنْ يَكُونَ الْكُفَّارُ قَارِّينَ فِي بِلَادِهِمْ، فَعَلَى الْإِمَامِ أَنْ لَا يُخَلِّي سَنَةً عَنْ غَزْوَةٍ يَغْزُوهَا بِنَفْسِهِ أَوْ بِسَرَايَاهُ حَتَّى لَا يَكُونَ الْجِهَادُ مُعَطَّلًا، وَالِاخْتِيَارُ لِلْمُطِيقِ الْجِهَادِ مَعَ وُقُوعِ الْكِفَايَةِ بِغَيْرِهِ: أَنْ لَا يَقْعُدَ عَنِ الْجِهَادِ، وَلَكِنْ لَا يُفْتَرَضُ لِأَنَّ اللهَ تَعَالَى وَعَدَ الْمُجَاهِدِينَ وَالْقَاعِدِينَ الثَّوَابَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ فَقَالَ ﴿وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ﴾، فَلَو كَانَ فَرْضًا عَلَى الْكَافَّةِ لَاسْتَحَقَّ الْقَاعِدُ الْعِقَابَ لَا الثَّوَابَ.

---

(١) **صحيح:** مسلم: (١٨٨٤).

(٢) **صحيح:** البخاري: (٢٧٩٠).

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾: الْآيَة، نَزَلَتْ فِي نَاسٍ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ تَكَلَّمُوا بِالْإِسْلَام وَلَمْ يُهَاجِرُوا، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾: أَرَادَ بِهِ: مَلَكَ الْمَوْتِ وَأَعْوَانَهُ، أَوْ أَرَادَ مَلَكَ الْمَوْتِ وَحْدَهُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ﴾[السَّجْدَة:١١]، وَالْعَرَبُ قَدْ تُخَاطِبُ الْوَاحِدَ بِلَفْظِ الْجَمْعِ، ﴿ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾: بِالشِّرْكِ، وَهُوَ نَصْبٌ عَلَى الْحَالِ، أَيْ: فِي حَالِ ظُلْمِهِمْ، قِيلَ: أَيْ: بِالْمُقَام فِي دَارِ الشِّرْكِ؛ لِأَنَّ الله تَعَالَى لَمْ يَقْبَلِ الْإِسْلَامَ بَعْدَ هِجْرَةِ النَّبِيِّ ﷺ إِلَا بِالْهِجْرَةِ، ثُمَّ نُسِخَ بَعْدَ فَتْحِ مَكَّةَ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لَا هِجْرَةَ بَعْدَ الْفَتْحِ**(١)»، ﴿قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ﴾: أَيْ: فِي مَاذَا كُنْتُمْ؟ أَوْ: فِي أَيِّ الْفَرِيقَيْنِ كُنْتُمْ؟ أَفِي الْمُسْلِمِينَ؟ أَمْ فِي الْمُشْرِكِينَ؟ سُؤَالُ تَوْبِيخٍ وَتَعْبِيرٍ، فَاعْتَذَرُوا بِالضَّعْفِ عَنْ مُقَاوَمَةِ أَهْلِ الشِّرْكِ، وَ﴿قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ﴾: عَاجِزِينَ ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾: يَعْنِي: أَرْض مَكَّةَ، ﴿قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا﴾: يَعْنِي: إِلَى الْمَدِينَةِ وَتَخْرُجُوا مِنْ مَكَّةَ مِنْ بَيْنِ أَهْلِ الشِّرْكِ؟ فَأَكْذَبَهُمُ اللهُ تَعَالَى وَأَعْلَمَنَا بِكَذِبِهِمْ فَقَالَ: ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ﴾: مَنْزِلُهُمْ ﴿جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾: أَيْ: بِئْسَ الْمَصِيرُ إِلَى جَهَنَّمَ. ثُمَّ اسْتَثْنَى أَهْلَ الْعُذْرِ مِنْهُمْ، فَقَالَ: ﴿إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً﴾: لَا يَقْدِرُونَ عَلَى حِيلَةٍ وَلَا عَلَى نَفَقَةٍ وَلَا عَلَى قُوَّةٍ لِلْخُرُوجِ مِنْهَا، ﴿وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾: أَيْ: لَا يَعْرِفُونَ طَرِيقًا إِلَى الْخُرُوجِ، **وَقَالَ مُجَاهِد**: لَا يَعْرِفُونَ طَرِيقَ الْمَدِينَةِ(٢).

---

(١) **صحيح**: البخاري: (٢٧٨٣)، ومسلم: (١٨٦٤).

(٢) قال العلّامة الإمام الوادعي رَحِمَهُ اللهُ: **قال الإمامُ البخاريُّ** ج(٩) صـ(٣٢١): حدثنا عبد الله بن يزيد المقرئ، حدثنا حَيْوَةُ وغيرُهُ، قالا: حدثنا محمد بن عبد الرحمن أبو الأسود، قال: قُطِع على أهل =

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعۡفُوَ عَنۡهُمۡۚ﴾: يَتَجَاوَزَ عَنْهُمْ، وَ(عَسَى) مِنَ اللهِ وَاجِبٌ؛ لِأَنَّهُ لِلْإِطْمَاعِ، وَاللهُ تَعَالَى إِذَا أَطْمَعَ عَبْدًا أَوْصَلَهُ إِلَيْهِ، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾: **قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ** رضي الله عنهما: كُنْتُ أَنَا وَأُمِّي مِمَّنْ عَذَرَ اللهُ، يَعْنِي: الْمُسْتَضْعَفِينَ، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدْعُو لِهَؤُلَاءِ الْمُسْتَضْعَفِينَ فِي الصَّلَاةِ.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا قَالَ: (سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ) فِي الرَّكْعَةِ الْآخِرَةِ مِنْ صَلَاةِ الْعِشَاءِ، قَنَتَ: «**اللَّهُمَّ أَنْجِ عَيَّاشَ بْنَ أَبِي رَبِيعَةَ، اللَّهُمَّ أَنْجِ الْوَلِيدَ بْنَ الْوَلِيدِ، اللَّهُمَّ أَنْجِ سَلَمَةَ بْنَ هِشَامٍ، اللَّهُمَّ أَنْجِ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، اللَّهُمَّ اشْدُدْ وَطْأَتَكَ عَلَى مُضَرَ، اللَّهُمَّ اجْعَلْهَا سِنِينَ كَسِنِي يُوسُفَ**»[(١)] يَجْهَرُ بِذَلِكَ.

﴿۞ وَمَن يُهَاجِرۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُرَٰغَمٗا كَثِيرٗا وَسَعَةٗۚ وَمَن يَخۡرُجۡ مِنۢ بَيۡتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدۡرِكۡهُ ٱلۡمَوۡتُ فَقَدۡ وَقَعَ أَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا (١٠٠) وَإِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَقۡصُرُواْ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنۡ خِفۡتُمۡ أَن يَفۡتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْۚ إِنَّ ٱلۡكَٰفِرِينَ كَانُواْ لَكُمۡ عَدُوّٗا مُّبِينٗا﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَن يُهَاجِرۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُرَٰغَمٗا كَثِيرٗا وَسَعَةٗۚ﴾: **قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ** رضي الله عنهما: ﴿مُرَٰغَمٗا﴾: أَيْ: مُتَحَوَّلًا يَتَحَوَّلُ إِلَيْهِ، **وَقَالَ مُجَاهِدٌ**: مُتَزَحْزَحًا عَمَّا يَكْرَهُ، **وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ**: الْمُرَاغَمُ: الْمُهَاجَرُ، يُقَالُ: (رَاغَمْتُ قَوْمِي وَهَاجَرْتُهُمْ)، وَهُوَ الْمُضْطَرَبُ وَالْمَذْهَبُ، **قِيلَ**: سُمِّيَتِ الْمُهَاجَرَةُ مُرَاغَمًا؛ لِأَنَّ مَنْ يُهَاجِرْ يُرَاغِمْ قَوْمَهُ، ﴿وَسَعَةٗۚ﴾: أَيْ: فِي الرِّزْقِ، **وَقِيلَ**: سَعَةً مِنَ الضَّلَالَةِ إِلَى الْهُدَى، ﴿وَمَن يَخۡرُجۡ مِنۢ بَيۡتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدۡرِكۡهُ ٱلۡمَوۡتُ﴾: أَيْ: قَبْلَ بُلُوغِهِ إِلَى مُهَاجَرِهِ،

= المدينة بعثٌ فأكتُتِبتُ فيه، فلَقِيتُ عِكرِمَةَ مولى ابن عباس فأخبرتُهُ، فنهاني عن ذلك أشدَّ النهي، ثم قال: أخبرني **ابن عبَّاس** أنَّ ناسًا من المسلمين كانوا مع المشركين، يُكثِّرون سوادَ المشركين على عهد رسول الله ﷺ يأتي السَّهمُ فيُرمى به فيُصِيبُ أحدَهُم فيقتُلُه، أو يُضرَبُ فيُقتَلُ، فأنزل الله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡ﴾ الآية. «الصحيح المسند من أسباب النزول» صـ(٨٩).

(١) **صحيح**: البخاري: (٦٣٩٦)، ومسلم: (٦٧٥).

﴿فَقَدۡ وَقَعَ﴾: أَيْ: وَجَبَ ﴿أَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۗ﴾: بِإِيجَابِهِ عَلَى نَفْسِهِ فَضْلًا مِنْهُ، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾[(١)].

قَوْلُهُ ﷻ: ﴿وَإِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾: أَيْ: سَافَرْتُمْ، ﴿فَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ﴾: أَيْ: حَرَجٌ وَإِثْمٌ ﴿أَن تَقۡصُرُواْ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ﴾: يَعْنِي: مِنْ أَرْبَعِ رَكَعَاتٍ إِلَى رَكْعَتَيْنِ، وَذَلِكَ فِي صَلَاةِ الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ وَالْعَشَاءِ، ﴿إِنۡ خِفۡتُمۡ أَن يَفۡتِنَكُمُ﴾: أَيْ: يَغْتَالَكُمْ وَيَقْتُلَكُمْ ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْۚ﴾: فِي الصَّلَاةِ، نَظِيرُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿عَلَىٰ خَوۡفٖ مِّن فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِمۡ أَن يَفۡتِنَهُمۡۚ﴾[يُونُس:٨٣]، أَيْ: يَقْتُلَهُمْ؛ ﴿إِنَّ ٱلۡكَٰفِرِينَ كَانُواْ لَكُمۡ عَدُوّٗا مُّبِينٗا﴾: أَيْ: ظَاهِرَ الْعَدَاوَةِ.

اعْلَمْ أَنَّ قَصْرَ الصَّلَاةِ فِي السَّفَرِ جَائِزٌ بِإِجْمَاعِ الْأُمَّةِ، وَاخْتَلَفُوا فِي جَوَازِ الْإِتْمَامِ، فَذَهَبَ أَكْثَرُهُمْ: إِلَى أَنَّ الْقَصْرَ وَاجِبٌ، وَهُوَ قَوْلُ **عُمَرَ وَعَلِيٍّ وَابْنِ عُمَرَ وَجَابِرٍ وَابْنِ عَبَّاسٍ** ﭫ، وَبِهِ قَالَ **الْحَسَنُ وَعُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَقَتَادَةُ**، وَهُوَ قَوْلُ **مَالِكٍ وَأَصْحَابِ الرَّأْيِ**؛ لِمَا رُوِيَ **عَنْ عَائِشَةَ** ﭬ أَنَّهَا قَالَتْ: الصَّلَاةُ أَوَّلُ مَا

---

(١) قال العلَّامة الإمام الوادعي ﵀: **قال الإمام ابن جرير** ﵀ ج(٥) صـ(٢٤٠): حدثنا أحمد بن منصور الرَّمَاديُّ، قال: حدثنا أبو أحمد الزُّبَيريُّ، قال: حدثنا شريكٌ، عن عمرو بن دينار، عن عكرمة، **عن ابن عباس**، قال: نزلت هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡ﴾، وكان بمكة رجل يُقال له ضَمُرة من بني بكر، وكان مريضًا، فقال لأهله: أخرجوني من مكَّة؛ فإني أجدُ الحَرَّ، فقالوا: أين نُخرجك؟ فأشار بيده نحو المدينة، فنزلت هذه الآية: ﴿وَمَن يَخۡرُجۡ مِنۢ بَيۡتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ..﴾ إلى آخر الآية. الحديث رجاله ثقات... والصَّواب في الحديث أنه مُرسَل، والله أعلم، لكن الحديث له طريق أُخرى تنتهي إلى عكرمة عن ابن عباس في "المطالب العالية" صـ(٤٣٣) رواه أبو يعلى، قال الهيثمي ج(٧) صـ(١٠) من "المجمع": ورجاله ثقات، وفيها: فمات في الطريق قبل أن يصل إلى النبي ﷺ، وأخرجه ابن أبي حاتم كما في "تفسير ابن كثير" ج(١) صـ(٥٤٣). وذكر الحافظ في "الإصـــابة" له طُرُقًا أُخَر فلتراجع هنالك ج(١) صـ(٢٥٣) ترجمة جندع بن ضمرة. ينظر "الصحيح المسند من أسباب النزول" صـ(٩٠-٩١).

قال العلَّامة الألباني ﵀: وله شواهد كثيرة مرسلة بأسانيد مختلفة يقطع الواقف عليها بصحة حديث ابن عباس هذا، فراجعها إن شئت في "تفسير ابن جرير". "السلسلة الصحيحة" (٧/ ٦٦٧).

فُرِضَتْ رَكْعَتَيْنِ رَكْعَتَيْنِ فِي الْحَضَرِ وَالسَّفَرِ، فَأُقِرَّتْ صَلَاةُ السَّفَرِ وَأُتِمَّتْ صَلَاةُ الحَضَرِ(١).

وَذَهَبَ قَوْمٌ: إِلَى جَوَازِ الْإِتْمَامِ، رُوِيَ ذَلِكَ عَنْ **عُثْمَانَ وَسَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ** رضي الله عنهما، وَبِهِ قَالَ **الشَّافِعِيُّ** رضي الله عنه، إِنْ شَاءَ أَتَمَّ وَإِنْ شَاءَ قَصَرَ، وَالْقَصْرُ أَفْضَلُ، وَظَاهِرُ الْقُرْآنِ يَدُلُّ عَلَى هَذَا؛ لِأَنَّهُ قَالَ: ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ﴾، وَلَفْظُ: (فَلَا جُنَاحَ) إِنَّمَا يُسْتَعْمَلُ فِي الرُّخَصِ لَا فِيمَا يَكُونُ حَتْمًا، فَظَاهِرُ الْآيَةِ يُوجِبُ أَنَّ الْقَصْرَ لَا يَجُوزُ إِلَّا عِنْدَ الْخَوْفِ، وَلَيْسَ الْأَمْرُ عَلَى ذَلِكَ، إِنَّمَا نَزَلَتِ الْآيَةُ عَلَى غَالِبِ أَسْفَارِ النَّبِيِّ ﷺ، وَأَكْثَرُهَا لَمْ يَخْلُ عَنْ خَوْفِ الْعَدُوِّ، وَالْقَصْرُ جَائِزٌ فِي السَّفَرِ فِي حَالِ الْأَمْنِ عِنْدَ عَامَّةِ أَهْلِ الْعِلْمِ، وَالدَّلِيلُ عَلَيْهِ مَا ثَبَتَ عَنْ يَعْلَى بْنِ أُمَيَّةَ، قَالَ: قُلْتُ **لِعُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ** رضي الله عنه: إِنَّمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾، وَقَدْ أَمِنَ النَّاسُ، فَقَالَ عُمَرُ رضي الله عنه: عَجِبْتُ مِمَّا عَجِبْتَ مِنْهُ، فَسَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «**صَدَقَةٌ تَصَدَّقَ اللهُ بِهَا عَلَيْكُمْ، فَاقْبَلُوا صَدَقَتَهُ**»(٢).

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: سَافَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ آمِنًا لَا يَخَافُ إِلَّا اللهَ، فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ رَكْعَتَيْنِ(٣).

وَذَهَبَ قَوْمٌ إِلَى أَنَّ رَكْعَتَيِ الْمُسَافِرِ لَيْسَتَا بِقَصْرٍ، إِنَّمَا الْقَصْرُ أَنْ يُصَلِّيَ رَكْعَةً وَاحِدَةً فِي الْخَوْفِ، يُرْوَى ذَلِكَ عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه، وَهُوَ قَوْلُ عَطَاءٍ وَطَاوُسٍ وَالْحَسَنِ وَمُجَاهِدٍ، وَجَعَلُوا شَرْطَ الْخَوْفِ الْمَذْكُورِ فِي الْآيَةِ بَاقِيًا، **وَذَهَبَ أَكْثَرُ أَهْلِ الْعِلْمِ** إِلَى أَنَّ الِاقْتِصَارَ عَلَى رَكْعَةٍ وَاحِدَةٍ لَا يَجُوزُ خَائِفًا كَانَ أَوْ آمِنًا.

وَاخْتَلَفَ أَهْلُ الْعِلْمِ فِي مَسَافَةِ الْقَصْرِ، فَقَالَتْ طَائِفَةٌ: يَجُوزُ الْقَصْرُ فِي السَّفَرِ الطَّوِيلِ وَالْقَصِيرِ، رُوِيَ ذَلِكَ عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، **وَقَالَ عَمْرُو بْنُ دِينَارٍ**: قَالَ لِي

---

(١) **صحيح**: البخاري: (٣٥٠)، ومسلم: (٦٨٥).

(٢) **صحيح**: مسلم: (٦٨٦).

(٣) **صحيح**: صحَّحه العلَّامة الألباني رحمه الله في "صحيح وضعيف سنن الترمذي" (٥٤٩).

جَابِرُ بْنُ زَيْدٍ: اقْصُرْ بِعَرَفَةَ، أَمَّا عَامَّةُ الْفُقَهَاءِ فَلَا يُجَوِّزُونَ الْقَصْرَ فِي السَّفَرِ الْقَصِيرِ.

وَاخْتُلِفَ فِي حَدِّ مَا يَجُوزُ فِيهِ الْقَصْرُ، فَقَالَ الْأَوْزَاعِيُّ: مَسِيرَةَ يَوْمٍ، **وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ وَابْنُ عَبَّاسٍ** رضي الله عنهم يَقْصُرَانِ وَيُفْطِرَانِ فِي أَرْبَعَةِ بُرُدٍ، وَهِيَ سِتَّةَ عَشَرَ فَرْسَخًا، وَإِلَيْهِ ذَهَبَ **مَالِكٌ وَأَحْمَدُ وَإِسْحَاقُ، وَقَوْلُ الْحَسَنِ وَالزُّهْرِيِّ** قَرِيبٌ مِنْ ذَلِكَ، قَالَا: مَسِيرَةَ يَوْمَيْنِ، وَإِلَيْهِ ذَهَبَ **الشَّافِعِيُّ** رضي الله عنه، قَالَ: مَسِيرَةَ لَيْلَتَيْنِ قَاصِدَتَيْنِ، وَقَالَ فِي مَوْضِعٍ: سِتَّةٌ وَأَرْبَعُونَ مِيلًا بِالْهَاشِمِيِّ **وَقَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ وَأَصْحَابُ الرَّأْيِ**: مَسِيرَةَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ.

وَقِيلَ: قَوْلُهُ: ﴿إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْۚ﴾: مُتَّصِلٌ بِمَا بَعْدَهُ مِنْ صَلَاةِ الْخَوْفِ مُنْفَصِلٌ عَمَّا قَبْلَهُ، رُوِيَ عَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ أَنَّهُ قَالَ: نَزَلَ قَوْلُهُ: ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُواْ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ هَذَا الْقَدْرُ، ثُمَّ بَعْدَ حَوْلٍ سَأَلُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنْ صَلَاةِ الْخَوْفِ فَنَزَلَ: ﴿إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْۚ إِنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ كَانُواْ لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿١٠١﴾ وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ﴾ الْآيَةَ. وَمِثْلُهُ فِي الْقُرْآنِ كَثِيرٌ أَنْ يَجِيءَ الْخَبَرُ بِتَمَامِهِ ثُمَّ يُنَسَّقُ عَلَيْهِ خَبَرٌ آخَرُ، وَهُوَ فِي الظَّاهِرِ كَالْمُتَّصِلِ بِهِ، وَهُوَ مُنْفَصِلٌ عَنْهُ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾[يُوسُف:٥١]، وَهَذِهِ حِكَايَةٌ عَنِ امْرَأَةِ الْعَزِيزِ، وَقَوْلُهُ: ﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ﴾[يُوسُف:٥٢]، إِخْبَارٌ عَنْ يُوسُفَ عليه السلام.

﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓاْ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْۗ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةًۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓاْ أَسْلِحَتَكُمْۖ وَخُذُواْ حِذْرَكُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٠٢﴾ فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْۚ فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ﴾: رُوِيَ **عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ**

وَجَابِرٍ رضي الله عنهم: أَنَّ الْمُشْرِكِينَ لَمَّا رَأَوْا رَسُولَ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابَهُ قَامُوا إِلَى الظُّهْرِ يُصَلُّونَ جَمِيعًا نَدِمُوا أَنْ لَوْ كَانُوا أَكَبُّوا عَلَيْهِمْ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: دَعُوهُمْ؛ فَإِنَّ لَهُمْ بَعْدَهَا صَلَاةً هِيَ أَحَبُّ إِلَيْهِمْ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَبْنَائِهِمْ -يَعْنِي: صَلَاةَ الْعَصْرِ- فَإِذَا قَامُوا فِيهَا فَشُدُّوا عَلَيْهِمْ فَاقْتُلُوهُمْ، فَنَزَلَ جِبْرِيلُ عليه السلام فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنَّهَا صَلَاةُ الْخَوْفِ وَإِنَّ اللهَ ﷻ يَقُولُ: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ﴾[(١)].

وَجُمْلَتُهُ: أَنَّ الْعَدُوَّ إِذَا كَانُوا فِي مُعَسْكَرِهِمْ فِي غَيْرِ نَاحِيَةِ الْقِبْلَةِ فَيَجْعَلُ الْإِمَامُ الْقَوْمَ فِرْقَتَيْنِ، فَتَقِفُ طَائِفَةٌ وِجَاهَ الْعَدُوِّ تَحْرُسُهُمْ، وَيَشْرَعُ الْإِمَامُ مَعَ طَائِفَةٍ فِي الصَّلَاةِ، فَإِذَا صَلَّى بِهِمْ رَكْعَةً قَامَ وَثَبَتَ قَائِمًا حَتَّى أَتَمُّوا صَلَاتَهُمْ، وَذَهَبُوا إِلَى وِجَاهِ الْعَدُوِّ، ثُمَّ أَتَتِ الطَّائِفَةُ الثَّانِيَةِ فَصَلَّى بِهِمُ الرَّكْعَةَ الثَّانِيَةَ، وَثَبَتَ جَالِسًا حَتَّى أَتَمُّوا لِأَنْفُسِهِمُ الصَّلَاةَ، ثُمَّ يُسَلِّمُ بِهِمْ. وَهَذِهِ رِوَايَةُ **سَهْلِ بْنِ أَبِي حَثْمَةَ** رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ صَلَّى كَذَلِكَ بِذَاتِ الرِّقَاعِ[(٢)]، وَإِلَيْهِ ذَهَبَ مَالِكٌ وَالشَّافِعِيُّ وَأَحْمَدُ وَإِسْحَاقُ.

عَنْ صَالِحِ بْنِ خُوَّاتٍ، عَمَّنْ صَلَّى مَعَ النَّبِيِّ ﷺ يَوْمَ ذَاتِ الرِّقَاعِ صَلَاةَ الْخَوْفِ: أَنَّ طَائِفَةً صَفَّتْ مَعَهُ وَصَفَّتْ طَائِفَةٌ وِجَاهَ الْعَدُوِّ، فَصَلَّى بِالَّتِي مَعَهُ رَكْعَةً ثُمَّ ثَبَتَ قَائِمًا فَأَتَمُّوا لِأَنْفُسِهِمْ، ثُمَّ انْصَرَفُوا فَصَفُّوا وِجَاهَ الْعَدُوِّ، وَجَاءَتِ الطَّائِفَةُ الْأُخْرَى فَصَلَّى بِهِمُ الرَّكْعَةَ الَّتِي بَقِيَتْ مِنْ صَلَاتِهِ، ثُمَّ ثَبَتَ جَالِسًا وَأَتَمُّوا لِأَنْفُسِهِمْ، ثُمَّ سَلَّمَ بِهِمْ. قَالَ مَالِكٌ: وَذَلِكَ أَحْسَنُ مَا سَمِعْتُ فِي صَلَاةِ الْخَوْفِ[(٣)].

وَذَهَبَ قَوْمٌ إِلَى أَنَّ الْإِمَامَ إِذَا قَامَ إِلَى الرَّكْعَةِ الثَّانِيَةِ تَذْهَبُ الطَّائِفَةُ الْأُولَى فِي خِلَالِ الصَّلَاةِ إِلَى وِجَاهِ الْعَدُوِّ، وَتَأْتِي الطَّائِفَةُ الثَّانِيَةُ فَيُصَلِّي بِهِمُ الرَّكْعَةَ الثَّانِيَةَ

---

(١) قال العلامة الوادعي رحمه الله بعد أن ذكر حديث أبي عيَّاش الزُّرقي رضي الله عنه الذي في الباب: وأخرج ابن جرير ج(٥) ص(٢٥٦) والحاكم ج(٣) ص(٣) وقال: صحيح على شرط البخاري، وسكت عليه الذهبي، عن ابن عبَّاس مثله. ينظر «الصحيح المسند من أسباب النزول» ص(٩١-٩٣).

(٢) **صحيح:** البخاري: (٤١٣١)، ومسلم: (٨٤١).

(٣) **صحيح:** البخاري: (٤١٢٩)، (٤١٣٠)، ومسلم: (٨٤٢).

وَيُسَلِّمُ وَهُمْ لَا يُسَلِّمُونَ، بَلْ يَذْهَبُونَ إِلَى وِجَاهِ الْعَدُوِّ، وَتَعُودُ الطَّائِفَةُ الْأُولَى فَتُتِمُّ صَلَاتَهَا، ثُمَّ تَعُودُ الطَّائِفَةُ الثَّانِيَةُ فَتُتِمُّ صَلَاتَها، وَهَذِهِ رِوَايَةُ **عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ** رضي الله عنهما، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ صَلَّى كَذَلِكَ[1]، وَهُوَ قَوْلُ أَصْحَابِ الرَّأْيِ. وَكِلْتَا الرِّوَايَتَيْنِ صَحِيحَةٌ.

وَذَهَبَ قَوْمٌ إِلَى أَنَّ هَذَا مِنَ الاخْتِلَافِ الْمُبَاحِ، وَذَهَبَ الشَّافِعِيُّ رضي الله عنه إِلَى حَدِيثِ سَهْلِ بْنِ أَبِي حَثْمَةَ رضي الله عنه؛ لِأَنَّهُ أَشَدُّ مُوَافَقَةً لِظَاهِرِ الْقُرْآنِ، وَأَحْوَطُ لِلصَّلَاةِ، وَأَبْلَغُ فِي حِرَاسَةِ الْعَدُوِّ، وَذَلِكَ لِأَنَّ اللهَ تَعَالَى قَالَ: ﴿فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِن وَرَآئِكُمْ﴾ أَيْ: إِذَا صَلُّوا، ثُمَّ قَالَ: ﴿وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا﴾ وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الطَّائِفَةَ الْأُولَى قَدْ صَلُّوا، وَقَالَ: ﴿فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ﴾ وَمُقْتَضَاهُ أَنْ يُصَلُّوا تَمَامَ الصَّلَاةِ، فَظَاهِرُهُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ كُلَّ طَائِفَةٍ تُفَارِقُ الْإِمَامَ بَعْدَ تَمَامِ الصَّلَاةِ، وَالِاحْتِيَاطُ لِأَمْرِ الصَّلَاةِ مِنْ حَيْثُ أَنَّهُ لَا يَكْثُرُ فِيهَا الْعَمَلُ وَالذَّهَابُ وَالْمَجِيءُ، وَالِاحْتِيَاطُ لِأَمْرِ الْحَرْبِ مِنْ حَيْثُ أَنَّهُمْ إِذَا لَمْ يَكُونُوا فِي الصَّلَاةِ كَانَ أَمْكَنَ لِلْحَرْبِ وَالضَّرْبِ وَالْهَرَبِ إِنِ احْتَاجُوا إِلَيْهِ.

وَلَوْ صَلَّى الْإِمَامُ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ بِكُلِّ طَائِفَةٍ رَكْعَتَيْنِ جَازَ.

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ قَالَ: أَقْبَلْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَتَّى إِذَا كُنَّا بِذَاتِ الرِّقَاعِ وَكُنَّا إِذَا أَتَيْنَا عَلَى شَجَرَةٍ ظَلِيلَةٍ تركناها لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَسَيْفُ رَسُولِ اللهِ ﷺ مُعَلَّقٌ بِشَجَرَةٍ، فَأَخَذَ سَيْفَ نَبِيِّ اللهِ ﷺ فَاخْتَرَطَهُ، فَقَالَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ: أَتَخَافُنِي؟ قَالَ: «**لَا**»، قَالَ: فَمَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ قَالَ «**اللهُ يَمْنَعُنِي مِنْكَ**»، قَالَ: فَتَهَدَّدَهُ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: فَأَغْمَدَ السَّيْفَ وَعَلَّقَهُ فَنُودِيَ بِالصَّلَاةِ، قَالَ: فَصَلَّى بِطَائِفَةٍ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ تَأَخَّرُوا فَصَلَّى بِالطَّائِفَةِ الْأُخْرَى رَكْعَتَيْنِ، قَالَ: فَكَانَتْ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ أَرْبَعُ رَكَعَاتٍ وَلِلْقَوْمِ رَكْعَتَانِ[2].

---

(١) **صحيح:** مسلم: (٨٣٩).

(٢) **صحيح:** البخاري: (٤١٣٦)، ومسلم: (٨٤٣). **قولُهُ:** «رَجُلٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ» هو غورث بن الحارث.

وقولُهُ: «فَتَهَدَّدَهُ»: أي: خوَّفه «**أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ**»: ظاهرُه يُشعر بأنهم حضروا القصَّة، وأنه إنما =

وَرُوِيَ عَنْ حُذَيْفَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي صَلَاةِ الْخَوْفِ أَنَّهُ صَلَّى بِهَؤُلَاءِ رَكْعَةً وَبِهَؤُلَاءِ رَكْعَةً وَلَمْ يَقْضُوا. وَرَوَاهُ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ وَقَالَ: كَانَتْ لِلْقَوْمِ رَكْعَةٌ وَاحِدَةٌ، وَلِلنَّبِيِّ ﷺ رَكْعَتَانِ[(١)].

وَتَأَوَّلَهُ قَوْمٌ عَلَى صَلَاةِ شِدَّةِ الْخَوْفِ، وَقَالُوا: الْفَرْضُ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ رَكْعَةٌ وَاحِدَةٌ، وَأَكْثَرُ أَهْلِ الْعِلْمِ عَلَى أَنَّ الْخَوْفَ لَا يُنْقِصُ عَدَدَ الرَّكَعَاتِ.

فإن كَانَ الْعَدُوُّ فِي نَاحِيَةِ الْقِبْلَةِ فِي مُسْتَوَى إِنْ حَمَلُوا عَلَيْهِمْ رأوهم صلّى بهم الإمام جَمِيعًا وَحَرَسُوا فِي السُّجُودِ، كَمَا ثَبَتَ عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه قَالَ: صَلَّى رَسُولُ اللهِ ﷺ صَلَاةَ الْخَوْفِ فَصَفَفْنَا خَلْفَهُ صَفَّيْنِ، وَالْعَدُوُّ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقِبْلَةِ، فَكَبَّرَ النَّبِيُّ ﷺ وَكَبَّرْنَا جَمِيعًا، ثُمَّ رَكَعَ وَرَكَعْنَا جَمِيعًا، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ وَرَفَعْنَا جَمِيعًا، ثُمَّ انْحَدَرَ بِالسُّجُودِ وَالصَّفُّ الَّذِي يَلِيهِ، وَقَامَ الصَّفُّ الْمُؤَخَّرُ فِي نَحْرِ الْعَدُوِّ، فَلَمَّا قَضَى النَّبِيُّ ﷺ السُّجُودَ، وَقَامَ الصَّفُّ الَّذِي يَلِيهِ انْحَدَرَ الصَّفُّ الْمُؤَخَّرُ بِالسُّجُودِ، وَقَامُوا، ثُمَّ تَقَدَّمَ الصَّفُّ الْمُؤَخَّرُ وَتَأَخَّرَ الصَّفُّ الْمُقَدَّمُ، ثُمَّ رَكَعَ النَّبِيُّ ﷺ وَرَكَعْنَا جَمِيعًا، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ وَرَفَعْنَا جَمِيعًا، ثُمَّ انْحَدَرَ بِالسُّجُودِ وَالصَّفُّ الَّذِي يَلِيهِ الَّذِي كَانَ مُؤَخَّرًا فِي الرَّكْعَةِ الْأُولَى وَقَامَ الصَّفُّ الْمُؤَخَّرُ فِي نُحُورِ الْعَدُوِّ، فَلَمَّا قَضَى النَّبِيُّ ﷺ السُّجُودَ وَالصَّفُّ الَّذِي يَلِيهِ انْحَدَرَ الصَّفُّ الْمُؤَخَّرُ بِالسُّجُودِ فَسَجَدُوا، ثُمَّ سَلَّمَ النَّبِيُّ ﷺ وَسَلَّمْنَا جَمِيعًا. قَالَ جَابِرٌ: كَمَا يَصْنَعُ حَرَسُكُمْ هَؤُلَاءِ بِأُمَرَائِهِمْ[(٢)].

= رجع عما كان عزم عليه بالتهديد، وليس كذلك، فإنه وقع في رواية للبخاريِّ بعد قوله: «**فَعَلَّقَ بِهَا سَيْفَهُ**»: قوله: «**قَالَ جَابِرٌ: فَنِمْنَا نَوْمَةً، فَإِذَا رَسُولُ الله ﷺ يَدْعُونَا، فَجِئْنَا، فَإِذَا عِنْدَهُ أَعْرَابِيٌّ جَالِسٌ...**» فقد بيَّنت هذه الرواية أنَّ هذا القدر لم يحضره الصحابة، وإنما سمعوه من النبيِّ ﷺ بعد أن دعاهم واستيقظوا من نومهم. «البحر المحيط الثجاج» (١٦/ ٧٢٩).

(١) **صحيح:** صحَّحه العلامة الألباني رحمه الله في «صحيح أبي داود (الأم)» (١١٣٣).

(٢) **صحيح:** مسلم: (٨٤٠).

وَاعْلَمْ أَنَّ صَلَاةَ الْخَوْفِ جَائِزَةٌ بَعْدَ الرَّسُولِ ﷺ عِنْدَ عَامَّةِ أَهْلِ الْعِلْمِ وَيُحْكَى عَنْ بَعْضِهِمْ عَدَمَ الْجَوَازِ وَلَا وَجْهَ لَهُ، وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ: كُلُّ حَدِيثٍ رُوِيَ فِي أَبْوَابِ صَلَاةِ الْخَوْفِ فَالْعَمَلُ بِهِ جَائِزٌ، رُوِيَ فِيهَا سِتَّةُ أَوْجُهٍ أَوْ سَبْعَةُ أَوْجُهٍ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ﴾: أَيْ: شَهِيدًا مَعَهُمْ ﴿فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ﴾: أَيْ: فَلْتَقِفْ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُواْ﴾[الْبَقَرَة:٢٠]، أَيْ: وَقَفُوا، ﴿وَلْيَأْخُذُوٓاْ أَسْلِحَتَهُمْ﴾: **وَاخْتَلَفُوا فِي الَّذِينَ يَأْخُذُونَ أَسْلِحَتَهُمْ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ:** أَرَادَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ وَقَفُوا مَعَ الْإِمَامِ يُصَلُّونَ يَأْخُذُونَ الْأَسْلِحَةَ فِي الصَّلَاةِ، فَعَلَى هَذَا إِنَّمَا يَأْخُذُهُ إِذَا كَانَ لَا يُشْغِلُهُ عَنِ الصَّلَاةِ وَلَا يُؤْذِي مَنْ بِجَنْبِهِ، فَإِذَا شَغَلَتْهُ حَرَكَتُهُ وَثِقَلَتُهُ عَنِ الصَّلَاةِ كَالْجَعْبَةِ وَالتُّرْسِ الْكَبِيرِ، أَوْ كَانَ يُؤْذِي مَنْ جَنْبِهِ كَالرُّمْحِ، فَلَا يَأْخُذُهُ، **وَقِيلَ:** ﴿وَلْيَأْخُذُوٓاْ أَسْلِحَتَهُمْ﴾: أَيْ: الْبَاقُونَ الَّذِينَ قَامُوا فِي وَجْهِ الْعَدُوِّ، ﴿فَإِذَا سَجَدُواْ﴾: أَيْ: صَلُّوا ﴿فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ﴾: يُرِيدُ مَكَانَ الَّذِينَ هُمْ وِجَاهَ الْعَدُوِّ، ﴿وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّواْ﴾: وَهُمُ الَّذِينَ كَانُوا فِي وَجْهِ الْعَدُوِّ ﴿فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ﴾: **قِيلَ:** هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَتَوْا، **وَقِيلَ:** هُمُ الَّذِينَ صَلُّوا، ﴿وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ﴾: يَتَمَنَّى الْكُفَّارُ ﴿لَوْ تَغْفُلُونَ﴾: أَيْ: لَوْ وَجَدُوكُمْ غَافِلِينَ ﴿عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً﴾: فَيَقْصِدُونَكُمْ وَيَحْمِلُونَ عَلَيْكُمْ حَمْلَةً وَاحِدَةً، ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓاْ أَسْلِحَتَكُمْ﴾: رَخَّصَ فِي وَضْعِ السِّلَاحِ فِي حَالِ الْمَطَرِ وَالْمَرَضِ لِأَنَّ السِّلَاحَ يَثْقُلُ حَمْلُهُ فِي هَاتَيْنِ الْحَالَتَيْنِ ﴿وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ﴾: أَيْ: رَاقِبُوا الْعَدُوَّ كَيْلَا يَتَغَفَّلُوكُمْ، **وَالْحِذْرُ:** مَا يُتَّقَى بِهِ مِنَ الْعَدُوِّ. **قَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي هَذِهِ الْآيَةِ** ﴿إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ﴾، قَالَ: عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ وَكَانَ جَرِيحًا[(١)].

---

(١) **صحيح:** البخاري: (٤٥٩٩)، وهو في «الصحيح المسند من أسباب النزول» للإمام الوادعي رَحِمَهُ اللهُ ص(٩٤). قال الحافظ رَحِمَهُ اللهُ: **قولُهُ:** «**كَانَ جَرِيحًا**»: أي: فنزلت الآية فيه. «الفتح» (٨/ ٢٦٤).

﴿إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا﴾: يُهانُونَ فِيهِ، **وَالْجُنَاحُ**: الْإِثْمُ، مِنْ (جَنَحَتْ) إِذَا عَدَلَتْ عَنِ القَصْدِ.

﴿فَإِذَا قَضَيۡتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ﴾: يَعْنِي: صَلَاةَ الْخَوْفِ، أَيْ: فَرَغْتُمْ مِنْهَا، ﴿فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ﴾: أَيْ: صَلُّوا للهِ ﴿قِيَٰمٗا﴾: فِي حَالِ الصِّحَّةِ، ﴿وَقُعُودٗا﴾: فِي حَالِ الْمَرَضِ، ﴿وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمۡۚ﴾: عِنْدَ الجُرْحِ وَالزَّمَانَةِ، **وَقِيلَ**: اذْكُرُوا اللهَ بِالتَّسْبِيحِ وَالتَّحْمِيدِ وَالتَّهْلِيلِ وَالتَّمْجِيدِ، عَلَى كُلِّ حَالٍ.

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَذْكُرُ اللهَ عَلَى كُلِّ أَحْيَانِهِ[(١)].

﴿فَإِذَا ٱطۡمَأۡنَنتُمۡ﴾: أَيْ: سَكَنْتُمْ وَأَمِنْتُمْ، ﴿فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَۚ﴾: أَيْ: أَتِمُّوهَا أَرْبَعًا بِأَرْكَانِهَا، ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا﴾: **قِيلَ**: وَاجِبًا مَفْرُوضًا مُقَدَّرًا فِي الْحَضَرِ أَرْبَعُ رَكَعَاتٍ وَفِي السَّفَرِ رَكْعَتَانِ، **وَقَالَ مُجَاهِدٌ**: أَيْ: فَرْضًا مُؤَقَّتًا وَقَّتَهُ اللهُ عَلَيْهِمْ، وَقَدْ جَاءَ بَيَانُ أَوْقَاتِ الصَّلَاةِ فِي الْحَدِيثِ.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«أَمَّنِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عِنْدَ الْبَيْتِ مَرَّتَيْنِ، فَصَلَّى بِيَ الظُّهْرَ حِيْنَ زَالَتِ الشَّمْسُ وَكَانَتْ بِقَدرِ الشِّرَاكِ، وَصَلَّى بِيَ الْعَصْرَ حِينَ كَانَ ظِلُّ كُلِّ شَيْءٍ مِثْلَ ظِلِّهِ، وَصَلَّى بِيَ الْمَغْرِبَ حِينَ أَفْطَرَ الصَّائِمُ، وَصَلَّى بِيَ الْعَشَاءَ حِينَ غَابَ الشَّفَقُ، وَصَلَّى بِيَ الْفَجْرَ حِينَ حَرُمَ الطَّعَامُ وَالشَّرَابُ عَلَى الصَّائِمِ، فَلَمَّا كَانَ الغَدُ صَلَّى بِيَ الظُّهْرَ حِينَ كَانَ ظِلُّ كُلِّ شَيْءٍ مِثْلَ ظِلِّهِ، وَصَلَّى بِيَ الْعَصْرَ حِينَ كَانَ ظِلُّ كُلِّ شَيْءٍ مِثْلَيْهِ، وَصَلَّى بِيَ الْمَغْرِبَ حِينَ أَفْطَرَ الصَّائِمُ، وَصَلَّى بِيَ العِشَاءَ حِيْنَ ذَهَبَ ثُلُثُ اللَّيْلِ الْأَوَّلِ، وَصَلَّى بِيَ الفَجْرَ حِيْنَ أَسْفَرَ، ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَيَّ وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، هَذَا وَقْتُ الأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِكَ، وَالوَقْتُ مَا بَيْنَ هَذَيْنِ الْوَقْتَيْنِ»**[(٢)].

---

(١) **صحيح**: مسلم: (٣٧٣).

(٢) **صحيح**: صحَّحه الألباني رَحِمَهُ اللهُ في "المشكاة" (٥٨٣). **وقولُهُ**: «بِقَدرِ الشِّرَاكِ»: أي: شراك النَّعْل، وهو أحد سُيُور النعل الذي على وجهها. «أَسْفَرَ»: دخل وقتُ الإسفارِ، وهو بياض النهار. "المرقاة".

عَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّ سَائِلًا أَتَاهُ فَسَأَلَهُ عَنْ مَوَاقِيتِ الصَّلَاةِ، قَالَ: فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ شَيْئًا، ثُمَّ أَمَرَ بِلَالًا فَأَذَّنَ، ثُمَّ أَمَرَهُ فَأَقَامَ الصَّلَاةَ حِينَ انْشَقَّ الْفَجْرُ فَصَلَّى، ثُمَّ أَمَرَهُ فَأَقَامَ الظُّهْرَ، وَالْقَائِلُ يَقُولُ: قَدْ زَالَتِ الشَّمْسُ أَوْ لَمْ تَزُلْ، وَهُوَ كَانَ أَعْلَمَ مِنْهُمْ، ثُمَّ أَمَرَهُ فَأَقَامَ العَصْرَ وَالشَّمْسُ مُرْتَفِعَةٌ، ثُمَّ أَمَرَهُ فَأَقَامَ الْمَغْرِبَ حِينَ وَقَعَتِ الشَّمْسُ، ثُمَّ أَمَرَهُ فَأَقَامَ العِشَاءَ حِينَ سُقُوطِ الشَّفَقِ، قَالَ: وَصَلَّى الْفَجْرَ مِنَ الْغَدِ، وَالْقَائِلُ يَقُولُ: طَلَعَتِ الشَّمْسُ أَوْ لَمْ تَطْلُعْ، وَصَلَّى الظُّهْرَ قَرِيبًا مِنْ وَقْتِ الْعَصْرِ بِالْأَمْسِ، وَصَلَّى الْعَصْرَ، وَالْقَائِلُ يَقُولُ: قَدِ احْمَرَّتِ الشَّمْسُ، وَصَلَّى الْمَغْرِبَ قَبْلَ أَنْ يَغِيبَ الشَّفَقُ الأَحْمَرُ، وَصَلَّى الْعِشَاءَ ثُلُثَ اللَّيْلِ الْأَوَّلِ، ثُمَّ قَالَ: «**أَيْنَ السَّائِلُ عَنِ الوَقْتِ؟**»، فَقَالَ الرَّجُلُ: أَنَا يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «**مَا بَيْنَ هَذَيْنَ الوَقْتَينِ وَقْتٌ**»[(١)].

﴿ وَلَا تَهِنُوا۟ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ ۖ إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَلَا تَهِنُوا۟ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ ۖ ﴾ أَيْ: لَا تَضْعُفُوا فِي طَلَبِ القَوْمِ؛ ﴿إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ ﴾: تَتَوَجَّعُونَ مِنَ الْجِرَاحِ ﴿فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ ﴾: أَيْ: يَتَوَجَّعُونَ، يَعْنِي: الْكُفَّارَ، ﴿كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ ﴾: أَيْ: وَأَنْتُمْ مَعَ ذَلِكَ تَأْمَلُونَ مِنَ الْأَجْرِ وَالثَّوَابِ فِي الْآخِرَةِ وَالنَّصْرِ فِي الدُّنْيَا مَا لَا يَرْجُونَ، **وَقَالَ بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ: الْمُرَادُ بِالرَّجَاءِ**: الْخَوْفُ؛ لِأَنَّ كُلَّ رَاجٍ خَائِفٌ أَلَّا يُدْرِكَ مَأْمُولَهُ، وَمَعْنَى الْآيَةِ: ﴿وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ ﴾: أَيْ: تَخَافُونَ مِنَ اللهِ، أَيْ: تَخَافُونَ مِنْ عَذَابِ اللهِ مَا لَا يَخَافُونَ، **قَالَ الْفَرَّاءُ** رَحِمَهُ اللهُ: وَلَا يَكُونُ الرَّجَاءُ بِمَعْنَى الخَوْفِ إِلَّا مَعَ الجَحْدِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَغْفِرُوا۟ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ ﴾[الجاثية:١٤]، أَيْ: لَا يَخَافُونَ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾[نوح:١٣]، أَيْ: لَا تَخَافُونَ للهِ عَظَمَةً،

(١) **صحيح**: مسلم: (٦١٤).

وَلَا يَجُوزُ (رَجَوْتُكَ) بِمَعْنَى: (خِفْتُكَ)، وَلَا (خِفْتُكَ) وَأَنْتَ تُرِيدُ (رَجَوْتُكَ)، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾.

﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ وَلَا تَكُن لِّلۡخَآئِنِينَ خَصِيمٗا
(١٠٥) وَٱسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا (١٠٦) وَلَا تُجَٰدِلۡ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخۡتَانُونَ أَنفُسَهُمۡۚ إِنَّ
ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمٗا (١٠٧) يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمۡ
إِذۡ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرۡضَىٰ مِنَ ٱلۡقَوۡلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطًا (١٠٨) هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلۡتُمۡ عَنۡهُمۡ
فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيۡهِمۡ وَكِيلٗا﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ﴾: بِالْأَمْرِ وَالنَّهْيِ وَالْفَصْلِ؛ ﴿لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ﴾: بِمَا عَلَّمَكَ اللهُ وَأَوْحَى إِلَيْكَ ﴿وَلَا تَكُن لِّلۡخَآئِنِينَ خَصِيمٗا﴾: مُعِينًا مُدَافِعًا، ﴿وَٱسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا (١٠٦) وَلَا تُجَٰدِلۡ﴾: لَا تُخَاصِمْ ﴿عَنِ ٱلَّذِينَ يَخۡتَانُونَ أَنفُسَهُمۡۚ﴾: أَيْ: يَظْلِمُونَ أَنْفُسَهُمْ بِالْخِيَانَةِ؛ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمٗا﴾: [أَيْ: كَثِيرَ الخِيَانَةِ وَالإِثْمِ]، **قِيلَ**: إِنَّهُ خِطَابٌ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَالْمُرَادُ بِهِ غَيْرُهُ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكّٖ مِّمَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ﴾[يُونس:٩٤]، **وَالِاسْتِغْفَارُ فِي حَقِّ الْأَنْبِيَاءِ بَعْدَ النُّبُوَّةِ عَلَى أَحَدِ الْوُجُوهِ الثَّلَاثَةِ**: إِمَّا لِذَنْبٍ تَقَدَّمَ قَبْلَ النُّبُوَّةِ، أَوْ لِذُنُوبِ أُمَّتِهِ وَقَرَابَتِهِ، أَوْ لِمُبَاحٍ جَاءَ الشَّرْعُ بِتَحْرِيمِهِ فَيَتْرُكُهُ بِالِاسْتِغْفَارِ، فَالِاسْتِغْفَارُ يَكُونُ مَعْنَاهُ: السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ لِحُكْمِ الشَّرْعِ.

﴿يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾: أَيْ: يَسْتَتِرُونَ وَيَسْتَحْيُونَ مِنَ النَّاسِ، ﴿وَلَا يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱللَّهِ﴾: أَيْ: لَا يَسْتَتِرُونَ وَلَا يَسْتَحْيُونَ مِنَ اللهِ، ﴿وَهُوَ مَعَهُمۡ إِذۡ يُبَيِّتُونَ﴾: يَتَقَوَّلُونَ وَيُؤَلِّفُونَ، **وَالتَّبْيِيتُ**: تَدْبِيرُ الْفِعْلِ لَيْلًا، ﴿مَا لَا يَرۡضَىٰ مِنَ ٱلۡقَوۡلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطًا (١٠٨) هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ﴾: أَيْ: يَا هَؤُلَاءِ ﴿جَٰدَلۡتُمۡ﴾: أَيْ: خَاصَمْتُمْ ﴿عَنۡهُمۡ﴾، **وَالْجِدَالُ**: شِدَّةُ الْمُخَاصَمَةِ، مِنَ: الجَدَلِ، وَهُوَ شِدَّةُ الفَتْلِ، فَهُوَ يُرِيدُ فَتْلَ الْخِصْمِ عَنْ مَذْهَبِهِ بِطَرِيقِ الْحِجَاجِ، **وَقِيلَ**: **الْجِدَالُ**: مِنَ الْجَدَالَةِ، وَهِيَ الْأَرْضُ، فَكَأَنَّ كُلَّ

وَاحِدٍ مِنَ الْخَصْمَيْنِ يَرُومُ قَهْرَ صَاحِبِهِ وَصَرْعَهُ عَلَى الْجَدَالَةِ، ﴿فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾: كَفِيلًا، أَيْ: مَنِ الَّذِي يَذُبُّ عَنْهُمْ وَيَتَوَلَّى أَمْرَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. ثُمَّ اسْتَأْنَفَ فَقَالَ:

﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿١١٢﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَىْءٍ ۚ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾

﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ﴾: بِرَمْيِهِ الْبَرِيءَ، **وَقِيلَ**: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا﴾: أَيْ: شِرْكًا، ﴿أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ﴾: يَعْنِي: إِثْمًا دُونَ الشِّرْكِ، ﴿ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ﴾: أَيْ: يَتُبْ إِلَيْهِ وَيَسْتَغْفِرْهُ، ﴿يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۚ﴾: فَإِنَّمَا يَضُرُّ بِهِ نَفْسَهُ، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ﴾: أَيْ: يَقْذِفْ بِمَا جَنَى ﴿بَرِيٓـًٔا﴾: مِنْهُ ﴿فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا﴾: **الْبُهْتَانُ**: هُوَ الْبَهْتُ، وَهُوَ الْكَذِبُ الَّذِي يُتَحَيَّرُ فِي عِظَمِهِ، ﴿وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾: أَيْ: ذَنْبًا بَيِّنًا، **وَقَوْلُهُ**: ﴿ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ﴾: وَلَمْ يَقُلْ بِهِمَا بَعْدَ ذِكْرِ الْخَطِيئَةِ وَالْإِثْمِ، رَدَّ الْكِنَايَةَ إِلَى الإِثْمِ، أَوْ جَعَلَ الْخَطِيئَةَ وَالْإِثْمَ كَالشَّيْءِ الْوَاحِدِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ﴾: يَقُولُ لِلنَّبِيِّ ﷺ: ﴿لَهَمَّت﴾: لَقَدْ هَمَّتْ أَيْ: أَضْمَرَتْ ﴿طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ﴾: يُخَطِّئُوكَ فِي الْحُكْمِ وَيُلْبِسُوا عَلَيْكَ الْأَمْرَ حَتَّى تُدَافِعَ عَنْهُمْ، ﴿وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ۖ﴾: يَعْنِي يَرْجِعُ وَبَالُهُ عَلَيْهِمْ، ﴿وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَىْءٍ ۚ﴾: يُرِيدُ أَنَّ ضَرَرَهُ يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ، ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾: يَعْنِي: الْقُرْآنَ، ﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾: يَعْنِي: الْقَضَاءَ بِالْوَحْيِ، ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ﴾: مِنَ الْأَحْكَامِ، **وَقِيلَ**: مِنْ عِلْمِ الْغَيْبِ، ﴿وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾.

﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾ وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ﴾: **قَالَ مُجَاهِدٌ:** الْآيَةُ عَامَّةٌ فِي حَقِّ جَمِيعِ النَّاسِ، **وَالنَّجْوَى:** هِيَ الْإِسْرَارُ فِي التَّدْبِيرِ، **وَقِيلَ: النَّجْوَى:** مَا يَنْفَرِدُ بِتَدْبِيرِهِ قَوْمٌ سِرًّا كَانَ أَوْ جَهْرًا، فَمَعْنَى الْآيَةِ: لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِمَّا يُدَبِّرُونَهُ بَيْنَهُمْ، ﴿إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ﴾: أَيْ: إِلَّا فِي نَجْوَى مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ، فَالنَّجْوَى يَكُونُ مُتَّصِلًا، **وَقِيلَ:** هَذَا اسْتِثْنَاءٌ مُنْقَطِعٌ يَعْنِي: لَكِنْ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ. **وَقِيلَ:** النَّجْوَى هَاهُنَا: الرِّجَالُ الْمُتَنَاجُونَ كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰ﴾[الإِسْرَاء:٤٧]. ﴿إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ﴾: أَيْ: حَثَّ عَلَيْهَا ﴿أَوْ مَعْرُوفٍ﴾: أَيْ: بِطَاعَةِ اللهِ وَمَا يُعَرِّفُهُ الشَّرْعُ، وَأَعْمَالُ الْبِرِّ كُلُّهَا مَعْرُوفٌ؛ لِأَنَّ الْعُقُولَ تَعْرِفُهَا، ﴿أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾.

عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلَ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ وَالصَّدَقَةِ وَالصَّلَاةِ؟**» قَالَ: قُلْنَا بَلَى، قَالَ: «**إِصْلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ، وَفَسَادُ ذَاتِ الْبَيْنِ هِيَ الْحَالِقَةُ**»(١).

عَنْ أُمِّ كُلْثُومٍ بِنْتِ عُقْبَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**لَيْسَ بِالْكَذَّابِ مَنْ أَصْلَحَ بَيْنَ النَّاسِ وقال خَيْرًا أَوْ نَمَى خَيْرًا**»(٢).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾: أَيْ: هَذِهِ الْأَشْيَاءَ الَّتِي ذَكَرَهَا ﴿ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾: أَيْ: طَلَبَ رِضَاهُ، ﴿فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ﴾: فِي الْآخِرَةِ ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾: قَرَأَ أَبُو عَمْرٍو وَحَمْزَةُ ﴿يُؤْتِيهِ﴾ بِالْيَاءِ، يَعْنِي: يُؤْتِيهِ اللهُ، وَقَرَأَ الْآخَرُونَ بِالنُّونِ.

(١) **صحيح:** صحَّحه العلَّامة الألباني رحمه الله في "صحيح وضعيف سنن أبي داود" (٤٩١٩)، والعلَّامة الوادعي رحمه الله في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين" (١٠٥٠).

(٢) **صحيح:** البخاري: (٢٦٩٢)، ومسلم: (٢٦٠٥).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ﴾: أَيْ: يُخَالِفْهُ ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ﴾: مِنَ التَّوْحِيدِ وَالْحُدُودِ، ﴿وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾: أَيْ: غَيْرَ طَرِيقِ الْمُؤْمِنِينَ، ﴿نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ﴾: أَيْ نَكِلْهُ فِي الْآخِرَةِ إِلَى مَا تَوَلَّى فِي الدُّنْيَا ﴿وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾ إِن يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثٗا وَإِن يَدۡعُونَ إِلَّا شَيۡطَٰنٗا مَّرِيدٗا ﴿١١٧﴾ لَّعَنَهُ ٱللَّهُۘ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنۡ عِبَادِكَ نَصِيبٗا مَّفۡرُوضٗا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمۡ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمۡ وَلَأٓمُرَنَّهُمۡ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ وَلَأٓمُرَنَّهُمۡ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلۡقَ ٱللَّهِۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيۡطَٰنَ وَلِيّٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدۡ خَسِرَ خُسۡرَانٗا مُّبِينٗا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمۡ وَيُمَنِّيهِمۡۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنۡهَا مَحِيصٗا﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا﴾: أَيْ: ذَهَبَ عَنِ الطَّرِيقِ وَحُرِمَ الخَيْرَ كُلَّهُ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِن يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثٗا﴾: أَيْ: مَا يَعْبُدُونَ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ﴾ أَيْ: اعْبُدُونِي؛ بِدَلِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي﴾[غَافِر:٦٠]. ﴿مِن دُونِهِۦٓ﴾: أَيْ: مِنْ دُونِ اللهِ ﴿إِلَّآ إِنَٰثٗا﴾: أَرَادَ بِالْإِنَاثِ: الْأَوْثَانَ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يُسَمُّونَهَا بِاسْمِ الْإِنَاثِ، فَيَقُولُونَ: اللَّاتَ وَالْعُزَّى وَمَنَاةَ، وَكَانُوا يَقُولُونَ لِصَنَمِ كُلِّ قَبِيلَةٍ: أُنْثَى بَنِي فُلَانٍ، فَكَانَ فِي كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ شَيْطَانٌ يَتَرَاءَى لِلسَّدَنَةِ [-أَيِ: الحُرَّاسِ والخَدَمِ-] وَالْكَهَنَةِ وَيُكَلِّمُهُمْ وَلِذَلِكَ قَالَ: ﴿وَإِن يَدۡعُونَ إِلَّا شَيۡطَٰنٗا مَّرِيدٗا﴾، هَذَا قَوْلُ أَكْثَرِ الْمُفَسِّرِينَ، يَدُلُّ عَلَى صِحَّةِ هَذَا التَّأْوِيلِ -أَنَّ الْمُرَادَ بِالْإِنَاثِ الْأَوْثَانَ- قِرَاءَةُ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: ﴿إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أُثُنًا﴾ جَمْعُ (الْوَثَنِ)، فَصَيَّرَ الْوَاوَ هَمْزَةً، وَقَالَ الْحَسَنُ وَقَتَادَةُ: ﴿إِلَّآ إِنَٰثٗا﴾: أَيْ: مَوَاتًا لَا رُوحَ فِيهِ؛ لِأَنَّ أَصْنَامَهُمْ كَانَتْ مِنَ الْجَمَادَاتِ، سَمَّاهَا إِنَاثًا لِأَنَّهُ يُخْبِرُ عَنِ الْمَوَاتِ، كَمَا يُخْبِرُ عَنِ الْإِنَاثِ، وَلِأَنَّ الْإِنَاثَ أَدْوَنُ الْجِنْسَيْنِ كَمَا أَنَّ الْمَوَاتَ أَرْذَلُ مِنَ الْحَيَوَانِ،

﴿وَإِن يَدۡعُونَ إِلَّا شَيۡطَٰنٗا مَّرِيدٗا﴾: أَيْ: وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا؛ لِأَنَّهُمْ إِذَا عَبَدُوا الْأَصْنَامَ فَقَدْ أَطَاعُوا الشَّيْطَانَ، **وَالْمَرِيدُ**: الْمَارِدُ، وَهُوَ الْمُتَمَرِّدُ الْعَاتِي الْخَارِجُ عَنِ الطَّاعَةِ، وَأَرَادَ: إِبْلِيسَ، ﴿لَّعَنَهُ ٱللَّهُۘ﴾: أَيْ: أَبْعَدَهُ مِنْ رَحْمَتِهِ، ﴿وَقَالَ﴾:يَعْنِي: قَالَ إِبْلِيسُ ﴿لَأَتَّخِذَنَّ مِنۡ عِبَادِكَ نَصِيبٗا مَّفۡرُوضٗا﴾: أَيْ: حَظًّا مَعْلُومًا، فَمَا أُطِيعَ فِيهِ إِبْلِيسُ فَهُوَ مَفْرُوضُهُ، **وَأَصْلُ الْفَرْضِ فِي اللُّغَةِ**: الْقَطْعُ، وَمِنْهُ الْفُرْضَةُ فِي النَّهْرِ، وَهِيَ الثُّلْمَةُ تَكُونُ فِيهِ، [أَيْ: الخَلَلُ]، وَفَرْضُ القَوْسِ وَالشِّرَاكِ: لِلشَّقِّ الَّذِي يَكُونُ فِيهِ الْوَتَرُ وَالْخَيْطُ الَّذِي يُشَدُّ بِهِ الشِّرَاكُ.

﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمۡ﴾: يَعْنِي: عَنِ الْحَقِّ أَيْ: لَأُغْوِيَنَّهُمْ، يَقُولُهُ إِبْلِيس، وَأَرَادَ بِهِ التَّزْيِينَ وَإِلَّا فَلَيْسَ إِلَيْهِ مِنَ الْإِضْلَالِ شَيْءٌ كَمَا قَالَ: ﴿لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾[الحِجْر:٣٩]، ﴿وَلَأُمَنِّيَنَّهُمۡ﴾: **قِيلَ**: أُمَنِّيَنَّهُمْ رُكُوبَ الْأَهْوَاءِ، **وَقِيلَ**: أُمَنِّيَنَّهُمْ أَنْ لَا جَنَّةَ وَلَا نَارَ وَلَا بَعْثَ، **وَقِيلَ**: أُمَنِّيَنَّهُمْ إِدْرَاكَ الْآخِرَةِ مَعَ رُكُوبِ الْمَعَاصِي، ﴿وَلَأٓمُرَنَّهُمۡ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ﴾:أَيْ: يَقْطَعُونَهَا وَيَشُقُّونَهَا، وَهِيَ: البَحِيرَةُ[1]، ﴿وَلَأٓمُرَنَّهُمۡ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلۡقَ ٱللَّهِۚ﴾: **قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ** رضي الله عنهما **وَالْحَسَنُ وَمُجَاهِد وَقَتَادَةُ وَسَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ وَالضَّحَّاكُ**: يَعْنِي دِينَ اللهِ؛ نَظِيرُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ﴾[الرُّوم:٣٠]، أَيْ: لِدِينِ اللهِ، يُرِيدُ وَضْعَ اللهِ فِي الدِّينِ بِتَحْلِيلِ الْحَرَامِ وَتَحْرِيمِ الْحَلَالِ، **وَقَالَ عِكْرِمَةُ وَجَمَاعَةٌ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ**: ﴿فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلۡقَ ٱللَّهِۚ﴾: بِالْخِصَاءِ[2] وَالْوَشْمِ وَقَطْعِ الْآذَانِ حَتَّى حَرَّمَ بَعْضُهُمُ الْخِصَاءَ، وَجَوَّزَهُ بَعْضُهُمْ فِي الْبَهَائِمِ؛ لِأَنَّ فِيهِ غَرَضًا ظَاهِرًا، **وَقِيلَ**: تَغْيِيرُ خَلْقِ اللهِ: هُوَ أَنَّ اللهَ تَعَالَى خَلَقَ الْأَنْعَامَ لِلرُّكُوبِ وَالْأَكْلِ فَحَرَّمُوهَا،

---

(١) البَحِيرَةُ: النَّاقة كانت في الجاهليَّة إذا ولدت خمسة أبطُن شَقُّوا أُذُنَها وأعفوها أن يُنْتَفَع بها ولم يمنعوها من مرعى ولا ماء. «المعجم الوسيط» (١/ ٤٠).

(٢) قال الإمام مقبل بن هادي الوادعي رحمه الله: **قال الإمام الطبريُّ** رحمه الله ج(٩) صـ(٢١٥) بتحقيق أحمد شاكر: حدثنا محمد بن بشَّار، قال: حدثنا عبد الرحمن، قال: حدثنا حمَّاد بن سلمة، عن عمار بن أبي عمار، **عن ابن عبَّاسٍ**، أنه كره الإخصاء، وقال فيه نزلت: ﴿وَلَأٓمُرَنَّهُمۡ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلۡقَ ٱللَّهِۚ﴾. هذا حديثٌ صحيحٌ على شرط مُسلم. «الصحيح المُسند من أسباب النزول» صـ(٩٤).

وَخَلَقَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالْأَحْجَارَ لِمَنْفَعَةِ الْعِبَادِ فَعَبَدُوهَا مِنْ دُونِ اللهِ، ﴿وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾: أَيْ: رَبًّا يُطِيعُهُ، ﴿فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ﴾: فَوَعْدُهُ وَتَمْنِيَتُهُ مَا يُوقِعُ فِي قَلْبِ الْإِنْسَانِ مِنْ طُولِ الْعُمُرِ وَنَيْلِ الدُّنْيَا، وَقَدْ يَكُونُ بِالتَّخْوِيفِ بِالْفَقْرِ فَيَمْنَعُهُ مِنَ الْإِنْفَاقِ وَصِلَةِ الرَّحِمِ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ﴾[البَقَرَة:٢٦٨]، وَيُمَنِّيهِمْ بِأَنْ لَا بَعْثَ وَلَا جَنَّةَ وَلَا نَارَ، ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾: أَيْ: بَاطِلًا، ﴿أُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا﴾: أَيْ: مَفَرًّا وَمَعْدِلًا عَنْهَا.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۖ وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا ۚ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾: أَيْ: مِنْ تَحْتِ الْغُرَفِ وَالْمَسَاكِنِ، ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۖ وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا ۚ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾: [أَيْ: قَوْلًا].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ ۗ﴾: الْآيَة، **قَالَ مَسْرُوقٌ وَقَتَادَةُ وَالضَّحَّاكُ**: أَرَادَ لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ يَعْنِي: الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى، وَذَلِكَ أَنَّهُمُ افْتَخَرُوا، فَقَالَ أَهْلُ الْكِتَابِ: نَبِيُّنَا قَبْلَ نَبِيِّكُمْ وَكِتَابُنَا قَبْلَ كِتَابِكُمْ فَنَحْنُ أَوْلَى بِاللهِ مِنْكُمْ، وَقَالَ الْمُسْلِمُونَ: نَبِيُّنَا خَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ وَكِتَابُنَا يَقْضِي عَلَى الْكُتُبِ، وَقَدْ آمَنَّا بِكِتَابِكُمْ وَلَمْ تُؤْمِنُوا بِكِتَابِنَا، فَنَحْنُ أَوْلَى.

﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ﴾: أَيْ: لَيْسَ الْأَمْرُ بِالْأَمَانِي وَإِنَّمَا الْأَمْرُ بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ، ﴿مَن

﴿يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدۡ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا﴾: **قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ وَجَمَاعَةٌ**: الْآيَةُ عَامَّةٌ فِي حَقِّ كُلِّ عَامِلٍ.

[**عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ** ﷺ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ﴾، بَلَغَتْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مَبْلَغًا شَدِيدًا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**قَارِبُوا وَسَدِّدُوا؛ فَفِي كُلِّ مَا يُصَابُ بِهِ الْمُسْلِمُ كَفَّارَةٌ حَتَّى النَّكْبَةِ يُنْكَبُهَا، أَوِ الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا**»(١)].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ نَقِيرٗا﴾: أَيْ: مِقْدَارُ النَّقِيرِ، وَهُوَ النَّقْرَةُ الَّتِي تَكُونُ فِي ظَهْرِ النَّوَاةِ، قَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ وَأَبُو جعْفَرٍ وَأَهْلُ الْبَصْرَةِ وَأَبُو بَكْرٍ: ﴿يُدْخَلُونَ﴾ بِضَمِّ الْيَاءِ وَفَتْحِ الْخَاءِ هَاهُنَا، وَفِي (سُورَةِ مَرْيَمَ)، وَ(حم)[غافِر:٤٠] الْمُؤْمِنِ(٢)، زَادَ أَبُو عَمْرٍو ﴿يَدۡخُلُونَهَا﴾ فِي سُورَةِ فَاطِرٍ، وَقَرَأَ الْآخَرُونَ بِفَتْحِ الْيَاءِ وَضَمِّ الْخَاءِ. ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ دِينٗا﴾: أَحْكَمُ دِينًا ﴿مِّمَّنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ﴾: أَيْ: أَخْلَصَ عَمَلَهُ للهِ، **وَقِيلَ**: فَوَّضَ أَمْرَهُ إِلَى اللهِ، ﴿وَهُوَ مُحۡسِنٞ﴾: أَيْ: مُوَحِّدٌ، ﴿وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ﴾: يَعْنِي: دِينَ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام ﴿حَنِيفٗاۗ﴾: أَيْ: مُسْلِمًا مُخْلِصًا، **قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ** رضي الله عنهما: وَمِنْ دِينِ إِبْرَاهِيمَ: الصَّلَاةُ إِلَى الْكَعْبَةِ، وَالطَّوَافُ بِهَا، وَمَنَاسِكُ الْحَجِّ، وَإِنَّمَا خُصَّ بِهَا إِبْرَاهِيمُ؛ لِأَنَّهُ كَانَ مَقْبُولًا عِنْدَ الْأُمَمِ أَجْمَعَ، **وَقِيلَ**: لِأَنَّهُ بُعِثَ عَلَى مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَزِيدَتْ لَهُ أَشْيَاءُ، ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا﴾: صَفِيًّا، **وَالْخُلَّةُ**: صَفَاءُ الْمَوَدَّةِ، **قَالَ الزَّجَّاجُ**: مَعْنَى الْخَلِيلُ: الَّذِي لَيْسَ فِي مَحَبَّتِهِ خَلَلٌ، وَالْخُلَّةُ: الصَّدَاقَةُ، فَسُمِّيَ خَلِيلًا لِأَنَّ اللهَ أَحَبَّهُ وَاصْطَفَاهُ، **وَقِيلَ**: هُوَ مِنَ الْخَلَّةِ، وَهِيَ الْحَاجَةُ، سُمِّيَ خَلِيلًا -أَيْ: فَقِيرًا إِلَى اللهِ- لِأَنَّهُ لَمْ يَجْعَلْ فَقْرَهُ وَفَاقَتَهُ إِلَّا إِلَى اللهِ ﷻ، وَالْأَوَّلُ أَصَحُّ؛ لِأَنَّ قَوْلَهُ ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا﴾ يَقْتَضِي الْخُلَّةَ مِنَ الجَانِبَينِ، وَلَا يُتَصَوَّرُ الْحَاجَةُ مِنَ الْجَانِبَيْنِ.

---

(١) **صحيح**: مسلم: (٢٥٧٤).

(٢) لعلَّه يُريد: عند قصَّة المُؤمن من آل فرعون.

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا، وَلَكِنَّ أَبَا بَكْرٍ أَخِي وَصَاحِبِي، وَلَقَدِ اتَّخَذَ اللهُ عز وجل صَاحِبَكُمْ خَلِيلًا»(١).

قَوْلُهُ عز وجل: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٖ مُّحِيطٗا﴾: أَيْ: أَحَاطَ عِلْمُهُ بِجَمِيعِ الْأَشْيَاءِ.

﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي ٱلنِّسَآءِۖ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ فِي يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلْوِلْدَٰنِ وَأَن تَقُومُواْ لِلْيَتَٰمَىٰ بِٱلْقِسْطِۚ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمٗا﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي ٱلنِّسَآءِۖ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ﴾: الْآيَة، قَالَتْ عَائِشَةُ رضي الله عنها: هِيَ الْيَتِيمَةُ تَكُونُ فِي حِجْرِ الرَّجُلِ وَهُوَ وَلِيُّهَا، فَيَرْغَبُ فِي نِكَاحِهَا إِذَا كَانَتْ ذَاتَ جَمَالٍ وَمَالٍ بِأَقَلَّ مِنْ سُنَّةِ صَدَاقِهَا، وَإِذَا كَانَتْ مَرْغُوبَةً عَنْهَا فِي قِلَّةِ الْمَالِ وَالْجَمَالِ تَرَكَهَا. وَفِي رِوَايَةٍ: هِيَ الْيَتِيمَةُ تَكُونُ فِي حِجْرِ الرَّجُلِ قَدْ شَرِكَتْهُ فِي مَالِهِ فَيَرْغَبُ أَنْ يَتَزَوَّجَهَا لِدَمَامَتِهَا، وَيَكْرَهُ أَنْ يُزَوِّجَهَا غَيْرَهُ فَيَدْخُلُ عَلَيْهِ فِي مَالِهِ، فَيَحْبِسُهَا حَتَّى تَمُوتَ فَيَرِثُهَا، فَنَهَاهُمُ اللهُ عز وجل عَنْ ذَلِكَ(٢).

قَوْلُهُ عز وجل: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ﴾: أَيْ: يَسْتَخْبِرُونَكَ ﴿فِي ٱلنِّسَآءِۖ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ﴾: قِيلَ: مَعْنَاهُ: وَيُفْتِيكُمْ فِي مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: وَنُفْتِيكُمْ مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ، يُرِيدُ: اللهُ يُفْتِيكُمْ وَكِتَابُهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَهُوَ قَوْلُهُ عز وجل:

---

(١) **صحيح**: مسلم: (٢٣٨٣). وقولُهُ: «وَلَقَدِ اتَّخَذَ اللهُ عز وجل صَاحِبَكُمْ خَلِيلًا»: قال القرطبيُّ رحمه الله: وهذا يدلُّ على أنَّ الله تعالى بلَّغ درجةَ نبيِّنا ﷺ في الخُلَّةِ درجةَ إبراهيم عليه السلام، غير أنَّه مكَّنه فيها ما لم يمكَّن فيها إبراهيم؛ بدليل قول إبراهيم: «إِنَّمَا كُنْتُ خَلِيلًا مِنْ وَرَاءُ وَرَاءُ»، كما تقدَّم في (الإيمان).اهـ «المُفهِم» (٦/ ٢٤٣).

(٢) **صحيح**: البخاري: (٢٤٩٤)، (٤٦٠٠)، ومسلم: (٣٠١٨)، وهو في «الصحيح المسند من أسباب النزول» ص(٩٤-٩٥) للإمام الوادعي رحمه الله.

﴿وَءَاتُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰٓ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ﴾[النِّساء:٢]. قَوْلُهُ: ﴿فِي يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ﴾: هَذَا إِضَافَةُ الشَّيْءِ إِلَى نَفْسِهِ لِأَنَّهُ أَرَادَ بِالْيَتَامَى النِّسَاءَ ﴿ٱلَّٰتِي لَا تُؤۡتُونَهُنَّ﴾: أَيْ: لَا تُعْطُونَهُنَّ ﴿مَا كُتِبَ لَهُنَّ﴾: مِنْ صَدَاقِهِنَّ، ﴿وَتَرۡغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ﴾: أَيْ: فِي نِكَاحِهِنَّ لِمَالِهِنَّ وَجَمَالِهِنَّ بِأَقَلَّ مِنْ صَدَاقِهِنَّ، وَقَالَ الْحَسَنُ وَجَمَاعَةٌ: أَرَادَ: لَا تُؤْتُونَهُنَّ حَقَّهُنَّ مِنَ الْمِيرَاثِ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا لَا يُوَرِّثُونَ النِّسَاءَ، ﴿وَتَرۡغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ﴾: أَيْ: عَنْ نِكَاحِهِنَّ لِدَمَامَتِهِنَّ، ﴿وَٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلۡوِلۡدَٰنِ﴾: يُرِيدُ: وَيُفْتِيكُمْ فِي الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَهُمُ الصِّغَارُ، أَنْ تُعْطُوهُمْ حُقُوقَهُمْ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا لَا يُوَرِّثُونَ الصِّغَارَ، يُرِيدُ مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي بَابِ الْيَتَامَى مِنْ قَوْلِهِ: ﴿وَءَاتُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰٓ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ﴾[النِّسَاء:٢]، يَعْنِي: بِإِعْطَاءِ حُقُوقِ الصِّغَارِ، ﴿وَأَن تَقُومُواْ لِلۡيَتَٰمَىٰ﴾: أَيْ: وَيُفْتِيكُمْ فِي أَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى ﴿بِٱلۡقِسۡطِۚ﴾: بِالْعَدْلِ فِي مُهُورِهِنَّ وَمَوَارِيثِهِنَّ، ﴿وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمٗا﴾: يُجَازِيكُمْ عَلَيْهِ.

﴿وَإِنِ ٱمۡرَأَةٌ خَافَتۡ مِنۢ بَعۡلِهَا نُشُوزًا أَوۡ إِعۡرَاضٗا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يُصۡلِحَا بَيۡنَهُمَا صُلۡحٗاۚ وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٞۗ وَأُحۡضِرَتِ ٱلۡأَنفُسُ ٱلشُّحَّۚ وَإِن تُحۡسِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ﴿١٢٨﴾ وَلَن تَسۡتَطِيعُوٓاْ أَن تَعۡدِلُواْ بَيۡنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوۡ حَرَصۡتُمۡۖ فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلۡمَيۡلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلۡمُعَلَّقَةِۚ وَإِن تُصۡلِحُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿١٢٩﴾ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغۡنِ ٱللَّهُ كُلّٗا مِّن سَعَتِهِۦۚ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمٗا﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنِ ٱمۡرَأَةٌ خَافَتۡ﴾: أَيْ عَلِمَتْ ﴿مِنۢ بَعۡلِهَا﴾: أَيْ: مِنْ زَوْجِهَا ﴿نُشُوزًا﴾: أَيْ: بُغْضًا، قَالَ الْكَلْبِيُّ: يَعْنِي: تَرْكَ مُضَاجَعَتِهَا، ﴿أَوۡ إِعۡرَاضٗا﴾: بِوَجْهِهِ عَنْهَا وَقِلَّةِ مُجَالَسَتِهَا، ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ﴾: أَيْ: عَلَى الزَّوْجِ وَالْمَرْأَةِ ﴿أَن يُصۡلِحَا﴾: أَيْ: يَتَصَالَحَا، وَقَرَأَ أَهْلُ الْكُوفَةِ: ﴿أَنْ يُصْلِحَا﴾ مِنَ الإِصْلَاحِ، ﴿بَيۡنَهُمَا صُلۡحٗاۚ﴾: يَعْنِي: فِي الْقِسْمَةِ وَالنَّفَقَةِ، وَهُوَ أَنْ يَقُولَ الزَّوْجُ لَهَا: إِنَّكِ قَدْ دَخَلْتِ فِي السِّنِّ وَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَتَزَوَّجَ امْرَأَةً شَابَّةً جَمِيلَةً أُوثِرُهَا عَلَيْكِ فِي الْقِسْمَةِ لَيْلًا وَنَهَارًا، فَإِنْ رَضِيتِ

بِهَذَا فَأَقِيمِي، وَإِنْ كَرِهْتِ خَلَّيْتُ سَبِيلَكِ، فَإِنْ رَضِيَتْ كَانَتْ هِيَ الْمُحْسِنَةَ وَلَا تُجْبَرُ عَلَى ذَلِكَ، وَإِنْ لَمْ تَرْضَ بِدُونِ حَقِّهَا كَانَ عَلَى الزَّوْجِ أَنْ يُوَفِّيَهَا حَقَّهَا مِنَ الْقَسْمِ وَالنَّفَقَةِ أَوْ يُسَرِّحَهَا بِإِحْسَانٍ، فَإِنْ أَمْسَكَهَا وَوَفَّاهَا حَقَّهَا مَعَ كَرَاهِيَةٍ فَهُوَ مُحْسِنٌ. **وَقَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ يَسَارٍ فِي هَذِهِ الْآيَةِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ** رضي الله عنهما: فَإِنْ صَالَحَتْهُ عَنْ بَعْضِ حَقِّهَا مِنَ الْقَسْمِ وَالنَّفَقَةِ فَذَلِكَ جَائِزٌ مَا رَضِيَتْ، فَإِنْ أَنْكَرَتْهُ بَعْدَ الصُّلْحِ فَذَلِكَ لَهَا وَلَهَا حَقُّهَا. **وَقَالَ مُقَاتِلُ بْنُ حَيَّانَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ**: هُوَ أَنَّ الرَّجُلَ يَكُونُ تَحْتَهُ الْمَرْأَةُ الْكَبِيرَةُ فَيَتَزَوَّجُ عَلَيْهَا الشَّابَّةَ، فَيَقُولُ لِلْكَبِيرَةِ: أُعْطِيكِ مِنْ مَالِي نَصِيبًا عَلَى أَنْ أَقْسِمَ لِهَذِهِ الشَّابَّةِ أَكْثَرَ مِمَّا أَقْسِمُ لَكِ فَتَرْضَى بِمَا اصْطَلَحَا عَلَيْهِ، فَإِنْ أَبَتْ أَنْ تَرْضَى فَعَلَيْهِ أَنْ يَعْدِلَ بَيْنَهُمَا فِي الْقَسْمِ. **وَعَنْ عَلِيٍّ** رضي الله عنه **فِي هَذِهِ الْآيَةِ قَالَ**: تَكُونُ الْمَرْأَةُ عِنْدَ الرَّجُلِ فَتَنْبُو عَيْنُهُ عَنْهَا مِنْ دَمَامَةٍ أَوْ كِبَرٍ فَتَكْرَهُ فُرْقَتَهُ، فَإِنْ أَعْطَتْهُ مِنْ مَالِهَا فَهُوَ لَهُ حِلٌّ، وَإِنْ أَعْطَتْهُ مِنْ أَيَّامِهَا فَهُوَ لَهُ حِلٌّ[(١)]. ﴿وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٞۗ﴾: يَعْنِي: إِقَامَتَهَا بَعْدَ تَخْيِيرِهِ إِيَّاهَا وَالْمُصَالَحَةُ عَلَى تَرْكِ بَعْضِ حَقِّهَا مِنَ الْقَسْمِ وَالنَّفَقَةِ خَيْرٌ مِنَ الْفُرْقَةِ، كَمَا يُرْوَى أَنَّ سَوْدَةَ رضي الله عنها كَانَتِ امْرَأَةً كَبِيرَةً وَأَرَادَ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يُفَارِقَهَا فَقَالَتْ: لَا تُطَلِّقْنِي وَإِنَّمَا بِي أَنْ أُبْعَثَ فِي نِسَائِكَ، وَقَدْ جَعَلْتُ نَوْبَتِي لِعَائِشَةَ رضي الله عنها، فَأَمْسَكَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَكَانَ يَقْسِمُ لِعَائِشَةَ يَوْمَهَا وَيَوْمَ سَوْدَةَ رضي الله عنها.

---

(١) قال الإمام الوادعي رحمه الله: **قال الإمامُ البُخاريُّ** رحمه الله ج(٩) ص(٣٣٤): حدثنا محمد بن مقاتل، أخبرنا عبد الله، أخبرنا هشام بن عروة، عن أبيه، **عن عائشة** رضي الله عنها: ﴿وَإِنِ ٱمۡرَأَةٌ خَافَتۡ مِنۢ بَعۡلِهَا نُشُوزًا أَوۡ إِعۡرَاضٗا﴾ قالت: الرَّجُل تكون عنده المرأة ليس بمستكثر منها، يريد أن يفارقها، فتقول: أجعلك من شأني في حِلٍّ، فنزلت هذه الآية في ذلك. الحديث أخرجه مسلم ج(٨) ص(١٥٧). وأخرجه أبو داود والحاكم وابنُ جرير أيضًا من حديث عائشة، ولفظ أبي داود: **قالت عائشةُ** لعروة يا ابن أُختِي: كان رسول الله ﷺ لا يُفضِّل بعضَنا على بعض في القَسْمِ من مُكثِه عندنا، وكان قَلَّ يوم إلا وهو يطوف علينا جميعًا، فيدنو من كل امرأة من غير مسيسٍ، حتى يبلغ إلى التي هو يومُها فيَبِيتُ عندها، ولقد قالت سودَةُ بنتُ زَمْعَة حين أَسَنَّت وفَرِقَتْ أن يُفارِقَها رسولُ الله ﷺ: يا رسول الله، يومي لعائشة، فقَبِل رسولُ الله ﷺ ذلك منها، قالت: نقولُ في ذلك أنزل الله ﷻ وفي أشباهها، أُراهُ قال: ﴿وَإِنِ ٱمۡرَأَةٌ خَافَتۡ مِنۢ بَعۡلِهَا نُشُوزًا﴾. «الصحيح المسند من أسباب النزول» ص(٩٥-٩٦).

قَوْلُهُ ﷻ: ﴿وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ﴾: [أَيْ: جُبِلَتْ النُّفُوسُ عَلَى الشُّحِّ]، يُرِيدُ: شُحَّ كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الزَّوْجَيْنِ بِنَصِيبِهِ مِنَ الْآخَرِ[١]، **وَالشُّحُّ**: أَقْبَحُ الْبُخْلِ، وَحَقِيقَتُهُ: الْحِرْصُ عَلَى مَنْعِ الْخَيْرِ، ﴿وَإِن تُحْسِنُوا۟﴾: أَيْ: تُصْلِحُوا ﴿وَتَتَّقُوا۟﴾: الْجَوْرَ، **وَقِيلَ**: هَذَا خِطَابٌ مَعَ الْأَزْوَاجِ، أَيْ: وَإِنْ تُحْسِنُوا بِالْإِقَامَةِ مَعَهَا عَلَى الْكَرَاهَةِ وَتَتَّقُوا ظُلْمَهَا ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾: فَيَجْزِيكُمْ بِأَعْمَالِكُمْ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوٓا۟ أَن تَعْدِلُوا۟ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ﴾: أَيْ: لَنْ تَقْدِرُوا أَنْ تُسَوُّوا بَيْنَ النِّسَاءِ فِي الْحُبِّ وَمَيْلِ الْقَلْبِ، ﴿وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾: عَلَى العَدْلِ، ﴿فَلَا تَمِيلُوا۟﴾: أَيْ: إِلَى الَّتِي تُحِبُّونَهَا ﴿كُلَّ ٱلْمَيْلِ﴾: فِي الْقَسْمِ وَالنَّفَقَةِ، أَيْ: لَا تُتْبِعُوا أَهْوَاءَكُمْ أَفْعَالَكُمْ، ﴿فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ﴾: أَيْ: فَتَدَعُوا الأُخْرَى كَالمُعَلَّقَةِ، لَا أَيِّمًا وَلَا ذَاتَ بَعْلٍ، **وَقَالَ قَتَادَةُ**: كَالْمَحْبُوسَةِ، وَفِي قِرَاءَةِ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ: ﴿كَأَنَّهَا مَسْجُونَةٌ﴾، ﴿وَإِن تُصْلِحُوا۟ وَتَتَّقُوا۟﴾: الْجَوْرَ ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾.

﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا﴾: يَعْنِي: الزَّوْجُ وَالْمَرْأَةُ بِالطَّلَاقِ ﴿يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ﴾: مِنْ رِزْقِهِ، يَعْنِي: الْمَرْأَةَ بِزَوْجٍ آخَرَ وَالزَّوْجَ بِامْرَأَةٍ أُخْرَى، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا﴾: وَاسِعَ الْفَضْلِ وَالرَّحْمَةِ حَكِيمًا فِيمَا أَمَرَ بِهِ وَنَهَى عَنْهُ، **وَجُمْلَةُ حُكْمِ الْآيَةِ**: أَنَّ الرَّجُلَ إِذَا كَانَتْ تَحْتَهُ امْرَأَتَانِ أَوْ أَكْثَرُ فَإِنَّهُ يَجِبُ عَلَيْهِ التَّسْوِيَةُ بَيْنَهُنَّ فِي الْقَسْمِ، فَإِنْ تَرَكَ التَّسْوِيَةَ بَيْنَهُنَّ فِي فِعْلِ الْقَسْمِ عَصَى اللهَ تَعَالَى، وَعَلَيْهِ الْقَضَاءُ لِلْمَظْلُومَةِ، وَالتَّسْوِيَةُ شَرْطٌ فِي البَيْتُوتَةِ، أَمَّا فِي الْجِمَاعِ فَلَا؛ لِأَنَّهُ يَدُورُ عَلَى النَّشَاطِ وَلَيْسَ ذَلِكَ إِلَيْهِ.

وَلَوْ كَانَتْ فِي نِكَاحِهِ حُرَّةٌ وَأَمَةٌ فَإِنَّهُ يَبِيتُ عِنْدَ الحُرَّةِ لَيْلَتَيْنِ وَعِنْدَ الْأَمَةِ لَيْلَةً وَاحِدَةً، وَإِذَا تَزَوَّجَ جَدِيدَةً عَلَى قَدِيمَاتٍ عِنْدَهُ يَخُصُّ الْجَدِيدَةَ بِأَنْ يَبِيتَ عِنْدَهَا سَبْعَ

---

(١) قال الإمام العُثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: والسَّبب في قوله: (أُحْضِرَتْ) مع أنَّها أحضرها الله؛ لأنَّ الله تعالى إذا أضاف إلى نفسه الشيء المذموم يأتي بصيغة اسم المفعول.. فلما كان الشح أمرًا مذمومًا فالأنفس نائب فاعل قائم مقام المفعول الأول، والشح هو المفعول الثاني. "تفسير سورة النساء" (٢/ ٢٨٦).

لَيَالٍ عَلَى التَّوَالِي إِنْ كَانَتْ بِكْرًا، وَإِنْ كَانَتْ ثَيِّبًا فَثَلَاثَ لَيَالٍ، ثُمَّ يُسَوِّي بَعْدَ ذَلِكَ بَيْنَ الْكُلِّ، وَلَا يَجِبُ قَضَاءُ هَذِهِ اللَّيَالِي لِلْقَدِيمَاتِ.

عَنْ أَبِي قِلَابَةَ، عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: مِنَ السُّنَّةِ إِذَا تَزَوَّجَ الْبِكْرَ عَلَى الثَّيِّبِ أَقَامَ عِنْدَهَا سَبْعًا ثُمَّ قَسَمَ، وَإِذَا تَزَوَّجَ الثَّيِّبَ أَقَامَ عِنْدَهَا ثَلَاثًا ثُمَّ قَسَمَ. **قَالَ أَبُو قِلَابَةَ**: وَلَوْ شِئْتُ لَقُلْتُ: إِنَّ أَنَسًا رَفَعَهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ[1].

وَإِذَا أَرَادَ الرَّجُلُ سَفَرَ حَاجَةٍ فَيَجُوزُ لَهُ أَنْ يَحْمِلَ بَعْضَ نِسَائِهِ مَعَ نَفْسِهِ بَعْدَ أَنْ يُقْرِعَ بَيْنَهُنَّ فِيهِ، ثُمَّ لَا يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَقْضِيَ لِلْبَاقِيَاتِ مُدَّةَ سَفَرِهِ وَإِنْ طَالَتْ، إِذَا لَمْ يَزِدْ مَقَامُهُ فِي بَلَدِهِ عَلَى مُدَّةِ الْمُسَافِرِينَ، أَمَّا إِذَا أَرَادَ سَفَرَ نُقْلَةٍ فَلَيْسَ لَهُ تَخْصِيصُ بَعْضِهِنَّ لَا بِالْقُرْعَةِ وَلَا بِغَيْرِهَا.

﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۗ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ وَإِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴿١٣١﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٣٢﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا ﴿١٣٣﴾ مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْأٓخِرَةِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۗ﴾: عَبِيدًا وَمُلْكًا، ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ﴾: يَعْنِي: أَهْلَ التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَسَائِرَ الْأُمَمِ الْمُتَقَدِّمَةِ فِي كُتُبِهِمْ، ﴿وَإِيَّاكُمْ﴾: يا أَهْلَ الْقُرْآنِ فِي كِتَابِكُمْ، ﴿أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ﴾: أَيْ: وَحِّدُوا اللهَ وَأَطِيعُوهُ، ﴿وَإِن تَكْفُرُواْ﴾: بِمَا أَوْصَاكُمُ اللهُ بِهِ ﴿فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۚ﴾: قِيلَ: فَإِنَّ للهِ مَلَائِكَةً فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ هُمْ أَطْوَعُ لَهُ مِنْكُمْ، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا﴾: عَنْ جَمِيعِ خَلْقِهِ غَيْرَ مُحْتَاجٍ إِلَى طَاعَتِهِمْ، ﴿حَمِيدًا﴾: مَحْمُودًا عَلَى نِعَمِهِ، ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾: **قَالَ عِكْرِمَةُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ**: يَعْنِي شَهِيدًا أَنَّ

(١) **صحيح**: البخاري: (٥٢١٤)، ومسلم: (١٤٦١).

فِيهَا عَبِيدًا، **وَقِيلَ**: دَافِعًا وَمُجِيرًا. **فَإِنْ قِيلَ**: فَأَيُّ فَائِدَةٍ فِي تَكْرَارِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾؟ **قِيلَ**: لِكُلٍّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا وَجْهٌ، **أَمَّا الأَوَّلُ**: فَمَعْنَاهُ: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ وَهُوَ يُوصِيكُمْ بِالتَّقْوَى فَاقْبَلُوا وَصِيَّتَهُ. **وَأَمَّا الثَّانِي**: فَيَقُولُ: ﴿فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا﴾ أَيْ: هُوَ الْغَنِيُّ وَلَهُ الْمُلْكُ فَاطْلُبُوا مِنْهُ مَا تَطْلُبُونَ. **وَأَمَّا الثَّالِثُ**: فَيَقُولُ: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ أَيْ: لَهُ الْمُلْكُ فَاتَّخِذُوهُ وَكِيلًا، وَلَا تَتَوَكَّلُوا عَلَى غَيْرِهِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾: يُهْلِكْكُمْ ﴿أَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾: يَعْنِي: الْكُفَّارَ، ﴿وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَ ۚ﴾: يَقُولُ بِغَيْرِكُمْ خَيْرٍ مِنْكُمْ وَأَطْوَعَ، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا﴾: قَادِرًا ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ﴾: يُرِيدُ: مَنْ كَانَ يُرِيدُ بِعَمَلِهِ عَرَضًا مِنَ الدُّنْيَا وَلَا يُرِيدُ بِهَا اللهَ ﷻ آتَاهُ اللهُ مِنْ عَرَضِ الدُّنْيَا أَوْ دَفَعَ عَنْهُ فِيهَا مَا أَرَادَ اللهُ، وَلَيْسَ لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ ثَوَابٍ، وَمَنْ أَرَادَ بِعَمَلِهِ ثَوَابَ الْآخِرَةِ آتَاهُ اللهُ مِنَ الدُّنْيَا مَا أَحَبَّ وَجَزَاهُ الْجَنَّةَ فِي الْآخِرَةِ، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾.

﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا۟ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓا۟ أَوْ تُعْرِضُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًۢا﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ﴾: يَعْنِي: كُونُوا قَائِمِينَ بِالشَّهَادَةِ بِالْقِسْطِ، أَيْ: بِالْعَدْلِ للهِ، **وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ** رضي الله عنهما: كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْعَدْلِ فِي الشَّهَادَةِ عَلَى مَنْ كَانَتْ لَهُ، ﴿وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ﴾: فِي الرَّحِمِ أَيْ: قُولُوا الْحَقَّ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ بِالْإِقْرَارِ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ، فَأَقِيمُوهَا

عَلَيْهِمْ للهِ، وَلَا تُحَابُوا [-أَيْ: تُجَامِلُوا-] غَنِيًّا لِغِنَاهُ، وَلَا تَرْحَمُوا فَقِيرًا لِفَقْرِهِ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا﴾: مِنْكُمْ أَيْ: أَقِيمُوا عَلَى الْمَشْهُودِ عَلَيْهِ وَإِنْ كَانَ غَنِيًّا، وَلِلْمَشْهُودِ لَهُ وَإِنْ كَانَ فَقِيرًا، ﴿فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا﴾: مِنْكُمْ، أَيْ: كِلُوا أَمْرَهُمَا إِلَى اللهِ، **وَقَالَ الْحَسَنُ**: مَعْنَاهُ: اللهُ أَعْلَمُ بِهِمَا، ﴿فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا۟﴾: أَيْ: تَجُورُوا وَتَمِيلُوا إِلَى الْبَاطِلِ مِنَ الْحَقِّ، **وَقِيلَ**: مَعْنَاهُ: لَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى لِتَعْدِلُوا، أَيْ: لِتَكُونُوا عَادِلِينَ، كَمَا يُقَالُ: (لَا تَتَّبِعِ الْهَوَى لِتُرْضِيَ رَبَّكَ)، ﴿وَإِن تَلْوُۥٓا۟﴾: أَيْ: تُحَرِّفُوا الشَّهَادَةَ لِتُبْطِلُوا الْحَقَّ، ﴿أَوْ تُعْرِضُوا۟﴾: عَنْهَا فَتَكْتُمُوهَا وَلَا تُقِيمُوهَا، **وَيُقَالُ**: ﴿تَلْوُۥٓا۟﴾: أَيْ تُدَافِعُوا فِي إِقَامَةِ الشَّهَادَةِ، يُقَالُ: (لَوَيْتُهُ حَقَّهُ) إِذَا دَفَعْتَهُ وَمَطَلْتَهُ، **وَقِيلَ**: هَذَا خِطَابٌ مَعَ الْحُكَّامِ فِي لَيِّهِمُ الْأَشْدَاقَ[1]، يَقُولُ: ﴿وَإِن تَلْوُۥٓا۟﴾: أَيْ: تَمِيلُوا إِلَى أَحَدِ الْخَصْمَيْنِ ﴿أَوْ تُعْرِضُوا۟﴾: عَنْهُ، قَرَأَ ابْنُ عَامِرٍ وَحَمْزَةُ: ﴿تَلُوا﴾ بِضَمِّ اللَّامِ، **قِيلَ**: أَصْلُهُ (تَلْوُوا)، فَحُذِفَتْ إِحْدَى الْوَاوَيْنِ تَخْفِيفًا، **وَقِيلَ**: مَعْنَاهُ: وَإِنْ تَلُوا الْقِيَامَ بِأَدَاءِ الشَّهَادَةِ أَوْ تُعْرِضُوا فَتَتْرُكُوا أَدَاءَهَا ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ بِمُحَمَّدٍ ﷺ وَالْقُرْآنِ وَبِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَالتَّوْرَاةِ ﴿ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾: مُحَمَّدٍ ﷺ، ﴿وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾: يَعْنِي الْقُرْآنَ، ﴿وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ﴾: مِنَ التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالزَّبُورِ وَسَائِرِ الْكُتُبِ، قَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ وَابْنُ عَامِرٍ وَأَبُو عَمْرٍو: ﴿نُزِّلَ﴾، وَ﴿أُنْزِلَ﴾، بِضَمِّ النُّونِ وَالْأَلِفِ، وَقَرَأَ الْآخَرُونَ: ﴿نَزَّلَ﴾، وَ﴿أَنزَلَ﴾ بِالْفَتْحِ، أَيْ: أَنْزَلَ اللهُ، ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾. **وَقَالَ الضَّحَّاكُ**: أَرَادَ بِهِ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى يَقُولُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾: بِمُوسَى وَعِيسَى ﴿ءَامَنُوا۟﴾: بِمُحَمَّدٍ وَالْقُرْآنِ **وَقَالَ مُجَاهِدٌ**: أَرَادَ بِهِ الْمُنَافِقِينَ، يَقُولُ: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللِّسَانِ آمَنُوا بِالْقَلْبِ،

---

(١) الأَشْدَقُ: الْعَرِيضُ الشِّدْق الواسعُه المائلُه، أَيَّ ذَلِكَ كَانَ، و(خَطِيبٌ أَشْدَق بَيِّنُ الشَّدَقِ): مُجِيد، والمُتَشَدِّق: الَّذِي يَلْوِي شِدْقَه للتَّفَصُّح، وَ(رَجُلٌ أَشْدَق): إِذَا كَانَ مُتَفَوِّهًا ذَا بيانٍ، وَ(رِجَالٌ شُدْقٌ). ينظر «لسان العرب» (١٠/ ١٧٣).

وَقَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ وَجَمَاعَةٌ: هَذَا خِطَابٌ لِلْمُؤْمِنِينَ، يَقُولُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ﴾: أَيْ: أَقِيمُوا وَاثْبُتُوا عَلَى الْإِيمَانِ، كَمَا يُقَالُ لِلْقَائِمِ: (قُمْ حَتَّى أَرْجِعَ إِلَيْكَ) أَيِ: اثْبُتْ قَائِمًا، وَقِيلَ: الْمُرَادُ بِهِ: أَهْلَ الشِّرْكِ، يَعْنِي: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾: بِاللَّاتِ وَالْعُزَّى ﴿ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْرًا﴾: قَالَ قَتَادَةُ: هُمُ الْيَهُودُ آمَنُوا بِمُوسَى ثُمَّ كَفَرُوا مِنْ بَعْدُ بِعِبَادَتِهِمُ الْعِجْلَ، ثُمَّ آمَنُوا بِالتَّوْرَاةِ ثُمَّ كَفَرُوا بِعِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا بِمُحَمَّدٍ ﷺ. وَقِيلَ: هُوَ فِي جَمِيعِ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنُوا بِنَبِيِّهِمْ ثُمَّ كَفَرُوا بِهِ، وَآمَنُوا بِالْكِتَابِ الَّذِي نَزَلَ عَلَيْهِ ثُمَّ كَفَرُوا بِهِ، وَكُفْرُهُمْ بِهِ تَرْكُهُمْ إِيَّاهُ، ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا بِمُحَمَّدٍ ﷺ. وَقِيلَ: هَذَا فِي قَوْمٍ مُرْتَدِّينَ آمَنُوا ثُمَّ ارْتَدُّوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ ارْتَدُّوا، وَمِثْلُ هَذَا هَلْ تُقْبَلُ تَوْبَتُهُ؟ حُكِيَ عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ لَا تُقْبَلُ تَوْبَتُهُ بَلْ يُقْتَلُ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ﴾، وَأَكْثَرُ أَهْلِ الْعِلْمِ عَلَى قَبُولِ تَوْبَتِهِ، وَقَالَ مُجَاهِدٌ: ﴿ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْرًا﴾: أَيْ مَاتُوا عَلَيْهِ، ﴿لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ﴾: مَا أَقَامُوا عَلَى ذَلِكَ، ﴿وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًۢا﴾: أَيْ: طَرِيقًا إِلَى الْحَقِّ، فَإِنْ قِيلَ: مَا مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ﴾، وَمَعْلُومٌ أَنَّهُ لَا يَغْفِرُ الشِّرْكَ إِنْ كَانَ أَوَّلَ مَرَّةٍ؟ قِيلَ: مَعْنَاهُ أَنَّ الْكَافِرَ إِذَا أَسْلَمَ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَدَامَ عَلَيْهِ يُغْفَرُ لَهُ كُفْرُهُ السَّابِقُ، فَإِنْ أَسْلَمَ ثُمَّ كَفَرَ ثُمَّ أَسْلَمَ ثُمَّ كَفَرَ لَا يُغْفَرُ لَهُ كُفْرُهُ السَّابِقُ الَّذِي كَانَ يُغْفَرُ لَهُ لَوْ دَامَ عَلَى الْإِسْلَامِ.

﴿بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَۚ
أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ
ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ
جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾ ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ
قَالُوٓاْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَۚ
فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ

﴿ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿١٤٢﴾ مُّذَبۡذَبِينَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلٗا ﴾

﴿ بَشِّرِ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ ﴾: أَخْبِرْهُمْ يَا مُحَمَّدُ ﴿بِأَنَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا﴾: **وَالْبِشَارَةُ**: كُلُّ خَبَرٍ يَتَغَيَّرُ بِهِ بَشَرَةُ الْوَجْهِ سَارًّا كَانَ أَوْ غَيْرَ سَارٍّ، **وَقَالَ الزَّجَّاجُ**: مَعْنَاهُ: اجْعَلْ فِي مَوْضِعِ بِشَارَتِكَ لَهُمُ الْعَذَابَ، كَمَا تَقُولُ الْعَرَبُ: (تَحِيَّتُكَ الضَّرْبُ وَعِتَابُكَ السَّيْفُ)، أَيْ: بَدَلًا لَكَ مِنَ التَّحِيَّةِ، ثُمَّ وَصَفَ الْمُنَافِقِينَ فَقَالَ: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ ﴾: يَعْنِي: يَتَّخِذُونَ الْيَهُودَ أَوْلِيَاءَ وَأَنْصَارًا أَوْ بِطَانَةً ﴿مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ أَيَبۡتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلۡعِزَّةَ﴾: أَيْ: الْمَعُونَةَ وَالظُّهُورَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ وَأَصْحَابِهِ؟! **وَقِيلَ**: أَيَطْلُبُونَ عِنْدَهُمُ الْقُوَّةَ وَالغَلَبَةَ؟! ﴿فَإِنَّ ٱلۡعِزَّةَ﴾: أَيْ: الْغَلَبَةَ وَالْقُوَّةَ وَالْقُدْرَةَ ﴿لِلَّهِ جَمِيعٗا﴾.

﴿ وَقَدۡ نَزَّلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ ﴾: قَرَأَ عَاصِمٌ وَيَعْقُوبُ ﴿نَزَّلَ﴾ بِفَتْحِ النُّونِ وَالزَّايِ أَيْ: نَزَّلَ اللهُ، وَقَرَأَ الْآخَرُونَ: ﴿نُزِّلَ﴾ بِضَمِّ النُّونِ وَكَسْرِ الزَّايِ، أَيْ: عَلَيْكُمْ يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ ﴿أَنۡ إِذَا سَمِعۡتُمۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾: يَعْنِي: الْقُرْآنَ ﴿يُكۡفَرُ بِهَا وَيُسۡتَهۡزَأُ بِهَا فَلَا تَقۡعُدُواْ مَعَهُمۡ﴾: يَعْنِي: مَعَ الَّذِينَ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦٓۚ﴾: أَيْ: يَأْخُذُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِ الِاسْتِهْزَاءِ بِمُحَمَّدٍ ﷺ وَالْقُرْآنِ، وَهَذَا إِشَارَةٌ إِلَى مَا أَنْزَلَ اللهُ فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ: ﴿ وَإِذَا رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦۚ ﴾[الأَنْعَام: ٦٨]، **قَالَ الضَّحَّاكُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ** رضي الله عنهما: دَخَلَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ كُلُّ مُحْدِثٍ فِي الدِّينِ وَكُلُّ مُبْتَدِعٍ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، ﴿إِنَّكُمۡ إِذٗا مِّثۡلُهُمۡۗ﴾: أَيْ: إِنْ قَعَدْتُمْ عِنْدَهُمْ وَهُمْ يَخُوضُونَ وَيَسْتَهْزِئُونَ وَرَضِيتُمْ بِهِ فَأَنْتُمْ كُفَّارٌ مِثْلُهُمْ، وَإِنْ خَاضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ فَلَا بَأْسَ بِالْقُعُودِ مَعَهُمْ مَعَ الْكَرَاهَةِ، **وَقَالَ الْحَسَنُ**: لَا يَجُوزُ الْقُعُودُ مَعَهُمْ وَإِنْ خَاضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَلَا تَقۡعُدۡ بَعۡدَ ٱلذِّكۡرَىٰ مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[الأَنْعَام:٦٨] وَالْأَكْثَرُونَ عَلَى الْأَوَّلِ، وَآيَةُ الْأَنْعَامِ مَكِّيَّةٌ وَهَذِهِ مَدَنِيَّةٌ، وَالْمُتَأَخِّرُ أَوْلَى، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡكَٰفِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾.

﴿ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمۡ﴾: يَنْتَظِرُونَ بِكُمُ الدَّوَائِرَ، يَعْنِي: الْمُنَافِقِينَ، ﴿فَإِن كَانَ لَكُمۡ فَتۡحٞ مِّنَ ٱللَّهِ﴾: يَعْنِي: ظَفَرٌ وَغَنِيمَةٌ، ﴿قَالُوٓاْ﴾: لَكُمْ ﴿أَلَمۡ نَكُن مَّعَكُمۡ﴾: عَلَى دِينِكُمْ فِي الْجِهَادِ؟ كُنَّا مَعَكُمْ فَاجْعَلُوا لَنَا نَصِيبًا مِنَ الْغَنِيمَةِ، ﴿وَإِن كَانَ لِلۡكَٰفِرِينَ نَصِيبٞ﴾: يَعْنِي دَوْلَةً وَظُهُورًا عَلَى الْمُسْلِمِينَ، ﴿قَالُوٓاْ﴾: يَعْنِي: الْمُنَافِقِينَ لِلْكَافِرِينَ ﴿أَلَمۡ نَسۡتَحۡوِذۡ عَلَيۡكُمۡ﴾: **وَالِاسْتِحْوَاذُ**: هُوَ الِاسْتِيلَاءُ وَالْغَلَبَةُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ٱسۡتَحۡوَذَ عَلَيۡهِمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾[المُجَادلَة:١٩]، أَيْ: اسْتَوْلَى وَغَلَبَ، يَقُولُ: أَلَمْ نُخْبِرْكُمْ بِعَوْرَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَأَصْحَابِهِ وَنُطْلِعْكُمْ عَلَى سِرِّهِمْ؟ **قَالَ الْمُبَرِّدُ**: يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ لِلْكُفَّارِ أَلَمْ نَغْلِبْكُمْ عَلَى رَأْيِكُمْ ﴿وَنَمۡنَعۡكُم﴾: وَنَصْرِفْكُمْ ﴿مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ﴾: أَيْ عَنِ الدُّخُولِ فِي جُمْلَتِهِمْ **وَقِيلَ**: مَعْنَاهُ: أَلَمْ نَسْتَوْلِ عَلَيْكُمْ بِالنُّصْرَةِ لَكُمْ ﴿وَنَمۡنَعۡكُم مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ﴾: أَيْ: نَدْفَعُ عَنْكُمْ صَوْلَةَ الْمُؤْمِنِينَ بِتَخْذِيلِهِمْ عَنْكُمْ وَمُرَاسَلَتِنَا إِيَّاكُمْ بِأَخْبَارِهِمْ وَأُمُورِهِمْ، وَمُرَادُ الْمُنَافِقِينَ بِهَذَا الْكَلَامِ إِظْهَارُ الْمِنَّةِ عَلَى الْكَافِرِينَ، ﴿فَٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ﴾: يَعْنِي: بَيْنَ أَهْلِ الْإِيمَانِ وَأَهْلِ النِّفَاقِ، ﴿وَلَن يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لِلۡكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ سَبِيلًا﴾: **قَالَ عَلِيٌّ** رضي الله عنه: فِي الْآخِرَةِ، **وَقَالَ عِكْرِمَةُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ** رضي الله عنهما: أَيُّ حُجَّةً، **وَقِيلَ**: ظُهُورًا عَلَى أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ.

﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ﴾: أَيْ يُعَامِلُونَهُ مُعَامَلَةَ الْمُخَادِعِينَ ﴿وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ﴾: أَيْ: مُجَازِيهِمْ عَلَى خِدَاعِهِمْ، ﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ﴾: أَيْ: مُتَثَاقِلِينَ لَا يُرِيدُونَ بِهَا اللهَ، فَإِنْ رَآهُمْ أَحَدٌ صَلَّوْا وَإِلَّا انْصَرَفُوا فَلَا يُصَلُّونَ، ﴿يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ﴾: أَيْ: يَفْعَلُونَ ذَلِكَ مُرَاءَاةً لِلنَّاسِ لَا اتِّبَاعًا لِأَمْرِ اللهِ ﷻ، ﴿وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾: **قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ** رضي الله عنهما **وَالْحَسَنُ**: إِنَّمَا قَالَ ذَلِكَ لِأَنَّهُمْ يَفْعَلُونَهَا رِيَاءً وَسُمْعَةً، وَلَوْ أَرَادُوا بِذَلِكَ الْقَلِيلِ وَجْهَ اللهِ تَعَالَى لَكَانَ كَثِيرًا، **وَقَالَ قَتَادَةُ**: إِنَّمَا قَلَّ ذِكْرُ الْمُنَافِقِينَ؛ لِأَنَّ اللهَ تَعَالَى لَمْ يَقْبَلْهُ وَكُلُّ مَا قَبِلَ اللهُ فَهُوَ كَثِيرٌ. ﴿مُّذَبۡذَبِينَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ﴾: أَيْ: مُتَرَدِّدِينَ مُتَحَيِّرِينَ بَيْنَ الْكُفْرِ وَالْإِيمَانِ، ﴿لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ﴾: أَيْ: لَيْسُوا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ

فَيَجِبُ لَهُمْ مَا يَجِبُ لِلْمُؤْمِنِينَ، وَلَيْسُوا مِنَ الْكُفَّارِ فَيُؤْخَذُ مِنْهُمْ مَا يُؤْخَذُ مِنَ الْكُفَّارِ، ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا﴾: أَيْ: طَرِيقًا إِلَى الْهُدَى.

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَثَلُ الْمُنَافِقِ كَمَثَلِ الشَّاةِ الْعَائِرَةِ بَيْنَ الْغَنَمَيْنِ، تَعِيرُ إِلَى هَذِهِ مَرَّةً وَإِلَى هَذِهِ مَرَّةً**»(١).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُواْ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٤٤﴾ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَٱعْتَصَمُواْ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُواْ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾ مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَۚ﴾: نَهَى اللهُ الْمُؤْمِنِينَ عَنْ مُوَالَاةِ الْكُفَّارِ، وَقَالَ: ﴿أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُواْ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا﴾: أَيْ: حُجَّةً بَيِّنَةً فِي عَذَابِكُمْ، ثُمَّ ذَكَرَ مَنَازِلَ الْمُنَافِقِينَ فَقَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾: قَرَأَ أَهْلُ الْكُوفَةِ: ﴿فِى ٱلدَّرْكِ﴾ بِسُكُونِ الرَّاءِ وَالْبَاقُونَ بِفَتْحِهَا وَهُمَا لُغَتَانِ كَ(الظَّعْنِ وَالظَّعَنِ، وَالنَّهْرِ وَالنَّهَرِ)، قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه: ﴿فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ﴾: فِي تَوَابِيتَ مِنْ حَدِيدٍ مُقْفَلَةٍ فِي النَّارِ، وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: بَيْتٌ مُقْفَلٌ عَلَيْهِمْ تَتَوَقَّدُ فِيهِ النَّارُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِهِمْ، ﴿وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾: مَانِعًا مِنَ الْعَذَابِ، ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ﴾: مِنَ النِّفَاقِ وَآمَنُوا ﴿وَأَصْلَحُواْ﴾: عَمَلَهُمْ ﴿وَٱعْتَصَمُواْ بِٱللَّهِ﴾: وَثِقُوا بِاللهِ ﴿وَأَخْلَصُواْ دِينَهُمْ لِلَّهِ﴾: أَرَادَ الْإِخْلَاصَ بِالْقَلْبِ؛ لِأَنَّ النِّفَاقَ كُفْرُ الْقَلْبِ فَزَوَالُهُ يَكُونُ بِإِخْلَاصِ الْقَلْبِ، ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَۖ﴾: **قَالَ الْفَرَّاءُ**: مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، ﴿وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: فِي الْآخِرَةِ ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾: يَعْنِي: الْجَنَّةَ،

(١) **صحيح**: مسلم: (٢٧٨٤). «**كَمَثَلِ الشَّاةِ الْعَائِرَةِ**»: أي: المتردِّدة والمتحيِّرة، قال التوربشتيّ: وأكثر استعماله في الناقة، وهي التي تخرج من إبل إلى أخرى؛ ليضربها الفحل، ثم اتُّسِع في المواشي.اهـ "البحر المحيط الثجاج" (٤٣/ ٢٩٧).

وَحُذِفَتِ الْيَاءُ مِنْ ﴿يُؤْتِ﴾ فِي الْخَطِّ لِسُقُوطِهَا فِي اللَّفْظِ، وَسُقُوطُهَا فِي اللَّفْظِ لِسُكُونِ اللَّامِ فِي ﴿ٱللَّهُ﴾.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ﴾: أَيْ: إِنْ شَكَرْتُمْ نَعْمَاءَهُ ﴿وَءَامَنتُمْ﴾: بِهِ، فِيهِ تَقْدِيمٌ وَتَأْخِيرٌ، تَقْدِيرُهُ: إِنْ آمَنْتُمْ وَشَكَرْتُمْ؛ لِأَنَّ الشُّكْرَ لَا يَنْفَعُ مَعَ عَدَمِ الْإِيمَانِ، وَهَذَا اسْتِفْهَامٌ بِمَعْنَى التَّقْرِيرِ، مَعْنَاهُ: إِنَّهُ لَا يُعَذِّبُ الْمُؤْمِنَ الشَّاكِرَ؛ فَإِنَّ تَعْذِيبَهُ عِبَادَهُ لَا يَزِيدُ فِي مِلْكِهِ، وَتَرْكَهُ عُقُوبَتَهُمْ عَلَى فِعْلِهِمْ لَا يُنْقِصُ مِنْ سُلْطَانِهِ، **وَالشُّكْرُ:** ضِدُّ الْكُفْرِ، **وَالْكُفْرُ:** سَتْرُ النِّعْمَةِ، **وَالشُّكْرُ:** إِظْهَارُهَا، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾: **فَالشُّكْرُ مِنَ اللهِ تَعَالَى:** هُوَ الرِّضَى بِالْقَلِيلِ مِنْ عِبَادِهِ وَإِضْعَافُ الثَّوَابِ عَلَيْهِ، **وَالشُّكْرُ مِنَ الْعَبْدِ:** الطَّاعَةُ، **وَمِنَ اللهِ:** الثَّوَابُ.

﴿۞ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾ إِن تُبْدُوا۟ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا۟ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّاۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُو۟لَٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾

قَوْلُهُ: ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَۚ﴾: يَعْنِي: لَا يُحِبُّ اللهُ الْجَهْرَ بِالْقُبْحِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظُلِمَ، فَيَجُوزُ لِلْمَظْلُومِ أَنْ يُخْبِرَ عَنْ ظُلْمِ الظَّالِمِ وَأَنْ يَدْعُوَ عَلَيْهِ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ﴾[الشُّورَى:٤١]، **قَالَ الْحَسَنُ:** دُعَاؤُهُ عَلَيْهِ أَنْ يَقُولَ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَيْهِ اللَّهُمَّ اسْتَخْرِجْ حَقِّي مِنْهُ، **وَقِيلَ:** إِنْ شَتَمَ جَازَ أَنْ يَشْتُمَ بِمِثْلِهِ لَا يَزِيدُ عَلَيْهِ.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**الْمُسْتَبَّانُ مَا قَالَا، فَعَلَى الْبَادِئِ**

مَا لَمْ يَعْتَدِ الْمَظْلُومُ»[(١)].

وَقَالَ مُجَاهِدٌ: هَذَا فِي الضَّيْفِ إِذَا نَزَلَ بِقَوْمٍ فَلَمْ يُقْرُوهُ وَلَمْ يُحْسِنُوا ضِيَافَتَهُ فَلَهُ أَنْ يَشْكُوَ وَيَذْكُرَ مَا صُنِعَ بِهِ.

عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ: قُلْنَا يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّكَ تَبْعَثُنَا فَنَنْزِلُ بِقَوْمٍ فَلَا يَقْرُونَنَا فَمَا تَرَى؟ فَقَالَ لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنْ نَزَلْتُمْ بِقَوْمٍ فَأَمَرُوا لَكُمْ بِمَا يَنْبَغِي لِلضَّيْفِ فَاقْبَلُوا، فَإِنْ لَمْ يَفْعَلُوا فَخُذُوا مِنْهُمْ حَقَّ الضَّيْفِ الَّذِي يَنْبَغِي لَهُمْ**»[(٢)].

وَقَرَأَ الضَّحَّاكُ بْنُ مُزَاحِمٍ وَزَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ: ﴿إِلَّا مَنْ ظَلَمَ﴾ بِفَتْحِ الظَّاءِ وَاللَّامِ، مَعْنَاهُ: لَكِنِ الظَّالِمَ اجْهَرُوا لَهُ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ، **وَقِيلَ مَعْنَاهُ**: لَا يُحِبُّ اللهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ لَكِنْ يَجْهَرُ مَنْ ظُلِمَ، وَالْقِرَاءَةُ الْأُولَى هِيَ الْمَعْرُوفَةُ، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا﴾: لِدُعَاءِ المَظْلُومِ، ﴿عَلِيمًا﴾: بِعِقَابِ الظَّالِمِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِن تُبْدُواْ خَيْرًا﴾: يَعْنِي: حَسَنَةً فَيَعْمَلُ بِهَا كُتِبَتْ لَهُ عَشْرًا، وَإِنْ هَمَّ بِهَا وَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةٌ وَاحِدَةٌ، وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿أَوْ تُخْفُوهُ﴾، **وَقِيلَ**: الْمُرَادُ مِنَ الْخَيْرِ: الْمَالُ، يُرِيدُ: إِنْ تُبْدُوا صَدَقَةً تُعْطُونَهَا جَهْرًا أَوْ تُخْفُوهَا فَتُعْطُوهَا سِرًّا، ﴿أَوْ تَعْفُواْ عَن سُوٓءٍ﴾: أَيْ: عَنْ مَظْلَمَةٍ، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾: فَهُوَ أَوْلَى بِالتَّجَاوُزِ عَنْكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

قَوْلُهُ ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾: الْآيَةَ، نَزَلَتْ فِي الْيَهُودِ وَذَلِكَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمُوسَى عليه السلام وَالتَّوْرَاةِ وَعُزَيْرٍ وَكَفَرُوا بِعِيسَى وَالْإِنْجِيلِ وَبِمُحَمَّدٍ وَالْقُرْآنِ

(١) **صحيح**: مسلم: (٢٥٨٧). قال النووي رحمه الله: واعلم أنَّ سِبابَ المسلم بغير حقٍّ حرامٌ، كما قال ﷺ: «**سِبَابُ المُسْلِمِ فُسُوقٌ**»، ولا يجوز للمسبوب أن ينتصر إلا بمثل ما سَبَّه، مالم يكن كذبًا أو قذفًا أو سَبًّا لأسلافه، فمن صور المباح أن ينتصر بـ(يا ظالم) (يا أحمق) أو (جافي) أو نحو ذلك؛ لأنه لا يكاد أحد ينفك من هذه الأوصاف، قالوا: وإذا انتصر المسبوب استوفى ظلامته وبرئ الأوَّل من حقِّه وبقي عليه إثم الابتداء أو الإثم المستحق لله تعالى، وقيل: يرتفع عنه جميع الإثم بالانتصار منه، ويكون معنى: «**عَلَى البَادِئ**»: أي: عليه اللوم والذم، لا الإثم. "شرح مسلم" (١٦/ ١٤١).

(٢) **صحيح**: البخاري: (٦١٣٧)، مسلم: (١٧٢٧).

﴿وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾: أَيْ: دِينًا بَيْنَ الْيَهُودِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ وَمَذْهَبًا يَذْهَبُونَ إِلَيْهِ، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّاۚ﴾: حَقَّقَ كُفْرَهُمْ لِيُعْلِمَ أَنَّ الْكُفْرَ بِبَعْضِهِمْ كَالْكُفْرِ بِجَمِيعِهِمْ، ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾: كُلِّهِمْ ﴿وَلَمْ يُفَرِّقُواْ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ﴾: يَعْنِي: بَيْنَ الرُّسُلِ، وَهُمُ الْمُؤْمِنُونَ يَقُولُونَ: لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْۗ﴾: بِإِيمَانِهِمْ بِاللهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ، قَرَأَ حَفْصٌ عَنْ عَاصِمٍ ﴿يُؤْتِيهِمْ﴾ بِالْيَاءِ، أَيْ: يُؤْتِيهِمُ اللهُ، وَالْبَاقُونَ بِالنُّونِ، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾.

﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِۚ فَقَدْ سَأَلُواْ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓاْ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْۚ ثُمَّ ٱتَّخَذُواْ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَۚ وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٥٣﴾ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُواْ فِي ٱلسَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِۚ﴾: وَكَانَ هَذَا السُّؤَالُ مِنْهُمْ سُؤَالَ تَحَكُّمٍ وَاقْتِرَاحٍ، لَا سُؤَالَ انْقِيَادٍ، وَاللهُ تَعَالَى لَا يُنْزِلُ الْآيَاتِ عَلَى اقْتِرَاحِ الْعِبَادِ.

قَوْلُهُ: ﴿فَقَدْ سَأَلُواْ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ﴾: أَيْ: أَعْظَمَ مِنْ ذَلِكَ، ﴿فَقَالُوٓاْ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾: أَيْ: عِيَانًا، **قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ**: مَعْنَاهُ: قَالُوا جَهْرَةً أَرِنَا اللهُ، ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْۚ ثُمَّ ٱتَّخَذُواْ ٱلْعِجْلَ﴾: يَعْنِي: إِلَهًا ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَۚ﴾: وَلَمْ نَسْتَأْصِلْهُمْ، **قِيلَ**: هَذَا اسْتِدْعَاءٌ إِلَى التَّوْبَةِ، مَعْنَاهُ: أَنَّ أُولَئِكَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا تَابُوا فَعَفَوْنَا عَنْهُمْ، فَتُوبُوا أَنْتُمْ حَتَّى نَعْفُوَ عَنْكُمْ، ﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا﴾: أَيْ: حُجَّةً بَيِّنَةً مِنَ الْمُعْجِزَاتِ، وَهِيَ الْآيَاتُ التِّسْعُ، ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُواْ فِي ٱلسَّبْتِ﴾: قَرَأَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ بِتَشْدِيدِ الدَّالِ وَفَتْحِ الْعَيْنِ نَافِعٍ بِرِوَايَةِ وَرْشٍ، وَيَجْزِمُهَا الْآخَرُونَ، وَمَعْنَاهُ: لَا تَعْتَدُوا وَلَا تَظْلِمُوا بِاصْطِيَادِ الْحِيتَانِ فِيهِ، ﴿وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا﴾.

﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ﴾: أَيْ: فَبِنَقْضِهِمْ، وَ(مَا) صِلَةٌ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾[آل عِمْرَان:١٥٩] وَنَحْوِهَا، ﴿وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾: أَيْ: خَتَمَ عَلَيْهَا ﴿فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾: يَعْنِي: مِمَّنْ كَذَّبَ الرُّسُلَ لَا مِمَّنْ طُبِعَ عَلَى قَلْبِهِ؛ لِأَنَّ مَنْ طَبَعَ اللهُ عَلَى قَلْبِهِ لَا يُؤْمِنُ أَبَدًا، وَأَرَادَ بِالْقَلِيلِ: عَبْدَ اللهِ بْنَ سَلَامٍ وَأَصْحَابَهُ، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: لَا يُؤْمِنُونَ قَلِيلًا وَلَا كَثِيرًا. ﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا﴾: حِينَ رَمَوْهَا بِالزِّنَا، ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ﴾: وَذَلِكَ أَنَّ اللهَ تَعَالَى أَلْقَى شَبَهَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى الَّذِي دَلَّ الْيَهُودَ عَلَيْهِ، **وَقِيلَ**: إِنَّهُمْ حَبَسُوا عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي بَيْتٍ وَجَعَلُوا عَلَيْهِ رَقِيبًا، فَأَلْقَى اللهُ تَعَالَى شَبَهَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى الرَّقِيبِ فَقَتَلُوهُ، وَقِيلَ غَيْرَ ذَلِكَ.

قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾: فِي قَتْلِهِ ﴿لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ﴾: أَيْ: فِي قَتْلِهِ، **قَالَ الْكَلْبِيُّ**: اخْتِلَافُهُمْ فِيهِ هُوَ أَنَّ الْيَهُودَ قَالَتْ: نَحْنُ قَتَلْنَاهُ، وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنَ النَّصَارَى: نَحْنُ قَتَلْنَاهُ، وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ: مَا قَتَلَهُ هَؤُلَاءِ وَلَا هَؤُلَاءِ بَلْ رَفَعَهُ اللهُ إِلَى السَّمَاءِ وَنَحْنُ نَنْظُرُ إِلَيْهِ، **وَقِيلَ**: كَانَ اللهُ تَعَالَى أَلْقَى شَبَهَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى الوَجْهِ وَلَمْ يُلْقِهِ عَلَى الجَسَدِ، فَاخْتَلَفُوا فِيهِ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: قَتَلْنَا عِيسَى؛ فَإِنَّ الْوَجْهَ وَجْهُ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَمْ نَقْتُلْهُ؛ لِأَنَّ جَسَدَهُ لَيْسَ جَسَدَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَاخْتَلَفُوا. **قَالَ السُّدِّيُّ**:

اخْتِلَافُهُمْ مِنْ حَيْثُ أَنَّهُمْ قَالُوا: إِنْ كَانَ هَذَا عِيسَى فَأَيْنَ صَاحِبُنَا؟ وَإِنَّ كَانَ هَذَا صَاحِبنَا فَأَيْنَ عِيسَى؟ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ﴾: مِنْ حَقِيقَة أَنَّهُ قُتِلَ أَوْ لَمْ يُقْتَلْ، ﴿إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ﴾: لَكِنَّهُمْ يَتَّبِعُونَ الظَّنَّ فِي قَتْلِهِ، قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾: أَيْ: مَا قَتَلُوا عِيسَى يَقِينًا، ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ﴾، وَقِيلَ: قَوْلُهُ: ﴿يَقِينًا﴾: يَرْجِعُ إِلَى مَا بَعْدَه، وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ﴾: كَلَامٌ تَامٌّ، تَقْدِيرُهُ: بَلْ رَفعَهُ اللهُ إِلَيْهِ يَقِينًا، وَالْهَاءُ فِي ﴿وَمَا قَتَلُوهُ﴾: كِنَايَةٌ عَنْ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا﴾: مَنِيعًا بِالنِّقْمَةِ مِنَ الْيَهُودِ، ﴿حَكِيمًا﴾: حَكَمَ بِاللَّعْنَةِ وَالْغَضَبِ عَلَيْهِمْ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾: أَيْ: وَمَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِعِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهُوَ قَوْلُ أَكْثَرِ الْمُفَسِّرِينَ وَأَهْلِ الْعِلْمِ وَقَوْلُهُ: ﴿قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾: **اخْتَلَفُوا فِي هَذِهِ الْكِنَايَةِ، فَقَالَ عِكْرِمَةُ وَمُجَاهِدٌ وَالضَّحَّاكُ وَالسُّدِّيُّ**: إِنَّهَا كِنَايَةٌ عَنِ الْكِتَابِيِّ، وَمَعْنَاهُ: وَمَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أَحَدٌ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِعِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ قَبْلَ مَوْتِهِ إِذَا وَقَعَ فِي الْبَأْسِ حِينَ لَا يَنْفَعُهُ إِيمَانُهُ، سَوَاءٌ احْتَرَقَ أَوْ غَرِقَ أَوْ تَرَدَّى فِي بِئْرٍ أَوْ سَقَطَ عَلَيْهِ جِدَارٌ أَوْ أَكَلَهُ سَبُعٌ أَوْ مَاتَ فَجْأَةً. **وَذَهَبَ قَوْمٌ** إِلَى أَنَّ الْهَاءَ فِي مَوْتِهِ كِنَايَةٌ عَنْ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، مَعْنَاهُ: وَإِن مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِعِيسَى قَبْلَ مَوْتِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَذَلِكَ عِنْدَ نُزُولِهِ مِنَ السَّمَاءِ فِي آخِرِ الزَّمَانِ فَلَا يَبْقَى أَحَدٌ إِلَّا آمَنَ بِهِ حَتَّى تَكُونَ الْمِلَّةُ وَاحِدَةً، مِلَّةُ الإِسْلَامِ، وَرَوَيْنَا **عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ** رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **«يُوشِكُ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمُ ابنُ مَرْيَمَ حَكَمًا عَدْلًا يَكْسِرُ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلُ الْخِنْزِيرَ، وَيَضَعُ الْجِزْيَةَ، وَيَفِيضُ الْمَالُ حَتَّى لَا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ، وَيَهْلَكُ فِي زَمَانِهِ الْمِلَلُ كُلُّهَا إِلَّا الْإِسْلَامَ، وَيَقْتُلُ الدَّجَّالَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ أَرْبَعِينَ سَنَةً ثُمَّ يُتَوَفَّى وَيُصَلِّي عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ»**، **وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ**: اقْرَؤُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾: قَبْلَ مَوْتِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، ثُمَّ يُعِيدُهَا أَبُو هُرَيْرَةَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ[(١)].

---

(١) **صحيح**: البخاري: (٣٤٤٨)، مسلم: (١٥٥).

وَرَوِيَ عَنْ عِكْرِمَةَ: أَنَّ الْهَاءَ فِي قَوْلِهِ: ﴿لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ﴾ كِنَايَةٌ عَنْ مُحَمَّدٍ ﷺ، يَقُولُ: لَا يَمُوتُ كِتَابِيٌّ حَتَّى يُؤْمِنَ بِمُحَمَّدٍ ﷺ، وَقِيلَ: هِيَ رَاجِعَةٌ إِلَى اللهِ ﷻ يَقُولُ: وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِاللهِ ﷻ قَبْلَ مَوْتِهِ عِنْدَ الْمُعَايَنَةِ حِينَ لَا يَنْفَعُهُ إِيمَانُهُ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكُونُ﴾: يَعْنِي: عِيسَى ﵇ ﴿عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا﴾: أَنَّهُ قَدْ بَلَّغَهُمْ رِسَالَةَ رَبِّهِ، وَأَقَرَّ بِالْعُبُودِيَّةِ عَلَى نَفْسِهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْهُ: ﴿وَكُنتُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا مَّا دُمۡتُ فِيهِمۡۖ﴾[المَائِدَة:١١٧]، وَكُلُّ نَبِيٍّ شَاهِدٌ عَلَى أُمَّتِهِ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَكَيۡفَ إِذَا جِئۡنَا مِن كُلِّ أُمَّةِۭ بِشَهِيدٖ وَجِئۡنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدٗا﴾[النِّسَاء:٤١].

﴿فَبِظُلۡمٖ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا عَلَيۡهِمۡ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتۡ لَهُمۡ وَبِصَدِّهِمۡ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرٗا ﴿١٦٠﴾ وَأَخۡذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدۡ نُهُواْ عَنۡهُ وَأَكۡلِهِمۡ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ مِنۡهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا ﴿١٦١﴾ لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ مِنۡهُمۡ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَۚ وَٱلۡمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَۚ وَٱلۡمُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ أُوْلَٰٓئِكَ سَنُؤۡتِيهِمۡ أَجۡرًا عَظِيمًا﴾

قَوْلُهُ ﷻ: ﴿فَبِظُلۡمٖ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾: وَهُوَ مَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ مِنْ نَقْضِهِمُ الْمِيثَاقَ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللهِ وَبُهْتَانِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ، وَقَوْلِهِمْ: إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ ﴿حَرَّمۡنَا عَلَيۡهِمۡ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتۡ لَهُمۡ﴾: وَهِيَ مَا ذَكَرَ فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ فَقَالَ: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٖۖ﴾[الأَنْعَام:١٤٦]، وَنَظْمُ الْآيَةِ: فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادَوْا وَهُوَ مَا ذَكَرْنَا، ﴿وَبِصَدِّهِمۡ﴾: وَبِصَرْفِهِمْ أَنْفُسَهُمْ وَغَيْرَهُمْ ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرٗا﴾: أَيْ: عَنْ دِينِ اللهِ صَدًّا كَثِيرًا، ﴿وَأَخۡذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدۡ نُهُواْ عَنۡهُ﴾: فِي التَّوْرَاةِ، ﴿وَأَكۡلِهِمۡ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِۚ﴾: مِنَ الرِّشَا فِي الْحُكْمِ، وَالْمَآكِلِ الَّتِي يُصِيبُونَهَا مِنْ عَوَامِّهِمْ، عَاقَبْنَاهُمْ بِأَنْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ، فَكَانُوا كُلَّمَا ارْتَكَبُوا كَبِيرَةً حُرِّمَ عَلَيْهِمْ شَيْءٌ مِنَ الطَّيِّبَاتِ الَّتِي كَانَتْ حَلَالًا لَهُمْ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ذَٰلِكَ جَزَيۡنَٰهُم بِبَغۡيِهِمۡۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾[الأَنْعَام:١٤٦]، ﴿وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ مِنۡهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا﴾.

﴿لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ مِنۡهُمۡ﴾: يَعْنِي: لَيْسَ كُلُّ أَهْلِ الْكِتَابِ بِهَذِهِ الصِّفَةِ، لَكِنِ

الرَّاسِخُونَ البَالِغُونَ فِي العِلْمِ أُولُو البَصَائِرِ مِنْهُمْ، وَأَرَادَ بِهِ الَّذِينَ أَسْلَمُوا مِنْ عُلَمَاءِ الْيَهُودِ مِثْلَ عَبْدِ اللهِ بْنِ سَلَامٍ وَأَصْحَابِهِ، ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾: يَعْنِي: الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ، ﴿يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾: يَعْنِي: الْقُرْآنَ، ﴿وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾: يَعْنِي: سَائِرَ الْكُتُبِ الْمُنَزَّلَةِ، ﴿وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾: **اخْتَلَفُوا فِيهِ، قِيلَ**: هُوَ نَصْبٌ عَلَى الْمَدْحِ، **وَقِيلَ**: نَصْبٌ عَلَى إِضْمَارِ فِعْلٍ تَقْدِيرُهُ: أَعْنِي الْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَهُمُ الْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ. **وَقِيلَ**: مَوْضِعُهُ خَفْضٌ، **وَاخْتَلَفُوا فِي وَجْهِهِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ**: مَعْنَاهُ: لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَمِنَ الْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ، **وَقِيلَ**: مَعْنَاهُ: يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَإِلَى الْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ. ثُمَّ قَوْلُهُ: ﴿وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾: رُجُوعٌ إِلَى النَّسَقِ الْأَوَّلِ، ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ أُوْلَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾: قَرَأَ حَمْزَةُ ﴿سَيُؤْتِيهِمْ﴾ بِالْيَاءِ، وَالْبَاقُونَ بِالنُّونِ.

﴿۞ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾ لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾: هَذَا بِنَاء عَلَى مَا سَبَقَ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِۚ﴾[النِّسَاء:١٥٣]، فَلَمَّا ذَكَرَ اللهُ عُيُوبَهُمْ وَذُنُوبَهُمْ غَضِبُوا وَجَحَدُوا كُلَّ مَا أَنْزَلَ اللهُ ﷻ، وَقَالُوا: مَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ، فَنَزَلَ: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍۗ﴾[الْأَنْعَام:٩١]، وَأَنْزَلَ: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦۚ﴾، فَذَكَرَ عِدَّةً مِنَ الرُّسُلِ الَّذِينَ أَوْحَى إِلَيْهِمْ، وَبَدَأَ بِذِكْرِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ لِأَنَّهُ كَانَ أَبَا الْبَشَرِ مِثْلَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ﴾[الصَّافَّات:٧٧]؛ وَلِأَنَّهُ أَوَّلُ نَبِيٍّ مِنْ أَنْبِيَاءِ الشَّرِيعَةِ، وَأَوَّلُ نَذِيرٍ عَلَى الشِّرْكِ،

وَأَوَّلُ مَنْ عُذِّبَتْ أُمَّتُهُ لِرَدِّهِمْ دَعْوَتَهُ، وَأُهْلِكَ أَهْلُ الْأَرْضِ بِدُعَائِهِ، وَكَانَ أَطْوَلَ الْأَنْبِيَاءِ عُمُرًا، وَجُعِلَتْ مُعْجِزَاتُهُ فِي نَفْسِهِ؛ لِأَنَّهُ عُمِّرَ أَلْفَ سَنَةٍ، وَلَمْ يَصْبِرْ نَبِيٌّ عَلَى أَذَى قَوْمِهِ مَا صَبَرَ هُوَ عَلَى طُولِ عُمُرِهِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ﴾: وَهُمْ أَوْلَادُ يَعْقُوبَ، ﴿وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾: قَرَأَ الْأَعْمَشُ وَحَمْزَةُ: ﴿زُبُورًا﴾ وَالزُّبُورُ -بِضَمِّ الزَّايِ- حَيْثُ كَانَ بِمَعْنَى: جَمْعُ (زَبُورٍ) أَيْ: آتَيْنَا دَاوُدَ كُتُبًا وَصُحُفًا مَزْبُورَةً، أَيْ مَكْتُوبَةً، وَقَرَأَ الْآخَرُونَ بِفَتْحِ الزَّايِ، وَهُوَ اسْمُ الْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى عَلَى دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

عَنْ أَبِي بُرْدَةَ بْنِ أَبِي مُوسَى عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَوْ رَأَيْتَنِي الْبَارِحَةَ وَأَنَا أَسْتَمِعُ لِقِرَاءَتِكَ! لَقَدْ أُعْطِيتَ مِزْمَارًا مِنْ مَزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ**»[(١)]. فَقَالَ: أَمَا وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ لَوْ عَلِمْتُ أَنَّكَ تَسْتَمِعُ لَحَبَّرْتُهُ لَكَ تَحْبِيرًا. وَكَانَ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إِذَا رَآهُ يَقُولُ: ذَكِّرْنَا يَا أَبَا مُوسَى، فَيَقْرَأُ عِنْدَهُ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ﴾: أَيْ: وَكَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَإِلَى الرُّسُلِ، ﴿وَرُسُلًا﴾: نُصِبَ بِنَزْعِ حَرْفِ الصِّفَةِ، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: وَقَصَصْنَا عَلَيْكَ رُسُلًا، وَفِي قِرَاءَةِ أُبَيٍّ: ﴿وَرُسُلٌ قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ﴾، ﴿وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾: [أَيْ: مُشَافَهَةً مِنْهُ إِلَيهِ بِلَا وَاسِطَةٍ، حَتَّى اشْتَهَرَ بِهَذَا فَيُقَالُ: (مُوسَى كَلِيمُ اللهِ مِنَ الرُّسُلِ)، فَحَقَّقَ الكَلَامَ هُنَا بِالْمَصْدَرِ لِيَدُلَّ عَلَى حَقِيقَتِهِ].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾: فَيَقُولُوا: مَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا وَلَا أَنْزَلْتَ إِلَيْنَا كِتَابًا، وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ اللهَ تَعَالَى لَا يُعَذِّبُ الخَلْقَ قَبْلَ بِعْثَةِ الرُّسُلِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾

(١) **صحيح:** البخاري: (٥٠٤٨)، مسلم: (٧٩٣).

[الإِسْرَاء:١٥]، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾.

عَنِ الْمُغِيرَةِ قَالَ: قَالَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ رضي الله عنه: لَوْ رَأَيْتُ رَجُلًا مَعَ امْرَأَتِي لَضَرَبْتُهُ بِالسَّيْفِ غَيْرُ مُصْفِحٍ، فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «أَتَعْجَبُونَ مِنْ غَيْرَةِ سَعْدٍ؟ وَاللهِ لَأَنَا أَغْيَرُ مِنْهُ، وَاللهُ أَغْيَرُ مِنِّي، وَمِنْ أَجْلِ غَيْرَةِ اللهِ حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ، وَلَا أَحَدَ أَحَبُّ إِلَيْهِ الْعُذْرُ مِنَ اللهِ، وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ بَعْثَ الْمُنْذِرِينَ وَالْمُبَشِّرِينَ، وَلَا أَحَدَ أَحَبُّ إِلَيْهِ الْمِدْحَةُ مِنَ اللهِ، وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ وَعَدَ اللهُ الْجَنَّةَ»[(١)].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ﴾: إِنْ جَحَدُوكَ وَكَذَّبُوكَ، ﴿أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ قَدْ ضَلُّواْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٦٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٦٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَـَٔامِنُواْ خَيْرًا لَّكُمْ وَإِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: بِكِتْمَانِ نَعْتِ مُحَمَّدٍ ﷺ ﴿قَدْ ضَلُّواْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٦٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ﴾: قِيلَ: إِنَّمَا قَالَ: ﴿وَظَلَمُواْ﴾ مَعَ أَنَّ ظُلْمَهُمْ بِكُفْرِهِمْ تَأْكِيدًا، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: كَفَرُوا بِاللهِ وَظَلَمُوا مُحَمَّدًا ﷺ بِكِتْمَانِ نَعْتِهِ، ﴿لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا﴾: يَعْنِي: دِينَ الْإِسْلَامِ، ﴿إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ﴾: يَعْنِي: الْيَهُودِيَّةَ، ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾: وَهَذَا فِي حَقِّ مَنْ سَبَقَ حُكْمُهُ فِيهِمْ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَـَٔامِنُواْ خَيْرًا لَّكُمْ﴾: تَقْدِيرُهُ: فَآمِنُوا يَكُنِ الْإِيمَانُ خَيْرًا لَكُمْ، ﴿وَإِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾.

---

(١) **صحيح:** البخاري: (٧٤١٦)، مسلم: (١٤٩٩).

﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴿١٧١﴾ لَّن يَسۡتَنكِفَ ٱلۡمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبۡدٗا لِّلَّهِ وَلَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ٱلۡمُقَرَّبُونَۚ وَمَن يَسۡتَنكِفۡ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيَسۡتَكۡبِرۡ فَسَيَحۡشُرُهُمۡ إِلَيۡهِ جَمِيعٗا ﴿١٧٢﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضۡلِهِۦۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡتَنكَفُواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ فَيُعَذِّبُهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا﴾

﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ﴾: نَزَلَتْ فِي النَّصَارَى **وَقَالَ الْحَسَنُ**: يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ نَزَلَتْ فِي الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى؛ فَإِنَّهُمْ جَمِيعًا غَلَوْا فِي أَمْرِ عِيسَى، فَاليَهُودُ بِالتَّقْصِيرِ، وَالنَّصَارَى بِمُجَاوَزَةِ الحَدِّ، **وَأَصْلُ الْغُلُوِّ**: مُجَاوَزَةُ الْحَدِّ، وَهُوَ فِي الدِّينِ حَرَامٌ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ﴾: لَا تُشَدِّدُوا فِي دِينِكُمْ فَتَفْتَرُوا عَلَى اللهِ الكَذِبَ، ﴿وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ﴾: لَا تَقُولُوا إِنَّ لَهُ شَرِيكًا وَوَلَدًا ﴿إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ﴾: وَهِيَ قَوْلُهُ: (كُنْ) فَكَانَ بَشَرًا مِنْ غَيْرِ أَبٍ، **وَقِيلَ**: غَيْرُهُ، ﴿أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ﴾: أَيْ أَعْلَمَهَا وَأَخْبَرَهَا بِهَا، كَمَا يُقَالُ: (أَلْقَيْتُ إِلَيْكَ كَلِمَةً حَسَنَةً)، [**وَقِيلَ**: أَوْصَلَهَا، **وَقِيلَ**: وَجَّهَهَا]، ﴿وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ﴾: **قِيلَ**: هُوَ رُوحٌ كَسَائِرِ الْأَرْوَاحِ إِلَّا أَنَّ اللهَ تَعَالَى أَضَافَهُ إِلَى نَفْسِهِ تَشْرِيفًا، **وَقِيلَ**: الرُّوحُ: هُوَ النَّفْخُ الَّذِي نَفَخَهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي دِرْعِ مَرْيَمَ فَحَمَلَتْ بِإِذْنِ اللهِ تَعَالَى، **سُمِّيَ النَّفْخُ رُوحًا**؛ لِأَنَّهُ رِيحٌ يَخْرُجُ مِنَ الرُّوحِ، وَأَضَافَهُ إِلَى نَفْسِهِ لِأَنَّهُ كَانَ بِأَمْرِهِ، **وَقِيلَ**: ﴿وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ﴾: أَيْ: وَرَحْمَةٌ، فَكَانَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ رَحْمَةً لِمَنْ تَبِعَهُ وَآمَنَ بِهِ، **وَقِيلَ**: الرُّوحُ الْوَحْيُ، أَوْحَى إِلَى مَرْيَمَ بِالْبِشَارَةِ، وَإِلَى جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالنَّفْخِ، وَإِلَى عِيسَى أَنْ كُنْ فَكَانَ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنۡ أَمۡرِهِۦ﴾[النحل:٢]، يَعْنِي: بِالْوَحْيِ، **وَقِيلَ**: أَرَادَ بِالرُّوحِ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، مَعْنَاهُ: وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ، وَأَلْقَاهَا أَيْضًا رُوحٌ مِنْهُ بِأَمْرِهِ

وَهُوَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، كَمَا قَالَ: ﴿ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا ﴾[الْقَـدْر:٤]، يَعْنِي: جِبْرِيلَ فِيهَا، وَقَالَ: ﴿فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾[مَرْيَم:١٧]، يَعْنِي: جِبْرِيلَ.

عَنْ عُبَادَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَأَنَّ الجَنَّةَ حَقٌّ وَالنَّارَ حَقٌّ، أَدْخَلَهُ اللهُ الْجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنَ الْعَمَلِ»(١).

﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌ ﴾: أَيْ: وَلَا تَقُولُوا هُمْ ثَلَاثَةٌ، وَكَانَتِ النَّصَارَى تَقُولُ: أَبٌ، وَابْنٌ، وَرُوحُ الْقُدُسِ، ﴿ٱنتَهُواْ خَيْرًا لَّكُمْ ﴾: تَقْدِيرُهُ: انْتَهُوا يَكُنِ الِانْتِهَاءُ خَيْرًا لَكُمْ، ﴿إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ﴾: وَاعْلَمْ أَنَّ التَّبَنِّيَ لَا يَجُوزُ للهِ تَعَالَى؛ لِأَنَّ التَّبَنِّيَ إِنَّمَا يَجُوزُ لِمَنْ يُتَصَوَّرُ لَهُ وَلَدٌ، ﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴾.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ ﴾: لَنْ يَأْنَفَ وَلَنْ يَتَعَظَّمَ، **وَالِاسْتِنْكَافُ:** التَّكَبُّرُ مَعَ الْأَنَفَةِ، ﴿أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴾: وَهُمْ حَمَلَةُ الْعَرْشِ، لَا يَأْنَفُونَ أَنْ يَكُونُوا عَبِيدًا للهِ، وَيَسْتَدِلُّ بِهَذِهِ الْآيَةِ مَنْ يَقُولُ بِتَفْضِيلِ الْمَلَائِكَةِ عَلَى الْبَشَرِ؛ لِأَنَّ اللهَ تَعَالَى ارْتَقَى مِنْ عِيسَى إِلَى الْمَلَائِكَةِ، وَلَا يُرْتَقَى إِلَّا إِلَى الْأَعْلَى، لَا يُقَالُ: (لَا يَسْتَنْكِفُ فُلَانٌ مِنْ كَذَا وَلَا عَبْدُهُ)، إِنَّمَا يُقَالُ: (فُلَانٌ لَا يَسْتَنْكِفُ مِنْ هَذَا وَلَا مَوْلَاهُ)، وَلَا حُجَّةَ لَهُمْ فِيهِ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَقُلْ ذَلِكَ رَفْعًا لِمَقَامِهِمْ عَلَى مَقَامِ الْبَشَرِ، بَلْ رَدًّا عَلَى الَّذِينَ يَقُولُونَ الْمَلَائِكَةُ آلِهَةٌ، كَمَا رَدَّ عَلَى النَّصَارَى قَوْلَهُمْ (الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ)، وَقَالَ رَدًّا عَلَى النَّصَارَى بِزَعْمِهِمْ، فَإِنَّهُمْ يَقُولُونَ بِتَفْضِيلِ الْمَلَائِكَةِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴾: قِيلَ: الِاسْتِنْكَافُ: هُوَ التَّكَبُّرُ مَعَ الْأَنَفَةِ، وَالِاسْتِكْبَارُ: هُوَ الْعُلُوُّ وَالتَّكَبُّرُ مِنْ غَيْرِ أَنَفَةٍ.

---

(١) **صحيح:** البخاري: (٣٤٣٥)، مسلم: (٢٨).

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضۡلِهِۦ﴾: مِنَ التَّضْعِيفِ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلَا خطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَر، ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡتَنكَفُواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ﴾: عَنْ عِبَادَتِهِ ﴿فَيُعَذِّبُهُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمۡ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱعۡتَصَمُواْ بِهِۦ فَسَيُدۡخِلُهُمۡ فِي رَحۡمَةٍ مِّنۡهُ وَفَضۡلٍ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَيۡهِ صِرَٰطًا مُّسۡتَقِيمًا﴾

قَوْلُهُ ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾: يَعْنِي: مُحَمَّدًا ﷺ، **هَذَا قَوْلُ أَكْثَرِ الْمُفَسِّرِينَ، وَقِيلَ:** هُوَ الْقُرْآنُ، **وَالْبُرْهَانُ:** الْحُجَّةُ، ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورًا مُّبِينًا﴾: بَيِّنًا، يَعْنِي: الْقُرْآنَ، ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱعۡتَصَمُواْ بِهِۦ﴾: امْتَنَعُوا بِهِ مِنْ زَيْغِ الشَّيْطَانِ ﴿فَسَيُدۡخِلُهُمۡ فِي رَحۡمَةٍ مِّنۡهُ وَفَضۡلٍ﴾ يَعْنِي الْجَنَّةَ ﴿وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَيۡهِ صِرَٰطًا مُّسۡتَقِيمًا﴾.

﴿يَسۡتَفۡتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفۡتِيكُمۡ فِي ٱلۡكَلَٰلَةِۚ إِنِ ٱمۡرُؤٌاْ هَلَكَ لَيۡسَ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَهُۥٓ أُخۡتٌ فَلَهَا نِصۡفُ مَا تَرَكَۚ وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمۡ يَكُن لَّهَا وَلَدٌۚ فَإِن كَانَتَا ٱثۡنَتَيۡنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَۚ وَإِن كَانُوٓاْ إِخۡوَةً رِّجَالًا وَنِسَآءً فَلِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۗ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ أَن تَضِلُّواْۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَسۡتَفۡتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفۡتِيكُمۡ فِي ٱلۡكَلَٰلَةِۚ﴾: نَزَلَتْ فِي **جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ** رضي الله عنه، قَالَ: عَادَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَنَا مَرِيضٌ لَا أَعْقِلُ، فَتَوَضَّأَ وَصَبَّ عَلَيَّ مِنْ وَضُوئِهِ، فَعَقَلْتُ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، لِمَنِ المِيرَاثُ إِنَّمَا يَرِثُنِي كَلَالَةٌ؟ فَنَزَلَتْ: ﴿يَسۡتَفۡتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفۡتِيكُمۡ فِي ٱلۡكَلَٰلَةِۚ﴾(١). وَقَدْ ذَكَرْنَا مَعْنَى الْكَلَالَةِ وَحُكْمَ الْآيَةِ فِي أَوَّلِ السُّورَةِ، وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ بَيَانُ حُكْمِ مِيرَاثِ الْأُخُوَةِ لِلْأَبِ وَالْأُمِّ أَوْ لِلْأَبِ.

(١) **صحيح:** مسلم: (١٦١٦)، وهو في "الصحيح المسند من أسباب النزول" للإمام الوادعي رحمه الله ص(٩٦-٩٧)، قال رحمه الله: تَنْبِيهٌ: قد تقدَّم أنها نزلت في جابر: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡ﴾، وهنا يقول إنها نزلت فيه: ﴿يَسۡتَفۡتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفۡتِيكُمۡ فِي ٱلۡكَلَٰلَةِۚ﴾، وقد رجَّح الحافظ ابن كثير رحمه الله أنَّ آية ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ﴾ نزلت في بنات سعد بن الربيع، وأنَّ آية ﴿يَسۡتَفۡتُونَكَ﴾ نزلت في جابر؛ فإنه إنما كان له إذ ذاك أخوات ولم يكن له بنات.اهـ وقال الحافظ في "الفتح" ج(٩) ص(٣٣٧): وهذه قصة أُخرى غير =

قَوْلُهُ: ﴿يَسۡتَفۡتُونَكَ﴾: أَيْ: يَسْتَخْبِرُونَكَ وَيَسْأَلُونَكَ، ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُفۡتِيكُمۡ فِي ٱلۡكَلَٰلَةِۚ إِنِ ٱمۡرُؤٌاْ هَلَكَ لَيۡسَ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَهُۥٓ أُخۡتٞ فَلَهَا نِصۡفُ مَا تَرَكَۚ وَهُوَ يَرِثُهَآ﴾: يَعْنِي إِذَا مَاتَتِ الْأُخْتُ فَجَمِيعُ مِيرَاثِهَا لِلْأَخِ، ﴿إِن لَّمۡ يَكُن لَّهَا وَلَدٞۚ﴾: فَإِنْ كَانَ لَهَا ابْنٌ فَلَا شَيْءَ لِلْأَخِ، وَإِنْ كَانَ وَلَدُهَا أُنْثَى فَلِلْأَخِ مَا فَضَلَ عَنْ فَرْضِ الْبَنَاتِ، ﴿فَإِن كَانَتَا ٱثۡنَتَيۡنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَۚ﴾: أَرَادَ اثْنَتَيْنِ فَصَاعِدًا، وَهُوَ أَنَّ مَنْ مَاتَ وَلَهُ أَخَوَاتٌ فَلَهُنَّ الثُّلُثَانِ، ﴿وَإِن كَانُوٓاْ إِخۡوَةٗ رِّجَالٗا وَنِسَآءٗ فَلِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۗ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ أَن تَضِلُّواْۗ﴾: **قَالَ الْفَرَّاءُ رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ وَأَبُو عُبَيْدَةَ**: مَعْنَاهُ أَنْ لَا تَضِلُّوا، **وَقِيلَ**: مَعْنَاهُ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ كَرَاهَةَ أَنْ تَضِلُّوا، ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ﴾.

عَنِ الْبَرَاءِ رضي الله عنه قَالَ: آخِرُ سُورَةٍ نَزَلَتْ كَامِلَةً بَرَاءَةٌ، وَآخِرُ آيَةٍ نَزَلَتْ خَاتِمَةُ سُورَةِ النِّسَاءِ: ﴿يَسۡتَفۡتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفۡتِيكُمۡ فِي ٱلۡكَلَٰلَةِۚ﴾[1].

وَرُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أَنَّ آخِرَ آيَةٍ نَزَلَتْ آيَةُ الرِّبَا، وَآخَرَ سُورَةٍ نَزَلَتْ: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾[النَّصر:١]، **وَرُوِيَ عَنْهُ** أَنَّ آخِرَ آيَةٍ نَزَلَتْ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾[الْبَقَرَة:٢٨١]، **وَرُوِيَ** بَعْدَ مَا نَزَلَتْ سُورَةُ النَّصْرِ عَاشَ النَّبِيُّ ﷺ عَامًا وَنَزَلَتْ بَعْدَهَا سُورَةُ بَرَاءَةٍ وَهِيَ آخِرُ سُورَةٍ نَزَلَتْ كَامِلَةً، فَعَاشَ النَّبِيُّ ﷺ بَعْدَهَا سِتَّةَ أَشْهُرٍ، ثُمَّ نَزَلَتْ فِي طَرِيقِ حَجَّةِ الْوَدَاعِ: ﴿يَسۡتَفۡتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ

= التي تقدمت فيما يظهر لي، وقد قدمت المستند واضحا في أوائل هذه السورة والله أعلم. **وأقولُ**: لا مانع أن تكون الآيتان نزلتا معًا في قصة جابر في آنٍ واحد؛ إذ الحديث حديثٌ واحد، يدور على محمد بن المنكدر، فبعضهم يرويه عنه ويقول: (آية الميراث)، وبعضهم يرويه عنه ويقول: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ﴾، وبعضهم يرويه عنه ويقول: ﴿يَسۡتَفۡتُونَكَ﴾. **فإن قيل**: يشكل عليك أنَّ آية ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ﴾ نزلت في شأن جابر وبنات سعد بن الربيع وقد استشهد بأحد، وآية ﴿يَسۡتَفۡتُونَكَ﴾ من آخر القرآن نزولًا. **أقول**: لا إشكالَ، فعلى فرض صحة حديث جابر في بنات سعد بن الربيع لا يلزم أنها قسمت تركته بعد موته. على أنه لا ينبغي أن تعارض الأحاديث الصحيحة بحديث عبد الله بن محمد بن عقيل؛ فهو سَيِّئ الحفظ كما هو معروف من ترجمته.اهـ

(١) **صحيح**: البخاري: (٤٣٦٤)، مسلم: (١٦١٨).

﴿يُفْتِيكُمْ فِي ٱلْكَلَٰلَةِ﴾ فَسُمِّيَتْ آيَةُ الصَّيْفِ، ثُمَّ نَزَلَتْ وَهُوَ وَاقِفٌ بِعَرَفَةَ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾[المَائِدَة:٣]، فَعَاشَ بَعْدَهَا أَحَدًا وَثَمَانِينَ يَوْمًا، ثُمَّ نَزَلَتْ: آيَاتُ الرِّبَا، ثُمَّ نَزَلَتْ: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾[البَقَرَة:٢٨١]، فَعَاشَ بَعْدَهَا أَحَدًا وَعِشْرِينَ يَوْمًا، وَاللهُ أَعْلَمُ بِالصَّوَابِ.

❁ ❁ ❁

سُورَةُ المَائِدَةِ

مَدَنِيَّةٌ كُلُّهَا إِلَّا قَوْلَهُ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾[المَائِدَة:٣] الآيَة؛ فَإِنَّهَا نَزَلَتْ بِـ(عَرَفَاتٍ)، وَهِيَ مِائَةٌ وَعِشْرُونَ آيَةً.

رُوِيَ عَنْ أَبِي مَيْسَرَةَ قَالَ: أَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ السُّورَةِ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ حُكْمًا لَمْ يُنْزِلْهَا فِي غَيْرِهَا، قَوْلُهُ: ﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾[المَائِدَة:١] وَقَولُهُ: ﴿وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُواْ بِٱلْأَزْلَٰمِ ۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ۗ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾[المَائِدَة:٣]، ﴿وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ﴾[المَائِدَة:٥]، وَتَمَامُ الطُّهُورِ فِي قَوْلِهِ: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾[المَائِدة:٦]، ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ﴾[المَائِدَة:٣٨]، ﴿لَا تَقْتُلُواْ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۚ﴾[المَائِدَة:٩٥] الْآيَة، ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ﴾[المَائِدَة:١٠٣]، وَقَوْلُهُ: ﴿شَهَٰدَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ﴾[المَائِدَة:١٠٦].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِ ۚ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِ ۚ﴾: أَيْ: بِالْعُهُودِ، **قَالَ الزَّجَّاجُ:** هِيَ أَوْكَدُ الْعُهُودِ، يُقَالُ: (عَاقَدْتُ فُلَانًا وَعَقَدْتُ عَلَيْهِ)، أَيْ: أَلْزَمْتهُ ذَلِكَ بِاسْتِيثَاقٍ، وَأَصْلُهُ مِنْ: (عَقْدِ الشَّيْءِ بِغَيْرِهِ وَوَصْلِهِ بِهِ)، كَمَا يُعْقَدُ الْحَبْلُ بِالْحَبْلِ إِذَا وُصِلَ، **وَاخْتَلَفُوا فِي هَذِهِ الْعُقُودِ، قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ:** هَذَا خِطَابٌ لِأَهْلِ الْكِتَابِ، يَعْنِي: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا بِالْكُتُبِ الْمُتَقَدِّمَةِ أَوْفُوا بِالْعُهُودِ الَّتِي عَهِدْتُهَا إِلَيْكُمْ فِي شَأْنِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ﴾[آل عِمْرَان:١٨٧]،

وَقَالَ الْآخَرُونَ: هُوَ عَامٌّ، **وَقَالَ قَتَادَةُ**: أَرَادَ بِهَا الْحِلْفَ الَّذِي تَعَاقَدُوا عَلَيْهِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، **وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ** رضي الله عنه: هِيَ عُهُودُ الْإِيمَانِ وَالْقُرْآنِ، **وَقِيلَ**: هِيَ الْعُقُودُ الَّتِي يَتَعَاقَدُهَا النَّاسُ بَيْنَهُمْ. ﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾: **قَالَ الْحَسَنُ وَقَتَادَةُ**: هِيَ الْأَنْعَامُ كُلُّهَا، وَهِيَ الْإِبِلُ وَالْبَقَرُ وَالْغَنَمُ، وَأَرَادَ تَحْلِيلَ مَا حَرَّمَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ عَلَى أَنْفُسِهِمْ مِنَ الْأَنْعَامِ. **وَرَوَى أَبُو ظَبْيَانَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ** رضي الله عنهما قَالَ: بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ: هِيَ الْأَجِنَّةُ، وَمِثْلُهُ **عَنِ الشَّعْبِيِّ قَالَ**: هِيَ الْأَجِنَّةُ الَّتِي تُوجَدُ مَيْتَةً فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِهَا إِذَا ذُبِحَتْ أَوْ نُحِرَتْ، ذَهَبَ أَكْثَرُ أَهْلِ الْعِلْمِ إِلَى تَحْلِيلِهِ.

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رضي الله عنه قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، نَنْحَرُ النَّاقَةَ وَنَذْبَحُ الْبَقَرَةَ وَالشَّاةَ فَنَجِدُ فِي بَطْنِهَا الْجَنِينَ، أَنُلْقِيهِ أَمْ نَأْكُلُهُ؟ فَقَالَ: «**كُلُوهُ إِنْ شِئْتُمْ؛ فَإِنَّ ذَكَاتَهُ ذَكَاةُ أُمِّهِ**»[(١)]. **وَرَوَى أَبُو الزُّبَيْرِ عَنْ جَابِرٍ** رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «**ذَكَاةُ الْجَنِينِ ذَكَاةُ أُمِّهِ**»[(٢)].

وَشَرَطَ بَعْضُهُمُ الْإِشْعَارَ، قَالَ ابْنُ عُمَرَ: ذَكَاةُ مَا فِي بَطْنِهَا فِي ذَكَاتِهَا إِذَا تَمَّ خَلْقُهُ وَنَبَتَ شَعْرُهُ، وَمِثْلُهُ **عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ**، وَعِنْدَ **أَبِي حَنِيفَةَ** رضي الله عنه: لَا يَحِلُّ أَكْلُ الْجَنِينِ إِذَا خَرَجَ مَيْتًا بَعْدَ ذَكَاةِ الْأُمِّ.

سُمِّيَتْ بَهِيمَةً؛ لِأَنَّهَا أُبْهِمَتْ عَنِ التَّمْيِيزِ، **وَقِيلَ**: لِأَنَّهَا لَا نُطْقَ لَهَا، ﴿إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾: أَيْ: مَا ذُكِرَ فِي قَوْلِهِ: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ﴾[المَائِدَة:٣].

﴿غَيْرَ مُحِلِّي ٱلصَّيْدِ﴾: وَهُوَ نَصْبٌ عَلَى الْحَالِ، أَيْ: لَا مُحِلِّي الصَّيْدِ، وَمَعْنَى الْآيَةِ: أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ كُلُّهَا إِلَّا مَا كَانَ مِنْهَا وَحْشِيًّا، فَإِنَّهُ صَيْدٌ لَا يَحِلُ لَكُمْ فِي حَالِ الْإِحْرَامِ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنتُمْ حُرُمٌ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾.

---

(١) **صحيح**: صحَّحه العلَّامة الألباني رحمه الله في "صحيح أبي داود (الأم)" (٢٥١٦).

(٢) "المصدر السابق".

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ وَلَا ٱلۡهَدۡيَ وَلَا ٱلۡقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّهِمۡ وَرِضۡوَٰنٗاۚ وَإِذَا حَلَلۡتُمۡ فَٱصۡطَادُواْۚ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ أَن صَدُّوكُمۡ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ أَن تَعۡتَدُواْۘ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾: **قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ** رضي الله عنهما **وَمُجَاهِدٌ**: هِيَ مَنَاسِكُ الْحَجِّ، وَكَانَ الْمُشْرِكُونَ يَحُجُّونَ وَيُهْدُونَ، فَأَرَادَ الْمُسْلِمُونَ أَنْ يُغِيرُوا عَلَيْهِمْ فَنَهَاهُمُ اللهُ عَنْ ذَلِكَ، **وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ**: شَعَائِرُ اللهِ هِيَ الْهَدَايَا الْمُشْعَرَةُ، وَالْإِشْعَارُ مِنَ: (الشِّعَارِ)، وَهِيَ الْعَلَامَةُ، وَإِشْعَارُهَا: إِعْلَامُهَا بِمَا يُعْرَفُ أَنَّهَا هَدْيٌ، وَالْإِشْعَارُ هَاهُنَا: أَنْ يَطْعَنَ فِي صَفْحَةِ سَنَامِ الْبَعِيرِ[1] بِحَدِيدَةٍ حَتَّى يَسِيلَ الدَّمُ، فَيَكُونُ ذَلِكَ عَلَامَةً أَنَّهَا هَدْيٌ، وَهِيَ سُنَّةٌ فِي الْهَدَايَا إِذَا كَانَتْ مِنَ الْإِبِلِ.

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّهَا قَالَتْ: فَتَلْتُ قَلَائِدَ بُدْنِ النَّبِيِّ ﷺ بِيَدَيَّ، ثُمَّ قَلَّدَهَا وَأَشْعَرَهَا وَأَهْدَاهَا، فَمَا حَرُمَ عَلَيْهِ شَيْءٌ كَانَ أُحِلَّ لَهُ[2]. **وَقَاسَ الشَّافِعِيُّ** الْبَقَرَ عَلَى الْإِبِلِ فِي الْإِشْعَارِ، وَأَمَّا الْغَنَمُ فَلَا تُشْعَرُ بِالْجَرْحِ، فَإِنَّهَا لَا تَحْتَمِلُ الْجَرْحَ لِضَعْفِهَا، **وَعِنْدَ أَبِي حَنِيفَةَ** رضي الله عنه: لَا يُشْعَرُ الْهَدْيُ. **وَقَالَ عَطِيَّةُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ** رضي الله عنهما: ﴿لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾: وهي أَنْ تَصِيدَ وَأَنْتَ مُحْرِمٌ، بِدَلِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا حَلَلۡتُمۡ فَٱصۡطَادُواْۚ﴾، **وَقَالَ السُّدِّيُّ**: أَرَادَ حَرَمَ اللهِ، **وَقِيلَ**: الْمُرَادُ مِنْهُ: النَّهْيُ عَنِ الْقَتْلِ فِي الْحَرَمِ، **وَقَالَ عَطَاءٌ**: شَعَائِرُ اللهِ حُرُمَاتُ اللهِ وَاجْتِنَابُ سَخَطِهِ وَاتِّبَاعُ طَاعَتِهِ.

قَوْلُهُ: ﴿وَلَا ٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ﴾: أَيْ: بِالْقِتَالِ فِيهِ، **وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ**: هُوَ النَّسِيءُ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا يُحِلُّونَهُ فِي الجَاهِلِيَّةِ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا، ﴿وَلَا ٱلۡهَدۡيَ﴾: وَهُوَ كُلُّ مَا يُهْدَى

(١) السنام: كتل من الشَّحْم محدبة على ظهر البَعِير والنَّاقةِ، ومن كل شيء أعلاهُ، ومن الأَرْض وسطُهَا، ومن القوم شريفُهم، ويُقال: (سَنَامُ الرَّجُلِ) علوه وشوكته. «المعجم الوسيط» (١/ ٤٥٥).

(٢) **صحيح**: البخاري: (١٦٩٦)، ومسلم: (١٣٢١).

إِلَى بَيْتِ اللهِ مِنْ بَعِيرٍ أَوْ بَقَرَةٍ أَوْ شَاةٍ، ﴿وَلَا ٱلْقَلَٰٓئِدَ﴾: أَيِ: الْهَدَايَا الْمُقَلَّدَةُ، يُرِيدُ: ذَوَاتَ الْقَلَائِدِ، **وَقَالَ عَطَاءٌ**: أَرَادَ أَصْحَابَ الْقَلَائِدِ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا فِي الْجَاهِلِيَّةِ إِذَا أَرَادُوا الْخُرُوجَ مِنَ الْحَرَمِ قَلَّدُوا أَنْفُسَهُمْ وَإِبِلَهُمْ بِشَيْءٍ مِنْ لِحَاءِ(١) شَجَرِ الْحَرَمِ كَيْلَا يُتَعَرَّضَ لَهُمْ، فَنَهَى الشَّرْعُ عَنِ اسْتِحْلَالِ شَيْءٍ مِنْهَا، **وَقَالَ مُطَرِّفُ بْنُ الشِّخِّيرِ**: هِيَ الْقَلَائِدُ نَفْسُهَا، وَذَلِكَ أَنَّ الْمُشْرِكِينَ كَانُوا يَأْخُذُونَ مِنْ لِحَاءِ شَجَرِ مَكَّةَ وَيَتَقَلَّدُونَهَا، فَنُهُوا عَنْ نَزْعِ شَجَرِهَا.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ﴾: أَيْ: قَاصِدِينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ، يَعْنِي: الْكَعْبَةَ فَلَا تَتَعَرَّضُوا لَهُمْ ﴿يَبْتَغُونَ﴾: يَطْلُبُونَ ﴿فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ﴾: يَعْنِي الرِّزْقَ بِالتِّجَارَةِ ﴿وَرِضْوَٰنًا﴾: أَيْ: عَلَى زَعْمِهِمْ؛ لِأَنَّ الكَافِرَ لَا نَصِيبَ لَهُ فِي الرِّضْوَانِ، **وَقَالَ قَتَادَةُ**: هُوَ أَنْ يُصْلِحَ مَعَايِشَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَا يُعَجِّلَ لَهُمُ الْعُقُوبَةَ فِيهَا، **وَقِيلَ**: ابْتِغَاءُ الْفَضْلِ: لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُشْرِكِينَ عَامَّةً، وَابْتِغَاءُ الرِّضْوَانِ: لِلْمُؤْمِنِينَ خَاصَّةً؛ لِأَنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُشْرِكِينَ كَانُوا يَحُجُّونَ، وَهَذِهِ الْآيَةُ إِلَى هَاهُنَا مَنْسُوخَةٌ بِقَوْلِهِ: ﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ [التَّوْبَة:٥] وبِقَوْلِهِ: ﴿فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا﴾[التَّوْبَة:٢٨]، فَلَا يَجُوزُ أَنْ يَحُجَّ مُشْرِكٌ ولا يَأْمَنَ كَافِرٌ بِالْهَدْيِ وَالْقَلَائِدِ.

قَوْلُهُ ﷻ: ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ﴾: أَيْ: مِنْ إِحْرَامِكُمْ ﴿فَٱصْطَادُوا۟﴾: أَمْرُ إِبَاحَةٍ أَبَاحَ لِلْحَلَالِ أَخْذَ الصَّيْدِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾[الْجُمُعَة:١٠]، ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ﴾: **قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ** رضي الله عنهما **وَقَتَادَةُ**: لَا يَحْمِلَنَّكُمْ، يُقَالُ: (جَرَمَنِي فُلَانٌ عَلَى أَنْ صَنَعْتُ كَذَا)، أَيْ: حَمَلَنِي، **وَقَالَ الْفَرَّاءُ**: لَا يَكْسِبَنَّكُمْ، يُقَالُ: (جَرَمَ)، أَيْ: كَسَبَ، وَ(فُلَانٌ جَرِيمَةُ أَهْلِهِ) أَيْ: كَاسِبُهُمْ، **وَقِيلَ**: لَا يَدْعُوَنَّكُمْ ﴿شَنَـَٔانُ قَوْمٍ﴾: أَيْ: بُغْضُهُمْ وَعَدَاوَتُهُمْ، وَهُوَ مَصْدَرُ: (شَنِئْتُ)، قَرَأَ ابْنُ عَامِرٍ وَأَبُو بَكْرٍ: ﴿شَنْآنُ قَوْمٍ﴾ بِسُكُونِ النُّونِ الْأُولَى وَقَرَأَ الْآخَرُونَ بِفَتْحِهَا، وَهُمَا لُغَتَانِ، وَالْفَتْحُ أَجْوَدُ؛ لِأَنَّ الْمَصَادِرَ

(١) اللحاء: قشر كل شيء، يُقال: (لا تدخل بين العَصَا ولحائها). «المعجم الوسيط» (٢/ ٢٨٠).

أَكْثَرُهَا عَلَى (فَعَلَانٍ) بِفَتْحِ الْعَيْنِ، مِثْلُ: (الضَّرَبَانِ، وَالسَّيَلَانِ، وَالنَّسَلَانِ) وَنَحْوِهَا، ﴿أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾: قَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ وَأَبُو عَمْرٍو بِكَسْرِ الْأَلْفِ عَلَى الِاسْتِئْنَافِ، وَقَرَأَ الْآخَرُونَ بِفَتْحِ الْأَلِفِ، أَيْ: لِأَنْ صَدُّوكُمْ، وَمَعْنَى الآيَةِ: وَلَا يَحْمِلَنَّكُمْ عَدَاوَةُ قَوْمٍ عَلَى الِاعْتِدَاءِ لِأَنَّهُمْ صَدُّوكُمْ، **قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ جَرِيرٍ**: لِأَنَّ هَذِهِ السُّورَةَ نَزَلَتْ بَعْدَ قِصَّةِ الْحُدَيْبِيَةِ، وَكَانَ الصَّدُّ قَدْ تَقَدَّمَ، ﴿أَن تَعْتَدُواْ﴾: عَلَيْهِمْ بِالْقَتْلِ وَأَخْذِ الْأَمْوَالِ، ﴿وَتَعَاوَنُواْ﴾: أَيْ: لِيُعِنْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا ﴿عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾: **قِيلَ**: **الْبِرُّ**: مُتَابَعَةُ الْأَمْرِ، **وَالتَّقْوَى**: مُجَانَبَةُ النَّهْيِ، **وَقِيلَ**: **الْبِرُّ**: الْإِسْلَامُ، **وَالتَّقْوَى**: السُّنَّةُ، ﴿وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾: **قِيلَ**: **الْإِثْمُ**: الْكُفْرُ، **وَالْعُدْوَانُ**: الظُّلْمُ، **وَقِيلَ**: **الْإِثْمُ**: المَعْصِيَةُ، **وَالْعُدْوَانُ**: الْبِدْعَةُ.

عَنِ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ الْأَنْصَارِيِّ رضي الله عنه قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنِ الْبِرِّ وَالْإِثْمِ فَقَالَ: «**الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ، وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي نَفْسِكَ وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ**»[(١)].

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾.

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُواْ بِٱلْأَزْلَٰمِ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾

قَوْلُهُ عز وجل: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾: أَيْ مَا ذُكِرَ عَلَى ذَبْحِهِ اسْمُ غَيْرِ اللهِ تَعَالَى، ﴿وَٱلْمُنْخَنِقَةُ﴾: وَهِيَ الَّتِي تُخْنَقُ فَتَمُوتُ، **قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ**: كَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ يَخْنُقُونَ الشَّاةَ حَتَّى إِذَا مَاتَتْ أَكَلُوهَا، ﴿وَٱلْمَوْقُوذَةُ﴾: هِيَ المَقْتُولَةُ بِالْخَشَبِ **قَالَ قَتَادَةُ**: كَانُوا يَضْرِبُونَهَا بِالْعَصَا فَإِذَا مَاتَتْ أَكَلُوهَا، ﴿وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ﴾:

---

(١) **صحيح**: مسلم: (٢٥٥٣).

هِيَ الَّتِي تَتَرَدَّى مِنْ مَكَانٍ عَالٍ أَوْ فِي بِئْرٍ فَتَمُوت، ﴿وَٱلنَّطِيحَةُ﴾: هي الَّتِي تَنْطَحُهَا أُخْرَى فَتَمُوتُ، وَهَاءُ التَّأْنِيثِ تَدْخُلُ فِي الْـ(فَعِيلِ) إذَا كَانَ بِمَعْنَى الْـ(فَاعِلِ)، فَإِذَا كَانَ بِمَعْنَى الْـ(مَفْعُولِ) اسْتَوَى فِيهِ الْمُذَكَّرُ وَالْمُؤَنَّثُ، نَحْوَ: (عَيْنٍ كَحِيلٍ) وَ(كَفٍّ خَضِيبٍ) فَإِذَا حَذَفْتَ الِاسْمَ وَأَفْرَدْتَ الصِّفَةَ أَدْخَلُوا الْهَاءَ فَقَالُوا (رَأَيْنَا كَحِيلَةً وَخَضِيبَةً)، وَهُنَا أُدْخِلَ الْهَاءُ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَتَقَدَّمْهَا الِاسْمُ، فَلَوْ أُسْقِطَ الْهَاءُ لَمْ يُدْرَ أَنَّهَا صِفَةُ مُؤَنَّثٍ أَوْ مُذَكَّرٍ، وَمِثْلُهُ: (الذَّبِيحَةُ، وَالنَّسِيكَةُ، وَأَكِيلَةُ السَّبُعِ)، ﴿وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ﴾: يُرِيدُ: مَا بَقِيَ مِمَّا أَكَلَ السَّبُعُ، وَكَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ يَأْكُلُونَهُ، ﴿إِلَّا مَا ذَكَّيۡتُمۡ﴾: يَعْنِي: إِلَّا مَا أَدْرَكْتُمْ ذَكَاتَهُ مِنْ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ، **وَأَصْلُ التَّذْكِيَةِ**: الْإِتْمَامُ، يُقَالُ: (ذَكَّيْتُ النَّارَ) إِذَا أَتْمَمْتَ اشْتِعَالَهَا **وَالْمُرَادُ هُنَا**: إِتْمَامُ فَرْيِ الْأَوْدَاجِ [-أَيْ: قَطْعِ العُرُوقِ-] وَإِنْهَارُ الدَّمِ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**مَا أَنْهَرَ الدَّمَ وَذُكِرَ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ فَكُلْ، لَيْسَ السِّنَّ وَالظُّفُرَ**»[(١)].

وَأَقَلُّ الذَّكَاةِ فِي الْحَيَوَانِ الْمَقْدُورِ عَلَيْهِ قَطْعُ الْمَرِيءِ وَالْحُلْقُومِ[(٢)]، وَكَمَالُهُ أَنْ يَقْطَعَ الْوَدَجَيْنِ[(٣)] مَعَهُمَا، وَيَجُوزُ بِكُلِّ مُحَدَّدٍ يَقْطَعُ مِنْ حَدِيدٍ أَوْ قَصَبٍ أَوْ زُجَاجٍ أَوْ حَجَرٍ إِلَّا السِّنَّ وَالظُّفُرَ، فَنَهَى النَّبِيُّ ﷺ عَنِ الذَّبْحِ بِهِمَا، وَإِنَّمَا يَحِلُّ مَا ذَكَّيْتَهُ بَعْدَ مَا جَرَحَهُ السَّبُعُ أَوْ أَكَلَ شَيْئًا مِنْهُ إِذَا أَدْرَكْتَهُ وَالْحَيَاةُ فِيهِ مُسْتَقِرَّةٌ فَذَبَحْتَهُ، فَأَمَّا مَا صَارَ بِجَرْحِ السَّبُعِ إِلَى حَالَةِ الْمَذْبُوحِ فَهُوَ فِي حُكْمِ الْمَيْتَةِ، فَلَا يَكُونُ حَلَالًا وَإِنْ ذَبَحْتَهُ. وَكَذَلِكَ الْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ إِذَا أَدْرَكْتَهَا حَيَّةً قَبْلَ أَنْ تَصِيرَ إِلَى حَالَةِ الْمَذْبُوحِ فَذَبَحْتَهَا تَكُونُ حَلَالًا.

وَلَوْ رَمَى إِلَى صَيْدٍ فِي الْهَوَاءِ فَأَصَابَهُ فَسَقَطَ عَلَى الْأَرْضِ فَمَاتَ كَانَ حَلَالًا؛ لِأَنَّ الْوُقُوعَ عَلَى الْأَرْضِ مِنْ ضَرُورَتِهِ، وَإِنْ سَقَطَ عَلَى جَبَلٍ أَوْ شَجَرٍ ثُمَّ تَرَدَّى مِنْهُ فَمَاتَ

---

(١) **صحيح**: البخاري: (٥٤٩٨)، مسلم: (١٩٦٨).

(٢) المَرِيءُ: مجرى الطَّعامِ والشَّراب، وهو رأسُ المَعِدةِ والكَرِشِ اللَّاصِقُ بالحُلْقُومِ. والحُلْقُومُ: تجويف خلف تجويف الفَم، وفيه ست فتحات: فتحة الفم الخلفة، وفتحتا المنخَرَينِ، وفتحتا الأُذنين، وفتحة الحنجرة وهي مجرى الطَّعَام والشَّراب والنَّفَس. «تاج العروس» (١/ ٤٢٨) و«المعجم الوسيط» (١/ ١٩٣).

(٣) الودجان: عِرقان غليظان عن يَمِين ثغرة النَّحر ويسارها. «المعجم الوسيط» (٢/ ١٠٢٥).

فَلَا يَحِلُّ، وَهُوَ مِنَ الْمُتَرَدِّيَةِ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ السَّهْمُ أَصَابَ مَذْبَحَهُ فِي الْهَوَاءِ فَيَحِلُّ كَيْفَ مَا وَقَعَ؛ لِأَنَّ الذَّبْحَ قَدْ حَصَلَ بِإِصَابَةِ السَّهْمِ الْمَذْبَحَ.

﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ﴾: **قِيلَ: النُّصُبُ**: جَمْعٌ وَاحِدُهُ (نِصَابٌ)، **وَقِيلَ**: هُوَ وَاحِدٌ وَجَمْعُهُ (أَنْصَابٌ)، مِثْلُ: (عُنُقٍ، وَأَعْنَاقٍ)، وَهُوَ الشَّيْءُ الْمَنْصُوبُ، **وَاخْتَلَفُوا فِيهِ، فَقَالَ مُجَاهِدٌ وَقَتَادَةُ**: كَانَتْ حَوْلَ الْبَيْتِ ثَلَاثُمِائَةٍ وَسِتُّونَ حَجَرًا مَنْصُوبَةً، كَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ يَعْبُدُونَهَا وَيُعَظِّمُونَهَا وَيَذْبَحُونَ لَهَا، وَلَيْسَتْ هِيَ بِأَصْنَامٍ، إِنَّمَا الْأَصْنَامُ هِيَ الْمُصَوَّرَةُ الْمَنْقُوشَةُ، **وَقَالَ الْآخَرُونَ**: هِيَ الْأَصْنَامُ الْمَنْصُوبَةُ، وَمَعْنَاهُ: وَمَا ذُبِحَ عَلَى اسْمِ النُّصُبِ، **قَالَ ابْنُ زَيْدٍ**: وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ: هُمَا وَاحِدٌ، **قَالَ قُطْرُبٌ**: ﴿عَلَى﴾: بِمَعْنَى اللَّامِ، أَيْ: وَمَا ذُبِحَ لِأَجْلِ النُّصُبِ.

﴿وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ﴾: أَيْ: وَحُرِّمَ عَلَيْكُمُ الِاسْتِقْسَامُ بِالْأَزْلَامِ، **وَالِاسْتِقْسَامُ**: هُوَ طَلَبُ الْقَسْمِ وَالْحُكْمِ مِنَ الْأَزْلَامِ، **وَالْأَزْلَامُ**: هِيَ الْقِدَاحُ [-أَيْ: السِّهَامُ-] الَّتِي لَا رِيشَ لَهَا وَلَا نَصْلَ، وَاحِدُهَا: (زَلْمٌ، وَزُلْمٌ) بِفَتْحِ الزَّايِ وَضَمِّهَا، وَكَانَتْ أَزْلَامُهُمْ سَبْعَةَ قِدَاحٍ مُسْتَوِيَةٍ مِنْ شَوْحَطٍ[(١)]، يَكُونُ عِنْدَ سَادِنٍ [-أَيْ: خَادِمِ-] الْكَعْبَةِ، مَكْتُوبٌ عَلَى وَاحِدٍ: (نَعَمْ)، وَعَلَى وَاحِدٍ: (لَا)، وَعَلَى وَاحِدٍ: (مِنْكُمْ)، وَعَلَى وَاحِدٍ: (مِنْ غَيْرِكُمْ)، وَعَلَى وَاحِدٍ: (مُلْصَقٌ)، وَعَلَى وَاحِدٍ: (الْعَقْلُ)، وَوَاحِدٌ: (غُفْلٌ) لَيْسَ عَلَيْهِ شَيْءٌ، فَكَانُوا إِذَا أَرَادُوا أَمْرًا مِنْ سَفَرٍ أَوْ نِكَاحٍ أَوْ خِتَانٍ أَوْ غَيْرِهِ أَوْ تَدَارَؤُوا فِي نَسَبٍ أَوِ اخْتَلَفُوا فِي تَحَمُّلِ عَقْلٍ جَاؤُوا إِلَى (هُبَلَ) وَكَانَ أَعْظَمَ أَصْنَامِ قُرَيْشٍ بِمَكَّةَ، وَجَاؤُوا بِمِائَةِ دِرْهَمٍ فَأَعْطَوْهَا صَاحِبَ الْقِدَاحِ حَتَّى يُجِيلَ [-أَيْ: يَخْتَارَ-] الْقِدَاحَ، وَيَقُولُونَ: (يَا إِلَهَنَا أَرَدْنَا كَذَا وَكَذَا)، فَإِنْ خَرَجَ (نَعَمْ) فَعَلُوا، وَإِنْ خَرَجَ (لَا) لَمْ يَفْعَلُوا ذَلِكَ حَوْلًا، ثُمَّ عَادُوا إِلَى الْقِدَاحِ ثَانِيَةً، فَإِذَا أَجَالُوا عَلَى نَسَبٍ، فَإِنْ خَرَجَ (مِنْكُمْ) كَانَ وَسَطًا مِنْهُمْ، وَإِنْ خَرَجَ (مِنْ غَيْرِكُمْ) كَانَ حَلِيفًا، وَإِنْ خَرَجَ (مُلْصَقٌ) كَانَ عَلَى مَنْزِلَتِهِ

---

(١) الشوحط: ضرب من شجر جبال السراة تتَّخذ منهُ القسي. «المعجم الوسيط» (١/ ٤٢٨).

لَا نَسَبَ لَهُ وَلَا حِلْفَ، وَإِذَا اخْتَلَفُوا فِي عَقْلٍ فَمَنْ خَرَجَ عَلَيْهِ قَدَحُ (الْعَقْلِ) حَمَلَهُ، وَإِنْ خَرَجَ (الْغُفْلُ) أَجَالُوا ثَانِيًا حَتَّى يَخْرُجَ الْمَكْتُوبُ، فَنَهَى اللهُ ﷻ عَنْ ذَلِكَ وَحَرَّمَهُ، وَقَالَ: ﴿ذَٰلِكُمۡ فِسۡقٌۗ﴾: **قَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: الْأَزْلَامُ**: حَصًى بِيضٌ كَانُوا يَضْرِبُونَ بِهَا، **وَقَالَ مُجَاهِدٌ**: هِيَ كِعَابُ فَارِسَ وَالرُّومِ الَّتِي يَتَقَامَرُونَ بِهَا، **وَقَالَ الشَّعْبِيُّ وَغَيْرُهُ**: الْأَزْلَامُ: لِلْعَرَبِ، وَالْكِعَابُ: لِلْعَجَمِ، **وَقَالَ سُفْيَانُ بْنُ وَكِيعٍ**: هِيَ الشِّطْرَنْجُ.

قَوْلُهُ ﷻ: ﴿ٱلۡيَوۡمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمۡ﴾: يَعْنِي: أَنْ تَرْجِعُوا إِلَى دِينِهِمْ كُفَّارًا وَذَلِكَ أَنَّ الْكُفَّارَ كَانُوا يَطْمَعُونَ فِي عَوْدِ الْمُسْلِمِينَ إِلَى دِينِهِمْ فَلَمَّا قَوِيَ الْإِسْلَامُ يَئِسُوا، وَ(يَئِسَ، وَأَيِسَ) بِمَعْنًى وَاحِدٍ، ﴿فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِۚ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾: نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ يَوْمَ عَرَفَةَ بَعْدَ الْعَصْرِ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ وَالنَّبِيُّ ﷺ وَاقِفٌ بِعَرَفَاتٍ عَلَى نَاقَتِهِ الْعَضْبَاءِ، فَكَادَتْ عَضُدُ النَّاقَةِ تَنْدَقُّ مِنْ ثِقَلِهَا فَبَرَكَتْ.

عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه، أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْيَهُودِ قَالَ لَهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ آيَةٌ فِي كِتَابِكُمْ تَقْرَءُونَهَا، لَوْ عَلَيْنَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ نَزَلَتْ لَاتَّخَذْنَا ذَلِكَ الْيَوْمَ عِيدًا، قَالَ: أَيَّةُ آيَةٍ؟ قَالَ: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ قَالَ عُمَرُ: قَدْ عَرَفْنَا ذَلِكَ الْيَوْمَ وَالْمَكَانَ الَّذِي نَزَلَتْ فِيهِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ قَائِمٌ بِعَرَفَةَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ[(١)]. أَشَارَ عُمَرُ إِلَى أَنَّ ذَلِكَ الْيَوْمَ كَانَ عِيدًا لَنَا.

وَكَانَتْ هَذِهِ الْآيَةُ نَعْيَ النَّبِيِّ ﷺ وَعَاشَ بَعْدَهَا إِحْدَى وَثَمَانِينَ يَوْمًا، وَمَاتَ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ بَعْدَ مَا زَاغَتِ الشَّمْسُ لِلَيْلَتَيْنِ خَلَتَا مِنْ شَهْرِ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ سَنَةَ إِحْدَى عَشْرَةَ مِنَ الْهِجْرَةِ. **وَقِيلَ**: تُوُفِّيَ يَوْمَ الثَّانِي عَشَرَ مِنْ شَهْرِ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ، وَكَانَتْ هِجْرَتُهُ فِي الثَّانِي عَشَرَ مِنْ شَهْرِ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ.

---

(١) **صحيح**: البخاري: (٤٥)، مسلم: (٣٠١٧).

قَوْلُهُ ﷻ: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾: يَعْنِي: يَوْمَ نُزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ، يَعْنِي: الْفَرَائِضَ وَالسُّنَنَ وَالْحُدُودَ وَالْجِهَادَ وَالْأَحْكَامَ وَالْحَلَالَ وَالْحَرَامَ(١)، وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ وَقَتَادَةُ: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾: فَلَمْ يَحُجَّ مَعَكُمْ مُشْرِكٌ، وَقِيلَ: أَظْهَرْتُ دِينَكُمْ وَأَمَّنْتُكُمْ مِنَ العَدُوِّ.

قَوْلُهُ ﷻ: ﴿وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي﴾: يَعْنِي: وَأَنْجَزْتُ وَعْدِي فِي قَوْلِهِ: ﴿وَلِأُتِمَّ نِعۡمَتِي عَلَيۡكُمۡ﴾[الْبَقَرَة:١٥٠]، فَكَانَ مِنْ تَمَامِ نِعْمَتِهِ أَنْ دَخَلُوا مَكَّةَ آمِنِينَ وَعَلَيْهَا ظَاهِرِينَ، وَحَجُّوا مُطْمَئِنِّينَ لَمْ يُخَالِطْهُمْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾: [تَدِينُونَ اللهَ بِهِ، فَلَا تَتَّخِذُوا دِينًا سِوَاهُ].

قَوْلُهُ ﷻ: ﴿فَمَنِ ٱضۡطُرَّ فِي مَخۡمَصَةٍ﴾: أَيْ: أُجْهِدَ فِي مَجَاعَةٍ، **وَالْمَخْمَصَةُ**: خُلُوُّ الْبَطْنِ مِنَ الْغِذَاءِ، يُقَالُ: (رَجُلٌ خَمِيصُ الْبَطْنِ) إِذَا كَانَ طَاوِيًا خَاوِيًا، ﴿غَيۡرَ مُتَجَانِفٖ لِّإِثۡمٖ﴾: أَيْ: مَائِلٍ إِلَى إِثْمٍ وَهُوَ أَنْ يَأْكُلَ فَوْقَ الشِّبَعِ، **وَقَالَ قَتَادَةُ**: غَيْرَ مُتَعَرِّضٍ لِمَعْصِيَةٍ فِي مَقْصِدِهِ، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾: وَفِيهِ إِضْمَارٌ، أَيْ: فَأَكَلَهُ فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ.

﴿يَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمۡۖ قُلۡ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَمَا عَلَّمۡتُم مِّنَ ٱلۡجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُۖ فَكُلُواْ مِمَّآ أَمۡسَكۡنَ عَلَيۡكُمۡ وَٱذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهِۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ﴾

قَوْلُهُ ﷻ: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمۡۖ قُلۡ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ﴾: يَعْنِي: الذَّبَائِحَ عَلَى اسْمِ اللهِ تَعَالَى، **وَقِيلَ**: كُلُّ مَا تَسْتَطِيبُهُ الْعَرَبُ وَتَسْتَلِذُّهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَرِدَ بِتَحْرِيمِهِ نَصٌّ مِنْ كِتَابٍ أَوْ سُنَّةٍ، ﴿وَمَا عَلَّمۡتُم مِّنَ ٱلۡجَوَارِحِ﴾: يَعْنِي: وَأُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ مَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ **وَاخْتَلَفُوا فِي هَذِهِ الجَوَارِحِ، فَقَالَ الضَّحَّاكُ وَالسُّدِّيُّ**: هِيَ الْكِلَابُ دُونَ غَيْرِهَا، وَلَا يَحِلُّ مَا صَادَهُ غَيْرُ الْكَلْبِ إِلَّا أَنْ يُدْرِكَ ذَكَاتَهُ، **وَهَذَا غَيْرُ مَعْمُولٍ بِهِ، بَلْ عَامَّةُ أَهْلِ**

(١) قال الإمام العثيمين رَحِمَهُ اللهُ: وليس المعنى أنني أتممتُ شرائعه؛ لأنه نزل بعد هذه الآية شيء من الشرائع، فالمعنى أنَّ الدينَ كاملٌ، ولا يعني ذلك أنه تام، ولهذا فرق فقال: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي﴾. "تفسير سورة المائدة" (١/ ٤٤).

الْعِلْمِ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ مِنَ الْجَوَارِحِ: الْكَوَاسِبُ مِنْ سِبَاعِ الْبَهَائِمِ كَالْفَهْدِ وَالنَّمِرِ وَالْكَلْبِ وَمِنْ سِبَاعِ الطَّيْرِ كَالْبَازِي[(١)] وَالْعُقَابِ وَالصَّقْرِ وَنَحْوِهَا مِمَّا يَقْبَلُ التَّعْلِيمَ، فَيَحِلُّ صَيْدُ جَمِيعِهَا، **سُمِّيَتْ جَارِحَةً**: لِجَرْحِهَا لِأَرْبَابِهَا أَقْوَاتَهُمْ مِنَ الصَّيْدِ، أَيْ: كَسْبِهَا، يُقَالُ: (فُلَانٌ جَارِحَةُ أَهْلِهِ)، أَيْ: كَاسِبُهُمْ، ﴿مُكَلِّبِينَ﴾: **الْمُكَلِّبُ**: الَّذِي يُغْرِي الْكِلَابَ عَلَى الصَّيْدِ، وَيُقَالُ لِلَّذِي يُعَلِّمُهَا أَيْضًا: (مُكَلِّبٌ)، **وَالْكَلَّابُ**: صَاحِبُ الْكِلَابِ، وَيُقَالُ لِلصَّائِدِ بِهَا أَيْضًا: (كَلَّابٌ)، وَنَصَبَ ﴿مُكَلِّبِينَ﴾ عَلَى الْحَالِ، أَيْ: فِي حَالِ تَكْلِيبِكُمْ هَذِهِ الْجَوَارِحِ، أَيْ: إِغْرَائِكُمْ إِيَّاهَا عَلَى الصَّيْدِ، وَذَكَرَ الْكِلَابَ؛ لِأَنَّهَا أَكْثَرُ وَأَعَمُّ، وَالْمُرَادُ: جَمِيعُ جَوَارِحِ الصَّيْدِ.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**مَنِ اتَّخَذَ كَلْبًا إِلَّا كَلْبَ مَاشِيَةٍ أَوْ صَيْدٍ أَوْ زَرْعٍ انْتَقَصَ مِنْ أَجْرِهِ كُلَّ يَوْمٍ قِيرَاطٌ**»[(٢)].

﴿تُعَلِّمُونَهُنَّ﴾: تُؤَدِّبُونَهُنَّ آدَابَ أَخْذِ الصَّيْدِ، ﴿مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ﴾: أَيْ: مِنَ الْعِلْمِ الَّذِي عَلَّمَكُمُ اللهُ، **وَقَالَ السُّدِّيُّ**: أَيْ: كَمَا عَلَّمَكُمُ اللهُ، (مِنْ) بِمَعْنَى الْكَافِ، ﴿فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ﴾: أَرَادَ أَنَّ الْجَارِحَةَ الْمُعَلَّمَةَ إِذَا خَرَجَتْ بِإِرْسَالِ صَاحِبِهَا فَأَخَذَتِ الصَّيْدَ وَقَتَلَتْهُ كَانَ حَلَالًا، **وَالتَّعْلِيمُ هُوَ أَنْ يُوجَدَ فِيهَا ثَلَاثَةُ أَشْيَاءَ**: إِذَا أُشْلِيَتِ [-أَيْ: أُرْسِلَتْ-] اسْتَشْلَتْ، وَإِذَا زُجِرَتِ انْزَجَرَتْ، وَإِذَا أَخَذَتِ الصَّيْدَ أَمْسَكَتْ وَلَمْ تَأْكُلْ،

---

(١) الباز: ضرب من الصقور يستخدم في الصَّيد. "المعجم الوسيط" (١/ ٧٦).

(٢) **صحيح**: البخاري: (٣٣٢٤)، مسلم: (١٥٧٤)، وفي رواية: «قِيْرَاطَانِ»: البخاري: (٥٤٨٢) عن ابن عمر رضي الله عنهما، ومسلم: (١٥٧٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه، واختلفوا في اختلاف الروايتين في القيراطين والقيراط، قال بعض المحقِّقين: لا سبيل إلى تعيين هذا بالقياس، فإن مثله يتوقَّف على السماع، ولم يوجد، فلسنا بحاجة إلى تعيين ذلك، ومقصود الشارع أن اقتناء الكلب بدون حاجة ينقص من عمل الشخص قيراطين كلَّ يوم، فيجب أن يُحذر منه، وليس عندنا ما نتحقَّق به قدر القيراطين، ولا تعيين أعمال ينقص منها ذلك القدر، فلا حاجة إلى الخوض في أمثال هذه المباحث، قال: ويُعجبني قول الأُبيِّ رحمه الله: (والله أعلم بمراد رسول الله ﷺ)، وذِكْر القيراط هنا تقدير لمقدار الله أعلم به، والمراد به نقصُ جُزءٍ ما. ينظر "تكملة فتح الملهم" (١/ ٥٤٠).

وَإِذَا وُجِدَ ذَلِكَ مِنْهُ مِرَارًا -وَأَقَلُّهُ ثَلَاثُ مَرَّاتٍ- كَانَتْ مُعَلَّمَةً، يَحِلُّ قَتْلُهَا إِذَا خَرَجَتْ بِإِرْسَالِ صَاحِبِهَا.

عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِذَا أَرْسَلْتَ كَلْبَكَ الْمُعَلَّمَ وَسَمَّيْتَ فَأَمْسَكَ وَقَتَلَ فَكُلْ، وَإِنْ أَكَلَ فَلَا تَأْكُلْ؛ فَإِنَّمَا أَمْسَكَ عَلَى نَفْسِهِ، وَإِذَا خَالَطَ كِلَابًا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللهِ عَلَيْهَا فَأَمْسَكْنَ وَقَتَلْنَ فَلَا تَأْكُلْ؛ فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي أَيُّهَا قَتَلَ، وَإِذَا رَمَيْتَ الصَّيْدَ فَوَجَدْتَهُ بَعْدَ يَوْمٍ أَوْ يَوْمَيْنِ لَيْسَ بِهِ إِلَّا أَثَرُ سَهْمِكَ فَكُلْ، وَإِنْ وَقَعَ فِي الْمَاءِ فَلَا تَأْكُلْ»(١).

وَاخْتَلَفُوا فِيمَا إِذَا أَخَذَتِ الصَّيْدَ وَأَكَلَتْ مِنْهُ شَيْئًا، فَذَهَبَ أَكْثَرُ أَهْلِ الْعِلْمِ إِلَى تَحْرِيمِهِ، رُوِيَ ذَلِكَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَهُوَ قَوْلُ عَطَاءٍ وَطَاوُسٍ وَالشَّعْبِيِّ، وَبِهِ قَالَ الثَّوْرِيُّ وَابْنُ الْمُبَارَكِ وَأَصْحَابُ الرَّأْيِ، وَهُوَ أَصَحُّ قَوْلَيِ الشافعي؛ لِقَوْلِهِ ﷺ: «وَإِنْ أَكَلَ فَلَا تَأْكُلْ؛ فَإِنَّمَا أَمْسَكَ عَلَى نَفْسِهِ»، وَرَخَّصَ بَعْضُهُمْ فِي أَكْلِهِ، رُوِيَ ذَلِكَ عَنِ ابْنِ عُمَرَ وَسَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ وَسَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاص، وَبِهِ قَالَ مَالِكٌ؛ لِمَا رُوِيَ عَنْ أَبِي ثَعْلَبَةَ الْخُشَنِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا أَرْسَلْتَ كَلْبَكَ وَذَكَرْتَ اسْمَ اللهِ تَعَالَى فَكُلْ وَإِنْ أَكَلَ مِنْهُ»(٢).

وَأَمَّا غَيْرُ الْمُعَلَّمِ مِنَ الْجَوَارِحِ إِذَا أَخَذَ صَيْدًا أَوِ الْمُعَلَّمُ إِذَا خَرَجَ بِغَيْرِ إِرْسَالِ صَاحِبِهِ فَأَخَذَ وَقَتَلَ فَلَا يَكُونُ حَلَالًا، إِلَّا أَنْ يُدْرِكَهُ صَاحِبُهُ حَيًّا فَيَذْبَحَهُ فَيَكُونُ حَلَالًا.

عَنْ أَبِي ثَعْلَبَةَ الْخُشَنِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللهِ، إِنَّا بِأَرْضِ قَوْمٍ أَهْلِ كِتَابٍ أَفَنَأْكُلُ فِي آنِيَتِهِمْ؟ وَبِأَرْضِ صَيْدٍ أَصِيدُ بِقَوْسِي وَبِكَلْبِي الَّذِي لَيْسَ بِمُعَلَّمٍ وَبِكَلْبِي الْمُعَلَّمِ، فَمَا يَصْلُحُ لِي؟ قَالَ: «أَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ آنِيَةِ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَإِنْ وَجَدْتُمْ غَيْرَهَا فَلَا تَأْكُلُوا فِيهَا، وَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَاغْسِلُوهَا وَكُلُوا فِيهَا، وَمَا صِدْتَ بِقَوْسِكَ فَذَكَرْتَ

(١) **صحيح:** البخاري: (٥٤٨٤)، مسلم: (١٩٢٩).

(٢) **ضعيف:** ضعَّفه العلَّامة الألباني رحمه الله في "ضعيف سنن أبي داود (الأم)" (٤٩٢).

اسْمَ اللهِ عَلَيْهِ فَكُلْ، وَمَا صِدْتَ بِكَلْبِكَ غَيْرِ الْمُعَلَّمِ فَأَدْرَكْتَ ذَكَاتَهُ فَكُلْ»[(١)].

﴿وَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾: فَفِيهِ بَيَانُ أَنَّ ذِكْرَ اسْمِ اللهِ ﷻ عَلَى الذَّبِيحَةِ شَرْطٌ حَالَةَ مَا يُذْبَحُ، وَفِي الصَّيْدِ حَالَةَ مَا يُرْسِلُ الْجَارِحَةَ أَوِ السَّهْمَ.

عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: ضَحَّى رَسُولُ اللهِ ﷺ بِكَبْشَيْنِ أَمْلَحَيْنِ أَقْرَنَيْنِ ذَبَحَهُمَا بِيَدِهِ وَسَمَّى وَكَبَّرَ، قَالَ: رَأَيْتُهُ وَاضِعًا قَدَمَهُ عَلَى صِفَاحِهِمَا وَيَذْبَحُهُمَا بِيَدِهِ وَيَقُولُ: «بِاسْمِ اللهِ وَاللهُ أَكْبَرُ»[(٢)].

﴿ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾

قَوْلُهُ ﷻ: ﴿ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ﴾: يَعْنِي: الذَّبَائِحَ عَلَى اسْمِ اللهِ ﷻ، ﴿وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ﴾: يُرِيدُ: ذَبَائِحَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَمَنْ دَخَلَ فِي دِينِهِمْ مِنْ سَائِرِ الْأُمَمِ قَبْلَ مَبْعَثِ مُحَمَّدٍ ﷺ حَلَالٌ لَكُمْ، فَأَمَّا مَنْ دَخَلَ فِي دِينِهِمْ بَعْدَ مَبْعَثِ مُحَمَّدٍ ﷺ فَلَا تَحِلُّ ذَبِيحَتُهُ.

وَلَوْ ذَبَحَ يَهُودِيٌّ أَو نَصْرَانِيٌّ عَلَى اسْمِ غَيْرِ اللهِ، كَالنَّصْرَانِيِّ يَذْبَحُ بِاسْمِ المَسِيحِ فَاخْتَلَفُوا فِيهِ، قَالَ ابْنُ عُمَرَ: لَا يَحِلُّ، وَهُوَ قَوْلُ رَبِيعَةَ، **وَذَهَبَ أَكْثَرُ أَهْلِ الْعِلْمِ إِلَى أَنَّهُ** يَحِلُّ، وَهُوَ قَوْلُ الشَّعْبِيِّ وَعَطَاءٍ وَالزُّهْرِيِّ وَمَكْحُولٍ، سُئِلَ الشَّعْبِيُّ وَعَطَاء عَنِ النَّصْرَانِيِّ يَذْبَحُ بِاسْمِ المَسِيحِ، قَالَا: يَحِلُّ؛ فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى قَدْ أَحَلَّ ذَبَائِحَهُمْ وَهُوَ يَعْلَمُ مَا يَقُولُونَ، **وَقَالَ الحَسَنُ:** إِذَا ذَبَحَ الْيَهُودِيُّ أَوِ النَّصْرَانِيُّ فَذَكَرَ اسْمَ غَيْرِ اللهِ وَأَنْتَ تَسْمَعُ فَلَا تَأْكُلْهُ، فَإِذَا غَابَ عَنْكَ فَكُلْ؛ فَقَدْ أَحَلَّهُ اللهُ لَكَ.

---

(١) **صحيح:** البخاري: (٥٤٧٨)، مسلم: (١٩٣٠).

(٢) **صحيح:** البخاري: (٥٥٥٨)، مسلم: (١٩٦٦).

قَوْلُهُ ﷻ: ﴿وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ﴾: **فَإِنْ قِيلَ**: كَيْفَ شَرَعَ لَهُمْ حِلَّ طَعَامِنَا وَهُمْ كُفَّارٌ لَيْسُوا مِنْ أَهْلِ الشَّرْعِ؟ **قَالَ الزَّجَّاجُ**: مَعْنَاهُ حَلَالٌ لَكُمْ أَنْ تُطْعِمُوهُمْ، فَيَكُونُ خِطَابُ الْحِلِّ مَعَ الْمُسْلِمِينَ، **وَقِيلَ**: لِأَنَّهُ ذَكَرَ عُقَيْبَهُ حُكْمَ النِّسَاءِ، وَلَمْ يَذْكُرْ حِلَّ الْمُسْلِمَاتِ لَهُمْ، فَكَأَنَّهُ قَالَ حَلَالٌ لَكُمْ أَنْ تُطْعِمُوهُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ أَنْ تُزَوِّجُوهُمْ.

قَوْلُهُ ﷻ: ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ﴾: هَذَا رَاجِعٌ إِلَى الْأَوَّلِ مُنْقَطِعٌ عَنْ قَوْلِهِ: ﴿وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ﴾. **اخْتَلَفُوا فِي مَعْنَى** ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ﴾ **فَذَهَبَ أَكْثَرُ الْعُلَمَاءِ** إِلَى أَنَّ الْمُرَادَ مِنْهُنَّ الْحَرَائِرُ، وَأَجَازُوا نِكَاحَ كُلِّ حُرَّةٍ مُؤْمِنَةً كَانَتْ أَوْ كِتَابِيَّةً فَاجِرَةً كَانَتْ أَوْ عَفِيفَةً، وَهُوَ قَوْلُ مُجَاهِدٍ. **وَقَالَ هَؤُلَاءِ**: لَا يَجُوزُ لِلْمُسْلِمِ نِكَاحُ الْأَمَةِ الْكِتَابِيَّةِ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [النِّسَاء:٢٥]، جَوَّزَ نِكَاحَ الْأَمَةِ بِشَرْطِ أَنْ تَكُونَ مُؤْمِنَةً، **وَجَوَّزَ أَكْثَرُهُمْ** نِكَاحَ الْأَمَةِ الْكِتَابِيَّةِ الْحَرْبِيَّةِ، **وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ**: لَا يَجُوزُ، وَقَرَأَ: ﴿قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾[التَّوْبَة:٢٩]، فَمَنْ أَعْطَى الْجِزْيَةَ حَلَّ لَنَا نِسَاؤُهُ، وَمَنْ لَمْ يُعْطِهَا فَلَا يَحِلُّ لَنَا نِسَاؤُهُ. **وَذَهَبَ قَوْمٌ** إِلَى أَنَّ الْمُرَادَ مِنَ الْمُحْصَنَاتِ فِي الْآيَةِ: الْعَفَائِفُ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ حَرَائِرَ كُنَّ أَوْ إِمَاءً، وَأَجَازُوا نِكَاحَ الْأَمَةِ الْكِتَابِيَّةِ، وَحَرَّمُوا الْبَغَايَا مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْكِتَابِيَّاتِ، وَهُوَ قَوْلُ الْحَسَنِ. **وَقَالَ الشَّعْبِيُّ**: **إِحْصَانُ الْكِتَابِيَّةِ**: أَنْ تَسْتَعِفَّ مِنَ الزِّنَا وَتَغْتَسِلَ مِنَ الْجَنَابَةِ. ﴿إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾: أَيْ: مُهُورَهُنَّ، ﴿مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ﴾: غَيْرَ مُعَالِنِينَ بِالزِّنَا ﴿وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ﴾: أَيْ: غَيْرَ مُسِرِّينَ بِالزِّنَا، **قَالَ الزَّجَّاجُ**: حَرَّمَ اللهُ الْجِمَاعَ عَلَى جِهَةِ السِّفَاحِ وَعَلَى جِهَةِ اتِّخَاذِ الصَّدِيقَةِ وَأَحَلَّهُ عَلَى جِهَةِ الْإِحْصَانِ وَهُوَ التَّزَوُّجُ، ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾: **قَالَ مُقَاتِلُ بْنُ حَيَّانَ**: يَقُولُ لَيْسَ إِحْصَانُ الْمُسْلِمِينَ إِيَّاهُنَّ بِالَّذِي يُخْرِجُهُنَّ مِنَ الْكُفْرِ أَوْ يُغْنِي عَنْهُنَّ شَيْئًا، وَهِيَ لِلنَّاسِ عَامَّةً: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٌ فِي مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾: أَيْ: بِاللهِ الَّذِي يَجِبُ الْإِيمَانُ بِهِ، **وَقَالَ الْكَلْبِيُّ**: ﴿بِٱلْإِيمَٰنِ﴾: أَيْ: بِكَلِمَةِ التَّوْحِيدِ، وَهِيَ: (شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ)، **وَقَالَ مُقَاتِلٌ**: بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ وَهُوَ الْقُرْآنُ، **وَقِيلَ**: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾: أَيْ: يَسْتَحِلُّ الْحَرَامَ وَيُحَرِّمُ الْحَلَالَ ﴿فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾: **قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ**: خَسِرَ الثَّوَابَ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُوا۟ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُوا۟ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ۚ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُوا۟ ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ ۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾

قَوْلُهُ ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾: أَيْ: إِذَا أَرَدْتُمُ الْقِيَامَ إِلَى الصَّلَاةِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾[النَّحل:٩٨] أَيْ: إِذَا أَرَدْتَ الْقِرَاءَةَ(١). وَظَاهِرُ الْآيَةِ يَقْتَضِي وُجُوبَ الْوُضُوءِ عِنْدَ كُلِّ مَرَّةٍ يُرِيدُ الْقِيَامَ إِلَى

(١) قال العلَّامة الإمام مقبل بن هادي الوادعي رَحِمَهُ اللهُ: **قال الإمامُ البخاريُّ** رَحِمَهُ اللهُ ج(١) ص(٤٤٨): حدثنا عبد الله بن يوسف، قال: أخبرنا مالك، عن عبد الرحمن بن القاسم، عن أبيه، **عن عائشةَ زوجِ النبيِّ** ﷺ قالت: خرجنا مع رسول الله ﷺ وسلم في بعض أسفاره، حتى إذا كنا بالبيداء أو بذات الجيش انقطع عقد لي، فأقام رسول الله ﷺ على التماسه، وأقام الناس معه، وليسوا على ماء، فأتى النَّاسُ إلى أبي بكر الصِّدِّيقِ فقالوا: ألا ترى ما صنعت عائشةُ؟ أقامت برسول الله ﷺ والنَّاسِ وليسوا على ماء، وليس معهم ماءٌ! فجاء أبو بكر ورسولُ الله ﷺ واضعٌ رأسَهُ على فَخِذِي قد نامَ، فقال: حبستِ رسولَ الله ﷺ والناسَ، وليسوا على ماء، وليس معهم ماء؟!! فقالت عائشةُ: فعاتبني أبو بكر، وقال ما شاء الله أن يقول، وجعل يطعُنُني بيده في خاصرتِي، فلا يمنعني من التحرك إلا مكانُ رسول الله ﷺ على فخذي، فقام رسول الله ﷺ حين أصبح على غير ماء، فأنزل الله آيةَ التيمُّم فتيمَّمُوا، فقال أُسَيدُ بن الحضير: ما هذه بأول بركتكم يا آلَ أبي بكر. قالت: فبَعَثْنَا البعيرَ الذي كنتُ عليه فأصبنا العِقْدَ تحتَهُ. الحديث أخرجه البخاري في مواضع منها: ج(٩) ص(٣٢١) وفيه: هلكت قلادة لأسماء فبعث النبي ﷺ في طلبها رجالًا... الحديث، وفيه: نزلت آية التيمم، وص(٣٤١) وص(٣٤٢): وفيه =

الصَّلَاةِ، لَكِنْ عَلِمْنَا بِبَيَانِ السُّنَّةِ وَفِعْلِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّ الْمُرَادَ مِنَ الْآيَةِ: إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ وَأَنْتُمْ عَلَى غَيْرِ طُهْرٍ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لَا يَقْبَلُ اللهُ صَلَاةَ أَحَدِكُمْ إِذَا أَحْدَثَ حَتَّى يَتَوَضَّأَ**»[(١)]. وَقَدْ جَمَعَ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمَ الْخَنْدَقِ بَيْنَ أَرْبَعِ صَلَوَاتٍ بِوُضُوءٍ وَاحِدٍ.

عَنْ بُرَيْدَةَ بنِ الْحُصَيْبِ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ صَلَّى يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ الصَّلَوَاتِ بِوُضُوءٍ وَاحِدٍ، وَمَسَحَ عَلَى خُفَّيْهِ[(٢)].

وَقَالَ زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ: مَعْنَى الْآيَةِ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ مِنَ النَّوْمِ، **وَقَالَ بَعْضُهُمْ**: هُوَ أَمْرٌ عَلَى طَرِيقِ النَّدْبِ، نُدِبَ لِمَنْ قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ أَنْ يُجَدِّدَ لَهَا طَهَارَتَهُ وَإِنْ كَانَ عَلَى طُهْرٍ.

رُوِيَ **عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ حَنْظَلَةَ بْنِ أَبِي عَامِرٍ** رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أُمِرَ بِالْوُضُوءِ عِنْدَ كُلِّ صَلَاةٍ طَاهِرًا أَوْ غَيْرَ طَاهِرٍ، فَلَمَّا شَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِ أُمِرَ بِالسِّوَاكِ لِكُلِّ صَلَاةٍ[(٣)].

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: هَذَا إِعْلَامٌ مِنَ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِرَسُولِ اللهِ ﷺ أَنْ لَا وُضُوءَ عَلَيْهِ إِلَّا إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ دُونَ غَيْرِهَا مِنَ الْأَعْمَالِ، فَأَذِنَ لَهُ أَنْ يَفْعَلَ بَعْدَ الْحَدَثِ مَا بَدَا لَهُ مِنَ الْأَفْعَالِ غَيْرَ الصَّلَاةِ.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما يَقُولُ: كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَرَجَعَ مِنَ الْغَائِطِ فَأُتِيَ بِطَعَامٍ فَقِيلَ لَهُ: أَلَا تَوَضَّأُ؟ فَقَالَ: «**لِمَ؟ أَأُصَلِّ فَأَتَوَضَّأُ؟**»[(٤)].

قَوْلُهُ جل جلاله: ﴿فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ﴾: وَحَدُّ الْوَجْهِ مِنْ مَنَابِتِ شَعْرِ الرَّأْسِ إِلَى مُنْتَهَى الذَّقْنِ طُولًا وَمَا بَيْنَ الْأُذُنَيْنِ عَرْضًا، يَجِبُ غَسْلُ جَمِيعِهِ فِي الْوُضُوءِ، وَيَجِبُ أَيْضًا إِيصَالُ

= تعيين الآية النازلة: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾ الآية. وج(١١) ص(١٣٥) وفيه: أنها استعارت من أسماء قلادة، فظهر بحمد الله ما تقدم من قولها: هلكت قلادة لأسماء، وهذا من فوائد جمع طرق الحديث وج(١٥) ص(١٨٩)، وأخرجه مسلم ج(٤) ص(٥٨ و٥٩).إلخ. "الصحيح المسند من أسباب النزول" ص(٩٨-٩٩).

(١) **صحيح**: البخاري: (٦٩٥٤)، مسلم: (٢٢٥).

(٢) **صحيح**: مسلم: (٢٧٧).

(٣) **حسن**: حسَّنه العلَّامة الألباني رحمه الله في "صحيح أبي داود (الأم)" (٣٨).

(٤) **صحيح**: مسلم: (٣٧٤).

المَاءِ إِلَى مَا تَحْتَ الْحَاجِبَيْنِ وَأَهْدَابِ الْعَيْنَيْنِ وَالشَّارِبِ وَالعِذَارِ [-وَهُوَ جَانِبُ اللِّحْيَةِ-] وَالعَنْفَقَةِ وَإِنْ كَانَتْ كَثِيفَةً، وَأَمَّا الْعَارِضُ [-وَهُوَ جَانِبُ الْوَجْهِ وَصَفْحَةُ الخَدِّ-] وَاللِّحْيَةُ فَإِنْ كَانَتْ كَثِيفَةً لَا تُرَى الْبَشَرَةُ مِنْ تَحْتِهَا لَا يَجِبُ غَسْلُ بَاطِنِهَا فِي الْوُضُوءِ، بَلْ يَجِبُ غَسْلُ ظَاهِرِهَا، وَهَلْ يَجِبُ إِمْرَارُ المَاءِ عَلَى ظَاهِرِ مَا اسْتَرْسَلَ مِنَ اللِّحْيَةِ عَنِ الذَّقَنِ؟ فِيهِ قَوْلَانِ، أَحَدُهُمَا: لَا يَجِبُ، وَبِهِ قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ رضي الله عنه؛ لِأَنَّ الشَّعْرَ النَّازِلَ عَنْ حَدِّ الرَّأْسِ لَا يَكُونُ حُكْمُهُ حُكْمَ الرَّأْسِ فِي جَوَازِ المَسْحِ عَلَيْهِ، كَذَلِكَ النَّازِلُ عَنْ حَدِّ الْوَجْهِ لَا يَكُونُ حُكْمُهُ حُكْمَ الْوَجْهِ فِي وُجُوبِ غَسْلِهِ، وَالْقَوْلُ الثَّانِي: يَجِبُ إِمْرَارُ المَاءِ عَلَى ظَاهِرِهِ؛ لِأَنَّ اللهَ تَعَالَى أَمَرَ بِغَسْلِ الْوَجْهِ، وَالْوَجْهُ مَا يَقَعُ بِهِ الْمُوَاجَهَةُ مِنْ هَذَا الْعُضْوِ، وَيُقَالُ فِي اللُّغَةِ: (بَقَلَ وَجْهُ فُلَانٍ وَخَرَجَ وَجْهُهُ): إِذَا نَبَتَتْ لِحْيَتُهُ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ﴾: أَيْ: مَعَ المَرَافِقِ كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَهُمۡ إِلَىٰٓ أَمۡوَٰلِكُمۡۚ﴾[النِّسَاء:٢]، أَيْ: مَعَ أَمْوَالِكُمْ، وَقَالَ: ﴿مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾[آل عِمْرَان:٥٢]، أَيْ: مَعَ اللهِ، وَأَكْثَرُ الْعُلَمَاءِ عَلَى أَنَّهُ يَجِبُ غَسْلُ المِرْفَقَيْنِ، وَفِي الرِّجْلِ يَجِبُ غَسْلُ الْكَعْبَيْنِ، **وَقَالَ الشَّعْبِيُّ وَمُحَمَّدُ بْنُ جَرِيرٍ**: لَا يَجِبُ غَسْلُ المِرْفَقَيْنِ وَالْكَعْبَيْنِ فِي غَسْلِ الْيَدِ وَالرِّجْلِ؛ لِأَنَّ حَرْفَ (إِلَى) لِلْغَايَةِ وَالْحَدِّ، فَلَا يَدْخُلُ فِي المَحْدُودِ، قُلْنَا: لَيْسَ هَذَا بِحَدٍّ وَلَكِنَّهُ بِمَعْنَى (مَعَ) كَمَا ذَكَرْنَا، **وَقِيلَ**: الشَّيْءُ إِذَا حُدَّ إِلَى جِنْسِهِ يَدْخُلُ فِيهِ الْغَايَةُ، وَإِذَا حُدَّ إِلَى غَيْرِ جِنْسِهِ لَا يَدْخُلُ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيۡلِۚ﴾[الْبَقَرَة: ١٨٧]، لَمْ يَدْخُلِ اللَّيْلُ فِيهِ لِأَنَّهُ لَيْسَ مِنْ جِنْسِ النَّهَارِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ﴾: اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي قَدْرِ الْوَاجِبِ مِنْ مَسْحِ الرَّأْسِ، فَقَالَ مَالِكٌ: يَجِبُ مَسْحُ جَمِيعِ الرَّأْسِ كَمَا يَجِبُ مَسْحُ جَمِيعِ الْوَجْهِ فِي التَّيَمُّمِ، **وَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ**: يَجِبُ مَسْحُ رُبْعِ الرَّأْسِ، **وَعِنْدَ الشَّافِعِيِّ** رحمه الله: يَجِبُ قَدْرُ مَا يُطْلَقُ عَلَيْهِ اسْمُ المَسْحِ، وَاحْتَجَّ مَنْ أَجَازَ مَسْحَ بَعْضِ الرَّأْسِ بِمَا ثَبَتَ **عَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ** رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ تَوَضَّأَ فَمَسَحَ بِنَاصِيَتِهِ وَعَلَى عِمَامَتِهِ وَخُفَّيْهِ(١). فَأَجَازَ بَعْضُ أَهْلِ

(١) **صحيح:** مسلم: (٢٧٤).

الْعِلْمِ المَسْحَ عَلَى الْعِمَامَةِ بِهَذَا الْحَدِيثِ، وَبِهِ قَالَ الْأَوْزَاعِيُّ وَأَحْمَدُ وَإِسْحَاقُ، وَلَمْ يُجَوِّزْ أَكْثَرُ أَهْلِ الْعِلْمِ المَسْحَ عَلَى الْعِمَامَةِ بَدَلًا مِنْ مَسْحِ الرَّأْسِ، وَقَالُوا: فِي حَدِيثِ المُغِيرَةِ إِنَّ فَرْضَ المَسْحِ سَقَطَ عَنْهُ بِمَسْحِ النَّاصِيَةِ، وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ مَسْحَ جَمِيعِ الرَّأْسِ غَيْرُ وَاجِبٍ.

قَوْلُهُ ﷻ: ﴿وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾: قَرَأَ نَافِعٌ وَابْنُ عَامِرٍ وَالْكِسَائِيُّ وَيَعْقُوبُ وَحَفْصٌ ﴿وَأَرْجُلَكُمْ﴾ بِنَصْبِ اللَّامِ، وَقَرَأَ الْآخَرُونَ ﴿وَأَرْجُلِكُمْ﴾ بِالْخَفْضِ، فَمَنْ قَرَأَ ﴿وَأَرْجُلَكُمْ﴾ بِالنَّصْبِ فَيَكُونُ عَطْفًا عَلَى قَوْلِهِ: ﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ﴾ أَيْ: وَاغْسِلُوا أَرْجُلَكُمْ، وَمَنْ قَرَأَ بِالْخَفْضِ: فَقَدْ ذَهَبَ قَلِيلٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ إِلَى أَنَّهُ يَمْسَحُ عَلَى الرِّجْلَيْنِ، **وَرُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ** أَنَّهُ قَالَ: الْوُضُوءُ غَسْلَتَانِ وَمَسْحَتَانِ، وَيُرْوَى ذَلِكَ **عَنْ عِكْرِمَةَ وَقَتَادَةَ، وَقَالَ الشَّعْبِيُّ**: نَزَلَ جِبْرِيلُ بِالمَسْحِ، وَقَالَ: أَلَا تَرَى المُتَيَمِّمَ يَمْسَحُ مَا كَانَ غَسْلًا وَيُلْغِي مَا كَانَ مَسْحًا، **وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ جَرِيرٍ الطَّبَرِيُّ**: يَتَخَيَّرُ المُتَوَضِّئُ بَيْنَ المَسْحِ عَلَى الْخُفَّيْنِ وَبَيْنَ غَسْلِ الرِّجْلَيْنِ، **وَذَهَبَ عَامَّةُ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَغَيْرِهِمْ** إِلَى وُجُوبِ غَسْلِ الرِّجْلَيْنِ، وَقَالُوا: خَفْضُ اللَّامِ فِي الْأَرْجُلِ عَلَى مُجَاوَرَةِ اللَّفْظِ لَا عَلَى مُوَافَقَةِ الْحُكْمِ، كَمَا قَالَ ﷻ: ﴿عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾ [هود:٢٦]، فَالْأَلِيمُ: صِفَةُ الْعَذَابِ، وَلَكِنَّهُ أَخَذَ إِعْرَابَ الْيَوْمِ لِلْمُجَاوَرَةِ، وَكَقَوْلِهِمْ: (جُحْرُ ضَبٍّ خَرِبٍ)، فَالخَرَابُ: نَعْتُ الجُحْرِ، وَأَخَذَ إِعْرَابَ الضَّبِّ لِلْمُجَاوَرَةِ، وَالدَّلِيلُ عَلَى وُجُوبِ غَسْلِ الرِّجْلَيْنِ مَا ثَبَتَ **عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو** ﵄ قَالَ: تَخَلَّفَ عَنَّا رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي سَفَرٍ سَافَرْنَاهُ، فَأَدْرَكَنَا وَقَدْ أَرْهَقَتْنَا الصَّلَاةُ صَلَاةُ الْعَصْرِ وَنَحْنُ نَتَوَضَّأُ، فَجَعَلْنَا نَمْسَحُ عَلَى أَرْجُلِنَا، فَنَادَانَا بِأَعْلَى صَوْتِهِ: «**وَيْلٌ لِلْأَعْقَابِ مِنَ النَّارِ**»(١).

عَنْ حُمْرَانَ مَوْلَى عُثْمَانَ قَالَ: رَأَيْتُ **عُثْمَانَ** ﵁ تَوَضَّأَ فَأَفْرَغَ عَلَى يَدَيْهِ ثَلَاثًا، ثُمَّ تَمَضْمَضَ وَاسْتَنْشَقَ وَاسْتَنْثَرَ، ثُمَّ غَسَلَ وَجْهَهُ ثَلَاثًا، ثُمَّ غَسَلَ يَدَهُ الْيُمْنَى إِلَى الْمِرْفَقِ

(١) **صحيح**: البخاري: (٦٠)، مسلم: (٢٤١). **وقولُهُ**: «أَرْهَقَتْنَا»: أي: أدركتنا. "الفتح" (١/ ١٢٥).

ثَلَاثًا، ثُمَّ غَسَلَ يَدَهُ الْيُسْرَى إِلَى الْمِرْفَقِ ثَلَاثًا، ثُمَّ مَسَحَ بِرَأْسِهِ، ثُمَّ غَسَلَ رِجْلَهُ الْيُمْنَى ثَلَاثًا، ثُمَّ الْيُسْرَى ثَلَاثًا، ثُمَّ قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ تَوَضَّأَ نَحْوَ وُضُوئِي هَذَا، ثُمَّ قَالَ: «**مَنْ تَوَضَّأَ نَحْوَ وُضُوئِي هَذَا، ثُمَّ يُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ لَا يُحَدِّثُ نَفْسَهُ فِيهِمَا بِشَيْءٍ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**»[(١)].

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: أَرَادَ بِقَوْلِهِ: ﴿وَأَرْجُلَكُمْ﴾: الْمَسْحَ عَلَى الْخُفَّيْنِ، كَمَا رُوِيَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا رَكَعَ وَضَعَ يَدَيْهِ عَلَى رُكْبَتَيْهِ[(٢)]، وَلَيْسَ الْمُرَادُ مِنْهُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمَا حَائِلٌ وَيُقَالُ: (قَبَّلَ فُلَانٌ رَأْسَ الْأَمِيرِ وَيَدَهُ) وَإِنْ كَانَتِ الْعِمَامَةُ عَلَى رَأْسِهِ وَيَدُهُ فِي كُمِّهِ.

عَنْ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ رضي الله عنه، قَالَ: كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ فِي سَفَرٍ فَقَالَ: «**أَمَعَكَ مَاءٌ؟**»، قُلْتُ: نَعَمْ، فَنَزَلَ عَنْ رَاحِلَتِهِ فَمَشَى حَتَّى تَوَارَى عَنِّي فِي سَوَادِ اللَّيْلِ، ثُمَّ جَاءَ فَأَفْرَغْتُ عَلَيْهِ مِنَ الْإِدَاوَةِ فَغَسَلَ وَجْهَهُ وَيَدَيْهِ وَعَلَيْهِ جُبَّةٌ مِنْ صُوفٍ، فَلَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يُخْرِجَ ذِرَاعَيْهِ مِنْهَا حَتَّى أَخْرَجَهُمَا مِنْ أَسْفَلِ الْجُبَّةِ، فَغَسَلَ ذِرَاعَيْهِ، ثُمَّ مَسَحَ بِرَأْسِهِ، ثُمَّ أَهْوَيْتُ لِأَنْزِعَ خُفَّيْهِ فَقَالَ: «**دَعْهُمَا؛ فَإِنِّي أَدْخَلْتُهُمَا طَاهِرَتَيْنِ**»، فَمَسَحَ عَلَيْهِمَا[(٣)].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾: **وَالْكَعْبَانِ**: هُمَا الْعَظْمَانِ النَّاتِئَانِ مِنْ جَانِبَيِ الْقَدَمَيْنِ، وَهُمَا مجتمع مَفْصِلِ السَّاقِ وَالْقَدَمِ، فَيَجِبُ غَسْلُهُمَا مَعَ الْقَدَمَيْنِ كَمَا ذَكَرْنَا فِي الْمِرْفَقَيْنِ.

وَفَرَائِضُ الْوُضُوءِ: غَسْلُ الْأَعْضَاءِ الثَّلَاثَةِ كَمَا ذَكَرَ اللهُ تَعَالَى، وَمَسْحُ الرَّأْسِ.

وَاخْتَلَفَ أَهْلُ الْعِلْمِ فِي وُجُوبِ النِّيَّةِ، فَذَهَبَ أَكْثَرُهُمْ إِلَى وُجُوبِهَا؛ لِأَنَّ الْوُضُوءَ عِبَادَةٌ تَفْتَقِرُ إِلَى النِّيَّةِ كَسَائِرِ الْعِبَادَاتِ، **وَذَهَبَ بَعْضُهُمْ** إِلَى أَنَّهَا غَيْرُ وَاجِبَةٍ، وَهُوَ قَوْلُ

---

(١) **صحيح**: البخاري: (١٩٣٤) مسلم: (٢٢٦). وقولُهُ ﷺ: «**لَا يُحَدِّثُ نَفْسَهُ فِيهِمَا**»: قال النووي رحمه الله: المراد: لا يحدث بشيء من أمور الدنيا ومالا يتعلق بالصلاة، ولو عرض له حديث فأعرض عنه بمجرد عروضه عُفي عن ذلك وحصلت له هذه الفضيلة إن شاء الله تعالى؛ لأن هذا ليس من فعله، وقد عُفي لهذه الأمة عن الخواطر التي تعرض ولا تستقر. «شرح النووي على مسلم» (٣/ ١٠٩).

(٢) **صحيح**: البخاري: (٨٢٨) عن أبي حُميدٍ السَّاعدي رضي الله عنه.

(٣) **صحيح**: البخاري: (٥٧٩٩)، مسلم: (٢٧٤).

الثَّوْرِيِّ وَأَصْحَابِ الرَّأْيِ.

وَاخْتَلَفُوا فِي وُجُوبِ التَّرْتِيبِ -وَهُوَ أَنْ يَغْسِلَ أَعْضَاءَهُ عَلَى الْوَلَاءِ كَمَا ذَكَرَ اللهُ ﷻ- **فَذَهَبَ جَمَاعَةٌ** إِلَى وُجُوبِهِ، وَهُوَ قَوْلُ مَالِكٍ وَالشَّافِعِيِّ وَأَحْمَدَ وَإِسْحَاقَ رَحِمَهُمُ اللهُ، وَيُرْوَى ذَلِكَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَاحْتَجَّ الشَّافِعِيُّ بِقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾[البَقَرَة:١٥٨]، وَبَدَأَ النَّبِيُّ ﷺ بِالصَّفَا، وَقَالَ: «**نَبْدَأُ بِمَا بَدَأَ اللهُ بِهِ**»[1]، وَكَذَلِكَ هَاهُنَا بَدَأَ اللهُ تَعَالَى بِذِكْرِ غَسْلِ الْوَجْهِ فَيَجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نَبْدَأَ فِعْلًا بِمَا بَدَأَ اللهُ تَعَالَى بِذِكْرِهِ. **وَذَهَبَ جَمَاعَةٌ** إِلَى أَنَّ التَّرْتِيبَ سُنَّةٌ، وَقَالُوا: الْوَاوَاتُ الْمَذْكُورَةُ فِي الآيَةِ لِلْجَمْعِ لَا لِلتَّرْتِيبِ كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ﴾[التَّوبَة:٦٠] الآيَة، وَاتَّفَقُوا عَلَى أَنَّهُ لَا تَجِبُ مُرَاعَاةُ التَّرْتِيبِ فِي صَرْفِ الصَّدَقَاتِ إِلَى أَهْلِ السُّهْمَانِ، وَمَنْ أَوْجَبَ التَّرْتِيبَ أَجَابَ بِأَنَّهُ لَمْ يُنْقَلْ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ رَاعَى التَّرْتِيبَ بَيْنَ أَهْلِ السُّهْمَانِ، وَفِي الْوُضُوءِ لَمْ يُنْقَلْ أَنَّهُ تَوَضَّأَ إِلَّا مُرَتَّبًا كَمَا ذَكَرَ اللهُ تَعَالَى، وَبَيَانُ الْكِتَابِ يُؤْخَذُ مِنَ السُّنَّةِ كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟﴾[الحَجّ: ٧٧]، لَمَّا قَدَّمَ ذِكْرَ الرُّكُوعِ عَلَى السُّجُودِ، وَلَمْ يُنْقَلْ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ فَعَلَ إِلَّا كَذَلِكَ، فَكَانَ مُرَاعَاةُ التَّرْتِيبِ فِيهِ وَاجِبًا، كَذَلِكَ التَّرْتِيبُ هَاهُنَا.

قَوْلُهُ ﷻ: ﴿وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُوا۟﴾: أَيِ: اغْتَسِلُوا.

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا اغْتَسَلَ مِنَ الْجَنَابَةِ بَدَأَ فَغَسَلَ يَدَيْهِ، ثُمَّ تَوَضَّأَ كَمَا يَتَوَضَّأُ لِلصَّلَاةِ، ثُمَّ يُدْخِلُ أَصَابِعَهُ فِي المَاءِ فَيُخَلِّلُ بِهَا أُصُولَ شَعْرِهِ، ثُمَّ يَصُبُّ عَلَى رَأْسِهِ ثَلَاثَ غَرْفَاتٍ بِيَدَيْهِ، ثُمَّ يُفِيضُ المَاءَ عَلَى جِلْدِهِ كُلِّهِ[2].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ﴾: فِيهِ دَلِيلٌ عَلَى

(١) **صحيح:** مسلم: (١٢١٨) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

(٢) **صحيح:** البخاري: (٢٤٨)، مسلم: (٣١٦).

أَنَّهُ يَجِبُ مَسْحُ الْوَجْهِ وَالْيَدَيْنِ بِالصَّعِيدِ وَهُوَ التُّرَابُ ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم﴾: بِمَا فَرَضَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْوُضُوءِ وَالْغُسْلِ وَالتَّيَمُّمِ ﴿مِّنْ حَرَجٍ﴾: ضِيقٍ، ﴿وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ﴾: مِنَ الْأَحْدَاثِ وَالْجَنَابَاتِ وَالذُّنُوبِ، ﴿وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾: قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ الْقُرَظِيُّ: إِتْمَامُ النِّعْمَةِ: تَكْفِيرُ الْخَطَايَا بِالْوُضُوءِ كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾[الْفَتْح:٢]، فَجَعَلَ تَمَامَ نِعْمَتِهِ غُفْرَانَ ذُنُوبِهِ.

عَنْ حُمْرَانَ، أَنَّ عُثْمَانَ تَوَضَّأَ بِالْمَقَاعِدِ ثَلَاثًا ثَلَاثًا، ثُمَّ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ تَوَضَّأَ وُضُوئِي هَذَا خَرَجَتْ خَطَايَاهُ مِنْ وَجْهِهِ وَيَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ»[(١)].

عَنْ حُمْرَانَ مَوْلَى عُثْمَانَ: أَنَّ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ رضي الله عنه جَلَسَ عَلَى الْمَقَاعِدِ يَوْمًا، فَجَاءَهُ الْمُؤَذِّنُ فَآذَنَهُ بِصَلَاةِ الْعَصْرِ، فَدَعَا بِمَاءٍ فَتَوَضَّأَ، ثُمَّ قَالَ: وَاللهِ لَأُحَدِّثَنَّكُمْ حَدِيثًا لَوْلَا آيَةٌ فِي كِتَابِ اللهِ مَا حَدَّثْتُكُمُوهُ، ثُمَّ قَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَا مِنَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يَتَوَضَّأُ فَيُحْسِنُ وُضُوءَهُ ثُمَّ يُصَلِّي الصَّلَاةَ إِلَّا غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الصَّلَاةِ الْأُخْرَى حَتَّى يُصَلِّيَهَا». قَالَ مَالِكٌ: أَرَاهُ يُرِيدُ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾[هُود:١١٤]. وَرَوَاهُ ابْنُ شِهَابٍ، وَقَالَ: قَالَ عُرْوَةُ: الْآيَةُ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ﴾[الْبَقَرَة:١٥٩][(٢)].

عَنْ نُعَيْمٍ الْمُجَمِّرِ قَالَ: رَقِيتُ مَعَ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَلَى ظَهْرِ الْمَسْجِدِ فَتَوَضَّأَ، قَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ أُمَّتِي يُدْعَوْنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ آثَارِ الْوُضُوءِ، فَمَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يُطِيلَ غُرَّتَهُ فَلْيَفْعَلْ»[(٣)].

---

(١) **صحيح:** مسلم: (٢٣٠)، أحمد: (٤٩٣) واللفظ له. **وقولُهُ:** «**بِالْمَقَاعِدِ**»: قال الإمام النووي رحمه الله: قيل: هي دكاكين عند دار عثمان بن عفان، وقيل: درج، وقيل: موضع بقرب المسجد اتخذه للقعود فيه لقضاء حوائج الناس والوضوء ونحو ذلك. "شرح النووي على مسلم" (٣/ ١١٤).

(٢) **صحيح:** البخاري: (١٦٠)، مسلم: (٢٢٧).

(٣) **صحيح:** البخاري: (١٣٦)، مسلم: (٢٤٦).

﴿وَٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِى وَاثَقَكُم بِهِۦٓ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۙ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾

قَوْلُهُ تعَالَى: ﴿وَٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾: يَعْنِي: النِّعَمَ كُلَّها، ﴿وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِى وَاثَقَكُم بِهِۦٓ﴾: عَهْدَهُ الَّذِي عَاهَدَكُمْ بِهِ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ، ﴿إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ﴾: وَذَلِكَ حِينَ بَايَعُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِيمَا أَحَبُّوا وَكَرِهُوا، وَهُوَ **قَوْلُ أَكْثَرِ الْمُفَسِّرِينَ، وَقَالَ مُجَاهِدٌ وَمُقَاتِلٌ**: يَعْنِي: الْمِيثَاقَ الَّذِي أُخِذَ عَلَيْهِمْ حِينَ أَخْرَجَهُمْ مِنْ صُلْبِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾: بِمَا فِي الْقُلُوبِ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ.

قَوْلُهُ تعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ﴾: أَيْ: كُونُوا قَائِمِينَ بِالْعَدْلِ قَوَّالِينَ بِالصِّدْقِ، أَمَرَهُمْ بِالْعَدْلِ وَالصِّدْقِ فِي أَفْعَالِهِمْ وَأَقْوَالِهِمْ، ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ﴾: وَلَا يَحْمِلَنَّكُمْ ﴿شَنَـَٔانُ قَوْمٍ﴾: بُغْضُ قَوْمٍ ﴿عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ﴾: أَيْ: عَلَى تَرْكِ الْعَدْلِ فِيهِمْ لِعَدَاوَتِهِمْ، ثُمَّ قَالَ: ﴿ٱعْدِلُواْ﴾: يَعْنِي: فِي أَوْلِيَائِكُمْ وَأَعْدَائِكُمْ، ﴿هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ﴾: يَعْنِي: إِلَى التَّقْوَى ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۙ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾: وَهَذَا فِي مَوْضِعِ النَّصْبِ؛ لِأَنَّ فِعْلَ الْوَعْدِ وَاقِعٌ عَلَى الْمَغْفِرَةِ، وَرَفْعُهَا عَلَى تَقْدِيرٍ، أَيْ: وَقَالَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ(١). ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٠﴾

(١) قال السمين الحلبي رَحِمَهُ اللهُ: قوله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ﴾: (وَعَدَ): يتعدَّى لاثنين أولهما: الموصول، والثاني: محذوفٌ، أي: الجنةَ، وقد صَرَّح بهذا المفعولِ في غير هذا الموضع، وعلى هذا فالجملة من قوله: ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ﴾: لا محل لها؛ لأنها مفسرة لذلك المحذوفِ تفسيرَ السبب للمسبب؛ فإن الجنةَ مسببةٌ عن =

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾: بِالدَّفْعِ عَنْكُمْ؛ ﴿إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ﴾: بِالْقَتْلِ(١)، ﴿فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾.

﴿۞ وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًاۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُۚ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٢﴾ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةًۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦۙ وَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾

﴿وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾: [وَالْمِيثَاقُ: الْعَهْدُ الشَّدِيدُ الْمُؤَكَّدُ]، وَذَلِكَ أَنَّ اللهَ ﷻ وَعَدَ مُوسَى عليه السلام أَنْ يُورِثَهُ وَقَوْمَهُ الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ وَهِيَ الشَّامُ، ﴿وَبَعَثْنَا

= المغفرةِ وحصولِ الأجر العظيم، والكلامُ قبلها تام بنفسه. وذكر الزمخشري في الآية احتمالاتٍ أُخَرَ، أحدها: أنَّ الجملةَ من قوله: ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ﴾: بيانٌ للوعد، كأنه قال: قَدَّم لهم وعدًا، فقيل: أيّ شيء وعده؟ فقال ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾، وعلى هذا فلا محلَّ لها أيضًا، وهذا أَوْلى من الأول لأن تفسيرَ الملفوظِ به أَوْلى من ادِّعاء تفسير شيء محذوف. الثاني: أنَّ الجملةَ منصوبةٌ بقولٍ محذوفٍ كأنه قيل: وَعَدهم وقال: ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ﴾. الثالث: إجراءُ الوعد مُجرى القول؛ لأنه ضَرْبٌ منه، ويجعل (وَعَدَ) واقعًا على الجملة التي هي قوله: ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ﴾، كما وقع (تَرَكْنا) على قوله: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ﴾[الصَّافَّات: ٧٩]، كأنه قيل: وعدهم هذا القول، وإذا وعدهم مَنْ لا يُخْلِفُ الميعادَ فقد وعدهم مضمونَة من المغفرة والأجر العظيم، وإجراءُ الوعدِ مُجْرى القولِ مذهبٌ كوفي. «الدر المصون» (٤/ ٢١٨-٢١٩).

(١) قال العلامة العثيمين رحمه الله: القوم: هم المشركون، وقد همُّوا بقتل النبي ﷺ وهموا أيضًا بأن يقاتلوه في مكة، ولكنَّ الله قال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْۚ﴾ [الفتح:٢٤]، وقال في سورة النساء: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَٰتَلُوكُمْۚ﴾[النساء:٩٠]، فعِدَّة وقائع يهم الكفار بأن يبسطوا أيديهم إلى الرسول ﷺ وأصحابه، ولكن الله تعالى يكف أيديهم ويسلم الرسول وأصحابه، ولذلك قال تعالى ﴿فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْۖ﴾ أي: ولم يستطيعوا أن ينالوكم بسوء، وهذه نعمة عظيمة أن يهم عدوك بشيء ثم يحجزه الله عنك. «تفسير (سورة المائدة)» (١/ ١٦٤-١٦٥).

﴿مِنْهُمُ ٱثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾: مِنْ كُلِّ سِبْطٍ نَقِيبًا يَكُونُ كَفِيلًا عَلَى قَوْمِهِ بِالْوَفَاءِ مِنْهُمْ عَلَى مَا أُمِرُوا بِهِ، ﴿وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ﴾: نَاصِرُكُمْ عَلَى عَدُوِّكُمْ، ثُمَّ ابْتَدَأَ الْكَلَامَ فَقَالَ: ﴿لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ﴾: يَا مَعْشَرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ، ﴿وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ﴾: نَصَرْتُمُوهُمْ، **وَقِيلَ**: وَقَّرْتُمُوهُمْ وَعَظَّمْتُمُوهُمْ، ﴿وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾: **قِيلَ**: هُوَ إِخْرَاجُ الزَّكَاةِ، **وَقِيلَ**: هُوَ النَّفَقَةُ عَلَى الْأَهْلِ، ﴿لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾: لَأَمْحُوَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ، ﴿وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾: أَيْ: أَخْطَأَ قَصْدَ السَّبِيلِ، يُرِيدُ: طَرِيقَ الْحَقِّ، وَسَوَاءُ كُلِّ شَيْءٍ: وَسَطُهُ.

﴿فَبِمَا نَقْضِهِم﴾: أَيْ: فَبِنَقْضِهِمْ، وَ(مَا) صِلَةٌ، ﴿مِّيثَـٰقَهُمْ﴾: **قَالَ قَتَادَةُ**: نَقَضُوهُ مِنْ وُجُوهٍ؛ لِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا الرُّسُلَ الذين جَاؤُوا بَعْدَ مُوسَى وَقَتَلُوا أَنْبِيَاءَ اللهِ وَنَبَذُوا كِتَابَهُ وَضَيَّعُوا فَرَائِضَهُ، ﴿لَعَنَّـٰهُمْ﴾: **قَالَ عَطَاءٌ**: أَبْعَدْنَاهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا، **قَالَ الْحَسَنُ وَمُقَاتِلٌ**: عَذَّبْنَاهُمْ بِالْمَسْخِ، ﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَـٰسِيَةً﴾: قَرَأَ حَمْزَةُ وَالْكِسَائِيُّ ﴿قَسِيَّةً﴾ بِتَشْدِيدِ الْيَاءِ مِنْ غَيْرِ أَلْفٍ، وَهُمَا لُغَتَانِ مِثْلُ: (الذَّاكِيَةِ، وَالذَّكِيَّةِ)، **وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ** رضي الله عنهما: ﴿قَـٰسِيَةً﴾: أَيْ: يَابِسَةٌ، **وَقِيلَ**: غَلِيظَةٌ لَا تَلِينُ، **وَقِيلَ**: مَعْنَاهُ: إِنَّ قُلُوبَهُمْ لَيْسَتْ بِخَالِصَةٍ لِلْإِيمَانِ بَلْ إِيمَانُهُمْ مَشُوبٌ بِالْكُفْرِ وَالنِّفَاقِ، وَمِنْهُ الدَّرَاهِمُ الْقَاسِيَةُ، وَهِيَ الرَّدِيَّةُ الْمَغْشُوشَةُ ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾: **قِيلَ**: هُوَ تَبْدِيلُهُمْ نَعْتَ النَّبِيِّ ﷺ **وَقِيلَ**: تَحْرِيفُهُمْ بِسُوءِ التَّأْوِيلِ، ﴿وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ﴾: أَيْ: وَتَرَكُوا نَصِيبَ أَنْفُسِهِمْ مِمَّا أُمِرُوا بِهِ مِنَ الْإِيمَانِ بِمُحَمَّدٍ ﷺ وَبَيَانِ نَعْتِهِ، ﴿وَلَا تَزَالُ﴾: يَا مُحَمَّدُ ﴿تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ﴾: أَيْ: عَلَى خِيَانَةٍ، (فَاعِلَةٍ) بِمَعْنَى: الْمَصْدَرِ، كَ(الْكَاذِبَةِ، وَاللَّاغِيَةِ)، **وَقِيلَ**: هُوَ بِمَعْنَى الْفَاعِلِ وَ(الْهَاءُ) لِلْمُبَالَغَةِ مِثْلُ: (رَوَّايَةٍ، وَنَسَّابَةٍ، وَعَلَّامَةٍ، وَحَسَّابَةٍ)، **وَقِيلَ**: عَلَى فِرْقَةٍ خَائِنَةٍ، **قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ** رضي الله عنهما ﴿عَلَىٰ خَآئِنَةٍ﴾: أَيْ: عَلَى مَعْصِيَةٍ، وَكَانَتْ خِيَانَتُهُمْ نَقْضَهُمُ الْعَهْدَ وَمُظَاهَرَتَهُمُ الْمُشْرِكِينَ عَلَى حَرْبِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهَمَّهُمْ بِقَتْلِهِ وَسَمِّهِ وَنَحْوِهِمَا

مِنْ خِيَانَاتِهِمُ الَّتِي ظَهَرَتْ منهم، ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾: لَمْ يَخُونُوا وَلَمْ يَنْقُضُوا الْعَهْدَ، وَهُمُ الَّذِينَ أَسْلَمُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ﴾: أَيْ: أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَلَا تَتَعَرَّضْ لَهُمْ، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾: وَهَذَا مَنْسُوخٌ بِآيَةِ السَّيْفِ.

﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ۚ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ (١٤) يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ (١٥) يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾

قَوْلُهُ ﷻ: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ﴾: **قِيلَ**: أَرَادَ بِهِمُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى فَاكْتَفَى بِذِكْرِ أَحَدِهِمَا، **وَالصَّحِيحُ** أَنَّ الْآيَةَ فِي النَّصَارَى خَاصَّةً لِأَنَّهُ قَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُ الْيَهُودِ، **وَقَالَ الْحَسَنُ**: فِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُمْ نَصَارَى بِتَسْمِيَتِهِمْ لَا بِتَسْمِيَةِ اللهِ تَعَالَى، ﴿أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ﴾: فِي التَّوْحِيدِ وَالنُّبُوَّةِ، ﴿فَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾: بِالْأَهْوَاءِ الْمُخْتَلِفَةِ وَالْجِدَالِ فِي الدِّينِ، **قَالَ مُجَاهِدٌ وَقَتَادَةُ**: يَعْنِي بَيْنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، **وَقَالَ قَوْمٌ**: هُمُ النَّصَارَى وَحْدَهُمْ صَارُوا فِرَقًا، مِنْهُمُ: الْيَعْقُوبِيَّةُ، وَالنَّسْطُورِيَّةُ، وَالْمَلْكَانِيَّةُ، وَكُلُّ فِرْقَةٍ تُكَفِّرُ الْأُخْرَى، ﴿وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾: فِي الْآخِرَةِ.

قَوْلُهُ ﷻ: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾: يُرِيدُ يَا أَهْلَ الْكِتَابَيْنِ ﴿قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ﴾: أَيْ: مِنَ التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ مِثْلُ صِفَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَآيَةِ الرَّجْمِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، ﴿وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾: أَيْ: يُعْرِضُ عَنْ كَثِيرٍ مِمَّا أَخْفَيْتُمْ فَلَا يَتَعَرَّضُ لَهُ وَلَا يُؤَاخِذُكُمْ بِهِ ﴿قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ﴾: يَعْنِي: مُحَمَّدًا ﷺ، **وَقِيلَ**: الْإِسْلَامُ، ﴿وَكِتَابٌ مُّبِينٌ﴾: أَيْ: بَيِّنٌ، **وَقِيلَ**: مُبِينٌ وَهُوَ

الْقُرْآنُ ﴿يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ﴾: رِضَاهُ ﴿سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ﴾: قِيلَ: السَّلَامُ هُوَ اللهُ ﷻ، وَسَبِيلُهُ: دِينُهُ الَّذِي شَرَعَ لِعِبَادِهِ وَبَعَثَ بِهِ رُسُلَهُ، وَقِيلَ: السَّلَامُ: هُوَ السَّلَامَةُ، كَ(اللَّذَاذِ وَاللَّذَاذَةِ) بِمَعْنًى وَاحِدٍ، وَالمُرَادُ بِهِ: طُرُقُ السَّلَامَةِ، ﴿وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾: أَيْ: مِنْ ظُلُمَاتِ الْكُفْرِ إِلَى نُورِ الْإِيمَانِ، ﴿بِإِذْنِهِۦ﴾: بِتَوْفِيقِهِ وَهِدَايَتِهِ، ﴿وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾: وَهُوَ الإِسْلَامُ.

﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُوا۟ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ ۖ فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾

قَوْلُهُ ﷻ: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ﴾: وَهُمُ الْيَعْقُوبِيَّةُ مِنَ النَّصَارَى يَقُولُونَ: المَسِيحُ هُوَ اللهُ تَعَالَى، ﴿قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾: أَيْ: مَنْ يَقْدِرُ أَنْ يَدْفَعَ مِنْ أَمْرِ اللهِ شَيْئًا إِذَا قَضَاهُ؟ ﴿إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾.

قَوْلُهُ ﷻ: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ﴾: قِيلَ: أَرَادُوا أَنَّ اللهَ تَعَالَى لَنَا كَالْأَبِ فِي الْحُنُوِّ وَالْعَطْفِ وَنَحْنُ كَالْأَبْنَاءِ لَهُ فِي الْقُرْبِ وَالمَنْزِلَةِ، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: أَبْنَاءُ رُسُلِ اللهِ، ﴿قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ﴾: يُرِيدُ: إِنْ كَانَ الْأَمْرُ كَمَا زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَبْنَاؤُهُ وَأَحِبَّاؤُهُ فَإِنَّ الْأَبَ لَا يُعَذِّبُ وَلَدَهُ وَالْحَبِيبَ لَا يُعَذِّبُ حَبِيبَهُ، وَأَنْتُمْ مُقِرُّونَ بِأَنَّهُ مُعَذِّبُكُمْ؟ وَقِيلَ: ﴿فَلِمَ يُعَذِّبُكُم﴾: أَيْ: لِمَ عَذَّبَ مَنْ قَبْلَكُمْ بِذُنُوبِهِمْ فَمَسَخَهُمْ قِرَدَةً

وَخَنَازِيرَ؟ ﴿بَلۡ أَنتُم بَشَرٞ مِّمَّنۡ خَلَقَۚ﴾: كَسَائِرِ بَنِي آدم مَجْزِيُّونَ بِالْإِسَاءَةِ وَالْإِحْسَانِ، ﴿يَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ﴾: فَضْلًا، ﴿وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۚ﴾: عَدْلًا، ﴿وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾.

قَوْلُهُ ﷻ: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا﴾: مُحَمَّدٌ ﷺ ﴿يُبَيِّنُ لَكُمۡ﴾: أَعْلَامَ الْهُدَى وَشَرَائِعَ الدِّينِ، ﴿عَلَىٰ فَتۡرَةٖ مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾: أَيْ: انْقِطَاعٍ مِنَ الرُّسُلِ، **وَاخْتَلَفُوا فِي مُدَّةِ الْفَتْرَةِ بَيْنَ عِيسَى** عليه السلام **وَمُحَمَّدٍ** ﷺ، **قَالَ أَبُو عُثْمَانَ النَّهْدِيُّ**: سِتُّمِائَةِ سَنَةٍ، **وَقَالَ قَتَادَةُ**: خَمْسُمِائَةٍ وَسِتُّونَ سَنَةً، **وَقَالَ مَعْمَرٌ وَالْكَلْبِيُّ**: خَمْسُمِائَةٍ وَأَرْبَعُونَ سَنَةً، وَسُمِّيَتْ فَتْرَةً لِأَنَّ الرُّسُلَ كَانَتْ تَتْرَى بَعْدَ مُوسَى عليه السلام مِنْ غَيْرِ انْقِطَاعٍ إِلَى زَمَنِ عِيسَى عليه السلام، وَلَمْ يَكُنْ بَعْدَ عِيسَى عليه السلام سِوَى رَسُولِنَا ﷺ. ﴿أَن تَقُولُواْ﴾: كَيْلَا تَقُولُوا ﴿مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٖ وَلَا نَذِيرٖۖ فَقَدۡ جَآءَكُم بَشِيرٞ وَنَذِيرٞۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾.

﴿وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَعَلَ فِيكُمۡ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكٗا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمۡ يُؤۡتِ أَحَدٗا مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٠ يَٰقَوۡمِ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَارِكُمۡ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ٢١ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوۡمٗا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَا حَتَّىٰ يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ٢٢ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمَا ٱدۡخُلُواْ عَلَيۡهِمُ ٱلۡبَابَ فَإِذَا دَخَلۡتُمُوهُ فَإِنَّكُمۡ غَٰلِبُونَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٢٣ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَآ أَبَدٗا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ٢٤ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ إِلَّا نَفۡسِي وَأَخِيۖ فَٱفۡرُقۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ٢٥ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيۡهِمۡۛ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗۛ يَتِيهُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ فَلَا تَأۡسَ عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾

قَوْلُهُ ﷻ: ﴿وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَعَلَ فِيكُمۡ أَنۢبِيَآءَ﴾: أَيْ: مِنْكُمْ أَنْبِيَاءَ، ﴿وَجَعَلَكُم مُّلُوكٗا﴾: **قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ** رضي الله عنهما: يَعْنِي أَصْحَابَ خَدَمٍ وَحَشَمٍ [وَحَشَمُ الرَّجُلِ: قَرَابَتُهُ وَعِيَالُهُ وَمَنْ يَغْضَبُ لَهُ]، **قَالَ قَتَادَةُ**: كَانُوا أَوَّلَ

مَنْ مَلَكَ الْخَدَمَ وَلَمْ يَكُنْ لِمَنْ قَبْلَهُمْ خَدَمٌ، **قَالَ السُّدِّيُّ**: ﴿وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا﴾: أَحْرَارًا تَمْلِكُونَ أَمْرَ أَنْفُسِكُمْ بَعْدَمَا كُنْتُمْ فِي أَيْدِي الْقِبْطِ يَسْتَعْبِدُونَكُمْ، **قَالَ الضَّحَّاكُ**: كَانَتْ مَنَازِلُهُمْ وَاسِعَةً فِيهَا مِيَاهٌ جَارِيَةٌ، فَمَنْ كَانَ مَسْكَنُهُ وَاسِعًا وَفِيهِ مَاءٌ جَارٍ فَهُوَ مَلِكٌ. ﴿وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾: يَعْنِي: عَالَمِي زَمَانِكُمْ[(١)]، **قَالَ مُجَاهِدٌ**: يَعْنِي: المَنَّ وَالسَّلْوَى وَالْحَجَرَ وَتَظْلِيلَ الْغَمَامِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَـٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾: **اخْتَلَفُوا فِي الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ قَالَ مُجَاهِدٌ**: هِيَ الطُّورُ وَمَا حَوْلَهُ، **وَقَالَ الضَّحَّاكُ**: إِيلِيَّا وَبَيْتُ المَقْدِسِ، **وَقَالَ عِكْرِمَةُ وَالسُّدِّيُّ**: هِيَ أريحاء، **وَقَالَ الْكَلْبِيُّ**: هِيَ دِمَشْقُ وَفِلَسْطِينُ وَبَعْضُ الْأُرْدُنِ، **وَقَالَ قَتَادَةُ**: هِيَ الشَّامُ كُلُّهَا.

قَوْلُهُ ﷻ: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾: يَعْنِي: كَتَبَ فِي اللَّوْحِ المَحْفُوظِ أَنَّهَا مَسَاكِنُ لَكُمْ، **وَقَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ**: وَهَبَ اللهُ لَكُمْ، **وَقِيلَ**: جَعَلَهَا لَكُمْ، **وَقَالَ السُّدِّيُّ**: أَمَرَكُمُ اللهُ بِدُخُولِهَا، **وَقَالَ قَتَادَةُ**: أُمِرُوا بِهَا كَمَا أُمِرُوا بِالصَّلَاةِ، أَيْ: فَرَضَ عَلَيْكُمْ، ﴿وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ﴾: أَعْقَابِكُمْ بِخِلَافِ أَمْرِ اللهِ ﴿فَتَنقَلِبُوا خَـٰسِرِينَ﴾.

﴿قَالُوا يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ﴾: **وَأَصْلُ الْجَبَّارِ**: الْمُتَعَظِّمُ الْمُمْتَنِعُ عَنِ الْقَهْرِ، يُقَالُ: (نَخْلَةٌ جَبَّارَةٌ)، إِذَا كَانَتْ طَوِيلَةً مُمْتَنِعَةً عَنْ وُصُولِ الْأَيْدِي إِلَيْهَا، وَسُمِّيَ أُولَئِكَ الْقَوْمُ جَبَّارِينَ؛ لِامْتِنَاعِهِمْ بِطُولِهِمْ وَقُوَّةِ أَجْسَادِهِمْ، وَكَانُوا مِنَ الْعَمَالِقَةِ وَبَقِيَّةِ قَوْمِ عَادٍ، ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ﴾: أَيْ: يَخَافُونَ اللهَ تَعَالَى، قَرَأَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: ﴿يُخَافُونَ﴾ بِضَمِّ الْيَاءِ، وَقَالَ: الرَّجُلَانِ كَانَا مِنَ الْجَبَّارِينَ فَأَسْلَمَا وَاتَّبَعَا مُوسَى، ﴿أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا﴾:

(١) قال العلامة العثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: وهنا تأمَّل أنه لم يقل عَلَيْهِ السَّلَامُ: (مَا لَنْ يُؤْتِيَ) بل قال: ﴿مَّا لَمْ يُؤْتِ﴾، وبينهما فرق، فلو قال: (مَا لَنْ يُؤْتِيَ): صار قوم موسى أفضل الناس إلى يوم القيامة ولن يُعطى أحدٌ مثلهم، لكن إذا قال: ﴿مَّا لَمْ يُؤْتِ﴾: يعني: في الماضي، وهو كذلك؛ لأنَّ الله تعالى آتى هذه الأمة -والحمد لله- ما لم يُؤتِ بني إسرائيل ولا غيرهم. "تفسير (سورة المائدة)" (١/ ٢٥٦).

بِالتَّوْفِيقِ وَالْعِصْمَةِ، قَالَا: ﴿ٱدۡخُلُواْ عَلَيۡهِمُ ٱلۡبَابَ﴾: يَعْنِي: قَرْيَةَ الْجَبَّارِينَ، ﴿فَإِذَا دَخَلۡتُمُوهُ فَإِنَّكُمۡ غَٰلِبُونَۚ﴾: لِأَنَّ اللهَ مُنْجِزٌ وَعْدَهُ، وَإِنَّا رَأَيْنَاهُمْ وَأَجْسَامُهُمْ عَظِيمَةٌ وَقُلُوبُهُمْ ضَعِيفَةٌ، فَلَا تَخْشَوْهُمْ ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٢٣ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَآ أَبَدٗا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾.

عَنْ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ مَسْعُودٍ يَقُولُ: لَقَدْ شَهِدْتُ مِنَ الْمِقْدَادِ ابْنِ الْأَسْوَدِ مَشْهَدًا لَأَنْ أَكُونَ صَاحِبَهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا عُدِلَ بِهِ، أَتَى النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ يَدْعُو عَلَى الْمُشْرِكِينَ فَقَالَ: لَا نَقُولُ كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ﴾ وَلَكِنَّا نُقَاتِلُ عَنْ يَمِينِكَ وَعَنْ شِمَالِكَ وَبَيْنَ يَدَيْكَ وَمِنْ خَلْفِكَ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ أَشْرَقَ وَجْهُهُ وَسَرَّهُ مَا قَالَ[1].

فَلَمَّا فَعَلَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ مَا فَعَلَتْ مِنْ مُخَالَفَتِهِمْ أَمْرَ رَبِّهِمْ غَضِبَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَدَعَا عَلَيْهِمْ: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ إِلَّا نَفۡسِي وَأَخِيۖ﴾: قِيلَ: مَعْنَاهُ: وَأَخِي لَا يَمْلِكُ إِلَّا نَفْسَهُ، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: لَا يُطِيعُنِي إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي، ﴿فَٱفۡرُقۡ﴾: فَافْصِلْ ﴿بَيۡنَنَا﴾، وَقِيلَ: فَاقْضِ بَيْنَنَا ﴿وَبَيۡنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾: الْعَاصِينَ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيۡهِمۡۛ﴾: قِيلَ: هَاهُنَا تَمَّ الْكَلَامُ وَمَعْنَاهُ: تِلْكَ الْبَلْدَةُ مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَبَدًا، لَمْ يُرِدْ بِهِ تَحْرِيمَ تَعَبُّدٍ، وَإِنَّمَا أَرَادَ تَحْرِيمَ مَنْعٍ، ﴿أَرۡبَعِينَ سَنَةٗۛ يَتِيهُونَ﴾: يَتَحَيَّرُونَ، ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِۚ فَلَا تَأۡسَ عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾: أَيْ: لَا تَحْزَنْ عَلَى مِثْلِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «جَاءَ مَلَكُ الْمَوْتِ إِلَى مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ، فَقَالَ لَهُ: أَجِبْ رَبَّكَ، قَالَ: فَلَطَمَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ عَيْنَ مَلَكِ الْمَوْتِ فَفَقَأَهَا، قَالَ: فَرَجَعَ مَلَكُ الْمَوْتِ إِلَى اللهِ تَعَالَى فَقَالَ: إِنَّكَ أَرْسَلْتَنِي إِلَى عَبْدٍ لَكَ لَا يُرِيدُ الْمَوْتَ وَقَدْ فَقَأَ عَيْنِي! قَالَ: فَرَدَّ اللهُ إِلَيْهِ عَيْنَهُ، وَقَالَ: ارْجِعْ إِلَى عَبْدِي فَقُلْ لَهُ: الْحَيَاةَ تُرِيدُ؟ فَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الْحَيَاةَ فَضَعْ يَدَكَ عَلَى مَتْنِ ثَوْرٍ، فَمَا وَارَتْ يَدُكَ مِنْ شَعْرَةٍ فَإِنَّكَ تَعِيشُ بِهَا

(١) **صحيح:** البخاري: (٣٩٥٢).

سَنَةً، قَالَ: ثُمَّ مَهْ؟ قَالَ: ثُمَّ تَمُوتُ، قَالَ: فَالْآنَ مِنْ قَرِيبٍ، رَبِّ أَدْنِنِي مِنَ الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ رَمْيَةً بِحَجَرٍ»، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «وَاللهِ لَوْ أَنِّي عِنْدَهُ لَأَرَيْتُكُمْ قَبْرَهُ إِلَى جَانِبِ الطَّرِيقِ عِنْدَ الْكَثِيبِ الْأَحْمَرِ»(١).

﴿ ۞ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ بِٱلۡحَقِّ إِذۡ قَرَّبَا قُرۡبَانٗا فَتُقُبِّلَ مِنۡ أَحَدِهِمَا وَلَمۡ يُتَقَبَّلۡ مِنَ ٱلۡأٓخَرِ قَالَ لَأَقۡتُلَنَّكَۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ فَتَكُونَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتۡ لَهُۥ نَفۡسُهُۥ قَتۡلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابٗا يَبۡحَثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُرِيَهُۥ كَيۡفَ يُوَٰرِي سَوۡءَةَ أَخِيهِۚ قَالَ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ أَعَجَزۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِثۡلَ هَٰذَا ٱلۡغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوۡءَةَ أَخِيۖ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴿٣١﴾ مِنۡ أَجۡلِ ذَٰلِكَ كَتَبۡنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفۡسَۢا بِغَيۡرِ نَفۡسٍ أَوۡ فَسَادٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا وَمَنۡ أَحۡيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحۡيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعٗاۚ وَلَقَدۡ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُم بَعۡدَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡأَرۡضِ لَمُسۡرِفُونَ ﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ بِٱلۡحَقِّ﴾: [أَيْ: بِالصِّدْقِ الثَّابِتِ]، وَهُمَا هَابِيلُ وَقَابِيلُ [ابْنَانِ لِصُلْبِهِ فِي قَوْلِ الْجُمْهُورِ]، ﴿إِذۡ قَرَّبَا قُرۡبَانٗا﴾: [الْمُرَادُ بِهِ: مَا يُتَقَرَّبُ بِهِ إِلَى اللهِ ﷻ]، ﴿فَتُقُبِّلَ مِنۡ أَحَدِهِمَا وَلَمۡ يُتَقَبَّلۡ مِنَ ٱلۡأٓخَرِ قَالَ لَأَقۡتُلَنَّكَۖ﴾: لِأَنَّ اللهَ تَعَالَى قَبِلَ قُرْبَانَكَ وَرَدَّ قُرْبَانِي، ﴿قَالَ﴾ وَمَا ذَنْبِي؟ ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ

(١) **صحيح:** البخاري: (١٣٣٩)، مسلم: (٢٣٧٢). **وقولُهُ:** «ثُمَّ مَهْ؟»: أي ثُمَّ ماذا يكون، أحياة أم موت؟ وقال القرطبيُّ رَحِمَهُ اللهُ: قولُهُ: «مَهْ»: هي (ما) الاستفهامية، لَمَّا وُقِف عليها زادوا عليها هاء السكت، وهي لغة العرب إذا وقفوا على أسماء الاستفهام، نحو: (عَمَّهْ)، و(لِمَهْ)، و(فِيمَهْ)، فإذا وصلوا حذفوها. **وقولُهُ:** «مِنَ الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ»: هي بيت المقدس. **وقولُهُ:** «رَمْيَةً بِحَجَرٍ»: قال الحافظ رَحِمَهُ اللهُ: أي: قدر رمية حجر، أي: أدنني من مكان إلى الأرض المقدسة هذا القدر، أو: أدنني إليها حتى يكون بيني وبينها هذا القدر، وهذا الثاني أظهر، وعليه شرح ابن بَطَّال وغيره، وأما الأول فهو وإن رجحه بعضهم فليس بجيد؛ إذ لو كان كذلك لطلب الدنو أكثر من ذلك. "البحر المحيط الثجاج" (٣٨/ ١٤٠-١٤١)، و"المفهم" (٦/ ٢٢٢)، و"الفتح" (٣/ ٢٠٧).

بَسَطتَ ﴾: أَيْ: مَدَدْتَ ﴿إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾: وَهَذَا فِي الشَّرْعِ جَائِزٌ لِمَنْ أُرِيدَ قَتْلُهُ أَنْ يَنْقَادَ وَيَسْتَسْلِمَ طَلَبًا لِلْأَجْرِ، كَمَا فَعَلَ عُثْمَانُ رضي الله عنه، **قَالَ مُجَاهِدٌ**: كُتِبَ عَلَيْهِمْ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ إِذَا أَرَادَ رَجُلٌ قَتْلَ رَجُلٍ أَلَّا يَمْتَنِعَ وَيَصْبِرَ.

﴿ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ ﴾: تَرْجِعَ، **وَقِيلَ**: تَحْتَمِلَ ﴿بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ ﴾: أَيْ: بِإِثْمِ قَتْلِي إِلَى إِثْمِكَ، أَيْ: إِثْمِ مَعَاصِيكَ الَّتِي عَمِلْتَ مِنْ قَبْلُ، **هَذَا قَوْلُ أَكْثَرِ الْمُفَسِّرِينَ. وَرَوَى ابْنُ أَبِي نَجِيحٍ عَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ**: مَعْنَاهُ: إِنِّي أُرِيدُ أَنْ يَكُونَ عَلَيْكَ خَطِيئَتِي الَّتِي عَمِلْتُهَا أَنَا إِذَا قَتَلْتَنِي وَإِثْمُكَ فَتَبُوءُ بِخَطِيئَتِي وَدَمِي جَمِيعًا، **وَقِيلَ**: مَعْنَاهُ: أَنْ تَرْجِعَ بِإِثْمِ قَتْلِي وَإِثْمِ مَعْصِيَتِكَ الَّتِي لَمْ يُتَقَبَّلْ لِأَجْلِهَا قُرْبَانُكَ أَوْ إِثْمِ حَسَدِكَ، **فَإِنْ قِيلَ**: كَيْفَ قَالَ ﴿ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ ﴾، وَإِرَادَةُ الْقَتْلِ وَالْمَعْصِيَةِ لَا تَجُوزُ؟ **قِيلَ**: لَيْسَ ذَلِكَ بِحَقِيقَةِ إِرَادَةٍ، وَلَكِنَّهُ لَمَّا عَلِمَ أَنَّهُ يَقْتُلُهُ لَا مَحَالَةَ وَطَّنَ نَفْسَهُ عَلَى الِاسْتِسْلَامِ طَلَبًا لِلثَّوَابِ، فَكَأَنَّهُ صَارَ مُرِيدًا لِقَتْلِهِ مَجَازًا، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مُرِيدًا حَقِيقَةً، **وَقِيلَ**: مَعْنَاهُ: إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِعِقَابِ قَتْلِي، فَتَكُونُ إِرَادَةً صَحِيحَةً؛ لِأَنَّهَا مُوَافِقَةٌ لِحُكْمِ اللهِ عز وجل، فَلَا يَكُونُ هَذَا إِرَادَةً لِلْقَتْلِ بَلْ لِمُوجِبِ الْقَتْلِ مِنَ الْإِثْمِ وَالْعِقَابِ، ﴿فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾.

قَوْلُهُ عز وجل: ﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ ﴾: أَيْ: طَاوَعَتْهُ وَشَايَعَتْهُ وَعَاوَنَتْهُ ﴿قَتْلَ أَخِيهِ ﴾: فِي قَتْلِ أَخِيهِ، **وَقَالَ مُجَاهِدٌ**: فَشَجَّعَتْهُ، **وَقَالَ قَتَادَةُ**: فَزَيَّنَتْ لَهُ نَفْسُهُ، **وَقَالَ يَمَانٌ**: سَهَّلَتْ لَهُ ذَلِكَ، أَيْ: جَعَلَتْهُ سَهْلًا، تَقْدِيرُهُ: صَوَّرَتْ لَهُ نَفْسُهُ أَنَّ قَتْلَ أَخِيهِ طَوْعٌ لَهُ، أَيْ: سَهْلٌ عَلَيْهِ، ﴿فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ ﴾: [أَيْ: فَصَارَ] ﴿مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝٣٠ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ ﴾: [أَيْ: يَحْرُثُ] ﴿فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ ﴾، فَلَمَّا رَأَى قَابِيلُ ذَلِكَ ﴿قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ﴾: كَلِمَةُ تَحَسُّرٍ، **قِيلَ**: لَمَّا رَأَى الدَّفْنَ مِنَ الْغُرَابِ أَنَّهُ أَكْبَرُ عِلْمًا مِنْهُ وَأَنَّ مَا فَعَلَهُ كَانَ جَهْلًا نَدِمَ وَتَحَسَّرَ، ﴿ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى ﴾: أَيْ: جِيفَتَهُ، **وَقِيلَ**: عَوْرَتَهُ؛ لِأَنَّهُ قَدْ سَلَبَ ثِيَابَهُ، ﴿فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴾: **قِيلَ**:

عَلَى فِرَاقِ أَخِيهِ، وَقِيلَ: نَدِمَ لِقِلَّةِ النَّفْعِ بِقَتْلِهِ؛ فَإِنَّهُ أَسْخَطَ وَالِدَيْهِ، وَمَا انْتَفَعَ بِقَتْلِهِ شَيْئًا، وَلَمْ يَكُنْ نَدَمُهُ عَلَى الْقَتْلِ وَرُكُوبِ الذَّنْبِ.

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا تُقْتَلُ نَفْسٌ ظُلْمًا إِلَّا كَانَ عَلَى ابْنِ آدَمَ الْأَوَّلِ كِفْلٌ مِنْ دَمِهَا؛ لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ سَنَّ الْقَتْلَ**»(١).

قَوْلُهُ تعالى: ﴿مِنۡ أَجۡلِ ذَٰلِكَ﴾: قَرَأَ أَبُو جَعْفَرٍ: ﴿مِنِ اجْلِ﴾ بِكَسْرِ النُّونِ مَوْصُولًا، وَقِرَاءَةُ الْعَامَّةِ بِجَزْمِ النُّونِ وَفَتْحِ الهَمْزَةِ مَقْطُوعًا، أَيْ: مِنْ جَرَّاءِ ذَلِكَ الْقَاتِلِ وَجِنَايَتِهِ، يُقَالُ (أَجَلَ يَأْجِلُ أَجْلًا) إِذَا جَنَى، مِثْلُ (أَخَذَ يَأْخُذُ أَخْذًا)، ﴿كَتَبۡنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفۡسَۢا بِغَيۡرِ نَفۡسٍ﴾: قَتَلَهَا فَيُقَادُ مِنْهُ ﴿أَوۡ فَسَادٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾: يُرِيدُ بِغَيْرِ نَفْسٍ وَبِغَيْرِ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ مِنْ كُفْرٍ أَوْ زِنًا أَوْ قَطْعِ طَرِيقٍ، أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ، ﴿فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا﴾: **اخْتَلَفُوا فِي تَأْوِيلِهَا، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ** رضي الله عنهما **فِي رِوَايَةِ عِكْرِمَةَ**: مَنْ قَتَلَ نَبِيًّا أَوْ إِمَامًا عَدْلًا فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا؛ [لِكَوْنِهِمَا مِمَّنْ يَكُونُ فِي قَتْلِهِ فِتْنَةٌ]، وَمَنْ شَدَّ عَضُدَ نَبِيٍّ أَوْ إِمَامٍ عَدْلٍ فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا، **قَالَ مُجَاهِدٌ**: مَنْ قَتَلَ نَفْسًا مُحَرَّمَةً يَصْلَى النَّارَ بِقَتْلِهَا، كَمَا يَصْلَاهَا لَوْ قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا، ﴿وَمَنۡ أَحۡيَاهَا﴾: مَنْ سَلِمَ مِنْ قَتْلِهَا فَقَدْ سَلِمَ مِنْ قَتْلِ النَّاسِ جَمِيعًا **قَالَ قَتَادَةُ**: عَظَّمَ اللهُ أَجْرَهَا وَعَظَّمَ وِزْرَهَا، مَعْنَاهُ: مَنِ اسْتَحَلَّ قَتْلَ مُسْلِمٍ بِغَيْرِ حَقٍّ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا فِي الْإِثْمِ؛ لِأَنَّهُمْ لَا يَسْلَمُونَ مِنْهُ، وَمَنْ أَحْيَاهَا وَتَوَرَّعَ عَنْ قَتْلِهَا ﴿فَكَأَنَّمَآ أَحۡيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعٗاۚ﴾: فِي الثَّوَابِ لِسَلَامَتِهِمْ مِنْهُ، **قَالَ الحَسَنُ**: ﴿فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا﴾: يَعْنِي: أَنَّهُ يَجِبُ عَلَيْهِ مِنَ الْقِصَاصِ بِقَتْلِهَا مِثْلُ الَّذِي يَجِبُ عَلَيْهِ لَوْ قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا، ﴿وَمَنۡ أَحۡيَاهَا﴾: أَيْ: عَفَا عَمَّنْ وَجَبَ عَلَيْهِ الْقِصَاصُ لَهُ فَلَمْ يَقْتُلْهُ ﴿فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا﴾، **قَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ عَلِيٍّ قُلْتُ لِلْحَسَنِ**: يَا أَبَا سَعِيدٍ: أَهِيَ لَنَا كَمَا كَانَتْ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ؟ قَالَ: إِي -وَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ- مَا كَانَتْ دِمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْرَمَ عَلَى اللهِ مِنْ دِمَائِنَا، ﴿وَلَقَدۡ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُم بَعۡدَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡأَرۡضِ لَمُسۡرِفُونَ﴾.

(١) **صحيح:** البخاري: (٣٣٣٦)، مسلم: (١٦٧٧).

﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبۡلِ أَن تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهِمۡۖ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾

﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا﴾: الْآيَة، **قَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ**: نَزَلَتْ فِي نَاسٍ مِنْ عُرَيْنَةَ وَعُكْلٍ أَتَوُا النَّبِيَّ ﷺ وَبَايَعُوهُ عَلَى الْإِسْلَامِ وَهُمْ كَذَبَةٌ فَبَعَثَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى إِبِلِ الصَّدَقَةِ فَارْتَدُّوا وَقَتَلُوا الرَّاعِيَ وَاسْتَاقُوا الْإِبِلَ[(١)].

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: قَدِمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ نَفَرٌ مِنْ عُكْلٍ، فَأَسْلَمُوا، فَاجْتَوَوُا الْمَدِينَةَ، فَأَمَرَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يَأْتُوا إِبِلَ الصَّدَقَةِ فَيَشْرَبُوا مِنْ أَبْوَالِهَا وَأَلْبَانِهَا، فَفَعَلُوا فَصَحُّوا، فَارْتَدُّوا وَقَتَلُوا رُعَاتَهَا وَاسْتَاقُوا الْإِبِلَ، فَبَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ فِي آثَارِهِمْ، فَأُتِيَ بِهِمْ، فَقَطَعَ أَيْدِيَهُمْ وَأَرْجُلَهُمْ، وَسَمَلَ أَعْيُنَهُمْ، ثُمَّ لَمْ يَحْسِمْهُمْ حَتَّى مَاتُوا[(٢)].

---

(١) قال الإمام الوادعي رحمه الله: **قال الإمامُ أبو داوُد رحمه الله** ج(٤) ص(٢٢٨): حدثنا محمد بن الصباح بن سفيان، قال: أنبأنا (ح). وأخبرنا عمرو بن عثمان، حدثنا الوليد، عن الأوزاعي، عن يحيى -يعني ابن أبي كثير- عن أبي قلابة، عن أنس بن مالك بهذا الحديث، قال فيه: فبعث رسول الله ﷺ في طلبهم قافةً، فأُتِي بهم، فأنزل الله في ذلك: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا﴾ الآية. الحديث رجالُهُ رجال الصحيح، وأصله في "صحيح البخاري"... وهذا الحديث مرويٌّ عن جماعة من الصحابة، كما في "تفسير ابن كثير" رحمه الله. "الصحيح المسند من أسباب النزول" ص(٩٩).

(٢) **صحيح:** البخاري: (٦٨٠٢)، مسلم: (١٦٧١). **وقولُهُ:** «نَفَرٌ»: وهُم ثمانية كما في "الصحيحين"، «مِنْ عُكْلٍ»: وفي رواية في "الصحيحين": «مِنْ عُكْلٍ وَعُرَيْنَةَ»، قال الحافظ رحمه الله: وهو الصواب. **وقولُهُ:** «فَاجْتَوَوُا الْمَدِينَةَ»: أي: كَرِهُوا المقام بها، قال ابن فارس: (اجتويت البلد): إذا كَرِهت الْمُقام فيه، وإن كنت في نعمة، وقَيَّده الخطابيُّ بما إذا تضرر بالإقامة، وهو المناسب لهذه القصَّة، قال الحافظ رحمه الله: والظاهر أنهم قَدِمُوا سِقَامًا، فلما صَحُّوا من السقم كرهوا الإقامة بالمدينة؛ لوخمها، فأما السقم الذي كان بهم: فهو الهزال الشديد، والجهد من الجوع، فعند أبي عوانة، من رواية غيلان، عن أنس: «كَانَ بِهِم هُزَالٌ شَدِيدٌ»، وعنده من رواية أبي سعد، عنه: «مُصْفَرَّةٌ أَلْوَانُهُمْ»، وأما الوَخْم الذي شَكَوا منه بعد أن صَحَّت أجسامهم: فهو من حُمَّى المدينة كما عند أحمد من رواية حميد عن أنس. **وقولُهُ:** «وَسَمَلَ =

وَرَوَاهُ أَيُّوبُ عَنْ أَبِي قِلَابَةَ عَنْ أَنَسٍ ﵁ قَالَ: فَقَطَعَ أَيْدِيَهُمْ وَأَرْجُلَهُمْ ثُمَّ أَمَرَ بِمَسَامِيرَ فَكَحَّلَهُمْ بِهَا وَطَرَحَهُمْ بِالْحَرَّةِ يَسْتَسْقُونَ فَمَا يُسْقَوْنَ حَتَّى مَاتُوا. قَالَ أَبُو قِلَابَةَ: قَتَلُوا وَسَرَقُوا وَحَارَبُوا اللهَ وَرَسُولَهُ ﷺ وَسَعَوْا فِي الْأَرْضِ فَسَادًا[١].

وَاخْتَلَفُوا فِي حُكْمِ هَؤُلَاءِ الْعُرَنِيِّينَ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: هِيَ مَنْسُوخَةٌ؛ لِأَنَّ الْمُثْلَةَ لَا تَجُوزُ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: حُكْمُهُ ثَابِتٌ إِلَّا السَّمْلَ وَالْمُثْلَةَ، وَرَوَى قَتَادَةُ عَنِ ابْنِ سِيرِينَ أَنَّ ذَلِكَ كَانَ قَبْلَ أَنْ يَنْزِلَ الْحَدُّ. وَعَنْ قَتَادَةَ قَالَ: بَلَغَنَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ بَعْدَ ذَلِكَ كَانَ يَحُثُّ عَلَى الصَّدَقَةِ وَيَنْهَى عَنِ الْمُثْلَةِ[٢]. وَقَالَ سُلَيْمَانُ التَّيْمِيُّ عَنْ أَنَسٍ: إِنَّمَا سَمَلَ النَّبِيُّ ﷺ أَعْيُنَ أُولَئِكَ لِأَنَّهُمْ سَمَلُوا أَعْيُنَ الرُّعَاةِ[٣].

وَاخْتَلَفُوا فِي الْمُحَارِبِينَ الَّذِينَ يَسْتَحِقُّونَ هَذَا الْحَدَّ فَقَالَ قَوْمٌ: هُمُ الَّذِينَ يَقْطَعُونَ الطَّرِيقَ وَيَحْمِلُونَ السِّلَاحَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ وَالْمُكَابِرُونَ فِي الْأَمْصَارِ، وَهُوَ قَوْلُ الْأَوْزَاعِيِّ وَمَالِكٍ وَاللَّيْثِ بْنِ سَعْدٍ وَالشَّافِعِيِّ ﵏، وَقَالَ قَوْمٌ: الْمُكَابِرُونَ فِي الْأَمْصَارِ لَيْسَ لَهُمْ حُكْمُ الْمُحَارِبِينَ فِي اسْتِحْقَاقِ هَذَا الْحَدِّ، وَهُوَ قَوْلُ أَبِي حَنِيفَةَ ﵁.

وَعُقُوبَةُ الْمُحَارِبِينَ مَا ذَكَرَ اللهُ ﷻ: ﴿أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ﴾، فَذَهَبَ قَوْمٌ إِلَى أَنَّ الإِمَامَ بِالْخِيَارِ فِي أَمْرِ الْمُحَارِبِينَ بَيْنَ الْقَتْلِ وَالْقَطْعِ وَالصَّلْبِ، وَالنَّفْيِ، كَمَا هُوَ ظَاهِرُ الْآيَةِ، وَهُوَ قَوْلُ سَعِيدِ ابْنِ الْمُسَيَّبِ وَالْحَسَنِ وَالنَّخَعِيِّ وَمُجَاهِدٍ، وَذَهَبَ الْأَكْثَرُونَ إِلَى أَنَّ هَذِهِ الْعُقُوبَاتِ عَلَى تَرْتِيبِ الْجَرَائِمِ لَا عَلَى التَّخْيِيرِ، وَهُوَ قَوْلُ قَتَادَةَ وَالْأَوْزَاعِيِّ وَالشَّافِعِيِّ وَأَصْحَابِ

= أَعْيُنَهُمْ»: قال الخطابيُّ: السَّمْلُ: فَقْءُ العين بأيِّ شيءٍ كان. «ثُمَّ لَمْ يَحْسِمْهُمْ»: أي: لم يَكْوِ ما قطع منهم بالنار لينقطع الدم، بل تركه ينزف. «الفتح» (١/ ٣٣٧)، (١/ ٣٤٠)، «البحر المحيط الثجاج» (٢٩/ ١٥٨-١٥٩).

(١) **صحيح:** البخاري: (٣٠١٨).

(٢) **صحيح:** البخاري: (٤١٩٢).

(٣) **صحيح:** مسلم: (١٦٧١).

الرَّأْيِ رَحِمَهُمُ اللهُ تَعَالَى. وَإِذَا قَتَلَ قَاطِعُ الطَّرِيقِ يُقْتَلُ حَتْمًا حَتَّى لَا يَسْقُطَ بِعَفْوِ وَلِيِّ الدَّمِ. وَإِذَا أَخَذَ مِنَ الْمَالِ نِصَابًا -وَهُوَ رُبْعُ دِينَارٍ- تُقْطَعُ يَدُهُ الْيُمْنَى وَرِجْلُهُ الْيُسْرَى. وَإِذَا قَتَلَ وَأَخَذَ الْمَالَ يُقْتَلُ وَيُصْلَبُ، **وَاخْتَلَفُوا فِي كَيْفِيَّتِهِ، فَظَاهِرُ مَذْهَبِ الشَّافِعِيِّ** رضي الله عنه أَنَّهُ يُقْتَلُ ثُمَّ يُصْلَبُ، **وَقِيلَ**: يُصْلَبُ حَيًّا ثُمَّ يُطْعَنُ حَتَّى يَمُوتَ مَصْلُوبًا، وَهُوَ قَوْلُ اللَّيْثِ بْنِ سَعْدٍ، **وَقِيلَ**: يُصْلَبُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ حَيًّا ثُمَّ يُنْزَلُ فَيُقْتَلُ. وَإِذَا أَخَافَ السَّبِيلَ يُنْفَى، **وَاخْتَلَفُوا فِي النَّفْيِ، فَذَهَبَ قَوْمٌ** إِلَى أَنَّ الإِمَامَ يَطْلُبُهُ، فَفِي كُلِّ بَلَدٍ يُوجَدُ يُنْفَى، وَهُوَ قَوْلُ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ وَعُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ، **وَقِيلَ**: يُطْلَبُ لِتُقَامَ الْحُدُودُ عَلَيْهِ، وَهُوَ قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ وَاللَّيْثِ بْنِ سَعْدٍ، وَبِهِ قَالَ الشَّافِعِيُّ، **وَقَالَ أَهْلُ الْكُوفَةِ**: النَّفْيُ هُوَ الْحَبْسُ، وَهُوَ نَفْيٌ مِنَ الْأَرْضِ، **وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ جَرِيرٍ**: يُنْفَى مِنْ بَلَدِهِ إِلَى غَيْرِهِ وَيُحْبَسُ فِي السِّجْنِ فِي الْبَلَدِ الَّذِي نُفِيَ إِلَيْهِ حَتَّى تَظْهَرَ تَوْبَتُهُ، **قَالَ مَكْحُول**: إِنَّ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ أَوَّلُ مَنْ حَبَسَ فِي السُّجُونِ، وَقَالَ: أَحْبِسُهُ حَتَّى أَعْلَمَ مِنْهُ التَّوْبَةَ، وَلَا أَنْفِيهِ إِلَى بَلَدٍ فَيُؤْذِيهِمْ.

﴿ذَٰلِكَ﴾: الَّذِي ذَكَرْتُ مِنَ الْحَدِّ ﴿لَهُمْ خِزْيٌ﴾: عَذَابٌ وَهَوَانٌ وَفَضِيحَةٌ ﴿فِي ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهِمْ ۖ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: فَمَنْ ذَهَبَ إِلَى أَنَّ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي الْكُفَّارِ، قَالَ مَعْنَاهُ: إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ شِرْكِهِمْ وَأَسْلَمُوا قَبْلَ الْقُدْرَةِ عَلَيْهِمْ فَلَا سَبِيلَ عَلَيْهِمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْحُدُودِ وَلَا تَبِعَةَ عَلَيْهِمْ فِيمَا أَصَابُوا فِي حَالِ الْكُفْرِ مِنْ دَمٍ أَوْ مَالٍ، وَأَمَّا الْمُسْلِمُونَ الْمُحَارِبُونَ فَمَنْ تَابَ مِنْهُمْ قَبْلَ الْقُدْرَةِ عَلَيْهِ -وَهُوَ قَبْلَ أَنْ يَظْفَرَ بِهِ الإِمَامُ- تَسْقُطُ عَنْهُ كُلُّ عُقُوبَةٍ وَجَبَتْ حَقًّا للهِ، وَلَا يَسْقُطُ مَا كَانَ مِنْ حُقُوقِ الْعِبَادِ، فَإِنْ كَانَ قَدْ قَتَلَ فِي قَطْعِ الطَّرِيقِ يَسْقُطُ عَنْهُ بِالتَّوْبَةِ قَبْلَ الْقُدْرَةِ عَلَيْهِ تَحَتُّمُ الْقَتْلِ، وَيَبْقَى عَلَيْهِ الْقِصَاصُ لِوَلِيِّ الْقَتِيلِ فَإِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ وَإِنْ شَاءَ اسْتَوْفَاهُ، وَإِنْ كَانَ قَدْ أَخَذَ الْمَالَ يَسْقُطُ عَنْهُ الْقَطْعُ، وَإِنْ كَانَ قَدْ جَمَعَ بَيْنَهُمَا يَسْقُطُ عَنْهُ تَحَتُّمُ القَطْعِ وَالْقَتْلِ وَالصَّلْبِ، وَيَجِبُ ضَمَانُ الْمَالِ، وَهُوَ قَوْلُ الشَّافِعِيِّ رضي الله عنه، **وَقَالَ بَعْضُهُمْ**: إِذَا جَاءَ تَائِبًا قَبْلَ الْقُدْرَةِ عَلَيْهِ لَا

يَكُونُ لِأَحَدٍ عَلَيْهِ تَبِعَةٌ فِي دَمٍ وَلَا مَالٍ، إِلَّا أَنْ يُوجَدَ مَعَهُ مَالٌ بِعَيْنِهِ فَيَرُدُّهُ إِلَى صَاحِبِهِ. أَمَّا مَنْ تَابَ بَعْدَ الْقُدْرَةِ عَلَيْهِ فَلَا يَسْقُطُ عَنْهُ شَيْءٌ مِنْهَا، **وَقِيلَ**: كُلُّ عُقُوبَةٍ تَجِبُ حَقًّا للهِ ﷻ مِنْ عُقُوبَاتِ قَطْعِ الطَّرِيقِ وَقَطْعِ السَّرِقَةِ وَحَدِّ الزِّنَا وَالشُّرْبِ تَسْقُطُ بِالتَّوْبَةِ بِكُلِّ حَالٍ، وَالْأَكْثَرُونَ عَلَى أَنَّهَا لَا تَسْقُطُ.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَـٰهِدُواْ فِى سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُواْ بِهِۦ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٦﴾ يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَـٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓاْ ﴾ اطْلُبُوا ﴿إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ ﴾ أَي: الْقُرْبَةَ (فَعِيلَةٌ) مِنْ: (تَوَسَّلَ إِلَى فُلَانٍ بِكَذَا)، أَيْ: تَقَرَّبَ إِلَيْهِ وَجَمْعُهَا: (وَسَائِلُ)، ﴿وَجَـٰهِدُواْ فِى سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُواْ بِهِۦ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ ۖ﴾: أَخْبَرَ أَنَّ الْكَافِرَ لَوْ مَلَكَ الدُّنْيَا كُلَّهَا وَمِثْلَهَا مَعَهَا ثُمَّ فَدَى بِذَلِكَ نَفْسَهُ مِنَ الْعَذَابِ لَمْ يُقْبَلْ مِنْهُ ذَلِكَ الْفِدَاءُ، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٦﴾ يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَـٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ﴾: **فِيهِ وَجْهَانِ أَحَدُهُمَا**: أَنَّهُمْ يَقْصِدُونَ وَيَطْلُبُونَ الْمَخْرَجَ مِنْهَا، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾[الحَجّ:٢٢]، **وَالثَّانِي**: أَنَّهُمْ يَتَمَنَّوْنَ ذَلِكَ بِقُلُوبِهِمْ كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى إِخْبَارًا عَنْهُمْ: ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَـٰلِمُونَ ﴾ [الْمُؤْمِنون:١٠٧]، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾.

﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَـٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾

﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا ﴾: أَرَادَ بِهِ أَيْمَانَهُمَا، وَكَذَلِكَ هُوَ فِي مُصْحَفِ

عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، **وَحُكْمُهُ**: أَنَّ مَنْ سَرَقَ نِصَابًا مِنَ الْمَالِ مِنْ حِرْزٍ لَا شُبْهَةَ لَهُ فِيهِ تُقْطَعُ يَدُهُ الْيُمْنَى مِنَ الرُّسْغِ، وَلَا يَجِبُ القَطْعُ فِي سَرِقَةِ مَا دُونَ النِّصَابِ عِنْدَ عَامَّةِ أَهْلِ الْعِلْمِ، حُكِيَ عَنِ ابْنِ الزُّبَيْرِ أَنَّهُ كَانَ يَقْطَعُ فِي الشَّيْءِ الْقَلِيلِ، وَعَامَّةُ الْعُلَمَاءِ عَلَى خِلَافِهِ، **وَاخْتَلَفُوا فِي الْقَدْرِ الَّذِي يُقْطَعُ فِيهِ، فَذَهَبَ أَكْثَرُهُمْ** إِلَى أَنَّهُ لَا يُقْطَعُ فِي أَقَلِّ مِنْ رُبُعِ دِينَارٍ، فَإِنْ سَرَقَ رُبُعَ دِينَارٍ أَوْ مَتَاعًا قِيمَتُهُ رُبُعُ دِينَارٍ يُقْطَعْ، وَهُوَ قَوْلُ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ رضي الله عنهم، وَبِهِ قَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَالْأَوْزَاعِيُّ وَالشَّافِعِيُّ.

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**الْقَطْعُ فِي رُبُعِ دِينَارٍ فَصَاعِدًا**»(١).

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَطَعَ سَارِقًا فِي مِجَنٍّ قِيمَتُهُ ثَلَاثَةُ دَرَاهِمَ(٢).

وَرُوِيَ عَنْ عُثْمَانَ أَنَّهُ قَطَعَ سَارِقًا فِي أُتْرُجَّةٍ قُوِّمَتْ بِثَلَاثَةِ دَرَاهِمَ مِنْ صَرْفِ اثْنَيْ عَشَرَ دِرْهَمًا بِدِينَارٍ. وَهَذَا قَوْلُ مَالِكٍ رحمه الله أَنَّهُ يُقْطَعُ فِي ثَلَاثَةِ دَرَاهِمَ.

وَذَهَبَ قَوْمٌ إِلَى أَنَّهُ لَا تُقْطَعُ فِي أَقَلِّ مِنْ دِينَارٍ أَوْ عَشَرَةِ دَرَاهِمَ، يُرْوَى ذَلِكَ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، وَإِلَيْهِ ذَهَبَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ وَأَصْحَابُ الرَّأْيِ، **وَقَالَ قَوْمٌ**: لَا يُقْطَعُ إِلَّا فِي خَمْسَةِ دَرَاهِمَ، يُرْوَى ذَلِكَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، وَبِهِ قَالَ ابْنُ أَبِي لَيْلَى.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**لَعَنَ اللهُ السَّارِقَ يَسْرِقُ الْبَيْضَةَ فَتُقْطَعُ يَدُهُ، وَيَسْرِقُ الحَبْلَ فَتُقْطَعُ يَدُهُ**»، **وَقَالَ الْأَعْمَشُ**: كَانُوا يَرَوْنَ أَنَّهُ بَيْضُ الْحَدِيدِ وَالْحَبْلُ. يَرَوْنَ أَنَّ مِنْهَا مَا يُسَاوِي دَرَاهِمَ(٣).

وَيَحْتَجُّ بِهَذَا الْحَدِيثِ مَنْ يَرَى الْقَطْعَ فِي الشَّيْءِ الْقَلِيلِ وَهُوَ عِنْدَ الْأَكْثَرِينَ مَحْمُولٌ عَلَى مَا قَالَهُ الْأَعْمَشُ؛ لِحَدِيثِ عَائِشَةَ رضي الله عنها.

(١) **صحيح**: البخاري: (٦٧٨٩)، مسلم: (١٦٨٤).
(٢) **صحيح**: البخاري: (٦٧٩٨)، مسلم: (١٦٨٦). **وقولُهُ**: «مِجَنٍّ»: بكسر الميم وفتح الجيم: التُّرْسُ.
(٣) **صحيح**: البخاري: (٦٧٨٣)، مسلم: (١٦٨٧).

وَإِذَا سَرَقَ شَيْئًا مِنْ غَيْرِ حِرْزٍ، كَثَمَرٍ فِي حَائِطٍ لَا حَارِسَ لَهُ، أَوْ حَيَوَانٍ فِي بَرِّيَّةٍ لَا حَافِظَ لَهُ، أَوْ مَتَاعٍ فِي بَيْتٍ مُنْقَطِعٍ عَنِ الْبُيُوتِ، لَا قَطْعَ عَلَيْهِ، وَرُوِيَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**لَا قَطْعَ فِي ثَمَرٍ مُعَلَّقٍ، وَلَا فِي حَرِيسَةِ جَبَلٍ، فَإِذَا آوَاهُ الْمُرَاحُ أَوِ الْجَرِينُ فَالْقَطْعُ فِيمَا بَلَغَ ثَمَنَ الْمِجَنِّ**»(١).

وَرُوِيَ عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ **عَنْ جَابِرٍ** رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**لَيْسَ عَلَى خَائِنٍ وَلَا مُنْتَهِبٍ وَلَا مُخْتَلِسٍ قَطْعٌ**»(٢).

وَإِذَا سَرَقَ مَالًا لَهُ فِيهِ شُبْهَةٌ، كَالْعَبْدِ يَسْرِقُ مِنْ مَالِ سَيِّدِهِ، أَوِ الْوَلَدِ يَسْرِقُ مِنْ مَالِ وَالِدِهِ، أَوِ الْوَالِدِ يَسْرِقُ مِنْ مَالِ وَلَدِهِ، أَوْ أَحَدِ الشَّرِيكَيْنِ يَسْرِقُ مِنْ مَالِ الْمُشْتَرَكِ شَيْئًا، لَا قَطْعَ عَلَيْهِ. **وَإِذَا سَرَقَ السَّارِقُ أَوَّلَ مَرَّةٍ** تُقْطَعُ يَدُهُ الْيُمْنَى مِنَ الْكُوعِ، **ثُمَّ إِذَا سَرَقَ ثَانِيًا** تُقْطَعُ رِجْلُهُ الْيُسْرَى مِنْ مَفْصِلِ الْقَدَمِ، **وَاخْتَلَفُوا فِيمَا إِذَا سَرَقَ ثَالِثًا: فَذَهَبَ أَكْثَرُهُمْ** إِلَى أَنَّهُ تُقْطَعُ يَدُهُ الْيُسْرَى ثُمَّ إِذَا سَرَقَ رَابِعًا تُقْطَعُ رِجْلُهُ الْيُمْنَى، ثُمَّ إِذَا سَرَقَ بَعْدَهُ شَيْئًا يُعَزَّرُ وَيُحْبَسُ حَتَّى تَظْهَرَ تَوْبَتُهُ، وَهُوَ الْمَرْوِيُّ عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه، وَهُوَ قَوْلُ قَتَادَةَ، وَبِهِ قَالَ مَالِكٌ وَالشَّافِعِيُّ؛ لِمَا رُوِيَ عَنْ أَبِي سَلَمَةَ **عَنْ أَبِي**

---

(١) **حسن**: حسَّنه العلامة الألباني رحمه الله في «صحيح وضعيف سنن النسائي» (٤٩٥٧). **وقولُهُ**: «**مُعَلَّق**»: أي: بالأشجار، **وقولُهُ**: «**فِي حَرِيسَةِ جَبَلٍ**»: قَالَ فِي «النهاية» (١/ ٣٦٧): أي: ليس فيما يُحرس بالجبل إذا سُرق قطع؛ لأنه ليس بحرز، والحَرِيسَةُ: (فَعِيلَةٌ) بمعنى (مَفْعُولَة): أي: أنها لها مَنْ يحرُسها، ويحفظها، ومنهم مَنْ يجعل الحَرِيسَةَ السّرِقَةَ نفسَها، يقال: (حَرَسَ يَحْرُسُ حَرْسًا)، من باب (ضرب): إذا سرق، فهو حارسٌ، ومُحترِسٌ، أي: ليس فيما يُسرق منْ الجبل قطع. قَالَ: ويقال للشاة التي يُدركها الليل قبل أن تَصِل إلى مُراحِها: (حَرِيسَةٌ)، و(فُلَانٌ يَأْكُلُ الحَرَسَاتِ): إذا سرق أغنام النَّاس وأكلها، والاحتراس: أن يَسْرِقَ الشيء من المَرعَى. **وقولُهُ**: «**المراحُ**»: وهو بضم الميم، ويجوز فتحها: أي: المحلُّ الذي تأوي إليه وتبيت فيه. **وقولُهُ**: «**الجَرين**»: بوزن (الأمير)، موضع يُجمع فيه التمر ويُجفَّف. «ذخيرة العقبى» (٣٧/ ٧٨).

(٢) **صحيح**: صحَّحه العلامة الألباني رحمه الله في «صحيح وضعيف سنن الترمذي» (١٤٤٨). **الخائن**: هو الآخذ مما فِي يده من الأمانة، وقال في «المرقاة»: **الخيانة**: أن يؤتمن عَلَى شيء بطريق العارية، أو الوديعة، فيأخذه، ويدَّعي ضَيَاعَه، أو يُنكرَ أنه كَانَ عنده وديعةٌ، أو عاريةٌ. **والنَّهْبُ**: أخذ المال على وجه الغلبة والقهر. **والاختلاس**: أخذ الشيء بسرعة على غفلة. «ذخيرة العُقبى» (٣٧/ ٩٧).

هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ فِي السَّارِقِ يَسْرِقُ: «إِنْ سَرَقَ فَاقْطَعُوا يَدَهُ، ثُمَّ إِنْ سَرَقَ فَاقْطَعُوا رِجْلَهُ، ثُمَّ إِنْ سَرَقَ فَاقْطَعُوا يَدَهُ، ثُمَّ إِنْ سَرَقَ فَاقْطَعُوا رِجْلَهُ»(١).

وَذَهَبَ قَوْمٌ إِلَى أَنَّهُ إِنْ سَرَقَ ثَالِثًا بَعْدَمَا قُطِعَتْ يَدُهُ الْيُمْنَى وَرِجْلُهُ الْيُسْرَى لَا يُقْطَع، بَلْ يُحْبَسُ، وَرُوِي ذَلِكَ عَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه، وَقَالَ: (إِنِّي لَأَسْتَحِي أَنْ لَا أَدَعَ لَهُ يَدًا يَسْتَنْجِي بِهَا وَلَا رِجْلًا يَمْشِي بِهَا)، وَهُوَ قَوْلُ الشَّعْبِيِّ وَالنَّخَعِيِّ، وَبِهِ قَالَ الْأَوْزَاعِيُّ وَأَحْمَدُ وَأَصْحَابُ الرَّأْيِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا﴾: نَصْبٌ عَلَى الحَالِ وَالْقَطْعِ، وَمِثْلُهُ: ﴿نَكَٰلًا﴾: أَيْ: عُقُوبَةً ﴿مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ﴾: أَيْ: سَرِقَتِهِ ﴿وَأَصۡلَحَ﴾: الْعَمَلَ ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾: هَذَا فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللهِ تَعَالَى، فَأَمَّا الْقَطْعُ فَلَا يَسْقُطُ عَنْهُ بِالتَّوْبَةِ عِنْدَ الْأَكْثَرِينَ، قَالَ مُجَاهِدٌ: قَطْعُ السَّارِقِ تَوْبَتُهُ، فَإِذَا قُطِعَ حَصَلَتِ التَّوْبَةُ، وَالصَّحِيحُ أَنَّ الْقَطْعَ لِلْجَزَاءِ عَلَى الْجِنَايَةِ، كَمَا قَالَ: ﴿جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا﴾، فَلَابُدَّ مِنَ التَّوْبَةِ بَعْدُ، وَتَوْبَتُهُ النَّدَمُ عَلَى مَا مَضَى وَالْعَزْمُ عَلَى تَرْكِهِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ. وَإِذَا قُطِعَ السَّارِقُ يَجِبُ عَلَيْهِ غُرْمُ مَا سَرَقَ مِنَ الْمَالِ عِنْدَ أَكْثَرِ أَهْلِ الْعِلْمِ، وَقَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ وَأَصْحَابُ الرَّأْيِ: لَا غُرْمَ عَلَيْهِ. وَبِالِاتِّفَاقِ إِنْ كَانَ الْمَسْرُوقُ بَاقِيًا عِنْدَهُ يُسْتَرَدّ وَتُقْطَعْ يَدُهُ؛ لِأَنَّ الْقَطْعَ حَقُّ اللهِ تَعَالَى وَالْغُرْمَ حَقُّ الْعَبْدِ، فَلَا يَمْنَعُ أَحَدُهُمَا الآخَر، كَاسْتِرْدَادِ العَيْنِ.

﴿أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾: الْخِطَابُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَالْمُرَادُ بِهِ الْجَمِيعُ، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: أَلَمْ تَعْلَمْ أَيُّهَا الإِنْسَانُ، فَيَكُون خِطَابًا لِكُلِّ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ، ﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُۗ﴾: قَالَ السُّدِّيُّ وَالْكَلْبِيُّ: ﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾: مَنْ مَاتَ عَلَى كُفْرِهِ ﴿وَيَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُۗ﴾: مَنْ تَابَ مِنْ كُفْرِهِ، وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: ﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾: عَلَى الصَّغِيرَةِ ﴿وَيَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُۗ﴾: عَلَى الْكَبِيرَةِ، ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾.

(١) **صحيح:** صحَّحه العلامة الألباني رحمه الله في "الإرواء" (٢٤٣٤).

﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْۛ سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوۡمٍ ءَاخَرِينَ لَمۡ يَأۡتُوكَۖ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ مِنۢ بَعۡدِ مَوَاضِعِهِۦۖ يَقُولُونَ إِنۡ أُوتِيتُمۡ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمۡ تُؤۡتَوۡهُ فَٱحۡذَرُواْۚ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتۡنَتَهُۥ فَلَن تَمۡلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔاۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمۡۚ لَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿٤١﴾ سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحۡتِۚ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُمۡ أَوۡ أَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡۖ وَإِن تُعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيۡـٔٗاۖ وَإِنۡ حَكَمۡتَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِٱلۡقِسۡطِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ﴿٤٢﴾ وَكَيۡفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوۡرَىٰةُ فِيهَا حُكۡمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوۡنَ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَۚ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾

قَوْلُهُ تَعالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ﴾: أَيْ: فِي مُوالَاةِ الْكُفَّارِ فَإِنَّهُمْ لَنْ يُعْجِزُوا اللهَ، ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡۛ﴾: وَهُمُ الْمُنافِقُونَ، ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْۛ﴾: يَعْنِي: الْيَهُودَ، ﴿سَمَّٰعُونَ﴾: أَيْ: قَوْمٌ سَمَّاعُونَ، ﴿لِلۡكَذِبِ﴾: أَيْ: قَائِلُونَ لِلْكَذِبِ كَقَوْلِ الْمُصَلِّي: (سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ) أَيْ: قَبِلَ اللهُ **وَقِيلَ**: معْنَاهُ سَمَّاعُونَ لِأَجْلِ الْكَذِبِ، أَيْ: يَسْمَعُونَ مِنْكَ لِيَكْذِبُوا عَلَيْكَ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا يَسْمَعُونَ مِنَ الرَّسُولِ ﷺ ثُمَّ يَخْرُجُونَ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا مِنْهُ كَذَا وَلَمْ يَسْمَعُوا ذَلِكَ مِنْهُ، ﴿سَمَّٰعُونَ لِقَوۡمٍ ءَاخَرِينَ لَمۡ يَأۡتُوكَۖ﴾: أَيْ: هُمْ جَوَاسِيسُ، يَعْنِي: بَنِي قُرَيْظَةَ ﴿لِقَوۡمٍ ءَاخَرِينَ﴾: وَهُمْ أَهْلُ خَيْبَرَ.

عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: مُرَّ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ بِيَهُودِيٍّ مُحَمَّمًا مَجْلُودًا، فَدَعَاهُمْ ﷺ فَقَالَ: «**هَكَذَا تَجِدُونَ حَدَّ الزَّانِي فِي كِتَابِكُمْ؟**» قَالُوا: نَعَمْ، فَدَعَا رَجُلًا مِنْ عُلَمَائِهِمْ فَقَالَ: «**أَنْشُدُكَ بِاللهِ الَّذِي أَنْزَلَ التَّوْرَاةَ عَلَى مُوسَى! أَهَكَذَا تَجِدُونَ حَدَّ الزَّانِي فِي كِتَابِكُمْ؟**» قَالَ: لَا، وَلَوْلَا أَنَّكَ نَشَدْتَنِي بِهَذَا لَمْ أُخْبِرْكَ: نَجِدُهُ الرَّجْمَ، وَلَكِنَّهُ كَثُرَ فِي أَشْرَافِنَا، فَكُنَّا إِذَا أَخَذْنَا الشَّرِيفَ تَرَكْنَاهُ، وَإِذَا أَخَذْنَا الضَّعِيفَ أَقَمْنَا عَلَيْهِ الْحَدَّ، قُلْنَا: تَعَالَوْا فَلْنَجْتَمِعْ عَلَى شَيْءٍ نُقِيمُهُ عَلَى الشَّرِيفِ وَالْوَضِيعِ، فَجَعَلْنَا التَّحْمِيمَ وَالْجَلْدَ

مَكَانَ الرَّجْمِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَوَّلُ مَنْ أَحْيَا أَمْرَكَ إِذْ أَمَاتُوهُ»، فَأَمَرَ بِهِ فَرُجِمَ، فَأَنْزَلَ اللهُ ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْكُفْرِ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ﴾ يَقُولُ: ائْتُوا مُحَمَّدًا ﷺ، فَإِنْ أَمَرَكُمْ بِالتَّحْمِيمِ وَالْجَلْدِ فَخُذُوهُ وَإِنْ أَفْتَاكُمْ بِالرَّجْمِ فَاحْذَرُوا، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾، ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾، ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾، فِي الْكُفَّارِ كُلُّهَا[(١)].

عَنْ نَافِعٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: إِنَّ الْيَهُودَ جَاءُوا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَذَكَرُوا لَهُ أَنَّ رَجُلًا مِنْهُمْ وَامْرَأَةً زَنَيَا، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا تَجِدُونَ فِي التَّوْرَاةِ فِي شَأْنِ الرَّجْمِ؟»، فَقَالُوا: نَفْضَحُهُمْ وَيُجْلَدُونَ، قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ سَلَامٍ: كَذَبْتُمْ، إِنَّ فِيهَا لَآيَةَ الرَّجْمِ، فَأَتَوْا بِالتَّوْرَاةِ فَنَشَرُوهَا، فَوَضَعَ أَحَدُهُمْ يَدَهُ عَلَى آيَةِ الرَّجْمِ فَقَرَأَ مَا قَبْلَهَا وَمَا بَعْدَهَا، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللهِ: ارْفَعْ يَدَكَ، فَرَفَعَ يَدَهُ فَإِذَا فِيهَا آيَةُ الرَّجْمِ، قَالُوا: صَدَقَ يَا مُحَمَّدُ فِيهَا آيَةُ الرَّجْمِ، فَأَمَرَ بِهِمَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَرُجِمَا، فَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ: فَرَأَيْتُ الرَّجُلَ يَحْنِي عَلَى الْمَرْأَةِ يَقِيهَا الْحِجَارَةَ[(٢)].

قَوْلُهُ: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ﴾: قِيلَ: اللَّامُ بِمَعْنَى (إِلَى) وَقِيلَ: هِيَ (لَامُ كَيْ)، أَيْ: يَسْمَعُونَ لِكَيْ يَكْذِبُوا عَلَيْكَ، ﴿سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ﴾: وَاللَّامُ فِي قَوْلِهِ: ﴿لِقَوْمٍ﴾: أَيْ لِأَجْلِ قَوْمٍ ﴿ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ﴾: وَهُمْ أَهْلُ خَيْبَرَ، ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ﴾: جَمْعُ (كَلِمَةٍ)، ﴿مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ﴾: أَيْ: مِنْ بَعْدِ وَضْعِهِ مَوَاضِعَهُ، وإنما ذَكَرَ الْكِنَايَةَ رَدًّا عَلَى لَفْظِ الْكَلِمِ، ﴿يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ﴾: أَيْ: إِنْ أَفْتَاكُمْ مُحَمَّدٌ ﷺ بِالْجَلْدِ وَالتَّحْمِيمِ فَاقْبَلُوا، ﴿وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُواْ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ﴾: كُفْرَهُ وَضَلَالَتَهُ، قَالَ الضَّحَّاكُ: هَلَاكَهُ، وَقَالَ قَتَادَةُ: عَذَابَهُ، ﴿فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾: فَلَنْ تَقْدِرَ عَلَى دَفْعِ أَمْرِ اللهِ فِيهِ، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ﴾: وَفِيهِ رَدٌّ عَلَى مَنْ يُنْكِرُ

---

(١) **صحيح:** مسلم (١٧٠٠)، و«الصحيح المسند من أسباب النزول» للإمام الوادعي رحمه الله ص(١٠٠).

(٢) **صحيح:** البخاري: (٦٨٤١)، مسلم (١٦٩٩).

الْقَدَرَ، ﴿لَهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌ﴾: أَيْ: لِلْمُنَافِقِينَ وَالْيَهُودِ، فَخِزْيُ الْمُنَافِقِينَ: الْفَضِيحَةُ وَهَتْكُ السِّتْرِ بِإِظْهَارِ نِفَاقِهِمْ، وَخِزْيُ اليَهُودِ: الْجِزْيَةُ وَالْقَتْلُ وَالسَّبْيُ وَالنَّفْيُ وَرُؤْيَتُهُمْ مِنْ مُحَمَّدٍ ﷺ وَأَصْحَابِهِ فِيهِمْ مَا يَكْرَهُونَ، ﴿وَلَهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾: الْخُلُودُ فِي النَّارِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ﴾: قَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ وَأَبُو جَعْفَرٍ وَأَهْلُ الْبَصْرَةِ وَالْكِسَائِيُّ ﴿لِلسُّحُتِ﴾ بِضَمِّ الْحَاءِ، وَالْآخَرُونَ بِسُكُونِهَا، وَهُوَ الْحَرَامُ، وَأَصْلُهُ الْهَلَاكُ وَالشِّدَّةُ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ﴾[طه:٦١]، نَزَلَتْ فِي حُكَّامِ الْيَهُودِ كَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ وَأَمْثَالِهِ، كَانُوا يَرْتَشُونَ وَيَقْضُونَ لِمَنْ رَشَاهُمْ، **قَالَ الْحَسَنُ**: كَانَ الْحَاكِمُ مِنْهُمْ إِذَا أَتَاهُ أَحَدٌ بِرُشْوَةٍ جَعَلَهَا فِي كُمِّهِ فَيُرِيهَا إِيَّاهُ وَيَتَكَلَّمُ بِحَاجَتِهِ، فَيَسْمَعُ مِنْهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَى خَصْمِهِ، فَيَسْمَعُ الْكَذِبَ وَيَأْكُلُ الرُّشْوَةَ، **وَعَنْهُ أَيْضًا قَالَ**: إِنَّمَا ذَلِكَ فِي الْحُكْمِ إِذَا رَشَوْتَهُ لِيُحِقَّ لَكَ بَاطِلًا أَوْ يُبْطِلَ عَنْكَ حَقًّا، فَأَمَّا أَنْ يُعْطِيَ الرَّجُلُ الْوَالِيَ يَخَافُ ظُلْمَهُ لِيَدْرَأَ بِهِ عَنْ نَفْسِهِ فَلَا بَأْسَ، **وَالسُّحْتُ**: هُوَ الرُّشْوَةُ فِي الْحُكْمِ عَلَى قَوْلِ **الْحَسَنِ وَمُقَاتِلٍ وَقَتَادَةَ وَالضَّحَّاكِ، وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ**: هُوَ الرُّشْوَةُ فِي كُلِّ شَيْءٍ، **قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ**: مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً لِيَرُدَّ بِهَا حَقًّا أَوْ يَدْفَعَ بِهَا ظُلْمًا فَأُهْدِيَ لَهُ فَقَبِلَ فَهُوَ سُحْتٌ، فَقِيلَ لَهُ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ مَا كُنَّا نَرَى ذَلِكَ إِلَّا الْأَخْذَ عَلَى الْحُكْمِ! فَقَالَ: الْأَخْذُ عَلَى الْحُكْمِ كُفْرٌ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المَائِدَة:٤٤].

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الرَّاشِي وَالْمُرْتَشِي**»(١). **وَالسُّحْتُ**: كُلُّ كَسْبٍ لَا يَحِلُّ.

قَوْلُهُ ﷻ: ﴿فَإِن جَآءُوكَ فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْـًٔا﴾: خَيَّرَ اللهُ تَعَالَى رَسُولَهُ ﷺ فِي الْحُكْمِ بَيْنَهُمْ إِنْ شَاءَ حَكَمَ وَإِنْ شَاءَ تَرَكَ،

(١) **صحيح**: صحَّحه العلَّامة الألباني رَحِمَهُ اللهُ في "صحيح وضعيف سنن ابن ماجه" (٢٣١٣).

وَاخْتَلَفُوا فِي حُكْمِ الْآيَةِ الْيَوْمَ هَلْ لِلْحَاكِمِ الْخِيَارُ فِي الْحُكْمِ بَيْنَ أَهْلِ الذِّمَّةِ إِذَا تَحَاكَمُوا إِلَيْنَا؟ فَقَالَ أَكْثَرُ أَهْلِ الْعِلْمِ: هُوَ حُكْمٌ ثَابِتٌ وَلَيْسَ فِي سُورَةِ الْمَائِدَةِ حُكْمٌ مَنْسُوخٌ، وَحُكَّامُ الْمُسْلِمِينَ بِالْخِيَارِ فِي الْحُكْمِ بَيْنَ أَهْلِ الْكِتَابِ، إِنْ شَاؤُوْا حَكَمُوا وَإِنْ شَاؤُوْا لَمْ يَحْكُمُوا، وَإِنْ حَكَمُوا حَكَمُوا بِحُكْمِ الإِسْلَامِ، وَهُوَ قَوْلُ النَّخَعِيِّ وَالشَّعْبِيِّ وَعَطَاءٍ وَقَتَادَةَ، **وَقَالَ قَوْمٌ**: يَجِبُ عَلَى حَاكِمِ الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَحْكُمَ بَيْنَهُمْ، وَالْآيَةُ مَنْسُوخَةٌ نَسَخَهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾[المَائِدَة:٤٩] وَهُوَ قَوْلُ مُجَاهِدٍ وَعِكْرِمَةَ وَرَوِيَ ذَلِكَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَقَالَ: لَمْ يُنْسَخْ مِنَ الْمَائِدَةِ إِلَّا آيَتَانِ، قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَا تُحِلُّواْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾[المَائِدَة:٢]، نَسَخَهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾[التَّوْبَة:٥]، وَقَوْلُهُ: ﴿فَإِن جَآءُوكَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُمۡ أَوۡ أَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡۖ﴾، نَسَخَهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾[المَائِدَة:٤٩]. وَأَمَّا إِذَا تَحَاكَمَ إِلَيْنَا مُسْلِمٌ وَذِمِّيٌّ فَيَجِبُ عَلَيْنَا الْحُكْمُ بَيْنَهُمَا لَا يَخْتَلِفُ الْقَوْلُ فِيهِ؛ لِأَنَّهُ لَا يَجُوزُ لِلْمُسْلِمِ الِانْقِيَادُ لِحُكْمِ أَهْلِ الذِّمَّةِ.

قَوْلُهُ: ﴿وَإِنۡ حَكَمۡتَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِٱلۡقِسۡطِۚ﴾: أَيْ بِالْعَدْلِ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ﴾: أَيِ الْعَادِلِينَ، وَرُوِّينَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**الْمُقْسِطُونَ عِنْدَ اللهِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ**»(١).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَكَيۡفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوۡرَىٰةُ﴾: هَذَا تَعْجِيبٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ وَفِيهِ اخْتِصَارٌ أَيْ كَيْفَ يَجْعَلُونَكَ حَكَمًا بَيْنَهُمْ فَيَرْضَوْنَ بِحُكْمِكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَاةُ؟! ﴿فِيهَا حُكۡمُ ٱللَّهِ﴾: وَهُوَ الرَّجْمُ ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّوۡنَ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَۚ وَمَآ أُوْلَـٰٓئِكَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾: أَيْ بِمُصَدِّقِينَ لَكَ.

﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَـٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيۡهِ شُهَدَآءَۚ فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخۡشَوۡنِ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَـٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗاۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَـٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ وَكَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفۡسَ بِٱلنَّفۡسِ وَٱلۡعَيۡنَ بِٱلۡعَيۡنِ وَٱلۡأَنفَ بِٱلۡأَنفِ وَٱلۡأُذُنَ بِٱلۡأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلۡجُرُوحَ قِصَاصٞۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٞ لَّهُۥۚ

---

(١) **صحيح**: مسلم: (١٨٢٧) عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، بلفظ: «**إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللهِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ** ﷻ**، وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ، الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُوا**».

وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾

قَوْلُهُ ﷻ: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ ﴾: أَيْ: أَسْلَمُوا وَانْقَادُوا لِأَمْرِ اللهِ تَعَالَى، كَمَا أَخْبَرَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[الْبَقَرَة:١٣١] وَكَمَا قَالَ ﴿وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا ﴾[آل عِمْرَانَ:٨٣]، وَأَرَادَ بِهِمُ النَّبِيِّينَ الَّذِينَ بُعِثُوا مِنْ بَعْدِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لِيَحْكُمُوا بِمَا فِي التَّوْرَاةِ، وَقَدْ أَسْلَمُوا لِحُكْمِ التَّوْرَاةِ وَحَكَمُوا بِهَا، فَإِنَّ مِنَ النَّبِيِّينَ مَنْ لَمْ يُؤْمَرْ بِحُكْمِ التَّوْرَاةِ مِنْهُمْ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾[الْمَائِدَة:٤٨]، **وَقَالَ الحَسَنُ وَالسُّدِّيُّ**: أَرَادَ بِهِ مُحَمَّدًا ﷺ حَكَمَ عَلَى الْيَهُودِ بِالرَّجْمِ، ذُكِرَ بِلَفْظِ الْجَمْعِ كَمَا قَالَ: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا ﴾[النَّحْل:١٢٠].

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لِلَّذِينَ هَادُوا۟ ﴾: **قِيلَ**: فِيهِ تَقْدِيمٌ وَتَأْخِيرٌ تَقْدِيرُهُ: فِيهَا هُدًى وَنُورٌ لِلَّذِينِ هَادَوْا، ثُمَّ قَالَ: يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ، **وَقِيلَ**: هُوَ عَلَى مَوْضِعِهِ وَمَعْنَاهُ: يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا عَلَى الَّذِينَ هَادَوْا كَمَا قَالَ ﴿وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ﴾[الإِسْرَاء:٧] أَيْ: فَعَلَيْهَا وَقَالَ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ﴾[الرَّعْد:٢٥] أَيْ: عَلَيْهِمْ **وَقِيلَ**: فِيهِ حَذْفٌ، كَأَنَّهُ قَالَ: لِلَّذِينِ هَادَوْا وَعَلَى الَّذِينَ هَادَوْا، فَحَذَفَ أَحَدَهُمَا اخْتِصَارًا. ﴿وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ ﴾: يَعْنِي: الْعُلَمَاءَ، وَاحِدُهُمْ (حَبْرٌ) وَ(حِبْرٌ) بِفَتْحِ الْحَاءِ وَكَسْرِهَا وَالْكَسْرُ أَفْصَحُ، وَهُوَ الْعَالِمُ الْمُحْكِمُ لِلشَّيْءِ، **قَالَ الْكِسَائِيُّ وَأَبُو عُبَيْدَةَ**: هُوَ مِنَ الحِبْرِ الَّذِي يُكْتَبُ بِهِ، **وَقَالَ قُطْرُبٌ**: هُوَ مِنَ الْحَبْرِ الَّذِي هُوَ بِمَعْنَى الْجَمَالِ بِفَتْحِ الْحَاءِ وَكَسْرِهَا، وَمِنْهُ (التَّحْبِيرُ)، وَهُوَ التَّحْسِينُ، فَسُمِّيَ الْعَالِمُ حَبْرًا لِمَا عَلَيْهِ مِنْ جَمَالِ الْعِلْمِ وَبَهَائِهِ، **وَقِيلَ**: الرَّبَّانِيُّونَ هَاهُنَا: مِنَ النَّصَارَى، وَالْأَحْبَارُ: مِنَ الْيَهُودِ، **وَقِيلَ**: كِلَاهُمَا مِنَ الْيَهُودِ.

قَوْلُهُ ﷻ: ﴿بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ ﴾: أَيِ اسْتُودِعُوا مِنْ كِتَابِ اللهِ ﴿وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ﴾: أَنَّهُ كَذَلِكَ ﴿فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا

﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾: قَالَ قَتَادَةُ وَالضَّحَّاكُ: نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَاتُ الثَّلَاثُ فِي الْيَهُودِ دُونَ مَنْ أَسَاءَ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ. رُوِيَ عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رضي الله عنه فِي قَوْلِهِ: ﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾، وَ﴿ٱلظَّٰلِمُونَ﴾، وَ﴿ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾ كُلُّهَا فِي الْكَافِرِينَ[(١)]. وَقِيلَ: هِيَ عَلَى النَّاسِ كُلِّهِمْ، وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَطَاوُسٌ: لَيْسَ بِكُفْرٍ يَنْقُلُ عَنِ الْمِلَّةِ، بَلْ إِذَا فَعَلَهُ فَهُوَ بِهِ كَافِرٌ، وَلَيْسَ كَمَنْ كَفَرَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، قَالَ عَطَاءٌ: هُوَ كُفْرٌ دُونَ كُفْرٍ، وَظُلْمٌ دُونَ ظُلْمٍ، وَفِسْقٌ دُونَ فِسْقٍ، وَقَالَ عِكْرِمَةُ مَعْنَاهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ جَاحِدًا بِهِ فَقَدْ كَفَرَ، وَمَنْ أَقَرَّ بِهِ وَلَمْ يَحْكُمْ بِهِ فَهُوَ ظَالِمٌ فَاسِقٌ. وَسُئِلَ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ يَحْيَى الْكِنَانِيُّ عَنْ هَذِهِ الْآيَاتِ، فَقَالَ: إِنَّهَا تَقَعُ عَلَى جَمِيعِ مَا أَنْزَلَ اللهُ لَا عَلَى بَعْضِهِ، فَكُلُّ مَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِجَمِيعِ مَا أَنْزَلَ اللهُ فَهُوَ كَافِرٌ ظَالِمٌ فَاسِقٌ، فَأَمَّا مَنْ حَكَمَ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ التَّوْحِيدِ وَتَرْكِ الشِّرْكِ، ثُمَّ لَمْ يَحْكُمْ بِبَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ الشَّرَائِعِ لَمْ يَسْتَوْجِبْ حُكْمَ هَذِهِ الْآيَاتِ. وَقَالَ الْعُلَمَاءُ: هَذَا إِذَا رَدَّ نَصَّ حُكْمِ اللهِ عِيَانًا عَمْدًا، فَأَمَّا مَنْ خَفِيَ عَلَيْهِ أَوْ أَخْطَأَ فِي تَأْوِيلٍ فَلَا[(٢)].

---

(١) تقدَّم تخريجه.

(٢) قال العلَّامة الألباني رحمه الله: فائدةٌ هامَّةٌ: إذا علمت أنَّ الآياتِ الثلاث: ﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾، نزلت في اليهود وقولهم في حُكمِهِ ﷺ: «إِنْ أَعْطَاكُمْ مَا تُرِيدُونَ حَكَّمْتُمُوهُ، وَإِنْ لَمْ يُعْطِكُمْ حَذِرْتُمْ فَلَمْ تُحَكِّمُوهُ»، وقد أشار القرآن إلى قولهم هذا قبل هذه الآيات فقال: ﴿يَقُولُونَ إِنۡ أُوتِيتُمۡ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمۡ تُؤۡتَوۡهُ فَٱحۡذَرُواْ﴾، إذا عرفت هذا، فلا يجوز حمل هذه الآيات على بعض الحكام المسلمين وقضاتهم الذين يحكمون بغير ما أنزل الله من القوانين الأرضية، أقول: لا يجوز تكفيرهم بذلك وإخراجهم من الملة إذا كانوا مؤمنين بالله ورسوله، وإن كانوا مجرمين بحكمهم بغير ما أنزل الله، لا يجوز ذلك؛ لأنهم وإن كانوا كاليهود من جهة حكمهم المذكور، فهم مخالفون لهم من جهة أخرى، ألا وهي إيمانهم وتصديقهم بما أنزل الله، بخلاف اليهود الكفار؛ فإنهم كانوا جاحدين له كما يدل عليه قولهم المتقدم: «...وَإِنْ لَمْ يُعْطِكُمْ حَذِرْتُمْ فَلَمْ تُحَكِّمُوهُ»، بالإضافة إلى أنهم ليسوا مسلمين أصلًا، وسِرُّ هذا أنَّ الكفرَ قسمان: اعتقادي، وعملي، فالاعتقاديُّ: مَقرُّهُ القلب، والعمليُّ محلُّه الجوارح. فمن كان عمله كفرًا لمخالفته للشرع، وكان مطابقًا لما وقر في قلبه من الكفر به، فهو الكفر الاعتقادي، وهو الكفر الذي لا يغفره الله، ويخلد صاحبه في النار أبدًا. وأما إذا كان مخالفًا لما وقر في قلبه، فهو مؤمن بحكم ربه، ولكنه يخالفه بعمله، فكفره كفر =

= عملي فقط، وليس كفرًا اعتقاديًّا، فهو تحت مشيئة الله تعالى، إن شاء عذبه، وإن شاء غفر له، وعلى هذا النوع من الكفر تُحمَلُ الأحاديث التي فيها إطلاق الكفر على من فعل شيئًا من المعاصي من المسلمين، ولا بأس من ذكر بعضها:

١- «**اثْنَتَانِ فِي النَّاسِ هُمَا بِهِمْ كُفْرٌ، الطَّعْنُ فِي الأَنْسَابِ، وَالنِّيَاحَةُ عَلَى المَيِّتِ**». رواهُ مسلم. ٢- «**الجِدَالُ فِي القُرْآنِ كُفْرٌ**». ٣- «**سِبَابُ المُسْلِمِ فُسُوقٌ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ**». رواهُ مسلم. ٤- «**كُفْرٌ بِالله تَبَرُّؤٌ مِنْ نَسَبٍ وَإِنْ دَقَّ**». ٥- «**التَّحَدُّثُ بِنِعْمَةِ الله شُكْرٌ، وَتَرْكُهَا كُفْرٌ**». ٦- «**لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ**». متفق عليه. إلى غير ذلك من الأحاديث الكثيرة التي لا مجال الآن لاستقصائها فمن قام من المسلمين بشيء من هذه المعاصي، فكفره كفر عملي، أي: إنه يعمل عمل الكفار، إلا أن يستحلَّها ولا يرى كونها معصية، فهو حينئذ كافر حلال الدم؛ لأنه شارك الكفار في عقيدتهم أيضًا. والحكمُ بغير ما أنزل الله، لا يخرج عن هذه القاعدة أبدًا، وقد جاء عن السلف ما يدعمها، وهو قولهم في تفسير الآية: «**كُفْرٌ دُوْنَ كُفْرٍ**»، صحَّ ذلك عن ترجمان القرآن عبد الله ابن عباس رضي الله عنه، ثم تلقَّاهُ عنه بعض التابعين وغيرهم، ولابُدَّ من ذكر ما تيسر لي عنهم؛ لعل في ذلك إنارة للسبيل أمام مَن ضَلَّ اليوم في هذه المسألة الخطيرة، ونحا نحو الخوارج الذين يُكفِّرون المسلمين بارتكابهم المعاصي، وإن كانوا يصلون ويصومون!

١- روى ابنُ جرير الطبري (١٠ / ٣٥٥ / ١٢٠٥٣) بإسنادٍ صحيح عن ابن عباس: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ قال: «هي به كفر، وليس كفرًا بالله وملائكته وكتبه ورسله». ٢- وفي رواية عنه في هذه الآية: «إنه ليس بالكفر الذي يذهبون إليه، إنه ليس كفرًا ينقل عن الملة، كفر دون كفر». أخرجه الحاكم (٢ / ٣١٣) وقال: صحيح الإسناد ووافقه الذهبي، وحقُّهما أن يقولا: على شرط الشيخين؛ فإن إسناده كذلك. ثم رأيت الحافظ ابن كثير نقل في "تفسيره" (٦/ ١٦٣) عن الحاكم أنه قال صحيح على شرط الشيخين، فالظاهر أن في نسخة "المستدرك" المطبوعة سقطًا، وعزاه ابن كثير لابن أبي حاتم أيضًا ببعض اختصار. ٣- وفي أُخرى عنه من رواية علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: «من جحد ما أنزل الله فقد كفر، ومن أقرَّ به ولم يحكم فهو ظالم فاسق». أخرجه ابن جرير (١٢٠٦٣)، قلت: وابن أبي طلحة لم يسمع من ابن عباس، لكنه جيِّد في الشواهد. ٤- ثم روى (١٢٠٤٧ - ١٢٠٥١) عن عطاء بن أبي رباح قولَهُ -وذكر الآيات الثلاث-: «كفر دون كفر، وفسق دون فسق، وظلم دون ظلم» وإسناده صحيح. ٥- ثم روى(١٢٠٥٢) عن سعيد المكي عن طاووس -وذكر الآية- قال: «ليس بكفر ينقل عن الملة»، وإسناده صحيح. وسعيد هذا هو ابن زياد الشيباني المكِّي، وثَّقه ابن معين والعجلي وابن حبان وغيرهم، وروى عنه جمع. ٦- وروى (١٢٠٢٥)، و(١٢٠٢٦) من طريقين عن عمران بن حدير قال «أتى أبا مجلز ناس من بني عمرو بن سدوس» وفي الطريق الأخرى: «نفر من الإباضية، فقالوا: أرأيت قول الله: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ أحقٌّ هو؟ قال: نعم! قالوا: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾ أحقٌّ هو؟ =

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَكَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيهَآ﴾: أَيْ: أَوْجَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي التَّوْرَاةِ، ﴿أَنَّ ٱلنَّفۡسَ بِٱلنَّفۡسِ﴾: يَعْنِي: نَفْسَ الْقَاتِلِ بِنَفْسِ الْمَقْتُولِ وَفَاءً يُقْتَلُ بِهِ ﴿وَٱلۡعَيۡنَ بِٱلۡعَيۡنِ﴾: تُفْقَأُ بِهَا ﴿وَٱلۡأَنفَ بِٱلۡأَنفِ﴾: يُجْدَعُ بِهِ ﴿وَٱلۡأُذُنَ بِٱلۡأُذُنِ﴾: تُقْطَعُ بِهَا، **قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ:**

= قال: نعم! قالوا: ﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾ أحقٌّ هو؟ قال: نعم! قال: فقالوا: يا أبا مجلز: فيحكم هؤلاء بما أنزل الله؟ قال: هو دينهم الذي يدينون به، وبه يقولون وإليه يدعون -(يعني الأمراء)- فإن هم تركوا شيئًا منه عرفوا أنهم قد أصابوا ذنبًا. فقالوا: لا والله، ولكنك تَفْرَقُ -(أي: تجزع وتخاف)- قال: أنتم أولى بهذا مِنِّي! لا أرى، وإنكم أنتم ترون هذا ولا تَحَرَّجُون، ولكنها أنزلت في اليهود والنصارى وأهل الشرك». أو نحوًا من هذا، وإسنادُهُ صحيح.

وقد اختلف العلماء في تفسير الكفر في الآية الأولى على خمسة أقوال ساقها ابن جرير (١٠/ ٣٤٦-٣٥٧) بأسانيده إلى قائليها، ثم ختم ذلك بقوله: (١٠/ ٣٥٨): وأولى هذه الأقوال عندي بالصواب قول من قال: نزلت هذه الآيات في كفار أهل الكتاب؛ لأن ما قبلها وما بعدها من الآيات ففيهم نزلت، وهم المعنيُّون بها، وهذه الآيات سياق الخبر عنهم، فكونها خبرًا عنهم أولى. فإن قال قائل: فإن الله تعالى ذكره قد عَمَّ بالخبر بذلك عن جميع من لم يحكم بما أنزل الله، فكيف جعلته خاصًّا؟ قيل: إن الله تعالى عم بالخبر بذلك عن قوم كانوا بحكم الله الذي حكم به في كتابه جاحدين، فأخبر عنهم أنهم بتركهم الحكم -على سبيل ما تركوه- كافرون. وكذلك القول في كل من لم يحكم بما أنزل الله جاحدًا به هو بالله كافر، كما قال ابن عباس؛ لأنه بجحوده حُكْمَ الله بعد علمه أنه أنزله في كتابه نظير جحوده نبوة نبيه بعد علمه أنه نبي.اهـ وجملة القول: أنَّ الآية نزلت في اليهود الجاحدين لِمَا أنزل الله، فمن شاركهم في الجحد فهو كافرٌ كفرًا اعتقاديًّا، ومن لم يشاركهم في الجحد فكفره عملي؛ لأنه عمل عملهم، فهو بذلك مجرم آثم، ولكن لا يخرج بذلك عن الملة كما تقدم عن ابن عباس رضي الله عنه.

وقد شرح هذه وزاده بيانًا الإمام الحافظ أبو عبيد القاسم ابن سلام في «كتاب الإيمان» (باب الخروج من الإيمان بالمعاصي) صـ(٨٤-٨٧) بتحقيقي، فليراجعه من شاء المزيد من التحقيق.

وبعد كتابة ما سبق، رأيت شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله يقول في تفسير آية الحكم المتقدمة في «مجموع الفتاوى» (٣/ ٢٦٨): أي هو المستحل للحكم بغير ما أنزل الله. ثم ذكر (٧/ ٢٥٤) أنَّ الإمام أحمد سُئِل عن الكفر المذكور فيها؟ فقال: كفر لا ينقل عن الإيمان، مثل الإيمان بعضه دون بعض، فكذلك الكفر، حتى يجيء من ذلك أمر لا يختلف فيه. وقال (٧/ ٣١٢): وإذا كان من قول السلف أن الإنسان يكون فيه إيمان ونفاق، فكذلك في قولهم أنه يكون فيه إيمان وكفر، وليس هو الكفر الذي ينقل عن الملة، كما قال ابن عباس وأصحابه في قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ قالوا: كفرًا لا ينقل عن الملة. وقد اتبعهم على ذلك أحمد وغيره من أئمة السنة.اهـ «السلسلة الصحيحة» (٦/ ١١١-١١٦).

أَخْبَرَ اللهُ تَعَالَى بِحُكْمِهِ فِي التَّوْرَاةِ وَهُوَ أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ إِلَى آخِرِهَا، فَمَا بَالُهُمْ يُخَالِفُونَ فَيَقْتُلُونَ بِالنَّفْسِ النَّفْسَيْنِ، وَيَفْقَؤُونَ بِالْعَيْنِ الْعَيْنَيْنِ، وَخَفَّفَ نَافِعٌ (الْأُذْنَ) فِي جَمِيعِ الْقُرْآنِ وَثَقَّلَهَا الْآخَرُونَ، ﴿وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ﴾: تُقْلَعُ بِهَا، وَسَائِرُ الْجَوَارِحِ قِيَاسٌ عَلَيْهَا فِي الْقِصَاصِ، ﴿وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾: فَهَذَا تَعْمِيمٌ بَعْدَ تَخْصِيصٍ؛ لِأَنَّهُ ذَكَرَ الْعَيْنَ وَالْأَنْفَ وَالْأُذُنَ وَالسِّنَّ، ثُمَّ قَالَ: ﴿وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾: أَيْ: فِيمَا يُمْكِنُ الِاقْتِصَاصُ مِنْهُ كَالْيَدِ وَالرِّجْلِ وَاللِّسَانِ وَنَحْوِهَا، وَأَمَّا مَا لَا يُمْكِنُ الِاقْتِصَاصُ فِيهِ مِنْ كَسْرِ عَظْمٍ أَوْ جَرْحِ لَحْمٍ كَالْجَائِفَةِ(١) وَنَحْوِهَا فَلَا قِصَاصَ فِيهِ؛ لِأَنَّهُ لَا يُمْكِنُ الْوُقُوفُ عَلَى نِهَايَتِهِ، وَقَرَأَ الْكِسَائِيُّ ﴿وَٱلْعَيْنُ﴾ وَمَا بَعْدَهَا بِالرَّفْعِ، وَقَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ وَابْنُ عَامِرٍ وَأَبُو جَعْفَرٍ وَأَبُو عَمْرٍو ﴿وَٱلْجُرُوحُ﴾ بِالرَّفْعِ فَقَطْ، وَقَرَأَ الْآخَرُونَ كُلَّهَا بِالنَّصْبِ كَالنَّفْسِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ﴾: أَيْ: بِالْقِصَاصِ ﴿فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ﴾: قِيلَ: الْهَاءُ فِي ﴿لَّهُۥ﴾ كِنَايَةٌ عَنِ الْمَجْرُوحِ وَوَلِيِّ الْقَتِيلِ، أَيْ: كَفَّارَةٌ لِلْمُتَصَدِّقِ، وَهُوَ قَوْلُ عَبْدِاللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ وَالْحَسَنِ وَالشَّعْبِيِّ وَقَتَادَةَ. وَقَالَ جَمَاعَةٌ: هِيَ كِنَايَةٌ عَنِ الْجَارِحِ وَالْقَاتِلِ، يَعْنِي: إِذَا عَفَا الْمَجْنِيُّ عَلَيْهِ مِنَ الْجَانِي فَعَفْوُهُ كَفَّارَةٌ لِذَنْبِ الْجَانِي لَا يُؤَاخَذُ بِهِ فِي الْآخِرَةِ، كَمَا أَنَّ الْقِصَاصَ كَفَّارَةٌ لَهُ، فَأَمَّا أَجْرُ الْعَافِي فَعَلَى اللهِ ﷻ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾[الشُّورَى:٤٠]، رُوِيَ ذَلِكَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، وَهُوَ قَوْلُ إِبْرَاهِيمَ وَمُجَاهِدٍ وَزَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾.

﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم﴾: أَيْ: عَلَى آثَارِ النَّبِيِّينَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا ﴿بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ

(١) الجائفة: هي الطعنة التي تصل إلى جوف الرأس، أو جوف البطن، وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «وَفِي الجَائِفَةِ ثُلُثُ الدِّيَةِ»، صححه العلامة الألباني رحمه الله في «الإرواء» (٢٢٩٦).

﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ﴾: أَيْ: فِي الْإِنْجِيلِ ﴿هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا﴾: يَعْنِي: الْإِنْجِيلَ ﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ﴾: قَرَأَ الْأَعْمَشُ وَحَمْزَةُ ﴿وَلِيَحْكُمَ﴾ بِكَسْرِ اللَّامِ وَنَصْبِ الْمِيمِ، أَيْ: لِكَيْ يَحْكُمَ، وَقَرَأَ الْآخَرُونَ: بِسُكُونِ اللَّامِ وَجَزْمِ الْمِيمِ عَلَى الْأَمْرِ، **قَالَ مُقَاتِلُ بْنُ حَيَّانَ**: أَمَرَ اللهُ الرَّبَّانِيِّينَ وَالْأَحْبَارَ أَنْ يَحْكُمُوا بِمَا فِي التَّوْرَاةِ، وَأَمَرَ الْقِسِّيسِينَ وَالرُّهْبَانَ أَنْ يَحْكُمُوا بِمَا فِي الْإِنْجِيلِ، فَكَفَرُوا وَقَالُوا عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ وَالْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ، ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾: الْخَارِجُونَ عَنْ أَمْرِ اللهِ ﷻ.

﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾

قَوْلُهُ ﷻ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ﴾: يَا مُحَمَّدُ ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾: الْقُرْآنَ ﴿بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾: أَيْ: مِنَ الْكُتُبِ الْمُنَزَّلَةِ مِنْ قَبْلُ، ﴿وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾: **رَوَى الْوَالِبِيُّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ** رضي الله عنهما: أَيْ شَاهِدًا عَلَيْهِ، وَهُوَ قَوْلُ **مُجَاهِدٍ وَقَتَادَةَ وَالسُّدِّيِّ وَالْكِسَائِيِّ**.

قَالَ حَسَّانُ:

إِنَّ الْكِتَابَ مُهَيْمِنٌ لِنَبِيِّنَا ... وَالْحَقُّ يَعْرِفُهُ ذَوُو الْأَلْبَابِ

يُرِيدُ شَاهِدًا وَمُصَدِّقًا، **وَقَالَ عِكْرِمَةُ**: دَالًّا، **وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ وَأَبُو عُبَيْدَةَ**: مُؤْتَمَنًا عَلَيْهِ، **وَقَالَ الْحَسَنُ**: أَمِينًا، **وَقِيلَ**: أَصْلُهُ (مُؤَيْمِنٌ)، (مُفَيْعِلٌ)، مِنْ: (أَمِينٍ)، كَمَا قَالُوا: (مُبَيْطِرٌ) مِنَ: (الْبَيْطَارِ)، فَقُلِبَتِ الْهَمْزَةُ هَاءً كَمَا قَالُوا: (أَرَقْتُ الْمَاءَ) وَ(هَرَقْتُهُ)،

وَ(إِيهَاتَ)، وَ(هَيْهَاتَ)، وَنَحْوَهَا. **وَمَعْنَى أَمَانَةَ الْقُرْآنِ مَا قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ**: الْقُرْآنُ أَمِينٌ عَلَى مَا قَبْلَهُ مِنَ الْكُتُبِ، فَمَا أَخْبَرَ أَهْلُ الْكِتَابِ عَنْ كِتَابِهِمْ فَإِنْ كَانَ فِي الْقُرْآنِ فَصَدِّقُوا وَإِلَّا فَكَذِّبُوا، **وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ وَالضَّحَّاكُ**: قَاضِيًا، **وَقَالَ الْخَلِيلُ**: رَقِيبًا وَحَافِظًا، وَالمَعَانِي مُتَقَارِبَةٌ، وَمَعْنَى الْكُلِّ: أَنَّ كُلَّ كِتَابٍ يَشْهَدُ بِصِدْقِهِ الْقُرْآنُ فَهُوَ كِتَابُ اللهِ تَعَالَى، وَمَا لَا فَلَا.

﴿فَٱحۡكُم﴾: يَا مُحَمَّدُ ﴿بَيۡنَهُم﴾: بَيْنَ أَهْلِ الْكِتَابِ إِذَا تَرَافَعُوا إِلَيْكَ، ﴿بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۖ﴾: تَعَالَى فِي الْقُرْآنِ، ﴿وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ﴾: أَيْ: لَا تُعْرِضْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ، ﴿لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ﴾: **قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَالْحَسَنُ وَمُجَاهِدٌ**: أَيْ: سَبِيلًا وَسُنَّةً، فَالشِّرْعَةُ وَالْمِنْهَاجُ: الطَّرِيقُ الْوَاضِحُ، وَكُلُّ مَا شَرَعَتْ فِيهِ فَهُوَ شَرِيعَةٌ وَشِرْعَةٌ، وَمِنْهُ شَرَائِعُ الْإِسْلَامِ؛ لِشُرُوعِ أَهْلِهَا فِيهَا، وَأَرَادَ بِهَذَا أَنَّ الشَّرَائِعَ مُخْتَلِفَةٌ، وَلِكُلِّ أَهْلِ مِلَّةٍ شَرِيعَةٌ، **قَالَ قَتَادَةُ**: الْخِطَابُ لِلْأُمَمِ الثَّلَاثِ: أُمَّةِ مُوسَى وَأُمَّةِ عِيسَى وَأُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَعَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ، فَالتَّوْرَاةُ شَرِيعَةٌ، وَالْإِنْجِيلُ شَرِيعَةٌ، وَالْقُرْآنُ شَرِيعَةٌ، وَالدِّينُ وَاحِدٌ وَهُوَ التَّوْحِيدُ.

﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ﴾: أَيْ: عَلَى مِلَّةٍ وَاحِدَةٍ، ﴿وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَكُمۡ﴾: لِيَخْتَبِرَكُمْ ﴿فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡۖ﴾: مِنَ الْكُتُبِ وَبَيَّنَ لَكُمْ مِنَ الشَّرَائِعِ، فَيَتَبَيَّنُ الْمُطِيعُ مِنَ الْعَاصِي وَالْمُوَافِقُ مِنَ الْمُخَالِفِ، ﴿فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ﴾: فَبَادِرُوا إِلَى الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، ﴿إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ﴾.

قَوْلُهُ ﷻ: ﴿وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ﴾: أَيْ: أَعْرَضُوا عَنِ الْإِيمَانِ وَالْحُكْمِ بِالْقُرْآنِ، ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعۡضِ ذُنُوبِهِمۡۗ﴾: أَيْ فَاعْلَمْ أَنَّ إِعْرَاضَهُمْ مِنْ أَجْلِ أَنَّ اللهَ يُرِيدُ أَنْ يُعَجِّلَ لَهُمُ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ، ﴿وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾: يَعْنِي: الْيَهُودَ، ﴿لَفَٰسِقُونَ ٤٩ أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ﴾: قَرَأَ ابْنُ عَامِرٍ تَبْغُونَ بِالتَّاءِ وَقَرَأَ الْآخَرُونَ بِالْيَاءِ، أَيْ: يَطْلُبُونَ، ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ﴾.

﴿ ۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ (٥١) فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَـٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَـٰدِمِينَ (٥٢) وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَهَـٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فَأَصْبَحُواْ خَـٰسِرِينَ ﴾

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾: فِي الْعَوْنِ وَالنُّصْرَةِ وَيَدُهُمْ وَاحِدَةٌ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ﴾: فَيُوَافِقُهُمْ وَيُعِينُهُمْ، ﴿فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ (٥١) فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾: أَيْ: نِفَاقٌ، يَعْنِي: عَبْدَ اللهِ بْنَ أُبَيٍّ وَأَصْحَابَهُ مِنَ الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ يُوَالُونَ الْيَهُودَ ﴿يُسَـٰرِعُونَ فِيهِمْ﴾: فِي مَعُونَتِهِمْ وَمُوَالَاتِهِمْ ﴿يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ﴾: دَوْلَةٌ، يَعْنِي: أَنْ يَدُولَ الدَّهْرُ دَوْلَةً فَنَحْتَاجُ إِلَى نَصْرِهِمْ إِيَّانَا، **وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ** رضي الله عنهما: مَعْنَاهُ: نَخْشَى أَنْ لَا يَتِمَّ أَمْرُ مُحَمَّدٍ فَيَدُورُ الْأَمْرُ عَلَيْنَا، **وَقِيلَ**: نَخْشَى أَنْ يَدُورَ الدَّهْرُ عَلَيْنَا بِمَكْرُوهٍ مِنْ جَدْبٍ وَقَحْطٍ، وَلَا يُعْطُونَا الْمِيرَةَ وَالْقَرْضَ(١)، ﴿فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ﴾: **قَالَ قَتَادَةُ وَمُقَاتِلٌ**: بِالْقَضَاءِ الْفَصْلِ مِنْ نَصْرِ مُحَمَّدٍ ﷺ عَلَى مَنْ خَالَفَهُ، **وَقَالَ الْكَلْبِيُّ وَالسُّدِّيُّ**: فَتْحُ مَكَّةَ، **وَقَالَ الضَّحَّاكُ**: فَتْحُ قُرَى الْيَهُودِ، مِثْلُ: خَيْبَرَ، وَفَدَكَ، ﴿أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ﴾: **قِيلَ**: بِإِتْمَامِ أَمْرِ مُحَمَّدٍ ﷺ، **وَقِيلَ**: هُوَ عَذَابٌ لَهُمْ، **وَقِيلَ**: إِجْلَاءُ بَنِي النَّضِيرِ، ﴿فَيُصْبِحُواْ﴾: يَعْنِي: هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ ﴿عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾: مِنْ مُوَالَاةِ الْيَهُودِ وَدَسِّ الْأَخْبَارِ إِلَيهِم، ﴿نَـٰدِمِينَ﴾.

﴿وَ﴾ حِينَئِذٍ ﴿يَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾: قَرَأَ أَهْلُ الكوفة: ﴿وَيَقُولُ﴾: بِالْوَاوِ وَالرَّفْعِ عَلَى الِاسْتِئْنَافِ، وَقَرَأَ أَهْلُ الْبَصْرَةِ بِالْوَاوِ وَنَصْبِ اللَّامِ عَطْفًا عَلَى ﴿أَن يَأْتِىَ﴾، أَيْ: وَعَسَى أَنْ يَقُولَ الَّذِينَ آمَنُوا، وَقَرَأَ الْآخَرُونَ بِحَذْفِ الْوَاوِ وَرَفْعِ اللَّامِ، وَكَذَلِكَ هُوَ فِي مَصَاحِفِ أَهْلِ الْعَالِيَةِ اسْتِغْنَاءً عَنْ حَرْفِ الْعَطْفِ بِمُلَابَسَةِ هَذِهِ الْآيَةِ بِمَا قَبْلَهَا، يَعْنِي:

---

(١) المِيرَة: الطَّعَام يجمع للسَّفر ونحوه. والقَرْض: ما تُعطيه غيرَك من مَالٍ على أن يردَّهُ إليك، وما يُقدَّم من عمل يُلتمس عليه الجزاء، وما أسلف الإنسان من إساءة وإحسان وفي التَّنزيل العزيز: ﴿وَأَقْرِضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ والقَرْضُ الحسنُ قرض بِدُونِ ربح أو فائدة تجارية. «المعجم الوسيط» (٢/ ٨٩٣)، (٢/ ٧٢٧).

يَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا فِي وَقْتِ إِظْهَارِ اللهِ تَعَالَى نِفَاقَ المُنَافِقِينَ، ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ﴾: حَلَفُوا بِاللهِ ﴿جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ﴾: أَيْ: حَلَفُوا بِأَغْلَظِ الْأَيْمَانِ ﴿إِنَّهُمۡ لَمَعَكُمۡ﴾: أَيْ: إِنَّهُمْ لَمُؤْمِنُونَ يُرِيدُ: أَنَّ المُؤْمِنِينَ حِينَئِذٍ يَتَعَجَّبُونَ مِنْ كَذِبِهِمْ وَحَلِفِهِمْ بِالْبَاطِلِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ﴾: بَطَلَ كُلُّ خَيْرٍ عَمِلُوهُ ﴿فَأَصۡبَحُواْ خَٰسِرِينَ﴾: خَسِرُوا الدُّنْيَا بِافْتِضَاحِهِمْ وَالْآخِرَةَ بِالْعَذَابِ وَفَوَاتِ الثَّوَابِ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ٥٤ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ ٥٥ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ﴾

قَوْلُهُ ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾: قَرَأَ أَهْلُ المَدِينَةِ وَالشَّامِ: ﴿يَرْتَدِدْ﴾ بِدَالَيْنِ عَلَى إِظْهَارِ التَّضْعِيفِ ﴿عَن دِينِهِۦ﴾: فَيَرْجِعُ إِلَى الْكُفْرِ، **قَالَ الحَسَنُ**: عَلِمَ اللهُ ﷻ أَنَّ قَوْمًا يَرْجِعُونَ عَنِ الْإِسْلَامِ بَعْدَ مَوْتِ نَبِيِّهِمْ ﷺ، فَأَخْبَرَ أَنَّهُ سَيَأْتِي بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمُ اللهُ وَيُحِبُّونَهُ، **وَاخْتَلَفُوا فِي أُولَئِكَ الْقَوْمِ مَنْ هُمْ؟ قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ** رضي الله عنه **وَالحَسَنُ وَقَتَادَةُ**: هُمْ أَبُو بَكْرٍ وَأَصْحَابُهُ الَّذِينَ قَاتَلُوا أَهْلَ الرِّدَّةِ وَمَانِعِي الزَّكَاةِ.

وَذَلِكَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا قُبِضَ ارْتَدَّ عَامَّةُ الْعَرَبِ إِلَّا أَهْلَ مَكَّةَ وَالمَدِينَةِ وَالْبَحْرَيْنِ مِنْ عَبْدِ الْقَيْسِ، وَمَنَعَ بَعْضُهُمُ الزَّكَاةَ، وَهَمَّ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه بِقِتَالِهِمْ، فَكَرِهَ ذَلِكَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ، **وَقَالَ عُمَرُ** رضي الله عنه: كَيْفَ نُقَاتِلُ النَّاسَ وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَمَنْ قَالَهَا فَقَدْ عَصَمَ مِنِّي مَالَهُ وَنَفْسَهُ إِلَّا بِحَقِّهِ وَحِسَابُهُ عَلَى اللهِ** ﷻ؟»، **فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ**: وَاللهِ لَأُقَاتِلَنَّ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ، فَإِنَّ الزَّكَاةَ حَقُّ المَالِ، وَاللهِ لَوْ مَنَعُونِي عَنَاقًا كَانُوا يُؤَدُّونَهَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ لَقَاتَلْتُهُمْ عَلَى مَنْعِهَا، [**قَالَ عُمَرُ** رضي الله عنه: فَوَاللهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ قَدْ شَرَحَ اللهُ صَدْرَ

أَبِي بَكْرٍ ﵁ فَعَرَفْتُ أَنَّهُ الْحَقُّ[(١)]. قَالَ أَنَسُ بْنِ مَالِكٍ ﵁: كَرِهَتِ الصَّحَابَةُ قِتَالَ مَانِعِي الزَّكَاةِ، وَقَالُوا: أَهْلُ الْقِبْلَةِ، فَتَقَلَّدَ أَبُو بَكْرٍ سَيْفَهُ وَخَرَجَ وَحْدَهُ، فَلَمْ يَجِدُوا بُدًّا مِنَ الْخُرُوجِ عَلَى أَثَرِهِ. قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: كَرِهْنَا ذَلِكَ فِي الابْتِدَاءِ، ثُمَّ حَمِدْنَاهُ عَلَيْهِ فِي الانْتِهَاءِ. قَالَ أَبُو بَكْرِ بْنُ عَيَّاشٍ: سَمِعْتُ أَبَا حُصَيْنٍ يَقُولُ: مَا وُلِدَ بَعْدَ النَّبِيِّينَ مَوْلُودٌ أَفْضَلُ مِنْ أَبِي بَكْرٍ ﵁، لَقَدْ قَامَ مَقَامَ نَبِيٍّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ فِي قِتَالِ أَهْلِ الرِّدَّةِ، وَكَانَ قَدِ ارْتَدَّ فِي حَيَاةِ النَّبِيِّ ﷺ ثَلَاثُ فِرَقٍ.

مِنْهُمْ: بَنُو مَذْحِجْ، وَرَئِيسُهُمْ ذُوْ الْخِمَارِ عَبْهَلَةُ بْنُ كَعْبٍ الْعَنْسِيُّ وَيُلَقَّبُ بِالْأَسْوَدِ وَكَانَ كَاهِنًا مُشَعْبِذًا، فَتَنَبَّأَ بِالْيَمَنِ وَاسْتَوْلَى عَلَى بِلَادِهَا، وَقَتَلَهُ فَيْرُوزُ الدَّيْلَمِيُّ[(٢)].

وَالْفِرْقَةُ الثَّانِيَةُ: بَنُو حَنِيفَةَ بِالْيَمَامَةِ، وَرَئِيسُهُمْ مُسَيْلِمَةُ الكَذَّابُ، وَكَانَ قَدْ تَنَبَّأَ فِي حَيَاةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي آخِرِ سَنَةِ عَشْرٍ، وَزَعَمَ أَنَّهُ أُشْرِكَ مَعَ مُحَمَّدٍ ﷺ فِي النُّبُوَّةِ، وَكَتَبَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ: (مِنْ مُسَيْلِمَةَ رَسُولِ اللهِ إِلَى مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللهِ، أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّ الْأَرْضَ نِصْفُهَا لِي وَنِصْفُهَا لَكَ)، وَبَعَثَ بِذَلِكَ إِلَيْهِ مَعَ رَجُلَيْنِ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ لَهُمَا رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَتَشْهَدَانِ أَنَّ مُسَيْلِمَةَ رَسُولُ اللهِ؟»، قَالَا: نَعَمْ. قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «[آمَنْتُ بِاللهِ وَرُسُلِهِ]، لَوْلَا أَنَّ الرُّسُلَ لَا تُقْتَلُ لَضَرَبْتُ أَعْنَاقَكُمَا»، ثُمَّ أَجَابَ: «مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللهِ إِلَى مُسَيْلِمَةَ الْكَذَّابِ، أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّ الْأَرْضَ للهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ، وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ»[(٣)]، وَمَرِضَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَتُوُفِّيَ، فَبَعَثَ أَبُو بَكْرٍ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ إِلَى مُسَيْلِمَةَ الْكَذَّابِ فِي جَيْشٍ كَثِيرٍ حَتَّى أَهْلَكَهُ اللهُ عَلَى يَدَيْ وَحْشِيٍّ غُلَامِ

(١) **صحيح:** البخاري: (١٤٠٠)، مسلم: (٢٠).

(٢) كما في "الصحيحين": البخاري: (٤٣٧٨)، مسلم: (٢٢٧٣).

(٣) **صحيح:** صححه العلامة الألباني ﵀ في "صحيح أبي داود (الأم)" (٢٤٦٦) عن نُعيم الأشجعي ﵁، وهو في "الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين" (١٩٩٣) عن ابن مسعود ﵁، دون قوله: (من مسيلمة...)، وقولِهِ: «مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللهِ...». وقال العلامة الألباني ﵀: لم يذكر سلمة أو من دونه نَصَّ كتاب مسيلمة الكذاب، وكأن ذلك لسخفه، وتجد نصه في "السيرة"، وفيه: (فقدم عليه رسولان بهذا الكتاب).اهـ

مُطْعِمِ بْنِ عَدِيٍّ الَّذِي قَتَلَ حَمْزَةَ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بَعْدَ حَرْبٍ شَدِيدٍ، وَكَانَ وَحْشِيٌّ يَقُولُ: قَتَلْتُ خَيْرَ النَّاسِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَشَرَّ النَّاسِ فِي الْإِسْلَامِ.

وَالْفِرْقَةُ الثَّالِثَةُ: بَنُو أَسَدٍ وَرَئِيسُهُمْ طُلَيْحَةُ بْنُ خُوَيْلِدِ بْنِ الوَلِيدِ، وَكَانَ طُلَيْحَةُ آخِرَ مَنِ ارْتَدَّ، وَادَّعَى النُّبُوَّةَ فِي حَيَاةِ النَّبِيِّ ﷺ، وَأَوَّلَ مَنْ قُوتِلَ بَعْدَ وَفَاةِ النَّبِيِّ ﷺ مَنْ أَهْلِ الرِّدَّةِ، فَبَعَثَ أَبُو بَكْرٍ خَالِدَ بْنَ الوَلِيدِ فَهَزَمَهُمْ خَالِدٌ بَعْدَ قِتَالٍ شَدِيدٍ، وَأَفْلَتَ طُلَيْحَةُ فَمَرَّ عَلَى وَجْهِهِ هَارِبًا نَحْوَ الشَّامِ، ثُمَّ إِنَّهُ أَسْلَمَ بَعْدَ ذَلِكَ وَحَسُنَ إِسْلَامُهُ.

وَارْتَدَّ بَعْدَ وَفَاةِ النَّبِيِّ ﷺ فِي خِلَافَةِ أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنه خَلْقٌ كَثِيرٌ، حَتَّى كَفَى اللهُ الْمُسْلِمِينَ أَمْرَهُمْ وَنَصَرَ دِينَهُ عَلَى يَدَيْ أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنه، **قَالَتْ عَائِشَةُ**: تُوُفِّيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَارْتَدَّتِ الْعَرَبُ وَاشْرَأَبَّ النِّفَاقُ، وَنَزَلَ بِأَبِي بَكْرٍ مَا لَوْ نَزَلَ بِالْجِبَالِ الرَّاسِيَاتِ لَهَاضَهَا. [أَيْ: كَسَرَهَا وَأَضْعَفَهَا].

وَقَالَ قَوْمٌ: الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾: هَمُ الْأَشْعَرِيُّونَ[(١)]، **رُوِيَ عَنْ عِيَاضِ بْنِ عَمْرٍو الْأَشْعَرِيِّ** قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**هُمْ قَوْمُ هَذَا**» وَأَشَارَ إِلَى أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ وَكَانُوا مِنَ الْيَمَنِ[(٢)].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**أَتَاكُمْ أَهْلُ الْيَمَنِ، هُمْ أَضْعَفُ قُلُوبًا وَأَرَقُّ أَفْئِدَةً، الْإِيمَانُ يَمَانٍ، وَالْحِكْمَةُ يَمَانِيَّةٌ**»[(٣)].

---

(١) وهذه الآية نزلت في فضل أهل اليمن، وأما قوله ﷺ: «**هُمْ قَوْمُ هَذَا**» وَأَشَارَ إِلَى أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ: هذا من باب ذكر الخاص وإرادة العام؛ لما دلت عليه الأدلة المتواترة، والله أعلم.

(٢) **صحيح**: صحَّحه العلامة الألباني رحمه الله في "الصحيحة" (٣٣٦٨).

(٣) **صحيح**: البخاري: (٤٣٩٠)، مسلم: (٥٢). **وقولُهُ**: «**الْإِيمَانُ يَمَانٍ**»: مبتدأ وخبره، قال القاضي عياض رحمه الله: أي: مُعظَم أهله يمانون، والقائمون به يمانون، والناصرون له... وقيل: معناه: أهل اليمن أكمل الناس إيمانًا. **وقولُهُ**: «**وَالْحِكْمَةُ يَمَانِيَّةٌ**»: قال القاري: أراد بالحكمة الفقه في الدين، وقيل: كلُّ كلمة صالحة تمنع صاحبها عن الوقوع في الْهَلَكَة، ولمّا كانت قلوبهم معادن الإيمان، وينابيع الحكمة، وكانت الخصلتان منتهى هممهم، نُسِب الإيمان والحكمة إلى معادن نفوسهم، ومساقط رؤوسهم نسبةَ الشيء إلى مقرِّه. "البحر المحيط الثجاج" (٢/ ٢٦٠-٢٦٣).

قَوْلُهُ ﷻ: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: يَعْنِي: أَرِقَّاءَ رُحَمَاءَ؛ لِقَوْلِهِ ﷻ: ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ﴾[الإِسْرَاء:٢٤]، وَلَمْ يُرِدْ بِهِ الْهَوَانَ، بَلْ أَرَادَ بِهِ أَنَّ جَانِبَهُمْ لَيِّنٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ. **وَقِيلَ**: هُوَ مِنَ الذُّلِّ، مِنْ قَوْلِهِمْ: (دَابَّةٌ ذَلُولٌ)، يَعْنِي: أَنَّهُمْ مُتَوَاضِعُونَ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا﴾[الفُرْقَان:٦٣]، ﴿أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾: أَيْ: أَشِدَّاء غِلَاظ عَلَى الكُفَّارِ، يُعَازُونَهُمْ وَيُغَالِبُونَهُمْ، مِنْ قَوْلِهِمْ: (عَزَّهُ)، أَيْ: غَلَبَهُ. **قَالَ عَطَاءٌ**: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: كَالْوَلَدِ لِوَالِدِهِ وَالْعَبْدِ لِسَيِّدِهِ، ﴿أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾: كَالسَّبُعِ عَلَى فَرِيسَتِهِ، نَظِيرُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفَتْح:٢٩]، ﴿يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾: يَعْنِي: لَا يَخَافُونَ فِي اللهِ لَوْمَ النَّاسِ، وَذَلِكَ أَنَّ الْمُنَافِقِينَ كَانُوا يُرَاقِبُونَ الْكُفَّارَ وَيَخَافُونَ لَوْمَهُمْ، **وَرُوِّينَا عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ** قَالَ: بَايَعْنَا رَسُولَ اللهِ ﷺ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَأَنْ نَقُومَ، أَوْ: نَقُولَ بِالحَقِّ حَيْثُمَا كُنَّا، لَا نَخَافُ فِي اللهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ[(١)].

﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾: أَيْ: مَحَبَّتُهُمْ للهِ وَلِينُ جَانِبِهِمْ لِلْمُسْلِمِينَ وَشِدَّتُهُمْ عَلَى الْكَافِرِينَ مِنْ فَضْلِ اللهِ عَلَيْهِمْ، ﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾.

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾: **قَالَ جُوَيْبِرٌ عَنِ الضَّحَّاكِ فِي قَوْلِهِ**: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾: **قَالَ**: هُمُ الْمُؤْمِنُونَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ، ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ۝٥٤ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾: يَعْنِي: يَتَوَلَّى الْقِيَامَ بِطَاعَةِ اللهِ وَنُصْرَةِ رَسُولِهِ وَالْمُؤْمِنِينَ، ﴿فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ﴾: يَعْنِي: أَنْصَارَ دِينِ اللهِ، ﴿هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝٥٧ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾

قَوْلُهُ ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا﴾: بِإِظْهَارِ ذَلِكَ بِأَلْسِنَتِهِمْ قَوْلًا وَهُمْ مُسْتَبْطِنُونَ الْكُفْرَ ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ﴾: يَعْنِي: الْيَهُودَ ﴿وَٱلْكُفَّارَ﴾

---

(١) **صحيح**: البخاري: (٧١٩٩)، مسلم: (١٧٠٩).

قَرَأَ أَهْلُ البَصْرَةِ وَالكِسَائِيُّ: ﴿وَالْكُفَّارِ﴾ بِخَفْضِ الرَّاءِ، يَعْنِي: وَمِنَ الْكُفَّارِ، وَقَرَأَ الْآخَرُونَ بِالنَّصْبِ، أَيْ: لَا تَتَّخِذُوا الْكُفَّارَ ﴿أَوْلِيَآءَۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝٥٧ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوٗا وَلَعِبٗاۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٞ لَّا يَعْقِلُونَ﴾: [أَيْ: وَكَذَلِكَ إِذَا أَذَّنْتُمْ دَاعِينَ إِلَى الصَّلَاةِ الَّتِي هِيَ أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ لِمَنْ يَعْقِلُ وَيَعْلَمُ مِنْ ذَوِي الْأَلْبَابِ: ﴿ٱتَّخَذُوهَا﴾: أَيْضًا ﴿هُزُوٗا وَلَعِبٗاۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٞ لَّا يَعْقِلُونَ﴾: مَعَانِي عِبَادَةِ اللهِ وَشَرَائِعِهِ].

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ ۝٥٩ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرّٖ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَۚ أُوْلَٰٓئِكَ شَرّٞ مَّكَانٗا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ۝٦٠ وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَقَد دَّخَلُواْ بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُواْ بِهِۦۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُواْ يَكْتُمُونَ ۝٦١ وَتَرَىٰ كَثِيرٗا مِّنْهُمْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَۚ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ۝٦٢ لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَۚ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ﴾

قَوْلُهُ ﷻ: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ﴾: الْآيَةَ، قَرَأَ الْكِسَائِيُّ: ﴿هَلْ تَنقِمُونَ﴾ بِإِدْغَامِ اللَّامِ فِي التَّاءِ وَكَذَلِكَ يُدْغِمُ لَامَ (هَلْ) فِي (التَّاءِ، وَالثَّاءِ، وَالنُّونِ) وَوَافَقَهُ حَمْزَةُ فِي (التَّاءِ، وَالثَّاءِ)، وَأَبُو عَمْرٍو فِي: ﴿هَلْ تَرَىٰ﴾، فِي مَوْضِعَيْنِ: [(المُلْك:٣)، (الحاقة:٨)].

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ﴾: أَيْ: تَكْرَهُونَ مِنَّا، ﴿إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ﴾: أَيْ: هَلْ تَكْرَهُونَ مِنَّا إِلَّا إِيمَانَنَا وَفِسْقَكُمْ، أَيْ: إِنَّمَا كَرِهْتُمْ إِيمَانَنَا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّا عَلَى حَقٍّ؛ لِأَنَّكُمْ فَسَقْتُمْ بِأَنْ أَقَمْتُمْ عَلَى دِينِكُمْ لِحُبِّ الرِّيَاسَةِ وَحُبِّ الأَمْوَالِ. ثُمَّ قَالَ: ﴿قُلْ﴾: يَا مُحَمَّدُ ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُم﴾: أُخْبِرُكُمْ ﴿بِشَرّٖ مِّن ذَٰلِكَ﴾: الَّذِي ذَكَرْتُمْ، فَذَكَرَ الْجَوَابَ بِلَفْظِ الِابْتِدَاءِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ الِابْتِدَاءُ شَرًّا؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرّٖ مِّن ذَٰلِكُمُۗ ٱلنَّارُ﴾[الحَجّ:٧٢]، ﴿مَثُوبَةً﴾: ثَوَابًا وَجَزَاءً، نُصِبَ عَلَى التَّفْسِيرِ، ﴿عِندَ ٱللَّهِۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ﴾: أَيْ: هُوَ مَنْ لَعَنَهُ اللهُ، ﴿وَغَضِبَ عَلَيْهِ﴾: يَعْنِي: الْيَهُودَ، ﴿وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَۚ﴾: أَيْ: جُعِلَ مِنْهُمْ مَنْ عَبَدَ الطَّاغُوتَ، أَيْ: أَطَاعَ

الشَّيْطَانَ فِيمَا سَوَّلَ لَهُ، وَتَصْدِيقُهَا قِرَاءَةُ ابْنِ مَسْعُودٍ: ﴿وَمَنْ عَبَدُوا الطَّاغُوتَ﴾، وَقَرَأَ حَمْزَةُ: ﴿وَعَبُدَ﴾ بِضَمِّ الْبَاءِ ﴿الطَّاغُوتِ﴾ بِجَرِّ التَّاءِ، أَرَادَ: (الْعَبُدَ)، وَهُمَا لُغَتَانِ: (عَبْدٌ) بِجَزْمِ الْبَاءِ وَ(عَبُدٌ) بِضَمِّ الْبَاءِ، مِثْلُ: (سَبْعٌ، وَسَبُعٌ)، وَقِيلَ: هُوَ جَمْعُ الْعِبَادِ، وَقَرَأَ الْحَسَنُ: ﴿وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ عَلَى الْوَاحِدِ، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾: أَيْ: عَنْ طَرِيقِ الْحَقِّ.

﴿وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓاْ﴾: يَعْنِي: هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ، وَقِيلَ: هُمُ الَّذِينَ قَالُوا ﴿ءَامِنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ﴾[آل عِمْرَان:٧٢]، دَخَلُوا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَقَالُوا: ﴿ءَامَنَّا﴾: بِكَ وَصَدَّقْنَاكَ فِيمَا قُلْتَ، وَهُمْ يُسِرُّونَ الْكُفْرَ، ﴿وَقَد دَّخَلُواْ بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُواْ بِهِۦ﴾: يَعْنِي: دَخَلُوا كَافِرِينَ وَخَرَجُوا كَافِرِينَ، ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُواْ يَكْتُمُونَ﴾.

﴿وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ﴾: يَعْنِي: مِنَ الْيَهُودِ ﴿يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾: قِيلَ: الْإِثْمُ: الْمَعَاصِي، وَالْعُدْوَانُ: الظُّلْمُ، وَقِيلَ: الْإِثْمُ: مَا كَتَمُوا مِنَ التَّوْرَاةِ، وَالْعُدْوَانُ: مَا زَادُوا فِيهَا، ﴿وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ﴾: الرِّشَا، ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾ لَوْلَا﴾: هَلَّا ﴿يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ﴾: يَعْنِي: الْعُلَمَاءَ، قِيلَ: الرَّبَّانِيُّونَ: عُلَمَاءُ النَّصَارَى، وَالْأَحْبَارُ: عُلَمَاءُ الْيَهُودِ، ﴿عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ﴾.

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ كُلَّمَآ أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي ٱلْأَرْضِ فَسَادًا وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾: أَيْ: مَحْبُوسَةٌ مَقْبُوضَةٌ عَنِ الرِّزْقِ، نَسَبُوهُ إِلَى الْبُخْلِ تَعَالَى اللهُ عَنْ ذَلِكَ، وَقَالَ الْحَسَنُ: مَعْنَاهُ: يَدُ اللهِ مَكْفُوفَةٌ عَنْ عَذَابِنَا، فَلَيْسَ يُعَذِّبُنَا إِلَّا مَا تَبَرُّ بِهِ قَسَمُهُ قَدْرَ مَا عَبَدَ آبَاؤُنَا الْعِجْلَ، وَالْأَوَّلُ أَوْلَى؛ لِقَوْلِهِ: ﴿يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾. ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾: أَيْ: أُمْسِكَتْ أَيْدِيهِمْ عَنِ الْخَيْرَاتِ، وَقَالَ الزَّجَّاجُ: أَجَابَهُمُ اللهُ تَعَالَى فَقَالَ: أَنَا الْجَوَّادُ وَهُمُ الْبُخَلَاءُ، وَأَيْدِيهِمْ هِيَ الْمَغْلُولَةُ الْمُمْسِكَةُ، وَقِيلَ: هُوَ مِنَ

الْغَلِّ فِي النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴾[غَافِر: ٧١]، ﴿وَلُعِنُوا۟﴾: عُذِّبُوا، [**وَأَصْلُ اللَّعْنِ**: الطَّرْدُ وَالْبُعْدُ]، ﴿بِمَا قَالُوا۟﴾: فَمِنْ لَعْنِهِمْ أَنَّهُمْ مُسِخُوا قِرَدَةً وَخَنَازِيرَ، وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالمَسْكَنَةُ فِي الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ بِالنَّارِ، ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾: وَيَدُ الله صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِ ذَاتِهِ، كَالسَّمْعِ، وَالْبَصَرِ وَالْوَجْهِ، وَقَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾[ص:٧٥]، وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**كِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ**»[١]، وَاللهُ أَعْلَمُ بِصِفَاتِهِ، فَعَلَى الْعِبَادِ فِيهَا الْإِيمَانُ وَالتَّسْلِيمُ، **وَقَالَ أَئِمَّةُ السَّلَفِ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ فِي هَذِهِ الصِّفَاتِ**: أَمِرُّوهَا كَمَا جَاءَتْ بِلَا كَيْفَ.

﴿يُنفِقُ﴾: يَرْزُقُ ﴿كَيْفَ يَشَآءُ ۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۚ﴾: أَيْ: كُلَّمَا نَزَلَتْ آيَةٌ كَفَرُوا بِهَا وَازْدَادُوا طُغْيَانًا وَكُفْرًا، ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ﴾: يَعْنِي: بَيْنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، **قَالَهُ الْحَسَنُ وَمُجَاهِدٌ**. **وَقِيلَ**: بَيْنَ طَوَائِفِ الْيَهُودِ جَعَلَهُمُ اللهُ مُخْتَلِفِينَ فِي دِينِهِمْ مُتَبَاغِضِينَ ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ۚ﴾: **قِيلَ**: كُلَّمَا أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ لِيُفْسِدُوا أَمْرَ مُحَمَّدٍ ﷺ وَأَوْقَدُوا نَارَ الْمُحَارَبَةِ أَطْفَأَهَا اللهُ، فَرَدَّهُمْ وَقَهَرَهُمْ وَنَصَرَ نَبِيَّهُ وَدِينَهُ، **هَذَا مَعْنَى قَوْلِ الْحَسَنِ**[٢]، **وَقَالَ قَتَادَةُ**: هَذَا عَامٌّ فِي كُلِّ حَرْبٍ طَلَبَتْهُ الْيَهُودُ، فَلَا تَلْقَى الْيَهُودَ فِي بَلَدٍ إِلَّا وَجَدْتَهُمْ مِنْ أَذَلِّ النَّاسِ، ﴿وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾.

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَٰهُمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ۚ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ءَامَنُوا۟﴾: بِمُحَمَّدٍ ﷺ ﴿وَٱتَّقَوْا۟﴾: الْكُفْرَ ﴿لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ

---

(١) **صحيح**: مسلم: (١٨٢٧).

(٢) قال العلامة العثيمين رَحِمَهُ اللهُ: أي: لم ينالوا بها مرادهم، وليس المعنى أنَّ الحربَ لم تقم، بل تقوم الحرب -وقد قامت بينهم وبين المسلمين في عدة وقائع- لكن النتيجة: أنَّ اللهَ يطفؤُها ولا يحقق لهم ما يريدون.اهـ "تفسير (سورة المائدة)" (٢/ ١١٢).

سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَأَدۡخَلۡنَٰهُمۡ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٦٥﴾ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ أَقَامُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ﴾: يَعْنِي: أَقَامُوا أَحْكَامَهُمَا وَحُدُودَهُمَا وَعَمِلُوا بِمَا فِيهِمَا، ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِم مِّن رَّبِّهِمۡ﴾: يَعْنِي الْقُرْآنَ، **وَقِيلَ**: كُتُبُ أَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، ﴿لَأَكَلُواْ مِن فَوۡقِهِمۡ وَمِن تَحۡتِ أَرۡجُلِهِمۚ﴾: **قِيلَ**: ﴿مِن فَوۡقِهِمۡ﴾: هُوَ الْمَطَرُ، ﴿وَمِن تَحۡتِ أَرۡجُلِهِمۚ﴾: نَبَاتُ الْأَرْضِ. **قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ** رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: لَأَنْزَلْتُ عَلَيْهِمُ الْقَطْرَ وَأَخْرَجْتُ لَهُمْ مِنْ نَبَاتِ الْأَرْضِ. **وَقَالَ الْفَرَّاءُ**: أَرَادَ بِهِ: التَّوْسِعَةَ فِي الرِّزْقِ، كَمَا يُقَالُ: (فُلَانٌ فِي الْخَيْرِ مِنْ قَرْنِهِ [-أَيْ: رَأْسِهِ-] إِلَى قَدَمِهِ)، وَنَظِيرُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾[الْأَعْرَاف:٩٦].

﴿مِّنۡهُمۡ أُمَّةٞ مُّقۡتَصِدَةٞۖ﴾: يَعْنِي: مُؤْمِنِي أَهْلِ الْكِتَابِ عَبْدَ اللهِ بْنَ سَلَامٍ وَأَصْحَابَهُ، ﴿مُّقۡتَصِدَةٞۖ﴾: أَيْ: عَادِلَةٌ غَيْرُ غَالِيَةٍ، وَلَا مُقَصِّرَةٍ جَافِيَةٍ. **وَمَعْنَى الِاقْتِصَادِ فِي اللُّغَةِ**: الِاعْتِدَالُ فِي الْعَمَلِ مِنْ غَيْرِ غُلُوٍّ وَلَا تَقْصِيرٍ، ﴿وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ﴾: كَعْبُ بْنُ الْأَشْرَفِ وَأَصْحَابُهُ، ﴿سَآءَ مَا يَعۡمَلُونَ﴾: بِئْسَ شَيْئًا عَمَلُهُمْ، **قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ** رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: عَمِلُوا الْقَبِيحَ مَعَ التَّكْذِيبِ بِالنَّبِيِّ ﷺ.

﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾

قَوْلُهُ ﷻ: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ﴾: قَرَأَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ وَالشَّامِ وَأَبُو بَكْرٍ وَيَعْقُوبُ: ﴿رِسَالَاتِهِ﴾ عَلَى الْجَمْعِ، وَالْبَاقُونَ ﴿رِسَالَتَهُۥۚ﴾ عَلَى التَّوْحِيدِ، **وَمَعْنَى الْآيَةِ**: إِنْ لَمْ تُبَلِّغِ الْجَمِيعَ وَتَرَكْتَ بَعْضَهُ، فَمَا بَلَّغْتَ شَيْئًا، أَيْ: جُرْمُكَ فِي تَرْكِ تَبْلِيغِ الْبَعْضِ كَجُرْمِكَ فِي تَرْكِ تَبْلِيغِ الْكُلِّ؛ كَقَوْلِهِ: ﴿وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ﴾ [النِّسَاء:١٥٠-١٥١] أَخْبَرَ أَنَّ كُفْرَهُمْ بِالْبَعْضِ مُحْبِطٌ لِلْإِيمَانِ بِالْبَعْضِ. **وَقِيلَ** ﴿بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ﴾: أَيْ: أَظْهِرْ تَبْلِيغَهُ، كَقَوْلِهِ: ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ﴾[الْحِجْر:٩٤]، ﴿وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ﴾: فَإِنْ لَمْ تُظْهِرْ تَبْلِيغَهُ ﴿فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ﴾: أَمَرَهُ بِتَبْلِيغِ مَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مُجَاهِرًا مُحْتَسِبًا صَابِرًا، غَيْرَ خَائِفٍ، فَإِنْ أَخْفَيْتَ مِنْهُ شَيْئًا لِخَوْفٍ يَلْحَقُكَ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ، ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ

﴿مِنَ ٱلنَّاسِۗ﴾: يَحْفَظُكَ وَيَمْنَعُكَ مِنَ النَّاسِ، **فَإِنْ قِيلَ**: أَلَيْسَ قَدْ شُجَّ رَأْسُهُ وَكُسِرَتْ رَبَاعِيَتُهُ وَأُوذِيَ بِضُرُوبٍ مِنَ الْأَذَى؟ **قِيلَ**: مَعْنَاهُ: يَعْصِمُكَ مِنَ الْقَتْلِ فَلَا يَصِلُونَ إِلَى قَتْلِكَ.

وَقِيلَ: نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ بَعْدَمَا شُجَّ رَأْسُهُ؛ لِأَنَّ سُورَةَ المَائِدَةِ مِنْ آخِرِ مَا نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ. **وَقِيلَ**: وَاللهُ يَخُصُّكَ بِالْعِصْمَةِ مِنْ بَيْنِ النَّاسِ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَعْصُومٌ، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾.

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنهما، أَخْبَرَ أَنَّهُ غَزَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ قِبَلَ نَجْدٍ، فَلَمَّا قَفَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَفَلَ مَعَهُ فَأَدْرَكَتْهُمُ الْقَائِلَةُ فِي وَادٍ كَثِيرِ الْعِضَاةِ، فَنَزَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَتَفَرَّقَ النَّاسُ يَسْتَظِلُّونَ بِالشَّجَرِ، فَنَزَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ تَحْتَ شَجَرَةٍ وَعَلَّقَ بِهَا سَيْفَهُ وَنِمْنَا نَوْمَةً، فَإِذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدْعُونَا وَإِذَا عِنْدَهُ أَعْرَابِيٌّ، فَقَالَ: **«إِنَّ هَذَا اخْتَرَطَ سَيْفِي وَأَنَا نَائِمٌ، فَاسْتَيْقَظْتُ وَهُوَ فِي يَدِهِ صَلْتًا، فَقَالَ: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ فَقُلْتُ: اللهُ، ثَلَاثًا»**، وَلَمْ يُعَاقِبْهُ وَجَلَسَ[(١)].

---

(١) **صحيح**: البخاري: (٢٩١٠)، مسلم: (٨٤٣). **وقولُهُ**: (قَفَلَ): أي: رجع. **وقولُهُ**: (القَائِلَةُ): أي: وسط النهار وشدة الحر. **وقولُهُ**: (العِضَاةِ): كل شجر يعظم له شوك، وقيل: هو العظيم من السمر مطلقًا. **وقولُهُ**: «صَلْتًا»: أي: مُجَرَّدًا عن غِمْدِهِ. «الفتح» (٧/ ٤٢٧).

قال العلامة الإمام مُقبل بن هادي الوادعي رَحِمَهُ اللهُ: **قال الإمامُ ابنُ حِبَّان** رَحِمَهُ اللهُ في «الموارد» صـ(٤٣٠): أخبرنا عبد الله بن محمد الأزدي، حدثنا إسحاق بن إبراهيم الحنظلي، أنبأنا مؤمل بن إسماعيل، حدثنا حماد بن سلمة، حدثنا محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، **عن أبي هُريرة** قال: كان رسول الله ﷺ إذا نزل منزلًا نظروا أعظم شجرة يرونها، فجعلوها للنبي ﷺ فينزل تحتها، وينزل أصحابه بعد ذلك في ظِلِّ الشجر، فبينما هو نازل تحت شجرة وقد علَّق السيف عليها، إذ جاء أعرابي فأخذ السيف من الشجرة، ثم دنا من النبي ﷺ وهو نائمٌ، فأيقظه فقال: يا محمد، من يمنعك مني اللَّيلةَ؟ فقال النبي ﷺ: «اللهُ» فأنزل الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ﴾ الآية. هذا حديث حسن؛ فإن محمد بن عمرو قال فيه الحافظ الذهبي في «الميزان»: إنه حسن الحديث، ومؤمل بن إسماعيل تكلموا في حفظه، ولكن قد توبع كما في «تفسير ابن كثير» جـ(٢) صـ(٧٩)، فقد تابعه آدم وهو ابن أبي إياس، ذكره ابن كثير بسند ابن مردويه. «الصحيح المسند من أسباب النزول» صـ(١٠١-١٠٢).

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَامِرِ بْنِ رَبِيعَةَ قَالَ: سَمِعْتُ عَائِشَةَ رضي الله عنها تَقُولُ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ سَهِرَ، فَلَمَّا قَدِمَ المَدِينَةَ قَالَ: «لَيْتَ رَجُلًا صَالِحًا مِنْ أَصْحَابِي يَحْرُسُنِي اللَّيْلَةَ»، إِذْ سَمِعْنَا صَوْتَ سِلَاحٍ، فَقَالَ: «مَنْ هَذَا؟»، قَالَ: أَنَا سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ جِئْتُ لِأَحْرُسَكَ، وَنَامَ النَّبِيُّ ﷺ[(١)].

وَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ شَقِيقٍ عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُحْرَسُ حَتَّى نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ﴾، فَأَخْرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ رَأْسَهُ مِنَ الْقُبَّةِ فَقَالَ لَهُمْ: «أَيُّهَا النَّاسُ انْصَرِفُوا فَقَدْ عَصَمَنِي اللهُ ﷻ»[(٢)].

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًاۖ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٩﴾ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًاۖ كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا۟ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾ وَحَسِبُوٓا۟ أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا۟ وَصَمُّوا۟ ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا۟ وَصَمُّوا۟ كَثِيرٌ مِّنْهُمْۚ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾

قَوْلُهُ ﷻ: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ

(١) **صحيح:** البخاري: (٢٨٨٥)، مسلم: (٢٤١٠).

(٢) قال العلامة الألباني رحمه الله في «الصحيحة» (٥/ ٦٤٤-٦٤٥): أخرجه الترمذي (٢/ ١٧٥) وابن جرير (٦/ ١٩٩) والحاكم (٢/ ٣١٣)، من طريق الحارث بن عبيد، عن سعيد الجريري، عن عبد الله بن شقيق، عن عائشة قالت: فذكره. وقال الترمذي: (حديث غريب). وروى بعضهم هذا الحديث عن الجريري، عن عبد الله بن شقيق، قال: كان النبي ﷺ يحرس... ولم يذكروا فيه: عن عائشة. قلتُ: وهذا أصح؛ لأن الحارث بن عبيد -وهو أبو قدامة الإيادي- فيه ضعف من قبل حفظه، أشار إليه الحافظ بقوله: (صدوق يُخطئ)، وقد خالفه بعض الذين أشار إليهم الترمذي، ومنهم إسماعيل بن عُليَّة الثقة الحافظ، رواه ابن جرير بإسنادين عنه عن الجريري به مرسلًا. قلت: فهو **صحيح مُرسَلا**، وأما قول الحاكم عقب المسند عن عائشة: (صحيح الإسناد)، فمردود؛ لما ذكرنا، وإن تابعه الذهبي. نعم الحديث صحيح، فإن له شاهدًا من حديث أبي هريرة...إلخ، وذكر له شواهد أُخرى.

﴿إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾: أَيْ: تُقِيمُوا أَحْكَامَهُمَا وَمَا يَجِبُ عَلَيْكُمْ فِيهِمَا، ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ﴾: فَلَا تَحْزَنْ، ﴿عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَىٰ﴾: وَكَانَ حَقُّهُ (وَالصَّابِئِينَ)، وَقَدْ ذَكَرْنَا فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ وَجْهَ ارْتِفَاعِهِ **وَقَالَ سِيبَوَيْهِ**: فِيهِ تَقْدِيمٌ وَتَأْخِيرٌ تَقْدِيرُهُ: إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللهِ... إِلَى آخِرِ الآيَةِ، وَالصَّابِئُونَ كَذَلِكَ. **وَقَوْلُهُ**: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾: أَيْ: بِاللِّسَانِ، **وَقَوْلُهُ**: ﴿مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ﴾: أَيْ: بِالْقَلْبِ، **وَقِيلَ**: الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى حَقِيقَةِ الْإِيمَانِ، ﴿مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ﴾: أَيْ: ثَبَتَ عَلَى الْإِيمَانِ، ﴿وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾: فِي التَّوْحِيدِ وَالنُّبُوَّةِ، ﴿وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا﴾: عِيسَى وَمُحَمَّدًا صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمَا، ﴿وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾: يَحْيَى وَزَكَرِيَّا.

﴿وَحَسِبُوا﴾: أَيْ: ظَنُّوا ﴿أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾: أَيْ: عَذَابٌ وَقَتْلٌ، **وَقِيلَ**: ابْتِلَاءٌ وَاخْتِبَارٌ، أَيْ: ظَنُّوا أَنْ لَا يُبْتَلَوْا وَلَا يُعَذِّبَهُمُ اللهُ، قَرَأَ أَهْلُ الْبَصْرَةِ وَحَمْزَةُ وَالْكِسَائِيُّ: ﴿تَكُونُ﴾ بِرَفْعِ النُّونِ عَلَى مَعْنَى أَنَّهَا لَا تَكُونُ وَنَصَبَهَا الْآخَرُونَ كَمَا لَوْ لَمْ يَكُنْ قَبْلَهُ (لَا) ﴿فَعَمُوا﴾: عَنِ الْحَقِّ فَلَمْ يُبْصِرُوهُ ﴿وَصَمُّوا﴾: عَنْهُ فَلَمْ يَسْمَعُوهُ، يَعْنِي: عَمُوا وَصَمُّوا بَعْدَ مُوسَى صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ، ﴿ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾: بِبَعْثِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، ﴿ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِّنْهُمْ﴾: بِالْكُفْرِ بِمُحَمَّدٍ ﷺ، ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾.

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ (٧٢) لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٣) أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٧٤) مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ ۗ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ

ٱلْأَيَـٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ﴾ وَهُمُ الْمَلْكَانِيَّةُ وَالْيَعْقُوبِيَّةُ مِنْهُمْ، ﴿وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَـٰثَةٍ ﴾: يَعْنِي: الْمَرْقُوسِيَّةَ وَفِيهِ إِضْمَارٌ مَعْنَاهُ: ثَالِثُ ثَلَاثَةِ آلِهَةٍ لِأَنَّهُمْ يَقُولُونَ: الْإِلَهِيَّةُ مُشْتَرَكَةٌ بَيْنَ اللهِ تَعَالَى وَمَرْيَمَ وَعِيسَى وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْ هَؤُلَاءِ إِلَهٌ، فَهُمْ ثَلَاثَةُ آلِهَةٍ، يُبَيِّنُ هَذَا قَوْلُهُ ﷻ لِلْمَسِيحِ: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾[المَائِدَة:١١٦]، وَمَنْ قَالَ: إِنَّ اللهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَلَمْ يُرِدْ بِهِ الْإِلَهِيَّةَ لَا يَكْفُرُ؛ فَإِنَّ اللهَ يَقُولُ: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَـٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ ﴾[المُجَادَلَة:٧]، وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِأَبِي بَكْرٍ رضي الله عنه: «مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللهُ ثَالِثُهُمَا»[(١)].

ثُمَّ قَالَ رَدًّا عَلَيْهِمْ: ﴿وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ﴾: لِيُصِيبَنَّ ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾: خَصَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لِعِلْمِهِ أَنَّ بَعْضَهُمْ يُؤْمِنُونَ. ﴿ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ ﴾: قَالَ الْفَرَّاءُ: هَذَا أَمْرٌ بِلَفْظِ الِاسْتِفْهَامِ، كَقَوْلِهِ تعالى: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾[المَائِدَة:٩١]، أَيِ: انْتَهُوا، وَالْمَعْنَى: أَنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ بِالتَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ مِنْ هَذَا الذَّنْبِ الْعَظِيمِ، ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ ﴾: مَضَتْ ﴿مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ﴾: أَيْ: لَيْسَ هُوَ بِإِلَهٍ، بَلْ هُوَ كَالرُّسُلِ الَّذِينَ مَضَوْا لَمْ يَكُونُوا آلِهَةً، ﴿وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ ﴾: أَيْ: كَثِيرَةُ الصِّدْقِ، وَقِيلَ: سُمِّيَتْ صِدِّيقَةً؛ لِأَنَّهَا صَدَّقَتْ بِآيَاتِ اللهِ، كَمَا قَالَ ﷻ فِي وَصْفِهَا: ﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَـٰتِ رَبِّهَا ﴾[التَّحْرِيم: ١٢] ﴿كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ﴾: أَيْ: كَانَا يَعِيشَانِ بِالطَّعَامِ وَالْغِذَاءِ كَسَائِرِ الْآدَمِيِّينَ فَكَيْفَ يَكُونُ إِلَهًا مَنْ لَا يُقِيمُهُ إِلَّا أَكْلُ الطَّعَامِ؟! وَقِيلَ: هَذَا كِنَايَةٌ عَنِ الْحَدَثِ، وَذَلِكَ

(١) **صحيح:** البخاري: (٣٦٥٣)، مسلم: (٢٣٨١).

أَنَّ مَنْ أَكَلَ وَشَرِبَ لَا بُدَّ لَهُ مِنَ الْبَوْلِ وَالْغَائِطِ، وَمَنْ هَذِهِ صِفَتُهُ كَيْفَ يَكُونُ إِلَهًا؟! ثُمَّ قَالَ: ﴿ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرۡ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ﴾: أَيْ: يُصْرَفُونَ عَنِ الْحَقِّ، ﴿قُلۡ أَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗاۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾.

﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ
مِن قَبۡلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ
إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴿٧٨﴾
كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَىٰ
كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ يَتَوَلَّوۡنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ لَبِئۡسَ مَا قَدَّمَتۡ لَهُمۡ أَنفُسُهُمۡ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ
وَفِي ٱلۡعَذَابِ هُمۡ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوۡ كَانُواْ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِيِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَا
ٱتَّخَذُوهُمۡ أَوۡلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ﴾

﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ﴾: أَيْ: لَا تَتَجَاوَزُوا الْحَدَّ، وَالْغُلُوُّ وَالتَّقْصِيرُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مَذْمُومٌ فِي الدِّينِ، **وَقَوْلُهُ**: ﴿غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ﴾: أَيْ: فِي دِينِكُمُ الْمُخَالِفِ لِلْحَقِّ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ خَالَفُوا الْحَقَّ فِي دِينِهِمْ، ثُمَّ غَلَوْا فِيهِ بِالْإِصْرَارِ عَلَيْهِ، ﴿وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ﴾: **وَالْأَهْوَاءُ**: جَمْعُ (الْهَوَى)، وَهُوَ مَا تَدْعُو إِلَيْهِ شَهْوَةُ النَّفْسِ، ﴿قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ﴾: يَعْنِي: رُؤَسَاءَ الضَّلَالَةِ مِنْ فَرِيقَيِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَالْخِطَابُ لِلَّذِينَ كَانُوا فِي عَصْرِ النَّبِيِّ ﷺ نُهُوا عَنِ اتِّبَاعِ أَسْلَافِهِمْ فِيمَا ابْتَدَعُوهُ بِأَهْوَائِهِمْ ﴿وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا﴾: يَعْنِي: مَنِ اتَّبَعَهُمْ عَلَى أَهْوَائِهِمْ، ﴿وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾: عَنْ قَصْدِ الطَّرِيقِ، أَيْ: بِالْإِضْلَالِ، فَالضَّلَالُ الْأَوَّلُ: مِنَ الضَّلَالَةِ، وَالثَّانِي: بِإِضْلَالِ مَنِ اتَّبَعَهُمْ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ﴾: أَيْ: لَا يَنْهَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا، ﴿لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَىٰ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ﴾: **قِيلَ**: مِنَ الْيَهُودِ كَعْبُ بْنُ الْأَشْرَفِ وَأَصْحَابُهُ ﴿يَتَوَلَّوۡنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ﴾:

مُشْرِكِي مَكَّةَ حِينَ خَرَجُوا إِلَيْهِمْ يُجَيِّشُونَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، **وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٌ وَالْحَسَنُ**: ﴿مِّنْهُمْ﴾: يَعْنِي مِنَ الْمُنَافِقِينَ يَتَوَلَّوْنَ الْيَهُودَ ﴿لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾: بِئْسَ مَا قَدَّمُوا مِنَ الْعَمَلِ لِمَعَادِهِمْ فِي الْآخِرَةِ، ﴿أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾: غَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ ﴿وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ﴾: مُحَمَّدٍ ﷺ، ﴿وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ﴾: يَعْنِي: الْقُرْآنَ، ﴿مَا اتَّخَذُوهُمْ﴾: يَعْنِي: الْكُفَّارَ ﴿أَوْلِيَاءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾: أَيْ: خَارِجُونَ عَنْ أَمْرِ اللهِ ﷻ.

﴿۞ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ ﴿٨٤﴾ فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾

قَوْلُهُ ﷻ: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾: يَعْنِي: مُشْرِكِي الْعَرَبِ ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ﴾: لَمْ يُرِدْ بِهِ جَمِيعَ النَّصَارَى؛ لِأَنَّهُمْ فِي عَدَاوَتِهِمُ الْمُسْلِمِينَ كَالْيَهُودِ فِي قَتْلِهِمُ الْمُسْلِمِينَ، وَأَسْرِهِمْ، وَتَخْرِيبِ بِلَادِهِمْ، وَهَدْمِ مَسَاجِدِهِمْ، وَإِحْرَاقِ مَصَاحِفِهِمْ، لَا وَلَاءَ وَلَا كَرَامَةَ لَهُمْ، بَلِ الْآيَةُ فِيمَنْ أَسْلَمَ مِنْهُمْ مِثْلُ النَّجَاشِيِّ وَأَصْحَابِهِ. **وَقِيلَ**: نَزَلَتْ فِي جَمِيعِ الْيَهُودِ وَجَمِيعِ النَّصَارَى؛ لِأَنَّ الْيَهُودَ أَقْسَى قَلْبًا وَالنَّصَارَى أَلْيَنُ قَلْبًا مِنْهُمْ، وَكَانُوا أَقَلَّ مُظَاهَرَةً لِلْمُشْرِكِينَ مِنَ الْيَهُودِ، ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ﴾: أَيْ: عُلَمَاءَ، **قَالَ قُطْرُبٌ: الْقَسُّ، وَالْقِسِّيسُ**: الْعَالِمُ بِلُغَةِ الرُّومِ، ﴿وَرُهْبَانًا﴾: **الرُّهْبَانُ**: الْعُبَّادُ أَصْحَابُ الصَّوَامِعِ، وَاحِدُهُمْ: (رَاهِبٌ) مِثْلُ: (فَارِسٍ، وَفُرْسَانٍ، وَرَاكِبٍ وَرُكْبَانٍ)، وَقَدْ يَكُونُ وَاحِدًا وَجَمْعُهُ (رَهَابِينُ) مِثْلُ (قُرْبَانٍ وَقَرَابِينَ) ﴿وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ لَا يَتَعَظَّمُونَ

عَنِ الْإِيمَانِ وَالْإِذْعَانِ لِلْحَقِّ، ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ﴾: مُحَمَّد ﷺ ﴿تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ﴾: تَسِيلُ ﴿مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾: يَعْنِي أُمَّةَ مُحَمَّدٍ ﷺ(١)، دَلِيلُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾[الْبَقَرَة:١٤٣].

﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ﴾: وَذَلِكَ أَنَّ الْيَهُودَ عَيَّرُوهُمْ وَقَالُوا لَهُمْ: لِمَ آمَنْتُمْ؟ فَأَجَابُوهُمْ بِهَذَا، ﴿وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ﴾: أَيْ: فِي أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، بَيَانُهُ: ﴿أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾[الأنبياء:١٠٥]. ﴿فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ﴾: أَعْطَاهُمُ اللهُ ﴿بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾: وَإِنَّمَا أَنْجَحَ قَوْلَهُمْ وَعَلَّقَ الثَّوَابَ بِالْقَوْلِ؛ لِاقْتِرَانِهِ بِالْإِخْلَاصِ، بِدَلِيلِ قَوْلِهِ: ﴿وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾: يَعْنِي: الْمُوَحِّدِينَ الْمُؤْمِنِينَ، وَقَوْلُهُ: ﴿تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ﴾: يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْإِخْلَاصَ وَالْمَعْرِفَةَ بِالْقَلْبِ مَعَ الْقَوْلِ يَكُونُ إِيمَانًا. ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (٨٧) وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ (٨٨) لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الْأَيْمَانَ ۖ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ۚ ذَٰلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ۚ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾: الْآيَةَ. رُوِيَ عَنْ

---

(١) قال العلامة الإمام الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ: قال الإمامُ ابنُ أبي حاتم رَحِمَهُ اللَّهُ ج(٣) ص(٢٣): حدثنا أَبِي، حدثنا عمرو ابن علي، حدثنا عمر بن علي المُقدَّمِي، قال: سمعتُ هشامَ بنَ عُروة، يحدث عن أبيه، عن عبد الله بن الزبير قال: نزلت هذه الآية في النجاشي وأصحابه: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ﴾ الآية. الحديث رجالُهُ رجال الصحيح إلا محمد بن إدريس والد ابن أبي حاتم، وهو حافظ كبير، وقد ساقه الحافظ ابن كثير بهذا السند، عازيًا له للنسائي، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» ج(٩) ص(٤١٩) رواهُ البزَّارُ ورجالُهُ رجالَ الصَّحيح غير محمد بن عثمان بن بحر، وهو ثقة. وأخرجه ابن جرير ج(٧) ص(٥) بهذا السند عن شيخه عمرو بن علي، وهو الفلَّاس. «الصحيح المسند من أسباب النزول» ص(١٠٢).

عِكْرِمَةَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي إِذَا أَصَبْتُ اللَّحْمَ انْتَشَرْتُ لِلنِّسَاءِ وَأَخَذَتْنِي شَهْوَتِي فَحَرَّمْتُ عَلَيَّ اللَّحْمَ، فَأَنْزَلَ اللهُ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًاۚ﴾[المَائِدَة:٨٨][1]. يَعْنِي: اللَّذَّاتِ الَّتِي تَشْتَهِيهَا النُّفُوسُ مِمَّا أَحَلَّ اللهُ لَكُمْ مِنَ الْمَطَاعِمِ الطَّيِّبَةِ وَالْمَشَارِبِ اللَّذِيذَةِ، ﴿وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ﴾: وَلَا تُجَاوِزُوا الْحَلَالَ إِلَى الْحَرَامِ، **وَقِيلَ**: هُوَ جَبُّ الْمَذَاكِيرِ؛ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًاۚ﴾: **قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ الْمُبَارَكِ: الْحَلَالُ**: مَا أَخَذْتَهُ مِنْ وَجْهِهِ، **وَالطَّيِّبُ**: مَا غَذَّى وَأَنْمَى، فَأَمَّا الْجَوَامِدُ كَالطِّينِ وَالتُّرَابِ وَمَا لَا يُغَذِّي فَمَكْرُوهٌ إِلَّا عَلَى وَجْهِ التَّدَاوِي، ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤۡمِنُونَ﴾.

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُحِبُّ الْحَلْوَاءَ وَالْعَسَلَ[2].

قَوْلُهُ ﷻ: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغۡوِ فِيٓ أَيۡمَٰنِكُمۡ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلۡأَيۡمَٰنَۖ﴾: قَرَأَ حَمْزَةُ وَالْكِسَائِيُّ وَأَبُو بَكْرٍ ﴿عَقَدْتُمْ﴾ بِالتَّخْفِيفِ، وَقَرَأَ ابْنُ عَامِرٍ: ﴿عَاقَدْتُمْ﴾ بِالْأَلْفِ، وَقَرَأَ الْآخَرُونَ: ﴿عَقَّدتُّمُ﴾ بِالتَّشْدِيدِ أَيْ: وَكَّدْتُمْ، وَالْمُرَادُ مِنَ الْآيَةِ: قَصَدْتُمْ وَتَعَمَّدْتُمْ ﴿فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ﴾: أَيْ: كَفَّارَةُ مَا عَقَدْتُمُ الْأَيْمَانَ إِذَا حَنِثْتُمْ ﴿إِطۡعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ﴾: **وَاخْتَلَفُوا فِي قَدْرِهِ: فَذَهَبَ قَوْمٌ** إِلَى أَنَّهُ يُطْعِمُ كُلَّ مِسْكِينٍ مُدًّا مِنَ الطَّعَامِ بِمُدِّ النَّبِيِّ ﷺ، وَهُوَ رَطْلٌ وَثُلُثٌ مِنْ غَالِبِ قُوتِ الْبَلَدِ، وَكَذَلِكَ فِي جَمِيعِ الْكَفَّارَاتِ، **وَهُوَ قَوْلُ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ وَابْنِ عَبَّاسٍ وَابْنِ عُمَرَ، وَبِهِ قَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ وَالْقَاسِمُ وَسُلَيْمَانُ بْنُ يَسَارٍ وَعَطَاءٌ وَالْحَسَنُ. وَقَالَ أَهْلُ الْعِرَاقِ**: لِكُلِّ مِسْكِينٍ مُدَّانِ، وَهُوَ نِصْفُ صَاعٍ، **يُرْوَى ذَلِكَ عَنْ عُمَرَ وَعَلِيٍّ** رضي الله عنهما. **وَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ** رضي الله عنه: إِنْ أَطْعَمَ مِنَ الْحِنْطَةِ: فَنِصْفُ صَاعٍ، وَإِنْ أَطْعَمَ مِنْ غَيْرِهَا: فَصَاعٌ، **وَهُوَ قَوْلُ الشَّعْبِيِّ وَالنَّخَعِيِّ وَسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ وَمُجَاهِدٍ وَالْحَكَمِ**.

---

(١) **صحيح:** صحَّحه العلامة الألباني رحمه الله في «صحيح وضعيف سنن الترمذي» (٣٠٥٤).

(٢) **صحيح:** البخاري: (٥٤٣١)، مسلم: (١٤٧٤).

وَلَوْ غَدَّاهُمْ وَعَشَّاهُمْ: لَا يَجُوزُ، **وَجَوَّزَهُ أَبُو حَنِيفَةَ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، **وَيُرْوَى ذَلِكَ عَنْ عَلِيٍّ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وَلَا تَجُوزُ الدَّرَاهِمُ وَالدَّنَانِيرُ وَلَا الْخُبْزُ وَلَا الدَّقِيقُ، بَلْ يَجِبُ إِخْرَاجُ الْحَبِّ إِلَيْهِمْ، **وَجَوَّزَ أَبُو حَنِيفَةَ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كُلَّ ذَلِكَ. وَلَوْ صَرَفَ الْكُلَّ إِلَى مِسْكِينٍ وَاحِدٍ لَا يَجُوزُ، **وَجَوَّزَ أَبُو حَنِيفَةَ** أَنْ يَصْرِفَ طَعَامَ عَشَرَةٍ إِلَى مِسْكِينٍ وَاحِدٍ فِي عَشَرَةِ أَيَّامٍ. وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَصْرِفَ إِلَّا إِلَى مُسْلِمٍ حُرٍّ مُحْتَاجٍ، فَإِنْ صُرِفَ إِلَى ذِمِّيٍّ أَوْ عَبْدٍ أَوْ غَنِيٍّ لَا يَجُوزُ، **وَجَوَّزَ أَبُو حَنِيفَةَ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ صَرْفَهَا إِلَى أَهْلِ الذِّمَّةِ. **وَاتَّفَقُوا** عَلَى أَنَّ صَرْفَ الزَّكَاةِ إِلَى أَهْلِ الذِّمَّةِ لَا يَجُوزُ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ﴾: أَيْ: مِنْ خَيْرِ قُوتِ عِيَالِكُمْ، **وَقَالَ عُبَيْدَةُ السَّلْمَانِيُّ: الْأَوْسَطُ:** الْخُبْزُ وَالْخَلُّ، **وَالْأَعْلَى:** الْخُبْزُ وَاللَّحْمُ، **وَالْأَدْنَى:** الْخُبْزُ الْبُحْتُ، وَالْكُلُّ يُجْزِئُ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَوْ كِسْوَتُهُمْ﴾: كُلُّ مَنْ لَزِمَتْهُ كَفَّارَةُ الْيَمِينِ فَهُوَ فِيهَا مُخَيَّرٌ، إِنْ شَاءَ أَطْعَمَ عَشَرَةً مِنَ الْمَسَاكِينِ، وَإِنْ شَاءَ كَسَاهُمْ، وَإِنْ شَاءَ أَعْتَقَ رَقَبَةً. **فَإِنِ اخْتَارَ الْكُسْوَةَ، فَاخْتَلَفُوا فِي قَدْرِهَا، فَذَهَبَ قَوْمٌ** إِلَى أَنَّهُ يَكْسُو كُلَّ مِسْكِينٍ ثَوْبًا وَاحِدًا مِمَّا يَقَعُ عَلَيْهِ اسْمُ الْكُسْوَةِ، إِزَارٌ، أَوْ رِدَاءٌ، أَوْ قَمِيصٌ، أَوْ سَرَاوِيلُ، أَوْ عِمَامَةٌ، أَوْ كِسَاءٌ، وَنَحْوهَا، **وَهُوَ قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ وَالْحَسَنِ وَمُجَاهِدٍ وَعَطَاءٍ وَطَاوُسٍ، وَإِلَيْهِ ذَهَبَ الشَّافِعِيُّ** رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى. **وَقَالَ مَالِكٌ:** يَجِبُ لِكُلِّ إِنْسَانٍ مَا تَجُوزُ فِيهِ صَلَاتُهُ، فَيَكْسُو الرِّجَالَ ثَوْبًا وَاحِدًا، وَالنِّسَاءَ ثَوْبَيْنِ دِرْعًا وَخِمَارًا. **وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيِّبِ:** لِكُلِّ مِسْكِينٍ ثَوْبَانِ.

قَوْلُهُ جَلَّ: ﴿أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾: وَإِذَا اخْتَارَ الْعِتْقَ يَجِبُ إِعْتَاقُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ، وَكَذَلِكَ جَمِيعُ الْكَفَّارَاتِ، مِثْلُ: كَفَّارَةِ الْقَتْلِ وَالظِّهَارِ وَالْجِمَاعِ فِي نَهَارِ رَمَضَانَ، يَجِبُ فِيهَا إِعْتَاقُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ، **وَأَجَازَ أَبُو حَنِيفَةَ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **وَالثَّوْرِيُّ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِعْتَاقَ الرَّقَبَةِ الْكَافِرَةِ فِي جَمِيعِهَا إِلَّا فِي كَفَّارَةِ الْقَتْلِ؛ لِأَنَّ اللهَ تَعَالَى قَيَّدَ الرَّقَبَةَ فِيهَا بِالْإِيمَانِ، **قُلْنَا:** الْمُطْلَقُ يُحْمَلُ عَلَى الْمُقَيَّدِ كَمَا أَنَّ اللهَ تَعَالَى قَيَّدَ الشَّهَادَةَ بِالْعَدَالَةِ فِي مَوْضِعٍ، فَقَالَ: ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾

[الطَّلَاق:٢]، وَأَطْلَقَ فِي مَوْضِعٍ فَقَالَ: ﴿وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ﴾[الْبَقَرَة:٢٨٢]، ثُمَّ الْعَدَالَةُ شَرْطٌ فِي جَمِيعِهَا حَمْلًا لِلْمُطْلَقِ عَلَى الْمُقَيَّدِ، كَذَلِكَ هَاهُنَا، وَلَا يَجُوزُ إِعْتَاقُ الْمُرْتَدِّ بِالِاتِّفَاقِ عَنِ الْكَفَّارَةِ، وَيُشْتَرَطُ أَنْ يَكُونَ سَلِيمَ الرِّقِّ، حَتَّى لَوْ أَعْتَقَ عَنْ كَفَّارَتِهِ مُكَاتِبًا، أَوْ أُمَّ وَلَدٍ، أَوْ عَبْدًا اشْتَرَاهُ بِشَرْطِ الْعِتْقِ، أَوِ اشْتَرَى قَرِيبَهُ الَّذِي يَعْتِقُ عَلَيْهِ بِنِيَّةِ الْكَفَّارَةِ، يُعْتِقُ وَلَكِنْ لَا يَجُوزُ عَنِ الْكَفَّارَةِ، وَجَوَّزَ أَصْحَابُ الرَّأْيِ عِتْقَ الْمُكَاتَبِ إِذَا لَمْ يَكُنْ أَدَّى شَيْئًا مِنَ النُّجُومِ، وَعِتْقَ الْقَرِيبِ عَنِ الْكَفَّارَةِ. وَيُشْتَرَطُ أَنْ تَكُونَ الرَّقَبَةُ سَلِيمَةً مِنْ كُلِّ عَيْبٍ يَضُرُّ بِالْعَمَلِ ضَرَرًا بَيِّنًا، حَتَّى لَا يَجُوزَ مَقْطُوعُ إِحْدَى الْيَدَيْنِ، أَوْ إِحْدَى الرِّجْلَيْنِ، وَلَا الْأَعْمَى، وَلَا الزَّمِنُ، وَلَا الْمَجْنُونُ الْمُطْبِقُ، وَيَجُوزُ الْأَعْوَرُ، وَالْأَصَمُّ، وَمَقْطُوعُ الْأُذُنَيْنِ وَالْأَنْفِ؛ لِأَنَّ هَذِهِ الْعُيُوبَ لَا تَضُرُّ بِالْعَمَلِ ضَرَرًا بَيِّنًا. وَعِنْدَ أَبِي حَنِيفَةَ رضي الله عنه: كُلُّ عَيْبٍ يُفَوِّتُ جِنْسًا مِنَ الْمَنْفَعَةِ عَلَى الْكَمَالِ يَمْنَعُ الْجَوَازَ، حَتَّى جَوَّزَ مَقْطُوعَ إِحْدَى الْيَدَيْنِ، وَلَمْ يُجَوِّزْ مَقْطُوعَ الْأُذُنَيْنِ.

قَوْلُهُ عز وجل: ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ﴾: إِذَا عَجَزَ الَّذِي لَزِمَتْهُ كَفَّارَةُ الْيَمِينِ عَنِ الْإِطْعَامِ، وَالْكُسْوَةِ، وَتَحْرِيرِ الرَّقَبَةِ، يَجِبُ عَلَيْهِ صَوْمُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، **وَالْعَجْزُ**: أَنْ لَا يَفْضُلَ مِنْ مَالِهِ عَنْ قُوتِهِ وَقُوتِ عِيَالِهِ وَحَاجَتِهِ مَا يُطْعِمُ أَوْ يَكْسُو أَوْ يُعْتِقُ، فَإِنَّهُ يَصُومُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، **وَقَالَ بَعْضُهُمْ**: إِذَا مَلَكَ مَا يُمْكِنُهُ الْإِطْعَامُ وَإِنْ لَمْ يَفْضُلْ عَنْ كِفَايَتِهِ فَلَيْسَ لَهُ الصِّيَامُ، **وَهُوَ قَوْلُ الْحَسَنِ وَسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ**.

وَاخْتَلَفُوا فِي وُجُوبِ التَّتَابُعِ فِي هَذَا الصَّوْمِ: فَذَهَبَ جَمَاعَةٌ إِلَى أَنَّهُ لَا يَجِبُ فِيهِ التَّتَابُعُ، بَلْ إِنْ شَاءَ تَابَعَ وَإِنْ شَاءَ فَرَّقَ، وَالتَّتَابُعُ أَفْضَلُ، وَهُوَ أَحَدُ قَوْلَيِ الشَّافِعِيِّ، **وَذَهَبَ قَوْمٌ** إِلَى أَنَّهُ يَجِبُ فِيهِ التَّتَابُعُ؛ قِيَاسًا عَلَى كَفَّارَةِ الْقَتْلِ وَالظِّهَارِ، **وَهُوَ قَوْلُ الثَّوْرِيِّ وَأَبِي حَنِيفَةَ، وَيَدُلُّ عَلَيْهِ قِرَاءَةُ ابْنُ مَسْعُودٍ** رضي الله عنه: «﴿صِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مُتَتَابِعَاتٍ﴾»[1].

---

(١) **صحيح:** صححه العلَّامة الألباني رحمه الله في "الإرواء" (٢٥٧٨)، وهي ثابتة أيضًا عن ابن عبَّاسٍ وأُبَيِّ بن كعبٍ رضي الله عنهم. ينظر "إرواء الغليل" (٨/ ٢٠٣-٢٠٤).

﴿ ذَٰلِكَ ﴾: أَيْ: ذَلِكَ الَّذِي ذَكَرْتُ ﴿كَفَّٰرَةُ أَيْمَٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ﴾: وَحَنِثْتُمْ؛ فَإِنَّ الْكَفَّارَةَ لَا تَجِبُ إِلَّا بَعْدَ الحِنْثِ. وَاخْتَلَفُوا فِي تَقْدِيمِ الْكَفَّارَةِ عَلَى الْحِنْثِ، فَذَهَبَ قَوْمٌ إِلَى جَوَازِهِ؛ لِمَا رُوِّينَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنِ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ فَرَأَى غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا فَلْيُكَفِّرْ عَنْ يَمِينِهِ، وَلْيَفْعَلِ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ»(١)، وَهُوَ قَوْلُ عُمَرَ وَابْنِ عُمَرَ وَابْنِ عَبَّاسٍ وَعَائِشَةَ رضي الله عنهم، وَبِهِ قَالَ الحَسَنُ وَابْنُ سِيرِينَ وَإِلَيْهِ ذَهَبَ مَالِكٌ وَالْأَوْزَاعِيُّ وَالشَّافِعِيُّ إِلَّا أَنَّ الشَّافِعِيَّ يَقُولُ: إِنْ كَفَّرَ بِالصَّومِ قَبْلَ الحِنْثِ لَا يَجُوزُ؛ لِأَنَّهُ بَدَنِيٌّ، إِنَّمَا يَجُوزُ بِالْإِطْعَامِ أَوِ الْكُسْوَةِ أَوِ الْعِتْقِ كَمَا يَجُوزُ تَقْدِيمُ الزَّكَاةِ عَلَى الحَوْلِ، وَلَا يَجُوزُ تَعْجِيلُ صَوْمِ رَمَضَانَ قَبْلَ وَقْتِهِ، وَذَهَبَ قَوْمٌ إِلَى أَنَّهُ لَا يَجُوزُ تَقْدِيمُ الْكَفَّارَةِ عَلَى الْحِنْثِ، وَبِهِ قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ رضي الله عنه.

قَوْلُهُ ﷻ: ﴿وَٱحْفَظُوٓاْ أَيْمَٰنَكُمْ﴾: قِيلَ: أَرَادَ بِهِ: تَرْكَ الْحَلِفِ، أَيْ: لَا تَحْلِفُوا، وَقِيلَ -وَهُوَ الْأَصَحُّ- أَرَادَ بِهِ: إِذَا حَلَفْتُمْ فَلَا تَحْنَثُوا، فَالْمُرَادُ مِنْهُ: حِفْظُ الْيَمِينِ عَنِ الْحِنْثِ. هَذَا إِذَا لَمْ تَكُنْ يَمِينُهُ عَلَى تَرْكِ مَنْدُوبٍ أَوْ فِعْلِ مَكْرُوهٍ، فَإِنْ حَلَفَ عَلَى فِعْلِ مَكْرُوهٍ أَوْ تَرْكِ مَنْدُوبٍ، فَالْأَفْضَلُ أَنْ يُحَنِّثَ نَفْسَهُ وَيُكَفِّرَ.

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَمُرَةَ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ سَمُرَةَ لَا تَسْأَلِ الْإِمَارَةَ، فَإِنَّكَ إِنْ أُوتِيتَهَا عَنْ مَسْأَلَةٍ وُكِلْتَ إِلَيْهَا، وَإِنْ أُوتِيتَهَا مِنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ أُعِنْتَ عَلَيْهَا، وَإِذَا حَلَفْتَ عَلَى يَمِينٍ فَرَأَيْتَ غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا فَكَفِّرْ عَنْ يَمِينِكَ وَأْتِ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ»(٢). ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُواْ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٩٢﴾ لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓاْ

(١) **صحيح:** مسلم: (١٦٥٠)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) **صحيح:** البخاري: (٦٦٢٢)، مسلم: (١٦٥٢).

إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحْسَنُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾

قَوْلُهُ ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ﴾: أَيِ: الْقِمَارُ، ﴿وَٱلْأَنصَابُ﴾: يَعْنِي: الْأَوْثَانَ، سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَنْصِبُونَهَا، وَاحِدُهَا (نَصْبٌ) بِفَتْحِ النُّونِ وَسُكُونِ الصَّادِ، وَ(نُصُبٌ) بِضَمِّ النُّونِ مُخَفَّفًا وَمُثَقَّلًا، ﴿وَٱلْأَزْلَٰمُ﴾: يَعْنِي: القِدَاحَ الَّتِي كَانُوا يَسْتَقْسِمُونَ بِهَا، وَاحِدُهَا: (زَلَمٌ)، ﴿رِجْسٌ﴾: خَبِيثٌ مُسْتَقْذَرٌ، ﴿مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾: مِنْ تَزْيِينِهِ، ﴿فَٱجْتَنِبُوهُ﴾: رَدَّ الْكِنَايَةَ إِلَى الرِّجْسِ، ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝٩٠ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِي ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ﴾: **أَمَّا العَدَاوَةُ فِي الخَمْرِ**: فَإِنَّ الشَّارِبِينَ إِذَا سَكِرُوا عَرْبَدُوا وَتَشَاجَرُوا كَمَا فَعَلَ الْأَنْصَارِيُّ الَّذِي شَجَّ سَعْدَ بْنَ أَبِي وَقَّاصٍ بِلَحْيِي الجَمَلِ[(١)]. **وَأَمَّا الْعَدَاوَةُ فِي المَيْسِرِ، قَالَ قَتَادَةُ**: كَانَ الرَّجُلُ يُقَامِرُ عَلَى الْأَهْلِ وَالمَالِ، ثُمَّ يَبْقَى حَزِينًا مَسْلُوبَ الأَهْلِ وَالمَالِ مُغْتَاظًا عَلَى حُرَفَائِهِ، ﴿وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ﴾ وَذَلِكَ أَنَّ مَنِ اشْتَغَلَ بِشُرْبِ الخَمْرِ أَوِ القِمَارِ أَلْهَاهُ ذَلِكَ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَشَوَّشَ عَلَيْهِ صَلَاتَهُ ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾: أَيِ: انْتَهُوا، اسْتِفْهَامٌ وَمَعْنَاهُ أَمْرٌ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ﴾[الأنبياء:٨٠][(٢)].

---

(١) **صحيح**: مسلم: (١٧٤٨)، عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، وسيأتي إن شاء الله في (سورة العنكبوت).

(٢) قال الإمام الوادعي رحمه الله: **قال الإمام ابنُ جرير رحمه الله** ج(٧) صـ(٣٤): حدثنا الحسين بن علي الصُّدَائِيُّ قال: حدثنا حَجَّاجُ بنُ المِنهَال، قال: حدثنا ربيعة بن كُلثوم، عن أبيه، عن سعيد بن جبير، **عن ابن عبَّاسٍ**، قال: نزل تحريم الخمر في قبيلتين من قبائل الأنصار، شَرِبُوا، حتى إذا ثَمِلُوا عبث بعضهم ببعض، فلما أن صَحَوا جعل الرَّجُـل منهم يرى الأثر بوجهه ولِحيَتِه، فيقول: فعل بي هذا أخي فلانٌ -وكانوا إخوةً ليس في قلوبهم ضَغَائِنُ- والله لو كان بي رؤُوفًا رحيمًا ما فعل بي هذا. حتى وقعت في قلوبهم الضغائنُ، فأنزل الله: ﴿إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ﴾ إلى قوله ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾، فقال ناس من الْمُتكلِّفِين: هي رجسٌ، وهي في بطن فُلانٍ، قُتل يوم بدر، وقُتل فلانٌ يوم أحد، فأنزل اللهُ: ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓاْ﴾ الآية. الحديث أخرجه الحاكم ج(٤) صـ(١٤٢)، والبيهقي ج(٨) صـ(٢٨٦)، وقال الهيثمي ج(٧) صـ(١٨) في "مجمع الزوائد": رواه الطبرانيُّ، ورجاله رجال الصحيح. أمَّا سند ابن جرير: فرجـاله رجـال الصحيح، إلا الحسـين بن علي الصُّدائي، وهو ثقة. "الصحيح المسند من أسباب النزول" صـ(١٠٤).

﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحۡذَرُواْۚ﴾: المَحَارِمَ وَالمَنَاهِيَ، ﴿فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ﴾.

وَفِي وَعِيدِ شَارِبِ الخَمْرِ مَا رُوِيَ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنهما، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «كُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ، وَإِنَّ حَتْمًا عَلَى اللهِ أَنْ لَا يَشْرَبَهُ عَبْدٌ فِي الدُّنْيَا إِلَّا سَقَاهُ اللهُ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ طِينَةِ الخَبَالِ، هَلْ تَدْرُونَ مَا طِينَةُ الخَبَالِ؟» قَالَ: «عَرَقُ أَهْلِ النَّارِ»[(١)].

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ شَرِبَ الخَمْرَ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ لَمْ يَتُبْ مِنْهَا حُرِمَهَا فِي الْآخِرَةِ»[(٢)].

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما أَنَّهُ قَالَ: أشهد أَنِّي لَسَمِعَتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَهُوَ يَقُولُ: «لَعَنَ اللهُ الخَمْرَ وَشَارِبَهَا وَسَاقِيَهَا وَبَائِعَهَا وَمُبْتَاعَهَا وَعَاصِرَهَا وَمُعْتَصِرَهَا وَحَامِلَهَا وَالمَحْمُولَةَ إِلَيْهِ وَآكِلَ ثَمَنِهَا»[(٣)].

قَوْلُهُ ﷻ: ﴿لَيۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٞ فِيمَا طَعِمُوٓاْ﴾ الآيَة. سَبَبُ نُزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ: أَنَّ الصَّحَابَةَ رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ قَالُوا لَمَّا نَزَلَ تَحْرِيمُ الْخَمْرِ: يَا رَسُولَ اللهِ! كَيْفَ بِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ مَاتُوا وَهُمْ يَشْرَبُونَ الْخَمْرَ وَيَأْكُلُونَ مِنْ مَالِ المَيْسِرِ؟ فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: ﴿لَيۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٞ فِيمَا طَعِمُوٓاْ﴾[(٤)]: وَشَرِبُوا مِنَ

---

(١) **صحيح:** مسلم: (٢٠٠٢).

(٢) **صحيح:** البخاري: (٥٥٧٥)، مسلم: (٢٠٠٣).

(٣) **صحيح:** صححه العلامة الألباني رَحِمَهُ اللهُ في «الإرواء» (٢٣٨٥).

(٤) قال الإمام الوادعي رَحِمَهُ اللهُ: **قال الإمام البُخاريُّ** رَحِمَهُ اللهُ ج(٦) ص(٣٦): حدثني محمد بن عبد الرحيم أبو يحيى، أخبرنا عفان، حدثنا حماد بن زيد، حدثنا ثابتٌ، **عن أنس** رضي الله عنه: كنت ساقيَ القوم في منزل أبي طلحة، وكان خمرُهُم يومئذ الفضيخَ، فأمر رسولُ الله ﷺ مُناديًا ينادي: ألَا إنَّ الخمرَ قد حُرِّمَتْ. قال: فقال لي أبو طلحة: اخرُجْ فأَهْرِقْها، فخرجت فهرقتُها، فَجَرَتْ في سِكَكِ المدينةِ، فقال بعض القوم: قد قُتل قومٌ وهي في بطونهم، فأنزل اللهُ: ﴿لَيۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٞ فِيمَا طَعِمُوٓاْ﴾ الآية. الحديث أخرجه أيضًا البخاري في «التفسير» ج(٩) ص(٣٤٨)، ومسلم ج(١٣) ص(٣٤٩)، والإمام أحمد ج(٣) ص(٢٢٧)، والدارمي ج(٢) ص(١١١). «الصحيح المسند من أسباب النزول» ص(١٠٤-١٠٥).

الْخَمْرِ وَأَكَلُوا مِنْ مَالِ الْمَيْسِرِ ﴿إِذَا مَا ٱتَّقَواْ﴾: الشِّرْكَ ﴿وَّءَامَنُواْ﴾: وَصَدَّقُوا، ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَواْ﴾: الْخَمْرَ وَالْمَيْسِرَ بَعْدَ تَحْرِيمِهَا ﴿وَّءَامَنُواْ ثُمَّ ٱتَّقَواْ﴾: مَا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِمْ أَكْلَهُ وَشُرْبَهُ، ﴿وَّأَحْسَنُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾: وَقِيلَ: مَعْنَى الأَوَّلِ: ﴿إِذَا مَا ٱتَّقَواْ﴾: الشِّرْكَ ﴿وَّءَامَنُواْ﴾: وَصَدَّقُوا، ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَواْ﴾: أَيْ: دَاوَمُوا عَلَى ذَلِكَ التَّقْوَى، ﴿وَّءَامَنُواْ﴾: ازْدَادُوا إِيمَانًا، ﴿ثُمَّ ٱتَّقَواْ﴾: الْمَعَاصِيَ كُلَّهَا ﴿وَّأَحْسَنُواْۚ﴾، وَقِيلَ: أَيِ: اتَّقَوْا بِالْإِحْسَانِ، وَكُلُّ مُحْسِنٍ مُتَّقٍ، ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَيَبۡلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلصَّيۡدِ تَنَالُهُۥٓ أَيۡدِيكُمۡ وَرِمَاحُكُمۡ لِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٩٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡتُلُواْ ٱلصَّيۡدَ وَأَنتُمۡ حُرُمٞۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآءٞ مِّثۡلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحۡكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ هَدۡيَۢا بَٰلِغَ ٱلۡكَعۡبَةِ أَوۡ كَفَّٰرَةٞ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوۡ عَدۡلُ ذَٰلِكَ صِيَامٗا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمۡرِهِۦۗ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَۚ وَمَنۡ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنۡهُۚ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٩٥﴾ أُحِلَّ لَكُمۡ صَيۡدُ ٱلۡبَحۡرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعٗا لَّكُمۡ وَلِلسَّيَّارَةِۖ وَحُرِّمَ عَلَيۡكُمۡ صَيۡدُ ٱلۡبَرِّ مَا دُمۡتُمۡ حُرُمٗاۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴾

قَوْلُهُ ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَيَبۡلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ ﴾: لَيَخْتَبِرَنَّكُمُ اللهُ، وَفَائِدَةُ الْبَلْوَى: إِظْهَارُ الْمُطِيعِ مِنَ الْعَاصِي، وَإِلَّا فَلَا حَاجَةَ لَهُ إِلَى الْبَلْوَى بِشَيْءٍ مِنَ الصَّيْدِ، وَإِنَّمَا بَعَّضَ فَقَالَ: ﴿بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلصَّيۡدِ﴾؛ لِأَنَّهُ ابْتَلَاهُمْ بِصَيْدِ الْبَرِّ خَاصَّةً، ﴿تَنَالُهُۥٓ أَيۡدِيكُمۡ﴾: يَعْنِي: الْفَرْخَ وَالْبَيْضَ وَمَا لَا يَقْدِرُ أَنْ يَفِرَّ مِنْ صِغَارِ الصَّيْدِ، ﴿وَرِمَاحُكُمۡ﴾: يَعْنِي: الْكِبَارَ مِنَ الصَّيْدِ؛ ﴿لِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ﴾: لِيَرَى اللهُ؛ لِأَنَّهُ قَدْ عَلِمَهُ، ﴿مَن يَخَافُهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ﴾: أَيْ: يَخَافُ اللهَ وَلَمْ يَرَهُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ﴾[الأَنْبِيَاء:٤٩] أَيْ: يَخَافُهُ فَلَا يَصْطَادُ فِي حَالِ الْإِحْرَامِ ﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ﴾: أَيْ: صَادَ بَعْدَ تَحْرِيمِهِ ﴿فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾.

قَوْلُهُ ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡتُلُواْ ٱلصَّيۡدَ وَأَنتُمۡ حُرُمٞۚ﴾: أَيْ: مُحْرِمُونَ بِالْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ وَهُوَ جَمْعُ (حَرَامٍ)، يُقَالُ: (رَجُلٌ حَرَامٌ، وَامْرَأَةٌ حَرَامٌ)، وَقَدْ يَكُونُ مِنْ دُخُولِ الْحَرَمِ، يُقَالُ: (أَحْرَمَ الرَّجُلُ) إِذَا عَقَدَ الْإِحْرَامَ، وَ(أَحْرَمَ) إِذَا دَخَلَ الْحَرَمَ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا﴾: **اخْتَلَفُوا فِي هَذَا الْعَمْدِ، فَقَالَ قَوْمٌ**: هُوَ الْعَمْدُ بِقَتْلِ الصَّيْدِ مَعَ نِسْيَانِ الْإِحْرَامِ، أَمَّا إِذَا قَتَلَهُ عَمْدًا وَهُوَ ذَاكِرٌ لِإِحْرَامِهِ فَلَا حُكْمَ عَلَيْهِ وَأَمْرُهُ إِلَى اللهِ؛ لِأَنَّهُ أَعْظَمُ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ كَفَّارَةٌ، **وَهُوَ قَوْلُ مُجَاهِدٍ وَالْحَسَنِ وَقَالَ آخَرُونَ** هُوَ أَنْ يَعْمِدَ الْمُحْرِمُ قَتْلَ الصَّيْدِ ذَاكِرًا لِإِحْرَامِهِ فَعَلَيْهِ الْكَفَّارَةُ. **وَاخْتَلَفُوا فِيمَا لَوْ قَتَلَهُ خَطأً، فَذَهَبَ أَكْثَرُ الْفُقَهَاءِ** إِلَى أَنَّ الْعَمْدَ وَالْخَطَأَ سَوَاءٌ فِي لُزُومِ الكَفَّارَةِ، **وقال الزُّهْرِيُّ**: عَلَى الْمُتَعَمِّدِ بِالْكِتَابِ وَعَلَى الْمُخْطِئِ بِالسُّنَّةِ، **وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ**: لَا تَجِبُ كَفَّارَةُ الصَّيْدِ بِقَتْلِ الْخَطَأِ، بَلْ يَخْتَصُّ بِالْعَمْدِ.

قَوْلُهُ ﷻ: ﴿فَجَزَآءٌ مِّثْلُ﴾: قَرَأَ أَهْلُ الْكُوفَةِ وَيَعْقُوبُ: ﴿فَجَزَآءٌ﴾ مُنَوَّنٌ، ﴿مِّثْلُ﴾: رُفِعَ عَلَى الْبَدَلِ مِنَ الْجَزَاءِ، وَقَرَأَ الْآخَرُونَ بِالْإِضَافَةِ ﴿فَجَزاءُ مِثْلِ﴾. ﴿مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ﴾: مَعْنَاهُ: أَنَّهُ يَجِبُ عَلَيْهِ مِثْلُ ذَلِكَ الصَّيْدِ مِنَ النَّعَمِ، وَأَرَادَ بِهِ مَا يَقْرُبُ مِنَ الصَّيْدِ المَقْتُولِ شَبَهًا مِنْ حَيْثُ الْخِلْقَةِ لَا مِنْ حَيْثُ الْقِيمَةِ، ﴿يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾: أَيْ: يَحْكُمُ بِالْجَزَاءِ رَجُلَانِ عَدْلَانِ، وَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَا فَقِيهَيْنِ يَنْظُرَانِ إِلَى أَشْبَهِ الْأَشْيَاءِ بِهِ مِنَ النَّعَمِ فَيَحْكُمَانِ بِهِ.

وَمِمَّنْ ذَهَبَ إِلَى إِيجَابِ الْمِثْلِ مِنَ النَّعَمِ: عُمَرُ وَعُثْمَانُ وَعَلِيٌّ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ وَابْنُ عُمَرَ وَابْنُ عَبَّاسٍ، وَغَيْرُهُمْ مِنَ الصَّحَابَةِ ﭫ، حَكَمُوا فِي بُلْدَانٍ مُخْتَلِفَةٍ وَأَزْمَانٍ شَتَّى بِالْمِثْلِ مِنَ النَّعَمِ، يَحْكُمُ حَاكِمٌ فِي النَّعَامَةِ بِبَدَنَةٍ وَهِيَ لَا تُسَاوِي بَدَنَةً، وَفِي حِمَارِ الْوَحْشِ بِبَقَرَةٍ وَهِيَ لَا تُسَاوِي بَقَرَةً، وَفِي الضَّبُعِ بِكَبْشٍ وَهِيَ لَا تُسَاوِي كَبْشًا، فَدَلَّ أَنَّهُمْ نَظَرُوا إِلَى مَا يَقْرُبُ مِنَ الصَّيْدِ شَبَهًا مِنْ حَيْثُ الخِلْقَةِ، وَتَجِبُ فِي الْحَمَامِ شَاةٌ، وَهُوَ كُلُّ مَا عَبَّ[(١)] وَهَدَرَ [-أَيْ صَوَّتَ-] مِنَ الطَّيْرِ كَالفَاخِتَةِ وَالقُمْرِيِّ وَالدُّبْسِيِّ[(٢)].

---

(١) الْعَبُّ: شُربُ الماء من غير مصٍّ يُقال: (عَبَّ فِي الْإِنَاءِ يَعُبُّ عَبًّا) إذا شرب شُربًا عنيفًا. قاله ابن فارس.

(٢) الفَاخِتَةُ: ضربٌ من الحمام المطوق إذا مشى توسَّع في مَشْيه وباعد بين جناحيه وإبطيه وتمايل، وجمعُهُ: فَوَاخِت. والقُمْرِيُّ: ضربٌ من الحمام مُطَوَّقٌ حسنُ الصَّوْت، وجمعُهُ: قُمرٌ، والأُنْثَى: قُمْرِيَّة، وجمعُها: =

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، أَنَّ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ رضي الله عنه قَضَى فِي الضَّبُعِ بِكَبْشٍ، وَفِي الْغَزَالِ بِعَنْزٍ، وَفِي الْأَرْنَبِ بِعَنَاقٍ، وَفِي الْيَرْبُوعِ بِجَفْرَةٍ[(١)].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ﴾: أَيْ: يُهْدِي تِلْكَ الْكَفَّارَةَ إِلَى الْكَعْبَةِ، فَيَذْبَحُهَا بِمَكَّةَ وَيَتَصَدَّقُ بِلَحْمِهَا عَلَى مَسَاكِينِ الْحَرَمِ ﴿أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا﴾ قَالَ الْفَرَّاءُ رَحِمَهُ اللهُ: الْعِدْلُ -بِالْكَسْرِ-: الْمِثْلُ مِنْ جِنْسِهِ، وَالْعَدْلُ -بِالْفَتْحِ-: الْمِثْلُ مِنْ غَيْرِ جِنْسِهِ، وَأَرَادَ بِهِ: أَنَّهُ فِي جَزَاءِ الصَّيْدِ مُخَيَّرٌ بَيْنَ أَنْ يَذْبَحَ الْمِثْلَ مِنَ النَّعَمِ فَيَتَصَدَّقَ بِلَحْمِهِ عَلَى مَسَاكِينِ الْحَرَمِ، وَبَيْنَ أَنْ يُقَوِّمَ الْمِثْلَ دَرَاهِمَ، وَالدَّرَاهِمَ طَعَامًا، فَيَتَصَدَّقَ بِالطَّعَامِ عَلَى مَسَاكِينِ الْحَرَمِ، أَوْ يَصُومَ عَنْ كُلِّ مُدٍّ مِنَ الطَّعَامِ يَوْمًا، وَلَهُ أَنْ يَصُومَ حَيْثُ شَاءَ؛ لِأَنَّهُ لَا نَفْعَ فِيهِ لِلْمَسَاكِينِ. وَقَالَ مَالِكٌ: إِنْ لَمْ يُخْرِجِ الْمِثْلَ يُقَوِّمُ الصَّيْدَ ثُمَّ يَجْعَلُ الْقِيمَةَ طَعَامًا فَيَتَصَدَّقُ بِهِ، أَوْ يَصُومُ. وَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ رضي الله عنه: لَا يَجِبُ الْمِثْلُ مِنَ النَّعَمِ، بَلْ يُقَوِّمُ الصَّيْدَ، فَإِنْ شَاءَ صَرَفَ تِلْكَ الْقِيمَةَ إِلَى شَيْءٍ مِنَ النَّعَمِ، وَإِنْ شَاءَ إِلَى الطَّعَامِ فَيَتَصَدَّقُ بِهِ، وَإِنْ شَاءَ صَامَ عَنْ كُلِّ نِصْفِ صَاعٍ مِنْ بُرٍّ أَوْ صَاعٍ مِنْ غَيْرِهِ يَوْمًا. وَقَالَ الشَّعْبِيُّ وَالنَّخَعِيُّ: جَزَاءُ الصَّيْدِ عَلَى التَّرْتِيبِ، وَالْآيَةُ حُجَّةٌ لِمَنْ ذَهَبَ إِلَى التَّخْيِيرِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ﴾: أَيْ: جَزَاءَ مَعْصِيَتِهِ، ﴿عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ﴾: يَعْنِي: قَبْلَ التَّحْرِيمِ وَنُزُولِ الْآيَةِ، قَالَ السُّدِّيُّ: ﴿عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ﴾: فِي الْجَاهِلِيَّةِ، ﴿وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ﴾: فِي الْآخِرَةِ، ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾: وَإِذَا تَكَرَّرَ مِنَ الْمُحْرِمِ قَتْلُ الصَّيْدِ فَيَتَعَدَّدُ عَلَيْهِ الْجَزَاءُ عِنْدَ عَامَّةِ أَهْلِ الْعِلْمِ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: إِذَا قَتَلَ الْمُحْرِمُ صَيْدًا مُتَعَمِّدًا يُسْأَلُ هَلْ قَتَلْتَ قَبْلَهُ شَيْئًا مِنَ الصَّيْدِ؟ فَإِنْ قَالَ: (نَعَمْ) لَمْ يُحْكَمْ عَلَيْهِ، وَقِيلَ لَهُ: اذْهَبْ يَنْتَقِمُ اللهُ مِنْكَ، وَإِنْ قَالَ: (لَمْ أَقْتُلْ قَبْلَهُ شَيْئًا) حُكِمَ عَلَيْهِ، فَإِنْ عَادَ بَعْدَ ذَلِكَ

= قُمَارِي. الدُّبْسِيُّ: طائِر أَدْكَنُ يُقَرْقِرُ، وجمعُهُ: دُبَاسِي. «المعجم الوسيط» (٢/ ٦٧٦)، (٢/ ٧٥٨)، (١/ ٢٧٠)، و«القاموس المحيط» صـ(٥٤٣).

(١) **صحيح:** صحَّحه العلامة الألباني رَحِمَهُ اللهُ في «الإرواء» (١٠٥١).

لَمْ يُحْكَمْ عَلَيْهِ، وَلَكِنْ يُمْلَأُ ظَهْرُهُ وَصَدْرُهُ ضَرْبًا وَجِيعًا.

وَاخْتَلَفُوا فِي الْمُحْرِمِ هَلْ يَجُوزُ لَهُ أَكْلُ لَحْمِ الصَّيْدِ؟ فَذَهَبَ قَوْمٌ إِلَى أَنَّهُ لَا يَحِلُّ لَهُ بِحَالٍ، وَيُرْوَى ذَلِكَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَهُوَ قَوْلُ طَاوُسٍ، وَبِهِ قَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ، وَاحْتَجُّوا بِمَا **رُوِيَ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ، عَنِ الصَّعْبِ بْنِ جَثَّامَةَ اللَّيْثِيِّ،** أَنَّهُ أَهْدَى لِرَسُولِ اللهِ ﷺ حِمَارًا وَحْشِيًّا وَهُوَ بِالْأَبْوَاءِ، -أَوْ بِوَدَّانَ- فَرَدَّهُ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ، قَالَ: فَلَمَّا رَأَى رَسُولُ اللهِ ﷺ مَا فِي وَجْهِي، قَالَ: «**إِنَّا لَمْ نَرُدَّهُ عَلَيْكَ إِلَّا أَنَّا حُرُمٌ**»[(١)].

وَذَهَبَ الْأَكْثَرُونَ: إِلَى أَنَّهُ يَجُوزُ لِلْمُحْرِمِ أَكْلُهُ إِذَا لَمْ يَصْطَدْ بِنَفْسِهِ، وَلَا اصْطِيدَ لِأَجْلِهِ أَوْ بِإِشَارَتِهِ، **وَهُوَ قَوْلُ عُمَرَ وَعُثْمَانَ وَأَبِي هُرَيْرَةَ، وَبِهِ قَالَ عَطَاءٌ وَمُجَاهِدٌ وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، وَهُوَ مَذْهَبُ مَالِكٍ وَالشَّافِعِيِّ وَأَحْمَدَ وَإِسْحَاقَ وَأَصْحَابِ الرَّأْيِ،** وَإِنَّمَا رَدَّ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى الصَّعْبِ بْنِ جَثَّامَةَ؛ لِأَنَّهُ ظَنَّ أَنَّهُ صِيدَ مِنْ أَجْلِهِ، وَالدَّلِيلُ عَلَى جَوَازِهِ **مَا رُوِيَ عَنْ أَبِي قَتَادَةَ بْنِ رِبْعِيٍّ الْأَنْصَارِيِّ** رضي الله عنه، أَنَّهُ كَانَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، حَتَّى إِذَا كَانَ بِبَعْضِ طَرِيقِ مَكَّةَ تَخَلَّفَ مَعَ أَصْحَابٍ لَهُ مُحْرِمِينَ وَهُوَ غَيْرُ مُحْرِمٍ، فَرَأَى حِمَارًا وَحْشِيًّا، فَاسْتَوَى عَلَى فَرَسِهِ، وَسَأَلَ أَصْحَابَهُ أَنْ يُنَاوِلُوهُ سَوْطَهُ فَأَبَوْا، فَسَأَلَهُمْ رُمْحَهُ فَأَبَوْا، فَأَخَذَهُ ثُمَّ شَدَّ عَلَى الْحِمَارِ فَقَتَلَهُ، فَأَكَلَ مِنْهُ بَعْضُ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَأَبَى بَعْضُهُمْ، فَلَمَّا أَدْرَكُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ سَأَلُوهُ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: «**إِنَّمَا هِيَ طُعْمَةٌ أَطْعَمَكُمُوهَا اللهُ تَعَالَى**»[(٢)].

وَإِذَا أَتْلَفَ الْمُحْرِمُ شَيْئًا مِنَ الصَّيْدِ لَا مِثْلَ لَهُ مِنَ النَّعَمِ، مِثْلُ: بَيْضٍ أَوْ طَائِرٍ دُونَ الْحَمَامِ فَفِيهِ قِيمَةٌ يَصْرِفُهَا إِلَى الطَّعَامِ، فَيَتَصَدَّقُ بِهِ أَوْ يَصُومُ عَنْ كُلِّ مُدٍّ يَوْمًا. **وَاخْتَلَفُوا فِي الْجَرَادِ:** فَرَخَّصَ فِيهِ قَوْمٌ لِلْمُحْرِمِ، وَقَالُوا: هُوَ مِنْ صَيْدِ الْبَحْرِ، **رُوِيَ ذَلِكَ عَنْ كَعْبِ الْأَحْبَارِ، وَالْأَكْثَرُونَ** عَلَى أَنَّهَا لَا تَحِلُّ، فَإِنْ أَصَابَهَا فَعَلَيْهِ صَدَقَةٌ، **قَالَ عُمَرُ:** فِي

(١) **صحيح:** البخاري: (١٨٢٥)، مسلم: (١١٩٣).

(٢) **صحيح:** البخاري: (٢٩١٤)، مسلم: (١١٩٦).

الْجَرَادِ تَمْرَةٌ، وَرُوِيَ عَنْهُ وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: قَبْضَةٌ مِنْ طَعَامٍ.

قَوْلُهُ ﷻ: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ﴾: **وَالْمُرَادُ بِالْبَحْرِ**: جَمِيعُ الْمِيَاهِ، **قَالَ عُمَرُ** رضي الله عنه: صَيْدُهُ: مَا اصْطِيدَ، وَطَعَامُهُ: مَا رُمِيَ بِهِ. **وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَابْنِ عُمَرَ وَأَبِي هُرَيْرَةَ**: طَعَامُهُ: مَا قَذَفَهُ الْمَاءُ إِلَى السَّاحِلِ مَيْتًا. **وَقَالَ قَوْمٌ**: هُوَ الْمَالِحُ مِنْهُ **وَهُوَ قَوْلُ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ وَعِكْرِمَةَ وَسَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ وَقَتَادَةَ وَالنَّخَعِيِّ، وَقَالَ مُجَاهِدٌ**: صَيْدُهُ: طَرِيُّهُ، وَطَعَامُهُ: مَالِحُهُ، ﴿مَتَاعًا لَّكُمْ﴾: أَيْ: مَنْفَعَةً لَكُمْ، ﴿وَلِلسَّيَّارَةِ﴾: يَعْنِي: الْمَارَّةَ.

وَجُمْلَةُ حَيَوَانَاتِ الْمَاءِ عَلَى قِسْمَيْنِ: سَمَكٌ، وَغَيْرُهُ، **أَمَّا السَّمَكُ**: فَمَيْتَتُهُ حَلَالٌ مَعَ اخْتِلَافِ أَنْوَاعِهَا، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أُحِلَّتْ لَنَا مَيْتَتَانِ وَدَمَانِ: الْمَيْتَتَانِ: الْحُوتُ وَالْجَرَادُ، وَالدَّمَانِ: الْكَبِدُ وَالطِّحَالُ**»[1]، فلا فَرْقَ بَيْنَ أَنْ يَمُوتَ بِسَبَبٍ أَوْ بِغَيْرِ سَبَبٍ، وَعِنْدَ أَبِي حَنِيفَةَ: لَا يَحِلُّ إِلَّا أَنْ يَمُوتَ بِسَبَبٍ مِنْ وُقُوعٍ عَلَى حَجَرٍ أَوِ انْحِسَارِ الْمَاءِ عَنْهُ وَنَحْوَ ذَلِكَ. **أَمَّا غَيْرُ السَّمَكِ فَقِسْمَانِ**: قِسْمٌ يَعِيشُ فِي الْبَرِّ: كَالضُّفْدَعِ، وَالسَّرَطَانِ، فَلَا يَحِلُّ أَكْلُهُ، وَقِسْمٌ يَعِيشُ فِي الْمَاءِ وَلَا يَعِيشُ فِي الْبَرِّ إِلَّا عَيْشَ الْمَذْبُوحِ: **فَاخْتَلَفَ الْقَوْلُ فِيهِ، فَذَهَبَ قَوْمٌ** إِلَى أَنَّهُ لَا يَحِلُّ شَيْءٌ مِنْهَا إِلَّا السَّمَكَ، **وَهُوَ مَعْنَى قَوْلُ أَبِي حَنِيفَةَ** رضي الله عنه، **وَذَهَبَ قَوْمٌ** إِلَى أَنَّ مَيتَ الْمَاءِ كُلَّهَا حَلَالٌ؛ لِأَنَّ كُلَّهَا سَمَكٌ، وَإِنِ اخْتَلَفَتْ صُوَرُهَا، كَالْجِرِّيثِ يُقَالُ لَهُ حَيَّةُ الْمَاءِ، وَهُوَ عَلَى شَكْلِ الْحَيَّةِ، وَأَكْلُهُ مُبَاحٌ بِالِاتِّفَاقِ، **وَهُوَ قَوْلُ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَابْنِ عُمَرَ وَابْنِ عَبَّاسٍ وَزَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ وَأَبِي هُرَيْرَةَ، وَبِهِ قَالَ شُرَيْحٌ وَالْحَسَنُ وَعَطَاءٌ، وَهُوَ قَوْلُ مَالِكٍ وَظَاهِرُ مَذْهَبِ الشَّافِعِيِّ. وَذَهَبَ قَوْمٌ**: إِلَى أَنَّ مَا لَهُ نَظِيرٌ فِي الْبَرِّ يُؤْكَلُ، فَمَيْتَتُهُ مِنْ حَيَوَانَاتِ الْبَحْرِ حَلَالٌ، مِثْلُ بَقَرِ الْمَاءِ وَنَحْوِهِ، وَمَا لَا يُؤْكَلُ نَظِيرُهُ فِي الْبَرِّ لَا يَحِلُّ مَيْتَتُهُ مِنْ حَيَوَانَاتِ الْبَحْرِ، مِثْلُ كَلْبِ الْمَاءِ وَالْخِنْزِيرِ وَالْحِمَارِ وَنَحْوِهَا. **وَقَالَ الْأَوْزَاعِيُّ**: كُلُّ شَيْءٍ عَيْشُهُ فِي الْمَاءِ فَهُوَ حَلَالٌ، **قِيلَ**: فَالتِّمْسَاحُ؟ قَالَ: نَعَمْ. **وَقَالَ الشَّعْبِيُّ**: لَوْ أَنَّ أَهْلِي أَكَلُوا الضَّفَادِعَ لَأَطْعَمْتُهُمْ. **وَقَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ**:

(١) **صحيح:** صحَّحه الألباني رحمه الله في "صحيح وضعيف سنن ابن ماجه" (٣٣١٤) عن ابن عمر رضي الله عنهما.

أَرْجُو أَنْ لَا يَكُونَ بِالسَّرَطَانِ بَأْسًا. **وَظَاهِرُ الْآيَةِ** حُجَّةٌ لِمَنْ أَبَاحَ جَمِيعَ حَيَوَانَاتِ الْبَحْرِ، وَكَذَلِكَ الْحَدِيثُ.

عَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ أَبِي بُرْدَةَ -وَهُوَ مِنْ بَنِي عَبْدِ الدَّارِ- أَنَّهُ سَمِعَ **أَبَا هُرَيْرَةَ** رضي الله عنه يَقُولُ: سَأَلَ رَجُلٌ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّا نَرْكَبُ فِي الْبَحْرِ وَنَحْمِلُ مَعَنَا الْقَلِيلَ مِنَ المَاءِ، فَإِنْ تَوَضَّأْنَا بِهِ عَطِشْنَا، أَفَنَتَوَضَّأُ بِمَاءِ الْبَحْرِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«هُوَ الطَّهُورُ مَاؤُهُ، الْحِلُّ مَيْتَتُهُ»**[(١)].

عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ قَالَ: أَخْبَرَنِي عَمْرٌو، أَنَّهُ سَمِعَ **جَابِرًا** رضي الله عنه يَقُولُ: غَزَوْتُ جَيْشَ الْخَبَطِ وَأُمِّرَ أَبُو عُبَيْدَةَ، فَجُعْنَا جُوعًا شَدِيدًا، فَأَلْقَى الْبَحْرُ حُوتًا مَيْتًا لَمْ نَرَ مِثْلَهُ، يُقَالُ لَهُ: الْعَنْبَرُ، فَأَكَلْنَا مِنْهُ نِصْفَ شَهْرٍ، فَأَخَذَ أَبُو عُبَيْدَةَ عَظْمًا مِنْ عِظَامِهِ، فَمَرَّ الرَّاكِبُ تَحْتَهُ. **وَأَخْبَرَنِي أَبُو الزُّبَيْرِ** أَنَّهُ سَمِعَ **جَابِرًا** يَقُولُ: **قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ:** كُلُوا، فَلَمَّا قَدِمْنَا المَدِينَةَ ذَكَرْنَا ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: **«كُلُوا رِزْقًا أَخْرَجَهُ اللهُ إِلَيْكُمْ، أَطْعِمُونَا إِنْ كَانَ مَعَكُمْ»**، فَأَتَاهُ بَعْضُهُمْ بِشَيْءٍ مِنْهُ فَأَكَلَهُ[(٢)].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًاۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾:

صَيْدُ الْبَحْرِ: حَلَالٌ لِلْمُحْرِمِ، كَمَا هُوَ حَلَالٌ لِغَيْرِ المُحْرِمِ، **أَمَّا صَيْدُ الْبَرِّ:** فَحَرَامٌ عَلَى المُحْرِمِ وَفِي الْحَرَمِ، **وَالصَّيْدُ:** هُوَ الْحَيَوَانُ الْوَحْشِيُّ الَّذِي يَحِلُّ أَكْلُهُ، أَمَّا مَا لَا يَحِلُّ أَكْلُهُ فَلَا يَحْرُمُ بِسَبَبِ الإِحْرَامِ، وَلِلْمُحْرِمِ أَخْذُهُ وَقَتْلُهُ، وَلَا جَزَاءَ عَلَى مَنْ قَتَلَهُ، إِلَّا المُتَوَلِّدَ بَيْنَ مَا لَا يُؤْكَلُ لَحْمُهُ وَمَا يُؤْكَلُ، كَالمُتَوَلِّدِ بَيْنَ الذِّئْبِ وَالظَّبْيِ لَا يَحِلُّ أَكْلُهُ وَيَجِبُ بِقَتْلِهِ الْجَزَاءُ عَلَى المُحْرِمِ؛ لِأَنَّ فِيهِ جَزَاءٌ مِنَ الصَّيْدِ.

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: **«خَمْسٌ مِنَ الدَّوَابِّ لَيْسَ عَلَى المُحْرِمِ فِي قَتْلِهِنَّ جُنَاحٌ: الْغُرَابُ، وَالْحِدَأَةُ، وَالْعَقْرَبُ، وَالْفَأْرَةُ، وَالْكَلْبُ الْعَقُورُ»**[(٣)].

---

(١) **صحيح:** صحَّحه العلامة الألباني رحمه الله في "صحيح أبي داود (الأم)" (٧٦).

(٢) **صحيح:** البخاري: (٤٣٦٢)، مسلم: (١٩٣٥).

(٣) **صحيح:** البخاري: (٣٣١٥)، مسلم: (١١٩٩).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «خَمْسٌ قَتْلُهُنَّ حَلَالٌ فِي الحَرَمِ: الحَيَّةُ، وَالعَقْرَبُ، وَالحِدَأَةُ، وَالْفَأْرَةُ، وَالْكَلْبُ الْعَقُورُ»[(١)].

وَقَالَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ: الْكَلْبُ الْعَقُورُ: كُلُّ سَبُعٍ يَعْقِرُ، [وَالعَقُورُ: هُوَ الجَارِحُ المُفْتَرِسُ]، وَمِثْلُهُ عَنْ مَالِكٍ، وَذَهَبَ أَصْحَابُ الرَّأْيِ إِلَى وُجُوبِ الجَزَاءِ فِي قَتْلِ مَا لَا يُؤْكَلُ لَحْمُهُ، مِنَ الْفَهْدِ وَالنَّمِرِ وَالخِنْزِيرِ وَنَحْوِهَا، إِلَّا الْأَعْيَانَ المَذْكُورَةَ فِي الخَبَرِ، وَقَاسُوا عَلَيْهَا الذِّئْبَ فَلَمْ يُوجِبُوا فِيهِ الْكَفَّارَةَ، وَقَاسَ الشَّافِعِيُّ عَلَيْهَا جَمِيعَ مَا لَا يُؤْكَلُ لَحْمُهُ؛ لِأَنَّ الحَدِيثَ يَشْتَمِلُ عَلَى أَعْيَانٍ بَعْضُهَا سِبَاعٌ ضَارِيَةٌ[(٢)]، وَبَعْضُهَا هَوَامٌّ قَاتِلَةٌ، وَبَعْضُهَا طَيْرٌ لَا يَدْخُلُ فِي مَعْنَى السِّبَاعِ وَلَا هِيَ مِنْ جُمْلَةِ الْهَوَامِ، وَإِنَّمَا هِيَ حَيَوَانٌ مُسْتَخْبَثُ اللَّحْمِ، وَتَحْرِيمُ الْأَكْلِ يَجْمَعُ الْكُلَّ فَاعْتَبَرَهُ وَرَتَّبَ الحُكْمَ عَلَيْهِ.

﴿۞ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَٰٓئِدَ ۚ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٩٧﴾ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٨﴾ مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٩٩﴾ قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ ۚ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾

قَوْلُهُ ﷻ: ﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ﴾: قَالَ مُجَاهِدٌ: سُمِّيَتْ كَعْبَةً؛ لِتَرْبِيعِهَا، وَالْعَرَبُ تُسَمِّي كُلَّ بَيْتٍ مُرَبَّعٍ كَعْبَةً، قَالَ مُقَاتِلٌ: سُمِّيَتْ كَعْبَةً؛ لِانْفِرَادِهَا مِنَ الْبِنَاءِ، وَقِيلَ: سُمِّيَتْ كَعْبَةً؛ لِارْتِفَاعِهَا مِنَ الْأَرْضِ، وَأَصْلُهَا مِنَ: (الخُرُوجِ وَالِارْتِفَاعِ)، وَسُمِّيَ الْكَعْبُ كَعْبًا؛ لِنُتُوئِهِ وَخُرُوجِهِ مِنْ جَانِبَيِ الْقَدَمِ، وَمِنْهُ قِيلَ لِلْجَارِيَةِ إِذَا قَارَبَتِ الْبُلُوغَ وَخَرَجَ ثَدْيُهَا: تَكَعَّبَتْ، وَسُمِّيَ الْبَيْتَ الحَرَامَ؛ لِأَنَّ اللهَ تَعَالَى حَرَّمَهُ وَعَظَّمَ حُرْمَتَهُ. قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ اللهَ تَعَالَى حَرَّمَ مَكَّةَ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ

(١) **صحيح:** صحَّحه العلامة الألباني رَحِمَهُ اللهُ في «صحيح وضعيف سنن أبي داود» (١٨٤٧).

(٢) الضَّارِي: من الجَوارح والكلاب: المُدرَّب على الصَّيد، ومن السِّبَاع: المولع بِأَكْل اللَّحْم، ومن المَاشِيَةِ: المُعْتَادُ رعي زروع النَّاس، وجمعُهُ: (ضَوَارٍ). «المعجم الوسيط» (١/ ٥٣٩).

وَالْأَرْضَ»[(١)]. ﴿قِيَـٰمًا لِّلنَّاسِ﴾: قَرَأَ ابْنُ عَامِرٍ: ﴿قِيَمًا﴾ بِلَا أَلْفٍ، وَالْآخَرُونَ: ﴿قِيَـٰمًا﴾: بِالْأَلْفِ أَيْ: قَوَامًا لَهُمْ فِي أَمْرِ دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ، أَمَّا الدِّينُ: لِأَنَّ بِهِ يَقُومُ الْحَجُّ وَالْمَنَاسِكُ وَأَمَّا الدُّنْيَا: فِيمَا يُجْبَى إِلَيْهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ، وَكَانُوا يَأْمَنُونَ فِيهِ مِنَ النَّهْبِ وَالْغَارَةِ، فَلَا يَتَعَرَّضُ لَهُمْ أَحَدٌ فِي الْحَرَمِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْۚ﴾[الْعَنْكَبُوت:٦٧]، ﴿وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ﴾: أَرَادَ بِهِ الْأَشْهُرَ الْحُرُمَ، وَهِيَ ذُو الْقِعْدَةِ وَذُو الْحِجَّةِ وَالْمُحَرَّمُ وَرَجَبٌ، أَرَادَ: أَنَّهُ جَعَلَ الْأَشْهُرَ الْحُرُمَ قِيَامًا لِلنَّاسِ يَأْمَنُونَ فِيهَا الْقِتَالَ ﴿وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَـٰٓئِدَۚ﴾: أَرَادَ أَنَّهُمْ كَانُوا يَأْمَنُونَ بِتَقْلِيدِ الْهَدْيِ، فَذَلِكَ الْقَوَامُ فِيهِ ﴿ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾: **فَإِنْ قِيلَ**: أَيُّ اتِّصَالٍ لِهَذَا الْكَلَامِ بِمَا قَبْلَهُ؟ **قِيلَ**: أَرَادَ أَنَّ اللهَ ﷻ جَعَلَ الكَعْبَةَ قِيَامًا لِلنَّاسِ؛ لِأَنَّ اللهَ تَعَالَى يَعْلَمُ صَلَاحَ الْعِبَادِ كَمَا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ، **وَقَالَ الزَّجَّاجُ**: قَدْ سَبَقَ فِي هَذِهِ السُّورَةِ الْإِخْبَارُ عَنِ الْغُيُوبِ وَالْكَشْفُ عَنِ الْأَسْرَارِ مِثْلُ قَوْلِهِ ﴿سَمَّـٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّـٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ﴾[المَائِدَة:٤١] وَمِثْلُ إِخْبَارِهِ بِتَحْرِيفِهِمُ الْكُتُبَ وَنَحْوَ ذَلِكَ، فَقَوْلُهُ: ﴿ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾: رَاجِعٌ إِلَيْهِ.

وَقَوْلُهُ ﷻ: ﴿ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٨﴾ مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَـٰغُۗ﴾: التَّبْلِيغُ، ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٩٩﴾ قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ﴾: أَيِ: الْحَلَالُ وَالْحَرَامُ، ﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ﴾: سَرَّكَ ﴿كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِۚ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ يَـٰٓأُوْلِى ٱلْأَلْبَـٰبِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْـَٔلُواْ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَاۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُواْ بِهَا كَـٰفِرِينَ﴾

قَوْلُهُ ﷻ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾: الْآيَةَ. **عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسٍ** رضي الله عنه، سَأَلُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ حَتَّى أَحْفَوْهُ بِالْمَسْأَلَةِ، فَغَضِبَ فَصَعِدَ

(١) **صحيح:** البخاري: (٤٣١٣)، مسلم: (١٣٥٣).

الْمِنْبَرَ فَقَالَ: «لَا تَسْأَلُونِي الْيَوْمَ عَنْ شَيْءٍ إِلَّا بَيَّنْتُهُ لَكُمْ»، فَجَعَلْتُ أَنْظُرُ يَمِينًا وَشِمَالًا فَإِذَا كُلُّ رَجُلٍ لَافٌّ رَأْسَهُ فِي ثَوْبِهِ يَبْكِي، فَإِذَا رَجُلٌ كَانَ إِذَا لَاحَى الرِّجَالُ يُدْعَى لِغَيْرِ أَبِيهِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ مَنْ أَبِي؟ قَالَ: «حُذَافَةُ»، ثُمَّ أَنْشَأَ عُمَرُ فَقَالَ: رَضِينَا بِاللهِ رَبًّا وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ ﷺ رَسُولًا، نَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الْفِتَنِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا رَأَيْتُ فِي الخَيْرِ وَالشَّرِّ كَالْيَوْمِ قَطُّ، إِنِّي صُوِّرَتْ لِيَ الجَنَّةُ وَالنَّارُ حَتَّى رَأَيْتُهُمَا وَرَاءَ الحَائِطِ». وَكَانَ قَتَادَةُ يَذْكُرُ عِنْدَ هَذَا الْحَدِيثِ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾[١].

وَقَالَ يُونُسُ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ: أَخْبَرَنِي عُبَيْدُ اللهِ بْنُ عَبْدِ اللهِ قَالَ: قَالَتْ أُمُّ عَبْدِ اللهِ بْنُ حُذَافَةَ لِعَبْدِ اللهِ بْنِ حُذَافَةَ: مَا سَمِعْتُ بِابْنٍ قَطُّ أَعَقَّ مِنْكَ، أَأَمِنْتَ أَنْ تَكُونَ أُمُّكَ قَدْ قَارَفَتْ بَعْضَ مَا تُقَارِفُ نِسَاءُ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ فَتَفْضَحَهَا عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ؟ قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ حُذَافَةَ: وَاللهِ لَوْ أَلْحَقَنِي بِعَبْدٍ أَسْوَدَ لَلَحِقْتُهُ[٢].

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: كَانَ قَوْمٌ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللهِ ﷺ اسْتِهْزَاءً، فَيَقُولُ الرَّجُلُ: مَنْ أَبِي؟ وَيَقُولُ الرَّجُلُ تَضِلُّ نَاقَتُهُ أَيْنَ نَاقَتِي؟ فَأَنْزَلَ اللهُ فِيهِمْ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾، حَتَّى فَرَغَ مِنَ الْآيَةِ كُلِّهَا[٣].

---

(١) **صحيح:** البخاري: (٦٣٦٢)، مسلم: (٢٣٥٩). **وقولُهُ:** (أَحْفَوهُ بِالمَسْأَلَةِ): أي: ألحُّوا عليه في السُّؤال. **وقولُهُ:** (كَانَ إِذَا لَاحَى): من (المُلاحَاةِ)، وهي المُماراةُ والمُجادلة. «فتح الباري» (١٣/ ٤٤).

(٢) **صحيح:** مسلم: (٢٣٥٩).

(٣) **صحيح:** البخاري: (٤٦٢٢)، قال العلامة الإمام مقبل بن هادي الوادعي رَحِمَهُ اللهُ بعد أن أورد هذا الحديث: الحديث أخرجه ابن أبي حاتم ج(٣) ص(٣٧).

قال الطَّبَرِيُّ رَحِمَهُ اللهُ ج(٧) ص(٨٢): حدثني محمد بن علي بن الحسن بن شقيق، قال: سمعت أبي، قال: أخبرنا الحسين بن واقد، عن محمد بن زياد، قال: سمعتُ **أبا هُريرة** يقول: خطبنا رسولُ الله ﷺ فقال: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ كَتَبَ اللهُ عَلَيْكُمُ الحَجَّ**»، فقام محصنٌ الأسدي [قال الإمام الوادعي رَحِمَهُ اللهُ: وبعده بسند ابن جرير: (فقام عكاشة بن محصن)، ولعلَّهُ الصَّواب] فقال: أفي كل عام يا رسول الله؟ فقال: «**أَمَا إِنِّي لَوْ قُلْتُ (نَعَمْ) لَوَجَبَتْ، وَلَوْ وَجَبَتْ ثُمَّ تَرَكْتُمْ لَضَلَلْتُمْ، اسْكُتُوا عَنِّي مَا سَكَتُّ عَنْكُمْ، فَإِنَّمَا** =

أَيْ: إِنْ تَظْهَرْ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ، أَيْ: إِنْ أُمِرْتُمْ بِالْعَمَلِ بِهَا؛ فَإِنَّ مَنْ سَأَلَ عَنِ الحَجِّ لَمْ يَأْمَنْ أَنْ يُؤْمَرَ بِهِ فِي كُلِّ عَامٍ فَيَسُوءُهُ، وَمَنْ سَأَلَ عَنْ نَسَبِهِ لَمْ يَأْمَنْ مِنْ أَنْ يُلْحِقَهُ بِغَيْرِهِ فَيُفْتَضَح، ﴿وَإِن تَسْـَٔلُوا۟ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ﴾: مَعْنَاهُ: إِنْ صَبَرْتُمْ حَتَّى يَنْزِلَ الْقُرْآنُ بِحُكْمٍ مِنْ فَرْضٍ أَوْ نَهْيٍ أَوْ حُكْمٍ، وَلَيْسَ فِي ظَاهِرِهِ شَرْحُ مَا بِكُمْ إِلَيْهِ حَاجَةٌ وَمَسَّتْ حَاجَتُكُمْ إِلَيْهِ، فَإِذَا سَأَلْتُمْ عَنْهَا حينئذ تُبْدَ لَكُمْ.

﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ﴾: كَمَا سَأَلَتْ ثَمُودُ صَالِحًا النَّاقَةَ، وَسَأَلَ قَوْمُ عِيسَى المَائِدَةَ، ﴿ثُمَّ أَصْبَحُوا۟ بِهَا كَـٰفِرِينَ﴾: فَأُهْلِكُوا.

= هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِسُؤَالِهِمْ وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ»، فأنزل اللهُ تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ ﴾ إلى آخر الآية. الحديث أخرجه ابن خزيمة ج(٤) ص(١٠٩)، وأصل الحديث في مسلم.

قال ابنُ جريرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ ج(٧) ص(٨٢): حدثنا زكريا بن يحيى بن أبان المصري، قال: ثنا أبو زيد عبد الرحمن بن أبي الغمر، قال: ثنا أبو مطيع معاوية بن يحيى، عن صفوان بن عمرو، قال: ثني سليم بن عامر، قال: سمعت **أبا أُمَامَةَ البَاهِلِيَّ** يقول: قام رسول الله ﷺ في الناس فقال: «**كُتِبَ عَلَيْكُمُ الحَجُّ**»، فقام رجل من الأعراب فقال: أفي كل عام؟ قال: فعَلَا كلامُ رسولِ الله ﷺ، وأسكتَ وأغضبَ واسْتَغضبَ، فمكث طويلًا ثم تكلم فقال: «**مَنِ السَّائِلُ؟**»، فقال الأعرابي: أنا ذا، فقال: «**وَيْحَكَ! مَاذَا يُؤْمِنُكَ أَنْ أَقُولَ (نَعَمْ)، وَلَوْ قُلْتُ (نَعَمْ) لَوَجَبَتْ، وَلَوْ وَجَبَتْ لَكَفَرْتُمْ! أَلَا إِنَّهُ إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أَئِمَّةُ الحَرَجِ. وَاللهِ لَوْ أَنِّي أَحْلَلْتُ لَكُمْ جَمِيعَ مَا فِي الأَرْضِ، وَحَرَّمْتُ عَلَيْكُمْ مِنْهَا مَوْضِعَ خُفٍّ لَوَقَعْتُمْ فِيهِ!**»، قال: فأنزل الله تعالى عند ذلك: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ ﴾ إلى آخر الآية. وقال ابن كثير في "تفسيره" عقب هذا الحديث: وفي إسناده ضعف.

وقال الطبرانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ ج(٨) ص(١٨٦): حدثنا أبو الزنباع روح بن الفرج، ثنا أبو زيد بن أبي الغمر به.

عبد الرحمن بن أبي الغمر روى عنه جماعة، ولم يُوثِّقه مُعتبر؛ فهو يصلح في الشواهد والمتابعات، وأبو مطيع معاوية بن يحيى مختلف فيه، والظاهر أنه حسن الحديث، والحديث يُعتبر شاهدًا لحديث أبي هريرة كما ترى.

فهذه ثلاثةُ أسبابٍ؛ لأنَّ الأول -وهو عبد الله بن حذافة- لم يسأل استهزاءً، لكن قال الحافظ في "الفتح" ج(٩) ص(٣٥١): لا مانع أن يكون الجمع سبب نزولها والله أعلم. وقال ص(٣٥٢): والحاصل أنها نزلت بسبب كثرة المسائل، إما على سبيل الاستهزاء والامتحان، وإما على سبيل التَّعَنُّت عن الشيء الذي لو لم يسأل عنه لكان على الإباحة.اهـ"الصحيح المسند من أسباب النزول" ص(١٠٦-١٠٧).

﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٖ وَلَا سَآئِبَةٖ وَلَا وَصِيلَةٖ وَلَا حَامٖ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ وَأَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ﴿١٠٣﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُواْ حَسۡبُنَا مَا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ ﴿١٠٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾

قَوْلُهُ ﷻ: ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٖ﴾: أَيْ: مَا أَنْزَلَ اللهُ وَلَا أَمَرَ بِهِ، ﴿وَلَا سَآئِبَةٖ وَلَا وَصِيلَةٖ وَلَا حَامٖ﴾: **قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِي بَيَانِ هَذِهِ الْأَوْضَاعِ: الْبَحِيرَةُ:** هِيَ النَّاقَةُ الَّتِي كَانَتْ إِذَا وَلَدَتْ خَمْسَةَ أَبْطُنٍ بَحَرُوا أُذُنَهَا -أَيْ: شَقُّوهَا- وَتَرَكُوا الحمْلَ عَلَيْهَا وَرُكُوبَهَا، وَلَمْ يَجُزُّوا وَبَرَهَا وَلَمْ يَمْنَعُوهَا المَاءَ وَالْكَلَأَ، ثُمَّ نَظَرُوا إِلَى خَامِسِ وَلَدِهَا، فَإِنْ كَانَ ذَكَرًا نَحَرُوهُ وَأَكَلَهُ الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ، وَإِنْ كَانَ أُنْثَى بَحَرُوا أُذُنَهَا -أَيْ: شَقُّوهَا- وَتَرَكُوهَا، وَحُرِّمَ عَلَى النِّسَاءِ لَبَنُهَا وَمَنَافِعُهَا، وَكَانَتْ مَنَافِعُهَا خَاصَّةً لِلرِّجَالِ، فَإِذَا مَاتَتْ حَلَّتْ لِلرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ، **وَقِيلَ:** كَانَتِ النَّاقَةُ إِذَا تَابَعَتِ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً إِنَاثًا سُيِّبَتْ فَلَمْ يَرْكَبْ ظَهْرَهَا وَلَمْ يَجُزَّ وَبَرَهَا وَلَمْ يَشْرَبْ لَبَنَهَا إِلَّا ضَيْفٌ، فَمَا نَتَجَتْ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْ أُنْثَى شُقَّ أُذُنُهَا ثُمَّ خُلِّيَ سَبِيلُهَا مَعَ أُمِّهَا فِي الإِبِلِ، فَلَمْ يَرْكَبْ ظَهْرَهَا وَلَمْ يَجُزَّ وَبَرَهَا وَلَمْ يَشْرَبْ لَبَنَهَا إِلَّا ضَيْفٌ، كَمَا فُعِلَ بِأُمِّهَا، فَهِيَ الْبَحِيرَةُ بِنْتُ السَّائِبَةِ. **وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: السَّائِبَةُ:** الْبَعِيرُ الَّذِي يُسَيَّبُ، وَذَلِكَ أَنَّ الرَّجُلَ مِنْ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ كَانَ إِذَا مَرِضَ أَوْ غَابَ لَهُ قَرِيبٌ نَذَرَ فَقَالَ: إِنْ شَفَانِي اللهُ تَعَالَى، أَوْ شُفِيَ مَرِيضِي، أَوْ عَادَ غَائِبِي، فَنَاقَتِي هَذِهِ سَائِبَةٌ، ثُمَّ يُسَيِّبُهَا فَلَا تُحْبَسُ عَنْ رَعْيٍ وَلَا مَاءٍ وَلَا يَرْكَبُهَا أَحَدٌ، فَكَانَتْ بِمَنْزِلَةِ الْبَحِيرَة، **وَقَالَ عَلْقَمَة:** هُوَ الْعَبْدُ يُسَيَّبُ عَلَى أَنْ لَا وَلَاءَ عَلَيْهِ وَلَا عَقْلَ وَلَا مِيرَاثَ، وَقَالَ ﷺ: «**إِنَّمَا الْوَلَاءُ لِمَنْ أَعْتَقَ**»[(١)].

وَالسَّائِبَةُ: (فَاعِلَةٌ) بِمَعْنَى: (الْمَفْعُولَةِ)، وَهِيَ الْمُسَيَّبَةُ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَّآءٖ دَافِقٖ﴾ [الطَّارِق:٦]، أَيْ: مَدْفُوق، وَ﴿عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ﴾[الحَاقَّة:٢١]، أَيْ: مَرْضِيَّة. **وَأَمَّا الْوَصِيلَةُ:**

---

(١) **صحيح:** البخاري: (٢١٥٦)، مسلم: (١٥٠٤).

فَمِنَ الْغَنَمِ، كَانَتِ الشَّاةُ إِذَا وَلَدَتْ سَبْعَةَ أَبْطُنٍ نَظَرُوا، فإن كَانَ السَّابِعُ ذَكَرًا ذَبَحُوهُ، فَأَكَلَ مِنْهُ الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ، وَإِنْ كَانَتْ أُنْثَى تَرَكُوهَا فِي الْغَنَمِ، وَإِنْ كَانَ ذَكَرًا وَأُنْثَى اسْتَحْيَوُا الذَّكَرَ مِنْ أَجْلِ الْأُنْثَى وَقَالُوا: وَاصَلَتْ أَخَاهَا فَلَمْ يَذْبَحُوهُ، وَكَانَ لَبَنُ الْأُنْثَى حَرَامًا عَلَى النِّسَاءِ، فَإِنْ مَاتَ مِنْهَا شَيْءٌ أَكَلَهُ الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ جَمِيعًا. **وَأَمَّا الحَامُ**: فَهُوَ الْفَحْلُ إِذَا رُكِبَ وَلَدُ وَلَدِهِ، وَيُقَالُ: إِذَا نَتَجَ مِنْ صُلْبِهِ عَشْرَةُ أَبْطُنٍ، قَالُوا: حُمِيَ ظَهْرُهُ فَلَا يُرْكَبُ وَلَا يُحْمَلُ عَلَيْهِ وَلَا يُمْنَعُ مِنْ كَلَأٍ وَلَا مَاءٍ، فَإِذَا مَاتَ أَكَلَهُ الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ.

عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ قَالَ: **الْبَحِيرَةُ**: الَّتِي يُمْنَعُ دَرُّهَا لِلطَّوَاغِيتِ فَلَا يَحْلُبُهَا أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ، **وَالسَّائِبَةُ**: كَانُوا يُسَيِّبُونَهَا لِآلِهَتِهِمْ لَا يُحْمَلُ عَلَيْهَا شَيْءٌ، **قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ**: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**رَأَيْتُ عَمْرَو بْنَ عَامِرٍ الْخُزَاعِيَّ يَجُرُّ قُصْبَهُ فِي النَّارِ، وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ سَيَّبَ السَّوَائِبَ**». [**وَالْوَصِيلَةُ**: النَّاقَةُ الْبِكْرُ، تُبَكِّرُ فِي أَوَّلِ نِتَاجِ الْإِبِلِ، ثُمَّ تُثَنِّي بَعْدُ بِأُنْثَى، وَكَانُوا يُسَيِّبُونَهَا لِطَوَاغِيتِهِمْ، إِنْ وَصَلَتْ إِحْدَاهُمَا بِالْأُخْرَى لَيْسَ بَيْنَهُمَا ذَكَرٌ، **وَالحَام**: فَحْلُ الْإِبِلِ يَضْرِبُ الضِّرَابَ المَعْدُودَ، فَإِذَا قَضَى ضِرَابَهُ وَدَعُوهُ لِلطَّوَاغِيتِ وَأَعْفَوْهُ مِنَ الحَمْلِ، فَلَمْ يُحْمَلْ عَلَيْهِ شَيْءٌ، وَسَمَّوْهُ الْحَامِيَ][(١)].

رَوَى مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ التَّيْمِيِّ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ السَّمَّانِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِأَكْثَمَ بْنِ جوان الْخُزَاعِيِّ: «**يَا أَكْثَمُ رَأَيْتَ عَمْرَو بْنَ لُحَيِّ بْنِ قَمْعَةَ بْنِ خندف يَجُرُّ قُصْبَهُ فِي النَّارِ، فَمَا رَأَيْتُ مِنْ رَجُلٍ أَشْبَهَ بِرَجُلٍ مِنْكَ بِهِ وَلَا بِهِ مِنْكَ**»، وَذَلِكَ أَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ غَيَّرَ دِينَ إِسْمَاعِيلَ، وَنَصَبَ الْأَوْثَانَ، وَبَحَرَ الْبَحِيرَةَ، وَسَيَّبَ السَّائِبَةَ، وَوَصَلَ الوَصِيْلَةَ، وَحَمَى الحَامِيَ، «**فَلَقَدْ رَأَيْتُهُ فِي النَّارِ يُؤْذِي أَهْلَ النَّارِ بِرِيحِ قُصْبِهِ**» فَقَالَ أَكْثَمُ: أَيَضُرُّنِي شَبَهُهُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ فَقَالَ «**لَا، إِنَّكَ مُؤْمِنٌ وَهُوَ كَافِرٌ**»[(٢)].

---

(١) **صحيح:** البخاري: (٤٦٢٣)، واللفظ له، مسلم: (٢٨٥٦). **وقولُهُ:** «**قُصْبَهُ**»: بضمِّ القاف وسكون الصَّاد، أي: أمعاءَهُ. "فتح الباري" (١/ ١٧٣).

(٢) **حسن:** حسَّنه العلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في "الصحيحة" (١٦٧٧).

﴿وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾ فِي قَوْلِهِمُ: اللهُ أَمَرَنَا بِهَا، ﴿وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ۝١٠٣ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ﴾: فِي تَحْلِيلِ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ وَبَيَانِ الشَّرَائِعِ وَالْأَحْكَامِ، ﴿قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ﴾: مِنَ الدِّينِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾.

قَوْلُهُ ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ﴾: **رُوِّينَا عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ** رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ تَقْرَءُونَ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ﴾، وَتَضَعُونَهَا فِي غَيْرِ مَوْضِعِهَا وَلَا تَدْرُونَ مَا هِيَ، وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا مُنْكَرًا فَلَمْ يُغَيِّرُوهُ يُوشِكُ أَنْ يَعُمَّهُمُ اللهُ تَعَالَى بِعِقَابِهِ**»[(١)].

قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: خَافَ الصِّدِّيقُ أَنْ يَتَأَوَّلَ النَّاسُ الْآيَةَ غَيْرِ مُتَأَوَّلِهَا فَيَدْعُوهُمْ إِلَى تَرْكِ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، فَأَعْلَمَهُمْ أَنَّهَا لَيْسَتْ كَذَلِكَ، وَأَنَّ الَّذِي أُذِنَ فِي الْإِمْسَاكِ عَنْ تَغْيِيرِهِ مِنَ الْمُنْكَرِ هُوَ الشِّرْكُ الَّذِي يَنْطِقُ بِهِ الْمُعَاهَدُونَ مِنْ أَجْلِ أَنَّهُمْ يَتَدَيَّنُونَ بِهِ، وَقَدْ صُولِحُوا عَلَيْهِ، فَأَمَّا الْفُسُوقُ وَالْعِصْيَانُ وَالرَّيْبُ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ فَلَا يَدْخُلُ فِيهِ، **وَقَالَ مُجَاهِدٌ وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ**: الْآيَةُ فِي الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، يَعْنِي: عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ فَخُذُوا مِنْهُمُ الْجِزْيَةَ وَاتْرُكُوهُمْ. **وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ**: مُرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ مَا قُبِلَ مِنْكُمْ، فَإِنْ رُدَّ عَلَيْكُمْ فَعَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ[(٢)]، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ الْقُرْآنَ نَزَلَ مِنْهُ آيٌ قَدْ مَضَى تَأْوِيلُهُنَّ

---

(١) **صحيح**: صححه العلامة الألباني رحمه الله في «المشكاة» (٥١٤٢).

(٢) هذا قول بعض أهل العلم، والصحيح أنه لا يمتنع عن ذلك، قال الإمام الشنقيطي رحمه الله في كتابه «أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن» (٢/ ٢٠٠-٢٠٣): فمن العلماء من قال: ﴿إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ﴾: أي: أمرتم فلم يسمع منكم، ومنهم من قال: يدخل الأمر بالمعروف في المراد بالاهتداء في الآية، وهو ظاهر جدًّا، ولا ينبغي العدول عنه لمُنصِف. ومما يدلُّ على أنَّ تارك الأمر بالمعروف غير مهتد أن الله تعالى أقسم أنه في خسر في قوله تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ﴾[العصر:١-٣] فالحقُّ وجوبُ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، =

قَبْلَ أَنْ يَنْزِلْنَ، وَمِنْهُ آيٌ قَدْ وَقَعَ تَأْوِيلُهُنَّ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَمِنْهُ آيٌ قَدْ وَقَعَ تَأْوِيلَهُنَّ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِيَسِيرٍ، وَمِنْهُ آيٌ يَقَعُ تَأْوِيلُهُنَّ فِي آخِرِ الزَّمَانِ، وَمِنْهُ آيٌ يَقَعُ تَأْوِيلُهُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، مَا ذُكِرَ مِنَ الْحِسَابِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَمَا دَامَتْ قُلُوبُكُمْ وَأَهْوَاؤُكُمْ وَاحِدَةً وَلَمْ تُلْبَسُوا شِيَعًا، وَلَمْ يَذُقْ بَعْضُكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ، فَأْمُرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ، وَإِذَا اخْتَلَفَتِ الْقُلُوبُ وَالْأَهْوَاءُ وَأُلْبِسْتُمْ شِيَعًا وَذَاقَ بَعْضُكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ، فَامْرُؤٌ وَنَفْسُهُ، فَعِنْدَ ذَلِكَ جَاءَ تَأْوِيلُ هَذِهِ الْآيَةِ.

قَوْلُهُ ﷻ: ﴿إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾: الضَّالُّ وَالْمُهْتَدِي، **﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾**.

= وبعد أداء الواجب لا يضر الآمر ضلال من ضل، وقد دلت الآيات -كقوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً﴾[الأنفال:٢٥]- والأحاديث على أنَّ الناس إن لم يأمروا بالمعروف ولم ينهوا عن المنكر عمهم الله بعذاب من عنده، فمن ذلك ما خرجه الشيخان في "صحيحيهما" عن أم المؤمنين أم الحكم زينب بنت جحش رضي الله عنها، أن النبيَّ ﷺ دخل عليها فزعًا مرعوبًا يقول: «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدِ اقْتَرَبَ، فُتِحَ اليَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلُ هَذِهِ**» بإصبعيه الإبهام والتي تليها، فقلت: يا رسول الله، أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: «**نَعَمْ، إِذَا كَثُرَ الخَبَثُ**»... وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: يا أيُّها الناس إنكم تقرؤون هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾... والأحاديث في الباب كثيرة جدًّا، وفيها الدلالة الواضحة على أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر داخل في قوله: ﴿إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ﴾، ويؤيده كثرةُ الآيات الدَّالَّة على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كقوله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[آل عمران:١٠٤]، وقوله: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾[آل عمران:١١٠]، وقوله: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ﴾[المائدة:٧٨]، وقوله: ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾[الكهف:٢٩]، وقوله: ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾[الحجر:٩٤]، وقوله: ﴿أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ﴾[الأعراف:١٦٥]، وقوله: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً﴾[الأنفال:١٢٥]. والتحقيق في معناها: أنَّ المراد بتلك الفتنة التي تعم الظالم وغيره هي أنَّ الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه عَمَّهم اللهُ بالعذاب، صالحهم وطالحهم، وبه فسَّرها جماعةٌ من العلماء، والأحاديثُ الصحيحةُ شاهدةٌ لذلك كما قدَّمنا طرفًا منها.اهـ

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ حِينَ ٱلۡوَصِيَّةِ ٱثۡنَانِ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ أَوۡ ءَاخَرَانِ مِنۡ غَيۡرِكُمۡ إِنۡ أَنتُمۡ ضَرَبۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَأَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةُ ٱلۡمَوۡتِۚ تَحۡبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعۡدِ ٱلصَّلَوٰةِ فَيُقۡسِمَانِ بِٱللَّهِ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ لَا نَشۡتَرِي بِهِۦ ثَمَنٗا وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰ وَلَا نَكۡتُمُ شَهَٰدَةَ ٱللَّهِ إِنَّآ إِذٗا لَّمِنَ ٱلۡأٓثِمِينَ ﴿١٠٦﴾ فَإِنۡ عُثِرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسۡتَحَقَّآ إِثۡمٗا فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَحَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَوۡلَيَٰنِ فَيُقۡسِمَانِ بِٱللَّهِ لَشَهَٰدَتُنَآ أَحَقُّ مِن شَهَٰدَتِهِمَا وَمَا ٱعۡتَدَيۡنَآ إِنَّآ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٧﴾ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِٱلشَّهَٰدَةِ عَلَىٰ وَجۡهِهَآ أَوۡ يَخَافُوٓاْ أَن تُرَدَّ أَيۡمَٰنُۢ بَعۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡمَعُواْۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ ﴾: سَبَبُ نُزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ: مَا رُوِيَ **عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ** ﷺ قَالَ: خَرَجَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَهْمٍ مَعَ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ وَعَدِيِّ بْنِ بَدَّاءٍ، فَمَاتَ السَّهْمِيُّ بِأَرْضٍ لَيْسَ بِهَا مُسْلِمٌ، فَلَمَّا قَدِمَا بِتَرِكَتِهِ فَقَدُوا جَامًا مِنْ فِضَّةٍ مُخَوَّصًا مِنْ ذَهَبٍ، فَأَحْلَفَهُمَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، ثُمَّ وُجِدَ الْجَامُ بِمَكَّةَ فَقَالُوا: ابْتَعْنَاهُ مِنْ تَمِيمٍ وَعَدِيٍّ، فَقَامَ رَجُلَانِ مِنْ أَوْلِيَائِهِ فَحَلَفَا: لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِنْ شَهَادَتِهِمَا، وَإِنَّ الْجَامَ لِصَاحِبِهِمْ. قَالَ: وَفِيهِمْ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ ﴾[(1)].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ حِينَ ٱلۡوَصِيَّةِ ٱثۡنَانِ ﴾: أَيْ: لِيَشْهَدِ اثْنَانِ، لَفْظُهُ خَبَرٌ وَمَعْنَاهُ أَمْرٌ، **وَقِيلَ**: مَعْنَاهُ: أَنَّ الشَّهَادَةَ فِيمَا بَيْنَكُمْ عَلَى الْوَصِيَّةِ عِنْدَ الْمَوْتِ اثْنَانِ، **وَاخْتَلَفُوا فِي هَذَيْنِ الِاثْنَيْنِ، فَقَالَ قَوْمٌ**: هُمَا الشَّاهِدَانِ اللَّذَانِ يَشْهَدَانِ عَلَى وَصِيَّةِ الْمُوصِي، **وَقَالَ آخَرُونَ**: هُمَا الْوَصِيَّانِ؛ لِأَنَّ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِيهِمَا؛ وَلِأَنَّهُ قَالَ: ﴿ تَحۡبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعۡدِ ٱلصَّلَوٰةِ فَيُقۡسِمَانِ ﴾، وَلَا يُلْزَمُ الشَّاهِدَ يَمِينٌ، وَجُعِلَ الْوَصِيُّ اثْنَيْنِ

(١) **صحيح**: البخاري: (٢٧٨٠) وهو في «الصحيح المسند من أسباب النزول» للإمام الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ ص(١٠٨).
وقولُهُ: «مَعَ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ»: أي: الصَّحابيِّ المشهور، وذلك قبل أن يُسلمَ تميمٌ. **وقولُهُ**: «وَعَدِيِّ بْنِ بَدَّاءٍ»: بتشديد الدال قبلها موحدة مفتوحة، قال ابن حبان: له صحبة. وأخرجه ابن مندة، فأنكر عليه ذلك أبو نعيم، وقال: لا يعرف له إسلام. قال ابن عطيَّة: لا يصح لعدي عندي صحبة، وقد وضعه بعضهم في الصحابة، ولا وجه لذكره عندي فيهم. **وقولُهُ**: «جَامًا»: أي: إناءً. **وقولُهُ**: «مُخَوَّصًا»: أي: منقوشًا فيه صِفةُ الخُوص. «فتح الباري» (٥/ ٤١١)، و«الإصابة في تمييز الصحابة» (٤/ ٣٨٧).

تَأْكِيدًا، فَعَلَى هَذَا تَكُونُ الشَّهَادَةُ بِمَعْنَى الْحُضُورِ، كَقَوْلِكَ: (شَهِدْتُ وَصِيَّةَ فُلَانٍ)، بِمَعْنَى حَضَرْتُ، قَالَ اللهُ تَعَالَى ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[النُّور:٢] يُرِيدُ الْحُضُورَ ﴿ذَوَا عَدْلٍ﴾: أَيْ: أَمَانَةٍ وَعَقْلٍ، ﴿مِّنكُمْ﴾: أَيْ: مِنْ أَهْلِ دِينِكُمْ يَا مَعْشَرَ الْمُؤْمِنِينَ، ﴿أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾: أَيْ: مِنْ غَيْرِ دِينِكُمْ وَمِلَّتِكُمْ فِي قَوْلِ أَكْثَرِ الْمُفَسِّرِينَ، **قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ وَأَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ، وَهُوَ قَوْلُ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ وَإِبْرَاهِيمَ النَّخَعِيِّ وَسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ وَمُجَاهِدٍ وَعُبَيْدَةَ**، ثُمَّ اخْتَلَفَ هَؤُلَاءِ فِي حُكْمِ الْآيَةِ: **فَقَالَ النَّخَعِيُّ وَجَمَاعَةٌ** هِيَ مَنْسُوخَةٌ وَكَانَتْ شَهَادَةُ أَهْلِ الذِّمَّةِ مَقْبُولَةً فِي الِابْتِدَاءِ ثُمَّ نُسِخَتْ، **وَذَهَبَ قَوْمٌ** إِلَى أَنَّهَا ثَابِتَةٌ، وَقَالُوا: إِذَا لَمْ نَجِدْ مُسْلِمَيْنِ فَنُشْهِدُ كَافِرَينِ، **قَالَ شُرَيْحٌ**: مَنْ كَانَ بِأَرْضِ غُرْبَةٍ وَلَمْ يَجِدْ مُسْلِمًا يُشْهِدُهُ عَلَى وَصِيَّتِهِ فَأَشْهَدَ كَافِرَيْنِ عَلَى أَيِّ دِينٍ كَانَا مِنْ دِينِ أَهْلِ الْكِتَابِ أَوْ عَبَدَةَ الْأَوْثَانِ، فَشَهَادَتُهُمْ جَائِزَةٌ، وَلَا تَجُوزُ شَهَادَةُ كَافِرٍ عَلَى مُسْلِمٍ إِلَّا عَلَى وَصِيَّةٍ فِي سَفَرٍ. **وَعَنِ الشَّعْبِيِّ**: أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ بِدَقُوقَا وَلَمْ يَجِدْ مُسْلِمًا يُشْهِدُهُ عَلَى وَصِيَّتِهِ فَأَشْهَدَ رَجُلَيْنِ مَنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَقَدِمَا الكُوفَةَ بِتَرِكَتِهِ وَأَتَيَا الأَشْعَرِيَّ فَأَخْبَرَاهُ بِتَرِكَتِهِ وَوَصِيَّتِهِ، **فَقَالَ الْأَشْعَرِيُّ**: هَذَا أَمْرٌ لَمْ يَكُنْ بعد الَّذِي كَانَ فِي عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ، فَأَحْلَفَهُمَا وَأَمْضَى شَهَادَتَهُمَا.

وَقَالَ آخَـرُونَ: قَـوْلُهُ: ﴿ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾: أَيْ: مِنْ حَيِّ الْمُوصِي، ﴿أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾: أَيْ: مِنْ غَيْرِ حَيِّكُمْ وَعَشِيرَتِكُمْ، **وَهُوَ قَوْلُ الحَسَنِ وَالزُّهْرِيِّ وَعِكْرِمَةَ، وَقَالُوا**: لَا تَجُوزُ شَهَادَةُ كَافِرٍ فِي شَيْءٍ مِنَ الْأَحْكَامِ، ﴿إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ﴾: سِرْتُمْ وَسَافَرْتُمْ ﴿فِي ٱلْأَرْضِ فَأَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةُ ٱلْمَوْتِ﴾: فَأَوْصَيْتُمْ إِلَيْهِمَا وَدَفَعْتُمْ إِلَيْهِمَا مَالَكُم فَاتَّهَمَهُمَا بَعْضُ الْوَرَثَةِ وَادَّعَوْا عَلَيْهِمَا خِيَانَةً، فَالْحُكْمُ فِيهِ أَنْ ﴿تَحْبِسُونَهُمَا﴾: أَيْ: تَسْتَوْقِفُونَهُمَا، ﴿مِنۢ بَعْدِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾: أَيْ: بَعْدَ الصَّلَاةِ، وَ﴿مِنۢ﴾: صِلَةٌ، يُرِيدُ: بَعْدَ صَلَاةِ الْعَصْرِ، **هَذَا قَوْلُ الشَّعْبِيِّ وَالنَّخَعِيِّ وَسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ وَقَتَادَةَ وَعَامَّةِ الْمُفَسِّرِينَ**؛ لِأَنَّ جَمِيعَ أَهْلِ الْأَدْيَانِ يُعَظِّمُونَ ذَلِكَ الْوَقْتَ، وَيَجْتَنِبُونَ فِيهِ الْحَلِفَ الْكَاذِبَ، **وَقَالَ الحَسَنُ**: أَرَادَ مِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعَصْرِ، **وَقَالَ السُّدِّيُّ**: مِنْ بَعْدِ صَلَاةِ أَهْلِ دِينِهِمَا وَمِلَّتِهِمَا؛ لِأَنَّهُمَا لَا يُبَالِيَانِ

بِصَلَاةِ الْعَصْرِ، ﴿فَيُقْسِمَانِ﴾: فَيَحْلِفَانِ ﴿بِٱللَّهِ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ﴾: أَيْ: شَكَكْتُمْ وَوَقَعَتْ لَكُمُ الرِّيبَةُ فِي قَوْلِ الشَّاهِدَيْنِ وَصِدْقِهِمَا، أَيْ: فِي قَوْلِ اللَّذَيْنِ لَيْسَا مِنْ أَهْلِ مِلَّتِكُمْ، فَإِنْ كَانَا مُسْلِمَيْنِ فَلَا يَمِينَ عَلَيْهِمَا، ﴿لَا نَشْتَرِى بِهِۦ ثَمَنًا﴾: أَيْ: لَا نَحْلِفُ بِاللهِ كَاذِبِينَ عَلَى عِوَضٍ نَأْخُذُهُ أَوْ مَالٍ نَذْهَبُ بِهِ أَوْ حَقٍّ نَجْحَدُهُ، ﴿وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾: وَلَوْ كَانَ المَشْهُودُ لَهُ ذَا قَرَابَةٍ مِنَّا، ﴿وَلَا نَكْتُمُ شَهَٰدَةَ ٱللَّهِ﴾: أَضَافَ الشَّهَادَةَ إِلَى اللهِ؛ لِأَنَّهُ أَمَرَ بِإِقَامَتِهَا وَنَهَى عَنْ كِتْمَانِهَا، وَقَرَأَ يَعْقُوب: ﴿شَهَادَةً﴾ بِتَنْوِينٍ، ﴿آللهِ﴾ مَمْدُودٍ، وَجَعَلَ الِاسْتِفْهَامَ عِوَضًا عَنْ حَرْفِ الْقَسَمِ، وَيُرْوَى عَنْ أَبِي جَعْفَر ﴿شَهَادَةً﴾ بِتَنْوِينِ ﴿اللهِ﴾ بِقَطْعِ الْأَلْفِ وَكَسْرِ الْهَاءِ مِنْ غَيْرِ اسْتِفْهَامٍ عَلَى ابْتِدَاءِ الْيَمِينِ، أَيْ: وَاللهِ، ﴿إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلْءَاثِمِينَ﴾: أَيْ: إِنْ كَتَمْنَاهَا كُنَّا مِنَ الْآثِمِينَ.

﴿فَإِنْ عُثِرَ﴾: أَيِ: اطُّلِعَ عَلَى خِيَانَتِهِمَا، **وَأَصْلُ الْعُثُورِ**: الْوُقُوعُ عَلَى الشَّيْءِ، ﴿عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا﴾: يَعْنِي: الْوَصِيَّيْنِ ﴿ٱسْتَحَقَّآ﴾: اسْتَوْجَبَا ﴿إِثْمًا﴾: بِخِيَانَتِهِمَا وَبِأَيْمَانِهِمَا الْكَاذِبَةِ، ﴿فَـَٔاخَرَانِ﴾: مِنْ أَوْلِيَاءِ المَيِّتِ ﴿يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا﴾: يَعْنِي: مَقَامَ الْوَصِيَّيْنِ، ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُحِقَّ﴾: بِضَمِّ التَّاءِ عَلَى المَجْهُولِ، هَذَا قِرَاءَةُ الْعَامَّةِ، يَعْنِي: الَّذِينَ اسْتَحَقَّ ﴿عَلَيْهِمُ﴾ أَيْ: فِيهِمْ وَلِأَجْلِهِمُ الْإِثْمَ، وَهُمْ وَرَثَةُ المَيِّتِ اسْتَحَقَّ الْحَالِفَانِ بِسَبَبِهِمُ الإِثْمَ، وَ(عَلَى) بِمَعْنَى (فِي)، كَمَا قَالَ اللهُ: ﴿عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ﴾[البَقَرَة:١٠٢]، أَيْ: فِي مُلْكِ سُلَيْمَانَ، وَقَرَأَ حَفْصٌ: ﴿ٱسْتَحَقَّ﴾ بِفَتْحِ التَّاءِ وَالْحَاءِ، وَهِيَ قِرَاءَةُ عَلِيٍّ وَالْحَسَنِ، أَيْ: حَقَّ وَوَجَبَ عَلَيْهِمُ الْإِثْمُ، يُقَالُ: (حَقَّ، وَاسْتَحَقَّ) بِمَعْنًى وَاحِدٍ، ﴿ٱلْأَوْلَيَٰنِ﴾: نَعْتٌ لِلْآخَرَانِ، أَيْ: فَآخَرَانِ الْأَوْلَيَانِ، وَإِنَّمَا جَازَ ذَلِكَ وَ﴿ٱلْأَوْلَيَٰنِ﴾ مَعْرِفَةٌ وَالـ(آخَرَانِ) نَكِرَةٌ؛ لِأَنَّهُ لَمَّا وَصَفَ الـ(آخَرَانِ) فَقَالَ: ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ﴾ صَارَ كَالمَعْرِفَةِ فِي المَعْنَى، وَ﴿ٱلْأَوْلَيَٰنِ﴾ تَثْنِيَةُ (الأَوْلَى)، وَالأَوْلَى هُوَ الأَقْرَبُ، وَقَرَأَ حَمْزَةُ وَأَبُو بَكْرٍ عَنْ عَاصِمٍ وَيَعْقُوبَ: ﴿الْأَوَّلِينَ﴾ بِالْجَمْعِ فَيَكُونُ بَدَلًا مِنَ الَّذِينَ، وَالمُرَادُ مِنْهُمْ أَيْضًا أَوْلِيَاءُ المَيِّتِ، وَمَعْنَى الْآيَةِ: إِذَا ظَهَرَتْ خِيَانَةُ الْحَالِفِينَ يَقُومُ اثْنَانِ آخَرَانِ مِنْ أَقَارِبِ المَيِّتِ، ﴿فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ لَشَهَٰدَتُنَآ أَحَقُّ مِن شَهَٰدَتِهِمَا﴾: يَعْنِي: يَمِينُنَا أَحَقُّ مِنْ يَمِينِهِمَا، نَظِيرُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى فِي اللِّعَانِ: ﴿فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمْ

﴿أَرۡبَعُ شَهَٰدَٰتِۭ بِٱللَّهِ﴾[النُّور:٦] وَالْمُرَادُ بِهَا الْأَيْمَانُ، فهي كَقَوْلِ الْقَائِلِ: أَشْهَدُ بِاللهِ أَيْ: أُقْسِمُ بِاللهِ ﴿وَمَا ٱعۡتَدَيۡنَآ﴾: فِي أَيْمَانِنَا وَقَوْلِنَا أَنَّ شَهَادَتَنَا أَحَقُّ مِنْ شَهَادَتِهِمَا ﴿إِنَّآ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾. **وَإِنَّمَا انْتَقَلَ الْيَمِينُ إِلَى الْأَوْلِيَاءِ**؛ لِأَنَّ الْوَصِيَّيْنِ ادَّعَيَا أَنَّهُمَا ابْتَاعَاهُ، وَالْوَصِيُّ إِذَا أَخَذَ شَيْئًا مِنْ مَالِ الْمَيِّتِ وَقَالَ إِنَّهُ أَوْصَى لِي بِهِ حَلَفَ الْوَارِثُ، إِذَا أَنْكَرَ ذَلِكَ، وَكَذَلِكَ لَو ادَّعَى رَجُلٌ سِلْعَةً فِي يَدِ رَجُلٍ فَاعْتَرَفَ ثُمَّ ادَّعَى أَنَّهُ اشْتَرَاهَا مِنَ الْمُدَّعِي، حَلَفَ الْمُدَّعِي أَنَّهُ لَمْ يَبِعْهَا مِنْهُ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِٱلشَّهَٰدَةِ عَلَىٰ وَجۡهِهَآ﴾: أَيْ: ذَلِكَ الَّذِي حَكَمْنَا بِهِ مِنْ رَدِّ الْيَمِينِ أَجْدَرُ وَأَحْرَى أَنْ يَأْتِيَ الْوَصِيَّانِ بِالشَّهَادَةِ عَلَى وَجْهِهَا وَسَائِرُ النَّاسِ أَمْثَالُهُمْ أَيْ: أَقْرَبُ إِلَى الْإِتْيَانِ بِالشَّهَادَةِ عَلَى مَا كَانَتْ، ﴿أَوۡ يَخَافُوٓاْ أَن تُرَدَّ أَيۡمَٰنُۢ بَعۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡۗ﴾: أَيْ: أَقْرَبُ إِلَى أَنْ يَخَافُوا رَدَّ الْيَمِينِ بَعْدَ يَمِينِهِمْ عَلَى الْمُدَّعِينَ، فَيَحْلِفُوا عَلَى خِيَانَتِهِمْ وَكَذِبِهِمْ فَيَفْتَضِحُوا وَيَغْرَمُوا، فَلَا يَحْلِفُونَ كَاذِبِينَ إِذَا خَافُوا هَذَا الْحُكْمَ، ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾: أَنْ تَحْلِفُوا أَيْمَانًا كَاذِبَةً أَوْ تَخُونُوا الأَمَانَةَ، ﴿وَٱسۡمَعُواْۗ﴾: الْمَوْعِظَةَ ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾.

﴿۞ يَوۡمَ يَجۡمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبۡتُمۡۖ قَالُواْ لَا عِلۡمَ لَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ١٠٩ إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱذۡكُرۡ نِعۡمَتِي عَلَيۡكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذۡ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلۡمَهۡدِ وَكَهۡلٗاۖ وَإِذۡ عَلَّمۡتُكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَۖ وَإِذۡ تَخۡلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ بِإِذۡنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِيۖ وَتُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ بِإِذۡنِيۖ وَإِذۡ تُخۡرِجُ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِيۖ وَإِذۡ كَفَفۡتُ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذۡ جِئۡتَهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ١١٠ وَإِذۡ أَوۡحَيۡتُ إِلَى ٱلۡحَوَارِيِّـۧنَ أَنۡ ءَامِنُواْ بِي وَبِرَسُولِي قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّنَا مُسۡلِمُونَ﴾

قَوْلُهُ ﷻ: ﴿يَوۡمَ يَجۡمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ﴾ وَهُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ ﴿فَيَقُولُ﴾ لَهُمْ ﴿مَاذَآ أُجِبۡتُمۡۖ﴾: أَيْ: مَا الَّذِي أَجَابَتْكُمْ أُمَّتُكُمْ؟ وَمَا الَّذِي رَدَّ عَلَيْكُمْ قَوْمُكُمْ حِينَ دَعَوْتُمُوهُمْ إِلَى تَوْحِيدِي وَطَاعَتِي؟ ﴿قَالُواْ﴾: أَيْ: فَيَقُولُونَ، ﴿لَا عِلۡمَ لَنَآۖ﴾: **قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ**: مَعْنَاهُ: لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا الْعِلْمَ الَّذِي أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنَّا، **وَقِيلَ**: لَا عِلْمَ لَنَا بِوَجْهِ الْحِكْمَةِ عَنْ سُؤَالِكَ

إِيَّانَا عَنْ أَمْرٍ أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنَّا، **وَقَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ**: لَا عِلْمَ لَنَا بِعَاقِبَةِ أَمْرِهِمْ وَبِمَا أَحْدَثُوا مِنْ بَعْدُ؛ دَلِيلُهُ أَنَّهُ قَالَ: ﴿إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾: أَيْ: أَنْتَ الَّذِي تَعْلَمُ مَا غَابَ وَنَحْنُ لَا نَعْلَمُ إِلَّا مَا نُشَاهِدُ.

عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**لَيَرِدَنَّ عَلَيَّ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِي الحَوْضَ حَتَّى إِذَا عَرَفْتُهُمُ اخْتَلَجُوا دُونِي، فَأَقُولُ: أَصْحَابِي، فَيُقَالُ: لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ**»[(١)].

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَالحَسَنُ وَمُجَاهِدٌ وَالسُّدِّيُّ: إِنَّ لِلْقِيَامَةِ أَهْوَالًا وَزَلَازِلَ تَزُولُ فِيهَا الْقُلُوبُ عَنْ مَوَاضِعِهَا، فَيَفْزَعُونَ مِنْ هَوْلِ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَيَذْهَلُونَ عَنِ الجَوَابِ، ثُمَّ بَعْدَمَا ثَابَتْ [-أَيْ: رَجَعَتْ-] إِلَيْهِمْ عُقُولُهُمْ يَشْهَدُونَ عَلَى أُمَمِهِمْ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ﴾: **قَالَ الحَسَنُ**: ذِكْرُ النِّعْمَةِ شُكْرُهَا، وَأَرَادَ بِقَوْلِهِ: ﴿نِعْمَتِى﴾: أَيْ: نِعَمِي، لَفْظُهُ وَاحِدٌ وَمَعْنَاهُ جَمْعٌ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾[إِبْرَاهِيم:٣٤]. ﴿وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ﴾: مَرْيَمَ، ثُمَّ ذَكَرَ النِّعَمَ فَقَالَ: ﴿إِذْ أَيَّدتُّكَ﴾: قَوَّيْتُكَ ﴿بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾: يَعْنِي جِبْرِيلَ عليه السلام ﴿تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ﴾: يَعْنِي: وَتُكَلِّمُ النَّاسَ ﴿فِى ٱلْمَهْدِ﴾: صَبِيًّا، ﴿وَكَهْلًا﴾: نَبِيًّا، ﴿وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾: يَعْنِي: الخَطَّ ﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾: يَعْنِي الْعِلْمَ وَالْفَهْمَ ﴿وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ﴾: تَجْعَلُ وَتُصَوِّرُ ﴿مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ﴾: كَصُورَةِ الطَّيْرِ ﴿بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا﴾: حَيًّا يَطِيرُ ﴿بِإِذْنِى وَتُبْرِئُ﴾: وَتُصَحِّحُ ﴿ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾: مِنْ قُبُورِهِمْ أَحْيَاءً ﴿بِإِذْنِى وَإِذْ كَفَفْتُ﴾: مَنَعْتُ وَصَرَفْتُ ﴿بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾: يَعْنِي: الْيَهُودَ ﴿عَنكَ﴾: حِينَ هَمُّوا بِقَتْلِكَ؛ ﴿إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾: يَعْنِي: بِالدَّلَالَاتِ الوَاضِحَاتِ وَالْمُعْجِزَاتِ، وَهِيَ الَّتِي ذَكَرْنَا، **وَسُمِّيَتْ بِالْبَيِّنَاتِ**؛ لِأَنَّهَا مِمَّا يَعْجَزُ عَنْهَا سَائِرُ الخَلْقِ الَّذِينَ لَيْسُوا بِمُرْسَلِينَ، ﴿فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ﴾: مَا هَذَا

---

(١) **صحيح**: البخاري: (٦٥٨٢)، مسلم: (٢٣٠٤). **وقولُهُ**: «**اخْتَلَجُوا دُوْنِي**»: أي: اقتطعوا أو انتزعوا مني. "فتح الباري" (١/ ١١٣).

﴿إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ﴾: يَعْنِي مَا جَاءَهُمْ بِهِ مِنَ الْبَيِّنَاتِ، قَرَأَ حَمْزَةُ وَالْكِسَائِيُّ ﴿سَاحِرٌ مُبِينٌ﴾ هَاهُنَا وَفِي (سُورَةِ هُودٍ، وَالصَّفِّ)، فَيَكُونُ رَاجِعًا إِلَى عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَفِي (هُودٍ) يَكُونُ رَاجِعًا إِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ. ﴿وَإِذۡ أَوۡحَيۡتُ إِلَى ٱلۡحَوَارِيِّـۧنَ﴾: أَلْهَمْتُهُمْ وَقَذَفْتُ فِي قُلُوبِهِمْ، **وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ**: يَعْنِي: أَمَرْتُ، وَ﴿إِلَى﴾ صِلَةٌ **وَالْحَوَارِيُّونَ**: خَوَاصُّ أَصْحَابِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، ﴿أَنۡ ءَامِنُواْ بِي وَبِرَسُولِي﴾: عِيسَى ﴿قَالُوٓاْ﴾: حِينَ وَفَّقْتُهُمْ ﴿ءَامَنَّا وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّنَا مُسۡلِمُونَ﴾.

﴿إِذۡ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ هَلۡ يَسۡتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيۡنَا مَآئِدَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِۖ قَالَ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُواْ نُرِيدُ أَن نَّأۡكُلَ مِنۡهَا وَتَطۡمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعۡلَمَ أَن قَدۡ صَدَقۡتَنَا وَنَكُونَ عَلَيۡهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلۡ عَلَيۡنَا مَآئِدَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدٗا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةٗ مِّنكَۖ وَٱرۡزُقۡنَا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيۡكُمۡۖ فَمَن يَكۡفُرۡ بَعۡدُ مِنكُمۡ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابٗا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدٗا مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾

﴿إِذۡ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ هَلۡ يَسۡتَطِيعُ رَبُّكَ﴾: قَرَأَ الْكِسَائِيُّ: ﴿هَلْ تَسْتَطِيعُ﴾ بِالتَّاءِ ﴿رَبَّكَ﴾ بِنَصْبِ الْبَاءِ، وَهِيَ قِرَاءَةُ عَلِيٍّ وَعَائِشَةَ وَابْنِ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٍ، أَيْ: هَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَدْعُوَ وَتَسْأَلَ رَبَّكَ، وَقَرَأَ الْآخَرُونَ ﴿يَسۡتَطِيعُ﴾ بِالْيَاءِ وَ﴿رَبُّكَ﴾ بِرَفْعِ الْبَاءِ، وَلَمْ يَقُولُوهُ شَاكِّينَ فِي قُدْرَةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَلَكِنْ مَعْنَاهُ هَلْ يُنَزِّلُ رَبُّكَ أَمْ لَا؟ كَمَا يَقُولُ الرَّجُلُ لِصَاحِبِهِ: (هَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَنْهَضَ مَعِي) وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ يَسْتَطِيعُ، وَإِنَّمَا يُرِيدُ: هَلْ يَفْعَلُ ذَلِكَ أَمْ لَا؟ **وَقِيلَ**: ﴿يَسۡتَطِيعُ﴾ بِمَعْنَى: يُطِيعُ يُقَالُ (أَطَاعَ، وَاسْتَطَاعَ) بِمَعْنًى وَاحِدٍ كَقَوْلِهِمْ (أَجَابَ، وَاسْتَجَابَ) مَعْنَاهُ: هَلْ يُطِيعُكَ رَبُّكَ بِإِجَابَةِ سُؤَالِكَ؟ وَفِي الْآثَارِ: مَنْ أَطَاعَ اللهَ أَطَاعَهُ اللهُ. وَأَجْرَى بَعْضُهُمْ عَلَى الظَّاهِرِ فَقَالُوا: غَلَطَ الْقَوْمُ، وَقَالُوهُ قَبْلَ اسْتِحْكَامِ الْمَعْرِفَةِ وَكَانُوا بَشَرًا، فَقَالَ لَهُمْ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ عِنْدَ الْغَلَطِ اسْتِعْظَامًا لِقَوْلِهِم: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾: أَيْ: لَا تَشُكُّوا فِي قُدْرَتِهِ.

﴿أَن يُنَزِّلَ عَلَيۡنَا مَآئِدَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِۖ﴾: **الْمَائِدَةُ** الْخِوَانُ [-وهو مَا يُؤْكَل عَلَيْهِ-] الَّذِي عَلَيْهِ الطَّعَامُ، وَهِيَ (فَاعِلَةٌ) مِنْ: (مَادَهُ يَمِيدُهُ) إِذَا أَعْطَاهُ وَأَطْعَمَهُ، كَقَوْلِهِ: (مَارَهُ

يَمِيرُهُ)، وَ(امْتَادَ) افْتَعَلَ مِنْهُ، **وَالمَائِدَةُ:** هِيَ المطْعمَةُ لِلْآكِلِينَ الطَّعَامَ، وَسُمِّيَ الطَّعَامُ أَيْضًا (مَائِدَةً) عَلَى الجَوَازِ؛ لِأَنَّهُ يُؤْكَلُ عَلَى المَائِدَةِ، **وَقَالَ أَهْلُ الْكُوفَةِ:** سُمِّيَتْ مَائِدَةً؛ لِأَنَّهَا تَمِيدُ بِالْآكِلِينَ، أَيْ: تَمِيلُ، **وَقَالَ أَهْلُ الْبَصْرَةِ:** (فَاعِلَةٌ) بِمَعْنَى الـ(مَفْعُولِ)، أَيْ: تَمِيدُ بِالْآكِلِينَ إِلَيْهَا، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾[الحَاقَّة:٢١]، أَيْ: مَرْضِيَّة، قالَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مُجِيبًا لَهُمْ: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾: فَلَا تَشُكُّوا فِي قُدْرَتِهِ، **وَقِيلَ:** اتَّقُوا اللهَ أَنْ تَسْأَلُوهُ شَيْئًا لَمْ يَسْأَلْهُ الْأُمَمُ قَبْلَكُمْ، فَنَهَاهُمْ عَنِ اقْتِرَاحِ الآيَاتِ بَعْدَ الإِيْمَانِ.

﴿قَالُواْ نُرِيدُ﴾ أَيْ: إِنَّمَا سَأَلْنَا لِأَنَّا نُرِيدُ ﴿أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا﴾: أَكْلَ تَبَرُّكٍ لَا أَكْلَ حَاجَةٍ فَنَسْتَيْقِنَ قُدْرَتَهُ، ﴿وَتَطْمَئِنَّ﴾: وَتَسْكُنَ ﴿قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا﴾: بِأَنَّكَ رَسُولُ اللهِ أَيْ: نَزْدَادُ إِيمَانًا وَيَقِينًا، ﴿وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾: للهِ بِالْوَحْدَانِيَّةِ وَالْقُدْرَةِ، وَلَكَ بِالنُّبُوَّةِ وَالرِّسَالَةِ، ﴿قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾: عِنْدَ ذَلِكَ: ﴿ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا﴾: أَيْ: عَائِدَةً مِنَ اللهِ عَلَيْنَا حُجَّةً وَبُرْهَانًا، **وَالعِيْدُ:** يَوْمُ السُّرُورِ، **سُمِّيَ بِهِ؛** لِلْعَوْدِ مِنَ التَّرَحِ [-أَيْ: الحُزْنِ-] إِلَى الْفَرَحِ، وَهُوَ اسْمٌ لِمَا اعْتَدْتَهُ وَيَعُودُ إِلَيْكَ، وَسُمِّيَ يَوْمُ الْفِطْرِ وَالْأَضْحَى عِيدًا؛ لِأَنَّهُمَا يَعُودَانِ فِي كُلِّ سَنَةٍ، **قَالَ السُّدِّيُّ:** مَعْنَاهُ: نَتَّخِذُ الْيَوْمَ الَّذِي أُنْزِلَتْ فِيهِ عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا، أَيْ: نُعَظِّمُهُ نَحْنُ وَمَنْ بَعْدَنَا، **وَقَالَ سُفْيَانُ:** نُصَلِّي فِيهِ.

قَوْلُهُ: ﴿لِّأَوَّلِنَا﴾: أَيْ: لِأَهْلِ زَمَانِنَا، ﴿وَءَاخِرِنَا﴾: أَيْ: لِمَنْ يَجِيءُ بَعْدَنَا، **وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ:** يَأْكُلُ مِنْهَا آخِرُ النَّاسِ كَمَا أَكَلَ أَوَّلُهُمْ، ﴿وَءَايَةً مِّنكَ﴾: دَلَالَةً وَحُجَّةً، ﴿وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ ٱللَّهُ﴾: تَعَالَى مُجِيبًا لِعِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ﴾: يَعْنِي: المَائِدَةَ، وَقَرَأَ أَهْلُ المَدِينَةِ وَابْنُ عَامِرٍ وَعَاصِمٌ: ﴿مُنَزِّلُهَا﴾ بِالتَّشْدِيدِ؛ لِأَنَّهَا نَزَلَتْ مَرَّاتٍ وَالـ(تَّفْعِيلُ) يَدُلُّ عَلَى التَّكْرِيرِ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى، وَقَرَأَ الْآخَرُونَ بِالتَّخْفِيفِ؛ لِقَوْلِهِ ﴿أَنزِلْ عَلَيْنَا﴾، ﴿فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ﴾: أَيْ: بَعْدَ نُزُولِ المَائِدَةِ ﴿فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا﴾: أَيْ: جِنْسَ عَذَابٍ، ﴿لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: يَعْنِي: عَالَمِي زَمَانِهِ، **وَاخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي المَائِدَةِ**

هَلْ نَزَلَتْ أَمْ لَا؟ فَقَالَ مُجَاهِدٌ وَالْحَسَنُ: لَمْ تَنْزِلْ؛ لِأَنَّ اللهَ ﷻ لَمَّا أَوْعَدَهُمْ عَلَى كُفْرِهِمْ بَعْدَ نُزُولِ الْمَائِدَةِ خَافُوا أَنْ يَكْفُرَ بَعْضُهُمْ فَاسْتَعْفُوا، وَقَالُوا: لَا نُرِيدُهَا، فَلَمْ تَنْزِلْ، وَقَوْلُهُ: ﴿إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ﴾، يَعْنِي: إِنْ سَأَلْتُمْ، **وَالصَّحِيحُ الَّذِي عَلَيْهِ الْأَكْثَرُونَ**: أَنَّهَا نَزَلَتْ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ﴾، وَلَا خُلْفَ فِي خَبَرِهِ؛ لِتَوَاتُرِ الْأَخْبَارِ فِيهِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَالصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ.

﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥۚ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْۚ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرُۢ﴾

قَوْلُهُ ﷻ: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ﴾: **وَاخْتَلَفُوا فِي أَنَّ هَذَا الْقَوْلَ مَتَى يَكُونُ؟ فَقَالَ السُّدِّيُّ**: قَالَ اللهُ تَعَالَى هَذَا الْقَوْلَ لِعِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَ رَفَعَهُ إِلَى السَّمَاءِ؛ لِأَنَّ حَرْفَ (إِذْ) يَكُونُ لِلْمَاضِي، **وَقَالَ سَائِرُ الْمُفَسِّرِينَ**: إِنَّمَا يَقُولُ اللهُ لَهُ هَذَا الْقَوْلَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ بِدَلِيلِ قَوْلِهِ مِنْ قَبْلُ: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ﴾[الْمَائِدَة:١٠٩]، وَقَالَ مِنْ بَعْدِهَا: ﴿هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْۚ﴾[الْمَائِدَة:١١٩]، وَأَرَادَ بِهِمَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَقَدْ تَجِيءُ (إِذْ) بِمَعْنَى (إِذَا)، كَقَوْلِهِ ﷻ: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُواْ ﴾ [سَبَأ:٥١] أَيْ: إِذَا فَزِعُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَالْقِيَامَةُ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ بَعْدُ وَلَكِنَّهَا كَالْكَائِنَةِ؛ لِأَنَّهَا آتِيَةٌ لَا مَحَالَةَ.

قَوْلُهُ: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ﴾: **فَإِنْ قِيلَ**: فَمَا وَجْهُ هَذَا السُّؤَالِ مَعَ عِلْمِ اللهِ ﷻ أَنَّ عِيسَى لَمْ يَقُلْهُ؟ **قِيلَ**: هَذَا السُّؤَالُ عَنْهُ لِتَوْبِيخِ قَوْمِهِ وَتَعْظِيمِ أَمْرِ هَذِهِ الْمَقَالَةِ، كَمَا يَقُولُ الْقَائِلُ لِآخَرَ: (أَفَعَلْتَ كَذَا وَكَذَا؟) فِيمَا يَعْلَمُ أَنَّهُ لَمْ يَفْعَلْهُ؛

إِعْلَامًا وَاسْتِعْظَامًا لَا اسْتِخْبَارًا وَاسْتِفْهَامًا، وَأَيْضًا: أَرَادَ اللهُ ﷻ أَنْ يُقِرَّ عِيسَى عليه السلام عَلَى نَفْسِهِ بِالعُبُودِيَّةِ، فَيَسْمَعَ قَوْمُهُ مِنْهُ، وَيَظْهَرُ كَذِبُهُمْ عَلَيْهِ أَنَّهُ أَمَرَهُمْ بذلك، ثُمَّ يَقُولُ مُجِيبًا للهِ ﷻ: ﴿قَالَ سُبْحَٰنَكَ﴾: تَنْزِيهًا لَكَ وَتَعْظِيمًا، ﴿مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أَقُولَ مَا لَيۡسَ لِي بِحَقٍّۚ إِن كُنتُ قُلۡتُهُۥ فَقَدۡ عَلِمۡتَهُۥۚ تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ﴾: [وَالنَّفْسُ هُنَا بِمَعْنَى: الذَّات، وَكَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مِنۡ أَجۡلِ ذَٰلِكَ كَتَبۡنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفۡسَۢا بِغَيۡرِ نَفۡسٍ﴾[المَائِدَة:٣٢] وَأَيْضًا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَنَّ ٱلنَّفۡسَ بِٱلنَّفۡسِ﴾[المَائِدَة:٤٥]، فَالنَّفْسُ بِمَعْنَى: الذَّات، وَالمَعْنَى: أَنَّ مَا فِي نَفْسِي تَعْلَمُهُ وَمَا فِي نَفْسِكَ لَا أَعْلَمُهُ، وَالْفَرْقُ ظَاهِرٌ؛ لِأَنَّ اللهَ هُوَ الخَالِقُ، وَعِيسَى مَخْلُوقٌ، وَالخَالِقُ يَعْلَمُ مَخْلُوقَهُ، وَالمَخْلُوقُ لَا يَعْلَمُ عَنْ خَالِقِهِ إِلَّا مَا أَخْبَرَهُ بِهِ[1]]، ﴿إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ﴾: مَا كَانَ وَمَا يَكُونُ [وَمَا لَمْ يَكُنْ لَوْ كَانَ كَيْفَ كَانَ يَكُونُ]، ﴿مَا قُلۡتُ لَهُمۡ إِلَّا مَآ أَمَرۡتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۚ﴾ وَحِّدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، ﴿وَكُنتُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا مَّا دُمۡتُ﴾: أَقَمْتُ ﴿فِيهِمۡۖ فَلَمَّا تَوَفَّيۡتَنِي﴾: قَبَضْتَنِي وَرَفَعْتَنِي إِلَيْكَ ﴿كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيۡهِمۡۚ﴾: الحَفِيظَ عَلَيْهِمْ تَحْفَظُ أَعْمَالَهُمْ، ﴿وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ﴾.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِن تُعَذِّبۡهُمۡ فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَۖ وَإِن تَغۡفِرۡ لَهُمۡ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾: **فَإِنْ قِيلَ:** كَيْفَ طَلَبَ المَغْفِرَةَ لَهُمْ وَهُمْ كُفَّارٌ؟ **وَكَيْفَ قَالَ** ﴿وَإِن تَغۡفِرۡ لَهُمۡ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾؟ وَهَذَا لَا يَلِيقُ بِسُؤَالِ المَغْفِرَةِ، **قِيلَ: أَمَّا الْأَوَّلُ:** فَمَعْنَاهُ إِنَّ تُعَذِّبْهُمْ بِإِقَامَتِهِمْ عَلَى كُفْرِهِمْ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ بَعْدَ الإِيمَانِ، وَهذَا يَسْتَقِيمُ عَلَى قَوْلِ السُّدِّيِّ: إِنَّ هَذَا السُّؤَالَ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ؛ لِأَنَّ الْإِيمَانَ لَا يَنْفَعُ فِي الْقِيَامَةِ، **وَقِيلَ:** هَذَا فِي فَرِيقَيْنِ مِنْهُمْ، مَعْنَاهُ: إِنْ تُعَذِّبْ مَنْ كَفَرَ مِنْهُمْ وَإِنْ تَغْفِرْ لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ، **وَقِيلَ:** لَيْسَ هَذَا عَلَى وَجْهِ طَلَبِ الْمَغْفِرَةِ وَلَوْ كَانَ كَذَلِكَ لَقَالَ: فَإِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ، وَلَكِنَّهُ عَلَى تَسْلِيمِ الْأَمْرِ وَتَفْوِيضِهِ إِلَى مُرَادِهِ. **وَأَمَّا السُّؤَالُ الثَّانِي:** فَكَانَ ابْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه يَقْرَأُ ﴿وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾، وَكَذَلِكَ هُوَ فِي مُصْحَفِهِ، وَأَمَّا عَلَى الْقِرَاءَةِ المَعْرُوفَةِ: **قِيلَ:** فِيهِ تَقْدِيمٌ

---

(١) «تفسير (سورة المائدة)» للإمام العثيمين رحمه الله (٢/ ٥٤٣).

وَتَأْخِيرٌ تَقْدِيرُهُ: وإن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ، **وَقِيلَ**: مَعْنَاهُ: إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ فِي الْمُلْكِ، الْحَكِيمُ فِي الْقَضَاءِ، لَا يَنْقُصُ مِنْ عِزِّكَ شَيْءٌ، وَلَا يَخْرُجُ مِنْ حُكْمِكَ شَيْءٌ، وَيُدْخِلُ فِي حِكْمَتِهِ وَمَغْفِرَتِهِ وَسِعَةِ رَحْمَتِهِ وَمَغْفِرَتِهِ الْكُفَّارُ، لَكِنَّهُ أَخْبَرَ أَنَّهُ لَا يَغْفِرُ، وَهُوَ لَا يُخْلِفُ خَبَرَهُ.

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ تَلَا قَوْلَ اللهِ تَعَالَى فِي إِبْرَاهِيمَ: ﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِۖ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّيۖ ﴾[إبراهيم:٢٦] الْآيَةَ، وَقَوْلَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[المَائِدَة:١١٨]، فَرَفَعَ يَدَيْهِ وَقَالَ: «**اللَّهُمَّ، أُمَّتِي أُمَّتِي وَبَكَى**»، فَقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: «**يَا جِبْرِيلُ اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ -وَرَبُّكَ أَعْلَمُ- فَسَلْهُ مَا يُبْكِيكَ؟**»، فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَسَأَلَهُ، فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِمَا قَالَ، فَقَالَ اللهُ تَعَالَى: «**يَا جِبْرِيلُ اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ فَقُلْ إِنَّا سَنُرْضِيكَ فِي أُمَّتِكَ وَلَا نَسُوؤُكَ**»[(١)].

﴿ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْۚ ﴾: قَرَأَ نَافِعٌ: ﴿يَوْمَ﴾ بِنَصْبِ الْمِيمِ، يَعْنِي: تَكُونُ هَذِهِ الْأَشْيَاءُ فِي يَوْمٍ، فَحَذَفَ (فِي) فَانْتَصَبَ، وَقَرَأَ الْآخَرُونَ بِالرَّفْعِ عَلَى أَنَّهُ خَبَرُ هَذَا، أَيْ: يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ فِي الدُّنْيَا صِدْقُهُمْ فِي الْآخِرَةِ، وَلَوْ كَذَبُوا خَتَمَ اللهُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَنَطَقَتْ بِهِ جَوَارِحُهُمْ فَافْتَضَحُوا، **وَقِيلَ**: أَرَادَ بِالصَّادِقِينَ: النَّبِيِّينَ، **وَقَالَ الْكَلْبِيُّ**: يَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانُهُمْ، **قَالَ قَتَادَةُ**: مُتَكَلِّمَانِ يَخْطُبَانِ يَوْمَ القِيَامَةِ، عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَهُوَ مَا قَصَّ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَعَدُوُّ اللهِ إِبْلِيسُ، وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿ وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلْأَمْرُ ﴾[إبراهيم:٢٢] الْآيَة، فَصَدَقَ عَدُوُّ اللهِ يَوْمَئِذٍ، وَكَانَ قَبْلَ ذَلِكَ كَاذِبًا فَلَمْ يَنْفَعْهُ صِدْقُهُ، وَأَمَّا عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فَكَانَ صَادِقًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَنَفَعَهُ صِدْقُهُ، **وَقَالَ عَطَاءٌ**: هَذَا يَوْمٌ مِنْ أَيَّامِ الدُّنْيَا؛ لِأَنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ دَارُ جَزَاءٍ لَا دَارُ عَمَلٍ، ثُمَّ بَيَّنَ ثَوَابَهُمْ فَقَالَ:

(١) **صحيح**: مسلم: (٢٠٢).

﴿لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾، ثُمَّ عَظَّمَ نَفْسَهُ فَقَالَ: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرُۢ﴾.

❁ ❁ ❁

سُورَةُ الأَنْعَامِ

مَكِّيَّةٌ، وَهِيَ مِائَةٌ وَخَمْسٌ وَسِتُّونَ آيَةً.

نَزَلَتْ بِمَكَّةَ جُمْلَةً، **وَقَالَ الْكَلْبِيُّ عَنْ أَبِي صَالِحٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ** رضي الله عنهما: نَزَلَتْ سُورَةُ الْأَنْعَامِ بِمَكَّةَ، إِلَّا قَوْلَهُ: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾[الْأَنْعَام:٩١-٩٣]، إِلَى آخِرِ ثَلَاثِ آيَاتٍ، وَقَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[الأَنْعَام:١٥١-١٥٣]، فَهَذِهِ السِّتُّ آيَاتٍ مَدَنِيَّاتٌ.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا ۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ۖ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ﴾

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾: **قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ** رضي الله عنهما: افْتَتَحَ اللهُ الْخَلْقَ بِالْحَمْدِ، فَقَالَ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾، وَخَتَمَهُ بِالْحَمْدِ فَقَالَ: ﴿وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ﴾: أَيْ: بَيْنَ الْخَلَائِقِ، ﴿وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[الزُّمَر:٧٥].

قَوْلُهُ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾: حَمِدَ اللهُ نَفْسَهُ تَعْلِيمًا لِعِبَادِهِ، أَيِ: احْمَدُوا اللهَ ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾: خَصَّهُمَا بِالذِّكْرِ؛ لِأَنَّهُمَا أَعْظَمُ الْمَخْلُوقَاتِ فِيمَا يَرَى الْعِبَادُ، وَفِيهِمَا الْعِبَرُ وَالْمَنَافِعُ لِلْعِبَادِ، ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾: وَالْجَعْلُ بِمَعْنَى: الْخَلْقِ، **قَالَ الْوَاقِدِيُّ:** كُلُّ مَا فِي الْقُرْآنِ مِنَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورِ فَهُوَ الْكُفْرُ وَالْإِيمَانُ، إِلَّا فِي هَذِهِ الْآيَةِ، فَإِنَّهُ يُرِيدُ بِهِمَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، **وَقَالَ الْحَسَنُ:** ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾: يَعْنِي: الْكُفْرَ وَالْإِيمَانَ، **وَقِيلَ**: أَرَادَ بِالظُّلُمَاتِ: الْجَهْلَ، وَالنُّورِ: الْعِلْمَ، **وَقَالَ قَتَادَةُ:** يَعْنِي: الْجَنَّةَ وَالنَّارَ، **وَقِيلَ:** مَعْنَاهُ: خَلَقَ اللهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، وَقَدْ جَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ؛ لِأَنَّهُ خَلَقَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ قَبْلَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، **قَالَ قَتَادَةُ:** خَلَقَ اللهُ السَّمَوَاتِ قَبْلَ الأَرْضِ وَالظُّلْمَةَ قَبْلَ النُّورِ وَالْجَنَّةَ قَبْلَ النَّارِ، **وَرُوِيَ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ**، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ اللهَ تَعَالَى خَلَقَ الْخَلْقَ فِي ظُلْمَةٍ، ثُمَّ أَلْقَى عَلَيْهِمْ مِنْ نُورِهِ، فَمَنْ أَصَابَهُ مِنْ**

ذَلِكَ النُّورِ اهْتَدَى، وَمَنْ أَخْطَأَهُ ضَلَّ»[(١)].

﴿ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ﴾: أَيْ: ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ هَذَا الْبَيَانِ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ، أَيْ: يُشْرِكُونَ، وَأَصْلُهُ مِنْ مُسَاوَاةِ الشَّيْءِ بِالشَّيْءِ، وَمِنْهُ الْعَدْلُ، أَيْ: يَعْدِلُونَ بِاللهِ غَيْرَ اللهِ تَعَالَى يُقَالُ (عَدَلْتُ هَذَا بِهَذَا) إِذَا سَاوَيْتَهُ بِهِ **قَالَ النَّضْرُ بْنُ شُمَيْلٍ**: (الْبَاءُ) بِمَعْنَى: (عَنْ)، أَيْ: عَنْ رَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ، أَيْ يَمِيلُونَ وَيَنْحَرِفُونَ، مِنَ: الْعُدُولِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ﴾[الإِنْسَان:٦]، أَيْ: مِنْهَا، **وَقِيلَ تَحْتَ قَوْلِهِ**: ﴿ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ﴾ مَعْنًى لَطِيفٌ، وَهُوَ مِثْلُ قَوْلِ الْقَائِلِ: أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ بِكَذَا وَتَفَضَّلْتُ عَلَيْكُمْ بِكَذَا، ثُمَّ تَكْفُرُونَ بِنِعْمَتِي!

قَوْلُهُ ﷻ: ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٖ﴾: يَعْنِي: آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، خَاطَبَهُمْ بِهِ إِذْ كَانُوا مِنْ وَلَدِهِ، ﴿ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلٗاۖ وَأَجَلٞ مُّسَمًّى عِندَهُۥۖ﴾: **قَالَ الحَسَنُ وَقَتَادَةُ وَالضَّحَّاكُ: الْأَجَلُ الْأَوَّلُ**: مِنَ الْوِلَادَةِ إِلَى المَوْتِ، **وَالْأَجَلُ الثَّانِي**: مِنَ المَوْتِ إِلَى الْبَعْثِ، وَهُوَ الْبَرْزَخُ، **وَرُوِيَ ذَلِكَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَقَالَ**: لِكُلِّ أَحَدٍ أَجَلَانِ أَجْلٌ إِلَى المَوْتِ، وَأَجَلٌ مِنَ المَوْتِ إِلَى الْبَعْثِ، فَإِنْ كَانَ بَرًّا تَقِيًّا وَصُولًا لِلرَّحِمِ: زِيدَ لَهُ مِنْ أَجَلِ الْبَعْثِ فِي أَجَلِ الْعُمْرِ، وَإِنْ كَانَ فَاجِرًا قَاطِعًا لِلرَّحِمِ: نَقُصَ مِنْ أَجَلِ الْعُمْرِ وَزِيدَ فِي أَجَلِ الْبَعْثِ، **وَقَالَ مُجَاهِدٌ وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: الْأَجَلُ الْأَوَّلُ**: أَجَلُ الدُّنْيَا، **وَالْأَجَلُ الثَّانِي**: أَجَلُ الْآخِرَةِ. **وَقَالَ عَطِيَّةُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ** رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: ﴿ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلٗاۖ﴾: يَعْنِي: النَّوْمَ تُقْبَضُ فِيهِ الرُّوحُ ثُمَّ تَرْجِعُ عِنْدَ الْيَقَظَةِ، ﴿وَأَجَلٞ مُّسَمًّى عِندَهُۥۖ﴾: يَعْنِي: أَجَلَ المَوْتِ، **وَقِيلَ**: هُمَا وَاحِدٌ، مَعْنَاهُ: ﴿ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلٗاۖ﴾: يَعْنِي: جُعِلَ لِأَعْمَارِكُمْ مُدَّةً تَنْتَهُونَ إِلَيْهَا، ﴿وَأَجَلٞ مُّسَمًّى عِندَهُۥۖ﴾: يَعْنِي: أَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ لَا يَعْلَمُهُ غَيْرُهُ، ﴿ثُمَّ أَنتُمۡ تَمۡتَرُونَ﴾: تَشُكُّونَ فِي الْبَعْثِ.

﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ يَعۡلَمُ سِرَّكُمۡ وَجَهۡرَكُمۡ وَيَعۡلَمُ مَا تَكۡسِبُونَ ٣ وَمَا تَأۡتِيهِم مِّنۡ ءَايَةٖ مِّنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِمۡ إِلَّا كَانُواْ عَنۡهَا مُعۡرِضِينَ ٤ فَقَدۡ كَذَّبُواْ بِٱلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمۡ فَسَوۡفَ يَأۡتِيهِمۡ أَنۢبَٰٓؤُاْ مَا كَانُواْ بِهِۦ

(١) **صحيح**: صححه العلامة الألباني رحمه الله في "صحيح وضعيف سنن الترمذي" (٢٦٤٢)، وهو في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين" للعلامة الوادعي رحمه الله (٧٨٦).

يَسۡتَهۡزِءُونَ ۝٥ أَلَمۡ يَرَوۡاْ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم مِّن قَرۡنٖ مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَا لَمۡ نُمَكِّن لَّكُمۡ وَأَرۡسَلۡنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡهِم مِّدۡرَارٗا وَجَعَلۡنَا ٱلۡأَنۡهَٰرَ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمۡ فَأَهۡلَكۡنَٰهُم بِذُنُوبِهِمۡ وَأَنشَأۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِمۡ قَرۡنًا ءَاخَرِينَ ﴿٦﴾

قَوْلُهُ ﷻ: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ﴾: يَعْنِي: وَهُوَ إِلَهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كَقَوْلِهِ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٞ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَٰهٞۚ﴾[الزُّخرُف:٨٤]، **وَقِيلَ**: هُوَ المَعْبُودُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، **وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ جَرِيرٍ**: مَعْنَاهُ: وَهُوَ اللهُ فِي السَّمَوَاتِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ فِي الْأَرْضِ، **وَقَالَ الزَّجَّاجُ**: فِيهِ تَقْدِيمٌ وَتَأْخِيرٌ: تَقْدِيرُهُ: وَهُوَ اللهُ ﴿يَعۡلَمُ سِرَّكُمۡ وَجَهۡرَكُمۡ﴾: فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، ﴿وَيَعۡلَمُ مَا تَكۡسِبُونَ﴾: تَعْمَلُونَ مِنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ.

﴿وَمَا تَأۡتِيهِم﴾: يَعْنِي: أَهْلَ مَكَّةَ، ﴿مِّنۡ ءَايَةٖ مِّنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِمۡ﴾: مِثْلُ: انْشِقَاقِ الْقَمَرِ وَغَيْرِهِ، **وَقَالَ عَطَاءٌ**: يُرِيدُ: مِنْ آيَاتِ الْقُرْآنِ، ﴿إِلَّا كَانُواْ عَنۡهَا مُعۡرِضِينَ﴾: لَهَا تَارِكِينَ بِهَا مُكَذِّبِينَ، ﴿فَقَدۡ كَذَّبُواْ بِٱلۡحَقِّ﴾: بِالْقُرْآنِ، **وَقِيلَ**: بِمُحَمَّدٍ ﷺ ﴿لَمَّا جَآءَهُمۡۖ فَسَوۡفَ يَأۡتِيهِمۡ أَنۢبَٰٓؤُاْ مَا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾: أَيْ: أَخْبَارُ اسْتِهْزَائِهِمْ وَجَزَاؤُهُ، أَيْ: سَيَعْلَمُونَ عَاقِبَةَ اسْتِهْزَائِهِمْ إِذَا عُذِّبُوا.

قَوْلُهُ ﷻ: ﴿أَلَمۡ يَرَوۡاْ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم مِّن قَرۡنٖ﴾: يَعْنِي: الْأُمَمَ المَاضِيَةَ، **وَالْقَرْنُ**: الْجَمَاعَةُ مِنَ النَّاسِ، وَجَمْعُهُ (قُرُونٌ)، **وَقِيلَ**: **الْقَرْنُ**: مُدَّةٌ مِنَ الزَّمَانِ، يُقَالُ: ثَمَانُونَ سَنَةً، **وَقِيلَ**: سِتُّونَ سَنَةً، **وَقِيلَ**: أَرْبَعُونَ سَنَةً، **وَقِيلَ**: ثَلَاثُونَ سَنَةً، وَيُقَالُ: مِائَةُ سَنَةٍ؛ **لِمَا رُوِيَ** أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ **لِعَبْدِ اللهِ بْنِ بُسْرٍ المَازِنِيِّ**: «**إِنَّكَ تَعِيشُ قَرْنًا**»(١)، فَعَاشَ مِائَةَ سَنَةٍ. **فَيَكُونُ مَعْنَاهُ عَلَى هَذِهِ الْأَقَاوِيلِ**: مِنْ أَهْلِ قَرْنٍ، ﴿مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَا لَمۡ نُمَكِّن لَّكُمۡ﴾: أَيْ: أَعْطَيْنَاهُمْ مَا لَمْ نُعْطِكُمْ، **وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ**: أَمْهَلْنَاهُمْ فِي الْعُمْرِ، مِثْلَ: قَوْمِ نُوحٍ، وَعَادٍ، وَثَمُودَ، يُقَالُ: (مَكَّنْتُهُ)، وَ(مَكَّنْتُ لَهُ)، ﴿وَأَرۡسَلۡنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡهِم مِّدۡرَارٗا﴾: يَعْنِي: المَطَرَ، (مِفْعَالٌ) مِنَ: الدَّرِّ، **قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ**: ﴿مِّدۡرَارٗا﴾: أَيْ: مُتَتَابِعًا فِي أَوْقَاتِ الْحَاجَاتِ. **وَقَوْلُهُ**: ﴿مَا لَمۡ نُمَكِّن لَّكُمۡ﴾: مِنْ خِطَابِ التَّلْوِينِ، رَجَعَ مِنَ الْخَبَرِ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿أَلَمۡ يَرَوۡاْ﴾ إِلَى

(١) **صحيح**: صححه العلامة الألباني رَحِمَهُ اللهُ في «الصحيحة» (٢٦٦٠)، وهو في «الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين» للعلامة الوادعي رَحِمَهُ اللهُ (٥٥٣).

الخِطَابِ، كَقَوْلِهِ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم﴾[يُونُس:٢٢]، وَقَالَ أَهْلُ الْبَصْرَةِ: أَخْبَرَ عَنْهُمْ بِقَوْلِهِ: ﴿أَلَمۡ يَرَوۡاْ﴾ وَفِيهِمْ مُحَمَّدٌ ﷺ وَأَصْحَابُهُ، ثُمَّ خَاطَبَهُمْ مَعَهُمْ، وَالْعَرَبُ تَقُولُ: (قُلْتُ لِعَبْدِ اللهِ مَا أَكْرَمَهُ!)، وَ(قُلْتُ لِعَبْدِ اللهِ مَا أَكْرَمَكَ!)، ﴿وَجَعَلۡنَا ٱلۡأَنۡهَٰرَ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمۡ فَأَهۡلَكۡنَٰهُم بِذُنُوبِهِمۡ وَأَنشَأۡنَا﴾: خَلَقْنَا وَابْتَدَأْنَا ﴿مِنۢ بَعۡدِهِمۡ قَرۡنًا ءَاخَرِينَ﴾.

﴿وَلَوۡ نَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ كِتَٰبٗا فِي قِرۡطَاسٖ فَلَمَسُوهُ بِأَيۡدِيهِمۡ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ٧ وَقَالُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ مَلَكٞۖ وَلَوۡ أَنزَلۡنَا مَلَكٗا لَّقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ٨ وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ مَلَكٗا لَّجَعَلۡنَٰهُ رَجُلٗا وَلَلَبَسۡنَا عَلَيۡهِم مَّا يَلۡبِسُونَ ٩ وَلَقَدِ ٱسۡتُهۡزِئَ بِرُسُلٖ مِّن قَبۡلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنۡهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ١٠ قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ ٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ﴾

قَوْلُهُ ﷻ: ﴿وَلَوۡ نَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ كِتَٰبٗا فِي قِرۡطَاسٖ﴾: مَكْتُوبًا مِنْ عِنْدِي، [وَالْقِرْطَاسُ: الصَّحِيفَةُ يُكْتَبُ فِيهَا، وَتُثَلَّثُ قَافُهُ بِهَذَا المَعْنَى]، ﴿فَلَمَسُوهُ بِأَيۡدِيهِمۡ﴾: أَيْ: عَايَنُوهُ وَمَسُّوهُ بِأَيْدِيهِمْ، وَذَكَرَ اللَّمْسَ وَلَمْ يَذْكُرِ المُعَايَنَةَ؛ لِأَنَّ اللَّمْسَ أَبْلَغُ فِي إِيقَاعِ العِلْمِ مِنَ الرُّؤْيَةِ؛ فَإِنَّ السِّحْرَ يَجْرِي عَلَى المَرْئِيِّ وَلَا يَجْرِي عَلَى المَلْمُوسِ، ﴿لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ﴾: مَعْنَاهُ: لَا يَنْفَعُ مَعَهُمْ شَيْءٌ؛ لِمَا سَبَقَ فِيهِمْ مِنْ عِلْمِي. ﴿وَقَالُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ﴾: عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ ﴿مَلَكٞۖ وَلَوۡ أَنزَلۡنَا مَلَكٗا لَّقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ﴾: أَيْ: لَوَجَبَ الْعَذَابُ، وَفُرِغَ مِنَ الْأَمْرِ، وَهَذَا سُنَّةُ اللهِ فِي الْكُفَّارِ أَنَّهُمْ مَتَى اقْتَرَحُوا آيَةً فَأُنْزِلَتْ ثُمَّ لَمْ يُؤْمِنُوا اسْتُؤْصِلُوا بِالْعَذَابِ، ﴿ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ﴾: أَيْ: لَا يُؤَجَّلُونَ وَلَا يُمْهَلُونَ، وَقَالَ قَتَادَةُ: لَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا ثُمَّ لَمْ يُؤْمِنُوا لَعُجِّلَ لَهُمُ الْعَذَابُ وَلَمْ يُؤَخَّرُوا طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَقَالَ مُجَاهِدٌ: ﴿لَّقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ﴾: أَيْ: لَقَامَتِ الْقِيَامَةُ، وَقَالَ الضَّحَّاكُ: لَوْ أَتَاهُمْ مَلَكٌ فِي صُورَتِهِ لَمَاتُوا. ﴿وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ مَلَكٗا﴾: يَعْنِي: لَوْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ مَلَكًا، ﴿لَّجَعَلۡنَٰهُ رَجُلٗا﴾: يَعْنِي: فِي صُورَةِ رَجُلٍ آدَمِيٍّ؛ لِأَنَّهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ النَّظَرَ إِلَى المَلَائِكَةِ، وَكَانَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَأْتِي النَّبِيَّ ﷺ فِي صُورَةِ دِحْيَةَ الْكَلْبِيِّ[1]، وَجَاءَ المَلَكَانِ إِلَى دَاوُدَ فِي صُورَةِ رَجُلَيْنِ.

(١) **صحيح:** البخاري: (٣٦٣٤)، مسلم: (٢٤٥١)، عن أم سلمة رضي الله عنها.

قَوْلُهُ ﷻ: ﴿وَلَلَبَسۡنَا عَلَيۡهِم مَّا يَلۡبِسُونَ﴾: أَيْ: خَلَطْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَخْلِطُونَ وَشَبَّهْنَا عَلَيْهِمْ فَلَا يَدْرُونَ أَمَلَكٌ هُوَ أَمْ آدَمِيٌّ؟ وَقِيلَ: مَعْنَاهُ شَبَّهُوا عَلَى ضُعَفَائِهِمْ فَشُبِّهَ عَلَيْهِمْ وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: هُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَحَرَّفُوا الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ فَلَبَّسَ اللهُ عَلَيْهِمْ مَا لَبَّسُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ. وَقَرَأَ الزُّهْرِيُّ: ﴿لَلَبَّسْنَا﴾ بِالتَّشْدِيدِ عَلَى التَّكْرِيرِ وَالتَّأْكِيدِ. ﴿وَلَقَدِ ٱسۡتُهۡزِئَ بِرُسُلٖ مِّن قَبۡلِكَ﴾: كَمَا اسْتُهْزِئَ بِكَ يَا مُحَمَّدُ، يُعَزِّي نَبِيَّهُ ﷺ، ﴿فَحَاقَ﴾: قَالَ الرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ: فَنَزَلَ، وَقَالَ عَطَاءٌ: حَلَّ، وَقَالَ الضَّحَّاكُ: أَحَاطَ، ﴿بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنۡهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾: أَيْ: جَزَاءَ اسْتِهْزَاءِهِمْ مِنَ الْعَذَابِ وَالنِّقْمَةِ. ﴿قُلۡ﴾: يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْمُكَذِّبِينَ الْمُسْتَهْزِئِينَ: ﴿سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾: مُعْتَبِرِينَ، يُحْتَمَلُ هَذَا السَّيْرُ بِالْعُقُولِ وَالْفِكْرِ، وَيُحْتَمَلُ السَّيْرُ بِالْأَقْدَامِ، ﴿ثُمَّ ٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ﴾: أَيْ: آخِرَ أَمْرِهِمْ وَكَيْفَ أَوْرَثَهُمُ الْكُفْرُ وَالتَّكْذِيبُ الهَلَاكَ، يُحَذِّرُ كُفَّارَ مَكَّةَ عَذَابَ الْأُمَمِ الْخَالِيَةِ.

﴿قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ قُل لِّلَّهِۚ كَتَبَ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۚ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٢﴾ ۞وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِي ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿١٣﴾ قُلۡ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيّٗا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَهُوَ يُطۡعِمُ وَلَا يُطۡعَمُۗ قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ أَوَّلَ مَنۡ أَسۡلَمَۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٤﴾ قُلۡ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴿١٥﴾ مَّن يُصۡرَفۡ عَنۡهُ يَوۡمَئِذٖ فَقَدۡ رَحِمَهُۥۚ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡمُبِينُ﴾

قَوْلُهُ ﷻ: ﴿قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾: فَإِنْ أَجَابُوكَ وَإِلَّا فَـ﴿قُل﴾: أَنْتَ ﴿لِّلَّهِۚ﴾: أَمْرَهُ بِالْجَوَابِ عَقِيبَ السُّؤَالِ؛ لِيَكُونَ أَبْلَغَ فِي التَّأْثِيرِ وَآكَدَ فِي الْحُجَّةِ، ﴿كَتَبَ﴾: أَيْ: قَضَى ﴿عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَۚ﴾: هَذَا اسْتِعْطَافٌ مِنْهُ تَعَالَى لِلْمُتَوَلِّينَ عَنْهُ إِلَى الإِقْبَالِ عَلَيْهِ، وَإِخْبَارٌ بِأَنَّهُ رَحِيمٌ بِالْعِبَادِ لَا يُعَجِّلُ بِالْعُقُوبَةِ، وَيَقْبَلُ الْإِنَابَةَ وَالتَّوْبَةَ.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَمَّا قَضَى اللهُ الخَلْقَ كَتَبَ كِتَابًا فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ: إِنَّ رَحْمَتِي غَلَبَتْ غَضَبِي»[1]. وَرَوَى أَبُو الزِّنَادِ، عَنِ الْأَعْرَجِ،

(١) **صحيح:** البخاري: (٣١٩٤)، مسلم: (٢٧٥١).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: قَالَ اللهُ تَعَالَى: «إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي»[(١)].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ للهِ مِائَةَ رَحْمَةٍ، وَاحِدَةً بَيْنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالْبَهَائِمِ وَالْهَوَامِ، فَبِهَا يَتَعَاطَفُونَ، وَبِهَا يَتَرَاحَمُونَ، وَبِهَا تَعْطِفُ الْوُحُوشُ عَلَى أَوْلَادِهَا، وَأَخَّرَ اللهُ تِسْعًا وَتِسْعِينَ رَحْمَةً يَرْحَمُ بِهَا عِبَادَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[(٢)].

عَنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه قَالَ: قَدِمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ سَبْيٌ، فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنَ السَّبْيِ قَدْ تَحَلَّبَ ثَدْيُهَا، تَسْعَى إِذَا وَجَدَتْ صَبِيًّا فِي السَّبْيِ أَخَذَتْهُ فَأَلْصَقَتْهُ بِبَطْنِهَا وَأَرْضَعَتْهُ، فَقَالَ لَنَا النَّبِيُّ ﷺ: «أَتُرَوْنَ هَذِهِ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ؟» فَقُلْنَا: لَا، وَهِيَ تَقْدِرُ عَلَى أَنْ لَا تَطْرَحَهُ، فَقَالَ: «لَلَّهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بِوَلَدِهَا»[(٣)].

قَوْلُهُ عز وجل: ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ﴾: (اللَّامُ) فِيهِ لَامُ الْقَسَمِ، وَ(النُّونُ) نُونُ التَّأْكِيدِ مَجَازُهُ: وَاللهِ لَيَجْمَعَنَّكُمْ ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾: أَيْ: فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: لَيَجْمَعَنَّكُمْ فِي قُبُورِكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟﴾: غَبِنُوا ﴿أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝١٢﴾ ﴿۞ وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِى ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ﴾: أَيِ: اسْتَقَرَّ، قِيلَ: أَرَادَ مَا سَكَنَ وَمَا تَحَرَّكَ، كَقَوْلِهِ: ﴿سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾[النَّحْل:٨١] أَيِ الْحَرَّ وَالْبَرْدَ، وَقِيلَ: إِنَّمَا خَصَّ السُّكُونَ بِالذِّكْرِ؛ لِأَنَّ النِّعْمَةَ فِيهِ أَكْثَرُ، قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ جَرِيرٍ: كُلُّ مَا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ وَغَرَبَتْ فَهُوَ مِنْ سَاكِنِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَالْمُرَادُ مِنْهُ جَمِيعُ مَا فِي الْأَرْضِ، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: مَا يَمُرُّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾: لِأَصْوَاتِهِمْ، ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾: بِأَسْرَارِهِمْ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا﴾: وَهَذَا حِينَ دُعِيَ إِلَى دِينِ آبَائِهِ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ﴾: يَا مُحَمَّدُ ﴿أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا﴾: رَبًّا وَمَعْبُودًا وَنَاصِرًا وَمُعِينًا؟! ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ

(١) **صحيح:** البخاري: (٧٤٢٢)، مسلم: (٢٧٥١).

(٢) **صحيح:** مسلم: (٢٤٥٢).

(٣) **صحيح:** البخاري: (٥٩٩٩)، مسلم: (٢٧٥٤). **وقولُهُ:** «تَحَلَّبَ ثَدْيُهَا»: أي: تهيَّأ لِأَنْ يُحلب. **وقولُهُ:** «أَتُرَوْنَ»: أي: أتظنُّون. **وقولُهُ:** «وَهِيَ تَقْدِرُ عَلَى أَنْ لَا تَطْرَحَهُ»: أي: لا تطرحُهُ طائعةً أبدًا. "فتح الباري" (١٠/ ٤٣٠-٤٣١).

﴿وَٱلۡأَرۡضِ﴾: أَيْ: خَالِقِهِمَا وَمُبْدِعِهِمَا وَمُبْتَدِيهِمَا، ﴿وَهُوَ يُطۡعِمُ وَلَا يُطۡعَمُۗ﴾: أَيْ: وَهُوَ يَرْزُقُ وَلَا يُرْزَقُ، كَمَا قَالَ: ﴿مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ﴾[الذَّارِيَات:٥٧]. ﴿قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ أَوَّلَ مَنۡ أَسۡلَمَۖ﴾: يَعْنِي: مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَالْإِسْلَامُ: بِمَعْنَى الْاسْتِسْلَامِ لِأَمْرِ اللهِ، وَقِيلَ: ﴿أَسۡلَمَۖ﴾: أَخْلَصَ، ﴿وَلَا تَكُونَنَّ﴾: يَعْنِي: وَقِيلَ لِي ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٤ قُلۡ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي﴾: فَعَبَدْتُ غَيْرَهُ ﴿عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ﴾: يَعْنِي عَذَابَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، ﴿مَّن يُصۡرَفۡ عَنۡهُ﴾: يَعْنِي: مَنْ يُصْرَفِ الْعَذَابُ عَنْهُ، قَرَأَ حَمْزَةُ وَالْكِسَائِيُّ وَأَبُو بَكْرٍ عَنْ عَاصِمٍ وَيَعْقُوبَ: ﴿يَصْرِفُ﴾ بِفَتْحِ الْيَاءِ وَكَسْرِ الرَّاءِ أَيْ: مَنْ يَصْرِفُ اللهُ عَنْهُ الْعَذَابَ؛ لِقَوْلِهِ: ﴿فَقَدۡ رَحِمَهُۥۚ﴾، وَقَرَأَ الْآخَرُونَ بِضَمِّ الْيَاءِ وَفَتْحِ الرَّاءِ، ﴿يَوۡمَئِذٖ﴾: يَعْنِي: يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿فَقَدۡ رَحِمَهُۥۚ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡمُبِينُ﴾: أَيِ: النَّجَاةُ الْبَيِّنَةُ.

﴿وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يَمۡسَسۡكَ بِخَيۡرٖ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٧ وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ١٨ قُلۡ أَيُّ شَيۡءٍ أَكۡبَرُ شَهَٰدَةٗۖ قُلِ ٱللَّهُۖ شَهِيدُۢ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡۚ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَۚ أَئِنَّكُمۡ لَتَشۡهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخۡرَىٰۚ قُل لَّآ أَشۡهَدُۚ قُلۡ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَإِنَّنِي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ﴾

قَوْلُهُ ﷻ: ﴿وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ﴾: بِشِدَّةٍ وَبَلِيَّةٍ ﴿فَلَا كَاشِفَ﴾: لَا رَافِعَ ﴿لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يَمۡسَسۡكَ بِخَيۡرٖ﴾: عَافِيَةٍ وَنِعْمَةٍ، ﴿فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾: مِنَ الْخَيْرِ وَالضُّرِّ.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: أُهْدِيَ لِلنَّبِيِّ ﷺ بَغْلَةٌ، أَهْدَاهَا لَهُ كِسْرَى، فَرَكِبَهَا بِحَبْلٍ مِنْ شَعْرٍ، ثُمَّ أَرْدَفَنِي خَلْفَهُ، ثُمَّ سَارَ بِي مَلِيًّا، ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَيَّ فَقَالَ: «**يَا غُلَامُ**»، فَقُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «**احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، تَعَرَّفْ إِلَى اللهِ فِي الرَّخَاءِ يَعْرِفْكَ فِي الشِّدَّةِ، وَإِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ، وَقَدْ مَضَى الْقَلَمُ بِمَا هُوَ كَائِنٌ، فَلَوْ جَهِدَ الْخَلَائِقُ أَنْ يَنْفَعُوكَ بِمَا لَمْ يَقْضِهِ اللهُ تَعَالَى لَكَ لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ، وَلَوْ جَهِدُوا أَنْ يَضُرُّوكَ بِمَا لَمْ يَكْتُبِ اللهُ تَعَالَى عَلَيْكَ مَا قَدَرُوا عَلَيْهِ، فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَعْمَلَ بِالصَّبْرِ مَعَ الْيَقِينِ فَافْعَلْ، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَاصْبِرْ؛ فَإِنَّ فِي الصَّبْرِ عَلَى**

مَا تَكْرَهُ خَيْرًا كَثِيرًا، وَاعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ الفَرَجَ مَعَ الكَرْبِ، وَأَنَّ مَعَ العُسْرِ يُسْرًا»(١).

﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾: الْقَاهِرُ: الْغَالِبُ، وَفِي الْقَهْرِ زِيَادَةُ مَعْنًى عَلَى الْقُدْرَةِ، وهو مَنْعُ غَيْرِهِ عَنْ بُلُوغِ المُرَادِ، وَقِيلَ: هُوَ الْمُنْفَرِدُ بِالتَّدْبِيرِ الَّذِي يُجْبِرُ الْخَلْقَ عَلَى مُرَادِهِ، ﴿فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾: هُوَ صِفَةُ الِاسْتِعْلَاءِ الَّذِي تَفَرَّدَ بِهِ اللهُ ﷻ، ﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ﴾: فِي أَمْرِهِ، ﴿ٱلْخَبِيرُ﴾: بِأَعْمَالِ عِبَادِهِ.

قَوْلُهُ ﷻ: ﴿قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ﴾: أَعْظَمُ ﴿شَهَٰدَةً﴾: فَإِنْ أَجَابُوكَ، وَإِلَّا ﴿قُلِ ٱللَّهُ شَهِيدُۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ﴾: عَلَى مَا أَقُولُ، وَيَشْهَدُ لِي بِالْحَقِّ وَعَلَيْكُمْ بِالْبَاطِلِ، ﴿وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ﴾: لِأُخَوِّفَكُمْ بِهِ يَا أَهْلَ مَكَّةَ ﴿وَمَنۢ بَلَغَ﴾: يَعْنِي: وَمَنْ بَلَغَهُ الْقُرْآنُ مِنَ الْعَجَمِ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْأُمَمِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً، وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»(٢).

---

(١) **صحيح:** أحمد: (٢٨٠٣) واللفظ له، وصححه ط: (الرسالة)، والألباني في «الصحيحة» (٢٣٨٢)، وهو في «الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين» للإمام الوادعي (٦٨٥).

(٢) **صحيح:** البخاري: (٣٤٦١). **وقولُهُ:** «وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ»: قال الحافظ رَحِمَهُ اللَّهُ: أي: لا ضِيقَ عليكم في الحديث عنهم؛ لأنه كان تقدم منه ﷺ الزجر عن الأخذ عنهم والنظر في كتبهم، ثم حصل التوسع في ذلك، وكأن النهي وقع قبل استقرار الأحكام الإسلامية والقواعد الدينية؛ خشية الفتنة، ثم لَمَّا زال المحذورُ وقع الإذنُ في ذلك؛ لما في سماع الأخبار التي كانت في زمانهم من الاعتبار. وقيل: معنى قوله: «لَا حَرَجَ»: لا تَضِيقُ صدورُكُم بما تسمعونه عنهم من الأعاجيب؛ فإن ذلك وقع لهم كثيرًا. وقيل: لا حرج في أن لا تُحَدِّثُوا عنهم؛ لأن قوله أولًا «حَدِّثُوا»: صيغةُ أمرٍ تقتضي الوجوب، فأشار إلى عدم الوجوب وأنَّ الأمرَ فيه للإباحة بقوله: (وَلَا حَرَجَ)، أي: في ترك التحديث عنهم. وقيل: المرادُ رفعُ الحرج عن حاكي ذلك؛ لما في أخبارهم من الألفاظ الشنيعة، نحو قولهم: (اذهب أنت وربُّك فقاتلا)، وقولهم: (اجعل لنا إلهًا). وقيل: المراد ببني إسرائيل أولاد إسرائيل نفسه، وهم أولاد يعقوب، والمراد: حدثوا عنهم بقصتهم مع أخيهم يوسف وهذا أبعد الأوجه. وقال مالك: المرادُ جوازُ التَّحدُّثِ عنهم بما كان من أمر حَسَنٍ، أما ما عُلم كَذِبُه فلا. وقيل: المعنى: حَدِّثُوا عنهم =

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «نَضَّرَ اللهُ عَبْدًا سَمِعَ مَقَالَتِي فَحَفِظَهَا وَوَعَاهَا وَأَدَّاهَا، فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ غَيْرِ فَقِيهٍ، وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ، ثَلَاثٌ لَا يُغِلُّ عَلَيْهِنَّ قَلْبُ مُسْلِمٍ: إِخْلَاصُ الْعَمَلِ لِلهِ، وَالنَّصِيحَةُ لِلْمُسْلِمِينَ، وَلُزُومُ جَمَاعَتِهِمْ، فَإِنَّ دَعْوَتَهُمْ تُحِيطُ مِنْ وَرَائِهِمْ»(١).

قَالَ مُقَاتِلٌ: مَنْ بَلَغَهُ الْقُرْآنُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فَهُوَ نَذِيرٌ لَهُ، وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ الْقُرَظِيُّ: مَنْ بَلَغَهُ الْقُرْآنُ فَكَأَنَّمَا رَأَى مُحَمَّدًا ﷺ وَسَمِعَ مِنْهُ، ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَىٰ﴾: وَلَمْ يَقُلْ (أُخَرَ)؛ لِأَنَّ الْجَمْعَ يَلْحَقُهُ التَّأْنِيثُ، كَقَوْلِهِ ﷻ: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾[الْأَعْرَاف:١٨٠] وَقَالَ: ﴿فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ﴾[طَه:٥١]. ﴿قُل﴾: يَا مُحَمَّد إِنْ شَهِدْتُمْ أَنْتُم فَـ﴿لَّا أَشْهَدُ﴾: أَنَا أَنَّ مَعَهُ إِلَهًا، ﴿قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾.

﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ ۘ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ۗ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢١﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾ انظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ ۚ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾: يَعْنِي: التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴿يَعْرِفُونَهُ﴾: يَعْنِي مُحَمَّدًا ﷺ بِنَعْتِهِ وَصِفَتِهِ ﴿كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ﴾: مِنْ بَيْنِ الصِّبْيَانِ ﴿الَّذِينَ خَسِرُوا﴾: غَبِنُوا

= بمثل ما ورد في القرآن والحديث الصحيح. وقيل: المرادُ جوازُ التحدث عنهم بأي صورة وقعت، من انقطاعٍ، أو بلاغٍ؛ لتعذر الاتصال في التحدث عنهم، بخلاف الأحكام الإسلاميَّة؛ فإنَّ الأصلَ في التحدث بها الاتصالُ، ولا يتعذر ذلك؛ لِقُربِ العهد. وقال الشافعيُّ: من المعلوم أنَّ النبيَّ ﷺ لا يُجيز التحدث بالكذب، فالمعنى: حَدِّثُوا عن بني إسرائيل بما لا تعلمون كذبه، وأما ما تجوزونه فلا حرج عليكم في التحدث به عنهم، وهو نظير قولِهِ «**إِذَا حَدَّثَكُمْ أَهْلُ الكِتَابِ فَلَا تُصَدِّقُوهُمْ وَلَا تُكَذِّبُوهُمْ**»، ولم يرد الإذن ولا المنع من التحدث بما يقطع بصدقه.اهـ "فتح الباري" (٦/ ٤٩٨-٤٩٩).

(١) **صحيح**: صححه العلامة الألباني رحمه الله في "المشكاة" (٢٢٨)، وهو في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين" (١١٦١) للإمام الوادعي رحمه الله عن النعمان بن بشير رضي الله عنه.

﴿أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾: وَذَلِكَ أَنَّ اللهَ جَعَلَ لِكُلِّ آدَمِيٍّ مَنْزِلًا فِي الْجَنَّةِ وَمَنْزِلًا فِي النَّارِ، فإذا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ جَعَلَ اللهُ لِلْمُؤْمِنِينَ مَنَازِلَ أَهْلِ النَّارِ فِي الْجَنَّةِ، وَلِأَهْلِ النَّارِ مَنَازِلَ أَهْلِ الْجَنَّةِ فِي النَّارِ، وَذَلِكَ الْخُسْرَانُ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾: أَكْفَرُ ﴿مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ﴾: اخْتَلَقَ ﴿عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾: فَأَشْرَكَ بِهِ غَيْرَهُ، ﴿أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ﴾: يَعْنِي: الْقُرْآنَ، ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾: الْكَافِرُونَ. ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾: أَيِ: الْعَابِدِينَ وَالْمَعْبُودِينَ يَعْنِي: يَوْمَ الْقِيَامَةِ، قَرَأَ يَعْقُوبُ: ﴿يَحْشُرُهُمْ﴾ هَاهُنَا وَفِي (سَبَأٍ) بِالْيَاءِ، وَوَافَقَ حَفْصٌ فِي سَبَأٍ، وَقَرَأَ الْآخَرُونَ بِالنُّونِ. ﴿ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾: أَنَّهَا تَشْفَعُ لَكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ؟!

﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ﴾: قَرَأَ حَمْزَةُ وَالْكِسَائِيُّ وَيَعْقُوبُ: ﴿يَكُنْ﴾ بِالْيَاءِ؛ لِأَنَّ الْفِتْنَةَ بِمَعْنَى الِافْتِتَانِ، فَجَازَ تَذْكِيرُهُ، وَقَرَأَ الْآخَرُونَ بِالتَّاءِ؛ لِتَأْنِيثِ الْفِتْنَةِ، وَقَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ وَابْنُ عَامِرٍ وَحَفْصٌ عَنْ عَاصِمٍ ﴿فِتْنَتُهُمْ﴾ بِالرَّفْعِ جَعَلُوهُ اسْمَ (كَانَ)، وَقَرَأَ الْآخَرُونَ بِالنَّصْبِ، فَجَعَلُوا الِاسْمَ قَوْلَهُ: ﴿إِلَّآ أَن قَالُواْ﴾، وَ﴿فِتْنَتَهُمْ﴾ الْخَبَرُ.

وَمَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿فِتْنَتُهُمْ﴾: أَيْ: قَوْلُهُمْ وَجَوَابُهُمْ، **وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَقَتَادَةُ:** مَعْذِرَتُهُمْ، وَالْفِتْنَةُ: التَّجْرِبَةُ، فَلَمَّا كَانَ سُؤَالُهُمْ تَجْرِبَةً لِإِظْهَارِ مَا فِي قُلُوبِهِمْ قِيلَ فِتْنَةٌ، **قَالَ الزَّجَّاجُ: فِي قَوْلِهِ:** ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ﴾: مَعْنًى لَطِيفٌ، وَذَلِكَ مِثْلُ الرَّجُلِ يَفْتَتِنُ بِمَحْبُوبٍ ثُمَّ يُصِيبُهُ فِيهِ مِحْنَةٌ فَيَتَبَرَّأُ مِنْ مَحْبُوبِهِ، فَيُقَالُ: لَمْ تَكُنْ فُتِنْتَ إِلَّا بِهَذَا، كَذَلِكَ الْكُفَّارُ فُتِنُوا بِمَحَبَّةِ الْأَصْنَامِ، وَلَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ تَبَرَّأُوا مِنْهَا. يَقُولُ اللهُ ﷻ: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ﴾: فِي مَحَبَّتِهِمُ الْأَصْنَامَ، ﴿إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾: قَرَأَ حَمْزَةُ وَالكِسَائِيُّ: ﴿رَبَّنَا﴾ بِالنَّصْبِ عَلَى النِّدَاءِ الْمُضَافِ، وَقَرَأَ الْآخَرُونَ بِالْخَفْضِ عَلَى نَعْتِ ﴿وَٱللَّهِ﴾، **وَقِيلَ:** إِنَّهُمْ إِذَا رَأَوْا يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَغْفِرَةَ اللهِ تَعَالَى وَتَجَاوُزَهُ عَنْ أَهْلِ التَّوْحِيدِ، قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: تَعَالَوْا نَكْتُمُ الشِّرْكَ لَعَلَّنَا نَنْجُوا مَعَ أَهْلِ التَّوْحِيدِ، فَيَقُولُونَ: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾، فَيُخْتَمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتَشْهَدُ عَلَيْهِمْ جَوَارِحُهُمْ بِالْكُفْرِ. فَقَالَ ﷻ: ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُواْ عَلَىٰٓ

﴿أَنفُسِهِمۡۚ﴾: باعْتِذَارِهِمُ البَاطِلِ وَتَبَرِّيهِمْ عَنِ الشِّرْكِ، ﴿وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ﴾: أَيْ: زَالَ وَذَهَبَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ مِنَ الْأَصْنَامِ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا يَرْجُونَ شَفَاعَتَهَا وَنُصْرَتَهَا، فَبَطُلَ كُلُّهُ فِي ذَلِكَ اليومِ.

﴿وَمِنۡهُم مَّن يَسۡتَمِعُ إِلَيۡكَۖ وَجَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً أَن يَفۡقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٗاۚ وَإِن يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٖ لَّا يُؤۡمِنُواْ بِهَاۚ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾ وَهُمۡ يَنۡهَوۡنَ عَنۡهُ وَيَنۡـَٔوۡنَ عَنۡهُۖ وَإِن يُهۡلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيۡتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٢٧﴾ بَلۡ بَدَا لَهُم مَّا كَانُواْ يُخۡفُونَ مِن قَبۡلُۖ وَلَوۡ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنۡهُ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ﴾

قَوْلُهُ ﷻ: ﴿وَمِنۡهُم مَّن يَسۡتَمِعُ إِلَيۡكَۖ﴾: وَإِلَى كَلَامِكَ ﴿وَجَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً﴾: أَغْطِيَةً جَمْعُ (كِنَانٍ)، كَالْأَعِنَّةِ جَمْعُ (عِنَانٍ)، ﴿أَن يَفۡقَهُوهُ﴾: أَنْ يَعْلَمُوهُ، **قِيلَ**: مَعْنَاهُ أَنْ لَا يَفْقَهُوهُ **وَقِيلَ**: كَرَاهَةَ أَنْ يَفْقَهُوهُ، ﴿وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٗاۚ﴾: صَمَمًا وَثِقْلًا، هَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ اللهَ تَعَالَى يُقَلِّبُ الْقُلُوبَ فَيَشْرَحُ بَعْضَهَا لِلْهُدَى، وَيَجْعَلُ بَعْضَهَا فِي أَكِنَّةٍ فَلَا تَفْقَهُ كَلَامَ اللهِ وَلَا تُؤْمِنُ، ﴿وَإِن يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٖ﴾: مِنَ الْمُعْجِزَاتِ وَالدَّلَالَاتِ ﴿لَّا يُؤۡمِنُواْ بِهَاۚ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾: يَعْنِي: أَحَادِيثُهُمْ وَأَقَاصِيصُهُمْ، **وَالْأَسَاطِيرُ**: جَمْعُ (أُسْطُورَةٍ) وَ(إِسْطَارَةٍ)، **وَقِيلَ**: هِيَ التُّرَّهَاتُ[1] وَالْأَبَاطِيلُ، وَأَصْلُهَا مِنْ (سَطَرْتُ)، أَيْ: كَتَبْتُ.

﴿وَهُمۡ يَنۡهَوۡنَ عَنۡهُ﴾: أَيْ: يَنْهَوْنَ النَّاسَ عَنِ اتِّبَاعِ مُحَمَّدٍ ﷺ، ﴿وَيَنۡـَٔوۡنَ عَنۡهُۖ﴾: أَيْ: يَتَبَاعَدُونَ عَنْهُ بِأَنْفُسِهِمْ، نَزَلَتْ فِي كُفَّارِ مَكَّةَ، **قَالَهُ مُحَمَّدُ ابْنُ الحَنَفِيَّةِ، وَالسُّدِّيُّ، وَالضَّحَّاكُ، وَقَالَ قَتَادَةُ**: يَنْهَوْنَ عَنِ الْقُرْآنِ وَعَنِ النَّبِيِّ ﷺ وَيَتَبَاعَدُونَ عَنْهُ، **وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمُقَاتِلٌ**: نَزَلَتْ فِي أَبِي طَالِبٍ، كَانَ يَنْهَى النَّاسَ عَنْ أَذَى النَّبِيِّ ﷺ وَيَمْنَعُهُمْ،

(١) الترهة: الفلاة، والطَّرِيق الصَّغِير المتشعب عن الطَّرِيق الأَعْظَم، والبَاطِل، والقَول الخَالِي من نفع.اهـ "المعجم الوسيط" (١/ ٨٥).

وَيَنْأَى عَنِ الْإِيمَانِ بِهِ، أَيْ: يَبْعُدُ، حَتَّى رُوِيَ أَنَّهُ اجْتَمَعَ إِلَيْهِ رُؤُوسُ الْمُشْرِكِينَ وَقَالُوا: خُذْ شَابًّا مِنْ أَصْبَحِنَا وَجْهًا، وَادْفَعْ إِلَيْنَا مُحَمَّدًا، فَقَالَ أَبُو طَالِبٍ: مَا أَنْصَفْتُمُونِي، أَدْفَعُ إِلَيْكُمْ وَلَدِي لِتَقْتُلُوهُ وَأُرَبِّي وَلَدَكُمْ؟!

وَرُوِيَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَعَاهُ إِلَى الْإِيمَانِ، فَقَالَ: لَوْلَا أَنْ تُعَيِّرَنِي قُرَيْشٌ لَأَقْرَرْتُ بِهَا عَيْنَكَ، وَلَكِنْ أَذُبُّ عَنْكَ مَا حَيِيتُ، وَقَالَ فِيهِ أَبْيَاتًا:

وَاللهِ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ بِجَمْعِهِمْ ... حَتَّى أُوَسَّدَ فِي التُّرَابِ دَفِينَا
فَاصْدَعْ بِأَمْرِكَ مَا عَلَيْكَ غَضَاضَةٌ ... وَابْشِرْ وَقَرَّ بِذَاكَ مِنْكَ عُيُونَا
وَدَعَوْتَنِي وَعَرَفْتُ أَنَّكَ نَاصِحِي ... وَلَقَدْ صَدَقْتَ وَكُنْتَ ثَمَّ أَمِينَا
وَعَرَضْتَ دِينًا قَدْ عَلِمْتُ بِأَنَّهُ ... مِنْ خَيْرِ أَدْيَانِ الْبَرِيَّةِ دِينَا
لَوْلَا الْمَلَامَةُ أَوْ حَذَارُ مَسَبَّةً ... لَوَجَدْتَنِي سَمْحًا بِذَاكَ مُبِينَا

﴿وَإِن يُهْلِكُونَ﴾: أَيْ: مَا يُهْلِكُونَ ﴿إِلَّآ أَنفُسَهُمْ﴾: أَيْ: لَا يَرْجِعُ وَبَالُ فِعْلِهِمْ إِلَّا إِلَيْهِمْ، وَأَوْزَارُ الَّذِينَ يَصُدُّونَهُمْ عَلَيْهِمْ، ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾.

قَوْلُهُ ﷻ: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾: يَعْنِي: فِي النَّارِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ﴾[الْبَقَرَة:١٠٢] أَيْ: فِي مُلْكِ سُلَيْمَانَ، **وَقِيلَ**: عُرِضُوا عَلَى النَّارِ، وَجَوَابُ (لَوْ) مَحْذُوفٌ مَعْنَاهُ: لَوْ تَرَاهُمْ فِي تِلْكَ الْحَالَةِ لَرَأَيْتَ عَجَبًا، ﴿فَقَالُواْ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ﴾: يَعْنِي: إِلَى الدُّنْيَا، ﴿وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: قِرَاءَةُ الْعَامَّةِ كُلِّهَا بِالرَّفْعِ عَلَى مَعْنَى: يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَنَحْنُ لَا نُكَذِّبُ، وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَقَرَأَ حَمْزَةُ وَحَفْصٌ وَيَعْقُوبُ: ﴿وَلَا نُكَذِّبَ﴾، ﴿وَنَكُونَ﴾، بِنَصْبِ الْبَاءِ وَالنُّونِ عَلَى جَوَابِ التَّمَنِّي، أَيْ: لَيْتَ رَدَّنَا وَقَعَ، وَأَنْ لَا نُكَذِّبَ وَنَكُونَ، وَالْعَرَبُ تَنْصِبُ جَوَابَ التَّمَنِّي بِالْوَاوِ كَمَا تَنْصِبُ بِالْفَاءِ، وَقَرَأَ ابْنُ عَامِرٍ: ﴿نُكَذِّبُ﴾ بِالرَّفْعِ وَ﴿وَنَكُونَ﴾ بِالنَّصْبِ؛ لِأَنَّهُمْ تَمَنَّوْا أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَأَخْبَرُوا عَنْ أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ إِنْ رُدُّوا إِلَى الدُّنْيَا.

﴿بَلْ بَدَا لَهُم﴾: أَيْ: لَيْسَ الْأَمْرُ عَلَى مَا قَالُوا إِنَّهُمْ لَوْ رُدُّوا لَآمَنُوا، ﴿بَلْ بَدَا لَهُم﴾: ظَهَرَ لَهُمْ ﴿مَّا كَانُوا۟ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ﴾: يُسِرُّونَ فِي الدُّنْيَا مِنْ كُفْرِهِمْ وَمَعَاصِيهِمْ، **وَقِيلَ**: ﴿مَّا كَانُوا۟ يُخْفُونَ﴾: وَهُوَ قَوْلُهُم: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾، فَأَخْفَوْا شِرْكَهُمْ وَكَتَمُوا حَتَّى شَهِدَتْ عَلَيْهِمْ جَوَارِحُهُمْ بِمَا كَتَمُوا وَسَتَرُوا؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا لَا يُخْفُونَ كُفْرَهُمْ فِي الدُّنْيَا، إِلَّا أَنْ تُجْعَل الْآيَةُ فِي الْمُنَافِقِينَ، **وَقَالَ الْمُبَرِّدُ**: بَلْ بَدَا لَهُمْ جَزَاءُ مَا كَانُوا يُخْفُونَ، **وَقَالَ النَّضْرُ بْنُ شُمَيْلٍ**: بَلْ بَدَا عَنْهُمْ. ثُمَّ قَالَ: ﴿وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا﴾: يَعْنِي: إِلَى مَا ﴿نُهُوا۟ عَنْهُ﴾: مِنَ الْكُفْرِ، ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾: فِي قَوْلِهِمْ لَوْ رُدِدْنَا إِلَى الدُّنْيَا لَمْ نُكَذِّبْ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُون مِنَ الْمُؤْمِنِينَ.

﴿وَقَالُوٓا۟ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٠﴾ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا۟ يَٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٣١﴾ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۖ وَلَلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾

﴿وَقَالُوٓا۟ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾: هَذَا إِخْبَارٌ عَنْ إِنْكَارِهِمُ الْبَعْثَ، **وَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ**: هَذَا مِنْ قَوْلِهِمْ لَوْ رُدُّوا لَقَالُوهُ.

قَوْلُهُ ﷻ: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾: أَيْ: عَلَى حُكْمِهِ وَقَضَائِهِ وَمَسْأَلَتِهِ، **وَقِيلَ**: عُرِضُوا عَلَى رَبِّهِمْ، ﴿قَالَ﴾: لَهُمْ، **وَقِيلَ**: تَقُولُ لَهُمُ الْخَزَنَةُ بِأَمْرِ اللهِ ﴿أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ﴾: يَعْنِي: أَلَيْسَ هَذَا الْبَعْثُ وَالْعَذَابُ بِالْحَقِّ؟ ﴿قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا﴾: إِنَّهُ حَقٌّ، **قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ**: هَذَا فِي مَوْقِفٍ، وَقَوْلُهُمْ: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ فِي مَوْقِفٍ آخَرَ، وَلِلْقِيَامَةِ مَوَاقِفُ، فَفِي مَوْقِفٍ يُقِرُّونَ، وَفِي مَوْقِفٍ يُنْكِرُونَ، ﴿قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٠﴾ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ﴾: أَيْ: خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِتَكْذِيبِهِمُ الْمَصِيرَ إِلَى اللهِ، وَبِالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ﴾: أَيِ: الْقِيَامَةُ ﴿بَغْتَةً﴾: أَيْ: فَجْأَةً، ﴿قَالُوا۟ يَٰحَسْرَتَنَا﴾: نَدَامَتَنَا، ذُكِرَ عَلَى وَجْهِ النِّدَاءِ لِلْمُبَالَغَةِ، **وَقَالَ سِيبَوَيْهِ**: كَأَنَّهُ يَقُولُ: أَيَّتُهَا الْحَسْرَةُ هَذَا

أَوَانُك، ﴿عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا﴾: أَيْ: قَصَّرْنَا ﴿فِيهَا﴾: أَيْ: فِي الطَّاعَةِ، **وَقِيلَ**: تَرَكْنَا فِي الدُّنْيَا مِنْ عَمَلِ الآخِرَةِ، **وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ جَرِيرٍ**: الْهَاءُ: رَاجِعَةٌ إِلَى الصَّفْقَةِ، وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا تَبَيَّنَ لَهُمْ خُسْرَانُ صَفْقَتِهِمْ بِبَيْعِهِمُ الْآخِرَةَ بِالدُّنْيَا ﴿قَالُواْ يَٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا﴾، أَيْ: فِي الصَّفْقَةِ، فَتُرِكَ ذِكْرُ الصَّفْقَةِ اكْتِفَاءً بِقَوْلِهِ: ﴿قَدْ خَسِرَ﴾؛ لِأَنَّ الْخُسْرَانَ إِنَّمَا يَكُونُ فِي صَفْقَةِ بَيْعٍ، **وَالْحَسْرَةُ**: شِدَّةُ النَّدَمِ، حَتَّى يَتَحَسَّرَ النَّادِمُ، كَمَا يَتَحَسَّرُ الَّذِي تَقُومُ بِهِ دَابَّتُهُ فِي السَّفَرِ الْبَعِيدِ، ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ﴾: أَثْقَالَهُمْ وَآثَامَهُمْ، ﴿عَلَىٰ ظُهُورِهِمْۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ﴾: يَحْمِلُونَ، **قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ**: أي بِئْسَ الْحِمْلُ حَمَلُوا.

﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌۖ﴾: بَاطِلٌ وَغُرُورٌ لَا بَقَاءَ لَهَا، ﴿وَلَلدَّارُ ٱلْأَخِرَةُ﴾: قَرَأَ ابْنُ عَامِرٍ: ﴿وَلَدَارُ الْآخِرَةِ﴾ مُضَافًا، أَضَافَ الدَّارَ إِلَى الْآخِرَةِ، وَيُضَافُ الشَّيْءُ إِلَى نَفْسِهِ عِنْدَ اخْتِلَافِ اللَّفْظَيْنِ كَقَوْلِهِ: ﴿وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ﴾[ق:٩]، وَقَوْلِهِمْ: (رَبِيعُ الْأَوَّلِ)، وَ(مَسْجِدُ الْجَامِعِ). سُمِّيَتِ الدُّنْيَا لِدُنُوِّهَا، **وَقِيلَ**: لِدَنَاءَتِهَا، وَسُمِّيَتِ الْآخِرَةُ لِأَنَّهَا بَعْدَ الدُّنْيَا، ﴿خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَۗ﴾: الشِّرْكَ ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾: أي: أَنَّ الْآخِرَةَ أَفْضَلُ مِنَ الدُّنْيَا؟!

قَرَأَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ وَابْنُ عَامِرٍ وَيَعْقُوبُ: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ بِالتَّاءِ هَاهُنَا وَفِي الْأَعْرَافِ وَسُورَةِ يُوسُفَ وَيس، وَوَافَقَ أَبُو بَكْرٍ فِي سُورَةِ يُوسُفَ، وَوَافَقَ حَفْصٌ إِلَّا فِي سُورَةِ يس، وَقَرَأَ الْآخَرُونَ بِالْيَاءِ فِيهِنَّ.

﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَاۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِيْ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِى ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٥﴾ ۞ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَۘ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾

قَوْلُهُ ﷻ: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَۖ﴾: بِأَنَّكَ كَاذِبٌ [وَسَاحِرٌ وَمَجْنُونٌ وَكَاهِنٌ] ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾: قَرَأَ نَافِعٌ وَالْكِسَائِيُّ بِالتَّخْفِيفِ، وَقَرَأَ الآخَرُونَ بِالتَّشْدِيدِ مِنَ

(التَّكْذِيبِ)، وَالتَّكْذِيبُ: هُوَ أَنْ تَنْسِبَهُ إِلَى الْكَذِبِ وَتَقُولَ لَهُ: كَذَبْتَ، وَالْإِكْذَابُ: هُوَ أَنْ تَجِدَهُ كَاذِبًا، تَقُولُ الْعَرَبُ (أَجْدَبْتُ الْأَرْضَ وَأَخْصَبْتُهَا) إِذَا وَجَدْتَهَا جَدْبَةً وَمُخْصَّبَةً ﴿وَلَكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ﴾: يَقُولُ: إِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ فِي السِّرِّ؛ لِأَنَّهُمْ عَرَفُوا صِدْقَكَ فِيمَا مَضَى، وَإِنَّمَا يُكَذِّبُونَ وَحْيِي وَيَجْحَدُونَ آيَاتِي، كَمَا قَالَ: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ﴾[النَّمل:١٤].

﴿وَلَقَدۡ كُذِّبَتۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِكَ﴾: كَذَّبَهُمْ قَوْمُهُمْ كَمَا كَذَّبَتْكَ قُرَيْشٌ، ﴿فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمۡ نَصۡرُنَاۚ﴾: بِتَعْذِيبِ مَنْ كَذَّبَهُمْ، ﴿وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ﴾: لَا نَاقِضَ لِمَا حَكَمَ بِهِ، وَقَدْ حَكَمَ فِي كِتَابِهِ بِنَصْرِ أَنْبِيَائِهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فَقَالَ: ﴿وَلَقَدۡ سَبَقَتۡ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٧١ إِنَّهُمۡ لَهُمُ ٱلۡمَنصُورُونَ ١٧٢ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ﴾[الصَّافَّات:١٧١-١٧٣]، وَقَالَ: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا﴾[غَافِر:٥١] وَقَالَ: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ﴾[الْمُجَادَلَة:٢١]، وَقَالَ الْحَسَنُ بْنُ الْفَضْلِ: لَا خُلْفَ لِعِدَتِهِ، ﴿وَلَقَدۡ جَآءَكَ مِن نَّبَإِيْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾: وَ(مِنْ): صِلَةٌ، كَمَا تَقُولُ: (أَصَابَنَا مِنْ مَطَرٍ).

﴿وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيۡكَ إِعۡرَاضُهُمۡ﴾: أَيْ: عَظُمَ عَلَيْكَ وَشَقَّ أَنْ أَعْرَضُوا عَنِ الْإِيمَانِ بِكَ، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَحْرِصُ عَلَى إِيمَانِ قَوْمِهِ أَشَدَّ الْحِرْصِ، وَكَانُوا إِذَا سَأَلُوا آيَةً أَحَبَّ أَنْ يُرِيَهُمُ اللهُ تَعَالَى ذَلِكَ؛ طَمَعًا فِي إِيمَانِهِمْ، فَقَالَ اللهُ ﷻ: ﴿فَإِنِ ٱسۡتَطَعۡتَ أَن تَبۡتَغِيَ نَفَقٗا﴾: تَطْلُبَ وَتَتَّخِذَ ﴿نَفَقٗا﴾: سَرَبًا[1] ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾: -وَمِنْهُ نَافِقَاءُ الْيَرْبُوعِ، وَهُوَ أَحَدُ جُحْرَيْهِ- فَتَذْهَبَ فِيهِ، ﴿أَوۡ سُلَّمٗا﴾: أَيْ: دَرَجًا وَمِصْعَدًا ﴿فِي ٱلسَّمَآءِ﴾: فَتَصْعَدَ فِيهِ، ﴿فَتَأۡتِيَهُم بِـَٔايَةٖۚ﴾: فَافْعَلْ، ﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمۡ عَلَى ٱلۡهُدَىٰۚ﴾: فَآمَنُوا كُلُّهُمْ، ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾: أَيْ: بِهَذَا الْحَرْفِ، وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمۡ عَلَى ٱلۡهُدَىٰۚ﴾، وَأَنَّ مَنْ يَكْفُرُ لِسَابِقِ عِلْمِ اللهِ فِيهِ. ﴿إِنَّمَا يَسۡتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسۡمَعُونَۘ﴾: يَعْنِي: الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ

(١) السَّرَبُ: المسلكُ فِي خُفْيَة، وَفِي التَّنْزِيل الْعَزِيز: ﴿فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلۡبَحۡرِ سَرَبٗا﴾[الكهف:٦١]، وحفيرٌ تَحت الأَرْض لَا منفذ لَهُ، وجُحرُ الوحشي، والقناةُ الجوفاء الَّتِي يدْخل مِنْهَا المَاءُ الْحَائِط، وَالمَاءُ السَّائِل من المزادة، وجمعُه: (أَسْرَابٌ). "المعجم الوسيط" (١/ ٤٢٥).

الذِّكْرَ فَيَتَّبِعُونَهُ وَيَنْتَفِعُونَ بِهِ، دُونَ مَنْ خَتَمَ اللهُ عَلَى سَمْعِهِ، ﴿وَٱلْمَوْتَىٰ﴾: يَعْنِي: الْكُفَّارَ، ﴿يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾: فَيُجَازِيهِمْ بِأَعْمَالِهِمْ.

﴿وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٧﴾ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾

قَوْلُهُ ﷻ: ﴿وَقَالُواْ﴾: يَعْنِي: رُؤَسَاء قُرَيْشٍ ﴿لَوْلَا﴾: هَلَّا ﴿نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾: مَا عَلَيْهِمْ فِي إِنْزَالِهَا.

قَوْلُهُ ﷻ: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾: قَيَّدَ الطَّيَرَانَ بِالْجَنَاحِ تَأْكِيدًا، كَمَا يُقَالُ: (نَظَرْتُ بِعَيْنَيَّ، وَأَخَذْتُ بِيَدَيَّ)، ﴿إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾: قَالَ مُجَاهِدٌ: أَصْنَافٌ مُصَنَّفَةٌ تُعْرَفُ بِأَسْمَائِهَا يُرِيدُ: أَنَّ كُلَّ جِنْسٍ مِنَ الْحَيَوَانِ أُمَّةٌ، فَالطَّيْرُ أُمَّةٌ وَالهَوَامُ أُمَّةٌ وَالدَّوَابُّ أُمَّةٌ وَالسِّبَاعُ أُمَّةٌ، تُعْرَفُ بِأَسْمَائِهَا مِثْلُ بَنِي آدَمَ يُعَرَفُونَ بِأَسْمَائِهِمْ يُقَالُ: الْإِنْسُ وَالنَّاسُ.

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُغَفَّلٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَوْلَا أَنَّ الكِلَابَ أُمَّةٌ مِنَ الأُمَمِ لَأَمَرْتُ بِقَتْلِهَا، فَاقْتُلُوا مِنْهَا كُلَّ أَسْوَدَ بَهِيمٍ»[(١)].

وَقِيلَ: أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ يَفْقَهُ بَعْضُهُمْ عَنْ بَعْضٍ، وَقِيلَ: أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ فِي الْخَلْقِ وَالمَوْتِ وَالْبَعْثِ، وَقَالَ عَطَاءٌ: أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ فِي التَّوْحِيدِ وَالمَعْرِفَةِ، قَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ فِي الْغِذَاءِ وَابْتِغَاءِ الرِّزْقِ وَتَوَقِّي المَهَالِكِ، ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾: أَيْ: فِي اللَّوْحِ المَحْفُوظِ، ﴿مِن شَىْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَالضَّحَّاكُ: حَشْرُهَا مَوْتُهَا، وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: يَحْشُرُ اللهُ الْخَلْقَ كُلَّهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْبَهَائِمَ وَالدَّوَابَّ وَالطَّيْرَ وَكُلَّ شَيْءٍ، فَيَأْخُذُ

---

(١) **صحيح:** صححه الألباني رحمه الله في «الصحيحة» (٢٥٣٥) والوادعي رحمه الله في «الصحيح المسند» (٨٨٥).

لِلْجَمَّاءِ [الْمَلْسَاءِ الرَّأْسِ] مِنَ الْقَرْنَاءِ، ثُمَّ يَقُولُ: كُونِي تُرَابًا، فَحِينَئِذٍ يَتَمَنَّى الكَافِرُ وَيَقُولُ: ﴿يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ تُرَٰبَۢا﴾[النَّبَأ:٤٠].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**لَتُؤَدُّنَّ الْحُقُوقُ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجَلْحَاءِ مِنَ الْقَرْنَاءِ**»[(١)].

قَوْلُهُ عز وجل: ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا صُمّٞ وَبُكۡمٞ﴾: لَا يَسْمَعُونَ الْخَيْرَ وَلَا يَتَكَلَّمُونَ بِهِ، ﴿فِي ٱلظُّلُمَٰتِۗ﴾: فِي ضَلَالَاتِ الْكُفْرِ، ﴿مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضۡلِلۡهُ وَمَن يَشَأۡ يَجۡعَلۡهُ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾: وَهُوَ الْإِسْلَامُ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتَكُمۡ﴾: هَلْ رَأَيْتُمْ؟ وَالْكَافُ فِيهِ لِلتَّأْكِيدِ، **وَقَالَ الْفَرَّاءُ** رحمه الله: الْعَرَبُ تَقُولُ: أَرَأَيْتَكَ، وَهُمْ يُرِيدُونَ: أَخْبِرْنَا، كَمَا تَقُولُ: أَرَأَيْتَكَ إِنْ فَعَلْتُ كَذَا مَاذَا تَفْعَلُ؟ أَيْ: أَخْبِرْنِي، وَقَرَأَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ ﴿أَرَءَيۡتَكُمۡ﴾ وَ﴿أَرَءَيۡتُمۡ﴾ وَ﴿أَرَءَيۡتَ﴾ بِتَلْيِينِ الْهَمْزَةِ الثَّانِيَةِ، وَالْكِسَائِيُّ بِحَذْفِهَا، **قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ**: ﴿قُلۡ﴾: يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ: ﴿أَرَءَيۡتَكُمۡ إِنۡ أَتَىٰكُمۡ عَذَابُ ٱللَّهِ﴾: قَبْلَ الْمَوْتِ، ﴿أَوۡ أَتَتۡكُمُ ٱلسَّاعَةُ﴾: يَعْنِي: الْقِيَامَةَ، ﴿أَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَدۡعُونَ﴾: فِي صَرْفِ الْعَذَابِ عَنْكُمْ ﴿إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾: وَأَرَادَ الْكُفَّارَ يَدْعُونَ اللهَ فِي أَحْوَالِ الِاضْطِرَارِ، كَمَا أَخْبَرَ اللهُ عَنْهُمْ: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوۡجٞ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾[لُقْمَان:٣٢]. ثُمَّ قَالَ ﴿بَلۡ إِيَّاهُ تَدۡعُونَ﴾: أَيْ: تَدْعُونَ اللهَ وَلَا تَدْعُونَ غَيْرَهُ ﴿فَيَكۡشِفُ مَا تَدۡعُونَ إِلَيۡهِ إِن شَآءَ﴾: قَيَّدَ الْإِجَابَةَ بِالْمَشِيئَةِ، وَالْأُمُورُ كُلُّهَا بِمَشِيئَتِهِ، ﴿وَتَنسَوۡنَ﴾: وَتَتْرُكُونَ ﴿مَا تُشۡرِكُونَ﴾.

﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٖ مِّن قَبۡلِكَ فَأَخَذۡنَٰهُم بِٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمۡ يَتَضَرَّعُونَ ٤٢ فَلَوۡلَآ إِذۡ جَآءَهُم بَأۡسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٤٣ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَبۡوَٰبَ كُلِّ شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةٗ فَإِذَا هُم مُّبۡلِسُونَ

(١) **صحيح**: مسلم: (٢٥٨٢). **وقولُهُ**: «**الجَلْحَاء**»: هي التي لا قُرُونَ لها، وفي روايةٍ: «**الجَمَّاء**»: بالجيم ثم الميم المشدَّدة، والمعنى واحد.اهـ"البحر المحيط الثجاج" (٤٠/ ٥٧٨).

﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ (٤٤)

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَـٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ﴾: بالشِّدَّةِ وَالجُوعِ ﴿وَٱلضَّرَّآءِ﴾: المَرَضِ وَالزَّمَانَةِ ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾: أَيْ: يَتُوبُونَ وَيَخْضَعُونَ **وَالتَّضَرُّعُ**: السُّؤَالُ بِالتَّذَلُّلِ ﴿فَلَوْلَآ﴾: فَهَلَّا ﴿إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا﴾: عَذَابُنَا ﴿تَضَرَّعُوا۟﴾: فَآمَنُوا فَكُشِفَ عَنْهُمْ، أَخْبَرَ اللهُ ﷻ أَنَّهُ قَدْ أَرْسَلَ إِلَى قَوْمٍ بَلَغُوا مِنَ القَسْوَةِ إِلَى أَنَّهُمْ أُخِذُوا بِالشِّدَّةِ فِي أَنْفُسِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ فَلَمْ يَخْضَعُوا وَلَمْ يَتَضَرَّعُوا، فَذَلِكَ قَوْلُهُ ﴿وَلَـٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾: مِنَ الكُفْرِ وَالمَعَاصِي. ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ﴾: تَرَكُوا مَا وُعِظُوا وَأُمِرُوا بِهِ، ﴿فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ﴾: قَرَأَ أَبُو جَعْفَرٍ: ﴿فَتَّحْنَا﴾ بِالتَّشْدِيدِ فِي كُلِّ الْقُرْآنِ، وَقَرَأَ ابْنُ عَامِرٍ كَذَلِكَ إِذَا كَانَ عقِيْبَهُ جَمْعٌ، وَالْبَاقُونَ بِالتَّخْفِيفِ، وَهَذَا فَتْحُ اسْتِدْرَاجٍ وَمَكْرٍ أَيْ: بَدَّلْنَا مَكَانَ الْبَلَاءِ وَالشِّدَّةِ الرَّخَاءَ وَالصِّحَّةَ، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟﴾: وَهَذَا فَرَحُ بَطَرٍ، مِثْلُ فَرَحِ قَارُونَ بِمَا أَصَابَ مِنَ الدُّنْيَا، ﴿أَخَذْنَـٰهُم بَغْتَةً﴾: فَجْأَةً آمَنَ مَا كَانُوا، وَأَعْجَبَ مَا كَانَتِ الدُّنْيَا إِلَيْهِمْ، ﴿فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾: آيِسُونَ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ، **وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ**: المُبْلِسُ: النَّادِمُ الْحَزِينُ، وَأَصْلُ الإِبْلَاسِ: الإِطْرَاقُ مِنَ الحُزْنِ وَالنَّدَمِ.

وَرَوَى **عُقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ**، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِذَا رَأَيْتَ اللهَ يُعْطِي الْعَبْدَ مَا يُحِبُّ وَهُوَ مُقِيمٌ عَلَى مَعْصِيَتِهِ، فَإِنَّمَا ذَلِكَ اسْتِدْرَاجٌ**»، ثُمَّ تَلَا: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ﴾ الْآيَةَ[(١)].

﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾: أَيْ: آخِرُهُمُ الَّذِينَ يدْبُرِهِمْ، يُقَالُ: (دَبَرَ فُلَانٌ الْقَوْمَ يَدْبُرُهُمْ دَبْرًا وَدُبُورًا) إِذَا كَانَ آخِرَهُمْ، وَمَعْنَاهُ: أَنَّهُمُ اسْتُؤْصِلُوا بِالْعَذَابِ فَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ بَاقِيَةٌ، ﴿وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾: حَمِدَ اللهُ نَفْسَهُ عَلَى أَنْ قَطَعَ دَابِرَهُمْ؛ لِأَنَّهُ نِعْمَةٌ عَلَى الرُّسُلِ، فَذَكَرَ الْحَمْدَ للهِ؛ تَعْلِيمًا لَهُمْ وَلِمَنْ آمَنَ بِهِمْ أَنْ يَحْمَدُوا اللهَ عَلَى كِفَايَتِهِ شَرَّ الظَّالِمِينَ؛ وَلِيَحْمَدَ مُحَمَّدٌ ﷺ وَأَصْحَابُهُ رَبَّهُمْ إِذَا أَهْلَكَ الْمُكَذِّبِينَ.

---

(١) **صحيح:** صححه العلَّامة الألباني رَحِمَهُ اللهُ في «الصحيحة» (٤١٣).

﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِنۡ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمۡعَكُمۡ وَأَبۡصَٰرَكُمۡ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم بِهِۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ هُمۡ يَصۡدِفُونَ ﴿٤٦﴾ قُلۡ أَرَءَيۡتَكُمۡ إِنۡ أَتَىٰكُمۡ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغۡتَةً أَوۡ جَهۡرَةً هَلۡ يُهۡلَكُ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا نُرۡسِلُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَۖ فَمَنۡ ءَامَنَ وَأَصۡلَحَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٤٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَمَسُّهُمُ ٱلۡعَذَابُ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ﴿٤٩﴾ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّي مَلَكٌۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۚ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾

قَوْلُهُ تعَالَى: ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ﴾: أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ ﴿إِنۡ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمۡعَكُمۡ﴾: حَتَّى لَا تَسْمَعُوا شَيْئًا أَصْلًا ﴿وَأَبۡصَٰرَكُمۡ﴾: حَتَّى لَا تُبْصِرُوا شَيْئًا ﴿وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم﴾: حَتَّى لَا تَفْقَهُوا شَيْئًا وَلَا تَعْرِفُوا مِمَّا تَعْرِفُونَ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا، ﴿مَّنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم بِهِۗ﴾: وَلَمْ يَقُلْ: (بِهَا)، مَعَ أَنَّهُ ذَكَرَ أَشْيَاءَ، **قِيلَ**: مَعْنَاهُ: يَأْتِيكُمْ بِمَا أُخِذَ مِنكُمْ، **وَقِيلَ**: الْكِنَايَةُ تَرْجِعُ إِلَى السَّمْعِ الَّذِي ذُكِرَ أَوَّلًا وَيَنْدَرِجُ غَيْرُهُ تَحْتَهُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرۡضُوهُ﴾[التَّوْبَة: ٦٢]، فَالْهَاءُ: رَاجِعَةٌ إِلَى اللهِ، وَرِضَى الرَّسُولِ يَنْدَرِجُ فِي رِضَا اللهِ تَعَالَى، ﴿ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ﴾: أَيْ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْعَلَامَاتِ الدَّالَّةَ عَلَى التَّوْحِيدِ وَالنُّبُوَّةِ، ﴿ثُمَّ هُمۡ يَصۡدِفُونَ﴾: يُعْرِضُونَ عَنْهَا مُكَذِّبِينَ، ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتَكُمۡ إِنۡ أَتَىٰكُمۡ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغۡتَةً﴾: فَجْأَةً ﴿أَوۡ جَهۡرَةً﴾: مُعَايَنَةً تَرَوْنَهُ عِنْدَ نُزُولِهِ، **قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَالْحَسَنُ**: لَيْلًا أَوْ نَهَارًا، ﴿هَلۡ[(١)] يُهۡلَكُ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾: الْمُشْرِكُونَ.

قَوْلُهُ ﷻ: ﴿وَمَا نُرۡسِلُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَۖ فَمَنۡ ءَامَنَ وَأَصۡلَحَ﴾: الْعَمَلَ ﴿فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ﴾: حِينَ يَخَافُ أَهْلُ النَّارِ ﴿وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾: إِذَا حَزِنُوا، ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَمَسُّهُمُ﴾: يُصِيبُهُمْ ﴿ٱلۡعَذَابُ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ﴾: يَكْفُرُونَ.

---

(١) قال الإمام ابنُ عُثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ﴿هَلۡ﴾: بمعنى: (ما)، والاستفهامُ بمعنى: النفي، والاستفهام إذا كان بمعنى النفي صار أشدَّ من النفي المجرد؛ لأنه يتضمن النفي والتحدي، كأنَّ المتكلِّمَ يقولُ: (أَثْبِتْ لِي هَذَا الشَّيء)، والمعنى: إذا أتاكم عذابُ الله على الوجهين فهل أنتم مظلومون؟ والجواب: لا.اهـ "تفسير (سورة الأنعام)" صـ(٢٣١).

﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ﴾: نَزَلَ حِينَ اقْتَرَحُوا الْآيَاتِ، فَأَمَرَهُ أَنْ يَقُولَ لَهُمْ: ﴿لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ﴾: أَيْ: خَزَائِنُ رِزْقِهِ فَأُعْطِيكُمْ مَا تُرِيدُونَ، ﴿وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ﴾: فَأُخْبِرُكُمْ بِمَا غَابَ مِمَّا مَضَى وَمِمَّا سَيَكُونُ، ﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّي مَلَكٌۖ﴾: قَالَ ذَلِكَ لِأَنَّ الْمَلَكَ يَقْدِرُ عَلَى مَا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ الْآدَمِيُّ، وَيُشَاهِدُ مَا لَا يُشَاهِدُهُ الْآدَمِيُّ، يُرِيدُ: لَا أَقُولُ لَكُمْ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ فَتُنْكِرُونَ قَوْلِي وَتَجْحَدُونَ أَمْرِي، ﴿إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۚ﴾: أَيْ: مَا آتِيكُمْ بِهِ فَمِنْ وَحْيِ اللهِ تَعَالَى، وَذَلِكَ غَيْرُ مُسْتَحِيلٍ فِي الْعَقْلِ مَعَ قِيَامِ الدَّلِيلِ وَالْحُجَجِ الْبَالِغَةِ، ﴿قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُۚ﴾: **قَالَ قَتَادَةُ**: الْكَافِرُ وَالْمُؤْمِنُ، **وَقَالَ مُجَاهِدٌ**: الضَّالُّ وَالْمُهْتَدِي، **وَقِيلَ**: الْجَاهِلُ وَالْعَالِمُ، ﴿أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾: أَيْ: أَنَّهُمَا لَا يَسْتَوِيَانِ.

﴿وَأَنذِرۡ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحۡشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ لَيۡسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيّٞ وَلَا شَفِيعٞ لَّعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾ وَلَا تَطۡرُدِ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ مَا عَلَيۡكَ مِنۡ حِسَابِهِم مِّن شَيۡءٖ وَمَا مِنۡ حِسَابِكَ عَلَيۡهِم مِّن شَيۡءٖ فَتَطۡرُدَهُمۡ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾

قَوْلُهُ ﷻ: ﴿وَأَنذِرۡ بِهِ﴾: خَوِّفْ بِهِ، أَيْ: بِالْقُرْآنِ، ﴿ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحۡشَرُوٓاْ﴾: يُجْمَعُوا وَيُبْعَثُوا ﴿إِلَىٰ رَبِّهِمۡ﴾: **وَقِيلَ**: ﴿يَخَافُونَ﴾: أَيْ: يَعْلَمُونَ؛ لِأَنَّ خَوْفَهُمْ إِنَّمَا كَانَ مِنْ عِلْمِهِمْ، ﴿لَيۡسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ﴾: مِنْ دُونِ اللهِ ﴿وَلِيّٞ﴾: قَرِيبٌ يَنْفَعُهُمْ، ﴿وَلَا شَفِيعٞ﴾: يَشْفَعُ لَهُمْ، ﴿لَّعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ﴾: فَيَنْتَهُونَ عَمَّا نُهُوا عَنْهُ، وَإِنَّمَا نَفَى الشَّفَاعَةَ لِغَيْرِهِ -مَعَ أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ وَالْأَوْلِيَاءَ يَشْفَعُونَ- لِأَنَّهُمْ لَا يَشْفَعُونَ إِلَّا بِإِذْنِهِ.

﴿وَلَا تَطۡرُدِ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ﴾: قَرَأَ ابْنُ عَامِرٍ ﴿بِالْغُدْوَةِ﴾ بِضَمِّ الْغَيْنِ وَسُكُونِ الدَّالِ وَوَاوٍ بَعْدَهَا هَاهُنَا وَفِي سُورَةِ الكَهْفِ، وَقَرَأَ الْآخَرُونَ: بِفَتْحِ الغَيْنِ وَالدَّالِ وَأَلِفٍ بَعْدَهَا[1]، **قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ**: يَعْنِي: صَلَاةَ الصُّبْحِ وَصَلَاةَ الْعَصْرِ، **وَيُرْوَى**

(١) قال العلامة الإمام مقبل بن هادي الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ: **قال الإمام مسلم** رَحِمَهُ اللَّهُ ج(١٥) ص(١٨٧): حدثنا زهير بن حرب، حدثنا عبد الرحمن، عن سفيان، عن المقدام بن شريح، عن أبيه، **عن سَعدٍ**، فِيَّ نزلت: =

عَنْهُ: أَنَّ الْمُرَادَ مِنْهُ: الصَّلَوَاتُ الخَمْس، **وَقَالَ مُجَاهِدٌ**: صَلَّيْتُ الصُّبْحَ مَعَ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ: فَلَمَّا سَلَّمَ الْإِمَامُ ابْتَدَرَ النَّاسُ الْقَاصَّ، فَقَالَ سَعِيدٌ: مَا أَسْرَعَ النَّاسَ إِلَى هَذَا الْمَجْلِسِ! قَالَ مُجَاهِدٌ: فَقُلْتُ يَتَأَوَّلُونَ قَوْلَهُ: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَوٰةِ وَالْعَشِيِّ﴾، قَالَ: أَفِي هَذَا! هُوَ إِنَّمَا ذَلِكَ فِي الصَّلَاةِ الَّتِي انْصَرَفْنَا عَنْهَا الْآنَ، **وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ النَّخَعِيُّ**: يَعْنِي: يَذْكُرُونَ رَبَّهُمْ، **وَقِيلَ الْمُرَادُ مِنْهُ**: حَقِيقَةُ الدُّعَاءِ، ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾: أَيْ: يُرِيدُونَ اللهَ بِطَاعَتِهِمْ، **قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ** رضي الله عنهما: يَطْلُبُونَ ثَوَابَ اللهِ، فَقَالَ: ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ﴾: أَيْ: لَا تُكَلَّفُ أَمْرَهُمْ وَلَا يَتَكَلَّفُونَ أَمْرَكَ، **وَقِيلَ**: لَيْسَ رِزْقُهُمْ عَلَيْكَ فَتَمَلَّهُمْ، ﴿فَتَطْرُدَهُمْ﴾: وَلَا رِزْقُكَ عَلَيْهِمْ.

قَوْلُهُ: ﴿فَتَطْرُدَهُمْ﴾: جَوَابٌ لِقَوْلِهِ: ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ﴾، **وَقَوْلُهُ**: ﴿فَتَكُونَ مِنَ الظَّٰلِمِينَ﴾: جَوَابٌ لِقَوْلِهِ: ﴿وَلَا تَطْرُدِ﴾، أَحَدُهُمَا: جَوَابُ النَّفْيِ، وَالْآخَرُ: جَوَابُ النَّهْيِ.

﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾ وَإِذَا جَآءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾

= ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَوٰةِ وَالْعَشِيِّ﴾ قال: نزلت في سِتَّةٍ: أنا وابنُ مسعودٍ منهم، وكان المشركون قالوا له: تُدني هؤلاء؟!

حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا محمد بن عبد الله الأسدي، عن إسرائيل، عن المقدام بن شريح، عن أبيه، **عن سَعدٍ** قال: كُنَّا مع النبي ﷺ سِتَّة نفرٍ، فقال المشركون للنبي ﷺ: اطرُد هؤلاء؛ لا يجترئون علينا. قال: وكنت أنا، وابنُ مسعود، ورجلٌ من هُذَيلٍ، وبلالٌ ورجلان لستُ أُسمِّيهما، فوقع في نفس رسول الله ﷺ ما شاء الله أن يقع، فحدث نفسه، فأنزل الله ﷻ: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَوٰةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾. الحديثُ أخرجه ابن ماجه رقم (٤١٢٨)، وابن جرير ج(٧) ص(٢٠٢)، والحاكم في "المستدرك" ج(٣) ص(٣١٩) وقال: صحيح على شرطهما. وسكت عليه الذهبي، وأبو نُعيم في "الحلية" ج(١) ص(٣٤٥)، وص(٣٤٦)، وابن أبي حاتم ج(٣) ص(٧٢)، والواحدي في "أسباب النزول".اهـ "الصحيح المسند من أسباب النزول" ص(١٠٩).

قَوْلُهُ ﷻ: ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا﴾: أَيْ: ابْتَلَيْنَا ﴿بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾: أَرَادَ ابْتِلَاءَ الْغَنِيِّ بِالْفَقِيرِ وَالشَّرِيفِ بِالْوَضِيعِ، وَذَلِكَ أَنَّ الشَّرِيفَ إِذَا نَظَرَ إِلَى الْوَضِيعِ قَدْ سَبَقَهُ بِالْإِيمَانِ امْتَنَعَ مِنَ الْإِسْلَامِ بِسَبَبِهِ فَكَانَ فِتْنَةً لَهُ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ﴾، فَقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ﴾: فَهُوَ جَوَابٌ لِقَوْلِهِ: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ﴾، فَهُوَ اسْتِفْهَامٌ بِمَعْنَى التَّقْرِيرِ، أَيْ: اللهُ أَعْلَمُ بِمَنْ شَكَرَ الْإِسْلَامَ إِذْ هَدَاهُ اللهُ ﷻ.

﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾: أَيْ: قَضَى عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ، ﴿أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ﴾: **قَالَ مُجَاهِدٌ**: لَا يَعْلَمُ حَلَالًا مِنْ حَرَامٍ، فَمِنْ جَهَالَتِهِ رَكِبَ الذَّنْبَ، **وَقِيلَ**: جَاهِلٌ بِمَا يُورِثُهُ ذَلِكَ الذَّنْبُ، **وَقِيلَ**: جَهَالَتُهُ مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ آثَرَ المَعْصِيَةَ عَلَى الطَّاعَةِ وَالعَاجِلَ الْقَلِيلَ عَلَى الْآجِلِ الْكَثِيرِ ﴿ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾: رَجَعَ عَنْ ذَنْبِهِ، ﴿وَأَصْلَحَ﴾: عَمَلَهُ، **وَقِيلَ**: أَخْلَصَ تَوْبَتَهُ، ﴿فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: قَرَأَ ابْنُ عَامِرٍ وَعَاصِمٌ وَيَعْقُوبُ: ﴿أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ ... فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ بِفَتْحِ الْأَلِفِ فِيهِمَا بَدَلًا مِنَ: ﴿ٱلرَّحْمَةَ﴾، أَيْ: كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ، ثُمَّ جَعَلَ الثَّانِيَةَ بَدَلًا عَنِ الْأُولَى، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ﴾[المُؤْمِنُون:٣٥]، وَفَتَحَ أَهْلُ المَدِينَةِ الْأُولَى مِنْهُمَا وَكَسَرُوا الثَّانِيَةَ عَلَى الِاسْتِئْنَافِ، وَكَسَرَهُمَا الْآخَرُونَ عَلَى الِاسْتِئْنَافِ.

﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾ قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ ۙ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ قُلْ إِنِّى عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَكَذَّبْتُم بِهِۦ ۚ مَا عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ ﴿٥٧﴾ قُل لَّوْ أَنَّ عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ لَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾

﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ﴾: أَيْ: وَهَكَذَا، **وَقِيلَ**: مَعْنَاهُ: وَكَمَا فَصَّلْنَا لَكَ فِي هَذِهِ السُّورَةِ دَلَائِلَنَا وَإِعْلَامَنَا عَلَى المُشْرِكِينَ- كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ، أَيْ: نُمَيِّزُ وَنُبَيِّنُ لَكَ

حُجَّتَنَا فِي كُلِّ حَقٍّ يُنْكِرُهُ أَهْلُ الْبَاطِلِ، ﴿وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾: أَيْ: طَرِيقُ الْمُجْرِمِينَ وَقَرَأَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ: ﴿وَلِتَسْتَبِينَ﴾ بِالتَّاءِ، ﴿سَبِيلَ﴾، نُصِبَ عَلَى خِطَابِ النَّبِيِّ ﷺ، أَيْ: وَلِتَعْرِفَ يَا مُحَمَّدُ سَبِيلَ الْمُجْرِمِينَ، يُقَالُ (اسْتَبَنْتُ الشَّيْءَ وَتَبَيَّنْتُهُ) إِذَا عَرَفْتَهُ، وَقَرَأَ حَمْزَةُ وَالْكِسَائِيُّ وَأَبُو بَكْرٍ ﴿وَلِيَسْتَبِينَ﴾ بِالْيَاءِ ﴿سَبِيلُ﴾ بِالرَّفْعِ، وَقَرَأَ الْآخَرُونَ ﴿وَلِتَسْتَبِينَ﴾ بِالتَّاءِ، ﴿سَبِيلُ﴾ رَفْعٌ، أَيْ: لِيَظْهَرَ وَيَتَّضِحَ، **وَالسَّبِيلُ**: يُذَكَّرُ وَيُؤَنَّثُ، فَدَلِيلُ التَّذْكِيرِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾[الْأَعْرَاف:١٤٦]، وَدَلِيلُ التَّأْنِيثِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾[آل عِمْرَان:٩٩].

قَوْلُهُ ﷻ: ﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۚ قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ﴾: فِي عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ وَطَرْدِ الْفُقَرَاءِ، ﴿قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾: يَعْنِي: إِنْ فَعَلْتُ ذَلِكَ فَقَدْ تَرَكْتُ سَبِيلَ الْحَقِّ وَسَلَكْتُ غَيْرَ طَرِيقِ الْهُدَى.

﴿قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ﴾: أَيْ: عَلَى بَيَانٍ وَبَصِيرَةٍ وَبُرْهَانٍ ﴿مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُم بِهِۦ﴾: أَيْ: بِمَا جِئْتُ بِهِ، ﴿مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ﴾: **قِيلَ**: أَرَادَ بِهِ اسْتِعْجَالَهُمُ الْعَذَابَ، كَانُوا يَقُولُونَ: ﴿إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً﴾[الْأَنْفَال:٣٢] الْآيَةِ، **وَقِيلَ**: أَرَادَ بِهِ الْقِيَامَةَ، قَالَ اللهُ: ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَاۖ﴾[الشُّورَى:١٨] ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِۖ يَقُصُّ ٱلْحَقَّۖ﴾: قَرَأَ أَهْلُ الْحِجَازِ وَعَاصِمٌ ﴿يَقُصُّ﴾ بِضَمِّ الْقَافِ وَالصَّادِ مُشَدَّدًا، أَيْ: يَقُولُ الْحَقَّ؛ لِأَنَّهُ فِي جَمِيعِ الْمَصَاحِفِ بِغَيْرِ يَاءٍ؛ وَلِأَنَّهُ قَالَ: ﴿ٱلْحَقَّۖ﴾، وَلَمْ يَقُلْ (بِالْحَقِّ)، وَقَرَأَ الْآخَرُونَ ﴿يَقْضِ﴾ بِسُكُونِ الْقَافِ وَالضَّادُ مَكْسُورَةٌ مِنْ: (قَضَيْتُ) أَيْ: يَحْكُمُ بِالْحَقِّ، بِدَلِيلِ أَنَّهُ قَالَ: ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ﴾، وَالْفَصْلُ يَكُونُ فِي الْقَضَاءِ، وَإِنَّمَا حَذَفُوا الْيَاءَ لِاسْتِثْقَالِ الْأَلِفِ وَاللَّامِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿صَالِ ٱلْجَحِيمِ﴾[الصَّافَّات:١٦٣] وَنَحْوِهَا، وَلَمْ يَقُلْ (بِالْحَقِّ)؛ لِأَنَّ ﴿ٱلْحَقَّۖ﴾ صِفَةُ الْمَصْدَرِ، كَأَنَّهُ قَالَ: يَقْضِي الْقَضَاءَ الْحَقَّ.

﴿قُل لَّوْ أَنَّ عِندِي﴾: وَبِيَدِي، ﴿مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ﴾: مِنَ الْعَذَابِ، ﴿لَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْۗ﴾: أَيْ: فُرِغَ مِنَ الْعَذَابِ وَأُهْلِكْتُمْ، أَيْ: لَعَجَّلْتُهُ حَتَّى أَتَخَلَّصَ مِنْكُمْ، ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

﴿ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴾

قَوْلُهُ ﷻ: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ﴾: **مَفَاتِحُ الْغَيْبِ**: خَزَائِنُهُ، جَمْعُ (مِفْتَحٍ)، وَاخْتَلَفُوا فِي مَفَاتِحِ الْغَيْبِ:

عَنْ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَفَاتِحُ الْغَيْبِ خَمْسٌ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللهُ: لَا يَعْلَمُ مَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ أَحَدٌ إِلَّا اللهَ تَعَالَى، وَلَا يَعْلَمُ مَا فِي الْغَدِ إِلَّا اللهُ** ﷻ، **وَلَا يَعْلَمُ مَتَى يَأْتِي المَطَرُ أَحَدٌ إِلَّا اللهَ، وَلَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ، وَلَا يَعْلَمُ مَتَى تَقُومُ السَّاعَةُ أَحَدٌ إِلَّا اللهَ**»[1]. وَكَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ [وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرُۢ]﴾[لُقمان:٣٤].

وَقَالَ الضَّحَّاكُ وَمُقَاتِلٌ: مَفَاتِحُ الْغَيْبِ: خَزَائِنُ الْأَرْضِ، وَعِلْمُ نُزُولِ الْعَذَابِ، **وَقَالَ عَطَاءٌ**: مَا غَابَ عَنْكُمْ مِنَ الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ، **وَقِيلَ**: انْقِضَاءُ الْآجَالِ، **وَقِيلَ**: أَحْوَالُ الْعِبَادِ مِنَ السَّعَادَةِ وَالشَّقَاوَةِ وَخَوَاتِيمِ أَعْمَالِهِمْ، **وَقِيلَ**: هِيَ مَا لَمْ يَكُنْ بَعْدُ أَنَّهُ يَكُونُ أَمْ لَا يَكُونُ، وَمَا يَكُونُ كَيْفَ يَكُونُ، وَمَا لَا يَكُونُ أَنْ لَوْ كَانَ كَيْفَ يَكُونُ؟ **وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ**: أُوتِيَ نَبِيُّكُمْ عِلْمَ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا عِلْمَ مَفَاتِيحِ الْغَيْبِ.

﴿وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ﴾: **قَالَ مُجَاهِدٌ**: **الْبَرُّ**: المَفَاوِزُ وَالْقِفَارُ، **وَالْبَحْرُ**: الْقُرَى وَالْأَمْصَارُ، لَا يَحْدُثُ فِيهِمَا شَيْءٌ إِلَّا يَعْلَمُهُ، **وَقِيلَ**: هُوَ الْبَرُّ وَالْبَحْرُ المَعْرُوفُ، ﴿وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا﴾: يُرِيدُ: سَاقِطَةً وَثَابِتَةً، يَعْنِي: يَعْلَمُ عَدَدَ مَا يَسْقُطُ مِنْ وَرَقِ الشَّجَرِ وَمَا يَبْقَى عَلَيْهِ، **وَقِيلَ**: يَعْلَمُ كَمِ انْقَلَبَتْ ظَهْرًا لِبَطْنٍ إِلَى أَنْ سَقَطَتْ عَلَى الْأَرْضِ، ﴿وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ﴾: **قِيلَ**: هُوَ الْحَبُّ المَعْرُوفُ فِي بُطُونِ الْأَرْضِ، **وَقِيلَ**: هُوَ تَحْتَ الصَّخْرَةِ الَّتِي فِي أَسْفَلِ الْأَرَضِينَ، ﴿وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ﴾: **قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ** رضي الله عنهما:

(١) **صحيح**: البخاري: (٤٦٩٧). ونحوه في "صحيح مسلم" (١٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

الرَّطْبُ: المَاءُ، **وَالْيَابِسُ**: الْبَادِيَةُ، **وَقَالَ عَطَاءٌ**: يُرِيدُ: مَا يَنْبُتُ وَمَا لَا يَنْبُتُ، **وَقِيْلَ**: وَلَا حَيٍّ وَلَا مَيِّتٍ، **وَقِيلَ**: هُوَ عِبَارَةٌ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ، ﴿إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾: يَعْنِي: أَنَّ الْكُلَّ مَكْتُوبٌ فِي اللَّوْحِ المَحْفُوظِ.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّىۖ ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّۚ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ﴾: أَيْ: يَقْبِضُ أَرْوَاحَكُمْ إِذَا نِمْتُمْ بِاللَّيْلِ ﴿وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم﴾: كَسَبْتُمْ ﴿بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ﴾: أَيْ: يُوقِظُكُمْ فِي النَّهَارِ؛ ﴿لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّىۖ﴾: يَعْنِي: أَجَلَ الحَيَاةِ إِلَى المَمَاتِ، يُرِيدُ: اسْتِيفَاءَ الْعُمْرِ عَلَى التَّمَامِ، ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ﴾: فِي الْآخِرَةِ، ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُكُم﴾: يُخْبِرُكُمْ ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾: يَعْنِي: المَلَائِكَةَ الَّذِينَ يَحْفَظُونَ أَعْمَالَ بَنِي آدَمَ وَهُوَ جَمْعُ (حَافِظٍ)، نَظِيرُهُ ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۞ كِرَامًا كَٰتِبِينَ﴾[الانْفِطَار: ١٠-١١]. ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ﴾: قَرَأَ حَمْزَةُ: ﴿تُوَفِّيهِ﴾ وَ﴿اسْتَهْوِيهُ﴾ بِالْيَاءِ وَأَمَالَهُمَا، ﴿رُسُلُنَا﴾: يَعْنِي: أَعْوَانَ مَلَكِ المَوْتِ يَقْبِضُونَهُ فَيَدْفَعُونَهُ إِلَى مَلَكِ المَوْتِ فَيَقْبِضُ رُوحَهُ، كَمَا قَالَ: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ﴾[السَّجدَة:١١]، **وَقِيلَ**: الْأَعْوَانُ يَتَوَفَّوْنَهُ بِأَمْرِ مَلَكِ المَوْتِ، فَكَأَنَّ مَلَكَ المَوْتِ تَوَفَّاهُ؛ لِأَنَّهُمْ يَصْدُرُونَ عَنْ أَمْرِهِ، **وَقِيلَ**: أَرَادَ بِالرُّسُلِ مَلَكَ المَوْتِ وَحْدَهُ فَذَكَّرَ الْوَاحِدَ بِلَفْظِ الجَمْعِ، ﴿وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾: لَا يُقَصِّرُونَ، ﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّۚ﴾: يَعْنِي: المَلَائِكَةَ، **وَقِيلَ**: يَعْنِي: الْعِبَادَ يُرَدُّونَ بِالمَوْتِ إِلَى اللهِ مَوْلَاهُمُ الحَقِّ. **فَإِنْ قِيلَ**: الْآيَةُ فِي المُؤْمِنِينَ وَالْكُفَّارِ جَمِيعًا، وَقَدْ قَالَ فِي آيَةٍ أُخْرَى: ﴿وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ﴾[مُحَمَّد:١١]، فَكَيْفَ وَجْهُ الجَمْعِ؟ **فَقِيلَ**: المَوْلَى فِي تِلْكَ الْآيَةِ بِمَعْنَى: النَّاصِرِ، وَلَا نَاصِرَ لِلْكُفَّارِ، وَالمَوْلَى هَاهُنَا بِمَعْنَى: المَلِكِ الَّذِي يَتَوَلَّى أُمُورَهُمْ،

وَاللهُ ﷻ مَالِكُ الْكُلِّ وَمُتَوَلِّي الْأُمُورِ، وَقِيلَ: أَرَادَ هُنَا الْمُؤْمِنِينَ خَاصَّةً، يُرَدُّونَ إِلَى مَوْلَاهُمْ، وَالْكُفَّارُ فِيهِ تَبَعٌ، ﴿أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ﴾: أَيِ: الْقَضَاءُ دُونَ خَلْقِهِ، ﴿وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ﴾: أَيْ: إِذَا حَاسَبَ فَحِسَابُهُ سَرِيعٌ؛ لِأَنَّهُ لَا يَحْتَاجُ إِلَى فِكْرَةٍ وَرَوِيَّةٍ وَعَقْدِ يَدٍ.

﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٦٤﴾ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ وَهُوَ ٱلْحَقُّ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿٦٦﴾ لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾

قَوْلُهُ ﷻ: ﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم﴾: قَرَأَ يَعْقُوبُ بِالتَّخْفِيفِ، وَقَرَأَ الْعَامَّةُ بِالتَّشْدِيدِ، ﴿مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾: أَيْ: مِنْ شَدَائِدِهِمَا وَأَهْوَالِهِمَا، كَانُوا إِذَا سَافَرُوا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ فَضَلُّوا الطَّرِيقَ وَخَافُوا الْهَلَاكَ- دَعَوُا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَيُنْجِيهِمْ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾: أَيْ: عَلَانِيَةً وَسِرًّا، قَرَأَ أَبُو بَكْرٍ عَنْ عَاصِمٍ: ﴿وَخِفْيَةً﴾ بِكَسْرِ الْخَاءِ هَاهُنَا وَفِي الْأَعْرَافِ، وَقَرَأَ الْآخَرُونَ بِضَمِّهَا، وَهُمَا لُغَتَانِ، ﴿لَّئِنْ أَنجَىٰنَا﴾: أَيْ: يَقُولُونَ: لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا، وَقَرَأَ أَهْلُ الْكُوفَةِ: ﴿لَئِنْ أَنْجَانَا اللهُ﴾، ﴿مِنْ هَٰذِهِۦ﴾: يَعْنِي: مِنْ هَذِهِ الظُّلُمَاتِ ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾: وَالشُّكْرُ: هُوَ مَعْرِفَةُ النِّعْمَةِ مَعَ الْقِيَامِ بِحَقِّهَا.

﴿قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا﴾: قَرَأَ أَهْلُ الْكُوفَةِ وَأَبُو جَعْفَرٍ: ﴿يُنَجِّيكُم﴾ بِالتَّشْدِيدِ، مِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم﴾[الأنعام:٦٣]، وَقَرَأَ الْآخَرُونَ هَذَا بِالتَّخْفِيفِ، ﴿وَمِن كُلِّ كَرْبٍ﴾: وَالْكَرْبُ: غَايَةُ الْغَمِّ الَّذِي يَأْخُذُ بِالنَّفْسِ، ﴿ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ﴾: يُرِيدُ أَنَّهُمْ يُقِرُّونَ أَنَّ الَّذِي يَدْعُونَهُ عِنْدَ الشِّدَّةِ هُوَ الَّذِي يُنَجِّيهِمْ، ثُمَّ يُشْرِكُونَ مَعَهُ الْأَصْنَامَ الَّتِي قَدْ عَلِمُوا أَنَّهَا لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ!

قَوْلُهُ ﷻ: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾: قَالَ الْحَسَنُ وَقَتَادَةُ: نَزَلَتِ الْآيَةُ فِي أَهْلِ الْإِيمَانِ، وَقَالَ قَوْمٌ: نَزَلَتْ فِي الْمُشْرِكِينَ.

قَوْلُهُ: ﴿عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾: يَعْنِي: الصَّيْحَةَ وَالْحِجَارَةَ وَالرِّيحَ وَالطُّوفَانَ، كَمَا فَعَلَ بِعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ شُعَيْبٍ وَقَوْمِ لُوطٍ وَقَوْمِ نُوحٍ، ﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾: يَعْنِي الرَّجْفَةَ وَالْخَسْفَ كَمَا فَعَلَ بِقَوْمِ شُعَيْبٍ وَقَارُونَ، **وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٍ** ﴿عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾: السَّلَاطِينِ الظَّلَمَة، ﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾: الْعَبِيدُ السُّوءُ، **وَقَالَ الضَّحَّاكُ**: ﴿مِّن فَوْقِكُمْ﴾: مِنْ قِبَلِ كِبَارِكُمْ، ﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾: أَيْ مِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ، ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا﴾: أَيْ: يَخْلِطَكُمْ فِرَقًا، وَيَبُثَّ فِيكُمُ الْأَهْوَاءَ الْمُخْتَلِفَةَ، ﴿وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾: يَعْنِي: السُّيُوفَ الْمُخْتَلِفَةَ، يَقْتُلُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا.

عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَعُوذُ بِوَجْهِكَ**»، قَالَ: ﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾، قَالَ: «**أَعُوذُ بِوَجْهِكَ**»، قَالَ: ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**هَذَا أَهْوَنُ، أَوْ: هَذَا أَيْسَرُ**»(١).

عَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: أَقْبَلْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَتَّى مَرَرْنَا عَلَى مَسْجِدِ بَنِي مُعَاوِيَةَ، فَدَخَلَ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ وَصَلَّيْنَا مَعَهُ، فَنَاجَى رَبَّهُ طَوِيلًا ثُمَّ قَالَ: «**سَأَلْتُ رَبِّي ثَلَاثًا: سَأَلْتُهُ أَنْ لَا يُهْلِكَ أُمَّتِي بِالْغَرَقِ، فَأَعْطَانِيهَا، وَسَأَلْتُهُ أَنْ لَا يُهْلِكَ أُمَّتِي بِالسَّنَةِ، فَأَعْطَانِيهَا، وَسَأَلْتُهُ أَنْ لَا يَجْعَلَ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ، فَمَنَعَنِيهَا**»(٢).

قَوْلُهُ ﷻ: ﴿انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾.

﴿وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ﴾: أَيْ: بِالْقُرْآنِ **وَقِيلَ**: بِالْعَذَابِ ﴿وَهُوَ الْحَقُّ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾: بِرَقِيبٍ، **وَقِيلَ**: بِمُسَلَّطٍ أُلْزِمُكُمُ الْإِسْلَامَ شِئْتُمْ أَوْ أَبَيْتُمْ، إِنَّمَا أَنَا رَسُولٌ، ﴿لِّكُلِّ نَبَإٍ﴾: خَبَرٍ مِنْ أَخْبَارِ الْقُرُونِ ﴿مُّسْتَقَرٌّ﴾: حَقِيقَةٌ وَمُنْتَهًى يَنْتَهِي إِلَيْهِ، فَيُتَبَيَّنُ صِدْقُهُ مَنْ كَذِبِهِ، وَحَقُّهُ مِنْ بَاطِلِهِ، إِمَّا فِي الدُّنْيَا وَإِمَّا فِي الْآخِرَةِ، ﴿وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾، **وَقَالَ مُقَاتِلٌ**: لِكُلِّ خَبَرٍ يُخْبِرُهُ اللهُ وَقْتٌ وَقْتَهُ وَمَكَانٌ يَقَعُ فِيهِ مِنْ غَيْرِ خُلْفٍ وَلَا تَأْخِيرٍ، **وَقَالَ الْكَلْبِيُّ**:

---

(١) **صحيح**: البخاري: (٤٦٢٨).

(٢) **صحيح**: مسلم: (٢٨٩٠).

لِكُلِّ قَوْلٍ وَفِعْلٍ حَقِيقَةٌ، إِمَّا فِي الدُّنْيَا وَإِمَّا فِي الْآخِرَةِ، ﴿وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾: مَا كَانَ فِي الدُّنْيَا فَسَتَعْرِفُونَهُ، وَمَا كَانَ فِي الْآخِرَةِ فَسَوْفَ يَبْدُو لَكُمْ.

﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾ وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾

قَوْلُهُ ﷻ: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا﴾: يَعْنِي: فِي الْقُرْآنِ بِالِاسْتِهْزَاءِ ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾: فَاتْرُكْهُمْ وَلَا تُجَالِسْهُمْ، ﴿حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ﴾: قَرَأَ ابْنُ عَامِرٍ بِفَتْحِ النُّونِ وَتَشْدِيدِ السِّينِ وَقَرَأَ الْآخَرُونَ بِسُكُونِ النُّونِ وَتَخْفِيفِ السِّينِ، ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ﴾: نَهْيَنَا، ﴿فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: يَعْنِي: إِذَا جَلَسْتَ مَعَهُمْ نَاسِيًا فَقُمْ مِنْ عِنْدِهِمْ بَعْدَمَا تَذَكَّرْتَ.

﴿وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ﴾: **رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ**: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾، قَالَ الْمُسْلِمُونَ: كَيْفَ نَقْعُدُ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَنَطُوفُ بِالْبَيْتِ وَهُمْ يَخُوضُونَ أَبَدًا؟! وَفِي رِوَايَةٍ قَالَ الْمُسْلِمُونَ: فَإِنَّا نَخَافُ الْإِثْمَ حِينَ نَتْرُكُهُمْ وَلَا نَنْهَاهُمْ، فَأَنْزَلَ اللهُ ﷻ: ﴿وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾: الْخَوْضَ ﴿مِنْ حِسَابِهِم﴾: أَيْ: مِنْ آثَامِ الْخَائِضِينَ ﴿مِّن شَىْءٍ وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ﴾: أَيْ: ذَكِّرُوهُمْ وَعِظُوهُمْ بِالْقُرْآنِ، وَ(الذِّكْرُ) وَ(الذِّكْرَى): وَاحِدٌ، يُرِيدُ: ذَكِّرُوهُمْ ذِكْرَى، فَتَكُونُ فِي مَحَلِّ نَصْبٍ، ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾: الْخَوْضَ إِذَا وَعَظْتُمُوهُمْ فَرَخَّصَ فِي مُجَالَسَتِهِمْ عَلَى الْوَعْظِ لَعَلَّهُ يَمْنَعُهُمْ ذَلِكَ مِنَ الْخَوْضِ، **وَقِيلَ**: لَعَلَّهُمْ يَسْتَحْيُونَ.

﴿وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ وَذَكِّرْ بِهِۦٓ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبْسِلُوا۟ بِمَا كَسَبُوا۟ ۖ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ﴾

قَوْلُهُ ﷻ: ﴿وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا﴾: يَعْنِي: الْكُفَّارَ الَّذِينَ إِذَا سَمِعُوا

آيَاتِ اللهِ اسْتَهْزَءُوا بِهَا وَتَلَاعَبُوا عِنْدَ ذِكْرِهَا، وَقِيلَ: إِنَّ اللهَ تَعَالَى جَعَلَ لِكُلِّ قَوْمٍ عِيدًا فَاتَّخَذَ كُلُّ قَوْمٍ دِينَهُمْ -أَيْ: عِيدَهُمْ- لَعِبًا وَلَهْوًا، وَعِيدُ الْمُسْلِمِينَ: الصَّلَاةُ، وَالتَّكْبِيرُ، وَفِعْلُ الْخَيْرِ، مِثْلُ: الْجُمُعَةِ وَالْفِطْرِ وَالنَّحْرِ، ﴿وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَاۚ وَذَكِّرْ بِهِۦٓ﴾: أَيْ وَعِظْ بِالْقُرْآنِ؛ ﴿أَن تُبْسَلَ﴾: أَيْ: لِأَنْ لَا تُبْسَلَ أَيْ: لَا تُسَلَّمَ ﴿نَفْسٌۢ﴾: لِلْهَلَاكِ ﴿بِمَا كَسَبَتْ﴾، قَالَهُ مُجَاهِدٌ وَعِكْرِمَةُ وَالسُّدِّيُّ، وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: تَهْلَكُ، وَقَالَ قَتَادَةُ: أَنْ تُحْبَسَ، وَقَالَ الضَّحَّاكُ: تُحْرَقُ، وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ: تُؤْخَذُ، وَمَعْنَاهُ: ذَكِّرْهُمْ لِيُؤْمِنُوا كَيْلَا تَهْلِكَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ، قَالَ الْأَخْفَشُ: تُبْسَلُ: تُجَازَى، وَقِيلَ: تُفْضَحُ، وَقَالَ الفَرَّاءُ: تُرْتَهَنُ، وَأَصْلُ الْإِبْسَالِ: التَّحْرِيمُ وَالْبَسْلُ: الْحَرَامُ، ثُمَّ جُعِلَ نَعْتًا لِكُلِّ شِدَّةٍ تُتَّقَى وَتُتْرَكُ ﴿لَيْسَ لَهَا﴾: لِتِلْكَ النَّفْسِ ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيٌّ﴾: قَرِيبٌ ﴿وَلَا شَفِيعٌ﴾: يَشْفَعُ لَهَا فِي الْآخِرَةِ ﴿وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ﴾: أَيْ: تَفْدِ كُلَّ فِدَاءٍ ﴿لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبْسِلُواْ﴾: أُسْلِمُوا لِلْهَلَاكِ ﴿بِمَا كَسَبُواْۖ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ﴾.

﴿قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَاۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَأَنْ أَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُۚ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّۖ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُۚ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّۚ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِۚ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾

﴿قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا﴾: إِنْ عَبَدْنَاهُ ﴿وَلَا يَضُرُّنَا﴾: إِنْ تَرَكْنَاهُ، يَعْنِي: الْأَصْنَامَ لَيْسَ إِلَيْهَا نَفْعٌ وَلَا ضُرٌّ، ﴿وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا﴾: إِلَى الشِّرْكِ مُرْتَدِّينَ ﴿بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾: أَيْ: يَكُونُ مَثَلُنَا كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ، أَيْ: أَضَلَّتْهُ ﴿فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ﴾: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: كَالَّذِي اسْتَغْوَتْهُ الْغِيلَانُ فِي الْمَهَامَةِ فَأَضَلُّوهُ فَهُوَ حَائِرٌ بَائِرٌ، وَالْحَيْرَانُ: الْمُتَرَدِّدُ فِي الْأَمْرِ لَا يَهْتَدِي إِلَى مَخْرَجٍ مِنْهُ، ﴿لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَاۗ﴾: هَذَا مَثَلٌ ضَرَبَهُ اللهُ تَعَالَى لِمَنْ يَدْعُو إِلَى الْآلِهَةِ وَلِمَنْ يَدْعُو إِلَى اللهِ تَعَالَى، كَمَثَلِ رَجُلٍ فِي رُفْقَةٍ ضَلَّ بِهِ الْغُولُ عَنِ الطَّرِيقِ، يَدْعُوهُ أَصْحَابُهُ مِنْ أَهْلِ الرُّفْقَةِ هَلُمَّ

إِلَى الطَّرِيقِ، وَيَدْعُوهُ الغُولُ هَلُمَّ، فَيَبْقَى حَيْرَانَ لَا يَدْرِي أَيْنَ يَذْهَبُ، فَإِنْ أَجَابَ الْغُولَ انْطَلَقَ بِهِ حَتَّى يُلْقِيَهُ إِلَى الْهَلَكَةِ، وَإِنْ أَجَابَ مَنْ يَدْعُوهُ إِلَى الطَّرِيقِ اهْتَدَى، ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ﴾: يَزْجُرُ عَنْ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ، كَأَنَّهُ يَقُولُ: لَا تَفْعَلْ ذَلِكَ؛ فَإِنَّ الْهُدَى هُدَى اللهِ لَا هُدَى غَيْرِهِ، ﴿وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ﴾: أَيْ: أَنْ نُسَلِّمَ ﴿لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: وَالْعَرَبُ تَقُولُ: أَمَرْتُكَ لِتَفْعَلَ، وَأَنْ تَفْعَلَ، وَبِأَنْ تَفْعَلَ.

﴿وَأَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُ﴾: أَيْ: وَأُمِرْنَا بِإِقَامَةِ الصَّلَاةِ وَالتَّقْوَى، ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾: أَيْ: تُجْمَعُونَ فِي الْمَوْقِفِ لِلْحِسَابِ.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾: **قِيلَ**: الْبَاءُ: بِمَعْنَى اللَّامِ، أَيْ: إِظْهَارًا لِلْحَقِّ؛ لِأَنَّهُ جَعَلَ صُنْعَهُ دَلِيلًا عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ، ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ﴾: **قِيلَ**: هُوَ رَاجِعٌ إِلَى خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، **وَالْخَلْقُ بِمَعْنَى**: الْقَضَاءِ وَالتَّقْدِيرِ، أَيْ: كُلُّ شَيْءٍ قَضَاهُ وَقَدَّرَهُ قَالَ لَهُ: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾، **وَقِيلَ**: يَرْجِعُ إِلَى الْقِيَامَةِ، يَدُلُّ عَلَى سُرْعَةِ أَمْرِ الْبَعْثِ وَالسَّاعَةِ، كَأَنَّهُ قَالَ: وَيَوْمَ يَقُولُ لِلْخَلْقِ: مُوتُوا فَيَمُوتُونَ، وَقُومُوا فَيَقُومُونَ، ﴿قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ﴾: أَيِ: الصِّدْقُ الْوَاقِعُ لَا مَحَالَةَ، يُرِيدُ: أَنَّ مَا وَعَدَهُ حَقٌّ كَائِنٌ، ﴿وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ﴾ يَعْنِي: مُلْكُ الْمُلُوكِ يَوْمَئِذٍ زَائِلٌ، كَقَوْلِهِ ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾[الفَاتِحَة: ٤]، وَكَمَا قَالَ: ﴿وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾[الانفِطَار:١٩]، وَالْأَمْرُ لَهُ فِي كُلِّ وَقْتٍ، وَلَكِنْ لَا أَمْرَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ لِأَحَدٍ مَعَ أَمْرِ اللهِ، **وَالصُّورُ**: قَرْنٌ يُنْفَخُ فِيهِ، **قَالَ مُجَاهِدٌ**: كَهَيْئَةِ الْبُوقِ، **وَقِيلَ**: هُوَ بِلُغَةِ أَهْلِ الْيَمَنِ، **وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ**: الصُّورُ: هُوَ الصُّوَرُ وَهُوَ جَمْعُ (الصُّورَةِ)، **وَهُوَ قَوْلُ الْحَسَنِ**، وَالْأَوَّلُ أَصَحُّ، وَالدَّلِيلُ عَلَيْهِ:

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ قَالَ: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: مَا الصُّورُ؟ قَالَ: «**قَرْنٌ يُنْفَخُ فِيهِ**»(١).

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**كَيْفَ أَنْعَمُ وَصَاحِبُ الصُّورِ قَدِ الْتَقَمَهُ وَأَصْغَى سَمْعَهُ وَحَنَا جَبْهَتَهُ يَنْتَظِرُ مَتَى يُؤْمَرُ؟**»، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا تَأْمُرُنَا؟ قَالَ:

(١) **صحيح:** صحَّحه الألباني في "الصحيحة" (١٠٨٠)، والوادعي في "الصحيح المسند" (٨٠٩).

«قُولُوا حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ»[(١)]. وَقَالَ أَبُو الْعَلَاءِ عَنْ عَطِيَّةَ: مَتَى يُؤْمَرُ بِالنَّفْخِ فَيَنْفُخ.

﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۚ﴾: يعني: يَعْلَمُ مَا غَابَ عَنِ الْعِبَادِ وَمَا يُشَاهِدُونَهُ، لَا يَغِيبُ عَنْ عِلْمِهِ شَيْءٌ، ﴿وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ﴾.

﴿۞ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصۡنَامًا ءَالِهَةً إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوۡمَكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٧٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ رَءَا كَوۡكَبٗاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلۡقَمَرَ بَازِغٗا قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمۡ يَهۡدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمۡسَ بَازِغَةٗ قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكۡبَرُۖ فَلَمَّآ أَفَلَتۡ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ حَنِيفٗاۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾

قَوْلُهُ ﷻ: ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ﴾: قَرَأَ يَعْقُوبُ: ﴿آزَرُ﴾ بِالرَّفْعِ [عَلَى النِّدَاءِ، بِمَعْنَى: يَا آزَرُ]، وَالْقِرَاءَةُ الْمَعْرُوفَةُ بِالنَّصْبِ، وَهُوَ اسْمٌ أَعْجَمِيٌّ لَا يَنْصَرِفُ، فَيَنْتَصِبُ فِي مَوْضِعِ الْخَفْضِ، **قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ وَالضَّحَّاكُ وَالْكَلْبِيُّ**: (آزَرَ): اسْمُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ[(٢)]، **وَقَالَ مُقَاتِلُ بْنُ حَيَّانَ وَغَيْرُهُ**: (آزَرَ): لَقَبٌ لِأَبِي إِبْرَاهِيمَ، وَاسْمُهُ: (تَارِحُ)، **وَقَالَ سُلَيْمَانُ التَّيْمِيُّ**: هُوَ سَبٌّ وَعَيْبٌ، وَمَعْنَاهُ فِي كَلَامِهِمُ: المِعْوَجُّ، **وَقِيلَ**: مَعْنَاهُ: الشَّيْخُ الهَرِمُ بِالْفَارِسِيَّةِ، **وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ وَمُجَاهِدٌ**: (آزَرَ): اسْمُ صَنَمٍ، فَعَلَى هَذَا يَكُونُ فِي مَحَلِّ النَّصْبِ[(٣)]، تَقْدِيرُهُ: أَتَتَّخِذُ آزَرَ إِلَهًا.

---

(١) **صحيح**: صحَّحه الألباني في "الصحيحة" (١٠٧٩)، والوادعي في "الصحيح المسند" (٤٢٢).

(٢) قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ في "تفسيره" (٣/ ٢٨٩): قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: وَالصَّوَابُ أَنَّ اسْمَ أَبِيهِ (آزَرُ). ثُمَّ أَوْرَدَ عَلَى نَفْسِهِ قَوْلَ النَّسَّابِينَ أَنَّ اسْمَهُ (تَارِحُ)، ثُمَّ أَجَابَ بِأَنَّهُ قَدْ يَكُونُ لَهُ اسْمَانِ، كَمَا لِكَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ، أَوْ يَكُونُ أَحَدُهُمَا لَقَبًا، وَهَذَا الَّذِي قَالَهُ جَيِّدٌ قَوِيٌّ، وَاللهُ أَعْلَمُ.اهـ

(٣) ردَّ هذا القول ابنُ جرير وغيرُه، قال ابنُ كثير رَحِمَهُ اللهُ في "تفسيره" (٣/ ٢٨٩): فَأَمَّا مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ مَنْصُوبٌ لِكَوْنِهِ مَعْمُولًا لِقَوْلِهِ: ﴿أَتَتَّخِذُ أَصۡنَامًا﴾ تَقْدِيرُهُ: يَا أَبَتِ أَتَتَّخِذُ آزَرَ أَصْنَامًا آلِهَةً، فَإِنَّهُ قَوْلٌ بَعِيدٌ فِي اللُّغَةِ؛ لِأَنَّ مَا بَعْدَ حَرْفِ الِاسْتِفْهَامِ لَا يَعْمَلُ فِيمَا قَبْلَهُ؛ لِأَنَّ لَهُ صَدْرَ الْكَلَامِ، كَذَا قَرَّرَهُ ابْنُ جَرِيرٍ وَغَيْرُهُ. وَهُوَ مَشْهُورٌ فِي قَوَاعِدِ الْعَرَبِيَّةِ.اهـ

قَوْلُهُ: ﴿أَصْنَامًا ءَالِهَةً﴾: دُونَ اللهِ ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾: [خَطَأٍ بَيِّنٍ].

﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾: أَيْ: كَمَا أَرَيْنَاهُ الْبَصِيرَةَ فِي دِينِهِ، وَالْحَقَّ فِي خِلَافِ قَوْمِهِ، نُرِيْهِ ﴿مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: **وَالمَلَكُوتُ**: الْمُلْكُ، زِيدَتْ فِيهِ التَّاءُ لِلْمُبَالَغَةِ، كَ(الْجَبَرُوتِ، وَالرَّحَمُوتِ، وَالرَّهَبُوتِ) **قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ**: يَعْنِي: خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ **وَقَالَ مُجَاهِدٌ وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ**: يَعْنِي: آيَاتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، **وَقَالَ قَتَادَةُ**: مَلَكُوتُ السَّمَوَاتِ: الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ، وَمَلَكُوتُ الْأَرْضِ: الْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْبِحَارُ، ﴿وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ﴾: عَطْفٌ عَلَى المَعْنَى، وَمَعْنَاهُ: نُرِيهِ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ؛ لِيَسْتَدِلَّ بِهِ؛ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ.

قَوْلُهُ ﷻ: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ﴾: أَيْ: دَخَلَ، يُقَالُ: (جَنَّ اللَّيْلُ) وَ(أَجَنَّ اللَّيْلُ)، وَ(جَنَّهُ اللَّيْلُ)، وَ(أَجَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ يَجِنُّ جُنُونًا وَجِنَانًا)، إِذَا أَظْلَمَ وَغَطَّى كُلَّ شَيْءٍ، **وَجُنُونُ اللَّيْلِ**: سَوَادُهُ، ﴿رَءَا كَوْكَبًا﴾: قَرَأَ أَبُو عَمْرٍو: ﴿رَأى﴾ بِفَتْحِ الرَّاءِ وَكَسْرِ الأَلِفِ وَبِكَسْرِهِمَا ابْنُ عَامِرٍ وَحَمْزَةُ وَالْكِسَائِيُّ وَأَبُو بَكْرٍ، فَإِنِ اتَّصَلَ بِكَافٍ أَوْ هَاءٍ فَتَحَهُمَا ابْنُ عَامِرٍ، وَإِنْ لَقِيَهَا سَاكِنٌ كَسَرَ الرَّاءَ، وَفَتَحَ الْهَمْزَةَ حَمْزَةُ وَأَبُو بَكْرٍ، وَفَتَحَهُمَا الْآخَرُونَ.

﴿قَالَ هَٰذَا رَبِّي﴾: **وَاخْتَلَفُوا فِي قَوْلِهِ ذَلِكَ: فَأَجْرَاهُ بَعْضُهُمْ عَلَى الظَّاهِرِ**، وَقَالُوا: كَانَ إِبْرَاهِيمُ عليه السلام مُسْتَرْشِدًا طَالِبًا لِلتَّوْحِيدِ حَتَّى وَفَّقَهُ اللهُ تَعَالَى وَآتَاهُ رُشْدَهُ، فَلَمْ يَضُرُّهُ ذَلِكَ فِي حَالِ الِاسْتِدْلَالِ، وَأَيْضًا: كَانَ ذَلِكَ فِي حَالِ طُفُولِيَّتِهِ قَبْلَ قِيَامِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِ، فَلَمْ يَكُنْ كُفْرًا. **وَأَنْكَرَ الْآخَرُونَ هَذَا الْقَوْلَ وَقَالُوا**: لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ للهِ رَسُولٌ يَأْتِي عَلَيْهِ وَقْتٌ مِنَ الْأَوْقَاتِ إِلَّا وَهُوَ للهِ مُوَحِّدٌ وَبِهِ عَارِفٌ، وَمِنْ كُلِّ مَعْبُودٍ سِوَاهُ بَرِيءٌ، وَكَيْفَ يُتَوَهَّمُ هَذَا عَلَى مَنْ عَصَمَهُ اللهُ وَطَهَّرَهُ وَآتَاهُ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَأَخْبَرَ عَنْهُ فَقَالَ: ﴿إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٖ سَلِيمٍ﴾[الصَّافَّات:٨٤]، وَقَالَ: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[الأَنْعَام:٧٥]، أَفَتَرَاهُ أَرَاهُ المَلَكُوتَ لِيُوقِنَ فَلَمَّا أَيْقَنَ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ: هَذَا رَبِّي مُعْتَقِدًا؟! فَهَذَا مَا لَا يَكُونُ أَبَدًا. ثُمَّ قَالُوا: **فِيهِ أَرْبَعَةُ أَوْجُهٍ مِنَ التَّأْوِيلِ**:

أَحَدُهَا: أَنَّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَرَادَ أَنْ يَسْتَدْرِجَ الْقَوْمَ بِهَذَا الْقَوْلِ وَيُعَرِّفَهُمْ خَطَأَهُمْ وَجَهْلَهُمْ فِي تَعْظِيمِ مَا عَظَّمُوهُ، وَكَانُوا يُعَظِّمُونَ النُّجُومَ وَيَعْبُدُونَهَا، وَيَرَوْنَ أَنَّ الْأُمُورَ كُلَّهَا إِلَيْهَا، فَأَرَاهُمْ أَنَّهُ مُعَظِّمٌ مَا عَظَّمُوهُ وَمُلْتَمِسٌ الْهُدَى مِنْ حَيْثُ مَا الْتَمَسُوهُ، فَلَمَّا أَفَلَ أَرَاهُمُ النَّقْصَ الدَّاخِلَ عَلَى النُّجُومِ لِيُثْبِتَ خَطَأَ مَا يَدَّعُونَ، وَمَثَلُ هَذَا مَثَلُ الْحَوَارِيِّ الَّذِي وَرَدَ عَلَى قَوْمٍ يَعْبُدُونَ الصَّنَمَ فَأَظْهَرَ تَعْظِيمَهُ، فَأَكْرَمُوهُ حَتَّى صَدَرُوا فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأُمُورِ عَنْ رَأْيِهِ إِلَى أَنْ دَهَمَهُمْ عَدُوٌّ فَشَاوَرُوهُ فِي أَمْرِهِ، فَقَالَ: الرَّأْيُ أَنْ نَدْعُوا هَذَا الصَّنَمَ حَتَّى يَكْشِفَ عَنَّا مَا قَدْ أَظَلَّنَا، فَاجْتَمَعُوا حَوْلَهُ يَتَضَرَّعُونَ، فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ لَا يَنْفَعُ وَلَا يَدْفَعُ دَعَاهُمْ إِلَى أَنْ يَدْعُوا اللهَ، فَدَعَوْهُ فَصَرَفَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ، فَأَسْلَمُوا.

وَالْوَجْهُ الثَّانِي مِنَ التَّأْوِيلِ: أَنَّهُ قَالَهُ عَلَى وَجْهِ الِاسْتِفْهَامِ، تَقْدِيرُهُ: أَهَذَا رَبِّي؟ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ﴾[الْأَنْبِيَاء:٣٤]، أَيْ: أَفَهُمُ الْخَالِدُونَ؟ وَذَكَرَهُ عَلَى وَجْهِ التَّوْبِيخِ مُنْكِرًا لِفِعْلِهِمْ، يَعْنِي: أَمِثْلُ هَذَا يَكُونُ رَبًّا؟! أَيْ: لَيْسَ هَذَا رَبِّي.

وَالْوَجْهُ الثَّالِثُ: أَنَّهُ عَلَى وَجْهِ الِاحْتِجَاجِ عَلَيْهِمْ، يَقُولُ: هَذَا رَبِّي بِزَعْمِكُمْ؟ فَلَمَّا غَابَ قَالَ: لَوْ كَانَ إِلَهًا لَمَا غَابَ، كَمَا قَالَ: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ﴾[الدُّخَان: ٤٩]، أَيْ: عِنْدَ نَفْسِكَ وَبِزَعْمِكَ، وَكَمَا أَخْبَرَ عَنْ مُوسَى أَنَّهُ قَالَ: ﴿وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ﴾[طه:٩٧]، يُرِيدُ: إِلَهَكَ بِزَعْمِكَ.

وَالْوَجْهُ الرَّابِعُ: فِيهِ إِضْمَارٌ، وَتَقْدِيرُهُ: يَقُولُونَ هَذَا رَبِّي، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ﴾[الْبَقَرَة:١٢٧]، أَيْ: يَقُولُونَ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا. ﴿فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ﴾: وَمَا لَا يَدُومُ[1].

---

(١) قال ابنُ فارس رَحِمَهُ اللهُ: (أَفَلَ): (الْهَمْزَةُ، وَالْفَاءُ، وَاللَّامُ) أَصْلَانِ: أَحَدُهُمَا: الْغَيْبَةُ، وَالثَّانِي: الصِّغَارُ مِنَ الْإِبِلِ. فَأَمَّا الْغَيْبَةُ فَيُقَالُ (أَفَلَتِ الشَّمْسُ) غَابَتْ وَ(نُجُومٌ أُفَّلٌ)، وَكُلُّ شَيْءٍ غَابَ فَهُوَ آفِلٌ.اهـ "مقاييس اللغة" (١/ ١١٩).

﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا﴾: طَالِعًا، ﴿قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي﴾: قِيلَ: لَئِنْ لَمْ يُثَبِّتْنِي عَلَى الْهُدَى، لَيْسَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مُهْتَدِيًا، وَالْأَنْبِيَاءُ لَمْ يَزَالُوا يَسْأَلُونَ اللهَ تَعَالَى الثَّبَاتَ عَلَى الْإِيمَانِ، وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ يَقُولُ: ﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾[إِبْرَاهِيم: ٣٥]. ﴿لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ﴾: أَيْ: عَنِ الْهُدَى.

﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكْبَرُۖ﴾: أَيْ: أَكْبَرُ مِنَ الكَوْكَبِ وَالْقَمَرِ، وَلَمْ يَقُلْ: (هَذِهِ) مَعَ أَنَّ الشَّمْسَ مُؤَنَّثَةٌ؛ لِأَنَّهُ أَرَادَ هَذَا الطَّالِعَ، أَوْ رَدَّهُ إِلَى المَعْنَى، وَهُوَ الضِّيَاءُ وَالنُّورُ؛ لِأَنَّهُ رَآهُ أَضْوَأَ مِنَ النُّجُومِ وَالْقَمَرِ، ﴿فَلَمَّآ أَفَلَتْ﴾: غَرَبَتْ، ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًاۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾.

﴿وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيْـًٔاۗ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًاۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًاۚ فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾

قَوْلُهُ ﷻ: ﴿وَحَآجَّهُۥ﴾: أَيْ: خَاصَمَهُ وَجَادَلَهُ ﴿قَوْمُهُۥۚ﴾: فِي دِينِهِ، ﴿قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ﴾: قَرَأَ أَهْلُ المَدِينَةِ وَابْنُ عَامِرٍ بِتَخْفِيفِ النُّونِ، وَقَرَأَ الْآخَرُونَ بِتَشْدِيدِهَا إِدْغَامًا لِإِحْدَى النُّونَيْنِ فِي الْأُخْرَى، وَمَنْ خَفَّفَ حَذَفَ إِحْدَى النُّونَيْنِ تَخْفِيفًا، يَقُولُ: أَتُجَادِلُونَنِي فِي تَوْحِيدِ اللهِ ﴿وَقَدْ هَدَىٰنِۚ﴾: لِلتَّوْحِيدِ وَالْحَقِّ؟! ﴿وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ﴾: وَذَلِكَ أَنَّهُمْ قَالُوا لَهُ: احْذَرِ الْأَصْنَامَ فَإِنَّا نَخَافُ أَنْ تَمَسَّكَ بِسُوءٍ مِنْ خَبَلٍ أَوْ جُنُونٍ؛ لِعَيْبِكَ إِيَّاهَا، فَقَالَ لَهُمْ: ﴿وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيْـًٔاۗ﴾: وَلَيْسَ هَذَا بِاسْتِثْنَاءٍ عَنِ الْأَوَّلِ، بَلْ هُوَ اسْتِثْنَاءٌ مُنْقَطِعٌ، مَعْنَاهُ: لَكِنْ إِنْ يَشَأْ رَبِّي شَيْئًا -أَيْ سُوءًا- فَيَكُونُ مَا شَاءَ ﴿وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًاۗ﴾: أَيْ: أَحَاطَ عِلْمُهُ بِكُلِّ شَيْءٍ، ﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾.

﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ﴾: يَعْنِي: الْأَصْنَامَ وَهِيَ لَا تُبْصِرُ وَلَا تَسْمَعُ وَلَا

تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ، ﴿وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ۚ﴾: حُجَّةً وَبُرْهَانًا، وَهُوَ الْقَاهِرُ الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، ﴿فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ﴾: أَوْلَى ﴿بِالْأَمْنِ ۖ﴾: أَنَا وَأَهْلُ دِينِي أَمْ أَنْتُمْ؟ ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

فَقَالَ اللهُ تَعَالَى قَاضِيًا بَيْنَهُمَا: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوٓا إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾: لَمْ يَخْلِطُوا إِيمَانَهُمْ بِشِرْكٍ، ﴿أُولَٰٓئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾.

عَنْ عَبْدِ اللهِ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوٓا إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ شَقَّ ذَلِكَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، فَأَيُّنَا لَا يَظْلِمُ نَفْسَهُ؟ فَقَالَ: «**لَيْسَ ذَلِكَ، إِنَّمَا هُوَ الشِّرْكُ، أَلَمْ تَسْمَعُوا إِلَى مَا قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ:** ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ ۖ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[لُقْمَان:١٣]؟»[١].

﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ الصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ وَاجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُولَٰٓئِكَ الَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ الْكِتَٰبَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُولَٰٓئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ اقْتَدِهْ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ﴾

قَوْلُهُ ﷻ: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ﴾: حَتَّى خَصَمَهُمْ وَغَلَبَهُمْ بِالْحُجَّةِ، **قَالَ مُجَاهِدٌ**: هِيَ قَوْلُهُ: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوٓا إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰٓئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ﴾، **وَقِيلَ**: أَرَادَ بِهِ: الحِجَاجَ الَّذِي حَاجَّ بِهِ نُمْرُودَ، عَلَى مَا سَبَقَ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ[٢]، ﴿نَرْفَعُ

---

(١) **صحيح:** البخاري: (٣٤٢٩)، مسلم: (١٢٤).

(٢) قال الإمام الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ: قال مجاهدٌ وغيرُه: هي قولُه تعالى: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ۚ فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ ۖ﴾ الآية، وقد صدَّقَهُ اللهُ، =

دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ﴾: بِالْعِلْمِ، قَرَأَ أَهْلُ الْكُوفَةِ وَيَعْقُوبُ: ﴿دَرَجَٰتٖ﴾ بِالتَّنْوِينِ هَاهُنَا وَفِي سُورَةِ يُوسُفَ، أَيْ: نَرْفَعُ مَنْ نَشَاءُ دَرَجَاتٍ، بِالْعِلْمِ، وَالْفَهْمِ، وَالْفَضِيلَةِ، وَالْعَقْلِ، كَمَا رَفَعْنَا دَرَجَات إِبْرَاهِيمَ حَتَّى اهْتَدَى وَحَاجَّ قَوْمَهُ فِي التَّوْحِيدِ، ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٞ﴾.

﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ كُلًّا هَدَيۡنَاۚ﴾: وَوَفَّقْنَا وَأَرْشَدْنَا، ﴿وَنُوحًا هَدَيۡنَا مِن قَبۡلُۖ﴾: أَيْ: مِنْ قَبْلِ إِبْرَاهِيمَ، ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ﴾: أَيْ: وَمِنْ ذُرِّيَّةِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَلَمْ يُرِدْ مِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ؛ لِأَنَّهُ ذَكَرَ فِي جُمْلَتِهِمْ يُونُسَ وَلُوطًا وَلَمْ يَكُونَا مِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ، ﴿دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ﴾: يَعْنِي: ابْنَهُ، ﴿وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ﴾: هُوَ يُوسُفُ بْنُ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ﴿وَمُوسَىٰ﴾: وَهُوَ مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ، ﴿وَهَٰرُونَۚ﴾: هُوَ أَخُو مُوسَى، ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾: أَيْ: وَكَمَا جَزَيْنَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى تَوْحِيدِهِ بِأَنْ رَفَعْنَا دَرَجَتَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ أَوْلَادًا أَنْبِيَاءَ أَتْقِيَاءَ- كَذَلِكَ ﴿نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾: عَلَى إِحْسَانِهِمْ، وَلَيْسَ ذِكْرُهُمْ عَلَى تَرْتِيبِ أَزْمَانِهِمْ.

﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحۡيَىٰ﴾: وَهُوَ ابْنُهُ، ﴿وَعِيسَىٰ﴾: وَهُوَ ابْنُ مَرْيَمَ ابْنَةِ عِمْرَانَ، ﴿وَإِلۡيَاسَۖ كُلّٞ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسۡمَٰعِيلَ﴾: وَهُوَ وَلَدُ إِبْرَاهِيمَ، ﴿وَٱلۡيَسَعَ﴾: قَرَأَ حَمْزَةُ وَالْكِسَائِيُّ ﴿وَٱلَّيۡسَعَ﴾ بِتَشْدِيدِ اللَّامِ وَسُكُونِ الْيَاءِ هُنَا وَفِي (ص)، ﴿وَيُونُسَ﴾: وَهُوَ يُونُسُ بْنُ مَتَّى، ﴿وَلُوطٗاۚ وَكُلّٗا فَضَّلۡنَا عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾: أَيْ: عَالَمِي زَمَانِهِمْ.

﴿وَمِنۡ ءَابَآئِهِمۡ﴾: (مِنْ) فِيهِ لِلتَّبْعِيضِ؛ لِأَنَّ آبَاءَ بَعْضِهِمْ كَانُوا مُشْرِكِينَ، ﴿وَذُرِّيَّٰتِهِمۡ﴾: أَيْ: وَمِنْ ذُرِّيَّاتِهِمْ، وَأَرَادَ ذُرِّيَّةَ بَعْضِهِمْ؛ لِأَنَّ عِيسَى وَيَحْيَى لَمْ يَكُنْ لَهُمَا

= وحكم له بالأمن والهداية فقال: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾. والظَّاهِرُ: شمولها لجميع احتجاجاته عليهم، كما في قوله: ﴿لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ﴾؛ لأنَّ الأُفُولَ الواقعَ في الكوكبِ والشمسِ والقمرِ أكبرُ دليل وأوضحُ حُجَّة على انتفاء الربوبية عنها، وقد استدل إبراهيم -عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام- بالأفول على انتفاء الربوبية في قوله: ﴿لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ﴾، فعدم إدخالِ هذه الحجة في قوله ﴿وَتِلۡكَ حُجَّتُنَآ﴾ غير ظاهر. وبما ذكرنا من شُمُولِ الحُجَّة لجميع احتجاجاته المذكورة صدر القرطبي. والعلمُ عند الله تعالى.اهـ"أضواء البيان" (٢/ ٢٣٧-٢٣٨).

وَلَدٌ، وَكَانَ فِي ذُرِّيَّةِ بَعْضِهِمْ مَنْ كَانَ كَافِرًا، ﴿وَإِخْوَٰنِهِمْۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ﴾: اخْتَرْنَاهُمْ وَاصْطَفَيْنَاهُمْ ﴿وَهَدَيْنَٰهُمْ﴾: أَرْشَدْنَاهُمْ ﴿إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ٨٧ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ﴾: دِينُ اللهِ ﴿يَهْدِى بِهِۦ﴾: يُرْشِدُ بِهِ ﴿مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟﴾: أَيْ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ سَمَّيْنَاهُمْ ﴿لَحَبِطَ﴾: لَبَطَلَ وَذَهَبَ ﴿عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾.

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾: أَيِ الْكُتُبَ الْمُنَزَّلَةَ عَلَيْهِمْ، ﴿وَٱلْحُكْمَ﴾: يَعْنِي الْعِلْمَ وَالْفِقْهَ ﴿وَٱلنُّبُوَّةَۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ﴾ يَعْنِي أَهْلَ مَكَّةَ ﴿فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ﴾ يَعْنِي: الْأَنْصَارَ وَأَهْلَ المَدِينَةِ، **قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٌ، وَقَالَ قَتَادَةُ**: ﴿فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ﴾: الْكُفَّارُ ﴿فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ﴾: يَعْنِي الْأَنْبِيَاءَ الثَّمَانِيَةَ عَشَرَ الَّذِينَ ذَكَرَهُمُ اللهُ هَاهُنَا، **وَقَالَ أَبُو رَجَاءٍ الْعُطَارِدِيُّ**: مَعْنَاهُ: فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا أَهْلُ الْأَرْضِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا أَهْلَ السَّمَاءِ -وَهُمُ المَلَائِكَةُ- ﴿لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ٨٩ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ﴾: أَيْ: هَدَاهُمُ اللهُ ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ﴾: فَبِسُنَّتِهِمْ وَسِيرَتِهِمْ ﴿ٱقْتَدِهْۗ﴾: (الْهَاءُ) فِيهَا هَاءُ الوَقْفِ وَحَذَفَ حَمْزَةُ وَالكِسَائِيُّ وَيَعْقُوبُ الْهَاءَ فِي الْوَصْلِ، وَالْبَاقُونَ بِإِثْبَاتِهَا وَصْلًا وَوَقْفًا، وَقَرَأَ ابْنُ عَامِرٍ: ﴿اقْتَدِهِ﴾ بِإِشْبَاعِ الْهَاءِ كَسْرًا، ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًاۖ إِنْ هُوَ﴾: مَا هُوَ ﴿إِلَّا ذِكْرَىٰ﴾: أَيْ: تَذْكِرَةٌ وَعِظَةٌ ﴿لِلْعَٰلَمِينَ﴾.

﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًاۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْۖ قُلِ ٱللَّهُۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ٩١ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَاۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦۖ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾: أَيْ: مَا عَظَّمُوهُ حَقَّ عَظَمَتِهِ، **وَقِيلَ**: مَا وَصَفُوهُ حَقَّ صِفَتِهِ؛ ﴿إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍۗ﴾: **قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ** رضي الله عنهما: قَالَتِ الْيَهُودُ: يَا مُحَمَّدُ، أَنْزَلَ اللهُ عَلَيْكَ كِتَابًا؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالُوا: وَاللهِ مَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ كِتَابًا، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ﴾: لَهُمْ ﴿مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِۖ﴾:

يَعْنِي التَّوْرَاةَ، ﴿تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا﴾: أَيْ: تَكْتُبُونَ عَنْهُ دَفَاتِرَ وَكُتُبًا مُقَطَّعَةً ﴿تُبْدُونَهَا﴾: أَيْ: تُبْدُونَ مَا تُحِبُّونَ، ﴿وَتُخْفُونَ كَثِيرًا﴾: مِنْ نَعْتِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَآيَةِ الرَّجْمِ، وَقَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ وَأَبُو عَمْرٍو: ﴿يَجْعَلُونَهُ﴾، وَ﴿يُبْدُونَهَا﴾، وَ﴿يُخْفُونَهَا﴾، بِالْيَاءِ جَمِيعًا لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ﴾، وَقَرَأَ الْآخَرُونَ بِالتَّاءِ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ﴾. **وَقَوْلُهُ**: ﴿وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟﴾: الْأَكْثَرُونَ عَلَى أَنَّهَا خِطَابٌ لِلْيَهُودِ، يَقُولُ: عُلِّمْتُمْ عَلَى لِسَانِ مُحَمَّدٍ ﷺ مَا لَمْ تَعْلَمُوا ﴿أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ﴾: **قَالَ الْحَسَنُ**: جُعِلَ لَهُمْ عِلْمُ مَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ فَضَيَّعُوهُ وَلَمْ يَنْتَفِعُوا بِهِ، **وَقَالَ مُجَاهِدٌ**: هَذَا خِطَابٌ لِلْمُسْلِمِينَ يُذَكِّرُهُمُ النِّعْمَةَ فِيمَا عَلَّمَهُمْ عَلَى لِسَانِ مُحَمَّدٍ ﷺ، ﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾: هَذَا رَاجِعٌ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ﴾، فَإِنْ أَجَابُوكَ وَإِلَّا فَ﴿قُلِ﴾: أَنْتَ ﴿ٱللَّهُ﴾: أَيْ: قُلْ أَنْزَلَهُ اللهُ ﴿ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾.

﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ﴾: أَيِ: الْقُرْآنُ كِتَابٌ مُبَارَكٌ، أَنْزَلْنَاهُ ﴿مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ﴾: يَا مُحَمَّدُ، قَرَأَ أَبُو بَكْرٍ عَنْ عَاصِمٍ: ﴿وَلِيُنْذِرَ﴾ بِالْيَاءِ، أَيْ: وَلِيُنْذِرَ الْكِتَابُ، ﴿أُمَّ ٱلْقُرَىٰ﴾: يَعْنِي: مَكَّةَ، **سُمِّيَتْ أُمَّ الْقُرَى**؛ لِأَنَّ الْأَرْضَ دُحِيَتْ مِنْ تَحْتِهَا، فَهِيَ أَصْلُ الْأَرْضِ كُلِّهَا، كَالْأُمِّ أَصْلِ النَّسْلِ، وَأَرَادَ: أَهْلَ أُمِّ الْقُرَى، ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾: أَيْ: أَهْلَ الْأَرْضِ كُلِّهَا شَرْقًا وَغَرْبًا، ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾: بِالْكِتَابِ، ﴿وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ﴾: يَعْنِي: الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ، ﴿يُحَافِظُونَ﴾: يُدَاوِمُونَ، يَعْنِي: الْمُؤْمِنِينَ.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ ۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ ۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾

قَوْلُهُ ﷻ: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ﴾: اخْتَلَقَ ﴿عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾: فَزَعَمَ أَنَّ اللهَ تَعَالَى بَعَثَهُ

نَبِيًّا، ﴿أَوۡ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمۡ يُوحَ إِلَيۡهِ شَيۡءٞ﴾.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ أُتِيتُ خَزَائِنَ الْأَرْضِ، فَوُضِعَ فِي يَدِي سِوَارَانِ مِنْ ذَهَبٍ، فَكَبُرَا عَلَيَّ وَأَهَمَّانِي، فَأُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّ انْفُخْهُمَا فَنَفَخْتُهُمَا فَذَهَبَا، فَأَوَّلْتُهُمَا الْكَذَّابَيْنِ اللَّذَيْنِ أَنَا بَيْنَهُمَا: صَاحِبَ صَنْعَاءَ، وَصَاحِبَ الْيَمَامَةِ**»[1].

أَرَادَ بِصَاحِبِ صَنْعَاءَ: الْأَسْوَدَ الْعَنْسِيَّ، وَبِصَاحِبِ الْيَمَامَةِ: مُسَيْلِمَةَ الْكَذَّابَ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثۡلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۗ﴾: **قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ**: يُرِيدُ: الْمُسْتَهْزِئِينَ، وَهُوَ جَوَابٌ لِقَوْلِهِمْ: ﴿لَوۡ نَشَآءُ لَقُلۡنَا مِثۡلَ هَٰذَآ﴾[الأنفال:٣١].

قَوْلُهُ عز وجل: ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ﴾: يَا مُحَمَّدُ ﴿إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي غَمَرَٰتِ ٱلۡمَوۡتِ﴾: سَكَرَاتِهِ، وَهِيَ جَمْعُ (غَمْرَةٍ)، وَغَمْرَةُ كُلِّ شَيْءٍ: مُعْظَمُهُ، وَأَصْلُهَا: الشَّيْءُ الَّذِي يَعُمُّ الْأَشْيَاءَ فَيُغَطِّيهَا، ثُمَّ وُضِعَتْ فِي مَوْضِعِ الشَّدَائِدِ وَالْمَكَارِهِ، ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيۡدِيهِمۡ﴾: بِالْعَذَابِ وَالضَّرْبِ، يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ، **وَقِيلَ**: بِقَبْضِ الْأَرْوَاحِ، ﴿أَخۡرِجُوٓاْ﴾: أَيْ: يَقُولُونَ: ﴿أَخۡرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُۖ﴾: أَيْ: أَرْوَاحَكُمْ كُرْهًا؛ لِأَنَّ نَفْسَ الْمُؤْمِنِ تَنْشَطُ لِلِقَاءِ رَبِّهَا، وَالْجَوَابُ مَحْذُوفٌ، يَعْنِي: لَوْ تَرَاهُمْ فِي هَذِهِ الْحَالِ لَرَأَيْتَ عَجَبًا، ﴿ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ عَذَابَ ٱلۡهُونِ﴾: أَيِ: الْهَوَانِ؛ ﴿بِمَا كُنتُمۡ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَكُنتُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِهِۦ تَسۡتَكۡبِرُونَ﴾: تَتَعَظَّمُونَ عَنِ الْإِيمَانِ بِالْقُرْآنِ وَلَا تُصَدِّقُونَهُ.

﴿وَلَقَدۡ جِئۡتُمُونَا فُرَٰدَىٰ﴾: هَذَا خَبَرٌ مِنَ اللهِ أَنَّهُ يَقُولُ لِلْكُفَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: ﴿وَلَقَدۡ جِئۡتُمُونَا فُرَٰدَىٰ﴾: وُحْدَانًا، لَا مَالَ مَعَكُمْ، وَلَا زَوْجَ، وَلَا وَلَدَ، وَلَا خَدَمَ، وَ(فُرَادَى): جَمْعُ (فَرْدَانَ)، مِثْلُ: سَكْرَانَ، وَسُكَارَى، وَكَسْلَانَ، وَكُسَالَى، وَقَرَأَ الْأَعْرَجُ: ﴿فَرْدَى﴾ بِغَيْرِ أَلْفٍ مِثْلُ: سَكْرَى، ﴿كَمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖ﴾: عُرَاةً حُفَاةً غُرْلًا [بُهْمًا]، ﴿وَتَرَكۡتُم﴾: خَلَّفْتُمْ ﴿مَّا خَوَّلۡنَٰكُمۡ﴾: أَعْطَيْنَاكُمْ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَالْخَدَمِ، ﴿وَرَآءَ ظُهُورِكُمۡۖ﴾: خَلْفَ ظُهُورِكُمْ فِي الدُّنْيَا، ﴿وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمۡ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُمۡ أَنَّهُمۡ فِيكُمۡ شُرَكَٰٓؤُاْۚ﴾: وَذَلِكَ

---

(١) **صحيح:** البخاري: (٤٣٧٥)، مسلم: (٢٢٧٤).

أَنَّ الْمُشْرِكِينَ زَعَمُوا أَنَّهُمْ يَعْبُدُونَ الْأَصْنَامَ؛ لِأَنَّهُمْ شُرَكَاءُ اللهِ وَشُفَعَاؤُهُمْ عِنْدَهُ، ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾: قَرَأَ أَهْلُ المَدِينَةِ وَالْكِسَائِيِّ وَحَفْصٌ عَنْ عَاصِمٍ بِنَصْبِ النُّونِ،أَيْ: لَقَدْ تَقَطَّعَ مَا بَيْنَكُمْ مِنَ الْوَصْلِ، أَوْ تَقطَّعَ الْأَمْرُ بَيْنَكُمْ، وَقَرَأَ الآخَرُونَ: ﴿بَيْنُكُمْ﴾ بِرَفْعِ النُّونِ، أَيْ: لَقَدْ تَقطَّعَ وَصْلُكُمْ، وَذَلِكَ مِثْلُ قَوْلِهِ: ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ﴾[الْبَقَرَة: ١٦٦]، أَيِ: الْوَصَلَاتُ، وَالْبَيْنُ: مِنَ الْأَضْدَادِ، يَكُونُ وَصْلًا وَيَكُونُ هَجْرًا، ﴿وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾.

﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَيِّ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾

قَوْلُهُ ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ۖ﴾: **الْفَلْقُ**: الشَّقُّ، **قَالَ الحَسَنُ وَقَتَادَةُ وَالسُّدِّيُّ**: مَعْنَاهُ: يَشُقُّ الْحَبَّةَ عَنِ السُّنْبُلَةِ وَالنَّوَاةَ عَنِ النَّخْلَةِ فَيُخْرِجُهَا مِنْهَا، **وَقَالَ الزَّجَّاجُ**: يَشُقُّ الْحَبَّةَ الْيَابِسَةَ وَالنَّوَاةَ اليَابِسَةَ فَيُخْرِجُ مِنْهُمَا وَرَقًا أَخْضَرَ، **وَقَالَ مُجَاهِدٌ**: يَعْنِي: الشَّقَّيْنِ اللَّذَيْنِ فِيهِمَا، أَيْ: يَشُقُّ الحَبَّ عَنِ النَّبَاتِ وَيُخْرِجُهُ مِنْهُ، وَيَشُقُّ النَّوَى عَنِ النَّخْلِ وَيُخْرِجُهَا مِنْهُ، **وَالحَبُّ**: جَمْعُ (الْحَبَّةِ)، وَهِيَ اسْمٌ لِجَمِيعِ الْبُذُورِ وَالْحُبُوبِ مِنَ الْبُرِّ وَالشَّعِيرِ وَالذُّرَةِ وَكُلِّ مَا لَمْ يَكُنْ لَهُ نَوًى، **وَالنَّوَى**: جمعُ (النَّوَاةِ)، وَهِيَ كُلُّ مَا لَمْ يَكُنْ لَهُ حَبٌّ، كَالتَّمْرِ وَالْمِشْمِشِ وَالْخَوْخِ وَنَحْوِهَا، **وَقَالَ الضَّحَّاكُ**: ﴿فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ۖ﴾: يَعْنِي: خَالِقَ الْحَبِّ وَالنَّوَى، ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَيِّ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾: تُصْرَفُونَ عَنِ الْحَقِّ.

﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ﴾: شَاقُّ عَمُودِ الصُّبحِ عَنْ ظُلْمَةِ اللَّيْلِ وَكَاشِفُهُ، **وَقَالَ الضَّحَّاكُ**: خَالِقُ النَّهَارِ، **وَالْإِصْبَاحُ**: مَصْدَرٌ كَالْإِقْبَالِ، وَالْإِدْبَارِ، وَهُوَ الْإِضَاءَةُ، وَأَرَادَ بِهِ الصُّبحَ وَهُوَ أَوَّلُ مَا يَبْدُو مِنَ النَّهَارِ، يُرِيدُ: مُبْدِئُ الصُّبْحِ وَمُوضِحُهُ، ﴿وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا﴾: يَسْكُنُ فِيهِ خَلْقُهُ، وَقَرَأَ أَهْلُ الْكُوفَةِ: ﴿وَجَعَلَ﴾ عَلَى المَاضِي ﴿ٱلَّيْلَ﴾ نُصِبَ اتِّبَاعًا لِلْمُصْحَفِ، وَقَرَأَ إِبْرَاهِيمُ النَّخَعِيُّ: ﴿فَلَقَ الإِصْبَاحِ﴾، ﴿وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ

﴿وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًاۚ﴾: أَيْ: جَعَلَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ بِحِسَابٍ مَعْلُومٍ، لَا يُجَاوِزَانِهِ حَتَّى يَنْتَهِيَا إِلَى أَقْصَى مَنَازِلِهِمَا، وَالْحُسْبَانُ: مَصْدَرٌ كَ(الحِسَابِ)، ﴿ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُواْ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍۗ ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾

قَوْلُهُ ﷻ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ﴾: أَيْ: خَلَقَهَا لَكُمْ ﴿لِتَهْتَدُواْ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِۗ﴾: **وَاللهُ تَعَالَى خَلَقَ النُّجُومَ لِفَوَائِد، أَحَدُهَا**: هَذَا، وَهُوَ أَنَّ رَاكِبَ البَحْرِ وَالسَّائِرَ فِي الْقِفَارِ يَهْتَدِي بِهَا فِي اللَّيَالِي إِلَى مَقَاصِدِهِ، **وَالثَّانِي**: أَنَّهَا زِينَةٌ لِلسَّمَاءِ، كَمَا قَالَ: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ﴾[المُلْك:٥]، **وَمِنْهَا**: رَمْيُ الشَّيَاطِينِ، كَمَا قَالَ: ﴿وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِۖ﴾[المُلْك:٥].

﴿قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم﴾: خَلَقَكُمْ وَابْتَدَأَكُمْ، ﴿مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾: يَعْنِي: آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ﴿فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌۗ﴾: قَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ وَأَهْلُ الْبَصْرَةِ: ﴿فَمُسْتَقِرٌّ﴾ بِكَسْرِ الْقَافِ يَعْنِي: فَمِنْكُمْ مُسْتَقِرٌّ وَمِنكُمْ مُسْتَوْدَعٌ، وَقَرَأَ الْآخَرُونَ بِفَتْحِ الْقَافِ، أَيْ: فَلَكُمْ مُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ، **وَاخْتَلَفُوا فِي الْمُسْتَقَرِّ وَالْمُسْتَوْدَعِ، قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ**: ﴿فَمُسْتَقَرٌّ﴾: فِي الرَّحِمِ إِلَى أَنْ يُولَدَ، ﴿وَمُسْتَوْدَعٌۗ﴾: فِي الْقَبْرِ إِلَى أَنْ يُبْعَثَ، **وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ وَعَطَاءٌ**: ﴿فَمُسْتَقَرٌّ﴾: فِي أَرْحَامِ الْأُمَّهَاتِ، ﴿وَمُسْتَوْدَعٌۗ﴾: فِي أَصْلَابِ الْآبَاءِ **وَهُوَ رِوَايَةُ عِكْرِمَةَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ**: قَالَ لِي ابْنُ عَبَّاسٍ: هَلْ تَزَوَّجْتَ؟ قُلْتُ: لَا، قَالَ: أَمَا إِنَّهُ مَا كَانَ مِنْ مُسْتَوْدَعٍ فِي ظَهْرِكَ فَسَيُخْرِجُهُ اللهُ ﷻ. **وَرُوِيَ عَنْ أُبَيٍّ أَنَّهُ قَالَ**: مُسْتَقَرٌّ: فِي أَصْلَابِ الْآبَاءِ، وَمُسْتَوْدَعٌ: فِي أَرْحَامِ الْأُمَّهَاتِ، **وَقِيلَ**: مُسْتَقَرٌّ: فِي الرَّحِمِ، وَمُسْتَوْدَعٌ: فَوْقَ الْأَرْضِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ

مَا نَشَآءُ﴾[الحَجّ:٥]، وَقَالَ مُجَاهِدٌ: مُسْتَقَرٌّ: عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ فِي الدُّنْيَا، وَمُسْتَوْدَعٌ: عِنْدَ اللهِ فِي الْآخِرَةِ، وَيَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾[البَقَرَة:٣٦]، وَقَالَ الحَسَنُ: الْمُسْتَقَرُّ: فِي القُبُورِ، وَالْمُسْتَوْدَعُ: فِي الدُّنْيَا، وَكَانَ يَقُولُ: «يَا ابْنَ آدَمَ أَنْتَ وَدِيعَةٌ فِي أَهْلِكَ، وَيُوشِكُ أَنْ تَلْحَقَ بِصَاحِبِكَ»، وَقِيلَ: الْمُسْتَوْدَعُ: الْقَبْرُ، وَالْمُسْتَقَرُّ: الْجَنَّةُ وَالنَّارُ؛ لِقَوْلِهِ ﷻ فِي صِفَةِ الجَنَّة: ﴿حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾[الفُرْقَان:٧٦]، وَفِي صِفَةِ النَّارِ: ﴿سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾[الفُرْقَان:٦٦].

﴿قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ﴾: أَيْ: بِالمَاءِ ﴿نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ﴾: مِنَ المَاءِ وَقِيلَ: مِنَ النَّبَاتِ، ﴿خَضِرًا﴾: يَعْنِي: أَخْضَرَ، مِثْلُ: الْعَوِرِ وَالْأَعْوَرِ، يَعْنِي: مَا كَانَ رَطْبًا أَخْضَرَ مِمَّا يَنْبُتُ مِنَ الْقَمْحِ وَالشَّعِيرِ وَنَحْوِهِمَا، ﴿نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا﴾: أَيْ: مُتَرَاكِمًا بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ، مِثْلُ سَنَابِلِ الْبُرِّ وَالشَّعِيرِ وَالْأُرْزِ وَسَائِرِ الْحُبُوبِ، ﴿وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا﴾: وَالطَّلْعُ: أَوَّلُ مَا يَخْرُجُ مِنْ ثَمَرِ النَّخْلِ، ﴿قِنْوَانٌ﴾: جَمْعُ (قِنْوٍ) وَهُوَ الْعِذْقُ، مِثْلُ صِنْوٍ، وَصِنْوَانٍ، وَلَا نَظِيرَ لَهُمَا فِي الْكَلَامِ، ﴿دَانِيَةٌ﴾: أَيْ: قَرِيبَةُ الْمُتَنَاوَلِ يَنَالُهَا الْقَائِمُ وَالْقَاعِدُ وَقَالَ مُجَاهِدٌ: مُتَدَلِّيَةٌ وَقَالَ الضَّحَّاكُ: قِصَارٌ مُلْتَزِقَةٌ بِالْأَرْضِ، وَفِيهِ اخْتِصَارٌ مَعْنَاهُ: وَمِنَ النَّخْلِ مَا قِنْوَانُهَا دَانِيَةٌ، وَمِنْهَا مَا هِيَ بَعِيدَةٌ، فَاكْتَفَى بِذِكْرِ القَرِيبَةِ عَنِ البَعِيدَةِ؛ لَسَبْقِهِ إِلَى الْأَفْهَامِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾[النَّحْل:٨١] يَعْنِي الْحَرَّ وَالْبَرْدَ، فَاكْتَفَى بِذِكْرِ أَحَدِهِمَا، ﴿وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ﴾: أَيْ: وَأَخْرَجْنَا مِنْهُ جَنَّاتٍ، وَقَرَأَ الْأَعْمَشُ عَنْ عَاصِمٍ ﴿وَجَنَّاتٌ﴾ بِالرَّفْعِ نَسَقًا عَلَى قَوْلِهِ: ﴿قِنْوَانٌ﴾، وَعَامَّةُ الْقُرَّاءِ عَلَى خِلَافِهِ، ﴿وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ﴾: يَعْنِي: وَشَجَرَ الزَّيْتُونِ وَشَجَرَ الرُّمَّانِ ﴿مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ﴾: قَالَ قَتَادَةُ: مَعْنَاهُ مُشْتَبِهًا وَرَقُهَا مُخْتَلِفًا ثَمَرُهَا؛ لِأَنَّ وَرَقَ الزَّيْتُونِ يُشْبِهُ وَرَقَ الرُّمَّانِ، وَقِيلَ: مُشْتَبِهٌ فِي الْمَنْظَرِ مُخْتَلِفٌ فِي الطَّعْمِ، ﴿ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ﴾: قَرَأَ حَمْزَةُ وَالْكِسَائِيُّ بِضَمِّ الثَّاءِ وَالْمِيمِ، هَذَا وَمَا بَعْدَهُ، وَفِي (يس)، عَلَى جَمْعِ (الثِّمَارِ)، وَقَرَأَ الْآخَرُونَ بِفَتْحِهِمَا عَلَى جَمْعِ (الثَّمَرَةِ) مِثْلُ: بَقَرَةٍ، وَبَقَرٍ، ﴿إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ﴾: وَنُضْجِهِ وَإِدْرَاكِهِ، ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْۖ وَخَرَقُواْ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتِۭ بِغَيْرِ عِلْمٍۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾

قَوْلُهُ ﷻ: ﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ ﴾: يَعْنِي: الْكَافِرِينَ جَعَلُوا للهِ الْجِنَّ شُرَكَاءَ، ﴿وَخَلَقَهُمْۖ﴾: يَعْنِي: وَهُوَ خَلَقَ الْجِنَّ، **قَالَ الْكَلْبِيُّ**: نَزَلَتْ فِي الزَّنَادِقَةِ، أَثْبَتُوا الشَّرِكَةَ لِإِبْلِيسَ فِي الْخَلْقِ، فَقَالُوا: اللهُ خَالِقُ النُّورِ وَالنَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ، وَإِبْلِيسُ خَالِقُ الظُّلْمَةِ وَالسِّبَاعِ وَالْحَيَّاتِ وَالْعَقَارِبِ، وَهَذَا كَقَوْلِهِ ﴿وَجَعَلُواْ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًاۚ﴾[الصَّافَات: ١٥٨] وَإِبْلِيسُ مِنَ الجِنِّ، ﴿وَخَرَقُواْ﴾: قَرَأَ أَهْلُ المَدِينَةِ ﴿وَخَرَّقُوا﴾ بِتَشْدِيدِ الرَّاءِ عَلَى التَّكْثِيرِ وَقَرَأَ الآخَرُونَ بِالتَّخْفِيفِ، أَيِ: اخْتَلَقُوا ﴿لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتِۭ بِغَيْرِ عِلْمٍۚ﴾: وَذَلِكَ مِثْلُ قَوْلِ اليَهُودِ: عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ، وَقَوْلِ النَّصَارَى: المَسِيحُ ابْنُ اللهِ، وَقَوْلِ كُفَّارِ العَرَبِ: المَلَائِكَةُ بَنَاتُ اللهِ، ثُمَّ نَزَّهَ نَفْسَهُ فَقَالَ: ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ﴾: أَيْ: مُبْدِعُهُمَا لَا عَلَى مِثَالٍ سَبَقَ، ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ﴾: أَيْ: كَيْفَ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ؟! ﴿وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌۖ﴾: زَوْجَةٌ، ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْۖ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦۖ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَاۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴾

﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُۚ﴾: فَأَطِيعُوهُ، ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾: بِالحِفْظِ لَهُ وَبِالتَّدْبِيرِ فِيهِ.

﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَۖ﴾ الآيَة، يَتَمَسَّكُ أَهْلُ الِاعْتِزَالِ بِظَاهِرِ هَذِهِ الْآيَةِ فِي نَفْيِ رُؤْيَةِ اللهِ ﷻ، **وَمَذْهَبُ أَهْلِ السُّنَّةِ**: إِثْبَاتُ رُؤْيَةِ اللهِ ﷻ عِيَانًا، جَاءَ بِهِ الْقُرْآنُ وَالسُّنَّةُ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [الْقِيَامَة:٢٢-٢٣]، وَقَالَ: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾[المُطَفِّفِين:١٥]، **قَالَ مَالِكٌ** رَحِمَهُ اللهُ: لَوْ لَمْ يَرَ الْمُؤْمِنُونَ رَبَّهُمْ

يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَمْ يُعَيِّرِ اللهُ الْكُفَّارَ بِالْحِجَابِ، وَقَرَأَ النَّبِيُّ ﷺ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾[يُونُس:٢٦]، وَفَسَّرَهُ بِالنَّظَرِ إِلَى وَجْهِ اللهِ ﷻ(١).

عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُم عِيَانًا»(٢).

وَأَمَّا قَوْلُهُ ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾: فَاعْلَمْ أَنَّ الْإِدْرَاكَ غَيْرُ الرُّؤْيَةِ؛ لِأَنَّ الْإِدْرَاكَ هُوَ الْوُقُوفُ عَلَى كُنْهِ الشَّيْءِ، وَالْإِحَاطَةُ بِهِ، وَالرُّؤْيَةُ الْمُعَايَنَةُ، وَقَدْ تَكُونُ الرُّؤْيَةُ بِلَا إِدْرَاكٍ، قَالَ اللهُ تَعَالَى فِي قِصَّةِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ۝ قَالَ كَلَّآ﴾[الشُّعَرَاء:٦١-٦٢]، وَقَالَ: ﴿لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ﴾[طه:٧٧]، فَنَفَى الْإِدْرَاكَ مَعَ إِثْبَاتِ الرُّؤْيَةِ، فَاللهُ ﷻ يَجُوزُ أَنْ يُرَى مِنْ غَيْرِ إِدْرَاكٍ وَإِحَاطَةٍ، كَمَا يُعْرَفُ فِي الدُّنْيَا وَلَا يُحَاطُ بِهِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾[طه:١١٠]، فَنَفَى الْإِحَاطَةَ مَعَ ثُبُوتِ الْعِلْمِ، قَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ: لَا تُحِيطُ بِهِ الْأَبْصَارُ، وَقَالَ عَطَاءٌ: كَلَّتْ أَبْصَارُ الْمَخْلُوقِينَ عَنِ الْإِحَاطَةِ بِهِ، وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمُقَاتِلٌ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾: فِي الدُّنْيَا، وَهُوَ يُرَى فِي الْآخِرَةِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾: لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ وَلَا يَفُوتُهُ ﴿وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: اللَّطِيفُ بِأَوْلِيَائِهِ الْخَبِيرُ بِهِمْ، وَقَالَ الْأَزْهَرِيُّ: مَعْنَى اللَّطِيفِ: الرَّفِيقُ بِعِبَادِهِ، وَقِيلَ: اللَّطِيفُ: الْمُوصِلُ الشَّيْءَ بِاللِّينِ وَالرِّفْقِ، وَقِيلَ: اللَّطِيفُ: الَّذِي يُنْسِي الْعِبَادَ ذُنُوبَهُمْ لِئَلَّا يَخْجَلُوا، وَأَصْلُ اللُّطْفِ: دِقَّةُ النَّظَرِ فِي الْأَشْيَاءِ.

قَوْلُهُ ﷻ: ﴿قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ﴾: يَعْنِي: الْحُجَجَ الْبَيِّنَةَ الَّتِي تُبْصِرُونَ بِهَا الْهُدَى مِنَ الضَّلَالَةِ، وَالْحَقَّ مِنَ الْبَاطِلِ، ﴿فَمَنْ أَبْصَرَ﴾: أَيْ: فَمَنْ عَرَفَهَا وَآمَنَ بِهَا

---

(١) **صحيح:** مسلم: (١٨١)، عن صُهيب بن سنان رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، قَالَ: يَقُولُ اللهُ ﷻ: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَيُكْشَفُ الْحِجَابُ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ ﷻ»، ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾[يونس:٢٦].

(٢) **صحيح:** البخاري: (٧٤٣٥)، مسلم: (٦٣٣).

﴿فَلِنَفْسِهِۦۖ﴾: عمِلَ، ونَفْعُهُ لَهُ، ﴿وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَاۚ﴾: أَيْ: مَنْ عَمِيَ عَنْهَا فَلَمْ يَعْرِفْهَا وَلَمْ يُصدِّقْهَا فعَلَيْهَا، أَيْ: فَبِنَفْسِهِ ضَرَّ، وَوَبَالُ الْعَمَى عَلَيْهِ، ﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٖ﴾: بِرَقِيبٍ أُحْصِي عَلَيْكُمْ أَعْمَالَكُمْ، إِنَّمَا أَنَا رَسُولٌ أُبْلِغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَهُوَ الْحَفِيظُ عَلَيْكُمُ الَّذِي لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَفْعَالِكُمْ.

﴿وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ وَلِيَقُولُواْ دَرَسۡتَ وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ١٠٥ ٱتَّبِعۡ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٠٦ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكُواْۗ وَمَا جَعَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗاۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٖ﴾

﴿وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ﴾: نُفَصِّلُهَا وَنُبَيِّنُهَا فِي كُلِّ وَجْهٍ، ﴿وَلِيَقُولُواْ﴾: **قِيلَ**: مَعْنَاهُ لِئَلَّا يَقُولُوا ﴿دَرَسۡتَ﴾، **وَقِيلَ**: هَذِهِ اللَّامُ لَامُ الْعَاقِبَةِ، أَيْ: عَاقِبَةُ أَمْرِهِمْ أَنْ يَقُولُوا: ﴿دَرَسۡتَ﴾: أَيْ: قَرَأْتَ عَلَى غَيْرِكَ، **وَقِيلَ**: قَرَأْتَ كُتُبَ أَهْلِ الْكِتَابِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَٱلۡتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرۡعَوۡنَ لِيَكُونَ لَهُمۡ عَدُوّٗا وَحَزَنًاۗ﴾[الْقَصَص:٨]، وَمَعْلُومٌ أَنَّهُمْ لَمْ يَلْتَقِطُوهُ لِذَلِكَ، وَلَكِنْ أَرَادَ: أَنَّ عَاقِبَةَ أَمْرِهِمْ أَنْ كَانَ عَدُوًّا لَهُمْ، **قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ**: ﴿وَلِيَقُولُواْ﴾: يَعْنِي أَهْلَ مَكَّةَ حِينَ تَقْرَأُ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ، ﴿دَرَسۡتَ﴾: أَيْ: تَعَلَّمْتَ ثُمَّ قَرَأْتَ عَلَيْنَا تَزْعُمُ أَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللهِ، مِنْ قَوْلِهِمْ: (دَرَسْتُ الْكِتَابَ أَدْرُسُ دَرْسًا وَدِرَاسَةً)، **وَقَالَ الْفَرَّاءُ**: يَقُولُونَ: تَعَلَّمْتَ مِنَ الْيَهُودِ، وَقَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ وَأَبُو عَمْرٍو: ﴿دَارَسْتَ﴾ بِالْأَلِفِ، أَيْ: قَارَأْتَ أَهْلَ الْكِتَابِ، مِنَ: الْمُدَارَسَةِ بَيْنَ اثْنَيْنِ، تَقُولُ: قَرَأْتَ عَلَيْهِمْ، وَقَرَؤُوا عَلَيْكَ، وَقَرَأَ ابْنُ عَامِرٍ وَيَعْقُوبُ: ﴿دَرَسَتْ﴾ بِفَتْحِ السِّينِ وَسُكُونِ التَّاءِ، أَيْ: هَذِهِ الْأَخْبَارُ الَّتِي تَتْلُوهَا عَلَيْنَا قَدِيمَةٌ، قَدْ دُرِسَتْ وَانْمَحَتْ، مِنْ قَوْلِهِمْ: (دَرَسَ الْأَثَرُ يَدْرُسُ دُرُوسًا).

﴿وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾: **قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ**: يُرِيدُ أَوْلِيَاءَهُ الَّذِينَ هَدَاهُمْ إِلَى سَبِيلِ الرَّشَادِ، **وَقِيلَ**: يَعْنِي: أَنَّ تَصْرِيفَ الْآيَاتِ لَيَشْقَى بِهِ قَوْمٌ وَيَسْعَدَ بِهِ قَوْمٌ آخَرُونَ، فَمَنْ قَالَ دَرَسْتَ فَهُوَ شَقِيٌّ، وَمَنْ تَبَيَّنَ لَهُ الْحَقُّ فَهُوَ سَعِيدٌ.

﴿ٱتَّبِعۡ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ﴾: يَعْنِي: الْقُرْآنَ اعْمَلْ بِهِ ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾: فَلَا تُجَادِلْهُمْ، ﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكُواْۗ﴾: أَيْ: لَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُمْ مُؤْمِنِينَ، ﴿وَمَا

﴿جَعَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾: رَقِيبًا، قَالَ عَطَاءٌ: وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا تَمْنَعُهُمْ مِنِّي، أَيْ: لَمْ تُبْعَثْ لِتَحْفَظَ الْمُشْرِكِينَ عَنِ الْعَذَابِ، إِنَّمَا بُعِثْتَ مُبَلِّغًا، ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾.

﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾

﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾: الْآيَة، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾[الأَنْبِيَاء:٩٨]، قَالَ الْمُشْرِكُونَ: يَا مُحَمَّدُ، لَتَنْتَهِيَنَّ عَنْ سَبِّ آلِهَتِنَا أَوْ لَنَهْجُوَنَّ رَبَّكَ، فَنَهَاهُمُ اللهُ تَعَالَى أَنْ يَسُبُّوا أَوْثَانَهُمْ، وَقَالَ قَتَادَةُ: كَانَ الْمُسْلِمُونَ يَسُبُّونَ أَصْنَامَ الْكُفَّارِ، فَنَهَاهُمُ اللهُ ﷻ عَنْ ذَلِكَ؛ لِئَلَّا يَسُبُّوا اللهَ؛ فَإِنَّهُمْ قَوْمٌ جَهَلَةٌ.

﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾: يَعْنِي: الْأَوْثَانَ، ﴿فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًا﴾: أَيِ: اعْتِدَاءً وَظُلْمًا ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾: وَقَرَأَ يَعْقُوبُ: ﴿عُدُوًّا﴾ بِضَمِّ الْعَيْنِ وَالدَّالِ وَتَشْدِيدِ الْوَاوِ. فَظَاهِرُ الْآيَةِ وَإِنْ كَانَ نَهْيًا عَنْ سَبِّ الْأَصْنَامِ فَحَقِيقَتُهُ النَّهْيُ عَنْ سَبِّ اللهِ؛ لِأَنَّهُ سَبَبٌ لِذَلِكَ، ﴿كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ﴾: أَيْ: كَمَا زَيَّنَّا لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ عِبَادَةَ الْأَوْثَانِ وَطَاعَةَ الشَّيْطَانِ بِالْحِرْمَانِ وَالْخِذْلَانِ، ﴿كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ﴾: مِنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ وَالطَّاعَةِ وَالْمَعْصِيَةِ، ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم﴾: وَيُجَازِيهِمْ ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾.

﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ۚ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾ وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾ ۞ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾

قَوْلُهُ ﷻ: ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ﴾: أَيْ: حَلَفُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ أَيْ: بِجُهْدِ أَيْمَانِهِمْ يَعْنِي: أَوْكَدَ مَا قَدَرُوا عَلَيْهِ مِنَ الْأَيْمَانِ وَأَشَدَّهَا، قَالَ الْكَلْبِيُّ وَمُقَاتِلٌ: إِذَا حَلَفَ الرَّجُلُ بِاللهِ فَهُوَ جَهْدُ يَمِينِهِ، ﴿لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ﴾: كَمَا جَاءَتْ مَنْ قَبْلَهُمْ مِنَ الْأُمَمِ ﴿لَّيُؤْمِنُنَّ

بِهَا قُلْ ﴾: يَا مُحَمَّدُ ﴿إِنَّمَا ٱلْآيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ﴾: وَاللهُ قَادِرٌ عَلَى إِنْزَالِهَا، ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ﴾: وَمَا يُدْرِيكُمْ، **وَاخْتَلَفُوا فِي الْمُخَاطَبِينَ بِقَوْلِهِ**: ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ﴾، **فَقَالَ بَعْضُهُمْ**: الْخِطَابُ لِلْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ أَقْسَمُوا، **وَقَالَ بَعْضُهُمْ**: الْخِطَابُ لِلْمُؤْمِنِينَ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾: قَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ وَأَهْلُ الْبَصْرَةِ وَأَبُو بَكْرٍ عَنْ عَاصِمٍ: ﴿إِنَّهَا﴾ بِكَسْرِ الْأَلِفِ عَلَى الِابْتِدَاءِ، وَقَالُوا: تَمَّ الْكَلَامُ عِنْدَ قَوْلِهِ: ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ﴾، فَمَنْ جَعَلَ الْخِطَابَ لِلْمُشْرِكِينَ قَالَ مَعْنَاهُ: وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ أَنَّهَا لَوْ جَاءَتْ آمَنْتُمْ؟ وَمَنْ جَعَلَ الْخِطَابَ لِلْمُؤْمِنِينَ قَالَ مَعْنَاهُ: وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ أَنَّهَا لَوْ جَاءَتْ آمَنُوا؟ لِأَنَّ الْمُسْلِمِينَ كَانُوا يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَنْ يَدْعُوَ اللهَ حَتَّى يُرِيَهُمْ مَا اقْتَرَحُوا؛ حَتَّى يُؤْمِنُوا، فَخَاطَبَهُمْ بِقَوْلِهِ: ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ﴾، ثُمَّ ابْتَدَأَ فَقَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، وَهَذَا فِي قَوْمٍ مَخْصُوصِينَ حَكَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ بِأَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ، وَقَرَأَ الْآخَرُونَ: ﴿أَنَّهَآ﴾ بِفَتْحِ الْأَلِفِ وَجَعَلُوا الْخِطَابَ لِلْمُؤْمِنِينَ.

وَاخْتَلَفُوا فِي قَوْلِهِ: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾: فَقَالَ الْكِسَائِيُّ: (لَا) صِلَةٌ، وَمَعْنَى الْآيَةِ: وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ أَنَّ الْآيَاتِ إِذَا جَاءَتِ الْمُشْرِكِينَ يُؤْمِنُونَ؟ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾[الأنبياء:٩٥]، أَيْ: يَرْجِعُونَ، **وَقِيلَ**: إِنَّهَا بِمَعْنَى (لَعَلَّ)، وَكَذَلِكَ هُوَ فِي قِرَاءَةِ أُبَيٍّ، تَقُولُ الْعَرَبُ: (اذْهَبْ إِلَى السُّوقِ أَنَّكَ تَشْتَرِي شَيْئًا)، أَيْ: لَعَلَّكَ، وَقَالَ عَدِيُّ بْنُ زَيْدٍ:

أَعَاذِلُ مَا يُدْرِيكَ أَنَّ مَنِيَّتِي ... إِلَى سَاعَةٍ فِي الْيَوْمِ أَوْ فِي ضُحَى الْغَدِ؟

أَيْ: لَعَلَّ مَنِيَّتِي، **وَقِيلَ**: فِيهِ حَذْفٌ وَتَقْدِيرُهُ: وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ يُؤْمِنُونَ أَوْ لَا يُؤْمِنُونَ؟ وَقَرَأَ ابْنُ عَامِرٍ وَحَمْزَةُ: ﴿لَا تُؤْمِنُونَ﴾ بِالتَّاءِ عَلَى الْخِطَابِ لِلْكُفَّارِ، وَاعْتَبَرُوا بِقِرَاءَةِ أُبَيٍّ ﴿إِذَا جَاءَتْكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ﴾، وَقَرَأَ الْآخَرُونَ بِالْيَاءِ عَلَى الْخَبَرِ، دَلِيلُهَا قِرَاءَةُ ابْنِ مَسْعُودٍ: ﴿أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾: **قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ**: يَعْنِي:

وَنَحُولُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْإِيمَانِ، فَلَوْ جِئْنَاهُمْ بِالْآيَاتِ الَّتِي سَأَلُوا مَا آمَنُوا بِهَا، ﴿كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾: أَيْ: كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِمَا قَبْلَهَا مِنَ الْآيَاتِ مِنَ انْشِقَاقِ الْقَمَرِ وَغَيْرِهِ، وَقِيلَ: ﴿كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾: يَعْنِي: مُعْجِزَاتِ مُوسَى وَغَيْرِهِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ﴾[الْقَصَص:٤٨]، وَفِي الْآيَةِ مَحْذُوفٌ تَقْدِيرُهُ: فَلَا يُؤْمِنُونَ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ، **وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ**: الْمَرَّةُ الْأُولَى: دَارُ الدُّنْيَا، يَعْنِي: لَوْ رُدُّوا مِنَ الْآخِرَةِ إِلَى الدُّنْيَا نُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ عَنِ الْإِيمَانِ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا فِي الدُّنْيَا قَبْلَ مَمَاتِهِمْ، كَمَا قَالَ: ﴿وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ﴾[الْأَنْعَام: ٢٨]، ﴿وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾: **قَالَ عَطَاءٌ**: نَخْذُلُهُمْ وَنَدَعُهُمْ فِي ضَلَالَتِهِمْ يَتَمَادُونَ.

﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾: فَرَأَوْهُمْ عِيَانًا، ﴿وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾: بِإِحْيَائِنَا إِيَّاهُمْ، فَشَهِدُوا لَكَ بِالنُّبُوَّةِ كَمَا سَأَلُوا، ﴿وَحَشَرْنَا﴾: وَجَمَعْنَا ﴿عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا﴾: قَرَأَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ وَابْنُ عَامِرٍ ﴿قِبَلًا﴾ بِكَسْرِ الْقَافِ وَفَتْحِ الْبَاءِ، أَيْ: مُعَايَنَةً، وَقَرَأَ الْآخَرُونَ بِضَمِّ الْقَافِ وَالْبَاءِ، هُوَ جَمْعُ (قَبِيلٍ)، وَهُوَ الْكَفِيلُ، مِثْلُ: (رَغِيفٍ، وَرُغُفٍ) وَ(قَضِيبٍ، وَقُضُبٍ)، أَيْ: ضُمَنَاءُ وَكُفَلَاءُ، وَقِيلَ: هُوَ جَمْعُ (قَبِيلٍ) وَهُوَ: الْقَبِيلَةُ، أَيْ: فَوْجًا فَوْجًا، وَقِيلَ: هُوَ بِمَعْنَى الْمُقَابَلَةِ وَالْمُوَاجَهَةِ، مِنْ قَوْلِهِمْ: (أَتَيْتُكَ قُبُلًا لَا دُبُرًا) إِذَا أَتَاهُ مِنْ قِبَلِ وَجْهِهِ. ﴿مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾: ذَلِكَ، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾.

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا﴾: أَيْ: أَعْدَاءً، فِيهِ تَعْزِيَةٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ، يَعْنِي: كَمَا ابْتَلَيْنَاكَ بِهَؤُلَاءِ الْقَوْمِ، فَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ قَبْلَكَ أَعْدَاءً، ثُمَّ فَسَّرَهُمْ فَقَالَ:

﴿شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ﴾: **قَالَ عِكْرِمَةُ وَالضَّحَّاكُ وَالسُّدِّيُّ وَالْكَلْبِيُّ**: مَعْنَاهُ: شَيَاطِينُ الْإِنْسِ الَّتِي مَعَ الْإِنْسِ، وَشَيَاطِينُ الْجِنِّ الَّتِي مَعَ الْجِنِّ، وَلَيْسَ لِلْإِنْسِ شَيَاطِين، وَذَلِكَ أَنَّ إِبْلِيسَ قَسَّمَ جُنْدَهُ فَرِيقَيْنِ، فَبَعَثَ فَرِيقًا مِنْهُمْ إِلَى الْإِنْسِ، وَفَرِيقًا مِنْهُمْ إِلَى الْجِنِّ، وَكِلَا الْفَرِيقَيْنِ أَعْدَاءٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ وَلِأَوْلِيَائِهِ، وَهُمُ الَّذِينَ يَلْتَقُونَ فِي كُلِّ حِينٍ، فَيَقُولُ شَيْطَانُ الْإِنْسِ لِشَيْطَانِ الْجِنِّ: أَضْلَلْتُ صَاحِبِي بِكَذَا فَأَضِلَّ صَاحِبَكَ بِمِثْلِهِ، وَتَقُولُ شَيَاطِينُ الْجِنِّ لِشَيَاطِينِ الْإِنْسِ كَذَلِكَ، فَذَلِكَ وَحْيُ بَعْضِهِمْ إِلَى بَعْضٍ. **قَالَ قَتَادَةُ وَمُجَاهِدٌ وَالْحَسَنُ**: إِنَّ مِنَ الْإِنْسِ شَيَاطِينٌ كَمَا أَنَّ مِنَ الْجِنِّ شَيَاطِينٌ، **وَالشَّيْطَانُ**: الْعَاتِي الْمُتَمَرِّدُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، قَالُوا: إِنَّ الشَّيْطَانَ إِذَا أَعْيَاهُ الْمُؤْمِنُ وَعَجَزَ عَنْ إِغْوَائِهِ، ذَهَبَ إِلَى مُتَمَرِّدٍ مِنَ الْإِنْسِ -وَهُوَ شَيْطَانُ الْإِنْسِ- فَأَغْرَاهُ بِالْمُؤْمِنِ لِيَفْتِنَهُ. **وَقَالَ مَالِكُ بْنُ دِينَارٍ**: إِنَّ شَيَاطِينَ الْإِنْسِ أَشَدُّ عَلَيَّ مِنْ شَيَاطِينِ الْجِنِّ، وَذَلِكَ أَنِّي إِذَا تَعَوَّذْتُ بِاللهِ ذَهَبَ عَنِّي شَيْطَانُ الْجِنِّ، وَشَيْطَانُ الْإِنْسِ يَجِيئُنِي فَيَجُرُّنِي إِلَى الْمَعَاصِي عِيَانًا.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾: أَيْ: يُلْقِي ﴿زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ﴾: وَهُوَ قَوْلٌ مُمَوَّهٌ مُزَيَّنٌ بِالْبَاطِلِ لَا مَعْنى تَحْتَهُ، ﴿غُرُورًاۚ﴾: يَعْنِي: هَؤُلَاءِ الشَّيَاطِين يُزَيِّنُونَ الْأَعْمَالَ الْقَبِيحَةَ لِبَنِي آدَمَ، يَغُرُّونَهُمْ غُرُورًا، **وَالْغُرُورُ**: الْقَوْلُ الْبَاطِلُ، ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُۖ﴾: أَيْ: مَا أَلْقَوْهُ مِنَ الْوَسْوَسَةِ فِي الْقُلُوبِ، ﴿فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ﴾: أَيْ: تَمِيلُ إِلَيْهِ، **وَالصَّغْوُ**: الْمَيْلُ، يُقَالُ: (صَغْوُ فُلَانٍ مَعَكَ)، أَيْ: مَيْلُهُ، وَالْفِعْلُ مِنْهُ: (صَغَى يُصْغِي صَغًا)، وَ(صَغَى يَصْغَى وَيَصْغُو صَغْوًا)، وَالْهَاءُ فِي ﴿إِلَيْهِ﴾: رَاجِعَةٌ إِلَى زُخْرُفِ الْقَوْلِ، ﴿وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟﴾: لِيَكْتَسِبُوا ﴿مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ﴾: يُقَالُ: (اقْتَرَفَ فُلَانٌ مَالًا) إِذَا اكْتَسَبَهُ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً﴾[الشُّورَى:٢٣]، **وَقَالَ الزَّجَّاجُ**: أَيْ: لِيَعْمَلُوا مِنَ الذُّنُوبِ مَا هُمْ عَامِلُونَ.

قَوْلُهُ ﷻ: ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ﴾: فِيهِ إِضْمَارٌ، أَيْ: قُلْ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ أَفَغَيْرَ اللهِ، ﴿أَبْتَغِى﴾: أَطْلُبُ ﴿حَكَمًا﴾: قَاضِيًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا يَقُولُونَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: اجْعَلْ

بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ حَكَمًا فَأَجَابَهُمْ بِهِ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ مُفَصَّلٗاۚ﴾: مُبَيَّنًا فِيهِ أَمْرُهُ وَنَهْيُهُ، يَعْنِي: الْقُرْآنَ، وَقِيلَ: ﴿مُفَصَّلٗاۚ﴾: أَيْ: خَمْسًا خَمْسًا وَعَشْرًا عَشْرًا، كَمَا قَالَ: ﴿لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ﴾[الْفُرْقَان:٣٢]، ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ﴾: يَعْنِي: عُلَمَاءَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ، وَقِيلَ: هُمْ مُؤْمِنُو أَهْلِ الْكِتَابِ، وَقَالَ عَطَاءٌ: هُمْ رُؤُوسُ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، وَالْمُرَادُ بِالْكِتَابِ: هُوَ الْقُرْآنُ، ﴿يَعۡلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٞ﴾: يَعْنِي: الْقُرْآنَ، قَرَأَ ابْنُ عَامِرٍ وَحَفْصٌ: ﴿مُنَزَّلٞ﴾ بِالتَّشْدِيدِ مِنَ: التَّنْزِيلِ؛ لِأَنَّهُ أُنْزِلَ نُجُومًا مُتَفَرِّقَةً، وَقَرَأَ الْآخَرُونَ بِالتَّخْفِيفِ مِنَ: الْإِنْزَالِ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ﴾.

﴿مِّن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ﴾: مِنَ الشَّاكِّينَ أَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ ذَلِكَ.

قَوْلُهُ ﷻ: ﴿وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾: قَرَأَ أَهْلُ الْكُوفَةِ وَيَعْقُوبُ: ﴿كَلِمَتُ﴾ عَلَى التَّوْحِيدِ وَقَرَأَ الْآخَرُونَ: ﴿كَلِمَاتُ﴾ بِالْجَمْعِ، وَأَرَادَ بِالْكَلِمَاتِ: أَمْرَهُ وَنَهْيَهُ، وَوَعْدَهُ وَوَعِيدَهُ، ﴿صِدۡقٗا وَعَدۡلٗاۚ﴾: أَيْ: صِدْقًا فِي الْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ، وَعَدْلًا فِي الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ، قَالَ قَتَادَةُ وَمُقَاتِلٌ: صَادِقًا فِيمَا وَعَدَ، وَعَدْلًا فِيمَا حَكَمَ، ﴿لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦۚ﴾: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لَا رَادَّ لِقَضَائِهِ، وَلَا مُغَيِّرَ لِحُكْمِهِ، وَلَا خُلْفَ لِوَعْدِهِ، ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾: قِيلَ: أَرَادَ بِالْكَلِمَاتِ: الْقُرْآنَ لَا مُبَدِّلَ لَهُ، لَا يَزِيدُ فِيهِ الْمُفْتَرُونَ وَلَا يَنْقُصُونَ.

﴿وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ ﴿١١٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴿١١٧﴾ فَكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ ٱسۡمُ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ إِن كُنتُم بِـَٔايَٰتِهِۦ مُؤۡمِنِينَ﴾

﴿وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾: عَنْ دِينِ اللهِ، وَذَلِكَ أَنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ الْأَرْضِ كَانُوا عَلَى الضَّلَالَةِ، وَقِيلَ: أَرَادَ أَنَّهُمْ جَادَلُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ وَالْمُؤْمِنِينَ فِي أَكْلِ الْمَيْتَةِ، وَقَالُوا: أَتَأْكُلُونَ مَا تَقْتُلُونَ وَلَا تَأْكُلُونَ مَا قَتَلَهُ اللهُ ﷻ؟! فَقَالَ: ﴿وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾: أَيْ: وَإِنْ تُطِعْهُمْ فِي أَكْلِ الْمَيْتَةِ ﴿يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِن

﴿يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾: يُرِيدُ أَنَّ دِينَهُمُ الَّذِي هُمْ عَلَيْهِ ظَنٌّ وَهَوًى، لَمْ يَأْخُذُوهُ عَنْ بَصِيرَةٍ، ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾: يَكْذِبُونَ، ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ﴾: قِيلَ: مَوْضِعُ (مَنْ) نَصْبٌ بِنَزْعِ حَرْفِ الصِّفَةِ أَيْ: بِمَنْ يَضِلُّ، وَقَالَ الزَّجَّاجُ: مَوْضِعُهُ رَفْعٌ بِالِابْتِدَاءِ وَلَفْظُهَا لَفْظُ الِاسْتِفْهَامِ وَالْمَعْنَى: إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ أَيُّ النَّاسِ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ، ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾: أَخْبَرَ أَنَّهُ أَعْلَمُ بِالْفَرِيقَيْنِ الضَّالِّينَ وَالْمُهْتَدِينَ، فَيُجَازِي كُلًّا بِمَا يَسْتَحِقُّهُ.

قَوْلُهُ ﷻ: ﴿فَكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾: أَيْ: كُلُوا مِمَّا ذُبِحَ عَلَى اسْمِ اللهِ ﴿إِن كُنتُم بِـَٔايَٰتِهِۦ مُؤْمِنِينَ﴾: وَذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا يُحَرِّمُونَ أَصْنَافًا مِنَ النَّعَمِ وَيُحِلُّونَ الْأَمْوَاتَ، فَقِيلَ لَهُمْ: أَحِلُّوا مَا أَحَلَّ اللهُ، وَحَرِّمُوا مَا حَرَّمَ اللهُ.

﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١١٩﴾ وَذَرُواْ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُواْ يَقْتَرِفُونَ﴾

ثُمَّ قَالَ: ﴿وَمَا لَكُمْ﴾: يَعْنِي: أَيُّ شَيْءٍ لَكُمْ ﴿أَلَّا تَأْكُلُواْ﴾: وَمَا يَمْنَعُكُمْ مِنْ أَنْ تَأْكُلُوا ﴿مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾: مِنَ الذَّبَائِحِ، ﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ﴾: قَرَأَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ وَيَعْقُوبُ وَحَفْصٌ: ﴿فَصَّلَ﴾ وَ﴿حَرَّمَ﴾ بِالْفَتْحِ فِيهِمَا، أَيْ: فَصَّلَ اللهُ مَا حَرَّمَهُ عَلَيْكُمْ؛ لِقَوْلِهِ: ﴿ٱسْمُ ٱللَّهِ﴾، وَقَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ وَابْنُ عَامِرٍ وَأَبُو عَمْرٍو بِضَمِّ الْفَاءِ وَالْحَاءِ وَكَسْرِ الصَّادِ وَالرَّاءِ عَلَى غَيْرِ تَسْمِيَةِ الْفَاعِلِ؛ لِقَوْلِهِ: ﴿ذُكِرَ﴾، وَقَرَأَ حَمْزَةُ وَالْكِسَائِيُّ وَأَبُو بَكْرٍ: ﴿فَصَّلَ﴾ بِالْفَتْحِ، وَ﴿حُرِّمَ﴾ بِالضَّمِّ، وَأَرَادَ: بِتَفْصِيلِ الْمُحَرَّمَاتِ مَا ذُكِرَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ﴾[المَائِدَة:٣]. ﴿إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ ۗ﴾: مِنْ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ؛ فَإِنَّهُ حَلَالٌ لَكُمْ عِنْدَ الِاضْطِرَارِ، ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ﴾: قَرَأَ أَهْلُ الْكُوفَةِ بِضَمِّ الْيَاءِ، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿لِيُضِلُّواْ﴾ فِي (سُورَةِ يُونُسَ)[٨٨]؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ﴾، وَقِيلَ: أَرَادَ بِهِ عَمْرَو بْنَ لُحَيٍّ فَمَنْ دُونَهُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْبَحَائِرَ وَالسَّوَائِبَ، وَقَرَأَ الْآخَرُونَ بِالْفَتْحِ؛ لِقَوْلِهِ: ﴿مَن يَضِلُّ﴾.

﴿بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾: حِينَ امْتَنَعُوا مِنْ أَكْلِ مَا ذُكِرَ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ وَدَعَوْا إِلَى أَكْلِ المَيْتَةِ، ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُعْتَدِينَ﴾: الَّذِينَ يُجَاوِزُونَ الحَلَالَ إِلَى الحَرَامِ.

﴿وَذَرُواْ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ﴾: يَعْنِي: الذُّنُوبَ كُلَّهَا؛ لِأَنَّهَا لَا تَخْلُو مِنْ هَذَيْنِ الْوَجْهَيْنِ، **قَالَ قَتَادَةُ**: عَلَانِيَتُهُ وَسِرُّهُ، **وَقَالَ مُجَاهِدٌ**: **ظَاهِرُ الإِثْمِ**: مَا يَعْمَلُهُ بِالجَوَارِحِ مِنَ الذُّنُوبِ **وَبَاطِنُهُ**: مَا يَنْوِيهِ وَيَقْصِدُهُ بِقَلْبِهِ، كَالمُصِرِّ عَلَى الذَّنْبِ القَاصِدِ لَهُ **وَقَالَ الكَلْبِيُّ**: **ظَاهِرُهُ**: الزِّنَا، **وَبَاطِنُهُ**: المُخَالَّةُ، [أَيْ: المُصَادَقَةُ]، **وَأَكْثَرُ المُفَسِّرِينَ عَلَى أَنَّ ظَاهِرَ الإِثْمِ**: الْإِعْلَانُ بِالزِّنَا، وَهُمْ أَصْحَابُ الرَّايَاتِ، **وَبَاطِنَهُ**: الاِسْتِسْرَارُ بِهِ، وَذَلِكَ أَنَّ العَرَبَ كَانُوا يُحِبُّونَ الزِّنَا، فَكَانَ الشَّرِيفُ مِنْهُمْ يَتَشَرَّفُ فَيُسِرُّ بِهِ، وَغَيْرُ الشَّرِيفِ لَا يُبَالِي بِهِ فَيُظْهِرُهُ، فَحَرَّمَهُمَا اللهُ ﷻ، **وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ**: **ظَاهِرُ الإِثْمِ**: نِكَاحُ المَحَارِمِ، **وَبَاطِنُهُ**: الزِّنَا، **وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ**: **ظَاهِرُ الإِثْمِ**: التَّجَرُّدُ مِنَ الثِّيَابِ وَالتَّعَرِّي فِي الطَّوَافِ، **وَالْبَاطِنُ**: الزِّنَا، **وَرَوَى حَيَّانُ عَنِ الْكَلْبِيِّ**: **ظَاهِرُ الإِثْمِ**: طَوَافُ الرِّجَالِ بِالْبَيْتِ نَهَارًا عُرَاةً، **وَبَاطِنُهُ**: طَوَافُ النِّسَاءِ بِاللَّيْلِ عُرَاةً، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ﴾: فِي الآخِرَةِ ﴿بِمَا كَانُواْ يَقْتَرِفُونَ﴾: يَكْتَسِبُونَ فِي الدُّنْيَا.

﴿وَلَا تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ ۗ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾

قَوْلُهُ ﷻ: ﴿وَلَا تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾: **قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ** رضي الله عنهما: الآيَةُ فِي تَحْرِيمِ المَيْتَاتِ وَمَا فِي مَعْنَاهَا مِنَ الْمُنْخَنِقَةِ وَغَيْرِهَا. **وَقَالَ عَطَاءٌ**: الآيَةُ فِي تَحْرِيمِ الذَّبَائِحِ الَّتِي كَانُوا يَذْبَحُونَهَا عَلَى اسْمِ الْأَصْنَامِ.

وَاخْتَلَفَ أَهْلُ العِلْمِ فِي ذَبِيحَةِ المُسْلِمِ إِذَا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللهِ عَلَيْهَا، فَذَهَبَ قَوْمٌ: إِلَى تَحْرِيمِهَا، سَوَاءً تَرَكَ التَّسْمِيَةَ عَامِدًا أَوْ نَاسِيًا، **وَهُوَ قَوْلُ ابْنِ سِيرِينَ وَالشَّعْبِيِّ**، وَاحْتَجُّوا بِظَاهِرِ هَذِهِ الآيَةِ. وَذَهَبَ قَوْمٌ: إِلَى تَحْلِيلِهَا، **يُرْوَى ذَلِكَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَهُوَ**

قَوْلُ مَالِكٍ وَالشَّافِعِيِّ وَأَحْمَدُ رِضْوَانُ اللهَّ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ. وَذَهَبَ قَوْمٌ: إِلَى أَنَّهُ إِنْ تَرَكَ التَّسْمِيَةَ عَامِدًا لَا يَحِلُّ، وَإِنَّ تَرَكَهَا نَاسِيًا يَحِلُّ، حَكَى الْخِرَقِيُّ مِنْ أَصْحَابِ أَحْمَدَ: أَنَّ هَذَا مَذْهَبُهُ، وَهُوَ قَوْلُ الثَّوْرِيِّ وَأَصْحَابِ الرَّأْيِ.

مَنْ أَبَاحَهَا قَالَ: المُرَادُ مِنَ الْآيَةِ: المَيْتَاتُ، أَوْ مَا ذُبِحَ عَلَى غَيْرِ اسْمِ اللهِ؛ بِدَلِيلِ أَنَّهُ قَالَ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَفِسۡقٞۗ﴾، وَالْفِسْقُ فِي ذِكْرِ اسْمِ غَيْرِ اللهِ، كَمَا قَالَ فِي آخِرِ السُّورَةِ: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٖ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿أَوۡ فِسۡقًا أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦۚ﴾[الأَنْعَام:١٤٥].

وَاحْتَجَّ مَنْ أَبَاحَهَا بِمَا ثَبَتَ عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ هُنَا أَقْوَامًا حَدِيثٌ عَهْدُهُمْ بِشِرْكٍ، يَأْتُونَا بِلُحْمَانٍ لَا نَدْرِي: يَذْكُرُونَ اسْمَ اللهِ عَلَيْهَا أَمْ لَا؟ قَالَ: «اذْكُرُوا أَنْتُمُ اسْمَ اللهِ وَكُلُوا»[(١)]، وَلَوْ كَانَتِ التَّسْمِيَةُ شَرْطًا لِلْإِبَاحَةِ لَكَانَ الشَّكُّ فِي وُجُودِهَا مَانِعًا مِنْ أَكْلِهَا، كَالشَّكِّ فِي أَصْلِ الذَّبْحِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ لِيُجَٰدِلُوكُمۡۖ﴾: أَرَادَ: أَنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوَسْوِسُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ مِنَ المُشْرِكِينَ لِيُجَادِلُوكُمْ ﴿وَإِنۡ أَطَعۡتُمُوهُمۡ﴾: فِي أَكْلِ المَيْتَةِ ﴿إِنَّكُمۡ لَمُشۡرِكُونَ﴾: قَالَ الزَّجَّاجُ: وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ مَنْ أَحَلَّ شَيْئًا مِمَّا حَرَّمَ اللهُ، أَوْ حَرَّمَ مَا أَحَلَّ اللهُ، فَهُوَ مُشْرِكٌ[(٢)].

---

(١) **صحيح:** البخاري: (٧٣٩٨).

(٢) قال العلامة الإمام مقبل بن هادي الوادعي رحمه الله: قال الإمامُ أبو داود رحمه الله ج(٣) صـ(٥٩): حدثنا محمد بن كثير، أخبرنا إسرائيل، حدثنا سِماكٌ، عن عكرمة، عن ابن عباسٍ في قوله: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ﴾ يقولون: ما ذبح اللهُ فلا تأكلوا، وما ذبحتم أنتم فكلوا، فأنزل الله ﷻ: ﴿وَلَا تَأۡكُلُواْ مِمَّا لَمۡ يُذۡكَرِ ٱسۡمُ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ﴾. الحديث رجاله رجال الصحيح، وقال الحافظ ابن كثير في "تفسيره" ج(٢) صـ(١٧١) وهذا إسناده صحيح. وأخرجه ابن ماجه رقم (٣١٧٣) وابن جرير ج(٨) صـ(١٢٦) و(١٨)، وأخرجه الحاكم ج(٤) صـ(١١٣) و(٢٣١)، وقال في كلا الموضوعين: صحيح على شرط مسلم، وسكت عليه الذهبي. **وأقولُ**: الحديث من رواية سماك عن عكرمة، وهي مضطربة، فالحديث ضعيف. ولكن للحديث شواهد يرتقي بها إلى الحُجِّيَّة، منها: ما أخرجه النسائي في "التفسير" ج(١) صـ(٤٧٩) من طريق الثوري، عن هارون بن عنترة، عن ابن عباس... فذكره، وأبو داود في "سننه" رقم (٢٨١٩) ج(٣) صـ(٢٤٦)، والترمذي رقم (٣٠٦٩) وحسَّنه، والطبري في "تفسيره" ج(١٢) =

قَوْلُهُ ﷻ: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾: قَرَأَ نَافِعٌ: ﴿مَيِّتًا﴾، وَ﴿لَحْمَ أَخِيهِ مَيِّتًا﴾ [الحُجرَات:١٢]، وَ﴿ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيِّتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا﴾[يس:٣٣]، بِالتَّشْدِيدِ فِيهِنَّ، وَالآخَرُونَ بِالتَّخْفِيفِ، ﴿فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾: أَيْ: كَانَ ضَالًّا فَهَدَيْنَاهُ، كَانَ مَيِّتًا بِالْكُفْرِ فَأَحْيَيْنَاهُ بِالْإِيمَانِ، ﴿وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا﴾: يَسْتَضِيءُ بِهِ ﴿يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ﴾: عَلَى قَصْدِ السَّبِيلِ، **قِيلَ**: النُّورُ هُوَ الْإِسْلَامُ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾[الْبَقَرَة:٢٥٧]، **وَقَالَ قَتَادَةُ**: هُوَ كِتَابُ اللهِ بَيِّنَةٌ مِنَ اللهِ مَعَ الْمُؤْمِنِ، بِهَا يَعْمَلُ وَبِهَا يَأْخُذُ وَإِلَيْهَا يَنْتَهِي، ﴿كَمَن مَّثَلُهُۥ﴾: (المَثَلُ): صِلَةٌ، أَيْ: كَمَنْ هُوَ ﴿فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾: يَعْنِي: مِنْ ظُلْمَةِ الْكُفْرِ، ﴿كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾: مِنَ الْكُفْرِ وَالمَعْصِيَةِ، **قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ**: يُرِيدُ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ عِبَادَةَ الأَصْنَامِ.

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا۟ فِيهَا ۖ وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ ۘ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ۗ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَمْكُرُونَ﴾

قَوْلُهُ ﷻ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا﴾: أَيْ: كَمَا أَنَّ فُسَّاقَ مَكَّةَ أَكَابِرُهَا، كَذَلِكَ جَعَلْنَا فُسَّاقَ كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَهَا، أَيْ: عُظَمَاءَهَا، جَمْعُ (أَكْبَرَ)، مِثْلُ: (أَفْضَلَ، وَأَفَاضِلَ)، وَ(أَسْوَدَ، وَأَسَاوِدَ)، وَذَلِكَ سُنَّةُ اللهِ تَعَالَى أَنَّهُ جَعَلَ فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَتْبَاعَ الرُّسُلِ ضُعَفَاءَهُمْ، كَمَا قَالَ فِي قِصَّةِ نُوحٍ ﵇: ﴿أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ﴾ [الشُّعَرَاء:١١١]، وَجَعَلَ فُسَّاقَهُمْ أَكَابِرَهُمْ، ﴿لِيَمْكُرُوا۟ فِيهَا ۖ وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ﴾؛ لِأَنَّ وَبَالَ مَكْرِهِمْ يَعُودُ عَلَيْهِمْ، ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾: أَنَّهُ كَذَلِكَ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ﴾: يَعْنِي مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللهِ مِنَ النُّبُوَّةِ، ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾: قَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ

= ص(٨٢)، والطبرانيُّ في «الكبير» رقم (١٢٢٩٥)، والبيهقي في «سننه» ج(٩) ص(٢٤٠)، كلهم من طريق عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عبَّاس نحوه، وهذه الطرق تصلح أن تشهد للحديث، والحمد لله.اهـ «الصحيح المسند من أسباب النزول» ص(١١٠).

وَحَفْصٌ: ﴿رِسَالَتَهُۥ﴾ عَلَى التَّوْحِيدِ، وَقَرَأَ الْآخَرُونَ: ﴿رِسَالَاتِهِ﴾ بِالْجَمْعِ، يَعْنِي: اللهُ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَحَقُّ بِالرِّسَالَةِ، ﴿سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ صَغَارٌ﴾: ذُلٌّ وَهَوَانٌ ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾: أَيْ: مِنْ عِنْدِ اللهِ، ﴿وَعَذَابٌ شَدِيدُۢ بِمَا كَانُواْ يَمْكُرُونَ﴾: قِيلَ: صَغَارٌ فِي الدُّنْيَا، وَعَذَابٌ شَدِيدٌ فِي الآخِرَةِ.

﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجٗا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ كَذَٰلِكَ يَجۡعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٢٥﴾ وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسۡتَقِيمٗاۗ قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ ۞ لَهُمۡ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمۡۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾

قَوْلُهُ ﷻ: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ﴾: أَيْ: يَفْتَحْ قَلْبَهُ وَيُنَوِّرْهُ حَتَّى يَقْبَلَ الْإِسْلَامَ، ﴿وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا﴾: قَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ: ﴿ضَيْقًا﴾ بِالتَّخْفِيفِ هَاهُنَا وَفِي الْفُرْقَانِ، وَالْبَاقُونَ بِالتَّشْدِيدِ، وَهُمَا لُغَتَانِ، مِثْلُ: (هَيْنٍ، وَهَيِّنٍ)، وَ(لَيْنٍ، وَلَيِّنٍ). ﴿حَرَجًا﴾: قَرَأَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ وَأَبُو بَكْرٍ بِكَسْرِ الرَّاءِ وَالْبَاقُونَ بِفَتْحِهَا، وَهُمَا لُغَتَانِ أَيْضًا، مِثْلُ: (الدِّنَفِ، وَالدَّنَفِ)، **وَقَالَ سِيبَوَيْهِ: الْحَرَجُ -بِالْفَتْحِ-**: الْمَصْدَرُ، كَ(الطَّلَبِ)، وَمَعْنَاهُ: ذَا حَرَجٍ، وَبِالْكَسْرِ الِاسْمُ، وَهُوَ أَشَدُّ الضِّيقِ، يَعْنِي: يَجْعَلْ قَلْبَهُ ضَيِّقًا؛ حَتَّى لَا يَدْخُلَهُ الْإِيمَانُ. **وَقَالَ الْكَلْبِيُّ**: لَيْسَ لِلْخَيْرِ فِيهِ مَنْفَذٌ، **وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ**: إِذَا سَمِعَ ذِكْرَ اللهِ اشْمَأَزَّ قَلْبُهُ، وَإِذَا ذَكَرَ شَيْئًا مِنْ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ ارْتَاحَ إِلَى ذَلِكَ. وَقَرَأَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه هَذِهِ الْآيَةَ، فَسَأَلَ أَعْرَابِيًّا مِنْ كِنَانَةَ: مَا الْحَرِجَةُ فِيكُمْ؟ قَالَ: الْحَرِجَةُ فِينَا: الشَّجَرَةُ تَكُونُ بَيْنَ الْأَشْجَارِ الَّتِي لَا تَصِلُ إِلَيْهَا رَاعِيَةٌ وَلَا وَحْشِيَّةٌ وَلَا شَيْءٌ، فَقَالَ عُمَرُ رضي الله عنه: كَذَلِكَ قَلْبُ الْمُنَافِقِ، لَا يَصِلُ إِلَيْهِ شَيْءٌ مِنَ الْخَيْرِ.

﴿كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ﴾: قَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ: ﴿يَصْعَدُ﴾ بِالتَّخْفِيفِ، وَقَرَأَ أَبُو بَكْرٍ عَنْ عَاصِمٍ: ﴿يَصَّاعَدُ﴾ بِالْأَلِفِ، أَيْ: يَتَصَاعَدُ، وَقَرَأَ الْآخَرُونَ: ﴿يَصَّعَّدُ﴾ بِتَشْدِيدِ الصَّادِ وَالْعَيْنِ، أَيْ: يَتَصَعَّدُ، يَعْنِي: يَشُقُّ عَلَيْهِ الْإِيمَانُ كَمَا يَشُقُّ عَلَيْهِ صُعُودُ السَّمَاءِ،

وَأَصْلُ الصُّعُودِ: المَشَقَّةُ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا﴾[المُدَّثِّر:١٧]، أَيْ: عَقَبَةً شَاقَّةً، ﴿كَذَٰلِكَ يَجۡعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾: **قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: الرِّجْسُ**: هُوَ الشَّيْطَانُ، أَيْ: يُسَلَّطُ عَلَيْهِ، **وَقَالَ الْكَلْبِيُّ**: هُوَ الْمَأْثَمُ، **وَقَالَ مُجَاهِدٌ: الرِّجْسُ**: مَا لَا خَيْرَ فِيهِ **وَقَالَ عَطَاءٌ: الرِّجْسُ**: الْعَذَابُ، مِثْلُ: الرِّجْزِ، **وَقَالَ الزَّجَّاجُ: الرِّجْسُ**: اللَّعْنَةُ فِي الدُّنْيَا، وَالعَذَابُ فِي الآخِرَةِ.

قَوْلُهُ ﷻ: ﴿وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسۡتَقِيمٗا﴾: أَيْ: هَذَا الَّذِي بَيَّنَّا، **وَقِيلَ**: هَذَا الَّذِي أَنْتَ عَلَيْهِ يَا مُحَمَّدُ طَرِيقُ رَبِّكَ وَدِينُهُ الَّذِي ارْتَضَاهُ لِنَفْسِهِ، ﴿مُسۡتَقِيمٗا﴾: لَا عِوَجَ فِيهِ، وَهُوَ الْإِسْلَامُ، ﴿قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَذَّكَّرُونَ ١٢٦ ۞ لَهُمۡ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمۡۖ﴾: يَعْنِي: الْجَنَّةَ، **قَالَ أَكْثَرُ الْمُفَسِّرِينَ: السَّلَامُ**: هُوَ اللهُ، **وَدَارُهُ**: الْجَنَّةُ، **وَقِيلَ: السَّلَامُ**: هُوَ السَّلَامَةُ، أَيْ: لَهُمْ دَارُ السَّلَامَةِ مِنَ الْآفَاتِ، وَهِيَ الْجَنَّةُ، **وَسُمِّيَتْ دَارَ السَّلَامِ**؛ لِأَنَّ كُلَّ مَنْ دَخَلَهَا سَلِمَ مِنَ الْبَلَايَا وَالرَّزَايَا، **وَقِيلَ: سُمِّيَتْ بِذَلِكَ**؛ لِأَنَّ جَمِيعَ حَالَاتِهَا مَقْرُونَةٌ بِالسَّلَامِ، يُقَالُ فِي الِابْتِدَاءِ: ﴿ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ﴾[الحِجْر:٤٦]، ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ۝ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم﴾[الرَّعْد:٢٣-٢٤]، وَقَالَ: ﴿لَا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوٗا وَلَا تَأۡثِيمًا ۝ إِلَّا قِيلٗا سَلَٰمٗا سَلَٰمٗا﴾[الوَاقِعَة:٢٥-٢٦]، وَقَالَ: ﴿تَحِيَّتُهُمۡ فِيهَا سَلَٰمٌ﴾[إبراهيم:٢٣]، ﴿سَلَٰمٞ قَوۡلٗا مِّن رَّبّٖ رَّحِيمٖ﴾[يس:٥٨]. ﴿وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾: **قَالَ الْحُسَيْنُ بْنُ الْفَضْلِ**: يَتَوَلَّاهُمْ فِي الدُّنْيَا بِالتَّوْفِيقِ، وَفِي الْآخِرَةِ بِالْجَزَاءِ.

﴿وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ قَدِ ٱسۡتَكۡثَرۡتُم مِّنَ ٱلۡإِنسِۖ وَقَالَ أَوۡلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلۡإِنسِ رَبَّنَا ٱسۡتَمۡتَعَ بَعۡضُنَا بِبَعۡضٖ وَبَلَغۡنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِيٓ أَجَّلۡتَ لَنَاۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثۡوَىٰكُمۡ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٞ ١٢٨ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعۡضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعۡضَۢا بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾

قَوْلُهُ ﷻ: ﴿وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ﴾: قَرَأَ حَفْصٌ ﴿يَحۡشُرُهُمۡ﴾ بِالْيَاءِ، ﴿جَمِيعٗا﴾: يَعْنِي الْجِنَّ وَالْإِنْسَ، يَجْمَعُهُمْ فِي مَوْقِفِ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُ: ﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ﴾: **وَالمُرَادُ بِالْجِنِّ**: الشَّيَاطِينُ ﴿قَدِ ٱسۡتَكۡثَرۡتُم مِّنَ ٱلۡإِنسِ﴾: أَيِ: اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ بِالْإِضْلَالِ وَالْإِغْوَاءِ أَيْ: أَضْلَلْتُمْ

كَثِيرًا، ﴿وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ﴾: يَعْنِي: أَوْلِيَاءَ الشَّيَاطِينِ الَّذِينَ أَطَاعُوهُمْ مِنَ الْإِنْسِ، ﴿رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ﴾: **قَالَ الْكَلْبِيُّ: اسْتِمْتَاعُ الْإِنْسِ بِالْجِنِّ**: هُوَ أَنَّ الرَّجُلَ كَانَ إِذَا سَافَرَ وَنَزَلَ بِأَرْضٍ قَفْرٍ وَخَافَ عَلَى نَفْسِهِ مِنَ الْجِنِّ، قَالَ: أَعُوذُ بِسَيِّدِ هَذَا الْوَادِي مِنْ سُفَهَاءِ قَوْمِهِ، فَيَبِيتُ فِي جِوَارِهِمْ، **وَأَمَّا اسْتِمْتَاعُ الْجِنِّ بِالْإِنْسِ**: هُوَ أَنَّهُمْ قَالُوا: قَدْ سُدْنَا الْإِنْسَ مَعَ الْجِنِّ حَتَّى عَاذُوا بِنَا، فَيَزْدَادُونَ شَرَفًا فِي قَوْمِهِمْ وَعِظَمًا فِي أَنْفُسِهِمْ، وَهَذَا كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾[الجِنّ:٦]. **وَقِيلَ: اسْتِمْتَاعُ الْإِنْسِ بِالْجِنِّ**: مَا كَانُوا يُلْقُونَ إِلَيْهِمْ مِنَ الْأَرَاجِيفِ وَالسِّحْرِ وَالْكَهَانَةِ وَتَزْيِينُهُمْ لَهُمُ الْأُمُورَ الَّتِي يَهْوَوْنَهَا، وَتَسْهِيلُ سَبِيلِهَا عَلَيْهِمْ، **وَاسْتِمْتَاعُ الْجِنِّ بِالْإِنْسِ**: طَاعَةُ الْإِنْسِ لَهُمْ فِيمَا يُزَيِّنُونَ لَهُمْ مِنَ الضَّلَالَةِ وَالْمَعَاصِي. **قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ**: هُوَ طَاعَةُ بَعْضِهِمْ بَعْضًا، وَمُوَافَقَةُ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ، ﴿وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا﴾: يَعْنِي: الْقِيَامَةَ وَالْبَعْثَ، ﴿قَالَ﴾: اللهُ تَعَالَى: ﴿ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ﴾: مَقَامُكُمْ، ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾: **اخْتَلَفُوا فِي هَذَا الِاسْتِثْنَاءِ كَمَا اخْتَلَفُوا فِي قَوْلِهِ**: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾[هُود:١٠٧]، **قِيلَ**: أَرَادَ: إِلَّا قَدْرَ مُدَّةِ مَا بَيْنَ بَعْثِهِمْ إِلَى دُخُولِهِمْ جَهَنَّمَ يَعْنِي: هُمْ خَالِدُونَ فِي النَّارِ إِلَّا هَذَا الْمِقْدَارَ، **وَقِيلَ**: الِاسْتِثْنَاءُ يَرْجِعُ إِلَى الْعَذَابِ وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ﴾ أَيْ: خَالِدِينَ فِي النَّارِ سِوَى مَا شَاءَ اللهُ مِنْ أَنْوَاعِ العَذَابِ، **وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ**: الِاسْتِثْنَاءُ يَرْجِعُ إِلَى قَوْمٍ سَبَقَ فِيهِمْ عِلْمُ اللهِ أَنَّهُمْ يُسْلِمُونَ فَيَخْرُجُونَ مِنَ النَّارِ، وَ(مَا): بِمَعْنَى (مَنْ) عَلَى هَذَا التَّأْوِيلِ، ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾: **قِيلَ**: عَلِيمٌ بِالَّذِي اسْتَثْنَاهُ وَبِمَا فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الْبِرِّ وَالتَّقْوَى.

﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّى بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾: **قِيلَ**: أَيْ كَمَا خَذَلْنَا عُصَاةَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ حَتَّى اسْتَمْتَعَ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا، أَيْ: نُسَلِّطُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ، فَنَأْخُذُ مِنَ الظَّالِمِ بِالظَّالِمِ، كَمَا جَاءَ: (مَنْ أَعَانَ ظَالِمًا سَلَّطَهُ اللهُ عَلَيْهِ). **وَقَالَ قَتَادَةُ**: نَجْعَلُ بَعْضَهُمْ أَوْلِيَاءَ بَعْضٍ، فَالْمُؤْمِنُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِ أَيْنَ كَانَ، وَالْكَافِرُ وَلِيُّ الْكَافِرِ

حَيْثُ كَانَ. وَرُوِيَ عَنْ مَعْمَرٍ عَنْ قَتَادَةَ: نُتْبِعُ بَعْضَهُمْ بَعْضًا فِي النَّارِ، مِنَ: الْمُوَالَاةِ. وَقِيلَ: مَعْنَاهُ نُوَلِّي ظَلَمَةَ الْإِنْسِ ظَلَمَةَ الْجِنِّ، وَنُوَلِّي ظَلَمَةَ الْجِنِّ ظَلَمَةَ الْإِنْسِ، أَيْ: نَكِلُ بَعْضَهُمْ إِلَى بَعْضٍ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ﴾[النِّسَاء:١١٥]. **وَرَوَى الْكَلْبِيُّ عَنْ أَبِي صَالِحٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ** رضي الله عنهما **فِي تَفْسِيرِهَا**: هُوَ أَنَّ اللهَ تَعَالَى إِذَا أَرَادَ بِقَوْمٍ خَيْرًا وَلَّى أَمْرَهُمْ خِيَارَهُمْ، وَإِذَا أَرَادَ بِقَوْمٍ شَرًّا وَلَّى أَمْرَهُمْ شِرَارَهُمْ.

﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا ۖ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ ﴿١٣٠﴾ ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ ﴿١٣١﴾ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾

قَوْلُهُ عز وجل: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾: **اخْتَلَفُوا فِي الْجِنِّ، هَلْ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ مِنْهُمْ رَسُولٌ؟ فَسُئِلَ الضَّحَّاكُ عَنْهُ، فَقَالَ**: بَلَى، أَلَمْ تَسْمَعِ اللهَ يَقُولُ: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾؟ يَعْنِي: بِذَلِكَ رُسُلًا مِنَ الْإِنْسِ وَرُسُلًا مِنَ الْجِنِّ. **قَالَ مُجَاهِدٌ**: الرُّسُلُ مِنَ الْإِنْسِ وَالنُّذُرُ مِنَ الْجِنِّ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ﴾[الْأَحْقَاف:٢٩]، وَهُمْ قَوْمٌ يَسْمَعُونَ كَلَامَ الرُّسُلِ فَيُبَلِّغُونَ الْجِنَّ مَا سَمِعُوا، وَلَيْسَ لِلْجِنِّ رُسُلٌ، فَعَلَى هَذَا قَوْلُهُ: ﴿رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾ يَنْصَرِفُ إِلَى أَحَدِ الصِّنْفَيْنِ وَهُمُ الْإِنْسُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾[الرَّحْمَن:٢٢]، وَإِنَّمَا يَخْرُجُ مِنَ الْمِلْحِ دُونَ الْعَذْبِ(١)، وَقَالَ: ﴿وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾[نُوح:١٦]، وَإِنَّمَا هُوَ فِي سَمَاءٍ وَاحِدَةٍ.

---

(١) قال الإمام الشنقيطيُّ رحمه الله: واعلم أنَّ ما ذكره الحافظ ابنُ كثير رحمه الله وغيرُه من أجلاء العلماء في تفسير هذه الآية، من أنَّ قوله: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾[الرَّحْمَن:٢٢] يرادُ به البحر الملح خاصة دون العذب غلطٌ كبير، لا يجوز القول به؛ لأنه مخالف مخالفة صريحة لكلام الله تعالى؛ لأن الله ذكر البحرين الملح والعذب بقوله: ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ۖ﴾ ثُمَّ صرَّحَ باستخراج اللؤلؤ والمرجان منهما جميعًا بقوله: ﴿وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ۖ﴾[فاطر:١٢]، والحليةُ المذكورةُ: هي اللؤلؤ والمرجان، فقصرُهُ على الملح مناقض للآية صريحًا كما ترى.اهـ "أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن" (٢/ ٢٤٧).

﴿يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ﴾: أَيْ: يَقْرَؤُونَ عَلَيْكُمْ ﴿ءَايَٰتِي﴾: كُتُبِي، ﴿وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ﴾: وَهُوَ يَوْمُ القِيَامَةِ، ﴿قَالُواْ شَهِدۡنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَاۖ﴾: أَنَّهُمْ قَدْ بَلَّغُوا، **قَالَ مُقَاتِلٌ**: وَذَلِكَ حِينَ شَهِدَتْ عَلَيْهِمْ جَوَارِحُهُمْ بِالشِّرْكِ وَالْكُفْرِ، قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا﴾: حَتَّى لَمْ يُؤْمِنُوا، ﴿وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰفِرِينَ ١٣٠ ذَٰلِكَ أَن لَّمۡ يَكُن رَّبُّكَ مُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ بِظُلۡمٍ﴾: أَيْ: ذَلِكَ الَّذِي قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ أَمْرِ الرُّسُلِ وَعَذَابِ مَنْ كَذَّبَهُمْ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ، أَيْ: لَمْ يَكُنْ مُهْلِكَهُمْ بِظُلْمٍ، أَيْ: بِشِرْكِ مَنْ أَشْرَكَ ﴿وَأَهۡلُهَا غَٰفِلُونَ﴾: لَمْ يُنْذَرُوا حَتَّى نَبْعَثَ إِلَيْهِمْ رُسُلًا يُنْذِرُونَهُمْ. **وَقَالَ الْكَلْبِيُّ**: لَمْ يُهْلِكْهُمْ بِذُنُوبِهِمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمُ الرُّسُلُ. **وَقِيلَ**: مَعْنَاهُ لَمْ يَكُنْ لِيُهْلِكَهُمْ دُونَ التَّنْبِيهِ وَالتَّذْكِيرِ بِالرُّسُلِ فَيَكُونُ قَدْ ظَلَمَهُمْ، وَذَلِكَ أَنَّ اللهَ تَعَالَى أَجْرَى السُّنَّةَ أَنْ لَا يَأْخُذَ أَحَدًا إِلَّا بَعْدَ وُجُودِ الذَّنْبِ، وَإِنَّمَا يَكُونُ مُذْنِبًا إِذَا أُمِرَ فَلَمْ يَأْتَمِرْ، وَنُهِيَ فَلَمْ يَنْتَهِ، يَكُونُ ذَلِكَ بَعْدَ إِنْذَارِ الرُّسُلِ. ﴿وَلِكُلّٖ دَرَجَٰتٞ مِّمَّا عَمِلُواْۚ﴾: يَعْنِي: فِي الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ فِي الدُّنْيَا، فَمِنْهُمْ مَنْ هُوَ أَشَدُّ عَذَابًا وَمِنْهُمْ مَنْ هُوَ أَجْزَلُ ثَوَابًا، ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعۡمَلُونَ﴾: قَرَأَ ابْنُ عَامِرٍ: ﴿تَعۡمَلُونَ﴾ بِالتَّاءِ، وَالْبَاقُونَ بِالْيَاءِ.

﴿وَرَبُّكَ ٱلۡغَنِيُّ ذُو ٱلرَّحۡمَةِۚ إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ وَيَسۡتَخۡلِفۡ مِنۢ بَعۡدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوۡمٍ ءَاخَرِينَ ١٣٣ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَأٓتٖۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ ١٣٤ قُلۡ يَٰقَوۡمِ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ إِنِّي عَامِلٞۖ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾

﴿وَرَبُّكَ ٱلۡغَنِيُّ﴾: عَنْ خَلْقِهِ ﴿ذُو ٱلرَّحۡمَةِۚ﴾: **قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ**: ذُو الرَّحْمَةِ بِأَوْلِيَائِهِ وَأَهْلِ طَاعَتِهِ، **وَقَالَ الْكَلْبِيُّ**: بِخَلْقِهِ ذُو التَّجَاوُزِ، ﴿إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ﴾: يُهْلِكْكُمْ، وَعِيدٌ لِأَهْلِ مَكَّةَ، ﴿وَيَسۡتَخۡلِفۡ﴾: يَخْلُقْ وَيُنْشِئْ ﴿مِنۢ بَعۡدِكُم مَّا يَشَآءُ﴾: خَلْقًا غَيْرَكُمْ أَمْثَلَ وَأَطْوَعَ، ﴿كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوۡمٍ ءَاخَرِينَ﴾: أَيْ: آبَائِهِمُ الْمَاضِينَ قَرْنًا بَعْدَ قَرْنٍ، ﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ﴾: أَيْ: مَا تُوعَدُونَ مِنْ مَجِيءِ السَّاعَةِ وَالْحَشْرِ ﴿لَأٓتٖۖ﴾:

كَائِنٌ، ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ﴾: أَيْ: بِفَائِتِينَ، يَعْنِي: يُدْرِكُكُمُ المَوْتُ حَيْثُ مَا كُنْتُمْ.

﴿قُلۡ﴾: يَا مُحَمَّدُ ﴿يَٰقَوۡمِ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ﴾: قَرَأَ أَبُو بَكْرٍ عَنْ عَاصِمٍ: ﴿مَكَانَاتِكُمۡ﴾ بِالْجَمْعِ حَيْثُ كَانَ، أَيْ: عَلَى تَمَكُّنِكُمْ، **قَالَ عَطَاءٌ**: عَلَى حَالَاتِكُمُ الَّتِي أَنْتُمْ عَلَيْهَا، **قَالَ الزَّجَّاجُ**: اعْمَلُوا عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ، يُقَالُ لِلرَّجُلِ إِذَا أُمِرَ أَنْ يَثْبُتَ عَلَى حَالَةٍ (عَلَى مَكَانَتِكَ يَا فُلَانُ) أَيْ: اثْبُتْ عَلَى مَا أَنْتَ عَلَيْهِ، وَهَذَا أَمْرُ وَعِيدٍ عَلَى الْمُبَالَغَةِ يَقُولُ اللهُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ ﷺ: قُلْ لَهُمْ اعْمَلُوا عَلَى مَا أَنْتُمْ عَامِلُونَ، ﴿إِنِّي عَامِلٞۖ﴾: مَا أَمَرَنِي بِهِ رَبِّي ﷻ، ﴿فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِۗ﴾: أَيِ: الْجَنَّةُ، قَرَأَ حَمْزَةُ وَالْكِسَائِيُّ: ﴿يَكُونُ﴾ بِالْيَاءِ هَاهُنَا وَفِي الْقَصَصِ، وَقَرَأَ الْآخَرُونَ بِالتَّاءِ لِتَأْنِيثِ الْعَاقِبَةِ، ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾: **قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ**: مَعْنَاهُ: لَا يَسْعَدُ مَنْ كَفَرَ بِي وَأَشْرَكَ، **قَالَ الضَّحَّاكُ**: لَا يَفُوزُ.

﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلۡحَرۡثِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ نَصِيبٗا فَقَالُواْ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعۡمِهِمۡ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَاۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمۡ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمۡۗ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ١٣٦ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ قَتۡلَ أَوۡلَٰدِهِمۡ شُرَكَآؤُهُمۡ لِيُرۡدُوهُمۡ وَلِيَلۡبِسُواْ عَلَيۡهِمۡ دِينَهُمۡۖ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُۖ فَذَرۡهُمۡ وَمَا يَفۡتَرُونَ﴾

قَوْلُهُ ﷻ: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلۡحَرۡثِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ نَصِيبٗا﴾: الْآيَةَ، كَانَ الْمُشْرِكُونَ يَجْعَلُونَ للهِ مِنْ حُرُوثِهِمْ وَأَنْعَامِهِمْ وَثِمَارِهِمْ وَسَائِرِ أَمْوَالِهِمْ نَصِيبًا وَلِلْأَوْثَانِ نَصِيبًا، فَمَا جَعَلُوهُ للهِ صَرَفُوهُ إِلَى الضِّيفَانِ وَالمَسَاكِينِ، وَمَا جَعَلُوهُ لِلْأَصْنَامِ أَنْفَقُوهُ عَلَى الْأَصْنَامِ وَخَدَمِهَا، فَإِنْ سَقَطَ شَيْءٌ مِمَّا جَعَلُوهُ للهِ تَعَالَى فِي نَصِيبِ الْأَوْثَانِ تَرَكُوهُ وَقَالُوا إِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنْ هَذَا، وَإِنْ سَقَطَ شَيْءٌ مِنْ نَصِيبِ الْأَصْنَامِ فِيمَا جَعَلُوهُ للهِ رَدُّوهُ إِلَى الْأَوْثَانِ، وَقَالُوا: إِنَّهَا مُحْتَاجَةٌ، وَكَانَ إِذَا هَلَكَ أَوِ انْتَقَصَ شَيْءٌ مِمَّا جَعَلُوهُ للهِ لَمْ يُبَالُوا بِهِ، وَإِذَا هَلَكَ أَوِ انْتَقَصَ شَيْءٌ مِمَّا جَعَلُوا لِلْأَصْنَامِ جَبَرُوهُ بِمَا جَعَلُوهُ للهِ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى:

﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ﴾: خَلَقَ ﴿مِنَ ٱلۡحَرۡثِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ نَصِيبٗا﴾ وَفِيهِ اخْتِصَارٌ مَجَازُهُ: وَجَعَلُوا للهِ نَصِيبًا وَلِشُرَكَائِهِمْ نَصِيبًا، ﴿فَقَالُواْ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعۡمِهِمۡ﴾: قَرَأَ الْكِسَائِيُّ: ﴿بِزُعْمِهِمْ﴾ بِضَمِّ الزَّايِ، وَالْبَاقُونَ بِفَتْحِهَا، وَهُمَا لُغَتَانِ، وَهُوَ: الْقَوْلُ مِنْ غَيْرِ حَقِيقَةٍ، ﴿وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَاۖ﴾: يَعْنِي: الْأَوْثَانَ، ﴿فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمۡ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمۡۗ﴾: وَمَعْنَاهُ: مَا قُلْنَا أَنَّهُمْ كَانُوا يُتِمُّونَ مَا جَعَلُوهُ لِلْأَوْثَانِ مِمَّا جَعَلُوهُ للهِ، وَلَا يُتِمُّونَ مَا جَعَلُوهُ للهِ مِمَّا جَعَلُوهُ لِلْأَوْثَانِ. **وَقَالَ قَتَادَةُ**: كَانُوا إِذَا أَصَابَتْهُمْ سَنَةٌ اسْتَعَانُوا بِمَا جَزَّءُوا للهِ وَأَكَلُوا مِنْهُ، وَوَفَّرُوا مَا جَزَّءُوا لِشُرَكَائِهِم وَلَمْ يَأْكُلُوا مِنْهُ، ﴿سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ﴾: أَيْ: بِئْسَ مَا يَقْضُونَ.

﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾: أَيْ: كَمَا زَيَّنَ لَهُمْ تَحْرِيمَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ، كَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿قَتۡلَ أَوۡلَٰدِهِمۡ شُرَكَآؤُهُمۡ﴾: **قَالَ مُجَاهِدٌ**: شُرَكَاؤُهُمْ: أَيْ: شَيَاطِينُهُمْ زَيَّنُوا وَحَسَّنُوا لَهُمْ وَأْدَ الْبَنَاتِ [وَقَتْلَ الأَوْلَادِ]؛ خِيفَةَ [العَارِ وَ]الْعَيْلَةِ، **سُمِّيَتِ الشَّيَاطِينُ شُرَكَاءَ**؛ لِأَنَّهُمْ أَطَاعُوهُمْ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ، وَأُضِيفَ الشُّرَكَاءُ إِلَيْهِمْ؛ لِأَنَّهُمُ اتَّخَذُوهَا. وَقَرَأَ ابْنُ عَامِرٍ: ﴿زُيِّنَ﴾ بِضَمِّ الزَّايِ وَكَسْرِ الْيَاءِ، ﴿قَتْلُ﴾ رَفْعٌ، ﴿أَوْلَادَهُمْ﴾ نَصْبٌ، ﴿شُرَكَائِهِمْ﴾ بِالْخَفْضِ عَلَى التَّقْدِيمِ، كَأَنَّهُ قَالَ: زُيِّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلُ شُرَكَائِهِمْ أَوْلَادَهُمْ، فَصَلَ بَيْنَ الْفِعْلِ وَفَاعِلِهِ بِالْمَفْعُولِ بِهِ وَهُوَ الْأَوْلَادُ، كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ:

فَزَجَجْتُهُ مُتَمَكِّنًا بِمَزَجَّةٍ ... زَجَّ الْقَلُوصَ أَبِي مَزَادَهْ

أَيْ: زَجَّ أَبِي مَزَادَةَ الْقَلُوصَ، فَأُضِيفَ الْفِعْلُ -وَهُوَ الْقَتْلُ- إِلَى الشُّرَكَاءِ وَإِنْ لَمْ يَتَوَلَّوْا ذَلِكَ؛ لِأَنَّهُمْ هُمُ الَّذِينَ زَيَّنُوا ذَلِكَ وَدَعَوْا إِلَيْهِ، فَكَأَنَّهُمْ فَعَلُوهُ.

قَوْلُهُ ﷻ: ﴿لِيُرۡدُوهُمۡ﴾: لِيُهْلِكُوهُمْ، ﴿وَلِيَلۡبِسُواْ عَلَيۡهِمۡ﴾: لِيَخْلِطُوا عَلَيْهِمْ ﴿دِينَهُمۡۖ﴾: **قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ**: لِيُدْخِلُوا عَلَيْهِمُ الشَّكَّ فِي دِينِهِمْ، وَكَانُوا عَلَى دِينِ إِسْمَاعِيلَ فَرَجَعُوا عَنْهُ بِلبْسِ الشَّيَاطِينِ، ﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُۖ﴾: أَيْ: لَوْ شَاءَ اللهُ لَعَصَمَهُمْ

حَتَّى مَا فَعَلُوا ذَلِكَ مِنْ تَحْرِيمِ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ وَقَتْلِ الْأَوْلَادِ، ﴿فَذَرْهُمْ﴾: يَا مُحَمَّدُ ﴿وَمَا يَفْتَرُونَ﴾: يَخْتَلِقُونَ مِنَ الْكَذِبِ؛ فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى لَهُمْ بِالْمِرْصَادِ.

﴿وَقَالُوا۟ هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِ ۚ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿١٣٨﴾ وَقَالُوا۟ مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا ۖ وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ ۚ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٩﴾ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓا۟ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا۟ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ ۚ قَدْ ضَلُّوا۟ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ﴾

﴿وَقَالُوا۟﴾: يَعْنِي: الْمُشْرِكِينَ، ﴿هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ﴾: أَيْ: حَرَامٌ، يَعْنِي: مَا جَعَلُوا للهِ وَلِآلِهَتِهِمْ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ عَلَى مَا مَضَى ذِكْرُهُ. **وَقَالَ مُجَاهِدٌ**: يَعْنِي بِالْأَنْعَامِ الْبَحِيرَةَ وَالسَّائِبَةَ وَالْوَصِيلَةَ وَالْحَامِ، ﴿لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعْمِهِمْ﴾: يَعْنُونَ الرِّجَالَ دُونَ النِّسَاءِ، ﴿وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا﴾: يَعْنِي: الْحَوَامِيَ، كَانُوا لَا يَرْكَبُونَهَا، ﴿وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا﴾: أَيْ: يَذْبَحُونَهَا بِاسْمِ الْأَصْنَامِ لَا بِاسْمِ اللهِ، **وَقَالَ أَبُو وَائِلٍ**: مَعْنَاهُ لَا يَحُجُّونَ عَلَيْهَا وَلَا يَرْكَبُونَهَا لِفِعْلِ الْخَيْرِ؛ لِأَنَّهُ لَمَّا جَرَتِ الْعَادَةُ بِذِكْرِ اسْمِ اللهِ عَلَى فِعْلِ الْخَيْرِ عَبَّرَ بِذِكْرِ اللهِ تَعَالَى عَنْ فِعْلِ الْخَيْرِ. ﴿ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِ﴾: يَعْنِي: أَنَّهُمْ يَفْعَلُونَ ذَلِكَ وَيَزْعُمُونَ أَنَّ اللهَ أَمَرَهُمْ بِهِ؛ افْتِرَاءً عَلَيْهِ، ﴿سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾.

﴿وَقَالُوا۟ مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا﴾: أَيْ: نِسَائِنَا، **قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَقَتَادَةُ وَالشَّعْبِيُّ**: أَرَادَ أَجِنَّةَ الْبَحَائِرِ وَالسَّوَائِبِ، فَمَا وُلِدَ مِنْهَا حَيًّا فَهُوَ خَالِصٌ لِلرِّجَالِ دُونَ النِّسَاءِ، وَمَا وُلِدَ مَيِّتًا أَكَلَهُ الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ جَمِيعًا. وَأَدْخَلَ الْهَاءَ فِي: ﴿خَالِصَةٌ﴾ لِلتَّأْكِيدِ، كَالْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ، كَقَوْلِهِمْ: (نَسَّابَةٌ، وَعَلَّامَةٌ)، **وَقَالَ الْفَرَّاءُ**: أُدْخِلَتِ الْهَاءُ لِتَأْنِيثِ الْأَنْعَامِ؛ لِأَنَّ مَا فِي بُطُونِهَا مِثْلُهَا، فَأُنِّثَتْ بِتَأْنِيثِهَا. **وَقَالَ الْكِسَائِيُّ**: (خَالِصٌ، وَخَالِصَةٌ) وَاحِدٌ، مِثْلُ: (وَعْظٍ، وَمَوْعِظَةٍ).

﴿وَإِن يَكُن مَّيۡتَةً﴾: قَرَأَ ابْنُ عَامِرٍ وَأَبُو جَعْفَرٍ ﴿تَكُنْ﴾ بِالتَّاءِ ﴿مَيْتَةٌ﴾ رَفْعٌ، ذَكَرَ الْفِعْلَ بِعَلَامَةِ التَّأْنِيثِ؛ لِأَنَّ المَيْتَةَ فِي اللَّفْظِ مُؤَنَّثَةٌ. وَقَرَأَ أَبُو بَكْرٍ عَنْ عَاصِمٍ ﴿تَكُنْ﴾ بِالتَّاءِ ﴿مَيْتَةً﴾ نَصْبٌ، أَيْ: وَإِنْ تَكُنِ الْأَجِنَّةُ مَيْتَةً، وَقَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ: ﴿وَإِنْ يَكُنْ﴾ بِالْيَاءِ ﴿مَيْتَةٌ﴾ رَفْعٌ؛ لِأَنَّ الْمُرَادَ بِالْمَيْتَةِ المَيِّتُ، أَيْ: وَإِنْ يَقَعْ مَا فِي الْبُطُونِ مَيِّتًا، وَقَرَأَ الْآخَرُونَ: ﴿وَإِن يَكُن﴾ بِالْيَاءِ ﴿مَّيۡتَةً﴾ نَصْبٌ، رَدَّهُ إِلَى (مَا)، أَيْ: وَإِنْ يَكُنْ مَا فِي الْبُطُونِ مَيْتَةً، يَدُلُّ عَلَيْهِ أَنَّهُ قَالَ: ﴿فَهُمۡ فِيهِ شُرَكَآءُۚ﴾: وَلَمْ يَقُلْ: (فِيهَا)، وَأَرَادَ: أَنَّ الرِّجَالَ وَالنِّسَاءَ فِيهِ شُرَكَاءُ، ﴿سَيَجۡزِيهِمۡ وَصۡفَهُمۡۚ﴾: أَيْ: بِوَصْفِهِمْ، أَوْ عَلَى وَصْفِهِمُ الْكَذِبَ عَلَى اللهِ تَعَالَى؛ ﴿إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ۝١٣٩ قَدۡ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوۡلَٰدَهُمۡ﴾: قَرَأَ ابْنُ عَامِرٍ وَابْنُ كَثِيرٍ: ﴿قَتَّلُوا﴾ بِتَشْدِيدِ التَّاءِ عَلَى التَّكْثِيرِ، وَقَرَأَ الْآخَرُونَ بِالتَّخْفِيفِ، ﴿سَفَهَۢا﴾: جَهْلًا ﴿بِغَيۡرِ عِلۡمٖ﴾: نَزَلَتْ فِي رَبِيعَةَ وَمُضَرَ وَبَعْضِ الْعَرَبِ مِنْ غَيْرِهِمْ كَانُوا يَدْفِنُونَ الْبَنَاتِ أَحْيَاءً؛ مَخَافَةَ السَّبْيِ وَالْفَقْرِ، وَكَانَ بَنُو كِنَانَةَ لَا يَفْعَلُونَ ذَلِكَ، ﴿وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ﴾: يَعْنِي: الْبَحِيرَةَ وَالسَّائِبَةَ وَالْوَصِيلَةَ وَالْحَامَ؛ ﴿ٱفۡتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِۚ﴾: حَيْثُ قَالُوا: إِنَّ اللهَ أَمَرَهُمْ بِهَا، ﴿قَدۡ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ﴾.

﴿۞ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٖ مَّعۡرُوشَٰتٖ وَغَيۡرَ مَعۡرُوشَٰتٖ وَٱلنَّخۡلَ وَٱلزَّرۡعَ مُخۡتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهٗا وَغَيۡرَ مُتَشَٰبِهٖۚ كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوۡمَ حَصَادِهِۦۖ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ۝١٤١ وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ حَمُولَةٗ وَفَرۡشٗاۚ كُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَ﴾: ابْتَدَعَ ﴿جَنَّٰتٖ﴾: بَسَاتِينَ ﴿مَّعۡرُوشَٰتٖ وَغَيۡرَ مَعۡرُوشَٰتٖ﴾: أَيْ: مَسْمُوكَاتٍ مَرْفُوعَاتٍ وَغَيْرَ مَرْفُوعَاتٍ. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: ﴿مَّعۡرُوشَٰتٖ﴾: مَا انْبَسَطَ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ وَانْتَشَرَ مِمَّا يُعَرَّشُ [-أَيْ: يَرْفَعُ أَغْصَانَهُ-] مِثْلُ: الْكَرْمِ [-وَهُوَ العِنَبُ-] وَالْقَرْعِ[1] وَالْبِطِّيخِ وَغَيْرِهَا، ﴿وَغَيۡرَ مَعۡرُوشَٰتٖ﴾: مَا قَامَ

(١) القَرْعُ: جنس نباتات زراعية من الفصيلة القرعية، فيه أنواع تُزرَعُ لثمارها، وأصناف تزرع للتزيين، واحدته: (قرعَة)، وأكثر ما تُسمِّيه العرب: الدُّبَّاء. اهـ "المعجم الوسيط" (٢/ ٧٢٨).

عَلَى سَاقٍ وبَسَقَ [-أَيِ: ارْتَفَعَ-] مِثْلُ النَّخْلِ وَالزَّرْعِ وَسَائِرِ الْأَشْجَارِ. **وَقَالَ الضَّحَّاكُ**: كِلَاهُمَا، الْكَرْمُ خَاصَّةً مِنْهَا مَا عَرَّشَ وَمِنْهَا مَا لَمْ يُعَرِّشْ. ﴿وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ﴾: أَيْ: وَأَنْشَأَ النَّخْلَ وَالزَّرْعَ ﴿مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ﴾: ثَمَرُهُ وَطَعْمُهُ، مِنْهَا الْحُلْوُ وَالْحَامِضُ وَالْجَيِّدُ وَالرَّدِيءُ ﴿وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا﴾: فِي الْمَنْظَرِ ﴿وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ﴾: فِي الْمَطْعَمِ، مِثْلَ الرُّمَّانَتَيْنِ لَوْنُهُمَا وَاحِدٌ وَطَعْمُهُمَا مُخْتَلِفٌ، ﴿كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ﴾: هَذَا أَمْرُ إِبَاحَةٍ، ﴿وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾: قَرَأَ أَهْلُ الْبَصْرَةِ وَابْنُ عَامِرٍ وَعَاصِمٌ ﴿حَصَادِهِ﴾ بِفَتْحِ الْحَاءِ وَقَرَأَ الْآخَرُونَ بِكَسْرِهَا، وَمَعْنَاهُمَا وَاحِدٌ، كَالصِّرَامِ وَالصَّرَامِ، وَالْجِزَازِ وَالْجَزَازِ.

وَاخْتَلَفُوا فِي هَذَا الْحَقِّ: فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَطَاوُسٌ وَالْحَسَنُ وَجَابِرُ بْنُ زَيْدٍ وَسَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ: إِنَّهَا الزَّكَاةُ الْمَفْرُوضَةُ مِنَ الْعُشْرِ وَنِصْفِ الْعُشْرِ. **وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ وَعَطَاءٌ وَمُجَاهِدٌ وَحَمَّادٌ وَالْحَكَمُ**: هُوَ حَقٌّ فِي الْمَالِ سِوَى الزَّكَاةِ، أَمَرَ بِإِتْيَانِهِ؛ لِأَنَّ الْآيَةَ مَكِّيَّةٌ، وَفُرِضَتِ الزَّكَاةُ بِالْمَدِينَةِ. **قَالَ إِبْرَاهِيمُ**: هُوَ الضِّغْثُ[(١)]. **وَقَالَ الرَّبِيعُ**: لُقَاطُ السُّنْبُلِ. **وَقَالَ مُجَاهِدٌ**: كَانُوا يُعَلِّقُونَ الْعِذْقَ عِنْدَ الصِّرَامِ، فَيَأْكُلُ مِنْهُ مَنْ مَرَّ. **وَقَالَ يَزِيدُ بْنُ الْأَصَمِّ**: كَانَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ إِذَا صَرِمُوا يَجِيئُونَ بِالْعِذْقِ فَيُعَلِّقُونَهُ فِي جَانِبِ الْمَسْجِدِ، فَيَجِيءُ الْمِسْكِينُ فَيَضْرِبُهُ بِعَصَاهُ فَيَسْقُطُ مِنْهُ فَيَأْخُذُهُ. **وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ**: كَانَ هَذَا حَقًّا يُؤْمَرُ بِإِتْيَانِهِ فِي ابْتِدَاءِ الْإِسْلَامِ، فَصَارَ مَنْسُوخًا بِإِيجَابِ الْعُشْرِ. **وَقَالَ مِقْسَمٌ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ**: نَسَخَتِ الزَّكَاةُ كُلَّ نَفَقَةٍ فِي الْقُرْآنِ.

﴿وَلَا تُسْرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾: **قِيلَ**: أَرَادَ بِالْإِسْرَافِ إِعْطَاءَ الْكُلِّ. **قَالَ السُّدِّيُّ**: ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓاْ﴾: أَيْ لَا تُعْطُوا أَمْوَالَكُمْ فَتَقْعُدُوا فُقَرَاءَ. **قَالَ الزَّجَّاجُ**: عَلَى هَذَا إِذَا أَعْطَى الْإِنْسَانُ كُلَّ مَالِهِ وَلَمْ يُوَصِّلْ إِلَى عِيَالِهِ شَيْئًا فَقَدْ أَسْرَفَ؛ لِأَنَّهُ قَدْ جَاءَ فِي

(١) الضَّغْثُ -بِالْكَسْرِ-: قَبْضَة من حَشِيشٍ أَو مِقدارُها، مُخْتَلِطَةُ الرَّطْبِ باليابس. وَقَالَ أبو حنيفَة: الضِّغْثُ: كُلُّ مَا مَلأَ الكَفَّ من النَّبَاتِ. وَعَن الفَرَّاءِ: الضِّغْثُ: مَا جَمَعْتَه من شَيْءٍ، مثل حُزْمَةِ الرَّطْبَةِ، وَمَا قَامَ على ساقٍ واستطالَ ثمَّ تَجْمَعُه. وَقَالَ أبو الهَيثم: كُلُّ مجموعٍ مقبوضٍ عَلَيْهِ بجُمْعِ الكَفِّ فَهُوَ ضِغْثٌ، والفِعْلُ: (ضَغَثَ).اهـ"تاج العروس" (٥/ ٢٨٨-٢٨٩).

الخَبَرِ: «[خَيْرُ الصَّدَقَةِ مَا كَانَ عَنْ ظَهْرِ غِنًى، وَ]ابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ»[1]. **وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ**: مَعْنَاهُ: لَا تَمْنَعُوا الصَّدَقَةَ. فَتَأْوِيلُ الآيَةِ عَلَى هَذَا: لَا تَتَجَاوَزُوا الحَدَّ فِي الْبُخْلِ وَالْإِمْسَاكِ حَتَّى تَمْنَعُوا الْوَاجِبَ مِنَ الصَّدَقَةِ. **وَقَالَ مُقَاتِلٌ**: لَا تُشْرِكُوا الْأَصْنَامَ فِي الحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ. **وَقَالَ الزُّهْرِيُّ**: لَا تُنْفِقُوا فِي المَعْصِيَةِ. **وَقَالَ مُجَاهِدٌ**: الْإِسْرَافُ مَا قَصَّرْتَ بِهِ عَنْ حَقِّ اللهِ ﷻ، **وَقَالَ**: لَوْ كَانَ أَبُو قُبَيْسٍ [-وَهُوَ جَبَلٌ بِمَكَّةَ-] ذَهَبًا لِرَجُلٍ فَأَنْفَقَهُ فِي طَاعَةِ اللهِ لَمْ يَكُنْ مُسْرِفًا، وَلَوْ أَنْفَقَ دِرْهَمًا أَوْ مُدًّا فِي مَعْصِيَةِ اللهِ كَانَ مُسْرِفًا. **وَقَالَ إِيَاسُ بْنُ مُعَاوِيَةَ**: مَا جَاوَزْتَ بِهِ أَمْرَ اللهِ فَهُوَ سَرَفٌ وَإِسْرَافٌ. **وَرَوَى ابْنُ وَهْبٍ عَنْ أَبِي زَيْدٍ، قَالَ**: الخِطَابُ لِلسَّلَاطِينِ: يَقُولُ: لَا تَأْخُذُوا فَوْقَ حَقِّكُمْ.

قَوْلُهُ ﷻ: ﴿وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾: أَيْ: وَأَنْشَأَ مِنَ الْأَنْعَامِ ﴿حَمُولَةً﴾: وَهِيَ كُلُّ مَا يُحْمَلُ عَلَيْهَا مِنَ الإِبِلِ، ﴿وَفَرْشًا﴾: وَهِيَ الصِّغَارُ مِنَ الإِبِلِ الَّتِي لَا تَحْمِلُ، ﴿كُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾: لَا تَسْلُكُوا طَرِيقَهُ وَآثَارَهُ فِي تَحْرِيمِ الحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ؛ ﴿إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾. **ثُمَّ بَيَّنَ الحَمُولَةَ وَالفَرْشَ فَقَالَ**:

﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ (١٤٣) وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾

﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ﴾: نَصْبُهَا عَلَى الْبَدَلِ مِنَ الْحَمُولَةِ وَالفَرْشِ، أَيْ: وَأَنْشَأَ مِنَ الْأَنْعَامِ ﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ﴾: أَصْنَافٍ، ﴿مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ﴾: أَيِ: الذَّكَرِ وَالْأُنْثَى، فَالذَّكَرُ زَوْجٌ وَالْأُنْثَى زَوْجٌ، وَالعَرَبُ تُسَمِّي الْوَاحِدَ زَوْجًا إِذَا كَانَ لَا يَنْفَكُّ عَنِ الْآخَرِ، **وَالضَّأْنُ**: النِّعَاجُ، وَهِيَ ذَوَاتُ الصُّوفِ مِنَ الْغَنَمِ وَالوَاحِدُ (ضَائِنٌ) وَالْأُنْثَى (ضَائِنَةٌ)

---

(١) **صحيح**: البخاري: (١٤٢٦)، مسلم: (١٠٤٢).

وَالْجَمْعُ (ضَوَائِنُ)، ﴿وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ﴾: قَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ وَابْنُ عَامِرٍ وَأَهْلُ البَصْرَةِ: ﴿وَمِنَ المَعَزِ﴾ بِفَتْحِ الْعَيْنِ، وَالْبَاقُونَ بِسُكُونِهَا. **وَالمَعْزُ وَالمَعْزَى**: جَمْعٌ لَا وَاحِدَ لَهُ مِنْ لَفْظِهِ، وَهِيَ ذَوَاتُ الشَّعْرِ مِنَ الْغَنَمِ، وَجَمْعُ (المَاعِزِ): (مَعِيزٌ) وَجَمْعُ (المَاعِزَةِ): (مَوَاعِزُ) ﴿قُلْ﴾: يَا مُحَمَّدُ ﴿ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ﴾: اللهُ عَلَيْكُمْ؟! يَعْنِي: ذَكَرَ الضَّأْنِ وَالمَعْزِ، ﴿أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾: يَعْنِي: أُنْثَى الضَّأْنِ وَالمَعْزِ؟! ﴿أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾: مِنْهُمَا؟! فَإِنَّهَا لَا تَشْتَمِلُ إِلَّا عَلَى ذَكَرٍ وَأُنْثَى، [أَوْ مَجْهُولٍ]، ﴿نَبِّـُٔونِي﴾: أَخْبِرُونِي ﴿بِعِلْمٍ﴾: **قَالَ الزَّجَّاجُ**: فَسِّرُوا مَا حَرَّمْتُمْ بِعِلْمٍ، ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾: أَنَّ اللهَ تَعَالَى حَرَّمَ ذَلِكَ.

﴿وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ ۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾: وَذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا يَقُولُونَ: هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ، وَقَالُوا: مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا، وَحَرَّمُوا الْبَحِيرَةَ وَالسَّائِبَةَ وَالوَصِيلَةَ وَالحَامِ، وَكَانُوا يُحَرِّمُونَ بَعْضَهَا عَلَى الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَبَعْضَهَا عَلَى النِّسَاءِ دُونَ الرِّجَالِ.

﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ﴾: حُضُورًا ﴿إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَا ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ﴾: **قِيلَ**: أَرَادَ بِهِ: عَمْرو بْنَ لُحَيٍّ وَمَنْ جَاءَ بَعْدَهُ عَلَى طَرِيقَتِهِ، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾. **ثُمَّ بَيَّنَ أَنَّ التَّحْرِيمَ وَالتَّحْلِيلَ يَكُونُ بِالْوَحْيِ وَالتَّنْزِيلِ، فَقَالَ:**

﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ ۖ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ۚ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿١٤٦﴾ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾

﴿قُل﴾: يَا مُحَمَّدُ ﴿لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا﴾: أَيْ: شَيْئًا مُحَرَّمًا، ﴿عَلَىٰ طَاعِمٍ

﴿يَطْعَمُهُۥٓ﴾: آكِلٍ يَأْكُلُهُ، ﴿إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيۡتَةً﴾: قَرَأَ ابْنُ عَامِرٍ وَأَبُو جَعْفَرٍ: ﴿تَكُونَ﴾ بِالتَّاءِ ﴿مَيْتَةٌ﴾ رَفْعٌ أَيْ: إِلَّا أَنْ تَقَعَ مَيْتَةٌ، وَقَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ وَحَمْزَةُ ﴿تَكُونَ﴾ بِالتَّاءِ ﴿مَيْتَةٌ﴾ نُصِبَ عَلَى تَقْدِيرِ اسْمٍ مُؤَنَّثٍ، أَيْ: إِلَّا أَنْ تَكُونَ النَّفْسُ، أَوِ: الجُثَّةُ مَيِّتَةً. وَقَرَأَ البَاقُونَ: ﴿يَكُونَ﴾ بِالْيَاءِ ﴿مَيۡتَةً﴾ نَصْبٌ يَعْنِي: إِلَّا أَنْ يَكُونَ المَطْعُومُ مَيْتَةً ﴿أَوۡ دَمٗا مَّسۡفُوحًا﴾: أَيْ: مُهْرَاقًا سَائِلًا، **قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ**: يُرِيدُ: مَا خَرَجَ مِنَ الحَيَوَانِ -وَهُنَّ أَحْيَاءٌ- وَمَا خَرَجَ مِنَ الأَرْوَاحِ وَمَا يَخْرُجُ مِنَ الْأَوْدَاجِ عِنْدَ الذَّبْحِ، وَلَا يَدْخُلُ فِيهِ الْكَبِدُ وَالطِّحَالُ لِأَنَّهُمَا جَامِدَانِ، وَقَدْ جَاءَ الشَّرْعُ بِإِبَاحَتِهِمَا. وَلَا مَا اخْتَلَطَ بِاللَّحْمِ مِنَ الدَّمِ؛ لِأَنَّهُ غَيْرُ سَائِلٍ، **قَالَ عِمْرَانُ بْنُ حُدَيْرٍ**: سَأَلْتُ أَبَا مِجْلَزٍ عَمَّا يَخْتَلِطُ بِاللَّحْمِ مِنَ الدَّمِ، وَعَنِ الْقِدْرِ يُرَى فِيهَا حُمْرَةُ الدَّمِ؟ فَقَالَ: لَا بَأْسَ بِهِ، إِنَّمَا نَهَى عَنِ الدَّمِ المَسْفُوحِ. **وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ**: لَا بَأْسَ بِالدَّمِ فِي عِرْقٍ أَوْ مُخٍّ، إِلَّا المَسْفُوحَ الَّذِي تَعَمَّدَ ذَلِكَ. **وَقَالَ عِكْرِمَةُ**: لَوْلَا هَذِهِ الْآيَةُ لَاتَّبَعَ الْمُسْلِمُونَ مِنَ الْعُرُوقِ مَا يَتَّبِعُ الْيَهُودُ.

﴿أَوۡ لَحۡمَ خِنزِيرٖ فَإِنَّهُۥ رِجۡسٌ﴾: حَرَامٌ، ﴿أَوۡ فِسۡقًا أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦۚ﴾: وَهُوَ مَا ذُبِحَ عَلَى غَيْرِ اسْمِ اللهِ تَعَالَى، **فَذَهَبَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ** إِلَى أَنَّ التَّحْرِيمَ مَقْصُورٌ عَلَى هَذِهِ الأَشْيَاءِ، **يُرْوَى ذَلِكَ عَنْ عَائِشَةَ وَابْنِ عَبَّاسٍ قَالُوا**: وَيَدْخُلُ فِي المَيْتَةِ المُنْخَنِقَةُ وَالمَوْقُوذَةُ وَمَا ذُكِرَ فِي أَوَّلِ سُورَةِ المَائِدَةِ. **وَأَكْثَرُ الْعُلَمَاءِ** عَلَى أَنَّ التَّحْرِيمَ لَا يَخْتَصُّ بِهَذِهِ الأَشْيَاءِ، وَالمُحَرَّمُ بِنَصِّ الْكِتَابِ مَا ذُكِرَ هُنَا، وذلك مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا﴾. وَقَدْ حَرَّمَتِ السُّنَّةُ أَشْيَاءَ يَجِبُ الْقَوْلُ بِهَا، مِنْهَا:

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: «نَهَى رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ كُلِّ ذِي نَابٍ مِنَ السِّبَاعِ، وَكُلِّ ذِي مِخْلَبٍ مِنَ الطَّيْرِ»(١).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**أَكْلُ كُلِّ ذِي نَابٍ مِنَ السِّبَاعِ حَرَامٌ**»(٢).

---

(١) **صحيح**: مسلم: (١٩٣٤).

(٢) **صحيح**: مسلم: (١٩٣٣).

وَالْأَصْلُ عِنْدَ الشَّافِعِيِّ: أَنَّ مَا لَمْ يَرِدْ فِيهِ نَصُّ تَحْرِيمٍ أَوْ تَحْلِيلٍ، فَإِنْ كَانَ مِمَّا أَمَرَ الشَّرْعُ بِقَتْلِهِ -كَمَا قَالَ: «خَمْسٌ فَوَاسِقُ يُقْتَلْنَ فِي الْحِلِّ وَالْحَرَمِ»[1]- أَوْ نَهَى عَنْ قَتْلِهِ -كَمَا رُوِيَ أَنَّهُ «نَهَى عَنْ قَتْلِ النَّحْلَةِ وَالنَّمْلَةِ»[2]- فَهُوَ حَرَامٌ، وَمَا سِوَى ذَلِكَ فَالْمَرْجِعُ فِيهِ إِلَى الْأَغْلَبِ مِنْ عَادَاتِ الْعَرَبِ، فَمَا يَأْكُلُهُ الأَغْلَبُ مِنْهُمْ فَهُوَ حَلَالٌ، وَمَا لَا يَأْكُلُهُ الْأَغْلَبُ مِنْهُمْ فَهُوَ حَرَامٌ؛ لِأَنَّ اللهَ تَعَالَى خَاطَبَهُمْ بِقَوْلِهِ: ﴿قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ﴾ [المَائِدَة:٤]، فَثَبَتَ أَنَّ مَا اسْتَطَابُوهُ فَهُوَ حَلَالٌ.

﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: أَبَاحَ أَكْلَ هَذِهِ الْمُحَرَّمَاتِ عِنْدَ الِاضْطِرَارِ فِي غَيْرِ الْعُدْوَانِ.

قَوْلُهُ ﷻ: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾: يعني: اليهود، ﴿حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ﴾: وَهُوَ مَا لَمْ يَكُنْ مَشْقُوقَ الْأَصَابِعِ مِنَ الْبَهَائِمِ وَالطَّيْرِ، مِثْلَ: الْبَعِيرِ وَالنَّعَامَةِ وَالْإِوَزِّ وَالْبَطِّ، **قَالَ الْقُتَيْبِيُّ**: هُوَ كُلُّ ذِي مِخْلَبٍ مِنَ الطَّيْرِ وَكُلُّ ذِي حَافِرٍ مِنَ الدَّوَابِّ، وَحَكَاهُ عَنْ بَعْضِ الْمُفَسِّرِينَ، وَقَالَ: سُمِّيَ الْحَافِرُ ظُفُرًا عَلَى الِاسْتِعَارَةِ[3].

﴿وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ﴾: يَعْنِي: شُحُومَ الْجَوْفِ، وَهِيَ الثُّرُوبُ[4]، وَشَحْمُ الْكُلْيَتَيْنِ، ﴿إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ﴾: أَيْ: إِلَّا مَا عَلِقَ بِالظَّهْرِ

---

(١) **صحيح:** البخاري: (٣٣١٤)، مسلم: (١١٩٨)، عن عائشة ﵂، وتمامه: «**الحَيَّةُ، وَالْغُرَابُ الْأَبْقَعُ، وَالْفَأْرَةُ، وَالْكَلْبُ الْعَقُورُ، وَالْحُدَيَّا**».

(٢) **صحيح:** صحَّحه العلامة الألباني ﵀ في "الإرواء" (٢٤٩٠)، عن ابن عباس ﵄ قال: «**نَهَى رَسُولُ الله ﷺ عَنْ قَتْلِ أَرْبَعٍ مِنَ الدَّوَابِّ: النَّمْلَةِ، وَالنَّحْلَةِ، وَالْهُدْهُدِ، وَالصُّرَدِ**».اهـ قال في "المعجم الوسيط" (١/ ٥١٢): الصُّرَدُ: طَائِرٌ أكبرُ من العصفور، ضخم الرَّأْس والمنقار، يصيد صِغَار الحشرات، وَرُبمَا صاد العصفور، وكانُوا يتشاءمون بِهِ.اهـ

(٣) الِاسْتِعَارَةُ -فِي علم الْبَيَان-: اسْتِعْمَالُ كلمةٍ بدلَ أُخْرَى؛ لعلاقة المشابهة مَعَ الْقَرِينَة الدَّالَّةِ على هَذَا الِاسْتِعْمَال، كاستعمال (الْأَسَد) فِي: (الشُّجَاع)، والكلمةُ المستعملة على الْحَد السَّابِق، وصَكٌّ يطْلبُ بِهِ الْقَارِئُ كتابًا من المكتبات الْعَامَّة يذيله بتوقيعه فَيكون سندًا عَلَيْهِ.اهـ "المصدر السابق" (٢/ ٦٣٦).

(٤) الثرب: شحمٌ رَقِيقٌ يغشى الكرش والأمعاء، والجمعُ (ثروبٌ، وأثْرُبٌ). "المصدر السابق" (١/ ٩٥).

وَالْجَنْبِ مِنْ دَاخِلِ بُطُونِهَا، ﴿أَوِ ٱلْحَوَايَآ﴾: وَهِيَ: المَبَاعِرُ[1]، وَاحِدَتُهَا: (حَاوِيَةٌ، وَحَوِيَّةٌ)، أَيْ: مَا حَمَلَتْهُ الْحَوَايَا مِنَ الشَّحْمِ، ﴿أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍۚ﴾: يَعْنِي: شَحْمَ الْأَلْيَةِ، هَذَا كُلُّهُ دَاخِلٌ فِي الِاسْتِثْنَاءِ، وَالتَّحْرِيمُ مُخْتَصٌّ بِالثَّرْبِ وَشَحْمِ الْكُلْيَةِ.

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنهما: أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ عَامَ الْفَتْحِ وَهُوَ بِمَكَّةَ: «إِنَّ اللهَ وَرَسُولَهُ حَرَّمَ بَيْعَ الخَمْرِ، وَالمَيْتَةِ، وَالخِنْزِيرِ، وَالْأَصْنَامِ» فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَرَأَيْتَ شُحُومَ المَيْتَةِ، فَإِنَّهُ يُطْلَى بِهَا السُّفُنُ، وَيُدْهَنُ بِهَا الْجُلُودُ، وَيَسْتَصْبِحُ بِهَا النَّاسُ؟ فَقَالَ: «لَا، هُوَ حَرَامٌ»، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ عِنْدَ ذَلِكَ: «قَاتَلَ اللهُ الْيَهُودَ، إِنَّ اللهَ ﷻ لَمَّا حَرَّمَ شُحُومَهَا جَمَلُوهُ، ثُمَّ بَاعُوهُ فَأَكَلُوا ثَمَنَهُ»[2].

﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم﴾: أَيْ: ذَلِكَ التَّحْرِيمُ عُقُوبَةٌ لَهُمْ؛ ﴿بِبَغْيِهِمْۖ﴾: أَيْ: بِظُلْمِهِمْ مِنْ: قَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ، وَصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللهِ، وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا، وَاسْتِحْلَالِ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ، ﴿وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾: فِي الْإِخْبَارِ عَمَّا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ وَعَنْ بَغْيِهِمْ. ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ﴾: بِتَأْخِيرِ الْعَذَابِ عَنْكُمْ، ﴿وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ﴾: عَذَابُهُ ﴿عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾: إِذَا جَاءَ وَقْتُهُ.

﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأْسَنَاۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُۖ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾

﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ﴾: لَمَّا لَزِمَتْهُمُ الْحُجَّةُ وَتَيَقَّنُوا بُطْلَانَ مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ الشِّرْكِ بِاللهِ وَتَحْرِيمِ مَا لَمْ يُحَرِّمْهُ اللهُ، قَالُوا: ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا﴾: نَحْنُ، ﴿وَلَآ ءَابَآؤُنَا﴾:

---

(١) المبعرُ، والمبعرةُ: مَكَان خُرُوج البعر من الأمعاء.اهـ "المصدر السابق" (١/ ٦٣).

(٢) **صحيح**: البخاري: (٢٢٣٦)، مسلم: (١٥٨١). **وقولُهُ**: «وَيَسْتَصْبِحُ بِهَا النَّاسُ؟»: أي يُنوِّرون بها مصابيحهم، يعني: فهل يَحِلُّ لنا الانتفاع بها بالبيع وغيره لِمَا ذُكِر من المنافع؟ **وقولُهُ**: «وَجَمَلُوهُ»: قال في "اللسان": (جَمَلَهُ يَجْمُلُهُ جَمْلًا -من باب (نَصَرَ)- وَأَجْمَلَهُ): أذابَهُ واستَخرج دُهنًا، و(جَمَلَ) أفصح من (أَجْمَلَ). ينظر "البحر المحيط الثجاج" (٢٧/ ٥٤٦-٥٤٧).

مِنْ قَبْلُ ﴿وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍۚ﴾: مَنَ الْبَحَائِرِ وَالسَّوَائِبِ وَغَيْرِهِمَا، أَرَادُوا أَنْ يَجْعَلُوا قَوْلَهُمْ: ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكۡنَا﴾ حُجَّةً لَهُمْ عَلَى إِقَامَتِهِمْ عَلَى الشِّرْكِ، وَقَالُوا: إِنَّ اللهَ تَعَالَى قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَحُولَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَا نَحْنُ عَلَيْهِ حَتَّى لَا نَفْعَلَهُ، فَلَوْلَا أَنَّهُ رَضِيَ بِمَا نَحْنُ عَلَيْهِ وَأَرَادَهُ مِنَّا وَأَمَرَنَا بِهِ لَحَالَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ذَلِكَ، فَقَالَ اللهُ تَعَالَى تَكْذِيبًا لَهُمْ ﴿كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾: مِنْ كُفَّارِ الْأُمَمِ الْخَالِيَةِ ﴿حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأۡسَنَاۗ﴾: عَذَابَنَا، **وَيَسْتَدِلُّ أَهْلُ الْقَدَرِ بِهَذِهِ الْآيَةِ، يَقُولُونَ**: إِنَّهُمْ لَمَّا قَالُوا: ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكۡنَا﴾ كَذَّبَهُمُ اللهُ وَرَدَّ عَلَيْهِمْ فَقَالَ: ﴿كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾. **قُلْنَا**: التَّكْذِيبُ لَيْسَ فِي قَوْلِهِمْ ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكۡنَا﴾، بَلْ ذَلِكَ الْقَوْلُ صِدْقٌ، وَلَكِنْ فِي قَوْلِهِمْ: إِنَّ اللهَ تَعَالَى أَمَرَنَا بِهَا وَرَضِيَ بِمَا نَحْنُ عَلَيْهِ، كَمَا أَخْبَرَ عَنْهُمْ فِي سُورَةِ الأَعْرَافِ: ﴿وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً قَالُواْ وَجَدۡنَا عَلَيۡهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَاۗ﴾[الأعراف:٢٨]، **فَالرَّدُّ عَلَيْهِمْ فِي هَذَا كَمَا قَالَ تَعَالَى**: ﴿قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ﴾[الأعراف:٢٨]. وَالدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ التَّكْذِيبَ وَرَدَ فِيمَا قُلْنَا لَا فِي قَوْلِهِمْ ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكۡنَا﴾ قَوْلُهُ: ﴿كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾ بِالتَّشْدِيدِ، وَلَوْ كَانَ ذَلِكَ خَبَرًا مِنَ اللهِ ﷻ عَنْ كَذِبِهِمْ فِي قَوْلِهِمْ ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكۡنَا﴾ لَقَالَ: (كَذَلِكَ كَذَبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) بِالتَّخْفِيفِ، فَكَانَ يَنْسِبُهُمْ إِلَى الْكَذِبِ لَا إِلَى التَّكْذِيبِ. **وَقَالَ الْحَسَنُ بْنُ الْفَضْلِ**: لَوْ ذَكَرُوا هَذِهِ الْمَقَالَةَ تَعْظِيمًا وَإِجْلَالًا للهِ ﷻ وَمَعْرِفَةً مِنْهُمْ بِهِ لَمَا عَابَهُمْ بِذَلِكَ؛ لِأَنَّ اللهَ تَعَالَى قَالَ: ﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكُواْۗ﴾[الأنعام:١٠٧]، وَقَالَ: ﴿مَّا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُوٓاْ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾[الأنعام:١١١] وَالْمُؤْمِنُونَ يَقُولُونَ ذَلِكَ، وَلَكِنَّهُمْ قَالُوهُ تَكْذِيبًا وَتَخَرُّصًا وَجَدَلًا مِنْ غَيْرِ مَعْرِفَةٍ بِاللهِ وَبِمَا يَقُولُونَ، نَظِيرُهُ قَوْلُهُ ﷻ: ﴿وَقَالُواْ لَوۡ شَآءَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مَا عَبَدۡنَٰهُمۗ﴾، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنۡ عِلۡمٍۖ إِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ﴾[الزخرف:٢٠]. **وَقِيلَ فِي مَعْنَى الْآيَةِ**: إِنَّهُمْ كَانُوا يَقُولُونَ الْحَقَّ بِهَذِهِ الْكَلِمَةِ، إِلَّا أَنَّهُمْ كَانُوا يَعُدُّونَهُ عُذْرًا لِأَنْفُسِهِمْ وَيَجْعَلُونَهُ حُجَّةً لِأَنْفُسِهِمْ فِي تَرْكِ الْإِيمَانِ، وَرَدَّ عَلَيْهِمْ فِي هَذَا؛ لِأَنَّ أَمْرَ اللهِ بِمَعْزِلٍ عَنْ مَشِيئَتِهِ وَإِرَادَتِهِ، فَإِنَّهُ مُرِيدٌ لِجَمِيعِ الْكَائِنَاتِ غَيْرُ آمِرٍ بِجَمِيعِ مَا يُرِيدُ، وَعَلَى الْعَبْدِ أَنْ يَتَّبِعَ أَمْرَهُ وَلَيْسَ لَهُ أَنْ يَتَعَلَّقَ بِمَشِيئَتِهِ؛ فَإِنَّ مَشِيئَتَهُ لَا

تَكُونُ عُذْرًا لِأَحَدٍ.

﴿قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ﴾: أَيْ: كِتَابٌ وَحُجَّةٌ مِنَ اللهِ ﴿فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ﴾: حَتَّى يَظْهَرَ مَا تَدَّعُونَ عَلَى اللهِ تَعَالَى مِنَ الشِّرْكِ وَتَحْرِيمِ مَا حَرَّمْتُمْ؟! ﴿إِن تَتَّبِعُونَ﴾: مَا تَتبَعُونَ فِيمَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ ﴿إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾: مِنْ غَيْرِ عِلْمٍ وَيَقِينٍ، ﴿وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾: تَكْذِبُونَ. ﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ﴾: التَّامَّةُ عَلَى خَلْقِهِ بِالْكِتَابِ وَالرَّسُولِ وَالْبَيَانِ، ﴿فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾: فَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَشَأْ إِيمَانَ الْكَافِرِ، وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاهُ.

﴿قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَا ۖ فَإِن شَهِدُوا۟ فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ ۚ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٠﴾ ۞ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۖ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾

﴿قُلْ هَلُمَّ﴾: يُقَالُ لِلْوَاحِدِ وَالِاثْنَيْنِ وَالْجَمْعِ، ﴿شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشْهَدُونَ﴾: أَيِ: ائْتُوا بِشُهَدَائِكُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ ﴿أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَا﴾: هَذَا رَاجِعٌ إِلَى مَا تَقَدَّمَ مِنْ تَحْرِيمِهِمُ الْأَشْيَاءَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَدَعْوَاهُم أَنَّ اللهَ أَمَرَهُمْ بِهِ، ﴿فَإِن شَهِدُوا۟﴾: كَاذِبِينَ ﴿فَلَا تَشْهَدْ﴾: أَنْتَ ﴿مَعَهُمْ ۚ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾: أَيْ: يُشْرِكُونَ.

قَوْلُهُ ﷻ: ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾: وَذَلِكَ أَنَّهُمْ سَأَلُوا وَقَالُوا أَيُّ شَيْءٍ الَّذِي حَرَّمَ اللهُ تَعَالَى؟ فَقَالَ ﷻ: ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ﴾: أَقْرَأْ ﴿مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ

عَلَيْكُمْ﴾: حقًّا يقينًا، لَا ظَنًّا وَلَا كَذِبًا كَمَا تَزْعُمُونَ، فَإِنْ قِيلَ: مَا مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾، وَالْمُحَرَّمُ هُوَ الشِّرْكُ لَا تَرْكُ الشِّرْكِ؟ قِيلَ: مَوْضِعُ (أَنْ) رَفْعٌ، مَعْنَاهُ: هُوَ أَنْ لَا تُشْرِكُوا، وَقِيلَ: مَحَلُّهُ نَصْبٌ، وَاخْتَلَفُوا فِي وَجْهِ انْتِصَابِهِ، قِيلَ: مَعْنَاهُ: حَرَّمَ عَلَيْكُمْ أَنْ تُشْرِكُوا بِهِ، وَ(لَا) صِلَةٌ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾[الأعراف:١٢] أَيْ: مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ. وَقِيلَ: تَمَّ الْكَلَامُ عِنْدَ قَوْلِهِ ﴿حَرَّمَ رَبُّكُمْ﴾، ثُمَّ قَالَ: ﴿عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾، عَلَى الْإِغْرَاءِ. قَالَ الزَّجَّاجُ: يَجُوزُ أَنَّ يَكُونَ هَذَا مَحْمُولًا عَلَى الْمَعْنَى، أَيْ: أَتْلُ عَلَيْكُمْ تَحْرِيمَ الشِّرْكِ، وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ عَلَى مَعْنَى: أُوصِيكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ﴾: فَقْرٍ، ﴿نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾: أَيْ: لَا تَئِدُوا بَنَاتِكُمْ خَشْيَةَ الْعَيْلَةِ؛ فَإِنِّي رَازِقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ، ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾: مَا ظَهَرَ: يَعْنِي: الْعَلَانِيَةَ، وَمَا بَطَنَ: يَعْنِي: السِّرَّ، وَكَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ يَسْتَقْبِحُونَ الزِّنَا فِي الْعَلَانِيَةِ وَلَا يَرَوْنَ بِهِ بَأْسًا فِي السِّرِّ، فَحَرَّمَ اللهُ تَعَالَى الزِّنَا فِي الْعَلَانِيَةِ وَالسِّرِّ. وَقَالَ الضَّحَّاكُ: مَا ظَهَرَ: الْخَمْرُ، وَمَا بَطَنَ: الزِّنَا، ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾: حَرَّمَ اللهُ تَعَالَى قَتْلَ الْمُؤْمِنِ وَالْمُعَاهَدِ، ﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾: إِلَّا بِمَا يُبِيحُ قَتْلَهُ، مِنْ: رِدَّةٍ، أَوْ قِصَاصٍ، أَوْ زِنًا يُوجِبُ الرَّجْمَ.

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَّا بِإِحْدَى ثَلَاثٍ: الثَّيِّبُ الزَّانِي، وَالنَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ الْمُفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ**»(١).

﴿ذَلِكُمْ﴾: الَّذِي ذَكَرْتُ ﴿وَصَّاكُمْ بِهِ﴾: أَمَرَكُمْ بِهِ ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾.

﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾: يَعْنِي: بِمَا فِيهِ صَلَاحُهُ وَتَثْمِيرُهُ، وَقَالَ مُجَاهِدٌ: هُوَ التِّجَارَةُ فِيهِ. وَقَالَ الضَّحَّاكُ: هُوَ أَنْ يَبْتَغِيَ لَهُ فِيهِ وَلَا يَأْخُذَ مِنْ رِبْحِهِ شَيْئًا،

(١) **صحيح:** البخاري: (٦٨٧٨)، مسلم: (١٦٧٦).

﴿حَتَّىٰ يَبۡلُغَ أَشُدَّهُۥۚ﴾: **قَالَ الشَّعْبِيُّ وَمَالِكٌ**: **الْأَشُدُّ**: الْحُلُمُ، حَتَّى يُكْتَبَ لَهُ الْحَسَنَاتُ وَتُكْتَبَ عَلَيْهِ السَّيِّئَاتُ. **قَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ**: حَتَّى يَعْقِلَ وَتَجْتَمِعَ قُوَّتُهُ. **وَقَالَ الْكَلْبِيُّ**: **الْأَشُدُّ**: مَا بَيْنَ الثَّمَانِيَةِ عَشَرَ سَنَةً إِلَى ثَلَاثِينَ سَنَةً. **وَقِيلَ**: إِلَى أَرْبَعِينَ سَنَةً. **وَقِيلَ**: إِلَى سِتِّينَ سَنَةً. **وَقَالَ الضَّحَّاكُ**: عِشْرُونَ سَنَةً. **وَقَالَ السُّدِّيُّ**: ثَلَاثُونَ سَنَةً. **وَقَالَ مُجَاهِدٌ**: **الْأَشُدُّ**: ثَلَاثٌ وَثَلَاثُونَ سَنَةً، **وَالْأَشُدُّ**: جَمْعُ (شَدٍّ)، مِثْل: (قَدٍّ، وَأَقُدٍّ)، وَهُوَ اسْتِحْكَامُ قُوَّةِ شَبَابِهِ وَسِنِّهِ، وَمِنْهُ: (شَدُّ النَّهَارِ) وَهُوَ ارْتِفَاعُهُ، **وَقِيلَ**: **بُلُوغُ الْأَشُدِّ**: أَنْ يُؤْنَسَ رُشْدُهُ بَعْدَ الْبُلُوغِ، وَتَقْدِيرُ الْآيَةِ: وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ عَلَى الْأَبَدِ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ، فَادْفَعُوا إِلَيْهِ مَالَهُ إِنْ كَانَ رَشِيدًا، ﴿وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ﴾: بِالْعَدْلِ، ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۖ﴾: أَيْ: طَاقَتَهَا فِي إِيفَاءِ الكَيْلِ وَالمِيْزَانِ، لَمْ يُكَلِّفِ الْمُعْطِيَ أَكْثَرَ مِمَّا وَجَبَ عَلَيْهِ، وَلَمْ يُكَلِّفْ صَاحِبَ الْحَقِّ الرِّضَا بِأَقَلَّ مِنْ حَقِّهِ؛ حَتَّى لَا تَضِيقَ نَفْسُهُ عَنْهُ، بَلْ أَمَرَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بِمَا يَسَعُهُ مِمَّا لَا حَرَجَ عَلَيْهِ فِيهِ، ﴿وَإِذَا قُلۡتُمۡ فَٱعۡدِلُواْ﴾: فَاصْدُقُوا فِي الْحُكْمِ وَالشَّهَادَةِ، ﴿وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰۖ﴾: وَلَوْ كَانَ المَحْكُومُ وَالمَشْهُودُ عَلَيْهِ ذَا قَرَابَةٍ، ﴿وَبِعَهۡدِ ٱللَّهِ أَوۡفُواْۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾: تَتَّعِظُونَ، قَرَأَ حَمْزَةُ وَالْكِسَائِيُّ وَحَفْصٌ: ﴿تَذَكَّرُونَ﴾ خَفِيفَةَ الذَّالِ كُلَّ الْقُرْآنِ، وَالْآخَرُونَ بِتَشْدِيدِهَا، **قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ**: هَذِهِ الْآيَاتُ مُحْكَمَاتٌ فِي جَمِيعِ الْكُتُبِ، لَمْ يَنْسَخْهُنَّ شَيْءٌ، وَهُنَّ مُحَرَّمَاتٌ عَلَى بَنِي آدَمَ كُلِّهِمْ، وَهُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ، مَنْ عَمِلَ بِهِنَّ دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ تَرَكَهُنَّ دَخَلَ النَّارَ.

﴿وَأَنَّ هَٰذَا﴾: أَيْ: هَذَا الَّذِي وَصَّيْتُكُمْ بِهِ فِي هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ ﴿صِرَٰطِي﴾: طَرِيقِي وَدِينِي ﴿مُسۡتَقِيمًا﴾: مُسْتَوِيًا قَوِيمًا، ﴿فَٱتَّبِعُوهُۖ﴾: قَرَأَ حَمْزَةُ وَالْكِسَائِيُّ: ﴿وَإِنَّ﴾ بِكَسْرِ الْأَلْفِ عَلَى الِاسْتِئْنَافِ وَقَرَأَ الْآخَرُونَ بِفَتْحِ الْأَلِفِ، **قَالَ الْفَرَّاءُ**: وَالمَعْنَى وَأَتْلُ عَلَيْكُمْ أَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا، وَقَرَأَ ابْنُ عَامِرٍ وَيَعْقُوبُ بِسُكُونِ النُّونِ. ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ﴾: أَيْ: الطُّرُقَ الْمُخْتَلِفَةَ الَّتِي عَدَا هَذَا الطَّرِيقِ، مِثْلَ الْيَهُودِيَّةِ وَالنَّصْرَانِيَّةِ وَسَائِرِ

الْمِلَلِ، وَقِيلَ: الْأَهْوَاءُ وَالْبِدَعُ، ﴿فَتَفَرَّقَ﴾: فَتَمِيلَ ﴿بِكُمْ﴾: وَتَشَتَّتَ ﴿عَن سَبِيلِهِۦ﴾: عَنْ طَرِيقِهِ وَدِينِهِ الَّذِي ارْتَضَى، وَبِهِ أَوْصَى، ﴿ذَٰلِكُمْ﴾: الَّذِي ذَكَرْتُ ﴿وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

عَنْ عَبْدِ اللهِ قَالَ: خَطَّ لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ خَطًّا ثُمَّ قَالَ: «هَذَا سَبِيلُ اللهِ»، ثُمَّ خَطَّ خُطُوطًا عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ، وَقَالَ: «هَذِهِ سُبُلٌ عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ»، ثُمَّ قَرَأَ: «﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ﴾». الْآيَةَ[1].

﴿ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِيٓ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٤﴾ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ أَن تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَٰفِلِينَ ﴿١٥٦﴾ أَوْ تَقُولُوا۟ لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْدِفُونَ﴾

قَوْلُهُ ﷻ: ﴿ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾: فَإِنْ قِيلَ: لِمَ قَالَ: ﴿ثُمَّ ءَاتَيْنَا﴾ وَحَرْفُ (ثُمَّ) لِلتَّعْقِيبِ وَإِيتَاءُ مُوسَى الْكِتَابَ كَانَ قَبْلَ مَجِيءِ الْقُرْآنِ؟ قِيلَ: مَعْنَاهُ: ثُمَّ أُخْبِرُكُمْ أَنَّا آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ، فَدَخَلَ (ثُمَّ) لِتَأْخِيرِ الْخَبَرِ لَا لِتَأْخِيرِ النُّزُولِ.

﴿تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِيٓ أَحْسَنَ﴾: اخْتَلَفُوا فِيهِ، قِيلَ: تَمَامًا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ قَوْمِهِ، فَيَكُونُ ﴿ٱلَّذِيٓ﴾ بِمَعْنَى: (مَنْ)، أَيْ: عَلَى مَنْ أَحْسَنَ مِنْ قَوْمِهِ، وَكَانَ بَيْنَهُم مُحْسِنٌ وَمُسِيءٌ، يَدُلُّ عَلَيْهِ قِرَاءَةُ ابْنِ مَسْعُودٍ: ﴿عَلَى الَّذِينَ أَحْسَنُوا﴾، وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: مَعْنَاهُ: عَلَى كُلِّ مَنْ أَحْسَنَ، أَيْ: أَتْمَمْنَا فَضِيلَةَ مُوسَى بِالْكِتَابِ عَلَى الْمُحْسِنِينَ، يَعْنِي: أَظْهَرْنَا فَضْلَهُ عَلَيْهِمْ، وَالْمُحْسِنُونَ هُمُ الْأَنْبِيَاءُ وَالْمُؤْمِنُونَ، وَقِيلَ: الَّذِي أَحْسَنَ هُوَ مُوسَى، وَ﴿ٱلَّذِيٓ﴾ بِمَعْنَى (مَا)، أَيْ: عَلَى مَا أَحْسَنَ مُوسَى، تَقْدِيرُهُ: آتَيْنَاهُ الْكِتَابَ، يَعْنِي: التَّوْرَاةَ؛ إِتْمَامًا عَلَيْهِ لِلنِّعْمَةِ؛ لِإِحْسَانِهِ فِي الطَّاعَةِ وَالْعِبَادَةِ وَتَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ وَأَدَاءِ الْأَمْرِ.

(١) **حسن**: حسَّنه العلامة الألباني رَحِمَهُ اللهُ في «المشكاة» (٢٧).

وَقِيلَ: الْإِحْسَانُ بِمَعْنَى: الْعِلْمِ، وَ(أَحْسَنَ) بِمَعْنَى (عَلِمَ)، وَمَعْنَاهُ: تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ مُوسَى مِنَ الْعِلْمِ وَالْحِكْمَةِ، أَيْ: آتَيْنَاهُ الْكِتَابَ زِيَادَةً عَلَى ذَلِكَ. **وَقِيلَ**: مَعْنَاهُ: تَمَامًا مِنِّي عَلَى إِحْسَانِي إِلَى مُوسَى، ﴿وَتَفْصِيلًا﴾: بَيَانًا ﴿لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾: يُحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ شَرَائِعِ الدِّينِ، ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً﴾: هَذَا فِي صِفَةِ التَّوْرَاةِ، ﴿لَّعَلَّهُم بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾: **قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ**: كَيْ يُؤْمِنُوا بِالْبَعْثِ وَيُصَدِّقُوا بِالثَّوَابِ وَالعِقَابِ.

﴿وَهَٰذَا﴾: يَعْنِي: الْقُرْآنَ، ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ﴾: وَاعْمَلُوا بِمَا فِيهِ، ﴿وَاتَّقُوا﴾: وَأَطِيعُوا؛ ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ أَن تَقُولُوا﴾: يَعْنِي: لِئَلَّا تَقُولُوا، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا﴾[النِّسَاء:١٧٦]، أَيْ: لِئَلَّا تَضِلُّوا، **وَقِيلَ**: مَعْنَاهُ أَنْزَلْنَاهُ كَرَاهَةَ أَنْ تَقُولُوا، **قَالَ الْكِسَائِيُّ**: مَعْنَاهُ: اتَّقُوا أَنْ تَقُولُوا يَا أَهْلَ مَكَّةَ ﴿إِنَّمَا أُنزِلَ الْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَائِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا﴾: يَعْنِي الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى ﴿وَإِن كُنَّا﴾: وَقَدْ كُنَّا ﴿عَن دِرَاسَتِهِمْ﴾: قِرَاءَتِهِمْ، ﴿لَغَٰفِلِينَ﴾: لَا نَعْلَمُ مَا هِيَ، مَعْنَاهُ: أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْقُرْآنَ لِئَلَّا تَقُولُوا إِنَّ الْكِتَابَ أُنْزِلَ عَلَى مَنْ قَبْلَنَا بِلِسَانِهِمْ وَلُغَتِهِمْ فَلَمْ نَعْرِفْ مَا فِيهِ، وَغَفَلْنَا عَنْ دِرَاسَتِهِ، فَتَجْعَلُونَهُ عُذْرًا لِأَنْفُسِكُمْ.

﴿أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَٰبُ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ﴾: وَقَدْ كَانَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْكُفَّارِ قَالُوا ذَلِكَ: لَوْ أَنَّا أُنْزِلَ عَلَيْنَا مَا أُنْزِلَ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى لَكُنَّا خَيْرًا مِنْهُمْ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَقَدْ جَاءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾: حُجَّةٌ وَاضِحَةٌ بِلُغَةٍ تَعْرِفُونَهَا، ﴿وَهُدًى﴾: بَيَانٌ ﴿وَرَحْمَةٌ﴾: وَنِعْمَةٌ لِمَنِ اتَّبَعَهُ، ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ﴾: أَعْرَضَ ﴿عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ﴾: أَيْ: شِدَّةَ الْعَذَابِ، ﴿بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ﴾: يُعْرِضُونَ.

> ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلَٰئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَٰنِهَا خَيْرًا قُلِ انتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ﴾: أَيْ: هَلْ يَنْتَظِرُونَ بَعْدَ تَكْذِيبِهِمُ الرُّسُلَ وَإِنْكَارِهِمُ

الْقُرْآنَ ﴿إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ﴾: لِقَبْضِ أَرْوَاحِهِمْ وَقِيلَ: بِالْعَذَابِ، قَرَأَ حَمْزَةُ وَالكِسَائِيُّ ﴿يَأْتِيَهُم﴾ بِاليَاءِ هَاهُنَا وَفِي النَّحْلِ، وَالْبَاقُونَ بِالتَّاءِ، ﴿أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ﴾: بِلَا كَيْفٍ لِفَصْلِ الْقَضَاءِ بَيْنَ خَلْقِهِ فِي مَوْقِفِ الْقِيَامَةِ، ﴿أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَـٰتِ رَبِّكَ﴾: يَعْنِي: طُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، عَلَيْهِ أَكْثَرُ الْمُفَسِّرِينَ، وَرَوَاهُ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ مَرْفُوعًا[(١)]. ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَـٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَـٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ﴾: أَيْ: لَا يَنْفَعُهُمُ الْإِيمَانُ عِنْدَ ظُهُورِ الْآيَةِ الَّتِي تَضْطَرُّهُمْ إِلَى الْإِيمَانِ، ﴿أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَـٰنِهَا خَيْرًا﴾: يُرِيدُ: لَا يُقْبَلُ إِيمَانُ كَافِرٍ وَلَا تَوْبَةُ فَاسِقٍ، ﴿قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟﴾: يَا أَهْلَ مَكَّةَ، ﴿إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾: بِكُمُ الْعَذَابَ.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَإِذَا طَلَعَتْ وَرَآهَا النَّاسُ آمَنُوا أَجْمَعُونَ، وَذَلِكَ حِينَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا»**[(٢)].

عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«يَدَا اللهِ بُسْطَانِ لِمُسِيءِ اللَّيْلِ لِيَتُوبَ بِالنَّهَارِ وَلِمُسِيءِ النَّهَارِ لِيَتُوبَ بِاللَّيْلِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا»**[(٣)].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«مَنْ تَابَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا تَابَ اللهُ عَلَيْهِ»**[(٤)].

عَنْ زِرِّ بْنِ حُبَيْشٍ قَالَ: أَتَيْتُ **صَفْوَانَ بْنَ عَسَّالٍ الْمُرَادِيَّ**، فَذَكَرَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ: **«إِنَّ اللهَ ﷻ جَعَلَ بِالْمَغْرِبِ بَابًا مَسِيرَةُ عَرْضِهِ سَبْعُونَ عَامًا لِلتَّوْبَةِ، لَا يُغْلَقُ مَا لَمْ تَطْلُعِ الشَّمْسُ مِنْ قِبَلِهِ»**، وَذَلِكَ قَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَـٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَـٰنُهَا

---

(١) **صحيح:** صحَّحه العلامة الألباني رَحِمَهُ اللهُ في "صحيح وضعيف سنن الترمذي" (٣٠٧١)، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي قَوْلِ اللهِ ﷻ: ﴿أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَـٰتِ رَبِّكَ﴾ قَالَ: «طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا».

(٢) **صحيح:** البخاري: (٤٦٣٦)، مسلم: (١٥٧).

(٣) **صحيح:** مسلم: (٢٧٥٩).

(٤) **صحيح:** مسلم: (٢٧٠٣).

﴿لَمۡ تَكُنۡ ءَامَنَتۡ مِن قَبۡلُ﴾[1].

وَرَوَى أَبُو حَازِمٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «ثَلَاثٌ إِذَا خَرَجْنَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا: الدَّجَّالُ، وَالدَّابَّةُ، وَطُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا»[2].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ إِنَّمَآ أَمۡرُهُمۡ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ١٥٩ مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَا وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾

قَوْلُهُ ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ﴾: قَرَأَ حَمْزَةُ وَالْكِسَائِيُّ: ﴿فَارَقُوا﴾ بِالأَلِفِ هَاهُنَا وَفِي سُورَةِ الرُّومِ أَيْ: خَرَجُوا مِنْ دِينِهِمْ وَتَرَكُوهُ، وَقَرَأَ الْآخَرُونَ ﴿فَرَّقُواْ﴾ مُشَدَّدًا أَيِ جَعَلُوا دِينَ اللهِ -وَهُوَ وَاحِدٌ- دِينَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْحَنِيفِيَّةَ أَدْيَانًا مُخْتَلِفَةً، فَتَهَوَّدَ قَوْمٌ وَتَنَصَّرَ قَوْمٌ، يَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ ﷻ: ﴿وَكَانُواْ شِيَعٗا﴾: أَيْ: صَارُوا فِرَقًا مُخْتَلِفَةً، وَهُمُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى فِي قَوْلِ مُجَاهِدٍ وَقَتَادَةَ وَالسُّدِّيِّ، وَقِيلَ: هُمْ أَصْحَابُ الْبِدَعِ وَالشُّبُهَاتِ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ.

عَنِ الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ الصُّبْحَ، فَوَعَظَنَا مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ، وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ كَأَنَّهَا مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ فَأَوْصِنَا، فَقَالَ: «أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ كَانَ عَبْدًا حَبَشِيًّا؛ فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ؛ فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»[3].

---

(١) **حسن:** حسَّنه العلامة الألباني رَحِمَهُ اللهُ في "صحيح وضعيف سنن الترمذي" (٣٥٣٦)، والعلامة الوادعي رَحِمَهُ اللهُ في "الصحيح المسند" (٥٠٥).

(٢) **صحيح:** مسلم: (١٥٨).

(٣) **صحيح:** صححه الألباني رَحِمَهُ اللهُ في "الإرواء" (٢٤٥٥)، وهو في "الصحيح المسند" للوادعي رَحِمَهُ اللهُ (٩٢١).

وَرُوِيَ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ تَفَرَّقَتْ عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا مِلَّةً وَاحِدَةً»، قَالُوا: مَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي»[(١)].

قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ: «إِنَّ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا [وَ: ﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾]»[(٢)]. وَرَوَاهُ جَابِرٌ مَرْفُوعًا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ[(٣)].

قَوْلُهُ ﷻ: ﴿لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾: قِيلَ: لَسْتَ مِنْ قِتَالِهِمْ فِي شَيْءٍ، نَسَخَتْهَا آيَةُ الْقِتَالِ، وَهَذَا عَلَى قَوْلِ مَنْ يَقُولُ: الْمُرَادُ فِي الْآيَةِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى. وَمَنْ قَالَ: أَرَادَ بِالْآيَةِ أَهْلَ الْأَهْوَاءِ قَالَ: الْمُرَادُ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾: أَيْ: أَنْتَ مِنْهُمْ بَرِيءٌ وَهُمْ مِنْكَ بُرَآءُ، تَقُولُ الْعَرَبُ: (إِنْ فَعَلْتَ كَذَا فَلَسْتَ مِنِّي وَلَسْتُ مِنْكَ)، أَيْ: كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا بَرِيءٌ مِنْ صَاحِبِهِ، ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ﴾: يَعْنِي: فِي الْجَزَاءِ وَالْمُكَافَآتِ، ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾: إِذَا وَرَدُوا لِلْقِيَامَةِ.

قَوْلُهُ ﷻ: ﴿مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾: أَيْ: لَهُ عَشْرُ حَسَنَاتٍ أَمْثَالِهَا، وَقَرَأَ يَعْقُوبُ: ﴿عَشْرٌ﴾ مُنَوَّنٌ، ﴿أَمْثَالُهَا﴾ بِالرَّفْعِ، ﴿وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا أَحْسَنَ أَحَدُكُمْ إِسْلَامَهُ فَكُلُّ حَسَنَةٍ يَعْمَلُهَا تُكْتَبُ لَهُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ، وَكُلُّ سَيِّئَةٍ يَعْمَلُهَا تُكْتَبُ لَهُ بِمِثْلِهَا حَتَّى يَلْقَى اللهَ ﷻ»[(٤)].

---

(١) **حسن:** حسَّنه العلامة الألباني رحمه الله في "صحيح وضعيف سنن الترمذي" (٢٦٤١).

(٢) **صحيح:** البخاري: (٧٢٧٧).

(٣) **صحيح:** مسلم: (٨٦٧).

(٤) **صحيح:** البخاري: (٤٢)، مسلم: (١٢٩).

عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَقُولُ اللهُ تبارك وتعالى: مَنْ جَاءَ بِالحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَأَزِيدُ، وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا أَوْ أَغْفِرُ، وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شِبْرًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعًا، وَمِنْ تَقَرَّبَ مِنِّي ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا، وَمَنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً، وَمَنْ لَقِيَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطِيئَةً لَا يُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَقِيتُهُ بِمِثْلِهَا مَغْفِرَةً»[1]. قَالَ ابْنُ عُمَرَ: الْآيَةُ فِي غَيْرِ الصَّدَقَاتِ مِنَ الْحَسَنَاتِ، فَأَمَّا الصَّدَقَاتُ تُضَاعَفُ سَبْعَمِائَةِ ضِعْفٍ.

﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ دِينٗا قِيَمٗا مِّلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ قُلۡ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡغِي رَبّٗا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيۡءٖۚ وَلَا تَكۡسِبُ كُلُّ نَفۡسٍ إِلَّا عَلَيۡهَاۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرۡجِعُكُمۡ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمۡ خَلَٰٓئِفَ ٱلۡأَرۡضِ وَرَفَعَ بَعۡضَكُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ لِّيَبۡلُوَكُمۡ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلۡعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٞ رَّحِيمُۢ﴾

قَوْلُهُ عز وجل: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ دِينٗا قِيَمٗا﴾: قَرَأَ أَهْلُ الْكُوفَةِ وَالشَّامِ ﴿قِيَمًا﴾ بِكَسْرِ الْقَافِ وَفَتْحِ الْيَاءِ خَفِيفَةً وَقَرَأَ الْآخَرُونَ بِفَتْحِ الْقَافِ وَكَسْرِ الْيَاءِ مُشَدَّدًا وَمَعْنَاهُمَا وَاحِدٌ، وَهُوَ الْقَوِيمُ الْمُسْتَقِيمُ، وَانْتِصَابُهُ عَلَى مَعْنَى: هَدَانِي دِينًا قِيَمًا، ﴿مِّلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾: قِيلَ: أَرَادَ بِالنُّسُكِ الذَّبِيحَةَ فِي الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ، وَقَالَ مُقَاتِلٌ: نُسُكِي: حَجِّي، وَقِيلَ: دِينِي، ﴿وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي﴾: أَيْ: حَيَاتِي وَوَفَاتِي ﴿لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾: أَيْ: هُوَ يُحْيِينِي وَيُمِيتُنِي، وَقِيلَ: مَحْيَايَ بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَمَمَاتِي إِذَا مِتُّ عَلَى الْإِيمَانِ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَقِيلَ: طَاعَتِي فِي حَيَاتِي للهِ، وَجَزَائِي بَعْدَ مَمَاتِي مِنَ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. قَرَأَ أَهْلُ المَدِينَةِ: ﴿مَحْيَايْ﴾ بِسُكُونِ الْيَاءِ وَ﴿مَمَاتِيَ﴾ بِفَتْحِهَا، وَقِرَاءَةُ العَامَّةِ: ﴿وَمَحۡيَايَ﴾ بِفَتْحِ الْيَاءِ؛ لِئَلَّا يَجْتَمِعَ سَاكِنَانِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾: قَالَ قَتَادَةُ: وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ.

---

(١) **صحيح:** مسلم: (٢٦٨٧).

﴿قُلۡ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡغِي رَبّٗا﴾: **قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ** رضي الله عنهما: سَيِّدًا وَإِلَهًا، ﴿وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيۡءٖۚ﴾: وَذَلِكَ أَنَّ الْكُفَّارَ كَانُوا يَقُولُونَ لِلنَّبِيِّ ﷺ ارْجِعْ إِلَى دِينِنَا، **قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ**: كَانَ الْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ يَقُولُ: اتَّبِعُوا سَبِيلِي أَحْمِلْ عَنْكُمْ أَوْزَارَكُمْ، فَقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَكۡسِبُ كُلُّ نَفۡسٍ إِلَّا عَلَيۡهَاۚ﴾: لَا تَجْنِي كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا مَا كَانَ مِنْ إِثْمِهِ عَلَى الْجَانِي، ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۚ﴾: أَيْ لَا تَحْمِلُ نَفْسٌ حِمْلَ أُخْرَى، أَيْ: لَا يُؤَاخَذُ أَحَدٌ بِذَنْبِ غَيْرِهِ، ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرۡجِعُكُمۡ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ﴾.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمۡ خَلَٰٓئِفَ ٱلۡأَرۡضِ﴾: يَعْنِي: أَهْلَكَ أَهْلَ الْقُرُونِ الْمَاضِيَةِ وَأَوْرَثَكُمُ الْأَرْضَ يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنْ بَعْدِهِمْ، فَجَعَلَكُمْ خَلَائِفَ مِنْهُمْ فِيهَا تَخْلُفُونَهُمْ فِيهَا وَتُعَمِّرُونَهَا بَعْدَهُمْ، **وَالْخَلَائِفُ**: جَمْعُ (خَلِيفَةٍ) كَـ(الْوَصَائِفِ) جَمْعُ (وَصِيفَةٍ)، وَكُلُّ مَنْ جَاءَ بَعْدَ مَنْ مَضَى فَهُوَ خَلِيفَةٌ؛ لِأَنَّهُ يَخْلُفُهُ. ﴿وَرَفَعَ بَعۡضَكُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ﴾: أَيْ: خَالَفَ بَيْنَ أَحْوَالِكُمْ، فَجَعَلَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ فِي الْخَلْقِ وَالرِّزْقِ وَالْمَعَاشِ وَالْقُوَّةِ وَالْفَضْلِ؛ ﴿لِّيَبۡلُوَكُمۡ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ﴾: لِيَخْتَبِرَكُمْ فِيمَا رَزَقَكُمْ، يَعْنِي: يَبْتَلِيَ الْغَنِيَّ وَالْفَقِيرَ وَالشَّرِيفَ وَالْوَضِيعَ وَالْحُرَّ وَالْعَبْدَ؛ لِيَظْهَرَ مِنْكُمْ مَا يَكُونُ عَلَيْهِ مِنَ الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ، ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلۡعِقَابِ﴾: لِأَنَّ مَا هُوَ آتٍ فَهُوَ سَرِيعٌ قَرِيبٌ، **قِيلَ**: هُوَ الْهَلَاكُ فِي الدُّنْيَا، ﴿وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٞ رَّحِيمُۢ﴾: **قَالَ عَطَاءٌ**: سَرِيعُ الْعِقَابِ لِأَعْدَائِهِ، غَفُورٌ لِأَوْلِيَائِهِ رَحِيمٌ بِهِمْ.

❁ ❁ ❁